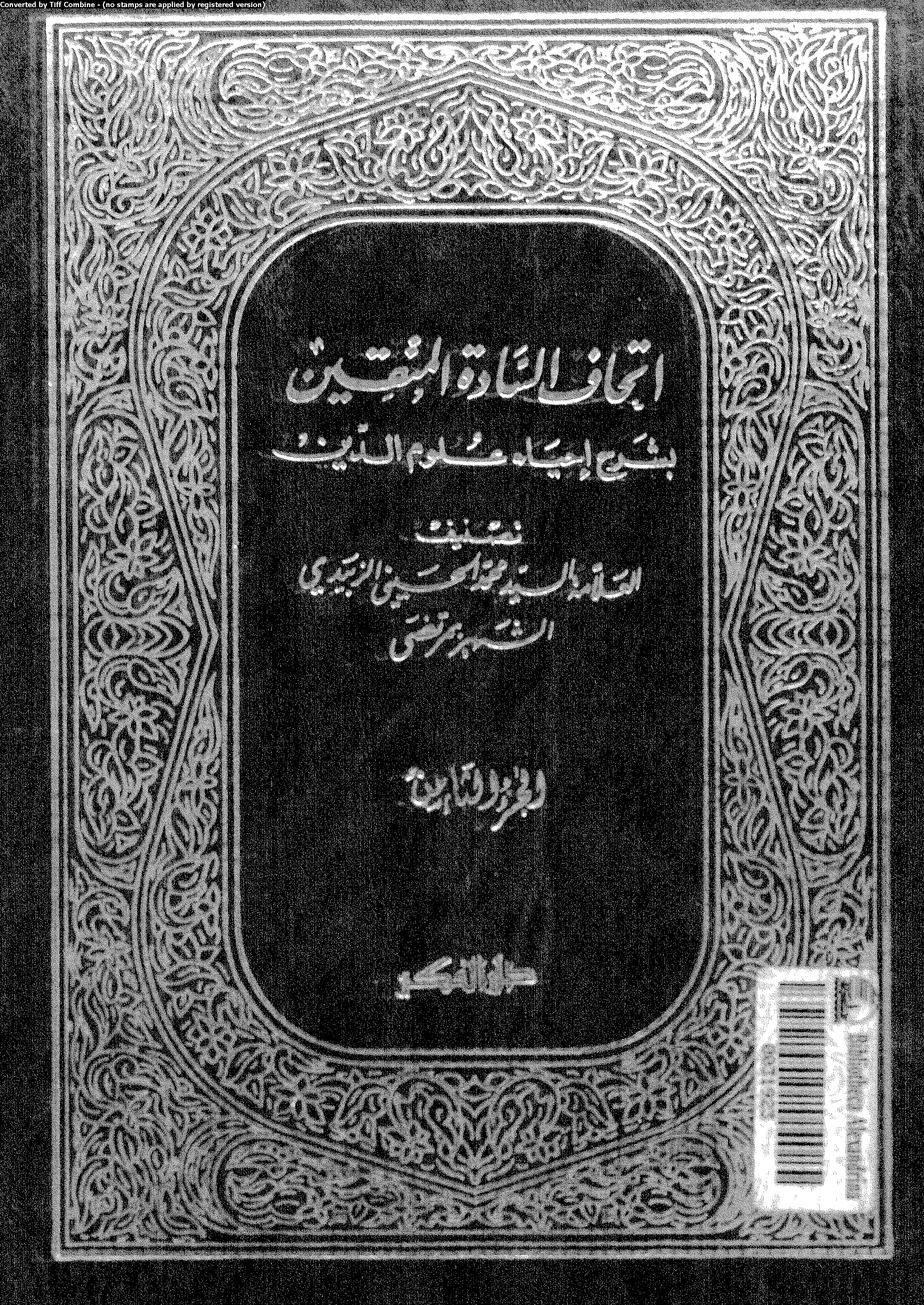

إتحاف السادة المتقين
بشرح إحياء علوم الدين
تصنيف
العلامة السيد محمد الحسيني الزبيدي
الشهير بمرتضى
الجزء الثامن
دار الفكر





اتحاف السادة المتقين

بشرح إحياء علوم الدين

تصنيف خاتمة المحققين وعمدة ذوي الفضائل من المدققين
العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
رحمه الله وأثابه من فيض فضله جزيل الرضا آمين .

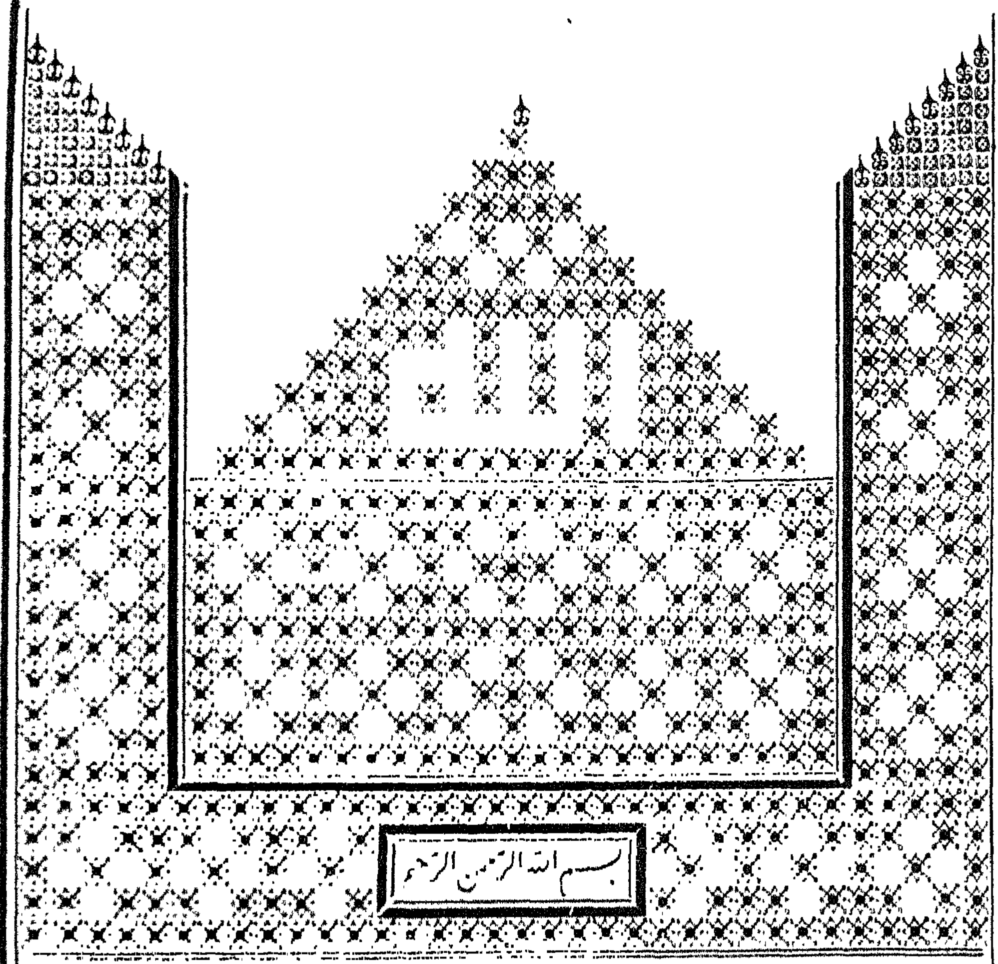
تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الأحياء في بعض مواضع من شرحه فتتميماً للفائدة وضعنا الأحياء المذكور في هامش هذا الشرح ولأجل زيادة الفائدة بدأنا في أول الهامش بوضع كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء للأستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبد القادر بن شيخ عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي قدس الله سره .

وبالهامش أيضاً بعد تمام الكتاب المذكور كتاب الاملا عن اشكالات الاحيا تصنيف الامام الغزالي رد به على بعض اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الاحيا وقد صار وضع كتاب الاملا بأول هامش الصحيفة ومتن الاحيا بآخره وفصل بينهما بجلية .

الجزء الثامن

دار الفكر



وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الحمد لله الفرد الصمد الواحد الاحد * الذى على فضله المعوّل وعلى كرمه المعتمد * الولى الذى هدى وأرشد * ووفق وأسعد * وأبان طريق الغى والرشد * خلق الانسان ودبر الاكوان وهو على ما كان لا يتغير ولا يتجدد * أحمده سبحانه حمد عبد سلك الواضح الجدد * وتخلى عن ظلمات اللجاج واللدد * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تسدد قائلها فى كل قبول ورد * وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله السيد السند * المختار المنتقى المفضل الامجد * الذى بعث نبينا وآدم بين الروح والجسد * أفضل من لربه عبد * وعلى آله وصحبه وتابعيهم ووارث علومهم صلى الله عليه وعليهم وسلم صلاة وسلاما يدومان بدوام الابد * ما حيعل الداعى وقال أشهد * أو ناح ترى على الاراك وغرد * (وبعد) * فهذا شرح * (كتاب ذم الغضب والحقد والحسد) * وهو الخامس من الربع الثالث من كتاب الاحياء للامام حجة الاسلام قطب الاحياء أبى حامد محمد بن محمد الغزالى سقاه الله من رحيق الرضوان * وصب عليه من شآبيب الغفران يجلى جواهر ألفاظه الغريبه * ويدل على اشارات معانيه العجيبه * ويفتح تلاع نوادره المستغربه * ويورد الراغب الى حياض مناهله المستعذبه * مقتبسا من مشكاة أنوار النبوه * مقتنصا من الهام أسرار الفتوه * مستعينا بالله فى اجازة هذا الامر الخطير معتصما به فى تيسير كل عسير * لا اله الا هو عليه توكلت وهو على كل شئ قدير * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) الذى يستعان به على كل خلق كريم * ويستعاذ به من كل طبع ذميم (الحمد لله الذى لا يتكل على عفوه ورحمته الا الراجون) الاتكال هو الاعتماد أى لا يعتمد الراجون الا على عفوه ورحمته ولولا عفوه ورحمته ما تم لهم مقام الرجاء (ولا يحذر سوء غضبه وسطوته الا الخائفون) أى لا يخشى الخائفون

(كتاب ذم الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله الذى لا يتكل على عفوه ورحمته الا الراجون * ولا يحذر سوء غضبه وسطوته الا الخائفون *

الا

الذى استدرج عباده من حيث لا يعلمون * وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك مايشتهون * وابتلاهم بالغضب وكلفهم
كظم الغيظ فيما يغضبون *
ثم حفهم بالمكاره واللذات
وأملى لهـم لينظر كيف
يعملون * وامتحن به حبهم
ليعلم صدقهم فيما يدّعون *
وعرفهم انه لايخفى عليه شئ
مما يسرون وما يعلنون *
وحذرهم أن يأخـذهم
بغتة وهم لا يشعرون * فقال
ما ينظرون الا صيحة واحدة
تأخذهم وهم يخصمون *
فلا يستطيعون توصية ولا الى
أهلهم يرجعون * والصلاة
على محمد رسوله الذى يسير
تحت لوائه النبيون * وعـلى
آله وأصحابه الائمة المهديون *
والسادة المرضيون * صلاة
يوازى عددها عدد ما كان
من خلق الله وما سيكون *
ويحظى ببركتها الاولون
والآخرون * وسلم تسليما
كثـيرا (أما بعـد) فان
الغضب شعلة نار اقتبست
من نار الله الموقـدة الـتى
تطلع على الافئدة * وانها
لمستكنة فى طى الفؤاد *
استكنان الجمر تحت الرماد
* ويستخـرجها الـكبر
الدفـين فى قلب كل جبار
عنيد * كاستخراج الحجر النار
من الحديد * وقد انكشف
للناظرين بنور اليقـين *
ان الانسان ينزع منه عرق
الى الشيطان اللعين * فمن
استفزته نار الغضب فقد
قويت فيه قرابة الشيطان
حيث قال خلقتنى من نار
وخلقته من طين فان شأن الطين السكون والوقار * وشأن النار التلظى والاستعار *

الاسطوته وغضبه وبه تم لهم مقام الخوف فالمؤمن بين رجاء وخوف واليه الاشارة بقوله تعالى يرجون رحمته ويخافون عذابه وقدم الرجاء نظرا لعموم رحمته وشمول عفوه فقد ورد سبقت رحمتى غضبى (الذى استدرج عباده) أى أخذهم قليلا قليلا على الامهال (من حيث لا يعلمون) أشار به الى قوله تعالى فى آخر الاعراف ان الذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (وسلط عليهم الشهوات) وهى كل ماتنزع اليه النفوس فيما تريده ولا تتمالك منه (وأمرهم بترك ما يشتهون) واجتناب ما اليه ينزعون (وابتلاهم بالغضب) وهو تغير يحصل عند ثوران دم القلب لارادة الانتقام (وكلفهم كظم الغيظ) أى كفه وستره والغيظ أشد الحنق وكظمه الامساك فى النفس على صفح أو غيظ (فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره) جمع مكروه وهو كل ما فيه قبح أو مشقة وحفهم احاط بهم (واللذات) جمع لذة وهى ادراك الملائم من حيث هو ملائم وقيد الحيثية للاحتراز من ادراك الملائم لا من حيث ملاءمته فليس بلذة كالدواء النافع المر فانه ملائم من حيث انه نافع لا من حيث انه لذيذ (وأملى لهـم) أى أمهل (لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون) هل هم صادقون فى دعوى حبهم أم كاذبون (وعرفهم) على ألسنة رسله الكرام (انه لا يخفى عليه شئ مما يسرون) أى يخفونه (ويعلنون) أى يظهرونه (وحذرهم) أى خوفهم (بان يأخذهم بغتة) أى فجاة على غفلة (وهم لا يشعرون) أشار به الى قوله تعالى فأخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون (فقال ما ينظرون) أى ما ينتظرون (الا صيحة واحدة) وهى النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) أى يختصمون فى أحوالهم لا يخطر ببالهم أمرها (فلا يستطيعون توصية) فى شئ من أمورهم (ولا الى أهلهم يرجعون) فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم (والصلاة على) سـيدنا (محمد رسوله الذى يسير تحت لوائه) يوم القيامة (النبيون) اذ هو صلى الله عليه وسلم قائد جيش الانبياء والمرسلين وبيده لواء الحمد (وعلى آله وأصحابه الائمة) جمع امام وهو كل من يقتدى به (المهديون) جمع مهدى وهو من اهتدى الى طريق الحق بهداية الله تعالى واكتفى به عن الهادين اذ كل مهدى فى نفسه يتصور منه أن يكون هاديا لغيره واما الهادى فقد يهدى غـيره ولا يهتدى بنفسه (والسادة المرضيون) أى المقبولون عند الله وقد ثبت رضا الله عنهم بنص القرآن (صلاة يوازى) أى يقابل (عددها عدد ما كان من خلق الله) فيما مضى (وما سـيكون) فى الحال والآتى ولا يحيط بعدد ذلك الا من خلقهم (ويحظى ببركتها الاولون) من الامم الماضية (والآخرون) اللاحقون بهم والحظوة بالضم والكسر رفعة المنزلة (وسـلم) تسليما (كثيرا أما بعد فان الغضب شعلة نار) الاضافة بيانية أى شعلة من نار (اقتبست من نار الله الموقدة) التى أوقدها الله وما أوقده لا يقـدر أن يطفئه غيره (التى تطلع) أى تعلو (على الافئدة) أى على أوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما فى البدن وأشد تألما أو لانه منشأ الاعمـال القبيحة (وانهـا لمستكنة) أى المخفية (فى طى الفؤاد) أى داخل القلب (استكنان الجمر) أى خفاءه (تحت الرماد) وهو اسم لما خمد من النار (ويستخرجها الكبر) المحيط بالكبد (الدفين فى قلب كل جبار عنيد) أى ظالم معاند فالقوة تظهرها والعجز يخفيها (كما يستخرج الحجر النار من الحديد) واصل الكلام كما يستخرج الحديد النار من الحجر والمراد به حجر القداح فاذا ضرب الحديد عليه خرجت النار (وقد انكشف للناظرين بنور اليقين) حقائق الاشياء على ما هى عليها ومن ذلك (ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين) يقال نزعه عرق منه اذا جذبه اليه وأشبهه ومنه الخبر العرق نزاع وفى لفظ دساس (فمن استفزته نار الغضب) أى استخفته (فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتنى من نار وخلقته من طين) وكذا قوله تعالى وخلق الجان من مارج من نار فمن هنا ظهرت القرابة (فان شأن الطين السكون والوقار) واللصوق الى الارض واذا رمى به الى العلو فلا بد له من نزول الى تحت (وشأن النار التلظى) أى التلهب (والاستعار

والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد* وبهما هالك من هلك وفسد من فسد* ومفيضهما مضغة اذا صلحت صلح معها سائر
الجسد واذا كان الحقد والحسد والغضب* مما يسوق العبد الى مواطن العطب* فما أحوجه الى معرفة معاطبه ومساويه*
ليحذر ذلك ويتقيه* ويميطه عن القلب ان كان وينفيه* ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر يقع فيه* ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه *مالم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان أن الغضب هل يمكن ازالة أصله بالرياضة أم لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب
وبالله التوفيق* (بيان ذم الغضب)* قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تغضب

والحركة والاضطراب) واذا خليت بنفسها طلبت العلو وهذه الاوصاف تضاد أوصاف الطين (ومن نتائج الغضب الحقد) بالكسر وهو الانطواء على العداوة والبغضاء (والحسد) محركة وهو ظلم ذي النعمة بتمني زوالها وصيرورتها الى الحاسد (وبهما هالك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة) صنوبرية (اذا صلحت صلح سائر الجسد) واذا فسدت فسد سائر الجسد الا وهي القلب كما ورد ذلك في الخبر (فاذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد ويجره الى مواطن العطب) أي الهلاك (فما أحوجه الى معرفة معاطبه) أي مهالكه (ومساويه) جمع مسوي أي مواطنه (ليحذر ذلك ويتقيه) أي يتجنب عنه (ويميطه) أي يزيله (عن القلب ان كان) أي وجد (وينفيه) أي يطرده وفي بعض النسخ وينقيه من التنقية أي يخلصه (ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه) بما يقلعه عنه (فان من لا يعرف الشر يقع فيه) وهو من الامثال المشهورة وقد نظمه بعض فقال * عرفت الشر لا للشـ*ـر لكن لاتوقاه * (ومن عرفه فالمعرفة) وحدها (لا تكفيه مالم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه) أي يبعده (ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب) بالاخبار والآثار (ثم بيان حقيقة الغضب) ماهي (ثم بيان ان الغضب هل يمكن ازالة أصله بالرياضة) والتهذيب (أم لا ثم بيان الاسباب المهيجة) أي الباعثة المحركة للغضب (ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه) وتمكنه منه (ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم) بالصفح والامساك (ثم بيان القدر الذي به يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتائجه) أي ما يتولد منه من القبائح (وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته) ودفعه (ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به ينفي) أي يطرد (مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب)

(بيان ذم الغضب)

(قال الله تعالى) في سورة الفتح (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية) أي الانفة (حمية الجاهلية) التي تمنع اذعان الحق (فأنزل الله سكينته على رسوله) وعلى المؤمنين (الآية) تمامها والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليما (ذم الكفار) يعني قريش مكة (بما تظاهروا به) في عدم دخوله صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين مكة (من الحمية) أي الانفة (الصادرة عن الغضب) والتهور (بالباطل ومدح المؤمنين بما أنعم عليهم من السكينة) أي الثبات والوقار ففي الصحيح انه صلى الله عليه وسلم لما هم بقتالهم بعثوا اليه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرزا ليسألوه أن يرجع من عامه على أن تخلي له قريش مكة من قابل ثلاثة أيام فأجابهم وكتب لهم كتابا الحديث وفيه قال للكاتب اكتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا (وروى أبو هريرة) رضي الله عنه (ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب) رواه البخاري من طريق أبي حصين الاسدي عن أبي صالح عن أبي هريرة ولم يخرجه مسلم لان الاعمش رواه عن أبي صالح واختلف عليه في اسناده فقيل عنه عن أبي صالح عن أبي هريرة كقول أبي حصين وقيل عنه عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد وقيل عنه عن أبي صالح عن أبي هريرة أو جابر وقيل عنه عن أبي صالح عن رجل من الصحابة لم يسم وأخرجه الترمذي من طريق أبي حصين أيضا ولفظه جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني شيأ ولا تكثر علي لعلي أعيه قال لا تغضب فردد

ذلك عليه مرارا كل ذلك يقول لاتغضب وفي رواية أخرى لغير الترمذي قال قلت يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ولاتكثر على قال لاتغضب ورواه أحمد كذلك من حديث أبي هريرة ورواه أحمد أيضا والبغوي والباوردي وابن قانع وابن حبان والطبراني والحاكم والضياء من حديث جارية بن قدامة التميمي هكذا رواه من طريق الاحنف عن عمه جارية بن قدامة ان رجلا قال يارسول الله قل لي قولا وأقلل على لعلي أعقله قال لاتغضب فاعاد عليه مرارا كل ذلك يقول لاتغضب وفي رواية لاحمد ان جارية بن قدامة قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم فذكره فهذا يغلب على الظن ان السائل هو جارية بن قدامة لكن ذكر الامام أحمد عن يحيي القطان انه قال هكذا قال هشام يعني ان هشاما ذكر في الحديث ان جارية سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال يحيي وهم يقولون لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم وكذا قال العجلي وغيره انه تابعي وليس بصحابي ورواه الطبراني في الكبير من حديث سفيان بن عبدالله الثقفي ورواه مسدد والمحاملي والضياء من حديث أبي سعيد الخدري وقيل ان السائل هو أبو الدرداء فقد أخرج الطبراني من حديثه قال قلت يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لاتغضب ولك الجنة وسيأتي للمصنف قريبا وأخرج أحمد من طريق الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت يارسول الله أوصني قال لاتغضب قال الرجل فذكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فاذا الغضب يجمع الشر كله ورواه مالك في الموطأ عن الزهري عن حميد مرسلا وقوله لاتغضب يحتمل أمرين أحدهما أن يكون مراده الامر بالاسباب التي توجب حسن الخلق فان النفس اذا تخلقت بالاخلاق الجميلة وصارت لها عادة أوجب لها ذلك رفع الغضب عند حصول أسبابه والثاني أن يكون المراد لاتعمل بمقتضى الغضب اذا حصل لك بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به فان الغضب اذا ملك ابن آدم كان كالآمر الناهي له واذا لم يمتثل ما يأمره به غضبه وجاهد نفسه اندفع عنه شر الغضب وربما سكن غضبه وذهب فكأنه حينئذ لم يغضب (وقال ابن عمر) رضى الله عنه (قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا وأقلل لعلي أعقله قال لاتغضب فاعدت ذلك عليه مرتين كل ذلك يرجع الى) ويقول (لاتغضب) قال العراقي رواه أبو يعلى باسناد حسن قلت ورواه أيضا ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والسياق له فهذا يدل على ان السائل في حديث أبي هريرة هو ابن عمر (وعن عبدالله بن عمرو) بن العاصي رضى الله عنهما (أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقال (ماذا يبعدني) وفي لفظ يباعدني (من غضب الله قال لاتغضب) هكذا في النسخ وفي بعضها انه سال رجل رسول الله فباللفظ الاول أخرجه أحمد في المسند فعلى هذا السائل هو عبدالله بن عمرو وباللفظ الثاني أخرجه الطبراني في مكارم الاخلاق وابن عبد البر في التمهيد باسناد حسن قاله العراقي قلت وبمثل سياق أحمد أخرجه أيضا ابن أبي الدنيا وابن حبان (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (قال النبي صلى الله عليه وسلم ماتعدون الصُّرَعة) كهمزة (فيكم قلنا الذي لاتصرعه الرجال) أي لاتغلبه في الصراع بل يصرعهم (قال ليس ذلك) بالصرعة (ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب) هو الصرعة رواه مسلم بلفظ ولكنه وقد أوردته مسندا في مقدمة كتاب العلم (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد) أي القوى (بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) رواه البخاري ومسلم ورواه العسكري في الامثال بلفظ ليس الشديد الذي يغلب الناس ولكن الشديد الذي يغلب نفسه عند الغضب (وقال ابن عمر) رضى الله عنه (قال النبي صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وذم الغضب وفي الصمت وقد تقدم في آفات اللسان ورواه أيضا بلفظ من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه الحديث (وقال سليمان) بن داود عليهما السلام (يابني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (وعن عكرمة) مولى ابن عباس (في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لايغلبه الغضب)

ثم أعاد عليه فقال لاتغضب وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا وأقلله لعلي أعقله فقال لاتغضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الى لاتغضب وعن عبدالله ابن عمر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينقذني من غضب الله قال لاتغضب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لاتصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان ابن داود عليهما السلام يابني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لايغلبه الغضب

وقال أبو الدرداء قلت يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لاتغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لاتغضب قال لا استطيع ان لاأغضب انما أنا بشر قال لاتقتن مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ماغضب أحد الا أشفى على جهنم وقال له رجل أى شئ أشد قال غضب الله قال فما يبعدنى من غضب الله قال لاتغضب (الآثار) قال الحسن ياابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك أن تثب وثبة فتقع فى النار وعن ذى القرنين انه لقى ملكا من الملائكة فقال علمنى علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لاتغضب فان الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولاتكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان فى صومعته فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فلم يجبه فقال افتح فانى ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال انى أنا المسيح قال الراهب وان كنت المسيح فما أصنع بك أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك فقال انى الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع فجئتك لتسألنى عما شئت فأخبرك فقال ما أريد ان أسألك عن شئ قال فولى مدبرا فقال الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرنى أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة

ورواه ابن أبي الدنيا فى ذم الغضب (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (قلت يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال لاتغضب) قال العراقى رواه ابن أبي الدنيا والطبرانى فى الكبير والاوسط باسناد حسن اهـ قلت ولكن بزيادة ولك الجنة وقال المنذرى رواه الطبرانى باسنادين أحدهما رجاله ثقات (وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لاتغضب قال لا استطيع ان لا اغضب انما أنا بشر قال لاتقتن مالا قال هذا عسى) ان استطيع عليه رواه ابن أبي الدنيا فى ذم الغضب (وقال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر) بفتح الصاد وكسر الموحدة دواء معروف (العسل) قال العراقى رواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف اهـ قلت لفظ البيهقى يامعاوية اياك والغضب فان الغضب الخ هكذا رواه ابن عساكر فى التاريخ ورواه الحكيم الترمذى بلفظ لاتغضب يامعاوية بن حيدة فان الغضب الخ (وقال صلى الله عليه وسلم ماغضب أحد الا اشفى على جهنم) قال العراقى رواه البزار وابن عدى من حديث ابن عباس للنار باب لايدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله واسناده ضعيف وتقدم فى آفات اللسان (وقال له) صلى الله عليه وسلم (رجل أى شئ أشد قال غضب الله قال فما يبعدنى من غضب الله قال لاتغضب) قال العراقى رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشطر الاخير وقد تقدم قبله بستة أحاديث * (الآثار قال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (ياابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك ان تثب وثبة فتقع فى النار) رواه ابن أبي الدنيا فى ذم الغضب (وعن ذى القرنين) المذكور فى القرآن اسمه الاسكندر وليس هو الذى كان وزيره ارسطاطاليس وارخ التواريخ وقد غلط فى ذلك جماعة نبه عليها ابن تيمية فى كتاب الفرقان (انه لقى ملكا من الملائكة فقال علمنى علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لاتغضب فان الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم) أى بالامساك عنه (وسكنه بالتؤدة) أى السكون والرفق (واياك والعجلة فانك اذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولاتكن جبارا عنيدا) رواه ابن أبي الدنيا فى ذم الغضب (وعن وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (ان راهبا كان فى صومعته) يتعبد فيها (فاراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال افتح لى فلم يجبه) فقال افتح (فانى ان ذهبت) عنك (ندمت) على عدم فتحك (فلم يلتفت) الراهب (اليه فقال انى أنا المسيح) اى عيسى عليه السلام (قال الراهب وان كنت المسيح ما اصنع بك اليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغير ذلك لم نقبله منك قال فقال انى الشيطان وقد أردت ان أضلك فلم استطع فجئتك لتسألنى عما شئت فاخبرك قال ما أريد ان أسألك عن شئ قال فولى مدبرا فقال الراهب ألا تسمع قال بلى قال فاخبرنى أى اخلاق بنى آدم أهون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو بكر الآجرى حدثنا عبد الله بن محمد العطشى حدثنا ابراهيم بن الجنيد حدثنى محمد بن الحسين حدثنا بشر بن أبان حدثنى الحسن بن عبيد الله ابن مسلم القرشى عن وهب بن منبه ان راهبا تخلى فى صومعته فى زمن المسيح عليه السلام فاراده ابليس بكل ديرة فلم يقدر عليه فاتاه تشبها بالمسيح فناداه أيها الراهب اشرف على أكلمك فقال انطلق لشأنك فلست ارادا ما مضى من عمرى فقال اشرف على فانا المسيح قال فان كنت المسيح فمالك من حاجة اليس قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة انطلق لشأنك فلا حاجة لى فيك قال فانطلق اللعين عنه وتركه وحدثنا أبي حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا محمد بن سهل حدثنا اسمعيل بن عبد الكريم حدثنى عبد الصمد انه سمع وهب بن منبه يقول ان ابليس اتى راهبا فى صومعته فاستفتح عليه فقال من انت قال انا المسيح فقال الراهب والله لئن كنت ابليس لاأخلو بك ولئن كنت المسيح ماعسيت انى اصنع بك اليوم لقد بلغتنا رسالة

وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى أكون في قلبه واذا غضب طرت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار رأس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث اذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم وبخله بما في يديه وتمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما أملك فلانا لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عبد الله ابن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بأمانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله أن لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فاطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما تناله مني غدا وقال بعضهم لابنه

ربك وقبلنا عنك وشرعت لنا الدين ونحن عليه فاذهب فلست بها تحلك قال له صدقت انا ابليس ولا اريد ضلالتك بعد اليوم ابدا فسلني عما بدا لك اخبرك به قال وأنت صادق قال لا تسألني عن شيء الا صدقتك به قال فاخبرني اى اخلاق بني آدم اوثق في أنفسكم ان تضلوهم بها قال ثلاثة أشياء الشح والحدة والسكر وأخرج أيضا من طريق أخرى قصة تشبهها وهي من طريق بكار بن عبد الله سمعت وهبا يقول كان رجل عابد اراده الشيطان من قبل الشهوة والرغبة والغضب فلم يستطع له شيأ فساق القصة وفي آخرها قال له الشيطان أفلا تسألني عما أضل به بني آدم قال بلى قال فاخبرني ما أوثق ما في نفسك ان تضلهم به فقال ثلاثة أخلاق من لم يستطع بشيء منها غلبناه بالشح والحدة والسكر فان الرجل اذا كان شحيحا قللنا ماله في عينه ورغبناه في أموال الناس واذا كان حديدا تداورناه بيننا كما يتداور الصبيان الكرة ولو كان يحيي الموتى بدعوته لم نيأس منه فان ما يبني يهدمه لنا بكلمة واذا سكر اقتدناه الى كل سوء كما ينقاد من أخذ العنز باذنها حيث شاء (وقال خيثمة) بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي الكوفي تابعي ثقة يرسل مات بعد الثمانين روى له الجماعة (الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئته حتى أكون في قلبه واذا غضب طرت حتى أكون في رأسه) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (وقال) أبو عبد الله (جعفر بن محمد) بن علي بن الحسين (الغضب مفتاح كل شر) رواه ابن أبي الدنيا وفي قول بعضهم جماع كل شر أي أن الشرور كلها تنشأ منه وهو يفتح أبوابها (وقال بعض الانصار رأس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم الحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه) رواه ابن أبي الدنيا وقد روي بعض ذلك من كلام الشافعي رحمه الله تعالى (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى (قال ابليس ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث) حالات الاولى (اذا سكر أحدهم أخذنا بخزامه) بالضم اسم الحبل الذي تخزم به الدابة (فقدناه) اى سقناه (حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا و) الثانية (اذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم) عليه بعد (و) الثالثة (بخله بما في يده) من الاموال (وتمنيه بما لا يقدر عليه) رواه ابن ابي الدنيا في ذم الغضب (وقيل لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب) رواه ابن ابي الدنيا أي فهذه خواص من ملك نفسه (وقال بعضهم اياك والغضب فانه مصيرك الى ذلة الاعتذار) رواه ابن أبي الدنيا وذلك لان الاعتذار لا يخلو من الكذب فهو ذل ففي الخبر اياك وما يعتذر منه وعن ابن عون قال اعتذر رجل عند ابراهيم النخعي فقال قد عذرناك غير معتذر ان الاعتذار يخالطه الكذب وقال مطرف المعاذر مفاجر (وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل) وهذا قد روي من حديث معاوية بن حيدة القشيري بلفظ لا تغضب فان الغضب الخ كما تقدم قريبا (وقال عبد الله ابن مسعود) رضي الله عنه (انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بأمانته اذا لم يطمع) رواه ابن أبي الدنيا (وكتب عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (الى عامله أن لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا ابن مسعود المقدسي حدثنا محمد بن كثير حدثنا الاوزاعي ح وحدثنا أحمد بن اسحق حدثنا عبد الله بن أبي داود حدثنا علي بن خشرم حدثنا عيسى بن يونس عن الاوزاعي قال كتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عماله لا تعاقب رجلا لمكان جلسائك ولا تغضب عليه ولا تؤدب أحدا من أهل بيتك الا على قدر ذنبه وان لم يبلغ الا سوطا واحدا (وقال علي بن زيد) بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي القرشي البصري وهو المعروف بعلي بن زيد بن جدعان ينسب أبوه الى جد جده ضعيف مات سنة احدى وثلاثين (أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فأطرق عمر طويلا ثم قال أردت أن يستفزني الشيطان بعز سلطاني فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال بعضهم لابنه) وهو يعظه

فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان حلما وعلما فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضى الله عنه اذا خطب قال فى خطبته أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاداه الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة فى دين وحزم فى لين وايمان فى يقين وعلم فى حلم وكيس فى رفق واعطاء فى حق وقصد فى غنى وتجمل فى فاقة واحسان فى قدرة وتحمل فى رفاقة وصبر فى شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته فينصر المظلوم ويرحم الضعيف لا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه فى عناء والناس منه فى رخاء وقيل لعبد الله ابن المبارك أجمل لنا حسن الخلق فى كلمة فقال ترك الغضب وقال نبى من الانبياء لمن تبعه من يتكفل لى أن لا يغضب فيكون معى فى درجتى ويكون بعدى خليفتى فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب أنا أوفى به فلما مات كان فى منزلته بعده وهو ذو الكفل سمى به لانه تكفل بالغضب ووفى به

(يابنى لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحى فى التنانير المسجورة) أى الموقودة بالحطب (فأقل الناس غضبا أعقلهم) أى أكثرهم عقلا (فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان علما وحلما) رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (وقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل) رواه ابن أبى الدنيا (وكان عمر رضى الله عنه اذا خطب قال فى خطبته أفلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب) رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت عن عبد الرحمن بن صالح حدثنا أبو بكر بن عياش قال قال عمر بن الخطاب لا خير فيما دون الصدق من الحديث من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك قد أفلح من حفظ من ثلاث الهوى والطمع والغضب (وقال بعضهم من أطاع غضبه وشهوته قاداه الى النار) رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (من علامات المسلم) أى الكامل فى اسلامه (قوة فى دين وحزم فى لين وايمان فى يقين وعلم فى حلم وكيس فى رفق واعطاء فى حق وقصد) أى اقتصاد (فى غنى وتجمل فى فاقة) أى حالة فقر (واحسان فى قدرة) أى عند القدرة (وصبر فى شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية) أى الانفة (ولا تغلبه شهوة ولا يفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل) بما عنده (ولا يبذر) فى ماله (ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل) اذا جهل عليه (نفسه منه فى عناء) أى تعب (والناس منه فى رخاء) أى سعة رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (وقيل لعبد الله بن المبارك) رحمه الله تعالى (أجمل لنا حسن الخلق فى كلمة فقال ترك الغضب) رواه ابن أبى الدنيا وهكذا فسر الامام أحمد واسحق بن راهويه حسن الخلق بترك الغضب وقد روى ذلك مرفوعا أخرجه محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة من حديث أبى العلاء ابن الشخير ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقال يارسول الله أى العمل أفضل قال حسن الخلق ثم أتاه عن يمينه فقال يارسول الله أى العمل أفضل فقال حسن الخلق ثم أتاه عن شماله فقال يارسول الله أى العمل أفضل قال حسن الخلق ثم أتاه من بعده يعنى من خلفه فقال يارسول الله أى العمل أفضل فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك لا تفقه حسن الخلق هو ان لا تغضب ان استطعت وهذا مرسل (وقال نبى من الانبياء) من بنى اسرائيل (لمن معه من يتكفل لى ان لا يغضب ويكون معى فى درجتى ويكون بعدى خليفتى فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب أنا أوفى به فلما مات كان فى منزلته بعده وهو ذو الكفل سمى به لانه كفل بالغضب ووفى به) رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم كلهم من طريق عبد الله بن الحرث لكن هذا السياق لابن أبى الدنيا وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن مجاهد قال لما كبر اليسع قال لو انى استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم فى حياتى حتى أنظر كيف عمل فجمع الناس فقال من يتقبل لى بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام منهم رجل شاب قال نعم قال فردهم من ذلك اليوم وقال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه قال فجعل ابليس يقول للشياطين عليكم بفلان فاعياهم ذلك فقال دعونى واياه ثم أتاه فى صورة شيخ كبير فقير فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل ولا النهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه ويطول فى قصته حتى حضره وقت الرواح وذهبت القائلة وقال اذا رحت فائتنى آخذ لك بحقك فانطلق وراح وكان فى مجلسه فجعل ينتظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام فلما كان الغد ورجع الى القائلة وأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال مثل ما قال فى الاولى واعتذر له عن المجىء وفعل ذلك ثلاث مرات ثم انه رأى كوة فى البيت فتسور منها فاذا هو فى البيت فاذا هو يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل فقام الى الباب فاذا هو مغلق واذا الرجل معه فى البيت فقال له من أين أتيت فأخبره فعرف انه عدو الله وقال له أعييتنى فى كل شئ ففعلت ما ترى لاغضبك فسماه الله ذا الكفل لانه تكفل بأمر

فوفى به وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال كان قاض في بني اسرائيل فحضره الموت فقال من يقوم مقامي على ان لا يغضب فقال رجل أنا فسمى ذا الكفل فكان ليله جميعا يصلي ثم يصبح صائما فيقضي بين الناس وله ساعة يقيلها وكان كذلك فأتاه الشيطان عند نومته فقال له أصحابه مالك قال انسان مسكين له على رجل حق وقد غلبني عليه فقالوا كما انت حتى يستيقظ وهو فوق نائم فجعل يصيح عمدا حتى يغضبه فسمع فقال له مالك فذكر له ماقال قال اذهب قل له يعطيك قال قد أبى قال اذهب انت له فذهب ثم أتاه من الغد فقال مالك قال مضيت اليه فلم يرفع بكلامك رأسا قال اذهب اليه فذهب ثم جاء من الغد حين قال فقال له أصحابه اخرج أنت لا تدعه ينام فجعل يصيح و يقول من أجل اني مسكين لو كنت غنيا تسمع فقال مالك قال ذهبت اليه فضربني قال امش حتى أجيء معك فهو ممسك بيده فلما رآه ذهب معه فنثر يده منه فذهب ففر وأخرج أبو سعيد النقاش في كتاب القضاة عن ابن عباس قال كان نبي لله جمع أمته فقال أيكم يتكفل لي بالقضاء بين أمتي على أن لا يغضب فقام فتى فقال أنا يا رسول الله فساق الحديث وفيه فأتاه الشيطان نصف النهار وهو نائم فناداه حتى أيقظه فاستعداه وفيه فبعث معه الرسول مرتين أو ثلاثا ثم أخذ الرجل بيده ومشى معه ساعة فلما رأى الشيطان ذلك نزع يده من يده ثم فر فسمى ذا الكفل وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن حجرة الاكبر انه بلغه ان ملكا من ملوك بني اسرائيل حضرته الوفاة فساق القصة وفيها فأتاه الشيطان في صورة رجل وقد تحين مقيله فمنعه من النوم بالنهار حتى ينام بالليل ففعل ذلك ثلاثا و يقول قد صنعت ماصنعت لعله يغضب فقال له ذو الكفل انطلق فأنا أذهب معك فانطلق فطاف به ثم قال له أتدري من أنا قال أنا الشيطان تكفلت لصاحبك بأمر فاردت ان تدع بعضه وان الله قد عصمك (وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (الكفر أربعة أركان الغضب والشهوة والخرق والطمع) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر حدثنا على بن اسحق حدثنا حسين المروزى حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا صالح المرى عن أبان عن وهب قال قرأت في الحكمة للكفر أربعة أركان ركن منه الغضب وركن منه الشهوة وركن منه الطمع وركن منه الخرق

(بيان حقيقة الغضب)

(اعلم) هداك الله (ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان) بالضم هو الهلاك الذريع (بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة عنه أنعم عليه بما يحميه عن الفساد) أي يحفظه عنه (و يدفع عنه الهلاك الى أجل معلوم) مقدر محتوم (سماه في كتابه) وهو اللوح المحفوظ (أما السبب الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة) وجعلهما حافظين لكمالات البدن وكل منهما وصف بالغريزية والحرارة الغريزية حتى السارية في سائر البدن التي بها النضج والطبخ وسائر الافعال وفي المعدة جزء منها به الهضم المعدى ونفض الفضول وفي الكبد جزء منها وكذا في العروق وفي القلب معظمها اذ هو معدنها ومستوقدها ومادتها الدم الوارد من الكبد على البطن الايمن من القلب فيتغير فيه الى البخارية ثم يستحيل الى طبيعة الروح في البطن الايسر منه و يحصل له مزاج يستعد لقبول التولد وكذا في سائر الاعضاء ولاجل انها آلة الطبيعة في افعالها كالجذب والهضم وغير ذلك ينسب اليها كشهدائية البدن و يقال حرارة غريزية وافلاطون يسميها النار الالهية ولا يقال برودة غريزية ولان مركبها الرطوبة دون اليبوسة يقال رطوبة غريزية ولا يقال يبوسة غريزية ثم اختلفوا فيها فقال جالينوس انها الحرارة الاستقصية النارية التي في البدن وأما الجزء الناري اذا خالط سائر الاستقصاة أفادها طبخا وقواما والتئاما ولم يبلغ في الكثرة الى حد الاحراق ولا من القلة الى القصور عن الانضاج وانها كما تدفع البارد الوارد على البدن المركب بالمضادة تدفع أيضا الحار الغريب الوارد المركب وقال ارسطو وجمهور المتأخرين انها حرارة سماوية أفيضت على البدن مع فيضان النفس ولكل منهما أدلة ذكرت في

وقال وهب بن منبه الكفر أربعة أركان الغضب والشهوة والخرق والطمع
(بيان حقيقة الغضب)
اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة عنه أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى أجل معلوم سماه في كتابه * أما السبب الداخل فهو انه ركبه من الحرارة والرطوبة

وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير اجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلولم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان نخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق فى الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به فى جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب * وأما الاسباب الخارجة التى يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التى يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه نخلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها فى الانسان وعجنها بطينته فمهما صد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت به ثورانا يغلى به دم القلب وينتشر فى العروق ويرتفع الى أعالى البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذى يغلى فى القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكى لون ماوراءها من حمرة الدم كما تحكى الزجاجة لون مافيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها والى التشفى والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم ان الناس فى هذه القوة على درجات ثلاث فى أول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال * أما التفريط فبفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذى يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية (فقال

مواضعها من كتب الفن (وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير اجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلولم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء) الموافق (يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان نخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق فى الحيوان شهوة تبعثه) أى تحمله (على تناول الغذاء) ولولا تلك الشهوة لما أقدم على تناول الغذاء فهذه فائدة الشهوة فهى (كالموكل به فى جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب) ثم ان الرطوبة الغريزية اذا وصل اليها مدد الغذاء تصير وافية لحفظ الحرارة الغريزية فتارة مع حفظها بالزيادة فى النمو كما فى سن الحداثة وتارة تكون وافية لحفظها فقط كما فى سن الشباب وتارة تكون ناقصة من حفظها نقصانا لا يعتد به غير محسوس كما فى سن الكهولة وتارة نقصانا ظاهرا وهو الى آخر العمر (وأما الاسباب الخارجة التى يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التى يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه نخلق الله الغضب من النار) كما وردت به الاخبار وسيأتى ذكر بعضها (وغرزه فى الانسان وعجنه بطينته فمهما قصد فى غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت) أى ارتفعت (نار الغضب وثارت ثورانا يغلى به دم القلب) كما يغلى الماء فى القدر على النار (وينتشر) ذلك الدم (فى العروق) الاوردة منها والشرايين (ويرتفع الى أعالى البدن) من العروق (كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذى يغلى فى القدر فلذلك ينصب فى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكى لون ماوراءها من حمرة الدم كما تحكى الزجاجة لون مافيها) ففى حديث أبى سعيد رفعه الا ان الغضب جمرة فى قلب ابن آدم اما رأيتم الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه وفى مرسل الحسن الغضب جمرة فى قلب الانسان توقد ألا ترى الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه (وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب ممن فوقه) فى الرتبة (وكان معه يأس من الانتقام) منه (تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار خوفا ولذلك يصفر اللون) ويخطف (وان كان على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب) فاحمراره واصفراره من ترجيح أحد الطرفين على الآخر تارة وتارة واضطرابه للتردد (وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما تتردد هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات والمهلكات قبل وقوعها والى التشفى والانتقام بعد وقوعها والانتقام فوق هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم ان الناس فى هذه القوة على درجات ثلاث فى أول الفطرة) التى فطروا عليها (من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط ففقد هذه القوة) من أصلها (أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذى يقال فيه انه لا حمية له) واليه الاشارة بقوله

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه ان يكدرا

(ولذلك قال الشافعى) رضى الله عنه (من استغضب فلم يغضب فهو حمار) أى بليد الطبع جافل أخرجه البيهقى وغيره بأسانيدهم وسيأتى قريبا (فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلا فهو ناقص جدا) مناقض لرتبة الكمال (وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية) فى الدين والصلابة

فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الآية وانما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب * وأما الافراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال صلى الله عليه وسلم وانما برودة المزاج تطفئه وتكسر سورته * وأما الاسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوما يتشجعون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم أنا الذي لا أصبر على المكر والمحال ولا أحتمل من أحد أمرا ومعناه لا عقل في ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا واذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم الى الدماغ يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانمحى أو انطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام

(فقال والذين معه أشداء على الكفار) أي أقوياء عليهم يحمون حمى الدين بانفسهم (وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم) يا أيها النبي (جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم والغلظة والشدة) في الآيتين (من آثار قوة الحمية وهو الغضب) وكذلك قوله تعالى في وصف الصحابة أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (وأما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معه بصيرة ونظر في الامور وفكرة) فيها (ولا اختيار فيها بل يصير في صورة المضطر) والملجأ والمكره (وسبب غلبته أمور غريزية) من أصل الخلقة (وأمور اعتيادية) قد اعتاد عليها (فرب انسان هو بالفطرة) الاصلية (مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب) بان يكون الحار فيه أكثر وهذا هو اعتداله والمزاج كيفية متشابهة من تفاعل عناصر متفقة الاجزاء المماسة بحيث تكسر سورة كل واحد منهما سورة الآخر (لان الغضب من النار كما قال صلى الله عليه وسلم) قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي سعيد بسند ضعيف الغضب جمرة في قلب ابن آدم ولابي داود من حديث عطية السعدي ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار فيه ابو وائل القاص واسمه عبد الله بن بحير قال ابن حبان يروي العجائب ووثقه ابن معين انتهى قلت حديث أبي سعيد رواه أيضا الامام أحمد وحديث عطية السعدي أخرجه أبو داود من طريق عروة بن محمد بن عطية بن عروة بن سعد الساعدي عن أبيه عن جده وكذلك رواه الامام أحمد ورواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر من طريق أبي ادريس الخولاني من حديث معاوية ابن أبي سفيان ان الغضب من الشيطان والشيطان من النار (فبرودة المزاج تطفئه وتكسر سورته وأما الاسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوما) أي يعاشرهم فيراهم (يتشجعون) أي يفتخرون (بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم أنا الذي لا أصبر على المكر والمحال) أي المماحلة (ولا أحتمل من أحد) وفي نسخة من أحد أمرا (ومعناه) عند التأمل (لا عقل لي ولا حلم) فهو لا يدرك هذا المعنى (ثم) لا يستحي حتى (يذكره في معرض الفخر) والتبجح (بجهله) وسخافة عقله (فمن سمعه) منهم (رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب) ويعتاد عليه مستحلاله (ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها) أي التهابها (أعمت صاحبه) عن رؤية الرشد (وأصمته عن) سماع (كل موعظة) حسنة (فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا) وحنقا على الواعظ (وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه) بتأثير الوعظ فيه يوما ما (لم يقدر) على المراجعة (اذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب) الصاعد من ثوران الدم في القلب (فان معدن الفكر الدماغ) كما تقدم بيانه في باب رياضة النفس (ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم) وسبب اظلامه ثقل الدم وما يتصاعد عن الثقيل لا يخلو عن كدرة وظلمة (يستولي على معادن الفكر) ومخازنه فيغطي عليها ويكدرها (وربما يتعدى الى معادن الحس المشترك فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه) وانما ذلك للكدر الذي خالط نورها (وتسود عليه الدنيا بأسرها) أي بتمامها فلا يرى الا سوادا مخالطا بألوان كدرة مختلطة (ويكون دماغه) ساعتئذ (على مثال كهف في جبل (أضرمت فيه نار وأحميت فاسود جوه) من فوق (وحمي مستقره) من تحت (وامتلأ بالدخان جوانبه) أي أطرافه (وكان فيه سراج ضعيف) فغلب عليه الدخان (فانمحى) أثره (وانطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم) لسخونة مستقره (ولا يسمع فيه كلام) لامتلائه بالدخان فيمنع من السماع

ولا ترى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغى أن يصبر الى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفنى الرطوبة التى بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار فى الكهف فينشق وتنهد أعاليه على أسفله وذلك لابطال النار ما فى جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهكذا حال القلب عند الغضب وبالحقيقة فالسفينة فى ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح فى لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ فى السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذ أعماه الغضب وأصمه ومن آثار هذا الغضب فى الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة فى الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان فى حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن أولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمر بالثمرة فهذا أثره فى الجسد وأما أثره فى اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذى يستحيى منه ذو العقل ويستحيى منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه أو فاته بسبب وعجز عن التشفى رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط صريعا لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويقول الى متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما

رفسته

(ولا ترى فيه صورة) اظلامه (ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغى أن يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق) ثم بعد ذلك تأكل النار نفسها ان لم تجد ما تأكله (فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب) أى تشتد قوتها (فتفنى) أى تقاوم (الرطوبة) الغريزية (التى بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا) لان حياة القلب انما هى بتعادل كل من الحرارة والرطوبة فاذا غلب أحدهما على الآخر كان سبب زوال صفة الحياة عنها فيموت بموت صاحبه (كما تقوى النار فى الكهف فينشق وتنهد أعاليه على أسافله وذلك لابطال النار ما فى جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهذا حال القلب عند الغضب) فانظر كيف يكون (وبالحقيقة فالسفينة) الكائنة (فى ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح) واختلافها من الجهات (فى لجة البحر) أى وسطه ومعظمه (أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظا) المتغيرة غضبا (اذ فى السفينة من يحتال لتسكينها) وتعديلها (وتدبيرها) بطى شراعها أو تثقيل مراسيها (وينظر لها ويسوسها) فعسى أن يخف اضطرابها (وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته) وفسد تدبيره (اذ أعماه الغضب وأصمه ومن آثار هذا الغضب فى الظاهر تغير اللون) اما الى الاحمرار أو الى الكدرة أو الى الصفرة (وشدة الرعدة) والاضطراب والرعشان (فى الاطراف) كاليد والرجل (وخروج الافعال عن الترتيب والنظام) المعهودين (واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق) أى اطراف الفم (وتحمر الاحداق) والوجنات (وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة) أى تتغير (ولو رأى الغضبان فى حال غضبه) فى المرآة (قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن أولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمر بالثمرة فهذا أثره فى الجسد اما أثره فى اللسان فانطلاقه بالشتم) واللعن (والفحش) والبذاء (وقبائح الكلام الذى يستحيى منه ذو والعقول) السليمة (ويستحيى منه قائله عند فتور الغضب) وسكونه فيتعجب من نفسه (وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ) قال مورق العجلى ما تكلمت فى غضب قط بما أندم عليه اذا رضيت (وأما أثره على الاعضاء) الظاهرة (فالضرب) باليد والرفس بالرجل والمناصاة بالجبهة والمدافعة بالركب (والتهجم) على المغضوب عليه (والتمزيق) لثوبه (والقتل والجرح عند التمكن) منه (من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه) واختفى من عينه (أو فاته بسبب) من الاسباب (وعجز عن التشفى) لغيظه منه (رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه) بيديه وربما بنعليه (وقد يضرب بيده على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير) الذى لا يعى شيأ (وربما سقط صريعا) على الارض (لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية) والسكرة (وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الارض فيكسرها وقد يكسر المائدة) برجله (اذا غضب عليها ويتعاطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة ويخاطبها ويقول الى حرسك) كذا فى النسخ وفى بعضها الى متى منك (يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا وربما

رفسته دابة فيرفس الدابة و يقابلها بذلك وأما أثره فى القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساآت والحزن
بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة (١٣) الغضب المفرط وأما ثمرة الحمية الضعيفة

فقلة الانفة مما يؤنف منه من
التعرض للحرم والزوجة
والامة واحتمال الذل من
الاخساء وصغر النفس
والقماءة وهو أيضا مذموم
اذ من ثمراته عدم الغيرة على
الحرم وهو خنوثة قال صلى
الله عليه وسلم ان سعدا
لغيور وأنا أغير من سعد
وان الله أغير منى وانما
خلقت الغيرة لحفظ الانساب
ولو تسامح الناس بذلك
لاختلطت الانساب ولذلك
قيل كل أمة وضعت الغيرة
فى رجالها وضعت الصيانة فى
نسائها ومن ضعف الغضب
الخور والسكوت عند
مشاهدة المنكرات وقد قال
صلى الله عليه وسلم خير أمتى
أحداؤها يعنى فى الدين وقال
تعالى ولا تأخذكم بهما
رأفة فى دين الله بل من فقد
الغضب عجز عن رياضة نفسه
اذ لا تتم الرياضة الا بتسليط
الغضب على الشهوة حتى
يغضب على نفسه عند الميل
الى الشهوات الخسيسة
ففقد الغضب مذموم وانما
المحمود غضب ينتظر اشارة
العقل والدين فينبعث حيث
تجب الحمية و ينطفئ حيث
يحسن الحلم وحفظه على
حد الاعتدال هو الاستقامة
التى كلف الله بها عباده وهو
الوسط الذى وصفه رسول

الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور أوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس فى احتمال
الذل والضيم فى غير محله فينبغى أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه

رفسته دابة فيرفس الدابة) كما رفسته (و يقابلها بذلك) وربما قابلها بعصا أو سلاح ليشفى غيظه بذلك (وأما أثره فى القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة) أى الفرح (بالمساآت والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح) والرذائل (فهذه ثمرة الغضب المفرط) المتجاوز عن الحد (وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يأنف منه من التعرض للحرم والزوجة والامة) وكذا ما سواهن من داخل الحجاب (واحتمال الذل من الاخساء) واللؤماء (وصغر النفس) والهمة (والقماءة وهو أيضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة) تضاد الرجولية (قال صلى الله عليه وسلم ان سعدا لغيور وأنا أغير من سعد والله أغير منى) رواه مسلم من حديث أبى هريرة وهو متفق عليه من حديث المغيرة بنحوه وقد تقدم فى كتاب النكاح (وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب) عن المخالطة (ولو تسامح الناس بذلك) وغفلوا عنها (لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة فى رجالها) فهم يغارون على حرمهم (وضعت الصيانة فى نسائها) فهن يتعففن فالصيانة فى النساء تابعة لغيرة الرجال فاذا لم يغاروا رفعت نساؤهم حجاب الحياء (ومن ضعف الغضب الخور) حركة ضعف فى القلب ومنه رمح خوار اذا كان لينا سهلا (والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم خير أمتى احداؤها) جمع حديد والمعنى أنشطها وأسرعها الى الخير (يعنى فى الدين) أى ان المراد بالحدة الصلابة فى الدين وهى تنشأ من غيرة الايمان حمية للدين لان الحكم اذا نيط بوصف صار علة فيه فخيار أمة الايمان من تزايدت حدته عن تزايد قوة الايمان لا عن كبر وهوى قال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى الشعب من حديث على بسند ضعيف وزاد الذين اذا غضبوا رجعوا اهـ قلت ورواه كذلك الديلمى وفيه نعيم بن سالم بن قنبر كذاب وقال ابن حبان يضع الحديث ولفظهم خيار أمتى احداؤهم وقد يشتد على كثير من الحدة بسوء الخلق والفارق المميز هو الذى ختم به الحديث فالرجوع والصفاء هو الفارق وصاحب الخلق السوء يحقد وصاحب الحدة لا يحقد والغالب انه لا يغضب الا لله ومما يشهد للحديث ما رواه أبو يعلى والطبرانى عن ابن عباس رفعه الحدة تعترى خيار أمتى وفى مسند الحسن بن سفيان من حديث أبى منصور الفارسى وله صحبة قيل له لولا حدة فيك فقال ما يسرنى بحدتى كذا وكذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحدة تعترى خيار أمتى وكذا أخرجه البغوى فى معجم الصحابة وأبو نعيم فى الحلية ولكن رواه المستغفرى فقال عن يزيد بن أبى منصور وكانت له صحبة بدلا عن أبى منصور والاولى أكثر (وقال تعالى ولا تأخذكم بهما) أى بالزانى والزانية فى حدهما (رأفة فى دين الله) أى شدة رحمة وهو دليل لذم التفريط (بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه) وتهذيبها (اذ تتم الرياضة بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب) من أصله (مذموم وانما المحمود) الاقتصاد منه وهو (غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفئ) ويقل (حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التى كلف الله بها عباده) وقد تقدم ان المراد بالاستقامة عندهم الوفاء بالعهود ولزوم الصراط المستقيم برعاية حفظ الاستواء فى كل أمر دينى ودنيوى (وهو الوسط الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور أوساطها) رواه البيهقى من حديث مطرف مرسلا ورواه الحافظ أبو بكر الجيانى فى الاربعين البلدانية من حديث على بسند ضعيف وقد تقدم الكلام على ذلك (فمن مال غضبه الى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس فى احتمال الذل والضيم فى غير محله فينبغى ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه

الى الافراط حتى تجره الى التهوّر واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب و يقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض و بعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه انه على ما يشاء قدير *(بيان ان الغضب هل يمكن ازالة أصله بالرياضة أم لا)* اعلم انه ظن ظانون أنه يتصوّر محو الغضب بالكلية و زعموا أن الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد وظن آخرون انه أصل لا يقبل العلاج وهذا رأى من يظن أن الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرأيين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب شيأ و يكره شيأ فلا يخلو من الغيظ والغضب وما دام يوافقه شئ و يخالفه آخر فلا بد من أن يحب ما يوافقه و يكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا أن ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة أقسام الاوّل ما هو ضرورة في حق الكافة كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك اذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك اذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها * القسم الثاني ما ليس ضرورياً لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكنزان و يغضب على من يسرقهما وان كان مستغنياً عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصوّر أن ينفك الانسان عن أصل الغيظ عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب اذ يجوز أن يكون بصيراً بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها فانه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها الغضب على الضرورة باخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر

في

الى الافراط حتى تجره الى التهوّر واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب و يقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم) المذكور في سورة الفاتحة (وهو أرق من الشعر وأحد من السيف) أي في غاية الرقة ونهاية الشدة والمجاوز عليه في خطر عظيم (فان عجز عنه فليطلب القرب منه) فان القريب من القريب قريب (وان تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله ولكن) كما قيل (بعض الشر أهون من بعض و) في معناه (بعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته) وما يتعلق به

(بيان ان الغضب هل يمكن ازالة أصله بالرياضة أم لا)

(اعلم) وفقك الله (انه ظن ظانون انه يتصوّر محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد) فازالته ممكنة ولا استحالة فيها (وظن آخرون انه أصلا لا يقبل العلاج) ولا ينمحي بالكلية (وهذا رأى من يظن ان الخلق) بضمتين (كالخلق) بالفتح (وكلاهما لا يقبل التغيير) والتبديل كما تقدم الكلام عليه في كتاب رياضة النفس (وكلا الرأيين ضعيف) لا يعوّل عليه (بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب شيأ و يكره شيأ فلا يخلو من الغيظ والغضب وما دام يوافقه شئ و يخالفه آخر فلا بد وأن يحب ما يوافقه و يكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة و) كذلك (اذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة أقسام الاول ما هو ضرورة في حق الكافة) لا يستغنون عنه بحال (وهو القوت) بقدر ما يسد جوعه (والمسكن) بقدر ما يستكن فيه في الشتاء والصيف (والملبس) بقدر ما يستر عورته و يصح صلاته (وصحة البدن) فهذه الاشياء ضرورة في حق الكافة (فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وان يغضب) اذ وجب عليه حفظ بدنه الى أن يصح (وكذلك اذا أخذ منه ثوبه الذي يستر به عورته) و يصح به صلاته (وكذلك اذا أخرج من داره التي هي مسكنه) أو أخذ من قوته الذي يسد به جوعه (أو أريق ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان من كراهة زوالها) وسلبها (و) لا يخلو (من غيظه على من يتعرض لها القسم الثاني ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب) بانواعها والحرث والعقارات (فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة) المستمرة (والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكنزان و يغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما في القوت) الذي يسد به كلب الجوع (فهذا الجنس مما يتصوّر أن ينفك الانسان من أصل الغيظ) المستكن في القلب (فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه) الذي يأوي اليه (فهدمها ظالم) لسبب من الاسباب (فيجوز أن لا يغضب) على فعله هذا (اذ يجوز أن يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها) أو هدمها (فانه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة باخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت) والشهرة (والتصدر

في المجالس والمباهاة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك فلا يبالي ولو جلس في صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص لان الحاجة صفة نقص فهما كثرت كثر النقص والجاهل أبدا جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري انه مستكثر من أسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء الى أن يغضب لو قيل له انك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لان حبه ليس بضروري * القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا في حق العالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك أدوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ما هو وسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الامور وسلم له هذه الثلاثة يتصور أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها

في المجالس) أي التقدم والارتفاع (والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل) أي مجامع الناس (ومن لا يحب ذلك ولا يبالي لو جلس في صف النعال) أي في الصف المؤخر الذي هو موضع خلع النعال (فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص) مقاما (لان الحاجة) التي هي اسم من الاحتياج (صفة نقص) في الانسان (فهما كثرت) هذه الصفة (كثر النقص) لان النقص من لوازم الحاجة فاذا كثر الملزوم تبعه اللازم لا محالة في الوصف (والجاهل أبدا جهده في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري انه مستكثر) بذلك (من أسباب الغم والحزن) فانها تحمله على ذلك (حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انك لا تحسن اللعب بالطيور) والحمام وغيره (واللعب بالشطرنج) والنرد وما في معناهما (ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل) والمستقبحات (فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لان حبه ليس بضروري) بل مستغنى عنه (القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا (للعالم) فانه مضطر اليه في مطالعته (فيحبه) محبة الدينار والدرهم عند غيره بل أعظم ومن هذا قول بعضهم

فمحبوبي من الدنيا كتابي * وهل أبصرت محبوبا بعار

(فيغضب على من يحرقه ويمزقه) أو يحبسه أو يوسخ ورقه أو يكب عليه شيأ من الادهان (وكذلك أدوات الصناعات وآلاتها في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ما هو وسيلة الى الضروري المحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من أصبح آمنا في سربه) بكسر السين المهملة على الاشهر اي نفسه وروي بفتحها أي في مسلكه وقيل بفتحتين أي في منزله (معافى في بدنه) وفي رواية في جسده أي صحيحا بدنه (وله) وفي رواية وعنده (قوت يومه) أي غداؤه وعشاؤه والذي يحتاج اليه في يومه ذلك (فكأنما حيزت) بكسر الحاء (له الدنيا) أي ضمت وجمعت (بحذافيرها) أي باسرها والمعنى من جمع الله له بين عافية بدنه وأمن قلبه حيث توجه وكفاف عيشه بقوت يومه وسلامة أهله فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها فينبغي ان لا يشتغل يومه ذلك الا بشكره بان يستغرقه في طاعة المنعم لا في معصيته ولا يفتر عن ذكره واليه أشار بعضهم بقوله

اذا ما القوت يأتي لك والصحة والامن * وأصبحت أخا حزن فلا فارقك الحزن

قال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محصن دون قوله بحذافيرها قال الترمذي حسن غريب اهـ قلت ورواه كذلك البخاري في الادب والطبراني في الكبير كلهم من طريق مروان الفزاري عن عبد الرحمن بن أبي شميلة عن سلمة بن عبيد الله بن محصن عن أبيه مرفوعا به قال ابن القطان ولم يصححه الترمذي لان عبد الرحمن لا يعرف حاله وفي الميزان قال أحمد سلمة لا أعرفه ولينه العقيلي ثم ساق له هذا الخبر وقال روي من حديث أبي الدرداء أيضا باسناد لين وعبد الله بن محصن الانصاري قال الترمذي له صحبة ووقع عند الباوردي عبيد بن محصن غير مضاف وساق له هذا الحديث ووقع عند ابراهيم الحربي من هذا الوجه عبد الرحمن بن محصن (ومن كان بصيرا بحقائق الامور وسلم له هذه الثلاث يتصور أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها

(أما القسم الاوّل) ليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكى يقدر على أن لا يطيع الغضب ولا يستعمله فى الظاهر الاعلى حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ فى الباطن و ينتهى ضعفه الى أن لا يظهر أثره فى الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لان ما صار ضرور يا فى حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه فى الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه *(وأما القسم الثانى)* فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بأن يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا معبر يعبر عليها و يتزوّد منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال فى وطنه ومستقره فيزهد فى الدنيا ويمحو حبها عن قلبه ولو كان للانسان كلب لا يحبه لا يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة فى هذا تنتهى الى قمع أصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهى الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون فان قلت الضرورى من القسم الاوّل التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهى قوته فماتت لا يغضب على أحد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن محال
غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه اذ يراهم مسخرين فى قبضة قدرته كالقلم فى يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التى هى قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد و يندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة و ربما تكون الخيرة فى مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد والحجام لانه يرى أن الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه غير

أما القسم الاول فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب) من أصله (ولكن لكى يقدر على أن لا يطيع الغضب) بل يكف نفسه عنه (فلا يستعمله فى الظاهر الاعلى حد يستحبه الشرع و يستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة) والرياضة (وتكلف الحلم والاحتمال مدة) من الزمان (حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا) فيه (راسخا) بعد ان كان مكلفا فاما قمع أصل الغيظ من القلب (فذلك مقتضى الطبع) أى يقتضيه الطبع البشرى لا ينفك عنه (وهو) أى قمعه (غير ممكن نعم يمكن كسر سورته) أى شركته (وتضعيفه) أى توهينه (حتى لا يشتد هيجان الغيظ فى الباطن و ينتهى ضعفه) وكسر قوّته (الى أن لا يظهر أثره فى الوجه) ولا فى الاطراف وهذا ممكن (ولكن ذلك شديد جدا) الا من خفف الله عليه (وهذا حكم القسم الثالث أيضا لان ما صار ضرور يا فى حق الشخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه فى الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه) هذا حال القسم الاول والثالث (وأما القسم الثانى فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك من الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب) بنوع من الاعتبار (وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الآخرة وانما الدنيا) دار ممر لا دار مقر بل هى بمنزلة (معبرة يعبر عليها) ولا يعمرها كما رواه أبو نعيم فى الحلية عن عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها (و يتزوّد منها قدر الضرورة) الداعية (وما وراء ذلك عليه وبال) أى ثقل (فى وطنه ومستقره فيزهد فى الدنيا) و يرغب عنها (و يهجر حبها من قلبه) وفى بعض النسخ و يمحى بدل و يهجر (ولو كان للانسان كلب لا يحبه لم يغضب عليه اذا ضربه غيره) أى لا يتأثر فى قلبه شئ من ضربه (فالغضب تبع للحب فالرياضة فى هذا قد تنتهى الى قمع أصل الغضب وهو نادر جدا) قليل الوقوع (وقد تنتهى الى المنع من استعمال الغضب و) من (العمل بموجبه) ومقتضاه (وهو أهون) بالنسبة الى قمع أصله (فان قلت الضرورى من القسم الاوّل التألم بفوات المحتاج اليه) أى حصول الالم فيه (دون الغضب فمن له شاة مثلا وهى قوته) يشرب من لبنها (فماتت) عليه (لا يغضب على أحد وان كان يحصل منه كراهة) وتألم بمقتضى الطبع (وليس من ضرورة كل كراهة غضب فالانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب) بعد ذلك (على الفصاد والحجام فمن غلب عليه) نور (التوحيد) المطلق الذاتى والفعلى (حتى) يرى الاشياء كلها من الله تعالى (فلا يغضب على أحد من خلقه اذ يراهم مسخرين) مذللين منقادين (فى قبضة قدرته كالقلم فى يد الكاتب ومن وقع ملك) من الملوك (بضرب رقبته) مثلا (لم يغضب على القلم) وأصل التوقيع أثر الكتابة فى الكتاب ومنه استعير التوقيع فى القصص وذلك بان ترفع رقعة لعمالك فيها شكاية حال أو قصة فيكتب عليها يكون كذا وكذا فيسمى ذلك توقيعا (فلا يغضب على من يذبح شاته التى هى قوته كما لا يغضب على موتها) بحتف أنفها (اذ يرى الموت والذبح من الله تعالى فيندفع الغضب بغلبة) نور (التوحيد و يندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة ور بما تكون الخيرة فى جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد) أو الحجام (لانه يرى ان الخيرة فيه) مع ظنه انه لا يقدر له الا ما فيه الخير (فنقول هذا على الوجه) المذكور (غير

محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما تكون كالبرق الخاطف تغلب في أحوال مختطفة ولا تدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يغضب

محال) فقد يتصور للعبد ان يترقى الى هذا المقام وينكشف له عن بصيرته فيتساوى عنده الذبح والموت فلا يغضب للذبح كما لا يغضب للموت وينكشف له عن حقيقة الحقائق وعن أسرار الربوبية وعما ينتج حسن الظن بالله (ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما تكون كالبرق الخاطف يغلب في أحوال مختطفة ولا يدوم) ولا يستمر حكمه مع العارف (ويرجع القلب) بعد ذلك (الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه) فهو اذا حال لا مقام (ولو تصور ذلك على الدوام) والاستمرار (لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو أفضل الخلق أجمعين وأكمل العباد العارفين (فانه كان يغضب أحيانا حتى تحمر وجنتاه) رواه مسلم من حديث جابر كان اذا غضب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه والحاكم كان اذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وقد تقدم في أخلاق النبوة (حتى قال) صلى الله عليه وسلم (اللهم انا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ اللهم أنا بشر دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جلدته بدل ضربته وفي رواية اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وأصله متفق عليه وقد تقدم ولمسلم من حديث أنس انما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر ولأبي يعلى من حديث أبي سعيد وأبي هريرة أو قال ضربته وفيه محمد بن اسحق رواه بالعنعنة (وقال عبد الله بن عمرو بن العاص) بن وائل السهمي القرشي رضي الله عنهما (اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا حق وأشار الى لسانه) وهو متضمن لما في قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى قال العراقي رواه أبو داود بنحوه باسناد صحيح (فلم يقل) صلى الله عليه وسلم (اني لا أغضب) أي لم ينف عنه الغضب (ولكن قال ان الغضب لا يخرجني من الحق أي لا أعمل بموجب الغضب) ومقتضاه (وغضبت عائشة) رضي الله عنها (مرة فقال) لها (صلى الله عليه وسلم مالك جاء شيطانك فقالت ومالك شيطان فقال بلى ولكن دعوت الله فأعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بالخير) رواه مسلم في أواخر كتابه قبل باب صفة الجنة عن هرون بن سعيد الايلي عن ابن وهب عن أبي صخر عن ابن قسيط حدثه ان عروة حدثه ان عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال مالك يا عائشة أغرت فقلت ومالي لا يغار مثلي على مثلك فقال صلى الله عليه وسلم لقد جاءك شيطانك قلت يا رسول الله أو معي شيطان قال نعم قلت ومع كل انسان قال نعم قلت ومعك يا رسول الله قال نعم ولكن ربي أعانني عليه فأسلم (فلم يقل) صلى الله عليه وسلم (لا شيطان لي وأراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر) وقد ذكر هذا الحديث وتقدم الكلام عليه (وقال علي كرم الله وجهه كان صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له) رواه الترمذي في الشمائل وقد تقدم في أخلاق النبوة (فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما غضب لله لانه) داخل في انتهاك حرمة الله (فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد أصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري أهم منه فلا يكون للقلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه) أي فلا يحس به ولا يشعر لغلبة الاستغراق وذلك اذا أخذ بمجامع قلبه وأحاط به احاطة القشر باللب وقد يتصور مع

حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال اكتب فوالذي بعثني بالحق نبيا ما يخرج منه الا حق وأشار الى لسانه فلم يقل اني لا أغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق أي لا أعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك فقالت ومالك شيطان قال بلى ولكني دعوت الله فأعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بالخير ولم يقل لا شيطان لي وأراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات

الى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد أصل الغضب فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري أهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه

وهذا كما كان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فأنا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خيثم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم أقطعها فأنا شر مما تقول وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال ماستر الله عنك أكثر فكأنه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقي الله حق تقاته و يعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكأنه كان مشغولا بأن ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه فلم يغضب لما نسب اليه وسب رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم أو بغلبة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ومن أخرج حب المزايا عن القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب ومالا يمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه انه على كل شئ قدير والحمد لله وحده

(بيان الاسباب المهيجة للغضب)

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وازالة أسبابها فلابد من معرفة أسباب الغضب وقد قال يحي لعيسى عليهما السلام أى شئ أشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال فما يبدى الغضب وما ينبته قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب

بعض الاستغراق الاحساس بغير ماهو فيه ولكن لا يؤثر عنده (وهذا كما كان سلمان) الفارسي رضي الله عنه (لما شتم قال ان خفت موازيني) أى موازين حسناته (فانا شر مما تقول وان ثقلت لم يضرني ما تقول فقد كان) رضي الله عنه (همه مصروفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم) ولم يبال به (وكذلك شتم الربيع بن خيثم) الثوري الكوفي (فقال) له (يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة) كؤدا (ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم أقطعها فأنا شر مما تقول) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال) له (ماستر الله عنك أكثر فكأنه) رضي الله عنه (كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقي الله حق تقاته و يعرفه حق معرفته فلم تغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره) وعظيم منزلته في المعرفة (وقالت امرأة لمالك بن دينار) البصري (يا مرائي فقال ما عرفني غيرك) أخرجه أبو نعيم في الحلية (فكأنه كان مشغولا بان ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقي الشيطان اليه فلم يغضب لما نسب اليه) لذلك (وسب رجل) عامر بن شراحيل (الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك) أخرجه أبو نعيم في الحلية وقيل لابي يزيد البسطامي لحيتك أفضل أم ذنب الكلب فقال ان مت مؤمنا فلحيتي والا فذنب الكلب فكان همه مشغولا بحسن الخاتمة (فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم و يحتمل أن يكون قد أثر ذلك في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم) ديني على وجه الاستغراق (أو بغلبة نظر التوحيد) وهذان السببان قد ذكرا (وسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله يحب منه أن لا يغتاظ فتطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة) عزيزة الوقوع فانها تستدعي كمال الحب واستدامة المراقبة (وقد عرفت بهذا ان طريق الخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا من لوح (القلب) لانه من لوازمه (وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ومن أخرج حب المزايا) جمع مزية (من القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب ومالا يمكن محوه) من لوح القلب (فيمكن كسره وتضعيفه) وتوهينه (فيضعف الغضب بسببه و يهون دفعه)

(بيان الاسباب المهيجة للغضب)

(قد عرفت ان علاج كل علة بحسم مادتها وازالة أسبابها) التي نشأت منها تلك العلة (فلابد من معرفة أسباب الغضب) أوّلا حتى يهتدى لازالتها (وقد قال عيسى ليحي عليهما السلام) وهما ابنا الخالة (أى غضب أشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب) وقد تقدم قريبا بلفظ وما يباعد من غضب الله قال ان لا تغضب (قال يحي فما يبدى الغضب وما ينبته قال عيسى) عليه السلام (الكبر والفخر والتعزز والحمية) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (فالاسباب المهيجة للغضب هي الزهو

والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلابد من ازالة هذه الاسباب بأضدادها فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك بنفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد * وانما اختلفوا في الفضل أشتاتا فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب (١٩) والكبر أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفت ذلك وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الآخرة وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك وأما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبائح المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب الى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب

والعجب والمزح والهزل والتعيير) أي ذكر عيب الغير ونسبته اليه (والمماراة) أي المخاصمة (والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجمعها اخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلابد من ازالة هذه الاسباب بأضدادها) ونقائضها (فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع) فان الزهو هو الكبر والرفعة والتواضع ضده (وتميت العجب بالمعرفة بنفسك) بالذل والقصور (كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك) الذي تملكه (اذ) قال الشاعر (الناس يجمعهم في الانتساب أب * وانما اختلفوا في الفضل أشتاتا)

ومثل ذلك قول علي رضي الله عنه: الناس من جهة التمثيل أكفاء * أبوهم واحد والام حواء

في أبيات ذكرت في كتاب العلم (فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل) النفسية والعلمية والعملية (والفخر) من غير فضيلة (والعجب) بالنفس (والكبر) على الغير (أكبر الرذائل وهي رأسها وأصلها) أي هذه الثلاثة اساس كل رذيلة (فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة وأما المزح فيزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر) وتستغرقه (وتفضل عنه اذا عرفت ذلك) فنهما شغل شاغل عن المباسطة والمزاح وغيره (وأما الهزل) من القول (فيزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الآخرة) فالذي يجتهد في تحصيل مثل هذه لا يتفرغ للهزليات (وأما الهزء فيزيله بالتكرم عن ايذاء الناس) فلا يؤذيهم (وبصيانة النفس عن ان يستهزأ بك) فان من استهزأ بغيره استهزئ به (وأما التعيير فبالحذر عن قول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب) وفي بعض النسخ عن مر القول (وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة) والاكتفاء (بقدر الضرورة) والحاجة الداعية فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة (طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة) فان الاحتياج الى الناس مذلة حاضرة والاستغناء عنهم عز حاضر وقد قال علي رضي الله عنه استغن عمن شئت تكن أميره واحتج الى من شئت تكن أسيره (وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات تفتقر في علاجه الى رياضة) وتهذيب (وتحمل مشقة) وكلفة (وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها) ودسائسها (لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة) مع التكرار (مألوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن) لوح (النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الغضب الذي يتولد منها) لامحالة فانها اذا طهرت عن أسباب الغضب لم يكن للغضب اليها سبيل (ومن أشد البواعث للغضب عند أكثر الجهال) من العوام (تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة) المرضية (غباوة وجهلا) بحقائق الامور (حتى تميل النفس اليه وتستحسنه) وتختاره (وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الاكابر في معرض المدح) والاستحسان (بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر) والترئي بزيهم (فيهيج الغضب في القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض

ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية أنه لضعف النفس أن المريض أسرع غضبا من الصحيح والمرأة أسرع غضبا من الرجل والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيئ والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى انه يغضب على أهله وولده وأصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بان تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن الاكراد والاتراك والجهلة والاغبياء الذين لاعقول لهم ولافضل فيهم

(بيان علاج الغضب بعد هيجانه) ماذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لايهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لايضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل * أما العلم فهو ستة أمور * الاول أن يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان يتامل في الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ فقال لغلامه خل عنه

ونقصان عقل) وجنون (وهو لضعف النفس ونقصانها) عن درجة الكمال (وآية انه لضعف النفس ان المريض أسرع غضبا من الصحيح) فلنقصان صحته وكونه امزالة عن حد الاعتدال يتسرع الى الغضب ولا يتحمل سماع كلمة تخالف مزاجه (والمرأة أسرع غضبا من الرجل) لنقصان فيها (والصبي أسرع غضبا من الكبير) لانه لم يبلغ الى حد الكمال (والشيخ الضعيف) الذي فنيت قوته (أسرع غضبا من الكهل) الذي بقيت قوته بعد لانه في سن الانحطاط وهو من الاربعين الى الستين وأما الشيخ فهو من الستين الى آخر العمر (وذو الخلق السيئ والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل) المتنكس الخلق (يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة) والشربة (ولبخله اذا فاتته الحبة) من المال (حتى يغضب على أهله وولده وأصحابه) في أمور حقيرة (بل القوي من يملك نفسه عند الغضب قال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة) الذي يصرع الناس فيغلبهم (انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب) تقدم قريبا (بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل) الاحمق (بان تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ) والتحلم والتجاوز (فان ذلك منقول عن الانبياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء) وقد جمع غالب ذلك في كتب معروفة (وضد ذلك منقول عن الاتراك والاكراد) والاجلاف من أهل البادية (والجهلة والاغبياء الذين لاعقل لهم ولافضل) فليستمع تلك الاخبار وما حكى عن الفريقين ويتهذب بأخلاق الاولين من الصالحين ويتشبه بهم ويبعد نفسه عن أحوال المسترذلين ويتجنب عنها

(بيان علاج الغضب بعد هيجانه)

اعلم ان (ماذكرناه) آنفا (هو حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه) الباعثة له (حتى لايهيج فاذا جرى سبب هيجه) وأثاره (فعنده يجب التثبت) فيه (حتى لايضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم) شرعا (وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل أما العلم فهو ستة أمور الاول أن يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه وما عند الله تعالى (فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم) والصفح (عن التشفي والانتقام وينطفئ غيظه) وتخمد ناره (قال مالك بن أوس بن الحدثان) محركة النصري بالنون والصاد أبو سعيد المدني له رؤية وروى عن عمر توفي سنة ٩٣ روى له الجماعة (غضب عمر) رضي الله عنه (على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان يتأمل في الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل) أخرج البخاري في الصحيح بنحوه من طريق شعيب عن الزهري عن عبيد الله ان ابن عباس قال قدم عيينة بن حصن فنزل على الحر بن قيس وكان ممن يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجلس عمر فقال عيينة لابن أخيه الحر يا ابن أخي هل لك وجه عند هذا الامير تستأذن عليه قال نعم فأذن له عمر فدخل فقال يا ابن الخطاب ماتعطينا الجزل وماتحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم به فقال الحر يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قال لنبيه خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ماجاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله (وأمر عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ وقال لغلامه خل عنه) أخرجه أبو نعيم في الحلية

* الثانى أن يخوّف نفسه بعقاب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتى على هذا الانسان فلو أمضيت غضبى عليه فما آمن أن يمضى الله غضبه على يوم القيامة أحوج ما أكون الى العفو فقد قال تعالى فى بعض الكتب القديمة يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لأوجعتك أى القصاص فى القيامة وقيل ما كان فى بنى اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب أعطاه صحيفة فيها ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه * الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعى فى هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب فى الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض الا أن يكون محذوره أن تتشوش عليه فى الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه * الرابع أن يتفكر فى قبح صورته عند الغضب بان يتذكر صورة غيره فى حالة الغضب ويتفكر فى قبح الغضب فى نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضارى والسبع العادى ومشابهة الحليم الهادى التارك للغضب للانبياء والاولياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والانبياء فى عادتهم لتميل نفسه الى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقى معه مسكة من عقل * الخامس أن يتفكر فى السبب الذى يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد أن يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا فى أعين الناس

(الثانى أن يخوّف نفسه بعذاب الله وهو ان يقول قدرة الله على أعظم من قدرتى على هذا الانسان فلو أمضيت غضبى عليه فما آمن ان يمضى الله غضبه على يوم القيامة أحوج ما أكون الى العفو) فاذا تأمل هذا المعنى فلابد وان ينكسر ثوران الغضب عنه فى الحال (وقد قال تعالى فى بعض الكتب) التى أنزلها على رسله (يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق) أخرجه ابن شاهين فى الترغيب وقد تقدم (وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا) وهو الغلام دون المراهق (الى حاجة فابطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك) قال العراقى رواه أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف اهـ قلت ورواه ابن سعد فى الطبقات بلفظ ان النبى صلى الله عليه وسلم أرسل وصيفة له فأبطأت عليه فقال لولا القصاص لاوجعتك بهذا السواك (أى القصاص فى القيامة) ونقل البخارى فى الصحيح انه أقاد أبو بكر وعمر وابن الزبير وعلى وسويد بن مقرن من اللطمة وأقاد عمر من ضربه بالدرة وأقاد على من ثلاثة أسواط واقتص شريح من سوط وخموش وهذا كله رواية عن الامام أحمد ولكن العمل على خلافه لعدم انضباطه وقد أجمع الفقهاء ان لا قصاص الا فى الجراح والقتل كما نقله ابن الجوزى وتبعه الذهبى فى سيرة عمر بن الخطاب ولكن دعوى الاجماع فيه نظر الا أن يكون الخلاف لفظيا وقد قال الله تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم (وقيل ما كان فى بنى اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب أعطاه صحيفة وفيها ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقرؤها فيسكن غضبه) رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعى فى هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب فى الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة) والعلم بهذا مهم للغاية فان عاقبة العداوة وخيمة ومن كان له عدو متشمر فى ايصال السوء اليه لا يرتاح فى معيشته مطلقا فاذا عصم نفسه من الغضب سلم من هذه الورطة (و) لكن (هذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لانه متردد فى حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض الا أن يكون محذوره ان يتشوش عليه فى الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه) حينئذ وأما لو وقف نيته على حظوظه فقط فليس له فى الآخرة نصيب (الرابع أن يتفكر فى قبح صورته عند غضبه) لو رآه فى المرآة أو (بأن يتذكر صورة غيره فى حالة الغضب ويتفكر فى قبح الغضب فى نفسه ومشابهة صاحبه بالكلب الضارى والسبع العادى ومشابهة الحليم التارك للغضب بالانبياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين أن يشبه الكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يشبه الانبياء والعلماء فى عادتهم لتميل نفسه الى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقى معه مسكة من عقل) أى بقية منه وذلك لان الغضب غول العقل لا يدع فيه شيأ منه فبعيد عليه أن يتصور هذا المعنى فى نفسه وهو ان يظن انه من أعقل الناس ولكن لابد من التمرين على هذا التصور تكلفا حتى يستأهل لفهمه (الخامس أن يتفكر فى السبب الذى يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا فى أعين الناس) فاذا علم من نفسه ان الشيطان قد

فيقول لنفسه ما أعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح اذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من ان تصغري في أعين الناس ولا تحذرين

من أن تصغري عند الله والملائكة والنبيين فهما كظم الغيظ فينبغي ان يكظمه الله وذلك يعظمه

وسوس له بمثل ذلك (فليقل لنفسه) مخاطبا لها (ما أعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح اذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغري عند الله وعند الملائكة والنبيين) على رؤس الاشهاد (فهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه لله وذلك) الذي (يعظمه عند الله فماله وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم اذا نودي يوم القيامة الا ليقم من أجره على الله فلا يقوم الا من عفا) عن أخيه في مظلمة كما ورد ذلك في الخبر وتقدم ذكره (فهذا وأمثاله من معارف الايمان ينبغي أن يقرره على قلبه) ويعرضه عليه مرارا حتى يتقرر فيه (السادس أن يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشئ على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف) يتصور له أو يخطر بباله ان (يقول مرادي أولى من مراد الله و يوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه) هذا ما يتعلق بالعلم (وأما العمل فان تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند الغيظ) قال العراقي متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم و رجلان يستبان فاحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه الحديث وفيه لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد فقالوا له ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحديث اهـ قلت لفظ الحديث عندهما قال استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن جلوس عنده وأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها لاذهبت عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقالوا للرجل أما تسمع ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم قال اني لست بمجنون وقد رواه كذلك أبو داود والترمذي والنسائي وفي رواية لهؤلاء الثلاثة من حديث معاذ اللهم اني أعوذ بك من الشيطان الرجيم قال صاحب سلاح المؤمن وليس لسليمان بن صرد في الصحيحين سوى حديثين أحدهما هذا و روى ابن عدي من حديث أبي هريرة اذا غضب الرجل فقال أعوذ بالله سكن غضبه و رواه الطبراني أيضا في الاوسط والصغير من حديث ابن مسعود بنحوه (وكان صلى الله عليه وسلم اذا غضبت عائشة) رضي الله عنها (أخذ بأنفها وقال يا عويش) صغر اسمها للترحم (قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن) رواه ابن السني في اليوم والليلة من حديثها وقد تقدم في الاذكار والدعوات (فيستحب أن يقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة) الغريبة العارضة على الحرارة الغريزية التي هي غذاء القلب (وسبب الحرارة الحركة) فاذا سكن سكنت الحرارة فقل عملها (فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة توقد في القلب ألم تروا الى انتفاخ أوداجه) أي عروق رقبته (وحمرة عينيه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيأ فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليقم) قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله توقد ورواه بهذه اللفظة البيهقي وقد تقدم اهـ قلت لفظ الترمذي سيأتي للمصنف قريبا بعد ثلاثة أحاديث وقد روى من حديث الحسن مرسلا الغضب جمرة في قلب الانسان توقد الا ترى الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فاذا أحس أحدكم من ذلك شيأ فليجلس ولا يعدونه الغضب وقد روى ذلك أيضا من حديث سنان بن سعد عن أنس مرفوعا والمراد انه يحبسه في نفسه ولا يعدوه الى غيره بالاذى بالفعل (فان لم يزل ذلك فتوضأ بالماء البارد

عند الله فماله وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم اذا نودي يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم الا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الايمان ينبغي ان يقرره على قلبه * السادس ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشئ على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي أولى من مراد الله و يوشك ان يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه * وأما العمل فان تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال عند الغيظ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن فيستحب أن تقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب

الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة توقد في القلب ألم تروا الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيأ فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد واغتسل

واغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فان الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ) قال العراقي رواه أبو داود من حديث عطية السعدي دون قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها المصنف وقد تقدم * قلت الحديث في مسند أحمد وسنن أبي داود من طريق عروة بن محمد بن عطية انه كلمه رجل فأغضبه فقام فتوضأ فقال حدثني أبي عن جدي عطية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار الحديث وليس فيه بالماء مع ان التوضؤ لا يكون الا بالماء وأما لفظ البارد فليس في نسخ الكتاب وقد أورد المصنف ما يدل على الوضوء ولم يورد ما يدل على الاغتسال وقد روى أبو نعيم في الحلية وابن عساكر من حديث أبي مسلم الخولاني انه كلم معاوية بشر فغضب ثم نزل فاغتسل ثم عاد الى المنبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الغضب من الشيطان وان الشيطان من النار والماء يطفئ النار فاذا غضب أحدكم فليغتسل (وقال ابن عباس) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت) أي عن النطق بغير الذكر المشروع لان الغضب يصدر عنه من قبيح القول ما يوجب الندم عليه عند سكون سورة الغضب ولان الانفعال ما دام موجودا فنار الغضب تتأجج فاذا سكت أخذت في الخمود قال العراقي رواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ لهما والبيهقي في الشعب وفيه ليث بن أبي سليم اه قلت ولفظ أحمد اذا غضب أحدكم فليسكت قالها ثلاثا (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم ولأحمد باسناد جيد في اثناء حديث فيه وكان أبو ذر قائما فاضطجع فقيل له لم جلست ثم اضطجعت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغيظ والا فليضطجع والمرفوع عند أبي داود وفيه عنده انقطاع سقط منه أبو الاسود اه قلت ورواه كذلك البيهقي قال كان أبو ذر يسقي على حوض فأغضبه رجل فقعد ثم اضطجع فقيل له فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره قال الهيثمي رجال أحمد رجال الصحيح (وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه (قال النبي صلى الله عليه وسلم) في خطبته (ألا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم ألا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيأ فليلصق خده بالارض) قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن اه قلت ورواه كذلك أحمد الا انه قال احمرار عينيه وقال فمن أحس من ذلك شيأ فليلزق بالارض (وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين أعز الاعضاء) الذي هو الخد (من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب) والقصد أن يبعد عن هيئة الوثوب والمسارعة للبطش ما أمكن حسما لمادة المبادرة وحمل الطيبي وغيره هذا على التواضع والخفض دون السجود أي لان السجود لا يكون بالخد (وروي ان عمر) رضي الله عنه (غضب يوما فدعا بماء فاستنشق) به (وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (وقال عروة بن محمد) بن عطية السعدي عامل عمر بن عبد العزيز على اليمن مقبول مات بعد العشرين روى له أبو داود وهو الذي روى عن أبيه عن جده اذا غضب أحدكم فليتوضأ وتقدم قريبا (لما استعملت على اليمن) استعمله عمر بن عبد العزيز (قال لي أبي) وهو محمد بن عطية بن عروة السعدي تابعي صدوق مات على رأس المائة روى له أبو داود في السنن والنسائي في مسند مالك وقد روى عن أبيه ووهم من زعم ان له صحبة وأبوه صحابي مشهور (أوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالقهما) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن أحمد بن حنبل أخبرنا ابن المبارك عن حنظلة بن أبي سفيان قال قال عروة بن محمد فذكره وأخرجه ابن المبارك في الزهد (وروي ان أباذر) الغفاري رضي الله عنه (قال لرجل يا ابن

أو يغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال أبو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم ألا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيأ فليلصق خده بالارض وكأن هذا اشارة الى السجود وتمكين أعز الاعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروي ان عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي أبي أوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالقهما وروي ان أباذر قال لرجل يا ابن

الجراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر بلغني انك اليوم عيرت أخاك بامه فقال نعم فانطلق
أبوذر ليرضى صاحبه فسبقه
الرجل فسلم عليه فذكر
ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا أباذر ارفع
رأسك فانظر ثم اعلم انك
لست بأفضل من أحمر فيها
ولا أسود الا أن تفضله بعمل
ثم قال اذا غضبت فان كنت
قائما فاقعد وان كنت
قاعدا فاتكئ وان كنت
متكئا فاضطجع وقال
المعتمر بن سليمان كان رجل
ممن كان قبلكم يغضب فيشتد
غضبه فكتب ثلاث صحائف
وأعطى كل صحيفة رجلا
وقال للاول اذا غضبت
فأعطني هذه وقال للثاني اذا
سكن بعض غضبي فاعطني
هذه وقال للثالث اذا ذهب
غضبي فأعطني هذه
فاشتد غضبه يوما فاعطي
الصحيفة الاولى فاذا فيها
ما أنت وهذا الغضب انك
لست باله انما أنت بشر
يوشك أن يأكل بعضك
بعضا فسكن بعض غضبه
فأعطي الثانية فاذا فيها
ارحم من في الارض يرحمك
من في السماء فأعطي
الثالثة فاذا فيها خذ الناس
بحق الله فانه لا يصلحهم الا
ذلك أي لا تعطل الحدود
وغضب المهدي على رجل
فقال شبيب لا تغضبن لله
بأشد من غضبه لنفسه فقال
خلوا سبيله * (فضيلة كظم
الغيظ) * قال الله تعالى
والكاظمين الغيظ وذكر ذلك في معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله عنه
عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم أشدكم من غلب نفسه عند الغضب

على

الجراء) يريد به جراء الجبان يعني ابن المجنة (في خصومة) كانت (بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر بلغني انك اليوم عيرت رجلا بامه فقال نعم فانطلق أبوذر يرضى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من أحمر فيها ولا أسود الا ان تفضله بعمل) أي صالح (ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب باسناد صحيح وستأتي الاشارة الى هذا الحديث في باب ذم الكبر من حديث أبي ذر أيضا قال العراقي ولاحمد انه صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود الا ان تفضله بتقوى ورجاله ثقات وفي الصحيحين من حديثه كان بيني وبين رجل من اخواني كلام وكانت أمه أعجمية فعيرته بامه فشكاني الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر انك امرؤ فيك جاهلية اه قلت يشير الى مارواه البخاري عن سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن واصل الاحدب عن المعرور قال لقيت أباذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال اني ساببت رجلا فعيرته بامه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم يا أباذر أعيرته بامه انك امرؤ فيك جاهلية الحديث هكذا أخرجه في أول الصحيح وأخرجه في كتاب العتق عن آدم عن شعبة عن واصل وفي الادب عن عمرو بن حفص بن غياث عن أبيه وأخرجه مسلم في كتاب الايمان والنذور عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن أحمد بن يونس عن زهير وعن أبي بكر عن أبي معاوية عن اسحق بن يونس عن عيسى بن يونس كلهم عن الاعمش وعن أبي موسى الزمن وبندار وغندر عن شعبة عن واصل كلاهما عن الوردي وأخرجه أبوداود بنحوه من طريقين (وقال المعتمر بن سليمان) بن طرخان التيمي أبو محمد البصري ثقة مات سنة سبع وثمانين وقد جاوز الثمانين وروى له الجماعة (كان رجلا ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني هذه الصحيفة وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما أنت وهذا الغضب انك لست باله انما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطي الثانية فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء فاعطي الثالث فاذا فيها خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذلك أي لا تعطل الحدود) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (وغضب المهدي) محمد بن عبد الله العباسي (على رجل فقال شبيب لا تغضبن لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب

(فضيلة كظم الغيظ)

(قال الله تعالى والكاظمين الغيظ) والكظم هو الكف اما بكف النفس أو بالصفح والمعنى المتحملين الغيظ والغيظ الغضب الكامن في القلب (وذكر ذلك في معرض المدح) للمتقين من المؤمنين وتمام الآية والعافين عن الناس والله يحب المحسنين (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث أنس ورواه كذلك أبو يعلى وابن شاهين والخرائطي في مساوي الاخلاق والضياء المقدسي في المختارة وقال العراقي رواه الطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب واللفظ له باسناد ضعيف ولابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاه الله عذابه الحديث وقد تقدم في آفات اللسان اه قلت حديث ابن عمر رواه ابن أبي الدنيا في كتابيه الصمت وذم الغضب ولفظه من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره (وقال صلى الله عليه وسلم أشدكم من غلب نفسه) أي ملكها وقهرها (عند الغضب) بان لم يمكنها من العمل بغضبه بل يجاهدها

على ترك تنفيذه (وأحلمكم من عفا عند القدرة) وفي لفظ بعد القدرة أي أثبتكم عقلا من عفا عمن جنى عليه بعد تمكينه منه رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث علي قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم يرفعون حجرا فقال ماهذا قالوا حجر الاشداء فقال ذلك وسنده ضعيف قال العراقي وروى البيهقي في الشعب بالشطر الاول من رواية عبد الرحمن بن عجلان مرسلا باسناد جيد وللبزار والطبراني في مكارم الاخلاق واللفظ له من حديث أنس أشدكم أملككم لنفسه عند الغضب وفيه عمران القطان مختلف فيه (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا) أي ردّه ومنعه (ولو شاء ان يمضيه) أي ينفذه (أمضاه) نفذه (ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث ابن عمر وفيه مسكين بن أبي سراج تكلم فيه ابن حبان (وفي رواية) من كتم غيظا وهو يقدر على انفاذه (ملأ الله قلبه أمنا وايمانا) رواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يسم ورواه أبو داود من حديث رجل من ابناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه بزيادة ومن ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا كساه الله حلة الكرامة ومن زوج لله توجه الله بتاج الملك ورواه بهذه الزيادة أيضا ابن أبي الدنيا فقال عن سويد ابن وهب عن أبيه ورواه البغوي في معجم الصحابة عن عبد الجليل الفلطيني عن عمه وأورده الذهبي في الميزان في ترجمة عبد الجليل وقال قال البخاري لا يتابع عليه (وقال ابن عمر) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها) عبد (ابتغاء وجه الله عزوجل) في الاساس كظم القربة ملأها وشد رأسها وكظم الباب سده ومن المجاز كظم الغيظ وعلى الغيظ قال الطيبي يريد انه استعارة من كظم القربة وقوله من جرعة غيظ استعارة أخرى كالترشيح لها شبه جرع غيظه ورده الى باطنه بتجرع الماء وهي أشد جرعة يتجرعها العبد وأعظمها ثوابا وأرفعها درجة لحبس نفسه عن التشفي قال العراقي رواه ابن ماجه باسناد جيد اه قلت وقال المنذري رواته محتج بهم في الصحيح ولفظه مامن جرعة ورواه أحمد بلفظ ماتجرع عبد أفضل منه عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله عزوجل (وقال ابن عباس) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب وقد تقدم في آفات اللسان (وقال صلى الله عليه وسلم مامن جرعة أحب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله قلبه) وفي لفظ جوفه (ايمانا) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث ابن عباس وفيه ضعف ويتلفق من حديث ابن عمر وحديث الصحابي الذي لم يسم وقد تقدم ماقاله العراقي قلت ورواه أحمد بلفظ المصنف الا انه قال ملأ الله جوفه نورا وأما حديث الصحابي الذي لم يسم فعند أبي داود أمنا وايمانا وحديث ابن عباس هذا مستقل ودعوى التلفيق فيه نظر وروى ابن المبارك في الزهد من حديث الحسن مرسلا مامن جرعة أحب الى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها رجل أو جرعة صبر على مصيبة وماقطرة أحب الى الله من قطرة دمع من خشية الله أوقطرة دم اهريق في سبيل الله (وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق ويخيره من أي الحور شاء) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب وفي الصمت من حديث معاذ بن أنس ورواه كذلك أحمد وأبو داود والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه والطبراني والبيهقي وقد تقدم في آفات اللسان ورواه أبو نعيم وابن عساكر بزيادة في آخره ومن ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه كساه الله رداء الايمان يوم القيامة ومن انكح عبدا لله وضع الله على رأسه تاج الملك يوم القيامة * (الآثار) * (قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب والجملة الاولى منه رواها ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى مرفوعا من حديث سهل ابن سعد من اتقى الله كل لسانه ولم يشف غيظه ورواه كذلك الديلمي وابن النجار وهو في البلدانيات للسلفي

وأحلمكم من عفا عند القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لامضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية ملأ الله قلبه أمنا وايمانا وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة أحب الى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله قلبه ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق ويخيره من أي الحور شاء (الآثار) قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون

وقال لقمان لابنه يابني لاتذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال أيوب حلم ساعة يدفع
شرا كثيرا واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فاجمعوا على ان أفضل
الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ماتقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ألا تسمع ان الله تعالى يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت نارا فأطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ماليس له وجاء رجل الى سلمان فقال ياعبد الله أوصني قال لاتغضب قال لا أقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك

(بيان فضيلة الحلم)

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير

وقد تقدم للمصنف (وقال لقمان لابنه) وهو يعظه (يابني لاتذهب ماء وجهك بالمسئلة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (وقال أيوب) بن أبي تميمة السختياني (حلم ساعة يدفع شرا كثيرا) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض) رحمهم الله تعالى (فتذاكروا الزهد فاجمعوا على ان أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ماتقضي بالعدل وما تعطي الجزل) أي الكثير (فغضب عمر حتى عرف) ذلك (في وجهه فقال رجل يا أمير المؤمنين ألم تسمع ان الله تعالى يقول خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت نارا فانطفأت) أخرجه البخاري في الصحيح من طريق شعيب عن الزهري عن عبيد الله ان ابن عباس قال قدم عيينة بن حصن فنزل على الحر بن قيس وكان ممن يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجلس عمر فقال عيينة لابن أخيه الحر ياابن أخي هل لك وجه عند هذا الامير تستأذن عليه فاذن له عمر فدخل فقال ياابن الخطاب ماتعطينا الجزل وماتحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم به فقال الحر يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قال لنبيه خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين قال فوالله ماجاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله انفرد به البخاري وقد تقدم ذكره قريبا (وقال محمد بن كعب) القرظي (ثلاث) خصال (من كن فيه) فقد (استكمل الايمان بالله) تعالى احداهن (اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ماليس له) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب وقد روي نحوه مرفوعا من حديث أنس رواه الطبراني في الصغير بلفظ ثلاث من أخلاق الايمان من اذا غضب لم يدخله غضبه في باطل ومن اذا رضي لم يخرجه رضاه من حق ومن اذا قدر لم يتعاط ماليس له قال الهيثمي فيه بشر بن الحسين وهو كذاب (وجاء رجل الى سلمان) الفارسي رضي الله عنه (فقال) له (ياأباعبد الله أوصني فقال لاتغضب قال لاأقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من طريق ميمون بن مهران قال جاء رجل فذكره وفيه ان الرجل قال أمرتني أن لا أغضب وانه ليغشاني مالا أملك قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك وملك يده ولسانه هو الذي أشار النبي صلى الله عليه وسلم بامره لمن غضب أن يجلس ويضطجع وبأمره أن يسكت

(فضيلة الحلم)

(اعلم ان الحلم أفضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم) لان صيغة التفعل في الاكثر للتكلف (ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه) أي ثار والتهب شرارة (ويحتاج فيه) أي في دفعه (الى مجاهدة شديدة) ورياضة بليغة (ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ) بقوة (وان هاج) يوما (فلا يكون في كظمه تعب) لخفته وطاءته (وهو الحلم الطبيعي) ولذا عبر عنه بعضهم بانه الطمأنينة عند سورة الغضب ومنهم من قال هو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب وفي معناه من قال هو احتمال الاعلى الاذى من الادنى أو رفع المؤاخذة عن مستحقها بجناية في حق مستعظم (وهو دلالة كمال العقل واستيلائه) أي ملكه وقوته (وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل) بحيث لاتثور الاحيثما يأمر العقل (ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم) أي انما تحصيله بطريق الطلب والاكتساب من أهله وأخذه منهم حيث كانوا (و) انما (الحلم بالتحلم) أي ببعث النفس وتنشيطها اليه (ومن يتحر الخير) أي من يجتهد في تحصيل

الخير

الخير و يقصده (يعطه) أي يعطيه الله تعالى اياه (ومن يتوق الشر) أي من يحفظ نفسه من الوقوع فيه (يوقه) أي يحفظه الله تعالى منه قال العراقي رواه الطبراني والدارقطني في العلل من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف انتهى قلت ورواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية والعسكري في الامثال كلهم من طريق محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني حدثنا الثوري عن عبد الملك بن عمير عن رجاء ابن حيوة عن أبي الدرداء رفعه مثل سياق المصنف بزيادة لم يسكن الدرجات العلا ولا أقول لكم الجنة من تكهن أو استقسم أو تطير طيرا يرده من سفر قال الحافظ السخاوي ومحمد بن الحسين كذاب ولكن قد رواه البيهقي في المدخل من طريق هلال عن أبيه عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك بن عمير به موقوفا على أبي الدرداء انتهى قلت ورواه بهذا السند أيضا الطبراني في الاوسط والخطيب في رياضة المتعلمين وفي الباب أبو هريرة وأنس ومعاوية وابن مسعود وشداد بن أوس أما حديث أبي هريرة فقد أخرجه الدارقطني في الافراد وفي العلل والخطيب في التاريخ وأما حديث أنس فأخرجه العسكري من طريق محمد بن الصلت حدثنا عثمان البري عن قتادة عنه مرفوعا به وأما حديث معاوية فاخرجه الطبراني في الكبير وابن أبي عاصم في العلم له كلاهما من طريق عتبة بن أبي حكيم عمن حدثه عن معاوية رفعه بلفظ يا أيها الناس انما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما يخشى الله من عباده العلماء وجزم البخاري بتعليقه فقال وقال النبي صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وقال انما العلم بالتعلم مع ان في اسناده من لم يسم لمجيئه من طريق أخرى وقال الحافظ بن حجر اسناد حديث معاوية حسن لان فيه مبهما اعتضد بمجيئه من وجه آخر وأما حديث ابن مسعود فقد أخرجه البيهقي في المدخل من طريق علي بن الاقمر والعسكري في الامثال من طريق أبي الزعراء كلاهما عن أبي الاحوص عنه بلفظ ان الرجل لا يولد عالما وانما العلم بالتعلم وقد روي عنه نحوه موقوفا بسند رجاله موثقون أخرجه البزار في حديث طويل انه كان يقول فعليكم بهذا القرآن فانه مأدبة الله فمن استطاع منكم أن يأخذ من مأدبة الله فليفعل فانما العلم بالتعلم وأما حديث شداد بن أوس فأخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث طويل بلفظ ان رجلا قال يا رسول الله ماذا يزيد في العلم قال التعلم وفي سنده عمر بن صبيح وهو كذاب وقد روي في الباب عن التابعين أخرج العسكري من طريق حماد عن حميد الطويل قال كان الحسن يقول اذا لم تكن حليما فتحلم واذا لم تكن عالما فتعلم فقلما تشبه رجل بقوم الا كان منهم ومن طريق زافر عن عمرو بن عامر البجلي قال قال الحسن هو والله أحسن منك رداء وان كان رداؤك حبرة رجل رداه الله الحلم فان لم يكن حلم لا أبا لك فتحلم فانه من تشبه بقوم لحق بهم (أشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم أولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا) أي تواضعوا (لمن تعلمون) أي لمن يتعلم منكم (ولمن تعلمون منه) أي من مشايخكم (ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم) قال العراقي رواه ابن السني في رياضة المتعلمين بسند ضعيف انتهى قلت ورواه الطبراني أيضا في الاوسط وابن عدي في الكامل بلفظ تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار وتواضعوا لمن تعلمون منه قال الهيثمي فيه عباد بن كثير وهو متروك الحديث ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق حبوس بن رزق الله عن عبد المنعم بن بشير عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر ابن الخطاب رفعه تعلموا العلم وتعلموا للعلم الوقار وقال غريب من حديث مالك عن زيد لم نكتبه الا من حديث حبوس عن عبد المنعم وروى الخطيب في الجامع من حديث أبي هريرة تواضعوا لمن تعلمون منه وتواضعوا لمن تعلمون ولا تكونوا جبابرة العلماء (أشار بهذا الى ان التجبر والكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين) وان التواضع والسكون هو الذي يمنع ثوران الغضب ويورث الحلم (وكان

يعطه ومن يتوق الشر يوقه وأشار بهذا الى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولا وتكلفه كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم حلمكم أشار بهذا الى أن التكبر والتجبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان

من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغننى بالعلم) أى الذى يقرب الى معرفتك (وزينى بالحلم) أى اجعله زينة لى (واكرمنى بالتقوى) لاكون من أكرم الناس عندك (وجملنى بالعافية) وخص سؤال العلم بالاغناء لانه هو القطب وعليه المدار وليس الغنى الا فيه فمن كان عاريا عنه فهو الفقير حقيقة والحلم بالزينة لانه أفضل ما يتحلى به الانسان ولا زينة كزينته والتقوى بالاكرام لانها أساس كل خير والسبب لسعادة الدارين والعافية بالجمال لانه لا جمال للمرء كجمالها قال العراقى لم أقف له على أصل قلت بل رواه ابن النجار فى التاريخ والرافعى فى تاريخ قزوين من حديث ابن عمر (وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم ابتغوا) أى اطلبوا بجد واجتهاد فان الابتغاء مختص بالاجتهاد فى الطلب قاله الراغب وقال الحرالى افتعال تكلف البغى وهو أشد الطلب (الرفعة) أى الشرف والمنزلة (عند الله) أى فى دار كرامته (قالوا وما هى يارسول الله قال تصل من قطعك) أى قطع مواساتك أو زيارتك فلا تقابله بالقطع (وتعطى من حرمك) أى منعك ما هو لك (وتحلم) بضم اللام (عمن جهل) أى سفه (عليك) بان تمسك لسانك ويدك عنه والسفاهة تسمى جهلا ومنه قول الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

قال العراقى رواه الحاكم والبيهقى وقد تقدم قلت ورواه ابن عدى من حديث ابن عمر بدون قوله تصل من قطعك (وقال صلى الله عليه وسلم خمس من سنن المرسلين) أى من شأنهم وفعلهم (الحياء) الذى هو خجل الروح عن كل عمل لا يحسن فى الملأ الاعلى وذلك لانه يطهر الروح من أسباب النفس (والحلم) الذى هو سعة الصدر وانشراحه لورود النور عليه (والحجامة) لان للدم حرارة وقوة وهو غالب على قلوب المرسلين فاذا لم تنقص أضرت (والسواك) لان الفم طريق الوحى ومحل نجوى الملك فاهماله تضييع لحرمة الوحى (والتعطر) أى استعمال العطر لانه ليس للملائكة حظ مما للبشر الا الريح الطيب وهم يكثرون مخالطة الرسل فيكون الطيب بمنزلة قراهم قال العراقى رواه أبو بكر بن أبى عاصم فى المثانى والآحاد والترمذى الحكيم فى نوادر الاصول بسند ضعيف من رواية مليح بن عبد الله الخطمى عن أبيه عن جده وللترمذى وحسنه من حديث أبى أيوب أربع فاسقط الحلم والحجامة وزاد النكاح انتهى قلت جد مليح بن عبد الله هو حصين بن عبد الله الخطمى له صحبة والحديث أيضا رواه البخارى فى التاريخ والبزار فى المسند والبغوى فى المعجم والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى المعرفة والبيهقى فى الشعب وقال البيهقى عقب تخريجه هذا ذكره البخارى فى التاريخ عن عبد الرحمن بن أبى فديك وهو محمد بن اسمعيل عن عمر بن محمد الاسلمى فعمر ينفرد به انتهى وعمر قال الذهبى من المجاهيل وكأنه أشار الى ذلك الحافظ العراقى بقوله بسند ضعيف وأما حديث أبى أيوب فأخرجه كذلك أحمد والبيهقى كلهم من طريق مكحول عن أبى الشمال عنه ولفظه أربع من سنن المرسلين الحياء والتعطر والنكاح والسواك وقد روى فيه الحناء بالنون بدل الحياء فيكون على تقدير مضاف أى استعماله ورجح ابن القيم عن المزى ان صوابه الختان وسقطت النون قال وهكذا رواه المحاملى عن شيخه الترمذى وروى العقيلى والبيهقى من حديث ابن عباس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وكثرة الازواج (وقال على) رضى الله عنه (قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم يدرك بالحلم درجة الصائم القائم) أى الصائم فى شدة الحر والمتهجد بالليل (وانه ليكتب جبارا عنيدا) أى بسبب سوء خلقه (وما يملك الا أهل بيته) قال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف انتهى قلت ورواه كذلك أبو الشيخ فى كتاب الثواب قال المنذرى وسنده ضعيف وروى أبو داود وابن حبان والبغوى فى شرح السنة من حديث عائشة ان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (ان رجلا قال يارسول الله ان لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن اليهم ويسيؤن الى ويجهلون على) أى يسفهون

من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم أغننى بالعلم وزينى بالحلم واكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هى يارسول الله قال تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال على كرم الله وجهه قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك الا أهل بيته وقال أبو هريرة ان رجلا قال يارسول الله ان لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن اليهم ويسيؤن الى ويجهلون على

واحلم

(وأحلم عنهم) أى أصفح وأتجاوز (قال لئن كان كما تقول فكأنما تسفهم المل) يقال سف الدواء سفا وأسفه غيره والاسم السفوف بالفتح (ولا يزال معك من الله ظهير مادمت على ذلك) رواه مسلم فى الصحيح (والمل يعنى به الرمل) وقيل هو رماد الفرن (وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندى صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضى شيأ فهو عليه صدقة فأوحى الله الى النبى صلى الله عليه وسلم انى قد غفرت له) قال العراقى رواه أبو نعيم فى الصحابة والبيهقى فى الشعب من رواية عبد المجيد بن أبى عيسى بن جبر عن أبيه عن جده باسنادلين زاد البيهقى عن علبة بن زيد وعلبة هو الذى قال ذلك كما فى أثناء الحديث وذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب انه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبى صالح عن أبى هريرة ان رجلا من المسلمين ولم يسمه قال ولعله أبو ضمضم قلت وليس بأبى ضمضم انما هو علبة بن زيد وأبو ضمضم ليست له صحبة وانما هو متقدم انتهى قلت وقد سبق ابن عبد البر فى ذلك أحمد والحاكم فى الكنى وأما علبة بن زيد فهو رجل من الصحابة من ولد مالك بن الاوس وقد ذكره ابن اسحق فى السيرة وابن حبيب فى المحبر فى البكائين فى غزوة تبوك فأما علبة بن زيد فخرج من الليل وصلى وبكى وقال اللهم انك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه ولم تجعل عندى ما أتقوى به مع رسولك وانى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابنى بها فى جسد أو عرض فذكر الحديث بغير اسناد وقد ورد موصولا من حديث مجمع ابن حارثة ومن حديث عمرو بن عوف وأبى عبس بن جبر ومن حديث علبة بن زيد نفسه كما سنبينه وروى ابن مردويه ذلك من حديث مجمع بن حارثة وروى ابن منده من طريق محمد بن طلحة عن عبد الحميد بن أبى عبس بن جبر عن أبيه عن جده قال كان علبة بن زيد بن حارثة رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلما حض على الصدقة جاء كل رجل منهم بطاقته وما عنده فقال علبة بن زيد اللهم انه ليس عندى ما أتصدق به اللهم انى أتصدق بعرضى على من ناله من خلقك فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى أين المتصدق بعرضه البارحة فقدم عليه فقال قد قبلت صدقتك قال الحافظ هكذا وقع الاسناد وفيه تغيير ونقص وانما هو عبد الحميد بن محمد بن أبى عبس والصحبة لابى عبس لا لجبر وقد روى الطبرانى من طريق محمد بن طلحة بهذا الاسناد حديثا غير هذا وروى البزار من طريق صالح مولى التوأمة عن علبة بن زيد نفسه قال حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة فذكر الحديث قال البزار علبة هذا رجل مشهور من الانصار ولا نعلم له غير هذا الحديث وقد روى عمرو بن عوف حديثه هذا أيضا قال الحافظ وأشار الى ما أسنده ابن أبى الدنيا وابن شاهين من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده نحوه وأخرجه الخطيب من طريق أبى قرة الزبيدى فى السنن له قال ذكره ابن جريج عن صالح ابن زيد عن أبى عيسى الحارثى عن ابن عم له يقال له علبة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس بالصدقة فذكره لكن قال بعد قوله ولكنى أتصدق بعرضى على من آذانى وشتمنى أو لازنى فهو له حل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم قد قبلت منك صدقتك قال الخطيب كذا فى الكتاب عن أبى عيسى الحارثى والصواب عن أبى عبس بفتح العين وسكون الموحدة (وقال صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم قالوا وما أبو ضمضم قال رجل كان فيمن قبلكم اذا أصبح يقول اللهم انى أتصدق بعرضى على من ظلمنى) تقدم الكلام عليه فى آفات اللسان ولولا التصريح بانه كان فيمن كان قبلنا لجوّزنا أن يكون علبة بن زيد يكنى أبا ضمضم وقد أشرنا آنفا الى كلام ابن عبد البر والمناقشة معه فى قوله أظنه أبا ضمضم فراجعه (وقيل فى قوله تعالى كونوا ربانيين أى حلماء علماء) وتقدم فى كتاب العلم (وعن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (فى قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا) أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى الشعب عن الحسن قال يمشون على الارض هونا الآية قال يمشون حلماء متواضعين لا يجهلون على أحد وان جهل

وأحلم عنهم قال ان كان كما تقول فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير مادمت على ذلك المل يعنى به الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندى صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضى شيأ فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى الى النبى صلى الله عليه وسلم انى قد غفرت له وقال صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم قالوا وما أبو ضمضم قال رجل ممن كان قبلكم كان اذا أصبح يقول اللهم انى تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى وقيل فى قوله تعالى ربانيين أى حلماء علماء وعن الحسن فى قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا

عليهم لم يجهلوا وأخرج عبد بن حميد عن الحسن فى حديث طويل ذكر فيه فنعتهم الله فى القرآن أحسن نعت فقال واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء لايجهلون على أحد وان جهل عليهم حلموا وقال مجاهد سلاما أى سدادا من القول رواه الفريابى وسعيد بن منصور وابن جرير وقال الفضيل بن عياض سلاما أى ان جهل عليه حلم وان أسىء اليه أحسن وان حرم أعطى وان قطع وصل أخرجه الخرائطى فى مكارم الاخلاق وعن سعيد بن جبير قال سلاما أى ودا معروفا أخرجه ابن أبى حاتم (وقال عطاء بن أبى رباح) رحمه الله تعالى (يمشون على الارض هونا أى حلما) أخرج ابن أبى حاتم عن ابى عمران الجونى قال هونا أى حلما بالعبرانية وعن ميمون بن مهران قال بالسريانية وقال ابن عباس هونا أى بالطاعة والعفاف والتواضع أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وقال مجاهد هونا أى بالوقار والسكينة أخرجه عبد الرزاق والفريابى وسعيد بن منصور وابن جرير والبيهقى فى الشعب وروى مثله عن الفضيل بن عياض أخرجه الخرائطى فى المكارم وقال ابن عباس هونا أى علما حلما أخرجه ابن أبى حاتم وعن زيد بن أسلم هونا لايشتدون أخرجه ابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم وعن قتادة هونا أى تواضعا لعظمته أخرجه ابن أبى حاتم وعن الحسن هونا حلماء متواضعين أخرجه البيهقى فى الشعب (وقال ابن أبى حبيب) هو يزيد بن أبى حبيب أبو رجاء المصرى واسم أبيه سويد ثقة فقيه مات سنة ثمان وعشرين روى له الجماعة (فى قوله) تعالى (وكهلا) ومن الصالحين (قال الكهل منتهى الحلم) اعلم ان سن الكهولة هو سن الانحطاط مع بقاء من القوة وهو من الاربعين الى نحو من ستين سنة ثم ان الحلم هنا بالضم بمعنى العقل أى سن الكهولة هو الذى ينتهى اليه كمال العقل ثم لا يزيد والمناسب لسياق المصنف أن يكون بكسر الحاء بمعنى ضبط النفس عند هيجان الغضب أى هذه القوة منتهاها فى هذا السن فتأمل وسيأتى لذلك تحقيق قريبا (وقال مجاهد) فى قوله تعالى (واذا مروا باللغو مروا كراما أى اذا أوذوا صفحوا) أخرجه الفريابى وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى ذم الغضب وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى الشعب (وروى ان ابن مسعود) رضى الله عنه (مر بلغو معرضا) ولم يقف (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لقد (اصبح ابن مسعود أو) قال (أمسى كريما ثم تلا ابراهيم بن ميسرة) الطائفى نزيل مكة ثبت حافظ مات سنة اثنتين وثلاثين روى له الجماعة (وهو الراوى لهذا الحديث (قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما) قال العراقى رواه ابن المبارك فى البر والصلة باسناد منقطع انتهى قلت وكذلك أخرجه ابن أبى حاتم وابن عساكر كلهم من طريق ابراهيم بن ميسرة قال بلغنى ان ابن مسعود مر بلغو معرضا ولم يقف فذكره (وقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم لايدركنى ولاأدركه زمان لايتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب) قال العراقى رواه أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف انتهى قلت وقد روى نحوه من حديث على رواه الديلمى ولفظه يأتى على الناس زمان لايتبع فيه العالم ولا يستحيا فيه من الحليم ولا يوقر فيه الكبير ولا يرحم فيه الصغير يقتل بعضهم بعضا قلوبهم قلوب الاعاجم وألسنتهم ألسنة العرب لا يعرفون معروفا ولاينكرون منكرا يمشى الصالح منهم مستخفيا أولئك شرار خلق الله لا ينظر الله اليهم يوم القيامة (وقال صلى الله عليه وسلم ليلنى) بكسر اللامين وخفة النون من غير ياء قبل النون وباثباتها مع شدة النون على التأكيد هكذا ضبطه النووى بالوجهين وقال الطيبى حق هذا اللفظ ان تحذف منه الياء لانه على صيغة الامر وقد وجد باثبات الياء وسكونها فى سائر كتب الحديث والظاهر انه غلط (منكم) أى ليدنون منى منكم يا أصحابى (ذوو الاحلام) وفى لفظ أولو الاحلام أى العقول (والنهى) جمع نهية بالضم وهى العقل الناهى عن القبائح هكذا فسره غير واحد وفيه لزوم التكرار من غير ضرورة داعية والاولى ان يفسر ذوو الاحلام بالبالغين والحلم بالضم ما يراه النائم وقد غلب استعماله فيما

وقال عطاء بن أبى رباح يمشون على الارض هونا أى حلما وقال ابن أبى حبيب فى قوله عز وجل وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما أى اذا أوذوا صفحوا وروى ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ثم تلا ابراهيم بن ميسرة وهو الراوى قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم لايدركنى ولاأدركه زمان لايتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم ليلنى منكم ذوو الاحلام والنهى

براه من دلالة البلوغ فدلالته على البلوغ التزامية (ثم الذين يلونهم) أى يقربون منهم فى الوصف كالمراهقين (ثم الذين يلونهم) كالصبيان المميزين (ولاتختلفوا فتختلف) بالنصب (قلوبكم) أى تراصوا فى الصفوف وليقرب بعضكم بعضا ولايختلف فان الاختلاف الظاهر يورث اختلاف الباطن (واياكم وهيشات الاسواق) جمع هيشة وهى الفتنة والاضطراب أى مختلطات الاسواق وجماعاتها والمعنى لاتكونوا مختلطين اختلاط أهل الاسواق فلايتميز الذكور من الاناث ولا الصبيان من البالغين والظاهر من سياق المصنف لهذا الحديث هنا ان المراد بالاحلام هنا جمع الحلم بالكسر أى أصحاب هذه الصفة أى أهل الوقار والسكينة وهم أشراف الصحابة وسابقوهم ويدل على ذلك حديث ابن مسعود عند الحاكم ليلنى منكم الذين يأخذون عنى يعنى الصلاة أى لشرفهم ومزيد فضلهم وعلى هذا فلا يكون فى الحديث تكرار قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى مسعود دون قوله ولاتختلفوا فتختلف قلوبكم فهى عند أبى داود والترمذى وحسنه وهى عند مسلم فى حديث آخر لابى مسعود اه قلت وكذلك رواه عبد الرزاق والنسائى وابن ماجه والحاكم وقال هو على شرط البخارى وقال الترمذى فى العلل سألت البخارى عن هذا الحديث فقال ارجو ان يكون محفوظا ورواه أحمد وابن حبان والطبرانى والنسائى من حديث ابن مسعود (وروى انه وفد الى النبى صلى الله عليه وسلم الاشج) العبدى ويقال له أشج عبد القيس واشج بنى عصر مشهور بلقبه واسمه المنذر بن عابد بن الحرث قال الواقدى كان قدوم الاشج ومن معه سنة عشر من الهجرة وقيل سنة ثمان قبل فتح مكة (فاناخ راحلته ثم عقلها) أى حبسها بعقال (ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من العيبة) وهى شبه الخرج (ثوبين حسنين أبيضين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم مايصنع) اى بمرأى منه وكان قد تخلف عن أصحابه وهو أصغرهم سنا وهم أقبلوا بثياب سفرهم فقابلوا النبى صلى الله عليه وسلم (ثم أقبل يمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقبل يده (فقال صلى الله عليه وسلم يا أشج) ناداه بلقبه المشهور به (ان فيك خلقين) بضمتين وفى رواية لخصلتين مثنى خصلة (يحبهما الله ورسوله فقال ماهما بأبى أنت وأمى فقال الحلم) بالكسر أى العقل (والاناة) بالكسر أى التثبت وعدم العجلة (فقال) يارسول الله (خلقان تخلقتهما) أى تكلفتهما (أو خلقان جبلتهما) أى جبلنى الله عليهما (قال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله) وهذا لايناقضه النهى عن مدح المؤمن فى وجهه فان ما كان من النبوة فهو وحى والوحى لايجوز كتمه أو انه صلى الله عليه وسلم علم من حاله انه لايلحقه به الاعجاب فاخبره بذلك ليزداد لزوماله ويشكر الله على مامنحه قال العراقى متفق عليه * قلت ورواه مسلم فى الايمان والترمذى فى البر من حديث ابن عباس ورواه أحمد من حديث الوازع ورواه ابن ماجه من حديث أبى سعيد الا انه قال التؤدة بدل الاناءة وهى بمعناها (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحليم) أى صاحب الحلم (الحيى) أى الكثير الحياء (الغنى) عن الناس لقلة حاجته اليهم (المتعفف) عن السؤال لهم (ويبغض الفاحش البذى) خبيث اللسان يتكلم بالهذر من القول (السائل الملحف) أى الملح قال العراقى رواه الطبرانى من حديث فاطمة بسند ضعيف دون قوله الغنى ولمسلم من حديث سعد ان الله يحب العبد التقى الخفى اه قلت روى أحمد ومسلم من حديث سعد بن أبى وقاص ان الله يحب العبد التقى الغنى الخفى وروى ابن ماجه من حديث عمران ان الله يحب عبده المؤمن الغنى المتعفف وروى أحمد من حديث اسامة ابن زيد ان الله يبغض الفاحش المتفحش وروى أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى هريرة ان الله يبغض السائل الملحف (وقال ابن عباس) رضى الله عنهما (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث) خصال (من لم تكن فيه) خصلة واحدة منهن (فلا تعتدن) أى لاتعتبرن (بشئ من عمله تقوى) أى كف عن المحارم والشبهات (تحجزه عن معاصى الله) ومحارمه (وحلم يكف به أذى السفيه) فلا يرد عليه بمثل صنعه بل بالعفو والصفح واحتمال الاذى ونحو ذلك (وخلق) بضم اللام (يعيش به فى الناس)

ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولاتختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروى انه وفد على النبى صلى الله عليه وسلم الاشج فأناخ راحلته ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى مايصنع ثم أقبل يمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ان فيك يا أشج خلقين يحبهما الله ورسوله قال ماهما بأبى أنت وأمى يارسول الله قال الحلم والاناة فقال خلتان تخلقتهما أو خلقان جبلت عليهما فقال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحليم الحيى الغنى المتعفف أبا العيال التقى ويبغض الفاحش البذى السائل الملحف الغبى وقال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلاتعتدوا بشئ من عمله تقوى تحجزه عن معاصى الله عزوجل وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به فى الناس

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا أسىء الينا عفونا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين (الآثار) قال عمر رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال على رضى الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك و يعظم حلمك وان لا تباهى الناس بعبادة الله واذا أحسنت حمدت الله تعالى واذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم بن صيفى دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال أبو الدرداء أدركت الناس ورقا لاشوك فيه فأصبحوا شوكا لاورق فيه ان عرفتهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال على رضى الله عنه ان أوّل ما عوّض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ

بان تكون عنده ملكة يقتدر بها على مداراتهم ومسالمتهم ليسلم من شرهم قال العراقى رواه أبو نعيم فى كتاب الايجاز باسناد ضعيف والطبرانى من حديث أم سلمة باسنادلين وقد تقدم فى آداب الصحبة قلت ورواه البزار من حديث أنس بلفظ ثلاث من كن فيه فقد استوجب الثواب واستكمل الايمان خلق يعيش به فى الناس وورع يحجزه عن محارم الله تعالى وحلم يرده عن جهل الجاهل وفيه عبد الله ابن سليمان تكلم فيه وأخرجه البيهقى من حديث الحسن مرسلا بلفظ ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن كان الكلب خيرا منه ورع يحجزه عن محارم الله عزوجل أوحلم يرد به جهل جاهل أوحسن خلق يعيش به فى الناس (وقال صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع الخلائق يوم القيامة) وفى نسخة اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة (نادى مناد) من بطنان العرش (اين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير) أى قليل (فينطلقون سراعا الى الجنة) أى مسرعين اليها (فتتلقاهم الملائكة فيقولون) لهم (انا نرا كم سراعا الى الجنة) أى فما السبب فى ذلك (فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا) أى ظلمنا غيرنا (صبرنا) على ظلمهم (واذا أسىء الينا غفرنا) أى صفحنا عن اساءتهم (واذا جهل علينا حلمنا) أى قابلنا جهلهم بالحلم (فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين) قال العراقى رواه البيهقى فى الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقى فى اسناده ضعف *(الآثار)* (قال عمر رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديثه مرفوعا وقد ذكر فى أوّل هذا الباب وقد روى بنحوه مرفوعا من حديث أبى الدرداء وقد تقدم أيضا قريبا (وقال على رضى الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك و يعظم حلمك وان تباهى الناس بعبادة الله تعالى واذا أحسنت حمدت الله واذا أسأت استغفرت الله) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من قول أبى الدرداء فقال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن أبى سهل بن عبد الله بن محمد العبسى حدثنا أبو اسامة عن خالد بن دينار عن معاوية بن قرة قال قال أبو الدرداء ليس الخير أن يكثر مالك وولدك فساقه الا انه قال وان تبارى بدل تباهى (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب وأبو نعيم فى الحلية وقد روى بنحوه من حديث أبى الدرداء مرفوعا وقد تقدم قريبا (وقال اكثم بن صيفى) بن رياح بن الحرث بن مخاش بن معاوية بن شريق بن جردة بن أسيد ابن عمرو بن تميم التميمى الحكيم المشهور ذكره ابن السكن فى الصحابة والصحيح انه لم يلق النبى صلى الله عليه وسلم بل مات قبل وصوله اليه عطشا وانه أسلم وأوصى جماعة بالاسلام وكان من المعمرين عاش مائتين وسبعين سنة و يقال مائة وتسعين وأبوه صيفى أيضا من المعمرين وكانت له حكمة و بلاغة فمن جملة حكمه قوله (دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب والدعامة ما يدعم به الحائط اذا مال أى يسنده يمنعه من السقوط ومنه قيل للسيد فى القوم هو دعامة قومه كما يقال هو عمادهم فجعل الحلم دعامة للعقل يكون سببا لاستقامته وعدم زلته (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (أدركت الناس ورقا لاشوك فيه) أى نفع كله (وأصبحوا الآن شوكا لاورق فيه) أى شر كله (ان عرفتهم نقدوك) كما ينقد الدرهم والدينار (وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن شبل حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة حدثنا محمد بن قيس حدثنا مسعر عن عوف بن عبد الله عن أبى الدرداء قال من يتفقد يفقد ومن لا يعد الصبر لفواجع الامور يعجز ان قارضت الناس قارضوك وان تركتهم لم يتركوك فقال فما تأمرنى قال اقرض من عرضك ليوم فقرك (وقال على رضى الله عنه ان أوّل ما عوّض الحليم من حلمه ان الناس كلهم اعوانه على الجاهل) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ

العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معاوية لعمرو بن الاهتم أى الرجال أشجع قال من رد جهله بحلمه قال أى الرجال أسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال أنس بن مالك فى قوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه أخوه فيقول ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لى وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة فحلم على فاستعبدنى بها زمانا وقال معاوية لعرابة بن أوس بم سدت قومك يا عرابة قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسعى فى حوائجهم فمن فعل فعلى فهو مثلى ومن جاوزنى فهو أفضل منى ومن قصر عنى فأنا خير منه وسب رجل ابن عباس رضى الله عنهما فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل رأسه واستحى وقال رجل لعمر ابن عبد العزيز أشهد انك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك وعن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم أنه سبه رجل فرمى اليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشئ من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بينى وبين قوم منازعة فى أمر وانى أريد أن أتركه فأخشى أن يقال لى ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل ابن أحمد كان يقال من أساء فأحسن اليه فقد جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل اساءته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكننى أتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب

العبد مبلغ الرأى حتى يبلغ حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (وقال معاوية) رحمه الله تعالى (لعمرو بن الاهتم) بن سمى بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن زيد مناة بن تميم التميمى المنقرى كنيته أبو نعيم ويقال أبو ربعى له صحبة وكان خطيبا جميلا بليغا شاعرا شريفا فى قومه وكان يقال لشعره الحلل المنشرة وهو عم شبية بن سعد بن الاهتم والمرقل بن خاقان بن الاهتم وخالد بن صفوان بن عبد الله بن الاهتم وكلهم من البلغاء المشهورين (أى الرجال أشجع قال من رد جهله بحلمه قال أى الرجال أسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (وقال أنس بن مالك) رضى الله عنه (فى قوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة الى قوله عظيم) وتمام الآية كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم (هو الرجل يشتمه أخوه فيقول ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لى) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (وقال بعضهم شتمت فلانا) لرجل سماه (من أهل البصرة فحلم عنى) أى صفح عنى ولم يجازنى السيئة (فاستعبدنى بها زمانا) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (وقال معاوية) رحمه الله تعالى (لعرابة بن أوس) بن قيظى بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث الاوسى الحارثى قال ابن حبان له صحبة قال ابن سعد كان مشهورا بالجود وله أخبار مع معاوية وفيه يقول الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

الابيات (بم سدت قومك يا عرابة قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسعى فى حوائجهم فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى ومن جاوزنى فهو أفضل منى ومن قصر عنى فانا خير منه) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (وسب رجل) عبد الله (بن عباس) رضى الله عنه (فلما فرغ) الرجل من سبه (قال يا عكرمة) هو مولاه (هل للرجل حاجة فنقضيها له فنكس الرجل رأسه واستحيا) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (وقال رجل لعمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (أشهد انك رجل من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب وأبو نعيم فى الحلية (وعن على ابن الحسين بن على) بن أبى طالب رضى الله عنهم (انه سبه رجل فرمى اليه بخميصة) وهى كساء أسود مربع (كانت عليه وأمر له بالف درهم) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب وأبو نعيم فى الحلية (وقال بعضهم من جمع له خمس خصال محمودة الحلم) أى الصفح والعفو (واسقاط الاذى) أى ترك ما يؤذى به اخوانه (وتخليص الرجل مما يبعده عن الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشئ يسير) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (قال رجل لجعفر بن محمد) ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم (انه قد وقع بينى وبين قوم منازعة فى أمر واحد أريد أن أتركه فاخشى ان يقال ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (وقال الخليل بن أحمد) الفراهيدى امام أئمة النحو (كان يقال من أساء فاحسن اليه جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل اساءته) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (وقال الاحنف بن قيس) ابن معاوية بن حصين التميمى تابعى ثقة (لست بحليم ولكن أتحلم) أخرجه المزى فى التهذيب عن الحسن لكن قال أتحالم بدل أتحلم (وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (من يرحم يرحم ومن يصمت) أى يسكت فى كثير من الامور (يسلم عن الوبال ومن يجهل) أى يسطه على غيره (يغلب) أى يصير مغلوبا الا بعينه

ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسأل الله يفتقر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني أنك ذكرتني بسوء قال أنت إذاً أكرم علي من نفسي إني إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتي وقال بعض العلماء الحلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لأسبنك سبا يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لا معي ومر المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم إليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا قال نعم قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة فسري عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال أقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب وقال محمود الوراق

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب * وإن كثرت منه علي الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدره * وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن * إجابته عرضي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا * تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

(بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام)

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصي وإنما

القصاص

أحد (ومن يعجل) في الأمور (يخطئ) أي يقع في الخطأ (ومن يحرص على الشر لا يسلم) من الآفات (ومن لا يدع) أي لا يترك (المراء) أي المخاصمة مع الناس (يشتم ومن لا يكره الشتم يأثم) وفي بعض النسخ الشر بدل الشتم (ومن يكره الشر يعصم) من الوقوع فيه (ومن يتبع وصية الله يحفظ) من الهلاك (ومن يحذر الله يأمن) من العقاب (ومن يتول الله يمنع) جانبه (ومن لا يسأل الله يفتقر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر) بمراده أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (وقال رجل لمالك بن دينار) أبي يحيى البصري العابد (بلغني أنك ذكرتني بسوء قال أنت إذاً أكرم علي من نفسي إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتي) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال بعض العلماء الحلم أرفع) رتبة (من العقل لأن الله تعالى تسمى به) فإن من أسمائه الحليم ولا يسمى بالعاقل ولا يجوز إطلاقه عليه (وقال رجل لبعض الحكماء والله لأسبنك سبا يدخل معك في قبرك قال معك يدخل لا معي) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (ومر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال كل واحد منا ينفق مما عنده) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب ومن هنا قولهم كل إناء بما فيه يطفح أو ينضح أو يرشح (وقال لقمان) الحكيم لابنه يا بني (ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه) أخرجه القالي في أماليه عن العتبي قال بلغني أن لقمان كان يقول فذكره (ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم إليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا قال نعم قال فاحسب أن هذه) المرأة (مثل تلك الدجاجة فسري عن الرجل غضبه) أي كشف عنه وسكن (وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل ألم) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال أقمته مقام حجر تعثرت به وذبحت الغضب) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (وقال محمود الوراق) رحمه الله تعالى

(سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب * وإن كثرت منه علي الجرائم)
(وما الناس إلا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم)
(فأما الذي فوقي فأعرف قدره * وأتبع فيه الحق والحق لازم)
(وأما الذي دوني فإن قال صنت عن * إجابته عرضي وإن لام لائم)
(وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا * تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم)

(بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام)

(اعلم) وفقك الله تعالى (أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذا سائر المعاصي) حكمها أن لا تقابل بمثلها (وإنما

القصاص والغرامة على قدر ماورد الشرع به وقد فصلناه فى الفقه وأما السب فلا يقابل بمثله اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان ماقالا فهو على البادئ مالم يعتد المظلوم وقال المستبان شيطانان يتهاتران وشتم رجل أبا بكر الصديق رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر انك كنت ساكتا لما شتمنى فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لاجلس فى مجلس فيه الشيطان وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه وانما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعيير بمثله نهى تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصى به والذى يرخص فيه أن تقول من أنت وهل أنت الامن بنى فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل أنت الامن بنى هذيل وقال ابن مسعود وهل أنت الامن بنى أمية ومثل قوله ياأحمق قال مطرف كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس أقل حماقة من بعض وقال ابن عمر فى حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى فى ذات الله تعالى وكذلك قوله ياجاهل اذ مامن احد الا وفيه جهل فقد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله ياسيئ الخلق ياصفيق الوجه ياثلابا للاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء لما تكلمت وما أحقرك فى عينى بما فعلت وأخزاك الله وانتقم منك فأما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روى انه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعنى أن يأثم بعضنا فى بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له ان يقوله والدليل على جواز ماليس

القصاص والغرامة على ماورد الشرع به وفصلناه فى الفقه) فى الكتب الاربعة البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة (وأما السب فلا يقابل بمثله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه) رواه أحمد من حديث جابر بن سليم أبى جرى الجهيمى وقد تقدم فى آفات اللسان (وقال) صلى الله عليه وسلم (المستبان شيطانان يتهاتران) رواه أحمد من حديث عياض بن حمار وقد تقدم (وقال) صلى الله عليه وسلم (المتسابان ماقالا فهو على البادئ مالم يعتد المظلوم) رواه أحمد ومسلم من حديث أبى هريرة بلفظ حتى يعتدى وتقدم بلفظ مالم يتعد المظلوم (وشتم رجل أبا بكر) رضى الله عنه فى مجلس النبى صلى الله عليه وسلم (وهو ساكت) لا يتكلم (فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر (انك كنت ساكتا لما شتمنى فلما تكلمت قمت) هلاسبب (قال) صلى الله عليه وسلم لان الملك كان يجيب عنك مادمت ساكتا (فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان) فلم أكن لاجلس فى مجلس فيه الشيطان قال العراقى رواه أبو داود من حديث أبى هريرة متصلا ومرسلا قال البخارى المرسل أصح (وقال قوم) من أهل العلم (تجوز المقابلة بما لا كذب فيه و) أجابوا عن حديث جابر بن سليم بان (نهيه صلى الله عليه وسلم عن التعيير بمثله نهى تنزيه) لا نهى تحريم (والافضل تركه ولكنه) اذا أتى به (لا يعصى والذى يرخص فيه أن يقول من أنت) أو من تكون أنت أو ما الذى يقال لك (وهل أنت الامن بنى فلان) ينسبه لقبيلته التى هو منها الا ان كانت القبيلة مما ينبز باللؤم كباهلة وسلول وهيثم (كما قال سعد) بن أبى وقاص الزهرى (لابن مسعود) رضى الله عنهما فى كلام جرى بينهما (وهل أنت الامن هذيل) وهو ابن مدركة بن الياس بن مضر (فقال ابن مسعود وهل أنت الا ابن أمية) تصغير أمة وهى الجارية فقد ذكر ابن قتيبة فى المعارف زهرة امرأة ينسب اليها ولدها دون الاب هكذا قال ولا أعلم أحدا وافقه عليها وشيوخ النسب متفقون على انه اسم رجل فان صحت النسخة ففيه تقوية لقول صاحب المعارف ووجد فى بعض النسخ وهل أنت الامن بنى أمية فيكون اشارة الى أمه فانها حمرة بنت سفيان بن أمية بنت عم أبى سفيان بن حرب بن أمية (ومثله قوله ياأحمق قال مطرف) بن عبد الله التابعى الثقة (كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس أقل حماقة من بعض) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (وقال ابن عمر) رضى الله عنه (فى حديث طويل) رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم وفيه (حتى ترى الناس كلهم حمقى فى ذات الله) عز وجل وقد تقدم فى العلم (وكذلك قوله ياجاهل اذ مامن أحد الا وفيه جهل) فى أمور دينية أو دنيوية (فقد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله ياسيئ الخلق) أو ياضيق الخلق أو (ياصفيق الوجه) أى رقيقه أو (ياثلابا للاعراض) أى وقاعا فيها (وكان ذلك فيه) موجودا (وكذلك قوله لو كان فيك حياء) أو شئ من الحياء أو لو كنت تستحى من الله (ماتكلمت) بكذا (وما أحقرك فى عينى بما) عملت أو (فعلت وأخزاك الله) بما يليق بك أو جزاؤك على الله يابعيد (وانتقم منك) بعدله (فاما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روى انه كان بين خالد بن الوليد) ابن المغيرة أبو سليمان المخزومى (وسعد) بن أبى وقاص الزهرى رضى الله عنهما (كلام فذكر رجل خالدا) بسوء (عند سعد فقال سعد مه) أى اسكت (ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعنى ان يأثم بعضنا فى بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز ان يقوله) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (والدليل على جواز ماليس

بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا والفحش والسب ما روت عائشة رضى الله عنها أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن اليه فاطمة فجاءت
فقالت يارسول الله أرسلني اليك أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم نائم فقال يابنية أتحبين ما أحب قالت
نعم قال فاحبي هذه فرجعت اليهن فاخبرتهن بذلك فقلن ما أغنيت عنا شيأ فأرسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تساميني في الحب
فجاءت فقالت بنت أبي بكر و بنت أبي بكر فمازالت تذكرني وأنا ساكتة أنتظر أن يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في

الجواب فأذن لي فسببتها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا انها ابنة أبي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام قط وقولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما حتى يعتدي المظلوم فأثبت للمظلوم انتصارا الى أن يعتدي فهذا القدر هو الذي أباحه هؤلاء وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه السابق ولا تبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجره الى ما وراءه ولا يمكنه الاقتصار على قدر الحق فيه والسكوت عن أصل الجواب لعله أيسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس في الغضب أربعة فبعضهم

كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو بتلك
الاحمد مالم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر المؤمن سريع الغضب سريع الرضا
فهذه بتلك وقال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقد قال أبو سعيد الخدري قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك

بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا والفحش ما روت عائشة رضى الله عنها أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن اليه فاطمة) رضى الله عنها (فجاءت فقالت يارسول الله أرسلني أزواجك يسألنك العدل) أي التسوية (في ابنة أبي قحافة) تعني عائشة بنت أبي بكر نسبتها الى جدها (والنبي صلى الله عليه وسلم نائم) أي مضطجع (فقال يابنية أتحبين ما أحب قالت نعم قال فأحبي هذه) يعني عائشة وكان ذلك في بيتها (فرجعت اليهن وأخبرتهن بذلك فقلن ما أغنيت عنا شيأ فأرسلن زينب بنت جحش) أم المؤمنين الاسدية وأمها عمة النبي صلى الله عليه وسلم اميمة (قالت) عائشة (وهي التي كانت تساميني في الحب) أي تغالبني (فجاءت فقالت بنت أبي بكر و بنت أبي بكر فمازالت تذكرني) وتعدد علي (وأنا ساكتة أنتظر أن يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب) فأذن لي (فسببتها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا) حرف ردع وزجر (انها ابنة أبي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام) والمقاومة في الكلام المغالبة رواه مسلم في الصحيح (وقولها) رضى الله عنها (سببتها ليس المراد به الفحش) في الكلام المنهي عنه (بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق) بدليل انه بحضرته صلى الله عليه وسلم وباذنه (وقال النبي صلى الله عليه وسلم المستبان على ما قالا حتى يعتدي المظلوم) رواه أحمد ومسلم من حديث أبي هريرة وتقدم للمصنف في آفات اللسان بلفظ مالم يعتدي المظلوم (فأثبت للمظلوم انتصارا الى أن يعتدي) أي يتجاوز عن الحد الشرعي المأذون فيه (فهذا القدر هو الذي أباحه هؤلاء) الذين أجازوا المقابلة (وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه السابق ولا تبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجر الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار على مقدار الحق فيه) فمن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه (والسكوت عن أصل الجواب لعله أيسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه) فتركه أروح للخاطر (ولكن في الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فور الغضب) وحدته (ولكن يعود سريعا) الى الرضا (ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يحقد في الدوام) أي يمسك البغضاء في قلبه (والناس في الغضب أربعة فبعضهم كالحلفاء) وزان الحراء نبات معروف الواحدة حلفاة (سريع الوقود) لخفته ورخاوته (سريع الخمود) أي السكون فيصير كلا شئ (وبعضهم كالغضى) مقصور شجر من أشجار الجبال خشبه من أصلب الخشب ولهذا يكون في فحمه صلابة (بطيء الوقود) لصلابته فلا تؤثر النار فيه سريعا (بطيء الخمود) تبقى ناره مدة لا تنطفئ ولذلك قال الشاعر

فسقى الغضى والساكنيه وانهم * شبوه بين جوانحي وبأضلعي

(وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الاحمد مالم ينته الى فتور الحمية و) ضعف (الغيرة) الدينية (وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك) تقدم ذلك (وقال الشافعي رضى الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان) أخرجه الابدي والبيهقي وأبو نعيم كلهم في مناقبه بأسانيدهم (وقد قال أبو سعيد الخدري) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ان بني آدم خلقوا على طبقات منهم بطيء الغضب سريع الفيء) أي الرجوع (ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك

بتلافيومنهم سريع الغضب بطيء الفيء ألاوان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل انسان وجب على السلطان أن لا يعاقب أحدا في حال غضبه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه ربما يكون متغيظا عليه فيكون متشفيا بالغيظه ومريحا نفسه من ألم الغيظ فيكون صاحب حظ فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه * ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته قال لانه أغضبني ولو عزرته لكان ذلك اغضبي لنفسي ولم أحب أن أضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا أنك أغضبتني لعاقبتك * (القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق) * اعلم أن الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية أمور * الاول الحسد وهو أن يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان أصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين وسيأتي ذمه ان شاء الله تعالى * الثاني أن تزيد على اضمار الحسد في الباطن وتشمت بما أصابه من البلاء * الثالث أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك وأقبل عليك * الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استصغارا له * الخامس أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره * السادس أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه * السابع ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه * الثامن أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم او رد مظلمة وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله به ولكن تستثقله في الباطن ولا ينتهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له أو بترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب الله ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح وكان قريبه لكونه

بتلاف ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء ألاوان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء) قد تقدم ذلك (ولما كان الغضب في الحال يهيج ويؤثر في كل انسان وجب على السلطان أن لا يعاقب أحدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب) أي يتجاوز القدر الواجب في معاقبته (ولانه يكون) في هذه الحالة (مشفيا غيظه ومريحا نفسه فيكون صاحب حظ فيه وينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله لا لنفسه) فقد روى انه (رأى عمر رضي الله عنه سكرانا فأراد أن يأخذه ويعزره) تعزيرا شرعيا (فشتمه السكران) واستطال بلسانه عليه (فرجع عمر) عن أخذه (فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته قال لانه أغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم أحب ان أضرب مسلما حمية لنفسي) أخرجه الاسماعيلي في مناقب عمر (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (لرجل أغضبه لولا انك أغضبتني لعاقبتك) أخرجه أبو نعيم في الحلية

(القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق)

(اعلم) هداك الله (ان الغضب اذا لزم كظمه) أي كفه وحبسه (لعجز عن التشفي) بالمغضوب عليه (في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه) أي احتبس فصار حقدا (ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقى) ولذا قالوا في تعريفه هو الانطواء على العداوة والبغضاء (وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود) تقدم في كتاب العلم (فالحقد ثمرة الغضب) ونتيجته (والحقد يثمر ثمانية أمور الاول الحسد) محركة (وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة أصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين أعني الحسد) لمخالفة الظاهر فيه الباطن (وسيأتي ذمه) قريبا (الثاني ان تزيد على أصحاب الحسد في الباطن فيشمت) أي يفرح (بما يصيبه من البلاء الثالث أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك وأقبل عليك) بالملاطفة (الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استصغارا له) أي استحقارا واستذلالا (الخامس أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره السادس ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه السابع ايذاؤه بالضرر وما يؤلم بدنه الثامن ان تمنعه حقه من صلة رحم أو قضاء دين أو رد مظلمة وكل ذلك حرام لا يحل لو تركابه وأقل درجات الحقد ان تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله به ولكن تستثقله بالباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة له أو بترك الدعاء له أو الثناء عليه) في المجالس (والتحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب) اليم (ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه (ان لا ينفق على مسطح) بن اثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف (وكان قريبه) لان أم

نزل قوله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه والاولى أن يبقى على ما كان عليه فان أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال المقربين فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة * أحدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل * الثاني أن يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل * الثالث أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجات الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان

(فضيلة العفو والاحسان)

اعلم ان معنى العفو أن يستحق حقا فيسقطه و يبرئ عنه من قصاص أو غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك أفردناه قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال الله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث والذي نفسي بيده لو كنت حلافا لحلفت عليهن ما نقص مال من صدقة

مسطح بنت خالة أبي بكر مطلبية أسلمت قديما وكان أبو بكر يمونه لاجل قرابته (لما تكلم في واقعة الافك) وخاض معهم في أمر عائشة (نزل قوله تعالى ولا يأتل) أي لا يحلف (أولوا الفضل منكم والسعة) ان يؤتوا أولي القربى (الى قوله ألا تحبون ان يغفر الله لكم فقال أبو بكر بل نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه) رواه عبد الرزاق وأحمد والبخاري وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب كلهم من حديث عائشة الطويل وفيه لما أنزل الله في براءتي قوله ان الذين جاؤا بالافك العشر الآيات كلها قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيأ أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله ولا يأتل أولو الفضل الى قوله رحيم قال أبو بكر بلى والله اني أحب ان يغفر الله لي فرجع الى النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا وروى البخاري والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في هذا الحديث قالت فحلف أبو بكر ان لا ينفع مسطحا بنافعة أبدا فأنزل الله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة يعني أبا بكر ان يؤتوا أولي القربى والمساكين يعني مسطحا الى قوله ألا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم قال أبو بكر بلى والله انا نحب ان يغفر الله لنا وعاد له بما كان يصنع وروى البخاري وسعيد بن منصور وابن المنذر من حديث رومان قالت وكان فيمن حدث الحديث رجل كان يجديه أبو بكر فحلف أبو بكر أن لا يصله فأنزل الله ولا يأتل أولو الفضل الآية وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس وكان أبو بكر يعطي مسطحا أو يصله ويبره فحلف لا يعطيه فنزل ولا يأتل الآية وروى الطبراني وابن مردويه من حديث ابن عمر فبعث أبو بكر الى مسطح لا وصلتك بدرهم أبدا ولا عطفت عليك بخير أبدا ثم طرده وأخرجه من منزله فنزل القرآن ولا يأتل الى آخر الآية وروى ابن أبي حاتم والطبراني عن سعيد بن جبير كان مسطح من المهاجرين الاولين وكان ابن خالة أبي بكر وكان يتيما في حجره فلما حلف أبو بكر أن لا يصله نزلت في أبي بكر ولا يأتل أي لا يحلف أولو الفضل منكم يعني في الغنى والسعة يعني في الرزق أن يؤتوا أولي القربى يعني مسطحا قرابة أبي بكر وابن خالته والمساكين يعني مسطحا كان مسكينا والمهاجرين في سبيل الله يعني مسطحا وليعفوا وليصفحوا يعني ليتجاوزوا عن مسطح ألا تحبون الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم أما تحب ان يغفر الله لك قال بلى يا رسول الله قال فاعف واصفح فقال أبو بكر قد عفوت وصفحت لا أمنعه معروفا بعد اليوم (فالاولى ان يبقى على ما كان عليه فان أمكنه ان يزيد في الاحسان) والصلة (مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال المقربين فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة أحدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه) سواء (من غير زيادة ونقصان وهو العدل) لما فيه من المساواة (والثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل والثالث ان يظلمه بما لا يستحقه) فيأخذ منه فوق حقه (وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل) وهم اللئام من الناس (والثاني هو اختيار الصديقين) ولذلك عفا أبو بكر عن مسطح ووصله بالبر وأحسن اليه بعد العفو (والاول هو منتهى درجة الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان) وما أعد الله لصاحبهما من الثواب والغفران

(فضيلة العفو)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان معنى العفو ان تستحق حقا فتسقطه وتبرأ عنه من قصاص أو غرامة) يقال غرمت الدية والكفالة اذا أديته بعد ما لزمك غرما ومغرما وغرامة (وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك أفردناه وقد قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف الآية) وقد تقدم الكلام عليه في آداب الصحبة (وقال تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث) خصال (والذي نفسي بيده ان كنت حالفا لحلفت عليهن) أي على حقيقتهن (ما نقصت صدقة من مال) كذا

فى النسخ والمعنى مانقص مال من صدقة فانه وان نقص فى الدنيا فنفعه فى الآخرة باق فكأنه مانقص وليس معناه ان المال لا ينقص حسا قال ابن عبد السلام ولأن الله يخلف عليه لان هذا معنى مستأنف (فتصدقوا) ولا تبالوا بالنقص الحسى (ولا عفا رجل عن مظلمة) ظلمها (فيبتغى بها وجه الله الازاده الله بها عزا يوم القيامة ولا فتح رجل) على نفسه (باب مسئلة) فيسأل الناس و يظهر لهم الفقر والحاجة وهو بخلاف ذلك (الافتح الله عليه باب فقر) لم يكن له فى حساب بان يسلط على مافى يده من الاموال فيتلفها حتى يعود فقيرا محتاجا على حالة أسوأ مما أذاع عن نفسه جزاء على فعله ولا يظلم ربك أحدا رواه ابن أبى الدنيا هكذا فى ذم الغضب من حديث عبد الرحمن بن عوف وفى رواية له ثلاث اقسم عليهن مانقص مال قط من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة ظلمها الا زاده الله بها عزا فاعفوا يزدكم الله ولا فتح رجل على نفسه باب مسئلة يسأل الناس الافتح الله عليه باب فقر وقال العراقى رواه الترمذى من حديث أبى كبشة الانمارى وقال حسن صحيح ولمسلم وأبى داود نحوه من حديث أبى هريرة انتهى قلت لفظ حديث أبى كبشة ثلاث اقسم عليهن مانقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الازاده الله عز وجل عزا ولا فتح عبد باب مسئلة الافتح الله عليه باب فقر وأحدثكم حديثا فاحفظوه انما الدنيا لاربعة نفر فذكر حديثا طويلا وقد رواه أحمد بطوله فى مسنده وحديث أبى هريرة الذى أشار اليه العراقى لفظه ثلاث اعلم انهن حق ماعفا امرؤ عن مظلمة الازاده الله بها عزا ولا فتح رجل على نفسه باب مسئلة فيبتغى بها كثرة الازاده الله بها فقرا وما فتح رجل على نفسه باب صدقة يبتغى بها وجه الله تعالى الا زاده الله كثرة وقد رواه كذلك البيهقى (وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الارفعة) فى الدنيا لانه بالتواضع لهم يعظم فى القلوب وترتفع منزلته فى النفوس (فتواضعوا يرفعكم الله) تعالى فى الدنيا بوضع القبول فى القلوب واعظام المنزلة فى الصدور وفى الآخرة بتكثير الاجر واعظام القدر كما ذكره العلائى وغيره فحمله على الدنيا فقط أو على الآخرة فقط فى الثلاثة غير سديد (والعفو لا يزيد العبد الا عزا) لان من عرف بالعفو ساد وعظم فى القلوب فهو على ظاهره أو المراد عزه فى الآخرة بكثرة الثواب وترك العقاب (فاعفوا يعزكم الله) فى الدارين (والصدقة لا تزيد المال الا كثرة) بمعنى انه يبارك فيه وتندفع عنه المفسدات فينجبر نقص الصورة بذلك (فتصدقوا يرحمكم الله) أى يضاعف عليكم رحمته باضعافه لكم أجرها قالوا وهذا من جوامع الكلم رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب من حديث محمد بن عمير العبدى وقال العراقى رواه أبو الشيخ الاصبهانى فى الترغيب والترهيب والديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (وقالت عائشة رضى الله عنها مارأيت) أى ماعلمت (رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا) أى منتقما (من مظلمة) بفتح اللام والميم ماأخذ أونيل من معصوم عدوانا سواء كانت فى البدن أو العرض أو المال أو الاختصاص (ظلمها) المنصوب على الاول مفعول مطلق وعلى الثانى مفعول به وظلم يتعدى لمفعولين كما فى القاموس خلافا لمن زعم قصره على واحد فقد ظلم بها (قط) وانما لم ينتقم صلى الله عليه وسلم منها مع ان مرتكبها قد باء باثم عظيم لانه حق آدمى يسقط بعفوه بخلاف حقوق الله تعالى التى ذكرها بقوله (مالم تنتهك محارم الله تعالى) أى ترتكب والمحارم جمع محرم أى شئ حرمه الله على عباده فان قلت مظلمته صلى الله عليه وسلم ايذاءله وايذاؤه كفر وهو حينئذ حق الله تعالى فكيف يسقط بعفوه قلت لا نسلم ان مطلق ايذائه كفر ألا ترى فيمن جذب رداءه حتى أثر فى عنقه فعفا عنه وأعطاه حمل بعير به والحاصل ان ايذاءه لا يصدر الا من مسلم جاف وهذا له نوع عذر فلم يكفر وعفا عنه أو من منافق وقد أمر بتحمل أذاهم لئلا ينفر الناس عنه أو من كافر معاهد فصلحة تألفه اقتضت عدم مؤاخذته بجريمته أو من حربى وهو غير ملتزم للاحكام (فاذا انتهك من محارم الله شئ كان أشدهم غضبا) فينتقم لمن ارتكب ذلك لما علمت انه لا يقبل العفو ومن المحارم التى ينتقم بها

فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغى بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة الافتح الله عليه باب فقر وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة رضى الله عنها مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط مالم ينتهك من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شئ كان أشدهم فى ذلك غضبا

ولا يعفو عنها حق الآدمي اذا هم في طلبه وفي الحث على العفو والحلم واحتمال الاذى والانتصار لدين الله تعالى وانه ليس لكل ذي ولاية التخلق بهذا الخلق الكريم فلا ينتقم لنفسه ولا يهمل حق الله تعالى على انهم قد أجمعوا انه لا يجوز للقاضي ان يقضي لنفسه ولا لمن تقبل شهادته له كابيه وابنه ولا ينافي هذا الحديث أمره صلى الله عليه وسلم بقتل ابن خطل ونحوه ممن كان يؤذيه لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى أوان عفوه انما كان في غير ذنب يكفر به مرتكبه كمن رفع صوته عليه ومن جذبه بردائه حتى أثر في رقبته بخلاف أولئك فانهم كفر وابايذائه فلم يمكنه العفو عنهم ومن ثم اقتص صلى الله عليه وسلم ممن نال من عرضه (وما خير) صلى الله عليه وسلم (بين أمرين الاختار أيسرهما) امابان يخيره الله تعالى فيما فيه عقوبتان فيختار الاخف أوفي قتال الكفار وأخذ الجزية فيختار أخذها أوفي حق أمته في المجاهدة في العبادة والاقتصاد فيختار الاقتصاد وامابان يخيره المنافقون أو الكفار فعلى هذا يتصور قوله (مالم يكن مأثما) أي اثما كما في رواية البخاري وفيها أيضا فان كان اثما كان أبعد الناس منه وفي رواية الطبراني مالم يكن لله فيه سخط وعلى الاول يكون الاستثناء منقطعا اذلا يتصور تخيير الله تعالى الابين جائزين رواه الترمذي في الشمائل واللفظ له رواه البخاري ومسلم والحاكم والطبراني بنحوه وعند الحاكم مالعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما بذكر وماضرب بيده شيأ قط الاان يضرب في سبيل الله ولا سئل شيأ قط فمنعه الاان يسئل مأثما ولا انتقم لنفسه من شئ الاان تنتهك حرمات الله تعالى فيكون لله فينتقم (وقال عقبة بن عامر) الجهني رضي الله عنه (لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبدرته فأخذت بيده أو بدرني فاخذ بيدي فقال ياعقبة الا أخبرك بافضل اخلاق أهل الدنيا والآخرة) قلت نعم فقال (تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في مكارم الاخلاق والبيهقي في الشعب باسناد ضعيف وقد تقدم قلت وقد روى أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك وقد تقدم أيضا (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى) عليه السلام (يارب أي عبادك أعز عليك قال الذي اذا قدر عفا) قال العراقي رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة (ولذلك سئل أبو الدرداء) رضي الله عنه (من أعز الناس قال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله) وروي نحو ذلك من حديث عبد الرحمن بن عوف رواه ابن أبي الدنيا وقد ذكر قريبا (وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة) ظلمها (فامره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن يأخذ له بمظلمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المظلومين) في الدنيا (هم المفلحون) أي الفائزون (يوم القيامة) بالاجر الجزيل والنجاة من النار ورفع الدرجات والانتقام لهم ممن ظلمهم والاخذ بثارهم ممن بغى عليهم (فابى أن يأخذها حين سمع الحديث) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو عن أبي صالح الحنفي مرسلا قلت ورواه كذلك في كتاب ذم الغضب ورستة في كتاب الايمان وأبو صالح الحنفي هو عبد الرحمن بن قيس تابعي جليل (وقالت عائشة) رضي الله عنها (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر) أي أخذ من عرض الظالم فنقص من ثواب المظلوم بحسبه ففيه اخبار بان من انتصر ولو بلسانه فقط استوفى حقه فلا اثم عليه ولا أجر له فالحديث تعريض بكراهة الانتصار وندب العفو ليصير أجره على الله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور رواه ابن أبي شيبة والترمذي وأبو يعلى وابن أبي الدنيا في ذم الغضب قال الترمذي في العلل انه سئل عنه البخاري فقال لا اعلم أحدا رواه غير أبي الاحوص لكن هو من حديث أبي حمزة وضعف أبا حمزة جدا (وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يامعشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض) قال العراقي

وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما وقال عقبة لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فابتدرته فأخذت بيده أو بدرني فأخذ بيدي فقال ياعقبة الا أخبرك بافضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم قال موسى عليه السلام يارب أي عبادك أعز عليك قال الذي اذا قدر عفا وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن يأخذ له بمظلمته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيامة فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يامعشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال ماتقولون وماتظنون فقالوا نقول أخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما

قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعن سهيل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يامعشر قريش ماتقولون وماتظنون قال قلت يارسول الله نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن عم رحيم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل ومن ذا الذي له على الله أجر قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا ألفا فيدخلونها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي أمر أن يؤتى بحد الا أقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الآية

رواه أبو سعد أحمد بن ابراهيم المقري في كتاب التبصرة والتذكرة بلفظ ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة ياأمة محمد ان الله تعالى يقول ما كان لي قبلكم وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي واسناده ضعيف ورواه الطبراني في الاوسط بلفظ ينادي مناد يا أهل الجمع تتاركوا المظالم بينكم وثوابكم علي وله من حديث أم هانئ ينادي مناد يا أهل التوحيد ليعف بعضكم عن بعض وعلي الثواب وهو ضعيف أيضا (وعن أبي هريرة) رضي الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال ماتقولون وماتظنون فقالوا نقول أخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وفي ذم الغضب ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الوفاء وفيه ضعف قاله العراقي قلت ورواه بهذا السياق البيهقي في دلائل النبوة (وعن سهيل بن عمرو) بن عبد شمس بن عبد ود العامري أحد اشراف قريش وخطبائهم وكان أعلم الشفة وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية وكلامه ومراجعته للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك في الصحيحين وغيرهما مات بالشام في طاعون عمواس (قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على بابي الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يامعشر قريش ماتظنون وماتقولون قال سهيل قلت يارسول الله نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) قال العراقي لم أجده قلت بل رواه أحمد بن زنجويه في كتاب الاموال من طريق ابن أبي حسين قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل البيت ثم خرج فوضع يده على عضادتي الباب فقال ماذا تقولون فقال سهيل ابن عمرو نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم وفي الباب عبد الله بن عمرو وابن عباس أما حديث ابن عمرو فقد أخرجه أبو الشيخ الاصبهاني عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة التفت الى الناس فقال ماتقولون وماتظنون فقالوا ابن عم كريم فقال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وأما حديث ابن عباس فأخرجه ابن مردويه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا أهل مكة ماذا تظنون ماذا تقولون قالوا نظن خيرا ونقول خيرا ابن عم كريم قد قدرت قال فاني أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين والتثريب هو التعيير (وعن أنس) رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي أجره على الله قال العافون عن الناس فقام كذا وكذا ألفا فدخلوها بغير حساب) قال العراقي رواه الطبراني في مكارم الاخلاق وفيه الفضل بن يسار ولا يتابع على ذلك حديثه اهـ قلت وروى ابن عساكر من حديث علي ينادي مناد يوم القيامة من بطنان العرش الا فليقم من كان أجره على الله فلا يقوم الا من عفا عن أخيه (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي أمر أن يؤتى بحد من حدود الله تعالى (الا أقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا) قال العراقي رواه أحمد والحاكم وصححه وتقدم في آداب الصحبة (وقال جابر) بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث) أي ثلاث خصال (من جاء بهن مع الايمان دخل من أي أبواب

وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من أي أبواب

الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من أدى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة قل هو الله أحد عشر مرات وعفا عن قاتله قال أبو بكر أو احداهن يارسول الله قال أو احداهن (٤٢) (الآثار) قال ابراهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا أراد الله ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك أن تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظلمت تدعو على من ظلمك فان الله تعالى يقول ان آخر يدعو عليك بانك ظلمته فان شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وان شئت أخرتكما الى يوم القيامة فيسعكما عفوي وقال مسلم ابن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه أسرع اليه من دعائك عليه الا أن يتداركه بعمل وقمن أن لا يفعل وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادي من كان له عند الله شئ فليقم فيقوم أهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وعن هشام بن محمد قال أتي النعمان بن المنذر برجلين قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما فعفا عنه والآخر أذنب ذنبا خفيفا فعاقبه وقال تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب بفضلها ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها الا ليعرف حلمها ويخاف شدة نكلها وعن مبارك بن فضالة قال أوفد سوار بن عبد الله

الجنة شاء) أي يخير في دخول أيها شاء (وزوج) بالبناء للمفعول أي زوجه الله (من الحور العين) في الجنة (حيث شاء من أدى دينا خفيا) الى مستحقه بان لم يكن عالما به كان ورثه من أبيه ولم يشعر به (وقرأ في دبر كل صلاة) مكتوبة من الخمس كما في رواية (قل هو الله أحد) أي سورتها (عشر مرات وعفا عن قاتله) بان ضربه ضربا قاتلا فعفا عنه قبل موته قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط وفي الدعاء بسند ضعيف اهـ قلت ورواه أيضا أبو يعلى في مسنده وابن السني في عمل اليوم والليلة وأبو نعيم في الحلية في ترجمة بشر بن منصور كلهم من طريق عمر بن نبهان عن أبي راشد عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمر بن نبهان ضعيف جدا وقيل متروك وعند أبي يعلى زيادة في آخر الحديث (فقال أبو بكر أو احداهن يارسول الله قال أو احداهن) وروى ابن عساكر من حديث ابن عباس بلفظ ثلاث من كن فيه أو واحدة منهن فليتزوج من الحور العين حيث شاء رجل ائتمن على امانة فاداها مخافة الله عز وجل ورجل خلى عن قاتله ورجل قرأ في دبر كل صلاة قل هو الله أحد عشر مرات واسناده ضعيف أيضا

(الآثار) (قال ابراهيم) بن يزيد (التيمي) الكوفي (ان الرجل ليظلمني فارحمه) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو (وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب) فهذا سبب رحمته عليه (وقال بعضهم اذا أراد الله أن يتحف عبدا قيض له) أي سلط عليه (من يظلمه) أخرجه ابن أبي الدنيا أي فاذا ظلمه وصبر على مظلمته ولم ينتصر منه كان سببا للمزيد الاجور له (ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (فجعل يشكو اليه رجلا) قد (ظلمه ويقع فيه) أي يتكلم فيه بالسوء (فقال له عمر انك أن تلقى الله ومظلمتك كما هي) باقية (خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها) أي أخذت اقتصاصها أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال يزيد بن ميسرة) الحضرمي أخو عبد الرحمن (ان ظلمت تدعو على من ظلمك فان الله يقول ان آخر يدعو عليك انك ظلمته فان شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وان شئتما أخرتكما الى يوم القيامة فاوسعكما عفوي) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو (وقال مسلم بن يسار) البصري نزيل مكة أبو عبد الله الفقيه ثقة عابد مات سنة مائة روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه (لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه أسرع عليه من دعائك الا أن يتداركه بعمل) صالح (وقمن أن لا يفعل) فيكون هلاكه منه أخرجه ابن أبي الدنيا (وعن ابن عمر عن أبي بكر) رضي الله عنهما (انه قال بلغنا ان الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادي من كان له عند الله شئ فليقم فيقوم أهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس هكذا أخرجه ابن أبي الدنيا وهذا حكم المرفوع فان الصحابي اذا قال بلغنا فانما يعني به عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي الاحاديث المرفوعة مما تقدم بعضها يشهد لهذا الاثر (وقال هشام بن محمد) بن السائب الكلبي أبو المنذر قال الذهبي في الضعفاء قال الدارقطني وغيره متروك (أتي النعمان بن المنذر) الغساني من بني ماء السماء (برجلين أحدهما قد أذنب ذنبا عظيما فعفا عنه والآخر أذنب ذنبا صغيرا فعاقبه وقال

تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب بفضلها * ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها
الا ليعرف حلمها * ويخاف شدة نكلها

أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو (وعن مبارك بن فضالة) البصري صدوق يدلس روى له البخاري تعليقا وأبو داود والترمذي وابن ماجه (قال أوفدني) أي أقدمني (سوار بن عبد الله) بن قدامة التميمي العنبري البصري قاضي البصرة صدوق محمود السيرة تكلم فيه الثوري لدخوله في القضاء وحفيده سوار

ابن

فى وفد من أهل البصرة الى أبى جعفر قال فكنت عنده اذ أتى برجل فأمر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر فقلت يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن قال وماهو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيامة جمع الله عزوجل الناس فى صعيد واحد حيث يسمعهم الداعى وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادى من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لقد سمعته من الحسن فقلت والله لسمعته منه فقال خلينا عنه وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروى أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب أرأيت ذا القرنين أكان نبيا فقال لا ولكنه انما أعطى ما أعطى بأربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر عفا وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعنى الحقد والغضب وأتى هشام برجل بلغه عنه أمر فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم أيضا فقال الرجل يا أمير المؤمنين قال الله عزوجل يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها أفنجادل الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلاما قال هشام بلى ويحك تكلم وروى ان سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه من أعدائنا فقال بل أستر عليه لعل الله يستر على يوم القيامة وجلس ابن مسعود فى السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت فى عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعى فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون اللهم اقطع يد السارق الذى أخذها اللهم افعل به كذا فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه وقال الفضيل

ابن عبد الله بن سوار قاضى الرصافة ثقة روى له أبو داود والترمذى والنسائى (فى وفد) أى جماعة (من أهل البصرة الى أبى جعفر) عبد الله العباسى (فكنت عنده اذ أتى برجل فامر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر فقلت يا أمير المؤمنين الا أحدثك حديثا سمعته من الحسن) يعنى البصرى (قال وماهو قال سمعته يقول اذا كان يوم القيامة جمع الله الناس فى صعيد واحد حيث يسمعهم الداعى وينفذهم البصر فيقوم مناد فيقول من له عند الله تعالى يد فليقم فلا يقوم الا من عفا) عن أخيه فى مظلمة (فقال والله لسمعته من الحسن فقلت والله لسمعته منه فقال خليا عنه) وفى نسخة خلينا عنه أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب العفو (وقال معاوية) رحمه الله تعالى (عليكم بالحلم والاحتمال) أى احتمال الاذى (حتى تمكنكم الفرصة فاذا أمكنتكم) الفرصة وقدرتم على الانتقام (فعليكم بالصفح والافضال) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب العفو (روى ان راهبا) من عباد بنى اسرائيل (دخل على هشام بن عبد الملك) بن مروان أيام خلافته (فقال للراهب أرأيت ذا القرنين) المذكور قصته فى القرآن (كان نبيا فقال لا) لم يكن نبيا (ولكنه) كان رجلا صالحا (انما أعطى ما أعطى بأربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا) ولم ينتقم لغضبه (واذا وعد) أحدا بشئ (وفى) بما وعده (واذا حدث صدق) فى حديثه ولم يكذب (ولا يجمع شغل اليوم لغد) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب العفو (وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فعفا حتى اذا) أمكنته الفرصة و(قدر) عليه (انتقم) منه (ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا) عنه أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب العفو (وقال زياد بن عبد الله) النميرى البصرى روى له الترمذى وقد ضعف (القدرة تذهب الحفيظة يعنى الحقد والغضب) وهو اسم من أحفظه اذا اغضبه يعنى اذا قدر على من أغضبه وتمكن من الانتقام منه يتراجع فلا يبقى معه حقد فى قلبه ويميل الى العفو والصفح والمعنى من شأن القدرة أن يكون كذلك والا فكم من قادر على التمكن يبادر الى الانتقام ولا يعفو (وأتى هشام) بن عبد الملك (برجل بلغه عنه أمر) كرهه (فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته) ويبرئ نفسه (فقال له هشام وتتكلم أيضا) أى مع جنايتك (فقال الرجل يا أمير المؤمنين قال الله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها أفنجادل الله ولا نتكلم بين يديك فقال هشام بلى ويحك تكلم) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب العفو (وروى ان سارقا دخل خباء عمار بن ياسر) رضى الله عنه يسرق منه شيأ وذلك (بصفين) وكان مع على رضى الله عنه فأخذ السارق (فقيل له اقطعه) أى اقطع يده (فانه من أعدائنا قال بل استر عليه لعل الله يستر علينا يوم القيامة) فان من ستر على مؤمن فى الدنيا ستر الله عليه فى الآخرة وانما لم يقم عمار عليه الحد لكونه لم يتحقق منه سرقة وانما كان قصده ان يسرق ففى مثل هذا العفو والستر حسن أو انه خاف أن يكون فى اقامة الحد عليه منتصرا لنفسه لاسيما وقد قالوا انه من أعدائنا (وجلس ابن مسعود) رضى الله عنه (فى السوق يبتاع) أى يشترى (متاعا فابتاع) أى اشترى (متاعا ثم طلب الدراهم وكانت فى عمامته) أى مصرورة (فوجدها قد حلت) واختلست الدراهم (فقال قد جلست وانها لمعى فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون اللهم اقطع يد السارق الذى أخذها اللهم افعل به كذا فقال عبد الله) رضى الله عنه (اللهم ان كان حملته على أخذها حاجة) اضطرته (فبارك له فيها وان كان حملته جراءة على الذنب) أى من غير حاجة لها (فاجعله آخر عقوبة) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب العفو (وقال الفضيل) بن

مارأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس الى في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت أعلى الدنانير تبكي فقال لا ولكن مثلتني واياه بين يدى الله عز وجل فأشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائى رحمة له وقال مالك ابن دينار أتينا منزل الحكم ابن أيوب ليلا وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر مالقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال أيها الامير ماذا صنع الله به أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كلمته وجعله على خزائن الارض فماذا صنع حين أكمل له أمره وجمع له أهله قال لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين يعرض للحكم بالعفو عن أصحابه قال الحكم وأنا أقول لاتثريب عليكم اليوم ولو لم أجد الا ثوبي هذا لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع الى صديق له يسأله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا وأتى عبد الملك بن مروان باسارى ابن الاشعث

عياض رحمه الله تعالى (مارأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جاس الى في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت) له (اعلى) ذهاب (الدنانير تبكي قال لا ولكن مثلتني واياه بين يدى الله) أى مثلت نفسى واياه (فاشرف عقلي على ادحاض حجته) أى بطلانها (فبكائى رحمة له) حيث لايجد جوابا يخاص به بين يدى الله فالنظر في هذا غاية الزهد في الدنيا حيث لم تخطر الدنانير في البال مع كمال احتياجه اليها وزهده عنها أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وأبو نعيم في الحلية (وقال مالك بن دينار) أبو يحيى البصرى العابد رحمه الله تعالى (أتينا منزل الحكم بن أيوب) بن يحيى بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفى ابن عم الحجاج بن يوسف بن الحكم (وهو على البصرة) والياعليها وقد ذكر الذهبي في ذيل الضعفاء الحكم بن أيوب هذا وقال هو ابن عم الحجاج روى عن أبي هريرة مجهول (ليلا) أى أتيناه بالليل (وجاء الحسن وهو خائف) وذلك لان أهل البصرة كانوا قد خلعوا بيعة عبد الملك وأنكروا تولية الحجاج عليهم وبايعوا عبد الرحمن بن الاشعث وفيهم القراء والمشيخة وانضم اليهم قراء الكوفة وكان الحجاج قد عاملهم بالظلم وعذبهم في أخذ الخراج أشد العذاب وكان ممن بايعه من القراء عقبة بن عامر الكوفى ومن معه وميمون بن أبي شبيب وماهان الاعور القاضى وعبد الرحمن بن أبي ليلى والفضل بن مروان وأبو البخترى الطائى وسعيد بن جبير وعامر الشعبي وسفيان بن سلمة وابراهيم التيمي وابراهيم النخعي وجبلة بن وحر وجابر الجعفي والمعرور بن مؤيد وحمزة بن المغيرة بن شعبة وسلمة بن كهيل ومعبد الجهني وأيوب بن القرية فجاء الحجاج بعساكر وأمده عبد الملك باهل الشام وحاصر البصرة مدة حتى ملكها وهرب ابن الاشعث فقتل من قتل من القراء في الحرب وهرب الباقون ولا يزالون يتتبعون ويؤخذون الى ان كان آخر من أخذ منهم سعيد بن جبير وماهان الاعور فقتلا فهذا كان سبب خوف الحسن (فدخلنا عليه مع الحسن فما كنا معه الا بمنزلة الفراريج) وهى صغار الدجاج (فذكر الحسن) للامير (قصة يوسف) عليه السلام (وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر مالقى) يوسف عليه السلام (من كيد النساء ومن الحبس) مما هو مذكور في القرآن (ثم قال يا أيها الامير ماذا صنع الله به اداله منهم ورفع ذكره وأعلى كلمته وجعله) أمينا (على خزائن الارض فماذا صنع حين أكمل له أمره وجمع له أهله) وحضروا بين يديه (قال لهم لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم يعرض) الحسن (للحكم بالعفو عن أصحابه) من القراء اذ كان فيهم من مالأ مع ابن الاشعث (قال الحكم وأنا أقول لاتثريب عليكم فيغفر الله لكم ولو لم أجد الا ثوبي لسترتكم به) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو (وكتب ابن المقفع) تقدم ذكره وكان أحد البلغاء (الى صديق له يسأله العفو عن اخوانه) ما لفظه (فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو (وأتى عبد الملك بن مروان باسارى ابن الاشعث) وهو عبد الرحمن بن قيس بن محمد بن الاشعث بن قيس بن معدى كرب الكندى جده الاشعث صحابي وكان مع على رضى الله عنه في حروبه زوجه أبو بكر رضى الله عنه أخته أم فروة بنت أبي قحافة فولد له منها محمد يكنى أبا القاسم وهو تابعى ثقة حديثه في السنن مات سنة سبع وستين وولده قيس بن محمد كوفى مقبول روى له أبو داود وولده عبد الرحمن كوفى مجهول الحال روى له أبو داود وهو صاحب الواقعة ويعرف بابن الاشعث نسبة الى جده الاعلى ومختصر خبره ان الحجاج بن يوسف كان قد أرسل ابن الاشعث الى بلاد الترك فاوغل فيها وفتح حصونها فبلغ اليه عن الحجاج ما يسوءه فخلع طاعته وطاعة عبد الملك ورجع بالعساكر الى العراق وملك البصرة وجمع قراء المصرين فاجتمع له نحو مائة ألف غير الموالى وجمع الحجاج الجيوش عليه والتقيا في دير الجاجم واستمرت الحرب مائة يوم وذلك سنة ثلاث وثمانين من الهجرة فانكسر ابن الاشعث وهرب الى ملك الترك واستجار به فاجاره فلم يزل الحجاج يتوعده ويتهدده فامسكه وأهل بيته ووضع السواجير في أعناقهم وأرسلهم الى عمارة بن تميم والى سجستان

فقال لرجاء بن حيوة ماترى قال ان الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم وروى أن زيادا

فالتى ابن الاشعث نفسه من قصر عال فمات وقتل عمارة جماعة منهم وبعث برؤسهم مع بقية الاسارى الى الحجاج وبعث بهم الحجاج الى عبد الملك (فقال) عبد الملك (لرجاء بن حيوة) بن جرول بن الاحنف بن السمط ابن امرئ القيس الكندى الفلسطينى يكنى أبا المقدام ويقال أبا نصر قال ابن سعد ثقة فاضل كثير العلم وقال العجلى والنسائى ثقة وقال مسلمة بن عبد الملك هو ممن ينزل به الغيث وينصر به على العدو ومات سنة اثنتى عشرة ومائة روى له البخارى تعليقا ومسلم والاربعة (ماترى قال ان الله قد أعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب العفو (وروى ان زيادا) هو والى العراقين ويعرف بابن أبيه وبابن سمية وابنه عبيد الله وهو الذى تولى حرب الحسين رضى الله عنه (أخذ رجلا من الخوارج فافلت منه) وهرب (فاخذ) زياد (أخاله فقال ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال أرأيت ان جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلى سبيلى قال نعم قال فانا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم) جل جلاله (وأقيم عليه شاهدين) عدلين (ابراهيم وموسى عليهما السلام أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب العفو (وقيل مكتوب فى الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب العفو ومما يستحسن ايراده هنا ماذكره صاحب خلاصة التواريخ ان المهلب بن أبى صفرة وكان يكنى أبا سعيد بلغه عن رجل شئ كرهه فقال له جلساؤه ألا تأمر بقتله فقال ما اعرفنى بدوائه فبعث اليه خمسة آلاف درهم وتختا من ثياب وطيب ثم دخل المهلب على ابن زياد فلقيه الرجل فقبل يده فقال يدك يد يتقى بها الذم ويكسب بها الحمد ويقتل بها العدو فبلغ ابن زياد ذلك فقال كان المهلب اعلم بدوائه

(فضيلة الرفق)

بالكسر هو حسن الانقياد لما يؤدى الى الجميل (اعلم) هداك الله (ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة) وهى غلاظة القلب (والرفق واللين نتيجتا حسن الخلق والسلامة) وهى السهولة (وقد يكون سبب الحدة الغضب) وهو الاكثر (وقد يكون سببه شدة الحرص واستيلاؤه) على القلب (بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت) فى الامور فالرفق فى الامور ثمرة لا يثمرها الاحسن الخلق ولا يحسن الخلق الابضبط قوة الغضب (وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال) من مرتبتى التفريط والافراط (ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال ياعائشة انه من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة) رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب والحكيم فى النوادر وأبو نعيم فى الحلية والخرائطى فى مكارم الاخلاق وابن النجار وقال العراقى رواه أحمد والعقيلى فى الضعفاء فى ترجمة عبد الرحمن بن أبى بكر المليكى وضعفه عن القاسم عن عائشة وفى الصحيحين من حديثها ان الله يحب الرفق فى الامر كله اهـ قلت رواه عبد الرحمن بن أبى بكر بن أبى مليكة عن القاسم ابن محمد عن عائشة وقد رواه من هذا الطريق أيضا العسكرى فى الامثال والقضاعى فى مسند الشهاب وهو عند العسكرى فقط من حديث ابن أبى مليكة عن عائشة بلا واسطة لكن بلفظ آخر سيأتى ذكره وعند أحمد فى سياق هذا الحديث زيادة فى آخره وهى وصلة رحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمرن الديار ويزدن فى الاعمار وقد روى هذا الحديث من غير تلك الزيادة أحمد أيضا والترمذى وقال حسن صحيح والطبرانى فى الكبير والقضاعى والبيهقى من حديث يعلى بن مملك عن أم الدرداء عن أبى الدرداء لكن بدون قوله الدنيا والآخرة فى الموضعين والحديث الذى عزاه للبخارى ان الله يحب الرفق فى الامر كله له سبب ذكره البخارى وهو ان اليهود لما قالوا السام عليك قالت بل عليكم السام واللعنة فقال لها صلى الله عليه وسلم ياعائشة ان الله الحديث وقد أخرجه مسلم كذلك فى كتاب الاستئذان وكذلك أحمد

أخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فأخذ أخاله فقال له ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال أرأيت ان جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلى سبيلى قال نعم قال فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين ابراهيم وموسى ثم تلا أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد لقن حجته وقيل مكتوب فى الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

(فضيلة الرفق)

اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاءه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق فى الامور ثمرة لا يثمرها الاحسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال ياعائشة انه من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة

والترمذى وابن ماجه وابن حبان كلهم من حديث عائشة ومعنى قوله فى الامر كله أى فى أمر الدين والدنيا حتى فى معاملة المرء مع نفسه ويتأكد ذلك فى معاشرة من لا بد للانسان من معاشرته كزوجة وخادم وولد (وقال صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله أهل بيت ادخل عليهم الرفق) بان يرفق بعضهم ببعض فيستقيم أمرهم قال العراقى رواه أحمد بسند جيد والبيهقى بسند ضعيف من حديث عائشة اهـ قلت ولفظ أحمد اذا أراد الله باهل بيت خيرا ادخل عليهم الرفق ورواه العسكرى فى الامثال من طريق ابن أبى مليكة عن عائشة بهذا اللفظ ورواه كذلك البخارى فى التاريخ والبزار من حديث جابر باسناد صحيح وعند البيهقى من حديث عائشة بسند ضعيف اذا أراد الله بعبيد خيرا رزقهم الرفق فى معاشهم واذا أراد بهم شرا رزقهم الخرق فى معاشهم (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليعطى على الرفق ما لا يعطى على الخرق) بالضم اسم من خرق كتعب اذا عمل شيأ فلم يرفق فيه فهو أخرق وهى خرقاء (واذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق) أى فى أمره كله (وما من أهل بيت يحرمون الرفق الا محبة الله تعالى حرموا) قال العراقى رواه الطبرانى فى الكبير من حديث جابر باسناد ضعيف اهـ قلت وروى البزار من حديث جابر بالجملة الثانية منه بلفظ اذا أراد الله باهل بيت خيرا ادخل عليهم الرفق وكذلك رواه أحمد وقد تقدم قبله (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق) أى لطيف بعباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر فيكلفهم فوق طاقتهم بل يسامحهم ويلطف بهم ولا يجوز اطلاق الرفيق عليه سبحانه اسما لان أسماءه انما تتلقى من النقل المتواتر ولم يوجد هكذا ذكره بعض العلماء والاصل فيه قول القاضى حيث قال الرفق هو اللطف وأخذ الامر باحسن الوجوه وأيسرها والظاهر انه لا يجوز اطلاقه عليه تعالى اسما لانه لم يتواتر ولم يستعمل هنا على قصد التسمية وانما أخبر به عنه تمهيدا للحكم الذى بعده اهـ ولكن قال النووى الاصح جواز تسميته تعالى رفيقا وغيره مما يثبت بخبر الواحد (يحب الرفق) بالكسر أى لين الجانب بالقول والفعل والاخذ بالاسهل أى يحب أن يرفق بعضهم ببعض وزعم ان المراد يحب أن يرفق بعباده لا يلائم سياق المصنف وهو قوله (ويعطى عليه) فى الدنيا من الثناء الجميل ونيل المطالب وتسهيل المقاصد فى العقبى من الثواب الجزيل (ما لا يعطى على العنف) بالضم الشدة والمشقة نبه به على وطاءة الاخلاق وحسن المعاملة وكمال المجاملة ووصف الله تعالى بالرفيق ارشادا وحثا لنا على الرفق فى كل أمر فهو خارج مخرج الاخبار لا التسمية كما تقرر قال العراقى رواه مسلم من حديث عائشة قلت ولكن بزيادة فى أوله يا عائشة وفى آخره وما لا يعطى على ما سواه وأخرجه من غير تلك الزيادة البخارى فى كتاب الادب المفرد وأبو داود من حديث عبد الله بن مغفل وابن ماجه وابن حبان من حديث ابى هريرة وأحمد والبيهقى من حديث على والطبرانى فى الكبير من حديث أبى امامة والبزار من حديث أنس ففى حديث على أبو خليفة لم يضعفه أحد وبقية رجاله ثقات وحديث أبى امامة فيه صدقة السمين ضعفه الجمهور ووثقه أبو حاتم وبقية رجاله ثقات وحديث أنس رواه البزار باسنادين رجال أحدهما ثقات وفى بعضهم خلاف وروى البيهقى فى مناقب الشافعى قال رآنى أبى وأنا أعجل فى بعض الامر فقال يا بنى رفقا رفقا فان العجلة تنقص الاعمال وبالرفق تدرك الآمال وقد سمعت عروة يقول سمعت أبا هريرة رفعه ان الله يحب الرفق ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف (وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ارفقى فان الله اذا أراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق) رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب عن عطاء بن يسار مرسلا وقال العراقى رواه أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع وصله أبو داود مقتصرا على قوله يا عائشة ارفقى (وقال صلى الله عليه وسلم من يحرم) من الحرمان وهو متعد الى مفعولين الاول الضمير العائد الى من والثانى (الرفق) وال فيه لتعريف الحقيقة (يحرم الخير كله) بالبناء للمجهول أى صار محروما من الخير ولامه للعهد الذهنى وهو الخير الحاصل من الرفق قال العراقى رواه مسلم من حديث جرير دون قوله كله فهى

عند

وقال صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليعطى على الرفق ما لا يعطى على الخرق واذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق وما من أهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا محبة الله تعالى وقالت عائشة رضى الله عنها قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ارفقى فان الله اذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله

عند أبي داود اهـ قلت ورواه أيضا الطيالسي وأحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان وهو عند العسكري في الامثال من طريق عبد الرحمن بن هلال عن جرير كلفظ أبي داود ورواه الطبراني في الكبير في أثناء حديث ومن يحرم الرفق يحرم الخير ورواه مسلم باسناد آخر بلفظ من حرم الرفق حرم الخير (وقال صلى الله عليه وسلم أيما وال ولي) على قوم (فلان) لهم أي لاطفهم بالقول والفعل (ورفق) بهم وساسهم بلطف (رفق الله به يوم القيامة) في الحساب والعقاب ومن عومل بالرفق في ذلك المقام فهو من السعداء بلا كلام رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث عائشة وقال العراقي رواه مسلم من حديث عائشة في حديث فيه ومن ولي من أمر أمتي شيأ فرفق بهم فارفق به قلت وروى ابن أبي الدنيا أيضا في ذم الغضب من حديثها من رفق بامتي رفق الله به ومن شق على أمتي شق الله عليه (وقال صلى الله عليه وسلم تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب) قال العراقي رواه الترمذي من حديث ابن مسعود وقد تقدم في آداب الصحبة قلت ورواه كذلك الطبراني ولفظهما الا أخبركم من تحرم عليه النار هذا على كل هين لين قريب سهل وقد رواه كذلك أبو يعلى من حديث جابر ورواه ابن النجار من حديث أبي هريرة بلفظ يحرم على النار الخ (وقال صلى الله عليه وسلم الرفق يمن) أي بركة (والخرق) بالضم (شؤم) قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضعيف اهـ قلت في اسناد الطبراني المعلى بن عرفان وهو متروك وقد رواه كذلك العسكري وعده من الامثال والحكم وفي رواية والرغب شؤم وهو الشره والنهم والحرص على الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم التأني من الله والعجلة من الشيطان) قال العراقي رواه أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ الاناة من الله وقد تقدم (وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يارسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين أو ثلاثا ثم أقبل عليه فقال هل أنت مستوص مرتين أو ثلاثا فقال نعم قال اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته) بان تتفكر وتتأمل مايصلحه ويفسده وتدقق النظر في عواقبه (فان كان رشدا) أي غير منهي عنه شرعا وفي رواية خيرا (فامضه) أي فافعله وفي رواية فوحه من الوحا وهو السرعة أي تسرع اليه (وان كان سوى ذلك فانته) أي كف عنه ولا تأته قال العراقي رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق من حديث أبي جعفر مرسلا وأبو جعفر هذا اسمه عبد الله بن مسور الهاشمي ضعيف جدا ولابي نعيم في كتاب الايجاز من رواية اسمعيل الانصاري عن أبيه عن جده اذا هممت بامر فاجلس فتدبر عاقبته واسناده ضعيف اهـ قلت ومن طريق ابن المبارك ٧ أخرجه في ذم الغضب وأبو جعفر المذكور هو عبد الله بن مسور بن عوف بن جعفر بن أبي طالب قال الذهبي في المغني قال أحمد وغيره أحاديثه موضوعة وقال النسائي والدارقطني متروك ومما يشهد له مارواه رجل من بلي قال انطلقت مع أبي الى النبي صلى الله عليه وسلم فناجاه أبي دوني فقلت لابي ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي اذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج رواه الطيالسي في المسند والبخاري في الادب المفرد وابن أبي الدنيا في ذم الغضب والخرائطي في مكارم الاخلاق والبيهقي في الشعب فهذا شاهد جيد وهو حسن *(تنبيه)* قال أبو القاسم الراغب يحتاج الرأي الى أربعة أشياء اثنان من جهة الزمان في التقديم والتأخير أحدهما أن يعيد النظر فيما رقبه ولا يعجل امضاءه فقد قيل اياك والرأي الفطير وأكثر من يستعجل في ذلك ذوو النفوس الشهمة والامزجة الحارة والثاني أن لا يدافع بعد احكامه فقد قيل أحزم الناس من اذا وضح له الامر صدع فيه وأكثر من يدافع ذلك ذوو النفوس المهينة والامزجة الباردة واثنان من جهة الناس أحدهما ترك الاستبداد بالرأي فان الاستبداد به من فعل المعجب بنفسه وقد قيل الاحمق من قطعه العجب بنفسه عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة والثاني أن يتخير من تحسن مشاورته

وقال صلى الله عليه وسلم أيما وال ولي فرفق ولان رفق الله تعالى به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم تدرون من يحرم على النار يوم القيامة كل هين لين سهل قريب وقال صلى الله عليه وسلم الرفق يمن والخير شؤم وقال صلى الله عليه وسلم التأني من الله والعجلة من الشيطان وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يارسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين أو ثلاثا ثم أقبل عليه فقال هل أنت مستوص مرتين أو ثلاثا قال نعم قال اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فأمضه وان كان سوى ذلك فانته

فما كل ذى نصح بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن اذا ما استجمعا عند صاحب * فحق له من طاعة بنصيب

ومن دخل فى أمر بعد الاحتراز من هذه الاربعة أحكم تدبيره فان لم ينجح عمله لم تلحقه مذمة (وعن عائشة) رضى الله عنها (انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعائشة عليك بالرفق) أى اللين والملاطفة (فانه لا يدخل) أى الرفق (فى شئ الازانه) اذ هو سبب لكل خير (ولا ينزع من شئ الاشانه) أى عابه قال العراقى رواه مسلم فى صحيحه قلت رواه من طريق شعبة عن المقدام بن شريح بن هانئ عن أبيه عن عائشة بالحديث فقط من غير قصة ولفظه ان الرفق لا يكون فى شئ الازانه ولا ينزع من شئ الاشانه ومن وجه آخر عن شعبة بالقصة ولفظها ركبت عائشة بعيرا فكانت فيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها فذكره وأخرجه البخارى فى الادب المفرد من طريق شعبة بلفظ كنت على بعير فيه صعوبة فقال النبى صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق الحديث ورواه أحمد فى آخرين منهم أبو داود وابن أبى الدنيا فى ذم الغضب وابن حبان والخرائطى فى مكارم الاخلاق بلفظ ياعائشة عليك بتقوى الله والرفق فان الرفق لم يكن فى شئ قط الازانه ولا نزع من شئ قط الاشانه ورواه العسكرى فى الامثال من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس رفعه ما كان الرفق فى شئ الازانه ولا كان الخرق قط فى شئ الاشانه *(تتمة)* نذكر فيها الاحاديث الواردة فى الرفق فمن ذلك ياعائشة ان الرفق لو كان خلقا مارأى الناس خلقا أحسن منه ولو كان الخرق خلقا مارأى الناس خلقا أقبح منه رواه الطبرانى والحاكم فى الكنى من حديث عائشة ورواه العسكرى فى الامثال بذكر قصته من سلام اليهود وردها عليهم ومن ذلك حديث عائشة ما كان الرفق فى قوم الانفعهم ولا كان الخرق فى قوم الا ضرهم رواه العسكرى فى الامثال من طريق معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عنها ومن ذلك حديث جابر الرفق فى المعيشة خير من بعض التجارة رواه الدارقطنى فى الافراد والاسماعيلى فى معجمه والطبرانى فى الاوسط والبيهقى وفى الامثال للعسكرى من طريق حجاج بن سليمان الرعينى قال قلت لابن لهيعة كنت اسمع عجائز المدينة يقلن ان الرفق فى المعيشة خير من بعض التجارة فقال حدثنى محمد بن المنكدر عن جابر رفعه به ورواه الطبرانى من حديث جرير الرفق زيادة بركة وفى لفظ به بزيادة والبركة ومن يحرم الرفق يحرم الخير وروى القضاعى فى مسند الشهاب من حديث جرير الرفق رأس الحكمة ورواه أبو الشيخ فى الثواب والعسكرى من طريق عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه قال بلغنى انه مكتوب فى التوراة ان الرفق رأس الحكمة ورواه كذلك ابن أبى عاصم وروى أحمد والطبرانى من حديث أبى الدرداء من فقه الرجل رفقه فى معيشته ولفظ ابن عدى من فقهك رفقك فى معيشتك *(الآثار)* روى انه (بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان جماعة من عماله) جمع عامل وهم الذين ولاهم على بعض الاعمال (اشتكوا) أى شكاهم بعض الرعايا (فامرهم أن يوافوه) أى يلاقوه (فلما أتوه قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال أيتها الرعية ان لنا عليكم حقا) أى حقان سقطت النون للاضافة أحدهما (النصيحة بالغيب) أى ينصحون ولاة الامور على غيبتهم (و) الثانى (المعاونة على الخير) أى يعاون بعضهم بعضا فى أمور الخير (أيتها الرعاة) أى الولاة والعمال (ان للرعية عليكم حقا واعلموا انه لا حلم أحب الى الله ولا أعز من حلم امام ورفقه وليس جهل أبغض الى الله ولا أغم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من يأخذ بالعافية فمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (الرفق بنى الحلم) تصغير الابن أى ثمرته ونتيجته منه يتولد أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب وأبو نعيم فى الحلية (وفى الخبر موقوفا ومرفوعا العلم) أى الشرعى النافع (خليل المؤمن) لانه لا نجاة ولا نور الا به فكأنه خالل المؤمن بمحبته يطلبه عند غيبته ويتمسك به عند وجوده ويستضئ بنوره عند جهله (والحلم وزيره) أى

وعن عائشة رضى الله عنها انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعائشة عليك بالرفق فانه لا يدخل فى شئ الازانه ولا ينزع من شئ الاشانه (الآثار) بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فامرهم أن يوافوه فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس أيتها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير أيتها الرعاة ان للرعية عليكم حقا فاعلموا انه لا شئ أحب الى الله ولا أعز من حلم امام ورفقه وليس جهل أبغض الى الله ولا أغم من جهل امام وخرقه واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق بنى الحلم وفى الخبر موقوفا ومرفوعا العلم خليل المؤمن والحلم وزيره

معينه

والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده وقال بعضهم ما أحسن الايمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق وما أضيف شئ الى شئ مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال أن تكون ذا أناة فتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة من يقدر على ضررك وقال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا أبا محمد قال أن تضع الامور مواضعها الشدة فى موضعها واللين فى موضعه والسيف فى موضعه والسوط فى موضعه وهذه اشارة الى أنه لابد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل

و وضع الندى فى موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما فى سائر الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى العنف والحدة أميل كانت الحاجة الى ترغيبهم فى جانب الرفق أكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف وان كان العنف فى محله حسنا كما أن الرفق فى محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد وهكذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله و روى أن عمرو بن العاص كتب الى معاوية يعاتبه فى التأنى فكتب اليه معاوية أما بعد فان التفهم فى الخير زيادة رشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن

معينه المتحمل لاثقاله و يستعين به على أموره الدينية والدنيوية ولهذا قيل ما ضم شئ الى شئ أحسن من الحلم الى العلم (والعقل دليله) أى يرشده من جهله (والعمل قيمه) وفى رواية قائده أى القائم بحفظ أصله والمراد به العمل بمقتضى كل من العلم والحلم والعقل (والرفق والده) لا يصدر فى أمر الا بمراجعته وطاعته رجاء بركته والمراد أصله الذى نشأ منه و يتفرع عليه وكل من كان سببا لايجاد شئ أو اصلاحه أو ظهوره يسمى أبا (واللين أخوه) لا ينفصل ولا يتصل ولا يستقل دونه (والصبر أمير جنوده) جعل ما تقدم جنودا وأميرها الصبر لا يعمل كل منها فيما أهل له الا به لان عجلة النفس وخفتها تفسد كل خلق حسن ما لم يتقدم الصبر امامها و يصير امامها قال العراقى رواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب وفضائل الاعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث أبى الدرداء وأبى هريرة وكلاهما ضعيف اهـ قلت رواه ابن أبى الدنيا هكذا موقوفا ومرفوعا ورواه البيهقى عن الحسن البصرى مرسلا ولفظه العلم خليل المؤمن والعقل دليله والعمل قيمه والحلم وزيره والصبر أمير جنوده والرفق والده واللين أخوه وفيه سوار بن عبد الله العنبرى قاضى البصرة وقد تقدم انه ثقة لكن تكلم فيه الثورى لاجل دخوله فى القضاء وفيه عبد الرحمن بن عثمان أبو بحر البكراوى قال أحمد طرح الناس حديثه وقال الحاكم فى نوادر الاصول عن ابن عباس قال كنت ذات يوم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن قلت بلى قال عليك بالعلم فان العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق أبوه واللين أخوه والصبر أمير جنوده (وقال بعضهم ما أحسن الايمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق وما أضيف شئ الى شئ مثل حلم الى علم) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (وقال عمرو بن العاص) بن وائل السهمى القرشى (لابنه عبد الله) رضى الله عنهما (ما الرفق قال ان تكون ذا أناة) بالكسر اسم من التأنى وهو التثبت فى الامور وعدم التسرع فيها (وتلاين الولاة) أى تلاطفهم وتصانعهم فى القول والعمل (قال فما الخرق قال معاداة امامك) أى ولى الامر (ومناواة) أى معارضة (من يقدر على ضررك) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (وقال سفيان) بن عيينة (لاصحابه أتدرون ما الرفق قالوا قل يا أبا محمد قال ان تضع الامور مواضعها الشدة فى موضعها واللين فى موضعه والسيف فى موضعه والسوط فى موضعه) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب وغلط من زعم انه سفيان الثورى فان الثورى يكنى أبا عبد الله (وهذا اشارة الى انه لابد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل) قائله أبو الحسين أحمد بن الحسين المتنبى

(ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف فى موضع الندى)*

(فالمحمود) من ذلك (وسط بين العنف واللين كما فى سائر الاخلاق) على ما سبق ذكره فى كتاب رياضة النفس (ولكن لما كانت الطباع الى العنف والحدة أميل كانت الحاجة الى ترغيبهم فى جانب الرفق أكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق) فى أخبار تقدم ذكرها (دون العنف) بل ورد فيه ما يصرح بذمه وتقبيحه (وان كان العنف فى محله) حيث أمره الشرع (حسنا كما ان الرفق فى محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد) اذا خلط (بالشهد) بالضم وهو العسل الابيض (هكذا قاله عمر بن عبد العزيز) كما أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب (و روى ان عمرو بن العاص كتب الى معاوية) رضى الله عنهما (يعاتبه فى التأنى) ويحضه على اغتنام الفرصة فى أمر كان قصده (فكتب اليه معاوية) فى الجواب (أما بعد فان التفهم فى الخير زيادة) علم و(رشد) من الضلالة (وان الرشيد من رشد عن العجلة) أى استبصر فلم يعجل فى أمره (وان الخائب من خاب عن

الاناة وان المتثبت مصاب أوكاد أن يكون مصيبا وان العجل مخطئ أوكاد أن يكون مخطئا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لايدرك المعالى وعن أبي عون الانصارى قال ماتكلم الناس بكلمة صعبة الاوالى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها وقال أبو حمزة الكوفى لاتتخذ من الخدم الامالابد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لايعطونك بالشدة شيأ الا أعطوك باللين ماهو أفضل منه وقال الحسن المؤمن وقاف متأن وليس كحاطب ليل فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد فى أكثر الاحوال وأغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل أمر حقه فان كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه فى الاكثر

(القول فى ذم الحسد وفى حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى ازالته)

(بيان ذم الحسد)

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب أصل أصله ثم ان للحسد من الفروع الذميمة مالا يكاد يحصى وقد ورد فى ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وسلم فى النهى عن الحسد وأسبابه وثمراته لاتحاسدوا ولاتقاطعوا ولاتباغضوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله اخوانا

الاناة) بالكسر اسم من التأنى (وان المتثبت) فى أمره (مصيب) أى واجد الصواب (أوكاد أن يكون مصيبا وان العجل فى) الامور (مخطئ) عن طريق الصواب (أوكاد أن يكون مخطئا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لاتنفعه التجارب لايدرك المعالى) أخرجه ابن أبي الدنيا فى ذم الغضب (وعن أبي عون الانصارى) الاعور الشامى اسمه عبد الله بن أبي عبد الله مقبول روى له النسائى (قال ماتكلم الناس بكلمة صعبة الاوالى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها) أخرجه ابن أبي الدنيا فى ذم الغضب (وقال أبو حمزة الكوفى) اسمه سيار مقبول روى له البخارى فى كتاب الادب المفرد وأبو داود والترمذى وابن ماجه ووقع فى الاسناد عن سيار أبي الحكم عن طارق بن شهاب والصواب عن سيار أبي حمزة فانه هو الذى روى عن طارق بن شهاب وأما سيار أبو الحكم العنزى فانه لم تثبت روايته عن طارق نبه عليه الحافظ فى مختصر التهذيب (لاتتخذ من الخدم الامالابد منه فان مع كل انسان شيطانا) فاكثار الخدم اكثار من الشياطين (واعلم انهم لايعطونك بالشدة شيأ الا أعطوك باللين ماهو أفضل منه) اخرجه ابن ابي الدنيا فى ذم الغضب (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (المؤمن وقاف) اى كثير الوقوف والتثبت (متأن) فى اموره (وليس كحاطب ليل) اذلايخوض فيما لايعنيه فان الذى يجمع الحطب بالليل يوشك أن يلم مايؤذيه من حية وغيرها بظنه حطبا أخرجه ابن أبي الدنيا فى ذم الغضب (فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود) العاقبة (مفيد فى أكثر الاحوال وأغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور) والقلة (وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف) بحسن تبصرة (فيعطى كل أمر حقه فان كان قاصر البصيرة) عن التمييز (أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله الى الرفق) دون العنف (فان النجح معه) أى مع الرفق (فى الاكثر) وان لم يصب فلا تلحقه مذمة والله أعلم

(القول فى ذم الحسد وفى حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى ازالته)

(بيان ذم الحسد)

(اعلم) هداك الله (ان الحسد ايضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب) فان الانسان اذا غضب حقد واذا حقد حسد (فهو) أى الحقد (فرع فرعه) أى نتيجته بالواسطة (والغضب أصل أصله) الذى ينشأ منه (ثم للحسد) مع كونه فرعا (من الفروع الذميمة مالا يكاد يحصى وقد ورد فى ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة) منها (قال صلى الله عليه وسلم الحسد) أى المذموم وهو تسخط قضاء الله والاعتراض عليه (يأكل الحسنات) قال الطيبى الاكل هنا استعارة لعدم القبول وان حسناته مردودة عليه وليست بثابتة فى ديوان عمله الصالح حتى تحبط (كما تأكل النار الحطب) فتعدمه وتمحوه وذلك لان الحسد اعتراض على الله فيما لاعذر للعبد فيه لانه لاتضره نعمة الله على عبده والله لايعبث ولا يضع الشئ فى غير محله فكأنه نسب ربه للجهل والسفه ولم يرض بقضائه فلذلك ردت حسناته من ديوان الاعمال قال العراقى رواه أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم قلت وعند ابن ماجه والصدقة تطفئ الخطيئة كما تطفئ الماء النار والصلاة والصوم والايمان جنة من النار سنده ضعيف وقد تقدم الكلام فى ذلك وأخرجه الخطيب بسند حسن (وقال صلى الله عليه وسلم فى النهى عن الحسد وأسبابه وثمراته لاتحاسدوا ولا تقاطعوا ولاتدابروا ولاتباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا) فان التباغض من أسباب الحسد والتقاطع والتدابر من ثمراته ونتيجته أخرجه أحمد والبخارى ومسلم وفى رواية لمسلم لاتحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولاتدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا

المسلم

وقال أنس كانوا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار ينطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما

كان الغد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له اني لاحيت أبي فاقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤويني اليك حتى تمضي الثلاث فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيأ غير انه اذا تقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير أني ما سمعته يقول الا خيرا فلما مضت الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فاردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذلك فقال ما هو الا ما رأيت فلما وليت دعاني فقال ما هو الا ما رأيت غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله اياه قال عبد الله فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلاثة لا ينجو منهن أحد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه الرواية امكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن

المسلم أخو المسلم الحديث بطوله وبلفظ المصنف رواه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث أبي بكر وقد تقدم الكلام فيه في كتاب آداب الصحبة (وقال أنس) رضي الله عنه (كانوا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج) وهو الطريق في الجبل (رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار تنطف) أي تقطر (لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فسلم فلما كان من الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص) وقد كان حاضرا في تلك المجالس في المرات الثلاثة يسمع منه صلى الله عليه وسلم قوله فيه (فقال) لذلك الرجل (اني لاحيت أبي) أي خاصمته في أمر (فاقسمت ان لا أدخل عليه ثلاثا) أي ثلاث ليال (فان رأيت ان تؤويني اليك) أي تضمني الى بيتك (حتى تمضي) الثلاث ليال (فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال) يراعي أحواله في حركاته وسكناته (فلم يره يقوم من الليل شيأ غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولا يقوم حتى يقوم لصلاة الفجر قال) عبد الله بن عمرو (غير اني لم أسمعه يقول الا خيرا فلما مرت الثلاث) الليال (وكدت أن أحتقر عمله قلت يا عبد الله) ناداه باعم أسمائه فان الخلق كلهم عبد الله (لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة) أي مهاجرة (ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملا كثيرا) توجب تلك البشارة (فما الذي بلغ بك ذلك قال ما هو الا ما رأيت فلما وليت) بظهري (دعاني فقال ما هو الا ما رأيت غير اني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله اياه فقال عبد الله) بن عمرو (فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق) رواه ابن أبي الدنيا هكذا في كتاب ذم الحسد وقال العراقي رواه أحمد باسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه البزار وسمى الرجل في رواية له سفيان فيها ابن لهيعة انتهى قلت وجدت بخط الحافظ في هامش المغني عند قوله صحيح على شرط الشيخين ما لفظه له علة فان الزهري لم يسمعه عن أنس فيما يقال اهـ والمسمى بسفيان في الانصار من الصحابة ثلاثة سفيان بن نسر بن زيد الخزرجي وسفيان بن ثابت الانصاري وسفيان بن أمية الظفري فالله أعلم أيهم أراده البزار (وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينجو منهن أحد الظن) أي سوء الظن بالناس (والطيرة) أي التطير وهو التشاؤم (والحسد) لذوي النعم على ما منحهم الله تعالى (وسأحدثكم بالمخرج من ذلك) قالوا أخبرنا يا رسول الله قال (اذا ظننت فلا تحقق) مقتضى ظنك (واذا تطيرت) من شيء (فامض) لمقصدك (واذا حسدت فلا تبغ) أي لا تجاوز الحد رواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهري وموسى بن يعقوب الزمعي ضعفهما الجمهور (وفي رواية ثلاث لا ينجو منهن أحد وقل من ينجو منهن) رواها ابن أبي الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف وتقدم في آفات اللسان حديث حارثة بن النعمان ثلاث لازمات لامتي سوء الظن والحسد والطيرة فاذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فاستغفر الله تعالى واذا تطيرت فامض رواه أبو الشيخ في التوبيخ والطبراني في الكبير وروى رستة في كتاب الايمان له من مرسل الحسن بلفظ ثلاث لم تسلم منها هذه الامة الحسد والظن والطيرة ألا أنبئكم بالمخرج منها اذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ واذا تطيرت فامض (فاثبت في هذه الرواية امكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء) كانوا يتحاسدون ويتباغضون (والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن

تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم) رواه الطيالسي وأحمد وابن منيع
وعبد بن حميد والترمذي وابن أبي الدنيا والشاشي وابن قانع وابن عبد البر في جامع العلم والبيهقي والضياء
المقدسي كلهم من طريق مولى الزبير عن الزبير بن العوام مرفوعا (وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر)
أي مع الاضطرار الى ما لا بد منه كما سيأتي للمصنف (أن يكون كفرا) أي قارب أن يوقع في الكفر لانه
يحمل على حسد الاغنياء والحسد يأكل الحسنات وعلى التذلل لهم بما يدنس به عرضه ويثلم به دينه
وعلى عدم الرضا بالقضاء وتسخط الرزق وذلك ان لم يكن كفرا فهو جار اليه وقيل المراد كاد أن يكفر نعمة
الفقر لثقل تحملها على النفس وذلك لان الفقر نعمة من الله داع الى الانابة والالتجاء اليه والطلب منه وهو
حلية الانبياء وزينة الاولياء وزي الصلحاء ومن ثم ورد في الخبر اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار
الصالحين فهو نعمة جليلة بيد أنه مؤلم شديد التحمل (وكاد الحسد أن يغلب القدر) أي كاد الحسد في قلب
الحاسد أن يغلب العلم بالقدر فلا يرى ان النعمة التي حسد عليها انها صارت اليه بقدر الله وقضائه كما
أنها لا تزول الا بقضائه وقدره وغرض الحاسد زوال نعمة المحسود ولو تحقق لم يحسده واستسلم وعلم ان
الكل بقدر قال العراقي رواه أبو مسلم الكشي والبيهقي في الشعب من رواية يزيد الرقاشي عن أنس
ويزيد ضعيف ورواه الطبراني في الاوسط من وجه آخر بلفظ كادت الحاجة أن تكون وفيه ضعف أيضا
انتهى قلت قال الحافظ السخاوي في المقاصد رواه أحمد بن منيع من طريق يزيد الرقاشي عن
الحسن أو أنس به مرفوعا وهو عند أبي نعيم في الحلية وأبي مسلم الكشي وأبي علي بن السكن في مصنفه
والبيهقي في الشعب وابن عدي في الكامل من طريق يزيد عن الحسن بلا شك وفي لفظ عند بعضهم ان
يسبق بدل ان يغلب ويزيد ضعيف ورواه الطبراني من طريق عمر بن عثمان الكلابي عن عيسى بن
يونس عن سليمان التيمي عن أنس مرفوعا ولفظه كاد الحسد ان يسبق القدر وكادت الحاجة ان
تكون كفرا وفيه ضعف أيضا انتهى قلت وفي الميزان يزيد الرقاشي تالف وقد رواه أبو نعيم من طريق
المسيب بن واضح عن يوسف بن أسباط عن سفيان عن حجاج بن الفرافصة عن يزيد وحجاج قال أبو زرعة
ليس بقوي وقال الزركشي لكن يشهد له ما خرجه النسائي وابن حبان وصححه من طريق أبي الهيثم
عن أبي سعيد الخدري مرفوعا انه كان يقول اللهم اني أعوذ بك من الكفر والفقر فقال رجل ويعتدلان
قال نعم انتهى وفي الحلية في ترجمة عكرمة ان لقمان قال لابنه قد ذقت المرار فليس شيء أمر من الفقر وقال
العسكري في الامثال ولا تكاد العرب تجمع بين كاد وان وبذلك نزل القرآن ولكن كذا رويه أصحاب
الحديث هكذا نقله السخاوي وفي الانصاف لابن الانباري لا تستعمل ان مع كاد في اختيار ولذلك لم يأت
في القرآن ولا في كلام فصيح فأما حديث كاد الفقر أن يكون كفرا فان صح فزيادة ان من كلام الراوي
انتهى وقال النووي اثبات ان مع كاد جائز ولكنه قليل وقال ابن مالك وقوع خبر كاد مقرونا بان قد خفي
على أكثر النحاة والصحيح جوازه لكنه قليل ولذلك لم يقع في القرآن لكن عدم وقوعه فيه لا يمنع من
استعماله قياسا * (لطيفة) * قال المناوي في شرحه قد ألغز أبو العلاء المعري في لفظة كاد فقال

أنحوي هذا العصر ما هي لفظة * جرت في لساني جرهم وثمود
اذا ما نفت والله أعلم أثبتت * وان أثبتت قامت مقام جحود

قال الشهاب الحجازي فلم أر أحدا أجاب فقلت

لقد كاد هذا اللغز يصدئ فكرتي * وما كدت أشفي غلتي بورود
وهذا جواب يرتضيه ذوو النهى * ويمتنع عن فهم كل بليد

وهذا الجواب لغز أيضا وقد أوضحه بعضهم بقوله

أشار الحجازي الامام الذي حوى * علوما زكت من طارف وتليد

تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر

الى كادا فصاحا الذى الفضل والنهى * وأبهم أفكارا لكل بليد

(وقال صلى الله عليه وسلم انه سيصيب أمتى داء الامم قالوا) يارسول الله (وماداء الامم قال الاشر) محركة أى كفر النعمة (والبطر) محركة أى الطغيان عند النعمة (والتكاثر) من جمع المال (والتنافس فى الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغى) أى مجاوزة الحد (ثم يكون الهرج) بفتح فسكون أى القتل وهذا تحذير شديد من التنافس فى الدنيا والتحاسد عليها فان ذلك أصل الفتن وعنه ينشأ الشرور قال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث أبى هريرة باسناد جيد انتهى قلت ورواه كذلك ابن أبى الدنيا فى ذم الحسد والحاكم وصححه وأقره الذهبى وفى اسناد الطبرانى أبوسعيد الغفارى لم يروعنه غير حميد بن هانئ ورجاله وثقوا وهذا السياق الذى ساقه المصنف لابن أبى الدنيا ولفظ الجماعة والتشاحن فى الدنيا والتباغض والتحاسد وليس عندهم ثم يكون الهرج (وقال صلى الله عليه وسلم لاتظهر الشماتة لاخيك) فى الدين كذا هو بالام فى سائر الروايات والمشهور باخيك بالباء الموحدة والشماتة الفرح ببلية من يعاديك أوتعاديه (فيعافيه الله) وفى رواية فيرحمه الله أى رغما لانفك (ويبتليك) حيث زكيت نفسك ورفعت منزلتك وشمخت بانفك وشمت به قال الطيبى وجملة فيرحمه الله نصب جوابا للنهى و يبتليك عطف عليه وهذا معدود من جوامع الكلم قال العراقى رواه الترمذى من حديث واثلة بن الاسقع وقال حسن غريب وفى رواية ابن أبى الدنيا فيرحمه الله انتهى قلت أورده الترمذى من طريقين أحدهما من حديث عمر بن اسمعيل بن مجالد عن حفص بن غياث عن برد بن سنان عن مكحول عن واثلة والآخر من طريق القاسم بن أمية الحذاء عن حفص بن غياث به وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال عمر بن اسمعيل كذاب كذبه ابن معين وغيره والقاسم لايجوز الاحتجاج به ولا أصل للحديث وممن تبع ابن الجوزى القزوينى فانتقده على المصابيح وزعم وضعه ونازعهما العلائى والحق مع العلائى فان القاسم بن أمية صدوق وتضعيف ابن حبان له بلامستند فالحديث له أصل لا كما قاله ابن الجوزى (وروى ان موسى) عليه السلام (لما تعجل الى ربه رأى فى ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه) أى تمنى أن يكون مثله (وقال ان هذا الكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال أحدثك من عمله بثلاث) خصال (كان لايحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لايعق والديه وكان لايمشى بالنميمة) أورده القشيرى فى الرسالة مختصرا ولفظه رأى موسى عليه السلام رجلا عند العرش فغبطه فقال ماصنعته فقيل كان لايحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله انتهى وقد وقع نظيره لنبينا صلى الله عليه وسلم وذلك فيما ذكره العلماء فى قصة المعراج انه رأى رجلا فى نور العرش الحديث وفيه ولم يكن عاقا لوالديه أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث أبى المخارق مرسلا وحسنه المنذرى فى الترغيب والترهيب (وقال زكريا صلوات الله عليه قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتى متسخط لقضائى غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى) قال القشيرى فى الرسالة قال بعضهم الحاسد جاحد لانه لا يرضى بقضاء الواحد قال وفى بعض الكتب الحسود عدو نعمتى (وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتى أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الحسد من حديث أبى عامر الاشعرى وفيه ثابت بن أبى ثابت جهله ابن أبى حاتم قال العراقى وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد ان مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ولهما من حديث عمرو بن عوف البدرى والله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى ان تبسط عليكم الدنيا الحديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اذا فتحت عليكم فارس والروم الحديث وفيه يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتدابرون الحديث ولاحمد والبزار من حديث عمر لاتفتح الدنيا على أحد الا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وفيه ابن لهيعة (وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج) وفى رواية على قضاء حوائجكم (بالكتمان) أى كونوا

و قال صلى الله عليه وسلم انه سيصيب أمتى داء الامم قالوا وماداء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس فى الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغى ثم الهرج وقال صلى الله عليه وسلم لاتظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله و يبتليك وروى ان موسى عليه السلام لما تعجل الى ربه تعالى رأى فى ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال ان هذا الكريم على ربه فسأل ربه تعالى ان يخبره باسمه فلم يخبره وقال أحدثك من عمله بثلاث كان لايحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لايعق والديه ولا يمشى بالنميمة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتى متسخط لقضائى غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتى ان يكثر فيهم المال فيتحاسدون و يقتتلون وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان

لها كاتمين عن الناس واستعينوا بالله على الظفر بها ثم علل طلب الكتمان بقوله (فان كل ذى نعمة محسود) أى ان أظهرتم حوائجكم للناس حسدوكم قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف انتهى قلت حديث معاذ أخرجه العقيلى وابن عدى والطبرانى وأبونعيم والبيهقى فالعقيلى رواه عن محمد بن خزيمة عن سعيد بن سالم العطار عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ والباقون من طريق العقيلى ثم قال أبونعيم غريب من حديث خالد تفرد به عنه ثور حدث به عمر بن يحيى البصرى عن شعبة عن ثور اه وقد أورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال سعيد كذاب قال البخارى يذكر بوضع الحديث وتابعه حسين بن علوان وضاع وقد أخرجه ابن أبى الدنيا أيضا بهذا الاسناد وقال ابن حبان سعيد يضع الحديث وقال العقيلى لا يعرف الا بسعيد ولا يتابع عليه وقال الهيثمى ان ابن معدان لم يسمع معاذا فهو منقطع وفى الباب ابن عباس رواه الخطيب فى التاريخ عن ابراهيم ابن مخلد عن اسمعيل بن على الخطبى عن الحسين بن عبد الله الابزارى عن ابراهيم بن سعيد الجوهرى عن المأمون عن الرشيد عن المهدى عن أبيه عن جده عن عطاء عن ابن عباس قال ابن الجوزى موضوع من عمل الابزارى وسئل أحمد وابن معين عنه فقالا يضع وقال ابن أبى حاتم هو أى حديث ابن عباس هذا منكر لا يعرف وعمر بن الخطاب رواه أبو بكر الخرائطى فى اعتلال القلوب عن على بن حرب عن حابس بن عمر وعن ابن جريج عن عطاء عنه وهو ضعيف أيضا وعلى بن أبى طالب رواه الخلعى فى فوائده عن أحمد بن محمد بن الحجاج عن أحمد بن محمد القرسيانى عن أحمد بن عبد الله عن غندر عن شعبة عن مروان الاصفر عن النزال بن سبرة عنه وقال الحافظ السخاوى فى المقاصد رواه الطبرانى فى معاجمه الثلاثة وعنه وعن غيره أبونعيم فى الحلية من حديث سعيد بن سالم العطار عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ رفعه وكذا أخرجه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب والعسكرى فى الامثال والخلعى فى فوائده والقضاعى فى مسنده وسعيد كذبه أحمد وغيره وقال العجلى لا بأس به ولكن قد أخرجه العسكرى أيضا من غير طريقه بسند ضعيف أيضا عن وكيع عن ثور ولفظه استعينوا على طلب حوائجكم بكتمانها فان لكل نعمة حسدة ولو ان امرأ كان أقوم من قدح لكان له من الناس غامز وهو مع ذلك منقطع فخالد لم يسمع من معاذ وله طريق أخرى عند الخلعى فى فوائده من حديث مروان الاصفر عن النزال بن سبرة عن على رفعه أى بلفظ المصنف الا انه زاد فى آخره لها ثم قال وفى الباب جماعة منهم عمر قلت وبما ذكر يظهر ان الحديث ضعيف لا موضوع وابن الجوزى يتساهل كثيرا كما تقدمت الاشارة اليه ثم ان الاحاديث الواردة فى التحدث بالنعم محمولة على ما بعد وقوعها فلا تكون معارضة لهذا نعم ان ترتب على التحديث بها حسد فالكتمان أولى والله أعلم (وقال صلى الله عليه وسلم ان لنعم الله اعداء قيل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) قال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث ابن عباس ان لاهل النعم حسادا فاحذروهم وسنده ضعيف (وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب قيل يارسول الله من هم قال الامراء بالجور) أى الظلم على الرعية (والعرب) وهم سكان البادية (بالعصبية) الجاهلية (والدهاقين) جمع دهقان بالكسر وهو رئيس القرية (بالتكبر) على أهل قريته (والتجار بالخيانة) فى معاملاتهم (وأهل الرستاق) أى السواد (بالجهالة) فى أمور الدين (والعلماء بالحسد) قال العراقى رواه الديلمى من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين اه قلت لفظ الديلمى من حديث أنس ستة يعذبهم الله بذنوبهم يوم القيامة الامراء بالجور والعلماء بالحسد والعرب بالعصبية وأهل الاسواق بالخيانة والدهاقين بالكبر وأهل الرساتيق بالجهل وأما حديث ابن عمر فاخرجه أبونعيم فى الحلية بلفظ ستة يدخلون النار بغير حساب الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر والتجار بالكذب والعلماء بالحسد والاغنياء بالبخل

فان كل ذى نعمة محسود وقال صلى الله عليه وسلم ان لنعم الله أعداء فقيل ومن هم فقال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يارسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد

وما

ومما جاء فى المرفوع الحسد يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل رواه الديلمى من حديث معاوية بن حيدة وعن ابن مسعود رفعه اياكم والكبر فان ابليس حمله الكبر على ان لا يسجد لآدم واياكم والحرص فان آدم حمله الحرص على أكل الشجرة واياكم والحسد فان ابنى آدم انما قتل أحدهما صاحبه حسدا فهن أصل كل خطيئة أخرجه القشيرى فى الرسالة وابن عساكر فى التاريخ من حديثه

(الآثار) (قال بعض السلف ان أول خطيئة كانت) أى وجدت (هى الحسد) وذلك انه (حسد ابليس آدم) على ما شرفه وآتاه من فضله (فأبى أن يسجد له فحمله على المعصية) وهو مأخوذ من حديث ابن مسعود الذى تقدم ذكره قريبا وأورده القشيرى فى الرسالة بسنده وفيه فهن أصل الخطيئة (وحكى ان عون بن عبد الله) بن عتبة بن مسعود الهذلى المكى عابد ثقة روى له مسلم والاربعة مات قبل العشرين ومائة (دخل على الفضل) كذا فى النسخ والصواب المفضل (بن المهلب) بن أبى صفرة ظالم بن سراق العتكى أبو غسان البصرى صدوق من مشاهير الامراء روى له أبو داود والنسائى ووالده المهلب يكنى أبا سعيد بصرى من ثقات الامراء وله رواية مرسلة قال أبو اسحق السبيعى ما رأيت أميرا أفضل منه مات سنة اثنتين وثمانين على الصحيح وخلف ثلاثة وعشرين ذكرا روى له أبو داود والترمذى والنسائى (وكان يومئذ بواسط) مدينة بالعراق اختطها الحجاج وكان عاملا عليها من طرف أخيه يزيد بن المهلب وكان أخوه يزيد واليا على البصرة بل على العراق جميعه فلما كان سنة اثنتين ومائة ندب يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك فى جيش كثيف الى قتال يزيد بن المهلب اذ بلغه انه دعا الناس الى نفسه والتقيا يوم الجمعة منتصف صفر بعقر بابل فقتل يزيد ومن معه من اخوته وأولادهم وعدتهم ثمانية وعشرون انسانا الا المفضل فان ابنه احتال عليه بان قال الامير يعنى يزيد قد مضى و يقول لك اتبعنى فانصرف عند ذلك ولما عرف الخبر انكر على ابنه فعله وشد عليه بالسيف وقال ما أراك الآن تفضح شيخا مثلى وكان معاوية بن يزيد اذ ذاك بواسط فاخذ عيال أبيه وثقله وانحدر الى البصرة ولحق بهم المفضل ومن معه واجتمع بها آل المهلب وانفذ مسلمة بن عبد الملك مالك بن أحوز المازنى فى طلب من هرب من آل المهلب وأمره بقتل كل من بلغ منهم فقتل المفضل بن المهلب وسائر ولد المهلب الباقين ولم يدع بالغا منهم الا قتله (فقال انى أريد ان أعظك بشئ فقال ماذاك فقال اياك والكبر فانه أول ذنب عصى الله به ثم قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا واياك والحرص فانه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله من جنة عرضها السموات والارض يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فاكل منها فاخرجه ثم قرأ اهبطا منها جميعا الى آخر الآية واياك والحسد فانه قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق واذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسكت) أى لا تذكرهم بسوء (واذا ذكر القدر فاسكت) فانه سر من أسرار الله لا ينبغى الخوض فيه (واذا ذكرت النجوم فاسكت) وأول هذا الاثر قد روى مرفوعا من حديث ابن مسعود قال القشيرى فى الرسالة أخبرنا أبو الحسن الاهوازى أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى حدثنا اسمعيل بن الفضل حدثنا يحيى بن مخلد حدثنا معاذ بن عمران عن الحرث ابن شهاب عن معبد بن أبى قلابة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة هن أصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن اياكم والكبر فان ابليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم واياكم والحرص فان آدم حمله الحرص على أن يأكل من الشجرة واياكم والحسد فان ابنى آدم انما قتل أحدهما صاحبه حسدا وقد تقدم ذلك وأخرج الطبرانى فى الكبير من حديث ابن مسعود ومن حديث ثوبان اذا ذكر أصحابى فامسكوا واذا ذكرت النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا ورواه أيضا ابن عدى من حديث ابن عمر (وقال بكر بن عبد الله) المزنى (كان رجل يغشى بعض الملوك) أى يدخل عليه (فيقوم بحذاء الملك) أى فى مقابلته (فيقول أحسن الى المحسن باحسانه فان المسىء ستكفيه اساءته فحسده

(الآثار) قال بعض السلف أول خطيئة كانت هى الحسد حسد ابليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية وحكى أن عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال انى أريد أن أعظك بشئ فقال وما هو قال اياك والكبر فانه أول ذنب عصى الله به ثم قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس الآية واياك والحرص فانه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والارض يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ اهبطوا منها الى آخر الآية واياك والحسد فانما قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق الآيات واذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسك واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول أحسن الى المحسن باحسانه فان المسىء سيكفيكه اساءته فحسده

رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذى يقوم بحذائك و يقول مايقول زعم ان الملك أبخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندى قال تدعوه اليك فانه اذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال أحسن الى المحسن باحسانه فان المسىء سيكفيه اساءته فقال له الملك ادن منى فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك فى نفسه ماأرى فلانا الا قد صدق قال وكان الملك لايكتب بخطه الا بجائزة أوصلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا أتاك حامل كتابى هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذى سعى به فقال ماهذا الكتاب قال خط الملك لى بصلة فقال هبه لى فقال هو لك فأخذه ومضى به الى العامل فقال العامل فى كتابك ان أذبحك وأسلخك قال ان الكتاب ليس هو لى فالله الله فى أمرى حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال مافعل الكتاب فقال لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته له قال الملك انه ذكر لى انك تزعم انى أبخر قال ماقلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك قال لانه أطعمنى طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسىء اساءته وقال ابن سيرين رحمه الله ماحسدت أحدا على شىء من أمر الدنيا لانه ان كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهى حقيرة فى الجنة وان كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ماأنساك بنى يعقوب

رجل على ذلك المقام) من الملك (والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذى يقوم بحذائك و يقول مايقول زعم ان الملك أبخر) وهو الذى فسد ريح فمه (فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندى قال تدعو به اليك اذا أخذ مقامه فانه اذا دنا منك يضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى أنظر) صحة ذلك (فخرج من عند الملك فدعا الرجل) المذكور (الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال) على عادته قوله أيها الملك (أحسن الى المحسن باحسانه والمسىء ستكفيه مساويه فقال له الملك ادن منى فدنا فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه ريح الثوم فقال الملك فى نفسه ماأرى فلانا الا قد صدق) فى قوله (قال وكان الملك لايكتب بخطه الا بجائزة أو صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا أتاك حامل كتابى فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذى سعى به فقال ماهذا الكتاب فقال خط الملك لى بصلة فقال هبه منى فقال هو لك فاخذه ومضى الى العامل فقال العامل فى كتابك ان أذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لى الله الله فى أمرى حتى ارجع الى الملك قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال مافعل الكتاب فقال لقينى فلان واستوهبه منى فوهبته له فقال الملك انه ذكر لى انك تزعم انى أبخر قال مافعلت قال فلم وضعت يدك على أنفك قال كان اطعمنى طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسىء اساءته) أخرجه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا محمد بن حمزة حدثنا على بن سهل حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن بكر بن عبد الله قال كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له حاجب يقربه و يدنيه وكان هذا الحاجب يقول أيها الملك أحسن الى المحسن ودع المسىء تكفيه اساءته قال فحسده رجل على قربه من الملك فسعى به فقال أيها الملك ان هذا الحاجب عدو يخبر الناس انك أبخر قال وكيف لى بان اعلم ذلك قال اذا دخل تدنيه تكلمه فانه يقبض على أنفه قال فذهب الساعى فدعا الحاجب الى دعوته واتخذ مرقة وأكثر فيها الثوم فلما كان من الغد دخل الحاجب فأدناه الملك يكلمه بشىء فقبض على فيه فقال له تنح فدعا بالدواة وكتب له كتابا وختمه وقال اذهب بهذا الى فلان وكانت جائزته مائة ألف فلما ان خرج استقبله الساعى فقال أى شىء هذا قال قد دفعه الى الملك فاستوهبه فوهبه فاخذ الكتاب ومر فلما ان فتحوا الكتاب دعوا بالذباحين فقال اتقوا الله ياقوم فان هذا غلط وقع على وعاودوا الملك فقالوا لا يتهيأ لنا معاودة الملك وكان فى الكتاب اذا أتاكم حامل كتابى هذا فاذبحوه واسلخوا جلده واحشوه بالتبن ووجهوه الى فذبحوه وسلخوا جلده ووجهوه له فلما ان رآه الملك تعجب فقال تعال وحدثنى واصدقنى لم اذ أدنيتك قبضت على أنفك فقال أيها الملك ان هذا دعانى الى دعوته واتخذ مرقة وأكثر فيها الثوم واطعمنى فلما أدنانى الملك قلت يتأذى الملك بريح الثوم فقال ارجع الى مكانك وقل ما كنت تقوله ووصله بمال عظيم أو كماذكره (وقال محمد بن سيرين) رحمه الله تعالى (ماحسدت أحدا على شىء من أمر الدنيا لانه ان كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهى حقيرة فى الجنة وان كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير الى النار) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الحسد (وقال رجل للحسن) البصرى رحمه الله تعالى هل يحسد المؤمن قال ماأنساك بنى يعقوب عليه السلام حين حسدوا يوسف لمكانته

عند

عند أبيهم (نعم ولكن غمة فى صدرك وانه لا يضرك مالم تعد به يدا أولسانا) أى تجاوز غمها فى صدرك الى عمل اليد أو اللسان أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن نصير حدثنا اسمعيل ابن عمرو حدثنا مالك بن مغول أراه عن عبد الملك بن عمير قال قال أبو الدرداء من أكثر ذكر الموت قل فرحه وقل حسده ورواه أيضا عن عبد الرحمن بن العباس حدثنا ابراهيم بن اسحق الحربى حدثنا عبد الله بن عمر حدثنا ابن خراش عن العوام عن ابراهيم التيمى عن أبى الدرداء فذكره (وقال معاوية) رضى الله عنه (كل الناس أقدر على رضاه الا الحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها) أخرجه القشيرى فى الرسالة من غير اسناد (ولذلك قيل * كل العداوة قد ترجى اماتتها) ويروى مودتها (الا عداوة من عاداك من حسد) أورده القشيرى فى الرسالة (وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى) أى من الالم فى قلبه فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (وقال اعرابى ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه) وقد روى نحو ذلك من قول عمر بن عبد العزيز ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد غم دائم ونفس متتابع كذا فى الرسالة القشيرية وروى أيضا من قول الخليل بن أحمد ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد نفس دائم وعقل هائم وحزن لازم رواه البيهقى فى الشعب (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (يا ابن آدم لم تحسد أخاك فان كان الذى أعطاه لكرامة عليه فلم تحسد من أكرمه الله تعالى وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الحسد (وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الحسد ومما بقى من الآثار مما يدخل فى الباب قال الاحنف بن قيس لا راحة لحسود أخرجه البيهقى فى الشعب وروى ابن عمران ابليس قال لنوح اثنتان أهلك بهما بنى آدم الحسد وبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما والحرص ابيح آدم بالجنة كلها فاصبت حاجتى منه بالحرص أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الحسد قيل الحسود لا يسود رواه القشيرى فى الرسالة وهو صحيح المعنى والمشهور على الالسنة الحسود لا يسود أبدا والبخيل تأكل ماله العدا وفى الرسالة وقيل فى قوله تعالى قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن قيل ما بطن الحسد قلت والمشهور ما بطن من معاصى القلب من حسد وغيره كالعجب والحقد وسوء الظن قال وقيل أثر الحسد يستبين فيك قبل ان يتبين فى عدوك وقال الاصمعى رأيت اعرابيا أتت عليه مائة وعشرون سنة فقلت ما أطول عمرك قال تركت الحسد فبقيت وقال ابن المبارك الحمد لله الذى لم يجعل فى قلب امرئ ما جعله فى قلب حاسدى وفى بعض الآثار ان فى السماء الخامسة ملكا يمر به عمل عبد له ضوء كضوء الشمس فيقول له الملك قفه فانا ملك الحسد أضرب به وجه صاحبه فانه حاسد ويقال الحاسد ظالم غشوم لا يبقى ولا يذر وقيل من علامات الحاسد ان يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة اذا نزلت وقال معاوية ليس فى خلال الشر خلة اعدل من الحسد يقتل الحاسد غما قبل المحسود وقيل أوحى الله الى سليمان بن داود عليهما السلام أوصيك بسبعة أشياء لا تغتابن صالح عبادى ولا تحسدن أحدا من عبادى فقال سليمان عليه السلام يا رب حسبى وقيل الحاسد اذا رأى نعمة بهت واذا رأى عثرة شمت وقيل اذا أردت ان تسلم من الحاسد فلبس عليك أمرك وقيل الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له بخيل بما لا يملكه وقيل اياك ان تعتنى فى مودة من يحسدك فانه لا يقبل احسانك وقيل اذا أراد الله سبحانه ان يسلط على عبد عدوا له لا يرحمه سلط عليه حاسده وقال ابن المعتز

قل للحسود اذا تنفس صعدة * يا ظالما وكأنه مظلوم

وقال غيره

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود

(بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه)

(اعلم) وفقك الله تعالى (انه لا حسد الا على نعمة فاذا أنعم الله على أخيك) فى الدين (بنعمة فلك فيها

نعم ولكن غمه فى صدرك فانه لا يضرك مالم تعد به يدا ولا لسانا وقال أبو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه الا الحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك قيل

كل العداوة قد ترجى اماتتها
الا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابى ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد أخاك فان كان الذى أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا

(بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه)

اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها

حالتان احداهما أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة
النعمة وحب زوالها على المنعم عليه) قال التاج السبكي في قواعده اعلم ان طائفة من الفقهاء أشكل وارد
شهادة الحاسد مع قبولها من العدو على غير عدوه و يقوّى الاشكال تفسير الشافعي العداوة التي ترد بها
الشهادة بأنها التي تبلغ حدا يتمنى هذا زوال نعمة ذاك و يفرح بمصائبه و يحزن لمسرته ففسر الحسد بما
فسر به العداوة أو بأخف لان تمني زوال النعمة أشد من أن يهوى زوالها اذ التمني تفعل و يهوى فعل
والتفعل أشد ولكني أقول في الفرق الذي يتضح به العرف بعد تسليم ان الحسد ترد به الشهادة كما قال
الراغب تمني زوال نعمة على مستحق لها ور بما كان معه سعي في ازالتها وفي الصحاح انه تمني زوال نعمة
المحسود اليك وعليه جرى ابن الاثير في النهاية حيث قال ان الحسد أن يرى لاخيه نعمة فيتمنى أن تزول
عنه وتكون له دونه فاتفقوا على ان الحسد تمني زوال نعمة الغير وشرط الراغب كون الغير مستحقا
والصحاح كون الحاسد يتمنى انقلاب النعمة اليه فأقول ان الحسن تمني زوال نعمة من يستحق تلك النعمة
فالحاسد يعاند المقادير الالهية و يطلب وضع الحق في غير موضعه أو زواله عن موضعه فهو عاص بهذا
الاعتبار وأما العداوة فناشئة من كراهة شخصه بسبب من الاسباب أعم من أن يكون السبب الذي
كرهه لاجله مقتضيا للكراهة أم لا ولا يكون الحامل عليه تلبيس عدوه بالنعمة بل بمجرد تقربه منه
وذلك مما جبلت عليه بعض السريرة فليس العدو عاصيا ولا مراغما حقا وان كان العدو ذا نعمة
يستحقها فليس الحامل له على عداوته كونه مستحقا بل انه عدو فان انضم الى العداوة سعي في زوال النعمة
من المستحق أو أمر آخر فهو معصية صرح به في الاعجاب و بهذا ظهر ان تعريف الحسد في الرافعي ناقض
ما قاله أهل اللغة (الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ولا دوامها ولكنك تشتهي لنفسك
مثلها وهذا يسمى غبطة) وهي محمودة (وقد يخص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد
منافسة ويوضع أحد اللفظين بدل الآخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم
المؤمن يغبط والمنافق يحسد) قال العراقي لم أجد له أصلا مرفوعا وانما هو من قول الفضيل بن عياض
كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد قلت ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق ابراهيم بن الاشعث
قال سمعت الفضيل بن عياض يقول المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط والمؤمن يستر و يعظ
و ينصح والفاجر يهتك و يغيظ و يشين و يعير (فأما الاول فهو حرام بكل حال) اذ لا يخلو من معاندة المقادير
الالهية أو طلب الحق في غير موضعه أو زواله عن موضعه فالمتلبس به عاص بهذا الاعتبار وذلك اما كبيرة
أو يصير كبيرة بالتكرار بالنسبة الى شخص واحد أو أشخاص لاسيما اذا انضم السعي اليه في الازالة (الا
نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتن وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا تضرك
كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث انها آلة الفساد ولو
امنت فساده لم يغمك تنعمه و يدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها) آنفا كحديث أبي هريرة
لا تحاسدوا ولا تباغضوا وحديثه أيضا سيصيب أمتي داء الامم وحديثه أيضا اياكم والحسد وحديث
الزبير دب اليكم داء الامم قبلكم وغيرها مما تقدم ذكرها (وان هذه الكراهة تسخط لقضاء الله) وقدره
(في تفضيل بعض عباده على بعض) لحكمة سبقت (وذلك لا عذر فيه ولا رخصة وأي معصية تزيد على
كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك فيه مضرة والى هذا أشار القرآن بقوله ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة) أشار بذلك الى ان المراد بالحسنة النعمة
وبالسيئة المعصية وانه أريد بالاول الحسد و بالثاني الشماتة ثم نبه على انهما لا يضران المحسود ولا المشموت
به اذا اتقى وصبر بقوله وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ (والحسد والشماتة يتلازمان) وهي
معصية زائدة على معصية الحسد (وقال تعالى) ود كثير من أهل الكتاب (لو يردونكم من بعد ايمانكم

ثالثان احداهما أن
تكره تلك النعمة
وتحب زوالها وهذه
الحالة تسمى حسدا فالحسد
حده كراهة النعمة وحب
زوالها عن المنعم عليه الحالة
الثانية ان لا تحب زوالها
ولا تكره وجودها ودوامها
ولكن تشتهي لنفسك
مثلها وهذه تسمى غبطة
وقد تختص باسم المنافسة
وقد تسمى المنافسة حسدا
والحسد منافسة ويوضع
أحد اللفظين موضع الآخر
ولا حجر في الاسامي بعد فهم
المعاني وقد قال صلى الله
عليه وسلم ان المؤمن يغبط
والمنافق يحسد فأما الاول
فهو حرام بكل حال الا نعمة
أصابها فاجر أو كافر وهو
يستعين بها على تهييج
الفتنة وافساد ذات البين
وايذاء الخلق فلا يضرك
كراهتك لها ومحبتك
لزوالها فانك لا تحب زوالها
من حيث هي نعمة بل من
حيث هي آلة الفساد ولو
أمنت فساده لم يغمك
بنعمته ويدل على تحريم
الحسد الاخبار التي نقلناها
وأن هذه الكراهة تسخط
لقضاء الله في تفضيل بعض
عباده على بعض وذلك لا عذر
فيه ولا رخصة وأي معصية
تزيد على كراهتك لراحة
مسلم من غير أن يكون لك
منه مضرة والى هذا أشار
القرآن بقوله ان تمسسكم
حسنة تسؤهم وان تصبكم
سيئة يفرحوا بها وهذا
الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم

كفارا حسدا من عند أنفسهم وقال) تعالى (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) أى مساوين في الكفر (فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف) عليهم السلام وهم عشرة لامهات شتى بنى يعقوب عليه السلام وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى ورديالون و بشحر ودنية بنت خالته تزوجها يعقوب أولا فلما توفيت تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وأربعة آخرين نتيال وجاد واشر من سريتين زلفة وبلحص (وعبر عما في قلوبهم بقوله قالوا ليوسف وأخوه) يعنى بنيامين وهو أخوه لامه وأبيه واختصاصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين (أحب الى أبينا منا ونحن عصبة) أى والحال انا جماعة أقوياء أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما (ان أبانا لفى ضلال مبين) لتفضيله المفضول أولترك العدل في المحبة روى انه كان أحب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له (اقتلوا يوسف أواطرحوه أرضا) بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها (يخل لكم وجه أبيكم) أى يصف لكم فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم (فلما كرهوا حب أبيه له) وعدم صبره عنه (ساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه فغيبوه عنه) بما هو مذكور في القرآن (وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا أى لا تضيق به صدورهم ولا يغتمون) من رؤية ما آتاهم الله من فضله (فاثنى الله عليهم بعدم الحسد) وهو عدم ضيق الصدور من رؤية النعمة (وقال تعالى في معرض الانكار) على أهل الكتب (أم يحسدون الناس) أى بل يحسدون وانما قدرت أم هنا ببل لان المراد هنا اثبات الحسد لهم لا الاستفهام عنه لا بالانكار ولا بغيره واذا كان هذا المراد تعين أن يكون التقدير بل يحسدون ويشهد لذلك قوله تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا الآية وقد سبق قريبا لا يقال الانكار يتضمن الاثبات وزيادة لانا نقول تلك الزيادة لا دليل عليها بل ولا يقتضيها المقام فظهر ان الاظهر في أم هنا ان معناها بل فقط وفي قوله يحسدون دلالة على ان المضارع حقيقة في الحال لانه أطلق في يحسدون وأريد الحال لانهم كانوا حاسدين وقت وقوع اللفظ عليهم ولم يرد انهم يحسدون في المستقبل واذا أطلق وأريد الحال كان حقيقة لان الاصل في الاطلاق الحقيقة وهذا عند التحقيق خلاف من يدعى صلاحية الحال والاستقبال كابن مالك لانه يجعله موضوعا للقدر المشترك الا أن يقال التواطؤ يقع على افراده للحقيقة قال التاج السبكى في قواعده وأنا أقول بالفصل في ذلك في المشكل وتساوى الافراد وفي الآية دلالة على ان مفهوم العموم من باب الكلية لا من باب الكل لانه تعالى قد ذمهم على الحسد فاما أن يكون الحسد المذموم عليه الحسد من حيث هو أو الحسد من حيث العموم بمعنى ان كل واحد مذموم على الحسد القائم به من غير نظر الى القائم بغيره ولا خامس لهذه الاقسام عقلا ولا سبيل الى الاول لان الحسد من حيث هو ليس من فعل المكلف لا يلام عليه ولا الى الثانى لان حسد غيره ليس من فعله فكيف يلام على فعل غيره ولا الى الثالث أيضا لانه كذلك فتعين الرابع وهو أن يكون الحكم ثابتا لكل فرد اثباتا وسلبا غير منظور فيه الى غيره بنفى ولا اثبات وفي الآية أيضا دليل على جواز التكليف بما لا يطاق لانه تعالى لامهم على الحسد وهو أمر يقوم بالحاسد لا يقدر على دفعه ونظيرها أقبل ولا تخف ولا يقال انما دام على تعاطى أسبابه للاجماع على ان الحسد في نفسه مذموم ولان البخل والحسد سيان في كونهما مما لا يطاق وقد ذمهم على البخل قبل ذلك في قوله أم لهم نصيب من الملك الآية وكذلك في قوله الذين يبخلون والبخل والحسد مشتركان في ان صاحبهما يريد منع النعمة عن الغير ثم يتميز البخل بعدم دفع ذى النعمة شيأ والحسد تمنى أن لا يعطى أحد سواه شيأ وفي الآية أيضا دلالة على ان الحسد حرام ثم يختلف باختلاف المحسود فان كان نبيا فهو أيضا كفر والا فلا ينتهى الى الكفر فان قلت ما وجه دلالته على التحريم قلت التوعد عليه في قوله تعالى وكفى

كفارا حسدا من عند أنفسهم فاخبر تعالى أن حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين اقتلوا يوسف أواطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم فلما كرهوا حب أبيهم له ساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه فغيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا أى لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار أم يحسدون الناس

بجهنم سعيرا مع السياق المؤذن بذلك وفي التوعد كفاية فانه كالنص في التحريم فان قلت فما وجه دلالته على مطلق الحسد والكلام على الحسد انما هو في حسدهم النبي صلى الله عليه وسلم على ما سيذكر من ان المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم قلت قوله يحسدون الناس فانه دال على ان العلة في الذم للحسد على الاثبات من الفضل وهذا شامل لكل محسود على نعمة أوتيها من فضل الله وفيها دلالة على صحة اطلاق اسم الجميع وارادة الواحد لان المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم كما روى ذلك عن ابن عباس والشافعي والاكثرين وتقريره ذلك انه لو لم يرد بالناس بعض المؤمنين وأراد كلهم لناقض قوله انهم لم يحسدوا آل ابراهيم لكنه لا يناقضه لاستحالة التناقض على كلام الله فدل على انه أراد البعض وما هو الا محمد صلى الله عليه وسلم لان القائل قائلان قائل بان المراد جميع المؤمنين وقائل بان المراد النبي عليه السلام والاول مندفع بان مدعيه يدعي زيادة الاصل والاصل عدمها الا ان هذا اللفظ قد ثبت انه استعمل في الخصوص فليحمل على المتيقن وعلى من ادعى ما وراءه الدليل فثبت الثاني وقد كان يمكن أن يقال ان المراد بالناس آل النبي كما في آل ابراهيم والمعنى انهم يحسدون آل النبي لكونه بعث من أنفسهم ويكون النبي هو الفضل الذي أوتيه أهله وحسدوا عليه ولكن هذا القول لم نر من قال به (على ما آتاهم الله من فضله) من النبوة والرسالة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم وتمام الآية فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا (وقال) تعالى (كان الناس أمة واحدة الى قوله الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا) أي فسروا البغي بالحسد فانه تجاوز من الحق الى الباطل (وقال) تعالى (وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) أي حسدا (فانزل الله العلم) في صدورهم (ليجمعهم) أي يجمع شملهم (ويؤلف بينهم على طاعته) الواجبة عليهم (وامرهم ان يتألفوا بالعلم فتحاسدوا) وتباغضوا وتدابروا (واختلفوا واراد كل واحد منهم ان ينفرد بالرياسة) والتقدم (وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس) رضي الله عنه (كانت اليهود الذين بالمدينة قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب) الذي وعدتنا (ان تنزله الا ما نصرتنا على هذا القوم فكانوا) يستجاب دعاؤهم و (ينصرون) على عدوهم (فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه) حق المعرفة (وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى) في حقهم (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله ان يكفروا بما أنزل الله بغيا أي حسدا) قال العراقي رواه ابن اسحق في السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان اليهود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره بنحوه وهذا منقطع انتهى قلت قد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق الضحاك عن ابن عباس ولا انقطاع فيه (وقالت صفية بنت حيي) بن أخطب بن سعنة الاسرائيلية أم المؤمنين رضي الله عنها اصطفاها النبي صلى الله عليه وسلم من سبي خيبر وجعل عتقها صداقها وقسم لها وكانت من عقلاء النساء لها شرف في قومها (للنبي صلى الله عليه وسلم جاء أبي وعمي من عندك يوما فقال أبي لعمي ما تقول فيه قال أقول انه النبي الذي بشر به موسى) صلى الله عليه وسلم (فما ترى) أنت (قال أرى معاداته أيام الحياة) أي مدة الحياة قال العراقي رواه ابن اسحق في السيرة قال حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حدثت صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضا (فهذا حكم الحسد في التحريم وأما المنافسة فليست بحرام بل هي اما واجبة) كما اذا كانت في الامور الدينية (أو مباحة) كما اذا كانت في الفضائل (وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة) توسعا (قال قثم بن العباس) بن عبد المطلب له صحبة ورواية ولم يعقب استشهد بعد الحسين وله ذكر في اللباس في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه

على ما آتاهم الله من فضله
وقال تعالى كان الناس أمة
واحدة الى قوله الا الذين
أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات
بغيا بينهم قيل في التفسير
حسدا وقال تعالى وما
تفرقوا الا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم فانزل الله
العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم
على طاعته وأمرهم أن
يتألفوا بالعلم فتحاسدوا
واختلفوا اذ أراد كل واحد
منهم أن ينفرد بالرياسة
وقبول القول فرد بعضهم
على بعض قال ابن عباس
كانت اليهود قبل أن يبعث
النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قاتلوا قوما قالوا نسألك
بالنبي الذي وعدتنا أن
ترسله وبالكتاب الذي تنزله
الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون
فلما جاء النبي صلى الله عليه
وسلم من ولد اسمعيل عليه
السلام عرفوه وكفروا به
بعد معرفتهم اياه فقال
تعالى وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا
به الى قوله أن يكفروا بما
أنزل الله بغيا أي حسدا
وقالت صفية بنت حيي للنبي
صلى الله عليه وسلم جاء أبي
وعمي من عندك يوما فقال
أبي لعمي ما تقول فيه قال
أقول انه النبي الذي بشر به
موسى قال فما ترى قال أرى
معاداته أيام الحياة فهذا
حكم الحسد في التحريم
* وأما المنافسة فليست
بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة واما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة والمنافسة بدل الحسد

وسلم

قال قثم بن العباس لما أراده هو والفضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قالا لعلى حين قال لهما لا تذهبا
اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ماهذا منك الانفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك أى هذا منك حسد وما
حسدناك على تزويجه
اياك فاطمة والمنافسة فى
اللغــة مشتقة من النفاسة
والذى يدل عــلى اباحــة
المنافسة قوله تعالى وفى ذلك
فليتنافس المتنافسون وقال
تعالى سابقوا الى مغفرة من
ربكم وانما المسابقة عنــد
خوف الفوت وهو كالعبدين
يتسابقان الى خدمة مولاهما
اذ يجزع كل واحــد أن
يسبقه صاحبه فيحظى عند
مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها
فكيف وقد صرح رسول
الله صلى الله عليه وسلم بذلك
فقال لا حسد الا فى اثنتين
رجل آتاه الله مالا فسلطه
على هلكته فى الحق ورجل
آتاه الله علما فهو يعمل به
و يعلمه الناس ثم فسر ذلك
فى حــديث أبى كبشــة
الانمارى فقال مثل هــذه
الامة مثل أربعة رجل آتاه
الله مالا وعلما فهو يعــمل
بعلمه فى ماله ورجــل آتاه
الله علما ولم يؤته مالا فيقول
رب لو أن لى مالا مثــل مال
فلان لكنت أعمل فيه بمثل
عمــله فهما فى الاجر سواء
وهذا منه حب لان يكون له
مثل ماله فيعمل مثــل ما
يعمل من غير حب زوال
النعمة عنه قال ورجل آتاه
الله مالا ولم يؤته علما فهو
ينفقه فى معاصى الله ورجل
لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لى مثل مال فلان لكنت أنفقه فى مثل ما أنفقه فيه من المعاصى
فهــما فى الوزر سواء فذمه رسول الله صــلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه

وسلم حمله بين يديه وكان يشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان أخا الحسين من الرضاعــة توفى بسمرقند وله مقام هنالك يزار روى له النسائى فى خصائص على (لما أراده هو و) أخوه (الفضل بن العباس) وهو أكبر ولد العباس استشهد فى خلافة عمر روى له الجماعة (ان يأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قالا لعلى) بن أبى طالب رضى الله عنه (حين قال لهما على لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها) أى على الصدقات فانه علم انها أوساخ ولا يرضى لهما العمل على مثلها (فقالا له ماهذا منك) ياعلى (الانفاسة والله لقد زوجك ابنته) فاطمة (فما نفسنا) بكسر الفاء أى ماضننا (ذلك عليك أى هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجــه اياك فاطمة) رضى الله عنها قال العراقى هكذا وقع للمصنف انهما قثم والفضل وانما هما الفضل والمطلب بن ربيعة كما رواه مسلم من حــديث المطلب بن ربيعة بن الحرث قال اجتمع ربيعة بن الحرث والعباس بن عبد المطلب فقالا والله لو بعثنا هذين الغلامين قال لى وللفضل بن العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلماه فذكر الحــديث (والمنافسة مشتقة فى اللغة من النفاسة) وقد نفس الشئ بالضم نفاسة كرم فهو نفيس وأنفس انفاسا مثله فهو منفس ونفست به مثل ضننت لنفاسته وزنا ومعنى (والذى يدل على اباحــة المنافسة قوله تعالى وفى ذلك) أى الرحيق والنعــيم (فليتنافس المتنافسون) أى ليرتغب المرتغبون (وقال) تعالى (سابقوا الى مغفرة من ربكم) وجنة عرضها السموات والارض (وانما) تكون (المسابقة عنــد خوف الفوت) كما سيأتى (وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد ان يسبقه صاحبــه فيحظى) أى ينال الحظوة وهى الشرف والكرامة (عند مولاه أى سيده بمنزلة لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به و يعلمه الناس) أخرجه الائمة الستة فى كتبهم سوى أبى داود من حديث سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنتين رجــل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار رواه كذلك أحمد وابن حبان وقد روى من طريق عبد المجيد بن عبــد العزيز بن أبى داود عن الزهرى باللفظ السابق و رواه أحمــد والشيخان وابن ماجه وابن حبان من حــديث ابن مسعود بنحوه ورواه أيضا أحمد والبخارى من حديث أبى هريرة بنحوه و روى أبو يعلى والضياء من حديث أبى سعيد بنحوه و رواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة له من حديث ابن عمرو بنحوه وقد ذكر تفصيل ذلك فى كتاب العلم (ثم فسر ذلك فى حديث أبى كبشة الانمارى) المذحجى رضى الله عنه مشهور بكنيته واختلف فى اسمه على أقوال فقيل سعيد بن عمرو أو عمرو بن سعيد وقيل عمر أو عامر بن سعد نزل حمص روى له أبو داود والترمذى وابن ماجه و روى عن أبى بكر و روى عنه عمرو بن رؤبة وغيره (فقال مثل هــذه الامة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه فى ماله) ينفقه فى حقه (ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لى مالا كنت أعمل فيه بمثل عمله فهما فى الاجر سواء) قال المصنف (وهذا منه حب لان يكون له مثل ما كان له من غير حب زوال النعمة عنه) ثم رجع الى بقيته فقال (قال) الراوى (ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه فى معاصى الله) وفى رواية فهو يتخبط فى ماله ينفقه فى غير حقه (ورجل لم يؤته الله مالا ولا علما فيقول لو أن لى مال فلان كنت أعمــل بمثل عمله فهــما فى الوزر سواء) قال العراقى رواه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حسن صحيح انتهى قلت و رواه كذلك أحمــد وهناد والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب (فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبــه

أن يكون له من النعمة مثل ماله فاذالاحرج على من يغبط غيره فى نعمة و يشتهى لنفسه مثلهامهمالم يحب زوالهاعنه ولم يكره دوامهاله ثم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لانه اذالم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال فى المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق به فى النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكأن تحت هذه النعمة أمرين أحدهما راحة

المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه و يحب مساواته له ولاحرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها فى المباحات نعم ذلك ينقص من الفضائل و يناقض الزهد والتوكل والرضا و يحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لايوجب العصيان وههنا دقيقة غامضة وهو أنه اذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود فاذا انسد أحد الطريقين فيكاد القلب لاينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشهى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لاينفك القلب عنه فان كان بحيث لو ألقى الامر اليه ورد الى اختياره لسعى فى ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان تدعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عما يجده فى طبعه من ارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لاينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ أى ان وجدت فى قلبك شيأ فلا تعمل به و بعيد أن يكون الانسان مريدا اللحاق باخيه فى النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لامحالة ترجيحا له على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغى أن يحتاط فيه فانه موضع الخطر ومامن انسان الاوهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم و يكاد ينجر ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوى الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره

أن يكون له من النعمة مثل ماله فاذالاحرج على من يغبط غيره فى نعمة و يشتهى لنفسه مثلها مهمالم يحب زوالهاعنه ولم يكره دوامهاله) وهذا هو حسد الغبطة المحمودة (ثم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة والزكاة) وما أشبهها (فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب أن يكون مثله) فى التلبس بتلك النعمة (لانه ان لم يحب) ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل الخارجة (كانفاق الاموال فى المكارم والصدقات) للفقراء (فالمنافسة فيها مندوب اليها) لانها تبعث على مكارم الاخلاق (وان كانت نعمة يتنعم فيها على وجه مباح) قد أباح له الشرع فى التمتع بها (فالمنافسة فيها مباحة) فالمنافسة تتبع ماغبط فيه حرمة واباحة ووجوبا وندبا (وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق به فى النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكأن تحت هذه النعمة أمرين أحدهما راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه) عن اللحوق (و يحب مساواته له ولاحرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها فى المباحات) مالم يحب نقصان غيره (نعم ذلك ينقص من الفضل و يناقض الزهد والتوكل والرضا) والتسليم والقناعة وهن أحوال شريفة (و يحجب عن المقامات الرفيعة) المقدار (ولكنه لايوجب العصيان) فى ظاهر الشرع (وههنا دقيقة غامضة) خفية المدرك (وهو انه اذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه) عن نفسه (فلامحالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه) باحد أمرين (اما بان ينال مثل ذلك أو بان تزول نعمة المحسود فاذا انسد أحد الطريقين فيكاد القلب لاينفك من شهوة الطريق الآخر) وهو زوال نعمة المحسود (حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشهى عنده من دوامها عليه اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره) الذى هو المطلوب (وهذا يكاد لاينفك القلب عنه فان كان بحيث لو ألقى الامر اليه ورد الى اختياره لسعى فى ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان) ممن (تدعه) أى تمنعه (التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عنه فيما يجده فى طبعه من ارتياح الى زوال النعمة عن محسوده بهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعنى") أى المراد (بقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث) خصال (لاينفك المؤمن عنهن) أى فانهن لازمات (الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ) تقدم قريبا (أى ان وجدت فى قلبك شيأ فلا تعمل به) أى بمقتضاه (و بعيد ان يكون الانسان مريد اللحاق باخيه فى النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لامحالة له ترجيحا على دوامها) الا من عصمه الله عنه (فهذا الحد من المنافسة يزاحم) أى يقابل (الحسد الحرام فينبغى ان يحتاط له فانه موضع الخطر ولا أحد الا وهو يرى) وفى نسخة ومامن انسان الا وهو يرى (نفسه فوق جماعة من معارفه واقرانه) وفى نسخة وهو يرى فوق نفسه من معارفه وأقرانه (من يحب ان يساويه) وفى نسخة مساواتهم (و يكاد ينجر) وفى نسخة يجره (ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوى الايمان رزين التقوى) أى شديده صلبه (ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه من غيره

حره ذلك الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو أن يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه أصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به ان شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه * وأما مراتبه فأربع (الاولى) أن يحب زوال النعمة عنه وان كان ذلك لا ينتقل اليه وهذا غاية الخبث (الثانية) ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها (الثالثة) أن لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها فان عجز عن مثلها أحب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما (الرابعة) أن يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الرتبة الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم وأما تمنيه عين ذلك فهو مذموم * (بيان أسباب الحسد والمنافسة) * اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك أمرا دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة أبواب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة على غيره اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه أو الى من

حره ذلك الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه أصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن ذلك يعفى عنه ما لم يعمل به ان شاء الله تعالى) وهو الذي فهم من الحديث السابق (وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له) قال التاج السبكي في قواعده في الكلام على قوله تعالى أم يحسدون الناس الآية وفيها دلالة على ان الحسد كبيرة عند من يقول الكبيرة ما هدد عليه أو توعد به وفيها دلالة على انه اذا لم يظهره اللسان بل أضمره الجنان لا يعاقب صاحبه الى يوم القيامة فلا يعزر في الدنيا ولا يؤاخذ لانه من أعمال القلوب التي لا اطلاع عليها فلا يؤاخذ بها ما لم يظهره بقول أو فعل ونظير المسئلة قول الشيخ أبي حامد ان من يتعين قتله ولا يظهر ذلك بقول ولا فعل لا يقدح في شهادته لان ما في القلب لا يمكن الاحتراز عنه والله أعلم (فهذه حقيقة الحسد وأحكامه وأما مراتبه فهي أربعة * الاولى أن يحب زوال النعمة عنه وان كان ذلك لا ينتقل اليه وهذا غاية الخبث * الثانية أن يحب انتقالها لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة) الاحكام (أوسعة) العيش (نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه) أي ما يكرهه (فقد النعمة) من أصلها (لا تنعم غيره بها * الثالثة أن لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها أحب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما * الرابعة أن يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل) له ذلك (فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة فيها مذموم) وهو محبة زوالها (وغير مذموم) وهو طلب مثلها (والثانية) التي هي محبة زوال النعمة (أخف من الثالثة) التي هي محبة زوالها ان لم يحصل له مثلها هكذا في النسخ والاولى العكس (والاولى) التي هي محبة زوالها عنه وان لم تنتقل اليه (مذموم محض) وقد سماه غاية الخبث (وتسمية المرتبة الثانية) هكذا في النسخ والاولى الرابعة (حسدا فيه تجوز وتوسع) وذلك سائغ في كلام العرب (ولكنه مذموم قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما وقال تعالى لكل أجل كتاب وكل شيء عنده بمقدار (فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم اما تمنيه عين ذلك فمذموم) فانه يقتضي زوال ذلك العين عنه

(بيان أسباب الحسد والمنافسة)

(اما المنافسة فسببها حب) ما فيه (المنافسة) مما تنتهي اليه الرغبات (فان كان ذلك مرادا دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته) فهما اللذان الجآه الى التنافس فيه (وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم بها) والتمتع بعلائقها وهذا ظاهر في كونه مباحا (وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة أبواب) وما عداها متفرع عنها وآيل اليها وهي (العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها) فهذا من أصول الاسباب ثم ذكر وجه الحصر في هذه السبعة فقال (فانه انما يكره النعمة على غيره اما لانه عدوه) اما بسبب ديني أو دنيوي (فلا يريد له الخير) مطلقا (وهذا) هو السبب الاول وقد قالوا الذي له عدو ماله هدو وذلك (لا يختص بالامثال) والاقران (بل) قد (يحسد الخسيس) أي الدنيء (الملك) أو الامير (بمعنى انه يحب زوال نعمته عنه لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه أو) اساءته (الى من

يحبه واما أن يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما أن يكون في طبعه أن يتكبر على المحسود و يمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر واما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب عظيما فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما أن يكون يحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما أن لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الاسباب * (السبب (٦٤) الاول) * العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد فان من آذاه شخص بسبب من الاسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فهما أصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه وانها لاجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذى آذاه بل أنعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي وأن يكره ذلك من نفسه فأما أن يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعني الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور وان تمسسكم حسنة تسؤهم الآية وكذلك قال تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه * (السبب الثاني) * التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره فاذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علما أو مالا خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه * (السبب الثالث) * الكبر وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره

يحبه) فهو يبغضه لاجل ذلك ويحسده بالمعنى المذكور (واما أن يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز) وهذا هو السبب الثاني (واما أن يكون في طبعه أن يتكبر على المحسود و يمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر) وهذا هو السبب الثالث (واما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وذلك المنصب هو التعجب) وهذا هو السبب الرابع (واما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه) وهذا هو السبب الخامس (واما أن يكون يحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها) وهذا هو السبب السادس (واما أن لا يكون لسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله) وهذا هو السبب السابع (ولا بد من شرح هذه الاسباب) وتفصيلها (السبب الاول العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد فان من آذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه و رسخ في نفسه الحقد) المستكن في ضميره (والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان) باصابة نكبة من نكباته (وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى) أي انه كريم عند الله وما صار له من الانتقام بسبب كرامته عليه (فهما أصابت عدوه بلية فرح) واستبشر (وظنه مكافأة من جهة الله تعالى له على بغضه وانه لاجله) وقد يكتم ذلك في نفسه فلا يظهره لاحد وقد لا يكتم بل يتبجح به عند الناس ويخبرهم بذلك (ومهما أصابته نعمة) أو عرض له سرور (ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يظهر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذى آذاه بل أنعم عليه) وهذه الحالة فالناس واقعون فيها (وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي أن لا يبغي) بالقول أو الفعل (وأن يكره ذلك من نفسه فاما أن يبغض انسانا ثم تستوي عنده مسرته ومساءته) على حد سواء (فهذا غير ممكن) اذ لا بد من ترجيح أحدهما على الآخر (وهذا ما وصف الله الكفار) أعني الحسد بالعداوة اذ قال) تعالى في حقهم (واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) وكل من يغتاظ يعض على أنامله (قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور وان تمسسكم حسنة الآية) وقد تقدم تمامها (وكذلك قال) تعالى في حقهم (ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم الآية والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع) أي التخاصم (والتقاتل) بالسلاح (واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل) والخداع (وبالسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه السبب الثاني التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره فاذا أصاب بعض) من اقرانه (ولاية لمنصب أو مالا أو علما خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه فليس من غرضه أن يتكبر بل من غرضه أن يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه) وفي نسخة بترفعه عليه (السبب الثالث أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره) ويستحقره

(ويستخدمه

و يستخدمه و يتوقع منه الانقياد له والمتابعة فى اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره و يترفع عن متابعته أو ربما يتشوّف الى مساواته أو الى أن يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ رؤسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أى كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال تعالى يصف قول قريش أهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم *(السبب الرابع)* التعجب كما أخبر الله تعالى عن الامم السالفة اذ قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وقالوا (٦٥) أنؤمن لبشرين مثلنا ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحى والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النبوّة عنهم جزعا أن يفضل عليهم من هو مثلهم فى الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين أبعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة وقال تعالى أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم الآية *(السبب الخامس)* الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه فى كل نعمة تكون عونا له فى الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات فى التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة فى التزاحم على نيل المنزلة فى قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه فى نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى المال والجاه وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة فى قلوبهم للتوصل بهم الى أغراض له *(السبب السادس)* حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كالذى يريد أن يكون عديم النظير فى فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح

(و يستخدمه و يتوقع منه الانقياد له) فى أموره (والمتابعة فى اغراضه فاذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره و يترفع عن متابعته وربما يتشوّف) أى يتطلع (الى مساواته أوالى أن يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان حسد أكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم) من أبويه (وكيف نطأطئ له رؤسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) يعنى مكة والطائف (عظيم أى كان لا يثقل علينا أن نتواضع له ونتبعه) ويتقدم علينا (اذا كان عظيما) قال ابن اسحق فى السيرة ان قائل ذلك الوليد بن المغيرة أينزل على محمد واترك وأنا كبير قريش ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفى سيد ثقيف فنحن عظيما القريتين فانزل الله فيما بلغنى هذه الآية ورواه أبو محمد بن أبى حاتم وابن مردويه فى تفسيرهما من حديث ابن عباس الا انهما قالا مسعود بن عمرو وفى رواية لابن مردويه حبيب بن عمير الثقفى وهو ضعيف نقله العراقى (وقال الله تعالى يصف قول قريش أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) يشيرون الى من اتبعه صلى الله عليه وسلم من المؤمنين (كالاستحقار لهم والانفة منهم) حملهم على ذلك التعزز والكبر والجبروت (السبب الرابع التعجب كما أخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحى والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال نعمة النبوّة عنهم جزعا) أى خوفا (أن يفضل عليهم من هو مثلهم فى الخلقة) الظاهرة (لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الاسباب) أى باقيها (وقالوا متعجبين أبعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة فقال تعالى) ردا عليهم تعجبهم (أو عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد) المحبوبة (وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه فى كل نعمة تكون عونا له فى الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات) جمع ضرة وقد تجمع على الضرائر (فى التزاحم على مقاصد الزوجية) فيطلب كل منهما الانفراد بالزوج من غير مشاركة (وتحاسد الاخوة فى التزاحم على نيل المنزلة فى قلوب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال) فيطلب كل منهم أن يكون مكرما عندهما وان يختص بالمال دون غيره (وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد فى نيل المنزلة من قلب الاستاذ) بان يختص به دون رفيقه (وتحاسد ندماء الملك وخواصه فى نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى الجاه والمال) وقضاء الاغراض (وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال) واصابة الدنيا (بالقبول عندهم وكذلك) تحاسد العالمين (المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة فى قلوبهم للتوصل بهم الى اغراض له السبب السادس حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كالرجل يريد أن يكون عديم النظير فى فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء) الحسن عليه (واستفزه الفرح بما يمدح

به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لانظير له فانه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها
يشاركه في المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة
ولا تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه
والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به
خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم (٦٦) مهما نسخ علمهم (السبب السابع) خبث النفس وشحها بالخير على عباد الله تعالى فانك تجد
من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب أمور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو أبدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا الخبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب أسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته اذ يستحيل في العادة ازالته
فهذه هي أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها * (بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه) * اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب فيهم وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لانه قد يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض

به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لانظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما ينفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوفا من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود) واحبارهم (ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون) مع تحققهم انه نبي أرسله الله بالحق (خيفة من أن تبطل رياستهم) وتقدمهم (واستتباعهم مهما نسخ علمهم السبب السابع خبث النفس وشحها بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما أنعم الله به عليه شق عليه ذلك) وساءه (واذا وصف له اضطراب أمور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم) أي تكدره بسبب من الاسباب (فرح به فهو أبدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح من يبخل بمال غيره) وقيل البخيل هو الذي يمنع الواجب مع حرص وقيل البخيل من يبخل على عياله دون نفسه والشحيح من يبخل على نفسه وعياله وقيل غير ذلك (فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا الخبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة) والفطرة الاصلية (ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب أسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها) بالمعالجات (وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته اذ يستحيل في العادة ازالته فهذه هي أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقوى معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة) لقوة تلك الاسباب (وتظهر العداوة بالمكاشفة) أي المجاهرة (وأكثر المحاسدات) التي بين الناس (تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها) لان بعضها يجر بعضا .

(بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران)

(والاخوة وبني العم والاقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه اعلم) وفقك الله (ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب فيهم وتتظاهر) أي تتقاوى (اذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لانه يمتنع من قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب) المذكورة (وهذه الاسباب انما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض

من الاغراض نفر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد فى قلبه فعند ذلك يريد أن يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه
من النعمة التى توصله الى أغراضه وتترادف جملة من هذه الاسباب اذلا رابطة بين شخصين فى بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة
وكذلك فى محلتين نعم اذا تجاورا فى مسكن أوسوق أومدرسة أومسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما فيثور من التناقض التنافر
والتباغض ومنه تثور بقية أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل
الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب آخر سوى الاجتماع فى الحرفة ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما
يحسد الاجانب والمرأة
تحسد ضرتها وسرية زوجها
أكثر مما تحسد أم الزوج
وابنته لان مقصد البزاز غير
مقصد الاسكاف فلا
يتزاحمون على المقاصد اذ
مقصد البزاز الثروة ولا
يحصلها الا بكثرة الزبون
وانما ينازعه فيه بزاز آخر
اذ حريف البزاز لا يطلبه
الاسكاف بل البزاز ثم
مزاحمة البزاز المجاور له
أكثر من مزاحمة البعيد
عنه الى طرف السوق فلا
جرم يكون حسده للجار
أكثر وكذلك الشجاع
يحسد الشجاع ولا يحسد
العالم لان مقصده أن يذكر
بالشجاعة ويشتهر بها
وينفرد بهذه الخصلة ولا
يزاحمه العالم على هذا
الغرض وكذلك يحسد
العالم ولا يحسد الشجاع ثم
حسد الواعظ للواعظ أكثر
من حسده للفقيه والطبيب
لان التزاحم بينهما على
مقصود واحد أخص
فأصل هذه المحاسدات
العداوة وأصل العداوة
التزاحم بينهما على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهما نعم من اشتد حرصه على الجاه
وأحب الصيت فى جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو فى العالم وان بعد ممن يساهمه فى الخصلة التى يتفاخر بها ومنشأ جميع
ذلك حب الدنيا فان الدنيا هى التى تضيق على المتزاحمين أما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله
تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت سمواته وأرضه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك أيضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل
المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص

من الاغراض نفر طبعه وأبغضه) بقلبه (وثبت الحقد فيه) أى رسخ فى باطنه (فعند ذلك يريد أن يستحقره) ويستذله (ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التى توصله الى اغراضه وتترادف جملة الاسباب اذلا رابطة بين شخصين فى بلدتين متقابلتين فلا تكون بينهما محاسدة وكذلك فى محلتين) فى بلدة واحدة (نعم اذا تجاورا فى مسكن) بان كانا فى محلة واحدة (أوسوق أو مسجد أومدرسة أو رباط تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهما فيثور من التناقض التنافر) فى الطباع (والتباغض ومنه تثور بقية أسباب الحسد) اذ هو أساس تلك الاسباب (فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف) وهو الخراز (يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز) الذى يبيع القماش من البز (الا بسبب آخر سوى الاجتماع فى الحرفة) أى الصنعة (ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الاجانب) أى الاباعد (والمرأة تحسد ضرتها) أى زوجة بعلها (وسرية زوجها) أى جاريته (أكثر مما تحسد أم الزوج) أى حماتها (وابنته) وأخته (لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة) أى وفرة المال (ولا يحصلها الا بكثرة الزبون) وهو المشترى لانه يزبن غيره أى يدفعه عن أخذ المبيع وهى مولدة ليس من كلام أهل البادية (وانما ينازعه فيها بزاز آخر اذ حريف البزاز) أى معامله والجمع حرفاء كشريف وشرفاء (لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للمجاور أكثر) لقربه منه (وكذلك الشجاع) وهو الجرىء فى الحروب (يحسد الشجاع مثله ولا يحسد العالم) لاختلاف المقاصد (لان مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها) بين الناس (وينفرد بهذه الخصلة) وهى الشجاعة (ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع) لما ذكرنا لاختلاف المقاصد (ثم حسد الواعظ) على الكرسى (على الواعظ أكثر من حسده الفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما) أى بين الواعظين (على مقصود واحد) هو (أخص فاصل هذه المحاسدات العداوة) والبغضاء (وأصل العداوة) والبغضاء (التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم) أى بين المتناسبين (نعم من اشتد حرصه على الجاه) أى على حصوله عند عامة الناس (وأحب الصيت) أى رفع الذكر (فى جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو فى العالم وان بعد عنه ممن يساهمه) أى يشاركه (فى الخصلة التى يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا) وحبها رأس كل خطيئة كما ورد (فان الدنيا هى التى تضيق على المتزاحمين أما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم النافع فلا جرم من يحب معرفة الله ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت أرضه وسمائه فلا يحسد غيره) وفى نسخة لم يحسد غيره (اذا عرف ذلك أيضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين باختلاف طبقاتهم فى المعرفة بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص

لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله تعالى وهى بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا ضيق أيضا فيما عند الله تعالى لان أجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال أعيان وأجسام اذا وقعت فى يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وأن يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل فى يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم فى قلب العالم مستقر ويحل فى قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك انسان جميع ما فى الارض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عوّد نفسه الفكر فى جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك ألذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه فلا يكون فى قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء فى مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر الى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التى هى صفة ذاته يأمن في زوالها وهو أبدا يجنى ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهى فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترتع فى جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة فى العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد فى الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب فى العقبى فاذا لا يتصوّر أن يكون فى الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الجنة

لذة واحد بسبب غيره) لعدم التلازم (بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس) فى المعرفة (وثمرة الافادة للغير والاستفادة من الغير فلذلك لا يكون بين علماء الدين) الذين هم فى صدر علوم الآخرة (محاسدة) أصلا (لان مقصدهم) من اشتغالهم بالعلم تحصيل (معرفة الله) تعالى من طريق الصفات (وهو بحر واسع لا ضيق فيه) ولا تزاحم عليه وأما قولهم المورد العذب كثير الزحام فالمراد به كثرة الواردين عليه من غير تزاحم فيه فان المورد العذب من حيث هو عذب يرد عليه القاصى والدانى ولا يزاحم أحد صاحبه لسعته هذا ان كان المراد به معرفة الله سبحانه والا فالموارد العذبة سواها من شأنها أن يتزاحم عليها (وغرضهم المنزلة عند الله) والحظوة لديه (ولا ضيق أيضا فيما عند الله لان أجل ما عند الله من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ولا مزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض) كما ورد فى الخبر هل تضامون فى رؤية القمر فى ليلة البدر الحديث (بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا) لا محالة (لان المال هو أعيان وأجسام اذا وقعت فى يد واحد خلت عنها يد الآخر) فهذا سبب التحاسد (ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر) مطلقا (أو نقص منه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة) ثم ينجر الى المنافرة (واذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وأن يفرح به فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل فى يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم فى قلب العالم مستقر) لا يحول ولا يزول (ويحل فى قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل عن قلبه وان المال أجسام وأعيان ولها نهاية) ينتهى اليها (ولو ملك الانسان جميع ما فى الارض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصوّر استيعابه) على وجه الاحاطة والكمال (فمن عوّد نفسه الفكر فى جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك عنده ألذ من كل نعيم) أخرج أبو نعيم فى الحلية عن مالك بن دينار قال خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شئ فيها قالوا وما هى يا أبا يحيى قال معرفة الله عز وجل (ولم يكن ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه فلا يكون فى قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء فى مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر الى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التى هى صفة ذاته يأمن زوالها وهو أبدا يجنى ثمارها) ويقطف أنوارها (فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه) وثمرة معرفته وفهمه (وهى فاكهة) شهية (غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية) أى قريبة التناول سهلة المأخذ (فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترتع فى جنة عالية) أى رفيعة المقدار (ورياض زاهرة) أى ذات زهر وثمار أو نيرة مضيئة (فاذا فرض كثرة فى العارفين لم يكونوا متحاسدين) بعضهم لبعض (بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين) جل وعز (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) أى حقد وحسد (اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم فى) عالم (الدنيا فما ظن بهم عند انكشاف الغطاء) ورفع الحجاب (ومشاهدة المحبوب فى العقبى فاذا لا يتصوّر أن يكون فى الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الجنة

فى الدنيامحاسدة لان الجنة لامضايقة فيها ولامحاسدة ولاتنال) أى الجنة (الابمعرفة الله التى لامزاحمة فيها فى الدنيا أيضا فاهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد) وغيره من أوصاف النقص (فى الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين) المطرودين (عن سعة عليين الى مضيق سجين) والعليون درجة من درجات الجنة والسجين طبقة من طبقات الجحيم (ولذلك وسم به الشيطان اللعين) أى علم به اذ هو أوّل من حسد (وذكر من صفاته انه حسد آدم) عليه السلام (على ماخص به من الاجتباء) والاختصاص (ولما دعى الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى) وانما حمله على ذلك وصف الحسد (فقد عرفت انه لاحسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لاترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء) ومافيها من عجائب الصنع (ويتحاسدون على البساتين التى هى جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لاوزن لها بالاضافة الى السماء) لان عجائب ملكوت السماء أكثر من عجائب ملكوت الارض فلهذه النسبة لاوزن للارض اذا قوبلت بالسماء وقد ألف بعضهم فى المفاخرة بينهما رسالة والا فالجزء اليسير منها وهى التى ضمت جسد النبى صلى الله عليه وسلم توازن السموات كلها والعرش كما صرح به العلماء (ولكن السماء لسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولاتحاسد أصلا) وقد يقال ان سبب التحاسد على الجزء اليسير من الارض كالبساتين مثلا انما هو لكونه مما تملكه اليد وهو مظنة التزاحم وأما عجائب السماء فانها ليست كذلك فلا مظنة للتزاحم فيها الا لكونها واسعة الاقطار فتأمل ذلك (فعليك) أيها المتأمل المسترشد (ان كنت بصيرا) بعين قلبك (وعلى نفسك مشفقا أن تطلب نعيما لازحمة فيه ولذة لامكدر لها ولايوجد ذلك فى الدنيا الا فى معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب ملكوت السماء والارض) فان النظر فيها مما يقوّى المعرفة بالله (ولا ينال ذلك فى الآخرة أيضا الا بهذه المعرفة أيضا) اعلم انه لايحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذات الله تعالى الا بالحيرة والدهشة ونهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هى انهم لايعرفونه وانهم لايمكنهم البتة معرفته وانه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفاة الربوبية الا الله تعالى فاذا انكشف ذلك انكشافا برهانيا كما سنذكره فقد عرفوه أى بلغوا المنتهى الذى يمكن فى حق الخلق من معرفته وأما اتساع المعرفة فيكون فى معرفة أسمائه وصفاته والخلق متفاوتون فيها فبقدر ما انكشف من معلومات الله وعجائب مقدوراته وبدائع آياته فى الدنيا والآخرة والملك والملكوت تزداد معرفتهم بالله تعالى وتقرب معرفتهم من معرفة الحقيقة وللمقربين من معانى الاسماء والصفات حظوظ ثلاثة * الاول معرفة هذه على سبيل المكاشفة والمشاهدة حتى تتضح لهم حقائقها بالبرهان الذى لايجوز فيه الخطأ وينكشف لهم اتصاف الله انكشافا يجرى فى الوضوح والبيان مجرى اليقين الحاصل للانسان بصفاته الباطنة التى لايدركها الا بمشاهدة باطنة لا باحساس ظاهرة * الثانى استعظامهم ماينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث منه شوقهم الى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ليقربوا بها من الحق قربا بالصفة لابالمكان فيأخذوا من الاتصاف بها شبها من الملائكة المقربين عند الله تعالى * الثالث السعى فى اكتساب الممكن من تلك الصفات والتحلى بمحاسنها وبه يصير العبد ربانيا ورفيقا للملا الاعلى من الملائكة فانهم على بساط القرب فمن قرب الى شبه من صفاتهم نال شيأ من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة له من الحق فمن كملت له هذه الحظوظ الثلاثة فهو الذى نال نعيما لازحمة فيه ولذة لامكدر لها فاما من كان حظه من معانى مايتعلق بالله تعالى بان يسمع لفظا ويفهم تفسيره فى اللغة ووضعه ويعتقد بالقلب وجود معناه لله تعالى فهو مبخوس الحظ نازل الدرجة وهو نقص ظاهر بالاضافة الى ذروة الكمال (فان كنت لاتشتاق الى معرفة الله ولاتجد لذتها وفتر عنها رأيك وضعفت فيها رغبتك فانت فى ذلك معذور) فلن يتصوّر أن يمتلئ القلب بالمعرفة الا ويتبعها شوق وعشق للصفة التى كانت بابا لتلك المعرفة وحرص على التحلى بها لو كان

فى الدنيا محاسدة لان الجنة لامضايقة فيها ولا مزاحمة ولاتنال الا بمعرفة الله تعالى التى لامزاحمة فيها فى الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد فى الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه حسد آدم عليه السلام على ماخص به من الاجتباء ولما دعى الى السجود استكبر وأبى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لاحسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لاترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التى هى جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لاوزن لها بالاضافة الى السماء ولكن السماء لسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا أن تطلب نعمة لازحمة فيها ولذة لا كدر لها ولا يوجد ذلك فى الدنيا الا فى معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك فى الآخرة الا بهذه المعرفة أيضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنك رأيك وضعفت فيها رغبتك فأنت فى ذلك معذور

أن العنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات تختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة
تختص بادراكها الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف
ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطالب ومن لم يطالب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين ومن يعش عن
ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين *(بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب)* اعلم أن الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة أما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف الى ذلك انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه
خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار وأما كونه ضررا عليك لك
في الدنيا فهو انك تتألم بحسدك في الدنيا أو تتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب
بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه الاعداء

ذلك ممكنا بكمالها والا فينبعث الشوق الى القدر الممكن منها الاحالة ولا يخلو عن الشوق أصلا الا لاحد أمرين
اما لضعف اليقين بكون الوصف المعلوم من أوصاف الجلال والكمال واما لكون القلب ممتلئا بشوق آخر
مستغرقا به (فالعنين) الذي لا شهوة له (لا يشتاق الى شهوة الوقاع والصبي) الذي لم يكمل تمييزه (لا يشتاق
الى لذة الملك فان هذه لذات تختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين) المتشبهين بالنساء (وكذلك
لذة المعرفة تختص بمعرفتها الرجال) المقربون للحضرة الالهية فلهم فيها حظ وافر (رجال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله) فهي عندهم في مرتبة التحقيق والانكشاف وعند غيرهم على الابهام والتشبيه
والمشاركة في الاسم كما يقال للعنين الوقاع لذيذ كالسكر فهو يصدقه ولكن تلك اللذة لا تشبه هذه البتة
ولكن تشاركها في الاسم (ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق) يكون (بعد الذوق) فمن
ذاق اشتاق (ومن لم يذق لم يعرف) واليه أشار بعض العارفين بقوله

من ذاق طعم شراب القوم يدريه * ومن دراه غدا بالروح يشريه

(ومن لم يعرف لم يشتق) لفقدان الذوق الذي هو أصل الشوق واليه أشار القائل

ولو يذوق عاذلي صبابتي * صبا معي لكنه ما ذاقا

(ومن لم يشتق لم يطالب) لان طلب الشيء لا يكون الا بعد الاشتياق اليه كان الاشتياق لا يتم الا بالذوق
والذوق سبيل المعرفة (ومن لم يطالب لم يدرك) المطلوب (ومن لم يدرك بقي مع المحرومين الاشقياء المطرودين
في أسفل السافلين) واليه الاشارة بقوله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)

*(بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب) أي هو مرض باطني غاية ضرره
يتعلق بالقلب (ولا تداوى امراض القلب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف
تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به
في الدنيا والدين ومهما عرفت هذا عن بصيرة) ومعرفة كشفية (ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك
فارقت الحسد لا محالة أما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى) الذي
قضاه على عباده (وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وأبيت عدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته
واستنكرت ذلك واستبشعته) أي استقبحته (وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان
وناهيك بها جناية على الدين) قال صاحب المجمل ناهيك كلمة تعجب واستعظام كما يقال حسبك وتأويلها
انه غاية تنهاك عن طلب غيره (وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته) التي
أوجبها الله عليك (وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وسائر الكفار
في محبتهم للمؤمنين البلايا) والمصائب والمحن (وزوال النعم) (وهذه خبائث في القلوب تأكل حسنات
القلب كما تأكل النار الحطب) كما رواه ابن ماجه من حديث أنس وتقدم (وتمحوها) أي تنسخها
وتزيلها (كما يمحو الليل النهار وأما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتألم بحسدك في الدنيا وتتعذب
به ولا تزال في كمد وغم) وحزن (اذ اعداؤك) الذين تحسدهم (لا يخليهم الله عز وجل عن نعم يفيضها
عليهم) ظاهرة وباطنة (فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم لكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما)
مكمودا (محروما متشعب القلب) أي متفرقه (ضيق الصدر كما تشتهيه لاعدائك وكما تشتهي اعداؤك

لك وتشتهيه لاعدائك فقــد كنت تريد المحنة لعدوّك فتنجزت فى الحال محنتك وغمك نقدا ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولولم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عــدم النفع فكيف وأنت عالم بما فى الحســد من العــذاب الشديد فى الآخرة فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة وأما انه لاضرر على المحسود فى دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ماقدره الله تعالى من اقبال ونعمة فلابد أن يدوم الى أجل معــلوم قدره

الله سبحانه فلا حيلة فى دفعه بل كل شئ عنده بمقدار ولكل أجل كتاب ولذلك شكا نبى من الانبياء من امرأة ظالمــة مستولية على الخلق فأوحى الله اليه فرمن قدامها حتى تنقضى أيامها أى ماقدرناه فى الازل لاسبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضى المدة التى سبق القضاء بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعــمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر فى الدنيا ولا يكون عليه اثم فى الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدى وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه أوّلا لنفســك فانك أيضا لاتخلو عن عدوّ يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعــمة الايمان أيضا لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى ودكثــير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفســهم اذ ما يريده الحســود لايكون نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانما يريد أن يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وان اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد أيضا يشتهى أن يخص بهــذه الخاصية ولست بأولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك فى ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها وأما ان المحسود ينتفع به فى الدين والدنيا فواضح أما منفعتــه فى الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لاسيما اذا أخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه . تزا [illegible]

لك) أن تكون كذلك (فقد كنت تريد المحنة) والبليــة (لعدوّك فتنجزت) أى حصلت ناجزة (فى الحال محنتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك) اذليس ذلك بيدك (ولولم تكن تؤمن بالبعث) والنشور (والحساب) والجزاء (لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا أن تحذر من الحسد) أى من الاتصاف به (لما فيه من ألم القلب) الذى لاينفك عنه (ومساءته) وانقباضه (مع عدم النفع) فيه (فكيف وأنت عالم بما فى الحسد من العذاب الشديد فى الآخرة) والوعيد والتهــديد (فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله) وغضبه ومقته (من غــير نفع يناله) فى آجــله أو عاجله (مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه) طول حياته (فيهلك بذلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة) تعود اليه منه (واما انه لاضرر على المحسود فى دينه ودنياه فواضح ان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ماقدره الله من اقبال) وحظ (ونعمة) ومسرة (فلابد وأن يدوم) ويستمر (الى أجل) معلوم (قدره الله فلا حيلة الى دفعه) وممانعته (بل كل شئ عنده بمقدار ولكل أجل كتاب) قد أحصاه وضبطه فلا يتقدم ولا يتأخر (ولذلك شــكا نبى من الانبياء) من بنى اسرائيل (من امرأة ظالمة) سليطة اللسان (مســتولية على الخلق فأوحى الله تعالى اليه فرمن قدامها حتى تنقضى أيامها أى ماقدرناه فى الازل لاسبيل الى تغييره) وتبديله (فاصبر حتى تنقضى المدة التى سبق القضاء بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر فى الدنيا ولا يكون عليــه اثم فى الآخرة ولعلك تقول ليت النعــمة كانت تزول عن المحسود بحسدى) عليــه (وهذا غاية الجهل) ونهاية الحماقة (فانه بلاء تشتهيه أولا لنفسك فانك لاتخلو أيضا عن عدوّ يحسدك فلو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق لله عليك نعمة ولا على الخلق) اذ ما من أحد الا وهو محسود (ولا نعمة الايمان أيضا) وهو من أكبر النعم (لان الكفار يحسدون المؤمنــين على) نعمة (الايمان) وغالب بعضهم أباها لذلك (قال تعالى ودت طائفــة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم) وقال تعالى ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم (اذ ما يريده الحسود لايكون) ولا يتم ولا يكون الا ما يريده المولى عز شأنه (نعم هو يضل) أى الحسود يقوم به وصف الضلال (بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر) فمن نوى انه سيكفر غدا مثلا كفر فى الحال (فمن اشتهــى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانه يريد أن يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار) فانهم بنص الآية يريدون ذلك (وكذا سائر النعم) مما دق وجل (وان اشــتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة) وسوء الفهم (فان كل واحد من حمقاء الحساد أيضا يشتهــى أن يخص بهذه الخاصية ولست باولى من غيرك فنعمة الله عليك فى ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب شــكرها وأنت بجهلك تكرهها واما ان المحسود ينتفع به فى الدين والدنيا فواضح أما منفعته فى الدين فهو انه مظلوم من جهتــك لاسيما اذا أخرجــك الحسد الى القول باللسان والفعل بالغيبــة والقدح فيه وهتــك ستره وذكر مساويه) وعيوبه بين الناس (فهو بمنزلة

هدايا تهديها اليه أعني انك بذلك تهدي اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليه نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فأضفت اليه نعمة الى نعمة وأضفت الى نفسك شقاوة الى شقاوة وأما منفعته في الدنيا فهو أن أغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أماني أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك (٧٢) ولكن في عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله عليه فينقطع قلبك حسدا ولذلك قيل

لامات أعداؤك بل خلدوا
حتى يروا فيك الذي يكمد
لازلت محسودا على نعمة
فانما الكامل من يحسد

ففرح عدوك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده فما أنت فيما تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا اذا تأملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموما عند الخالق والخلائق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت أم ابيت باقية ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال أعظم سرور على ابليس الذي هو أعدى أعدائك لانه لما رآك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من أحب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك فخاف ابليس ان تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وقام اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام الا اني أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت (قال

هدايا تهديها اليه أعني انك بذلك تهدي اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل) عنه (نعم كان لله عليه نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فأضفت اليه نعمة الى نعمة وأضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة وأما منفعته في الدنيا فهو ان أهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم) ونكدهم (وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب أعظم مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أماني اعدائك) أي نهاية ما يتمنونه (أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم) وحسرة (بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم) ومتمناهم (ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله) عليه (ولينقطع قلبك حسدا ولذلك قيل

(لامات اعداؤك بل خلدوا * حتى يروا فيك الذي يكمد)

اي يورث فيهم الكمد والحزن (لازلت محسودا على نعمة * فانما الكامل من يحسد

ففرح عدوك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده فما أنت فيما تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا اذا تأملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموما عند الخالق والخالق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة) تتوالى عليه (شئت أم أبيت) ليس بيدك شئ (ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى توصلت الى ادخال أعظم سرور على ابليس الذي هو أعدى اعدائك) أي أكبر اعدائك (لانه لما رآك محروما عن نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة) له (لان من أحب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير) ويشهد له ما رواه الخطيب من حديث جابر من أحب قوما على أعمالهم حشر يوم القيامة في زمرتهم فحوسب بحسابهم وان لم يعمل باعمالهم (ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين) من عباد الله الصالحين (لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك فخاف ابليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فيبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك) له (كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابي) أي رجل من البادية (للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل يحب القوم ولا يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب) أي في الدنيا والآخرة ففي الدنيا بالطاعة والادب الشرعي وفي الآخرة بالعافية والقرب المشهدي فمن لم يتحقق بهذا وادعى المحبة فدعواه كاذبة قال العراقي متفق عليه من حديث ابن مسعود اهـ قلت ولكن لفظه عندهما المرء مع من أحب قال العلائي والحديث مشهور أو متواتر لكثرة طرقه (وقام اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال متى الساعة فقال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت) أي في زمرتهم وان لم تعمل بعملهم

قال أنس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان أكبر بغيتهم كانت حب الله ورسوله قال أنس فنحن نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم وقال أبو موسى قلت يارسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد أشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من أحب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان تكون متعلما فأحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجا فانظر الآن كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك أخاك وحملك على الكراهة حتى أثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من أهل العلم وتحب ان يخطئ في دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأي اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث أهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه أي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أبعدك ابليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها البتة فقد نفذ فيك حسد ابليس وما نفذ حسدك في عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمي سهما الى عدوه ليصيب مقتله

(قال أنس) رضي الله عنه (فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان أكبر بغيتهم كان حب الله ورسوله قال أنس) رضي الله عنه (فنحن نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم) أي في زمرتهم ثم قال العراقي متفق عليه من حديث أنس قلت وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وعند بعضهم قال أنس فما فرح المسلمون بشئ فرحهم بهذا الحديث ورواه الدارقطني في السنن بزيادة وله ما اكتسب وذكر سببه ان اعرابيا جاء فبال في المسجد فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكانه فاحتفر فصب عليه دلو فقال الاعرابي يارسول الله المرء يحب القوم ولا يعمل بعملهم فذكره (وقال أبو موسى) الاشعري رضي الله عنه (قلت يارسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوم ولا يصوم حتى عد أشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من أحب) قال العراقي متفق عليه بلفظ آخر مختصر الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال المرء مع من أحب انتهى قلت ووجد بخط الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وأما هذا اللفظ عن عتبة بن عمر مرسلا (وقال رجل لعمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (انه كان يقال ان استطعت أن تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع أن تكون متعلما فأحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال) عمر بن عبد العزيز (سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجا) وقد أخرجه البزار في المسند والطبراني في الاوسط من حديث أبي بكرة أغد عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة فتهلك قال عطاء قال لي مسعر زدتنا خامسة لم تكن عندنا والخامسة ان تبغض العلم وأهله وقال ابن عبد البر هي معاداة العلماء وبغضهم ومن لم يحبهم فقد أبغضهم أو قارب وفيه الهلاك قال الولي العراقي في المجلس الثالث والاربعين بعد الخمسمائة من أماليه بعد ان رواه من طريق الطبراني عن محمد بن الحسين الانماطي عن عبيد بن جنادة الحلبي عن عطاء بن مسلم عن خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه فذكره ان هذا الحديث ضعيف ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وعطاء بن مسلم هو الخفاف وهو ضعيف وعن أبي داود ليس بشئ (فانظر الآن كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك أخاك وحملك على الكراهية حتى أثمت) أي وقعت في الاثم (وكيف لا) يكون ذلك (وعساك تحاسد رجلا من أهل العلم وتحب) فيه (ان يخطئ) يوما في مسئلة (في دين الله وينكشف خطؤه ليفتضح) بين الناس (وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأي اثم يزيد على ذلك) اذا تأملت فيه (فليتك اذا فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث أهل الجنة ثلاثة المحسن) أي في عمله (والمحب له والكاف عنه) قال العراقي لم أجد له أصلا (أي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة) فلا يؤذيه بقول ولا فعل ولا يحسده على نعمة أوتيها ولا يبغضه ولا يكرهه وروى الديلمي من طريق عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن علي بن موسى الرضا عن آبائه عن علي رفعه أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة المكرم لذريتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم في أمورهم عند ما اضطروا اليه والمحب لهم بقلبه ولسانه وقد سمعت هذا الحديث من لفظ الشريف الاجل عميد السادة ابن قناع محمد بن مقاعس بن أبي نمي الحسني رحمه الله تعالى بمصر (فانظر كيف أبعدك ابليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تدور بها البتة) وهو ان تعمل عملهم أو تحبهم أو تكف عنهم (فقد نفذ) فيك (حسد ابليس وما نفذ حسدك على عدوك بل على نفسك) خاصة (بل لو كوشفت بحالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمي حجرا الى عدوه ليصيب به مقتله) أي الموضع الذي اذا أصابه ذلك الحجر قتله

فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمى أشد من الاولى فيرجع الى عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشجه وعدوه سالم فى كل حال وهو اليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حوله يفرحون به و يضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك فى الحسد أقبح من هذا لان الرمية العائدة لم تفوت الا العينين ولو بقيتا لفاتتا بالموت لامحالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله والى النار فلان تذهب عينه فى الدنيا خير له من ان تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار فانظر كيف

انتقم الله من الحاسد اذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم أزالها عن الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله ور بما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة الا و يبتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضى الله عنها ما تمنيت لعثمان شيأ الا نزل بى حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف و جحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش فى التشفى من الاعداء وهو الداء الذى فيه هلك الامم السالفة فهذه هى الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف و قلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه وأما العمل النافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغى ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فى محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عليه ألزم نفسه الزيادة فى الانعام عليه فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه وتولد من ذلك الموافقة التى تقطع مادة الحسد لان التواضع والثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه و يسترقه و يستعطفه و يحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولا طبعا آخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأثنيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وان ذلك مذلة ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده المسلمين

(فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه) ثانيا (فيعود و يرميه أشد من الاول) فيرجع الحجر على عينه الاخرى (فيعميها فيزداد غيظه فيعود) مرة (ثالثة) فيرمى الحجر (فيعود على رأسه فيشجه) و يدميه (وعدوه سالم فى كل حال) لم يصبه شئ (وهو اليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حواليه يفرحون به و يضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك فى الحسد أقبح من هذا لان الحجر العائد بعد الرمى لم يفوت الا العين ولو بقيت لفاتت بالموت لامحالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله والى النار) ان لم يتب منه (فلان تذهب عينه فى الدنيا خير له من ان تبقى له عين يدخل بها النار فيذهبها لهب النار) وفى نسخة فيقلعها لهيب النار (فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم أزال نعمة الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة من الله تعالى و) كذا (السلامة من الغم والكمد نعمة) من الله تعالى (وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله ور بما يبتلى) الحاسد (بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة الا و يبتلى بمثلها) ففى الخبر لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله و يبتليك وتقدم قريبا (قالت عائشة رضى الله عنها ما تمنيت لعثمان رضى الله عنه شيأ الا نزل بى حتى لو تمنيت له القتل لقتلت) وكان سبب كلامها فيه لكثرة ما كان يبلغها من الشكاية فى حقه من قبل جور عماله وابقائهم على أعمالهم فكانت كغيرها من الصحابة يغضبون بذلك منه (فهذا اثم الحسد نفسه فكيف بما يجر اليه الحسد من الاختلاف و جحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش فى التشفى من الاعداء) والانتصار منهم (وهو الداء الذى به هلك الامم السالفة فهذه هى الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف) عن كدر الغش (وقلب حاضر انطفأ من قلبه نار الحسد) فى الحال (وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه) ومشتت حاله وقد تقدم بيان ذلك (وأما العمل النافع فيه فهو ان يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغى أن يكلف نفسه نقيضه وضده فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف نفسه المدح له والثناء عليه) فالقدح والمدح نقيضان اذا حل أحدهما ارتحل الثانى (وان حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عليه ألزم نفسه الزيادة فى الانعام عليه فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد وأحبه وتولد من ذلك الموافقة التى تقطع مادة الحسد لان التواضع و) حسن (الثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه ويسترقه و يستعطفه و يحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه) و يصفو ظاهره (و يصير ما تكلفه أولا) أى فى أول مرة (طبعا آخرا) أى فى آخر مرة (ولا يصدنه) أى لا يمنعه (من ذلك قول الشيطان له) فيما يوسوس اليه (لو تواضعت وأثنيت عليه حمله العدو على) العجز منك (أو على النفاق والخوف وان ذلك مذلة ومهانة فان ذلك من خدع الشيطان ومكايده) فانما مقصود الشيطان أن تكون العداوة والبغضاء بين

بل المجاملة تكلفا كانت أو طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل غربها وتعود القلوب الى التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة على القلوب جدا ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء أعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما أحبه وعزة النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شئ على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد مالا يكون اذ لا مطمع في أن يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد أمرين اما بان يكون ما تريد أو بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه وأما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي فأما الدواء المفصل فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على مالا يغني وسيأتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها ان شاء الله تعالى فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه مادام محبا للجاه فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فأما الخلو عنه رأسا فلا يمكنه والله الموفق

(بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب)

اعلم أن المؤذي ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضا

المسلمين على الابد (بل المجاملة) على أي حال (تكلفا كانت أو طبعا تكسر سورة العداوة) أي شدتها وثورتها (من الجانبين ويفل) أي يكسر (غربها) أي حدتها (وتعود القلوب) أي يحركها (الى التآلف والتحاب) والتوادد (وبه تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد) علما وعملا (وهي نافعة جدا الا انها مرة جدا ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء أعني التواضع للاعداء أو التقرب اليهم بالمدح والثناء) أو ببذل الاحسان وغير ذلك (بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها) بان يحققها حتى تنكشف له انكشافا برهانيا وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله وقدره) والتسليم لاوامره (وحب ما أحبه وعزة النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شئ على خلاف مرادها) أي النفس (جهل) وغباوة (وعند ذلك تريد مالا يكون) مما تبذره القدرة (اذ لا مطمع في أن يكون ما تريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد أمرين اما بان يكون ما تريد أو بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه أبدا) ومن ذلك قولهم الرب يريد والعبد يريد ولا يكون في الكون الا ما يريد (وأما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل) وان يمرن نفسه بجريانها تحت مجاري الاقدار ويكلفها بالرضا والتسليم حتى تكون ارادتها تابعة لارادة الحق سبحانه) وترضى بما يكون (هذا هو الدواء الكلي) بطريق الاجمال (فأما الدواء المفصل فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على مالا يغني) والتنافر والبغضاء وغير ذلك فيستأصلها من أصلها (وسيأتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها) اللائقة من هذا الكتاب (فانها) أي تلك الاسباب (مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة) التي منها نشأ ذلك المرض (فان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين) في الجملة (وتطفئة ولا يزال) المرض (يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مراده فانه مادام محبا للجاه فلا بد وان يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم عن نفسه) ويخفيه (ولا يظهر بلسانه ويده فاما الخلو عنه رأسا فلا يمكنه والله الموفق)

(بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان المؤذي ممقوت بالطبع) أي يبغضه الناس طبعا (ومن آذاك) بوجه من الوجوه في نفسك أو من عليه حياطتك (فلا يمكنك أن لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة) من الله تعالى (فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة) وتمييزا (ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له) ويسوّل لك في تحسينه (ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك) أي يحملك (على اظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فأنت) حينئذ (حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك) من القول والفعل (بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة) عن المحسود (وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضا) في

حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك و بين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فأما اذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما فى طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل فى مقابلة الميل من جهة الطبع فقد أديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك فى أغلب الاحوال أكثر من هذا فأما تغيير الطبع ليستوى عنده المؤذى والمحسن ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه مادام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهى أمره الى أن لا يلتفت قلبه الى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهى عين الرحمة و يرى الكل عباد الله وافعالهم أفعال الله و يراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك الى طبعه و يعود العدو الى منازعته أعنى الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك على بكراهته وألزم قلبه هذه الحالة فقد أدى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون الى أنه لا يأثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك مالم تبده و روى عنه موقوفا ومرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يخلو منهن المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد أن لا يبغى والاولى أن يحمل هذا

هذه الحالة (حسود عاص فان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال تعالى ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا وقال) تعالى (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وقال) تعالى (ان تمسسكم حسنة تسؤهم) الآية فهذه الآيات دالة على ان الحسد من صفات القلب (اما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح) فالقلب مستقره والجوارح مظاهر آثاره (نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها) كما قلنا فى الغيبة (بل هى معصية بينك و بين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح) كالغيبة والنميمة والشتم ونحوها (فأما اذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك مقت نفسك على ما فى طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل فى مقابلة الميل من جهة الطبع فقد أديت الواجب عليك) وأتيت بالميسور منه (ولا يدخل تحت اختيارك فى أغلب الاحوال أكثر من هذا فأما تغيير الطبع ليستوى عنده المؤذى والمحسن و يكون فرحه أو غمه مما تيسر لهما من نعمة أو ينصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه مادام ملتفتا الى حظوظ الدنيا) ومختلطا بدواعيها (الا أن يكون مستغرقا بحب الله تعالى) مستهترا بذكره (مثل السكران الواله فقد ينتهى أمره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهى عين الرحمة و يرى الكل عباد الله وأفعالهم افعال الله و يراهم مسخرين) ولا يتم ذلك الا بعد الترقى من حضيض المجاز الى ارتفاع الحقيقة واستكمال المعراج فيرى ما ذكر بالمشاهدة العيانية وتنتفى عنه الكثرة بالكلية و يستغرق بالفردانية المحضة فلا يبقى فيه متسع لغير الله تعالى ثم فى نظره الى الكل بعين الرحمة تفصيل فان كان ممن يصرف الغافلين الى الله تعالى بطريق اللطف و ينظر الى العصاة لا بعين الازدراء فهو فى تجلى اسم الرحمن وان كان ممن لا يدع فاقة لمحتاج الا سدها بقدر طاقته أو شاركه فى الحزن بسبب حاجته فهو فى تجلى اسم الرحيم (وذلك ان كان) أى وجد (فهو كالبرق الخاطف لا يدوم) مع العارف ولا يستمر بل تارة وتارة (و يرجع القلب بعد ذلك الى طبعه) الذى جبل عليه (و يعود العدو الى منازعته أعنى الشيطان فانه ينازع بالوسوسة) و يسوّل له ما يوافق هوى النفس (فمهما قابل ذلك بكراهته وألزم قلبه هذه الحالة فقد أدى ما كلفه) فان هذا القدر هو الذى يدخل تحت الاختيار (وقد ذهب ذاهبون الى انه لا يأثم اذا لم يظهر الحسد عن جوارحه كما روى عن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك مالم تبده) تقدم قريبا بلفظ سأل رجل الحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساه بنى يعقوب نعم ولكن غمه فى صدرك وانه لا يضرك مالم تعد به يدا أو لسانا (وروى عنه موقوفا) عليه (ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث لا يخلو منهن مؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد ان لا يبغى) أما الموقوف وهو مرسل الحسن فرواه ابن أبى الدنيا فى ذم الحسد و رستة فى كتاب الايمان له بلفظ ثلاث لم تسلم منها هذه الامة الحسد والظن والطيرة ألا أنبئكم بالمخرج منها اذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ واذا تطيرت فامض وأما المرفوع بلفظ ثلاث لازمات لامتى سوء الظن والحسد والطيرة فاذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فاستغفر الله واذا تطيرت فامض هكذا رواه أبو الشيخ فى كتاب التوبيخ والطبرانى فى الكبير من حديث حارثة بن النعمان وقد تقدم ذكر كل من اللفظين قريبا (والاولى ان يحمل هذا

على ماذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل ومقابلة حب الطبع) وميله (لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغى) عليه (ومن الايذاء له فان جميع ماورد من الاخبار فى ذم الحسد) مما تقدم ذكر بعضها (يدل ظاهره على ان كل حاسد آثم) على الاطلاق (والحسد عبارة عن صفة القلب لا من الافعال) الصادرة عن الجوارح (فكل يحب مساءة المسلمين) ومضرتهم (فهو حاسد فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو فى محل الاجتهاد والاظهر) من القولين (ماذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ بعيد ان يعفى عن العبد فى ارادته مساءة مسلم) واشتماله بالقلب عليها من غير كراهة لها (وقد عرفت من هذا ان لك من أعدائك ثلاثة أحوال احداها ان تحب مساءتهم بطبعك) من حيث مجانسته بالنفس (وتكره) حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك (وتمقت نفسك) أى تبغضها (عليه وتود لو كانت لك حيلة فى ازالة ذلك الميل عنك وهذا معفو عنه قطعا) أى من غير شك فيه (لانه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه الثانية ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته) وغمه (اما بلسانك) بالقدح والشتم ونحوه (أو بجوارحك) أى بفعلها (فهذا هو الحسد المحظور قطعا) أى من غير شك فيه (الثالثة وهو بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك) ولا الكراهة له (ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد فى مقتضاها) من القول والعمل (وهذا محل الخلاف) فمن ذاهب الى انه لا يأثم ومن ذاهب الى انه يأثم (والظاهر انه لا يخلو من اثم بقدر قوة ذلك وضعفه) فاذا كان حبه له قويا كان الاثم كذلك وان كان ضعيفا كان الاثم كذلك والله أعلم وبه تم كتاب ذم الغضب والحقد والحسد والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد أفضل المخلوقات وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كان الفراغ منه فى الاول من نهار الثلاثاء سادس عشر صفر الخير من شهور سنة مائتين وألف على يد مسوده محمد مرتضى الحسينى غفر له بمنه وكرمه آمين والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله الذى أصعد قوالب الاصفياء بالمجاهدات * وأسعد قلوب الاولياء بالمشاهدات * وخلص أشباح المتقين من ظلم الشهوات * وأخلص أرواح الموقنين عن ظلم الشبهات * أحمده حمد من رأى آيات قدرته الباهره * وشاهد شواهد فردانيته القاهره * فانكشفت له عجائب المقدورات * وأشكره شكر من اعترف بمجده وكماله * واغترف من بحر جوده وافضاله * فخوطب باسرار المنازلات * وأشهد أن لا اله الا الله الها واحدا وربا قادرا فاطر الارضين والسموات * شهادة تؤذن باخلاص الضمائر والطويات * وتنير مطالع أنوارها غياهب الشكوك وسدف الدجنات * وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله * وحبيبه وخليله * المبعوث الى كافة البريات بالآيات الباهرات * المنعوت باشرف الخلال الزاكيات * صلى الله عليه وعلى آله الائمة الهداة * وأصحابه الفضلاء الثقات * وعلى أتباعهم باحسان ماهبت فى الاسحار النسمات وسلم كثيرا * (وبعد) * فهذا شرح (كتاب ذم الدنيا) وهو السادس من الربع الثالث من كتاب الاحياء للامام الربانى حجة الاسلام الغزالى أبى حامد محمد بن محمد الغزالى * نفع الله باسرار علومه * وأفاض علينا من افاضات أنوار فهومه * حللت فيه عقدة ألفاظه الغريبه * ورفعت من وجوه معانيها حجب الخفاء والريبه مع تتبع تخريج ماأورد فيه من الاخبار والآثار وما نقل من أقوال الصالحين ومن أحوال الاخيار على وجه غير مخل ولا ممل ان لم يصبه وابل فطل * مستعينا بالله فى سائر الامور * سائلا منه الامداد وشرح الصدور * فنعم المولى ونعم النصير * وهو على كل شئ قدير * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى عرف أولياءه غوائل الدنيا) أى دواهيها

من البغى والايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار فى ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل من يحب اساءة مسلم فهو حاسد فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو فى محل الاجتهاد والاظهر ماذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد أن يعفى عن العبد فى ارادته اساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن لك فى أعدائك ثلاثة أحوال أحدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة فى ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه * الثانى ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا * الثالث وهو بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقت لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد فى مقتضاه وهذا فى محل الخلاف

والظاهر أنه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل * (كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين) * بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى عرف أولياءه غوائل الدنيا

وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا فى شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يفى مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من (٧٨) كسوفها ولكنها فى صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها ولها أسرار سوء قبائح

قاله الكسائى وقيل الغائلة الفساد والشر (وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها) أصل العورة السوأة سميت بها القبح انكشافها والنظر اليها وكل شئ يستره الانسان أنفة وحياء فهو عورة (حتى نظروا فى شواهدها وآياتها) الدالة عليها (ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها) المنكر ما أنكره العقل والشرع والمعروف ضده (ولا يفى) من الوفاء (مرجوّها بمخوفها) أى مخوفها يزيد على مرجوّها (ولا يسلم طلوعها من كسوفها) أى من تغيرها وزوالها (ولكنها فى صورة امرأة مليحة) الصورة (تستميل الناس) اى تصرفهم اليها (بجمالها) أى زينتها أشار بذلك الى ماذكر صاحب القوت انه قد كوشف بها بعض الاولياء فى صورة امرأة ورأى أكف الخلق ممدودة اليها وهى تجعل فى أيديهم شيأ قال وطائفة تمر عليها مكتوفى الايدى لا ينظرون اليها فلا تعطيهم شيأ (ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين فى وصالها) أى مواصلتها (ثم هى فرارة) أى كثيرة الفرار والشرود (عن طلابها) جمع طالب (شحيحة باقبالها) أى بخيلة به ان هى أقبلت على أحد منهم لم تعطه من اقبالها شيأ (واذا أقبلت لم يؤمن شرها) أى ضررها ونكايتها (ووبالها) أى وخمها وسوء عاقبتها (ان أحسنت) الى أحد (ساعة) من الدهر (أساءت سنة) وهى عند العرب أربعة أزمنة (وان أساءت مرة) واحدة (جعلتها) أى الاساءة (سنة) متبعة لا تنثنى عنها (فدوائر اقبالها على التقارب دائرة) أى تدور دوائرها بالهلاك متقاربة (وتجارة بنيها) أى أولادها (خاسرة) غير رابحة (بائرة) من البوار وهو الهلاك (وآفاتها على التوالى) أى على تعاقب الزمن (بصدور طلابها راشقة) كما ترشق السهام بالاغراض (ومجارى أحوالها بذل طالبيها ناطقة) أى مصرحة بلسان حالها (فكل متعزز بها الى الذل مصيره) أى مرجعه وعاقبته (وكل متكثر بها الى التحسر) أى التلهف (مسيره شأنها الهرب من طالبها) أى تفر ممن يطلبها (والطلب لهاربها) أى تطلب من هرب عنها وولاها بظهره (من خدمها) وفى نسخة من قصدها (فاتته ومن أعرض عنها واتته) أى وافقته (لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات) والشوائب هى الادناس والاقذار واحدها شائبة قاله الجوهرى (ولا ينفك سرورها عن المنغصات) أى المكدرات (سلامتها تعقب السقم) أى المرض (وشبابها يسوق الى الهرم) أى الضعف والكبر (ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهى خداعة) كثيرة الخداع (مكارة) كثيرة المكر (طيارة) كثيرة الطيران (فرارة) كثيرة الفرار فهى كما قال بعضهم وأجاد ان حلت أوحلت أوحلت أوكست أوكست (لا تزال تتزين لطلابها) بانواع الزين (حتى اذا ركنوا) اليها و(صاروا من أحبابها كشرت لهم عن أنيابها) أى أفصحت لهم بالعداوة والشركما ان الكلب اذا هر على أحد كشر عن أنيابه أى أظهر (وشوّشت) أى غيرت وخلطت (عليهم مناظم أسبابها) أى الاسباب المنظومة فى سلك الاعتدال (وكشفت لهم عن مكنون عجائبها فاذاقتهم قواتل سمامها) جمع سم (ورشقتهم بصوائب سهامها) أى رمتهم بسهامها الصائبة التى لا تكاد تخطئ (بينما أصحابها منها فى سرور وانعام اذ ولت عنهم) أى أدبرت (كأنها اضغاث أحلام) كناية عن الشئ كانه لم يكن (ثم كرت) أى رجعت (عليهم بدواهيها) أى شدائدها (فطحنتهم طحن الحصيد) أى الزرع المحصود (ووارتهم) أى سترتهم (فى أكفانهم تحت الصعيد) أى وجه الارض (ان ملكت واحدا جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا) أى محصودا ومكسرا (كأن لم يغن بالامس تمنى أصحابها سرورا وتعدهم غرورا) أى تغرهم فى وعدها (حتى يؤملون كثيرا ويبنون قصورا) أى ابنية مرتفعة (فتصبح قصورهم قبورا) أى تؤل اليها (وجمعهم بورا) أى هلاكا (وسعيهم هباء) ما يرى فى ضوء الشمس (منثورا)

تهلك الراغبين فى وصالها ثم هى فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها واذا أقبلت لم يؤمن شرها ووبالها ان أحسنت ساعة أساءت سنة وان أساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالى لصدور طلابها راشقة ومجارى أحوالها بذل طالبيها ناطقة فكل مغرور بها الى الذل مصيره وكل متكبر بها الى التحسر مسيره شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها ومن خدمها فاتته ومن أعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهى خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من أحبابها كشرت لهم عن أنيابها وشوّشت عليهم مناظم أسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجائبها فأذاقتهم قواتل سمامها ورشقتهم بصوائب سهامها بينما أصحابها منها فى سرور وانعام اذ ولت عنهم كأنها اضغاث أحلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم فى أكفانهم تحت الصعيد ان ملكت واحدا منهم جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كأن لم يغن بالامس تمنى أصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء

منثورا ودعاؤهم ثبورا هذه صفتها وكان أمر الله قدرا مقدورا والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا وعلى من كان من أهله وأصحابه له فى الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله أما عداوتها الله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها وأما عداوتها لاولياء الله عزوجل فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها وأما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها فاقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعوّلوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تنقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون واذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلابد أوّلا من معرفة حقيقة الدنيا وماهى وما الحكمة فى خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها ان شاء الله تعالى وهو المعين على ما يرتضيه

(بيان ذم الدنيا)

الآيات الواردة فى ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على أهلها قالوا من هوانها ألقوها قال والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء

(منثورا) أى مبددا (وكان أمر الله قدرا مقدورا) وهذا السياق منتزع من خطبة لعلى رضى الله عنه ذكرها صاحب نهج البلاغة وسيأتى ذكر بعضها (والصلاة على) سيدنا (محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين) أى كافة الخلق أجمعين (بشيرا) لاهل الايمان بالجنان (ونذيرا) أى منذرا لاهل الكفر بالنيران (وعلى من كان من آله وأصحابه له فى الدين ظهيرا) أى معينا فى اقامته (وعلى الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والنفاق (نصيرا) أى ناصرا (وسلم) تسليما (كثيرا أما بعد فان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله أما عداوتها الله فانها قطعت الطريق على عباد الله) السالكين اليه (ولذلك) أى لاجل عداوتها الله (لم ينظر الله اليها) نظر عناية (منذ خلقها) كما ورد ذلك فى الخبر وسيأتى بيانه (وأما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم) أى شملتهم (بزهرتها ونضارتها) وهى متاعها وزينتها (حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها) وقطعوا النظر عن زينتها (وأما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم) أى أخذتهم درجة درجة (بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم) أى صادتهم (بشبكتها) وهى محركة آلة الصيد (حتى وثقوا بها) أى اطمأنوا بها (وعوّلوا) أى اعتمدوا (عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تنقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد) أى الى آخر الدهر (فهم على فراقها يتحسرون) أى يتلهفون (ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون) أى ولا ينصرون (بل يقال لهم اخسؤا) أى ذلوا (فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون) وهذا مقتبس من كلام عمر بن عبد العزيز فيما أخرجه صاحب الحلية انه كتب الى عامله عدى بن ارطاة أما بعد فان الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة اعدائه فاما أولياء الله فغمتهم وأما أعداء الله فغوتهم (واذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلابد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وماهى وما الحكمة فى خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه) وهو لا يشعر (ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها ان شاء الله تعالى وهو المعين على ما يرتضيه)

(بيان ذم الدنيا)

(الآيات الواردة فى ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم السلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الوارة فيها فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة) شائلة برجلها وفى لفظ بجدى أجرب ميت (فقال أترون هذه الشاة هينة على أهلها قالوا من هوانها ألقوها قال والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء) قال العراقى رواه ابن ماجه والحاكم وصحح اسناده من حديث سهل بن سعد وأخرجه الترمذى وقال حسن صحيح وروى الترمذى وابن ماجه من حديث المسور بن مخرمة دون هذه القطعة الاخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر اه قلت رواه ابن ماجه والحاكم فى المستدرك من طريق أبى يحيى زكريا بن منظور حدثنا أبو حازم عن سهل بن سعد به

ولفظه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة فاذا هو بشاة ميتة شائلة برجلها فقال أترون هذه هينة على صاحبها فوالذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها قطرة أبدا وقال الحاكم صحيح الاسناد وهو متعقب فابن منظور ضعيف وأما الجملة الاخيرة من الحديث فقط بلفظ المصنف فقد أخرجها الترمذى من طريق عبد الحميد بن سليمان عن أبى حازم عن سعد بن سعد رفعه به وقال صحيح غريب من هذا الوجه وهو من هذا الوجه عند الطبرانى وأبى نعيم ومن طريقهما أورده الضياء فى المختارة وكذلك رواه البيهقى فى الشعب وأخرجه كذلك القضاعى فى مسند الشهاب من طريق أبى جعفر محمد بن أحمد بن أبى عوف حدثنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه لو كانت الدنيا الخ وكذلك رواه الخطيب عن رواة مالك وفى الباب عن أبى هريرة أشار اليه الترمذى (وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن) بالنسبة لما أعد له فى الآخرة من النعيم المقيم (وجنة الكافر) بالنسبة لما امامه من عذاب الجحيم وقال بعضهم معنى قوله الدنيا سجن المؤمن أى لانه ممنوع من شهواتها المحرمة فكانه فى سجن والكافر عكسه فكانه فى جنة وقال بعض العارفين الدنيا سجن المؤمن ان شعر به وضيق فيه على نفسه طلبت السراح منه الى الآخرة فيسعد ومن لم يشعر بانها سجن فوسع فيها على نفسه طلبت البقاء فيها وليست باقية فيشقى قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى هريرة اه قلت رواه من طريق الدراوردى عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة به مرفوعا وكذلك رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وكذا هو فى حديث مالك عن العلاء وفى الباب عن ابن عمر وسلمان وابن عمرو وأما حديث ابن عمر فأخرجه البزار والعسكرى والقضاعى من طريق موسى بن عقبة بن عبد الله ابن دينار عنه ولفظه كسياق حديث أبى هريرة وأخرجه الطبرانى وأبو نعيم واللفظ له من حديث ابن عمر مرفوعا يا أبا ذر الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره يا أبا ذر ان الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره المؤمن من لم يخرج من ذل دنياه الحديث وأما حديث سلمان فرواه الطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك ولفظه لفظ حديث أبى هريرة وأخرجه العسكرى فى الامثال من طريق عامر بن عطية قال رأيت سلمان أكره على طعام فقال حسبى انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا فى الدنيا يا سلمان انما الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وأما حديث ابن عمرو فأخرجه أحمد والطبرانى وأبو نعيم والحاكم من طريق أبى عبد الرحمن الحبلى عنه بلفظ الدنيا سجن المؤمن وسنته فاذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة ورواه البغوى فى شرح السنة ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن جنادة وهو ثقة ورواه ابن المبارك فى الزهد وزاد مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان فى سجن فخرج منه فجعل يتقلب فى الارض و يتفسح فيها وقد روى عن الحسن مرسلا أخرجه العسكرى فى الامثال من طريق سعيد بن سليمان عن ابن المبارك قال كان الحسن يقول قال النبى صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فالمؤمن يتزود والكافر يتمتع والله ان أصبح فيها مؤمن الا حزينا وكيف لا يحزن من جاءه من الله انه وارد جهنم ولم يأته انه صادر عنها (وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة) لانها غرت النفوس بزهرتها ونضارتها فامالتها من العبودية الى الهوى حتى سلكت غير طريق الهدى (ملعون ما فيها) ويحتمل أن يكون المراد باللعن الترك اى متروكة متروك ما فيها وقد يقال انها متروكة الانبياء والاصفياء كما فى الخبر الآخر لهم الدنيا ولنا الآخرة (الا ما كان لله منها) قال العراقى رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى هريرة وزاد الا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم اه قلت سياق المصنف أخرجه أبو نعيم فى الحلية والضياء فى المختارة من حديث جابر بلفظ الا ما كان منها لله عز وجل واسناده حسن وأما حديث أبى هريرة فرواه كذلك الطبرانى فى الاوسط من حديث ابن مسعود وقال لم يروه عن ثوبان عن عبدة الا أبو المطرف المغيرة بن مطرف ولفظه

وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها

وعالما أومتعلما والمغيرة بن مطرف لا يعرف وقد رواه البزار من هذا الطريق بلفظ الا أمرا بمعروف أونهيا عن منكر وذكر الله ورواه الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء بلفظ الا ماابتغي به وجه الله قال المنذري اسناده لا بأس به (وقال أبوموسى الاشعري) رضي الله عنه (من أحب دنياه أضر بآخرته) لان حب الدنيا يشغله عن تفريغ قلبه لحب ربه واسانه لذكره فيضر آخرته ولابد (ومن أحب آخرته أضر بدنياه) لان حب الآخرة يعطل عليه أسباب الكسب والمعاش فيضر بدنياه ولابد والباء في القرينتين للتعدية (فآثروا) أي اختاروا (ما يبقى على ما يفنى) قال العراقي رواه أحمد والبزار والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه على شرط الشيخين قلت وهو منقطع بين المطلب بن عبد الله وبين أبي موسى اه قلت سبقه الى ذلك الذهبي وقد رواه كذلك القضاعي في مسند الشهاب والبيهقي في الشعب وقال المنذري رجال أحمد ثقات وعند بعضهم ألا فآثروا بزيادة ألا التنبيهية (وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة) لانه يوقع في الشبهات ثم في المكروه ثم في التحريم ولطالما أوقع في الكفر بل جميع الامم المكذبة لانبيائهم انما حملهم على كفرهم حب الدنيا هكذا رواه الديلمي في الفردوس من حديث علي ويعضد سنده ولم يخرجه ولده في المسند وقال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه عن الحسن مرسلا اه قلت وقول البيهقي بعد ان أورده هذا ما لفظه ولا أصل له من حديث النبي الا من مراسيل الحسن اه ومراسيل الحسن عندهم شبه الريح كما نقله العراقي في شرح الالفية ولذا أورده ابن الجوزي في الموضوعات ورد عليه الحافظ ابن حجر بان ابن المديني أثنى على مراسيل الحسن وقال اذا رواها عنه الثقات صحاح ٧ وهذا فالاسناد اليه حسن اه وقال أبوزرعة كل شئ يقول الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدت له أصلا ثابتا ما خلا أربعة أحاديث وليته ذكرها وهذا القول عند البقاعي في الزهد وأبي نعيم في ترجمة الثوري من الحلية من قول عيسى بن مريم عليه السلام وعند ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان له من قول مالك بن دينار وعند ابن يونس في ترجمة سعد بن مسعود التجيبي في تاريخ مصر له من قول سعد هذا وجزم ابن تيمية انه من قول جندب البجلي رضي الله عنه (وقال زيد بن أرقم) بن زيد بن يونس الانصاري الخزرجي رضي الله عنه صحابي مشهور أول مشاهده الخندق وأنزل الله تصديقه في سورة المنافقين مات سنة ست وستين روى له الجماعة (كنا مع أبي بكر رضي الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل) أي ماء ممزوج بعسل (فلما أدناه أي قربه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لا يقدرون على مساءلته قال ثم مسح عينيه) كناية عن سكوته من البكاء فان من سكت مسح عينيه (فقالوا) أي قال من حضر المجلس (يا خليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم أر معه أحدا فقلت يارسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي) أي صورت لي (فقلت لها اليك عني) أي اذهبي عني فذهبت (ثم رجعت فقالت انك ان أفلت مني) أي تخلصت (لم يفلت مني من بعدك) قال العراقي رواه البزار باسناد ضعيف بنحوه والحاكم وصحح اسناده وابن أبي الدنيا والبيهقي من طريقه بلفظه اه قلت قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم حدثنا الحسن بن علي والفضل بن داود قالا حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا عبد الواحد بن زيد حدثنا أسلم عن مرة الطيب عن زيد بن أرقم أن أبا بكر رضي الله عنه استسقى فأتي باناء فيه ماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى وأبكى من حوله فسكت وما سكتوا ثم عاد فبكى حتى ظنوا أن لا يقدروا على مساءلته ثم مسح وجهه فأفاق فقالوا ما هاجك على هذا البكاء قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يدفع عنه شيأ اليك عني اليك عني ولم أر معه أحدا فقلت يارسول الله أراك تدفع عنك شيأ ولا أرى معك أحدا قال هذه الدنيا تمثلت لي بما فيها فقلت لا اليك عني فتنحت وقالت اما والله لئن انفلت مني لا ينفلت مني من بعدك فخشيت أن تكون قد لحقتني

وقال أبوموسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال زيد بن أرقم كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مساءلته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم أر معه أحدا فقلت يارسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان أفلت مني لم يفلت مني من بعدك

وقال صلى الله عليه وسلم ياعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال
هلموا الى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هـذه الدنيا وهذه اشارة الى أن زينة

الدنيا ستخلق مثـل تلك الخرق وأن الاجسام التى ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعـملون ان بنى اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا فى الحليـة والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لاتتخذوا الدنيار با فتتخذ كم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لايضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لايخاف عليـه الآفة وقال عليـه أفضـل الصلاة والسلام أيضا يامعشر الحوار يـين انى قد أكببت لكم الدنيا على وجهها ولا تنعشوها بعدى فان من خبث الدنيا أن عصى الله فيها وان من خبث الدنيا ان الآخرة لاتدرك الا بـتركها ألا فاعبروا الدنيا ولاتعمروها واعلمـوا أن أصـل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة ورثت أهلها حزنا طويلا وقال أيضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم و دنياهـم وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقـه وطالب

فذلك الذى أبكانى وهكذا هو لفظ الحاكم والبيهقى والذى ساقه المصنف هو لفظ ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا وتبعه صاحب القوت والمصنف أخذه من سياق القوت (وقال صلى الله عليه وسلم ياعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الدنيا من حديث أبى جعفر مرسلا قلت هو عبدالله بن المسود المدائنى الهاشمى كذاب يضع الحديث وقد تقدم ذكره فى الكتاب الذى قبله (وروى أن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم وقف على مزبلة) وهى الموضع الذى يرمى فيه الكناسة والزبالة (فقال هلموا الى الدنيا وأخذ) منها (خرقا قد بليت) من كثرة الاستعمال (على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت) أى تفتتت (فقال هـذه الدنيا) رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا والبيهقى فى شعب الايمان من طريقه من رواية أبى ميمون اللخمى مرسلا قال العراقى وفيه بقيـة بن الوليد وقد ضعفه وهو مدلس قلت قال الذهبى فى الضعفاء أبو ميمون عن رافع بن خديج مجهول (وهـذا اشارة الى أن زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التى تتزين بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسـلم ان الدنيا حلوة خضرة) أى مشتهاة مونقة تعجب من رآها (وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بنى اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا فى الحليـة والنساء والطيب والثياب) رواه ابن أبى الدنيا من حديث الحسن مرسلا هكذا بهـذه الزيادة فى آخره قال العراقى رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى سعيد دون قوله ان بنى اسرائيل الى آخره والشطر الاول متفق عليه اهـ قلت ورواه كذلك مسلم والنسائى وآخرون من طريق سعيد بن يزيد أبى سلمة عن أبى نضرة عن أبى سعيد وممن رواه عن أبى نضرة خليد بن جعفر وسليمـان بن طرخان التيمى وعلى بن زيد بن جدعان وحديثه عند ابن ماجه والترمذى وقال حسن والمستمر بن ريان وهو عند العسكرى من حديث عبيد الله بن عمر عن نافع عن أبى هريرة مرفوعا بلفظ الدنيا خضرة حلوة من أخـذها بحقها بورك له فيها ورب متخوّض فى مال الله ورسوله له النار يوم القيامة وقد عزا الديلمى حـديث الدنيا خضرة حلوة وان رجالا يتخوّضون الى البخارى عن خولة والذى فيه من حـديثها الجملة الثانية خاصة نعم فيه حديث حكيم بن حزام ان هـذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه الحديث وفى الباب عن ميمون عنـد أبى يعلى والطبرانى والرامهرمزى فى الامثال وعن عبدالله بن عمر وعنـد الطبرانى فقط رفعاه الدنيا حلوة خضرة (وقال عيسى عليه السلام لاتتخذوا الدنيار با فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لايضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليـه الآفة وصاحب كنز الله لايخاف عليه الآفة) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الدنيا (وقال عليه السلام أيضا يامعشر الحواريين انى قد أكببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدى فان من خبث الدنيا ان الله عصى فيها وان من خبث الدنيا ان الآخرة لاتدرك الابتركها الا فاعبروا الدنيا ولاتعـمروها واعلموا ان أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة ورثت أهلها حزنا طويلا) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الدنيا وفى الحلية لابى نعيم من ترجمة الثورى قال عيسى عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة وقد تقدم وفى الفردوس للديلمى بلا سند من حديث ابن عمر الدنيا منظرة الآخرة فاعبروها ولاتعمروها (وقال) عليه السلام أيضا (بطحت لكم الدنيا) أى مهدت وفرشت (وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء فأما الملوك فلا تنازعوهـم الدنيا فانهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الدنيا (وقال) عليه السلام أيضا (الدنيا طالبـة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل رزقه) الذى كتب له فيها (وطالب

الدنيا

الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا وقد رواه صاحب الحلية من حديث ابن مسعود مرفوعا قال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا جبرون بن عيسى المصري حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا فضيل بن عياض عن الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسرف قلبه حب الدنيا التاط فيها بثلاث شقاء لا ينفد وحرص لا يبلغ مناه وأمل لا يبلغ منتهاه فالدنيا طالبة ومطلوبة فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يأتيه الموت فيأخذ بعنقه ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه قال أبو نعيم غريب من حديث فضيل والاعمش وحبيب لم نكتبه الا من حديث جبرون عن يحيى (وقال موسى بن يسار) القرشي المطلبي المدني مولى قيس بن مخرمة وهو عم محمد بن اسحق بن يسار قال ابن معين ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات استشهد به البخاري و روى له الباقون سوى الترمذي (قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها) نظر رضا والا فهو ينظر اليها نظر تدبير ولولا ذلك لاضمحلت رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا عن موسى انه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فذكره قال العراقي و رواه البيهقي في الشعب من طريقه وهو مرسل قلت و رواه الحاكم في التاريخ مرفوعا من حديث أبي هريرة بلفظ ان الله لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وما نظر اليها منذ خلقها بغضا لها وفي اسناده داود بن المحبر قال أحمد والنسائي متروك و روى ابن عساكر في التاريخ من مرسل علي بن الحسين بن علي ان الله تعالى لما خلق الدنيا أعرض عنها فلم ينظر اليها من هوانها عليه ومن حديث أبي هريرة مرفوعا ان الله لما خلق الدنيا نظر اليها ثم أعرض عنها ثم قال وعزتي وجلالي لا أنزلنك الا في شرار خلقي (و روى ان سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه) أي في زينته وحشمته مع عسكره (والطير تظله) عن حر الشمس (والجن والانس عن يمينه وشماله قال فمر بعابد من عباد بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان) عليه السلام ذلك (فقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود) يعني نفسه (فان ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا وقال صاحب الحلية حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب حدثنا أبو بكر بن عياش عن ادريس بن وهب حدثني أبي قال كان لسليمان عليه السلام ألف بيت من قوارير وأسفله حديد فركب الريح يوما فمر بحراث فنظر اليه الحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فحملته الريح لسليمان قال فنزل حتى فقال اني سمعت قولك لتسبيحة واحدة لله تعالى منك خير مما أعطيه ابن داود فقال الحراث ذهب همك كما أذهب همي (وقال صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت) قال العراقي رواه مسلم من حديث عبد الله بن الشخير انتهى قلت وكذلك رواه الطيالسي وسعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وابن حبان وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية كلهم من طريق مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه ولفظهم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ الهاكم التكاثر وفي لفظ وقد أنزلت عليه الهاكم التكاثر وهو يقول ابن آدم الخ وأخرج أحمد وعبد بن حميد ومسلم وابن مردويه من حديث أبي هريرة يقول العبد مالي مالي وانما له من ماله ثلاثة ما أكل فأفنى وما لبس فأبلى أو تصدق فأبقى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس وأخرج عبد بن حميد عن الحسن مرسلا مرفوعا يقول ابن آدم مالي مالي وماله من ماله الا ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأمضى (وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له) قال الطيبي لما كان القصد الاول من الدار الاقامة مع عيش هنيء أبدي والدنيا بخلافه لم تستحق ان تسمى دارا فمن داره الدنيا فلا دار

الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها و روى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله قال فمر بعابد من بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود فان ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له

هنا بياض بالاصل

له ان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون قال عيسى عليه السلام من ذا الذي يبني على البحر دارا ذلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا (ومال من لا مال له) لان القصد من المال الانفاق في وفرة القرب فمن أتلفه في شهواته واستيفاء لذاته فحقيق بان يقال لا مال له وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ولذلك قدم الظرف على عامله في قوله (ولها يجمع من لا عقل له) لغفلته عما يهمه في الآخرة ويراد منه في الدنيا والعاقل انما يجمع للدار الآخرة وتزودوا فان خير الزاد التقوى (وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له) قال العراقي رواه أحمد من حديث عائشة مقتصرا على قوله دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له دون بقيته وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه ومال من لا مال له انتهى قلت رواه أحمد من طريق ذويد عن أبي اسحق عن عروة عن عائشة ورجاله رجال الصحيح غير ذويد وهو ثقة ورواه البيهقي أيضا من حديث ابن مسعود موقوفا قال المنذري واسناده جيد (وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شئ) أي لا حظ له في قربه ومحبته ورضاه رواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس ورواه الطبراني في الاوسط من حديث أبي ذر والحاكم من حديث حذيفة قال العراقي وكلها ضعيفة ورواه هنا أيضا عن حذيفة وعند الحاكم من حديث ابن مسعود بسند فيه تالف بلفظ من أصبح وهمه غير الله فليس من الله ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم ورواه البيهقي وابن النجار من حديث أنس بلفظ وأكبر همه (وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح والدنيا أكبر همه ألزم الله قلبه أربع خصال) لا ينفك من واحدة حتى يأتيه الموت (هما لا ينقطع منه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا) رواه الديلمي في الفردوس من حديث ابن عمر قال العراقي واسناده ضعيف والمصنف خلط الحديثين فجعلهما حديثا واحدا (وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس ناس وعذرات) جمع عذرة على وزن كلمة الخرء ولا يعرف تخفيفها (وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل آمالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها) أي يتباعدون عنها (وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد) أي يسيرون ويقطعون (فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا) قال العراقي لم أجد له أصلا قلت لكن أورده صاحب القوت عن الحسن مرسلا بنحوه وسيأتي في أمثلة الدنيا (وروي ان الله عز وجل لما أهبط آدم عليه السلام الى الارض قال) له (ابن للخراب ولد للفناء) روى البيهقي في الشعب من رواية مؤمل بن اسمعيل عن حماد بن سلمة عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة مرفوعا ان ملكا بباب من أبواب السماء ينادي يا بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب وروى أيضا من طريق موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي حكيم مولى الزبير عن الزبير رفعه ما من صباح يصبح على العباد الا وصارخ يصرخ لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنوا للخراب وموسى وشيخه ضعيفان وأبو حكيم مجهول ولابي نعيم في الحلية من حديث ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله ابن زحر أن أبا ذر قال تلدون للموت وتبنون للخراب وتؤثرون ما يفنى وتتركون ما يبقى وهو موقوف منقطع وقد رواه أحمد في الزهد له من رواية ابن المبارك عن ابي أيوب فادخل بين عبيد الله وأبي ذر رجلا وأخرج الثعلبي في التفسير وفي القصص باسناد واه جدا عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان بن داود عليهما السلام فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول لدوا للموت

وابنوا

ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شئ وألزم الله قلبه أربع خصال هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس اناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كأملكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا روى أن الله عز وجل لما أهبط آدم الى الارض قال له ابن للخراب ولد للفناء

وقال داود بن هلال مكتوب فى صحف ابراهيم عليه السلام يادنيا ما أهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صغير والى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك ان لا تدومى لاحد ولا يدوم لك أحد وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين اطلعونى من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم مالهم عندى من الجزاء اذا وفدوا الى من قبورهم الا النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من رحمتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر اليها وتقول يوم القيامة يارب اجعلنى لادنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكتى يالاشئ انى لم أرضك لهم فى الدنيا أرضاك لهم اليوم وروى فى أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا فى شئ من أطعمة الجنة الا فى هذه الشجرة فلذلك نهى عن أكلها قال فجعل يدور فى الجنة فامر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أى شئ تريد قال آدم أريد أن أضع ما فى بطنى من الاذى فقيل للملك قل له فى أى مكان تريد أن تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الانهار أم تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يارسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شئ من الدنيا وثبوا عليه

وابنوا للخراب وأخرج أحمد فى الزهد من طريق عبد الواحد بن زياد قال قال عيسى بن مريم عليه السلام يابنى آدم لدوا للموت وابنوا للخراب تفنى نفوسكم وتبلى دياركم وقد قيل فى معنى ذلك

له ملك ينادى كل يوم * لدوا للموت وابنوا للخراب

وللحافظ ابن حجر فى المعنى

بنى الدنيا أقلوا الهم فيها * فما فيها يؤول الى الفوات

بناء للخراب وجمع مال * ليفنى والتوالد للممات

(وقال داود بن هلال) لم أجد له ترجمة (مكتوب فى صحف ابراهيم عليه السلام يادنيا ما أهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصد عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صغير والى الفناء تصير بن قضيت عليك يوم خلقتك ان لا تدومى لاحد ولا يدوم أحد لك وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين أطاعونى من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم مالهم عندى من الجزاء اذا وفدوا الى من قبورهم الا النور يسعى امامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتى) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر اليها وتقول يوم القيامة يارب اجعلنى لادنى أوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتى يالاشئ انى لم أرضك لهم فى الدنيا أرضاك لهم اليوم) ولفظ القوت وجاء فى الخبر ان الدنيا موقوفة بين السماء والارض لا ينظر الله اليها منذ خلقها الى ان يفنيها تقول يارب لم تبغضنى لم تمقتنى فيقول تعالى اسكتى يالاشئ وفى لفظ آخر أنت وأهلك الى النار وفى الحديث الآخر زيادة انها تبعث يوم القيامة فيقول تعالى ميز واما كان منها لى والقوا سائرها فى النار فتقول يارب اجعلنى اليوم لادنى عبادك فى الجنة منزلة فيقول اسكتى يالاشئ انا لم أرضك لهم فى الدنيا أرضاك لهم اليوم عندى فى دار كرامتى انتهى وأخرج أبو نعيم فى الحلية من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن على بن الحسين قال قال على بن أبى طالب اذا كان يوم القيامة أتت الدنيا باحسن زينتها ثم قالت يارب هبنى لبعض أوليائك فيقول الله لها يالاشئ اذهبى فانت لاشئ أنت أهون من أن أهبك لبعض أوليائى فتطوى كما يطوى الثوب الخلق فتلقى فى النار وسيأتى للمصنف بعض هذا فى هذا الباب وفيه التصريح بانه من قول أبى هريرة وقال العراقى تقدم بعضه من رواية موسى بن يسار ولم أجد باقيه انتهى قلت ووجد بخط الحافظ ابن حجر ما نصه لابن ماجه نحوه عن ثوبان (وروى فى أخبار آدم عليه السلام انه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل) بالضم الثخين الذى يبقى أسفل الصافى (ولم يكن ذلك مجعولا فى شئ من أطعمة الجنة الا فى هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها قال فجعل يدور فى الجنة فامر الله ملكا يخاطبه فقال قل له أى شئ تريد قال) له (آدم أريد ان أضع ما فى بطنى من الاذى فقيل للملك قل له فى أى مكان تضعه على الفرش أم على السرر أم على الانهار أم تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا) قال فتلطف الله تعالى بهذا المعنى فأهبط الى الارض فكان أول ما صنع فى الارض ان أحدث فصارت الدنيا كنيف العقلاء وسجن النبلاء هكذا أورده صاحب القوت (وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة) أى عظيمة (فيؤمر بهم الى النار قالوا يارسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنية من الليل) أى كانوا يهجعون من الليل قليلا (فاذا عرض لهم من الدنيا شئ وثبوا عليه) قال العراقى رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث سالم

وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وروي ان جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا أطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يكنك قال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر فيها امله أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا

مولى أبي حذيفة وأبو منصور الديلمي من حديث أنس وهو ضعيف أيضا انتهى قلت قال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن أحمد بن علي حدثنا أحمد بن الهيثم حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا بشر بن مطر بن حكيم بن دينار النطعي قال سمعت عمرو بن دينار وكيل آل الزبير يحدث مالك بن دينار قال حدثني شيخ من الانصار يحدث عن سالم مولى أبي حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجاءن بأقوام يوم القيامة معهم من الحسنات مثل جبال تهامة حتى اذا جيء بهم جعل الله أعمالهم هباء ثم قذفهم في النار فقال سالم يا رسول الله بأبي أنت وأمي حل لنا هؤلاء الاقوام حتى نعرفهم فوالذي بعثك بالحق اني أتخوف أن أكون منهم قال يا سالم أما انهم كانوا يصومون ويصلون ولكنهم كانوا اذا عرض لهم شئ من الحرام وثبوا عليه فادحض الله أعمالهم فقال مالك بن دينار هذا والله النفاق فاخذ المعلى بن زياد بلحيته فقال صدقت والله ابا يحيى انتهى وكذلك رواه سمويه في فوائده والخطيب في المتفق والمفترق وأورده صاحب القوت فقال حدثنا عبد الواحد بن زيد عن الحسن عن أنس فذكره مثل سياق المصنف ثم قال ورويناه من طريق آخر فذكره بنحو سياق صاحب الحلية وهو في الحلية أيضا في ترجمة الفضيل بن عياض عنه عن عمران بن حسان عن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه ذات يوم فقال هل منكم من أحد الحديث الى قوله خمسين صديقا ثم قال لا أعلم رواه بهذا اللفظ الا الفضيل عن عمران وعمران يعد من أصحاب الحسن لم يتابع على هذا الحديث قلت وبما تقدم عن القوت يظهر ان عبد الواحد بن زيد تابعه على ذلك والله أعلم (وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد لنفسه من نفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الموت من دار الا الجنة أو النار) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفيه انقطاع (وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (وروي ان جبريل) عليه السلام (قال لنوح عليه السلام يا أطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كبابين دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا) تأوي اليه (فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا) يقال ثوب خلق وجمعه خلقان أي بال (وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذر والدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه من رواية أبي الدرداء الرهاوي وقال البيهقي ان بعضهم قال عن أبي الدرداء عن رجل من الصحابة قال الذهبي لا يدري من أبو الدرداء وقال هذا منكر لا أصل له (وعن الحسن) البصري (قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر أمله فيها أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله أعطاه الله عز وجل ثواب خمسين صديقا) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه هكذا مرسلا وفيه ابراهيم بن الاشعث تكلم فيه أبو حاتم انتهى قلت ورواه من هذا الطريق أيضا أبو نعيم في الحلية بلفظ هل منكم أحد يريد أن يؤتيه الله علما من غير

تعلم

وروى ان عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيأ يلجأ اليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف فى جبل فأتاه فاذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال الهى جعلت لكل شئ مأوى ولم تجعل لى مأوى فأوحى الله تعالى اليه مأواك فى مستقر رحمتى لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدى ولأطعمن فى عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادى أين الزهاد فى الدنيا زوروا عرس الزاهد فى الدنيا عيسى بن مريم وقال عيسى بن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتغره ويأمنها ويثق بها وتخذله وويل للمغترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى مالك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هى الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هى يا موسى انى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة ابن الجراح فجاءه بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشئ قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم وقال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها موتى فى الافنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا أنا لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى

تعلم وهدى بغير هداية هل منكم أحد يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا من رغب فى الدنيا الحديث بطوله وأخرج أبو عبد الرحمن السلمى فى كتاب المواعظ والوصايا من حديث ابن عباس من رغب فى الدنيا وأطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر رغبته فيها ومن زهد فى الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علما من غير تعلم وهدى من غير هداية وأخرج أبو نعيم فى الحلية والديلمى فى مسند الفردوس من حديث على من زهد فى الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيرا وكشف عنه العمى واسنادهما ضعيف (وروى ان عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيأ يلجأ اليه فرفعت له خيمة) وفى نسخة فوقعت عينه على خيمة (من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها) أى مال (فاذا هو بكهف فى جبل فاذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال الهى لكل شئ مأوى) أى موضع يأوى اليه (ولم تجعل لى مأوى فأوحى الله اليه مأواك فى مستقر رحمتى لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدى ولأطعمن فى عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادى أين الزهاد فى الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا (وقال عيسى عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويأمنها وتغره ويثق بها وتخذله وويل للمغترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا (وقيل أوحى الله الى موسى عليه السلام يا موسى مالك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هى الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هى يا موسى انى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا (وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة) عامر (بن الجراح) أحد العشرة رضى الله عنهم (فجاءه بمال من البحرين) ناحية بالبصرة (فسمعت الانصار بقدوم أبى عبيدة) بالمال (فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم ان أبا عبيدة قدم بشئ قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم) متفق عليه من حديث عمرو بن عوف البدرى (وقال أبو سعيد الخدرى) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض فقال زهرة الدنيا) متفق عليه (وقال صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا) لان الله يغار على قلب عبده أن يشتغل بغيره رواه ابن أبى الدنيا ومن طريقه البيهقى فى الشعب من رواية محمد بن النضر الحارثى مرسلا (فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها) ففيه تشديد (وقال عمار بن سعيد) كذا فى النسخ ولم أجد له ترجمة (مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها موتى فى الافنية) جمع فناء بالكسر وفناء الدار ما حولها (والطرق فقال لهم يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا) أى لدفن بعضهم بعضا (فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسأل ربه

ذأوحى اليه اذا كان الليل فناداهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف على نشز ثم نادى يا أهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح
الله فقال ما حالكم وما
قصتكم قال بتنا نحن فى
عافية وأصبحنا فى الهاوية
قال وكيف ذلك قالوا بحبنا
الدنيا وطاعتنا أهل المعاصى
قال وكيف كان حبكم للدنيا
قال حب الصبى لامه اذا
أقبلت فرحنا بها واذا أدبرت
حزنا وبكينا عليها قال فما
بال أصحابك لم يجيبونى قال
لانهم ملجمون بلجم من نار
بايدى ملائكة غلاظ شداد
قال فكيف أجبتنى أنت
من بينهم قال لانى كنت
فيهم ولم أكن منهم فلما
نزل بهم العذاب أصابنى
معهم فأنا معلق على شفير
جهنم لا أدرى أنجو منها أم
أكبكب فيها فقال المسيح
للحواريين لأكل خبز
الشعير بالملح الجريش
ولبس المسوح والنوم على
المزابل كثير مع عافية الدنيا
والآخرة وقال أنس كانت
ناقة رسول الله صلى الله عليه
وسلم العضباء لا تسبق فجاء
اعرابى بناقة له فسبقها فشق
ذلك على المسلمين فقال صلى
الله عليه وسلم انه حق على
الله ان لا يرفع شيأ من الدنيا
الا وضعه وقال عيسى عليه
السلام من الذى يبنى على
موج البحر دارا تلكم الدنيا
فلا تتخذوها قرارا وقيل
لعيسى عليه السلام علمنا
علما واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة

فأوحى الله اليه اذا كان الليل فناداهم يجيبونك فلما كان الليل أشرف) أى صعد (على نشز) محركة أى موضع عال (ثم نادى يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قال بتنا فى العافية وأصبحنا فى الهاوية) وهى دركة من دركات جهنم (قال وكيف ذلك قال لحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصى قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبى لامه اذا أقبلت فرح بها واذا أدبرت بكى وحزن عليها قال فما بال أصحابك لا يجيبونى قال لانهم ملجمون بلجم من نار بايدى ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتنى أنت من بينهم قال لانى كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابنى معهم فأنا معلق على شفير جهنم لا أدرى أنجو منها أم أكبكب فيها فقال المسيح عليه السلام للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح) جمع مسح بالكسر وهو الصوف الاسود (والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة) أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم حدثنا عبد الله بن محمد بن عقبة حدثنى عبد الرحمن أبو طالوت حدثنا مهاجر الاسدى عن وهب بن منبه قال مر عيسى عليه السلام بقرية فساق بنحو من سياق المصنف وفيه قال ما كان جنايتكم قال عبادة الطاغوت وحب الدنيا قال وما كانت عبادتكم الطاغوت قال الطاعة لاهل معاصى الله وفيه قال عيسى عليه السلام وما الهاوية قال سجين قال وما سجين قال جمرة من نار مثل اطباق الدنيا كلها دفنت أرواحنا فيها وفيه وأنا معلق بشعرة فى الهاوية لا أدرى أكردس فى النار أم أنجو فقال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم لأكل خبز الشعير وشرب ماء القراح والنوم على المزابل مع الكلاب لكثير مع عافية الدنيا والآخرة (وقال أنس) رضى الله عنه (كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق) أى لا تجارى بها النوق فى سرعة السير (فجاء اعرابى بناقة له) وفى رواية على قعود له (فسبقها فشق ذلك على المسلمين) أى اشتد كما فى رواية (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حق) وفى رواية ان حقا (على الله ان لا يرفع شيأ من أمر الدنيا الا وضعه) ورواه أحمد وعبد بن حميد والبخارى وأبو داود وابن حبان والدارقطنى والنسائى ووجد بخط الكمال الدميرى قال أفادنى بعض طلبة العلم انه سمع بعض الحفاظ يقول الاعرابى الذى جاء على قعود فسبق ناقة النبى صلى الله عليه وسلم هو جبريل عليه السلام (وقال عيسى عليه السلام من ذا الذى يبنى على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا (وقيل لعيسى عليه السلام علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة) قال العراقى رواه الطبرانى دون قوله ولهانت الخ زاد ولخرجتم الى الصعدات الحديث وزاد الترمذى وابن ماجه من حديث أبى ذر وما تلذذتم بالنساء على الفرش وأول الحديث متفق عليه من حديث أنس وفى افراد البخارى من حديث عائشة اهـ قلت قد تقدم الكلام على هذا الحديث وتمام الحديث عند الطبرانى بعد قوله ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله لا تدرون تنجون أو لا تنجون وقد رواه الحاكم والبيهقى كذلك وعند ابن عساكر من حديث أبى الدرداء لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاما على شهوة أبدا ولا شربتم شرابا على شهوة أبدا ولا دخلتم بيتا تستظلون به ولمررتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتبكون على أنفسكم ورواه أبو نعيم فى الحلية من قوله وعند الحاكم من حديث أبى ذر لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما ساغ لكم الطعام ولا الشراب وفى الحلية فى ترجمة العلاء بن زياد عن أبى ذر مثل سياق الترمذى وابن ماجه بزيادة وددت انى شجرة تعضد وأما صدر الحديث فرواه أيضا من حديث أنس أحمد والدارمى والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان ورواه من حديث أبى هريرة أحمد والبخارى والترمذى

وهو

ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم الى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما هو في عاقبته مالكم لا تحابون ولا تناصحون وأنتم اخوان (٨٩) على دين الله ما فرق بين أهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم مالكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته ماهذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها أملك لاموركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فائتونا لنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم مالكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على

ألسنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوههم ولا يتغير حالكم اني لارى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فأصبحتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت ان الله تعالى أراحني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد أسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا وبالله أستعين على نفسي وعليكم

وهو عند الحاكم بزيادة في آخره يظهر النفاق وترتفع الامانة الحديث (وقال أبو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم الى الصعدات) بضمتين أي الى البراري والقفار (تبكون على أنفسكم) قد مر عند الطبراني انه من جملة حديث أبي الدرداء ولفظه ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله وعند ابن عساكر بلفظ ولمررتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وأخرجه أبو نعيم في الحلية من قوله قال حدثنا أحمد ابن جعفر بن حمدان قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا داود بن عمرو حدثنا عبثر حدثنا برد عن حزام بن حكيم قال قال أبو الدرداء لو تعلمون ما أنتم راؤن بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة ولا شربا على شهوة ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه ولخرجتم الى الصعدات تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم ووددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل الى هنا نص الحلية ثم ساق المصنف بقية كلام أبي الدرداء فقال (ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع) أي لا تترك (هواها لمخافة مما في عاقبته) ثم قال (مالكم لا تحابون) أي لا يحب بعضكم بعضا (ولا تناصحون) أي لا ينصح بعضكم بعضا (وأنتم اخوان على دين ما فرق بين أهوائكم الا خبث سرائركم) أي فساد بواطنكم (ولو تجامعتم على البر لتحاببتم مالكم لا تناصحون في أمر الدنيا ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته ماهذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها أملك بقلوبكم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون) أي تتعبون (أنفسكم بالمشقة والاحتراف) أي الاكتساب (في طلب أمر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فائتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم) أي نقبل عذركم (انكم لتستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم مالكم تفرحون باليسير من الدنيا اذ تصيبونه وتحزنون على اليسير منها) اذ (يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم) جمع مأتم أي البكاء والعويل والحزن (وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوههم ولا يتغير حالكم اني لارى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل) أي الحقد في الصدور (ونبتت مراعيكم على الدمن) جمع دمنة بالكسر كسدرة وسدر وهو الموضع المتلبد بالسرجين (وتصافيتم على رفض) أي ترك (الاجل ولوددت ان الله أراحني منكم) بالموت (وألحقني بمن أحب رؤيته) ولو كان (حيا لم يصابركم) يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فان كان فيكم خير فقد أسمعتكم) أي أبلغت القول الى أسماعكم ان كنتم تقبلونه وتعملون به (وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا) أي سهلا (والله أستعين على نفسي وعليكم) الى هنا اهـ كلام أبي الدرداء رضي الله عنه * ومن كلام علي رضي الله عنه مما هو في نهج البلاغة ولو تعلمون ما أعلم مما طوي عنكم غيبه اذا لخرجتم الى الصعدات تبكون على أعمالكم وتلدمون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها ولهمت كل امرئ منكم نفسه لا يلتفت الى غيرها ولكنكم

نسيتم ماذكرتم وأمنتم ماحذرتم فبان منكم رأيكم وتشتت عليكم أمركم لوددت ان الله فرق بيني وبينكم والحقني بمن هو أحق لي منكم وممارواه ابن المبارك عن الاوزاعي عن حسان بن عطية ان أبا الدرداء كان يقول لاتزالون بخير ماأحببتم خياركم وماقيل فيكم الحق فقبلتموه فان عارف الحق كعامله وممارواه المسعودي عن أبي الهيثم قال قال أبو الدرداء لاتكلفوا من الناس مالم تكلفوا ولاتحاسبوا الناس دون ربهم ابن آدم عليك نفسك فانه من يتتبع مايرى في الناس يطل حزنه ولايشف غيظه وممارواه أبو بكر بن أبي شيبة بسنده اليه قال اعبدوا الله كأنكم ترونه وعدوا أنفسكم من الموتى واعلموا ان قليلا يغنيكم خير من كثير يلهيكم واعلموا ان البر لايبلى وان الاثم لاينسى وممارواه يزيد بن عمرون عن جويبر عن الضحاك عنه قال قال ياأهل دمشق أنتم الاخوان في الدنيا والجيران في الدار والانصار على الاعداء مايمنعكم من مودتي وانما مؤنتي على غيركم مالي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لايتعلمون وأراكم قد أقبلتم على ماتكفل لكم به وتركتم ماأمرتم به الا ان قوما بنوا شديدا وجمعوا كثيرا وأملوا بعيدا فاصبح بنيانهم قبورا وأملهم غرورا وجمعهم بورا وممارواه أحمد بن حنبل بسنده اليه انه كان يقول ويل لكل جماع فاغر فاه كانه مجنون يرى ماعند الناس ولايرى ماعنده لو يستطيع لوصل الليل بالنهار ويله من حساب غليظ وعذاب شديد وممارواه خالد بن يزيد عن سعيد بن هلال عنه انه كان يقول يامعشر أهل دمشق لاتستحيون تجمعون مالاتأكلون وتبنون مالاتسكنون وتأملون مالاتبلغون قد كان القرون من قبلكم يجمعون فيوعون ويأملون فيطيلون ويبنون فيوثقون فاصبح جمعهم بورا وأملهم غرورا وبيوتهم قبورا هذه عاد قد ملأت مابين عدن الى عمان أموالا وأولادا فمن يشتري مني تركة عاد بدرهمين وممارواه صفوان بن عمرو عنه انه كان يقول يامعشر أهل الاموال ردوا على جلودكم من أموالكم قبل أن تكون واياكم فيها سواء ليس الا أن تنظروا فيها وننظر فيها معكم اني أخاف عليكم شهوة خفية في نعمة ملهية وذلك حين تشبعون من الطعام وتجوعون من العلم الى غير ذلك من غرر كلامه مماهو مذكور في الحلية وغيرها والله أعلم (وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين ارضوا بدنيء الدنيا) أي حقيرها (مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (وفي معناه قد قيل)

(أرى رجالا بادنى الدين قدقنعوا * ولاأراهم رضوا في العيش بالدون)

(فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام ياطالب الدنيا لتبرّ بها) أي لتصير برابها (تركك الدنيا أبرّ) أي أكثر برا أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لتأتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب) قال العراقي لم أجد له أصلا (وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ياموسى لاتركنن الى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة أشد عليك منها أخرجه صاحب الحلية) من طريق سفيان عن منصور بن المعتمر عن مجاهد عن كعب قال الرب تعالى لموسى ياموسى لاتركنن الى حب الدنيا فانك لن تلقاني بكبيرة من الكبائر أخسر عليك من الركون الى الدنيا (ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ورجع) عليه (وهو يبكي فقال موسى يارب عبدك يبكي من مخافتك فقال ياابن عمران لونزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا *(الآثار الواردة)* في ذمها (قال علي رضي الله عنه من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فالقاه) أي اجتنبه (وعرف الدنيا فرفضها) أي تركها (وعرف الآخرة فطلبها) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (وقال الحسن البصري) رحمه الله تعالى (رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا) نقله صاحب القوت (وقال أيضا من نافسك في دينك فنافسه) أي فان المنافسة في أمور الدين

وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين ارضوا بدنيء الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا
وماأراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين * وقال عيسى عليه السلام ياطالب الدنيا لتبرّ * تركك الدنيا أبرّ وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لتأتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ياموسى لاتركن الى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يارب عبدك يبكي من مخافتك فقال ياابن عمران لوسال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا *(الآثار)* قال علي رضي الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك في دينك فنافسه

ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره وقال لقمان لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتي في هذه الآية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وقال بعض الحكماء انك لن تصبح في شئ

مندوب اليها (ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره) نقله صاحب القوت (وقال لقمان لابنه) وهو يعظه (يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الايمان بالله وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو وما أراك ناجيا) نقله صاحب القوت وقد روى نحو ذلك عن وهب بن منبه وهو في الحلية قال يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تربح بها الدنيا والآخرة والايمان بالله سفينتك التي تحمل عليها والتوكل على الله دقلها والدنيا بحرك والايام موجك والاعمال المفروضة تجارتك الى آخر ما قال (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (طالت فكرتي في هذه الآية انا جعلنا ما على الارض) من الحيوان والنبات والمعادن (زينة لها) لاهلها (لنبلوهم) أي لنختبرهم (أيهم أحسن عملا) في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي أيامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) تزهيد فيه والجرز الذي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه (وقال بعض الحكماء انك لن تصبح في شئ من الدنيا الا وقد كان له أهل قبلك ويكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك في أكله وصم عن الدنيا وافطر على الآخرة وان رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان) أي يبليها (ويجدد الآمال ويقرب المنية) أي الموت (ويبعد الامنية قال فما حال أهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب) يقال نضب الماء في الارض اذا غار (وقد قيل) في معنى ذلك

(ومن يحمد الدنيا لعيش يسره * فسوف لعمري عن قليل يلومها)
(اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها)

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن اليها فان عيشها نكد) أي عسر وتعب (وصفوها كدر وأهلها منها على وجل) أي خوف (اما بنعمة زائلة) أي تزول قريبا (أو بلية نازلة) ستنزل قريبا (أو منية قاضية) أي متحتمة (وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي أحدا ما يستحق لكنها اما ان تزيد) فوق استحقاقه (واما ان تنقص) من استحقاقه روى ذلك من كلام علي رضي الله عنه (وقال سفيان) الثوري رحمه الله تعالى (أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيأ الا أراد أكثر) مما طلب (ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيأ الا أراد أكثر) مما طلب (وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال رجل لابي حازم) سلمة بن دينار الاعرج المدني التابعي رحمه الله تعالى (أشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه الا من حله) أي من حيث هو حلال (ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا) أخرجه ابن أبي الدنيا (وانما قال هذا لانه لو آخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم) أي يتضجر (بالدنيا ويطلب الخروج منها) وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم قال قلت لابي حازم يوما اني لاجد شيأ يحزنني قال وما هو يا ابن أخي قلت حب الدنيا قال لي اعلم يا ابن أخي ان هذا الشئ ما أعاتب نفسي على بعض شئ حببه الله الي لان الله تعالى قد حبب هذه الدنيا

من الدنيا الا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك في أكلة وصم عن الدنيا وافطر على الآخرة وان رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الامنية قيل فما حال أهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وفي ذلك قيل

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره * فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي أحدا ما يستحق لكنها اما ان تزيد واما أن تنقص وقال سفيان اما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها وقال أبو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيأ الا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط شيأ الا أراد أكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لابي حازم أشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما آتاكه الله عز وجل منها فلا تأخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو آخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها

وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيأ فيجيء في طلبه فيأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى
والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى وقال
أبو حازم اياكم والدنيا فانه
بلغني انه يوقف العبد يوم
القيامة اذا كان معظما
للدنيا فيقال هذا عظم
ما حقره الله وقال ابن مسعود
ما أصبح أحد من الناس
الا وهو ضيف وماله عارية
فالضيف مرتحل والعارية
مردودة وفي ذلك قيل
وما المال والاهلون الا ودائع
ولا بد يوما أن ترد الودائع
وزارت رابعة أصحابها فذكروا
الدنيا فأقبلوا على ذمها
فقالت اسكتوا عن ذكرها
فلولا موقعها من قلوبكم
ما أكثرتم من ذكرها ألا
من أحب شيأ أكثر من
ذكره وقيل لابراهيم بن
أدهم كيف أنت فقال
نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه
وجاد بدنياه لما يتوقع
وقيل أيضا في ذلك
أرى طالب الدنيا وان طال
عمره
ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه
فلما استوى ما قد بناه تهدما
وقيل أيضا في ذلك
هب الدنيا تساق اليك
عفوا
أليس مصير ذاك الى
انتقال
وما دنياك الا مثل فيء * أظلك ثم آذن بالزوال
وقال لقمان لابنه يا بني بع
دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم
ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن
عباس

اليناولكن معاتبتنا أنفسنا في غير هذا ان لا يدعونا حبها الى ان نأخذ شيأ بشيء يكرهه الله تعالى ولا نمنع شيأ من شيء أحبه الله تعالى فاذا نحن فعلنا ذلك لم يضرنا حبنا اياها (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (الدنيا حانوت الشيطان) أي دكانه الذي فيه متاعه (فلا تسرق من حانوته شيأ فيجيء في طلبه فيأخذك) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار) لانفسنا (خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال أبو حازم) سلمة ابن دينار الاعرج رحمه الله تعالى (اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله تعالى) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا وأبو نعيم في الحلية (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (ما أصبح أحد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مردودة) أخرجه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من رواية الضحاك بن مزاحم قال قال عبد الله ما منكم الا ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مؤداة لاهلها (وقد قيل) في معنى ذلك

(وما المال والاهلون الا ودائع * ولا بد يوما ان ترد الودائع)

(و) يحكى انه (زار رابعة) بنت اسمعيل العدوية البصرية (أصحابها) ممن كان يتردد عليها (فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيأ أكثر من ذكره) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا وقولها من أحب شيأ أكثر من ذكره حديث مرفوع أخرجه أبو نعيم ثم الديلمي من طريق مقاتل بن حبان عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة به (وقيل لابراهيم بن أدهم كيف أنت فقال) منشدا

(نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع)
(فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع)

أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق يعلى بن عبيد قال دخل ابراهيم بن أدهم على أبي جعفر أمير المؤمنين فقال كيف شأنكم يا أبا اسحق قال يا أمير المؤمنين

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

ومن طريق أبي عمير عن حمزة قال دخل ابراهيم بن أدهم على بعض الولاة فقال له مم معيشتك قال نرقع دنيانا الخ فقال اخرجوه فقد استقبل (وقيل أيضا) في المعنى

(أرى طالب الدنيا وان طال عمره * ونال من الدنيا سرورا وأنعما)
(كبان بنى بنيانه فأقامه * فلما استوى ما قد بناه تهدما)

وفي نسخة فاتمه بدل فأقامه (وقيل أيضا) في المعنى

(هب الدنيا تساق اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى انتقال)
(وما دنياك الا مثل فيء * أظلك ثم آذن بالزوال)

وفي نسخة للزوال (وقال لقمان لابنه) وهو يعظه (يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (وقال مطرف بن) عبد الله بن (الشخير) بن عوف العامري التابعي العابد ولابيه صحبة وقد ذكر (لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظروا الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (وقال ابن

عباس ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزأ للمؤمن و جزأ للمنافق وجزأ للكافر فالمؤمن يتزوّد والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم
الدنيا جيفة فمن أراد منها شيأ فليصبر على معاشرة الكلاب وفى ذلك قيل ياخاطب الدنيا الى نفسها * تنح عن خطبتها تسلم

ان التى تخطب غدارة
قريبة العرس من الماتم
وقال أبو الدرداء من هوان
الدنيا على الله انه لا يعصى الا
فيها ولا ينال ماعنده الا
بتركها وفى ذلك قيل
اذا امتحن الدنيا لبيب
تكشفت
له عن عدو فى ثياب صديق
وقيل أيضا
ياراقد الليل مسرورا باوله
ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
أفنى القرون التى كانت
منعمة
كر الجديدين اقبالا وادبارا
كم قد أبادت صروف الدهر
من ملك
قد كان فى الدهر نفاعا
وضرارا
يامن يعانق دنيا لابقاء لها
يمسى و يصبح فى دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة
حتى تعانق فى الفردوس
أبكارا
ان كنت تبغى جنان الخلد
تسكنها
فينبغى لك أن لا تأمن النارا
وقال أبو امامة الباهلى
رضى الله عنه لما بعث محمد
صلى الله عليه وسلم أتت
ابليس جنوده فقالوا قد بعث
نبى و أخرجت أمة قال
يحبون الدنيا قالوا نعم قال

عباس) رضى الله عنه (ان الله جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزأ للمؤمن و جزأ للمنافق و جزأ للكافر فالمؤمن
يتزوّد) منها لآخرته (والمنافق يتزين) بمتاعها (والكافر يتمتع) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا
(وقال بعضهم الدنيا جيفة) أى بمنزلة جيفة فى هوانها ونتنها (فمن أراد منها شيأ فليصبر على معاشرة
الكلاب) رواه صاحب القوت من قول على رضى الله عنه وقال على مزاحمة الكلاب بدل معاشرة وفى هذا
المعنى قال الشافعى رحمه الله تعالى

وماهى الا جيفة مستحيلة * عليها كلاب همهن اجتذابها

ومن هنا يؤخذ القول المشهور على الالسنة الدنيا جيفة وطلابها كلاب وفى القوت ولقد أشهد ذلك بعض
المكاشفين فقال رأيت الدنيا فى صورة جيفة و رأيت ابليس فى صورة كلب وهو هائم عليها ومناديا
ينادى من فوق أنت كلب من كلابى وهذه جيفة من خلقى ولقد جعلتها نصيبك فمن نازعك شيأ منها فقد
سلطتك عليه (وقد قيل فى هذا المعنى)

(ياخاطب الدنيا الى نفسها * تنح عن خطبتها تسلم)
(ان التى تخطب غدارة * قريبة العرس الى المأتم)

وقال ابو محمد الحريرى ياخاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار
دار متى ما أضحكت أبكت * غدا ارة تبا لها من دار

فى أبيات أخرى ذكرها فى مقاماته (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (من هوان الدنيا على الله ان لا يعصى
الا فيها ولا ينال ماعنده الا بتركها) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا وذكره صاحب نهج البلاغة من
كلام على رضى الله عنه (وقيل) فى معنى ذلك وهو أحسن ماسمع فى تشبيه الدنيا

(اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق)

(وقيل أيضا) فى معناه

(ياراقد الليل مسرورا باوله * ان الحوادث قد يطرقن اسحارا)
(أفنى القرون التى كانت منعمة * كر الليالى اقبالا وادبارا)
(يامن يعانق دنيا لابقاء لها * يمسى و يصبح فى دنياه سفارا)

أى كثير السفر لاجل تحصيلها

(هلا تركت من الدنيا معانقة * حتى تعانق فى الفردوس ابكارا)
(ان كنت تبغى جنان الخلد تسكنها * فينبغى لك ان لا تأمن النارا)

وقيل فى هذا المعنى ياراقد الليل انتبه * ان الخطوب لها سرى
ثقة الفتى بزمانه * ثقة محلولة العرى

(وقال أبو امامة) صدى بن عجلان (الباهلى) رضى الله عنه (لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أتت ابليس
جنوده فقالوا قد بعث نبى و أخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبونها ما أبالى ان
لا يعبدوا الاوثان وأنا أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه وامساكه
عن حقه والشر كله لهذا تبع) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا (وقال رجل لعلى بن أبى طالب) رضى
الله عنه (ياأمير المؤمنين صف لنا الدنيا فقال وما أصف لك من دار من صح فيها أمن ومن سقم فيها ندم
ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن فى حلالها الحساب وفى حرامها العذاب) أخرجه ابن أبى الدنيا

لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالى ان لا يعبدوا الاوثان وانما أغدو عليهم و أروح بثلاث أخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه وامساكه
عن غير حقه والشر كله من هذا انبع وقال رجل لعلى كرم الله وجهه ياأمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما أصف لك من دار من صح فيها سقم
ومن أمن فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن فى حلالها الحساب وفى حرامها العقاب ومتشابهها العتاب

وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم أقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا وقال أبو سليمان الدارانى اذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزاحمها فاذا كانت الدنيا فى القلب لم تزاحمها الآخرة لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ماذكره سيار بن الحكم أصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان فى القلب فايهما غلب كان الآخر تبعاله وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله على كرم الله وجهه حيث قال الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضى احداهما تسخط الاخرى وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذى تمشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت الى ذا أو ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ماتقول فى رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه أيحسن له أن يتعيش فيه يعنى يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لا أحاسب عليها فى الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه وقيل لما قدم عمر رضى الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل

في ذم الدنيا وكذلك ذكره صاحب نهج البلاغة ولفظه ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء وفى حلالها حساب وفى حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن من ساعاها فاتته ومن قعد عنها واتته ومن أبصر بها بصرته ومن أبصر اليها أعمته (وقيل له ذلك مرة أخرى) أى سؤال وصف الدنيا (فقال أطول أم أقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب) أخرجه أيضا ابن أبى الدنيا وسيأتى ذلك فى المرفوع (وقال مالك بن دينار) البصرى رحمه الله تعالى (اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا) رواه صاحب الحلية من طريق سيار بن حاتم العنزى بن سلمة البصرى عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار وفى ترجمة مالك بن دينار اتقوا السحارة مرة واحدة وفى ترجمة جعفر بن سليمان عن مالك مرتين اهـ (وقال أبو سليمان) الدارانى رحمه الله تعالى (اذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزاحمها) للؤمها (فاذا كانت الدنيا فى القلب لم تزاحمها الآخرة) لكرمها (لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة) نقله صاحب القوت وقال معناه ان يسير الدنيا يخرج كثير الآخرة وكثير من شان الآخرة لا يخرج يسيرا من الدنيا وان كثيرا من أمر الآخرة قد يزيله قليل من أمر الدنيا وان قليلا من أمر الدنيا قد لا يزيله الكثير من أمر الآخرة هذا لعزة شان الآخرة وقلة النصيب منها وللؤم شأن الدنيا ودناءتها وكثرة النصيب منها وعظم البلوى بها قال المصنف (وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ماذكره سيار بن الحكم) كذا فى النسخ كلها والصواب سيار أبو الحكم العنزى الواسطى البصرى وهو سيار بن أبى سيار واسمه وردان وقيل ورد وقيل دينار يقال انه أخو شاور الوراق لامه قال أحمد صدوق ثقة ثبت فى كل المشايخ وقال ابن معين والنسائى ثقة وقال الحافظ ابن حجر وليس هو الذى يروى عن طارق بن شهاب مات سنة ١٢٢ روى له الجماعة (أصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان فى القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعاله) أى فالحكم للغالب وهذا لا يمنع مزاحمة الدنيا مع الآخرة (وقال مالك بن دينار) البصرى رحمه الله تعالى (بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك) نقله صاحب القوت (وهذا اقتباس مما قاله على رضى الله عنه حيث قال) فى تشبيه الدنيا والآخرة (الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضى احداهما تسخط الاخرى) وقد روى ذلك أيضا من قول وهب بن منبه كما فى الحلية ومثله قول عون بن عبد الله المسعودى الدنيا والآخرة فى العبد ككفتى الميزان ترجح احداهما فتخف الاخرى (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذى تمشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت الى ذا أم ذهبت الى ذا) نقله صاحب القوت (وقال رجل للحسن) البصرى (ماتقول فى رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه ويحسن فيه أله ان يتعيش فيه يعنى التنعم فقال لا) يجوز له (لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره) نقله صاحب القوت بلفظ سئل عن الرجل يوسع عليه فى رزقه هل له ان يتسع فى الشهوات فقال لا والله اذا لو كانت له الدنيا لم يكن ينبغى ان يأخذ من ماله الا للحاجة والكفاية من غير سرف ولا تبذير ويقدم فضول ذلك لآخرته ذخيرة له اهـ والكفاف هو ما يكف به نفسه فيما لا بد له منه فهذا هو الذى لا يعد من الدنيا (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (لو ان الدنيا بحذافيرها) أى بجملتها (عرضت على حلالا لا أحاسب بها فى الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه) أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن محمد بن جعفر بن يوسف حدثنا محمد بن جعفر حدثنا اسمعيل بن يزيد حدثنا ابراهيم بن الاشعث قال سمعت الفضيل يقول فذكره (وقيل قدم عمر رضى الله عنه الشام) قدمته الاولى (فاستقبله أبو عبيدة) عامر (بن الجراح) رضى الله عنه (على ناقة مخطومة بحبل) أى خطامها من حبل

فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم يرفيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضى الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا أمير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا وقال وهب قرأت فى بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يابنى انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فانت الى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها وقال سعيد بن مسعود اذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذى يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث الا والذى عليه أكثر من الذى له وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا من قال ذا قاله من خلقها ومن هو أعلم بها اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان أخذه من حله حوسب به وان أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته فى دينه ويجزع من مصيبته فى دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فاجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل وقال الفضيل بن عياض الدخول فى الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف أن الموت.

اليف (فسلم) عليه (وسأله ثم أتى منزله فلم يرفيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضى الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا أمير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد ابن شبل حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا أبو خالد الاحمر ح وحدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله ابن أحمد بن حنبل حدثنى أبى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر قالا حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال دخل عمر بن الخطاب على أبى عبيدة بن الجراح فاذا هو مضطجع على طنفسة رحله متوسد الحقيبة فقال له عمر ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك فقال يا أمير المؤمنين هذا يبلغنى المقيل وقال معمر فى حديثه لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الارض فقال عمر أين أخى قالوا من قال أبو عبيدة قالوا الآن يأتيك فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته فلم يرفى بيته الا سيفه وترسه ورحله ثم ذكر نحوه (وقال سفيان الثورى) رحمه الله تعالى (خذ من الدنيا لبدنك) أى قدر ما تقيم به عمارة البدن لاداء ما كلفت به (وخذ من الآخرة لقلبك) أخرجه ابن أبى الدنيا (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا) أى بسبب حبهم لها (فأوقعتهم فى الشرك) نقله صاحب القوت (وقال وهب) بن منبه اليمانى رحمه الله تعالى (قرأت فى بعض الكتب) أى السماوية (الدنيا غنيمة الاكياس) أى العقلاء (وغفلة الجهال لم يعرفوها) لجهلهم بها (فسألوا الرجعة) اليها (فلم يرجعوا) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال لقمان لابنه) وهو يعظه (يابنى انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها) أى من بطن أمك (واستقبلت الآخرة فأنت الى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها) أخرجه ابن أبى الدنيا (وقال سعد بن مسعود اذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذى يلعب بوجهه) وهو لا يشعر سعد بن مسعود هذا لم أجد له ترجمة فى رجال الحديث وهو هكذا فى سائر نسخ الكتاب وفى الزهد والرقائق من مرسل سعيد بن أبى سعيد اذا رأيت كلما طلبت شيأ من أمر الآخرة وابتغيته يسر عليك واذا طلبت شيأ من أمر الدنيا وابتغيته عسر عليك فاعلم انك على حال حسنة واذا رأيت كلما طلبت شيأ من أمر الآخرة وابتغيته عسر عليك واذا طلبت شيأ من أمر الدنيا وابتغيته يسر لك فأنت على حال قبيحة (وقال عمرو بن العاص) رضى الله عنه (على المنبر والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث الا والذى عليه أكثر من الذى له) قال العراقى رواه الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (بعد ان تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا) ولا يغرنكم بالله الغرور (من قال ذا قاله من خلقها) بقدرته (من هو أعلم بها اياكم وما شغل) عن الله (من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا أوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة أبواب) نقله صاحب القوت (وقال) الحسن (أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان أخذه من حله حوسب بنعمته وان أخذه من حرام عذب به) نقله صاحب القوت وفيه أيضا مسكين (ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته فى دينه ويجزع من مصيبته فى دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز) رحمهما الله تعالى (سلام عليك أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فأجابه عمر سلام عليك) اما بعد (كأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل) أخرجه أبو نعيم فى الحلية وأعاده المصنف فى كتاب ذم الجاه والرياء (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (الدخول فى

حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وعجبا لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم أن القدر
حق كيف ينصب وقدم على معاوية رضي الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات
رخاء يوم فيوم وليلة فليلة

يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود لباد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن
فيها فقال له سل ماشئت
قال عمر مضى فترده أو أجل
حضر فتدفعه قال لا أملك
ذلك قال لا حاجة لي اليك
وقال داود الطائي رحمه الله
يا ابن آدم فرحت ببلوغ
أملك وانما بلغته بانقضاء
أجلك ثم سوفت بعملك
كان منفعته لغيرك وقال
بشر من سأل الله الدنيا فانما
يسأله طول الوقوف بين
يديه وقال أبو حازم مافي
الدنيا شئ يسرك الا وقد
ألصق الله اليه شيأ يسوءك
وقال الحسن لا تخرج نفس
ابن آدم من الدنيا الا
بحسرات ثلاث انه لم يشبع
مما جمع ولم يدرك ما أمل
ولم يحسن الزاد لما يقدم
عليه وقيل لبعض العباد
قد نلت الغنى فقال انما
نال الغنى من عتق من رق
الدنيا وقال أبو سليمان
لا يصبر عن شهوات الدنيا
الا من كان في قلبه ما يشغله
بالآخرة وقال مالك بن
دينار اصطلحنا على حب
الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا
ولا ينهى بعضنا بعضا ولا
يدعنا الله على هذا فليت
شعري أي عذاب الله ينزل
علينا وقال أبو حازم يسير
الدنيا يشغل عن كثير
الآخرة وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ماهي لاحد بأهنأ منها لمن أهانها وقال أيضا اذا أراد الله بعبد خيرا
أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد أعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول في دعائه يا ممسك السماء أن
تقع على الارض الا باذنك أمسك الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر أرأيت لو أن رجلا صام الدهر

لا

الدنيا هين ولكن التخلص منها شديد) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت
حق كيف يفرح وعجبا لمن يعلم ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن
اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر) أي ماقدره الله (حق) كائن (كيف ينصب) أي يتعب وروى ابن عدي
والبيهقي من حديث ابن مسعود عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وعجبت لغافل وليس بمغفول عنه
وعجبت لضاحك ملء فيه ولا يدري أرضى عنه أم سخط (وقدم على معاوية) رضي الله عنه في أيام ولايته
(رجل من نجران) بلد من بلاد همدان باليمن قال البكري سمي باسم أبيها نجران بن زيد بن يشجب
ابن يعرب بن قحطان (عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء)
جمع سنية تصغير سنة (يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق أي فني ولولا
الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها قال له سل ماشئت قال عمر) قد (مضى فترده) علي (وأجل حضر فتدفعه)
عني (قال) معاوية (لا أملك ذلك قال لا حاجة لي اليك) أخرجه ابن أبي الدنيا (وقال داود) بن نصير
(الطائي) رحمه الله تعالى (يا ابن آدم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوفت بعملك
كان منفعته لغيرك) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال بشر) بن الحرث (الحافي) رحمه الله تعالى (من
سأل الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه) نقله صاحب القوت أي اطول حسابه ان كانت حلالا
أو حراما (وقال أبو حازم) سلمة بن دينار الاعرج (مافي الدنيا شئ يسرك الا وقد ألزق اليه شئ يسوءك)
رواه أبو نعيم في الحلية من طريق ابن مطرف عنه بلفظ مايسوءك (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى
(لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع) منها من متاعها (ولم يدرك
ما أمل) أي منتهى أمله (ولم يحسن الزاد لما قدم اليه) نقله صاحب القوت (وقيل لبعض العباد قد نلت
الغنى فقال انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا) أخرجه ابن أبي الدنيا (وقال أبو سليمان) الداراني
رحمه الله تعالى (لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة) نقله صاحب القوت
(وقال مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى
بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري أي عذاب الله ينزل علينا) رواه أبو نعيم في الحلية عن محمد
ابن علي بن حبيش عن أحمد بن يحيى عن يحيى بن معين عن سعيد بن عامر عن جعفر بن سليمان عنه (وقال
أبو حازم) سلمة بن دينار الاعرج رحمه الله تعالى (يسير الدنيا) أي قليلها (يشغل عن كثير الآخرة)
وانك تجد الرجل يشغل نفسه بهم غيره حتى لهو أشد اهتماما من صاحب الهم بهم نفسه هكذا رواه صاحب
الحلية بتلك الزيادة من طريق عتيبة بن سعيد عن يعقوب بن عبد الرحمن عنه (وقال الحسن) البصري
رحمه الله تعالى (أهينوا الدنيا فوالله ماهي لاحد بأهنأ منها لمن أهانها) نقله صاحب القوت بلفظ فوالله
لأهنأ ما تكون حين تهينها (وقال أيضا اذا أراد الله بعبد خيرا أعطى له عطية ثم يمسك فاذا نفد أعاد عليه
واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا) وكان يحلف بالله ما أعز عبد الدنيا الا أذل دينه وما أعز عبد دينه
الا هانت عليه الدنيا وبعضهم يقول من أكرم الدنيا أهانته غدا ومن أهانها اليوم أكرمته غدا (وكان
بعضهم يدعو) أي يقول في دعائه (يا ممسك السماء ان تقع على الارض أمسك الدنيا عني) وهذا خاف
الافتتان على نفسه منها فطلب الامساك عنها (وقال) أبو عبد الله (محمد بن المنكدر) بن عبد الله بن
الهدير التيمي القرشي المدني ابن خال عائشة الصديقة رضي الله عنها (أرأيت لو أن رجلا صام الدهر

لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غيرانه يؤتى به يوم القيامة فيقال ان هذا عظم في عينه ماصغره الله وصغر في عينه ماعظمه الله فكيف ترى يكون حاله فن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فامامؤنة الآخرة فانك لاتجد عليها اعوانا وأمامؤنة الدنيا فانك (٩٧) لاتضرب بيدك الى شئ منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشن البالى تنادى ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يارب يارب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يالاشئ وقال عبد الله ابن المبارك حب الدنيا والذنوب فى القلب قد احتوشته فتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشئ من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة ضيع نفسه قيل له انه كان يفعل و يفعل وذكروا أبوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعي رحمه الله من المؤيدين الناطقين بلسان الحق فى الدنيا وعظ أخاه فى الله وخوفه بالله فقال يا أخى ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صائر وساكنها الى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله وارض برزق الله لاتتسلف من دار فنائك الى دار بقائك فان عيشك فىء زائل

لا يفطر وقام الليل لا يفتر) أى لا يكسل (وتصدق بماله وجاهد فى سبيل الله واجتنب محارم الله غيرانه يؤتى به يوم القيامة فيقال أما ان هذا عظم فى عينه ماصغره الله وصغر فى عينه ماعظمه الله كيف ترى يكون حاله فن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا) نقله صاحب القوت (وقال أبو حازم) سلمة بن دينار رحمه الله تعالى (اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فامامؤنة الآخرة فانك لاتجد عليها أعوانا وأمامؤنة الدنيا فانك لاتضرب بيدك الى شئ منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق وحدثنا محمد بن الصباح حدثنا سفيان قال قال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والدين قالوا يا أبا حازم هذا الدين فكيف الدنيا قال لانك لاتمد يدك الى شئ الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشن البالى) أى القربة المخرقة (تنادى ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يارب يارب لم تبغضنى لم تمقتنى فيقول لها اسكتى يالاشئ اسكتى يالاشئ) تقدم فى أول الباب (وقال عبد الله بن المبارك) رحمه الله تعالى (حب الدنيا والذنوب فى القلب قد احتوشته) أى استولت عليه وسدت عليه طريق الخير (فتى يصل الخير اليه) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (من فرح قلبه بشئ من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب) رواه أبو نعيم فى الحلية عن حبيب بن الحسن حدثنا أبو شعيب الحرانى حدثنا جدى أحمد بن أبى شعيب حدثنا القشيرى عن محمد بن زياد عن وهب قال من جعل شهوته تحت قدميه فزع الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فذلك العالم الغلاب ومن طريق جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار يقول من غلب شهوة الدنيا فذلك الذى يفرق الشيطان من ظله (وقيل لبشر بن الحرث) الحافى رحمه الله تعالى (مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة ضيع نفسه قيل انه كان يفعل و يفعل وذكروا أبوابا من البر فقال) بشر (وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا) نقله صاحب القوت (وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها) مع ذلك (فكيف لو تحببت الينا) أخرجه ابن أبى الدنيا (وقيل لحكيم الدنيا لمن هى قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هى فقال لمن طلبها) وفى ذلك قيل

كل من لاقيت يشكو حاله * ليت شعرى هذه الدنيا لمن

هذه الدنيا لمن طلقها * ورضى منها بقوت وكفن

(وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها) أخرجه ابن أبى الدنيا (وقال) أبو القاسم (الجنيد) بن محمد البغدادى قدس سره (كان الشافعى) رحمه الله تعالى (من المؤيدين الناطقين بلسان الحق فى الدين) يروى انه (وعظ أخاه فى الله) أى فى ذات الله عز وجل (وخوفه فى الله فقال يا أخى ان الدنيا دحض مزلة) الدحض هو الذى تزلق فيه الاقدام ولا تثبت والمزلة بمعناه (ودار مذلة) أى دار هوان وذل (عمرانها الى الخراب صائر) أى راجع (وساكنها الى القبور زائر) أى عما قريب يزور القبور و يسكنها (شملها) أى جمعها (على الفرقة) أى الافتراق (موقوف وغناها) أى نعمها (الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار) أى فقر (والاعسار منها يسار) أى غنى (فافزع الى الله) أى الجأ اليه (وارض برزق الله) مما قدره لك فى الازل (لاتستلف) أى لاتستقرض (من دار بقائك) من الآخرة (فى دار فنائك) من الدنيا (فان عيشك فىء زائل)

وجدار مائل أكثر من عمالك واقصر من أملك وقال ابراهيم بن أدهم لرجل أدرهم في المنام أحب اليك أم دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة
فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في المنام والذي لاتحبه في الآخرة كأنك لاتحبه في اليقظة وعن اسمعيل بن عياش

قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا ياخنزيرة فلو وجدوا لها اسما أقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه و بنى قبره قبل ان يدخله وأرضى خالقه قبل ان يلقاه وقال أيضا الدنيا بلغ من شؤمها ان تمنيك انها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبدالله من أراد ان يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن وقال بندار اذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهر الاحد لقيمته وقال علي كرم الله وجهه انما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة
ذباب وأشرف المشروبات الماء و يستوي فيه البر والفاجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف
المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال وان المرأة لتزين أحسن شئ منها و يراد أقبح شئ
منها وأشرف المشمومات المسك وهو دم

أي ظل يزول قريبا (وجدار مائل) لايعتمد (أكثر من عمالك) الصالح (وقصر من أملك وقال
ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (لرجل أدرهم في المنام أحب اليك أم دينار في اليقظة فقال دينار في
اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في المنام والذي تحبه من الآخرة كأنك لاتحبه
في اليقظة) أخرجه أبونعيم في الحلية (وعن اسمعيل بن عياش) بن سليم العنسي بالنون الحمصي يكنى
أبا عتبة صدوق في روايته عن الشاميين مخلط في غيرهم مات سنة احدى وثمانين عن بضع وتسعين سنة
روى له البخاري في كتاب رفع اليدين له والاربعة (قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك
عنا ياخنزيرة فلو وجدوا لها اسما أقبح من هذا لسموها به) ولفظ القوت وقال أبو راشد التنوخي سمعت
أصحابنا اذا أقبلت الى أحدهم الدنيا قالوا اليك اليك ياخنزيرة استأخري عنا لاحاجة لنا فيك انا نعرف الهنا
اه وقد أورده صاحب القوت في أوائل شرح مقام الزهد عن يزيد بن ميسرة وهو الصواب قال أبونعيم
في الحلية حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا داود بن عمرو الضبي سمعت اسمعيل بن عياش
حدثني أبو راشد التنوخي عن يزيد بن ميسرة قال كان أشياخنا يسمون الدنيا الدنية ولو وجدوا اسما
شرا منه لسموها به وكانوا اذا أقبلت الى أحدهم دنيا قالوا اليك اليك عنا ياخنزيرة لاحاجة لنا بك انا نعرف
الهنا (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه ومن بنى قبره
قبل أن يدخله ومن أرضى خالقه قبل ان يلقاه) أخرجه أبونعيم في الحلية (وقال ايضا الدنيا بلغ من شؤمها
أن تمنيك عما يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها) أخرجه كذلك في الحلية (وقال بكر بن عبد الله)
المزني التابعي الثقة (من أراد أن يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن) أخرجه ابن أبي
الدنيا (وقال) أبو الحسين (بندار) بن الحسين الشيرازي صحب الشبلي مات بارجان سنة ٣٥٣ (اذا
رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم انهم في سخرة الشيطان) يعني لايتكلم في الزهد الامن كان
زاهدا حتى يكون لكلامه التأثير ولذلك لما خطب بشر بن مروان على منبر الكوفة قال رافع بن خديج
انظروا أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق فقلت وما كان عليه قال ثياب رقاق ولما جاء عبد الله بن
عامر القرشي الى أبي ذر رضي الله عنه في بزته وجعل يتكلم في الزهد وضع أبوذر راحته على فيه وجعل
يضرط به فغضب ابن عامر فأتى ابن عمر فشكا اليه وقال ألم تر مالقيت من أبي ذر قال وماذاك قال جعلت أقول
في الزهد فأخذ يهزأ بي فقال ابن عمر انت صنعت بنفسك تأتي أباذر في هذه البزة وتتكلم في الزهد (وقال)
بندار (أيضا من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن أقبل على الآخرة
صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهرا
لاحد لقيمته) أخرجه أبونعيم في الحلية (وقال علي رضي الله عنه انما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب
وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب) أي مما تلقيه النحل
بفيها (وأشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة
وأشرف المركوبات الفرس عليه تقتل الرجال وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال) أي ظرف
بول في ظرف بول (والله ان المرأة لتزين أحسن شئ منها و يراد أقبح شئ منها وأفضل المشمومات المسك وهو
دم الغزال) قال أبوالقاسم الراغب في كتاب الذريعة جميع اللذات تنقسم عشرة أقسام مأكل ومشرب
وملبس ومشم ومسمع ومبصر ومركب وخادم ومرفق من الآلات ومايشبهها وقد جعل ذلك سبعة وأدخل
الخادم والمركب والمرفق ومايجري مجرى ذلك في جملة المبصرات وعلى ذلك ماروي عن أمير المؤمنين علي بن

ابي

أبي طالب رضى الله عنه حيث قال لعمار بن ياسر وقد رآه يتنفس يا عمار على ماذا تنفسك ان كان على الآخرة فقد ربحت وان كان على الدنيا فقد خسرت صفقتك فانى قد وجدت لذاتها سبعة المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملبوسات والمشمومات والمسموعات والمبصرات فاما المأكولات فافضلها العسل وهو ضعة ذباب وأما المشروبات فافضلها الماء وهو مباح أهون موجود وأعزه مفقود وأما المنكوحات فبال فى مبال وحسبك ان المرأة تزين أحسن شئ فيها ويراد أقبح شئ فيها وأما الملبوسات فافضلها الديباج وهو نسج دودة وأما المشمومات فافضلها المسك وهو دم فأرة وأما المسموعات فريح هابة فى الهواء وأما المبصرات فخيالات صائرات الى الفناء قال الراغب وقد ذكر الله تعالى أصل ذلك فى قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية فالمشار اليه بحرث الدنيا الى هذه الاشياء السبعة على ماذكره على رضى الله عنه والعشرة على ماذكره غيره وكلا القولين فى التحصيل واحد

(بيان المواعظ فى ذم الدنيا وصفتها)

(قال بعضهم) فى موعظته (يا أيها الناس اعملوا على مهل) أى فى مهلة من عمركم (وكونوا من الله) علا وجل (على وجل) أى خوف منه ولله در من قال

كن من مواهب ذا الكريم * علا وجل على وجل

* واعلم بان قضاءه * حتم أجل وله أجل

(ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة) كثيرة الغدر (خداعة) كثيرة الخداع (قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلية) عند اهدائها لزوجها (العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة) أى مقيمة محبوسة (والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثرت بوائقها) أى دواهيها (وذمها خالقها) فهو أعرف بها منا (جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت) أى لا يستمر (فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل) أى مريض (أو مدنف) كمكرم من لازمه الدنف محركة أى المرض وقد دنف كعلم وأدنف وأدنفه المرض (فقيل فهل على الدواء من دليل وهل الى الطبيب من سبيل فيدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى) بكذا وكذا (ولماله أحصى) أى ضبط (ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك) وهو صوت المريض وتتابعه تعاقبه (وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان منعت الكلام فلا تنطق) لشدة ما نزل بك (وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء) المحتوم (وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك وأحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك) الذين كانوا يعودونك أيام المرض (واستراح حسادك وانصرف أهلك الى مالك وبقيت مرتهنا) أى محبوسا (باعمالك) ان خيرا فخير وان شرا فشر وفى كلام على رضى الله عنه فى أثناء خطبته بيناهو يضحك الى الدنيا وتضحك اليه فى ظل عيش غفول اذ وطأ الدهر به حسكه ونقصت الايام قواه ونظرت اليه الحتوف من كثب فخالطه من لا يعرفه ومحا منهم ما كان يجده وتولدت فيه فترات علل انسى ما كان بصحته ففزع الى ما كان عوده الاطباء من تسكين الحار بالقار وتحريك البارد بالحار فلم يطفئ ببارد الا ثور حرارة ولا حرك بحار الا هيج برودة ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع الا أمد منها كل ذات داء حتى فتر معلله وزهد ممرضه وتعايا أهله بصفة دائه وخرسوا عن جواب السائلين عنه وتنازع دونه شجا خبر يكتمونه فقائل هو لمابه وممن لهم اياب عاقبته ومصبر لهم على فقره يذكرلهم أسى الماضين من قبله فبينما هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الاحبة اذ عارض

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل أو هل الى الطبيب من سبيل فتدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولماله أحصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك وأحضرت أكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك

وقال بعضهم لبعض الملوك ان أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد أو تدب الى جسمه فتسقمه أو تفجعه بشيء هو ضنين به بين أحبابه فالدنيا أحق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بيناهي تضحك صاحبها اذ أضحكت منه غيره وبيناهي تبكي له اذ أبكت عليه وبيناهي تبسط كفه بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره بالتراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا (١٠٠) وكتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما أنزل آدم عليه السلام من الجنة اليها عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت بآمالها وسوفت بخطابها فأصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قالية فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور أشخصته الى مكروه السارق أهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وأدبر ولا يدري ما هو آت فينتظر أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر (وما

(وقال بعضهم لبعض الملوك ان أحق الناس بذم الدنيا وقلاها) أي بغضها (من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه) أي تستأصله بالهلاك (أو على جمعه فتفرقه أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد) فلا يثبت له سلطانه (أو تدب الى جسمه فتسقمه) أي تمرضه (أو تفجعه بشيء هو ضنين به) أي بخيل (من أحبابه فالدنيا أحق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بيناهي تضحك صاحبها اذ أضحكت منه غيره وبيناهي تبكي له اذ أبكت عليه وبيناهي تبسط كفه بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد تعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا) أي بعد ان تجعله رئيسا ملكا اذا هو معفر تحت التراب سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى من كل بدلا فمن هذا وصفه فهو حري بان يقلى ويذم أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا هكذا (وكتب الحسن البصري رحمه الله تعالى (الى عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى يعظه في كتابه حين ولي الخلافة (أما بعد فان الدنيا دار ظعن) أي سفر (ليست بدار اقامة وانما أنزل آدم عليه السلام اليها عقوبة) لما صدر منه (من مخالفة الامر) وفي الحلية في ترجمة الفضيل قال ليست الدار دار اقامة وانما أهبط آدم اليها عقوبة ألا ترى كيف يزويها عنه ويمررها عليه (فاحذرها يا أمير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه) أي موته (فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة) أي الكثيرة الختل (الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت بآمالها وتشوفت لخطابها) وفي نسخة سوفت بخطابها (فأصبحت كالعروس المجلية المزينة فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قاتلة) وفي نسخة قالية أي باغضة (فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها عن الله حتى زلت قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت بألمه وحسرات الفوت بغصته ومن راغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن فيها الى سرور أشخصته الى مكروه) أي أصدرته ورفعته (السارق أهلها غار) أي مغرور (والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب) أي مخلوط (بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وأدبر ولا يدري ما هو آت فينتظر امانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق) تعالى (لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله قدر) أي قيمة

وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها
اذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها
لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه أكرم بها ونسي ماصنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعز انه قال لموسى عليه السلام اذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام فانه كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلائي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما أنبتت الارض أبيت وليس لي شئ وأصبح وليس لي شئ وليس على الارض أحد أغنى مني وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبنكما ماتمتع به منها فانما هي زهرة الحياة
الدنيا وزينة المترفين فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما
أوتيتما لفعلت ولكني أرغب بكما عن ذلك فأزوي ذلك عنكما وكذلك أفعل بأوليائي اني لأذودهم

(وما نظر اليها منذ خلقها) نظر رضا كما ورد ذلك في الخبر وتقدم (وقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقص ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها) قال العراقي هكذا أورده ابن أبي الدنيا مرسلا ورواه أحمد والطبراني متصلا من حديث أبي مويهبة في أثناء حديث فيه اني قد أعطيتك خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة الحديث وسنده صحيح وللترمذي من حديث أبي امامة عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا الحديث وقال حسن وعلي بن زيد يضعف في الحديث (اذ كره ان يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغض خالقه أو يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدائه اغترارا) وقد روي ذلك من كلام علي رضي الله عنه قال في بعض خطبه في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قد حقر الدنيا وصغرها وأهونها وهونها وعلم ان الله زواها عنه اختيارا وبسطها على غيره احتقارا فأعرض عن الدنيا بقلبه وأمات ذكرها عن نفسه وأحب أن تغيب زينتها عن عينه لئلا يتخذ منها رياشا أو يرجو منها معاشا (فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه أكرم بها) حيث أعطيها (ونسي ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه) هكذا رواه ابن أبي الدنيا وللبخاري من حديث جابر قام وبطنه معصوب بحجر وللترمذي من حديث أنس رفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين وقال حديث غريب وقد تقدم (ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه تبارك وتعالى انه قال لموسى عليه السلام اذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين) ذكره صاحب القوت مع زيادة جملة قبله ورواه أبو عثمان الصابوني من طريق محمد بن أبي الازهر قال سمعت فضيل بن عياض يقول قيل لموسى عليه السلام ياموسى اذا رأيت فساقه مثل سياق المصنف وأخرجه صاحب الحلية من طريق مجاهد عن كعب قال ان الرب تعالى قال لموسى عليه السلام فساقه (فان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام حيث كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلائي) أي دفائي يقال صلي بالنار وبالشمس اذا تدفأ بها (في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما أنبتت الارض أبيت وليس لي شئ وأصبح وليس لي شئ وليس على الارض أحد أغنى مني) وفي خطبة علي رضي الله عنه كما في نهج البلاغة ولقد كان لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لك فيه الاسوة ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها وكثرة نقارها اذ قبضت عنه أطرافها ووطئت لغيره أكنافها وفطم من رضاعها وزوي عن زخارفها وان شئت ثنيت بموسى كليم الله عليه السلام اذ يقول رب اني لما أنزلت الي من خير فقير والله ما سال الا خبزا يأكله لانه كان يأكل بقلة الارض ولقد كانت خضرة البقلة ترى من صفيق بطنه لهزاله وتشذب لحمه وان شئت ثلثت بداود عليه السلام كان يعمل شقائق الخوص بيده ويقول لجلسائه أيكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها وان شئت اقتديت بعيسى عليه السلام فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن وادامه الجوع وسراجه بالليل القمر وصلاؤه في الشتاء مشارق الشمس ومغاربها وفاكهته ما تنبت الارض للبهائم ولم تكن له زوجة ولا ولد لا يعزما لا ولكن يذله دابته رجلاه وخادمه يداه اه (وقال وهب بن منبه لما بعث الله موسى وهارون عليهما السلام الى فرعون) كان فيما (قال) له اسمع كلامي واسمع وصيتي (لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا) أي لا يعجبنكما (فان ناصيته بيدي ليس ينطق) بحرف (ولا يطرف) بلحظ (ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبنكما ماتمتع به منها) ولا تمدا الى ذلك أعينكما (فانما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ولو شئت ان أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن مقدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت ولكني أرغب بكما عن ذلك فأزوي) أي أقبض (ذلك عنكما وكذلك أفعل بأوليائي اني لأذودهم)

عن نعيمها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وانى لاجنبهم ملاذها كما يجنب الراعى الشفيق ابله عن مبارك العرة وما ذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفرا انما يتزين لى أوليائى بالذل والخوف والخضوع والتقوى تنبت فى قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهى ثيابهم التى يلبسون ودثارهم الذى يظهرون وضميرهم الذى يستشعرون ونجاتهم التى بها يفوزون ورجاؤهم الذى اياه يأملون ومجدهم الذى به يفخرون وسيماهم التى بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك

واعلم انه من أخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة * وخطب على كرم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهى بين أهلها دول وسجال لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا أهلها منها فى رخاء وسرور اذا هم منها فى بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور واعلموا عباد الله انكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة فى القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلا

أى أسوقهم (عن نعيمها كما يذود الراعى الشفيق) أى المشفق (غنمه عن مواقع الهلكة) محركة أى الهلاك (وانى لاجنبهم ملاذها) ورفاهها (كما يجنب الراعى الشفيق ابله عن مبارك العرة) بالضم وهى الجرب (وما ذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفرا) لم تكلمه الدنيا ولم ينقصه الهوى واعلم ياموسى انه لم يتزين لى العباد بزينة هى أبلغ عندى من الزهد فى الدنيا فانها زينة الابرار عندى (انما يتزين لى أوليائى بالذل والخشوع والخوف) والنحول والسجود (والتقوى تنبت فى قلوبهم فتظهر على أجسادهم فهى ثيابهم التى يلبسون ودثارهم الذى يظهرون وضميرهم الذى يستشعرون ونجاتهم التى بها يفوزون ورجاؤهم الذى اياه يأملون ومجدهم الذى به يفخرون وسيماهم التى بها يعرفون) أولئك هم أوليائى حقا (فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك) هكذا أورد قول وهب هذا صاحب الحلية وصاحب القوت (واعلم) ياموسى (انه من أخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم انا الثائر له يوم القيامة) أى الآخذ بالثار وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الاولياء والحكيم فى النوادر وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الاسماء والصفات وابن عساكر من حديث أنس يقول الله عز وجل من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة الحديث وعند الطبرانى من حديث ابن عباس يقول الله عز وجل من عادى لى وليا فقد ناصبنى بالمحاربة الحديث وروى أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبرانى فى الاوسط وأبو نعيم فى الطب والبيهقى فى الزهد وابن عساكر من حديث عائشة قال الله عز وجل من آذى لى وليا فقد استحل محاربتى الحديث (وخطب على رضى الله عنه يوما خطبة فقال فيها اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال فهى من أهلها دول) أى نوب (وسجال) جمع سجل بالفتح وهو الدلو يقال الحرب بينهم سجال أى تارة لهم وتارة عليهم (لا تدوم أحوالها) أى لا تثبت على حالة واحدة (ولن يسلم من شر نزالها) جمع نازل أى واردها شبههم بالمسافر الذى ينزل ثم يسافر (بينا أهلها منها فى رخاء وسرور اذا هم منها فى بلاء وغرور وأحوال مختلفة وتارات متصرفة) أى متغيرة (العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما أهلها فيها أغراض مستهدفة بالبلايا والمحن ترميهم بسهامها وتقصمهم) أى تكسرهم (بحمامها) أى موتها العاجل (وكل) منهم (حتفه فيها مقدور) مكتوب من الازل (وحظه منها موفور) أى واف (واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا) أى قوة وقهرا (وأعمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هامدة) أى ساكنة (من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية) أى مندرسة (استبدلوا بالقصور المشيدة والسرور والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة فى القبور اللاطئة) أى اللاصقة (الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل) أو توافق (وقد طحنهم بكلكله) أى بصدره يقال أناخ عليه الدهر بكلكله وأصله فى صدر البعير وذلك لانه اذا أناخ على شئ بصدره فقد أهلكه ثم استعير للدهر (البلى)

وأ كلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكأن قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة فى دار المثوى وارتهنتم فى ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل ما فى الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه متبعين لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد * وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالى فى بدنك لو كشف لك عما أحدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك واستثقلت ممر الساعة بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وأنها أمر من العلقم اذا عجمها الحكيم وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وما تأتى به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم ارشدنا الى الصواب وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال الدنيا وقتك الذى يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به

أى استأصلهم فلم يبق منهم شيأ (وأ كلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش) أى طراوته (رفاتا) متكسرين (فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب وظعنوا) أى ساروا (فليس لهم اياب) أى رجوع (هيهات هيهات انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكأن قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلاء والوحدة فى دار المثوى وارتهنتم فى ذلك المضجع) أى حبستم (وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قد عاينتم الامور وبعثرت القبور) أى أخرج ما فيها (وحصل ما فى الصدور) من النيات (وأوقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها) أى خوفها (من سالف الذنوب وهتكت منكم الحجب والاستار) أى مزقت ورفعت (وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت) من خير أو شر (ان الله عز وجل يقول ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه ومتبعين لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد) هذه الخطبة أوردها الشريف فى نهج البلاغة ونصها دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة لا تدوم أحوالها ولا تسلم نزالها أحوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والامان فيها معدوم وانما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى قبلكم ممن كان أطول منكم أعمارا وأعمر ديارا وأبعد آثارا أصبحت أصواتهم هامدة ورياحهم راكدة وأجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة والقبور اللاطئة الملحدة التى قد بنى على الخراب فناؤها وشيد بالتراب بناؤها فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل محلة موحشين وأهل فراغ متشاغلين لا يستأنسون بالاوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تزاور وقد طحنهم بكلكله البلا وأ كلتهم الجنادل والثرى وكان قد صرتم الى ما صاروا اليه وارتهنكم ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع وكيف بكم لو تناهت بكم الامور وبعثرت القبور هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون (وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه) أى ينتقصك (حتى يستغرق جميع أجزائك) أى يستولى (فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالى فى بدنك لو كشف لك) وحققت الحقائق (عما أحدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك واستثقلت ممر الساعة بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار) لكل معتبر (وبالسلو عن غوائل الدنيا) أى مهالكها (وجد طعم لذاتها) لذائقيه (وانها أمر من العلقم) وهو الحنظل وقيل قثاء الحمار (اذ اعجمها الحكيم) أى اختبرها (وقد أعيت الواصف) أى أعجزته (لعيوبها بظاهر أفعالها وما تأتى به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ) فى فصيح مقاله (فنستوهب الله رشدا الى الصواب) هذا كله مما كتبه الحسن البصرى الى عمر ابن عبد العزيز أورده هكذا بتمامه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الدنيا (وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال الدنيا وقتك الذى يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به) واليه أشار القائل

ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التى أنت فيها

والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى عـلى الانسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت
الجماعات وانخرام الشمل وتنقـل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور * وخطب عمر بن عبـد العزيز رحمة الله عليه فقال يا أيها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصـدقون به فانكم حمقى وان كنـتم تـكذبون به فانكم هالكى انما خلقـتم للابد ولـكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انـكم فى دار لـكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لـكم نعمة تسرون بها الا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعمـلوا لما أنـتم صائرون اليه خالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل * وقال على كرم الله وجهـه فى خطبته أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لـكم وان كنتم لا تحبون تركها المبليـة أجسامكم وأنتم تريدون تجـديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم فى سـفر سلـكوا طريقا وكأنهم قد قطعوه وأفضوا الى علم فـكأنهم بلغوه وكم عسى أن يجـرى المجرى حتى ينتهى الى الغاية وكم عسى أن يبقى من له يوم فى الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعـمائها فانه الى زوال
عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين

واليه أشار الصوفية بقولهم الصوفى ابن وقته (والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعته واحداثه) أى صروفه (تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور) أخرجه ابن أبى الدنيا (وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى (فقال يا أيها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فأنتم حمقى) لا عقول لكم (وان كنتم تكذبون به انكم لهالكى انما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقـلون عباد الله انكم فى دار لكم فيها من طعامكم غصص) جمع غصة بالضم وهو ما يعترض فى الحلق فيغص به (ومن شرابكم شرق) وهو ما يشرق به فى الحلق (لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق لاخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل) هكذا أخرجه ابن أبى الدنيا وأخرجه أبو نعيم فى الحلية مختصرا فقال حدثنا أبى حـدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا سفيان بن وكيع حـدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال قال عمر بن عبد العزيز انما خلقتم للابد ولكنكم تنقلون من دار الى دار ثم ساق سندا آخر الى ابن عيينة قال فيه قال عمر بن عبد العزيز ولم يذكر عمرو بن دينار وقال فى موضع آخر ان هذه الخطبة كانت بخناصرة وقد سبقه الى ذلك على رضى الله عنه فقال فى بعض خطبـه أيها الناس انما أنتم فى هذه الدنيا غرض تنتقل فيه المنايا مع كل جرعة شرق وفى كل أكلة غصص لا تنالون منها نعـمة الا بفراق أخرى ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الا بهـدم آخر من أجل ولا تجدد له زيادة فى أكلة الا بنفاد ما قبلها من رزقه ولا يحيا له أثر الا مات له أثر ولا يتجدد له جديد الا بعد ان يخلق له جديد ولا تقوم له ثانية الا وتسقط منه محضودة (وقال على رضى الله عنه فى خطبته أوصيكم بتقوى الله والترك) وفى نهج البلاغة للشريف الرضى قال رضى الله عنـه نحمده على ما كان ونستعينه من أمرنا على ما يكون ونسأله المعافاة فى الاديان كما نسأله المعافاة فى الابدان أوصيكم بالرفض (للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها) ولفظ الاصل وان لم تحبوا تركها (المبلية أجسامكم وان كنتم تريدون) ولفظ الاصل تحبون (تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل سفر) بفتح فسكون جمع سافر كراكب وركب (سلكوا طريقا وكأنهم قد قطعوه وأفضوا الى علم) محركة وهو المنار فى الارض ولفظ الاصل وأتوا علما (فكأنهم بلغوه وكم عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهى الى الغاية) وكم عسى المجرى الى الغاية أن يجرى اليها حتى يبلغها (وكم عسى أن يبقى من له يوم فى الدنيا) ولفظ الاصل وما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه (وطالب حثيث يطلبه) ولفظ الاصل يحدوه فى الدنيا (حتى يفارقها فلا) تنافسوا فى عز الدنيا وفخرها ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها ولا (تجزعوا لبؤسها وضرائها) ولفظ الاصل من ضرائها وبؤسها (فانه الى انقطاع) ولفظ الاصل فان عزها وفخرها الى انقطاع (ولا تفرحوا بنعمائها فانه الى زوال) ولفظ الاصـل وزينتها ونعيمها الى زوال وضرائها وبؤسها الى نفاد وكل مدة فيها الى انتهاء وكل حى فيها الى فناء أوليس لكم فى آثار الاولين مزدجر وفى آبائكم الاولين تبصرة ومعتبر ان كنتم تعقلون أولم تروا الى الماضين منكم لا يرجعون والى الخلف الباقين لا يبقون أولستم ترون أهل الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتى فميت يبكى وآخر يعزى وصريع مبتلى وعائد يعود وآخر بنفسـه يجود (عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه) ولفظ الاصل بعد قوله يجود وطالب للدنيا والموت يطلبه (وغافل وليس بمغفول عنه) وعلى أثر الماضى ما يمضى الباقى ألا فاذكروا هاذم اللذات ومنغص الشهوات وقاطع الامنيات عند المساورة للاعمال القبيحة واستعينوا الله على أداء واجب حقه وما لا يحصى من اعداد نعمه واحسانه (وقال محمد بن الحسن) هكذا فى النسخ وفى بعضها محمد بن الحسين والمسمى بمحمد بن الحسن جماعة كثيرون منهم محمد بن الحسن بن أنس الصغانى ومحمد بن الحسن بن أبى الحسن البراد الكوفى ومحمد بن الحسن بن زبالة المدينى ومحمد بن الحسن بن الزبير الكوفى ومحمد بن الحسن ابن عطية بن سعد العوفى ومحمد بن الحسن بن عمران الواسطى ومحمد بن الحسن بن هلال ومحمد بن الحسن بن

ابى

أبي يزيد الهمداني والله أعلم أيهم أراده المصنف (لما علم أهل العقل والعلم والمعرفة والادب ان الله عز وجل قد أهان الدنيا) وحقر شأنها (وانه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة) المقدار (وان رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها) ورغب عنها (وحذر أصحابه من فتنتها) وضرب لهم في ذلك الامثال كما سيأتي ذكرها (أكلوا منها قصدا) أى مقتصدين لا افراطا ولا تفريطا (وقدموا فضلا بين) أيديهم (وأخذوا منها ما يكفي) في عمارة البدن (وتركوا ما يلهي) عن الله تعالى (لبسوا من الثياب ما ستر العورة) واكتفوا به عن لبس ثياب الشهرة (وأكلوا من الطعام أدناه) أى أقله (مما سد الجوعة) وأمسك الرمق (ونظروا الى الدنيا بعين انها فانية) وكل ما فيها الى زوال (وللآخرة انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب) كناية عن التقليل فان الراكب مع الراحلة لا يحمل من الزاد الا قدر ما يكفيه فقط ولم يحمل الفضل (فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة نظروا الى الآخرة بعين قلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بابدانهم صبروا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم ولله در القائل

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا * نظروا فيها فلما علموا

انها ليست لحي وطنا * جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

ولنختم هذا الفصل بكلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فيما يتعلق بالدنيا مما ذكره صاحب نهج البلاغة وفي سياقه المشتهى اذ هو مستقى من بحر النبوة قال رضي الله عنه في بعض خطبه لا ترفعوا من رفعته الدنيا ولا تشيموا بارقها ولا تسمعوا ناطقها ولا تجيبوا ناعقها ولا تستضيؤا باشراقها ولا تفتنوا باعلاقها فان برقها خالب ونطقها كاذب وأموالها محروبة وأعلاقها مسلوبة الا وهي المتصدية العنون والجامحة الحرون والمائنة الخؤون والجحود الكنود والعنود الصدود والحيود الميود حالها انتقال ووطأتها زلزال وعزها ذل وجدها هزل وعلوها سفل دار حرب وسلب ونهب وعطب أهلها على ساق وسياق ولحاق قد تحيرت مذاهبها وأعجزت مهاربها وخابت مطالبها فاسلمتهم المعاقل ولفظتهم المنازل وأعيتهم المحاول فمن ناج معقور ولحم مجزور وشلو مذبوح ودم مسفوح وعاض على يديه وصافق لكفيه ومرتفق بخديه وزار على رأيه وراجع عن عزمه وقد أدبرت الحيلة وأقبلت الغيلة ولات حين مناص هيهات هيهات فات ما فات وذهب ما ذهب ومضت الدنيا لحال بالها فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال رضي الله عنه في خطبة له والدنيا دار مني لها الفناء ولاهلها منها الجلاء وهي حلوة خضرة قد عجلت للطالب والتبست بقلب الناظر فارتحلوا عنها باحسن ما بحضرتكم من الزاد ولا تسألوا فيها فوق الكفاف ولا تطلبوا فيها أكثر من البلاغ وقال رضي الله عنه في خطبة له فان الدنيا رنق مشربها ردغ مشرعها يونق منظرها ويوبق مخبرها غرور حائل وضوء آفل وظل زائل وسناد مائل حتى اذا أنس نافرها واطمأن ناكرها قمصت بارجلها وقنصت باحبلها وأقصدت باسهمها وأعلقت المرء اوهاق المنية قائدة له الى ضنك المضجع ووحشة المرجع ومعاينة المحل وثواب العمل وقال رضي الله عنه في خطبة له انظروا الى الدنيا نظر الزاهدين فيها الصادفين عنها فانها والله عما قليل تزيل الساوي الثاوي الساكن وتفجع المترف الآمن لا يرجع ما تولى منها فادبر ولا يدري ما هو آت منها فينتظر سرورها مشوب بالحزن وجلاد الرجال فيها الى الضعف والوهن فلا يغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها رحم الله امرأ تفكر فاعتبر واعتبر فابصر فكأن ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن وكأن ما هو كائن من الآخرة عما قليل لم يزل وكل معدود منقض وكل متوقع آت وكل آت قريب دان وقال رضي الله عنه في خطبة له أما بعد فاني أحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتحببت بالعاجلة وراقت بالقليل وتحلت بالآمال وتزينت بالغرور لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة حائلة زائلة نافدة بائدة اكالة غوالة لا تعدو اذا تناهت الى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها ان تكون كما قال الله تعالى

لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والادب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرضها لاوليائه وأنها عنده حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الآخرة انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون اليها بأعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون اليها بابدانهم تعبوا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم

كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا
لم يكن امرؤ منها فى حبرة الا أعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطنا الا منحته من ضرائها ظهرا ولم تطله فيها
ديمة رخاء الا هتنت عليه مزنة بلاء وحرى اذا أصبحت له منتصرة ان تمسى له متنكرة وان جانب منها اعذوذب
واحلولى أمر منها جانب فاوبى لا ينال امرؤ من غضارتها رغبا الا أرهقته من نوائبها تعبا ولا يمسى منها فى جناح
الا أصبح على قوادم خوف غرارة غرور ما فيها فانية فان من عليها لا خير فى ازوادها الا التقوى من أقل منها
استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه كم من واثق بها قد فجعته وذى
طمأنينة اليها قد صرعته وذى ابهة قد جعلته حقيرا وذى نخوة قد ردته ذليلا سلطانها دول وعيشها رنق
وعذبها اجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام وأسبابها رمام حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم
ملكها مسلوب وعزيزها مغلوب وموفورها منكوب وجارها محروب ألستم فى مساكن من كان قبلكم
أطول أعمارا وأبقى آثارا وأبعد آمالا وأعد عديدا وأكثف جنودا تعبدوا للدنيا أى تعبد وآثروها أى
ايثار ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ولا ظهر قاطع فهل بلغكم ان الدنيا سخت لهم نفسا بفدية أو أعانتهم بمعونة
وأحسنت لهم صحبة بل أرهقتهم بالقوادح وأدهشتهم بالقوارع وضعضعتهم بالنوائب وعفرتهم للمناخر
ووطئتهم بالمناسم وأعانت عليهم ريب المنون فقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وآثرها وأخلد اليها حتى ظعنوا
عنها لفراق الابد هل زودتهم الا السغب أو أحلتهم الا الضنك أو نورت لهم الا الظلمة أو أعقبتهم الا الندامة أفهذه
تؤثرون أم اليها تطمئنون أم عليها تحرصون فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن منها على وجل منها فاعلموا
وأنتم تعلمون بأنكم تاركوها وظاعنون عنها واتعظوا فيها بالذين قالوا من أشد منا قوة حملوا الى قبورهم
فلا يدعون ركبانا وأنزلوا فلا يدعون ضيفانا وجعل لهم من الصفيح أجنان ومن التراب أكفان ومن الرفات
جيران فهم جيرة لا يجيبون داعيا ولا يمنعون ضيما ولا يبالون مندبة ان جيدوا لم يفرحوا وان قحطوا لم
يقنطوا جميع وهم آحاد وجيرة وهم ابعاد متدانون لا يتزاورون وقريبون لا يتقاربون حلماء قد ذهبت
أضغانهم وجهلاء قد ماتت أحقادهم لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم استبدلوا بظهر الارض بطنا وبالسعة
ضيقا وبالاهل غربة وبالنور ظلمة فجاؤها كما فارقوها حفاة عراة قد ظعنوا عنها بأعمالهم الى الحياة الدائمة
والدار الباقية كما قال سبحانه كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وقال رضى الله عنه فى خطبة له أما
بعد فانى أحذركم الدنيا فانها منزل قلعة وليست بدار نجعة قد تزينت بغرورها وغرت بزينتها دار هانت على ربها
فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وحياتها بموتها وحلوها بمرها لم يصفها الله لاوليائه وكم يضن بها على
أعدائه خيرها زهيد وشرها عتيد وجمعها ينفد وملكها يسلب وعامرها يخرب فما خير دار تنقض نقض
البناء وعمر يفنى فناء الزاد ومدة تنقطع انقطاع السير وقال رضى الله عنه فى خطبة له ثم ان الدنيا دار فناء
وعناء وعبر وغير فمن الفناء ان الدهر موتر قوسه لا تخطئ سهامه ولا تؤسى جراحه يرمى الحى بالموت والصحيح
بالسقم والناجى بالعطب آكل لا يشبع وشارب لا ينقع ومن العناء ان المرء يجمع ما لا يأكل ويبنى ما لا يسكن
ثم يخرج الى الله لا مالا حمل ولا بناء نقل ومن غيرها أنك ترى المرحوم مغبوطا والمغبوط مرحوما ليس ذلك
الا نعيما زل وبؤسا نزل ومن عبرها ان المرء يشرف على أمله فيقتطعه حضور أجله فلا أمل يدرك ولا موت يترك
فسبحان الله ما أغر سرورها وأظمأ ريها وأضحى فيئها لا جاء يرد ولا ماض يرتد فسبحان الله ما أقرب الحى من
الميت للحاقه به وأبعد الميت من الحى لانقطاعه عنه انه ليس شئ بشر من الشر الا عقابه وليس شئ بخير من
الخير الا ثوابه وكل شئ من الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شئ من الآخرة عيانه أعظم من سماعه فليكفكم
من العيان السماع ومن الغيب الخبر وقال رضى الله عنه أيضا فى خطبة له وانما الدنيا منتهى بصر الاعمى
لا يبصر مما وراءها شيأ والبصير ينفذها بصره ويعلم أن الدار وراءها فالبصير منها شاخص والاعمى اليها
شاخص والبصير منها متزود والاعمى لها متزود وقال رضى الله عنه أيضا فى خطبة له وأحذركم الدنيا فانها دار

(بيان صفة الدنيا بالامثلة) اعلم أن الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف فى الوفاء تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهى سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك فى الحقيقة ساكن فى الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصرى رحمه الله أنشد وقال

أحلام نوم أو كظل زائل
ان اللبيب بمثلها لايخدع

وكان الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها
ان اغترارا بظل زائل حمق

وقيل ان هذا من قوله ويقال ان اعرابيا نزل بقوم فقدموا اليه طعاما فأكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هنالك فاقتلعوا الخيمة فأصابته الشمس فانتبه فقام وهو يقول

الا انما الدنيا كظل بنيته
ولابد يوما أن ظلك زائل

وكذلك قيل

وان امرأ دنياه أكبر همه
لمستمسك منها بحبل غرور

(مثال آخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها بعد افلاتها) تشبه خيالات المنام وأضغاث الاحلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسى فى الدنيا الا كرجل نام فرأى فى منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بأيديهم شئ مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لبعض الحكماء أى شئ أشبه بالدنيا قال أحلام النائم *(مثال آخر للدنيا فى عداوتها لاهلها واهلاكها لبنيها)* اعلم ان طبع الدنيا التلطف فى الاستدراج أولا والتوصل الى الاهلاك آخرا وهى كامرأة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم وقد روى أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها فى صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا أحصيهم قال

تخوص ومحله تنقبض ساكنها ظاعن وقاطعها بائن تميد باهلها ميدان السفينة تصفقها العواصف فى لجج البحار فمنهم الغرق الموبق ومنهم الناجى على متون الامواج تحفزه الرياح باذيالها وتحمله على أهوالها فما غرق منها فليس بمستدرك وما نجا منها فالى مهلك وله رضى الله عنه كلام فى هذا الباب كثير قد اقتصرت على ما ذكرت

(بيان صفة الدنيا بالامثلة)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الدنيا سريعة الفناء) أى تفنى سريعا (قريبة الانقضاء) أى تنقضى قريبا (تعد) محبيها (بالبقاء) أى تمنيهم بانهم يبقون فيها (ثم تخلف فى الوفاء) وهذا معنى قول على رضى الله عنه فى بعض خطبه ووعدها خلف (تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهى سائرة سيرا عنيفا) أى شديدا (ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن) أى متصف بوصفين التحرك والسكون باعتبارين مختلفين (متحرك فى الحقيقة) ولولا ذلك لما انتقل (ساكن فى الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة) وقد جاء تشبيهها به فى كلام على رضى الله عنه وغيره وتارة بالظل الزائل وتارة بالفىء المائل ومنه قول الشاعر

انما الدنيا كظل زائل (ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصرى رحمه الله تعالى أنشد وقال)

(أحلام نوم أو كظل زائل * ان اللبيب بمثلها لايخدع)

وكان الحسن بن على رضى الله عنهما يتمثل ويقول

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها * ان اغترارا بظل زائل حمق

(وكان يرى انه من قوله) أى هو الذى أنشأه (ويقال نزل اعرابى بقوم فقدموا اليه طعاما فأكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هنالك فاقتلعوا الخيمة فاصابته الشمس فانتبه من النوم فقام وهو يقول)

(الا انما الدنيا كظل بنيته * ولابد يوما ان ظلك زائل)

(وكذلك قيل وان امرأ دنياه أكبر همه * لمستمسك منها بحبل غرور)

هكذا أنشده الاصمعى وله قصة (مثال آخر للدنيا) (اعلم ان الدنيا من حيث التغرير بخيالاتها) أى ايقاع الغرور بما يتخيل منها (ثم الافلاس منها بعد افلاتها) أى اليأس منها بعد شرودها (تشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام) وهى اخلاط منامات واحدها ضغث حلم ٧ من ذلك لانه يشبه الرؤيا الصادقة وليس بها (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون) قال العراقى لم أجد له أصلا وقال يونس بن عبيد بن دينار العبسى أبو عبيد البصرى ثقة ثبت فاضل ورع مات سنة تسع وثلاثين روى له الجماعة (ما شبهت نفسى فى الدنيا الا كرجل نام فرأى فى منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه) من نومه (فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم مما ركنوا اليه وفرحوا به) وقوله الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا هو من قول على رضى الله عنه قاله السخاوى فى المقاصد ورواه أبو نعيم فى الحلية من طريق المعافى بن عمران عن سفيان الثورى من قوله (وقيل لبعض الحكماء أى شئ أشبه بالدنيا قال أحلام النائم *مثال آخر للدنيا فى عداوتها لاهلها واهلاكها لبنيها) ومحبيها (اعلم ان طبع الدنيا التلطف فى الاستدراج أولا) حتى يتمكن منها (والتوصل الى الاهلاك آخرا وهى كامرأة تتزين للخطاب بانواع الزينة حتى اذا نكحتهم ذبحتهم) من حيث لا يشعرون (وقد روى ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها فى صورة عجوز هتماء) أى مكسورة الاسنان (عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا أحصيهم قال

فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف

تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر (مثال آخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها) اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي شبيهة بعجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها وقال العلاء بن زياد رأيت في المنام عجوزا كبيرة متغضنة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون اليها فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من أنت قالت أوما تعرفني قلت لا أدري من أنت قالت أنا الدنيا قلت أعوذ بالله من شرك قالت ان أحببت ان تعاذ من شري فابغض الدرهم وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائي أقبلت علي فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال رأيت هذا قبل ان أقدم الى بغداد وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلائق فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادي أي رب أين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل ألحقوا بها اتباعها واشياعها

فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك قالت كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر) نقله صاحب القوت وقد روى ذلك مرفوعا من حديث أنس بلفظ مثلت لاخي عيسى بن مريم الدنيا في صورة امرأة فقال لها ألك زوج قالت نعم أزواج كثيرة قال هم أحياء قالت لا قتلتهم فعلم حينئذ انها دنيا مثلت له رواه الديلمي في مسند الفردوس والمقصود من سياق هذا انها تستدرج بنيها بالطف حيلة فاذا استولت عليهم أهلكتهم فلا ينبغي الاعتماد على ما ظهر منها من ظاهر الزينة فان في باطنها الهلاك *(مثال آخر للدنيا)* في مخالفة باطنها لظاهرها (اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي تشبه عجوزا متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها قال) أبو نصر (العلاء بن زياد) بن مطر العدوي البصري أحد العباد ثقة روى له البخاري تعليقا وأبو داود في المراسيل والنسائي وابن ماجه (رأيت في النوم عجوزا كبيرة) السن (متغضنة الجلد) أي يابسته (عليها من كل زينة الدنيا) أي من الملابس الفاخرة والحلي (والناس عكوف عليها) أي محيطون بها قائمون لديها (متعجبون ينظرون اليها ونظرت وتعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها وقلت لها ويلك من أنت قالت أما تعرفني فقلت لا أدري من أنت قالت اني أنا الدنيا فقلت أعوذ بالله من شرك قالت فان أحببت ان تعاذ من شري فابغض الدرهم) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا أبو العباس السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا يسار حدثنا الحرث بن نبهان حدثنا هارون بن رباب عن العلاء بن زياد قال رأيت الدنيا في منامي امرأة قبيحة عليها من كل زينة قلت من أنت يا عدوة الله من أنت أعوذ بالله منك قالت انا الدنيا ان سرك أن يعيذك الله مني فابغض الدراهم وحدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي حدثنا وهب بن جرير قال سمعت جرير بن هلال يحدث عن العلاء بن زياد قال رأيت الناس في النوم يتبعون شيأ فتبعته فاذا عجوز كبيرة هتماء عوراء عليها من كل حلية وزينة فقلت من أنت قالت أنا الدنيا قلت أسأل الله أن يبغضك الي قالت نعم ان ابغضت الدراهم واورده صاحب القوت عن مورق العجلي ولفظه رأيت الدنيا في صورة شمطاء سمجة عليها ألوان المصبغات وانواع الزينة فقلت أعوذ بالله منك فقالت اذا أردت أن يعيذك الله مني فابغض الدرهم قال وفي لفظ آخر والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدينار والدرهم (وقال أبو بكر بن عياش) بتحتانية ومعجمة الاسدي الكوفي المقري تقدمت ترجمته والاختلاف في اسمه على عشرة أقوال (رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة) أي قبيحة الخلقة (شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائي) أي مقابلتي أقبلت علي فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال رأيت هذا قبل أن أقدم الى بغداد قال المزي وهو من مشهوري مشايخ الكوفة ومن قرائهم وقد دخل بغداد ونشر بها العلم وروى عنه أكابر الشيوخ مات سنة ٣٣٢ عن ست وتسعين سنة (وقال الفضيل ابن عياض) رحمه الله تعالى (قال ابن عباس رضي الله عنه يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية) وهو اسنانها من قدام (مشوها خلقها) أي قصيرا (وتشرف على الخلائق فيقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم عليها) أي تذابحتم (بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي أي رب أين اتباعي وأشياعي) أي جماعتي (فيقول الله عز وجل ألحقوا بها اتباعها وأشياعها) فيقذفون في النار هكذا أورده صاحب القوت

عن

عن ابن عباس ولم يذكر الفضيل بن عياض وقد روى الفضيل عن جماعة عن عكرمة عن ابن عباس وعن جماعة عن عطاء عن ابن عباس وقد روى أبو سعيد بن الاعرابي في كتاب الزهد له من حديث عبادة يجاء بالدنيا يوم القيامة فيقال ميزوا ما كان منها لله وألقوا سائرها في النار (وقال الفضيل) رحمه الله تعالى (بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلي والثياب واذا لا يمر بها احد الا جرحته فاذا هي أدبرت كانت أحسن شئ رآها الناس واذا هي أقبلت كانت اقبح شئ رآه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت أعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال قلت من أنت قالت أنا الدنيا) وهذه القصة أشبه بقصة العلاء بن زياد التي اوردناها آنفا وان الفضيل بلغه عن رجل عنه والتاريخ يقبله والله أعلم (مثال آخر للدنيا وعبور الانسان بها اعلم) هداك الله تعالى (أن الاحوال ثلاثة حالة لم تكن فيها شيأ) مذكورا (وهي ماقبل وجودك) في هذا العالم الى الازل أي استمداد الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي (وحالة لا تكون فيها مشاهد الدنيا وهي ما بعد موتك الى الابد) وهو استمراره كذلك في المآل (وحالة متوسطة بين الابد والازل وهي ايام حياتك في الدنيا) ووجودك فيها (فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه أقل من منزل قصير في سفر طويل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم مالي وللدنيا) أي ليس لي الفة ومحبة معها ولا لها معي حتى أرغب فيها وأي الفتى وصحبة لي مع الدنيا قال الطيبي واللام في الدنيا مقحمة للتأكيد ان كان الواو بمعنى مع وان كان للعطف فتقديره مالي وللدنيا معي (انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف) أي شديد الحر (فرفعت له) أي ظهرت له (شجرة فقال تحت ظلها) من القيلولة وهي نوم نصف النهار والمراد هنا مطلق الاستراحة (ساعة) يدفع بذلك حر الوقت (وتركها) قال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس انتهى قلت سياق المصنف هو حديث ابن عباس قال دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير أثر في جنبه فقال يارسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا فقال مالي وللدنيا وما للدنيا ومالي والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا الا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها هكذا أخرجه أحمد والطبراني والحاكم وابن حبان والبيهقي وأما لفظ حديث ابن مسعود مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وهكذا رواه أيضا أحمد وهناد وابن سعد والطبراني والحاكم والبيهقي قال ابن مسعود دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم على حصير قد أثر بجنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت كسرى وقيصر على الخز والديباج وأنت نائم على هذا الحصير فذكره قال الهيثمي رجال أحمد رجال الصحيح غير هلال بن جناب وهو ثقة وقال الترمذي هو حسن صحيح وقال الحاكم على شرط البخاري وأقره الذهبي قال الطيبي وهذا التشبيه تمثيلي ووجه الشبه سرعة الرحيل وقلة المكث ومن ثم خص الراكب ومقصوده ان الدنيا زينة زينت للعيون والنفوس فأخذت بهم استحسانا ومحبة ولو باشر القلب معرفة حقيقتها ومصيرها لابغضها ولما آثرها على الآجل الدائم وقال الحكيم في نوادر الاصول جعل الله الدنيا ممرا والآخرة مقرا والروح جارية والرزق بالغة والمعاش حجة والسعي جزاء ودعاء من دار الآفات الى دار السلام ومن السجن الى البستان وذلك حال كل انسان لكن للنفس أخلاق دنيئة رديئة تعمي عن كونها دار ممر وتلهي عن تذكر كون الآخرة دار مقر ولا يبصر ذلك الا من اطمأنت نفسه وماتت شهوته واستنار قلبه بنور اليقين ولذلك شهد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحال في نفسه ولم يضفها لغيره وان كان سكان الدنيا جميعا كذلك لعماهم عما هنالك (ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت أيامه في ضر وضيق أو في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة) بفتح فكسر واحدة اللبن ككتف وقد يخفف وهو ما يعمل من الطين ويبنى به (توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة

وقال الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلي والثياب واذا لا يمر بها أحد الا جرحته فاذا هي أدبرت كانت أحسن شئ رآه الناس واذا هي أقبلت كانت أقبح شئ رآه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت أعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال فقلت من أنت قالت أنا الدنيا * (مثال آخر للدنيا وعبور الانسان بها) اعلم ان الاحوال ثلاثة حالة لم تكن فيها شيأ وهي ماقبل وجودك الى الازل وحالة لا تكون فيها مشاهد الدنيا وهي ما بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين الابد والازل وهي أيام حياتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه أقل من منزل قصير في سفر بعيد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم مالي وللدنيا وانما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت أيامه في ضر وضيق أو في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة

على لبنة ولا قصبة على قصبة ورأى بعض الصحابة يبنى بيتا من جص فقال أرى الامر أعجل من هذا وأنكر ذلك والى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحياة الدنيا معبر الى الآخرة والمهد هو الميل الاول على رأس القنطرة واللحد هو الميل الآخر وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلا بد له من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان * (مثال آخر للدنيا فى لين موردها وخشونة مصدرها) اعلم ان أوائل الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها أن حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فان الخوض فى الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب على رضى الله عنه الى سلمان الفارسى بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فأعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها بما أيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور أشخصه عنه مكروه والسلام * (مثال آخر للدنيا فى تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثل صاحب الدنيا كالماشى فى الماء هل يستطيع الذى يمشى فى الماء أن لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا أنهم يخوضون فى نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم منها طاهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان فاعمى

على لبنة ولا قصبة على قصبة) قال العراقى رواه ابن حبان والطبرانى فى الاوسط من حديث عائشة بسند ضعيف انتهى وفى خطبة على رضى الله عنه يذكر فيها ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الزهد فى الدنيا فقال خرج من الدنيا خميصا وورد الآخرة سليما لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله وأجاب داعى ربه (ورأى بعض أصحابه يبنى بيتا من خص) بالضم هو القصب الفارسى يبنى به البيت ويقال للبيت المبنى به خص والجمع أخصاص (فقال أرى الامر أعجل من هذا) قال العراقى رواه أبو داود والترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وقال حسن صحيح (وأنكر ذلك) عليه (والى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة) يعبر عليها الى الآخرة (فاعبروها ولا تعمروها) كذا نقله صاحب القوت وقد روى مالك من حديث ابن عمر مرفوعا رواه الديلمى فى الفردوس بلا سند (وهو مثال واضح فان الحياة الدنيا معبر الى الآخرة فالمهد هو الميل الاول) بكسر الميم اسم للمسافة (على رأس القنطرة واللحد هو الميل الآخر) فى آخر القنطرة (بينهما مسافة محدودة) معينة (فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلا بد له من العبور) والمرور (والبناء على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان) وفى القوت قال الحواريون لعيسى عليه السلام انما نريد ان نبنى بيتا نجتمع فيه نتعبد ونتدارس فاختر لنا موضعا نبنى فيه فقال تعالوا فمشوا معه فوقف على قنطرة فقال ابنوا ههنا فقالوا نبنى على قنطرة وهى مدرجة للناس لا يدعون فيها فقال كذلك الدنيا مدرجة الموتى وأنتم تبنون عليها ولا يدعونكم فيها (مثال آخر للدنيا فى لين موردها وخشونة مصدرها) اعلم وفقك الله تعالى (ان أوائل أمر الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فان الخوض فى الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة) للدين (شديد وقد كتب على رضى الله عنه الى سلمان الفارسى) رضى الله عنه (بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها وتقتل بسمها) وبين المس والسم جناس القلب (فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما أيقنت) به (من فراقها وكن أسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور أشخصه عنه مكروه والسلام) وهذا الكتاب كتبه اليه قبل أيام خلافته ذكره الشريف الرضى فى نهج البلاغة ولفظه أما بعد فان مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فذكره وفيه وكن آنس ما تكون فيها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور اشخصته منها الى محذور أو الى ايناس ازاله عنه بايحاش وفى رواية أزاله عنه ايحاش والمقصود من ايراد هذا الكلام تشبيه الدنيا بالحية فى لين المس ونفث السم وقد قال الشاعر فى ذلك

هى دنيا كحية تنفث السم * وان كانت المجسة لانت

(مثال آخر للدنيا فى تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها) والتبعة وزان كلمة واحدة التبعات اسم لما يتبعه من ظلامة ونحوها (قال النبى صلى الله عليه وسلم انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى فى الماء هل يستطيع الذى يمشى فى الماء ان لا تبتل قدماه) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى من طريقه فى الشعب من رواية الحسن قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره ووصله البيهقى فى الشعب وفى الزهد من رواية الحسن عن أنس انتهى قلت لفظ البيهقى فى الشعب هل من أحد يمشى على الماء الا ابتلت قدماه كذلك صاحب الدنيا لا يسلم من الذنوب وهو استثناء من أعم عام الاحوال تقديره هل يمشى فى حال من الاحوال الا فى حال ابتلال قدميه (وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون فى نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان) ألقاها على قلوبهم

فأعمى بها بصائرهم (بل لو أخرجوا مما هم فيه لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها) وازوائها عنهم (فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر المريض الى طعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن) أي تذلل (لصعبت وتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة) أي تعبها ورياضتها (تقسو وتغلظ) فلا ينجع فيها الموعظة (وبحق أقول لكم ان الزق ما لم يتخرق أو يقحل) أي ييبس (يوشك أن يكون وعاء للعسل) الذي هو أشرف المطعومات (كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يقسها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة) كذا في القوت وروى أبو نعيم في الحلية عن مالك بن دينار قال ان البدن اذا سقم لم ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة وكذلك القلب اذا علقه حب الدنيا لم ينجع فيه الموعظة وقال أيضا ان القلب المحب لله عز وجل يحب النصب في الله عز وجل (وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ان ما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء اذا طاب أعلاه طاب أسفله واذا خبث أعلاه خبث أسفله) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث معاوية مفرقه في موضعين ورجاله ثقات انتهى قلت ورواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا مخلد بن جعفر حدثنا جعفر الفريابي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد حدثنا أبو عبد رب سمعت معاوية على منبر دمشق يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة وانما العمل كالوعاء اذا طاب أعلاه طاب أسفله واذا خبث أعلاه خبث أسفله قال أبو نعيم رواه الوليد بن مسلم عن ابن جابر مثله لم يروه عن معاوية الا أبو عبد رب (مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق قال أنس) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله الى آخره فبقي معلقا) وفي رواية متعلقا (بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع) فهذا مثل ضربه على نقضها وسرعة زوالها قال ابن القيم ويوضح هذا المثل ما رواه أحمد من حديث أبي سعيد صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر نهارا ثم قام فخطبنا فلم يترك شيأ قبل قيام الساعة الا أخبر به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه وجعل الناس يلتفتون الى الشمس هل بقي منها شئ فقال الا انه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها الا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه قال العراقي رواه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف قلت قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا اسمعيل بن يزيد حدثنا ابراهيم بن الاشعث حدثنا فضيل ابن أبان عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الدنيا والآخرة كمثل ثوب شق من أوله الى آخره فتعلق بخيط منها فما لبث ذلك الخيط أن ينقطع قال غريب من حديث الفضيل لم نكتبه الا من حديث ابراهيم وأبان بن أبي عياش لم تصح صحبته لانس لانه كان لهجا بالعبادة والحديث ليس من شأنه (مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك) أي بعضها يجر بعضا ويستدعيه حتى يوقعه في الهلاك (قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر) أي المالح (كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله) نقله صاحب القوت وهذا لان شارب ماء البحر لا يحصل له الري مما يشربه بل يزيده وهجا في جوفه فلم يزل يسيغ منه جرعة بعد أخرى حتى يكون حتفه فيه وعلائق الدنيا كذلك كلما يتعلق بعلاقة منها تستدعي الاخرى ولا يقنع بها حتى تستولي عليه العلائق وتحيط به فيكون سبب هلاكه الابدي نعوذ بالله من ذلك (مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أولها ولنضارة أوائلها) أي طراوتها وبهجتها (وخبث عواقبها اعلم) هداك الله تعالى (ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند

ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعب ويتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ وبحق أقول لكم ان الزق ما لم يتخرق أو يقحل يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يقسها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء اذا طاب أعلاه طاب أسفله واذا خبث أعلاه خبث أسفله * (مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق) قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع * (مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك) قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله * (مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أولها ولنضارة أوائلها وخبث عواقبها) * اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند

الموت لشهوات الدنيا فى قلبه من الكراهة والنتن والقبح مايجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت فى المعدة غايتها وكان الطعام كلما كان ألذ طعما وأكثر دسما وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر وأشد نتنا فكذلك كل شهوة فى القلب هى أشهى وألذ وأقوى فتنتها وكراهتها والتأذى بها عند الموت أشد بل هى فى الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره وأخذ أهله وماله وولده فتكون مصيبته واله وتفجعه فى كل مافقد بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ فهو عند الفقد ادهى وأمر ولامعنى للموت الافقد مافى الدنيا وقدروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابى ألست تؤتى بطعامك وقدملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالام يصير قال الى ماقد علمت يارسول الله قال فان الله عزوجل ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم وقال أبى بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر الى مايخرج من ابن آدم وان قزحه وملحه الام يصير وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه وقال الحسن قدرأيتهم يطيبونه بالافاويه والطيب ثم يرمون به حيث رأيتم وقد قال الله عز وجل فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه وقال رجل لابن عمر انى أريد أن أسألك وأستحى قال فلاتستحى واسأل قال اذاقضى أحدنا حاجته فقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر الى مابخلت به انظر الى ماذا صار وكان بشير بن كعب

ابن

الموت لشهوات الدنيا فى قلبه من الكراهة والفتن والقبح مايجده فى الاطعمة اللذيذة اذا بلغت فى المعدة غايتها وكان الطعام كلما كان ألذ طعما وأكثر دسما وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر) أى ماخرج من بطنه أكثر قذرا (وأشد نتنا وكذلك كل شهوة فى القلب هى أشهى وألذ وأقوى فتنتها وكراهتها والتأذى بها عند الموت أشد بل هى فى الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره وأخذ أهله وولده وماله فتكون مصيبته واله وتفجعه فى كل مافقد بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ فهو عند الفقد أدهى وأمر ولامعنى للموت الافقد مافى الدنيا) ومن هنا قال من قال ومن سره أن لا يرى مايسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا * (وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان) بن عوف ابن أبى بكر بن كلاب أبى سعيد (الكلابى) كان من عمال النبى صلى الله عليه وسلم على الصدقات وروى البغوى وابن قانع انه كان سيافا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على رأسه متوشحا بسيفه روى له الاربعة أرباب السنن (ألست تؤتى بطعامك وقد ملح) أى أصلح بالملح (وقزح) أى أصلح بالقزح بكسر فسكون وهى الابزار وقزح قدره بالتخفيف والتثقيل جعل فيها القزح (ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالى مايصير) أى يرجع قال الى ماقد علمت يارسول الله قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا لما يصير اليه طعام ابن آدم) قال العراقى رواه أحمد والطبرانى بنحوه وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه اه ولفظ القوت وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا بما يخرج من نحو ابن آدم بقوله للاعرابى أرأيتم ما تأكلون وتشربون تنظفون وتطيبون وتبردون قال بلى قال فالى أى شئ يصير قال ماقد علمت يارسول الله قال أليس أحدكم يقعد خلف بيته فيجعل يده على أنفه من نتن ريحه قال نعم قال فان الله جعل الدنيا مثلا لما يخرج من ابن آدم (وقال أبى بن كعب) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر الى مايخرج من ابن آدم وان قزحه وملحه) بالتشديد فيهما ويرويان بالتخفيف أيضا (الى مايصير) يعنى مايخرج منه كان قبل ذلك ألوانا من الاطعمة طيبة ناعمة وشرابا سائغا فصارت عاقبته الى ماترى قال العراقى رواه الطبرانى وابن حبان بلفظ ان مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ورواه عبد الله بن أحمد فى زيادات المسند بلفظ جعل اه قلت وقد رواه أحمد أيضا ولفظهم جميعا ان مطعم ابن آدم ضرب مثلا للدنيا وان قزحه وملحه فانظر الى مايصير قال المنذرى اسناد جيد قوى (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه) قال العراقى فى الشطر الاول منه غريب والشطر الاخير هو الذى تقدم من حديث الضحاك بن سفيان ان الله ضرب مايخرج من ابن آدم مثلا للدنيا اه قلت ولفظ القوت ورواه يحيى السعدى عن أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ضرب فذكره مثل سياق المصنف وزاد فى آخره فانظر مايخرج من ابن آدم (قال الحسن) رحمه الله تعالى (وقد رأيتهم يطيبونه بالافاويه) أى التوابل (والطيب ثم يرمونه بالخبث مارأيتم) نقله صاحب القوت (وقد قال الله عز وجل فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه) كيف صار والى ما آل نقله صاحب القوت ويروى عن ابن عباس انه لما أهبط آدم الى الارض وأحدث نظر الى ماخرج منه فأتاه ريحه فاغتم لذلك فقال له جبريل هذه رائحة خطيئتك (وقال رجل لابن عمر) رضى الله عنه (انى أريد أن أسألك واستحى قال فلا تستحى وسل) عما بدا لك (قال اذا قضى أحدنا حاجته فقام نظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر هذا ما بخلت به انظر الى ماذا صار) نقله صاحب القوت وقال فهذه مشاهدة ذوى الالباب الذين فهموا عن الله تعالى باطن الخطاب من قوله تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون قيل مجارى الطعام والشراب الى مايؤل فيزهدون فى أوله اذ قد كوشفوا بآخره (وكان بشير) مصغرا (ابن كعب)

يقول انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم *(مثال آخر في نسبة الدنيا الى الآخرة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر أحدكم بم يرجع اليه *(مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها) *اعلم ان أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج الى قضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فأخذ أوسع الاماكن وألينها وأوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة وألحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من بريتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين بحسن زبرجدها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم أكب على تلك الاصداف والاحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزاده ما حمله من الحجارة ضيقا وصار ثقيلا عليه ووبالا فندم على أخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في

ابن أبي الجبري العدوي أبو أيوب البصري مخضرم قال النسائي وابن سعد ثقة احتفر قبرا في طاعون الجارف فقرأ فيه القرآن فلما مات دفن فيه ذكره مسلم في مقدمة كتابه وروى له الباقون (يقول انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم الى السوق وهي مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم) نقله صاحب القوت قال وفي حديث الحسن مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على مزبلة فقال من سره أن ينظر الى الدنيا بحذافيرها فلينظر الى هذه المزبلة قال وروي عن عمر انه مر بمزبلة فاحتبس عندها فكان أصحابه تأذوا من ذلك فقال هذه دنياكم التي تحرصون عليها (مثال آخر في نسبة الدنيا الى الآخرة) أي انها حقيرة (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة) أي في جنبها او بالاضافة اليها وهو حال عاملها معنى النفي وقد يقدر أي ما قدر الدنيا واعتبارها فهو العامل (الا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم) أي البحر (فلينظر أحدكم بم يرجع اليه) فانه لا يجدي لواجده ولا يضر فقده لفاقده أخرجه أبو نعيم في الحلية قال أخبرت عن سهل بن السري البخاري واذن له في الرواية عنه قال حدثنا محمد بن علي بن سهل حدثنا النضر بن سلمة حدثنا ابراهيم بن الاشعث عن فضيل بن عياض عن سليمان الشيباني وبيان بن بشر عن قيس بن أبي حازم عن المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع قال أبو نعيم وهو غريب من حديث فضيل عن سليمان وصحه ورواه اسماعيل بن زيد حدثنا ابراهيم بن الاشعث حدثنا فضيل عن اسماعيل بن خالد عن قيس عن المستورد عن النبي صلى الله عليه وسلم اه ورواه الحاكم في المستدرك عن المستورد قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكروا الدنيا والآخرة فقال بعضهم انما الدنيا بلاغ للآخرة فيها العمل وقالت طائفة الآخرة فيها الجنة وقالوا ما شاء الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كما يمشي أحدكم الى اليم فادخل أصبعه فيه فما خرج منه فهو الدنيا قال الحاكم صحيح وأقره الذهبي ثم اعلم أن المثل انما يضرب عن غائب بحاضر يشبهه من بعض وجوهه أو معظمها او ما لاشبه له منع فيه من ضرب المثل ومثل الدنيا بالذي يعلق بالاصبع من البحر تقريبا للعوام في احتقار الدنيا والا فالدنيا كلها في جنب الجنة ودوامها أقل لان البحر يفنى بالقطرات والجنة لا تبيد ولا ينفد نعيمها بل يزيد للواحد من العبيد فكيف بجميع أهل التوحيد (مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها اعلم) وفقك الله تعالى (ان أهل الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم ركبوا في سفينة) ليجوزوا عليها الى وطنهم (فانتهت بهم الى جزيرة) في البحر ذات أساود واسود فارست هنالك (فأمرهم الملاح بالخروج) منها (لقضاء الحاجة) والتفسح (وحذرهم) أي خوفهم (المقام) أي الاقامة والمكث في الجزيرة الا قدر قضاء الحاجة (وخوفهم مرور السفينة واستعجالها) نفر جوامنها (فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فأخذ) لنفسه (أوسع الاماكن وألينها وأوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ونظر الى ازهارها وأنوارها) العجيبة وغياضها الملتفة الاشجار (ونغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من بريتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين لحسن زبرجدها) أي زينتها (وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف) فيها (الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم أكب على تلك الاصداف والاحجار فأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها) أي تركها (فاستصحب منها جملة) فأتى بها الى السفينة (فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزاده ما حمله من الحجارة ضيقا وصار ثقلا عليه ووبالا فندم على أخذه ولم يقدر على رميه) لاعجابه به (ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في

السفينة على عنقه وهو متأسف على أخذه وليس ينفعه التأسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله بأكل تلك الثمار واستشمام تلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك ينشب بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو أراد فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي في الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغه

النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات فتفرقوا كالجيف المنتنة وأما من وصل الى المركب بثقل ما أخذه من الازهار والاحجار فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وكمدت تلك الالوان والاحجار فظهرت نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة الا ان ألقاها في البحر هربا منها وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه الاسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد المكان الاوسع ووصل الى الوطن سالما فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تغره أحجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله عز وجل * (مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم) * قال الحسن رحمه الله بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أو ما بقي أنفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة ولا زاد ولا حمولة فأيقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة تقطر رأسه

السفينة على عنقه وهو متأسف) نادم (على أخذه) من الجزيرة (وليس ينفعه التأسف وبعضهم تولج) تلك (الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح رئيس السفينة لاشتغاله بأكل تلك الثمار واستشمام تلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع) العوادي في تلك الجزيرة ان تهجم عليه وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك يتشبث بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج) وهو شجر شائك (يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو أراده فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي على الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة) فلم يغن عنهم تجرهم وزهرهم فصاروا كما قال تعالى حكاية عمن هذه حاله ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه (فأما من وصل الى المركب بثقل ما أخذه من الحجارة المزبرجة) والازهار المزينة (فقد استرقته) أي استعبدته (وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وكمدت ألوان) تلك (الاحجار فظهرت نتن رائحتها فصار مع كونه مضيقا عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة الا ان ألقاها في البحر هربا منها وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ما ظهرت عليه الاسقام بتلك الروائح) المنتنة (فبلغ سقيما مدنفا) ناحل البدن (مدبرا) قد أدبرت عنه العافية (ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد المكان الاوسع ووصل الى الوطن سالما) من الاثقال والاشغال (فهذا مثال أصناف أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمرهم وما أقبح من يزعم) في نفسه (انه بصير عاقل ان تغره أحجار الارض وهي الذهب والفضة) فانهما ينبتان في المعادن كما تنبت بقية الاحجار ولولا تسني الحاجات بهما لكانا هما والاحجار سواء في القدر (وهشيم النبت وهي زينة الدنيا) وزخرفها (وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا) أي ثقلا (ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى) فرأس المعاصي كلها حب الدينار والدرهم فمن أسقط حبهما فقد استراح بالله والله الموفق (مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم) بقول الله تعالى في تحذيره اياهم غوائل الدنيا ودواهيها (قال الحسن البصري رحمه الله تعالى (بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء) أي لا نبات بها ولا ماء (حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أو ما بقي) منها (أنفدوا الزاد) أي فني زادهم (وحسروا الظهر) أي أعروه وهو كناية عن هلاك ما يركبونه (وبقوا بين ظهراني المفازة ولا زاد) لهم (ولا حمولة) تبلغهم وفي لفظ فحسر ظهرهم ونفد زادهم وسقطوا بين ظهراني المفازة (فأيقنوا بالهلكة) محركة أي الهلاك (فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر

رأسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال ياهؤلاء فقالوا ياهذا فقال علام أنتم فقالوا على ماترى فقال أرأيتم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ماتعملون قالوا لانعصيك شيأ قال عهودكم ومواثيقكم بالله فأعطوا عهودهم ومواثيقهم بالله لايعصونه شيأ قال فأوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ماشاء الله ثم قال ياهؤلاء قالوا ياهذا قال الرحيل قالوا الى أين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال أكثرهم والله ماوجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا وقالت طائفة وهم أقلهم ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لاتعصوه شيأ وقد صدقكم في أول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فأصبحوا بين أسير وقتيل * (مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها) * اعلم ان مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لاليتملكه ويأخذه فجهل رسمه وظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعوارى ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه

رأسه) أى مدهنا رأسه غير أشعث (فقالوا هذا قريب) وفي لفظ الحديث (عهد بريف) أى خصب (وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال ياهؤلاء) القوم (قالوا ياهذا الرجل قال على ما أنتم) أى على أى حال أنتم (فقالوا على ماترى) من الضنك والشدة حسر ظهرنا ونفد زادنا وسقطنا بين يدى ظهرانى المفازة لاندرى ماقطعنا منها أكثر أم مابقى منها (قال أرأيتم ان هديتكم الى ماء رواء) ككتاب أى مايرويكم وتصدون منه على الرى (ورياض خضر ماتعملون قالوا لانعصيك شيأ قال عهودكم ومواثيقكم بالله فأعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله) انهم (لايعصونه شيأ) وفي لفظ قال ماتجعلون لى ان أوردتكم ماء رواء ورياضا خضرا قالوا نجعل لك حكمك قال تجعلون لى عهودكم ومواثيقكم الا تعصونى فجعلوا له عهودهم ومواثيقهم ان لايعصوه (قال فمال بهم فأوردهم ماء رواء ورياضا خضرا) كما وعدهم (فمكث فيهم ماشاء الله) ان يمكث (ثم قال ياهؤلاء) القوم (قالوا ياهذا) الرجل (قال الرحيل) أى ارتحلوا (قالوا الى أين قال الى ماء ليس كمائكم ورياض ليست كرياضكم) بل هى أجل وأنضر وفي لفظ ثم قال هلموا الى رياض أعشب من رياضكم وماء أروى من مائكم (فقال أكثرهم والله ماوجدنا هذا حتى ظننا أنا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا) فلم يرتحلوا (قال وقالت طائفة وهم أقلهم ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لاتعصوه شيأ وقد صدقكم في أول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه) أى ارتحلوا معه حيث أشار وفي لفظ فراح وراحوا معه فأوردهم ماء رواء ورياضا خضرا (وتخلف بقيتهم فبدر بهم عدو) فأغار عليهم (فأصبحوا من بين أسير وقتيل) قال العراقى رواه ابن أبي الدنيا هكذا بطوله ولاحمد والطبرانى والبزار من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى النائم ملكان الحديث فقال أى أحد الملكين ان مثل هذا ومثل أمته مثل قوم سفر انتهوا الى مفازة فذكر نحوه وأخصر منه واسناده حسن انتهى قلت وبخط الحافظ ابن حجر اسناده صحيح واللفظ الذى ساقه المصنف وهو سياق حديث الحسن عند ابن أبي الدنيا وقد روى نحوه ابن عساكر عن ابن المبارك قال بلغنا عن الحسن قال ابن عساكر وهذا مرسل وفيه انقطاع بين ابن المبارك والحسن (مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم) يرحمك الله بنوره (ان مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا) من ولد ومال وعقار (مثل رجل هيأ دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه) بعده (لاليتملكه ويأخذه فجهل رسمه فظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر) وقلق (وتفجع) وحزن (ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا) التى أجرى مراسمها على خلق (علم انها دار ضيافة سبلت) أى حبست (على المجتازين) العابرين (لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعوارى) جمع عارية (ولا يصرفون اليها كل قلوبهم) ولا يميلون بالانس بها كل الميل (حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها) فمن انس بشئ وتعلق به قلبه حزن عند فراقه لامحالة (فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها) وقد بقيت للدنيا أمثلة خطرت بالفكر عند كتابتى لهذا الموضع لابأس بذكرها * فمنها مثال للدنيا فى انقطاعها وفنائها وان كانت مدتها أكثر مما هى بالاضافة الى الآخرة بل لو فرض ان السموات والارض مملوآت خردلا وبعد كل ألف سنة طائر ينقل خردلة فنى الخردل والآخرة لاتفنى فنسبة الدنيا الى الآخرة فى التمثيل كنسبة خردلة واحدة الى ذلك الخردل روى الطبرانى فى الكبير من حديث المستورد بن شداد مرفوعا ما أخذت الدنيا

من الآخرة الا كما أخذ المخيط غرس في البحر من مائه * مثال آخر للدنيا وأهلها اعلم ان الدنيا مشتقة من الدناءة وهي الخسة والحقارة وهي شبه جيفة متغيرة منتنة والمتكالبون على حوزها لانفسهم بمنزلة الكلاب العادية كاشرة أنيابها وقد تقدم في قول علي رضي الله عنه تشبيهها كذلك وكذا في قول غيره ويستأنس له بقوله تعالى وما الحياة الدنيا في الآخرة الامتاع أي جيفة متغيرة روي عن الاصمعي أنه قال يقال متع النعم اذا راح وتغير * مثال آخر للدنيا في سرعة انقضائها هي كالسوق التي يجتمع فيها الناس لقضاء أغراضهم من بيع وشراء وغير ذلك فعن قريب يعود كل الى منزله وتنفض السوق ورد في بعض الاخبار انما الدنيا كسوق قام ثم انفض ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر * مثال آخر للدنيا في شدة عنائها هي كالبحر العميق الذي لاحد لقعره وله أمواج متلاطمة وفيه تماسيح فاغرة فاها وقد جعل في أسفله من نفائس الجواهر فمن أراد غورها وقع فيها وغرق ولم يخلص قال بعض أهل العلم في تفسير قوله تعالى ومنهم من أغرقنا أي في بحر الدنيا وتقدم قول لقمان ان الدنيا بحر عميق وقال الحريري

فلا توغلن اذا ماسبحت * فان السلامة في الساحل

مثال آخر للدنيا هي بمنزلة الكنيف الذي يحتاجه الانسان في وقت دون وقت فينبغي أن يأخذ الانسان منها بلغة على قدر الاحتياج كما يحتاج الى الكنيف تارة ولا يدخلها الا ضرورة وكلما استغنيت عن دخول الكنيف كان أجود * مثال آخر للدنيا في مخالفة ظاهرها الباطنها هي كالكنيف المبيض أو الروث المفضض فان ظاهرها يغر الانسان بزينته وباطنها لاشئ ينتفع به * مثال آخر للدنيا هي بمنزلة الحمام انما يدخل فيه للحاجة فخذ منه ماينقي الدرن ويذهب الصنة ويذكر النار فاذا قارب أن يأخذ منك فاهرب منه وفيه قال الشاعر

خذ من الحمام واخرج * قبل أن يأخذ منك * حدثن عنه والا * حدث الحمام عنك

مثال آخر للدنيا في اصابتها البعض واخطائها الآخرين هي بمنزلة امرأة صماء عمياء وردماء في بحرها جواهر وهي قاعدة على بحر مدوّر يتبعها ناس كثير يلتمسون ماعندها وهي لاتسمع قولا ولا ترى وجها وقد اعتزل عنها قوم قليلو العدد وقعدوا على جزيرة وهي تولي في كل ساعة قبضة مما في بحرها واحدا من القوم لاتخص بل ربما تخطئهم وربما تعطيهم كأنها المعنية لهم بقول الشاعر

لاتمدحن ابن عباد وان كثرت * كفاه جودا ولا تذممه ان ردما

فليس يبخل ابقاء على نشب * ولن يجود بفضل المال معتزما

لكنها خطرات من وساوسه * يعطي ويمنع لابخلا ولا كرما

وتارة تعرج على من اعطته فتسلبه سلبا وتدوسه دوسا بحجرها * مثال آخر للدنيا هي بمنزلة خان قد بني على قارعة الطريق ومقتنياتها آلات موضوعة فيه يصلح الانتفاع بها مادام المسافر نازلا في ذلك الخان فيتناول منها مقدار الكفاية ويتسلى عنها عند الراحلة ويستحسن بنفسه أن يكذب أو يغضب ويحزن ويرتكب القبائح في سببها وهذا المثال قد يستنبط من آخر الامثلة التي ذكرها المصنف ولكن تشبيهها بالخان للمسافر أقعد من تشبيهها بدار الضيافة وان كان مآلهما أي محصلهما واحدا فتأمل * مثال آخر للدنيا هي بمنزلة صديقك الذي يظهر لك الصداقة في الظاهر ويحفر وراءك ليوقعك في الهلاك فهي تغر بزينتها لمن أقبل عليها واحبها ولكنها في الباطن تختله وتورده موارد الهلاك فهي عدو محبوبة واياه عنى أبو نواس بقوله

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

وروي عن الحسن قال مامثلنا مع الدنيا الا كما قال كثير

أسيئي بنا أو أحسني لاملامة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

(بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان معرفة ذم الدنيا لايكفيك مالم تعرف الدنيا المذمومة ماهي) أي ماحقيقتها

*(بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد) * اعلم ان معرفة ذم الدنيا لاتكفيك مالم تعرف الدنيا المذمومة ماهي

وماهيتها

وما الذى ينبغى أن يجتنب منها وما الذى لا يجتنب فلا بد وأن نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ماهى

فنقول دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك فالقريب الدانى منهما يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والمتراخى المتأخر يسمى آخرة

وهو ما بعد الموت فكل مالك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهى الدنيا فى حقك الا أن

وماهيتها فى حقك (وما الذى ينبغى أن يجتنب منها) ويحترز عنها (وما الذى لا يجتنب) منها (فلا بد أن نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ماهى فنقول) وبالله التوفيق (دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك فالقريب الدانى منهما يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والمتراخى المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت) وهذا يؤيد قول من قال ان الدنيا فعلى من الدنو كما سيأتى قريبا للمصنف (وكل مالك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة فى عاجل الحال قبل الوفاة فهى الدنيا فى حقك الا أن جميع مالك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام القسم الاول ما يصحبك فى الآخرة) بعد سفرك من الدنيا (وتبقى معك ثمرته بعد الموت) ولا ينقطع (وهو شيآن العلم والعمل فقط وأعنى بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله) يشير به الى مراتب التوحيد الثلاثة بان الله واحد فى ذاته واحد فى صفاته واحد فى أفعاله ثم بما يتبع ذلك واليه أشار بقوله (وملائكته وكتبه ورسله) وبما يليق فى حق كل منها حسبما هو مسطر فى قواعد العقائد (وملكوت أرضه وسمائه) بما فيهما من العجائب الدالة على كمال قدرته (والعلم بشريعة نبيه) الذى هو معدود فى أمته وكل ما يوصل الى تحصيل هذه المعلومات فهو داخل فيها (وأعنى بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى) عن الشك والشرك الخفى بمقتضى علمه بالشريعة التى أمر باتباعها وهما من اللذات العقلية وهى أشرف اللذات وأقواها وجودا فأشرفها انها لا تمل ولا تتبدل ولكن لا يعرفها الا من تخصص بها كالحكمة لا يستلذها الا الحكيم (وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم فى لذته) فلا يألف فراش النوم ولا يشتغل بالاكل ويدع زوجته كأنها أرملة (لانه) أى العلم بما ذكر (أشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حظا عاجلا فى الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلا بل قلنا انه من الآخرة) كيف وغالب من مضى من صالحى السلف هكذا لان شأنهم حيث شغلتهم معرفة الله تعالى عن كثير من اللذات البدنية وحتى عن كثير من اللذات المتوسطة بينها وبين العقلية (وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها) ولو ساعة من الزمان (لكان ذلك أعظم العقوبات عليه) ويرى نفسه متلهفا نادما كأنه كان فى يده شئ ففاته (حتى قال بعضهم ما أخاف الموت الا من حيث يحول بينى وبين قيام الليل) فهذا قد حذر الموت لاجل حيلولته بينه وبين التهجد (وكان آخر يقول اللهم ارزقنى قوة الصلاة والركوع والسجود فى القبر) ومنهم من استجيب له ذلك فكشف عن قبور بعض منهم فرؤى مصليا ومنهم من رؤى فى قبره قارئا للقرآن (فهذا قد صارت الصلاة) والقراءة (عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو) الذى هو القرب بالذات أو الحكم فهى اذا فعلى من الدنو قال الحرانى هو الانزال رتبة فى مقابلة علياء ولكونها لزمتها العاجلة صارت فى مقابلة الاخرى اللازمة للعلو ففى الدنيا نزول قدر وتعجيل وفى الآخرة علو قدر وتأخير فتقابلتا (ولكنا لسنا نعنى بالدنيا المذمومة ذلك) كيف يكون ذلك (وقد قال صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة) رواه النسائى والحاكم من حديث أنس دون قوله ثلاث وتقدم فى النكاح وفى بعض الفاظه وجعلت قرة عينى فى الصلاة وفى بعضها وجعل وتقدم تفصيل ذلك ومنهم من قال ان لفظ ثلاث لم يقع فى شئ من طرقه بل زيادته محيلة للمعنى ولكن شرحه الامام أبو بكر بن فورك فى رسالة ووجهه بما حاصله فى كلام المصنف حيث قال (فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل فى الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع

جميع مالك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام (القسم الاول) ما يصحبك فى الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيآن العلم والعمل فقط وأعنى بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت أرضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه وأعنى بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمنكح فى لذته لانه أشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حظا عاجلا فى الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلا بل قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخاف من الموت الا من حيث يحول بينى وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقنى قوة الصلاة والركوع والسجود فى القبر فهذا قد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا

ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعنى بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل فى الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع

والسجود انما يكون فى الدنيا فلذلك أضافها الى الدنيا الا أنا لسنا فى هذا الكتاب نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا
(القسم الثانى) وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له فى الآخرة أصلا كالتلذذ بالمعاصى كلها والتنعم بالمباحات
الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة فى جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام
والحرث والغلمان والجوارى
والخيول والمواشى والقصور
والدور ورفيع الثياب
ولذائذ الاطعمة فحظ العبد
من هذا كله هى الدنيا
المذمومة وفيما يعد فضولا
أو فى محل الحاجة نظر
طويل اذ روى عن عمر
رضى الله عنه انه استعمل
أبا الدرداء على حمص فاتخذ
كنيفا أنفق عليه درهمين
فكتب اليه عمر من عمر بن
الخطاب أمير المؤمنين الى
عويمر قد كان لك فى بناء
فارس والروم ما تكتفى به
عن عمران الدنيا حين أراد
الله خرابها فاذا أتاك كتابى
هذا فقد سيرتك الى دمشق
أنت وأهلك فلم يزل بها حتى
مات فهذا رآه فضولا من
الدنيا فتأمل فيه *(القسم
الثالث)* وهو متوسط بين
الطرفين كل حظ فى العاجل
معين على أعمال الآخرة
كقدر القوت من الطعام
والقميص الواحد الخشن
وكل ما لابد منه ليتأتى
للانسان البقاء والصحة التى
بها يتوصل الى العلم والعمل
وهذا ليس من الدنيا
كالقسم الاول لانه معين على
القسم الاول ووسيلة اليه فهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من
أبناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثانى وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا
ثلاث صفات صفاء القلب أعنى طهارته عن الادناس وأنسه بذكر الله تعالى وحبه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان الا بالكف
عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله الا بدوام الفكر
الله

والسجود انما يكون فى الدنيا فلذلك أضافها الى الدنيا) فعلى هذا لفظ الثلاث ان ثبت لا يكون محيلا للمعنى
ولكن لما لم يكن فى الصلاة تقاضى شهوة نفسانية كما فى النساء والطيب عبر فيها بعبارة تخالف السياق الاول
فقال وجعلت قرة عينى فى الصلاة كما فى رواية وعند أحمد فى الزهد زيادة على هذا الحديث وهى أصبر عن
الطعام والشراب ولا أصبر عنهن وروى الديلمى من حديث أنس الجائع يشبع والظمآن يروى وأنا لا أشبع
من حب الصلاة والنساء (الا أنا فى هذا الكتاب لسنا نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا
*القسم الثانى وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما فيه للانسان حظ عاجل ولا ثمرة له فى الآخرة أصلا
كالتلذذ بالمعاصى كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة فى جملة الرفاهية) أى
سعة العيش (والرعونات) وهى الوقوف مع مقتضى طباع النفس (كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة) أى العدد الكثير منهما (والخيل المسومة) أى الفارهة السمينة المعلمة بانواع الزينة السائمة منها
والمستعدة (والانعام) المراد بها الازواج الثمانية (والحرث) الزراعة (والغلمان والجوارى) المتخذة للخدمة
(والخيول والمواشى) فيه تخصيص بعد تعميم من قوله والانعام (والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ
الاطعمة) والاشربة (فحظ العبد من هذا كله هى الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا أو فى محل الحاجة نظر
طويل) فقد يختلف ذلك باختلاف الاشخاص والازمان (اذ روى عن عمر رضى الله عنه انه استعمل أبا
الدرداء) عويمر بن عامر رضى الله عنه (على حمص) وهى مدينة معروفة بالشام (فاتخذ كنيفا) أى حظيرة
تستره من حر الشمس (أنفق عليه درهمين) فبلغ ذلك عمر فكتب اليه من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى
عويمر وهو اسمه على ما اشتهر وقيل بل لقبه واسمه عامر حكاه الفلاس عن بعض ولده وبه جزم الاصمعى فى رواية
الكريمى عنه (قد كان لك فى بناء فارس والروم ما تكتفى به عن عمران الدنيا حين أذن الله بخرابها فاذا أتاك
كتابى هذا فقد سيرتك وأهلك الى دمشق) فلما بلغه الكتاب سار باهله الى دمشق فلم يزل بها حتى مات فى
خلافة عثمان على الاصح عند أصحاب الحديث وقال ابن حبان ولاه معاوية قضاء دمشق فى خلافة عمر (فهذا
رآه فضولا من الدنيا فتأمل فيه) كيف عد مثله فضولا مع ان الذى صرف عليه شئ حقير (القسم الثالث
وهو متوسط بين الطرفين كل حظ فى العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام) الذى
به يتغذى ومن الماء الذى به يروى (والقميص الواحد الخشن) الذى يوارى عورته وخرج من الواحد ان
يكون له قميصان ومن الخشن ان يكون رقيقا (وكل ما لابد منه ليتأتى للانسان البقاء والصحة التى بها يتوصل
الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فهما تناوله
العبد) بما لا يمكن التبلغ باقل منه (على قصد الاستعانة به على العلم والعمل) فمعذور بل مشكور ومأجور
(ولم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا) ولم يلحقه الذم (وان كان باعثه الحظ العاجل دون
الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثانى الذى هو مقابل للقسم الاول (وصار من جملة الدنيا) ولو كان
المتناول حقيرا فى نفسه (ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات) الاولى (صفاء القلب أعنى طهارته
من أدناس الدنيا) واوساخها (و) الثانية (أنه بذكر الله تعالى و) الثالثة (حبه لله تعالى وصفاء القلب
وطهارته لا يحصلان الا بالكف عن شهوات الدنيا) وحظوظها (والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله والمواظبة
عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة) اذ من لم يعرف لم يحب (ولا تحصل معرفة الله الا بدوام الفكر) فى جلال

وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت * أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد و بين عذاب الله كما ورد في الاخبار ان أعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث وأما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن دوام الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع آمنا من العوائق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه بينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه ولذلك قيل

ماحال من كان له واحد * غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها و يقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بقوت وملبس

الله وعظمته (وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات للعبد بعد الموت أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد و بين عذاب الله كما ورد في الاخبار ان أعمال العبد تناضل) أي تدافع (عنه فاذا جاء العذاب من جهة رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث) أي الى آخر الحديث قال العراقي رواه الطبراني من حديث عبد الرحمن ابن سمرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن المخزومي ضعفه البخاري وأبو حاتم ولاحمد من حديث أسماء بنت أبي بكر اذا دخل الانسان قبره فان كان مؤمنا احتف به عمله الصلاة والصيام الحديث واسناده صحيح انتهى قلت رواه الطبراني باسنادين في أحدهما سليمان بن احمد الواسطي قال الذهبي ضعفوه وفي الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومي وهو الذي أشار اليه العراقي وقد رواه أيضا الحكيم في النوادر وسنده ضعيف أيضا ولفظهما اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من امتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك و رأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا فجاءه صيام رمضان فسقاه ورأيت رجلا من امتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه منهم ورأيت رجلا من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة ورأيت رجلا من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرده عنه ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت ان هذا كان واصلا لرحمه فكلمهم وكلموه وصار معهم ورأيت رجلا من أمتي يأتي النبيين وهم حلق حلق كلما مر على حلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فاخذ بيده فاجلسه الى جنبي و رأيت رجلا من امتي يتقي وهج النار بيديه عن وجهه فجاءته صدقته فصارت ظلا على رأسه وسترا عن وجهه ورأيت رجلا من أمتي جاءته زبانية العذاب فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمتي هوى في النار فجاءته دموعه اللاتي بكى بها في الدنيا من خشية الله فاخرجته من النار ورأيت رجلا من أمتي قد هوت صحيفته الى شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه ورأيت رجلا من أمتي قد خف ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من أمتي على شفير جهنم فجاءه وجله من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمتي يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ورأيت رجلا من أمتي يزحف على الصراط مرة ويحبو مرة ويتعلق مرة فجاءته صلاته علي فاخذت بيده فاقامته على الصراط حتى جاز ورأيت رجلا من أمتي انتهى الى أبواب الجنة فغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة أن لا اله الا الله فاخذت بيده فادخلته الجنة (وأما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان للعبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة) و يتنعم فيها (وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له) في الدنيا (الا محبوب واحد) لم يمل الى غيره (وكانت العوائق تعوقه) أي تمنعه (عن دوام الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق) بالموت (وأفلت من السجن الى البستان وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع آمنا من الفراق) مطمئنا بالوصال (وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه و بينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه ولذلك قيل

ماحال من كان له واحد * غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على) حيازة (أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا و يبغض اليه ملاذها و يقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن) لان سقمه مما يشوش عليه و يعوقه من حيازة تلك الاسباب (وصحة البدن لا تنال الا بقوت) يقيم عمارة البدن (وملبس) يواري

ومسكن ويحتاج كل واحد الى أسباب فالقدر الذى لابد منه من هذه الثلاثة اذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا
وكانت الدنيا فى حقه مزرعة للآخرة وان أخذ ذلك بحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من أبناء الدنيا والراغبين
فى حظوظها الا أن الرغبة فى حظوظ الدنيا تنقسم الى مايعرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما والى مايحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول الموقف فى عرصات القيامة لاجل المحاسبة أيضا عذاب فن نوقش الحساب عذب اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وقد قال أيضا حلالها عذاب الا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان مايفوت من الدرجات العلى فى الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لابقاء لها هو أيضا عذاب وقس به حالك فى الدنيا اذا نظرت الى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بانها سعادات منصرمة لابقاء لها ومنغصة بكدورات لاصفاء لها فما حالك فى فوات سعادة لايحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم فى الدنيا ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر
الى خضرة أو شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه فى الآخرة أضعافه وهو المعنى بقوله
صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه هذا من النعيم الذى تسئل عنه إشارة به الى الماء البارد

عورته (ومسكن) يأوى اليه فيطمئن قلبه ويحتاج كل واحد من هذه الثلاثة (الى أسباب) كثيرة (فالقدر الذى لابد منه من هذه الثلاثة اذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة) أى للوصول اليها (لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا فى حقه مزرعة) أى بمنزلة بقعة يزرع فيها (لـ) أجل (الآخرة وان أخذ ذلك لحظ النفس) وقضاء الشهوة (وعلى قصد التنعم صار من أبناء الدنيا و) من (الراغبين فى حظوظها الا أن الرغبة فى حظوظ الدنيا تنقسم الى مايعرض صاحبه لعذاب فى الآخرة ويسمى ذلك حراما والى مايحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول الموقف فى عرصات القيامة لاجل الحساب أيضا عذاب فن نوقش الحساب فقد عذب) رواه الشيخان من حديث عائشة بدون فقد وروى الطبرانى فى الكبير من حديث ابن الزبير من نوقش المحاسبة هلك (اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه موقوفا على على بن أبى طالب باسناد منقطع بلفظ وحرامها النار ولم أجده مرفوعا انتهى قلت بل أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس بلفظ يا ابن آدم الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب نبه عليه الحافظ السخاوى فى المقاصد (وقد قال أيضا حلالها عذاب) أى لان المناقشة فى الحساب عذاب (الا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان مايفوت من الدرجات العلى فى الجنة وما يرد فى القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لابقاء لها هو أيضا عذاب وقس به حالك فى الدنيا اذا نظرت الى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرة مع علمك بانها سعادات) زائلة (منصرمة) منقطعة (لابقاء لها ومنغصة بكدورات لاصفاء لها فما حالك فى فوات سعادة لايحيط الوصف بعظمتها) ولا يمكن مقدار جلالتها (وتنقطع الدهور) وتنصرم الازمنة دون (غايتها او ادراك نهايتها فكل من تنعم فى الدنيا ولو بسماع صوت من طائر) حسن الصوت كالعندليب والهزار والببغاء (أو بالنظر الى خضرة) بجنب ماء جار أو تحت شجرة مثلا (أو شربة ماء بارد) ونحو ذلك (فانه ينقص من حظه فى الآخرة اضعافه) فان كل ذلك من نعيم الدنيا (وهو المعنى) أى المراد (بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه هذا من النعيم الذى تسئل عنه أشار به الى الماء البارد) روى ذلك من حديث جابر قال وجاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فاطعمناهم رطبا وسقيناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذى تسئلون عنه رواه أحمد والنسائى والبيهقى فى الشعب ورواه عبد بن حميد وابن مردويه بلفظ ثم أتيناهم برطب وماء فأكلوا وشربوا ثم قال هذا النعيم الذى تسئلون عنه وروى مسلم والاربعة من حديث أبى هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فذكر واقصة اتيانهم الى منزل أبى الهيثم الانصارى وفيه فجاء بفرق فيه بسر وتمر وذبح لهم شاة فاكلوا من الشاة ومن الفرق وشربوا فلما شربوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة ورواه ابن حبان وابن مردويه من حديث ابن عباس نحو هذه القصة لابى أيوب الانصارى وفيه والذى نفسى بيده ان هذا لهو النعيم الذى تسئلون عنه يوم القيامة وروى أحمد وابن جرير وابن عدى والبغوى فى معجمه وابن منده فى المعرفة وابن عساكر وابن مردويه والبيهقى فى الشعب من حديث أبى عسيب مولى النبى صلى الله عليه وسلم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فربى فدعانى فخرجت اليه ثم مر بابى بكر فدعاه فخرج اليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج اليه فانطلق حتى دخل حائطا لبعض الانصار فقال لصاحب الحائط أطعمنا فجاء بفرق فوضعه فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب وقال لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة فاخذ عمر الفرق فضرب به الارض حتى تناثر البسر ثم قال يارسول الله انا المسؤلون عن هذا يوم القيامة قال نعم ثلاثا

والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر رضي الله عنه اعزلوا عني حسابها حين كان به عطاش فعرض عليه ماء بارد بعسل فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة الاما أعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأتقن كان حذره من نعيم الدنيا أشد حتى أن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى أن سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روى أن الله تعالى زوى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوي أياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه ألم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله فأقول الاشياء ثلاثة أقسام منها ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وأنواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحضة المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله و يمكن أن يجعل لغير الله وهو ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة اذا جرت سرا

كسرة يسد بها الرجل جوعته أو ثوب يستر به عورته أو بيت يدخل فيه من الحر والبرد وقد تقدم هذا الحديث في كتاب الاطعمة وذكرناشيأ في ذلك هناك وأخرج أبو بكر بن شيبة وهنا د بن السري عن بكر ابن عتيق قال سقيت سعد بن جبير شربة من عسل في قدر فشربها ثم قال والله لاسئلن عن هذا فقلت له قال شربته وأنا أستلذه (والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر رضي الله عنه أعزلوا عني حسابها حيث كان به عطش فعرض عليه ماء بارد) ممزوج (بعسل) في قدح (فاداره في كفه ثم امتنع عن شربه) وناول بعض أصحابه فشربها رواه سليمان ابن المغيرة عن ثابت وقد تقدم (فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة) أي مبعدة من الله تعالى الاما أعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا (وكل من كانت معرفته) بالله (أقوى وأيقن) أي أكثر يقينا وفي بعض النسخ وأتقن أي أثبت وأرسخ (كان حذره من نعيم الدنيا أشد حتى أن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا) نقله صاحب القوت (وحتى ان سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وهو يأكل خبز الشعير) وكذا روى عن يوسف عليه السلام انه كان يطعم الناس في المجاعة لذائذ الاطعمة وهو يجوع ويأكل خبز الشعير فقيل له في ذلك فقال أخشى أن أنسى الجياع (فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها) عنده (اشد ولهذا زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم) قال العراقي رواه محمد بن خفيف في شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال قلت يا رسول الله عجبا لمن بسط الله لهم الرزق وزواها عنك الحديث وهو من طريق ابن اسحق معنعنا انتهى قلت وفي خطبة علي رضي الله عنه ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدلك على مساوي الدنيا وعيوبها اذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته (فكان يطوي أياما) قال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالي المتتابعة طاويا واهله الحديث قال الترمذي حسن صحيح (وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع) تقدم (ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل) روى أحمد والبخاري والترمذي وابن ماجه من حديث سعد أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل الحديث وروى الطبراني في الكبير من حديث أخت حذيفة أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل وروى ابن ماجه وأبو يعلى والحاكم من حديث أبي سعيد أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون لقد كان أحدهم يبتلى بالفقر حتى ما يجد الا العباءة يحويها فيلبسها و يبتلى بالقمل حتى يقتله ولاحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء (كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه ألم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه) وذلك لان نظر الوالد في حقه أتم فيما يؤل اليه من النفع ونظر الولد قاصر على اللذة العاجلة (وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله فأقول الاشياء ثلاثة أقسام منها ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وأنواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحضة المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى) أما صورة فظاهر وأما معنى فان هذه لا يتقرب بها الى الله تعالى بل هي تبعد عن ساحات رحمته فليس لها تعلق بالآخرة أصلا (ومنها ما صورته لله) تعالى (و يمكن أن يجعل لغير الله وهي ثلاثة الفكر والذكر) بالقلب واللسان (والكف عن الشهوات) النفسانية (فان هذه الثلاث اذا جرت سرا) ولم يطلع عليها

ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال أو الحمية لصحة البدن أو الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته أنه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ومجامع الهوى خمسة أمور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا

أحد (ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله) تعالى (وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال) وجمعه (أو الحمية لصحة البدن أو لاشتهار) بين الناس (بالزهد) والصلاح (فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته انه لله) تعالى (ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يجعل معناه لله وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر) تقدم هذا الحديث في كتاب آداب الكسب وقد رواه أبو الشيخ في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف ولفظهم من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة وسعيا على أهله وتعطفا على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ومن طلبها حلالا مكاثرا بها مفاخرا لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان (فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى (ومجامع الهوى خمسة أمور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا) وأصل هذا منتزع من سياق صاحب القوت فانه لما ذكر اختلاف الصوفية في ماهية الزهد وتباين أقوالهم على نحو أربعين قولا قال ونحن بحمد الله تعالى ونعمته غير محتاجين الى أقوالهم بما بين الله تعالى في كتابه المبين الذي جعل فيه الشفاء والغنى فهو هدى للمتقين وقد قال صلى الله عليه وسلم هو الحبل المتين والصراط المستقيم من طلب الهدى في غيره أضله الله فقد ذكر جل اسمه في كتابه أن الدنيا سبعة أشياء وهو قوله زين للناس حب الشهوات الى قوله والحرث ثم قال ذلك متاع الحياة الدنيا فوصف حب الشهوات بالتزين ثم نسق الاوصاف السبعة على الحب لها ثم أشار بقوله ذلك فذا اشارة الى الكاف والكاف كناية عن المذكور المتقدم المنسوق واللام بين ذا والكاف للتمكين والتوكيد فحصل من تدبر الخطاب ان هذه السبعة جملة الدنيا وان الدنيا هي هذه الاوصاف السبعة وما تفرع من الشهوات رد الى أصل من هذه الجمل فمن أحب جميعها فقد أحب جملة الدنيا نهاية الحب ومن أحب أصلا منها أو فرعا من أصل فقد أحب بعض الدنيا فعلمنا بنص الكلام ان الشهوة دنيا وفهمنا من دليله ان الحاجات ليست بدنيا لانها تقع ضرورات فاذا لم تكن الحاجة دنيا لانها لا تسمى شهوة وان كانت قد تشتهى ثم بمعناه قد رد هذه الاوصاف السبعة في مكان آخر الى خمسة معان فقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فهذه الخمسة وصف من أحب تلك السبعة ثم اختصر الخمسة في معنيين هما جامعان للسبعة فقال انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الوصفين الى وصف واحد وعبر عنه بمعنيين فصارت الدنيا ترجع الى شيئين جامعين مختصرين يصلح أن يكون كل واحد منهما هو الدنيا فالوصف الواحد الذي رد الاثنين اليه اللذين هما اللعب واللهو هو الهوى اندرج السبعة فيه فقال تعالى ونهى النفس عن الهوى فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى بدليل قوله تعالى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلما كانت الجنة ضد الجحيم كان الهوى هو الدنيا لان النهي عنه ضد الايثار له فمن نهى نفسه عن الهوى فانه لم يؤثر الدنيا واذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزهد كانت له الجنة التي هي ضد الجحيم التي هي لمن

لم

لم ينه نفسه عن الهوى بايثاره الدنيا فصارت الدنيا هي طاعة الهوى وايثاره في كل شئ فينبغي أن يكون الزهد مخالفة الهوى من كل شئ اه وقال أبو القاسم الراغب في الذريعة اللذات ثلاثة لذة عقلية وهي التي يختص الانسان بها كالعلم والحكمة ولذة بدنية وهي التي يشارك فيها جميع الحيوان الانسان كلذة المأكل والمشرب والمنكح ولذة مشتركة بين بعض الحيوان وبين الانسان كلذة الرياسة والعلية وجميع اللذات تنقسم عشرة أقسام ومآلها الى سبعة وهي التي ذكرها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لعمار وقد تقدم ذكره ثم قال والمراد بالنساء اقتناؤهن والاستكثار منهن وبالبنين الذكور من الاولاد والحفدة والخدم وبالانعام الازواج الثمانية وبالخيل المسومة السائمة منها والمستعدة (فقد عرفت ان كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لابد منه من مسكن وملبس هو لله ان قصد به وجه الله والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف) منها (يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن) قال صاحب القوت وروينا في أخبار ابراهيم عليه السلام في قصة تطول قال في آخرها ان الله عز وجل قال له لو بخليلك أنزلت حاجتك لقضاها يعني نفسه تعالى ولم يعنتك وقد كان احتاج فذهب الى خليل له يستمنحه شيأ فتوارى عنه فرجع ابراهيم منكسرا فلما قيل له ذلك قال الهي علمت مقتك للدنيا فخفت ان أسألك منها فتمقتني فاوحى الله اليه أما علمت ان الحاجة في الدنيا ليست من الدنيا قال وروينا مرة ان القوت ليس هو من الدنيا وقد جاءنا معناه عن نبينا صلى الله عليه وسلم قال من نظر الى زهرة الدنيا أصبح ممقوتا في ملكوت السماء ومن صبر على القوت نزل من الفردوس حيث أحب فدل ذلك على ان القوت ليس هو من الدنيا لانه استثناه منها فحمده على الصبر عليه بعد ذمها (وطرف) آخر (يزاحم) أي يقابل (جانب التنعم ويقرب منه وينبغي ان يحذر منه وبينهما أوساط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه) كما ورد ذلك في الخبر وتقدم في كتاب الحلال والحرام (والحزم كل الحزم في الحذر من الشبهات والتقوى فانهما ملاك الامور كلها والتقريب من حد الضرورة ما أمكن اقتداء بالانبياء والاولياء عليهم السلام اذ كانوا يردون أنفسهم الى حد الضرورة حتى ان أويسا القرني) رحمه الله تعالى وهو ابن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن سعد بن عمرو بن عصوان بن قرن بن رومان بن ناجية بن مراد المرادي القرني الزاهد المشهور أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن عمر وعلي وروى عنه يسير بن عمرو وعبد الرحمن بن أبي ليلى ذكره ابن سعد في الطبقة الاولى من تابعي أهل الكوفة وقال كان ثقة وذكره البخاري فقال في اسناده نظر قال ابن عدي ليس له رواية لكن كان مالك ينكر وجوده الا ان شهرته وشهرة أخباره لا تسع أحدا أن يشك فيه وقال عبد الغني بن سعيد القرني بفتح القاف والراء هو أويس أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم قبل وجوده وشهد صفين مع علي رضي الله عنه وكان من خيار المسلمين وروى ضمرة عن أصبغ بن زيد قال أسلم أويس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن منعه من القدوم بره وقد روى له مسلم في آخر صحيحه من كلامه وقتل بصفين على الصحيح المشهور (كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تضييقه على نفسه) أي في المعيشة (فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجها وكان يخرج أول الاذان) ويمكث في مسجد الحي (و) لا (يأتي منزله) الا بعد (العشاء الآخرة) فلا يرونه لذلك (وكان طعامه أن يلتقط) ما سقط من (النوى فكلما أصاب حشفة) محركة التمر الرديء الذي يرمى به (خبأها لافطاره وان لم يصب ما يقوته باع النوى واشترى بثمنه ما يقوته وكان لباسه ما يلتقط من المزابل من قطع الاكسية) التي يرمونها (فيغسلها في الفرات) وهو نهر الكوفة (ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه) بالحجارة (ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم ترمونني ولابد

فقد عرفت أن كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لابد منه من مسكن وملبس هو لله ان قصد به وجه الله والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي أن يحذر منه وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما أمكن اقتداء بالانبياء والاولياء عليهم السلام اذ كانوا يردون أنفسهم الى حد الضرورة حتى ان أويسا القرني كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجها وكان يخرج أول الاذان ويأتي الى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن يلتقط النوى وكلما أصاب حشفة خبأها لافطاره وان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى بثمنه ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من المزابل من قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان ربما مر بالصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم ولابد أن ترموني

فارموني بأحجار صغار فاني أخاف أن تدموا عقبي فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء فهكذا كانت سيرته
والقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه)
تقدم في كتاب قواعد العقائد وروى الطبراني في الكبير من حديث سلمة بن نفيل السكوني اني أجد نفس
الرحمن من ههنا وأشار الى اليمن الحديث وليس له غيره وقد أخرج النسائي بقية الحديث ولم يذكر
هذه الجملة وكذا ابن حبان في الانواع والتقاسيم وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي نضرة عن اسير
ابن جابر عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان خير التابعين رجل يقال
له أويس بن عامر وفي رواية له فمن لقيه منكم فروه فليستغفر لكم من طريق قتادة عن زرارة عن
أسير بن جابر ومنها قول عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي عليك أويس بن عامر مع امداد أهل
اليمن ثم من مراد ثم من قرن كان به برص فبرئ منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لابره
فان استطعت ان يستغفر لك فافعل الحديث ورواه كذلك ابن سعد والعقيلي وأحمد والحاكم مختصرا
ورواه البيهقي وأبو نعيم في الدلائل وفي الحلية من هذا الوجه مطولا وهو ما ذكره المصنف بقوله (ولما
ولي عمر رضي الله عنه الخلافة قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال فقاموا فقال اجلسوا
الا من كان من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من مراد) وهي قبيلة من اليمن (فجلسوا
فقال اجلسوا الا من كان من قرن) محركة وهي قبيلة من مراد (فجلسوا كلهم الا رجلا واحدا فقال له أقرني
أنت فقال نعم فقال أتعرف أويس بن عامر القرني فوصفه له) بوصفه الذي أخبره به صلى الله عليه وسلم (فقال
نعم وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين والله ما فينا أحمق منه ولا أجن منه ولا أوحش منه ولا أدنى منه) أي
أحقر وقد رواه ابن منده من طريق سعد بن الصلت عن مبارك بن فضالة عن مروان بن الاصفر عن صعصعة
ابن معاوية قال كان عمر يسأل وفد أهل الكوفة اذا قدموا عليه تعرفون أويس بن عامر القرني فيقولون
لا فذكر نحوه ورواه هدبة بن خالد عن مبارك فقال عن أبي الاصفر بدل مروان بن الاصفر أخرجه أبو يعلى
وروى الروياني في مسنده من طريق بكر بن عبد الله عن الضحاك عن أبي هريرة فذكر حديثا في وصف
الاتقياء الاصفياء قال قلنا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال ذلك أويس وساق الحديث في توصية النبي
صلى الله عليه وسلم عليا وعمر اذا لقياه ان يستغفر لهما وفيه قصة طلب عمر اياه (فبكى عمر ثم قال ماقلت
ماقلت الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل الجنة بشفاعة مثل ربيعة ومضر) قال
العراقي روينا في جزء ابن السماك من حديث ابي امامة يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر
من ربيعة ومضر واسناده حسن وليس فيه ذكر لأويس بل في آخره فكان المشيخة يرون ذلك الرجل
عثمان بن عفان اه قلت ما ذكره المصنف رواه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي وابن عساكر من حديث
الحسن مرسلا يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر قال الحسن هو أويس القرني
وروى ابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر رفعه يدخل الجنة
بشفاعة رجل من أمتي يقال له أويس فئام من الناس وروى البيهقي في الدلائل من طريق الثقفي عن
خالد عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن أبي الجدعاء رفعه قال يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر
من بني تميم قال الثقفي قال هشام بن حسان كان الحسن يقول هو أويس القرني وقد رواه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح غريب ورواه أيضا الحاكم وليس لعبد الله بن الجدعاء غير هذا الحديث ورواه ابن
عساكر من حديث ابن عباس ورواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر أيضا من حديث واثلة بن الاسقع وأما
حديث أبي أمامة الذي ذكره العراقي فأورده الذهبي في كتاب التبيان في سيرة أمير المؤمنين عثمان وهو عندي
بخطه ما نصه شبابة بن سوار وغيره حدثنا حريز بن عثمان عن عبد الله بن ميسرة وحبيب بن عبد الرحمن عن
أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل بشفاعة رجل من أمتي الجنة مثل أحد الحيين ربيعة

فارموني بأحجار صغار فاني أخاف أن تدموا عقبي فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء فهكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه رحمه الله ولما ولي الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجلا واحدا فقال له عمر أقرني أنت فقال نعم فقال أتعرف أويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما ذاك تسأل عنه يا أمير المؤمنين والله ما فينا أحمق منه ولا أجن منه ولا أوحش منه ولا أدنى منه فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال ماقلت ما قلت الا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر

فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لى هم الا أن أطلب أويسا القرنى واسأل عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذى نعت لى فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الرأس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه متهيب المنظر قال فسلمت عليه فرد على السلام ونظر الى فقلت حياك الله من رجل ومددت يدى لاصافحه فأبى أن يصافحنى فقلت رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ثم خنقتنى العبرة من حبى اياه ورقتى عليه اذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت فحياك الله ياهرم بن حيان كيف أنت يا أخى ومن دلك على قال قلت الله فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فعجبت حين عرفنى ولا والله ما رأيته قبل ذلك ولا رآنى فقلت من أين عرفت اسمى واسم أبى وما رأيتك قبل اليوم قال نبأنى العليم الخبير وعرفت روحى روحك حين كلمت نفسى نفسك ان الارواح لها أنفس كأنفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثنى رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث اسمعه منك قال انى لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لى معه صحبة بأبى وأمى

ومضر فكان المشيخة يرون ان ذلك الرجل عثمان رضى الله عنه هذا حديث صالح السند غريب اه قلت رواه الطبرانى فى الكبير وفيه زيادة ولفظه يدخل بشفاعة رجل من أمتى أكثر من عدد مضر ويتفع الرجل فى أهل بيته ويشفع على قدر عمله ورواه أحمد والطبرانى أيضا والضياء بلفظ ليدخلن بشفاعة رجل ليس بنبى مثل الحيين أو مثل أحد الحيين ربيعة ومضر انما أقول ما أقول ثم قال الذهبى فى الكتاب المذكور ويروى باسناد لا يصح عن ابن عباس مرفوعا ليدخلن بشفاعة عثمان الجنة سبعون ألفا قلت رواه ابن عساكر بلفظ ليدخلن بشفاعة عثمان سبعون ألفا كلهم استوجبوا النار الجنة بغير حساب وروى ابن عساكر أيضا من حديث الحسن مرسلا ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى عدد ربيعة ومضر قيل من هو يارسول الله قال عثمان بن عفان ثم قال الذهبى فى الكتاب المذكور والثورى ويزيد بن زريع عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق العقيلى قال جلست الى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ابن أبى الجدعاء فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من تميم قالوا سواك يارسول الله قال سواى وزاد يزيد عن الحذاء فى حديثه قال أظن الرجل عثمان ولم يسم يزيد فى حديثه ابن أبى الجدعاء بل قال رجل اه (فقال هرم بن حيان) العبدى قال ابن عبد البر هو من صغار الصحابة وعده ابن أبى حاتم فى الزهاد الثمانية من كبار التابعين وقال ابن سعد ثقة له فضل وكان على عبد القيس فى الفتوح وقال ابن حبان أدرك عمر وولى الولايات فى خلافته وفى الزهد لاحمد انه كان يصحب حممة الدوسى وحممة مات فى خلافة عثمان وفيه أيضا حدثنا محمد بن مصعب سمعت مخلدا هو ابن الحسين ذكر عن هشام يعنى ابن حسان عن الحسن ان هرما مات فى غزاة له فى يوم صائف فلما فرغ من دفنه جاءت سحابة حتى كانت حيال القبر فرشت القبر حتى روى لا تجاوز قطرة ثم عادت عودها على بدئها وكذا رواه ابنه عبد الرزاق فى زوائده من طريق ابن جعفر الطباع عن مخلد وأخرجه بسند أبى داود عن مخلد به وفى لفظ أبى نعيم فى الحلية مات هرم فى يوم صائف شديد الحر فلما نفضوا أيديهم من قبره جاءت سحابة تسير حتى قامت على قبره فلم يكن أطول منه ولا اقصر منه رشته حتى روته ثم انصرفت وفى لفظ آخر لما مات جاءت سحابة فظللت سريره فلما دفن رشت على القبر فما أصابت حول القبر شيأ وله أيضا من طريق السدى بن يحيى عن قتادة قال مطر قبر هرم من يومه وأنبت العشب من يومه (لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب) رضى الله عنه (قدمت الكوفة فلم يكن لى هم الا ان أطلب أويسا القرنى واسأل عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذى نعت فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الرأس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه متهيب النظر قال فسلمت عليه فرد على السلام ونظر الى فقلت حياك الله من رجل ومددت يدى لاصافحه فابى ان يصافحنى فقلت رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ثم خنقتنى العبرة من حبى اياه ورقتى عليه اذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت فحياك الله ياهرم بن حيان كيف أنت يا أخى من دلك على قال قلت الله) عز وجل (فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فتعجبت حين عرفنى ولا والله ما رأيته قبل ذلك ولا رآنى فقلت من أين عرفت اسمى واسم ابى وما رأيتك قبل اليوم فقال نبأنى العليم الخبير وعرف روحى روحك حين كلمت نفسى نفسك ان الارواح لها أنفس كانفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وان لم يلتقوا) بالابدان (يتعارفون ويتكلمون وان نأت) أى بعدت (بهم الدار وتفرقت بهم المنازل) وقد ورد الارواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وورد أيضا ان الارواح لتشام كما تشام الخيل وكل ذلك تقدم فى كتاب آداب الصحبة والاخوة (قال قلت حدثنى رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث أسمعه منك قال انى لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لى معه صحبة بأبى

رسول الله ولكن رأيت رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه كما بلغك ولست أحب ان أفتح على نفسي هذا الباب أن أكون محدثا أو مفتيا أو قاضيا في نفسي شغل عن الناس ياهرم بن حيان فقلت يا أخي اقرأ على آية من القرآن أسمعها منك وادع لي بدعوات وأوصني بوصية أحفظها عنك فاني أحبك في الله حبا شديدا قال فقام وأخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت أنه قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك حيان ويوشك ان تموت فاما الى جنة واما الى نار ومات أبوك آدم وماتت أمك حواء ومات نوح ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم رسول رب العالمين ومات أبو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخي وصفيي ثم قال يا عمراه يا عمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال فقد نعاه الى ربي ونعى الى نفسي ثم قال أنا وأنت في الموتى كأنه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي اياك ياهرم ابن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نعيت الى نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وأنذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح للامة جميعا واياك ان تفارق الجماعات قيد شبر فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنة وأدخله علي في دارك دار السلام واحفظه مادام في الدنيا حيثما كان وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خيرا الجزاء ثم قال استودعك الله ياهرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فاني أكره الشهرة والوحدة أحب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس مادمت حيا فلا تسأل عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال وان لم أرك ولم ترني فاذكرني وادع لي فاني سأذكرك وأدعو لك ان شاء الله انطلق أنت ههنا حتى انطلق أنا ههنا فحرصت أن أمشي معه ساعة فأبى علي وفارقته فبكى وأبكاني وجعلت أنظر في قفاه حتى دخل الى بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له

هكذا

وأمي) أفدى (رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن رأيت رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه نحو ما بلغك ولست أحب ان أفتح هذا الباب على نفسي ان أكون محدثا او مفتيا أو قاضيا في نفسي شغل عن الله ياهرم ابن حيان فقلت يا أخي اقرأ على آية من القرآن اسمعه منك وادع لي بدعوات واوصني بوصية أحفظها عنك فاني أحبك في الله حبا شديدا قال فقام وأخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه ثم قرأ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك حيان ويوشك ان تموت فاما الى الجنة واما الى النار ومات أبوك آدم وماتت أمك حواء ومات نوح ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العالمين ومات ابو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخي وصفيي ثم قال يا عمراه يا عمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت) بعد (فقال فقد نعاه الى ربي ونعى الى نفسي ثم قال انا وانت في الموتى كانه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيفات ثم قال هذه وصيتي اياك ياهرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين قد نعيت الى نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت اليهم) اى لقوله تعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم اى حذرهم من عقاب الله تعالى (والنصح للامة جميعا) أى للخاصة والعامة فقد ورد الدين النصيحة (واياك ان تفارق الجماعة) أى جماعة المسلمين (قيد شبر فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة) فقد ورد من فارق الجماعة شبرا فقد فارق الاسلام وفي لفظ فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وفي لفظ فهو في النار (ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه مادام في الدنيا حيا حيثما كان وضم عليه ضيعته) أى ما يخاف عليه الضياع من عقار أو حرفة أو صناعة (وارضه من الدنيا باليسير) أى بالقليل مما يكف به وجهه (وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خيرا الجزاء ثم قال استودعك الله ياهرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فاني أكره الشهرة) بين الناس (والوحدة أحب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس مادمت حيا فلا تسأل عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال وان لم أرك وان لم ترني فاذكرني وادع لي فاني سأذكرك وادعو لك ان شاء الله تعالى انطلق أنت ههنا حتى انطلق انا ههنا فحرصت ان أمشي معه ساعة فابى علي وفارقته فبكى وأبكاني وجعلت أنظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله تعالى وغفر له)

فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق فى بيان الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء أن حد الدنيا كل ما أظلته الخضراء وأقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه فى طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث فى يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشئ من هذه الاسباب كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسى كنت على باب بنى شيبة فى المسجد الحرام سبعة أيام طاويا فسمعت فى الليلة الثامنة مناديا وأنا بين اليقظة والنوم ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج اليه أعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا فى حقك فاعلم ذلك ترشد ان شاء الله تعالى

(بيان حقيقة الدنيا فى نفسها وأشغالها التى استغرقت همم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم ومواردهم)

اعلم ان الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للانسان فيها حظ وله فى اصلاحها شغل فهذه ثلاثة أمور وقد يظن ان الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك أما الاعيان الموجودة التى الدنيا عبارة عنها فهى الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا فالارض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر

هكذا أخرج هذه القصة بطولها أبو نعيم فى الحلية وأخرج الحاكم من طريق ابن المبارك أخبرنا جعفر بن سليمان عن الجريرى عن أبى نضرة العبدى عن أسير بن جابر قال قال صاحب لى بالكوفة هل لك فى رجل تنظر اليه فذكر قصة أويس وفيها فتنحى الى سارية فصلى ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه فقال ما لكم ولى تطؤن عقبى وأنا انسان ضعيف تكون لى الحاجة ولا أقدر عليها معكم لا تفعلوا رحمكم الله من كانت له الى حاجة فليلقنى بعشاء ثم قال ان هذا المجلس يغشاه ثلاثة نفر مؤمن فقيه ومؤمن لم يفقه ومنافق وذلك فى الدنيا مثل الغيث فيصيب الشجرة المونقة المثمرة فتزداد حسنا وايناعا وطيبا ويصيب الشجرة غير المثمرة فيزداد ورقها حسنا وتكون لها ثمرة ويصيب الهشيم من الشجر فيحطمه ثم قرأ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا اللهم ارزقنى شهادة توجب لى الحياة والرزق واسناده صحيح وأخرج أحمد فى الزهد عن عبد الرحمن بن مهدى عن عبد الله بن أشعث بن سوار عن محارب بن دثار رفعه ان من أمتى من لا يستطيع ان يأتى مسجده أو مصلاه من العرى يحجزه ايمانه ان يسأل الناس منهم أويس القرنى وفرات بن حيان (فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق فى بيان الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كل ما أظلته الخضراء) أى السماء سميت بها لخضرة لونها عند النظر اليها (وأقلته) أى حملته (الغبراء) أى الارض سميت لاغبرارها (الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة) الحاقة (من الدنيا لاجل قوة طاعة الله تعالى) والتبلغ به اليها (فذلك ليس من الدنيا) أى ليس محسوبا منها (ويتبين هذا بمثال) يذكر (وهو ان الحاج الى) بيت الله الحرام (اذا حلف انه فى طريق الحج لا يشتغل بغير أمور الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد) الذى يتقوت به (وعلف الجمل) الذى يركبه (وخرز الراوية) أى القربة التى يشرب منها (وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث فى يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج) فهو صادق فى يمينه (فكذلك البدن مركب النفس يقطع به مسافة العمر) أى مدته (فتعهد البدن) أى محافظته (لما يبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشئ من هذه الاسباب كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه) احداث (القسوة) فيه بسبب ركونه الى ذلك مع قصد التنعم (قال الطنافسى) وهو محمد بن عبيد بن أبى أمية الكوفى الاحدب الثقة مات سنة أربع ومائتين روى له الجماعة (كنت على باب بنى شيبة فى المسجد الحرام) وهو احد أبوابه المشهورة (سبعة أيام طاويا) على الجوع (فسمعت الليلة الثامنة مناديا وانا بين اليقظة والنوم الا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج اليه أعمى الله عين قلبه) وقد ورد معنى ذلك فى بعض الاخبار والمراد بعين القلب البصيرة (فهذا بيان حقيقة الدنيا فى حقك) فتأمل فى معناها (فاعلم ذلك ترشد ان شاء الله تعالى)

(بيان ماهية الدنيا)

(فى نفسها) أى ذاتها (واشغالها التى استغرقت همم الخلق) واستولت عليها (حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم ومواردهم اعلم) هداك الله تعالى (ان الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللانسان فيها حظ) ونصيب (وله فى اصلاحها شغل فهذه ثلاثة أمور وقد يظن ان الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك) بل هى عبارة عن مجموعها (أما الاعيان الموجودة التى الدنيا عبارة عنها فهى الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض) من أعيان ونبات ومعادن (زينة لها لنبلوهم) أى نختبرهم (أيهم أحسن عملا) أى أكثر زهدا فيها رواه ابن أبى حاتم عن الثورى (فالارض فراش الآدميين ومهاد ومسكن ومستقر) وكل ذلك

وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلاثة أقسام المعادن والنبات والحيوان أما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي وأما المعادن فيطلبها للآلات والاواني كالنحاس والرصاص والنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد وأما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم اما البهائم فيطلب منها لحومها للمآكل وظهورها للمركب والزينة وأما الانسان فقد يطلب الآدمي ان يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم

كالغلمان أو ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بأن يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ واليواقيت وغيرها والخيل المسومة والانعام وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي أعيان الدنيا الا أن لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم أن هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي يسير بها الى الله تعالى وأعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن كما لا يبقى الجمل في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب

بنص الآيات الواردة فيه (وما عليها لهم فلبس ومطعم ومشرب ومنكح) أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها قال ما عليها من شئ (ويجمع ما على الارض ثلاثة أقسام المعادن والنبات والحيوان أما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي) أي منه ما هو للقوت خاصة وهو أنواع الحبوب ومنه ما هو للتداوي وهو أنواع الحشائش (وأما المعادن فيطلبها الآدمي للآلات والاواني) أي لاتخاذها (كالنحاس) بنوعيه الاحمر والاصفر (والرصاص) والقلعي وغيرها (والنقد كالذهب والفضة) فاذا أطلق النقدان في عبارة الفقهاء فانما يراد بهما اياهما (ولغير ذلك من المقاصد وأما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم أما البهائم فتطلب لحومها للمآكل وظهورها للمركب) قال الله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا فالحمولة ما يحمل عليها والفرش ما يفرش للذبح (والزينة) قال الله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة (وأما الانسان فقد يطلب الآدمي ان يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان) شراء بملك اليمين أو استئجارا (أو ليتمتع بهم كالجواري) بملك اليمين (والنسوان) بعقد النكاح (ويطلب قلوب الناس ليملكها بأن يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانسان) والمراد بالبنين الاولاد الذكور والحفدة (والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ واليواقيت وغيرها) من أنواع الحلي كالماس والزمرد والبلخش والعقيق (والخيل المسومة) أي المعلمة السائمة منها والمستعدة (والانعام وهي البهائم والحيوانات) وهي الازواج الثمانية المذكورة في القرآن (والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي أعيان الدنيا الا أن لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد) المذلل (أو المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها والعلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف) بأنواعها (التي الخلق مشغولون بها) ملتفتون اليها (والخلق انما نسوا أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها) وانها لماذا خلقت ولماذا خلق هو (علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي يسير بها الى الله تعالى وأعني بالدابة البدن فانه) أي البدن (لا يبقى) أي لا يوصف بالبقاء والمتعة (الا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن) وهي ضرورات في حفظ البدن (كما لا يبقى الجمل في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال) جمع جل بالضم وهو ما يلقى على ظهره لئلا ينقبه الرحل (ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده) الذي هو متوجه اليه (مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها) بالخدمة (وينظفها ويكسوها ألوان الثياب) المزخرفة

و يحمل اليها أنواع الحشيش و يبردلها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه فى البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لايهمه من أمر الجمل الا القدر الذى يقوى به على المشى فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير فى سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لايدخل بيت الماء الا لضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام فى البطن و بين اخراجه من البطن فى أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته مايدخل

بطنه فقيمته مايخرج منها وأكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن فان القوت ضرورى وأمر المسكن والملبس أهون ولوعرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها لم تستغرقهم أشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا فى كثرة الاشغال ونسوا مقاصدها ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس فى مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنستهم عاقبة أمورهم فنقول الاشغال الدنيوية هى الحرف والصناعات والاعمال التى ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو أن الانسان مضطر الى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء

(ويحمل اليها أنواع الحشيش و يبردلها الماء بالثلج) لم يزل مشغولا بذلك (حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه فى البادية فريسة للسباع) تفرس (هو وناقته) أو نهبة للعربان يستطردونه فيأخذونه مع ناقته كالاسيران لم يقتلوه (والحاج البصير العاقل لايهمه من أمر الجمل الا القدر الذى يقوى به على المشى فيتعهده) و يصلح شأنه (وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة) والحاجة (وكذلك البصير فى سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة) بل يتناول مايتناوله تناول مضطر عالم بقذارة مآله (كما لايدخل بيت الماء الا بالضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام فى البطن و بين اخراجه من البطن فى ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته مايدخل بطنه) أى من شغل همته فى اصلاح مايدخل بطنه (فقيمته مايخرج من بطنه) فاخسس بهذه القيمة التى قيمتها ذلك فقه ان يعلم ان نسبة الثمار والفواكه نسبة الجعل الى الروث فلو نطق الشجر لقال لك تأكل فضالتى كما يأكل الجعل فضالتك والخنزير اذا استطاب لفاظة الانسان فما هو الا كاستطابتها لفاظة الشجر وبهذا يعلم ان شرف المطعم والمشرب بالاضافة لا باطلاق (وأكثر ماشغل الناس عن الله تعالى هو البطن) ولذا قيل ان البطن عدو الانسان (فان القوت أمر ضرورى) فانه لاقوام له فى الدنيا الا به (وأمر المسكن والملبس أهون) من أمر القوت (ولوعرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا) أى لم تستول عليهم (وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض فتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا فى كثرة الاشغال ونسوا مقصودها ونحن نذكر) الآن (تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس فى مقاصدها حتى يتضح لك ان أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله وكيف أنستهم عاقبة أمورهم فنقول الاشغال الدنيوية هى الحرف والصناعات والاعمال التى ترى الخلق منكبين عليها) يقال أكب على كذا اذا لازم عليه (وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان مضطر الى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء) أى بقاء البدن على اعتداله (والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الاهل والمال ولم يخلق الله القوت والملبس والمسكن مصلحا بحيث نستغنى عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات يغذى الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر) كل منهما (فى بدنه فيستغنى عن البناء) أى المسكن (و يقنع بالصحراء) صيفا وشتاء (ولباسها شعرها وجلودها فتستغنى عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات) لاقوام للعالم دونها (هى أصول الصناعات وأوائل الاشغال الدنيوية وهى الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء) وعد أبو القاسم الراغب فى الذريعة الاصول أربعة فذكر الفلاحة والحياكة و البناء وزاد السياسة وجعل الرعاية من المرشحات ولم يذكر الاقتناص (أما البناء فللمسكن) أى لاجل تهيئة الموضع الذى يسكن فيه فمحترفه يقال له البناء (والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والخياطة فللملبس) ومحترفها يقال له الحائك والنساج (والفلاحة للمطعم) ومحترفها يقال له الفلاح والزراع (والرعاية للمواشى) يتعهدها للاطعام والاستقاء وغيرهما

والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الاهل والمال ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات يغذى الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر فى بدنه فيستغنى عن البناء و يقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغنى عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هى أصول الصناعات وأوائل الاشغال الدنيوية وهى الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء أما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشى

والخيل أيضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ماخلقه الله من صيدا ومعدن أوحشيش أوحطب فالفلاح يحصل النبات والراعي
يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل مانبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الارض ماخلق
فيها من غير صنعة آدمي
ونعني بالاقتناص ذلك
ويدخل تحته صناعات
وأشغال عدة ثم هذه
الصناعات تفتقر الى أدوات
وآلات كالحياكة والفلاحة
والبناء والاقتناص والآلات
انما تؤخذ امامن النبات
وهو الاخشاب أومن
المعادن كالحديد والرصاص
وغيرهما أومن جلود
الحيوانات فحدثت الحاجة
الى ثلاثة أنواع أخر من
الصناعات النجارة والحدادة
والخرز وهؤلاء هم عمال
الآلات ونعني بالنجار كل
عامل في الخشب كيفما كان
وبالحداد كل عامل في الحديد
وجواهر المعادن حتى
النحاس والابرى وغيرهما
وغرضنا ذكر الاجناس
فأما آحاد الحرف فكثيرة
وأما الخراز فنعني به كل
عامل في جلود الحيوانات
وأجزائها فهذه أمهات
الصناعات ثم ان الانسان
خلق بحيث لايعيش وحده
بل يضطر الى الاجتماع مع
غيره من جنسه وذلك لسببين
أحدهما حاجته الى النسل
لبقاء جنس الانسان ولا
يكون ذلك الا باجتماع
الذكر والانثى وعشرتهما
والثاني التعاون على تهيئة
أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي الى الولد لامحالة والواحد لايشتغل بحفظ الولد وتهيئة
أسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لايمكنه أن يعيش كذلك مالم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة
فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى آلاتها وتحتاج الآلة الى حداد ونجار يصلح

ومحترفها يقال له الراعي وراعي الجواميس بالخصوص يقال له الجيسي (والخيل أيضا للمطعم والمركب
والاقتناص نعني به تحصيل ماخلقه الله من صيد أومعدن أوحشيش أوحطب) وهذا اصطلاح خاص
والا فالمقتنص في العرف هو الذي يصطاد حيوانات البر كالقنيص والقانص كان الصائد والصياد له
وللذي يصطاد الطيور وحيوانات البحر ولمن يستخرج معادن البحر يقال له الغطاس ومعادن البر يقال له
النابل ولمن يقطع الحشيش يقال له الحشاش ولمطالب الحطب من البراري والفيافي يقال له الحطاب فهذه
اصطلاحات عرفية والمصنف جعل الاقتناص لفظا شاملا للكل (فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ
الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل مانبت) في الارض (ونتج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ
من معادن الارض ماخلق فيها من غير صنع آدمي ونعني بالاقتناص ذلك) ولامشاحة في الاصطلاح
(وتدخل تحته صناعات واشغال عدة) هي كالخادمة لها (ثم هذه الصناعات تفتقر الى أدوات وآلات
كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص) فان كلا منها يحتاج الى ماذكر (والآلات انما تؤخذ امامن
النبات وهو الاخشاب أومن المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما أومن جلود الحيوانات فحدثت الحاجة
الى ثلاثة أنواع أخر من الصناعات النجارة والحدادة) بكسرهما والخرز وهؤلاء هم عمال الآلات (ونعني
بالنجار كل عامل في الخشب كيفما كان وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابرى
وغيرهما) الذي يشتغل الابر للخياطة وغيرها وهذا أيضا اصطلاح خاص اذ المعروف ان الحداد كل عامل
في جنس الحديد خاصة وأما عامل بقية المعادن فلكل اسم خاص ففي النحاس نحاس وفي الرصاص رصاص وفي
القلعي سمكري وقس على ذلك فهي صناعات مختلفة لايدخل بعضها على بعض (وغرضنا ذكر الاجناس واما
آحاد الحرف فكثيرة) لاتحصر (وأما الخراز فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها) وتحته
النعال والقراب والدباغ والسروجي وغيرهم (فهذه أمهات الصناعات) المحتاج اليها وماعداها فانها مرشحة
لكل واحد وخادمة له كالحدادة للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة ومثل ذلك بالاضافة الى العالم مثل
أجزاء الشخص الى الشخص سواء فانها على ثلاثة أضرب اما الاصول وكالقلب والكبد والدماغ واما
مرشحة لتلك الاصول وخادمة كالمعدة والعروق والشرايين واما مكملة لها مزينة كاليد والحاجب وأما
بيان شرف هذه الصناعات مع بعضها فقد تقدمت الاشارة اليه في كتاب العلم (ثم ان الانسان خلق) مدني
الطبع (بحيث لايعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه) ليحصل لنفسه أدنى مايحتاج
اليه بمعاونة عدة له وعليه نبه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقوله مثل
المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا تألم بعضه تداعى سائره وقيل الناس كجسد واحد
متى عاون بعضه بعضا استقل ومتى خذل بعضه بعضا اختل (وذلك لسببين أحدهما حاجته الى النسل
لبقاء جنس الانسان ولايكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما) فصار ذلك ضروريا ومما لابد
منه (والثاني التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع) بين الذكر والانثى
(يفضي الى) حدوث (الولد لامحالة و) معلوم ان (الواحد لايشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت ثم ليس
يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لايمكنه ان يعيش كذلك مالم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل
واحد بصناعة) هي له متظاهرين متعاونين (فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى
آلاتها) وأعظمها الثوران والفدان فالثوران يحتاجان الى رعيتهما وتعهدهما والفدان يحتاج الى خشب
وحديد وحبال وتحتاج هذه (الآلة الى حداد ونجار) وحبال (فالنجار يقطع الخشب ويصلحه والحداد

شيء يحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة وآلات كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماع ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد والمطر واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبما معه من الآلات والاثاث والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر وتدفع أذى الجيران من اللصوصية وغيرها لكن المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر أهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى قوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل أفضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت فاما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل وأما أهل البلد أيضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي بأغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى أو مرض أوهرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضاع هلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الارض لتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة ومنها

يصلح المسامير والحبال يفتل الحبل الذي به يربط بعضه مع بعض (ويحتاج الطعام الى) دائس وذراء ومنق ومغربل ثم الى (طحان) يطحنه اما برحا فبيديه أو طحن الطاحون فبالبهائم والبهائم تحتاج الى رعية وتعهد ثم الدقيق المطحون اذا احضر احتاج بعد نخله الى عجان والعجن يحتاج الى ظرف وذلك الظرف اما من المعادن فاحتاج الى حداد ونحاس وصفار واما من الخزف فاحتاج الى خزاف (و) الى (خباز) والخباز يحتاج الى الوقيد والوقاد (وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراسة القطن) والحراثة تحتاج الى آلاتها (وآلات الحياكة) كالنول والبكرات والمناسج والشيوخ والسفينة والمغازل وغيرها (و) آلات (الخياطة) كالابر والمقص والذراع والخيط والاسفيداج وغيرها مما يحتاج اليه الخياط وأعمال كثيرة غير ما ذكر (فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماع) والتعاون (ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة) تحت السماء (لتأذوا) أي هلكوا وفي نسخة لتأذوا (بالحر) في الصيف (والبرد) في الشتاء (والمطر واللصوص) بالليالي عند اشتغالهم بالنوم (فافتقروا الى أبنية محكمة ومنازل) محدودة (ينفرد كل أهل بيت به وبما معه من الآلات) المحتاج اليها (والاثاث) والامتعة والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر بالاستكنان فيها (وتدفع) أيضا (أذى الجيران من اللصوصية وغيرها ولكن المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص) متظاهرين مع البعض (خارج المنازل فافتقر أهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة) فالبلدة كل مجتمع قوم يحيط به سور (ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد) لا محالة ان يتعاملوا في أمور معايشهم فاذا (تعاملوا تولدت بينهم لا محالة خصومات) ومنازعات ومشاركات بحكم ما جبل عليه الانسان من الحرص والشح والحسد (اذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة) بحكم قيامه عليها (و) تحدث (ولاية للابوين على الولد لانه ضعيف محتاج الى قوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل) كالزوجة والولد والرقيق والاجير (أفضى) الحال (الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت) لكونها خرساء (فاما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين) وكذا الرقيق والاجير (هذا في المنزل فأما أهل البلد أيضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة) للمواشي (وأرباب الفلاحة) يضطرون في أحوالهم ان يبعدوا في المراعي حيث مساقط الغيث ويتقربون الى المواضع القريبة من المياه لمصلحة المواشي فاذا بعدوا يعسر عليهم اراحة المواشي الى المنازل التي فيها أربابها فحدثت الحاجة الى بناء كفور واحياء واجماء فيربطون فيها المواشي ويبيتون بما معهم مع تلك الآلات التي يحتاجون اليها في الحراثة ليكون غدوهم ورواحهم قريبا من مواضع حاجاتهم ثم انهم (يتواردون على المراعي والارضين والمياه وهي لا تفي بأغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى أو مرض أوهرم) أي كبر سن (وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضاع هلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له) أي لا ينقاد (فحدثت بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الارض) يقال مسحت الارض مسحا اذا ذرعتها والاسم المساحة بالكسر وانما احتيج اليها (لتمكن القسمة بينهم بالعدل) فيعطى كل ذي حق حقه ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف والسنان (ودفع اللصوص عنهم) بالشوكة (ومنها صناعة الحكم والتوسط لفصل الخصومة ومنها

الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذى ينبغى ان يضبط به الخلق و يلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله فى المعاملات) الجارية بينهم (وشروطها) مما يصح ومما يبطل (فهذه أمور سياسية لابد منها) ولا يستغنى عنها (ولايشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من التمييز والعلم والهداية) والتوفيق والرشد (واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة أخرى ويحتاجون الى المعاش) ليستعينوا به على تفرغهم (ويحتاج أهل البلد اليهم) فى معرفة الاحكام والحدود الشرعية (اذلو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس) لها عن نكاية الاعداء واللصوص (واستضر الناس فمست الحاجة الى أن يصرف الى معايشهم وأرزاقهم الاموال الضائعة التى لامالك لها ان كانت) حسبما تقدم حكمها فى آخر كتاب الزكاة (أو تصرف اليهم الغنائم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال المصالح وان أرادوا التوسع فمس الحاجة لامحالة الى ان يمدهم أهل البلد بأموالهم ليمدوهم بالحراسة) والضبط (فتحدث الحاجة الى الخراج) وهو مايحصل من غلة الارض (ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات أخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل) والتسوية (على الفلاحين وأرباب الاموال وهم العمال) وصناعتهم العمالة بالكسر (والى من يستوفى منهم بالرفق) والتدريج (وهم الجباة) وصناعتهم الجباية (و) يقال لهم أيضا المستخرجون والمستوفون والواحد مستوف ومستخرج (والى من تجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة) اما مرة فى السنة أو مرتين أو أكثر أو أقل (وهم الخزان) جمع خازن (والى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر) وصناعته الفراضة وهذه الاعمال لو تولاها عدد لاتجمعهم رابطة انخرم النظام) وتعرض للفساد (فتحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم) ويسوسهم ويقودهم (وأمير مطاع) وهو الوزير (يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل أحد مايليق به ويرعى النصفة) محركة الانتصاف (فى أخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند فى الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح و بعد الملك الذى يراقبهم بالعين الكالئة و يدبرهم الحاجة الى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال) فالكتاب هم الذين يكتبون عن لسان الملك الى الرعايا والآفاق وهم على طبقات أعلاها كتاب السير وصناعتهم الكتابة وهى أعظم الصنائع واسناها وأكثرها افتقارا للمعلومات والخزان هم الخازنون للمال والغلال الحاصلين من خراج الارض وغيره والحساب هم الكتبة الذين يحسبون المداخل والمخارج من تلك الاموال والغلال والجباة والعمال وقد تقدم ذكرهما (ثم هؤلاء أيضا يحتاجون الى معيشة ولايمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا تكون الناس فى الصناعات ثلاث طوائف) الاولى (الفلاحون والرعاة والمحترفون والثانية الجندية الحماة لهم بالسيوف والثالثة المترددون بين الطائفتين فى الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم) كالخزان والمستوفين (فانظر كيف

الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذى ينبغى أن يضبط به الخلق و يلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى فى المعاملات وشروطها فهذه أمور سياسية لابد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة أخرى و يحتاجون الى المعاش و يحتاج أهل البلد اليهم اذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة الى أن يصرف الى معايشهم وأرزاقهم الاموال الضائعة التى لامالك لها ان كانت أو تصرف الغنائم اليهم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال المصالح وان أرادوا التوسع فمس الحاجة لامحالة الى أن يمدهم أهل البلد بأموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة لصناعات أخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الاموال وهم العمال والى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لاتجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وأمير مطاع يعين لكل عمل شخصا و يختار لكل واحد مايليق به و يراعى النصفة فى أخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند فى الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح و بعد الملك الذى يراقبهم بالعين الكالئة و يدبرهم الحاجة الى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء أيضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس فى الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثانية الجندية الحماة بالسيوف والثالثة المترددون بين الطائفتين فى الاخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم فانظر كيف

ابتدأ

ابتدأ الامر من حاجة القوت والملبس والمسكن والى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه أبواب أخر وهكذا تتناهى الى غير حد محصور وكأنها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع فى مهواة منها سقط منها الى أخرى وهكذا على التوالى فهذه هى الحرف والصناعات الا أنها لا تتم الا بالاموال والآلات والمال عبارة عن أعيان الارض وما عليها مما ينتفع به وأعلاها الاغذية ثم الامكنة التى يأوى الانسان اليها وهى الدور ثم الامكنة التى يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم أثاث البيت وآلاته ثم آلات الآلات وقد يكون فى الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقر آلة الحراثة والفرس آلة الركوب فى الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج أحدهما أن يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا أن النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح فى ذلك الوقت الى آلته فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام فى ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فتتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليترصد بها صاحبها أرباب الحاجات والى أبيات يجمع اليها ما يحمل الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الابيات ليترصد به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها فى انتظار أرباب الحاجات طمعا فى الربح وكذلك فى جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنتظم أمور الناس فى البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال لا محالة فيتعبون طول الليل والنهار فى الاسفار لغرض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذى يأكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم

ابتدأ الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب الا وتفتح بسببه) عشرة (أبواب اخر) لم تكن فى باله (وهكذا تتناهى الى غير حد محصور وكأنها هاوية) عميقة أى وهدة منخفضة (لا نهاية لعمقها من وقع فى مهواة منها) أى حفرة (سقط منها الى أخرى وهكذا على التوالى فهذه هى الحرف والصناعات) وأشرفها السياسة وهى أربعة أضرب الاول سياسة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم والثانى الولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم والثالث الحكماء وحكمهم على باطن الخواص والرابع الفقهاء والوعاظ وحكمهم على بواطن العامة (الا انها) أى تلك الصناعات (لا تتم الا بالاموال والآلات والمال عبارة عن أعيان الارض وما عليها مما ينتفع به وأعلاها الاغذية ثم الامكنة التى يأوى الانسان اليها وهى الدور ثم الامكنة التى يسعى فيها للتعيش) فهى معدة لذلك لا للسكنى (كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم أثاث البيت والآلة ثم آلات الآلات) هكذا على هذا الترتيب (وقد يكون فى الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقر آلة الحراثة والفرس آلة الركوب فى الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس بها آلة الفلاحة والنجار والحداد يسكنان قرية لا يمكن بها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما) فى اتخاذ آلة الفلاحة (ويحتاجان الى الفلاح) فى الزراعة (فيحتاج أحدهما أن يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة) والمبادلة (الا أن النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح فى ذلك الوقت الى الآلة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام فى ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فتتعوق الاغراض فاضطر والى حانوت يجمع آلة كل صناعة يترصد بها صاحبها أرباب الحاجات) لوقت حاجاتهم (والى أبيات) وهو مخزن الغلال (يجمع اليه ما يحمله الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الابيات يترصد به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا) الى أخذها (باعها بثمن رخيص من الباعة نخزنوها فى انتظار أرباب الحاجات طمعا فى الربح) والفائدة (وكذلك فى جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنتظم أمور الناس فى البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل الطعام والبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل) من بلد الى آخر (وباعثهم عليه حرص فى جمع المال) كيفما اتفق (فيتعبون طول الليل والنهار فى الاسفار) ويتحملون المشاق فى البرارى والقفار وركوب متن البحار (لاغراض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذى يأكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق) ينهبه ويسلب ما عنده واما ان تكسر بهم السفينة فلا ينجو الا بنفسه (واما سلطان ظالم) يطمع فى ماله فيسلبه وهم مع ذلك يقولون من تعطل وتبطل انسلخ من الانسانية بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى فيمدحون السعى ويذمون التوانى والكسل ويلهجون بقولهم قد فاز

بالالذة الجور وقد قيل اذا أردت أن لاتتعب فاتعب لئلا تتعب (ولكن جعل الله فى غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد) ولولا حركاتهم وسعيهم فى تحصيل مايحملونه لتعطلت الامور وقل المنتفع (بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولوعقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا فى الدنيا) لحقارتها وخستها (ولوفعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد أيضا) وههنا نكتة لطيفة عن حكمة خفية وذلك ان الله تعالى بلطيف قدرته فرق همم الناس للصناعات المتفاوتة ويسر كلا لما خلق له وجعل آلاتهم الفكرية والبدنية مستعدة لها فجعل لمن قيضه لمراعاة العلم والمحافظة على الدين قلوبا صافية وعقولا بالمعارف لائقة وأمزجة لطيفة وأبدانا لينة مستصلحة ومن قيضه لمراعاة المهن الدنيوية والمحافظة عليها كالزراعة والتجارة والبناء فجعل لهم قلوبا قاسية وعقولا كدة وأمزجة غليظة وأبدانا خشنة وكما انه محال أن يصلح السمع للرؤية والبصر للسمع كذلك من المحال أن يكون من خلق للمهنة يصلح للحكمة ذلك تقدير العزيز العليم (ثم هذه الاموال التى تنقل لايقدر الانسان على حملها) على ظهره (فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لايملك الدابة فتحدث معاملة بينه و بين مالك الدابة تسمى الاجارة) وقد تقدم الكلام عليها فى كتاب الكسب (ويصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى التقدير) والتخمين (فان من يريد أن يشترى طعاما بثوب فن أين يدرى المقدار الذى يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجرى فى أجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه أمور لاتتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وأبقى الاموال المعادن) المركوزة فى الارض (فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس) لاجل التعامل بها (ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فحدثت الحاجة الى) اتخاذ (دار الضرب) واتخاذ السكة فيها احتاج العمال فيها الى صنائع كثيرة تبلغ الى السبعين كل ذلك مما يحتاج لتهيئة آلاتها فالدينار لا يصلح للتعامل حتى يقع فى يد اثنى عشر صانعا والنقرة المضروبة تزيد على ذلك (و) بعد تمام الدينار والدرهم تحدث الحاجة (الى الصيارفة) ليحرروهما و ينقدوهما بالعيار الصحيح (وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ماتراه) والاصل فى هذا كله تيسير القوت والملبس والمسكن (فهذه أشغال الخلق وهى معايشهم) ولكن ينبغى أن يعلم ان حصول الفقر وخوفه الناتجين للحرص هما الباعثان على الجد واحتمال الكد فى منفعة الناس اما باختيار واما باضطرار ولهذا قيل رب ساع لقاعد وهو أن يكون الناس لو كفى كل منهم أمره لادى ذلك الى فساد العالم من حيث انه لم يكن أحد يعول لغيره مهنة وكان الواحد منهم يعجز عن القيام بمصالح نفسه كلها فيؤدى ذلك الى فقر جميعهم وقد قيل قيام العالم بالفقر أكثر من قيامه بالغنى لان الصناعات القائمة بالغنى ثلاث الملك والتجارة والبناء وسائرها قائمة بالفقر فلو لم يكن الفقر وخوفه فمن كان يتولى الحياكة والحجامة والدباغة والكناسة ومن كان ينقل البز والملابس من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال هذا مع ان من الناس من لو كفى أمر دنياه لكان يوجد منه من البغى والفساد مايؤدى الى خراب البلاد وفساد العباد بل كان يوجد منه مايؤدى الى هلاك نفسه فى أسرع مدة ومن تدبر صنع الله عز وجل لم تعرض له الشبهة التى تعرض لمن يقول اذا كان الله غنيا جوادا واسعا فلم خص بعضهم بالغنى وجعل أكثرهم فقراء ومن حق الغنى الذى يغنى عباده والجواد الذى لايعرف لجوده منتهى أن لايخص بالعطية بعضا دون بعض وذلك ان الجواد الحق هو الذى يعطى كل أحد بقدر استحقاقه على وجه يعود لمصلحته ومصلحة غيره وقد فعل تعالى ذلك بالعباد ثم قال المصنف (وشئ من هذه الحرف) والصناعات (لايمكن مباشرته الابنوع تعلم وتعب فى الابتداء) أى فى أول عمره ففى الخبر التعلم فى الصغر كالنقش على الحجر والتعلم فى الكبر كالنقش على الماء الجارى (ومن الناس من يغفل عن ذلك

ولكن جعل الله تعالى فى غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولوعقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا فى الدنيا ولوفعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد أيضا ثم هذه الاموال التى تنقل لايقدر الانسان على حملها فتحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لاتكون له دابة فتحدث معاملة بينه و بين مالك الدابة تسمى الاجارة و يصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا ثم تحدث بسبب البياعات الحاجات الى النقدين فان من يريد أن يشترى طعاما بثوب فن أين يدرى المقدار الذى يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجرى فى أجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه أمور لاتتناسب فلابد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وأبقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة الى دار الضرب والصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ماتراه فهذه أشغال الخلق وهى معاشهم وشئ من هذه الحرف لايمكن مباشرته الابنوع تعلم وتعب فى الابتداء وفى الناس من يغفل عن ذلك

فى الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى أن يأكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما أنهما يأكلان من سعي غيرهما ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم أموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم فى استنباط الحيل والتدابير * أما اللصوص فمنهم من يطلب أعوانا ويكون فى يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالاعراب والاكراد * وأما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب أو التسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بان يكون طرارا أو سلالا الى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة بحسب ما انتجه الافكار المصروفة الى استنباطها * وأما المكدى فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فمالك والبطالة فلا يعطى شيأ فافتقروا الى حيلة فى استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم فى البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون أولادهم وأنفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامى والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون أقوالا وأفعالا

فى الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى) فى باقى عمره (عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج أن يأكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية) وهى سلب أموال الناس بالقوة (والكدية) بالكسر وهى الشحاذة أى التكفف من الناس (اذ يجمعهما أنهما يأكلان من سعى غيرهما ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم أموالهم) ولما رأوا أنهم قد حصنوا أموالهم (فافتقروا الى صرف عقولهم فى استنباط الحيل والتدبير) فى أخذ أموالهم (أما اللصوص فمنهم من يطلب أعوانا) يساعدونهم على صنعتهم ويقاسمونهم ما يأخذون (ويكون) مع ذلك (فى يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطرق فى البر والبحر كالاعراب والاكراد) وبعض الاتراك (وأما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب) وهو أن ينقب الحائط (او التسلق) بان يطلع على الحائط (عند انتهاز فرصة الغفلة) من أرباب الاموال ولكل منهما آلات معدة فمن آلات النقب المعاول ومن آلات التسلق المسامير والمطارق فيدق المسمار ويمكنه من الحائط فيصعد عليه ثم مسمارا آخر وهكذا الى أن يصعد فيربط به حبلا جعله كالسلم فيتدلى به وينزل الى الموضع فيأخذ ما فيه ثم يصعد بذلك الحبل الى أن ينزل عودا على بدء وقد يفتقر الى فتح الباب من داخل ليدخل أعوانه ويتخذون لفتح الابواب والاغاليق آلات تفتحها (واما بان يكون طرارا) وأصل الطر الشق والطرار هو الذى يقطع النفقات ويأخذها على غفلة من أهلها (أو سلالا) وهو بمعناه وكذا المختلس (الى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة فى الازمنة المتأخرة بحسب ما أنتجه الافكار المصروفة الى استنباطها) وهى صناعة مستقلة ولها ناس معروفون يعلمون صبيانهم من الصغر حتى ينشؤا على ذلك ولهم فى ذلك حكايات مستغربة (وأما المكدى فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل فيه كما عمل غيرك فمالك والبطالة فلا يعطى شيأ فافتقر الى حيلة فى استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم فى البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون أنفسهم وأولادهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون) ولقد حكى لى من أثق به انه رأى مكديا فى بلاد الروم مقطوعا يديه وهو قاعد على رأس السكة وهو يقول أشتهى الرمان وقد فرش منديلا بين يديه والناس يرمون له من الدراهم فخالج فى نفسه ان يطلع على كنه حقيقته فانتظره يوما من الايام عند غروب الشمس وقد حاز ما فى المنديل وقام فتبعه من بعد حتى اذا جاء فى زقاق ضيق ونظر عن يمينه وشماله ولم ير أحدا فدق الباب وفتح له فدخل فاستعجل من ورائه فدق الباب واستأذن الدخول وقال غريب يريد الايواء ففتح له الباب فاذا فى البيت جوار قد تلقينه وقال لهن أكرمن هذا الضيف فاذا بيت وسيع وفراش فاخرة فأتوا بالطست والابريق وغسلن الغبار عن وجهه وغيرن عليه الثياب الفاخرة غير ثياب الكدية وأتى بالطعام وأكل معه ثم استجر الحديث بان قال له ما بالك تفعل كذا وأنت بهذه الحالة فقال يا فلان انى قد قطعت يدى اختيار الكدية وما جمعت هذا الذى ترى الا من الكدية وأحضر ولداله صغيرا وقد قطع يديه كذلك ليعلمه الكدية وبات عنده تلك الليلة وأخذ جارية تخدمه فلما أصبح نزع تلك الثياب الفاخرة ولبس ثياب الكدية وخرج من منزله الى ما كان عليه وهذا أغرب ما سمعت (واما بالتعامى والتفالج والتجانن والتمارض) أى ادعاء كل من ذلك وليس على الحقيقة (واظهار ذلك بانواع من الحيل) بان يربط على عينيه خرقة فيظهر انه أعمى أو يظهر أنه لا يقدر على حركة يده فيربطها بالخرق أو ان به فالجا أو يظهر الخرق فيتكلم بكلام غير منتظم أو يدعى أمراضا كالبواسير والنواصير أو غير ذلك وقد ربط بساقيه خرقا مدهونة بالزيت والقطران يدعى بذلك أنه به جراحات ولله در أبى زيد السروجى حيث اعتذر عن التعارج فقال تعارجت لا رغبة فى العرج * ولكن لاقرع باب الفرج (مع بيان ان تلك محنة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة) لحالهم والشفقة عليهم فيعطون وجماعة يدعون انهم كانوا أهل صناعات نظرية فانقطعوا عنها بالعمى (وجماعة يلتمسون افعالا وأقوالا

يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال فى حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون أشد تأثيرا فى النفس لاسيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت أو الذى يحرك داعية العشق من أهل المجانة كصنعة الطبالين فى الاسواق وصنعة مايشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذى يخيل بائعه أنها أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكأصحاب القرعة والفال من المنجمين ويدخل فى هذا الجنس الوعاظ والمكدون على رؤس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل علمى وكان غرضهم استمالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بانواع الكدية وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لاجل المعيشة فهذه هى أشغال الخلق وأعمالهم التى أكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكنهم نسوا فى أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فتاهوا وضلوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة الاشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه * فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح أعينهم للنظر الى عاقبة أمورهم فقالوا المقصود أن نعيش أياما فى الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فيأكلون ليكسبوا ثم يكسبون ليأكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم فى الدنيا ولا قدم فى الدين فانه يتعب نهارا ليأكل ليلا ويأكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السوانى فهو سفر لا ينقطع الا بالموت

يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها) وسماعها (حتى يسخوا برفع اليدين عن قليل من المال فى حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم لان الدرهم اذا خرج من الكيس لايعود اليه وذلك قد يكون بالتمسخر) والاستهزاء بالناس (والمحاكاة) والتقليد (والشعبذة والافعال المضحكة) والحركات المستغربة من عين وحاجب وتحريك أعضاء وتعويج فم وغير ذلك (وقد يكون بالاشعار الغريبة أو الكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت) ولطف الايقاع (والشعر الموزون أشد تأثيرا فى النفس لاسيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت) ووقائعهم ومقاتلهم وماجرى لهم مع اخوانهم (أو الذى يحرك داعية العشق من أهل المجانة كصنعة الطبالين فى الاسواق) فيوردون من المواليا والدوبيت مافى معانيه تهييج على العشق وترويج لوصال المحبوب وما أشبه ذلك (وتسليم مايشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات) والتمائم المزخرفة بألوان المداد (والحشيش الذى يجعل بائعه انه أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال) فيأخذون منهم الدراهم فى مقابلته (وكأصحاب القرعة والفال من المنجمين) فيكتبون ذلك فى رقاع ويخبرون عما سيقع وسيكون من خير وشر بحكم النجم الطالع وبحكم الفال والقرعة (ويدخل فى هذا الجنس الوعاظ المكدون على رؤس المنابر) والكراسى (اذا لم يكن وراءهم طائل علمى وكان غرضهم استمالة قلوب العوام) وجلبها (وأخذ أموالهم وأنواع الكدية تزيد على ألف نوع وألفين) فاذا نظرنا الى الفروع التى احدثتها المتأخرون من المكدين فقد تزيد على الفين وهى صناعة مستقلة ولها شيوخ معروفون وتراتيب وآداب وكلها مبناها الحيل والخداع فى أخذ أموال الناس بالباطل ويدخل فى هذا الجنس من يتوسع فى تناول عمل غيره فى ما كله وملبسه ومسكنه وغير ذلك ثم لا يعمل عملا بقدر ما يتناوله منهم فانه ظالم لهم قصدوا افادته أولم يقصدوا وكذلك من يدعى التصوف فيتعطل عن المكاسب ولا يكون له علم يؤخذ عنه ولا عمل صالح فى الدين يقتدى به بل يجعل همه على غارب بطنه وفرجه فانه يأخذ منافعهم ويضيق عليهم معاشهم ولا يرد اليهم نفعا ولا طائل فى مثلهم الا بان يكدروا الماء ويغلوا الاسعار ولهذا كان عمر رضى الله عنه اذا نظر الى ذى سيما سأل أله حرفة فاذا قيل لا سقط من عينه ومن الدلالة على قبح من هذا فعله ان الله تعالى ذم من يأكل مال نفسه اسرافا وبدارا فما حال من أكل مال غيره على ذلك ولا ينيلهم عوضا ولا يرد عليهم بدلا (وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لاجل المعيشة فهذه هى اشغال الخلق وأعمالهم التى أكبوا عليها) ولازموها (وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكن نسوا فى أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم) الذى خلقوا لاجله (ومنقلبهم ومآبهم فضلوا وتاهوا) فى أودية الحيرة (وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان كدرتها زحمة أشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم) وتنوعت مشاربهم (واختلفت آراؤهم على عدة أوجه فطائفة) منهم (غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح أعينهم للنظر الى عاقبة أمرهم فقالوا المقصود أن نعيش أياما فى الدنيا فنجتهد حتى نكتسب القوت) من حيث اتفق (ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكتسب حتى نأكل فيأكلون ليكتسبوا ويكتسبون ليأكلوا وهذا مذهب الفلاحين) وغالب أهل القرى (والمحترفين ومن ليس له تنعم فى الدنيا ولا قدم فى الدين فانه يتعب نهارا ليأكل ليلا ويأكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السوانى) التى تدور على المياه (فهو سفر لا ينقطع الا بالموت) ولا ينجع فى هؤلاء الوعظ والتنبيه لتراكم

الغفلة

*وطائفة أخرى زعموا انهم تفطنوا الامر وهو أنه ليس المقصود أن يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في ان يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا أنفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة يأكلون كما تأكل الانعام ويظنون أنهم اذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر * وطائفة ظنوا ان السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل والنهار و يترددون في الاعمال الشاقة و يكتسبون و يجمعون ولا يأكلون الاقدر الضرورة شحا و بخلا

عليها أن تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دأبهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبه ووباله وللآكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون الى أمثال ذلك ولا يعتبرون * وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة فهؤلاء يتعبون في كسب المعاش و يضيقون على أنفسهم في المطعم والمشرب و يصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة و يزخرفون أبواب الدور وما يقع عليها أبصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة و يظنون أن ذلك هي السعادة فهمتهم في نهارهم وليلهم في تعهد موقع نظر الناس * وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى

الغفلة وهم كالبهائم يأكلون و يتعبون و يأكلون (وطائفة أخرى زعموا انهم تفطنوا الامر وهو انه ليس المقصود أن يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في ان يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج) وهم غالب أهل هذا العصر قد قصر نظرهم على ذلك (فهؤلاء نسوا أنفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان) بقصد نكاح وملك يمين (وجمع لذائذ الاطعمة) والاشربة فيغرقون فيها و يبالغون في استحسانها (يأكلون كما تأكل الانعام و يظنون انهم اذا أدركوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادات فشغلهم ذلك عن الله واليوم الآخر) وتاهوا عن المقصود (وطائفة أخرى ظنوا ان السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فسهروا ليلهم واتعبوا نهارهم في الجمع) من هنا ومن هنا (فهم يتعبون في الاسفار) والبراري والبحار (طول الليل والنهار و يترددون في الاعمال الشاقة و يكتسبون و يجمعون ولا يأكلون الاقدر الضرورة) من غير توسع (شحا وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دأبهم وحركتهم الى أن يدركهم الموت فيبقى) المال موقوفا (تحت الارض أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات) و يتوسع فيها (فيكون للجامع تعبه ووباله) اذ يحاسب به يوم القيامة (وللآكل لذته) ولله در القائل

*قد يجمع المال غير آكله * و يأكل المال غير من جمعه*

(ثم الذين يجمعون) المال (ينظرون الى أمثال ذلك) ممن جمع فلم يأكل وأكله غيره (ولا يعتبرون) وذلك من عمى بصائرهم (وطائفة) أخرى (ظنوا ان السعادة في حسن الاسم) والذكر الطيب (وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة فهؤلاء يتعبون في كسب المعايش و يضيقون على أنفسهم) وربما يتداينون فوق طاقتهم (و يزخرفون أبواب الدور وما يقع عليه أبصار الناس) و يتخذون فرسا نفيسة وخدما وحشما و يلبسونهم فاخر الثياب (حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة و يظنون ان ذلك هو السعادة همتهم في ليلهم ونهارهم في تعهد موقع نظر الناس) من داره وأثاثه وملبسه ومركبه وهذه حال خواص أهل الزمان وهو غرور عن بلوغ المقصود وراء ما ليس له حقيقة وخبث النية وفساد الطوية من حب المحمدة والثناء (وطائفة أخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والمكرمة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة) والانقياد (لهم بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس و يرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم قد سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية المطالب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها على الضابط تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم ضلوا) في أنفسهم (وأضلوا) كثيرا ممن تبعهم وقلدهم (عن سواء السبيل) أي الطريق المستقيم (وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن فنسوا ما تراد له هذه الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت لهم

الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس و يرون أنهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية المطالب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم * ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ونسوا ما تراد له هذه الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم

أوائل أسبابها الى أواخرها وتداعى بهم ذلك لى مهاو لم يمكنهم الرقى منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض فى شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وأن غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان

تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا لا يبالى الله فى أى واد أهلكه منها فهذا شأن المنهمكين فى أشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم وأضلهم فى الاعراض أيضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد فى الدنيا أولم يتعبد فرأوا ان الصواب فى أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يتهجمون على النار و يقتلون أنفسهم بالاحراق ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بد أولا من اماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وأن السعادة فى قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على

أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة و بعضهم فسد عقله و جن و بعضهم مرض وانسد عليه الطريق فى العبادة و بعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبيس لا أصل له فوقع فى الالحاد وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله وان الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة متعبد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة ما

أوائل أسبابها) الى آخرها وتداعى بهم الى الوقوع فى (مهاوى) أى وهدات منخفضة (لم يمكنهم الرقى) أى الصعود والخلاص (منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض فى شغل وحرفة وعمل) منها (الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه و) عالم (ان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت) الذى يتقوى به (والكسوة) التى يتقى بها من الحر والبرد (حتى لا يهلك) جوعا وعريا (وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل) مقتصرا فيه على الكفاف (اندفعت الاشغال) جملة (وفرغ القلب لمعرفة الله وغلب عليه ذكر الآخرة) وما أعد الله منها (وانصرفت الهمة) لا محالة (الى الاستعداد له) أى لذكر الآخرة (وان تعدى به قدر الضرورة) وتجاوز عنه (كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية) فقد روى ابن ماجه والحكيم والشاشى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله سائر همومه (ومن تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا) وأحوالها (فلا يبالى الله فى أى واد أهلكه منها) وفى لفظ لم يبال الله فى أى أوديتها هلك (فهذا شأن المنهمكين فى أشغال الدنيا) المكبين عليها (وتنبه لذلك طائفة من الناس فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان) على ذلك (ولم يتركهم) من مكيدته (وأضلهم فى الاعراض أيضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة) منهم (ان الدنيا دار بلاء ومحنة) واختبار وصبر وشقاوة (والآخرة دار سعادة لكل من وصل اليها) بأى طريق كان (سواء تعبد فى الدنيا) أو لم يتعبد فرأوا أن الصواب فى أن يقتلوا أنفسهم قتلا حقيقيا للخلاص من محنة الدنيا) وبلائها وفتنتها فهم صدقوا فى أول ظنهم وهو كون الدنيا دار محنة و بلاء ولكن أخطؤا فى طريق الوصول الى سعادة الآخرة (واليه ذهب طوائف) البراهمة المعروفة بالجركية (من الهند فهم يتهجمون على النار يقتلون أنفسهم بالاحراق فيها) كما نقل ذلك الشيخ الاكبر قدس سره فى الفتوحات وأورده ابن بطوطة فى رحلته (و يظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا) وهو غاية الضلال والخسران وقد تمكن منهم الشيطان حتى سول لهم ذلك ولهذه الطائفة فضائح كثيرة من هذا الجنس ويدخل فى هذا الجنس طوائف الدرزية الذين يرمون أنفسهم من شاهق الجبل بعد ان يأخذوا ديتهم و يسلمونها الى أولادهم فيظنون ان الموت على هذا الوصف سعادة لهم ولاولادهم وهو عين الضلال (وظنت طائفة أخرى ان القتل لا يخلص) من محن الدنيا (بل لا بد أولا من اماتة الصفات البشرية) المذمومة (وقطعها عن النفس بالكلية وان السعادة فى قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة) الشديدة (وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة) كما فعل ذلك فى بعض أولياء العجم (و بعضهم فسد عقله وجن) كما وقع ذلك لبعض أهل عبادان وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى ينكر عليهم ذلك و يقول يا أهل عبادان احفظوا عقولكم و يقول ان من ترك الدسم فسد دماغه وقد تقدم ذلك فى كتاب رياضة النفس (و بعضهم مرض) وفتر عن العمل (وأفسد عليه طريق العبادة) وهذا يقع لكثير من المتريضين (و بعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع) من قمعها (محال) ليس من الممكنات (وان الشرع تلبيس لا أصل له) ويحمل الفاظه على غير معانيه ثم تنتجه أفكاره (فوقع فى) عدة (الاتحاد) وخرج من ربقة الدين (وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله وان الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة متعبد) وتمكن الشيطان منهم فى هذا الفهم السخيف (وقواه فيهم حتى انسلخوا فعادوا الى الشهوات) واللذات (وسلكوا مسلك الاباحة) فى سائر

وطووابساط الشرع والاحكام وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة أن المقصود
من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغني عن
الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا أنه ارتفع محلهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتهنوا بالتكاليف وانما التكاليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ما يبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شئ من الدنيا ولا يطلب كل شئ من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى
لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية هم الصحابة فانه عليه السلام لما قال الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال أهل السنة والجماعة فقيل ومن أهل السنة والجماعة قال ما أنا عليه وأصحابي

ما يتناولونه (وطووابساط الشرع) على غرته (و) أبطلوا مقتضيات (الاحكام فزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم) أي كماله (حيث انهم اعتقدوا ان الله مستغن عن عبادة العباد) وهي دسيسة عظيمة هلك بها طوائف من المتصوفة لعدم اتقانهم في العلم وانما معنى غناه عز وجل تنزهه عن العلاقة مع الاغيار في الذات والصفات (وظن طائفة أخرى ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى) يتخلق بأخلاق الله تعالى (فاذا حصلت المعرفة) وحصل التخلق (فقد وصل الى المقصود اليهم وبعد الوصول) الى هذا المقام (يستغني عن الوسيلة) واعمال الحيلة فتركوا السعي والعبادة ورفضوهما بالكلية (وزعموا انهم ارتفع محلهم في معرفة الله تعالى من ان يمتهنوا) أي يزلوا (بالتكاليف) الشرعية فهم خواص الخواص (وانما التكاليف على عوام الخلق) حتى سلبوا ذلك المقام وربما تعلقوا بقوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين أي فاذا وصلت الى مقام اليقين فقد سقطت عنك العبادة ومنهم من قال سلمنا ان المراد باليقين الموت فنحن قد أمتنا نفوسنا بالكلية فارتفعت عنا تكاليف العبادة ومنهم من يعتمد ذلك فاذا دخل ضال مثله في سلكه فامره أن يغسل ويكفن ويجهز تجهيز الموتى ثم يتقدم عليه فيصلي صلاة الجنازة ثم يقول له قم فقد صرت في عداد الموتى وسقطت عنك التكاليف وكل ذلك تلبيس وضلال وشناعات وغالب الملاحدة على ذلك وبعض طوائف من جهلة الصوفية أعاذنا الله من أحوالهم (ووراء هذا) الذي أوردناه (مذاهب) أخرى (باطلة وضلالات هائلة) لا طائل تحتها (يطول احصاؤها الى ان تبلغ نيفا وسبعين فرقة) على ما أورده الشهرستاني في الملل والنحل وصاحب الشجرة وغيرهما ممن ألف في بيان الفرق الاسلامية وكلهم في النار (وانما الناجي منها فرقة واحدة) بنص الخبر الآتي (وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه) الكرام رضوان الله عليهم (وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد) المبلغ له الى الآخرة فقد ورد في الخبر وليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب (وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع و) انقياد (العقل فلا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع) طريق (العدل) والاقتصاد ولا يترك كل شئ من الدنيا ولا يطلب كل شئ من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق الله من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة) واليه الاشارة بقوله حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه (ومن المسكن) ما لا بد منه وهو (ما يحفظ عن) تطرق (اللصوص و) يحميه (عن) نكاية (الحر والبرد ومن الكسوة كذلك) أي قدر ما يستر به عورته ويكون به وقاية الحر والبرد (حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله بكنه الهمة) أي خالصها (واشتغل بالذكر والفكر) والمراقبة (طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى) والى هذا الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ليس خيركم من ترك هذه وأخذ هذه بل خيركم من أخذ من هذه لهذه يعني الدنيا والآخرة وروى الخطيب والديلمي من حديث أنس خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلا على الناس ورواه ابن عساكر بلفظ ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا فان الدنيا بلاغ الى الآخرة ولا تكونوا كلا على الناس (ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية) وقد اختلفوا في تعيين هذه الفرقة فكل يدعي حسن معتقده ويقول هو من الفرقة الناجية وهو كما قال الشاعر

وكل يدعي وصلا بليلى * وليلى لا تقر لهم بذاك

(و) الصحيح أن الفرقة الناجية (هم الصحابة) رضوان الله عليهم (فانه صلى الله عليه وسلم لما قال الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال أهل السنة والجماعة فقيل ومن اهل السنة والجماعة فقال ما انا عليه

صحابى) قال العراقى حديث افتراق الامة وفيه الناجى منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة
الحديث رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه يفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار
الا واحدة قالوا ومن هى يارسول الله قال ما أنا عليه وأصحابى ولابى داود من حديث معاوية وابن ماجه من
حديث عوف وأنس بن مالك وهى الجماعة وأسانيدها جياد اه قلت وقد روى أيضا عن أبى هريرة وسعد بن
ابى وقاص كذا ذكره الحاكم وزاد السخاوى فى المقاصد فقال وعن جابر وابى امامة وابن عمر وابن مسعود وعمر
وابن عوف وأبى الدرداء وواثلة وعلى بن ابى طالب فهؤلاء اربعة عشر وواحديث التفرق بالفاظ مختلفة ونحن
نذكر ذلك جميعه فأما حديث عبد الله بن عمرو فقد ذكره العراقى كما تراه وعزاه الى الترمذى ورواه الحاكم
فى المستدرك وانما ذكره شاهدا ورواه البزار فى مسنده وسكت عنه ورواه البيهقى فى المدخل فقال عبد الرحمن
ابن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو رفعه بلفظ ان بنى اسرائيل تفرقوا على ثنتين وسبعين ملة وان
أمتى ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة قيل وماهى يارسول الله قال ما أنا عليه وأصحابى
وأما حديث معاوية فرواه أبو داود كما أشار اليه العراقى ولفظه الا ان من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا
على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاثة وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى
الجماعة الحديث وقد رواه أيضا أحمد والدارمى والحاكم والبيهقى فى المدخل من طريق عبد الله بن لحى الهوزنى
عنه وأما حديث أنس فرواه ابن ماجه كما أشار اليه العراقى ولفظه عنده ان بنى اسرائيل افترقت على احدى
وسبعين فرقة وان أمتى ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة وهى الجماعة وكذلك رواه
ابن جرير فى التفسير ورجاله رجال الصحيح ورواه أحمد بلفظ ان بنى اسرائيل تفرقت احدى وسبعين فرقة
فهلكت سبعون فرقة وخلصت واحدة وان أمتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة تهلك احدى وسبعون
فرقة وتخلص فرقة قيل يارسول الله من تلك الفرقة قال الجماعة وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا حبيب بن
الحسن حدثنا عمرو بن حفص السدوسى ح وقال ابن مردويه فى التفسير حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا
أحمد بن يونس أيضا قالا حدثنا عاصم بن على حدثنا أبو معشر عن يعقوب بن زيد بن طلحة عن زيد بن أسلم
عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقت أمة موسى على احدى وسبعين فرقة منهم فى
النار سبعون فرقة وواحدة فى الجنة وتفرقت أمة عيسى على اثنين وسبعين فرقة منها فى الجنة واحدة واحدى
وسبعون فى النار قالوا من هم يارسول الله قال الجماعات ورواه الطبرانى فى الاوسط مختصرا بلفظ تفترق أمتى
على ثلاث وسبعين فرقة كلهن فى النار الا واحدة ما أنا عليه اليوم وأصحابى ورواه أبو يعلى فى مسنده بلفظ
تفترق هذه الامة على بضع وسبعين فرقة انى أعلم اهداها فرقة الجماعة وأما حديث عوف بن مالك فرواه ابن
ماجه كما أشار اليه العراقى ولفظه عنده افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة فواحدة فى الجنة وسبعون
فى النار وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة فاحدى وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة والذى نفس
محمد بيده لتفترقن أمتى على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة فى الجنة واثنتان فى النار قيل يارسول الله من هم قال
الجماعة ورجاله موثقون وكذلك رواه الطبرانى فى الكبير ورواه الطبرانى أيضا وابن عدى وابن عساكر باسناد
ضعيف بلفظ افترقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين فرقة وتزيد أمتى عليها فرقة ليس فيها فرقة أضر على أمتى
من قوم يقيسون الدين برأيهم فيحلون ماحرم الله ويحرمون ما أحل ورواه الحاكم بلفظ تفترق أمتى على
بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمتى قوم يقيسون الامور برأيهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال وأما
حديث أبى هريرة فأخبرناه عبد الخالق بن أبى بكر بن الزين الزبيدى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد
ابن سعيد المكى ح وأخبرناه أعلى من ذلك بدرجة شيخنا عمر بن أحمد بن عقيل الحسينى قالا أخبرنا عبد الله
ابن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا النور على بن يحيى أخبرنا يوسف بن زكريا أخبرنا محمد بن عبد
الرحمن الحافظ أخبرنا أبو الفضل أحمد بن على الحافظ أخبرنا أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين الحافظ أخبرنى

محمد بن أحمد بن محمد هبة الله أخبرنا عبد الخالق بن طرخان أخبرنا على بن نصر أنبأنا عبد الملك بن أبى القاسم أنبأنا محمد بن القاسم وأحمد بن عبد الصمد وعبد العزيز بن محمد قالوا أخبرنا عبد الجبار بن محمد أنبأنا محمد بن أحمد بن محبوب أنبأنا محمد بن عيسى الحافظ حدثنا الحسين بن حريث أبو عمار حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة هكذا رواه الترمذى وقال حسن صحيح ورواه أيضا أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى وقال أبو يعلى فى مسنده محمد بن عمرو يشك فزاد أبو داود فى روايته منها اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وزاد الترمذى كلهم فى النار الاملة واحدة قالوا من هى يارسول الله قال ما أنا عليه وأصحابى ورواه الحاكم فى المستدرك وقال احتج مسلم لمحمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة واتفقا جميعا على الاحتجاج بالفضل بن موسى وهو ثقة واستدرك عليه الذهبى فى مختصره فقال لم يحتج به منفردا ولكن مقرونا بغيره ورواه أحمد وأبو يعلى فى مسنديهما بلفظ تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة الحديث وباقى سياقه كسياق حديث أبى امامة الآتى ذكره قريبا وأما حديث سعد بن أبى وقاص فرواه ابن أبى شيبة فى مسنده فقال حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبى بكر بن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن عبيدة عن ابنة سعد عن أبيها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال افترقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين ملة وان تذهب الليالى ولا الايام حتى تفترق أمتى على مثلها وكل فرقة منها فى النار الا واحدة وهى الجماعة وكذلك رواه عبد بن حميد والبزار وفى اسنادهم ضعف وأما حديث جابر فقال أسلم بن سهل الواسطى المعروف ببحشل فى كتابه تاريخ واسط حدثنا محمد بن الهيثم حدثنا شجاع بن الوليد عن عمرو بن قيس عمن حدثه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى النار وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة كلها فى النار وان أمتى ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة فقال عمر بن الخطاب أخبرنا يارسول الله من هم قال السواد الاعظم وفى السند مجهول وأما حديث أبى امامة فرواه الطبرانى فى الكبير بلفظ تفرقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وأمتى تزيد عليهم فرقة كلها فى النار الا السواد الاعظم ورواته موثقون رواه أبو نعيم فى تاريخ أصبهان حدثنا أحمد بن جعفر بن معبد حدثنا يحيى بن مطرف حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا قريش بن حيان حدثنا أبو غالب عن أبى امامة به ورواه الضياء فى المختارة بلفظ ان بنى اسرائيل والباقى سواء وفيه وان هذه الامة ستزيد عليهم فرقة ورواه أحمد وأبو يعلى من حديث أبى هريرة مثله فى السياق الآتى فيه تفرقت اليهود بدل بنى اسرائيل وقد تقدمت الاشارة اليه وأما حديث ابن عمرو وابن مسعود فقد أشار اليهما السخاوى فى المقاصد وأما حديث عمرو بن عوف فرواه الحاكم من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده عمرو بن عوف المزنى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان بنى اسرائيل افترقت على موسى سبعين فرقة كلها ضالة الا واحدة ثم افترقت على عيسى بن مريم احدى وسبعين فرقة كلها ضالة الا واحدة وانكم تفترقون اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة الا واحدة الاسلام وجماعته وفيه قصة ورواه أيضا الطبرانى قال الحاكم وكثير ابن عبد الله لا تقوم به حجة وأما حديث أبى الدرداء وواثلة فقد أشار اليهما السخاوى فى المقاصد وأما حديث على بن أبى طالب فرواه أبو نعيم فى الحلية وابن النجار فى التاريخ بلفظ تفرقت هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة ينتحلون وتفارق أمرنا وفى سنده لين (وقد كانوا) رضى الله عنهم (على المنهج القصد) أى المتوسط بين الافراط والتفريط (وعلى السبيل الواضح الذى فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا) أى لاجل اقامة أمور الدنيا (بل للدين) وما يتوصلون بها اليه (وما كانوا يترهبون) أى ما كانوا مثل الرهابين ينتحلون (و يهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم فى الامور تفريط ولا افراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما)

وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الواضح الذى فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون و يهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم فى الامور تفريط ولا افراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما

أى معتدلا (وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين) وبه فسر قوله تعالى وكان بين ذلك قواما (وهو أحب الامور الى الله تعالى) لما ورد فى الخبر خير الامور أوساطها (كما سبق ذكره فى مواضع) من هذا الكتاب (والسلام) ولنختم الكتاب بفائدة لها تعلق بما سبق نشير اليها * اعلم انه لما احتاج الناس بعضهم الى بعض سخر الله كل واحد من كافتهم لصناعة ما يتعاطاها وجعل بين طبائعهم وصنائعهم مناسبات خفية واتفاقات سماوية لتؤثر الواحد بعد الواحد حرفة من الحرف ينشرح صدره بملابستها وتطيعه قواه لمزاولتها فاذا جعل الله صناعة أخرى فربما وجد متبلدا فيها ومتبرما بها وقد سخرهم الله لذلك لئلا يختاروا بأجمعهم صناعة واحدة فتبطل الاقوات والمعاونات ولولا ذلك لما اختاروا من الاسماء الا أحسنها ومن البلاد الا أطيبها ومن الصناعات الا أجلها ومن الاعمال الا أرفعها ولتناصروا على ذلك ولكن الله بحكمته جعل كل واحد منهم فى ذلك مجبرا فى صورة مخير فالناس اما راض بصنعة لا يريد عنها حولا كالحائك الذى يرضى بصنعته ويعيب الحجام الذى يرضى بصناعته ويعيب الحائك وبهذا انتظم أمرهم كما قال الله تعالى فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون واما كاره لها يكابدها مع كراهة لها كانه لا يجد عنها بدلا وعلى ذلك دل قول النبي صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له بل صرح تعالى فى قوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا الآية وقوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وقوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لن يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تساووا هلكوا فالتباين والتفرق والاختلاف فى نحو هذا الوضع سبب الالتئام والاجتماع والاتفاق كاختلاف صورة الكتابة وتباينها وتعددها التى لولاها لما حصل لها نظام فسبحان الله ما أحسن ما صنع وأحكم ما أسس وأتقن ما دبر تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين قد وقع الفراغ من شرح كتاب ذم الدنيا على يد مسوّدها العبد الفقير أبى الفيض محمد مرتضى الحسينى غفر له بمنه وكرمه فى آخر ساعة من نهار السبت ثامن عشرى صفر الخير من شهور سنة ١٢٠٠ حامدا الله مسلما محسبلا آمين والحمد لله رب العالمين

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)

الحمد لله الذى اليه مصائر الخلق وعواقب الامر * نحمده على عظيم احسانه ونير برهانه * ونوامى فضله وامتنانه * حمدا يكون لحقه قضاء * ولشكره اداء * والى ثوابه مقربا * ولحسن مزيده موجبا ونستعين به استعانة راج لفضله * مؤمل لنفعه * واثق بدفعه * معترف له بالطول * مذعن له بالعمل والقول * ونؤمن به ايمان من رجاه موقنا * وناب اليه مؤمنا * وخضع له مذعنا * وأخلص له موحدا وعظمه ممجدا ولاذ به راضيا مجتهدا * ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله * وصفيه وخليله المجتبى من خلائقه * والفتاح لشرح حقائقه * والمختص بعقائل كراماته والمصطفى لمكارم رسالاته الموضحة به أشراط الهدى * والمجلو به غريب الردى * صلى الله عليه وعلى آله الأئمة الاطهار * وأصحابه الفضلاء الاخيار * واتباعهم المقتفين للآثار * وسلم تسليما كثيرا * أما بعد فهذا شرح (كتاب ذم البخل وحب المال) وهو السابع من الربع الثالث من كتاب الاحياء للامام الهمام حجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى * سقى الله ثراه صوب الغمامة المخيلة الغزالى * يتضمن حل معاقده * وضبط أوابده * وضم ما انتثر من فوائده * وابانة ما خفى من اشاراته * وتوضيح ما اعتاص من مشكلات عباراته * عازيا كل قول الى قائله وكل خبر الى راويه * وكل أثر الى ناقله مرتقيا ذروة معاليه متكفلا ضبط الفاظه ومعانيه * وبالله اعتصم * وأسأله العصمة فيما يصم * مستعيذا بالله من شر الشيطان الرجيم ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم قال رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مستوجب الحمد) أى مستحقه (برزقه المبسوط) أى المنشور على عباده (وكاشف الضر) بالضم ويفتح ما يؤلم الظاهر من الجسم وهو ما يتصل بمحسوسه فى مقابلة الاذى وهو ايلام النفس وما يتصل باحوالها وتشعر الضمة فيه انه عن علو وقهر والفتحة بانه يكون من مماثل ونحوه (بعد القنوط) أى بعد الاياس من كشفه وهو رفعه ودفعه (الذى خلق الخلق) أى

وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره فى مواضع والله أعلم
تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أوّلا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(كتاب ذم البخل وذم حب المال وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط * وكاشف الضر بعد القنوط * الذى خلق الخلق

* ووسع الرزق وأفاض على العالمين أصناف الاموال * وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال * وردده‍م فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع واليأس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم أيهم أحسن عملا وينظر أيهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلاة على محمد الذى نسخ بملته مللا وطوى بشريعته أديانا ونحلا وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال أعظم فتنها وأطم محنها وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لاحد عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها فان فقد المال حصل منه الفقر الذى يكاد أن يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذى لا تكون عاقبة أمره الا خسرا وبالجلة فهى لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التى لا يقوى عليها الا ذو والبصائر فى الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ماذكرناه فى كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا فى المال خاصة بل فى الدنيا عامة اذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفى الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها أبعاض كثيرة ويجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن فى هذا الكتاب فى المال وحده اذ فيه آفات وغوائل وللانسان

المخلوقات بأسرها (ووسع الرزق) الحسى والمعنوى (وأفاض على العالمين) بمقتضى جوده المطلق (أصناف الاموال) وأنواعها من الصامت والناطق (وابتلاهم) أى نختبرهم (فيها) أى فى تلك الاموال التى أعطوها (بتقليب الاحوال) أى تغييرها من حال الى حال (ورددهم فيها) أى جعلهم مرددين فيها (بين حالتى (العسر واليسر) أى الضيق والفرج (والغنى والفقر والطمع والياس والثروة) أى الكثرة (والافلاس) أى الفقر والعدم (والعجز والاستطاعة) أى التمكن والقدرة (والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف) محركة أى الحزن (على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق) أى الافتقار والاحتياج (والتبذير) أى تفريق المال على وجه الاسراف (والتقتير) أى تقليل النفقة (والرضا بالقليل واستحقار الكثير) بان لا يكون له مقام كبير عنده (كل ذلك ليبلوهم) أى نختبرهم (أيهم أحسن عملا) أى ازهدهم فى الدنيا كما قاله الفضيل بن عياض (وينظر أيهم آثر الدنيا عن الآخرة بدلا) أى اختارها بدلا عنها (وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا) بكسر ففتح اسم بمعنى التحول والانقلاب (واتخذ الدنيا ذخيرة) يعتدها (وخولا) محركة وهو الحشم والخدم (والصلاة على) السيد الكامل (محمد الذى نسخ بملته) الحنيفية (مللا) أى ازال أحكامها وعاداتها (وطوى بشريعته اديانا ونحلا) بكسر ففتح جمع نحلة بالكسر هى الدعوة (وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا) بضمتين جمع ذليل أى اذلاء منقادين (وسلم) تسليما (كثيرا أما بعد فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف) والشعبة بالضم من الشجرة الغصن المتفرع منها والجمع شعب كغرفة وغرف (واسعة الارجاء والاكناف) والارجاء النواحى والاكناف الجوانب (ولكن الاموال أعظم فتنها وأطم) أى أعم (محنها وأعظم فتنة فيها) أى فى الاموال (أنه لا غنى عنها) ولله در المتنبى حيث قال

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى * عدوا له ما من صداقته بد

ان كان عنى بذلك المال فهو أحسن ماقيل فيه (ثم اذا وجدت فلا سلامة منها) أى من شرورها (فان فقد المال) وعدمه (حصل منه الفقر الذى يكاد أن يكون كفرا) كما ورد فى الخبر كاد الفقر ان يكون كفرا روى ذلك من حديث أنس مرفوعا ومن حديث الحسن مرسلا وقد تقدم وأخرج أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة عكرمة ان لقمان قال لابنه يابنى قد ذقت المرار فليس شئ أمر من الفقر ولذا استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم منه (وان وجد حصل منه الطغيان الذى لا يكون عاقبة أمره الا خسرا) أى انتقاصا فى رأس ماله (وبالجلة فهى لا تخلو من الفوائد والآفات) باختلاف الحالات (وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها من شرها من المعوصات) أى من المشكلات يقال أعوص الامر اذا أشكل فهمه (التى لا يقوى عليها الا ذو والبصائر فى الدين) الذين كشف الله عن بصيرتهم وأنار بنور الهداية سريرتهم أولئك (من العلماء الراسخين) أى المتمكنين فى معارفهم (دون المترسمين) الذين يعرفون من العلوم رسومها (المغترين) لما هم فيه (وشرح ذلك مهم على الانفراد) أى الاستقلال فان ماذكرناه أولا (فى كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا فى المال خاصة بل فى الدنيا عامة والدنيا تتناول كل حظ عاجل) من حظوظه (والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفى الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها أبعاض كثيرة) غير ماذكر (ويجمعها كل ما للانسان فيه حظ عاجل) كما سبق بيانه (ونظرنا الآن فى هذا الكتاب فى المال وحده اذ فيه آفات وغوائل) أى مهالك (وللانسان

من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحداهما مذمومة والاخرى محمودة والحريص

والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونحن نشرح ذلك فى أربعة عشر فصلا ان شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف فى المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر ان شاء الله تعالى

(بيان ذم المال وكراهة حبه)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسرانا عظيما وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وقال تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال تعالى ألهاكم التكاثر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر افسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه فى دين الرجل المسلم

من فقده صفة الفقر ومن وجوده صفة الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحداهما مذمومة) وهى الحرص (والاخرى محمودة) وهى القناعة ولا يكون الحرص الا اذا تناهت الشهوة عقلية كانت أو بدنية وقد يكون الحرص محمودا لكن لا فى أمور الدنيا (والحريص حالتان طمع فيما فى أيدى الناس) مما يملكونه (أو تشمر للحرف والصناعات مع اليأس من الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد) وهو فى مقابلة الفاقد (حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق) أى بذل (واحداهما مذمومة) وهى الامساك (والاخرى محمودة) وهى الانفاق (وللمنفق حالتان تبذير) فى غير محله (واقتصاد والمحمود) منهما (هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونحن نشرح ذلك فى أربعة عشر فصلا ان شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخلاء ثم مجموع الوظائف فى المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر) فهذه أربعة عشر مقاصد جعل كل مقصد فى فصل مستقل على هذا النسق والترتيب

(الفصل الاول فى بيان ذم المال وكراهة حبه) (قال الله تعالى) فى كتابه العزيز (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) أى لا تشغلكم (أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك) أى الهاء أحدهما عنه (فأولئك هم الخاسرون) فى تجارتهم المنغصون فى حظوظهم وأصل الالهاء الصرف لان اللهو منقول من لهى اذا غفل (وقال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة) أى تفتنكم عن أمور الدين وتوقعكم فى المهالك وقدم الاموال فى الآيتين تنبيها على انها أعظم أسباب الفتنة (وقال تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية) أى الى آخرها (وقال تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) أى رأى نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد (وقال تعالى ألهاكم التكاثر) أى التباهى بالكثرة فى الاموال والاولاد حتى زرتم المقابر أى حتى متم وقبرتم مضيعين أعماركم فى طلب الدنيا عما هو أهم لكم وهو السعى لاخراكم وهذا أحد الوجوه فى تفسير الآية (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل) قال العراقى لم أجده بهذا اللفظ وذكره بعد هذا بلفظ الجاه بدل الشرف اه قلت وروى أبو نعيم فى الحلية والديلمى حب الغنى ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب واختلف فى المراد به هل هو الغنى المقابل للفقر أو هو الممدود بمعنى غناء الشعر وروى الديلمى من حديث أنس الغناء واللهو ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب وقد تقدم شئ من ذلك فى كتاب آداب السماع (وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان) مثنى ذئب وما بمعنى ليس وذئبان اسمها وقوله (ضاريان) صفة له أى لهجان وفى رواية جائعان وفى أخرى عاديان (أرسلا فى زريبة غنم) أى مأواها والجملة فى محل رفع صفة (بأكثر فسادا) خبر ما والباء زائدة (فيها) أى فى الزريبة وفى رواية لها والضمير للغنم واعتبر فيه الجنسية فلذا أنث (من حب المال والجاه) هو المفضل عليه لاسم التفضيل (فى دين الرجل المسلم) ومقصود الحديث ان حب المال والجاه أكثر فسادا للدين من افساد الذئبين للغنم لان ذلك يستجر صاحبه الى ما هو مذموم شرعا قال العراقى رواه الترمذى والنسائى فى الكبرى من حديث كعب بن مالك وقال جائعان مكان ضاريان ولم يقولا فى زريبة وقال الشرف بعد الجاه قال الترمذى حسن صحيح وللطبرانى فى الاوسط من حديث أبى سعيد ما ذئبان ضاريان فى زريبة غنم الحديث وله وللبزار من حديث أبى هريرة ضاريان جائعان

جائعان واسناد الطبرانى فيهما ضعيف اه قلت وكذلك رواه أحمد وأبو يعلى فى مسنديهما قال التيمى رجالهما رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن زنجويه وعبدالله بن محمد بن عقيل وقد وثقا وقال المنذرى اسناد الترمذى جيد ولفظهم جميعا ماذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه ورواه الطبرانى والضياء فى المختارة من حديث عاصم بن عدى عن أبيه عن جده قال اشتريت أنا وأخى مائة سهم من خيبر فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ماذئبان عاديان أصابا غنما أضاعها ربها بأفسد لها من حب المال والشرف لدينه وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث اسامة بن زيد بلفظ ماذئبان ضاريان باتا فى حظيرة فيها غنم يفترسان و يأكلان بأسرع فسادا من طلب المال والشرف فى دين المسلم وقد أخرجه الضياء كذلك (وقال صلى الله عليه وسلم هلك الاكثرون الا من قال به) أى بالمال أطلق القول وأراد به العمل (فى عباد الله) أى المستحقين من الفقراء (هكذا وهكذا) وأشار (بيده وقليل ماهم) قال العراقى رواه الطبرانى من حديث عبد الرحمن بن أبزى بلفظ المكثرون ولم يقل فى عباد الله ورواه أحمد من حديث أبى سعيد بلفظ المكثرون وهو متفق عليه من حديث أبى ذر بلفظ هم الاخسرون فقال أبو ذر من هم فقال هم الاكثرون مالا الا من قال هكذا الحديث اه قلت رواه أحمد وهناد وعبد بن حميد وأبو يعلى من حديث أبى سعيد بلفظ هلك المكثرون الا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا وقليل ماهم وأما حديث أبى ذر المتفق عليه فهو ان المكثرين هم المقلون يوم القيامة الا من أعطاه الله خيرا ٧ فنفح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيرا وفى رواية ان الاكثرين هم الاقلون (وقيل يارسول الله أى أمتك أشر قال الاغنياء) قال العراقى غريب لم أجده بهذا اللفظ وللطبرانى فى الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر شرار أمتى الذين ولدوا فى النعيم وغذوا به يأكلون من الطعام ألوانا وفيه أصرم بن حوشب ضعيف ورواه هناد بن السرى فى الزهد له من رواية عروة بن رويم مرسلا وللبزار من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف ان من شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم اه قلت وحديث عبد الله بن جعفر هذا قد تقدم فى آفات اللسان وله بقية ويركبون الدواب ألوانا ويتشدقون فى الكلام وقد رواه كذلك الحاكم وصححه وتعقب والبيهقى فى الشعب ومرسل عروة بن رويم رواه هناد بن السرى فى الزهد ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية حدثنا وكيع حدثنا الاوزاعى عنه رفعه خيار أمتى الذين الحديث وفيه وشرار أمتى الذين ولدوا فى النعيم وغذوا به وانما نهمتهم ألوان الطعام والثياب ويتشدقون فى الكلام وروى مثله من حديث ابن عباس بلفظ شرار أمتى الذين ولدوا فى النعيم وغذوا فيها الذين يأكلون طيب الطعام ويلبسون لين الثياب هم شرار أمتى حقا حقا الحديث رواه الديلمى وروى مثله من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابن أبى الدنيا وابن عدى والبيهقى وقد تقدم فى ذم الغيبة (وقال صلى الله عليه وسلم سيأتى بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون ألين الثياب وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها لهم بطون من القليل لاتشبع وأنفس بالقليل لاتقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى أمرها ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لايسلم عليهم ولايعود مرضاهم ولايتبع جنائزهم ولايوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام) قال العراقى روى الطبرانى فى الكبير والاوسط من حديث أبى امامة ستكون بعدى رجال من أمتى يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون أنواع الثياب يتشدقون فى الكلام أولئك شرار أمتى وسنده ضعيف ولم أجد لباقيه أصلا اه قلت وحديث أبى امامة هذا أخرجه أيضا أبو نعيم فى الحلية وفى حديث عبد الله بن جعفر الذى ذكر قبل هذا وفيه ويركبون الدواب ألوانا وروى تمام فى جزء من حديثه من حديث على شرار أمتى وأول من يساق الى النار الاقماع من أمتى الذين اذا أكلوا لم يشبعوا

وقال صلى الله عليه وسلم هلك المكثرون الا من قال به فى عباد الله هكذا وهكذا وقليل ماهم وقيل يارسول الله أى أمتك شر قال الاغنياء

وقال صلى الله عليه وسلم سيأتى بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لاتشبع وأنفس بالكثير لاتقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى أمرها ينتهون ولهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لايسلم عليهم ولايعود مرضاهم ولايتبع جنائزهم ولايوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام

واذا جمعوا لم يستغنوا (وقال صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها) أي اتركوها لهم (من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه لنفسه ومن تلزمه مؤنته أخذ حتفه) أي هلاكه (وهو لا يشعر) بأن المأخوذ فيه هلاكه اذ هي السم القاتل قال العراقي رواه البزار من حديث أنس وفيه هانئ بن المتوكل ضعفه ابن حبان اه قلت ورواه كذلك ابن لال في مكارم الاخلاق (وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك) يا ابن آدم (من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت) رواه مسلم من حديث عبد الله ابن الشخير وأبي هريرة وقد تقدم في الكتاب الذي قبله (وقال رجل يا رسول الله مالي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك) بين يديك (فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب ان يلحقه وان خلفه أحب أن يتخلف معه) قال العراقي لم أقف عليه بل رواه ابن المبارك في الزهد عن عبد الله بن عبيد قال قال رجل فذكره وفيه هل لك مال فقدم مالك بين يديك والباقي سواء ثم رأيت بخط المحدث الشمس محمد بن أحمد بن علي الداودي تلميذ الحافظ السيوطي على هامش المغني ما نصه رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة وفيه طلحة بن عمرو ضعيف وأخرجه من وجه آخر أقوى منه لكن مرسلا اه قلت وكأنه يشير الى الذي قدمناه وعبد الله بن عبيد بن عمير الليثي المكي تابعي ثقة (وقال صلى الله عليه وسلم اخلاء ابن آدم) جمع خليل أي أصحابه (ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه الى قبره هو أهله والذي يتبعه الى محشره هو عمله) قال العراقي رواه أحمد والطبراني في الكبير والاوسط من حديث النعمان بن بشير باسناد جيد نحوه ورواه ابو داود والطيالسي وأبو الشيخ في كتاب الثواب والطبراني في الاوسط من حديث أنس بسند جيد أيضا وفي الكبير من حديث سمرة بن جندب وللشيخين من حديث أنس يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد الحديث اه قلت لفظ حديث يتبع الميت ثلاثة أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى معه عمله هكذا رواه ابن المبارك وأحمد والترمذي وقال حسن صحيح والنسائي (وقال الحواريون) وهم أصحاب عيسى عليه السلام (لعيسى بن مريم عليه السلام مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما عندي والمدر سواء) نقله صاحب القوت (وكتب سلمان الفارسي الى أبي الدرداء) رضي الله عنهما (يا أخي اياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك الا أديت حق الله في فما زال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور) قال العراقي ليس هو من حديث سلمان انما هو من حديث أبي الدرداء انه كتب الى سلمان كذا رواه البيهقي في الشعب وقال بدل الدنيا المال وهو منقطع اه قلت وكذلك رواه أبو سعيد بن منصور وابن عساكر من طريق محمد بن واسع عن أبي الدرداء رفعه يجاء بصاحب المال الذي أطاع الله فيه وماله بين يديه الحديث وقال أبو نعيم في الحلية وحدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن ابن سفيان حدثنا بشر بن الحكم حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن صاحب له ان أبا الدرداء كتب الى سلمان أخي اغتنم صحتك وفراغك الحديث وفيه يا أخي لا تجمع مالا لا تستطيع شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا يوم القيامة الذي أطاع الله فيها وهو بين يدي الله وماله خلفه الحديث وفيه بعد قوله وماله بين كتفيه فيعيره ماله ويقول له ويلك هلا عملت بطاعة الله في الحديث بطوله ثم قال ورواه ابن جابر والمطعم بن المقدام عن محمد بن واسع ان أبا الدرداء كتب الى سلمان مثله (وكل ما أوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول

يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وقال رجل يا رسول الله مالي لا أحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب أن يلحقه وان خلفه أحب أن يتخلف معه وقال صلى الله عليه وسلم أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه الى قبره فهو أهله والذي يتبعه الى محشره فهو عمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والمدر عندي سواء وكتب سلمان الفارسي الى أبي الدرداء رضي عنهما يا أخي اياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله في فما زال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور وكل ما أوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول

بتكريره

بتكريره وكذا كل ماذكرناه فى ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال أعظم أركان الدنيا وانما نذكر الآن ماورد فى المال خاصة قال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ماقدم وقال الناس ماخلف) رواه البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة يبلغ به وقد تقدم فى كتاب آداب الصحبة وفى بعض خطب على رضى الله عنه ان المرء اذا هلك قال الناس ماترك وقالت الملائكة ماقدم لله أباؤكم فقدموا بعضا يكن لكم قرضا ولا تخلفوا كلا فيكون عليكم كلا (وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة) أى العقار وهى الارض التى تزرع ويستغل منها (فتحبوا الدنيا) أى تميلوا اليها فتلهيكم عن ذكر الله ومن هنا قال بعض الحكماء الضياع مدارج الهموم وكتب الوكلاء مفاتيح الغموم وقال أيضا الضيعة ان تعهدتها ضعت وان لم تتعهدها ضاعت ووهب هشام للابرش ضيعة فسأله عنها فقال لاعهد لى بها فقال لولاان الراجع فى هبته كالراجع فى قيئه لاخذتها منك أما علمت انها انما سميت ضيعة لانها تضيع اذا تركت وسيأتى للمصنف كلام فى هذا وحاصله ان اتخاذ الضياع مما يسود القلب ويلهى عن ذكر الله تعالى ومن اتقى فى حقه ذلك جازله الاتخاذ قال العراقى رواه الترمذى والحاكم وصحح اسناده من حديث ابن مسعود بلفظ فترغبوا اه قلت أى فترغبوا فى الدنيا وكذلك رواه ابن المبارك وهناد كلاهما فى الزهد وابن جرير فى تهذيبه وفى سند الترمذى والحاكم شمر بن عطية عن المغيرة بن سعد بن الاخرم عن أبيه عن ابن مسعود ولم يخرج الستة عن هؤلاء الثلاثة غير الترمذى وقد وثقوا *(الآثار) الواردة فى ذم المال (وروى ان رجلا نال من أبى الدرداء) رضى الله عنه (وأراه سوأ فقال اللهم من فعل بى سوأ فاصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله) نقله صاحب القوت (فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه ولابدان يفضى الى الطغيان) أى التجاوز عن الحدود (ووضع على رضى الله عنه درهما على كفه ثم قال أما انك مالم تخرج عنى لا تنفعنى) نقله صاحب القوت (وروى ان عمر رضى الله عنه أرسل الى زينب بنت جحش) الاسدية أم المؤمنين رضى الله عنها (بعطائها) وهو قسمها من مال البحرين قال عبيد الله بن أبى رافع راوى الاثر (فقالت ماهذا قالوا) يعنى الرسول ومن عندها (أرسل به اليك عمر بن الخطاب) من عطائك (قالت غفر الله له) لقد كان عنده أقوى على قسمة هذا منى قال الرسول هذا كله لك وكان آلافا كثيرة فقالت سبحان الله ضعه واطرحوا عليه ثوبا (ثم حلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته فى أهل رحمها وأيتامها) وفى رواية ثم قالت للراوى ادخل يدك فاقبض منه قبضة اذهبوا بها الى بنى فلان ثم جعلت تقبض من تحت الثوب ترسله الى الايتام والمساكين حتى أنفذته (ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركنى عطاء عمر بعد عامى هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به) صلى الله عليه وسلم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرهن بذلك وهن مجتمعات عنده فقال أسرعكن لحاقا بى أطولكن باعا كما رواه مسلم والنسائى وابن حبان من حديث عائشة فلم يكن بينهن أجود بالعطاء وأسخى بالمال من زينب فاسرعت به لحاقا وهذه القصة أخرجها ابن سعد فى الطبقات بسند فيه الواقدى عن محمد بن كعب قال كان عطاء زينب بنت جحش اثنى عشر ألفا لم تأخذه الاعاما واحدا فجعلت تقول اللهم لا يدركنى هذا المال قابل فانه فتنة ثم قسمته فى أهل رحمها فى أهل الحاجة فبلغ عمر فقال هذه امرأة يراد بها خير فوقف عليها وارسل السلام وقال بلغنى مافرقت فارسل ألف درهم فسلكت به ذلك المسلك وفى الصحيحين وكانت زينب امرأة صناع اليدين فكانت تدبغ وتخرز وتصدق فى سبيل الله قال صاحب القوت وكانت بعدها عائشة رضى الله عنها فى الجود والسخاء روى هشام بن عروة عن أبيه أن معاوية بعث الى عائشة مرة بمائة ألف قال فوالله ماغابت الشمس من ذلك اليوم حتى فرقتها فقالت مولاة لها لواشتريت لنا من هذه الدراهم بدرهم لحما فقالت لوقلت لى قبل ان أفرقها فعلت (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (والله ما أعز الدرهم أحد الا أذله الله) ولفظ القوت وقال الحسن ما أعز أحد نفسه الا أهان دينه وحلف بالله ما أعز أحد الدينار والدرهم الا أذل دينه

بتكريره وكذا كل ماذكرناه فى ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال أعظم أركان الدنيا وانما نذكر الآن ماورد فى المال خاصة قال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ماقدم وقال الناس ماخلف وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا (الآثار) روى أن رجلا نال من أبى الدرداء وأراه سوأ فقال اللهم من فعل بى سوأ فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لابد وأن يفضى الى الطغيان ووضع على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما انك مالم تخرج عنى لا تنفعنى وروى أن عمر رضى الله عنه أرسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ماهذا قالوا أرسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته فى أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركنى عطاء عمر بعد عامى هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد الا أذله الله

وقيل ان أوّل ماضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا وقال سميط بن عجلان ان الدراهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل وما رقيته قال أخذه من حله ووضعه فى حقه وقال العلاء ابن زياد تمثلت لى الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقالت ان سرك أن يعيذك الله منى فابغض الدرهم والدينار وذلك لان الدرهم والدينار هما الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفى ذلك قيل

انى وجدت فلا تظنوا غيره * أن التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

وفى ذلك قيل أيضا

لا يغرنك من المرء * قميص رقعه
أو ازار فوق عظم الساق منه رفعه
أو جبين لاح فيه * أثر قد خلعه
أره الدرهم تعرف * حبه أو ورعه *

ويروى عن مسلمة ابن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقعدونى فأقعدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فانى لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وانما ولدى أحد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله فلا أبالى على ما وقع الى

وقال مرة الا أذله الله ومرة يجعل ذلك بعض العقلاء فى النفس فيقول من أراد ان يعز نفسه فليذل درهمه وما أعز أحد درهمه الا أهان نفسه (وقيل ان أوّل ماضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا) أخرجه صاحب الحلية عن وهب بن منبه (وقال سميط بن عجلان) الشيبانى البصرى وسميط يروى بالشين المعجمة والمهملة وهو اخو الاخطر بن عجلان (ان الدنانير والدراهم أزمة المنافقين يقادون بها الى النار) أى بمنزلة الازمة التى تقاد بها الدواب (وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل وما رقيته قال أخذه من حله ووضعه فى حقه) نقله صاحب القوت (وقال العلاء بن زياد) البصرى تقدم ذكره فى الكتاب الذى قبله (تمثلت لى الدنيا) بصورة (امرأة وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك قالت ان كنت تريد ان يعيذك الله منى فابغض الدرهم) أخرجه صاحب الحلية وقد تقدم فى الكتاب الذى قبله (وذلك لان الدرهم والدينار هى الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل)

(انى وجدت فلا تظنوا غيره * ان التورع عند هذا الدرهم)
(فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بان تقاك تقوى المسلم)

(وقيل أيضا)

(لا يغرنك من المر * ء قميص رقعه * أو ازار فوق عظم السا * ق منه رفعه)
(أو جبين لاح فيه * أثر قد خلعه * أره الدرهم فانظر * غيه أو ورعه)

هكذا أوردها صاحب القوت وتقدم للمصنف أيضا فى كتاب آداب السماع (ويروى عن مسلمة بن عبد الملك) بن مروان كان عالما فى علم الحدثان وزعم انه أخذه عن خالد بن يزيد بن معاوية وهو الذى بشر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بملك الاندلس وغزا مسلمة الى القسطنطينية سنة ثمان وتسعين فى البر وعمر بن هبيرة فى البحر فجازا جميعا الخليج وافتتحا مدينة العقالبة ثم عادا الى القسطنطينية ثم دخلاها وأقام المسلمون بعرصتها وبنوا وزرعوا وأكلوا من زراعتهم (انه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عند موته فقال يا أمير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم دينار ولا درهم وكان عنده ثلاثة عشر من الولد) الذكور وخمس من الاناث وقيل أربعة عشر والصحيح اثنا عشر ذكورا وست بنات كما سيأتى منهم ابراهيم وعبد الله وحفص وعبد العزيز وأما عبد الملك وسهل فانهما ماتا قبله (فقال عمر اقعدونى فاقعدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فانى لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وانما ولدى أحد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله فلا أبالى على ماوقع) أخرجه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنى أبو اسحق حدثنا محمد بن الحسن حدثنا هاشم قال لما كانت الصرعة التى هلك فيها عمر دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين انك أقفرت أفواه ولدك من هذا المال فتركتهم على لاشئ لهم ولو أوصيت لهم الى أو الى نظرائى من أهل بيتك قال فقال اسندونى ثم قال أما قولك انى أقفرت أفواه ولدى من هذا المال فانى والله ما منعتهم حقا هو لهم ولم أعطهم ما ليس لهم وأما قولك لو أوصيت بهم الى أو الى نظرائى من أهل بيتك فان وصيى وولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين بنى أحد رجلين اما رجل يتقى الله فسيجعل الله له مخرجا واما رجل مكب على المعاصى فانى لم أكن لاقويه على معصية ثم بعث اليهم وهم بضعة عشر ذكرا قال فنظر اليهم فذرفت عيناه فبكى ثم قال بنفسى الفتية الذين تركتهم على لاشئ لهم بل بحمد الله تركتهم على خير أى بنى انكم لن تلقوا أحدا من العرب ولا من المعاهدين الا ان لكم عليهم حقا يا بنى ان أباكم مثل بين أمرين بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار وأن تفتقروا ويدخل الجنة فكان ان تفتقروا ويدخل الجنة أحب اليه من أن تستغنوا ويدخل النار قوموا عصمكم الله وبالسند المذكور

الى أحمد بن ابراهيم قال حدثنا سهل بن محمود حدثنا عمر بن حفص المعيطى حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال قلت كم ترك لكم عمر من المال فتبسم وقال حدثني مولى لنا كان يلي نفقته قال قال لي عمر حين احتضر كم عندك من المال قال قلت أربعة عشر دينارا قال فقال تحتملون بها من منزل الى منزل فقلت كم ترك لكم من الغلة قال ترك لنا غلة ستمائة دينار ورثناها عنه وثلاثمائة دينار ورثناها عن أخينا عبد الملك وتركنا اثنى عشر ذكرا وست نسوة اقتسمنا ماله على خمس عشرة (وروى ان محمد بن كعب القرظى) التابعي المدني الثقة (أصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال ولكنى أدخره لنفسى عند ربى وأدخر ربى لولدى) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (ويروى ان رجلا قال لابى عبد رب) الدمشقى الزاهد ويقال أبو عبد ربه ويقال أبو عبد رب العزة مولى ابن غيلان الثقفى ويقال مولى بنى عذرة وقيل اسمه عبد الجبار وقيل عبد الرحمن وقيل قسطنطين روى عن معاوية وعنه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر روى له ابن ماجه (يا أخى لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير فخرج أبو عبد رب من ماله مائة ألف درهم) رواه أبو نعيم فى الحلية من طريق سعيد بن عبد العزيز بلفظ خرج من عشرة آلاف دينار أو من مائة ألف (وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله) نقله صاحب القوت وكان عون بن عبد الله المسعودى أوصى بضيعة له تباع بعد موته ويتصدق بها فقيل له تدع عيالك فقال أقدم هذا لنفسى وادخر الله لعيالى وجاءته مرة خمسون ألفا فقيل له اعتقدها لولدك قال اعتقدها لنفسى واعتقد الله لولدى

(بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الله تعالى قد سمى المال خيرا فى مواضع من كتابه العزيز) وبيانه ان الخير لغة ضد الشر وهو ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلا والعدل والفضل والشئ النافع وقيل الخير ضربان خير مطلق وهو ما يكون مرغوبا فيه بكل حال وعند كل أحد كما وصف صلى الله عليه وسلم به الجنة فقال لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة وخير وشر مقيدان وهو أن خير الواحد شر لآخر كالمال الذى ربما يكون خيرا لزيد وشرا لعمرو ولذلك وصفه الله تعالى بالامرين (فقال) فى موضع (ان ترك خيرا الآية) وتمام الآية الوصية للوالدين والاقربين وقال فى موضع آخر أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات فقوله ان ترك خيرا أى مالا وقال بعض العلماء لا يقال للمال خير حتى يكون كثيرا ومن مكان طيب كما روى ان عليا رضى الله عنه دخل على مولى له فقال الا أوصى يا أمير المؤمنين قال لا لان الله تعالى قال ان ترك خيرا وليس لك مال كثير وعلى هذا أيضا قوله تعالى انه لحب الخير لشديد أى لحب المال وقال بعض العلماء انما سمى المال خيرا تنبيها على معنى لطيف وهو ان المال يحسن الوصية به ما كان مجموعا من وجه محمود وعلى ذلك أيضا قوله تعالى وما تنفقوا من خير يعلمه الله وقوله وكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قيل عنى به مالا من جهتهم قيل ان علمتم ان اعتقدتم يعود عليكم وعليهم بنفع أى ثواب وكذلك قوله تعالى لا يسأم الانسان من دعاء الخير أى لا يفتر من طلب المال وما يصلح دنياه فهذه المواضع التى أطلق فيها الخير وأريد به المال وقد بينت ذلك فى شرحى على القاموس (وقال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح) قال العراقى رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والاوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح بلفظ نعما وقال للمرء (وكل ما جاء فى ثواب الصدقة والحج فهذا ثناء على المال) ضمنا (اذ لا يمكن الوصول اليهما الا به وقال تعالى) فى قصة موسى والخضر عليهما السلام وكان أبوهما صالحا فاراد ربك أن يبلغا أشدهما (ويستخرجا كنزهما) من ذهب وفضة (رحمة من ربك) أى مرحومين من ربك قال البيضاوى ويجوز ان يكون علة أو مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك (وقال تعالى ممتنا على عباده) فى حكاية عن بعض أنبيائه فيما خاطب به أمته استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم

وروى أن محمد بن كعب القرظى أصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكنى أدخره لنفسى عند ربى وأدخر ربى لولدى ويروى أن رجلا قال لابى عبد ربه يا أخى لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير فأخرج أبو عبد ربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما العبد فى ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله

(بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم) اعلم أن الله تعالى قد سمى المال خيرا فى مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز ان ترك خيرا الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء فى ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليهما الا به وقال تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال تعالى ممتنا على عباده

مدرارا (ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) وفيه بيان لعظم موقع المال عنده لايتجاوز المحسوسات (وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا) رواه أبو مسلم الكشي في سننه والبيهقي في الشعب من حديث أنس وقد تقدم الكلام عليه في كتاب ذم الغضب (وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجوه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض) أى مطلقا (ولا هو شر محض) مطلقا (بل هو سبب الامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لامحالة تارة ويذم أخرى ولكن البصير المميز) يعرف انه (يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم) وهى كثيرة غير محصاة على التفصيل كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ولكنها بالاجمال على خمسة أنواع وهى أخروية ونفسية وبدنية وخارجية وتوفيقية (والقدر المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس) أى العقلاء (وأرباب البصائر) أى المعارف الذوقية (سعادة الآخرة) وهى أعلى أنواع النعم الخمسة (التى هى النعيم الدائم) بلا زوال (والملك المقيم) بلا انتقال واياها اقصد بقوله تعالى وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين الآية وذلك هو الخير المحض والفضيلة الصرف وهو أربعة أشياء بقاء بلا افناء وقدرة بلا عجز وعلم بلا جهل وغنى بلا فقر (والقصد الى هذا دأب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس وأكيسهم) أى من أفضلهم كرامة وأكثرهم كياسة (فقال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا) قال العراقى رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ أى المرتبة أكيس ورواه ابن أبى الدنيا فى الموت بلفظ المصنف واسناده جيد (وهذه السعادة لاتنال الا بثلاث وسائل فى الدنيا وهى الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب) يعنى ان سعادة الآخرة منوطة بتحصيل هذه الفضائل الثلاثة والسعى فيها واستعمالها كما قال تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها الآية وأصول الفضائل النفسية أربعة العقل وكماله العلم والعفة وكمالها الورع والشجاعة وكمالها المجاهدة والعدالة وكمالها الانصاف وهى المعبر عنها بالدين ويكمل ذلك بالفضائل البدنية وهى أربعة أشياء الصحة والقوة والجمال وطول العمر وبالفضائل المطيفة بالانسان وهى الخارجة عن البدن وهى أربعة أشياء المال والاهل والعز وكرم العشيرة ولا سبيل الى تحصيل ذلك الا بتوفيق الله عز وجل وذلك بأربعة أشياء هدايته ورشده وتسديده وتأييده فجميع ذلك خمسة أنواع هى عشرون من ضرب خمسة فى أربعة ليس للانسان مدخل فى اكتسابها الا فيما هو نفسى فقط والسعادة الحقيقية هى الخيرات الاخروية وما عداها فتسميته بذلك اما لكونه معاونا فى بلوغ ذلك أو نافعا فيه فكل ما أعان على خير سعادة والاشياء التى هى معينة ونافعة فى بلوغ السعادة الاخروية متفاوتة الاحوال فمنها ما هو نافع فى جميع الاحوال على كل وجه ومنها ما هو نافع فى حال دون حال وعلى وجه دون وجه وربما يكون ضره أكثر من نفعه فحق الانسان ان يعرفها بحقائقها حتى لايقع عليه الخطأ فى اختياره الوضيع على الرفيع وتقديمه الخسيس على النفيس* ان قيل ما الخير والسعادة والفضيلة والنافع وهل بين هذه الاربعة فرق قيل أما الخير المطلق فهو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لاجله وهو الذى تشوقه كل عاقل وأما السعادة المطلقة فحسن الحياة فى الآخرة وهى الاربع التى تقدم ذكرها وقد يقال لما يتوصل به الى هذه السعادات الاربعة سعادة وهى الستة عشر المتقدمة ويضادها الشقاوة وأما الفضيلة فاسم لما يحصل به الانسان مزية على الغير وهو اسم لما يتوصل به الى السعادة ويضادها الرذيلة وأما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير وهو ضربان ضرورى وهو ما لايكون الوصول الى المطلوب الا به كالعلم والعمل الصالح للمكلفين فى البلوغ الى النعيم الدائم وغير ضرورى وهو الذى قد يسد غيره مسده كالسكنجبين فى كونه نافعا فى قمع الصفراء فان ذلك قد يسد غيره

ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بعد الذم والمدح الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لامحالة تارة ويذم أخرى ولكن البصير المميز يدرك أن المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه فى كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو أن يقصد الاكياس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التى هى النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا دأب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس وأكيسهم فقال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا وهذه السعادة لاتنال الا بثلاث وسائل فى الدنيا وهى الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب

وأعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجات وأدناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هي الجوهر النفيس المطلوب سعادتها وأنها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصيلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق أن المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية متلفتا اليها غير ناس لها فقد أحسن وانتفع وكان ما حصل له الغرض محمودا في حقه فاذا المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح أن يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذا محمود مذموم محمود بالاضافة الى المقصد المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصد المذموم فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع

مسده وكل نافع فقد يسمى فضيلة وسعادة وخيرا لكونه مبلغا الى ذلك وقول المصنف وهذه السعادة لا تنال الخ يشير به الى ان بعض الفضائل محتاج الى بعض اما حاجة ضرورية بحيث لو لم يوجد ذلك لم يصح وجود الآخر أو حاجة نافعة بحيث لو لم يوجد لاختل حال الآخر وذلك ان السعادة الحقيقية الاخروية لا سبيل الى الوصول اليها الا باكتساب الفضائل النفسية ولا سبيل الى تحصيل هذه الا بصحة البدن وقوته وانه لا تغنى الفضائل النفسية والبدنية عن الفضائل الخارجة فانه ان أمكن ان يتصور حصولها لمن لا مال له ولا أهل ولا عشيرة فانها لا تكمل الا بها (وأعلاها) أي تلك الفضائل (النفسية ثم البدنية ثم الخارجة) المطيفة بالانسان (فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجات) فصاحبه يتمكن من الفضائل اذا فقده يشكل بلوغها والفقير في تحري المكارم كساع الى الهيجاء بغير سلاح أو كباز متصيد بلا جناح ولله در من قال

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

ومن جملة الخارجات الاهل فنعم العون على بلوغ السعادة قال الشاعر

ألم تر ان جمع القوم يخشى * وان حريم واحدهم مباح

والعز فيه يتأبى عن حمل الذل ومن لا عز له لا يمكنه ان يذود عن حريمه وكرم العشيرة فانه مخيلة لكرم الفرع وقال الشاعر

ان السري اذا سرى فبنفسه * وابن السري اذا سرى أسراهما

واذا علمت ذلك فالق سمعك الى ان المال اذا اعتبر لكونه أحد أسباب الحياة الدنيوية فهو عظيم الخطر لانك متى توهمته مرتفعا يعسر على الناس تزجية معاشهم وقد تقدم ان الناس يحتاج بعضهم الى بعض ولا يمكنهم التعايش ما لم يتظاهروا واذا اعتبر بسائر القنيات فهو صغير الخطر اذ هو أخس القنيات والقنيات ثلاث نفسية وبدنية وخارجة والخارجة دونها (وأدناها) أي الخارجات الناض المتعامل به وهو الدراهم والدنانير فانهما خادمان) غير مخدومين (ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما) فانا لو تصورنا ارتفاع الضرورات التي بها يستدفع لكانت هي والحصباء سواء وسائر القنيات خادم من وجه ومخدوم من وجه (اذ النفس هي الجوهر الشريف المطلوب سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصيلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم) والمشارب (والملابس تخدم البدن) والمآكل والملابس يخدمهما المال فالمال من حيث ان يكون خادما لغيره من القنيات وان لا يكون شيء من القنيات خادما وان كان كثير من الناس بجهلهم يجعلون جاههم وأبدانهم ونفوسهم خدما لمالهم وعبيدا (وقد سبق ان المقصود من المطاعم ابقاء) مسكة (البدن ومن المناكح) صورة (ابقاء النسل ومن البدن تكميل) هيئة (النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق) وان كان جماله وسمنه وحسن حاله مرغوبا فيها الا ان المقصود هو ما ذكره المصنف (ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير) ولذلك جعل من الخيرات المتوسطة (ومن عرف فائدة الشيء وغايته) التي ينتهى اليها (ومقصده) منه (واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها) جاعلا تلك نصب عينيه (غير ناس لها فقد أحسن) في صنيعه (وانتفع) بعمله (وكان ما حصل له الغرض) الذي هو بصدده (محمودا في حقه فاذا المال آلة) لتحصيل الفضائل (ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ) أيضا (آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة) أي المانعة (من سعادة الآخرة) أي عن تحصيلها (وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذا محمود مذموم محمود بالاضافة الى المقصد المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصد المذموم) وبه اتضح وجه كونه من الخيرات المتوسطة (فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه) هو ومن تلزمه مؤنته (فقد أخذ حتفه) أي هلاكه (وهو لا يشعر) بهلاكه (كما ورد به الخبر) الذي تقدم قريبا وأوله دعوا الدنيا لاهلها وتقدم تخريجه والكلام عليه (ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع

الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها) لتلك الشهوات (وآلة اليها أعظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية) والحاجة (فاستعاذ الانبياء) عليهم السلام (من شره حتى قال نبينا صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا) القوت ما يسد به الرمق سمى به لحصول القوة والكفاف مالا يفضل من الشئ ويكون بقدر الحاجة والمراد بآل محمد زوجاته ومن فى نفقته أو مؤمنو بنى هاشم وأتقياء امته والحمل على الاعم أتم قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة انتهى قلت الذى فى المتفق عليه اللهم ارزق آل محمد قوتا وعند مسلم وحده اللهم ارزق آل محمد كفافا وعنده أيضا وكذلك أحمد والترمذى وابن ماجه اللهم اجعل رزق آل محمد فى الدنيا قوتا وفى لفظ كفافا والمعنى اجعل رزقهم بلغة تسد رمقهم وتمسك قوتهم بحيث لا ترهقهم الفاقة ولا تذلهم المسئلة ولا يكون فيه فضول يصل الى ترفه وتبسط ليسلموا من آفات الغنى والفقر (فلم يطلب لهم (من الدنيا الا ما يتمحض خيره وقال) صلى الله عليه وسلم أيضا (اللهم احينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة) رواه الترمذى فى الزهد من جامعه والبيهقى فى الشعب من طريق ثابت بن محمد حدثنا الحارث بن النعمان عن أنس رفعه باللفظ المذكور وفيه زيادة فقالت عائشة يارسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا ورواه ابن ماجه الى قوله زمرة المساكين من طريق عطاء بن أبى رباح عن أبى سعيد قال احبوا المساكين فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه وذكره ورواه الطبرانى فى الدعاء بدون قول أبى سعيد وبلفظ وتوفنى وفى لفظ عنده اللهم توفنى اليك فقيرا ولا توفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة وأخرجه الحاكم وصححه بزيادة وان أشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة وقد تقدم الكلام عليه (واستعاذ ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال) الله تعالى فى كتابه حكاية عنه (واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام) اعلم ان الناض الذى هو العين والورق حجر جعله الله تعالى سببا للتعامل به كما تقدم ذكره وخادم كما ذكره فقبيح بالحر المترشح لنيل الفضائل والاقتداء بالبار جل ثناؤه والوصول الى الغنى الاكبر ان يتهافت بأكثر مما يحتاج اليه ويجعل نفسه أقل رقيق وأخسه فيرق ذوى الاطماع برق خلب ويكون معتكفا فيه على حجر يعبده على ما قال يعكفون على أصنام لهم (و) انما (عنى) ابراهيم عليه السلام (به) أى بقوله المذكور فى سؤاله من ربه ان يجنبه وبنيه عبادة (هذين الحجرين الذهب والفضة) والمراد بهما الاعراض الدنيوية الصارفة عن الله (اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان يعتقد) هو وبنوه (الالهية) واستحقاق العبادة (فى شئ من هذه الحجارة اذ قد كفى قبل النبوة عبادتها مع الصغر وانما معنى عبادته حبه والاغترار به والركون اليه) وقد قال فى موضع آخر اشارة الى ما يعم هذا المعنى وغيره يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ (قال نبينا صلى الله عليه وسلم) فى ذم من يجعل جاهه وبدنه ونفسه خادما للمال وعبدا (تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم) قال فى المصباح تعس تعسا من باب نفع أكب على وجهه وعثر وقيل هلك وقيل لزمه الشر وهو تاعس وتعس من باب تعب لغة فهو تعس مثل تعب وفى الدعاء تعسا له وتعس وانتكس فالتعس ان يخر لوجهه والنكس ان لا يستقل بعد سقطه حتى يسقط ثانية وهى أشد من الاولى (تعس ولا انتعش) يقال انتعش العاثر نهض من عثرته ونعشه الله وأنعشه أقامه (واذا شيك) أى أصاب رجله الشوك (فلا انتقش) أى لا أخرج الله منه ذلك يقال نقشت الشوكة نقشا وانتقشتها اذا استخرجتها بالمنقاش قال العراقى رواه البخارى من حديث أبى هريرة وأبو يعلى ولم يقل ولا انتقش وانما قال آخره بلفظ تعس وانتكس ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم انتهى قلت رواه البخارى من طريق أبى بكر بن عياش عن أبى حصين عن أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعا وفى لفظ للعسكرى من طريق الحسن عن أبى هريرة مرفوعا لعن بدل تعس وسياق حديث ابن ماجه بعد قوله الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة ان أعطى رضى وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه الحديث وعزاه السيوطى فى الجامع الكبير للبخارى أيضا وتقدم للمصنف فى كتاب النكاح

الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة اليها اعظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض خيره وقال اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين واستعاذ ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعتقد الالهية فى شئ من هذه الحجارة اذ قد كفى قبل النبوة عبادتها مع الصغر وانما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون اليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش

فبين أن محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عبد الغير الله فهو عابد صنم أى من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كعابد صنم وهو شرك الا أن الشرك شركان شرك خفى لا يوجب الخلود فى النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فانه أخفى من دبيب النمل وشرك جلى يوجب الخلود فى النار نعوذ بالله من الجميع

(بيان تفصيل آفات المال وفوائده) اعلم أن المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره *(أما الفوائد)* فهى تنقسم الى دنيوية ودينية *أما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها* وأما الدينية فتنحصر جميعها فى ثلاثة أنواع (النوع الاول) أن ينفقه على نفسه امافى عبادة أو فى الاستعانة على عبادة امافى العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلهما واما فيما يقويه على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب مصروفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين ومالا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة

تعس عبد الزوجة تبعا لصاحب القوت وقد ذكر العراقى هنالك انه لم يجد له أصلا (فبين أن محبهما عبد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عبد الغير الله فهو عابد صنم) أى ان الغير يكون فى حقه بمنزلة الصنم الذى يعبده المشركون وأخبث حالا منه الذى يتقرب الى الاعراض بما يتقرب به الى الله تعالى كاسمائه تعالى وآيات كتابه اذا اتخذت ذريعة لتحصيل الدنيا وكونه أخبث حالا من المشركين لان المشركين ادعوا انهم يعبدون الحجارة لتقربهم الى الله زلفى وهؤلاء يلازمون الاسماء والدعوات لتقربهم الى الدنيا زلفى ولا يخفى قبحه (وهو شرك الا ان الشرك شركان شرك خفى لا يوجب الخلود فى النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فانه أخفى من دبيب النمل) فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد فى الخبر الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمل على الصفا رواه الحكيم من حديث ابن عباس ورواه البزار من حديث عائشة بسند ضعيف وروى هناد بن السرى والحكيم وأبو يعلى وابن المنذر وابن السنى فى عمل يوم وليلة من حديث أبى بكر بسند حسن الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شئ اذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره الحديث (وشرك جلى يوجب الخلود فى النار) وهو عدم الايمان بالله ورسله نعوذ بالله من ذلك

(بيان تفصيل آفات المال وفوائده)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان المال مثل حية فيها سم وترياق) فسمها فى فمها وترياقها فى لحمها (ففوائده ترياقه) النافع (وغوائله سمومه) المهلكة (فمن عرف فوائده وغوائله أمكنه ان يحترز من سمه ويستدر من خيره) ويدعى ذلك فالحكيم بتناوله له يجرى مجرى راق حاذق تناول حية قد عرف نفعها وضرها وأمن شرها وسمها فيتحرى بتناوله الوجه الذى ينتفع هو به وينفع غيره فهو مباح له تناوله وغير الحكيم اذا تناوله فهو الجاهل استحسن الحية واستلان مسها فظن انها مستصلحة لان يتقلدها فجعلها سخابا فى عنقه فلدغته وقتلته وكما لا يجوز للجاهل بالرقية غير العارف بنفع الحية ان يقتدى بالراقى فى تناول الحية والتصرف فيها كذلك لا يجوز للجاهل ان يقتدى بالحكيم فى اعراض الدنيا وكما انه محال ان يسلك الاعمى طريقا وعرا يسلكه البصير من غير قائد اذ هو غير آمن ان يقع فى وهدة كذلك محال ان يسلك مستبد برأيه فى تناول اعراض الدنيا طريقا يسلكه الحكيم العالم اذ هو غير آمن ان يقع فى هاوية وكما ان الغانية لا يجوز ان يدخل عليها ويخلو بها من الرجال الا من كان مجبوبا يؤمن عليها كذلك الدنيا لا يجوز ان يتمكن منها الا المقطوع عنها بالعفة والزهد لئلا تغره وذلك كامير المؤمنين على رضى الله عنه حيث قال يا حمراء يا بيضاء احمرى وابيضى وغرى غيرى ومن تصور ذلك علم ان الله تعالى قد أباح الدنيا كلها الاوليائه علما بانهم لا يتناولونها الا على ما يجب وكما يجب واذا تناولوها وضعوها كما يجب وحيثما يجب وعلى هذا قوله تعالى ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال تعالى يرثها عبادى الصالحون فافهم ذلك (أما الفوائد فهى تنقسم الى دنيوية ودينية أما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها وأما الدينية فتنحصر جميعها فى ثلاثة أنواع النوع الاول ان ينفقه على نفسه) وذلك (امافى عبادة) لله تعالى كاف بها (أوفى الاستعانة على عبادة امافى العبادة فهو كالاستعانة به على الحج) الى بيت الله الحرام (والجهاد) مع الكفار (فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال) فمن لا مال له كيف يحج أو كيف يجاهد (وهما من أمهات القربات والفقير محروم عن فضلهما) ومن هنا قول الشاعر

المرء يرفعه الغنى * والفقر منقصة وذل

وفى الخبر نعم العون على تقوى المال (واما فيما يقويه على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة) التى لا يستغنى عنها الانسان (فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب منصرفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين ومالا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة

على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل فى هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط (النوع الثانى) ما يصرفه الى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام * أما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم * وأما المروءة (١٥٤) فنعنى بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف فى ضيافة وهدية واعانة وما يجرى مجراها فان هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا أن هذا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والفتوة وهذا أيضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة فى الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة فى مصارفها * وأما وقاية العرض فنعنى به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضا مع تنجز فائدته فى العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التى تحمل فى المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة * وأما الاستخدام فهو أن الاعمال التى يحتاج اليها الانسان لتهيئة أسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذى هو أعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذى يحتاج اليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأنت متعوب اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر ما لا يتصور أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت فى

على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل فى هذا التنعم) والتلذذ (والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط) وليس للآخرة فيها حظ (النوع الثانى ما يصرفه الى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض واجرة الاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها التطفئ غضب الرب) كما ورد ذلك فى الخبر وفيها انها فكاك من النار وتمنع ميتة السوء وتزيد فى العمر وتقى مصارع السوء وتمنع سبعين نوعا من أنواع البلاء أهونها الجذام والبرص وكل ذلك فى الاخبار (وقد ذكرنا فضائلها) فيما تقدم فى كتاب الزكاة (وأما المروءة) وقد اختلف فى اشتقاقها هل هى من مرئ أو من المرء وعلى أى حال (فنعنى بها) هنا جملة الاخلاق المستحسنة التى منها (صرف المال الى الاغنياء والاشراف من ضيافة وهدية واعانة) للاخ فى مضايقه (وما يجرى مجراه فان هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى محتاج) وهذا يصرفه الى غير محتاج (الا ان هذا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء) والاجواد (فلا يتصف بالجود الا من يصنع المعروف) مع اشراف الناس ووجوههم (ويسلك سبيل الفتوة والمروءة) ومن هنا قيل لمعاوية رحمه الله تعالى ما المروءة فقال اطعام الطعام وضرب الهام وقيل لآخر ما المروأة فقال جماعها فى قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وأما الفتوة فهى الايثار بالدنيا على نفسه (وهذا أيضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة فى الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة فى مصارفها) مما تقدم ذكر بعضها فى آداب الكسب وفى آداب الاكل وفى آداب الصحبة الا ان من جاد بماله لاجل الناس كان موصوفا بالسخاء ولكن ذلك لنفسه ولاجل هواه فهو موصوف بظاهر المروءة وبمعنى الفتوة ولا أجر له فى الآخرة لانه عمل لاجل نفسه لا لاجل ربه وحصل فى الدنيا شكره وذكره وتعويضاته من حرث الآخرة لان هذا حرث الدنيا فلم يكن فى الآخرة اضعافا كثيرة (وأما وقاية العرض فنعنى به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضا مع تنجز فائدته فى العاجل من الحظوظ الدينية أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى به المرء عرضه كتب له صدقة) رواه أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم ورواه الطيالسى ما وقى به المؤمن عرضه فهو له صدقة ورواه العسكرى فى الامثال والقضاعى فى مسند الشهاب من طريق عبد الحميد بن الحسن الهلالى عن محمد بن المنكدر عن جابر بلفظ ما وقى به المؤمن عرضه فهو له صدقة زاد القضاعى وما انفق الرجل على أهله ونفسه كتب له صدقة فقلت لمحمد بن المنكدر وما معنى ما وقى به المرء عرضه فقال أن يعطى الشاعر أو ذا اللسان المتقى (وكيف لا) يكون ذلك (وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التى تحمل فى المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة واما الاستخدام فهو ان الاعمال التى يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو) فرض انه (تولاها بنفسه ضاعت أوقاته) فيها (وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر) فى جلائل عظمة الله تعالى (والذكر الذى هو أعلى مقامات السالكين) وبهما يتوصلون الى معرفة الله تعالى (ومن لا مال له فيفتقر الى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام) من السوق (وطبخه) وطحنه وعجنه (وكنس البيت) وغير ذلك من اللوازم (حتى نسخ الكتاب الذى يحتاج اليه) فى امور دينه فانه من اللوازم الضرورية (وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فانت متعوب) خاسر الحظ (اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت

في غيره خسران *(النوع الثالث)* ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب الحباب في الطريق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين الى أوقات متمادية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية (وأما الآفات) فدينية ودنيوية أما الدينية فثلاث

في غيره خسران) وانتقاص حظ (النوع الثالث ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام) للمسلمين (كبناء المساجد) أي احداثها في محلات قوم يحتاجون اليها أو تعميرها ورم ما تشعث منها وتجديد مرافقها (والقناطر) في طريق العامة في المواضع المحتاج اليها (والرباطات) لابناء السبيل وادرار الرزق عليها (ودور المرضى) وتقييد من يخدمهم وينظر في مصالحهم ورتبها يصرف الى أدويتهم (ونصب الحباب) جمع حب أي مخازن المياه (في الطرق) المسلوكة خصوصا في طريق الحرمين لعموم النفع بذلك (وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين الى أوقات متمادية) أي متطاولة (وناهيك بها خيرا عظيما فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال) فان السؤال مطلقا ذل ولو أين الطريق (و) من الخلاص من (حقارة الفقر) فان الفقير حقير دائما بمعنى انه تستحقره النفوس والعيون كما قال الشاعر

والمرء يرفعه الغنى * والفقر منقصة وذل

(والوصول الى العز والمجد بين الخلق) كما قال المتنبي

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

(وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار) عند الناس (والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ) العاجلة (الدنيوية وأما الآفات فدينية ودنيوية اما الدينية فثلاثة الاول أن يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية) والنفس جموح (والعجز قد يحول بين المرء والمعصية) كما قيل (ومن العصمة ان لا تقدر) وفي لفظ أن لا تجد (ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته) اليها الياس منها (فان استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته) وتحركت شهوته (والمال من) تمام (القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه) وركب هوى نفسه (هلك وان صبر وقع في شدة) وساء خلقه (اذ الصبر مع القدرة أشد) من الصبر مع العجز (وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء) ولذا ورد اني أخشى عليكم فتنة السراء (الثانية ان يجر الى التنعم في المباحات وهذا أول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن) من صوف أو قطن (ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام في ملكه) كما تقدم في الكتاب الذي قبله (فأحسن أحواله أن يتنعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه) أي تتعود (فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض فاذا اشتد أنسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال) لضيقه (فيقتحم) أي يدخل (الشبهات) ويرتكبها (ويخوض في المراياة) مع الناس (والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الردية) من هذا الجنس (لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد وأن ينافقهم) بأن يظهر لهم خلاف ما يبطنه (ويعصي الله في طلب رضاهم) لاجل مصلحة المال (فان سلم انسان من الآفة الاولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه) الآفة (أصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور

(الاولى) أن تجرا الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء والمعصية ومن العصمة أن لا تجد ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة أشد وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء (الثانية) أنه يجر الى التنعم في المباحات وهذا أول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام في ملكه

فأحسن أحواله أن يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض فاذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراآة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الردية لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه فان كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد وأن ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فان سلم الانسان من الآفة الاولى وهي مباشرة الحظوظ فلا يسلم عن هذه أصلا ومن الحاجة الى الخلق

تثور

العداوة والصدقة و ينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنميمة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي أيضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه (الثالثة) وهي التي لا ينفك عنها أحد وهو أنه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ماشغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام في المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حله فقيل ان أخذه من حله فقال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والتفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وفي خصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء على التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر أصناف الاموال وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس عنه وأودية أفكار الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الاموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ المال وكسبه فاذا ترياق المال أخذ القوت منه وصرف الباقي الى الخيرات وما عدا ذلك سموم وآفات نسأل الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه وكرمه انه على ذلك قدير

(بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس)

اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعا

(منقطع

العداوة والصداقة وينبني عليه الحقد والحسد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي أيضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه) وتنميته والوقوف بازائه (الثالثة وهي التي لا ينفك عنها أحد وهو أن يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ماشغل العبد عن الله فهو خسران) ونقص حظ في حقه (ولذلك قال عيسى عليه السلام في المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حله) وهي الاولى (فقيل ان أخذه من حله فقال يضعه في غير حقه) وهي الثانية (فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله تعالى) وهي الثالثة (وهذا هو الداء العضال) الذي أعيت عنه الاطباء (فان أصل العبادات ومخها وسرها) أي خلاصتها (ذكر الله تعالى والتفكر في جلاله وعظمته وكبريائه وذلك يستدعي قلبا فارغا) عن الشواغل الحسية والمعنوية والمشوشات الخارجة والداخلة (وصاحب) المال بانواعه لا يكاد يفارقه الشغل الظاهر والباطن فانه اما ضيعة يستغلها واما تجارة في أصناف الامتعة أو غير ذلك فصاحب (الضيعة) له شواغل كثيرة فانه (يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح) الذي يتقيد بزراعة الارض (ومحاسبته) على ما تخرجه الارض من أصناف الحبوب (و) هذا ان لم يكن له شركاء في حصته فان كانوا فلا يسلم أن يشتغل (في خصومة الشركاء ومنازعتهم) في المحاسبة والا فمع جيرانه ينازعهم (في) قسمة (الماء) الذي يسقي به أرضه (و) في (الحدود) وكم من دماء تراق في غير حق عند قسم الماء وتعيين الحدود (و) ان سلم من هذه الآفات فلا يكاد يسلم من (خصومة أعوان السلطان في) مطالبة (الخراج) فانهم يطالبونه باكثر مما هو لهم فتقع الخصومة (و) ان سلم منها لا يسلم من (خصومة الاجراء على التقصير في العمارة) للضيعة والقيام باودها (و) هو مع ذلك لم يزل في (خصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم) ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا رواه ابن مسعود وقد تقدم قريبا هذا حال صاحب الضيعة (و) أما (صاحب التجارة) فانه (يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح) دونه (وتقصيره في العمل وتضييعه للمال) فمتى يفرغ قلبه ويصفو فكره في ذكر الله ومعرفته (وكذلك صاحب المواشي) المتخذة للتجارة فانه كذلك في شغل شاغل (وهكذا سائر أصناف الاموال) على تباينها (وابعدها عن كثرة الشغل النقد) من العين والورق (المكنوز تحت الارض) أو في الصناديق (ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه) فتارة يقول يشتري به عقارا أو ضيعة أو متاعا وتارة يقول يشتري به رقيقا وملابس (و) يتردد أيضا (في كيفية حفظه وفي الخوف ممن يعثر) أي يطلع (عليه) فيشير به للظلمة (وفي دفع اطماع الناس عنه وأودية أفكار أهل الدنيا لا نهاية لها) ولا مطمع في الخلاص منها (والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك فهذه جمل الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الاموال في الدنيا من الخوف) على أنفسهم من جور الظلمة (والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد) عنهم (وتجشم المصاعب) أي تحمل المشاق (في حفظ الاموال وكسبها فاذا ترياق المال أخذ القوت منه) فقط (وصرف الباقي الى الخيرات) من الصدقات ومواساة الاخوان (وما عداه سموم وآفات) مهلكات

(بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعا) بالقليل

(منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما فى أيديهم ولا حريصا على اكتساب المال) من حيث اتفق و (كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن و يقتصر) من كل منهما (على أقله قدرا وأخسه نوعا) ففى المطعم يقتصر على خبز الشعير او خبز الذرة فانهما أرخص سعرا من الحنطة وفى الادام يقتصر على الجبن أو الاقط أو الفجل أو الكراث أو على الزيت ونحوها وفى الملبس على قميص من كرباس غليظ أو على جبة من الجبات التى تعمل من صوف الغنم فانها أقل كلفة وأرخص سعرا وأمتع فى المكث (و) يقنع أيضا (برد أمله الى يومه) ان امكنه (والى شهره) واليه انتهت الرخصة (ولا يشغل قلبه بما بعد شهر) فانه يعد فى طول الامل (فان تشوق الى الكثير أو طول الامل فانه عز القناعة وقد انس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص الى مساوى الاخـلاق) ومذامها (وارتكاب المنكرات الخارقة للمروآت) فيخرج عن حد الانسانية (وقد جبل الآدمى على الحرص والطمع وقلة القناعة) الامن وفقه الله تعالى وعصمه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب) وفى رواية لو أن لابن آدم واديا مالا وفى أخرى من مال بدل من ذهب وفى أخرى من ذهب وفضة (لابتغى) أى طلب (اليهما ثالثا) عداه بالى لتضمين الابتغاء معنى الضم يعنى لضم اليهما ثالثا (ولا يملأ جوف ابن آدم) وفى أخرى نفس ابن آدم وفى أخرى ولا يسد بدل ولا يملأ وفى اخرى ولا يملأ عين ابن آدم وفى أخرى بطن بدل عين وليس المراد عضوا بعينه والغرض من العبارات كلها واحد (الا التراب) أى لا يزال حريصا على الدنيا حتى يموت و يمتلئ جوفه من تراب قبره والمراد بابن آدم الجنس باعتبار طبعه والا فكثير منهم يقنع بما أعطى ولا يطلب زيادة ولكن ذلك عارض له من الهداية الى التوبة كما يومئ اليه قوله (ويتوب الله على من تاب) أى يقبل التوبة من الحرص المذموم ومن غـيره أو تاب بمعنى وفق أى وفقه يعنى جبل الآدمى على حب الحرص الامن وفقه الله وعصمه فوضع يتوب موضع الامن عصمه الله اشعارا بان هذه الجبلة مذمومة جارية مجرى الذنب وان ازالتها ممكنة بالتوفيق وفى ذكر ابن آدم دون الانسان ايماء الى أنه خلق من تراب طبعه القبض واليبس وازالته ممكنة بان يمطر الله عليه من غمامة توفيقه وهذا اللفظ أخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى بن كعب الا انه قال لو كان للانسان واديان من المال وفيه ثم يتوب والباقى سواء ورواه الطيالسى واحمد والدارمى والشيخان والترمذى وقال حسن صحيح غريب وابن حبان من حديث أنس ورواه البخارى فى التاريخ والبزار والرويانى وأبو عوانة والضياء من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه ورواه أحمد والشيخان من حديث ابن عباس ورواه البخارى فى الصحيح من حديث عبد الله بن الزبير ورواه الطبرانى فى الكبير والضياء من حديث سعد بن أبى وقاص ورواه ابن ماجه من حديث أبى هريرة ولفظهم جميعا لو كان لابن آدم واد من مال لابتغى اليه ثانيا ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وروى أحمد وأبو يعلى وأبو عوانة وابن حبان والضياء من حديث جابر بلفظ لو كان لابن آدم واد من نخل لتمنى مثله ثم تمنى مثله حتى يتمنى أودية ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب قال الهيثمى رجال أبى يعلى والبزار رجال الصحيح وقال ابن حبان تفرد الاعمش بقوله من نخل و روى ابن عساكر من حديث أبى هريرة لو ان للانسان واديين من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ نفس ابن آدم الا التراب و يتوب الله على من تاب (وعن أبى واقد) الحرث بن مالك (الليثى) المدنى رضى الله عنه مات سـنة ثمان وستين وهو ابن خمس وثمانين على الصحيح روى له الجماعة وعنه أبو مرة مولى عقيل بن أبى طالب (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوحى اليه أتيناه يعلمنا مما أوحى اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا انزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة ولو ان لابن آدم واديا من ذهب لاحب أن يكون اليه الثانى ولو كان له الثانى لاحب أن يكون اليهما الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب) قال العراقى رواه أحمد والبيهقى فى الشعب بسند صحيح انتهى قلت وكذلك رواه الطبرانى فى الكبير والضياء وروى الطبرانى فيه من حديث أبى امامة لو ان لابن آدم واديين لتمنى واديا

منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما فى أيديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن و يقتصر على أقله قدرا وأخسه نوعا و يرد أمله الى يومه أو الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثير أو طول أمله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوى الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروآت وقد جبل الآدمى على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وعن أبى واقد الليثى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوحى اليه أتيناه يعلمنا مما أوحى اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا أنزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لاحب أن يكون له ثان ولو كان له ثان لاحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب و يتوب الله على من تاب

ثالثا وماجعل المال الالاقامة الصلاة و ايتاء الزكاة ولا يشبع ابن آدم الا التراب و يتوب الله على من تاب و رواه الحسن بن سفيان وأبو نعيم فى الحلية بلفظ كنا نأتى النبي صلى الله عليه وسلم فاذا انزل عليه شئ من القرآن أخبرنا به فقال لنا ذات يوم قال الله تعالى انا انزلنا المال الحديث (وقال أبو موسى الاشعرى) رضى الله تعالى عنه (نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لاخلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب و يتوب الله على من تاب) قال العراقى رواه مسلم مع اختلاف دون قوله ان الله يؤيد هذا الدين ورواه بهذه الزيادة الطبرانى وفيه على بن زيد متكلم فيه انتهى قلت الجملة الاولى من الحديث قد رواها النسائى وابن حبان والطبرانى فى الاوسط والضياء من حديث أنس ورواه أحمد والطبرانى فى الكبير من حديث أبى بكرة ورواه البزار من حديث كعب بن مالك (وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لايشبعان منهوم العلم ومنهوم المال) النهمة شدة الحرص على الشئ ومنه النهوم من الجوع كما فى النهاية قال الطيبى ان ذهب فى الحديث الى الاصل كان لا يشبعان استعارة لعدم انتهاء حرصهما وان ذهب الى الفرع يكون تشبيها جعل افراد المنهوم ثلاثة أحدها المعروف وهو المنهوم من الجوع والآخران من العلم والدنيا وجعلهما أبلغ من المتعارف ولعمرى أنه كذلك وان كان المحمود منهما هو العلم ومن ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله وقل رب زدنى علما و يعضده قول ابن مسعود عقبه ولا يستويان اما صاحب الدنيا فيتمادى فى الطغيان وأما صاحب العلم فيزداد من رضا الرحمن وقال الراغب النهم بالعلم استعارة وهو أن يحمل على نفسه ما تقصر قواها عنه فينبت والمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وقال الماوردى فى الحديث تنبيه ان العلم يقتضى مما بقى منه و يستدعى ما تأخر عنه وليس للراغب فيه قناعة ببعضه قال العراقى رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود باسناد ضعيف انتهى قلت لفظ الطبرانى منهومان لا يشبع طالبهما طالب علم وطالب الدنيا ولفظه من حديث ابن عباس منهومان لا يقضى واحد منهما نهمته منهوم فى طلب العلم لا يقضى نهمته ومنهوم فى طلب الدنيا لا يقضى نهمته وهكذا رواه أيضا ابن خيثمة فى كتاب العلم وقد رواه ابن عدى والقضاعى من حديث حميد عن أنس بلفظ منهومان لايشبعان طالب علم وطالب دنيا قال ابن عدى فيه محمد بن يزيد كان يسرق الحديث فيحدث باشياء منكرة ومن ثم قال ابن الجوزى فى العلل حديث لا يصح وقد رواه كذلك البزار من حديث ابن عباس وفيه ليث بن أبى سليم ضعيف ورواه الحاكم من طريق قتادة عن أنس بلفظ منهومان لايشبعان منهوم فى علم لا يشبع ومنهوم فى دنيا لا يشبع وقد رواه كذلك ابن عدى عن الحسن مرسلا (وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم) أى يكبر (وتشب) وفى رواية تبقى (منه) خصلتان (اثنتان) استعارة يعنى تستحكم الخصلتان فى قلب الشيخ كاستحكام قوة الشباب فى شبابه (الامل وحب المال) وفى نسخة وحب الدنيا والرواية الحرص وطول الامل وفى أخرى الحرص والامل وفى أخرى الحرص على المال والحرص على العمر وفى أخرى حب الدنيا وطول الامل وكان المصنف راعى ذلك فتأدب وقال (أو كما قال) صلى الله عليه وسلم وانما لم تكبر هاتان الخصلتان لان المرء جبل على حب الشهوات وانما تنال هى بالمال والعمر والنفس معدن الشهوات وأمانيها لاتنقطع فهى أبدا فقيرة لتراكم الشهوات عليها قد برح بها خوف القوت وضيق عليها فهى مفتونة بذلك وخلصت فتنتها الى القلب فاصمته عن الله واعمته قال العراقى متفق عليه من حديث أنس قلت وكذا رواه أحمد وابن ماجه والنسائى ولفظهم جميعا يهرم ابن آدم و يبقى منه اثنتان الحرص والامل وأخرجه الشيخان تعليقا وفى رواية ابن ماجه وطول الامل ورواه الطيالسى ومسلم والترمذى وابن ماجه وابن حبان بلفظ وتشب منه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقد رواه بهذا اللفظ من حديث سمرة وفى لفظ للبخارى لا يزال قلب الكبير شابا فى اثنتين فى حب المال وطول الامل (ولما كانت هذه جبلة للآدمى مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله) صلى الله عليه وسلم (على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به) قال العراقى

وقال أبو موسى الاشعرى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب و يتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لايشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم و يشب معه اثنتان الامل وحب المال أو كما قال ولما كانت هذه جبلة للآدمى مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى و رسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به

رواه الترمذي وصححه والنسائي في الكبير من حديث فضالة بن عبيد ولمسلم من حديث عبدالله بن عمرو قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه اه قلت حديث فضالة بن عبيد أخرجه أيضا ابن المبارك والطبراني في الكبير والحاكم وابن حبان وروى البيهقي من حديث ابن الحويرث والديلمي من حديث عبدالله بن الحرث طوبى لمن رزقه الله الكفاف ثم صبر عليه وحديث عبدالله بن عمر أخرجه أيضا أحمد والترمذي وابن ماجه ورواه أبونعيم في الحلية والبيهقي في الشعب بلفظ قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا وصبر على ذلك (وقال صلى الله عليه وسلم مامن أحد غني ولا فقير الاود يوم القيامة انه كان أوتي قوتا في الدنيا) قال العراقي رواه ابن ماجه من رواية نفيع بن الحرث عن أنس ونفيع ضعيف اه قلت ورواه أيضا أحمد وعبد بن حميد وأبونعيم في الحلية بلفظ مامن أحد يوم القيامة غني ولا فقير الاود انما كان أوتي من الدنيا قوتا ورواه ابن الجوزي في الموضوعات فأفرط وروى أبونعيم في الحلية من طريق أبي وائل عن ابن مسعود قال ما أحد من الناس يوم القيامة الا يتمنى انه كان يأكل في الدنيا قوتا (وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى) بالكسر مقصورا أي الحقيقي النافع المفيد (عن كثرة العرض) محركة كما في المشارق وبفتح وسكون كما في المقاييس لابن فارس والمراد به متاع الدنيا قيل وكأنه أراد بالعرض مقابل الجوهر وعند أهل السنة مالا يبقى زمانين فشبه به متاع الدنيا في سرعة زواله وعدم بقائه يعني ليس الغنى المحمود ماحصل عن كثرة المتاع لان كثيرا ممن وسع الله عليه لا ينتفع بما أوتي بل هو متجرد في الازدياد ولا يبالي من أين يأتيه فكأنه فقير لشدة حرصه فالفقير حريص ذاتي (انما الغنى) المحمود المعتبر عند أهل الكمال (غنى النفس) أي استغناؤها بما قسم لها وقناعتها ورضاها به وفي رواية ولكن الغنى وفي أخرى غنى القلب بدل غنى النفس قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة قلت ورواه كذلك أحمد وهناد بن السري والترمذي وابن ماجه ورجال أحمد رجال الصحيح ورواه أيضا أبو يعلى والطبراني في الاوسط والضياء من حديث أنس وروى الديلمي بلا سند من حديث أنس الغنى غنى النفس والفقر فقر النفس وروى العسكري في الامثال من طريق معاوية ابن صالح عن عبدالرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ذر في حديث أوله يا أبا ذر أترى ان كثرة المال هو الغنى انما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب (ونهى) صلى الله عليه وسلم (عن شدة الحرص) في الدنيا (و) عن (المبالغة في الطلب) لاعراضها الزائلة (فقال الا أيها الناس أجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له وان يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة) رواه الحاكم من حديث جابر بنحوه وصححه وقد تقدم في آداب الكسب والمعاش وروى ابن ماجه والحاكم والطبراني والبيهقي من حديث أبي حميد الساعدي أجملوا في طلب الدنيا فان كلا ميسر لما كتب له وعند ابن عساكر من حديث ابن عمر أجملوا في طلب الدنيا فان الله قد تكفل بارزاقكم (وروى ان موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أي رب أي عبادك أغنى قال أقنعهم بما أعطيته قال فأيهم أعدل قال من أنصف من نفسه) نقله صاحب القوت (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب) ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوا شيأ من فضل الله بمعصية الله فانه لن ينال ما عند الله الا بطاعته رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القناعة والعسكري في الامثال والحاكم بهذا اللفظ الى قوله الا بطاعة وليس عندهم فاتقوا الله وانما فيه فاجملوا وقالوا حتى تستوفي بدل تستكمل ورواه أبونعيم في الحلية من حديث أبي امامة وفيه حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاجملوا في الطلب والباقي سواء وقد تقدم في آداب الكسب والمعاش وكذا الكلام في النفث في الروع (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار) أغفله العراقي وقد تقدم ذكره في كتاب رياضة النفس وهو في الكامل لابن عدي في ترجمة ماضي بن محمد بن مسعود الغافقي بلفظ يا أبا هريرة اذا اشتد كلب الجوع

وقال صلى الله عليه وسلم مامن أحد فقير ولا غني الاود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتا في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة وروي أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أغنى قال أقنعهم بما أعطيته قال فأيهم أعدل قال من أنصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار

فعليك برغيف وجرمن ماء القراح وقل على الدنيا وأهلها مني الدمار ورواه البيهقي أيضا كذلك (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس واحب لاخيك ماتحب لنفسك تكن مؤمنا) وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأقل الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق والبيهقي في الشعب من رواية واثل عن أبي هريرة ورواه الخرائطي ايضا من حديث أبي الدرداء بلفظ يا أبا الدرداء أحسن جوار من جاورك تكن مؤمنا وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلما وارض بقسمة الله لك تكن من أغنى الناس وسنده ضعيف وقد تقدم الكلام عليه في آداب الصحبة (ونهى صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الانصاري) رضي الله عنه (ان اعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله عظني وأوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس مما في أيدي الناس) رواه ابن ماجه في الزهد من سننه من طريق عثمان بن جبير مولى أبي أيوب عنه ولفظه جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله علمني وأوجز قال اذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع ولا تكلم بكلام يعتذر منه واجمع اليأس عما في أيدي الناس ورواه ابن عساكر في التاريخ هكذا ورواه الخرائطي في مكارم الاخلاق مقتصرا على الجملتين وفي الامثال للعسكري من طريق القعنبي حدثنا محمد بن أبي حمية حدثني اسمعيل ابن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده ان رجلا قال يارسول الله أوصني وأوجز فقال عليك باليأس مما في أيدي الناس فانه الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاتك وأنت مودع واياك وما يعتذر منه وأخرجه أبو نعيم في المعرفة من حديث ابن أبي فديك عن حماد بن أبي حميد وهو لقب محمد به وقال ان رجلا من الانصار ورواه الحاكم في الرقاق من صحيحه من حديث أبي عامر العقدي حدثنا محمد بن أبي حميد مثله بدون تعيين كونه من الانصار وقال انه صحيح الاسناد ولم يخرجاه وتعقب بان ابن أبي حميد مجمع على ضعفه ويروى نحوه عن جابر مرفوعا أخرجه الطبراني في الاوسط بلفظ اياكم والطمع فانه هو الفقر واياكم وما يعتذر منه وعن ابن عمر أخرجه القضاعي في مسنده من طريق ابن منيع حدثنا الحسن بن راشد ابن عبد ربه حدثني أبي عن نافع عن ابن عمر قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله حدثني حديثا واجعله موجزا لعلي أعيه فقال صلى الله عليه وسلم صل صلاة مودع كأنك لا تصلي بعدها وأيس مما في أيدي الناس تعش غنيا واياك وما يعتذر منه وكذا هو في السادس من فوائد المخلص حدثنا عبد الله هو البغوي ابن بنت أحمد بن منيع حدثنا ابن راشد به وأخرج العسكري عن ابن منيع أيضا به ورواه الطبراني في الاوسط عن البغوي حدثنا الحسن بن علي الواسطي عن ابن أبي راشد أخبرني أبي راشد عن عبد الله عن نافع سمعت ابن عمر وذكر نحوه بلفظ صلاة مودع فانك ان كنت لا تراه فانه يراك ورواه الدارقطني في الافراد وسمى ابن راشد الحسن كالجمهور وقال انه غريب من حديث نافع عن ابن عمر تفرد به راشد عنه ولم يروه عنه غير ابنه الحسن وعن سعد بن عمارة أخرجه الطبراني في الكبير من طريق ابن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيره عن سعد بن عمارة أخي بني سعد بن بكر وكانت له صحبة ان رجلا قال له عظني في نفسي يرحمك الله قال اذا انتهيت الى الصلاة فاسبغ الوضوء فانه لا صلاة لمن لا وضوء ولا ايمان لمن لا صلاة له ثم اذا صليت فصل صلاة مودع واترك طلب كثير من الحاجات فانه فقر حاضر واجمع اليأس مما هو في أيدي الناس فانه هو الغنى وانظر مما يعتذر منه من القول والفعل فاجتنبه وهو موقوف وكذا أخرج البخاري في في التاريخ من طريقين الى ابن اسحق قال في احداهما انه سعد وفي الاخرى انه سعيد ورجح أنه سعد وأخرجه أحمد في كتاب الايمان والطبراني ورجاله ثقات وقد تقدم ذلك في كتاب اسرار الصلاة مختصرا (وقال عوف بن مالك) بن أبي عوف (الاشجعي) الغطفاني أبو حماد رضي الله عنه من مسلمة الفتح وتحول الى الشام في خلافة أبي بكر فنزل حمص وبقي الى أول خلافة عبد الملك بن مروان ومات سنة ثلاث

وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الانصاري أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله عظني وأوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس مما في أيدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي

كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أوثمانية أوسبعة فقال ألا تبايعون رسول الله قلنا أوليس قد بايعناك يارسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيأ قال ولقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله اياه

*(الآثار) قال عمر رضى الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى وانه من ييأس عما فى أيدى الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفى ذلك قيل

العيش ساعات تمر
وخطوب أيام تكر
اقنع بعيشك ترضه
واترك هواك تعيش حر
فلرب حتف ساقه
ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى أحد وقال سفيان خير دنياكم مالم تبتلوا به وخير ما ابليتم به ماخرج من أيديكم وقال ابن مسعود مامن يوم الاوملك ينادى يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر فى شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن واليأس مما فى أيدى الناس ويروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت واذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب أحدكم الحاجة فيطلبها طلبا يسيرا ولا يأتى الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ماقسم له من الرزق أو مارزق وكتب بعض بنى أمية الى أبى حازم يعزم عليه الارفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت حوائجى الى مولاى فما أعطانى منها قبلت وما أمسك عنى قنعت وقيل لبعض الحكماء أى شئ أسر للعاقل

وسبعين روى له الجماعة (كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أوثمانية أوسبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا أوليس قد بايعناك يارسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتصلوا الصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيأ قال فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله اياه) قال العراقى رواه مسلم من حديثه ولم يقل فقال قائل ولا قال وتسمعوا وقال سوط أحدهم وهى عند أبى داود وابن ماجه كما ذكرها المصنف اه قلت وعزاه السيوطى فى الجامع الكبير الى مسلم والنسائى والطبرانى فى الكبير وابن حبان ولفظهم ألا تبايعون على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وان تقيموا الصلوات الخمس وتؤتوا الزكاة وتسمعوا وتطيعوا ولا تسألوا الناس شيأ (الآثار قال عمر رضى الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى وانه من ييأس مما عند الناس استغنى عنهم) رواه هشام ابن عروة عن أبيه قال عمر اعلموا فساقه (وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ولذلك قيل (* العيش ساعات تمر *) وفى نسخة أوقات (* وخطوب أيام تكر *)

(اقنع بعيشك ترضه * واترك هواك تعيش حر)
(فلرب حتف ساقه * ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع) البصرى رحمه الله تعالى (يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى أحد) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال سفيان) الثورى رحمه الله تعالى (خير دنياكم مالم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ماخرج من أيديكم) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (مامن يوم الاوملك ينادى يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك) كذا فى القوت (وقال سميط بن عجلان) يروى بالسين المهملة والمعجمة (انما بطنك يا ابن آدم شبر فى شبر فلم يدخلك النار) كذا فى القوت (وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل فى الظاهر) وهو ان يتجمل فى ملبسه وهيئته (والقصد فى الباطن) أى يقتصد فى أموره الباطنة فلا يفرط ولا يفرط (واليأس مما فى أيدى الناس) فلا ينتظر وصول شئ منها وأخرج أبو نعيم فى الحلية من طريق سفيان قال قيل لأبى حازم ما مالك قال ثقتى بالله وايأسى مما فى أيدى الناس (ويروى ان الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا اليك محسن) نقله صاحب القوت (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (اذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا) أى قليلا أوسهلا (ولا يأتى الرجل فيقول انك) كذا (وانك) كذا يثنى عليه (فيقطع ظهره فانما يأتيه ماقسم له أو مارزق) شك من الراوى وهو معنى الخبر السابق فاجملوا فى الطلب (وكتب بعض بنى أمية الى أبى حازم) سلمة بن دينار الاعرج المدنى رحمه الله تعالى (يعزم عليه الارفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت حوائجى الى مولاى فما أعطانى منها قبلت وما أمسك عنى قنعت) رواه أبو نعيم فى الحلية عن أبى بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبى حدثنا يحيى بن عبد الملك حدثنا زمعة بن صالح قال كتب بعض بنى أمية الى أبى حازم فساقه وفيه فكتب اليه أما بعد جاءنى كتابك تعزم الى الارفعت اليك حوائجى وهيهات رفعت حوائجى الى ربى تعالى والباقى سواء ثم ساقه من طريق آخر وفيه التصريح بان المراد ببعض بنى أمية سليمان يعنى ابن عبد الملك وفيه هيهات رفعت حاجتى الى من لا تختزن الحوائج دونه فما أعطانى منها قنعت وما أمسك عنى منها رضيت (وقيل لبعض الحكماء أى شئ أسر للعاقل

وأعاشي أعون على دفع الحزن فقال أسرها اليه ماقدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء وقال بعض الحكماء وجدت أطول الناس غما الحسود وأهناهم عيشا القنوع وأصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط وفى ذلك قيل

أرفه ببال فتى أمسى على ثقة * ان الذى قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لايدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق فى دهره شيأ يؤرقه

وقد قيل أيضا

حتى متى أنا فى حل وترحال * وطول سعى وادبار واقبال
ونازح الدار لاأنفك مغتربا * عن الاحبة لايدرون ماحالى
بمشرق الارض طورا ثم مغربها * لايخطر الموت من حرصى على بالى
ولو قنعت أتانى الرزق فى دعة * ان القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضى الله عنه ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى حلتان لشتائى وقيظى ومايسعنى من الظهر لحجى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم فوالله ماأدرى أيحل ذلك أم لا كأنه شك فى أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التى تجب القناعة بها وعاتب أعرابى أخاه على الحرص فقال يا أخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لاتفوته وتطلب أنت ماقد كفيته وكأن ماغاب

واعاشى أعون على دفع الحزن قال أسرها اليه ماقدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء) نقله صاحب القوت (وقال بعض الحكماء وجدت أطول الناس غما الحسود واهنأهم عيشا القنوع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع وأخفضهم) أى ألينهم (عيشا أرفضهم) أى أتركهم (للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط) أى الذى فرط فى علمه فلم يعمل به فيرى الذى عمل به قد نال مرتبة وهو منعها فتكثر ندامته حيث لاينفع الندم (وقد قيل)

(أرفه ببال امرئ يمسى على ثقة * ان الذى خالق الارزاق يرزقه)

وفى نسخة ببال فتى أمسى وأرفه من الرفاهية وهى سعة العيش

(فالعرض منه مصون لايدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه)

واخلاق الوجه ابلاؤه وهو كناية عن ذل السؤال الناشئ عن الحرص

(ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق فى دهره شيأ يؤرقه)

أى يحزنه ويؤلمه (وقيل أيضا)

(حتى متى أنا فى حل وترحالى * وطول سعى وادبار واقبال)
(ونازح الدار لاأنفك مغتربا * عن الاحبة لايدرون ماحالى)
(بمشرق الارض طورا ثم مغربها * لايخطر الموت من حرصى على بال)
(ولو قنعت أتانى الرزق فى دعة * ان القنوع الغنى لا كثرة المال)

ومعناه مامر فى الخبر ان الغنى غنى النفس وانه ليس بكثرة المال وفى خبر آخر القناعة كنز لايفنى أى فهو الغنى الاكبر وروى العسكرى فى الامثال من طريق ابن عائشة قال قال أعرابى يسار النفس أفضل من يسار المال ورب شبعان من النعم غرثان من الكرم وأنشد ابن دريد لسالم بن وابصة

غنى النفس ما يغنيك من سد حاجة * فان زاد شيأ عاد ذاك الغنى فقرا

وأنشد يعقوب بن اسحق الكندى لنفسه

أضاق الذنابى على الارؤس * فغمض جفونك أونكس
وضائل سوادك واقبض يديـ * ـك وفى قعر بيتك فاستجلس
وعند مليكك فابغ العلـ * ـو وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغـنى فى قلوب الرجا * ل وان التعزز للانفس
وكاين ترى من أخى عسرة * غنى وذو ثروة مفلس
ومن قائم شخصه ميت * على انه بعد لم يرمس

(وقال عمر رضى الله عنه الا أخبركم بما أستحل من مال الله عز وجل جلبابى لشتائى وقيظى) كما قال الشاعر

من يك ذا بت فهذا بتى * مقيظ مصيف مشتى

(ومايسعنى من الظهر) أى الراحلة أركبها (لحجى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم ووالله ما أدرى ايحل ذلك لى أم لا كأنه شك فى ان هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التى تجب القناعة بها) وهذا معروف فى زهد عمر والتقلل من الدنيا وقد روى سيف بن عمر عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال جمع عمر الناس عند فتح القادسية ودمشق فقال انى كنت امرأ تاجرا يغنى الله عيالى بتجارتى وقد شغلت بأمركم فما ترون فيما يحل لى من هذا المال فأكثر القوم وعلى ساكت فقال ماتقول ياأبا الحسن قال ماأصلحك وأصلح عيالك بالمعروف ليس لك غيره فقال القول ماقال على (وعاتب أعرابى أخاه على الحرص فقال ياأخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لاتفوته وتطلب أنت ماقد كفيته وكان ماغاب

عنك

عنك قد كشف لك وما أنت فيه وقد نقلت عنه كأنك يا أخي لم ترحريصا محروما وما زاهدا مرزوقا وفي ذلك قيل أراك يزيدك الاثراء حرصا * على الدنيا كأنك لا تموت فهل لك غاية ان صرت يوما * اليها قلت حسبي قد رضيت وقال الشعبي حكي أن رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع بي قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشفي من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك

ثلاث خصال هي خير لك من أكلي أما واحدة فاعلمك وأنا في يدك وأما الثانية فاذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعض على شفته وتلهف وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسيت الثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انا لحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال أبو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآني تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أضفت اليهما ثالثا وأنشدني اذا سد باب عنك من دون حاجة * فدعه لاخرى ينفتح لك بابها فان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوآت الامور اجتنابها ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب * ركوب المعاصي يجتنبك عقابها وقال عبد الله بن سلام لكعب ما اذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشره فشره

عنك قد كشف لك وما أنت فيه وقد نقلت عنه كأنك يا أخي لم ترحريصا محروما وزاهدا مرزوقا وقيل في ذلك

أراك يزيدك الاثراء حرصا * على الدنيا كأنك لا تموت)

(فهل لك غاية ان صرت يوما * اليها قلت حسبي قد رضيت)

وقال) عامر بن شراحيل (الشعبي) رحمه الله تعالى (حكى أن رجلا) فيما مضى من الزمان (صاد قنبرة) بضم القاف وسكون النون ضرب من العصافير لغة في قبرة كسكرة وكان النون بدل من احد حرفي التضعيف وبضم الثالث ويفتح والجمع قنابر (فقالت) بلسان حالها الصائد (ما تريد أن تصنع بي قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشفي من قرم) محركة شدة الشهوة للاكل (ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من أكلي اما واحدة فاعلمك وأنا في يدك وأما الثانية فاذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فات) أي لا تتحسر على الفائت فان الحسرة على الفوات عبث (فخلاها) من يده فطارت (فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي) بتشديد اللام وقد تخفف (درتين في كل واحدة عشرون مثقالا) أي زنة كل درة كذلك (قال الراوي فعض) الصائد (على شفتيه وتلهف) على تخليتها من يده (وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسيت الثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنه يكون أنا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبيه حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا محمد بن عبد الله الرازي عن مسلمة بن علقمة عن داود عن الشعبي فذكره سواء (وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر) في نفسه (ما لا يكون) من المتخيلات (أنه يكون وقال ابن السماك) وهو محمد بن صبيح البغدادي الواعظ رحمه الله تعالى (ان الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك) نقله صاحب القوت (وقال أبو محمد) يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي مولى عدي بن مناة (اليزيدي) منسوب الى يزيد بن منصور الحميري قال المهدي لانه أدب اولاده فنسب اليه وادب المأمون روى عن ابي عمرو بن العلاء وابن جريج وقرأ لابي عمرو وهو صدوق عالم باللغة والنحو وله تصانيف حسنة مات سنة ٢٠٢ وأولاده محمد وعبد الله واسمعيل واسحاق شعراء وممن روى عن أبي محمد اليزيدي أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله بن جارود الرقي (دخلت على الرشيد) هرون بن المهدي (فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآني تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أضفت اليهما ثالثا وأنشدني

(اذا سد باب عنك من دون حاجة * فدعه لاخرى ينفتح لك بابها)

(فان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوآت الامور اجتنابها)

(ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب * ركوب المعاصي يجتنبك عقابها)

أخرجه ابن أبي الدنيا في أخبار الخلفاء (وقال عبد الله بن سلام) رضي الله عنه (لكعب) الاحبار رحمه الله تعالى (ما اذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج فقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشيء فيطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشره فشره

النفس فى هذا وفى هذا حتى لاتحب أن يفوتها شئ ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان وقال بعض الحكماء من عجيب أمر الانسان أنه لو نودى بدوام البقاء فى أيام الدنيا لم يكن فى قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له من أين تأكل قال من بيدر اللطيف الخبير الذى خلق الرحا يأتيها بالطحين وأومأ بيده الى رحا أضراسه فسبحان القدير الخبير *(بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذى يكتسب به صفة القناعة)* اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور * الاول وهو العمل الاقتصاد فى المعيشة والرفق فى الانفاق فمن أراد عز القناعة فينبغى أن يسد عن نفسه أبواب الخرج ما أمكنه و يرد نفسه الى ما لابد له منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغى أن يقنع بثوب واحد خشن و يقنع باى طعام كان ويقلل من الادام ما أمكنه و يوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد و يمكن معه الاجمال فى الطلب والاقتصاد فى المعيشة وهو الاصل فى القناعة ونعنى به الرفق فى الانفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق فى الامر كله وقال صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات خشية الله فى السر والعلانية

النفس فى هذا وفى هذا حتى لاتحب أن يفوتها شئ وتكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم أنفك) أى جعل فيها شبه الخزام فى أنف الناقة (وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض ولم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم تكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال) الفضيل للسائل (هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان) أخرجه ابن أبى الدنيا (وقال بعض الحكماء من عجيب أمر الانسان أنه لو نودى بدوام البقاء فى أيام الدنيا لم يكن فى قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال) أخرجه ابن أبى الدنيا (وقال عبد الواحد بن زيد) البصرى رحمه الله تعالى (مررت براهب) فى صومعة (فقلت له من أين تأكل فقال من بيدر اللطيف الخبير) جل جلاله (الذى خلق الرحا ويأتيها بالطحين وأومأ بيده الى رحا أضراسه) أخرجه ابن أبى الدنيا

(بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذى تكتسب به صفة القناعة)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان) هى أساسه (الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور الاول وهو العمل) وذلك (الاقتصاد فى المعيشة) أى الاعتدال فيها (والرفق فى الانفاق فمن أراد عز القناعة فينبغى أن يسد على نفسه أبواب الخرج) أى ما يصرف فى اللوازم الضرورية (ما أمكنه و يرد نفسه الى ما لابد منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغى أن يقنع بثوب واحد خشن) من قطن أو صوف (و يقنع باى طعام كان ويقلل من الادام ما أمكنه و يوطن نفسه عليه) تدريجا (وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد و يمكن معه الاجمال فى الطلب) المأمور به فى الخبر (فالاقتصاد فى المعيشة هو الاصل فى القناعة) ففى الخبر عن ابن عمر مرفوعا الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة رواه البيهقى والعسكرى وابن السنى والديلمى وعند الطبرانى وابن لال من حديث أنس الاقتصاد نصف العيش (ونعنى به الرفق فى الانفاق وترك الخرق فيه) وهو سوء العمل (قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق فى الامر كله) أخرجه الشيخان من حديث عائشة وقد تقدم فى كتاب ذم الغضب (وقال صلى الله عليه وسلم ما عال) أى ما افتقر (من اقتصد) أى فى معيشته أى من أنفق قصدا ولم يجاوزه الى الاسراف قال العراقى رواه أحمد والطبرانى من حديث ابن مسعود ومن حديث ابن عباس بلفظ مقتصد وكلاهما ضعيف انتهى قلت رو ياه من طريق ابراهيم الهجرى عن أبى الاحوص عن ابن مسعود وكذلك رواه القضاعى وهو عند العسكرى من طريق سكين بن عبد العزيز عن الهجرى بلفظ لا يعيل أحد على قصد ولا يبقى على سرف كثير ورو ياه أيضا من طريق أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس بلفظ ما عال مقتصد الا ان الطبرانى زاد قط وقد ورد فى الاقتصاد أخبار كثيرة منها ما تقدم عن ابن عمر وأنس ومن ذلك ما رواه العسكرى من حديث أبى بلال الاشعرى حدثنا عبد الله بن حكيم المدنى عن شبيب بن بشر عن أنس رفعه السؤال نصف العلم والرفق نصف المعيشة وما عال امرؤ فى اقتصاد وروى الحاكم ومن طريقه الديلمى من حديث عمير بن صبح عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أبى امامة رفعه السؤال نصف العلم والرفق نصف المعيشة وما عال من اقتصد وروى العسكرى من طريق عثمان بن عمر بن خالد بن الزبير عن أبيه عن على بن الحسين عن ابيه عن على رفعه التودد نصف الدين وما عال امرؤ قط عن اقتصاد الحديث وروى الطبرانى فى الصغير والقضاعى من طريق عبد القدوس بن حبيب عن الحسن عن انس رفعه ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد وقد عقد البيهقى فى الشعب للاقتصاد فى النفقة بابا (وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث) خصال (منجيات) من عذاب الله تعالى (خشية الله) أى خوفه (فى السر

والعلانية) قدم السر لان تقوى الله فيه أعلى درجة من العلن لما يخاف فيها من شوب رؤية الناس وهذه درجة المراقبة وخشية فيها تمنع من ارتكاب كل منهي عنه وتحثه على فعل كل مأمور (والقصد في الغنى والفقر) وفي لفظ بتقديم الفقر على الغنى والمراد التوسط فيهما في الانفاق ونحوه (والعدل في) حالتي (الرضا والغضب) فلا يحمله الغضب على الجور ولا الرضا على الوقوع في محذور لاجل رضا المخلوق قال العراقي رواه البزار والطبراني وابو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف انتهى قلت هو في الاوسط للطبراني وفيه زيادة وثلاث مهلكات هوى متبع وشح مطاع واعجاب المرء بنفسه وكذلك رواه أبو الشيخ في التوبيخ وروى العسكري في الامثال وأبو اسحق ابراهيم بن أحمد المراغي في ثواب الاعمال من حديث ابن عباس ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث درجات وثلاث كفارات فذكر الحديث وفيه قيل وما المنجيات قال تقوى الله في السر والعلانية والاقتصاد في الفقر والغنى والعدل في الرضا والغضب الحديث وقد رواه أيضا الخطيب في التاريخ هكذا ورواه الطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر قال العلائي سنده ضعيف وعده في الميزان من المناكير قال الهيثمي فيه ابن لهيعة ومن لا يعرف (وروى أن رجلا أبصر أبا الدرداء) رضي الله عنه (يلتقط حبا من الارض ويقول ان من فقهك رفقك في معيشتك) رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب من حديثه مرفوعا بلفظ من فقهك رفقك في معيشتك ورواه أحمد والطبراني في الكبير بلفظ من فقه الرجل رفقه في معيشته ورواه أبو نعيم في الحلية من قوله ولم يرفعه قال حدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن اسحق حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الفرج بن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبي الدرداء قال من فقه الرجل رفقه في معيشته (وقال ابن عباس) رضي الله عنه (قال النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاد) أي في الامور بين طرفي الافراط والتفريط (وحسن السمت والهدى الصالح) أي أخذ المنهج ولزوم المحجة (جزء من بضع وعشرين جزأ من النبوة) أي هذه الخصال من شمائل أهل النبوة وجزء من أجزاء فضائلهم فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها فليس معناه ان النبوة تتجزأ ولا ان من جمع هذه الخلال صار فيه جزء من النبوة لانها غير مكتسبة أو المراد ان هذه الخلال مما جاءت به النبوة ودعا اليها الانبياء أو أن من جمعها ألبسه الله لباس التقوى الذي ألبسه الانبياء فكانها جزء منها قال العراقي رواه أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال السمت الصالح وقال من خمسة وعشرين ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس وقال التؤدة بدل الهدى الصالح وقال من أربعة انتهى قلت حديث عبد الله بن سرجس المزني أخرجه الترمذي في البر بلفظ السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزأ من النبوة قال الصدر المناوي رجاله موثوقون ورواه عبد بن حميد وابن أبي عاصم والطبراني في الكبير والخطيب والضياء بلفظ التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزأ من النبوة (وفي الخبر التدبير نصف العيش) أي النظر في عواقب الانفاق اذ به يحترز عن الاسراف والتقتير قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خلاد بن عيسى جهله العقيلي ووثقه ابن معين انتهى قلت ورواه أيضا العسكري والطبراني وابن لال من طريق خلاد بن عيسى عن ثابت عن أنس ولكن بلفظ الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق نصف الدين ورواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث علي بلفظ المصنف لكن بزيادة والتؤدة نصف العقل والهم نصف الهرم وقلة العيال احد اليسارين قال العامري شارحه حسن غريب وتعقب بان فيه ابن لهيعة وفيه أيضا اسحق بن ابراهيم الشامي أورده الذهبي في الضعفاء وقال له مناكير وقد رويت هذه الزيادة في سياق الديلمي أيضا الا أنه قال والتودد بدل التؤدة ورواه البيهقي بنحوه من قول ميمون بن مهران ولابن حبان في صحيحه من حديث طويل عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا أباذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق وقال بعضهم لولا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال التدبير نصف العيش لقلت بل هو العيش كله وهذا لا يعارض قول

والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب وروى أن رجلا ابصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الارض وهو يقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزأ من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة

وقال صلى الله عليه وسلم من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق من أهم الامور * الثاني أنه اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لاجل المستقبل و يعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لابد وأن يأتيه وان لم يشتد حرصه فان شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الارزاق بل ينبغي أن يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعده الفقر و يأمره بالفحشاء و يقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب و يضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون وفي مثله قيل

ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤسكما فان الانسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى

الصوفية أرح نفسك عن التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك ماذاك الا لان الكلام هنا في تدبير صحبه تفويض وكلامهم فيما لا يصحبه وعلى هذا يحمل جميع ما أورده العارف ابن عطاء الله قدس سره في كتابه الذي سماه التنوير في اسقاط التدبير (وقال صلى الله عليه وسلم من اقتصد) في أموره كلها (أغناه الله تعالى ومن بذر) أي أسرف وتجاوز عن الحدود (أفقره الله ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله) قال العراقي رواه البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله ومن ذكر الله أحبه الله وشيخه فيه عمران بن هرون البصري قال الذهبي شيخ لا يعرف حاله أتى بخبر منكر أي هذا الحديث ولاحمد وأبي يعلى من حديث لابي سعيد ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وسيأتي في ذم الكبر انتهى قلت لفظ البزار في مسنده عن طلحة قال كنا نمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو صائم فاجهده الصوم فحلبنا له ناقة في قعب وصببنا عليه عسلا نكرمه به عند فطره فلما غابت الشمس ناولناه فلما ذاقه قال بيده كانه يقول ما هذا قلنا لبنا وعسلا أردنا أن نكرمك به أحسبه قال أكرمك الله بما أكرمتني أو دعوة هذا معناها ثم قال من اقتصد أغناه الله ومن بذر افقره الله ومن تواضع رفعه الله ومن تجبر قصمه قال الهيثمي وفيه ممن لم أعرفه اثنان وأما عمران بن هارون البصري فوجدت بخط الحافظ ابن حجر ما نصه قال البزار كان مستورا اه ولم يذكره الذهبي في المغني وقال في ذيله ما نصه عمران بن هارون المقدسي الصوفي عن ابن لهيعة والليث قال ابن يونس في حديثه لين وقال أبو زرعة صدوق انتهى فلا أدري هو الذي عناه الذهبي أو غيره والله أعلم وأما حديث من أكثر ذكر الله أحبه الله فقد رواه ابن شاهين من حديث عائشة (وقال صلى الله عليه وسلم اذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا) قال العراقي رواه ابن المبارك في البر والصلة وقد تقدم انتهى قلت رواه عن أبي جعفر عبد الله بن المسور الهاشمي المدايني مرسلا والذي تقدم لفظه اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان خيرا فامضه وان كان شرا فانته وهكذا رواه في كتاب الزهد وأما لفظ المصنف فاخرجه البخاري في الادب المفرد وابن أبي الدنيا في ذم الغضب والبغوي والخرائطي في مكارم الاخلاق والبيهقي وابن عساكر من حديث رجل من بلي ولفظهم جميعا حتى يريك الله منه المخرج (والتؤدة في الانفاق من أهم الامور) وقد روى أبو داود والحاكم والبيهقي من حديث سعد بن أبي وقاص التؤدة في كل شئ خير الا في عمل الآخرة (الثاني اذا تيسر له في الحال ما يكفيه) مما يصرفه على نفسه وعياله من قوت أو دراهم (فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب) كثير القلق (لاجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له) من الازل (لابد وأن يأتيه) من حيث كان (وان لم يشتد حرصه) وطلبه (فان شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الارزاق بل ينبغي أن يكون واثقا بوعد الله تعالى) الذي لا يخلف (اذ قال) في كتابه العزيز (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) أي قد ضمن أن يرزقها فيتحقق أن الرزق مضمون وأن وعد الله لا يتخلف (وذلك لان الشيطان يعده الفقر و يأمره بالفحشاء و يقول) من جملة ما يعده (ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز) عن الكسب والسعي (وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال) وهو أمر شديد لا تحتمله (فلا يزال طول العمر يتعبه) الشيطان (في الطلب) والسعي (خوفا من التعب و يضحك عليه في احتماله التعب نقدا) حاضرا (مع الغفلة عن الله) وعن وعده (لتوهم تعب في ثاني حال) نسيئة (وربما لا يكون وفي مثله قيل) قائله المتنبي

(ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر)

أي انفاق نفيس عمره في اتعاب النفس على مضمون خشية أن يفتقر هو عين الفقر الحاضر (وقد دخل) حبة وسواء (ابنا خالد) من بني عامر بن صعصعة وقيل خزاعة نزلا الكوفة (على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤسكما) أي ما تحركت (فان الانسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى) رواه أحمد وهناد وابن ماجه وابن حبان والبغوي والباوردي وابن قانع والبيهقي

والطبراني

والطبرانى والضياء من حديث حبة وسواء الانهم قالوا ثم يعطيه الله تعالى و يرزقه قال البغوى وماسواء غيره وقد تقدم (ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود) عبدالله رضى الله عنه (وهو حزين فقال لايكثر همك) وفى لفظ لاتكثرهمك (مايقدر يكن وماترزق يأتك) قال العراقى رواه أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف فى صحبته ورواه الاصبهانى فى الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمر والمعافى مرسلا انتهى قلت وقد رواه أيضا ابن ماجه فى القدر والديلمى وابن النجار من حديث ابن مسعود ورواه عبدالله بن أحمد فى زوائد الزهد والخرائطى وابن أبى الدنيا وأبو نعيم والبيهقى وابن عساكر من حديث مالك بن عبادة الغافقى ورواه البغوى وابن قانع وابن أبى الدنيا وأبو نعيم والبيهقى وابن عساكر وأبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقال البغوى ولا أعلم له غيره ولا أدرى له صحبة أم لا ورواه ابن يونس فى تاريخ من دخل مصر من الصحابة من طريق عياش بن عياش عن أبى موسى الغافقى واسمه مالك بن عبدالله ان النبى صلى الله عليه وسلم نظر الى ابن مسعود فقال لايكثر همك مايقدر يكون وماترزق يأتيك وقال الحافظ فى الاصابة خالد ابن رافع ذكره البخارى فقال يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعنه مالك بن عبدالله وقد ذكره ابن حبان فقال يروى المراسيل وأخرج حديثه ابن منده من طريق سعيد بن أبى مريم عن نافع بن يزيد المعرى عن عياش بن عبدالله بن مالك المعافرى ان جعفر بن عبدالله بن الحكم حدثه عن خالد بن رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود فذكره قال سعيد وحدثنا يحيى بن أيوب وابن لهيعة عن عياش عن مالك بن عبدالله قال ابن منده وقال غيره عن عياش عن جعفر عن مالك مثله ورواه البغوى من رواية سعيد عن نافع وذكر الاختلاف فى صحبة خالد وأخرجه ابن أبى عاصم من طريق سعيد بن أيوب عن عياش بن عياش عن مالك بن عبدالله المعافرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود فذكره ولم يذكر خالد بن رافع والاضطراب فيه من عياش بن عياش فانه ضعيف وقال فى ترجمة مالك بن عبدالله المعافرى قال ابن يونس ذكر فيمن شهد فتح مصر وله رواية عن أبى ذر روى عنه أبو قبيل وقال أبو عمر روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لايكثر همك مايقدر يكن وماترزق يأتك قال الحافظ وهذا الحديث أخرجه ابن أبى خيثمة وابن أبى عاصم فى الوحدات والبغوى كلهم من طريق أبى مطيع معاوية بن يحيى عن سعيد بن أيوب عن أيوب عن عياش بن عياش العقبانى عن جعفر بن عبدالله بن الحكم عن مالك بن عبدالله المعافرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود فذكره هذا سياق الحسن بن سفيان وسقط جعفر من رواية الآخرين وقال البغوى لم يروه غير أبى مطيع وهو متروك الحديث وأخرجه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من طريق أخرى عن العقبانى فقال عن مالك بن عبادة الغافقى (وقال صلى الله عليه وسلم الا أيها الناس اجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة) تقدم قبل هذا بثلاثة عشر حديثا وانه رواه الحاكم من حديث جابر بنحوه وتقدم أيضا انه فى كتاب الكسب والمعاش (ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى فى تقدير ارزاق العباد وان ذلك يحصل لامحالة مع الاجمال فى الطلب بل ينبغى ان يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لايحتسب أكثر) من حيث يحتسب (قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا) مما هو فيه (و يرزقه من حيث لايحتسب) أى يرزقه فرجا وخلاصا من المضار من حيث لايخطر بباله (فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغى ان يضطرب قلبه لاجله وقال صلى الله عليه وسلم أبى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لايحتسب) اى من جهة لاتخطر بباله ولا تختلج فى آماله والمراد بالمؤمن الكامل كما يؤذن به اضافته اليه وهو من انقطع الى الله ومحض قصده للالتجاء اليه بدليل خبر الطبرانى من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لايحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها والرزق اذا جاء من حيث لايحتسب كان آمنا فالمؤمن الكامل يشهد الرزق بيد الرازق يخرج من مشيئة الغيب فيجريه بالاسباب فاذا شهد ذلك كان قلبه مراقبا لما يصنع مولاه وعينه ناظرة

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له لاتكثر همك مايقدر يكن وما ترزق يأتك وقال صلى الله عليه وسلم ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى فى تقدير أرزاق العباد وان ذلك يحصل لامحالة مع الاجمال فى الطلب بل ينبغى أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لايحتسب أكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغى أن يضطرب قلبه لاجله وقال صلى الله عليه وسلم أبى الله أن يرزق عبده المؤمن الا من حيث لايحتسب

لمختاره له معرضة عن النظر للاسباب فالساقط عن قلبه محبة الرزق من أين وكيف ومتى بحيث لا يتهم ربه في قضائه يؤتى رزقه صفوا عفوا والمتعلق بالاسباب قلبه جوّال فان لم يدركه لطف فهو كالهمج في المزابل يطير من مزبلة الى مزبلة حتى يجمع أوساخ الدنيا ثم يتركها وراء ظهره و يلقى الله بايمان سقيم و ينادى عليه هذا جزاء من أعرض عن الله واتهم مولاه فلم يرض بضمانه قال العراقى رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث على باسنادواه ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات انتهى قلت ورواه الديلمى من طريق عمر بن راشد عن عبد الرحمن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رفعه بهذا الا أنه قال من حيث لا يعلم وابن راشد ضعيف جدا ورواه القضاعى فى مسنده من طريقه فقال حدثنا مالك بن أنس عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال اجتمع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح فتماروا فى شئ فقال لهم على انطلقوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقفوا عليه قالوا يا رسول الله جئنا نسألك عن شئ فقال ان شئتم فاسألوا وان شئتم خبرتكم بما جئتم له فقال لهم جئتم تسألونى عن الرزق من أين يأتى وكيف يأتى أبى الله وذكره وهو أيضا ضعيف قال السخاوى لكن معناه صحيح ففى التنزيل ومن يتق الله الآية وأما لفظ ابن حبان فى الضعفاء فهو ما أخرجه العسكرى فى الامثال والبيهقى فى الشعب من طريق عثمان بن عمر بن خالد بن الزبير عن أبيه عن على بن الحسين عن أبيه عن على مرفوعا انما تكون الصنيعة الى ذى دين أو حسب وجهاد الضعفاء الحج وجهاد المرأة حسن التبعل لزوجها والتودد نصف الايمان وما عال امرؤ على اقتصاد واستنزلوا الرزق بالصدقة وأبى الله الا ان يجعل أرزاق عباده المؤمنين من حيث لا يحتسبون وهذا السياق هو الذى عناه ابن الجوزى وحكم عليه بالوضع وقد نوزع فيه والصحيح ماقاله البيهقى فانه ذكر بعد ان أخرجه فى الشعب هذا حديث لا أحفظه على هذا الوجه الا بهذا الاسناد وهو ضعيف بمرة وان صح فمعناه أبى الله ان يجعل جميع أرزاقهم من حيث يحتسبون كالتاجر يرزقه من تجارته والحراث من حراثته وغير ذلك وقد يرزقهم من حيث لا يحتسبون كالرجل يصيب معدنا أو ركازا أو يموت له قريب فيرثه أو يعطى من غير اشراف نفس ولا سؤال ونحن لم نقل ان الله تعالى لا يرزق أحدا الا بجهد وسعى وانما قلنا انه بين لخلقه وعباده طرقا جعلها أسبابا لهم الى ما يريدون فالاولى بهم ان يسلكوها متوكلين على الله فى بلوغ ما يؤملونه دون ان يعرضوا عنها او يجردوا التوكل عنها وليس فى شئ من هذه الاحاديث ما يفسد قولنا (وقال سفيان) الثورى رحمه الله تعالى (اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا) أخرجه صاحب الحلية وكأنه استنبط ذلك من قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه الآية أى فلا يتصور الاحتياج مع التقوى (أى لا يترك) الله (التقى فاقد الضرورته بل يلقى الله فى قلوب المسلمين) بل وفى قلوب الكفار (ان يوصلوا اليه رزقه) من غير اشراف نفس منه ولا مسئلة و يشهد له خبر الطبرانى السابق من انقطع الى الله كفاه كل مؤنة و رزقه من حيث لا يحتسب (وقال الفضل) بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم (الضبى) الكوفى علامة راوية للادب ثقة روى عن سماك وأبى اسحاق السبيعى (قلت لاعرابى من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا) فمن أين (فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث ندرى لم نعش وقال أبو حازم) سلمة ابن دينار المدنى التابعى (قد وجدت الدنيا شيئين شيأ منهما هو لى فلن أعجله قبل أجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيأ منهما هو لغيرى فذلك لم أنله فيما مضى ولا أرجوه فيما بقى يمنع الذى لغيرى منى كما يمنع الذى لى من غيرى ففى أى هذين أفنى عمرى) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبو معمر سفيان قال قال أبو حازم وجدت الدنيا شيئين فشيأ هو لى و شيأ لغيرى فاما ما كان لغيرى فلو طلبته بحيلة السموات والارض لم أدركه فيمنع رزق غيرى منى كما يمنع رزقى من غيرى حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبى حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الاشجعى حدثنا داود بن أبى الوازع المدنى عن أبى حازم انه كان يقول نظرت فى الرزق فوجدته شيئين شيأ هو لى له أجل ينتهى اليه فلن أعجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيأ لغيرى فلم أصبه فيما مضى فأطلبه فيما بقى فشئ يمنع من غيرى

وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا أى لا يترك التقى فاقد الضرورته بل يلقى الله فى قلوب المسلمين أن يوصلوا اليه رزقه وقال الفضل الضبى قلت لاعرابى من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث ندرى لم نعش وقال أبو حازم رضى الله عنه وجدت الدنيا شيئين شيأ منهما هو لى فلن أعجله قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيأ منهما هو لغيرى فذلك لم أنله فيما مضى فلا أرجوه فيما بقى يمنع الذى لغيرى منى كما يمنع الذى لى من غيرى ففى أى هذين أفنى عمرى.

كائنئ غيرى يمنع منى فى هذين أفنى عمرى (فهذا دواء من جهة المعرفة لابد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر الثالث ان يعرف مافى القناعة من عز الاستغناء) عن الناس (ومافى الطمع والحرص من الذل) لهم (فاذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة) واختارها (لانه فى الحرص لايخلو من تعب وفى الطمع لايخلو من ذل) لان الحريص دائماً تعبان والطماع دائماً ذليل (وليس فى القناعة الا ألم الصبر عن الشهوات) الفانية (والفضول) الزائلة (وهذا ألم لايطلع عليه أحد) من الناس (الا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة) فى القول والفعل (وذلك يهلك دينه ومن لايؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل) أى ضعيفه (ناقص الايمان) مبخوس الحظ (وقال صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس) قال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط والحاكم وصحح اسناده وأبو الشيخ فى كتاب الثواب وأبو نعيم فى الحلية من حديث سهل بن سعد ان جبريل قاله للنبى صلى الله عليه وسلم فى أثناء حديث وفيه زافر بن سليمان عن محمد بن عيينة وكلاهما مختلف فيه وجعله القضاعى فى مسند الشهاب من قول النبى صلى الله عليه وسلم انتهى قلت رواه الطبرانى فى الاوسط وأبو نعيم فى الحلية من طريق محمد بن حميد والقضاعى من طريق عبد الصمد بن موسى القطان وابن حميد أيضا والشيرازى فى الالقاب من طريق اسمعيل بن تومة ثلاثتهم عن زافر بن سليمان عن محمد بن عيينة عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال جاء جبريل النبى صلى الله عليه وسلم ولفظ الحلية أتانى جبريل فقال يامحمد عش ماشئت فانك ميت واعمل ماشئت فانك مجزى به واحبب من شئت فانك مفارقه واعلم ان شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس وزافر بن سليمان من رجال الترمذى وابن ماجه وثقه جماعة وقال ابن عدى لايتابع على حديثه وشيخه محمد بن عيينة أخو سفيان قال أبو حاتم لايحتج به له مناكير وقد صحح الحاكم اسناده لاسيما وفى الباب عن أبى هريرة وابن عباس أما حديث أبى هريرة فرواه العقيلى والخطيب وابن عساكر بسند ضعيف بلفظ شرف المؤمن صلاته بالليل وعزه استغناؤه عما فى أيدى الناس وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات فأخطأ وأما حديث ابن عباس فرواه محمد بن نصر المروزى فى قيام الليل له من طريق هشيم بن جويبر عن الضحاك عنه موقوفا ولفظه شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عما فى أيدى الناس وجعله القضاعى فى مسند الشهاب فى حديث سهل من قول النبى صلى الله عليه وسلم (فى القناعة الحرية) وهى الخلوص من الرق (والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فأنت نظيره) أى مثله (واحتج الى من شئت فأنت أسيره وأحسن الى من شئت فأنت أميره) وهو من قول بعض الحكماء ومنهم من نسبه الى على رضى الله عنه وقد روى البزار والطبرانى فى الكبير والعسكرى فى الامثال والقضاعى فى المسند من طريق الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك ورجاله ثقات والاحاديث فى القناعة والتعفف عن الناس مفردة بالتأليف ومن أقربها لهذا المعنى حديث لان يأخذ أحدكم حبلا فيأتى بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها نفسه خير له من ان يسال الناس أعطوه أومنعوه (الرابع ان يكثر تأمله فى تنعم اليهود والنصارى وأرذال الناس والحمقى من الاكراد و) الاجلاف من (الاعراب) والسوادية (ومن لادين لهم ولا عقل) فينظر فى تبسطاتهم من الملاذ (ثم ينظر الى أحوال الانبياء) عليهم السلام وسيرهم وشمائلهم (والاولياء) والصالحين (والى سمت الخلفاء الراشدين) من الائمة الاربعة وعمر بن عبد العزيز (وسائر الصحابة والتابعين) ومن على قدمهم من السلف الخالفين (ويستمع أحاديثهم) وأقوالهم (ويطالع أحوالهم) من الكتب المؤلفة فيها كحلية أبى نعيم والقوت لابى طالب والرسالة لابى القاسم وطبقات النسالك وغيرها (ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة أرذال الخلق أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند

فهذا دواء من جهة المعرفة لابد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر * الثالث أن يعرف مافى القناعة من عز الاستغناء وما فى الحرص والطمع من الذل فاذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه فى الحرص لايخلو من تعب وفى الطمع لايخلو من ذل وليس فى القناعة الا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لايطلع عليه أحد الا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لايؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففى القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره وأحسن الى من شئت تكن أميره * الرابع أن يكثر تأمله فى تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى من الاكراد والاعراب الاجلاف ومن لادين لهم ولا عقل ثم ينظر الى أحوال الانبياء والاولياء والى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند

الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير فانه ان تنعم فى البطن فالحمار أكثر أكلا منه وان تنعم فى الوقاع فالخنزير أعلى رتبة منه وان تزين فى الملابس والخيل ففى اليهود من هو أعلى زينة منه وان قنع بالقليل ورضى به لم يساهمه فى رتبته الا الانبياء والاولياء * الخامس ان يفهم مافى جمع المال من الخطر كما ذكرنا فى آفات المال ومافيه من خوف السرقة والنهب والضياع ومافى خلو اليد من الامن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه فى آفات المال مع مايفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه ألحق بزمرة الاغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بان ينظر أبدا الى من دونه فى الدنيا الا الى من فوقه فان الشيطان أبدا يصرف نظره فى الدنيا الى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وأرباب الاموال يتنعمون فى المطاعم والملابس ويصرف نظره فى الدين الى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد أن تتميز عنهم قال أبو ذر أوصانى خليلى صلوات الله عليه أن أنظر الى من هو دونى لا الى من هو فوقى أى فى الدنيا وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر أحدكم الى من فضله الله عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وأن يعلم أن غاية صبره فى الدنيا أيام قلائل للتمتع دهرا طويلا فيكون كالمريض الذى يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه فى انتظار الشفاء * (بيان فضيلة السخاء) * اعلم أن المال ان كان مفقودا فينبغى أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان

الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير فانه ان تنعم فى البطن) أى فى المأكولات (فالحمار أكثر أكلا منه وان تنعم فى الوقاع) أى الجماع (فالخنزير أعلى رتبة منه) فانه موصوف بكثرته لا يفتر عنه وكذا الدب يضرب به المثل فى كثرة الوقاع وكذا العصافير فانها كثيرة السفاد (وان تزين فى الملبس) الحسن (و) ركوب (الخيل) المسوّمة (ففى اليهود من هو أعلى رتبة منه) وكذا فى النصارى بل وسائر أنواع الكفار فى غالب الديار يتخذون فره الخيل للركوب (وان قنع بالقليل ورضى به) فى كل ما ذكر (لم يساهمه) أى لم يشاركه (فى رتبته الا الانبياء والاولياء) فليتأمل الانسان فى هذا القدر حتى يعرف قدر القناعة (الخامس ان يفهم مافى جمع المال من الخطر) والاشراف على الهلاك (كما ذكرناه فى آفات المال ومافيه من خوف السرقة والنهب والضياع) اما بالحرق أو بالغرق أو بغير ذلك من الاسباب (ومافى خلو اليد من الامن) الخاطر (والفراغ) للخاطر (ويتأمل ما ذكرناه من آفات المال مع مايفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه الحق بزمرة الاغنياء وأخرج عن جريدة الفقراء) فقد روى أحمد والترمذى وقال حسن صحيح وابن ماجه من حديث أبى هريرة يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام وروى الحكيم فى النوادر من حديث سعيد بن عامر بن جذيم يدخل فقراء المسلمين قبل الاغنياء بخمسمائة سنة حتى ان الرجل ليدخل فى غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج (ويتم ذلك بان ينظر أبدا الى من هو دونه فى الدنيا الا الى من فوقه) فيها (فان الشيطان أبدا يصرف نظره فى الدنيا الى من فوقه فيقول لم تفتر) أى لم تكسل (عن الطلب وأرباب الاموال يتنعمون فى المطاعم والملابس) والمراكب (ويصرف نظره فى الدين الى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك) وأفضل منك (وهو لا يخاف الله) ولا يتقيد (والناس كلهم مشغولون بالتنعم) والتلذذ (فلم تريد ان تتميز عنهم) فى حياتك (قال أبو ذر) رضى الله عنه (أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم ان أنظر الى من هو دونى لا الى من هو فوقى) رواه أحمد وابن حبان فى أثناء حديث وقد تقدم (أى فى الدنيا وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا نظر أحدكم) اى تامل بعينه (الى من فضله الله عليه فى المال والخلق) بفتح الخاء وسكون اللام الصورة قال الحافظ ووجد فى بعض النسخ المعتمدة ضبطه بضمتين (فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه) لانه اذا نظر الى من فوقه استصغر ما عنده وحرص على المزيد فيه أدبه بالنظر الى من دونه ليرضى فيشكر ويقل حرصه اذ الانسان حسود بطبعه فاذا قاده طبعه للنظر الى الاعلى حملته الغيرة على الكفران والسخط فاذا رد نفسه الى النظر الى الدون حمله حب النعمة الى الرضا والشكر رواه أحمد والشيخان وأبو يعلى بلفظ اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه وفى رواية الى من تحته وروى هناد والبيهقى فى الشعب وقال والجسم بدل والخلق وفيه فلينظر الى من هو دونه فى المال والجسم (فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر) على مرّ العيش (وقصر الامل وان يعلم ان غاية صبره فى الدنيا أيام قلائل للتمتع دهورا طويلة) وفى بعض النسخ دهرا طويلا (فيكون كالمريض الذى يصبر على مرارة الدواء) وكراهة مذاقه (لشدة طمعه فى انتظار الشفاء) من أمراضه الشديدة

* (بيان فضيلة السخاء) *

(اعلم) هداك الله تعالى (ان المال اذا كان مفقودا فينبغى ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان

موجودا فينبغي أن يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من أخلاق الانبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الارض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فأكرموه بهما ما صحبتموه وعن عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جبل الله تعالى ولياله الا على حسن الخلق والسخاء وعن جابر قال قيل يارسول الله أي الاعمال أفضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل واذا أراد الله بعبد خيرا استعمله في قضاء حوائج الناس

موجودا فينبغي ان يكون حاله الايثار) للغير (والسخاء) أي بذله (واصطناع المعروف والتباعد من الشح والبخل) وبينهما فرق وقد تقدم ذكره (فان السخاء) خلق شريف (من) جملة (أخلاق الانبياء) عليهم السلام (وهو أصل من أصول النجاة وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة) وفي رواية من أشجار الجنة وفي رواية شجرة في الجنة (أغصانها متدلية الى الارض) وفي رواية متدليات في الدنيا (فمن أخذ منها غصنا) وفي رواية فمن أخذ غصنا منها (قاده ذلك الغصن الى الجنة) أي ان السخاء يدل على كرم النفس وتصديق ايمان بالاعتماد في الخلق على من ضمن الرزق فمن أخذ بهذا الاصل وعقد طويته عليه فقد استمسك بالعروة الوثقى الجاذبة له الى ديار الابرار ولهذا الحديث بقية يأتي ذكرها قريبا قال العراقي رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث عائشة وابن عدي والدارقطني في المستجاد من حديث أبي هريرة وسيأتي بعده وأبو نعيم من حديث جابر وكلها ضعيفة ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبي سعيد اهـ وسيأتي الكلام على هذا الحديث بعد ستة أحاديث (وقال جابر) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيه لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه) قال العراقي رواه الدارقطني في المستجاد دون قوله وحسن الخلق بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات وذكره بهذه الزيادة ابن عدي من رواية بقية عن يوسف بن السفر عن الاوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة ويوسف ضعيف اهـ قلت وروى عن أنس نحوه ولفظه مرفوع يا أيها الناس ان الله قد اختار لكم الاسلام دينا فأحسنوا صحبة الاسلام بالسخاء وحسن الخلق الحديث ورواه ابن عساكر وسيأتي ذكره بعد خمسة أحاديث (وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جبل الله تعالى أولياءه الا على السخاء وحسن الخلق) أغفله العراقي وقد رواه ابن عساكر في التاريخ من رواية عروة مرسلا ورواه أيضا الديلمي عنه عن عائشة بدون قوله وحسن الخلق وعند الحكيم الترمذي ما جبل الله وليا قط الا على السخاء والجاهل سخي أحب الى الله من عابد بخيل وسند الديلمي ضعيف وهو عند الدارقطني في المستجاد وأبي الشيخ وابن عدي بدون وحسن الخلق (وعن جابر) رضي الله عنه (قال قيل يارسول الله أي الاعمال أفضل قال الصبر والسماحة) قال العراقي رواه أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء بلفظ سئل عن الايمان وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعفه الجمهور ورواه أحمد من حديث عمرو بن عبسة بلفظ ما الايمان فقال الصبر والسماحة وفيه شهر بن حوشب ورواه البيهقي في الزهد بلفظ أي الاعمال أفضل قال الصبر والسماحة وحسن الخلق واسناده صحيح اهـ قلت وروى البخاري في التاريخ من حديث عبيد بن عمير عن أبيه بلفظ أفضل الايمان الصبر والسماحة هكذا رواه عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده وفيه مقال ورواه الزهري عن عبد الله عن أبيه مرسلا وهو أقوى ورواه كذلك الديلمي من حديث معقل بن يسار وروى الطبراني في الكبير من حديث عمرو بن عبسة أفضل الايمان حسن خلق ومن حديث اسامة بن شريك بلفظ أفضل الاعمال حسن الخلق (وقال عبد الله بن عمرو) بن العاص رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله تعالى وخلقان يبغضهما الله تعالى فاما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل واذا أراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس) أي ثم ألهمه القيام بحقها والوفاء بما استعمل عليه قال العراقي رواه الديلمي دون قوله في آخره فاذا أراد الله بعبد خيرا وقال فيه الشجاعة بدل الخلق وفيه محمد بن يونس الكديمي كذبه أبو داود وموسى بن هارون وغيرهما ووثقه الخطيب وروى الاصبهاني جميع الحديث موقوفا على عبد الله بن عمرو وروى الديلمي أيضا من حديث أنس اذا أراد الله بعبد خيرا صير حوائج الناس اليه وفيه يحيى بن شبيب ضعفه ابن حبان اهـ قلت هذا الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية ومن طريقه الديلمي بدون الجملة الاخيرة وروى البيهقي في الشعب جميع الحديث مرفوعا

من حديث ابن عمرو (وروى المقدام بن شريح بن هانئ) بن يزيد الحارثى المذحجى الكوفى ثقة روى له البخارى فى الادب المفرد ومسلم والاربعة (عن أبيه) أبى المقدام شريح الكوفى مخضرم ثقة قتل مع ابن أبى بكرة بسجستان روى له من ذكر فى ابنه (عن جده) أبى شريح هانئ بن يزيد صحابى نزل الكوفة روى له البخارى فى الادب وأبوداود والنسائى (قال قلت يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال ان من موجبات المغفرة) أى مما يوجب غفران الذنوب الذى هو سبب لدخول الجنة (بذل الطعام) أى اطعامه (وافشاء السلام وحسن الكلام) قال العراقى رواه الطبرانى بلفظ بذل السلام وحسن الكلام وفى رواية له يوجب الجنة اطعام الطعام وافشاء السلام وفى رواية له عليك بحسن الكلام وبذل الطعام اه قلت وبلفظ الطبرانى رواه أيضا الخرائطى فى مكارم الاخلاق وروى البيهقى من حديث جابر ان من موجبات المغفرة اطعام المسلم السغبان ورواه الحاكم بدون ان وروى البخارى فى الادب المفرد والطبرانى فى الكبير والحاكم والبيهقى من حديث هانئ بن يزيد بلفظ عليك بحسن الكلام وبذل الطعام ورواه ابن حبان بلفظ عليك بحسن الكلام وبذل السلام (وقال أبوهريرة) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة فى الجنة فمن كان سخيا أخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة فى النار فمن كان شحيحا أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار) قال العراقى رواه الدارقطنى فى المستجاد وفيه عبد العزيز بن عمران الزهرى ضعيف جدا اه قلت وكذلك رواه الخطيب فى التاريخ ورواه ابن عدى والبيهقى وضعفه باللفظ الذى ذكره المصنف فى أول الباب وتمامه والبخل شجرة من شجر النار أغصانها متدليات فى الدنيا فمن أخذ بغصن من أغصانها قاده ذلك الغصن الى النار ورواه عن محمد بن منير المطيرى عن عثمان بن شيبة عن أبى غسان محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران عن ابن أبى حبيبة عن داود بن الحصين عن الاعرج عن أبى هريرة وقد روى بهذا السياق أى الاخير من حديث الحسين بن على وجابر وأبى سعيد وعلى وعائشة ومعاوية بن أبى سفيان وأنس أما حديث الحسين بن على فرواه الدارقطنى فى الافراد وأبو بكر الشافعى فى الغيلانيات والبيهقى والخطيب فى كتاب البخلاء من طريق جعفر بن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده وأما حديث جابر فرواه أبونعيم فى الحلية عن الحسن بن أبى طالب عن عبد الله بن محمد الخلال عن أحمد بن الخطاب بن مهدان الشترى عن عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمى عن عاصم بن عبد الله عن عبد العزيز بن خالد عن الثورى عن أبى الزبير عن جابر ورواه أيضا الخطيب فى التاريخ من هذا الطريق وقال أبو نعيم تفرد به عبد العزيز بن خالد وعنه عاصم بن عبد الله وأما حديث أبى سعيد فقد رواه الخطيب فى تاريخه فى ترجمة أبى جعفر الطيالسى عنه وأما حديث على فقد رواه الدارقطنى فى الافراد والبيهقى فى الشعب والخطيب فى التاريخ عنه وأما حديث عائشة فقد رواه ابن حبان فى الضعفاء وأما حديث معاوية فقد رواه الديلمى فى مسند الفردوس وأما حديث أنس فقد رواه ابن عساكر فى التاريخ لكن مع اختلاف لفظ قال أنس أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال يا أيها الناس ان الله قد اختار لكم الاسلام دينا فاحسنوا صحبة الاسلام بالسخاء وحسن الخلق الا ان السخاء شجرة فى الجنة وأغصانها فى الدنيا فمن كان منكم سخيا لا يزال متعلقا بغصن من أغصانها حتى يورده الله الجنة ألا ان اللؤم شجرة فى النار وأغصانها فى الدنيا فمن كان منكم لئيما لا يزال متعلقا بغصن من أغصانها حتى يورده الله النار وطرق هذه الاحاديث كلها ضعاف وتقدم ان ابن الجوزى أورده فى الموضوعات من هذه الطرق كلها وتعقب (وقال أبو سعيد الخدرى) رضى الله عنه (قال النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل) أى الزيادة من الاحسان والتوسعة عليكم (من الرحماء من عبادى) أى الرقيقة قلوبهم السهلة عريكتهم (تعيشوا فى أكنافهم) جمع كنف محركة وهو الجانب (فانى جعلت فيهم رحمتى) أى جعلتهم مظاهر لرحمتى (ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم) أى الفظة الغليظة (فانى

جعلت

وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة فى الجنة فمن كان سخيا أخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة فى النار فمن كان شحيحا أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال أبو سعيد الخدرى قال النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تعيشوا فى أكنافهم فانى جعلت فيهم رحمتى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فانى

جعلت فيهم سخطى) قال العراقى رواه ابن حبان فى الضعفاء والخرائطى فى مكارم الاخلاق والطبرانى فى الاوسط وفيه محمد بن مروان السدى الصغير ضعيف ورواه العقيلى فى الضعفاء فجعله عبد الرحمن السدى وقال انه مجهول وتابع محمد بن مروان السدى عليه عبد الملك بن الخطاب وقد غمزه ابن القطان وتابعهما عليه عبد الغفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لا بأس بحديثه وتكلم فيه الجوزجانى والازدى ورواه الحاكم من حديث على وقال انه صحيح الاسناد وليس كما قال اهـ قلت أخرج الخرائطى عن محمد بن أيوب الضريس أخبرنا جندل بن واثق عن أبى مالك الواسطى عن عبد الرحمن السدى عن داود بن أبى هند عن أبى سعيد الخدرى فساقه وفيه فان فيهم رحمتى بدل فانى جعلت وفيه فانهم ينتظرون سخطى بدل فانى جعلت فيهم سخطى ومدار هذا الحديث على داود بن أبى هند وقد رواه عنه جماعة منهم محمد بن مروان السدى ومن طريقه أخرجه الطبرانى فى الاوسط وابن حبان فى الضعفاء ومنهم عبد الرحمن السدى ومن طريقه أخرجه العقيلى فى الضعفاء والخرائطى فى مكارم الاخلاق كما سقناه وفى الميزان عبد الرحمن السدى عن داود بن أبى هند لا يتابع وأتى بخبر باطل ثم ساق هذا ولفظ العقيلى فى الضعفاء عبد الرحمن السدى مجهول لا يتابع ولا يعرف حديثه من وجه يصح ومنهم عبد الملك بن الخطاب وعبد الغفار بن الحسن بن دينار وأما حديث على فسياقه عند الحاكم اطلبوا المعروف من رحماء أمتى تعيشوا فى أكنافهم ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فان اللعنة تنزل عليهم يا على ان الله خلق المعروف وخلق له أهلا فحببه اليهم وحبب اليهم فعاله ووجه اليهم طلابه كما وجه الماء فى الارض الجدبة لتحيا به ويحيا به أهلها ان أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة وهذا هو الذى صحح الحاكم اسناده وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال الذهبى فيما تعقب به على الحاكم بان فيه الاصبغ بن نباتة واه جدا وحبان بن على ضعفوه اهـ ولا يخفى ان هذا القدر لا يجعل الحديث موضوعا وانما هو ضعيف وشتان بين الضعيف والموضوع ولابى سعيد الخدرى حديث آخر لفظه اطلبوا الحوائج الى ذوى الرحمة من أمتى ترزقوا وتنجحوا فان الله تعالى يقول رحمتى فى ذوى الرحمة من عبادى ولا تطلبوا الحوائج عند القاسية قلوبهم لا ترزقوا ولا تنجحوا فان الله يقول ان سخطى فيهم هكذا رواه الحاكم فى التاريخ والعقيلى فى الضعفاء وضعفه والطبرانى فى الاوسط وأظن ان هذا السياق هو الذى تقدمت الاشارة اليه فى كلام الحافظ العراقى واورده ابن الجوزى فى الموضوعات ومعنى هذه الاخبار هو انكم اذا احتجتم الى فضل غيركم من مال أو جاه أو معونة فاطلبوه عند رحماء هذه الامة وهم أهل الدين والشرف وطهارة العنصر فان من توفر حظه من ذلك عظمت شفقته فرحم السائل وبذل ما عنده طلبا للثواب من غير من ولا أذى ولا مطل بل فى ستر وعفاف واغضاء فيعيش فى ظله مع سلامة الدين والعرض ولا يسترقه * (تنبيه) * قال شيخ الاسلام ابن تيمية المراد بالقاسية قلوبهم فى الاخبار السابقة طائفة اليهود بقرينة تصريحهم بان المراد هم فى آية ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وقسوة القلوب من ثمرات المعاصى وقد وصف الله اليهود بها فى غير موضع منها ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ثم قال وان قوما ممن قد ينسب الى علم ودين قد أخذوا من هذه الصفات بنصيب نعوذ بالله مما يكرهه الله ورسوله (وعن ابن عباس) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا) وفى رواية تجاوزوا (عن ذنب السخى) أى الكريم وفى رواية تجاوزوا للسخى عن ذنبه (فان الله آخذ بيده) أى معين له ومخلص له (كلما عثر) أى سقط فى مهلكة والمعاثر هى المهالك التى يعثر فيها وذلك لانه لما سخى بالاشياء اعتمادا على ربه وتوكلا عليه شمله بعين عنايته فكلما عثر فى مهلكة أنقذه منها قال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط والخرائطى فى مكارم الاخلاق وقال الخرائطى أقيلوا السخى زلته وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه وزاد الطبرانى فيه وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه باسناد ضعيف ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات من طريق

جعلت فيهم سخطى وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عثر

الدارقطنى اه قلت أما حديث ابن عباس فاخرجه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب والخطيب فى التاريخ بلفظ المصنف وهو عند الخرائطى بلفظ اقيلوا السخى زلته فان الله آخذ بيده كلما عثر وروى الخطيب أيضا من حديثه بلفظ تجاوزوا عن ذنب السخى وزلة العالم وسطوة السلطان العادل فان الله آخذ بيدهم كلما عثر عاثر منهم وقد روى نحوه من حديث أبى هريرة ولفظه تجافوا عن زلة السخى فانه اذا عثر أخذ الرحمن بيده رواه ابن عساكر وأما حديث ابن مسعود فلفظه تجاوزوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عثر وهكذا رواه الدارقطنى فى الافراد والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى وضعفه وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات ولفظ الطبرانى فى الاوسط فان الله يأخذ بيده عند عثراته قال الدارقطنى فى الافراد حدثنا محمد بن مخلد حدثنا ابراهيم بن حماد الازدى عن عبد الرحيم بن حماد البصرى عن الاعمش عن أبى وائل عن ابن مسعود فساقه تفرد به عبد الرحيم وقد قال العقيلى انه حدث عن الاعمش بما ليس من حديثه اه وأخرجه ابن الجوزى من هذا الطريق وحكم عليه بالوضع لذلك وتعقبه الحافظ السيوطى بأن عبد الرحيم لم ينفرد به فقد رواه الطبرانى فى الكبير عن أحمد بن عبيد الله بن جرير بن جبلة عن أبيه عن بشر بن عبيد الله الدارمى عن محمد بن حميد العتكى عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن ابن مسعود وقد رواه أبو نعيم والبيهقى من هذا الطريق وقال البيهقى عقبه هذا اسناد مجهول ضعيف (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرزق الى مطعم الطعام أسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهى بمطعم الطعام الملائكة) قال العراقى لم أجده من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ الخير أسرع الى البيت الذى يغشى وفى حديث ابن عباس يؤكل فيه من الشفرة الى سنام البعير ولابى الشيخ فى كتاب الثواب من حديث جابر الرزق الى أهل البيت الذى فيه السخاء الحديث فكلها ضعيفة اه قلت لفظ أبى الشيخ الرزق الى أهل البيت الذى فيه السخاء أسرع من الشفرة الى سنام البعير وقد روى نحوه من حديث أبى سعيد الخدرى ولفظه الرزق الى بيت فيه السخاء والباقى سواء رواه ابن عساكر فى التاريخ أما حديث ابن عباس عند ابن ماجه فلفظه الخير أسرع الى البيت الذى يؤكل فيه من الشفرة الى سنام البعير وأما حديث أنس عنده فلفظه الخير أسرع الى البيت الذى يغشى من الشفرة الى سنام البعير وقد وقع له ثلاثيا وهكذا رواه ابن زنجويه والبيهقى ورواه البيهقى أيضا عن شيخ يقال له أبو سعيد عن أبيه وقد ورد من حديث الحسن مرسلا ولفظه الخير أسرع الى البيت الذى يطعم فيه الطعام من الشفرة الى سنام البعير رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الاخوان (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جواد يحب الجود ويحب معالى الاخلاق ويكره سفسافها) قال العراقى رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز وهذا مرسل وللطبرانى فى الكبير والاوسط والحاكم والبيهقى من حديث سهل بن سعد ان الله كريم يحب الكرم ويحب معالى الامور وفى الكبير والبيهقى معالى الاخلاق الحديث واسناده صحيح وتقدم آخر الحديث فى اخلاق النبوة اه قلت لفظ الخرائطى هو سياق المصنف لكنه زاد ان من اكرام الله اكرام ذى الشيبة فى الاسلام والحامل للقرآن غير الجافى ولا الغالى والامام المقسط وقد رواه هناد بن السرى فى الزهد أيضا هكذا وقد روى الخرائطى هذا المرسل أيضا بلفظ آخر قال ان الله كريم يحب الكرم ويحب معالى الاخلاق وفى لفظ الامور ويكره سفسافها وقد رواه كذلك عبد الرزاق فى المصنف والبخارى فى التاريخ والحاكم والبيهقى كلهم عن طلحة بن عبيد الله ابن كريز الخزاعى وقد روى بهذا اللفظ من حديث سهل بن سعد وكذلك رواه الطبرانى فى الكبير وابن قانع والحاكم وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى وقد روى أيضا من حديث سعد بن أبى وقاص بلفظ ان الله كريم يحب الكرماء جواد يحب الجود يحب معالى الاخلاق ويكره سفسافها رواه ابن عساكر وابن النجار والضياء وروى الطبرانى فى الكبير وابن عدى والباوردى من حديث فاطمة بنت الحسين عن أبيها رفعه وان

وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم الرزق الى مطعم الطعام أسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهى بمطعم الطعام الملائكة عليهم السلام وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جواد يحب الجواد ويحب مكارم الاخلاق ويكره سفسافها

وقال أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسئل على الاسلام شيأ الا أعطاه وأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال ياقوم أسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لايخاف الفاقة وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وعن الهلالى قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بنى العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاء فيه وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال

الله يحب معالى الامور وأشرافها ويكره سفسافها وروى من حديث ابن سعد ان الله يحب معالى الاخلاق ويكره سفسافها رواه ابن حبان فى روضة العقلاء والخرائطى فى مكارم الاخلاق (وقال أنس) رضى الله عنه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسئل على الاسلام شيأ الا أعطاه فأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال ياقوم اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لايخشى الفاقة) رواه مسلم وقد تقدم فى كتاب أخلاق النبوّة (وقال ابن عمر) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد) أى لاجل منافعهم (فمن بخل بتلك المنافع عن العباد) بان لم يعطوا منها لمن يستحق (نقلها الله تعالى عنه وحوّلها الى غيره) لان الله تعالى لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فالعاقل الحازم من يستديم النعمة عليه ويداوم الشكر والافضال منها العباده قال العراقى رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السمتى فيه لين ووثقه ابن معين يرويه عن أبى عثمان عبد الله ابن زيد الحمصى ضعفه الازدى انتهى قلت سياق المصنف لتمام فى فوائده الا أنه قال اختصهم بدل يخصهم وفيه نقل الله تلك النعم عنهم وحوّلها الى غيرهم ولفظ الطبرانى فى الكبير وكذا لفظ أبى نعيم ان لله عز وجل أقواما يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم مابذلوها فاذا منعوها نزعها منهم فحوّلها الى غيرهم وهكذا رواه ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج وأحمد والحاكم والبيهقى فى الشعب والخطيب وابن النجار فالطبرانى والبيهقى روياه من طريق الاوزاعى عن عبدة بن أبى لبابة عن ابن عمر وقيل بادخال نافع بين عبدة وابن عمر (وعن الهلالى) منسوب الى بنى هلال قال ابن حبيب فى هوازن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن نسب اليه خلق (قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسارى من بنى العنبر) وهم قبيلة من بنى تميم وهم بنو العنبر بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ومنهم كانت سجاح ابنة أوس بن جوير ابن اسامة بن العنبرى التى تنبأت وهى مشهورة (فامر بقتلهم وأفرد منهم رجلا) أى فلم يقتله (فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاء فيه) قال العراقى لم أجد له أصلا والهلالى لا يعرف اسمه فان كان هو عبد الحميد بن الحسن الهلالى فانه يروى عن ابن المنكدر فانظره (وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح) قال العراقى لم أقف له على أصل قلت ولكن المعنى صحيح ومنه قولهم اما نعم صريحة والا مريحة (وعن نافع) مولى ابن عمر (عن ابن عمر) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء) لكونه يطعم الضيف مع سماحة نفس وطيب خاطر وانشراح صدر (وطعام البخيل داء) لانه يطعم مع تفجع وضيق نفس قال العراقى رواه ابن عدى والدارقطنى فى غرائب مالك وأبو على الصوفى فى عواليه وقال رجاله ثقات أئمة قال ابن القطان وانهم لمشاهير ثقات الا المقدام بن داود فان أهل مصر تكلموا فيه انتهى قلت هو فى الكامل لابن عدى من طريق أحمد بن محمد بن شبيب السجزى عن محمد بن معمر البحرانى عن روح بن عبادة عن الثورى عن مالك عن نافع عن ابن عمر به مرفوعا ورواه الخطيب فى المؤتلف والمختلف وفى ذم البخلاء وأبو القاسم الحرقى فى فوائده بلفظ طعام السخى دواء أو قال شفاء وطعام الشحيح داء ولفظ بعضهم طعام الكريم وكذلك رواه الحاكم فى التاريخ ومن طريقه الديلمى فى مسنده بلفظ طعام السخى دواء وطعام الشحيح داء قال السخاوى قال شيخنا هو حديث منكر وقال الذهبى كذب وقال ابن عدى انه باطل عن مالك فيه مجاهيل وضعفاء ولا يثبت انتهى ورواه ابن لال فى مكارم الاخلاق والديلمى من حديث عائشة بمثل لفظ الحاكم (وقال صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه) أى ثقلهم فمن أنعم الله عليه بنعمة تهافتت عليه عوام الخلق (فمن لم يحتمل تلك المؤنة) فقد (عرض تلك النعمة للزوال) لان النعمة اذا لم تشكر زالت ولذا قال حكيم النعم وحشية قيدوها بالشكر ومن ثم قال الفضيل بن عياض أما

علمتم أن حاجة الناس اليكم نعمة من الله عليكم فاحذروا أن تملوا وتضجروا من حوائج الناس فتصير النعم نقما أخرجه أبو نعيم فى الحلية وقال محمد بن الحنفية أيها الناس اعلموا أن حوائج الناس اليكم نعم الله عليكم فلا تملوها فتحول نقما واعلموا ان أفضل المال ما أفاد ذخرا وأورث شكرا وأوجب أجرا ولو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين أخرجه البيهقى والحديث قال العراقى رواه ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث معاذ بلفظ ما عظمت نعمة الله على عبد الا فذكره وفيه أحمد بن معدان قال أبو حاتم مجهول والحديث باطل ورواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث عمر باسناد منقطع وفيه حليس بن محمد أحد المتروكين ورواه العقيلى من حديث ابن عباس قال ابن عدى يروى من وجوه كلها محفوظة انتهى قلت روى هذا من حديث معاذ وعمر وعائشة وأبى هريرة وابن عباس أما حديث معاذ فرواه البيهقى فى الشعب وأبو يعلى والعسكرى من طريق ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل به مرفوعا ورواه البيهقى أيضا باثبات مالك بن يخامر بين خالد ومعاذ ورواه أيضا أبو سعد السمان فى مشيخته وأبو اسحق المستملى فى معجمه والخطيب وابن النجار وراويه عن ثور بن يزيد عندهم جميعا أحمد بن معدان العبدى وهو مجهول وقال البيهقى بعد أن أخرجه هذا حديث لا أعلم انا كتبناه الا باسناد وهو كلام مشهور عن الفضيل انتهى وأما حديث عمر فرواه أيضا الشيرازى فى الالقاب موقوفا ولفظهم جميعا ما عظمت نعمة على عبد الا وعظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل مؤنة الناس فقد عرض تلك النعمة للزوال وأما حديث عائشة فرواه ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج والطبرانى قال المنذرى ضعيف ولفظه ما عظمت نعمة الله على عبد الا اشتدت عليه مؤنة الناس فمن لم يحتمل تلك المؤنة للناس فقد عرض تلك النعمة للزوال وأما حديث ابن عباس فرواه العقيلى فى الضعفاء وضعفه ورواه أبو نعيم فى الحلية ولفظه ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فاسبغها ثم جعل اليها شيأ من حوائج الناس فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال وأما حديث أبى هريرة فلفظه ما من عبد أنعم الله عليه نعمة سبغها عليه الا جعل شيأ من حوائج الناس اليه فان تبرم بهم عرض تلك النعمة للزوال رواه البيهقى من طريق الاوزاعى عن ابن جريج عن عطاء عنه فهذه الاخبار وان كانت طرقها غير محفوظة ولكن بعضها يؤكد بعضا وأمثلها اسناد أبى هريرة (وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شئ لا تأكله النار قيل وما هو قال المعروف) نقله صاحب القوت والمعنى لا تأكل النار صاحبه (وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاسخياء) لان السخاء خلق الله الاعظم كما ورد فى الخبر وهو يحب من يتخلق بشئ من اخلاقه فلذلك صلحوا لجواره فى داره قال العراقى رواه ابن عدى والدارقطنى فى المستجاد والخرائطى قال الدارقطنى لا يصح ومن طريقه روى ابن الجوزى فى الموضوعات وقال الذهبى حديث منكر ما آفته سوى جحدر قلت رواه الدارقطنى فيه من طريق آخر وفيه محمد بن الوليد الموقرى وهو ضعيف أيضا انتهى قلت هو فى الكامل لابن عدى عن زيد بن عبد العزيز عن جحدر عن بقية عن الاوزاعى عن عائشة ثم قال جحدر يسرق الحديث ويروى المناكير وكذلك رواه أبو الشيخ فى الثواب والقضاعى فى المسند وقد روى أيضا من حديث أنس لكن بزيادة والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة بخيل ولا عاق والديه ولا منان بما أعطى رواه كذلك ابن عدى وأبو الشيخ والخطيب فى ذم البخلاء والديلمى فى المسند (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السخى قريب من الله) أى من رحمته وثوابه فليس المراد قرب المسافة تعالى الله عنه (قريب من الناس) أى من محبتهم فالمراد قرب المودة (قريب من الجنة) لسعيه فيما يدنيه منها وسلوكه طريقها فالمراد هنا قرب المسافة (بعيد من النار) والقرب من الجنة والبعد من النار جائز باعتبار قرب المسافة لانهما مخلوقتان والقرب والبعد انما هو برفع الحجاب وعدم رفعه فاذا اقات الحجب قلت المسافة (وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس) أما بعده عن الله فلكون البخل مما أبغضه الله تعالى فهو بعيد عن رحمته تعالى وثوابه وأما بعده عن الناس فلكونهم يمقتونه فيبعدوه عنه ويبعد عنهم (بعيد من

الجنة)

وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شئ لا تأكله النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاسخياء وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من

الجنة) لانه لم يسلك طريقها (قريب من النار) لكونها احفت بالشهوات وحجبت بها والبخل بالمال شهوة نفسية فهى طريقه الموصلة الى النار (وجاهل سخى أحب الى الله من عابد بخيل) لان الجاهل السخى سريع الانقياد الى ما يؤمر به من نحو تعلم والى ما ينهى عنه بخلاف العابد البخيل قال ابن العربى وهذا مشكل يباعد الحديث عن الصحة مباعدة كثيرة وعلى حاله فيحتمل ان معناه ان الجهل قسمان جهل بما لابد من معرفته فى عمله واعتقاده وجهل بما يعود نفعه على الناس من العلم فاما المختص به فعابد بخيل خير منه وأما الخارج عنه فجاهل سخى خير منه لان الجهل والعلم يعودان للاعتقاد والسخاء والبخل للعمل وعقوبة ذنب الاعتقاد أشد من ذنب العمل انتهى (وأدوأ الداء البخل) أى أعظمه داء قال العراقى رواه الترمذى وقال غريب ولم يذكر فيه أدوأ الداء البخل وقد رواه بهذه الزيادة الدارقطنى فيه انتهى قلت سياق المصنف رواه ابن جرير فى تهذيبه بتلك الزيادة من حديث أبى هريرة بدون ان فى الجملتين وقال والجاهل وقال أكبر الداء البخل وأما الذى رواه الترمذى من حديث أبى هريرة بدون ان فى الموضعين وبزيادة اللام فى جاهل وبدون تلك الزيادة فقد رواه من طريق سعد بن محمد الوراق عن يحيى بن سعيد الانصارى عن الاعرج عن أبى هريرة وقال انه غريب وانما يروى هذا عن يحيى بن سعيد عن عائشة مرسلا انتهى وكذلك رواه العقيلى فى الضعفاء والدارقطنى فى الافراد وابن عدى والبيهقى والخرائطى فى مكارم الاخلاق والخطيب فى كتاب البخلاء كلهم من حديث أبى هريرة وقد روى أيضا من حديث جابر وعائشة وأنس أما حديث جابر فرواه البيهقى فى الشعب وأما حديث عائشة فرواه أبو بكر بن أبى داود عن جعفر بن محمد بن المرزبان عن خالد بن يحيى عن غريب ابن عبد الواحد عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عائشة فزاد فيه سعيدا لكنه غريب لا يعرف ورواه الدارقطنى والطبرانى فى الاوسط والبيهقى والخطيب من طريق سعيد بن محمد الوراق وأيضا عن يحيى بن سعيد عن محمد بن ابراهيم التيمى عن أبيه عن عائشة وعند بعضهم عن الوراق عن يحيى بن عروة عن عائشة والوراق قال الذهبى ضعيف وقال البيهقى تفرد به الوراق وهو ضعيف ورواه القشيرى فى الرسالة من طريق سعيد بن مسلمة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن ابراهيم ولكن بدون الجملة الاخيرة وفيه والجاهل السخى أحب الى الله من العابد البخيل وأما حديث أنس فرواه الطبرانى وفى مسنده محمد بن تميم وهو وضاع وقال الدارقطنى بعد ان أورد هذا الحديث له طرق ولا يثبت منها شئ فتعلق ابن الجوزى بهذه الزيادة فاورد الحديث فى الموضوعات وقد رد عليه الحافظ ابن حجر بانه لا يلزم من هذه العبارة أن يكون موضوعا فالثابت يشمل الصحيح والضعيف دونه وهذا ضعيف فالحكم عليه بالوضع ليس بجيد نقله السخاوى فى المقاصد والشمس الداودى وغيرهما (وقال النبى صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس بأهله فان أصبت أهله فقد أصبت أهله وان لم تصب أهله فانت أهله) قال العراقى رواه الدارقطنى فى المستجاد من رواية جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده مرسلا وتقدم فى آداب الصحبة قلت ورواه ابن النجار من حديث على ورواه ابن لال والخطيب فى رواية مالك من حديث ابن عمر (وقال صلى الله عليه وسلم ان بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين) قال العراقى رواه الدارقطنى فى المستجاد وأبو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق من حديث أنس وفيه محمد بن عبد العزيز بن المبارك الدينورى أورد ابن عدى له مناكير وفى الميزان انه ضعيف منكر الحديث وروى الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث أبى سعيد نحوه وفيه صالح المرى متكلم فيه انتهى قلت وكذلك رواه الخلال فى كرامات الاولياء وهو من حديث الحسن عن أنس وقد رواه الحكيم فى النوادر وابن أبى الدنيا فى كتاب السخاء والبيهقى من طريقه من مرسل الحسن ولفظه ان بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور وسخاوة الانفس والرحمة لجميع المسلمين (وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل جعل للمعروف) وهو اسم جامع لما عرف

الجنة قريب من النار وجاهل سخى أحب الى الله من عالم بخيل وأدوأ الداء البخل وقال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس بأهله فان أصبت أهله فقد أصبت أهله وان لم تصب أهله فانت من أهله وقال صلى الله عليه وسلم ان بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل جعل للمعروف

من الطاعة وندب من الاحسان (وجوها) أى جماعات فكنى بالوجه عن الذات (من خلقه) أى الآدميين بقرينة قوله (حبب اليهم المعروف) أى جبلهم عليه (وحبب اليهم فعاله) أى لاجل القيام به ونشره فى العالم أن يفعلوه مع غيرهم (ووجه طلاب المعروف اليهم) أى الى قصدهم وسؤالهم له فى فعله معهم (ويسر) أى سهل (عليهم اعطاءهم) اياه وفى رواية اعطاءه أى هيأ لهم أسبابه (كما يسر الغيث الى الارض الجدبة) أى الممحلة (فيحييها) به فتخرج نباتها باذن ربها (ويحيي به أهلها) أى بما تخرج من النبات هم ومواشيهم وفى رواية ليحييها ويحيي بها أهلها قال العراقى رواه الدارقطنى فى المستجاد من رواية أبى هرون العبدى عنه وأبو هرون ضعيف ورواه الحاكم من حديث على وصححه انتهى قلت ولحديث أبى سعيد بقية وهى وان الله تعالى جعل للمعروف أعداء من خلقه بغض اليهم المعروف وبغض اليهم فعاله وحظر عليهم اعطاءه كما يحظر الغيث عن الارض الجدبة ليهلكها ويهلك بها أهلها وما يعفو أكثر وهكذا رواه ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج وهو من طريق عثمان بن سماك عن أبى هرون العبدى عن أبى سعيد وقد رواه أيضا أبو الشيخ وأبو نعيم والديلمى باللفظ المذكور (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف) أى ما عرف فيه رضا الله أو ما عرف من جملة الخيرات أو ما شهد عيانه بموافقته وقبول موقعه بين الانفس فلا يلحقها منه تنكر (صدقة) أى بمنزلة الصدقة وثوابه كثوابها رواه أحمد والبخارى وابن حبان والدارقطنى والحاكم من حديث جابر ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث بلال ورواه أحمد ومسلم وأبو داود وأبو عوانة وابن حبان من حديث حذيفة ورواه ابن حبان من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبى الدنيا من حديث ابن عباس ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث عدى بن ثابت عن أبيه عن جده ورواه أحمد والطبرانى فى الصغير من حديث نبيط بن شريط ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن يزيد وقد رويت فى هذا الحديث زيادات فمنها ما ذكره المصنف (وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة) لانه ينكف بذلك عن السؤال ويكف من ينفق عليه (وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة) وهو ما يعطيه الشاعر أو من يخاف شره ولسانه وانما كان صدقة لان صيانة العرض من جملة الخيرات لأنه يحرم على الغير كالدم والمال (وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها) قال العراقى رواه ابن عدى والدارقطنى فى المستجاد والخرائطى والبيهقى فى الشعب من حديث جابر وفيه عبد الحميد بن الحسن الهلالى وثقه ابن معين وضعفه الجمهور والجملة الاولى منه عند البخارى من حديث جابر وعند مسلم من حديث حذيفة انتهى قلت رواه بتمامه عبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج والحاكم من طريق عبد الحميد بن الحسن عن محمد بن المنكدر عن جابر وقال الحاكم صحيح وتعقبه الذهبى بقوله ان عبد الحميد ضعفوه وقال فى الميزان انه غريب جدا ولفظ حديث جابر بعد الجملة الاولى وما أنفق المسلم من نفقة على نفسه وأهله كتب له بها صدقة وما وقى به المرء المسلم عرضه كتب له به صدقة وكل نفقة أنفقها المسلم فعلى الله خلفها والله ضامن الا نفقة فى بنيان أو معصية وتقدم أن القضاعى روى من هذه الطريق ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة وما أنفق الرجل على أهله ونفسه كتبت له صدقة وفيه قال عبد الحميد الهلالى فقلت لمحمد بن المنكدر ما معنى ما وقى به عرضه الخ وقد تقدم وتقدم أيضا ان عبد الحميد لم ينفرد به بل رواه القضاعى أيضا من طريق مسعود بن الصلت المزنى وبهذا يجاب عن تعقب الذهبى على الحاكم ومن جملة الزيادات فى حديث جابر يصنعه أحدكم الى غنى أو فقير رواه أبو يعلى فى حديث جابر وان من المعروف أن تلقى أخاك ووجهك اليه منبسط وأن تصب من دلوك فى اناء جارك رواه أحمد وعبد بن حميد والترمذى وقال حسن صحيح والدارقطنى والحاكم ومن الزيادات فى حديث بلال والمعروف يقى سبعين نوعا من البلاء ويقى ميتة السوء الحديث رواه هكذا ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج والخرائطى وابن النجار ومن الزيادة فى حديث ابن مسعود غنيا كان أو فقيرا رواه الطبرانى فى الكبير ومن الزيادات فى حديث ابن عباس ما أشار اليه المصنف بقوله (وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب

وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحيها ويحيي به أهلها وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب

اغاثة اللهفان وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف فعلته الى غنى أوفقير صدقة وروى أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام لاتقتل السامرى فانه سخى وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم ان الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت (الآثار) قال على كرم الله وجهه اذا أقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لاتفنى واذا أدبرت عنك فانفق منها فانها لاتبقى وأنشد

لاتبخلن بدنيا وهى مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف

وان تولت فأحرى ان تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن على رضى الله عنهم عن المروءة والنجدة والكرم فقال أما المروءة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام فى الكراهية وأما النجدة فالذب عن الجار والصبر فى المواطن وأما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام فى المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل ورفع رجل الى الحسن بن على رضى الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لونظرت فى رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألنى الله عز وجل عن ذل مقامه بين

اغاثة اللهفان) أى المتحير فى أمره الحزين المسكين الذى لايجد له مغيثا ولا ناصرا قال العراقى رواه الدارقطنى فى المستجاد من رواية الحجاج بن ارطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مفرقا والجملة الاولى تقدمت قبله والجملة الثانية تقدمت فى كتاب العلم من حديث أنس وغيره والجملة الثالثة رواها أبو يعلى من حديث أنس وفيها زياد النميرى ضعيف وروى ابن عدى الجملتين الاخيرتين فى ترجمة سليمان الشاذكونى من حديث بريدة انتهى قلت وروى البيهقى هذه الجمل الثلاثة معا فى الشعب من حديث ابن عباس وفيه طلحة بن عمرو قال الذهبى قال أحمد متروك الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف فعلته الى غنى أوفقير صدقة) قال العراقى رواه الدارقطنى فى المستجاد من حديث أبى سعيد وجابر والطبرانى والخرائطى كلاهما فى مكارم الاخلاق ومن حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر باسنادين ضعيفين اهـ قلت حديث جابر رواه أيضا الخطيب فى الجامع وابن عساكر فى التاريخ بلفظ صنعته بدل فعلته وفيه صدقة وحديث ابن مسعود رواه أيضا ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج وحديث ابن عمر رواه ابن أبى الدنيا أيضا فى الكتاب المذكور (وروى) فى الاسرائيليات (ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام لاتقتل السامرى فانه سخى) وهو رجل من اليهود وقصته مذكورة فى القرآن وطائفة من اليهود ينتسبون اليه وذكر المسعودى انهم ينكرون نبوة داود ومن بعده من الانبياء ويقولون لانبى بعد موسى وجعلوا رؤساءهم من ولد هرون بن عمران ويقولون لامساس ويزعمون ان نابلس هى بيت المقدس وهى مدينة يعقوب عليه السلام (وقال جابر) بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا) أى سرية (ولى عليهم قيس بن سعد بن عبادة) بن دليم بن حارثة بن الخزرج الانصارى الخزرجى صحابى ابن صحابى رضى الله عنهما مات سنة ستين أو بعدها روى له الجماعة (فجهدوا) بالضم مبنيا للمفعول أى أصابهم الجهد (فنحر لهم قيس تسع ركائب) جمع ركوبة بالفتح وهى الناقة تركب (فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك) لما قدموا (فقال صلى الله عليه وسلم ان الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت) يشير به الى بيت سعد بن عبادة فانهم مشهورون بالجود والاطعام من آبائهم قال العراقى رواه الدارقطنى فى المستجاد من رواية أبى حمزة الجيرى عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله اهـ قلت ورواه أيضا أبو بكر الشافعى فى الغيلانيات وابن عساكر بسياق المصنف عن جابر عن عبد الله ورواه ابن عساكر أيضا عن جابر بن سمرة وقول المصنف يحتمل ان يكون جابرا الانصارى وان يكون جابر بن سمرة *(الآثار قال على كرم الله وجهه اذا أقبلت الدنيا) اليك فان وفر مالك وجاهك (فانفق منها) لمن يستحق (فانها لاتبقى) بانفاقك مع الاقبال (واذا أدبرت) عنك وولت (فانفق منها) أيضا (فانها لاتبقى) فالانفاق منها محمود على كل حال (وأنشد)

(لاتبخلن بدنيا وهى مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف)

(وان تولت فأحرى ان تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف)

(وسأل معاوية) بن أبى سفيان (الحسن بن على) رضى الله عنهما (عن المروءة والنجدة والكرم) ماحدها (فقال) الحسن (أما المروءة فحفظ الرجل دينه) عما لايليق به (وحرزه نفسه) عن الذهول والدناءة (وحسن قيامه) أى التعهد (بضيفه وحسن المنازعة والاقدام فى الكراهية) أى فيما تكرهه النفس وهذه الاوصاف هى المعبر عنها بالانسانية (وأما النجدة فالذب) أى الدفع والمنع (عن الجار) بان لايوطئ جاره بما يكره (والصبر فى المواطن) اى مواطن الشدة (واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال) أى يبتدئ به قبل ان يسئل (والاطعام فى المحل) أى وقت الجدب وقلة المطر (والرأفة بالسائل) أى الشفقة والرحمة بحاله (مع بذل النائل) أى العطاء (ورفع رجل الى) أبى عبد الله (الحسن بن على) رضى الله عنهما (رقعة) يسأله فيها حاجة (فقال حاجتك مقضية) وذلك قبل ان يقرأها (فقيل له يا ابن رسول الله لونظرت فى رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك قال يسألنى الله عز وجل عن ذل مقامه) أى وقوفه (بين

يدى حتى اقر أرقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الاحرار بمعروفه وسئل بعض الاعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا وقال على بن الحسين رضى الله عنهما من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخى من يبتدئ بحقوق الله تعالى فى أهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب الله تاما وقيل للحسن البصرى ما السخاء فقال أن تجود بمالك فى الله عز وجل قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق رحمة الله عليه لامال أعون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة ألا وان الله عز وجل يقول انى جواد كريم لا يجاورنى لئيم واللؤم من الكفر وأهل الكفر فى النار والجود والكرم من الايمان وأهل الايمان فى الجنة وقال حذيفة رضى الله عنه رب فاجر فى دينه أخرق فى معيشته يدخل الجنة بسماحته وروى ان الاحنف بن قيس رأى رجلا فى يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لى فقال أما انه ليس لك حتى يخرج من يدك وفى معناه قيل أنت للمال اذا أمسكته * فاذا أنفقته فالمال لك وسمى واصل بن عطاء الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا رأى امرأة ضعيفة أعطاها شيأ وقال الاصمعى كتب الحسن بن على الى الحسين بن على رضوان الله عليهم يعتب عليه فى

يدى حتى اقر أرقعته وقال) (ابن السماك) محمد بن صبيح البغدادى الواعظ (عجبت لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الاحرار بمعروفه) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وسئل بعض الاعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا) فلم يرد عليه بمثله (وأعطى سائلنا) بماله ومعروفه (وأغضى) أى سامح (عن جاهلنا) فلم يؤاخذه بجهله (وقال على بن الحسين) زين العابدين رضى الله عنه (من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخى من يبتدئ بحقوق الله تعالى فى أهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب الله تاما) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقيل للحسن البصرى) رحمه الله تعالى (ما السخاء قال ان تجود بمالك فى الله عز وجل قيل وما الحزم قال ان تمنع مالك فيه) أى فى الله عز وجل (قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال جعفر الصادق) رضى الله عنه (لامال أعود من العقل) أى أكثر عائدة منه (ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهرة) وهى المعاونة (كالمشاورة) مع أهل الدين والرأى المتين (الاوان الله عز وجل يقول انى جواد كريم لا يجاورنى لئيم) أى فى دار كرامتى (واللؤم من الكفر وأهل الكفر فى النار والجود والكرم من الايمان وأهل الايمان فى الجنة) وهو معنى الخبر السابق السخاء شجرة من أشجار الجنة واللؤم شجرة من أشجار النار (وقال حذيفة) بن اليمان رضى الله عنه (رب فاجر فى دينه) أى ليس بدين (أخرق فى معيشته) أى لا يدرى فى أمور معيشته ولا يحسن الصنعة (يدخل الجنة بسماحته) أى ببذله لماله (ورأى الاحنف بن قيس رجلا فى يده درهم) يقلبه (فقال لمن هذا الدرهم قال لى فقال أما انه ليس لك حتى يخرج من يدك وفى معناه قيل)

(أنت للمال اذا أمسكته * فاذا أنفقته فالمال لك)

أى اذا أحرزته عندك فانت بازائه كالحارس له والخائف عليه فاذا أخرجته من يدك صار لك حيث قضى حاجتك وسلمت من وباله واسترحت من حراسته (وسمى واصل بن عطاء الغزال) وهى نسبة من يبيع الغزل ولم يكن كذلك ولكنه لقب به (لانه كان يجلس الى الغزالين) أى عندهم فى سوقهم (فاذا رأى امرأة ضعيفة) الحال أتت تشترى الغزل وهى فقيرة (أعطاها شيأ) من المال مواساة لها فلكثرة ملازمته لهم لقب بالغزال وواصل هذا هو الذى كان يختلف الى الحسن البصرى فلما اختلفوا وقالت الخوارج بتكفير مرتكبى الكبائر وقالت الجماعة بانهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر فخرج واصل عن الفريقين وقال فاسق هذه الامة لا مؤمن ولا كافر منزلة بين المنزلتين فطرده الحسن فاعتزله وجلس اليه عمرو بن عبيد فى باب مولى بالعروبة البصرى من بنى تميم فقيل لهما ولاتباعهما المعتزلة وكان عمرو ورعا مجتهدا الا انه يكذب فى الحديث وهما الاعداء (وقال الاصمعى) عبد الملك بن سعيد بن قريب (كتب الحسن بن على الى) أخيه (الحسين بن على رضى الله عنهما يعتب عليه فى اعطاء الشعراء) الاموال الجمة (فكتب اليه خير المال ما وقى به العرض) أى حفظه عن الامتهان وهو معنى الخبر السابق ما وقى به المؤمن عرضه فهو صدقة رواه عبد الحميد بن الحسن عن ابن المنكدر عن جابر رفعه قال عبد الحميد سألت ابن المنكدر عن معناه فقال ما يعطيه الشعراء وقد تقدم نحوه (وقيل لسفيان بن عيينة) رحمه الله تعالى (ما السخاء فقال السخاء البر بالاخوان) أى مواصلتهم بالاحسان (والجود بالمال) أى اعطاؤه وبذله لهم (قال وورث أبى) وهو عيينة بن ميمون الهلالى (خمسين ألف درهم فبعث بها صررا الى اخوانه وقال قد كنت أسأل الله تعالى لاخوانى الجنة فى صلاتى أفأبخل عليهم بالدنيا) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (بذل المجهود) أى الطاقة (فى

اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقى به العرض وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالاخوان وبذل والجود بالمال قال وورث أبى خمسين ألف درهم فبعث بها صررا الى اخوانه وقال قد كنت أسأل الله تعالى لاخوانى الجنة فى صلاتى أفأبخل عليهم بالمال وقال الحسن بذل المجهود فى

بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من أحب الناس اليك قال من كثرت أياديه عندى قيل فان لم يكن قال من كثرت أيادى عنده وقال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل أمكننى من نفسه حتى أضع معروفى عنده فيده عندى مثل يدى عنده وقال المهدى لشبيب بن شيبة كيف رأيت الناس فى دارى فقال يا أمير المؤمنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر فقال

ان الصنيعة لا تكون صنيعة
حتى يصاب بها طريق المصنع
فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها
لله أو لذوى القرابة أودع

فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن أمطر المعروف مطرا فان أصاب الكرام كانوا له أهلا وان أصاب اللئام كنت له أهلا

(حكايات الاسخياء)

عن محمد بن المنكدر عن أم درة وكانت تخدم عائشة رضى الله عنها قالت ان معاوية بعث اليها بمال فى غرارتين ثمانين ومائة ألف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما أمست قالت يا جارية هلمى فطورى فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتنى لفعلت * وعن أبان بن عثمان

بذل الموجود) من المال (منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من أحب الناس اليك قال من كثرت أياديه) أى نعمه ومعروفه واحسانه (عندى قيل فان لم يكن قال من كثرت أيادى) أى نعمى (عنده وقال عبد العزيز بن مروان) ابن الحكم الاموى والد عمر بن عبد العزيز وأخو عبد الملك (اذا الرجل أمكننى من نفسه حتى أضع معروفى عنده) أى قبله منى (فيده عندى مثل يدى عنده) أى سواء (وقال المهدى) محمد ابن عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس (شبيب بن شيبة) بن عبد الله التميمى المنقرى البصرى كنيته أبو معمر احد البلغاء اخبارى صدوق ولفصاحته قيل له الخطيب ولم يخطب قط روى عن الحسن البصرى وروى له الترمذى وقد ضعفه يحيى بن معين مات فى حدود السبعين (كيف رأيت الناس فى دارى فقال يا أمير المؤمنين ان الرجل منهم يدخل راجيا ويخرج راضيا) وهذا الجواب مع اختصاره فى غاية البلاغة مع ما بين يدخل ويخرج من حسن المقابلة والجناس بين راضيا وراجيا ولزوم ما لا يلزم وفى صفوة التاريخ وكان المهدى يقعد للمظالم فقال لبعض أصحابه كيف رأيت الناس فقال رأيت الخارج راضيا والداخل راجيا (وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر) بن أبى طالب وهو أحد أجواد قريش وسيأتى ذكره فى حكايات الاسخياء (فقال)

(ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع)
(فاذا اصطنعت صنيعة فاعمل بها * لله أو لذوى القرابة أودع)

وهو معنى قول الاثر السابق عن على رضى الله عنه الصنيعة لا تكون الا الذى حسب ودين وقد روى ذلك أيضا من قول محمد بن على بن الحسين كما فى الحلية (فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس) أى يعلمانهم بخلا (ولكن امطر المعروف مطرا) أى عم بمعروفك على الكل (فان اصاب الكرام كانوا له أهلا وان أصاب اللئام كنت أنت له أهلا) وهو معنى الخبر السابق اصنع المعروف مع من هو أهله ومن ليس باهله فان أصاب الاهل فهو له أهل وان لم يصب الاهل فانت له أهل ومن هنا قول العامة اعمل المعروف وارمه فى البحر ان لم يعرفه السمك يعرفه رب السمك فكان عبد الله بن جعفر انما رد على المتمثل قوله فى المصراع الاخير حيث خصص فيه القرابة ثم قال أودع أى اترك والا فالاختيار ان الصنيعة تكون فى ذوى حسب ودين وهذا لا ينكر والله أعلم

(حكايات الاسخياء)

روى (عن محمد بن المنكدر) بن عبد الله بن الهدير التيمى المدنى ابن خال عائشة ثقة فاضل تقدم ذكره (عن أم درة وكانت تخدم عائشة رضى الله عنها) وهى مولاة لها هكذا ضبطه غير واحد بضم الدال المهملة وضبطها الحافظ فى التبصير بفتح الذال المعجمة وهى مقبولة روى لها أبو داود فى السنن (ان معاوية أو ابن الزبير) وفى بعض النسخ الاقتصار على أحدهما بغير شك ولفظ القوت ان ابن الزبير ولم يشك وهو عبد الله ابن الزبير رضى الله عنه (بعث اليها بمال فى غرارتين) قالت أراه (ثمانين ومائة ألف درهم) فى كل غرارة تسعون ألفا (فدعت بطبق) وهى يومئذ صائمة (فجعلت تقسمه بين الناس) فامست وما عندها من ذلك درهم (فلما أمست قالت يا جارية هلمى بفطورى) ولفظ القوت هلمى فطرى (فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة ما استطعت) ولفظ القوت أما استطعت (فيما قسمت اليوم ان تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه قالت) لا تعنفينى (لو كنت ذكرتينى لفعلت) هكذا نقله صاحب القوت قال وروى هشام بن عروة عن أبيه ان معاوية بعث الى عائشة مرة بمائة ألف قال فوالله ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فرقتها فقالت مولاة لها لو اشتريت لنا من هذه الدراهم بدرهم لحما فقالت لو قلت لى قبل ان أفرقها فعلت وقال تميم بن عروة بن الزبير لقد رأيت عائشة تتصدق بسبعين ألفا وانها لترقع جانب درعها ورواه حجاج عن عطاء قال بعث معاوية الى عائشة بطوق من ذهب فيه جوهر قوم بمائة الف فقسمته بين أزواج النبى صلى الله عليه وسلم (وعن أبان بن عثمان) بن عفان الاموى المدنى كنيته أبو سعيد ويقال أبو عبد الله ثقة مات سنة خمس ومائة روى

قال أراد رجل أن يضار عبد الله بن عباس فأتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله تغدوا عندي اليوم فأتوه حتى ملؤا عليه الدار فقال ماهذا فأخبر الخبر فأمر عبيد الله بشراء فاكهة وأمر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فأكلوا حتى صدروا فقال عبيد الله لوكلاته أموجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد عندنا هؤلاء في كل يوم * وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن علي لأخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم عليه فلما خرج معاوية قال الحسن ان علينا دينا فلا بد لنا من اتيانه فركب في اثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه فمروا عليه بختي عليه ثمانون ألف دينار وقد اعيا وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معاوية ما هذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه الى أبي محمد * وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثني أبي انه رفع رقعة الى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المأمون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان السخاء والحياء فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما أنت عليه وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فان كنت قد أصبت فازدد في بسط يدك وان لم أكن قد أصبت فجنايتك على نفسك وأنت حدثني وكنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بازاء العرش يبعث الله عز وجل الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له

بشير

له البخاري في كتاب الادب المفرد ومسلم والاربعة (قال أراد رجل ان يضار عبد الله بن عباس) رضي الله عنه (فأتى وجوه قريش) أي أكابرهم (فقال يقول لكم عبد الله تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملؤا عليه الدار) أي لكثرتهم (فقال ماهذا فاخبر الخبر فأمر عبد الله بشراء فاكهة) من السوق يلهيهم بها (وأمر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فأكلوا حتى صدروا واشبعا) فقال عبد الله لوكلاته أموجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد عندنا هؤلاء كل يوم نقله القشيري في الرسالة (وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثنا أبي) أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن واقد الاسلمي المعروف بالواقدي نسبة الى جده الاعلى وهو من موالي بني أسلم تولى قضاء بغداد من قبل الرشيد وولاه المأمون قضاء عسكر المهدي وكان يكرم جانبه ومات بها روى عن أبي ذؤيب ومعمر والاوزاعي ومالك والثوري وعنه أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن سعد كاتبه وآخرون قال ابن معين لا يكتب حديثه هو ليس بشئ وقال أبو زرعة ضعيف الحديث ترك الناس حديثه الا للاعتبار وقال ابن الاثير ضعف في المغازي وغيرها وولي قضاء شرقي بغداد وولد سنة ١٣٠ ومات في ذي الحجة سنة ٢٠٧ زاد ابن التراب لثنتي عشرة خلت من ذي الحجة ببغداد (انه رفع رقعة الى المأمون) عبد الله بن هرون العباسي وهو يومئذ خليفة (يذكر فيها كثرة الدين) بسبب ضائقة لحقته (وقلة صبره عليه) وعين مقداره في قصته (فوقع المأمون على ظهر رقعته) بخطه (انك رجل اجتمع فيك خصلتان سخاء وحياء فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك) بتبذيرما ملكت (وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما أنت عليه) وفي رواية والحب حالك على ان ذكرت لنا بعض دينك (وقد أمرت لك بمائة ألف درهم) وهو ضعف ما سأل وكان دينه خمسين ألف درهم (فان كنت قد أصبت فازدد في بسط يدك وان لم أكن أصبت فجنايتك على نفسك) وفي رواية فان كنا قصرنا عن بلوغ حاجتك فجنايتك على نفسك وان كنا بلغنا بغيتك فزد في بسطة يدك فان خزائن الله مفتوحة ويده بالخير مبسوطة (وأنت حدثتني وأنت) وفي رواية حين كنت (على قضاء الرشيد) أي لان الرشيد كان ولاه قضاء شرقية بغداد (عن محمد بن اسحق) بن يسار أبي بكر المطلبي مولاهم المدني نزيل العراق امام المغازي صدوق يدلس مات سنة خمسين ومائة روى له البخاري في التاريخ ومسلم والاربعة وله ترجمة واسعة في تاريخ الخطيب وهو أول التراجم في الكتاب عن الزهري عن أنس رضي الله عنه (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام) بن خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن عبد الله القرشي الاسدي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة رضي الله عنه (يا زبير اعلم ان مفاتيح أرزاق العباد بازاء العرش يبعث الله عز وجل الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له) أي من وسع على عياله ونحوهم ممن عليه مؤنتهم وجوبا أو ندبا ادر الله عليه من الارزاق بقدر ذلك أو أزيد ومن قتر قتر عليه وشاهده الخبر ان الله ينزل المعونة على قدر المؤنة والخبر الآخر ان لله ملكا ينادي كل صباح اللهم أعط كل منفق خلفا وأعط كل ممسك تلفا قال العراقي حديث أنس مذكور رواه الدارقطني في المستجاد وفي اسناده الواقدي عن محمد بن اسحق عن الزهري بالعنعنة ولا يصح اه قلت يشير الى ان محمد بن اسحق يدلس كما سبق فما كان من رواياته كذلك فليس بمقبول عند أهل النقد وقد رواه الدارقطني أيضا في الافراد بلفظ ان مفاتيح الرزق متوجهة نحو العرش فينزل الله تعالى على الناس أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وفيه أيضا عبد الرحمن بن حاتم المرادي قال الذهبي ضعيف وقد رواه كذلك ابن النجار ولفظ المصنف رواه التيمي في الترغيب الا انه قال الى عباده على قدر نفقتهم والباقي سواء وروى ابن عدي في الكامل وأبو نعيم في الحلية كلاهما من طريق علي بن سعيد بن

بشير عن أحمد بن عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر قالت قال الزبير بن العوام مررت برسول الله صلى الله عليه وسلم فجذب عمامتي بيده فالتفت اليه فقال يا زبير ان باب الرزق مفتوح من لدن العرش الى قوام بطن الارض يرزق الله كل عبد على قدر همته ونهمته وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال عبد الله يروي الموضوعات على الاثبات وأقره على ذلك السيوطي في مختصر الموضوعات (وأنت أعلم) هذا من كلام المأمون يخاطب به الواقدي تأدبا كأنه يقول وأنت أكثر علما مني بذلك (قال الواقدي) وكنت أنسيت الحديث (فوالله لذا كرة المأمون اياي الحديث) المذكور (أحب الي من الجائزة وهي مائة ألف) وهذه الحكايات ساقها الخطيب في التاريخ مع اختلاف يسير وكان الواقدي اماما واسع العلم والرواية وممن روى عنه بشر الحافي وناهيك به منقبة له وذكر ابن الجوزي في كتابه الذي وضعه في أخبار بشر ان بشرا أخذ عنه رقية الحمى وهي أن تكتب على ثلاث ورقات زيتون نهار السبت على واحدة جهنم غرثى وعلى الثانية جهنم عطشى وعلى الثالثة مقرورة ثم تجعل في خرقة وتشد في عضد المحموم الايسر قال سمعت الواقدي يقول جربته فوجدته نافعا ومما يناسب ايراده هنا ما رواه المسعودي في مروج الذهب والخطيب في التاريخ واللفظ للمسعودي قال الواقدي كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة فنالتني ضائقة شديدة وحضر العيد فقالت لي امرأتي أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم لانهم يرون صبيان الجيران وقد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحالة من الثياب الرثة فلو احتلت في شئ أصرفه في كسوتهم قال فكتبت الى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة علي فوجه الي كيسا مختوما ذكر أن فيه ألف درهم فما استقر قراري حتى كتب الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت الى صاحبي الهاشمي فوجهت اليه الكيس على حاله وخرجت الى المسجد وأقمت فيه ليلتين مستحييا من امرأتي فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه فبينا أنا كذلك اذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي اصدقني عما فعلت فيما وجهت به اليك فعرفته الخبر على وجهه فقال لي انك وجهت الي وما أملك على الارض الا ما بعثت به اليك وكتبت الى صديقنا أسأله المواساة فوجه كيسي بخاتمي قال الواقدي فتواسينا الالف درهم فيما بيننا ثم انا أخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك ونمى الخبر الى المأمون فدعاني فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار (وسأل رجل الحسن بن علي) بن أبي طالب رضي الله عنه (حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكبر علي ويدي تعجز عن نيلك) أي اعطائك (بما أنت أهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أتكلفه من واجبك فعلت) فانظر حسن هذا الاعتذار الجامع لفنون المعاني الآخذ بأساليب الفصاحة (فقال) الرجل (يا ابن رسول الله أقبل الميسور (وأشكر العطية وأعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها) أي أتمها الى آخرها (فقال هات الفاضل من الثلثمائة ألف درهم فأحضر خمسين ألفا قال فما فعلت بالخمسمائة دينار قال هي عندي قال احضرها فأحضرها فدفع الدراهم والدنانير الى الرجل) المذكور (وقال هات من يحملها لك فأتاه بحمالين فدفع اليه) وفي نسخة اليهما (الحسن رداءه لكراء الحمل فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال ولكن أرجو ان يكون لي عند الله أجر عظيم) فانظره كيف اعتذاره وكيف احسانه رضي الله عنه وأورده القشيري في الرسالة مختصرا فقال وسأل رجل الحسن بن علي شيأ فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار وقال ائت بحمال يحمله فأتى بحمال فأعطاه طيلسانه وقال يكون كراء الحمال من قبلي (و) يحكى انه (اجتمع قراء البصرة) أي فقهاؤها (الى ابن عباس) رضي الله عنه (وهو عامل البصرة فقالوا ان لنا جارا صواما قواما يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله) وفي صلاحه (وقد زوج بنية له من ابن أخيه

وأنت أعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المأمون اياي بالحديث أحب من الجائزة وهي مائة ألف درهم * وسأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله والكثير في ذات الله تعالى قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أتكلفه من واجب حقك فعلت فقال يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائة ألف درهم فأحضر خمسين ألفا قال فما فعلت بالخمسمائة دينار قال هي عندي قال أحضرها فأحضرها فدفع الدنانير والدراهم الى الرجل وقال هات من يحملها لك فأتاه بحمالين فدفع اليه الحسن رداءه لكراء الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه

وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما أنصفناه أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا * وحكى انه لما أجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال والله لاعلمن الشيطان انى عدوه فعال محاويجهم الى أن رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حلى نسائه وقيمتها خمسمائة ألف ألف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم الى من لم تنله صلاته * وكان أبو طاهر ابن كثير شيعيا فقال له رجل بحق على بن أبى طالب لما وهبت لى نخلتك بموضع كذا وكذا فقال قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل وكان أبو مرثد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندى ما أعطيك ولكن قدمنى الى القاضى وادع على بعشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احبسنى فان أهلى لا يتركونى محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس * وكان معن ابن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض خدام معن اذا دخل الامير البستان فعرفنى فلما دخل الامير البستان أعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة وألقاها فى الماء الذى يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فاذا مكتوب عليها

أيا جود معن ناج معنا بحاجتى * فمالى الى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له بعشر بدر فأخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل تفكر وخاف ان يأخذ منه ما أعطاه فخرج فلما كان فى اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق على ان أعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار * وقال أبو الحسن المدائنى

ابن

وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام ابن عباس فأخذ بأيديهم فادخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر) جمع بدرة بالفتح (فقال احملوها) اليه يستعين بها (فحملوا فقال ابن عباس ما انصفناه أعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل به مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من التكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا وحكى انه لما أجدب الناس بمصر) أى أقحطوا وغلت أسعارها (وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال والله لاعلمن الشيطان أنى عدوه) أى فى مخالفته له فى البذل والاطعام (فعال) أى كفل (محاويجهم) أى فقراءهم وصرف اليهم ما يحتاجونه (الى ان رخصت الاسعار) وارتفع الغلاء عنهم (ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم) مما كان يستقرضه منهم فى تلك المصاريف (فرهنهم بها حلى نسائه وقيمته خمسمائة ألف ألف درهم فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم) وهو أربعمائة ألف ألف وتسعة وتسعون ألف ألف (الى من لم تنله صلاته) أى لم تبلغه حال كونه بمصر (وكان أبو طاهر بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق على بن أبى طالب) رضى الله عنه (لما وهبت لى نخلتك) الكائنة (بموضع كذا) وسماه (فقال قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها) أى يتصل بها من الارض (وكان ذلك اضعاف ما طلب الرجل وكان أبو مرثد احد الكرماء) المشهورين (فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندى ما أعطيك ولكن قدمنى الى القاضى وادع على بعشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احبسنى فان أهلى لا يتركونى محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس) نقله القشيرى فى الرسالة (وكان معن ابن زائدة) بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان الشيبانى الكريم الجواد المشهور (عاملا على العراقين بالبصرة) عراق العرب وعراق العجم والبصرة هى القاعدة (فحضر بابه شاعر فاقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفنى فلما دخل أعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة وألقاها فى الماء الذى يدخل بستان معن وكان معن) جالسا (على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فاذا عليها مكتوب)

(أيا جود معن ناج معنا بحاجتى * فمالى الى معن سواك شفيع)

(قال) الراوى (فقال) معن (من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقاله) أى أنشد ذلك البيت (فأمر له بعشر بدر فأخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط وقرأ ما فيها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل تفكر وخاف ان يأخذ منه ما أعطاه فخرج) من البصرة (فلما كان اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق على ان أعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار) نقله القشيرى فى الرسالة (وقال أبو الحسن) على ابن محمد بن عبد الله بن أبى سيف (المدائنى) مولى عبد الله بن أبى سمرة القرشى صاحب التصانيف المشهورة عالم بايام الناس صدوق صام ثلاثين سنة متتابعة بصرى الاصل انتقل الى المدائن ثم الى بغداد يروى عنه الزبير

خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز فى خباء لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الاشويهة فى كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون فقام اليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فألمى بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتى لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة ألجأتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلا وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن على جالس على باب داره فعرف العجوز وهى له منكرة فبعث اليها غلامه فدعا بالعجوز وقال لها يا أمة الله أتعرفينى قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بأبى أنت وأمى أنت هو قال نعم ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شياه الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك أخى قالت بالف شاة وألف دينار فامر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفى شاة وألفى دينار فامر لها عبد الله بالفى شاة وألفى دينار وقال لها لو بدأت بى لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار * وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك رأيتك تمشى وحدك فقلت أقيك بنفسى وأعوذ بالله ان طار بجنابك مكروه فأخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا بالف دينار فدفعها الى الغلام وقال استنفق هذه فنعم ما أدبك أهلك

ابن بكار وأحمد بن أبى خيثمة ومات بمكة سنة ٢٢٤ وهو ابن ثلاث وتسعين (وخرج الحسن والحسين) ابنا على بن أبى طالب (وعبد الله بن جعفر) بن أبى طالب رضى الله عنهم (حجاجا ففاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز فى خباء لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة) تصغير شاة (فى كسر الخيمة) أى جانبها (فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها) أى اشربوا (ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون فقام اليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا) هنالك (حتى أبردوا) أى دخلوا فى برد العشى (فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه) أى بيت الله الحرام (فاذا رجعنا سالمين) الى المدينة (فالمى بنا) أى انزلى عندنا (فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاة القوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة) من الزمن (ألجأتهما الحاجة) والاضطرار (الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان بثمنه فمرت العجوز فى بعض سكك المدينة فاذا الحسن بن على) رضى الله عنه (جالس على باب داره فعرف العجوز وهى له منكرة) أى لا تعرفه (فبعث) الحسن (غلامه ودعا العجوز فقال لها يا أمة الله أتعرفينى قالت لا قال أنا ضيفك) الذى نزلت بك (يوم كذا وكذا) وأعطى لها الامارة (فقالت بابى أنت وأمى أنت هو قال نعم ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شاء الصدقة الف شاة وأمر لها معها بالف دينار وبعث معها غلامه الى) أخيه (الحسين) رضى الله عنه (فقال لها الحسين بكم وصلك أخى قالت بالف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر) رضى الله عنه (فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفى دينار وألفى شاة فأمر لها عبد الله بالفى شاة وألفى دينار وقال لها لو بدأت بى لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار) هكذا أخرجه المدائنى باسانيده (وخرج عبد الله بن عامر بن كريز) بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى العبشمى ابوه من مسلمة الفتح وعبد الله ولد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن خالة عثمان بن عفان لان أم عثمان هى أروى بنت كريز وأمها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم واسم أم عبد الله هذا دجاجة بنت أسماء بن الصلت السلمية مات النبى صلى الله عليه وسلم وعمره دون السنتين وكان جوادا شجاعا ميمونا ولاه عثمان البصرة بعد أبى موسى الاشعرى سنة تسع وعشرين وضم اليه فارس بعد عثمان بن أبى العاص فافتتح خراسان كلها واطراف فارس وسجستان وكرمان كلها وأحرم ابن عامر شكرا لله تعالى من خراسان وقدم على عثمان فلامه على تغريره بالنسك وقدم باموال عظيمة ففرقها فى قريش والانصار وقتل عثمان وهو على البصرة ثم ولاه معاوية البصرة ثلاث سنين ثم صرفه عنها فاقام بالمدينة ومات بها سنة ٥٧ وأخباره فى الجود كثيرة وليست له رواية فى الكتب الستة (من المسجد يريد منزله وهو وحده) ليس معه أحد (فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام فقال صلاحك وفلاحك رأيتك تمشى وحدك فقلت أقيك بنفسى وأعوذ بالله ان طار بجنابك مكروه) وفى بعض النسخ أقيك بنفسى وأعوذ بالله ان طار بجنابك مكروه (فأخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها الى الغلام وقال استنطق هذه فنعم ما أدبك أهلك) هكذا

* وحكى ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض أسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره و باتوا عنده وقد كانوا جاؤا من سفر بعيد فرأى رجل منهم فى النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بعيرك بختيى وكان السخى الميت قد خلف بختيا معروفا به ولهذا الرجل بعير سمين فقال له فى النوم نعم فباعه فى النوم بعيره ببختيه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره فى النوم فانتبه الرجل من نومه فاذا الدم يثج من نحر بعيره فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان ابن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل بعت من فلان بن فلان شيأ وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيرى بختيه فى النوم فقال خذ هذا بختيه ثم قال هو أبى وقد رأيته فى النوم وهو يقول ان كنت ابنى فادفع بختيى الى فلان بن فلان وسماه * وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقى معك من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام فى حجر الاعرابى أربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما أعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تأكل الارض من كرمك فأبكانى واشترى عبد الله بن عامر من خالد ابن عقبة بن أبى معيط داره التى فى السوق بتسعين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قالوا يبكون لدارهم فقال يا غلام ائتهم فاعلمهم ان المال والدار لهم جميعا وقيل بعث هرون الرشيد الى مالك بن أنس رحمه الله بخمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فأنفذ اليه ألف دينار فغضب هرون وقال أعطيته خمسمائة وتعطيه ألفا وأنت من رعيتى فقال يا أمير المؤمنين ان لى من غلتى كل يوم ألف دينار فاستحييت أن أعطى مثله أقل من دخل يوم ٧ عنده

هنا بياضات بالاصل كما هى هنا

أخرجه أبو الحسن المدائنى فى أخبار الاسخياء (وحكى ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض أسخيائهم) ممن كان مشهورا بالجود (للزيارة فنزلوا عند قبره و باتوا عنده وقد كانوا جاؤا من سفر بعيد فرأى رجل منهم فى النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك ان تبادل بعيرك ببختى) بالضم نوع من الابل ويجمع على البخت والبخاتى قال الشاعر * أجن البخت فى قصاع الخلنج * (وقد كان خلف السخى الميت بختيا معروفا ولهذا الرجل بعير سمين فقال له فى النوم نعم) أبادله (وباعه فى النوم بعيره) الذى ركبه (ببختيه) الذى خلفه (فلما وقع بينهم العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره فى النوم فانتبه الرجل من نومه فاذا الدم يثج) أى ينبعث (من نحر بعيره فقام الرجل من النوم فنحره وقسم لحمه فطبخوا وقضوا حاجتهم من الاكل ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم) وسماه (باسم ذلك الرجل) واسم أبيه (فقال) الرجل (أنا فقال هل بعت من فلان شيأ وذكر) اسم (الميت صاحب القبر) الذى باتوا عنده (قال نعم بعت منه بعيرى ببختيه فى النوم فقال خذ هذا بختيه ثم قال هو) أى صاحب القبر (أبى وقد رأيته فى النوم وهو يقول لى ان كنت ابنى فادفع بختى الى فلان وسماه) أخرجه أبو الحسن المدائنى فى أخبار الاسخياء (وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق) أى وسطها (قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال يا هذا أعنا على) نوائب (الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقى معك من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام فى حجر الاعرابى أربعة آلاف درهم فذهب لينهض) أى يقوم (فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما أعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تأكل الارض من كرمك فأبكانى) أخرجه أبو الحسن المدائنى (واشترى عبد الله بن عامر) بن كريز العبسى القرشى تقدم ذكره قريبا (من خالد بن عقبة بن أبى معيط) بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس الاموى أخو الوليد كان من مسلمة الفتح ونزل الرقة وبها ولده وذكره صاحب تاريخها فيمن نزلها من الصحابة وله أثر فى حصار عثمان يوم الدار (داره التى فى السوق) بالمدينة (بتسعين ألف درهم) فلما كان الليل سمع عبد الله بكاء أهل خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قالوا يبكون لدارهم قال يا غلام ائتهم فاعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا) أخرجه أبو الحسن المدائنى (وقيل أنفذ هرون الرشيد الى) أبى عبد الله (مالك بن أنس) الامام (رحمه الله خمسمائة دينار) هدية (فبلغ ذلك الليث ابن سعد) أبا الحارث الفهمى المصرى الفقيه رحمه الله تعالى (فانفذ اليه ألف دينار فغضب هرون لما بلغه ذلك وقال أعطيه خمسمائة وتعطيه ألفا وأنت من رعيتى فقال يا أمير المؤمنين ان لى من غلتى) التى استغلها من أرضى (كل يوم ألف دينار) أى غيرته (واستحييت ان أعطى مثله) فى جلالة قدره (أقل من دخل يوم) نقله محمد بن صالح الاشج وقال أيضا قدم منصور بن عمار على الليث فوصله بألف دينار واحترق بيت عبد الله بن لهيعة فوصله بألف دينار وقال شعيب بن الليث خرجت مع أبى حاجا فقدم المدينة فبعث اليه مالك بطبق رطب فجعل على الطبق ألف دينار ورده اليه وقال ابن وهب كان الليث يصل مالكا بمائة دينار فى كل سنة وكتب مالك اليه ان على دينا فبعث اليه بخمسمائة دينار وعنه قال كتبت الى الليث أنى اجهز ابنتى على زوجها فابعث الى بشىء من ٧ قال فبعث اليه عصفر فاصنع منه بخمسمائة دينار وبقى

وحكى انه لم تجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار * وحكى ان امرأة سألت الليث بن سعد رحمة الله عليه شيأ من عسل فأمر لها بزق من عسل فقيل له انها كانت تقنع بدون هذا فقال انها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا * وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت شاة عندى فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتى لبد أجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى فى علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ وقال عبد الملك بن مروان لاسماء بن خارجة بلغنى عنك خصال فحدثنى بها فقال هى من غيرى أحسن منها منى فقال عزمت عليك الاحدثتنى بها فقال يا أمير المؤمنين مامددت رجلى بين يدى جليس لى قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه قوما الا كانوا أمن على منى عليهم ولا نصب لى رجل وجهه قط يسألنى شيأ فاستكثرت شيأ أعطيته اياه ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيأ كتب لمن ساله صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر اليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال انى سمعت مع الصباح مناديا * يامن يعين على الفتى المعوان ثم قال ماحاجتك قال دينى قال وكم هو قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطا اخوانه

عنده فضلة (وحكى انه لم تجب عليه الزكاة مع ان دخله كل يوم ألف دينار) وروى محمد بن رمح قال كان دخل الليث فى كل سنة ثمانين ألف دينار ما أوجب الله عليه زكاة درهم قط وقال شعيب بن الليث يستغل أبى فى السنة مابين عشرين ألف دينار الى خمسة وعشرين ألفا تأتى عليه السنة وعليه دين وقال أبو سعيد بن يونس وكانت غلته من قرية قرقشندة على أربعة فراسخ من مصر وبها كانت ولادته (وروى ان امرأة) فقيرة (سألت الليث بن سعد شيأ من عسل) فى سكرجة (فأمر لها بزق من عسل فقيل له انها كانت تقنع بدون هذا فقال انها سالت على قدر حاجتها ونعطيها على قدر النعمة علينا) لنتخلق بخلق الله تعالى فانه يعطى الحسنة اذا همّ بها العبد أجرا فاذا عملها أعطاه عشرا الى سبعمائة والله يضاعف لمن يشاء وهذا فى الرسالة القشيرية (وكان الليث بن سعد) سريا من الرجال نبيلا سخيا (لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكينا) وله مناقب جمة أوردها الذهبى فى تاريخ الاسلام ومنها قال الحارث بن مسكين اشترى قوم من الليث ثمرة فاستغلوها فاستقالوه فأقالهم وأمر لهم بخمسين دينارا فقيل له فى ذلك فقال انهم قد كانوا أملوا فيه أملا فاحببت ان أعوّضهم من أملهم بهذا رحمه الله تعالى ونفعنا به (وقال) سليمان بن مهران (الاعمش) الكوفى رحمه الله تعالى (اشتكت شاة عندى فكان خيثمة بن عبد الرحمن) بن أبى بسرة الجعفى الكوفى لابيه وجده صحبة قال العجلى وكان خيثمة رجلا صالحا وكان سخيا ولم ينج من فتنة ابن الاشعث بالكوفة الا رجلان ابراهيم النخعى وخيثمة وقد تقدم له ذكر فى آداب الصحبة (يعودها بالغداة والعشى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها) قال الاعمش (وكان تحتى لبد أجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد) فآخذه (حتى وصل الى فى علة الشاة أكثر من ثلاثمائة دينار من بره) وصلته (حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ) مات خيثمة سنة ثمانين قبل أبى وائل روى له الجماعة (وقال عبد الملك بن مروان) بن الحكم الاموى (لاسماء بن خارجة) بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى نزيل الكوفة بن أخى عيينة بن حصن لابيه وعمه صحبة (بلغنى عنك خصال فحدثنى بها فقال هى من غيرى أحسن منها منى) قال عبد الملك (عزمت عليك الاحدثتنى بها قال يا أمير المؤمنين مامددت رجلى بين يدى جليس لى قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه قوما الا كانوا أمن على منى عليهم ولا نصب لى رجل وجهه قط ليسألنى شيأ فاستكثرت شيأ أعطيه اياه) أخرجه المدائنى (ودخل سعيد بن خالد) بن عمرو بن عثمان بن عفان القرشى الاموى أبو خالد ويقال له أبو عثمان المدنى سكن دمشق وكانت داره ناحية سوق القمح وامه أم عثمان بنت سعيد بن العاص ذكره ابن حبان فى الثقات روى له مسلم حديثا واحدا (على سليمان بن عبد الملك) بن مروان (وكان سعيد رجلا جوادا) ممدوحا قال الزبير بن بكار من أكثر الناس مالا وله ولد كثير وله يقول الفرزدق

وكل امرئ يرضى وان كان ملا * اذا نال نصفا من سعيد بن خالد

له من قريش طيبوها وفيضها * وان عض كفى أمه كل حاسد

(فان لم يجد شيأ كتب لمن سأله صكا على نفسه) والصك الكتاب الذى تكتب فيه المعاملات والاقارير وجمعه صكوك وأصك وهو فارسى معرب وكانت الارزاق تكتب صكا كافتخرج مكتوبة فتباع فنهى عن شراء الصكاك (حتى يخرج عطاؤه) من الديوان فلما نظر اليه سليمان تمثل بهذا البيت

(انى سمعت مع الصباح مناديا * يامن يعين على الفتى المعوان)

ثم قال ماحاجتك قال دينى قال وكم هو قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله) أخرجه أبو الحسن المدائنى (وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة) الخزرجى الانصارى رضى الله عنه (فاستبطا اخوانه) الذين كانوا

فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه برىء قال فانكسرت درجته بالعشى لكثرة من زاره وعاده * وعن أبى اسحق قال صليت الفجر فى مسجد الاشعث بالكوفة أطلب غريما لى فلما صليت وضع بين يدى حلة

ونعلان فقلت لست من أهل هذا المسجد فقالوا ان الاشعث بن قيس الكندى قدم البارحة من مكة فامر لكل من صلى فى المسجد بحلة ونعلين وقال الشيخ أبو سعد الحركوشى النيسابورى رحمه الله سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعى المجاور بمكة يقول كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقراء شيأ فولد لبعضهم مولود قال فجئت اليه وقلت له ولد لى مولود وليس معى شئ فقام معى ودخل على جماعة فلم يفتح بشئ فجاء الى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك لله كنت تفعل وتصنع وانى درت اليوم على جماعة فكلمتهم دفع شئ لمولود فلم يتفق لى شئ قال ثم قام وأخرج دينارا وقسمه نصفين وناولنى نصفه وقال هذا دين عليك الى أن يفتح عليك بشئ قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لى به قال فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص فى منامه فقال سمعت جميع ماقلت وليس لنا اذن فى الجواب ولكن احضر منزلى وقل لاولادى يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها الى هذا الرجل فلما كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياى حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ولا نتسخى نحن أحياء فلما ألحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فأخذ منها دينارا فكسره نصفين فاعطاه النصف الذى أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفينى هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدرى أى هؤلاء أسخى

يأتونه (فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه فى حل قال) الواقدى (فانكسرت درجته) من الازدحام (بالمشى لكثرة من عاده) نقله القشيرى فى الرسالة (وعن أبى اسحق) عمرو بن عبد الله الهمدانى السبيعى الكوفى مات سنة ١٢٩ (قال صليت) صلاة (الفجر فى مسجد الاشعث) بن قيس بن معدى كرب الكندى الصحابى أبى محمد نزل الكوفة وكان سريا سخيا مات سنة أربعين وله دار ومسجد (بالكوفة أطلب غريما لى فلما صليت وضع بين يدى حلة ونعلان فقلت لست من أهل هذا المسجد فقيل ان الاشعث بن قيس الكندى قدم البارحة من مكة فامر لكل من صلى فى المسجد بحلة ونعلين) أخرجه المدائنى رواية عن أبى اسحق وهو فى الرسالة للقشيرى بنحوه ولم يقل عن أبى اسحق (وقال الشيخ أبو سعيد) عبد الملك بن محمد ابن ابراهيم (الحركوشى النيسابورى رحمه الله) وخركوش سكة بنيسابور الزاهد الواعظ الفقيه الشافعى رحل الى العراق والحجاز ومصر وجالس العلماء وصنف التصانيف المفيدة فى علوم الشريعة ودلائل النبوّة وسير العباد روى عن أبى عمرو بن نجيد السلمى وأبى سهل بشر بن أحمد الاسفراينى وعنه الحاكم أبو عبد الله وأبو محمد الخلال وتفقه على أبى الحسن الماسرجسى وجاور بمكة عدة سنين وعاد الى نيسابور وبذل النفس والمال للغرباء والفقهاء وبنى بمارستان ووقف عليه الوقوف الكثيرة وتوفى سنة ست وأربعمائة بنيسابور (سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعى المجاور بمكة يقول كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقراء شيأ فولد لبعضهم ولد قال فجئت اليه فقلت له ولد لى مولود وليس معى شئ فقام معى فدخل على جماعة فلم يفتح بشئ فجاء الى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع) وذكر من أمور الخير (وانى درت اليوم على جماعة كلفتهم دفع شئ لمولود فلم يتفق لى شئ قال ثم قام وأخرج دينارا فكسره نصفين وناولنى نصفه وقال هذا دين عليك الى أن يفتح عليك بشئ قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لى به قال فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص فى منامه فقال سمعت جميع ماقلت وليس لنا اذن فى الجواب ولكن احضر منزلى وقل لاولادى يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار احملها الى هذا الرجل قال فلما كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال) المحتسب (هذا مالكم وليس لرؤياى حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ولا نتسخى نحن أحياء فلما ألحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فاخذ منها دينارا وكسره بنصفين فاعطاه النصف الذى أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفينى هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدرى أى هؤلاء أسخى) الميت أم أولاده أم المحتسب أم صاحب المولود والذى يظهر ان صاحب المولود أسخى هؤلاء فانه جاد وآثر مع شدة احتياجه ومما يشبه هذه الحكاية ما حكى أبو اسحق ابراهيم بن هلال الصابى الكاتب قال كنت عند الوزير أبى محمد المهلبى ذات يوم فدخل الحاجب فاستأذن للشريف المرتضى الموسوى فاذن له فلما دخل قام اليه وأكرمه وأجلسه معه فى دسته وأقبل عليه يحدثه فلما فرغ من حكايته ومهماته قام فقام اليه وودعه وخرج فلم يكن ساعة حتى دخل الحاجب واستأذن للشريف الرضى أخيه وكان الوزير قد ابتدأ بكتابة رقعة فالقاها وقام كالمندهش حتى استقبله من دهليز الدار وأخذ بيده وأعظمه وأجلسه معه فى دسته ثم جلس بين يديه متواضعا وأقبل عليه

*وروى أن الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلانا يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال ائتوني بتذكرته فاتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي سبعون ألف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي اياه أي أراده به هذا وقال أبو سعيد الواعظ الحركوشي لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم فرأيت فيهم سيما الخير وآثار الفضل فقلت بلغ أثره في الخير اليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى وكان أبوهما صالحا وقال الشافعي رحمه الله لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان لشئ بلغني عنه انه كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد أن ينزل اليه ليسوّي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط اليه فسوّى زره فاخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه من قلتها وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه

يا لهف قلبي على مال أجود به
على المقلين من أهل المروآت
ان اعتذاري الى من جاء يسألني
ما ليس عندي لمن احدى المصيبات

وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال يا ربيع أعطه أربعة دنانير واعتذر اليه عني وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء الى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه في موضع خارج عن مكة ونثرها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شئ *وعن أبي ثور

بجامعه فلما خرج الرضي خرج معه يشيعه الى باب الدار ثم رجع فلما خف المجلس قلت أيأذن الوزير أعزه الله أن أسأل عن شئ قال نعم وكأني بك تسأل عن زيادتي في اعظام الرضي على أخيه المرتضي والمرتضي اسن واعلم فقلت نعم أيد الله الوزير فقال اعلم انا أمرنا بحفر النهر الفلاني وللشريف المرتضي على ذلك النهر ضيعة فتوجه عليه مقدار ستة عشر درهما أو نحوه فكاتبني بعدة رقاع يسأل في تخفيف ذلك المقدار عنه وأما أخوه الرضي فبلغني أنه ذات يوم قد ولد له غلام فارسلت اليه بطبق فيه الف دينار فرده وقال قد علم الوزير أني لا أقبل من أحد شيأ فرددته اليه وقلت انما أرسلته للقوابل فرده الثانية وقال قد علم الوزير أنه لا يقبل نساؤنا غريبة فرددته اليه وقلت يفرقه الشريف على ملازميه من طلاب العلم فلما جاء الطبق وحوله طلاب العلم وقال هاهم حضور فليأخذ كل واحد منهم ما يريد فقام رجل منهم وأخذ دينارا فقرض من جانبه قطعة وأمسكها ورد الدينار الى الطبق فسأله الشريف عن ذلك فقال اني احتجت الى دهن السراج ليلة ولم يكن الخازن حاضرا فاقترضت من فلان البقال دهنا للسراج فاخذت هذه القطعة لادفعها اليه وكان طلبة العلم الملازمون للشريف في دار قد اتخذها لهم سماها دار العلم وعين اليهم جميع ما يحتاجون اليه فلما سمع الرضي ذلك أمر في الحال بان يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ويدفع الى كل منهم مفتاح ليأخذ ما يحتاج اليه ولا ينتظر خازنا ورد الطبق على هذه الصورة فكيف لا أعظم من هذه حاله (وروى أن الشافعي رحمه الله تعالى لما مرض مرض موته) بمصر (قال) في وصيته (مروا فلانا يغسلني) وعنى به محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال ائتوني بتذكرته) أي دفتر حسابه (قال فاتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي رحمه الله تعالى سبعون ألف درهم دينا فكتبها على نفسه) لاربابها (وقضاها عنه وقال هذا غسلي اياه أي أراده به هذا) أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي (قال أبو سعيد الواعظ الحركوشي رحمه الله) المتقدم ذكره قريبا (لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرأيت جماعة من احفاده) أي من ذريته (وزرتهم فرأيت فيهم سيما الخير وآثار الفضل فقلت بلغ أثره في الخير اليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى وكان أبوهما صالحا) أي فالصلاح يؤثر الى سابع الولد (وقال الشافعي رحمه الله تعالى لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان) الاشعري مولاهم أبا اسمعيل الكوفي واسم أبيه مسلم فقيه صدوق وهو شيخ الامام أبي حنيفة مات سنة عشرين (لشئ بلغني عنه أنه كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فانقطع زره) أي زر قميصه (فمر على خياط فاراد أن ينزل اليه ليسوّي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط اليه فسوّى زره فاخرج) حماد (اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه من قلتها) وهذا من المروءة والسخاء وقال الصلت بن بسطام كان حماد يفطر كل ليلة في رمضان خمسين انسانا فاذا كان ليلة الفطر كساهم ثوبا ثوبا (وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه)

(يا لهف نفسي على مال أفرقه * على المقلين من أهل المروآت)
(ان اعتذاري الى من جاء يسألني * ما ليس عندي لمن احدى المصيبات)

أوردهما البيهقي في مناقبه (وعن الربيع بن سليمان) المرادي تقدمت ترجمته في كتاب العلم (قال أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله تعالى فقال يا ربيع اعطه أربعة دنانير واعتذر اليه عني) أخرجه البيهقي في مناقبه (وقال الربيع سمعت) عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي الاسدي (الحميدي) المكي تقدمت ترجمته في كتاب العلم (يقول قدم الشافعي رحمه الله تعالى من صنعاء) اليمن (الى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه في موضع خارجا من مكة فنثرها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شئ) رواه البيهقي في مناقبه وتقدم في كتاب العلم (وعن أبي ثور)

قال اراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيأ من سماحته فقلت له ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني ان أشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف أكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا أن ينزلوا فيه وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه يقول أرى نفسي تتوق الى أمور * يقصر دون مبلغهن مالي فنفسي لاتطاوعني ببخل ومالي لا يبلغني فعالي وقال محمد بن عباد المهلبي دخل أبي على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر بذلك المامون فلما عاد اليه عاتبه المأمون في ذلك فقال يا أمير المؤمنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود فوصله بمائة ألف أخرى * وقام رجل الى سعيد بن العاص فسأله فامر له بمائة ألف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك قال أبكي على الارض أن تأكل مثلك فامر له بمائة ألف أخرى * ودخل أبو تمام على ابراهيم بن شكلة بابيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدحة وأمر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضي فا كافئه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه يقول ان حراما قبول مدحتنا وترك مانرتجي من الصفد كما الدراهم والدنانير في البيع حرام الايدا بيد فلما وصل البيتان الى ابراهيم قال لحاجبه كم أقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلاثين ألفا وجئني بدواة فكتب اليه أعجلتنا فاتاك عاجل برنا * قلا ولو أمهلتنا لم نقلل قال فخذ القليل وكن كأنك لم تقل * ونقول نحن كأننا لم نفعل وروي انه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروأتك

ابراهيم بن خالد الكلبي الفقيه تقدمت ترجمته في كتاب العلم (قال أراد الشافعي) رحمه الله (الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيأ من سماحته) أي جوده وسخائه (فقلت له ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة) أي عقارا (تكون لك ولولدك) من بعدك (قال فخرج ثم قدم علينا) مصر (فسألته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي باهلها وقد وقف أكثرها) على وجوه البر (ولكن بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا أن ينزلوا فيه) أخرجه الحاكم والبيهقي والابري في مناقبه (وأنشد الشافعي) رحمه الله (لنفسه) (أرى نفسي تتوق الى أمور * يقصر دون مبلغهن مالي)

(فنفسي لاتطاوعني لبخل * ومالي لا يبلغني فعالي)

أوردهما البيهقي في مناقبه (وقال محمد بن عباد المهلبي) من ولد المهلب بن أبي صفرة (دخل أبي) هو أبو معاوية عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الازدي العتكي البصري كان رجلا عاقلا أديبا وثقه ابن معين وقال أبو حاتم صدوق لابأس به وقال ابن سعد كان معروفا بالطلب حسن الهيئة ولم يكن بالقوي في الحديث مات ببغداد سنة ١٧٩ روى له الجماعة وجده حبيب بن المهلب يكنى ابا بسطام قتل مع أخيه يزيد سنة اثنين ومائة مع بقية اخوته وأهل بيته وكان ذلك بقصر بابل ووالده المهلب أول من عقد له اللواء أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد وقعة الجمل وهو يومئذ ابن ست وعشرين سنة وأبوه أبو صفرة اسلم على يد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وأقام بالبصرة وصار كاهلها وعقبه بها (على المأمون) العباسي (فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر بذلك المأمون فلما عاد اليه عاتبه المأمون في ذلك فقال يا أمير المؤمنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود فوصله بمائة ألف أخرى ودخل أبو تمام) حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الشاعر الطائي كان في حداثته يسقي الماء بجامع مصر ثم خالط الادباء وقال فأجاد وسار شعره في البلاد ومدح الخلفاء وعاشر العلماء وهو موصوف بالظرف وكرم النفس وولاه الحسن بن وهب بريد الموصل نحو سنتين ومات بها سنة ٢٨١ وكانت ولادته سنة تسعين ومائة (على ابراهيم بن شكلة) وهو ابراهيم بن المهدي بن المنصور العباسي نسب الى أمه شكلة وهي أم ولد من مولدات المدينة ولد سنة ١٦٢ وله مع المأمون أخبار وواقعات وكان سريا ممدحا سخيا (بابيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدحة وأمر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضي فا كافئه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه)

(ان حراما قبول مدحتنا * وترك مانرتجي من الصفد)

(كالدنانير والدراهم في البيع * حرام الايدا بيد)

والصفد محركة العطاء وأشار بقوله الايدا بيد الى الخبر الذهب بالذهب ربا الاهاوها والورق بالورق ربا الا هاوها وقد تقدم في كتاب الربا من آداب الكسب (فلما وصل الى ابراهيم البيتان قال لحاجبه كم أقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلاثين ألفا وجئني بدواة فكتب اليه هذه الابيات)

(أعجلتنا فاتاك عاجل برنا * قلا ولو أمهلتنا لم نقلل)

(فخذ القليل وكن كأنك لم تسل * ونكون نحن كأننا لم نفعل)

(ويروى أنه كان لعثمان) بن عفان (على طلحة) بن عبيد الله (رضي الله عنهما خمسون ألف درهم) دينا (فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروأتك)

وكان طلحة رضي الله عنه يلقب بالفياض لكثرة سخائه فقد روى أحمد في الزهد من طريق عوف عن الحسن

*وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلا فقلت له مالك فقال اجتمع عندي مال وقد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم فسألت الخادم كم كان قال أربعمائة ألف *وجاء أعرابي الى طلحة فسأله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه الرحم ما سألني بها أحد قبلك ان لي أرضا قد أعطاني بها عثمان ثلثمائة ألف فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمان ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع اليه الثمن *وقيل بكى علي كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك فقال لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانني *وأتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ما جاء بك قال علي أربعمائة درهم دين فوزن أربعمائة درهم وأخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امرأته لم أعطيته اذ شق عليك فقال انما أبكي لاني لم أتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين *(بيان ذم البخل)* قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم

قال باع طلحة أرضا له بسبعمائة ألف فبات ذلك المال عنده ليلة فبات أرقا من مخافة ذلك المال حتى أصبح ففرقه وفي مسند الحميدي من طريق الشعبي عن جابر بن قبيصة قال صحبت طلحة فما رأيت رجلا أعطى لجزيل مال من غير مسئلة منه (وقالت سعدى) بضم السين المهملة والالف مقصورة (بنت عوف) بن خارجة ابن سنان بن أبي حارثة المرية زوج طلحة بن عبيد الله نسبها هكذا رواه ابن منده وقال أبو عمر في الاستيعاب سعدى بنت عمر وقال الحافظ والاول أولى روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن زوجها وعن عمر روى عنها يحيى وابن ابنها طلحة بن يحيى ومحمد بن عمران الطلحي وقد خالف ابن حبان فذكرها في ثقات التابعين قال الحافظ ومن يسمع من عمر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بايام وهي زوج طلحة فهي صحابية لا محالة (دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلا فقلت مالك فقال اجتمع عندي مال فقد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا الحسن بن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي حدثنا اسمعيل بن اسحق القاضي حدثنا علي بن عبد الله المدني ح وحدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن اسحق حدثنا قتيبة بن سعيد قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن طلحة بن يحيى بن طلحة حدثتني سعدى بنت عوف المرية وكانت محل ازار طلحة قالت دخل طلحة علي ذات يوم وهو خاثر النفس وقال قتيبة دخل علي طلحة ورأيته مغموما فقلت مالي أراك كالح الوجه وقلت ما شأنك أرابك مني شئ فأعتبك قال لا ولنعم حليلة المرء المسلم انت قلت فما شأنك قال المال الذي عندي قد كثر وكربني قلت وما عليك اقسمه قالت فقسمه حتى ما بقي منه درهم (فسألت الخادم كم كان) ولفظ الحلية قال طلحة بن يحيى فسألت خازن طلحة كم كان المال (قال أربعمائة ألف) وقال أبو نعيم أيضا حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن طلحة بن يحيى عن سعدى بنت عوف قالت كانت غلة طلحة كل يوم ألفا وافيا وكان يسمى طلحة الفياض وقد رواه سفيان أيضا عن عمرو يعني ابن دينار مثله ومن طريق الاصمعي حدثنا نافع بن أبي نعيم عن محمد بن عمران عن سعدى بنت عوف لقد تصدق طلحة يوما بمائة ألف ثم حبسه عن المسجد ان جمعت له بين طرفي ثوبه (وجاء اعرابي الى طلحة) رضي الله عنه (فسأله وتقرب اليه برحم فقال ان هذا الرحم ما سألني بها قبلك أحد ان لي أرضا قد أعطاني بها عثمان) بن عفان (ثلاثمائة ألف فان شئتها فاقبضها وان شئت بعتها من عثمان ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع اليه الثمن وقيل بكى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوما فقيل له ما يبكيك فقال لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانني) نقله القشيري في الرسالة (وأتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ما جاء بك قال علي اربعمائة درهم دينا) وفي نسخة دين (قال فوزن أربعمائة درهم وأخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امرأته لم أعطيته اذ شق عليك) اذ ظننت أنه انما يبكي لاجل ذلك (فقال انما أبكي لاني لم أتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي) نقله القشيري في الرسالة

(بيان ذم البخل)

وهو امساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابله الجود والبخل ثمرة الشح والشح يأمر بالبخل (قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) والشح بخل مع حرص وهو ضد الايثار فان المؤثر على نفسه تارك لما هو محتاج اليه فالشحيح حريص على ما ليس بيده فاذا حصل بيده شح وبخل فالبخل ثمرة الشح والشح يأمر بالبخل والبخيل من أجاب داعي الشح والمؤثر من أجاب داعي الجود والسخاء والاحسان (وقال) الله (تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) ثم البخل ضربان بخل بقنيات نفسه وبخل بقنيات غيره وهو أكثرهما ذما (و) على ذلك (قال) الله (تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم) من الامم (حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) قال

العراقى رواه مسلم من حديث جابر بلفظ واتقوا الشح فان الشح الحديث ولابى داود والنسائى فى الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبدالله بن عمرو اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا انتهى قلت وروى ابن جرير فى التهذيب من حديث ابن عمر بلفظ اياكم والشح فانما أهلك من كان قبلكم الشح وأمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا (وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم) قال العراقى رواه الحاكم من حديث أبى هريرة بلفظ حرماتهم مكان أرحامهم وقال صحيح على شرط مسلم انتهى قلت ورواه ابن جرير فى التهذيب باللفظين الاول اياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم من الامم دعاهم فسفكوا دماءهم ودعاهم فقتلوا أولادهم والثانى اياكم والبخل فان البخل دعا قوما فمنعوا زكاتهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم ودعاهم فسفكوا دماءهم (وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة) أى مع الداخلين فى الرعيل الاول من غير عذاب ولا بأس أولا يدخلها حتى يعاقب بما اجترحه (بخيل) أى من هو البخل صفة لازمة له وتكرر منه ذلك (ولا خب) بفتح الخاء وبكسرها وهو الخداع الذى يفسد بين المسلمين بالخداع (ولا خائن ولا سيئ الملكة) أى التدبير فى أمور معاشه ومن ملكت يمينه (وفى رواية ولا جبار وفى رواية ولا منان) قال العراقى رواه أحمد والترمذى وحسنه من حديث أبى بكر واللفظ لاحمد دون قوله ولا منان وهى عند الترمذى ولابن ماجه لا يدخل الجنة سيئ الملكة انتهى قلت لفظ أحمد فيه زيادة بعد قوله ولا سيئ الملكة وأول من يقرع باب الجنة المملوكون اذا أحسنوا فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين مواليهم وعند أبى داود والطيالسى لا يدخل الجنة خب ولا خائن وروى الخطيب فى كتاب البخلاء وابن عساكر فى التاريخ بلفظ لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا لئيم ولا منان ولا خائن ولا سيئ الملكة وان أول من يقرع باب الجنة المملوك والمملوكة فاتقوا الله وأحسنوا فيما بينكم وبين الله وفيما بينكم وبين مواليكم وعند أحمد أيضا لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا منان ولا سيئ الملكة وأول من يدخل الجنة المملوك اذا أطاع الله وأطاع سيده وهذا اللفظ قد رواه أيضا الخرائطى فى مساوى الاخلاق من حديث أنس ولفظ الترمذى من حديث أبى بكر لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان ورواه كذلك أبو يعلى وضعفه المنذرى وقد ثبت لفظ ولا منان فى أخبار كثيرة عن نافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عند الحسن بن سفيان والطبرانى وابن منده وابن عساكر وعن ابن عمر كما عند النسائى وابن جرير وعن أبى سعيد الخدرى كما عند أحمد وأبى يعلى والبيهقى وعن أبى زيد الجرمى كما عند الطبرانى وعن أبى امامة كما عند الطيالسى وعن عبدالله بن عمرو كما عند ابن جرير والخطيب وعن ابن عباس كما عند الطبرانى والخرائطى وأما قوله لا يدخل الجنة سيئ الملكة فقد رواه الطيالسى والترمذى وقال حسن غريب وابن ماجه والدارقطنى فى الافراد من حديث أبى بكر وعند أحمد والترمذى من طريق أخرى وحسنه الخرائطى بزيادة قال رجل يارسول الله أليس أخبرتنا ان هذه الامة أكثرها مملوكون وأيامى قال بلى فأكرموهم كرامة أولادكم وأطعموهم مما تأكلون ولم أجد رواية ولا جبار الا أن يكون بمعنى المتكبر فقد روى مسلم من حديث ابن مسعود لا يدخل الجنة من كان فى قلبه ذرة من كبر الحديث ومعنى هذه الاخبار لا يدخل الجنة مع هذه الخصلة حتى يطهر منها اما بتوبة فى الدنيا أو بالعفو أو بالعذاب بقدره قال التوربشتى هذا هو السبيل فى تأويل أمثال هذه الاحاديث لتوافق أصول الدين وقد هلك بحب التمسك بظواهر أمثال هذه النصوص الجم الغفير من المبتدعة ومن عرف وجوه القول وأساليب البيان من كلام العرب هان عليه التخلص بعون الله تعالى من تلك المشقة (وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث) خصال (مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه) وثلاث منجيات العدل فى الغضب والرضا وخشية الله فى السر والعلانية رواه أبو الشيخ فى التوبيخ والطبرانى فى الاوسط أيضا من حديث أنس ورواه الطبرانى فى الاوسط أيضا من حديث ابن

وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة وفى رواية ولا جبار وفى رواية ولا منان وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه

عمر بزيادة وثلاث كفارات وثلاث درجات وقد تقدم قريبا أيضا فى كتاب العلم (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزانى والبخيل المنان) بعطائه (والمعيل) أى ذا العيال (المختال) أى المتكبر قال العراقى رواه الترمذى والنسائى من حديث أبى ذر دون قوله البخيل المنان وقال فيه والغنى الظلوم وقد تقدم وللطبرانى فى الاوسط من حديث على ان الله ليبغض الغنى الظلوم والشيخ الجهول والعائل المختال وسنده ضعيف انتهى قلت حديث أبى ذر رواه أيضا أحمد وابن حبان والضياء بلفظ ان الله عز وجل يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة الشيخ الزانى والفقير المختال والمكثر البخيل ويحب ثلاثة الحديث ورواه الطيالسى والطبرانى والحاكم والبيهقى والضياء أيضا بلفظ ان الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة فساقوا الحديث وفيه والثلاثة الذين يبغضهم الله البخيل المنان والمختال الفخور والتاجر الحلاف (وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جنتان) بضم الجيم وتشديد النون أى درعان وفى رواية جبتان بالموحدة بدل النون والجبة ثوب معروف ورجحت الاولى بقوله (من حديد) وادعى بعضهم انه تصحيف (من لدن) أى عند (ثديهما) بضم المثلثة وكسر الدال المهملة ومثناة تحتية مشددة جمع ثدى وأصله ثدوى كفلس وفلوس (الى تراقيهما) جمع ترقوة وهما العظمان المشرفان فى أعلى الصدر (فاما المنفق فلا ينفق شيأ الا سبغت) أى امتدت وعظمت (أو وفرت) شك من الراوى (على جلده حتى تخفى) بضم تاء المضارعة وسكون الخاء المعجمة وكسر الفاء وفى رواية تجن بجيم ونون أى تستر (بنانه) أى أصابعه وأنامله وصحفه بعضهم فقال ثيابه جمع ثوب يعنى ان الانفاق يستر خطاياه كما يغطى الثوب جميع بدنه والمراد ان الجواد اذا هم بالانفاق انشرح له صدره وطابت به نفسه فوسع فيه (وأما البخيل فلا يريد ان ينفق شيأ الا قلصت) أى ارتفعت (ولزمت كل حلقة) بسكون اللام (مكانها) قال الطيبى قيد المشبه به بالحديد اعلاما بان القبض والشدة جبلى للانسان وأوقع المنفق موقع السخى لجعله فى مقابل البخيل ايذانا بان السخاء أمر به الشارع وندب اليه لاما يتعاناه المسلمون (حتى أخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع وهو يوسعها ولا تتسع) هكذا مرتين فى سائر النسخ ضرب المثل برجل أراد لبس درع يستجن به فحالت يداه بينها وبين ان تمر على جميع بدنه فاجتمعت فى عنقه فلزمت ترقوته والمراد ان البخيل اذا حدث نفسه بالانفاق شحت وضاق صدره وغلت يداه رواه أحمد والشيخان وابن حبان من حديث أبى هريرة بلفظ مثل البخيل والمتصدق وعندهم بعد قوله بنانه وتعفو اثره وفيه الا لزقت بدل لزمت وفيه فهو يوسعها فلا تتسع مرة واحدة وزعم بعضهم ان هذه الجملة الاخيرة مدرجة من كلام أبى هريرة وهو وهم لورود التصريح برفعه (وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق) قال العراقى رواه الترمذى من حديث ابى سعيد وقال غريب انتهى قلت ورواه أيضا الطيالسى وعبد بن حميد والبخارى فى الادب والبزار وأبو يعلى وابن جرير فى تهذيبه والبيهقى فى الشعب (وقال صلى الله عليه وسلم) فى دعائه (اللهم انى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك ان أرد الى أرذل العمر) رواه البخارى من حديث سعد وقد تقدم فى الاذكار والدعوات (وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش ان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا) قال العراقى رواه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا قال عوضا عنهما وبالبخل فبخلوا وبالفجور ففجروا وكذلك رواه أبو داود مقتصرا على ذكر الشح وتقدم قبله بسبعة أحاديث ولمسلم من حديث جابر اتقوا الظلم فانه ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فذكره بلفظ آخر ولم يذكر الفحش انتهى قلت حديث عبد الله بن عمرو وقد تقدم قريبا ولفظ أبى داود والحاكم اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا وهكذا رواه ابن جرير فى التهذيب والبيهقى وللطبرانى من حديث المسور بن مخرمة اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا

وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزانى والبخيل المنان والمعيل المختال وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق شيأ الا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيأ الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع وقال صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش ان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا

وقال صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع * وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته
باكية فقالت واشهيداه
فقال صلى الله عليه وسلم وما
يدريك أنه شهيد فلعله كان
يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل
بما لا ينقصه * وقال جبير بن
مطعم بينا نحن نسير مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه
الناس مقفله من خيبر اذ
علقت برسول الله صلى الله
عليه وسلم الاعراب يسألونه
حتى اضطروه الى سمرة
فخطفت رداءه فوقف صلى
الله عليه وسلم فقال اعطوني
ردائي فوالذي نفسي بيده
لو كان لي عدد هذه العضاه
نعما لقسمته بينكم ثم لا
تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا
جبانا * وقال عمر رضي الله عنه
قسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم قسما فقلت غير هؤلاء
كانوا أحق به منهم فقال انهم
يخيروني بين ان يسألوني
بالفحش أو يبخلوني ولست
بباخل * وقال أبو سعيد
الخدري دخل رجلان على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسألاه ثمن بعير
فاعطاهما دينارين فخرجا
من عنده فلقيهما عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فأثنيا
وقالا معروفا وشكرا ما صنع
بهما فدخل عمر على رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فأخبره بما قالا فقال صلى
الله عليه وسلم لكن فلان
أعطيته ما بين عشرة الى مائة
ولم يقل ذلك ان أحدكم
ليسألني فينطلق في مسألته متأبطها وهي نار فقال عمر فلم تعطيهم ما هو نار فقال يأبون الا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل

الشح ان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ولاحمد والطبراني والبيهقي من حديث ابن عمر اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة وزاد أحمد وعبد بن حميد والبخاري في الادب ومسلم وأبو عوانة من حديث جابر واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم وحملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم (وقال صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل) اي من مساوي اخلاقه (شح هالع) اي جازع يعني شح يحمل على الحرص على المال والجزع على ذهابه وقيل هو ان لا يشبع كلما وجد شيأ بلعه ولا قرار له ولا يتبين في جوفه ويحرص على تهيئة شئ آخر قال التوربشتي والشح بخل مع حرص فهو أبلغ في المنع من البخل فالبخل يستعمل بالضنة بالمال والشح في كل ما تمتنع النفس عن الاسترسال فيه من بذل مال أو معروف أو طاعة قال والهلع افحش الجزع والمعنى انه يجزع في شحه أشد الجزع على استخراج الحق منه (وجبن خالع) أي شديد كانه يخلع فؤاده من شدة خوفه من الخلق قال الطيبي والفرق بين وصف الشح بالهلع والجبن بالخلع ان الهلع في الحقيقة لصاحب الشح فاسند اليه مجازا فهما حقيقتان لكن الاسناد مجازي ولا كذلك الخلع اذ ليس مختصا بصاحب الجبن حتى يسند اليه مجازا بل هو وصف للجبن لكن على المجاز حيث اطلق وارى به الشدة وانما قال شر ما في الرجل ولم يقل شر ما في النساء لان الشح والجبن مما تحمد به المرأة ويذم به الرجل أو لان الخصلتين تقعان موقعا في الذم من الرجال فوق ما يقعان من النساء قال العراقي رواه أبو داود من حديث أبي هريرة بسند جيد انتهى قلت ورواه كذلك البخاري في التاريخ والحكيم في النوادر وابن جرير في التهذيب والبيهقي في الشعب وقال ابن طاهر اسناده متصل (وقتل شهيد) أي استشهد رجل (على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك أنه شهيد فلعله قد كان يتكلم بما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه) قال العراقي رواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والبيهقي من حديث أنس ان امه قالت لتهنك الشهادة وهو عند الترمذي الا ان فيه رجلا قال له ابشر بالجنة انتهى قلت وسياق المصنف أورده في كتاب البخلاء وكذلك البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة ولكن بلفظ ان رجلا قتل شهيدا فبكته باكية والباقي سواء وتقدم للمصنف في آفات اللسان قصة لكعب بن عجرة تشبهها وفيها وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه وقد رواه ابن أبي الدنيا (وقال جبير بن مطعم) بن عدي بن نوفل القرشي النوفلي (بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله) أي مرجعه (من حنين) اسم واد بين مكة والطائف (اذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب) وهم جفاة البوادي (يسألونه) متاع الدنيا (حتى اضطروه الى سمرة) بفتح السين وضم الميم وهي شجرة أم غيلان (فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاه) وهي أشجار البادية (نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا) أخرجه البخاري وقد تقدم في أخلاق النبوة (وقال عمر) رضي الله عنه (قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما) لجماعة (فقلت غير هؤلاء كانوا أحق به منهم فقال انهم يخيروني بين أن يسألوني بالفحش أو يبخلوني) أي ينسبوني الى البخل (ولست بباخل) وهو من يصدر عنه البخل ولو مرة بخلاف البخيل كالرحيم والراحم وفيه نوع مبالغة كما لا يخفى أخرجه مسلم (وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه (دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب) رضي الله عنه (فاثنيا) على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر) رضي الله عنه (على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن فلان أعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك) أي المعروف وحسن الصنيع (ان أحدكم يسألني فينطلق في مسألته متأبطها) أي آخذها تحت ابطه (وهي نار فقال عمر) رضي الله عنه (فلم تعطهم ما هو نار فقال يأبون الا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل) قال العراقي رواه أحمد وأبو يعلى والبزار نحوه ولم يقل احمد

وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم ألا ان الله عز وجل خلق الجود فجعله فى صورة رجل وجعل رأسه راسخا فى أصل شجرة طوبى وشد أغصانها بأغصان سدرة المنتهى ودلى بعض أغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة ألا ان السخاء من الايمان والايمان فى الجنة وخلق البخل من مقته وجعل رأسه راسخا فى أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله النار ألا ان البخل من الكفر والكفر فى النار وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة تنبت فى الجنة فلا يلج الجنة الا سخى والبخل شجرة تنبت فى النار فلا يلج النار الا بخيل وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد بنى لحيان من سيدكم يا بنى لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفى رواية أنهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه أكثرنا مالا وانا على ذلك لنرى منه البخل فقال عليه السلام وأى داء أدوأ من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء

انهما سألاه ثمن بعير ورواه البزار من رواية أبى سعيد عن عمر ورجاله ثقات انتهى قلت ورواه أيضا الحاكم والضياء من حديث أبى سعيد ورواه الحاكم أيضا من حديث جابر وفيه فينطلق بمسئلته متابطها وماهى الا نار وفيه قيل لم تعطهم قال يأبون الحديث (وعن ابن عباس) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا) على خلق الله (يجد الله لكم) وهذا معنى قولهم من جاد جاد الله عليه (الا ان الله خلق الجود فجعله فى صورة رجل وجعل اسه راسخا فى أصل شجرة طوبى وشد أغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض أغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان فى الجنة وخلق البخل من مقته) وهو أشد الغضب (وجعل اسه راسخا فى أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر فى النار) قال العراقى ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده فى مسنده ولم أقف له على اسناد انتهى قلت بل أخرجه الخطيب فى كتاب البخلاء بسند فيه أبو بكر النقاش صاحب مناكير وقد تقدم قبل خمسة وثلاثين حديثا حديث أبى هريرة وهو يشبه حديث ابن عباس (وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة تنبت فى الجنة فلا يلج الجنة الا سخى والبخل شجرة تنبت فى النار ولا يلج فى النار الا بخيل) قال العراقى تقدم دون قوله فلا يلج فى الجنة الخ وذكر بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرجه ولده فى مسنده انتهى قلت الذى تقدم آنفا قبل ستة وثلاثين حديثا هو من حديث على وولده الحسين وأبى هريرة وجابر وأبى سعيد وعائشة ومعاوية وأنس وأما بهذه الزيادة فاخرجه الحسن بن سفيان فى مسنده والخطيب فى كتاب البخلاء وابن عساكر فى التاريخ من حديث عبد الله ابن جراد (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد بنى لحيان من سيدكم يا بنى لحيان) بكسر اللام قبيلة من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وقال الهمدانى لحيان من بقايا جرهم دخلت فى هذيل (قالوا سيدنا جد بن قيس) بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة الانصارى (الا انه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح) بفتح الجيم وتخفيف الميم بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الانصارى (وفى رواية) أخرى (انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه) أى بأى وصف تجعلونه سيدا فيكم (قالوا انه أكثرنا مالا وانا على ذلك) أى مع ذلك (لنزنه) أى لنتهمه (على البخل) يقال ازنه بكذا أو على كذا اذا اتهمه به (فقال صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوأ من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء) بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان الانصارى بن عم الجد بن قيس الماضى ذكره قال العراقى حديث أبى هريرة رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بلفظ يا بنى سلمة وقال سيدكم بشر بن البراء وأما الرواية التى قال فيها سيدكم عمرو بن الجموح فرواها الطبرانى فى الصغير من حديث كعب بن مالك باسناد حسن انتهى قلت لفظ المصنف من سيدكم يا بنى لحيان غريب والثابت يا بنى سلمة فان المخاطب بهم وقد تقدم ان بنى لحيان من هذيل فلا يطابق الخطاب وكان الجد بن قيس قد ساد بنى سلمة فى الجاهلية فحول النبى صلى الله عليه وسلم تلك السيادة الى عمرو بن الجموح وكلاهما من بنى سلمة وقد عزاه المصنف لابى هريرة وقد رواه الحاكم فى المستدرك وقال أبو الشيخ باسناد غريب عن أبى سلمة عن أبى هريرة ورواه أبو عروبة فى الامثال وابن عدى فى الكامل من طريق سعيد بن محمد الوراق عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة ولم ينفرد به سعيد الوراق بل تابعه النضر بن شميل عن الوليد بن ابان فى كتاب السخاء وأبو الشيخ فى الامثال ومحمد بن على عند الحاكم أيضا وقد رواه أيضا جابر بن عبد الله الانصارى أخرجه البخارى فى الادب المفرد والسراج وابو الشيخ فى الامثال وأبو نعيم فى المعرفة من طريق حجاج الصواف عن أبى الزبير حدثنا جابر قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بنى سلمة قالوا الجد بن قيس على انا نبخله فقال بيده هكذا ومد يده وأى داء أدوأ من البخل بل سيدكم عمرو بن الجموح قال وكان عمرو يولم على رسول الله صلى الله عليه

وسلم اذا تزوج وأخرج أبونعيم في المعرفة وفي الحلية وأبو الشيخ أيضا والبيهقي في الشعب من طريق ابن عيينة عن ابن المنكدر عن جابر نحوه ورواه الوليد بن ابان في كتاب السخاء من طريق الاشعث بن سعيد عن عمرو بن دينار عن جابر نحوه ورواه أبونعيم من طريق حاتم بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن عطاء عن عبد الملك بن جابر بن عتيك عن جابر بن عبد الله نحوه وقال فيه بل سيدكم الابيض الجعد عمرو بن الجموح وقد روى أيضا من حديث أنس أخرجه أبو الشيخ في الامثال والحسن بن سفيان في مسنده من طريق رشيد عن ثابت عنه مختصرا ورواه الوليد بن أبان من طريق الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وروى أبو خليفة عن ابن عائشة عن بشر بن المفضل عن أبي شبرمة عن الشعبي نحوه قال ابن عائشة فقال بعض الانصار في ذلك

وقال رسول الله والقول قوله * لمن قال منا من تسمون سيدا
فقالوا له جد بن قيس على التي * نبخله منا وان كان أسودا
فسوّد عمرو بن الجموح لجوده * وحق لعمرو بالندى أن يسوّدا
فلو كنت يا جد بن قيس على التي * على مثلها عمرو لكنت المسوّدا

ورواه الغلابي من طريق أخرى عن الشعبي وفيه الشعر ورواه الوليد بن أبان من طريق عبد الله بن أبي أمامة عن مشيخة له من الانصار نحوه وفيه الشعر وأما حديث كعب بن مالك الذي عزاه العراقي للطبراني في الصغير فأخرجه يعقوب بن سفيان في تاريخه وأبو الشيخ في الامثال والوليد بن ابان في كتاب الجود من طريق صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن كعب بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سيدكم يا بني فضلة قالوا الجد بن قيس قال بم تسوّدونه فقالوا انه أكثرنا مالا وانا على ذلك لنزنه بالبخل فقال وأي داء أدوأ من البخل ليس ذا سيدكم قالوا فمن سيدنا يارسول الله قال بشر بن البراء بن معرور وتابعه ابن اسحق عن الزهري وقال في روايته بل سيدكم الابيض الجعد بشر بن البراء وهكذا رواه يونس وابراهيم بن سعد عن الزهري من رواية الابرش عنه وخالفه يعقوب بن ابراهيم بن سعد فرواه عن أبيه مرسلا أخرجه ابن أبي عاصم وكذا أرسله معمر وهو في مصنف عبد الرزاق وفي مساوى الاخلاق للخرائطي وابن أخي الزهري عن عمه وهو في الامثال لابي عروبة وسمعته عن الزهري في نسخة أبي اليمان هكذا نقله الحافظ في الاصابة في ترجمة بشر قلت وقد وجدت طريق معمر التي أشار اليها قال الخرائطي في مكارم الاخلاق حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبني ساعدة من سيدكم قالوا جد بن قيس قال بم سوّدتموه قالوا انه أكثرنا مالا وانا على ذلك لنزنه بالبخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأي داء أدوأ من البخل قالوا فمن سيدنا قال بشر بن البراء بن معرور (وقال علي) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البخيل) مانع الزكاة أو أعم (في حياته السخي عند موته) لانه مضطر حينئذ لا مختار قال العراقي ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده ولم أجد له اسنادا اه قلت بل أخرجه الخطيب في كتاب البخلاء باسناده الى علي رضي الله عنه (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي الجهول أحب الى الله من العابد البخيل) قال العراقي رواه الترمذي بلفظ والجاهل سخي وهو بقية حديث ان السخي قريب من الله وتقدم اه قلت بل لفظ المصنف رواه الخطيب في كتاب البخلاء والديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة الا ان فيه العالم بدل العابد (وقال أبو هريرة أيضا) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الايمان والشح في قلب عبد) قال العراقي رواه النسائي وفي اسناده اختلاف اه قلت ورواه كذلك ابن جرير في التهذيب بزيادة أبدا وفي رواية له أيضا في جوف رجل مسلم وروى ابن عدي في الكامل من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز بن سعد الانصاري عن أبيه عن جده بلفظ لا يجتمع الايمان

وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته
وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي الجهول أحب الى الله من العابد البخيل وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم الشح والايمان لا يجتمعان في قلب عبد

والبخل

وقال أيضا خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأي ظلم أظلم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي فقال هو أعظم من أن أصفه لك فقال ويحك ذنبك أعظم أم الارضون فقال بل ذنبي أعظم يارسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبي أعظم يارسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبي أعظم يارسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي أعظم يارسول الله قال فذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبي أعظم يارسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يارسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني يسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت ألفي ألف عام ثم بكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وأنت لئيم لاكبك الله في النار ويحك أما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك أما علمت ان الله تعالى يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون (الآثار) قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري أنهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لا أسكنك بخيلا وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز أف للبخيل لو كان البخل قميصا مالبسته ولو كان طريقا ماسلكته وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه انا لنجد

والبخل في قلب رجل مؤمن أبدا (وقال) صلى الله عليه وسلم (أيضا خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق) رواه الترمذي من حديث أبي سعيد وقد تقدم قبل هذا قريبا فهو مكرر ووقع هكذا في سائر نسخ الكتاب (وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا) قال العراقي لم أره بهذا اللفظ اه قلت بل رواه هكذا هناد والخطيب في كتاب البخلاء من حديث أبي جعفر معضلا ورواه الخطيب من حديث أبي عبد الرحمن السلمي موقوفا (وقال صلى الله عليه وسلم يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأي ظلم أظلم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل) قال العراقي لم اجده بتمامه وللترمذي من حديث أبي بكر لا يدخل الجنة بخيل اه قلت وروى الخطيب في كتاب البخلاء من حديث ابن عمر الشحيح لا يدخل الجنة (وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت) لي (ذنبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي قال هو أعظم من ان أصفه لك قال ويحك ذنبك أعظم أم الارضون قال بل ذنبي أعظم يارسول الله قال ويحك فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبي يارسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبي يارسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي يارسول الله قال فذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبي يارسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يارسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الفي ألف عام ثم بكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى الاشجار ثم مت وأنت لئيم لاكبك الله في النار ويحك أما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك أما علمت ان الله تعالى يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) قال العراقي الحديث بطوله باطل لا أصل له *(الآثار قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله تعالى جنة عدن) وهي أوسط الجنات (قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها أظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك) محركة جمع حجلة وهي الكلة (وكراسيك وحللك وحليك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لا أسكنك بخيلا) رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس مرفوعا بلفظ لما خلق الله عز وجل جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون ورواه ابن عساكر وزاد ثم قالت أنا حرام على كل بخيل ومراء ورواه أبو طاهر محمد بن عبد الواحد الطبري المصري في كتاب فضائل التوحيد والرافعي من حديث أنس لما خلق الله جنة عدن وهي أول ما خلقها الله قال لها تكلمي فقالت لا اله الا الله محمد رسول الله قد أفلح المؤمنون قد أفلح من دخل في وشقي من دخل النار (وقالت أم البنين) ابنة عبد العزيز بن مروان (أخت عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (اف للبخيل لو كان البخل قميصا مالبسته ولو كان طريقا ماسلكته وقال طلحة بن عبيد الله) التيمي القرشي أحد العشرة رضي الله عنه (انا لنجد

بامو النامايجـد البخلاء لكننا نتصبر وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا أراد الله بقوم شرا أمر عليهم شرارهم و جعل أرزاقهم بايدى بخلائهم
وقال على كرم الله وجهه فى خطبته انه سيأتى على الناس زمان عضوض يعض الموسر على مافى يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى
ولاتنسوا الفضـل بينكم
وقال عبدالله بن عمر و الشح
أشد من البخل لان الشحيح
هو الذى يشح على مافى يد
غيره حتى يأخذه و يشح بما
فى يده فيحبسه والبخيل هو
الذى يبخل بمافى يده وقال
الشعبى لاأدرى أيهما أبعد
غورا فى نار جهنم البخل أو
الكذب وقيـل و رد على
أنوشروان حكيم الهنـد
وفيلسـوف الروم فقال
للهندى تكلم فقال خير
الناس من ألفى سخيا وعند
الغضب وقورا وفى القول
متأنيا وفى الرفعة متواضعا
وعلى كل ذى رحم مشفقا
وقام الرومى فقال من كان
بخيلا ورث عدوه ماله ومن
قـل شكره لم ينل النجح
وأهل الكذب مذمومون
وأهل النميمة يموتون فقراء
ومن لم يرحم سلط عليه من
لا يرحمـه وقال الضحاك فى
قـوله تعالى انا جعلنا فى
أعناقهم أغلالا قال البخل
أمسك الله تعالى أيديهم عن
النفـقة فى سبيل الله فهم
لا يبصرون الهدى وقال
كعب مامن صـباح الا وقد
وكل به ملكان يناديان اللهم
عجل لممسك تلفا وعجل لمنفق
خلفا وقال الاصمعى سمعت
اعرابيا وقد وصف رجـلا
فقال لقد صغر فلان فى عينى لعظم الدنيا فى عينه وكأنما يرى السائل ملك الموت اذا أتاه وقال أبو حنيفة رحمه الله لا أرى ان
أعـدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الامانة وقال على كرم الله
وجهه والله ما استقصى كريم قط حقه قال الله تعالى عرف بعضه وأعرض عن بعض وقال الجاحظ مابقى من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء وأكل

بامو النامايجده البخلاء ولكن نتصبر وقال محمد بن المنكدر) بن عبدالله بن المهدى التيمى (كان يقال اذا أراد الله بقوم شرا أمر عليهـم شرارهم وجعل أرزاقهم بايدى بخلائهم) وقد روى نحو ذلك مرفوعا من حديث مهران وله صحبة ولفظه اذا أراد الله بقوم خيرا ولى عليهم حلماءهم وقضى بينهم علماؤهم وجعل المال فى سمحائهم واذا أراد الله بقوم شرا ولى عليهم سفهاءهم وقضى بينهم جهالهم وجعل المال فى بخلائهم أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس (وقال على كرم الله وجهه فى خطبته انه سيأتى على الناس زمان عضوض) أى شديد المراس كالدابة العضوض التى تكثر العض لمن مسها (يعض الموسر على مافى يديه) من المال بنواجذه وهو كناية عن الامساك الشديد (ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم) المراد به مافضل من المال بعد حاجتكم (وقال عبدالله بن عمرو) بن العاص فى الفرق بين الشح والبخل (الشح أشد من البخل لان الشحيح هو الذى يشح على مافى يدى غيره حتى يأخذه ويشح) على غيره (بمافى يديه فيحبسه) عنه (والبخيل هو الذى يبخل بمافى يديه) مما يفضل لديه (وقال الشعبى) رحمه الله تعالى (لاأدرى أيهما أبعد غورا فى نار جهنم البخل أو الكذب) رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت عن اسحق بن ابراهيم أخبرنا جرير عن بيان عنه الا انه قال فى النار بدل فى جهنم (وقيل ورد على أنوشروان) بفتح الهمزة وضم النون وشروان كسحبان اسم ملك الفرس وكان مشهورا بالعـدل (حكيم الهند وفيلسوف الروم) وهو واحد الفلاسفة ومعناه الحكيم بالرومية (فقال أنوشروان للهندى تكلم فقال خير الناس من ألفى) أى وجد (سخيا وعند الغضب وقورا) أى متحملا لغضبه (وفى القول متأنيا) أى متثبتا (وفى الرفعـة متواضعا وعلى كل ذى رحم مشفقا وقال للرومى تكلم فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره) للنعمة (لم ينل النجح) أى الظفر بالمقصود (وأهل الكذب مذمومون وأهل النميمة يموتون فقرا ومن لم يرحم) أى من ملكه (سلط الله عليه من لا يرحمه) وشاهده فى كلام نبينا صلى الله عليه وسـلم من لا يرحم لا يرحم (وقال الضحاك فى قوله تعالى انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا قال البخل امسك الله تعالى أيديهم عن النفقة فى سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى) أخرجه الخرائطى فى مساوى الاخلاق (وقال كعب الاحبار) رحمه الله تعالى (مامن صباح الا وقد وكل به ملكان يناديان) يقول احدهما (اللهم عجل لممسك تلفا) يقول الثانى اللهم (عجل لمنفق خلفا) هكذا رواه صاحب الحلية وقد رواه الحاكم من حديث أبى سعيد الخدرى وصححه وتعقبه الذهبى وفيه زيادة وملكان يناديان ياباغى الخير هلم و يقول الآخر ياباغى الشر قصر (وقال) عبدالملك بن قريب (الاصمعى) رحمه الله تعالى (سمعت اعرابيا قد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان فى عينى) أى ذل وحقر (لعظم الدنيا فى عينه وكأنما السائل اذا يراه ملك الموت اذا أتاه) أى يستثقله و يقشعر عنه و يزور و يكرهه كما يكره ملك الموت و يزور عنه (وقال) الامام (أبو حنيفة) رحمه الله تعالى (لاأرى ان أعدل بخيلا لانه يحمله البخل على الاستقصاء) فى معاملاته (فيأخذ فوق حقه) لامحالة (خيفة ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الامانة) فلا يعدل (وقال على كرم الله وجهه والله ما استقصى كريم قط حقه) لانه (قال الله تعالى عرف بعضه وأعرض عن بعض) أخرجه ابن مردويه فى تفسيره وأخرج البيهقى فى الشعب عن عطاء الخراسانى قال ما استقصى حكيم قط ألم تسمع الى قوله تعالى عرف بعضـه وأعرض عن بعض وأخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد قال الذى عرف أمر مارية والذى أعرض قوله لعائشة ان أباك وأباها يليان الناس بعدى مخافة أن يفشوه (وقال) عمرو بن بحر (الجاحظ) البصرى يكنى أباعثمان من رؤساء المعتزلة وله تصانيف فى عدة من الفنون روى عن يزيد بن هرون وأبى يوسف القاضى وعنه يموت بن المزرع ومات سنة ٢٥٥ (مابقى من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء وأكل

القديد

القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحرث البخيل لاغيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم انك اذا لبخيل ومدحت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوّامة قوّامة الا أن فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حب ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغض ولو كانوا أبرارا وقال ابن المعتز أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال له يا ابليس أخبرني بأحب الناس اليك وأبغض الناس اليك قال أحب الناس الي المؤمن البخيل وأبغض الناس الي الفاسق السخي قال له لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوّف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك

(حكايات البخلاء)

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فأكل منه فأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما جهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك تقيأ ما أكلت فقال هاه أتقيأ طباهجة ببيض الموت ولا ذلك وقيل أقبل أعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيأ قال نعم فقرأ والزيتون وطور سينين فقال وأين التين قال هو تحت كسائك * ودعا بعضهم أخاه ولم يطعمه شيأ فحبسه الى العصر حتى اشتد جوعه وأخذه مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك قال صوت المقلى ويحكى أن محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه عنه فقال له قائل صف لي مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون

القديد وحك الجرب) وفي كل منها يجد الانسان لذة مالا يجد في غيرها (وقال بشر بن الحارث) الحافي رحمه الله تعالى (البخيل لاغيبة له) لانه (قال النبي صلى الله عليه وسلم) لرجل (انك اذا لبخيل) فلو كان غيبة لم يقل ذلك (ومدحت امرأة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوّامة قوّامة) أي كثيرة الصيام والقيام (الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا) تقدم في آفات اللسان فهذا أيضا يدل ان ذكر الرجل بالبخل لا غيبة له (وقال بشر) رحمه الله تعالى أيضا (النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين) والقولان أخرجهما الخطيب في كتاب البخلاء (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (ما في القلب للاسخياء الا حب ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغض ولو كانوا أبرارا) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال ابن المعتز) وهو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله أبي عبد الله محمد بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم العباسي وهو أول من ألف في البديع وله ديوان شعر (أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه) لان من أكرم ماله أهان عرضه (ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته) الحقيقية (فقال له يا ابليس اخبرني بأحب الناس اليك وأبغض الناس اليك فقال أحب الناس الي المؤمن البخيل وأبغض الناس الي الفاسق السخي قال لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوّف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى) أي أدبر (وهو يقول لولا انك يحيى لما أخبرتك) وكانه أظهر له النصح في الجواب اكراما له عليه السلام

(حكايات البخلاء)

(قيل كان بالبصرة رجل موسر) أي غني (بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة) وهي أن يقطع اللحم ويشوى في الطنجير في أي دهن كان فاذا طبخ في الماء ثم قلي سمي قلية (ببيض فأكل منه فأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى) يمينا وشمالا (فلما جهده الامر وصف حاله لطبيب فقال لا بأس عليك تقيأ ما أكلت) تبرأ (فقال هاه اتقيأ طباهجة ببيض أموت ولا اتقيأ طباهجة ببيض) فهذا من بخله آثر الطباهجة على الصحة (وقيل أقبل أعرابي يطلب رجلا بين يديه تين) وهو الثمر المعروف (فغطى التين بكسائه) من بخله كيلا يراه فيشاركه (فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيأ قال نعم وقرأ) بعد الاستعاذة والبسملة (والزيتون وطور سينين فقال) الرجل (وأين التين فقال هو تحت كسائك ودعا بعضهم أخاه ولم يطعمه شيأ الى العصر حتى اشتد جوعه وأخذه مثل الجنون) فانه قد يعتري ذلك عند خلو المعدة (فأخذ صاحب البيت العود) ليغني له (وقال له بحياتي أي صوت تشتهي ان أسمعك) بهذا العود (قال صوت المقلى) أي صوت قلية اللحم (ويحكى ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك) البرمكي جده خالد بن برمك كان من عبدة النار فاسلم وولده أبو علي يحيى بلغ الرتبة العلية في الثروة حتى ولي الوزارة للعباسيين وأخبارهم مشهورة ومنهم محمد بن جعفر بن يحيى حدث وهو من مشايخ أبي داود وأبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى المعروف بجحظة صاحب أخبار ونوادر (وكان بخيلا قبيح البخل) على خلاف شيمة أهل بيته فانهم كانوا قد اشتهروا بالكرم (فسئل نسيب له كان يألفه) أي يعاشره (عنه وقال له قائل صف لي مائدته فقال هي فتر في فتر) والفتر بالكسر ما بين طرف الابهام وطرف السبابة بالتفريج المعتاد وصفها في غاية الضيق (وصحافه) جمع صحفة بالفتح وهي الاناء الذي يؤكل فيه (منقورة من حب الخشخاش) أي في غاية الصغر وهي مبالغة (قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون) وهم ملائكة

قال فما يأكل معه أحد قال بلى الذباب فقال سوأتك بدت وأنت خاص به وثوبك مخرق قال أنا والله ما أقدر على ابرة أخيطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوأ ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يطلبون منه ابرة ويسألونه اعارتهم اياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل * ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم اليه أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقيل له نراك لا تأكل الا الرؤس

في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك قال نعم الرأس اعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدران يأكل منه ان مس عينا أواذنا أوخدا وقفت على ذلك وآكل منه ألوانا عينه لونا واذنه لونا ولسانه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا وأكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق * وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من أهله مالي عليك ان رجعت بالجائزة فقال ان أعطيت مائة ألف أعطيتك درهما فاعطي ستين ألفا فاعطاها أربعة دوانق واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال أكره الاسراف وكان للاعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول لودخلت فأكلت كسرة وملحا فيأبى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سربنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا فجاء سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسألة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش (و) قرينة فقال اذهب ويحك فلا والله ما رأيت أحدا أصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما * (بيان الايثار وفضله) * اعلم ان السخاء والبخل كل منهما ينقسم الى درجات فارفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج اليه لمحتاج أو لغير محتاج والبذل مع الحاجة أشد وكما ان السخاوة قد تنتهي الى أن يسخو الانسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن

اليمين والشمال (قال فما يأكل معه أحد قال بلى الذباب) وما قدر ما يأكل منه الذباب (سوأتك) أي قبحا (أنت خاص به) ونسيبه وأليفه (وثوبك مخرق) أي مقطع (فقال اني والله ما أقدر على ابرة أخيط بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة) وهي من بلاد السودان (مملوأ ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليهما السلام يطلبون منه ابرة) واحدة (ويسألونه اعرنا اياها لنخيط بها قميص يوسف) عليه السلام (الذي قد) أي شق (من قبل) أي من قدام (ما فعل) وهذا المنتهي في البخل وفيه مبالغات (ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه) أي يشتاق اليه ويشتهيه والقرم نزوع النفس الى اللحم خاصة (فاذا قرم) اليه (أرسل غلامه فاشترى له رأسا) من رؤس الغنم المشوية (فأكله فقيل له نراك الا تأكل الرؤس) المشوية (في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك فقال نعم الرأس أعرف شعره وآمن خيانة الغلام) فيه (ولا استطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدران يأكل منه ان مس) منه (عينا أو أذنا أو خدا وقفت على ذلك) فهو محدود (و) مع ذلك (آكل منه ألوانا آكل عينه لونا وأذنيه لونا ولسانه لونا وغلصمته) وهي رأس الحلقوم (لونا ودماغه لونا و) مع ذلك (أكفى مؤنة الطبخ فقد اجتمعت لي فيه مرافق) وهذا بخل فيه نوع تدبير (و) يحكى انه (خرج يوما يريد الخليفة المهدي) العباسي (فقالت له امرأة من أهله مالي عليك ان رجعت بالجائزة) أي الصلة والعطية (فقال ان أعطيت مائة ألف) درهم (أعطيتك درهما فأعطى ستين ألفا) درهما (فأعطاها أربعة دوانق) ولم يكمل لها درهما (و) يحكى أيضا انه (اشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له) الى منزله (فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال أكره الاسراف وكان للاعمش) سليمان بن مهران الكوفي الفقيه (جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل يقول لودخلت فأكلت كسرة وملحا فيأبى عليه الاعمش) ويتعلل ويواعد (فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سربنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا) كما كان يعده به (اذ سأل سائل بالباب فقال رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسئلة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش وقال اذهب ويحك فلا والله ما رأيت أحدا أصدق مواعيد منه منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما) وللبخلاء أخبار كثيرة ونوادر شهيرة وقد اقتصر المصنف على هذا القدر وهو الذي أورده الخطيب في كتاب البخلاء باسانيده

(بيان الايثار وفضله)

(اعلم أن السخاء والبخل كل واحد) منهما (ينقسم الى درجات فارفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال) على الغير (مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه) سواء كان (لمحتاج أو غير محتاج والبذل) مع وجود (الحاجة أشد) فلذا كان الايثار أرفع درجاته وهذا هو حد السخاء في المخلوق وسيأتي الكلام عليه عند ذكره في الفصل الذي يليه (وكما ان السخاوة قد تنتهي الى ان يسخو الانسان على غيره مع الاحتياج) لما يسخو به (فالبخل قد ينتهي الى أن يبخل على نفسه مع الحاجة) اليه (فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى) لبخله (ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن) والامساك للمال محبة فيه

ولووجدها مجانا الا كلها فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع انه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد أثنى الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وقالت عائشة رضي الله عنها ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيأ فدخل عليه رجل من الانصار فذهب بالضيف الى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الليلة الى ضيفكم ونزلت ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى والايثار أعلى درجات السخاء وكان ذلك من دأب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله التسترى قال موسى عليه السلام يارب أرني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فقال ياموسى انك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى فقال يارب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار ياموسى لا يأتيني احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله

(و) قرينة ذلك انه (لو وجدها مجانا) بغير عوض (لا كلها) فدل ذلك ان الامتناع منها انما هو لاجل البخل (فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع انه لا حاجة به الى ذلك فانظر ما بين الرجلين) من التفاوت (فان الاخلاق عطايا) من الملك الخلاق جل سبحانه (يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد أثنى الله تعالى على الصحابة) رضوان الله عليهم (فقال ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) أي حاجة وفقر كما سيأتي قريبا في سبب نزوله (وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيما رجل) وفي رواية أيما امرئ (اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له) وفي رواية غفر الله له قال العراقي رواه ابن حبان في الضعفاء وأبو الشيخ في الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدم انتهى قلت وكذلك رواه الدارقطني في الافراد وقد تقدم للمصنف سبب هذا الحديث وهو مارواه نافع ان ابن عمر اشتهى سمكة طرية وكان قد نقه من مرضه فالتمست بالمدينة فلم توجد حتى وجدت بعد مدة واشتريت بدرهم ونصف فأشويت وجيء بها على رغيف فقام سائل بالباب فقال ابن عمر للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه فأبى الغلام فرده وأمره بدفعها اليه ثم جاء بها فوضعها بين يديه وقال كل هنيأ يا أبا عبد الرحمن فقد أعطيته درهما وأخذتها فقال لفها وادفعها اليه ولا تأخذ منه الدرهم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرئ اشتهى وذكر الحديث (وقالت عائشة رضي الله عنها ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب بلفظ ولكنه كان يؤثر على نفسه وأول الحديث عند مسلم بلفظ ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز برحتى مضى لسبيله وللشيخين ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعا حتى قبض زاد مسلم من طعام بر (ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيأ فدخل عليه رجل من الانصار) وهو أبو طلحة زيد بن سهل رضي الله عنه (فذهب به الى أهله فوضع بين يديه الطعام) الذي هو قوته وقوت صبيانه (وأمر امرأته) وهي أم سليم رضي الله عنها (باطفاء السراج) فقامت كأنها تصلح السراج فاطفأته (وجعل يمد يده الى الطعام كأنه يأكل) أي يظهر من نفسه الاكل (ولا يأكل) ايثارا (حتى أكل الضيف الطعام) وبقي هو وعياله مجهودين (فلما أصبح) وغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقه جبريل عليه السلام فأخبره بما صنع (قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله عز وجل من صنيعكم الليلة الى ضيفكم ونزلت ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) متفق عليه من حديث أبي هريرة (فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى) وقد روى أبو نعيم والديلمي وأبو الشيخ وابن النجار من حديث ابن عباس السخاء خلق الله الاعظم أي فمن تخلق به تخلق بصفة من صفاته تعالى (والايثار أعلى درجات السخاء وكان ذلك من دأب رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي من طريقته (حتى سماه الله تعالى عظيما فقال وانك لعلى خلق عظيم) وقد تقدم الكلام على هذه الآية في كتاب رياضة النفس (وقال) أبو محمد (سهل بن عبد الله) التسترى رحمه الله تعالى (قال موسى عليه السلام يارب أرني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأمته قال ياموسى انك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال) الراوي (فكشف له عن ملكوت السماء فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله عز وجل فقال يارب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار ياموسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء) نقله صاحب القوت (وقيل خرج عبد الله

ابن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه اذ أتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى اليه الثاني والثالث فأكله وعبدالله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت به هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أشبع وهو جائع قال فما أنت صانع اليوم قال أطوي يومي هذا فقال عبدالله بن جعفر الام على السخاء ان هذا الغلام لاسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فاعتق الغلام ووهبه منه وقال عمر رضي الله عنه اهدى الى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخي كان أحوج مني اليه فبعث به اليه فلم يزل كل واحد يبعث به الى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع الى الاول وبات علي كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة وأحباها فأوحى الله عز وجل اليهما أفلا كنتما مثل علي ابن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد وعن أبي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيأ ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر اليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي

ابن جعفر) بن أبي طالب (الى ضيعة له) خارج المدينة (فنزل على نخيل قوم وفيهم غلام أسود) اللون (يعمل فيه) أي يخدم الارض (اذ أتى الغلام بقوته) وهو ثلاثة أرغفة (فدخل الحائط) أي البستان (كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فأكله وعبد الله) بن جعفر (ينظر اليه) من بعيد (فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت به هذا الكلب فقال ما هي بأرض كلاب انه) غريب (جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما أنت صانع اليوم قال أطوي يومي هذا) جوعا (فقال عبد الله بن جعفر الام على السخاء ان هذا لاسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فاعتق الغلام ووهبه منه) أي الحائط وما فيه (وقال عمر) رضي الله عنه (أهدى الى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخي كان أحوج مني اليه فبعث به اليه) فلما وصل اليه قال ان أخي فلانا كان أحوج مني اليه فبعث به اليه (فلم يزل يبعث به كل واحد الى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع الى الاول) نقله صاحب القوت (وبات علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم) عند مخرجه الى الغار (فأوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة وأحباها فأوحى الله تعالى اليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فهبطا (فكان جبريل) عليه السلام (عند رأسه وميكائيل) عليه السلام (عند رجليه وجبريل عليه السلام ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فانزل الله عز وجل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد) قال العراقي رواه أحمد من حديث ابن عباس شرى علي نفسه ولبس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه الحديث وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم أقف لهذه الزيادة على أصل وفيه أبو بلج مختلف فيه والحديث منكر ورواه الحاكم في المستدرك وأعله عبد الغني بن سعيد في كتاب ايضاح الاشكال (وعن أبي الحسن الانطاكي) له ذكر في الحلية وفي الرسالة (انه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري) احدى مدن خراسان (ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفؤا السراج وجلسوا للطعام) وأوهم كل واحد صاحبه انه يأكل (فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم يأكل واحد منهم شيأ ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة) بن الحجاج بن الورد العتكي أبا بسطام الواسطي ثم البصري أمير المؤمنين في الحديث وكان من العباد الزهاد مات سنة ستين (جاءه سائل ولم يكن عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر اليه) وقال صاحب الرسالة سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول كان الاستاذ أبو سهل الصعلوكي يتوضأ يوما في صحن داره فدخل انسان فسأله شيأ ولم يحضره شيء فقال اصبر حتى أفرغ فصبر فلما فرغ قال خذ القمقمة وخرج ثم صبر حتى بعد فصاح وقال دخل انسان وأخذ القمقمة فمشوا خلفه فلم يدركوه وانما فعل ذلك لان أهل المنزل كانوا يلومونه على البذل (وقال حذيفة العدوي) هكذا في سائر النسخ ولم أجد له ذكرا في الصحابة ولعل الصواب وقال أبو حذيفة في المبتدا عن العدوي قال بعض بني المغيرة (انطلقت يوم اليرموك) موضع بالشام وغزوته معروفة (اطلب ابن عم لي)

ومعى شئ من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا أنا به فقلت أسقيك فأشار الى أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمى الى أن انطلق به اليه قال فجئته فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين وقال عباس بن دهقان ماخرج أحد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحرث فانه أتاه رجل فى مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه اياه واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب فى الميتة فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى أكلت الميتة وبقى العظم ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فأكل مما بقى عليها قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من أخبار الايثار وأحوال الاولياء فى كتاب الفقر والزهد فلا حاجة الى الاعادة ههنا وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل

(بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما)

لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ماحد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا ومامن انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل ومامن انسان الا ويجد من نفسه حبا للمال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك أحد عن البخل واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذى يوجب الهلاك وماحد السخاء الذى يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من رد اللحم مثلا الى القصاب والخبز للخباز بنقصان حبة أو نصف حبة فانه يعد بخيلا

فى القتلى (ومعى شئ من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا أنا به فقلت أسقيك فأشار أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمى الى ان انطلق به) أى بالماء (اليه قال فجئته فاذا هو هشام بن العاص) أخو عمرو بن العاص قال ابن المبارك فى الزهد عن جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال مر عمرو ابن العاص بنفر من قريش فذكروا هشاما فقالوا أيهما أفضل فقال عمرو شهدت أنا وهشام اليرموك فقلنا نسأل الله الشهادة فلما أصبحنا حرمتها ورزقها ولكن ذكر موسى بن عقبة وغيره انه استشهد باجنادين (فقلت أسقيك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات) وقد ذكر أصحاب المغازى انه استشهد باليرموك عكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو وسهل بن الحارث والحارث بن هشام وجماعة من بنى المغيرة فأتوا بماء وهم صرعى فتدافعوه حتى ماتوا ولم يذوقوا الماء وأتى عكرمة بالماء فنظر الى سهيل ينظر اليه فقال ابدأ بهذا ونظر سهيل بن الحارث ينظر اليه فقال ابدأ بهذا فماتوا كلهم قبل ان يشربوا فمر بهم خالد بن الوليد فقال بنفسى انتم (وقال عباس بن دهقان ماخرج أحد من الدنيا كما دخلها) أى عاريا خالصا (الا بشر بن الحرث) الحافى (فانه أتاه رجل فى مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه فأعطاه اياه واستعار ثوبا فمات فيه و) حكى (عن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس) مدينة على ساحل البحر من طرف الشام وهى بالاقليم المسمى بسين وكانت تغزى من بلاد الروم (فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا باب الجهاد اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع خال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب فى الميتة) تنهشها (فما زالت تأكل وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى أكلت الميتة وبقى ذلك العظم ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فأكل مما بقى على العظم قليلا ثم انصرف) فهذا من ايثاره (وقد ذكرنا جملة من أخبار الايثار وأحوال الاولياء فى كتاب الزهد والفقر فلا نعيده)

(بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما)

(لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ماحد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا ومامن انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل ومامن انسان الا ويجد فى نفسه حب المال) واضطر اليه (ولاجله يحفظ المال) ويمسك فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك أحد من البخل واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذى يوجب الهلاك) ويورث العقوبة والذم (وماحد السخاء الذى يستحق العبد به صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون حد البخل) فى الشرع (منع الواجب) وعند العرب منع السائل مما يفضل عنده (فكل من أدى ما وجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف) فى فهم المرام (فان من رد اللحم مثلا الى القصاب والخبز الى الخباز) بعد ما اشتراهما (لنقصان حبة أو نصف حبة) كما فعله مروان بن أبى حفصة فى اللحم لما دعاه صاحبه (فانه يعد بخيلا

بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة ازدادوها عليه او ثمرة أكلوها من ماله بعد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو أيضا قاصر فانه ان أريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وان أريد به انه يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف من غير رؤية وقيل الجود عطاء من غير مسألة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على رؤية ان المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وأبقى لنفسه شيأ فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيأ فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ماخلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى مالا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخاء وقد قيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه مالم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه

بالاتفاق) مع انه لم يمنع الواجب (وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة زادوها عليه أو ثمرة أكلوها من ماله عد بخيلا) مع انه لم يضايق في القدر الواجب (ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن انه يأكل معه فاخفاه عنه عد بخيلا) مع ان اشراكه في الرغيف لم يكن مما يجب حتى يكون اخفاؤه عنه بخلا (وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية) أي يعدها صعبة على نفسه وقال صاحب الرسالة حقيقة الجود ان لا يصعب عليه البذل (وهو أيضا قاصر) في فهم المرام (فانه ان أريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقه وان أريد به انه يستصعب بعض العطايا) لا كلها (فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال العظيم) الذي له صورة (وهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود) واختلفوا فيه (فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف من غير رؤية) أي لا يمن في عطائه ولا يرى في نفسه انه أسعف (وقيل الجود عطاء من غير مسألة) بل يكون ابتداؤه (على رؤية التقليل) بان يرى ما أعطاه قليلا (وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن) وقيل الجود هو لين النفس بالعطاء وسعة القلب للمواساة وهذا نقله ابن العربي (وقيل الجود عطاء على رؤية ان المال لله تعالى والعبد لله تعالى فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر) وهو قول لبعض الصوفية وقيل الجود هو اجابة الخاطر الاول وقيل الجود افادة ما ينبغي لا لغرض (وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وأبقى لنفسه شيأ فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيأ فهو صاحب بخل) وهذا القول نقله القشيري في الرسالة عن شيخه الاستاذ أبي علي الدقاق وقال بعضهم السخاء اخراج العبد بعض ما يملكه بسهولة والايثار اخراجه جميع ما يملكه بسهولة مع حاجته اليه وهذا القول يعني الذي نقله القشيري (وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود) ومنه قول ابن الوردي

بين تبذير وبخل رتبة * وكلا هذين ان زاد قتل

(وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخاء وقد قيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) فهذا اشارة الى المقام الوسط (وقد قال تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه مالم يكن قلبه طيبا به) منشرحا (غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ) أي متكلف للسخاء (وليس بسخي) حقيقة (بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه) وقال الماوردي حد السخاء بذل ما يحتاج اليه عند الحاجة وان يوصل الى مستحقه بقدر الطاقة

فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذى يجب بذله فاقول ان الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة والسخى هو الذى لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذى يمنع واجب الشرع أبخل كالذى يمنع أداء الزكاة و يمنع عياله وأهله النفقة أو يؤديها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف أو الذى يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطى من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل * وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء فى المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله استقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة و يستقبح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب و يستقبح من الجار ما لا يستقبح مع البعيد و يستقبح فى الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح فى المعاملة فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة فى ضيافة أو معاملة و بما فيه المضايقة من طعام أو ثوب اذ يستقبح فى الاطعمة ما لا يستقبح فى غيرها و يستقبح فى شراء الكفن مثلا أو شراء الاضحية أو شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح فى غيره من المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبى و بمن منه المضايقة من صبى أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير فالبخيل هو الذى يمنع حيث ينبغى أن لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروءة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال فان صيانة الدين أهم من حفظ المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المروءة أهم من حفظ المال والمضايق فى الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل ممن يؤدى الواجب و يحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا درجاته فى الآخرة

وتدبير ذلك مستصعب ولعل بعض من يحب ان ينتسب الى الكرم ينكر حد السخاء و يجعل تقدير العطية فيه نوعا من البخل وان الجود بذل الموجود وهذا تكلف يفضى الى الجهل بحدود الفضائل ولو كان حد الجود بذل الموجود لما كان للسرف موضع ولا للتبذير موقع وقد ورد الكتاب والسنة بذمهما واذا كان السخاء محدودا فمن وقف على حده سمى كريما واستوجب المدح ومن قصر عنه كان بخيلا واستوجب الذم (فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذى بذله يجب فأقول الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة والسخى هو الذى لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذى يمنع واجب الشرع ابخل) أى أشد فى صفة البخل (كالذى يمنع أداء الزكاة) فلا يزكى (و يمنع عياله وأهله النفقة) فلا ينفق عليهم (أو يؤديها) أى الزكاة (ولكن يشق عليه) و يستصعبه (فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف) من غير انشراح صدر (أو الذى يتيمم الخبيث من ماله) أى يقصده فمنه ينفق (ولا يطيب قلبه ان يعطى من أطيب ماله أو من وسطه) وقد قال تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون (فهذا كله بخل وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء فى المحقرات) والتدقيق فيها (فان ذلك مستقبح) مخالف وصف الكرم وقد روى عن على رضى الله عنه ما استقصى كريم حقه قط كما تقدم (واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص) أى باختلافها فقد يكون فى حال وفى شخص يستقبح أشد الاستقباح دون حال وشخص (فمن كثر ماله يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير) الذى لا مال له (من المضايقة) والاستقصاء فى الحساب والمعاملة (و يستقبح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب و يستقبح من الجار ما لا يستقبح مع البعيد و يستقبح فى الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح أقل منه فى المبايعة و المعاملة) والمحاسبة (فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة فى ضيافة أو معاملة و بما به المضايقة من طعام أو ثوب اذ يستقبح فى الاطعمة ما لا يستقبح فى غيرها و يستقبح فى شراء الكفن) للميت (مثلا أو شراء الاضحية) لنسكه (أو خبز الصدقة) للفقراء (ما لا يستقبح فى غيره من المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبى) فيسامح مع الاول دون الاخير (و بمن منه المضايقة من صبى أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر) أى غنى (أو فقير) أو صالح أو طالح أو ذى مروءة أو سوقى فالبخيل هو الذى يمنع حيث ينبغى ان لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروءة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره) لعدم الوقوف على حده (ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال) وامساكه (فان صيانة الدين أهم من حفظ المال) لشرف الدين وخساسة المال (فمانع الزكاة) ومانع (النفقة) ممن تجب (بخيل وصيانة المروءة أهم من حفظ المال) والمراد بالمروءة هنا الانسانية وهى الصفة التى بها يصير الانسان انسانا كاملا (والمضايق فى الدقائق) أى فى الامور الدقيقة الحقيرة (مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهى أن يكون الرجل ممن يؤدى الواجب) المفروض عليه (و يحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته فى الآخرة

فامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيافيرون امساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام أيضا سمة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد أديت الزكاة الواجبة وليس على غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء مالم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشترى المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشئ من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى وأما الآدمى فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشئ الا لغرض ولكنه اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الآخرة واكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا أو من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهى أعواض معجلة له عليه فهو معتاض لا جواد كما روى عن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سلى عما شئت وأشاروا الى حبان بن هلال

فامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل عند عوام الخلق) ومن ذلك ماقرأت في كتاب صفوة التاريخ قال الربيع قال المنصور لعمومته الناس يبخلونى وما أنا ببخيل ولكن رأيت الناس عبيد الدينار والدرهم فاردت أن أحظرها عليهم فاستذلهم بذلك وقد وصل عمومته في وقت واحد بعشرة آلاف ألف درهم وامتدحه ابن هرمة فاستجاد قصيدته وأمر له بعشرة آلاف درهم ثم قال له احتفظ بها فانك أول من أخذها منى وآخر من يأخذها فقال له ابن هرمة انا آتيك بها يا أمير المؤمنين يوم القيامة بخاتم صاحب بيت المال ووصل شبيب بن شيبة بكلام تكلم به بين يديه فاعجبه بعشرين ألف درهم (وذلك لان نظر العوام مقصور على حدود الدنيا فيرون امساكه لدفع نوائب الزمان مهما) ويقولون الدراهم البيض تنفع للايام السود (وربما يظهر عند العوام أيضا سمة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد أديت الزكاة الواجبة) على (وليس على غيرها) فلا أعطى ماليس على (ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل) وتنصل من تبعيته (نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء مالم يبذل زيادة على ذلك) من فاضل ماله (لطلب الفضيلة) عند الله (ونيل الدرجات) العالية (فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض) وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أجود بالخير من الريح المرسلة (واصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيبة نفس) وانشراح صدر (ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشترى المدح بماله والمدح لذيذ) لذة معنوية (وهو مقصود في نفسه) ومنه قول بشار

ليس يعطيك للرجاء وللخو ❊ ف ولكن يلذ طعم العطاء

(والجود هو بذل الشئ من غير غرض) دنيوى أو أخروى (هذا هو الحقيقة) اللغوية (ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى) فهو الجواد على الحقيقة وافراد الجود العفو عند القدرة والوفاء عند الوعد والزيادة على العطاء منتهى الرجاء وعدم المبالاة بكم أعطى ولا لمن اعطى وعدم الاستقصاء في العتاب عند الجفاء واغناؤه عن الوسائل والشفعاء وعدم اضاعة من به التجا فهذه الافراد متى اجتمعت فيه فذلك الجواد المطلق (فاما الآدمى فاسم الجود عليه مجاز) عن تلك الحقيقة (اذ لا يبذل الشئ الا لغرض) من اغراضه (ولكنه اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا أو من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس بالجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهى أعواض معجلة له عليه فهو معتاض لا جواد) ومنه قول أبى نواس

فتى يشترى حسن الثناء بماله ❊ ويعلم أن الدائرات تدور

وأحسن منه قول ابن الرومى

وتاجر البر لا تزال له ❊ ربحان في كل متجر يجره
أجر وحمد وانما طلب الاجـ ❊ ـر ولكن كلاهما اعتوره

(كما روى عن بعض المتعبدات انها وقفت على) أبى حبيب (حبان بن هلال) الباهلى ويقال الكنانى البصرى قال ابن معين والترمذى والنسائى ثقة ثبت حجة مات بالبصرة في شهر رمضان سنة ٢١٢ روى له الجماعة (وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سلى عما شئت وأشاروا الى حبان بن

هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء فى الدنيا فما السخاء فى الدين قالوا أن نعبد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك أجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت

سبحان الله فاذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأى شئ تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك رحمك الله قالت السخاء عندى أن تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيأ بشئ ان هذا فى الدنيا لقبيح وقالت بعض المتعبدات أتحسبون أن السخاء فى الدرهم والدينار فقط قيل ففيم قالت السخاء عندى فى المهج وقال المحاسبى السخاء فى الدين أن تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل وتسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير اكراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن تغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذى يفعل لك ما لا تحسن أن تختاره لنفسك

(بيان علاج البخل) اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان * أحدهما حب الشهوات التى لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما انه كان لا يبخل بماله اذ القدر الذى يحتاج اليه فى يوم أو فى شهر أو فى سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال عليه السلام الولد مبخلة مجبنة مجهلة

هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء فى الدنيا فما السخاء فى الدين قالوا نعبد الله سخية بها أنفسنا طيبة غير مكرهة) وفى بعض النسخ غير كارهة وصوّبه بعضهم (قالت فتريدون على ذلك أجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعدنا بالحسنة عشرا قالت سبحان الله فاذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرا فبأى شئ تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندى أن تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجرا) ولا عوضا (حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء الا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيأ بشئ ان هذا فى الدنيا لقبيح) فدل كلامها على ان السخاء والجود على الحقيقة ما خلا عن الاغراض والاعواض (وقالت بعض المتعبدات اتحسبون ان السخاء فى الدرهم والدينار فقط قيل) لها (ففيم قالت السخاء عندى فى المهج) أى فى بذلها فى سبيل الله وهذا هو سخاء الخواص كما ان الاول سخاء العوام (وقال الحرث) بن اسد (المحاسبى رحمه الله) فى كتابه الرعاية (السخاء فى الدين ان تسخو نفسك بتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله عز وجل بسماحة من غير اكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله تعالى حتى يكون مولاك هو الذى يفعل بك ما لا تحسن اختياره لنفسك) وهو أيضا يشير الى سخاء الخواص ومنهم من قال سخاء العوام سخاء النفس ببذل الموجود وسخاء الخواص سخاء النفس عن كل موجود ومفقود غنى بالواحد المعبود وقال بعض السخاء أتم وأكمل من الجود وضد الجود البخل وضد السخاء الشح والجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب عادة بخلاف ذينك فانهما من ضرورات الغريزة وكل سخى جواد ولا عكس والجود يتطرقه الرياء ويمكن تطبعه بخلاف السخاء كما فى العوارف وقال الراغب السخاء هيئة فى الانسان داعية الى بذل المقتنيات حصل معه البذل أم لا ويقابله الشح والجود بذل المقتنى ويقابله البخل هذا هو الاصل وقد يستعمل كل منهما محل الآخر ومن شرف السخاء والجود ان الله قرن اسمه بالايمان ووصف أهله بالفلاح والفلاح أجمع السعادة للدارين وحق للجود أن يقترن بالايمان فلا شئ أخص منه به ولا أشد مجانسة له فمن صفة المؤمن انشراح الصدر فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وهما من صفات الجواد والبخيل لان الجواد يوصف بسعة الصدر والبخيل بضيقه ومن أحسن ما قيل فيه

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وقال المتنبى

تعوّد بسط الكف حتى لو انه * أراد انقباضا لم تطعه أنامله

ولو لم يكن فى كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائله

(بيان علاج البخل)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان أحدهما حب الشهوات التى لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل) فهما شرطان فى تحقق الوصول ومتى تأخر أحدهما عن الآخر لم يتم له الوصول (فان الانسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما لا يبخل بماله اذ القدر الذى يحتاج اليه فى يوم أو فى شهر أو فى سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له أولاد قام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك المال لاجلهم) لينتفعوا به بعد موته (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة) أى يحمل والده على ترك الانفاق فى الطاعة خوف الفقر (مجبنة) أى يحمله على الجبن عن الجهاد خشية ضيعته (مجهلة) يحمله على الجهل فى أمر الدين وفى نسخة العراقى محزنة بدل مجهلة وقال رواه ابن ماجه من حديث يعلى بن مرة دون

فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة * السبب الثاني أن يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لاسيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد ينسى الحاجات ويصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقا فهو من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر وتعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم وتعالج التفات القلب الى الولد بان خالقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فالله كافيه وان كان

قوله محزنة ورواه بهذه الزيادة أبو يعلى والبزار من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث الاسود بن خلف واسناده صحيح انتهى قلت حديث يعلى بن مرة لفظه الولد مخلة مجبنة وان آخر وطأة وطئها الله بوج هكذا رواه أحمد وابن سعد في الطبقات والطبراني في الكبير وحديث أبي سعيد عند أبي يعلى والبزار لفظه مجبنة مجهلة محزنة وفي بعض رواياتهم بزيادة ثمرة القلب قبل هذه الالفاظ وقد روى ابن ماجه من حديث يوسف ابن عبد الله بن سلام قال جاء الحسن والحسين يستبقان الى النبي صلى الله عليه وسلم فضمهما اليه وقال الولد مبخلة مجبنة وأما حديث الاسود بن خلف فرواه العسكري في الامثال والحاكم في الصحيح من طريق معمر عن أبي خيثم عن محمد بن الاسود بن خلف بن عبد يغوث الزهري عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ حسنا يقبله ثم أقبل عليهم فقال ان الولد مجبنة مبخلة وأحسبه قال مجهلة وكذلك رواه البغوي وابن السكن والدارقطني في الافراد ولم يقولوا واحسبه قال مجهلة وللعسكري فقط من طريق أشعث بن قيس قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي ما فعلت بنت عمك قلت نفست بغلام ووالله لوددت ان لي به سبعة فقال اما لئن قلت انهم مجبنة مبخلة وانهم لقرة العين وثمرة الفؤاد ومن حديث عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وهو محتضن حسنا أو حسينا وهو يقول انكم لتجبنون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله وأخرج الطبراني في الكبير حديث خولة بلفظ الولد محزنة مجبنة مجهلة مبخلة (فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة السبب الثاني أن يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته (ولو فوق الاقتصاد (ويفضل) من انفاقه (آلاف وهو) مع ذلك (شيخ لا ولد له) ولا يرجى منه أن يأتي بولد (ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة) منها (ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض) أو في الصناديق (وهو يعلم أنه يموت) لا محالة (فتضيع أو يأخذها أعداؤه) أو الظلمة من الحكام أو يسرقها من كان مطلعا عليها (ومع هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة) واحدة (وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج) لانه قد جبل طبعه عليه وتعوده (لاسيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير) والدراهم (رسول مبلغ الى الحاجات) أنشدني بعض الاخوان

أرسلت في حاجتي رسولي * سميته درهما فتمت
لو لم يكن درهمي رسولي * ما نالت النفس ما تمنت

وقال بعضهم

اذا كنت في حاجة مرسلا * فارسل رسولا هو الدرهم

(فصارت) الدنانير والدراهم (محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد ينسى الحاجات ويصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال) ونهاية الخسران (بل من رأى بينه وبين الحجر) المرمي في الطريق (فرقا فهو لجهله الا من حيث قضاء حاجته به) دون الحجر (والفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة) لا فرق بينهما (فهذه أسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت) في قيامه وقعوده وعند منامه (والنظر في موت الاقران) من أشكاله (وطول تعبهم في جمع الاموال وضياعه بعدهم) وانه لم ينفعهم بل كان وبالا عليهم (ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه) وانه مضمون له (وكم من ولد لم يرث من أبيه مالا وماله أحسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر) من جهة الحساب والعقاب (وان ولده ان كان تقيا صالحا فالله كافيه) ومتكفل اموره (وان كان

فاسقا

فاسقافيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته اليه ويعالج أيضا قلبه بكثرة التامل فى الاخبار الواردة فى ذم البخل ومدح السخاء وماتوعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التأمل فى أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فانه مامن بخيل الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من أصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء فى قلبه ويعالج أيضا قلبه بأن يتفكر فى مقاصد المال وانه لماذا خلق ولايحفظ من المال الا بقدر حاجته اليه والباقى يدخره لنفسه فى الآخرة بان يحصل له ثواب بذله فهذه الادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الامساك فى الدنيا والآخرة هاجت رغبته فى البذل ان كان عاقلا فان تحركت الشهوة فينبغى أن يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه * حكى أن أبا الحسن البوشنجى كان ذات يوم فى الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عنى القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسى أن تتغير وكان قد خطر لى بذله ولاتزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لايزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذى يريد علاج البخل ينبغى أن يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه فى الماء كان أولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا فى حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبى

فاسقافيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته اليه) وقد روى الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر الويل كل الويل لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر (ويعالج أيضا قلبه بكثرة التأمل فى الاخبار الواردة فى ذم البخل ومدح السخاء) مما تقدم ذكر بعضها (وماتوعد الله به على البخل من العذاب العظيم) فى الآخرة (ومن الادوية النافعة كثرة التأمل فى أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحه لهم فانه مامن بخيل الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من أصحابه فيعلم انه مستثقل) فى الطباع (ومستقذر فى قلوب الناس مثل سائر البخلاء فى قلبه ويعالج أيضا قلبه بان يتفكر فى مقاصد المال وانه لماذا خلقت فلايحفظ من المال الا بقدر حاجته اليه والباقى يدخره لنفسه فى الآخرة بان يحصل ثواب بذله فى مواضع الخير (فهذه أدوية) نافعة من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خير له من الامساك فى الدنيا والآخرة هاجت رغبته فى البذل ان كان عاقلا فاذا تحركت للبذل (فينبغى أن يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف) ومن هنا قال بعضهم الجود هو اجابة الخاطر الاول أى لانه لو لم يجب لخيف على صاحبه تغيره فيما عزم عليه (لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه يحكى ان ابا الحسن) على بن أحمد بن سهل (البوشنجى) بضم الموحدة وفتح الشين المعجمة وسكون النون وبوشنج احدى قرى مرو وأبو الحسن هذا أحد فتيان خراسان لقى أبا عثمان وابن عطاء والجريرى وأبا عمرو الدمشقى مات سنة ٣٤٨ ترجم له القشيرى فى الرسالة (كان ذات يوم فى الخلاء) يقضى حاجته فوقع فى خاطره ان فقيرا يعرفه محتاج الى قميص (فدعا تلميذا له وقال انزع عنى) هذا (القميص وادفعه الى فلان) وسماه (فقال هلا صبرت) الى فراغك من قضاء حاجتك (حتى تخرج قال خطر لى بذله ولم آمن على نفسى أن تتغير) على ماوقع لى من التخلف منه بذلك القميص فاستعجلت بالنزع والدفع ليتعذر رجوعها نقله القشيرى فى الرسالة فقال سمعت بعض أصحاب أبى الحسن البوشنجى يقول كان أبو الحسن البوشنجى فى الخلاء فذكره وذكر صاحب صفوة التاريخ ان المهدى حبس موسى بن جعفر الكاظم ببغداد فبينما هو يصلى ليلة من الليالى اذ مر فى قراءته بهذه الآية فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم فرددها وبكى وكان أحسن الناس صوتا ثم دعا بالربيع فقال ائتنى بموسى قال الربيع فشككت بين موسى الهادى وبين موسى بن جعفر وعلمت أنه انما أراد موسى بن جعفر لانى سمعته يقرأ وتقطعوا أرحامكم فأتيته على حاله يقرأ ويبكى فقال له يا أبا الحسن قرأت هذه الآية فخطرت ببالى وخفت أن أكون قد قطعت رحمك فتؤمننى أن تخرج على أحد من ولدى قال ومن أنا حتى تخوفنى والله لافعلت ذلك ولا هو من شأنى قال يا ربيع ادفع اليه الساعة ثلاثة آلاف دينار واشخصه من فوره الى أهله لايفسد الشيطان على قلبى قال الربيع فما طلع الفجر حتى دفعت اليه المال وأنهضته الى المدينة (ولاتزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه) ويرد عشقه (فكذلك الذى يريد علاج البخل ينبغى أن يفارق المال تكلفا بان يبذله) فى وجوه الخير (بل لو رماه فى الماء كان أولى به من امساكه اياه مع الحب له) لانه يقطع علاقته عن قلبه (ومن لطائف الحيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل) أوّلا (على قصد الرياء) والسمعة لاجل أن يقال انه سخى (حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا فى حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب لها خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما يسلى الصبى

عنـد الفطام عن الثدى باللعب بالعصافير وغيرها الا ليخلى واللعب ولكن لينفك عن الثدى اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغى ان يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها او يسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها به الان هذا مفيد فى حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقلع من علة و يزيد فى أخرى مثلها الا ان علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغى ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال ان الميت تستحيل جميع أجزائه (٢١٠) دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها ثم يأكل بعضها بعضا حتى ترجع الى اثنتين

قويتين عظيمتين ثم لا تزالان تتقاتلان الى أن تغلب احداهما الاخرى فتأكلها وتسمن بها ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها الى ان تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها و يجعل الاضعف قوتا للاقوى الى أن لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضى لا محالة أعمالا واذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضى امساك المال فاذا منع مقتضاه و بذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه فان علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى الجود

عند الفطام عن الثدى باللعب بالعصافير وغيرها الا ليخلى واللعب) فانه ما خلق لذلك (ولكن لينتقل عن الثدى اليه ثم ينتقل عنه الى غيره وكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغى أن يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها او يسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها) وأنفتها (به الان هذا مفيد فى حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقطع علة و يزيد فى أخرى) هى (مثلها الا ان علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لاجل الرياء فبذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغى ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال ان الميت يستحيل جميع أجزائه دودا) فى قبره (ثم يأكل بعض الديدان بعضا حتى يقل عددها وتكبر ثم يأكل بعضها بعضا حتى ترجع الى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لا يزالان يتقاتلان) وفى نسخة يقتتلان (الى ان تغلب احداهما الاخرى فتأكلها وتسمن بها ثم لا تزال تبقى وحدها جائعة الى أن تموت) اذا لم تجد ما تأكله كالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله (فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها بذلك فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى أن لا تبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها) وازالتها (واذابتها بالمجاهدة) والرياضة (وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات ان لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضى لا محالة اعمالا فاذا خولفت خمدت الصفات وماتت) ومالم يمنع قوتها لم ينفع التسليط (مثل البخل فانه يقتضى امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه فاذا علاج البخل بعلم وعمل العلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل) فى الانسان (بحيث يعمى) الابصار (و يصم) الاسماع (فيمنع تحقق المعرفة بآفته واذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة) أى ملازمة لا تفارق (كالمرض الذى يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت و) لقد (كان من عادة بعض الشيوخ) من السادة (الصوفية) نفع الله بهم (فى معالجة علة البخل فى المريدين ان يمنعهم من الاختصاص) والانفراد (بزواياهم) المختصة بهم (فكان اذا توهم فى مريد فرحه بزاويته) ورآه قد أعجب بها (وما فيها نقله الى زاوية غيره ونقل زاوية غيره اليه وأخرجه عن جميع ما ملكه) كسرا لالتفات قلبه (واذا رآه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بتسليمه الى غيره و يلبسه ثوبا خلقا) قد لبسه غيره ثم خلقه (لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا) ويتسلى عنه فلا يعتر البخل بباله (فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها) وشتت همه وباله (فان كان له ألف متاع كان له ألف محبوب ولذلك اذا سرق كل واحد من ذلك ألمت به مصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزل به ألف مصيبة دفعة واحدة لانه

كان

والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمى و يصم فيمنع تحقق المعرفة فيه واذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذى يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية فى معالجة علة البخل فى المريدين أن يمنعهم من الاختصاص بزواياهم وكان اذا توهم فى مريد فرحه بزاويته وما فيها نقله الى زاوية غيرها ونقل زاوية غيره اليه وأخرجه عن جميع ما ملكه واذا رآه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يامره بتسليمها الى غيره و يلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها فان كان له الف متاع كان له ألف محبوب ولذلك اذا سرق كل واحد منه ألمت به مصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزل به ألف مصيبة دفعة واحدة لانه

كان يحب السكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك * حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة أو فقرا قال كيف قال ان كسر كان مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يحمل اليك في أمن من المصيبة والفقر ثم اتفق يوما أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة أولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة الله اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تأكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحراس والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يفرح به ولم يأخذ منه الا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما أمسكه لحاجته فليس ببخل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط الدجلة اذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة

(بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله)

اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية يأخذها الراقي ويستخرج منها الترياق ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو أحد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظائف (الاولى) أن يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى يكتسب ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه (الثانية) أن يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلطان ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه الذلة وهتك المروءة وما يجري مجراه (الثالثة) في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى ومادام مائلا الى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا ويجيء من جملة المحقين وان جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد (الرابعة) ان

يراعي جهة

كان يحب السكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك) أي مشرف عليها باحدهما يحكى انه (حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج) حجر معروف سماوي اللون فارسي معرب (مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك به فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء) الذي كان (عنده كيف ترى هذا فقال أراه مصيبة أو فقرا قال كيف قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه) أي محتاجا له (ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان حمل اليك في أمن من المصيبة والفقر ثم اتفق) بعد مدة (ان انكسر القدح المذكور (يوما وعظمت مصيبة الملك عليه) لالفة قلبه اليه (فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شأن جميع أسباب الدنيا) فانها عند فقدها تورث حسرة في القلب (فان الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار) فتظهر لهم اذ ذاك عداوتها (وعدوة لاولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها) والحبس عن لذاتها (وعدوة الله اذ تقطع طريقه على عباده) السالكين اليه (وعدوة نفسها فانها تأكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحرس) لها (والخزائن والحرس لا يمكن تحصيلها الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال يأكل نفسه) بالنظر الى الوجه المذكور (ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يأنس به) أصلا (ولم يأخذ منه الا قدر حاجته) الضرورية (ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما أمسكه لحاجته فليس ببخل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شاطئ دجلة اذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بقدر الحاجة)

(بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه) وهو من الخيرات المتوسطة (ومثاله مثال حية يأخذها الراقي) الذي يعلم رقيتها (ويستخرج الترياق ويأخذها الغافل) الذي لا عهد له برقيتها فتعضه (فيقتله سمها من حيث لا يدري) ولا يشعر (ولا يخلو أحد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظائف * الاولى ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق) وما الحكمة فيه (وانه لم يحتاج اليه حتى يكتسب) وفي نسخة لا يكتسب (ولا يحفظ الا مقدار الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه * الثانية أن يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين) ومن في حكمهم من نوابهم (ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروأة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه الذل وهتك المروأة وما يجري مجراه * الثالثة في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم) فهذه الثلاثة مما يحتاج اليه الانسان ضرورة (ولكل واحد) من هذه الثلاثة (ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى ومادام مائلا الى جانب القلة ومقربا من حد الضرورة كان محقا ويجامع جملة المحقين) الفائزين (وان جاوز ذلك وقع في) قعر (هاوية لا آخر لعمقها) ولا منتهى لدركها (وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد) على ما سيأتي (الرابعة أن يراعي جهة

المخرج ويقتصد فى الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله فى حقه ولا يضعه فى غير حقه فان الاثم فى الاخذ من غير حقه والوضع فى غير حقه سواء (الخامسة) ان يصلح نيته فى الاخذ والترك والانفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له اذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال على رضى الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع ما فى الارض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو انه ترك

الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو ما يعين على العبادة فان أبعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة فى حقك وكذلك ينبغى أن تكون نيتك فى كل ما يحفظك من قميص وازار وفراش وآنية لان كل ذلك مما يحتاج اليه فى الدين وما فضل من الحاجة ينبغى أن يقصد به أن ينتفع به عبد من عباد الله ولا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذى أخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا تضره كثرة المال لكن لا يتأتى ذلك الا لمن رسخ فى الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامى اذا تشبه بالعالم فى الاستكثار من المال وزعم انه يشبه أغنياء الصحابة شابه الصبى الذى يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدى به ويظن انه أخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فيأخذها اقتداء به فتقتله فى الحال الا أن قتيل الحية يدرى انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية فقيل

هى دنيا كحية تنفث السم * وان كانت المجسة لانت

وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير فى تخطى قلل الجبال وأطراف البحار والطرق المشوكة فمحال أن يتشبه العامى بالعالم الكامل فى تناول المال

(بيان ذم الغنى ومدح الفقر)

اعلم أن الناس قد اختلفوا فى تفضيل الغنى الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردناذلك فى كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا فى هذا الكتاب ندل على أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحرث المحاسبى رضى الله عنه فى بعض كتبه

كتاب

المخرج ويقتصد فى الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله فى حقه ولا يضعه فى غير حقه فان الاثم فى الاخذ من غير حقه والوضع فى غير حقه سواء * الخامسة أن يصلح نيته فى الاخذ والترك والانفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال على كرم الله وجهه لو ان رجلا أخذ جميع ما فى الارض وأراد به وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد) فالفارق النية (فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو على ما يعين على العبادة فان أبعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة) فالاكل يقيم الصلب وقضاء الحاجة يفرغ الباطن من الشواغل (فاذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة فى حقك وكذلك ينبغى ان تكون نيتك فى كل ما تحفظه من قميص أو ازار أو فراش أو آنية لان كل ذلك مما قد يحتاج اليه فى الدين وما فضل عن الحاجة ينبغى أن يقصد به أن ينتفع به عبد من عباد الله فلا يمنع منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذى أخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك الا ممن رسخ فى الدين قدمه وعظم فيه علمه) فهو يتناول المال على الوجه الذى ينتفع هو به وينتفع غيره فهو مباح له تناوله (و) غيره وهو (العامى اذا تشبه بالعالم) الحكيم (فى الاستكثار من المال وزعم انه يشبه أغنياء الصحابة) كعبد الرحمن بن عوف وغيره رضى الله عنهم (شابه الصبى) وفى بعض النسخ الغبى (الذى يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها) وقد عرف نفعها وضرها وأمن سمها وشرها (فيخرج ترياقها فيقتدى به ويظن انه أخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها) ومسها (فيأخذها اقتداء به) ويظنها مستصلحة لان يتقلدها فيجعلها سخابا فى عنقه (فتقتله فى الحال الا أن قتيل الحية يدرى أنه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف) أنه قتيل (وقد شبهت الدنيا بالحية) نظرا الى هذا المعنى (وقيل) فى وصفها

(هى دنيا كحية تنفث السم * وان كانت المجسة لانت)

وقد تقدم هذا المعنى فى ذكر تشبيهات الدنيا فكما لا يجوز للجاهل بالرقية غير العارف بنفع الحية ان يقتدى بالراقى فى تناول الحية والتصرف فيها كذلك لا يجوز للجاهل أن يقتدى بالحكيم فى تناول أعراض الدنيا (وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير فى تخطى قلل الجبال واطراف البحار والطرق) الوعرة (المشوكة) من غير قائد وهو غير آمن من ان يقع فى هوة (فمحال أن يتشبه العامى بالعالم الكامل فى تناول المال) مستبدا برأيه طريقا يسلكه العالم الكامل اذ هو غير آمن من ان يقع فى هاوية وهو لا يشعر

(بيان ذم الغنى ومدح الفقر)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الناس قد اختلفوا فى فضل الغنى الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك فى كتاب الزهد والفقر) على ما سيأتى (وكشفنا عن تحقيق الحق فيه لكنا فى هذا الكتاب ندل على ان الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال) واختلاف الاقوال (ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره) أبو عبد الله (الحرث) بن أسد (المحاسبى رحمه الله تعالى فى بعض كتبه) وهو

في الرد على بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج باغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الامة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء بلغنا ان عيسى بن مريم عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ماتؤمرون وتدرسون مالا تعملون فياسوء ماتحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى ولا يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لاتكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم ياعبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لاتنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتام تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة ياعبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم

كتاب الزهد (في الرد على بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج باغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم) وشتان مابين الثريا والثرى (والمحاسبي رحمه الله تعالى) ممن جمع الله له بين الظاهر والباطن وروى عن يزيد بن هارون والطبقة وعنه أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي وتوفي سنة ٢٤٣ وهو (حبر الامة في علم المعاملة وله السبق) أي التقدم (على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات فكلامه جدير) أي حقيق (بان يحكى على وجهه) ونصه (وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء) من علماء الدنيا (بلغنا ان عيسى عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ماتؤمرون وتدرسون مالا تعلمون فياسوء ماتحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى ومايغني عنكم أن تنقوا) أي تنظفوا (جلودكم وقلوبكم دنسة) أي وسخة بالمعاصي (بحق أقول لكم لاتكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة وكذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم ياعبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لاتنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم ان قلوبكم تبكي من أعمالكم) أي من صلاحها في الظاهر وفساد الباطن (جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم) فتذكروها كثيرا لحبكم اياها ومن أحب شيأ أكثر من ذكره (والعمل تحت أقدامكم) وهو كناية عن الترك والاستخفاف (بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين) أي السالكين الى الله تعالى في ظلم الليل (وتقيمون) أنتم (في محل المتحيرين) أي الواقفين كالمتحيرين (كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم) فتظفروا بها دونهم (مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون العلم بافواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة ياعبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى) أي منفردين (فيوقفكم على سوآتكم) أي فضيحتكم (ثم يجزيكم بسوء أعمالكم) وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الله ابن المبارك أخبرنا بكار بن عبد الرحمن قال سمعت وهب بن منبه يقول قال الله عز وجل فيما يعتب به أحبار بني اسرائيل تتفقهون لغير الدين وتتعلمون لغير العمل وتبتاعون لعمل الآخرة تلبسون جلود الضأن وتخفون أنفس الذئاب وتنقون القذاء من شرابكم وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام وتثقلون الدين على الناس أمثال الجبال ثم لا تعينونهم برفع الخناصر تطيلون الصلاة وتبيضون الثياب تقتنصون بذلك مال اليتيم والارملة فبعزتي حلفت لاضربنكم بفتنة يضل فيها رأي ذوي الرأي وحكمة الحكيم وأخرج من طريق يزيد ابن قوذر قال كعب قال موسى عليه السلام تلبسون ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الخنازير والذئاب الضواري وأخرج ابن عساكر عن وهب بن منبه قال قال عيسى عليه السلام يا علماء السوء جلستم على أبواب الجنة فلا انتم تدخلونها ولا تدعوا المساكين يدخلونها ان شرار الناس عند الله عالم يطلب الدنيا بعلمه وفي القوت قال عيسى عليه السلام ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة حش ظاهرها جص وباطنها نتن ويلكم علماء السوء انما أنتم مثل قبور مشيدة ظاهرها مشيد وباطنها عظام الموتى يا علماء الدنيا انما أنتم مثل شجرة الدفلى نورها حسن وطعمها مر أو قال سم يقتل يا علماء الدنيا مثلكم مثل صخرة في فم النهر لاهي

ثم قال الحرث رحمه الله اخوانى فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة
وأذلوا الدين للدنيا فهم فى العاجل عار وشين وفى الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الكريم بفضله و بعد فانى رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره
ممزوج بالتنغيص فينفجر عنه أنواع الهموم وفنون المعاصى والى البوار والتلف مصيره فرح الهالك برجاء فلم تبق له دنياه
ولم يسلم له دينه خسر الدنيا
والآخرة ذلك هو الخسران
المبين فيالها من مصيبة ما
أفظعها ورزية ما أجلها
ألا فراقبوا الله اخوانى ولا
يغرنكم الشيطان وأولياؤه
من الآنسين بالحجج الداحضة
عند الله فانهم يتكالبون
على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم
المعاذير والحجج ويزعمون
أن أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم كانت لهم
أموال فتزين المغرورون
بذكر الصحابة ليعذرهم
الناس على جمع المال ولقد
دهاهم الشيطان وما
يشعرون ويحك أيها
المفتون ان احتجاجك بمال
عبد الرحمن بن عوف مكيدة
من الشيطان ينطق بها على
لسانك فتهلك لانك متى
زعمت أن أخيار الصحابة
أرادوا المال للتكاثر
والشرف والزينة فقد
اغتبت السادة ونسبتهم
الى أمر عظيم ومتى زعمت
أن جمع المال الحلال أعلى
وأفضل من تركه فقد ازدريت
محمدا والمرسلين ونسبتهم
الى قلة الرغبة والزهد فى هذا
الخير الذى رغبت فيه أنت
وأصحابك من جمع المال ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه او
فقد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للامة اذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم
عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤفا ومتى زعمت أن جمع المال
أفضل فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير لهم

تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص الى الزرع فينتفع به كذلك أنتم قعدتم على طريق الآخرة لا تسلكون ولا تتركون السالكين (ثم قال الحرث) المحاسبى (رحمه الله) تعالى (اخوانى فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس) وهم أضر على الناس من شياطين الجن (رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها) الظاهرة (وآثروها على الآخرة) ورفعتها الباطنة (وأذلوا الدين للدنيا) أى لتحصيلها (فهم فى العاجل عار وشين وفى الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الله الكريم بفضله) وذكر المصنف هذه العبارة أيضا فى كتاب الفقر والزهد (و بعد فانى رأيت الهالك المؤثر للدنيا) على الآخرة (سروره ممزوج بالتنغيص) أى التكدير (فتنفجر عنه أنواع الهموم) وتنبعث عنه أصناف الغموم (وفنون المعاصى والى التلف والبوار) اى الهلاك (مصيره) أى مرجعه (فرح الهالك برجاء فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فيالها من مصيبة ما أفظعها) أى اشدها قبحا (ورزية ما أجلها) أى أعظمها (الا فراقبوا الله اخوانى ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه من الآنسين) أى المتمسكين (بالحجج الداحضة عند الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج ويزعمون ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال) واسعة واملاك (فيتزين المغرور بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك أيها المفتون ان احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف) رضى الله عنه واضرابه من الصحابة ممن كان له مال قال الزهرى تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف ثم تصدق بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة راحلة فى سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة (مكيدة للشيطان ينطق على لسانك لتهلك لانك متى زعمت ان اخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر) والتفاخر (والشرف والزينة) وامثال ذلك (فقد اغتبت السادة الاخيار) أى ذكرتهم بسوء (ونسبتهم الى أمر عظيم ومتى زعمت ان جمع المال الحلال أعلى) مقاما (وأفضل من تركه فقد ازدريت بمحمد صلى الله عليه وسلم والمرسلين) والصديقين (ونسبتهم الى قلة الرغبة والزهد فى هذا الخير الذى رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم الى الجهل) ونسبت نفسك الى العلم (اذ لم يجمعوا المال كما جمعت) فكأنه لجهلهم فى طريق الجمع (ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح الامة اذ نهاهم عن جمع المال) قال العراقى روى ابن عدى من حديث ابن مسعود ما أوحى الله الى ان أجمع المال وأكون من التاجرين الحديث ولابى نعيم والخطيب فى التاريخ والبيهقى فى الزهد من حديث الحارث بن سويد فى أثناء حديث لا تجمعوا ما لا تأكلون وكلاهما ضعيف اه قلت وروى الحاكم فى تاريخه من حديث أبى ذر ما أوحى الله الى أن أكون تاجرا ولا ان أجمع المال مكاثرا ولكن أوحى الى ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ورواه أبو نعيم فى الحلية عن أبى مسلم الخولانى مرسلا بلفظ ما أوحى الله الى ان أجمع المال وأكون من التاجرين والباقى سواء (وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت) فى زعمك (ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان للامة ناصحا) لم يدخرهم من النصح شيأ (و) كان (عليهم مشفقا وبهم بارا رحيما رؤفا ومتى زعمت ان جمع المال أفضل فقد زعمت ان الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال) ونبههم على عدم الافتتان به (وقد علم ان جمع المال خير لهم

أو زعمت أن الله تعالى لم يعلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كأنك
اعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون تدبر بعقلك ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك
ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف ويود عبد الرحمن بن عوف في القيامة انه لم يؤت من الدنيا الا قوتا ولقد

بلغني انه لما توفي عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أباذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بعظم لحي بعير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعبا فقيل لكعب ان أباذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبوذر يقص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبي ذر فقال له أبوذر هيه يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد وأنا معه فقال يا أباذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا أباذر قلت نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال ما
يسرني أن لي مثل أحد أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يا رسول الله قال بل قيراطان ثم قال يا أباذر أنت
تريد الاكثر وأنا أريد الاقل فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم
يرد عليه خوفا حتى خرج

أو زعمت ان الله لم يعلم ان الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وانت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الفضل والخير من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون تدبر ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه (ويود ابن عوف في القيامة انه لم يؤت في الدنيا الا قوتا) اذ ما من أحد الا وهو يتمنى كذلك كما ورد في الخبر وتقدم (ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه) سنة اثنتين وثلاثين وصلى عليه عثمان وقيل الزبير وقيل ابنه (قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف على عبد الرحمن) أي في الآخرة (فيما ترك) قال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف صولحت امرأة عبد الرحمن من نصيبها ربع الثمن على ثمانين ألفا وقال مجاهد أصاب كل امرأة من نساء عبد الرحمن ربع الثمن ثمانون ألفا (فقال كعب) الاحبار رحمه الله تعالى (سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا) اذ كانت عامة أمواله من التجارة (وأنفق طيبا) اذ تصدق به مرات كما تقدم (وترك طيبا) ميراثا لورثته (فبلغ ذلك) الكلام (أباذر) الغفاري رضي الله عنه (فخرج مغضبا يريد كعبا فمر) في طريقه (بلحي بعير) بكسر اللام وهو عظم الحنك وهو الذي عليه الاسنان (فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان أباذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان رضي الله عنه) وهو يومئذ خليفة (يستغيث به وأخبره الخبر فاقبل أبوذر) رضي الله عنه (يقتص الاثر) أي يتبعه (في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان) رضي الله عنه (فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبي ذر فقال له أبوذر هيه) بكسر فسكون كلمة استزادة (يا ابن اليهودية تزعم ان لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد وأنا معه فقال يا أباذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا أباذر قلت نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال ما يسرني ان لي مثل أحد انفقه في سبيل الله أموت يوم أموت واترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يا رسول الله قال بل قيراطين ثم قال يا أباذر أنت تريد الاكثر وأنا أريد الاقل فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفا حتى خرج) قال العراقي حديث أبي ذر الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة متفق عليه وقد تقدم دون هذه الزيادة التي في أوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف كسب طيبا وترك طيبا وانكار أبي ذر عليه فلم أقف على هذه الزيادة الا في قول الحرث بن أسد المحاسبي بلغني كما ذكر المصنف وقد رواها أحمد وأبو يعلى أخصر من هذا ولفظ كعب ان كان قضى عنه حق الله فلا بأس به فرفع أبوذر عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب ان لو تحول هذا الجبل لي ذهبا الحديث وفيه ابن لهيعة انتهى قلت حديث أبي ذر تقدم الكلام عليه في أول الفصل في هذا الكتاب وهو بيان ذم المال وقد رواها البخاري ومسلم بلفظ هم الاخسرون فقال أبوذر من هم فقال هم الاكثرون مالا الا من قال هكذا وهكذا وفي رواية لهما ان المكثرين هم المقلون يوم القيامة الا من أعطاه الله خيرا فنفح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيرا وفي رواية ان الاكثرين هم المقلون وروى ابن ماجه وابن حبان والضياء من حديث أبي ذر الاكثرون هم الاسفلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا وكسبه من طيب وعند الطيالسي بلفظ المكثرون وروى الخطيب مثله من حديث ابن عباس وروى هناد في الزهد وابن ماجه من حديث أبي هريرة الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة

الامن قال هكذا وهكذا وأما حديث أبي ذر ما أحب ان لو تحول هذا الجبل الخ فرواه البخاري من حديثه بلفظ ما أحب ان أحدا تحول لي ذهبا يمكث عندي منه دينار فوق ثلاث الا دينارا أرصده لدين وعند أحمد والدارمي بلفظ ما أحب ان لي أحدا ذهبا أموت يوم أموت وعندي منه دينار أو نصف دينار الا ان أرصده لغريم وعند أحمد وحده من حديث أبي ذر وعثمان معا ما أحب لو ان لي هذا الجبل ذهبا أنفقه و يتقبل مني أذر خلفي منه شيأ وروى الطيالسي من حديث أبي ذر بلفظ ما يسرني ان لي أحدا ذهبا تأتي علي ثالثة وعندي منه دينار الا دينارا أرصده لغريم وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة ما أحب ان أحدا عندي ذهبا فتأتي علي ثالثة وعندي منه شئ الا شئ أرصده في قضاء دين وقد رواه هناد ومسلم والبيهقي بلفظ ما يسرني وأخبرنا عمر ابن أحمد بن عقيل بن أبي بكر الحسيني في آخرين قالوا أخبرنا عبد الله بن سالم وأحمد بن علي ومحمد قالوا أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا علي بن يحيي أخبرنا يوسف بن عبد الله أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ أخبرنا أبو الفضل أحمد بن علي الحافظ ومستمليه رضوان بن محمد بن يوسف قالا أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد الغزي أخبرنا علي بن اسمعيل المخزومي أخبرنا أبو الفرج الحراني أخبرنا أبو المكارم أحمد بن محمد بن اللبان وأبو الحسن مسعود بن محمد بن أبي منصور قالا حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسين الحداد حدثنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ حدثنا محمد بن أحمد بن محمد حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الكريم حدثنا الحسن بن اسمعيل ابن راشد الرملي حدثنا حمزة بن ربيعة حدثنا ابن شوذب عن مطر بن حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت بن اخي أبي ذر قال دخلت مع عمي على عثمان فقال لعثمان ائذن لي بالربذة فقال نعم ونأمر لك بنعم من نعم الصدقة تغدو عليك وتروح قال لا حاجة لي في ذلك تكفي أبا ذر صرمته ثم قال يا اغدموا دنياكم ودعونا وربنا أودينا وكانوا يقتسمون مال عبد الرحمن بن عوف وكان عنده كعب فقال عثمان بن عفان لكعب ما تقول فيمن جمع هذا المال فكان يتصدق منه و يعطي ابن السبيل و يفعل و يفعل قال اني لارجو له خيرا فغضب أبو ذر و رفع العصا على كعب وقال وما يدريك يا ابن اليهودية ليودن صاحب هذا المال يوم القيامة لو كانت عقارب تلسع السويداء من قلبه (و بلغنا ان عبد الرحمن بن عوف) رضي الله عنه (قدمت عليه عير) أي قافلة (من اليمن فضجت المدينة) أي أهلها (ضجة واحدة فقالت عائشة) رضي الله عنها (ما هذا فقيل عير قدمت لعبد الرحمن ابن عوف قالت صدق الله ورسوله فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا سعيا ولم أر أحدا من الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف رأيته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله وان أرقاءها احرار لعلي ان أدخلها معهم سعيا) قال العراقي رواه أحمد مختصرا في كون عبد الرحمن يدخلها حبوا دون ذكر فقراء المهاجرين والمسلمين وفيه عمارة بن زاذان مختلف فيه انتهى قلت لفظ أحمد من حديث عائشة رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا ورواه أيضا الطبراني في الكبير ومن طريقه أبو نعيم في الحلية قال حدثنا أبو يزيد القراطيسي حدثنا أسد بن موسى حدثنا عمارة بن زاذان عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال بينا عائشة في بيتها اذ سمعت صوتا رجت منه المدينة فقالت ما هذا قالوا عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام وكانت سبعمائة راحلة فقالت عائشة اما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا فبلغ ذلك عبد الرحمن فأتاها فسألها عما بلغه فحدثته فقال فانا أشهدك انها باحمالها واقتابها واحلاسها في سبيل الله وعمارة بن زاذان الصيدلاني أبو سلمة البصري صدوق ضعفه الدارقطني وغيره وقد روى له البخاري في الادب المفرد وأبو داود والترمذي وابن ماجه (و بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف) رضي الله عنه (أما انك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي وما كدت تدخلها الا حبوا) قال العراقي رواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف وللحاكم من حديث عبد الرحمن يا ابن عوف انك من الاغنياء ولن تدخل الجنة الا زحفا الحديث وقال صحيح الاسناد قلت بل ضعيف فيه

و بلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا فقيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله و رسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم أر أحدا من الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن ابن عوف رأيته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله وان أرقاءها أحرار لعلي أن ادخلها معهم سعيا و بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن ابن عوف أما انك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي وما كدت أن تدخلها الا حبوا

خالد بن يزيد بن أبي مالك ضعفه الجمهور انتهى قلت قال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا جعفر بن محمد الفريابي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بن أبي رباح عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن عوف انك من الاغنياء ولن تدخل الجنة الا زحفا فاقرض الله يطلق لك قدميك قال ابن عوف وما الذي أقرض الله قال تتبرأ مما أمسيت فيه قال من كله أجمع يا رسول الله قال نعم قال فخرج ابن عوف وهو يهم بذلك فأتاه جبريل فقال مر ابن عوف فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل فاذا فعل ذلك كانت كفارة لما هو فيه وخالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك أبو هاشم الدمشقي وقد ينسب الى جد أبيه فقيه ضعيف وقد اتهمه ابن معين روى له ابن ماجه وقال الذهبي في الديوان قال النسائي ليس بثقة ووثقه غيره ففي قول العراقي ضعفه الجمهور نظر (ويحك أيها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن) رضي الله عنه (في فضله وتقواه وصنائعه المعروفة وبذله الاموال في سبيل الله) فقد روى أبو نعيم في الحلية عن المسور بن مخرمة قال باع عبد الرحمن بن عوف أرضا له من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار فقسم ذلك المال في بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين وعن عبد الله بن أبي أوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن ابن عوف ما بطأ بك عني فقال ما زلت بعدك احاسب وانما ذلك لكثرة مالي فقال هذه مائة راحلة جاءتني من مصر فهي صدقة على أرامل أهل المدينة وأخرج الطبراني من طريق المبارك عن معمر عن الزهري قال تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف ثم تصدق بأربعين ألفا ثم تصدق بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله وأخرج صاحب الحلية عن جعفر بن برقان قال بلغني ان عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بيت (مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراه بالجنة) وذلك فيما رواه الترمذي والنسائي في الكبرى من حديثه أبو بكر في الجنة الحديث وفيه وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وهو عند الاربعة من حديث سعيد ابن زيد قال البخاري والترمذي وهو أصح (يوقف في عرصات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال) وقد روى عن الزهري ان عامة ماله كان من التجارة (للتعفف ولصنائع المعروف وأنفق منه قصدا) على طريق العدل (واعطى في سبيل الله سمحا) أي فيضا (قد منع من السعي الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبوا) ويزحف زحفا (فما ظنك بأمثالنا الغرقى في فتن الدنيا) وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق نوفل بن اياس الهذلي قال كان عبد الرحمن لنا جليسا وكان نعم الجليس وانه انقلب بنا يوما حتى دخلنا بيته ودخل واغتسل ثم خرج فجلس معنا وأتينا بصحفة فيها خبز ولحم فلما وضعت بكى عبد الرحمن فقلنا له يا أبا محمد ما يبكيك فقال مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ولا أرانا أخرنا لما هو خير لنا وأخرج أحمد في الزهد عن محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده انه أتى بطعام فقال شعبة أحسبه كان صائما فقال عبد الرحمن قتل حمزة فلم نجد ما نكفنه فيه وهو خير مني وقتل مصعب بن عمير وهو خير مني فلم نجد ما نكفنه فيه وقد أصبنا منها ما أصبنا اني لاخشى ان تكون قد عجلت لنا طيباتنا في الدنيا قال شعبة وأظنه قال ولم يأكل (وبعد فالعجب كل العجب لمفتون تمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتتكالب على أوساخ الناس وهو يتقلب في) وفي نسخة وهو يلتفت الى (الشهوات والزينة والمباهاة وهو يتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن بن عوف) رضي الله عنه (وتزعم انك ان جمعت المال فقد جمعه الصحابة) الكرام (كأنك أشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا من قياس ابليس ومن فتياه لاوليائه) وهو قياس فاسد وفتيا باطلة (وسأصف لك أوصافك وأحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال ارادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا وأكلوا طيبا وأنفقوا قصدا وقدموا فضلا) أي ما فضل

* ويحك أيها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراه بالجنة أيضا يوقف في عرصات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وأنفق منه قصدا وأعطى في سبيل الله سمحا منع السعي الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبوا فما ظنك بأمثالنا الغرقى في فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتتكالب على أوساخ الناس وتتقلب في الشهوات والزينة والمباهات وتتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن وتزعم انك ان جمعت المال فقد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا من قياس ابليس ومن فتياه لاوليائه وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا وأكلوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا

ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها ولكنهم جادوا لله بأكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيرا فبالله أكذلك أنت والله انك لبعيد الشبه بالقوم وبعد فان أخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبالله في أرزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا

الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها فبالله أكذلك انت ولقد بلغنا أنهم كانوا اذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله تعالى واذا رأوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا أصبح وعند عياله شئ أصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن عندهم شئ أصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شئ حزنوا واذا كان عندهم شئ فرحوا وأنت لست كذلك قال اني اذا أصبحت وليس عند عيالي شئ فرحت اذ كان لي برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة واذا كان عند عيالي شئ اغتممت اذ لم يكن لي بآل محمد اسوة وبلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكأنهم على جناح خوف واذا سلك بها سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه أحوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا فبالله أكذلك أنت انك لبعيد الشبه بالقوم وسأصف لك أحوالك أيها المفتون ضد احوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذي النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وأنت تأنف من فخرهم وأنت تدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم فربت عليه أجسامهم

عن حاجتهم قدموه للآخرة بالتصدق (ولم يمنعوا منها حقا) لله تعالى (ولم يبخلوا بها ولكنهم جادوا لله تعالى بأكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيرا فبالله أكذلك أنت والله انك لبعيد الشبه بالقوم) لا وجه للشبه بينك وبينهم فيما صنعوا (وبعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبالله في أرزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم) فوضعوه في مواضعه (ورضوا بالبلغة منها) أي بالقدر الذي يبلغهم الى الآخرة (وزجوا الدنيا) أي ساقوها وأبعدوها عنهم (وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها فبالله أكذلك أنت) لا تقدر تقول نعم (ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله واذا رأوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين) وقد روي ذلك من حديث أبي الدرداء قال الله لموسى عليه السلام فذكره وروي أيضا عن كعب الاحبار وقد تقدم في ذم الدنيا وسيأتي أيضا في كتاب الزهد والفقر (وبلغنا ان بعضهم كان اذا أصبح وعند عياله شئ) من الدنيا (أصبح كئيبا حزينا) مغموما (واذا) أصبح و (لم يكن عندهم شئ أصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شئ حزنوا واذا كان عندهم شئ فرحوا وأنت لست كذلك فقال اني اذا أصبحت وليس عند عيالي شئ فرحت اذ كان لي بمحمد صلى الله عليه وسلم اسوة) فانه كثيرا ما يصبح وليس عند عياله شئ (فاذا كان عند عيالي شئ اغتممت اذ لم يكن لي بآل محمد صلى الله عليه وسلم اسوة وبلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا) على أنفسهم (وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد منها فكأنهم على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا) أي نظر الينا بالرضا رواه صاحب القوت عن الحسن قال كانوا بالبلاء والشدة أشد فرحا منكم بالرخاء والخصب لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا شراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب (فهذه أحوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا فبالله أكذلك أنت) وفيك هذه الاوصاف (انك لبعيد الشبه بالقوم وسأصف لك أحوالك أيها المفتون ضد أحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى) أي تتجاوز عن الحدود (وتبطر في الرخاء) أي تكفر بالنعمة ولا تشكرها (وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذي النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر) اذا أقبل اليك (وتأنف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وأنت تأنف من فخرهم) فقد ورد الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس رواه الطبراني من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف والمعروف انه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وكذلك رواه ابن عدي في الكامل وسيأتي للمصنف في كتاب الزهد والفقر فاما ما اشتهر على الالسنة الفقر فخري وبه أفتخر فقد قال الحافظ ابن حجر انه موضوع لا أصل له (وتدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهوتها ولذاتها ولقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم) رواه البزار من حديث أبي هريرة

وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليجيء يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وأنت فى غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيالها حسرة ومصيبة نعم وعسالك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة فى الدنيا وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر أو للتفاخر لقى الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين أردت التكاثر والعلو نعم وعسالك المكث فى الدنيا أحب اليك من النقلة الى جوار الله فانت تكره لقاء الله والله للقائك أكره وأنت فى غفلة وعسالك تأسف على مافاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة شهر وقيل سنة أنت تأسف على مافاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب الدنيا وسر بها اذهب خوف الآخرة من قلبه وبلغنا أن بعض أهل العلم قال انك تحاسب على التحزن على مافاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك فى الدنيا اذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعسالك تعنى بامور دنياك أضعاف ماتعنى بامور آخرتك وعسالك ترى مصيبتك فى معاصيك أهون من مصيبتك فى انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب وعسالك تبذل للناس ماجمعت من الاوساخ كلها للعلو والرفعة فى الدنيا وعسالك ترضى المخلوقين مساخط الله تعالى كيما تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله تعالى لك فى القيامة أهون عليك من احتقار الناس اياك وعسالك تخفى من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها وكان الفضيحة عندك أهون عليك من الفضيحة عند الناس فكأن العبيد أعلى عندك قدرا من الله تعالى الله عن جهلك فكيف تنطق عند ذوى الالباب وهذه المثالب فيك أف لك متلوث بالاقذار وتحتج بمال الابرار هيهات هيهات

هريرة بسند ضعيف بلفظ ان من شرار أمتى وقد تقدم فى فصل ذم المال من أول هذا الكتاب (وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليجيء يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) روى جرير بن حازم عن الحسن قال قال عمر بن الخطاب والله انى لو شئت لكنت من ألينكم طعاما وأرفقكم عيشا ولكن سمعت الله تعالى يقول عن قوم أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا الآية وروى ابن قانع عن سالم مولى ابى حذيفة قال يؤتى باقوام يوم القيامة معهم حسنات كالجبال حتى اذا دنوا وأشرفوا على الجنة فردوا ان لا نصيب لكم فيها (وأنت فى غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيالها حسرة ومصيبة نعم وعسالك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة فى الدنيا وقد بلغنا انه من طلب الدنيا ليكاثر أو ليفاخر بها لقى الله وهو عليه غضبان) وهو قطعة من حديث أبى هريرة أوله من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسئلة وسعيا على أهله وتعطفا على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ومن طلبها حلالا مكاثرا بها مفاخرا لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان رواه أبو الشيخ فى الثواب وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب وقد تقدم فى كتاب الكسب وآداب المعيشة (وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب الله حين أردت التكاثر والعلو نعم وعسالك المكث فى الدنيا أحب اليك من النقلة الى جوار الله تعالى وأنت تكره لقاء الله تعالى والله للقائك أكره) ففى الخبر من احب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت ومن حديث عائشة ومن حديث أبى موسى (وأنت فى غفلة وعسالك تأسف على مافاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسافة سنة) قال العراقى رويناه فى كتاب القربة لابى حفص العتكى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال مسيرة ألف سنة واسناده ضعيف ورويناه فى الجزء الثانى عشر من فوائد الخلعى من هذا الوجه اهـ قلت وهو فى مشيخة أبى عبد الله الرازى هكذا بزيادة ومن أسف على آخرة فاتته اقترب من الجنة مسافة ألف سنة (وأنت تأسف على مافاتك من الدنيا) (غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك أحيانا لتوفير دنياك) أى لتكثيرها (وتفرح باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه) قال العراقى لم أجده الا بلاغا للحرث بن اسد كما ذكره المصنف عنه (وبلغنا ان بعض أهل العلم قال انك محاسب على التحزن على مافاتك من الدنيا ومحاسب بفرحك فى الدنيا اذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعسالك تعنى بامور الدنيا اضعاف ماتعنى بامور آخرتك وعسالك ترى أن مصيبتك فى معاصيك أهون من مصيبتك فى انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب وعسالك تبذل للناس ماجمعت من الاوساخ كلها للعلو والرفعة فى الدنيا وعسالك ترضى المخلوقين بمساخط الله تعالى كيما تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله لك فى القيامة أهون عليك من احتقار الناس اياك وعسالك تخفى من المخلوقين مساويك) وعيوبك (ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكان الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة فى الناس وكان العبيد أعلى عندك قدرا من الله تعالى الله عن جهلك فكيف تنطق عند ذوى الالباب وهذه المثالب) أى المقابح والمعائب موجودة (فيك أف لك متلوثا بالاقذار تحتج بمال الابرار هيهات هيهات

ما أبعدك عن السلف الأخيار والله لقد بلغني انهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم ان الذى لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم وكانوا الزلة الصغيرة أشد استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم ان لا تقبل ليت صومك على مثال افطارهم وليت اجتهادك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوى عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق أمثالكم في السفالة أو يعفو الله الكريم بفضله وبعد فانك ان زعمت انك متأس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر أمرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم أو تحسب انك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني أن بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام أفتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام أيها المغرور أما علمت أن خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تتصدق بألف دينار من شبهة لا تدرى أيحل لك أم لا فان زعمت أنك أتقى وأورع من أن تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا المسألة وبلغنا أن بعض الصحابة قال ما سرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله قال لأني غني عن مقام يوم القيامة فيقول عبدي من أين اكتسبت وفي أي شئ أنفقت ٧ هنا بياض بالاصل

ما أبعدك عن السلف الأخيار والله لقد بلغني انهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم) رواه صاحب القوت عن الحسن قال رأيت سبعين بدريا كانوا والله فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم (ان الذى لا بأس به عندكم كان كالموبقات) أي الكبائر المهلكات (عندهم وكانوا الزلة الصغيرة أشد استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم وليتك أشفقت من سيآتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل ليت صومك على مثال افطارهم وليت اجتهادك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوى عنهم منها) أي أخر وأبعد (فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله تعالى وفريق أمثالكم في السفالة أو يعفو الله الكريم بفضله وبعد فان زعمت انك متأس) أي مقتد (بالصحابة بجمع الاموال للتعفف والبذل في سبيل الله تعالى فتدبر أمرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم أو تحسب انك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام) تقدم في كتاب الحلال والحرام روى صاحب الحلية من طريق عباس بن خليد عن أبي الدرداء ٧ أن يترك العبد بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما (أفتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان) واستدراج (ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام) متفق عليه من حديث عبد الرحمن بن بشير نحوه وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام أول الحديث (أيها المغرور أما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تتصدق بألف دينار من شبهة لا تدرى أيحل لك أم لا) تقدم في كتاب الحلال والحرام (فان زعمت انك أتقى وأورع من أن تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الناس خافوا المساءلة) بين يدي الله تعالى (بلغنا ان بعض الصحابة قال ما يسرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وانفقه في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذلك رحمك الله قال لأني غني عن مقام يوم القيامة فيقول عبدي من أين كسبت وفي أي شئ أنفقت) روى نحوه من قول أبي الدرداء رضي الله عنه قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا أحمد بن ابراهيم بن عبد الله حدثنا عمر بن زرارة حدثنا المحاربي عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة قال قال أبو الدرداء بعث النبي صلى الله عليه وسلم وأنا تاجر فاردت أن تجتمع لي التجارة والعبادة فلم تجتمعا فرفضت التجارة وأقبلت على العبادة والذى نفس أبي الدرداء بيده

فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الاسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لا يقوم خير المال بشره وانت بغاية الامن والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال ويحك أين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك أما تخاف أن يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه أفتطمع ان يكون قلبك أتقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شئ من الحق في أمرك وأحوالك لئن ظننت ذلك لقد أحسنت الظن

بنفسك الامارة بالسوء ويحك انى لك ناصح ارى لك ان تقنع بالبلغة ولا تجمع المال باعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش الحساب عذب وقال عليه السلام يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وأنفقه في حلال فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وأنفقه في حلال فيقال له قف لعلك قصرت في طلب هذا بشئ مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في شئ من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يارب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيأ مما فرضت على فيقال لعلك اختلت في هذا المال في شئ من مركب أوثوب باهيت به فيقول لا يارب لم أختل ولم أباه في شئ فيقال لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يارب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيأ مما فرضت على ولم أختل ولم أباه ولم أضيع حق أحد أمرتنى ان أعطيه قال فيجىء أولئك فيخاصمونه فيقولون يارب أعطيته وأغنيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته ان يعطينا فان كان أعطاهم وما ضيع مع ذلك شيأ من الفرائض ولم يختل في شئ فيقال قف الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من أكلة أوشربة أولذة فلا يزال يسئل ويحك فمن ذا الذى يتعرض لهذه المسألة التى كانت لهذا الرجل الذى تقلب في الحلال وقام

ما أحب ان لى اليوم حانوتا على باب المسجد لا تخطئنى فيه صلاة أربح فيه كل يوم أربعين دينارا أوأتصدق بها كلها في سبيل الله قيل له يا أبا الدرداء وما تكره من ذلك قال شدة الحساب ورواه محمد بن الجنيد التمار عن المحاربى فقال عن عمرو بن مرة عن أبيه ورواه خيثمة عن أبى الدرداء نحوه وروى أحمد في كتاب الزهد ومن طريقه أبو نعيم قال حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد الله بن بحيى حدثنا أبو عبد ربه قال قال أبو الدرداء ما يسرنى أن أقوم على الدرج من باب المسجد فابيع وأشترى فاصيب كل يوم ثلثمائة دينار اشهد الصلاة كلها في المسجد أما انى لا أقول ان الله عز وجل لم يحل البيع ويحرم الربا ولكن أحب أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ومن طريق محمد بن واسع ان أبا الدرداء كتب الى سلمان ويا أخى من لى ولك بان نوافى يوم القيامة ولا نخاف حسابا (فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الاسلام) أى في أوّله ونشاطه (والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة أن لا يقوم خير المال بشره وانت نفالة الامة) أى رذالتها (والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ) وهى أعراض الدنيا (ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال ويحك وأين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك أما تخاف أن يتغير عند الغنى قلبك) عما كان عليه من الاقبال على المعرفة (وقد بلغنا ان بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة أن يفسد قلبه) رواه صاحب القوت عن الحسن قال كان أحدهم يعرض له المال الحلال فيقول لا حاجة لى به أخاف أن يفسد على قلبى (أفتطمع أن يكون قلبك أتقى من قلوب الصحابة فلا تزول عن شئ من الحق في أمرك وأحوالك) هذا لا يكون و(لئن ظننت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء) وتبرأتها (ويحك انى لك ناصح أرى لك ان تقتنع بالبلغة) من العيش (ولا تجمع المال لاعمال البر) فتركه له آثر (ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من نوقش الحساب عذب) متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل) آخر (قد جمع مالا من حلال وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار فيؤتى برجل) آخر (قد جمع مالا من حلال وأنفقه في حلال فيقال له قف لعلك قصرت في طلب هذا بشئ مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في شئ من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يارب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيأ مما فرضت على فيقال لعلك اختلت في هذا المال) من الاختيال وهو التكبر (في شئ من مركب أوثوب باهيت به فيقول لا يارب لم أختل ولم اباه في شئ فيقال لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يارب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيأ مما فرضت على ولم أختل ولم أباه ولم أضيع حق أحد أمرتنى أن أعطيه قال فيجىء أولئك فيخاصمونه فيقولون يارب أعطيته وأغنيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيأ من الفرائض ولم يختل في شئ فيقال قف الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من أكلة أوشربة أولقمة أولذة فلا يزال يسئل) قال العراقى الحديث بطوله لم أقف له على أصل (ويحك فمن ذا الذى يتعرض لهذه المساءلة التى كانت لهذا الرجل الذى تقلب في الحلال وقام

بالحقوق كلها وأدى الفرائض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثالنا الغرقى فى فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المسائل يخاف المتقون أن يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الاخيار اسوة فان أبيت ذلك وزعمت انك بالغ فى الورع والتقوى ولم تجمع المال الامن حلال بزعمك للتعفف والبذل فى سبيل الله ولم تنفق شيأ من الحلال الابحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله فى شئ من سرائرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك واست كذلك فقد ينبغى لك أن ترضى بالبلغة وتعتزل ذوى الاموال اذا وقفوا للسؤال وتستبق مع الرعيل الاول فى زمرة المصطفى لاحبس عليك للمسألة والحساب فاماسلامة واما عطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال عليه السلام يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيأكلون ويتمتعون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتى أنتم حكام الناس وملوكهم فارونى ماذا صنعتم فيما أعطيتكم وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ماسرنى ان لى حمر النعم ولاأكون فى الرعيل الاول مع محمد عليه السلام وحزبه ياقوم فاستبقوا السباق مع المخفين فى زمرة المرسلين عليهم السلام وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل المتقين لقد بلغنى أن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضى الله عنه عطش فاستسقى

بالحقوق كلها وادّى الفرائض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال امثالنا الغرقى فى فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المساءلة يخاف المتقون أن يتلبسوا بالدنيا) ويطمئنوا اليها (فرضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الاخيار اسوة فان أبيت ذلك وزعمت انك بالغ فى الورع والتقوى ولم تجمع المال الامن حلال بزعمك للتعفف والبذل فى سبيل الله ولم تنفق شيأ من الحلال الابحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله) ويرضاه (ولم تسخط الله فى شئ من سرائرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغى لك أن ترضى بالبلغة) من العيش (وتعتزل ذوى الاموال اذا وقفوا للسؤال وتستبق مع الرعيل الاول) والرعيل طائفة من الجيش (فى زمرة المصطفى) صلى الله عليه وسلم (لاحبس عليك) ولاوقوف (للمساءلة [illegible] عطب) أى هلاك (فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين) أى فقراؤهم (قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام) قال العراقى رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد بلفظ فقراء مكان صعاليك ولهما وللنسائى فى الكبرى من حديث أبى هريرة يدخل الفقراء الجنة الحديث ولمسلم من حديث عبدالله بن عمرو ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء الى الجنة باربعين خريفا انتهى قلت حديث أبى هريرة لفظه يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام هكذا رواه أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه وهو فى الحلية بلفظ بيوم كان مقداره ألف عام وقال المؤمنين بدل المسلمين وفى رواية له يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وروى الحكيم من حديث سعيد بن عامر ابن جذيم يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة سنة حتى ان الرجل من الاغنياء ليدخل فى غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج ورواه الطبرانى فى الكبير بلفظ ان فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل الناس بسبعين عاما وروى الديلمى من حديث أبى برزة ان فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بمقدار أربعين عاما حتى يتمنى أغنياء المسلمين يوم القيامة انهم كانوا فقراء فى الدنيا وان أغنياء الكفار ليدخلون النار قبل فقرائهم بمقدار أربعين عاما حتى يتمنى أغنياء الكفار انهم كانوا فى الدنيا فقراء وفى سنده نفيع بن الحرث وهو متروك وفى الباب عن جابر وابن عمر وأبى الدرداء ولفظهم جميعا يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بأربعين خريفا فحديث جابر عند أحمد وعبد بن حميد والترمذى وحديث ابن عمر وأبى الدرداء عند الطبرانى فى الكبير وروى أحمد عن رجال من الصحابة بلفظ يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم باربعمائة عام الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيتمتعون ويأكلون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتى أنتم حكام الناس وملوكهم فارونى ماذا صنعتم فيما أعطيتكم) قال العراقى لم أرله أصلا قلت روى ابو سعيد النقاش فى كتاب القضاة من طريق عبدة بن عبد الرحيم المروزى عن بقية حدثنا سلمة بن كلثوم عن أنس رفعه يؤتى بالحكام يوم القيامة فمن قضى وتعدى فيقول أنتم خزان أرضى ورعاء عبيدى وفيكم بغيتى فساق الحديث وفيه فيقول انطلقوا بهم فسدوا بهم ركنا من أركان جهنم وعبدة قال أبو داود لاأحدث عنه وسلمة شامى ثقة وبقية روايته عن الشاميين مقبولة وقد صرح فى هذا الحديث بالتحديث (وبلغنا ان بعض أهل العلم قال مايسرنى ان لى حمر النعم ولاأكون فى الرعيل الاول مع محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه) رواه صاحب القوت عن سعيد بن عامر بن جذيم رضى الله عنه نحوه (ياقوم فاستبقوا السباق مع المخفين فى زمرة المرسلين وكونوا وجلين) أى خائفين (من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وجل المتقون لقد بلغنى ان بعض الصحابة عطش فاستسقى) أى طلب

فاتى بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وأبكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد فى البكاء فلما أكثر البكاء قيل له أكل هذا من أجل هذه الشربة قال نعم بينا أنا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه أحد فى البيت غيرى فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول اليك عنى فقلت له فداك أبى وأمى ما أرى بين يديك أحدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت الى بعنقها ورأسها فقالت لى يا محمد خذنى فقلت اليك عنى فقالت ان تنج منى يا محمد فانه لا ينجو منى من بعدك فأخاف أن تكون هذه قد لحقتنى تقطعنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا قوم فهؤلاء الاخيار بكوا وجلا أن تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من حلال وبحك أنت فى أنواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع أف لك ما أعظم جهلك وبحك فان تخلفت فى القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد المصطفى لتنظرن الى أهوال جزعت منها الملائكة والانبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن أردت الكثرة لتصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت باحوال المتخلفين لتقطعن عن أصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحتبسين فى أهوال يوم الدين عليك فتدبر ويحك ما سمعت وبعد فان زعمت انك فى مثال خيار السلف قنع بالقليل زاهد فى الحلال بذول لمالك مؤثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيأ لغدك مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر والبلا فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوى فى أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك فى الله وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توقف فى المسألة ولن يحاسب مثلك من المتقين وانما تجمع المال الحلال للبذل فى سبيل الله ويحك أيها المغرور فتدبر الامر وأمعن النظر أما علمت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكار والفكر والاعتبار أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمسألة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أضعافا بلغنا عن بعض الصحابة انه قال لو أن رجلا فى حجره دنانير

(فأتى بشربة من ماء وعسل) أى ماء ممزوج بالعسل (فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وأبكى) الحاضرين (ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد فى البكاء فما زال يبكى حتى مسح الدموع عن وجهه وذهب فتكلم فعاد فى البكاء فلما أكثر البكاء قالوا كل هذا من أجل هذه الشربة قال نعم بينا أنا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه أحد فى البيت غيرى فجعل يدفع عن نفسه ويقول اليك عنى فقلت له فداك أبى وأمى ما أرى بين يديك [illegible] هذه الدنيا تطاولت الى بعنقها ورأسها فقالت لى يا محمد خذنى فقلت اليك عنى فقالت ان تنج منى يا محمد فانه لا ينجو منى من بعدك فأخاف ان تكون هذه قد لحقتنى تقطعنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال العراقى رواه البزار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال كنا عند أبى بكر فدعا بشراب فاتى بماء وعسل الحديث قال الحاكم صحيح الاسناد قلت بل ضعيف وقد تقدم قبل هذا الكتاب انتهى قلت وكأنه يشير الى أن فى سنده عبد الواحد بن زيد حدثنا أسلم عن مرة الطبيب عن زيد ابن أرقم وعبد الواحد بن زيد قال البخارى والنسائى متروك وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من هذا الوجه وقد تقدم سياقه وقد روى نحو ذلك عن عمر رضى الله عنه رواه جعفر بن سليمان عن حوشب عن الحسن قال أتى عمر بشربة عسل فذاقها فاذا ماء وعسل فقال اعزلوا عنى حسابها اعزلوا عنى مؤنتها وقد تقدم أيضا وروى عن عمر أيضا انه قال لولا مخافة طول الحساب لامرت بحمل يشوى لنا فى التنور (يا قوم فهؤلاء الاخيار بكوا وجلا ان تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من حلال وبحك انت فى أنواع النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع اف لك ما أعظم جهلك وبحك فان تخلفت فى القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد المصطفى لتنظرن الى أهوال) أى شدائد (جزعت منها الملائكة والانبياء) عليهم السلام مع جلالة قدرهم (ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن أردت الكثرة) من اعراض الدنيا (لتصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل) من الدنيا (لتصيرن الى وقوف طويل) بين يدى رب جليل (وصراخ وعويل ولئن رضيت باحوال المتخلفين لتنقطعن عن أصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين) فى دار النعيم (ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحتبسين فى أهوال يوم الدين تدبر ويحك ما سمعت) واجعله فى تامور قلبك لترشد (وبعد فان زعمت انك فى مثال خيار السلف قنع بالقليل زاهد فى الحلال بذول لمالك) أى كثير البذل له (مؤثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيأ لغدك مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر وبالبلاء فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوى فى أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك فى الله واحكمت امورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توقف فى المساءلة ولا يحاسب مثلك من المتقين وانما تجمع المال الحلال للبذل فى سبيل الله ويحك أيها المغرور فتدبر الامر واحسن النظر اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والفكر والاعتبار اسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمساءلة وآمن من روعات القيامة واجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله اضعافا بلغنا عن بعض الصحابة انه قال لو أن رجلا فى حجره دنانير

يعطيها والآخر يذكر الله لكان الذاكر أفضل * وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لاعمال البر قال تركه أبر به وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه وأما الآخر فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فأيهما أفضل قال بعيد والله ما بينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الارض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك فى العاجل ان تركت الاشتغال بالمال ان ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأنعم لعيشك وأرضى لبالك وأقل لهمومك فما عذرك فى جمع المال وأنت بترك المال أفضل ممن طلب المال لاعمال البر نعم وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المال فى سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل فى الآجل وبعد فلو كان فى جمع المال فضل عظيم لوجب عليك فى مكارم الاخلاق ان تتأسى بنبيك اذ هداك الله به وترضى ما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز فى مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى سابقا الى جنة المأوى فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سادات المؤمنين فى الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولم يقدر على ان يكتسب ما يغنيه يمسى مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ألا يا أخى متى جمعت هذا المال بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت أنك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظم والتكرمة تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع المال فاعاذنا ويحك راقب الله واستحى من دعواك أيها المغرور ويحك ان كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا أن الفضل والخير فى الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا باساءتك وجلا من الحساب فذلك أنجى لك وأقرب الى الفضل من طلب الحجج لجمع المال * اخوانى اعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أورع الناس وأزهدهم فى المباح لهم ونحن فى دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة فاما جمع المال فى دهرنا

يعطيها) للمحتاجين (والآخر يذكر الله لكان الذاكر) لله (أفضل) وهذا قد روى مرفوعا من حديث أبى موسى الاشعرى بلفظ لو ان رجلا فى حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله كان الذاكر أفضل رواه ابن شاهين فى الترغيب فى الذكر وفيه جابر أبو الوازع روى له مسلم وقال النسائى منكر الحديث (وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لاعمال البر قال تركه أبر به) رواه صاحب القوت عن الحسن (وبلغنا ان بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه وأما الآخر فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فأيهما أفضل قال بعيد والله ما بينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الارض ومغاربها) رواه صاحب القوت عن الحسن (ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك فى العاجل ان تركت الاشتغال بالمال ان ذلك اروح لبدنك) أى أكثر راحة له (وأقل لتعبك وأنعم لعيشك وأرضى لبالك) أى لسرك (واقل لهمومك فما عذرك فى جمع المال وانت بترك المال أفضل ممن طلب المال لاعمال البر نعم وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المال فى سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل) أى الدنيا (مع السلامة والفضل فى الآجل) أى الآخرة (وبعد فلو كان فى جمع المال فضل عظيم لوجب عليك فى مكارم الاخلاق أن تتأسى) أى تقتدى (بنبيك) صلى الله عليه وسلم (اذ هداك الله به) من الضلالة (وترضى بما اختار) هو (لنفسه من مجانبة الدنيا) واعراضها والقناعة منها بالكفاف والبلغة (ويحك تدبر ما سمعت) ترشد (وكن على يقين ان السعادة والفوز فى مجانبة الدنيا) والاعراض عنها (فسر مع لواء المصطفى) صلى الله عليه وسلم (سابقا الى جنة المأوى فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سادات المؤمنين فى الجنة) أى رؤساؤهم فيها (من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولا يقدر على ان يكتسب ما يغنيه يمسى مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) قال العراقى عزاه صاحب مسند الفردوس للطبرانى من رواية أبى حازم عن أبى هريرة مختصرا بلفظ سادة الفقراء فى الجنة الحديث ولم أره فى معاجيم الطبرانى اه قلت ولعله فى مكارم الاخلاق له (الا يا أخى فى جمعت هذا المال من بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظيم والتكرمة تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله واستح من دعواك أيها المغرور ويحك ان كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا) فى نفسك (ان الخير والفضل فى الرضا بالبلغة) من العيش (ومجانبة الفضول) وتقديمها بين يديك (نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا باساءتك وجلا من الحساب فذلك أنجى لك وأقرب الى الفضل من طلب الحجج) والادلة (لجمع المال اخوانى اعلموا ان دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أورع الناس وأزهدهم فى المباح لهم) كما هو معروف لمن سبر سيرتهم (ونحن فى دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال بمبلغ القوت وستر العورة) وكن يوارى (فاما جمع المال فى دهرنا

فأعاذنا الله وإياكم منه و بعد فإن لنا مثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم ذهبنا ورب السماء بأدواء النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورود فياسعادة المخفين يوم النشور وحزن طول بل لأهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين ۞ هذا آخر كلامه وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد له أيضا ما روي عن أبي أمامة الباهلي أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة أما لك في أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولأفعلن ولأفعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة وأخبر بأمره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأنزل الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه

(فأعاذنا الله وإياكم من ذلك و بعد فإن لنا مثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم ذهبنا ورب السماء) جل وعز (بأدواء النفوس) وأمراضها (وأهوائها وعن قريب يكون الورود فياسعادة المخفين) في حملهم (يوم النشور وحزن طول بل لأهل التكاثر والتخاليط في الأموال (وقد نصحت لكم إن قبلتم) نصحي (والقابلون لهذا قليل لأن الدنيا استهوتهم وأسرتهم) فلا يكادون يقبلون (وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته هذا آخر كلامه) أي كلام الحرث بن أسد المحاسبي رحمه الله تعالى (وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد لذلك) أيضا (جميع الأخبار) الواردة (التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا) وقد سبق (وفي كتاب الفقر والزهد) كما سيأتي (ويشهد له أيضا ما روي عن أبي أمامة) صدي بن عجلان (الباهلي) رضي الله عنه (أن ثعلبة بن حاطب) وهما رجلان من الصحابة أحدهما ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري ذكره موسى بن عقبة وابن إسحق في البدريين وكذا ذكره ابن الكلبي وزاد أنه قتل بأحد والثاني ثعلبة بن حاطب أو ابن أبي حاطب الأنصاري ذكره ابن إسحق فيمن بنى مسجد الضرار (قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال) ثم أتاه فقال (يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال يا ثعلبة أما لك بي أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولأفعلن ولأفعلن) يعني من صنائع المعروف والبر من التصدق وغيره (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت) أي زادت وبورك في نسلها (كما ينمو الدود) إشارة إلى الكثرة فإن الدود يتوالد كثيرا (فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها) بغنمه (فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة) مع النبي صلى الله عليه وسلم (ويدع ما سواهما) لبعد الموضع (ثم نمت وكثرت فتنحى) إلى واد آخر أبعد من الأول (حتى ترك الصلوات في الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو) وتكثر (كما ينمو الدود) بكثرة دعوته صلى الله عليه وسلم فاشتغل بها (حتى ترك الجمعة) أي حضورها في مسجد الجماعة لبعد المسافة أو الاشتغال (وطفق يلقى الركبان) المارين عليه (يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة) فخرج إلى الأودية (وأخبر بأمره كله) وفي رواية فأخبروه بخبره (فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة) ثلاث مرات (قال) الراوي (وأنزل الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على) قبض (الصدقة) من أرباب المواشي (وكتب لهما كتابا) بين فيه أسنان الإبل والغنم (وأمرهما أن يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين وقال لهما مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي رواية قال أروني كتابكما فنظر فيه (فقال ما هذه

الاخرية ماهذه الاخرية ماهذه الاأخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الى فانطلقا نحو السلمى فسمع بهما فقام الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا لايجب عليك ذلك وما نريد نأخذ هذا منك قال بلى خذوها نفسى بها طيبة

وانما هى لتأخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاها الصدقة فقال أرونى كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيى فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال ياويح ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا للسلمى فاخبراه بالذى صنع ثعلبة و بالذى صنع السلمى فانزل الله تعالى فى ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لاأم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال ان الله منعنى ان أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك أمرتك فلم تطعنى فلما أبى أن يقبل منه

شيأ رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فابى أن يقبلها منه وجاء بها الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فابى أن يقبلها منه وتوفى ثعلبة بعد فى خلافة عثمان فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث

الاخرية ماهذه الاخرية ماهذه الاأخت الجزية) وفى رواية أخية الجزية (انطلقا حتى تفرغا) من شأنكما (ثم تعودا الى فانطلقا نحو السلمى) وهو الرجل الذى من بنى سليم (فسمع بهما فقام الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا لايجب عليك هذا) فانه من خيار الاسنان (وما نريد ان نأخذ هذا منك) وانما نأخذ من وسط الاسنان (قال بلى خذوها نفسى بها طيبة) منشرحة (وانما هى لتأخذوها) وفى نسخة وانما هى لناخذوها (فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال أرونى كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى ارى رأيى فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال ياويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسلمى) بالبركة (فاخبراه بالذى صنع ثعلبة و بالذى صنع السلمى فانزل الله فى ثعلبة) هذه الآيات (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولو وهم معرضون فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه و بما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لاأم لك يا ثعلبة) هلكت رقد أنزل الله فيك كذا وكذا) وتلا عليه (فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل صدقته فقال ان الله منعنى ان أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه) و يبكى (فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك) قد (أمرتك فلم تطعنى فلما أبى ان يقبل منه شيأ رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها الى أبى بكر الصديق) فقال يا أبا بكر قد عرفت منزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد سخط على فاقبل أنت صدقتى (فابى ان يقبلها منه) حتى قبض (وجاء بها الى عمر بن الخطاب) فقال يا أمير المؤمنين اقبل أنت صدقتى (فابى ان يقبلها) منه وقال لم يقبلها منك رسول الله ولا أبو بكر فكيف أقبلها أنا فقبض عمر وتولى عثمان (وتوفى ثعلبة بعد خلافة عمر) فى أيام عثمان (فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث) ولفظ القوت وان فى قصة ثعلبة بن حاطب عبرة لاولى الالباب الذين كشف عن قلوبهم الحجاب فقير من فقراء الصفة الصالحين الانصار ومن المهاجرين أخرجه حب الدنيا الى النفاق وأدخله فى العناد والشقاق وغضب الله ورسوله عليه فلم يقبل توبته ولا رحم عبرته ولا اقال عثرته وكان سبب ذلك حب الدنيا وايثار الغنى على الفقر نذكره ليعتبر معتبر و يزدجر مزدجر رواه على بن يزيد عن القاسم عن أبى امامة ان ثعلبة بن حاطب فذكر نحو سياق المصنف وقال فى آخره فقد وتر ثعلبة المسكين بغناه فاهلك بطغواه واستدرج بماله فسقط به عن مقامه وساله بماله فحمله البخل وايثار الكثرة والجمع على منع الصدقة وظلم أهلها وترك اخراج حق الله تعالى منها فعجز عن الفرض بعد ان كان ادعى القوة والنهوض بالفضل وما كان ينقص من المال لو أخرج من كل مائة شاة شاة وهو عشر العشر اذا كثرت غنمه وان يخرج من خمسين ناقة حقة من الابل ومن أربعين بنت لبون وذلك خمس العشر اذا كثرت ابله ور بع العشر وكان فيه رضا ربه وطهرة نفسه وزكاة ماله ولا يتبين نقصه من مزيد ماله ولكن حضر شح نفسه وغاب يقين آخرته فاطاع الحاضر لفقد الغائب وكان أمله قلة العناية وعدم الوقاية فلم يوجد الفلاح وفقد الصلاح ووجد البخل وظهر الخلف و بان الكذب وعزب الصدق ينتظم ماذكرنا قوله تعالى وأحضرت الانفس الشح وقوله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقوله لنصدقن ولنكونن من الصالحين مع قوله بخلوا به الى قوله بما أخلفوا الله ماوعدوه و بما كانوا يكذبون فاعقبه ذلك النفاق الى يوم التلاق وجعل بابه حب الدنيا ومفتاح الطلب لها والحرص عليها فحقت عليه الثلاث المهلكات فاعتبروا يا أولى الالباب الى هنا كلام صاحب القوت ولنرجع الى تخريج هذه القصة قال العراقى الحديث بطوله رواه الطبرانى بسند ضعيف انتهى قلت رواه أيضا البغوى والباوردى

ولاجل بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضى الله عنه أنه قال كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بابى أنت وأمى يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقفت بباب منزل فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معى قالت ومن معك يا رسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذى بعثك بالحق نبيا ماعلى الاعباءة فقال اصنعى بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى قد واريته فكيف برأسى فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على مابى انى لست أقدر على طعام آكله فقد أجهدنى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى يا بنتاه فوالله ماذقت طعاما منذ ثلاث وانى لاكرم على الله منك ولو سألت ربى لاطعمنى ولكنى آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشرى فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فاين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك انكن فى بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الآخرة فانظر الآن الى حال فاطمة رضى الله عنها وهى بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت الفقر وتركت المال ومن راقب أحوال الانبياء والاولياء وأقوالهم وماورد من أخبارهم وآثارهم لم يشك فى ان فقد المال أفضل من وجوده وان صرف الى الخيرات

والباوردى وابن شاهين وابن السكن وابن قانع كلهم فى الصحابة والديلمى وغيرهم كلهم فى ترجمة ثعلبة بن حاطب بن عمرو الاوسى البدرى من طريق معاذ بن رفاعة عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى امامة ان ثعلبة ابن حاطب وساقوا القصة نحو سياق المصنف قال الحافظ فى الاصابة وفى كون صاحب القصة ان صح الخبر ولا أظنه يصح هو البدرى المذكور نظر وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبى ان البدرى استشهد باحد ويقوى ذلك أيضا أن ابن مردويه روى فى تفسيره من طريق عطية عن ابن عباس فى الآية المذكورة قال وذلك ان رجلا يقال له ثعلبة بن أبى حاطب من الانصار أتى مجلسا فاشهدهم فقال لئن آتانى الله من فضله الآية فذكر القصة بطولها فقال انه ثعلبة بن أبى حاطب والبدرى اتفقوا على انه ثعلبة بن حاطب وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال لايدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية وحكى عن ربه انه قال لاهل بدر اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقا فى قلبه وينزل به مانزل فالظاهر انه غيره والله أعلم (ولاجل بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته) فقد كان من دعائه أعوذ بك من فتنة الفقر والغنى وأعوذ بك من غنى يطغى وفقر ينسى (حتى روى عن عمران بن الحصين) رضى الله عنه (انه قال كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله) وكانت قد اشتكت (فقلت نعم بابى أنت وامى يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب منزل فاطمة) رضى الله عنها (فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت) وقد عرفت صوته (ادخل بابى أنت وأمى يا رسول الله قال أنا ومن معى قالت ومن معك يا رسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذى بعثك بالحق ماعلى الاعباءة قال اصنعى بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى قد واريته فكيف برأسى فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على مابى انى لست أقدر على طعام آكله فقد أجهدنى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لاتجزعى يا بنتاه فوالله ماذقت طعاما منذ ثلاث وانى لاكرم على الله منك ولو سألت الله ربى لاطعمنى ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشرى انك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فاين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك انكن فى بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الآخرة) وسيأتى هذا للمصنف بعينه فى كتاب الزهد والفقر قال العراقى لم أجده من حديث عمران ولاحمد والطبرانى من حديث معقل بن يسار وضأت النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل لك فى فاطمة تعودها الحديث وفيه أما ترضين ان زوجتك أقدم أمتى سلما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما واسناده صحيح انتهى قلت وقد وجد بخط الكمال الدميرى فى نسخته قال بل اسناده ضعيف فيه خالد بن طهمان شيعى مختلف فيه (فانظر الآن الى حال فاطمة رضى الله عنها وهى بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت الفقر وتركت المال) حتى صبرت على الجوع وقنعت بعباءة لاتغطى رأسها (ومن راقب أحوال الانبياء) عليهم السلام (والاولياء) من بعدهم (وأقوالهم وماورد من أخبارهم وآثارهم) فى القناعة والزهد (لم يشك فى ان فقد المال أفضل من وجوده وان صرف الى الخيرات) ووجوه

اذاقل مافيه مع أداء الحقوق والتوقى من الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله اذلاذكر الامع الفراغ ولافراغ مع شغل المال وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال أكون معك وأصحبك فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فاكلا رغيفين وبقى رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لاأدرى قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لاأدرى ثم انتهيا الى وادى ماء فاخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لاأدرى فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله تعالى فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثلث لى وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذى أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان فى المفازة ومعه المال فارادا أن يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا فابعثوا أحدكم الى القرية حتى يشترى لنا طعاما نأكله قال فبعثوا أحدهم فقال الذى بعث لاى شئ أقاسم هؤلاء هذا المال لكنى أضع فى هذا الطعام سما فأقتلهما وآخذ المال وحدى قال ففعل وقال ذانك الرجلان لاى شئ نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا فبقى ذلك المال فى المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الامم ليس بايديهم شئ مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم فى ذلك معايش من نبات

البر (اذاقل مافيه مع اداء الحقوق) لاربابها (والتوقى من الشبهات) فى اكتسابه (والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه) وتنميته (وانصرافه عن ذكر الله اذلاذكر الامع الفراغ ولافراغ مع شغل المال وقد روى عن جرير) بن حازم بن زيد بن عبد الله الازدى البصرى كنيته أبو النضر وهو والد وهب ثقة مات سنة سبعين روى له الجماعة (عن ليث) بن أبى سليم الكوفى صدوق اختلط روى له البخارى معلقا ومسلم والاربعة (قال صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال أكون معك أصحبك فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقى رغيف فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب) منه (ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لاأدرى قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية معها خشفان لها فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال ماأدرى قال ثم انتهيا الى وادى ماء فاخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف قال لاأدرى قال فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام ترابا من كثيب فجمعه ثم قال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث فقال ثلث لى وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف فقال أنا أخذت الرغيف قال فكله لك قال وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان فى المفازة ومعه المال فارادا ان يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا قال فابعثوا أحدكم الى القرية حتى يشترى لنا طعاما قال فبعثوا أحدهم فقال الذى بعث لاى شئ أقاسم هؤلاء هذا المال لكنى أضع فى هذا الطعام سما فاقتلهما وآخذ المال وحدى قال ففعل وقال ذلك الرجلان لاى شئ نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمناه بيننا) انصافا (فلما رجع اليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا) لانه كان مسموما (فبقى ذلك المال فى المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها) وقد رواه صاحب القوت مختصرا ولفظه وفى اخبار عيسى عليه السلام انه مر فى سياحته ومعه طائفة من الحواريين بذهب مصبوب فى أرض فوقف عليه ثم قال هذا القاتول فاحذروه ثم جاز وأصحابه فتخلف ثلاثة لاجل الذهب فاقام اثنان عليه ودفعا الى واحد شيأ منه يشترى لهم من طيبات الدنيا من أقرب الامصار اليهم فوسوس اليهما العدو ترضيان ان يكون هذا المال بينكم اقتلا هذا فيكون المال بينكما نصفين فاجمعا على قتله اذا رجع اليهما قال وجاء الشيطان الى الثالث فوسوس اليه أرضيت لنفسك ان تأخذ ثلث المال اقتلهما فيكون المال كله لك قال فاشترى سما فجعله فى الطعام فلما جاءهما به وثبا عليه فقتلاه ثم قعدا يأكلان الطعام فلما فرغا ماتا فرجع عيسى عليه السلام من سياحته فنظر اليهم صرعى حول الذهب والذهب بحاله فعجب أصحابه وقالوا ماشأن هؤلاء قتلى فاخبرهم بهذه القصة (وحكى ان ذا القرنين) اسكندر ابن الفيلسوف الرومى (أتى على أمة من الامم) فى بعض سياحاته (ليس فى أيديهم شئ مما يستمتع به الناس من دنياهم) من الدراهم والدنانير (قد احتفروا قبورا قال فاذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها و) اذا جاعوا (رعوا البقل) من نبات الارض (كما ترعى البهائم وقد قيض الله لهم فى ذلك معايش من نبات

الارض

الارض وأرسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى اليه حاجة فان كان له حاجة فليأتنى فقال ذو القرنين صدق فاقبل اليه ذو القرنين وقال له أرسلت اليك لتأتينى فأبيت فها أناذا قد جئت فقال لو كان لى اليك حاجة لاتيتك فقال ذو القرنين مالى أراكم على حالة لم أر أحدا من الامم عليها قال وماذاك قال ليس لكم دنيا ولا شئ أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قالوا انما كرهناهما لان أحدا لم يعط منهما شيأ الا تاقت نفسه ودعته الى ماهو أفضل منه فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فاذا أصبحتم تعاهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا أردنا اذا نظرنا اليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال وأراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض أفلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا فى نبات الارض بلاغا وانما يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأى ماجاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال ياذا القرنين أتدرى من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض أعطاه الله سلطانا على أهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال ياذا القرنين هل تدرى من هذا قال لا أدرى ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده وقد كان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل فى أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم أهوى الى جمجمة ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة كأن قد كانت كهذين فانظر ياذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين هل لك فى صحبتى فأتخذك أخا ووزيرا وشريكا فيما آتانى الله من هذا المال قال ما أصلح أنا وأنت فى مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال ولم قال يعادونك لما فى يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا يعادينى لرفضى لذلك ولما عندى من الحاجة وقلة الشئ قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق تم كتاب ذم المال والبخل بحمد الله تعالى وعونه ويليه كتاب ذم الجاه والرياء

الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم) أى رئيسهم الذى يحكم عليهم (فقال له أجب الملك ذا القرنين فقال مالى اليه حاجة فان كانت له حاجة فليأتنى فقال ذو القرنين صدق فاقبل اليه ذو القرنين وقال له أرسلت اليك لتأتينى فابيت فها أناذا قد جئت فقال له لو كان لى اليك حاجة لاتيت فقال له ذو القرنين مالى أراكم على الحال التى لم أر أحدا من الامم عليها قال وماذاك قال ليس لكم دنيا ولا شئ أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قالوا انما كرهناهما لان أحدا لم يعط منهما شيأ الا تاقت نفسه ودعته الى ماهو أفضل منه فقال ما بالكم احتفرتم قبورا فاذا أصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا أردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل) فهى معينة على ذكر الموت وقاطعة للامل (قال وارا كم لا طعام لكم الا البقل فى الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها فقالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا فى نبات الارض بلاغا وانما يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام) قدر ما يبلغه (وان ما جاوز الحنك) أى داخل الفم (من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده من خلف ذى القرنين فتناول جمجمة) بالضم عظم الرأس (فقال ياذا القرنين أتدرى من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على أهل الارض فغشم) أى جار (وظلم وعتا) وتمرد (فلما رأى الله عز وجل ذلك منه حسمه بالموت) أى قطعه أو كواه (فصار كالحجر الملقى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه فى آخرته) بما عمل فى دنياه (ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال ياذا القرنين هل تدرى من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل فى أهل مملكته ثم مات فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته) مما عمل به فى دنياه (ثم أهوى الى جمجمة ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة كأن قد صارت كهاتين فانظر ياذا القرنين ما أنت صانع) من الخير والشر (فقال له ذو القرنين لما استحسن كلامه هل لك فى صحبتى فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما آتانى الله من هذا المال قال ما اصلح أنا وانت فى مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم) ذلك (قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال ولم قال يعادونك لما فى يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا يعادينى لرفضى لذلك) أى تركى اياه (و) رفضى (لما عندى من الحاجة وقلة الشئ قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الدنيا (فهذه الحكايات) التى أوردناها (تدلك على آفات الغنى) واخطاره (مع ما قدمناه من قبل) فى كتاب ذم الدنيا (ان شاء الله تعالى) وبه تم كتاب ذم البخل وحب المال والحمد لله والمنه والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه وكان الفراغ منه فى صبيحة نهار الثلاثاء سادس عشر ربيع الاول من شهور سنة مائتين بعد الالف على يد مؤلفه أبى الفيض محمد مرتضى الحسينى غفر الله ذنوبه وستر عيوبه ولجميع المسلمين بمنه وكرمه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الله ناصر كل صابر

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره * وسببا للمزيد من فضله * ودليلا على آلائه وعظمته احمده الى نفسه كما استحمده الى خلقه * جعل لكل شئ قدرا * ولكل قدر اجلا * ولكل أجل كتابا * واشهد ان لا اله الا الله غير معدول به * ولا مشكوك فيه * ولا مكفور دينه * ولا مجحود تكوينه شهادة من صدقت نيته * وصفت دخلته * وخلص يقينه * وثقلت موازينه * واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله * وصفيه وخليله * أمين وحيه وخاتم رسله وبشير رحمته * ونذير نقمته * بعثه بالنور المضى * والبرهان الجلى * والمنهاج البادى * والكتاب الهادى * فاظهر به الشرائع المجهولة * وقمع به البدع المدخولة * و بين به الاحكام المفصولة صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الدجا * واصحابه ينابيع الهدى وسلم تسليما كثيرا وبعد فهذا شرح

(كتاب ذم الجاه والرياء)

وهو الثامن من الربع الثالث من كتاب الاحياء للامام حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي بوّأه الله في جنانه القصور المشرفة العوالى * أودعت فيه جملا من فوائد من صدور القوم مستفاده وكشفت غررا من مطاوى متونه مستجاده * مقتطفا من رياض المعارف اليانعة الازهار * ممتطيا غارب سنام التوشيح البادى الاسفار * سالكا محجة الاختصار النافع المفيد * مجتنبا طى مراحل التطويل والتعقيد * وعلى الله الاعانة في حسن الابانه * فما اسعد عبدا وفقه مولاه واعانه انه بكل خير ملى وبالفضل جدير * وهو على كل شئ قدير * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله علام الغيوب) جمع الغيب وهو ماغاب عن الحس ولم يكن عليه علم يهتدى به العقل ليحصل به العلم (المطلع على سرائر القلوب) وفي بعض النسخ اسرار القلوب والسريرة والسر بمعنى واحد (المتجاوز عن كبائر الذنوب) أى المسامح عنها بفضله والكبائر منها سيأتي التفصيل في حدها (العالم بما تجنه) أى تخفيه (الضمائر) جمع ضمير وهو داخل القلب (من خفايا العيوب) أى الباطنة منها وبين العيوب والغيوب جناس تصحيف (البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات) جمع الطوية فعيلة من الطى والمراد بها هنا باطن القلب (الذى لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص من شوائب الرياء والشرك وصفا) فشرط القبول في العمل كماله بشروطه المعتبرة وتوفيته بحقوقه وخلوصه من شائبة الرياء والسمعة وخفى الشرك ومالم يكن كذلك فهو مردود على صاحبه وقد وردت بذلك اخبار سيأتي ذكر بعضها (فانه المنفرد بالملكوت والملك) وهما عالمان فالملكوت هو عالم الغيب المختص بارواح النفوس والملك هو عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية (وهو أغنى الاغنياء عن الشرك) روى مسلم وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشركه وعند ابن جرير في التهذيب والبزار في المسند بلفظ قال الله عز وجل من عمل لى عملا اشرك فيه غيرى فهو له كله وانا اغنى الشركاء عن الشرك (والصلاة على) سيدنا (محمد وآله وصحبه المبرئين) أى المنزهين (من الخيانة) وهى مخالفة الحق بنقض العهد في السر (والافك) بالكسر وهو كل مصروف عن وجهه الذى يحق ان يكون عليه (وسلم) تسليما (كثيرا اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما اخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية) المشهور والمتلقى ان قوله والشهوة معطوف على ماقبله ويمكن نصب الشهوة وجعل الواو بمعنى مع أى الرياء مع الشهوة الخفية للمعاصى فكانه يرائى الناس بتركه المعاصى والشهوة في قلبه مخبأة وهو وجه حسن وقيل الرياء ماظهر من العمل والشهوة الخفية حب اطلاع الناس على العمل قال العراقى رواه ابن ماجه والحاكم من حديث شداد بن اوس وقالا الشرك بدل الرياء وفسراه بالرياء قال الحاكم صحيح الاسناد قلت بل ضعيفه وهو عند ابن المبارك في الزهد ومن طريقه البيهقى في الشعب بلفظ المصنف انتهى قلت رواه ابن ماجه من طريق رواد بن الجراح عن عامر بن عبد الله عن الحسن بن ذكوان عن عبادة عن شداد ولفظه ان اخوف ما اخاف على امتى ان تشرك بالله اما انى لست

(كتاب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا العيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذى لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا فانه المنفرد بالملكوت والملك فهو أغنى الاغنياء عن الشرك والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه المبرئين من الخيانة والافك وسلم تسليما كثيرا (اما بعد) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتى الرياء والشهوة الخفية

والرياء من الشهوة الخفية التي هي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وانما يبتلى به العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا أنفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والاطراء ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركته ودعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام وأكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في أغراضه موقرين فاصابت النفس في ذلك لذة هي أعظم اللذات وشهوة هي أغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته بالله وبعبادته المرضية وانما حياته بهذه

أقول يعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولكن اعمالا لغير الله وشهوة خفية وفي لفظ اتخوف بدل اخاف وتعبد بدل يعبدون ومن هذا الوجه رواه أبو نعيم في الحلية ورواه ضعفه الدارقطني وعامر قال المنذري لا يعرف والحسن بن ذكوان قال أحمد أحاديثه بواطيل وقد رواه أحمد وزاد فيه قيل وما الشهوة الخفية قال يصبح احدهم صائما فتعرض له شهوة من شهوات الدنيا فيفطر قال العراقي وهو حديث لا يصح في اسناده عبد الواحد بن زياد وهو ضعيف قال وبتقدير صحته فابطاله صومه لاجل شهوته مكروه بخلافه لامر مشروع من زائر وعارض فلا تعارض بينه وبين خبر الصائم المتطوع أمير نفسه ان شاء صام وان شاء افطر انتهى وروى أحمد من حديث محمود بن لبيد ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر الرياء يقول الله يوم القيامة اذا جزى الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ورواه الطبراني في الكبير بنحوه الا انه قال عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج (والرياء من الشهوات الخفية التي هي أخفى من دبيب) أي حركة مشي (النملة السوداء على الصخرة الصماء) التي لا تجيب الصدى (في الليلة الظلماء) وصف النملة بالسوداء لارادة المبالغة في الخفاء لانها لا ترى حينئذ وقد ورد هكذا في الشرك الخفي وفي حديث ابن عباس الشرك أخفى في أمتي من دبيب الذر على الصفا رواه أبو نعيم في الحلية ورواه البزار من حديث عائشة بلفظ من دبيب النمل على الصفا وعند هناد وأبي يعلى من حديث أبي بكر الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل (ولذلك عجز عن الوقوف على غوائله) أي مهالكه (سماسرة العلماء) أي نقادهم (فضلا عن عامة العباد) جمع عابد (والاتقياء وهو من أواخر غوائل النفس) خروجا منها (وبواطن مكايدها) التي لا يطلع عليها سوى من خلقها (وانما يبتلى بها العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة) وفي نسخة سبيل الآخرة (فانهم مهما قهروا أنفسهم) بالرياضات (وجاهدوها) بالاختبارات (وفطموها عن) أندى (الشهوات وصانوها عن الشبهات أي عن الاقتحام فيها وحملوها بالقهر على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح) فانها لا تكاد تخطر له ببال وقد انسد بابها عليه (فطلبت الاستراحة) السكون (الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصة من) الم (مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق) عليها (ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده) بل ارادت ضم حمد الناس اليه (وعلمت انهم اذا عرفوا تركه الشهوات) النفسية (وتوقيه الشبهات) في المعاملة (وتحمله مشاق العبادات) من صوم في أيام الصيف وطول قيام في الصلوات وملازمة المساجد وغيرها (اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ) وهو المدح على الحي كما ان الرثاء المدح على الميت (والاطراء) المبالغة في المدح (ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام) والمثول بين يديه (واكرموه في المحافل) العامة (غاية الاكرام) وأشير اليه بالبنان (وسامحوه في البيع) والشراء (والمعاملات) الدنيوية (وقدموه) على غيره (في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا) أي تذللوا (متواضعين وانقادوا اليه في اغراضه موقرين) أي معظمين (فاصابت النفس من ذلك لذة) معنوية (هي أعظم اللذات) وأهنؤها (وشهوة هي أغلب الشهوات) وأقواها (واستحقرت منها ترك المعاصي والهفوات) أي الزلات (واستلانت خشونة المواظبة على العبادات) الظاهرة (لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات وهو يظن) في نفسه مع ذلك (ان قيامه بالله و) ان قيامه (بعباداته المرضية) عند الله (وانما قيامه) في الحقيقة (بهذه

الشهوة الخفية التى تعمى عن دركها العقول النافذة القوية ويرى انه مخلص فى طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجود الاعمال وقد أثبتت اسمه فى جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله

من المقربين وهذه مكيدة للنفس لايسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل آخر مايخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذى هو أعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول فى سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه فى ترتيب الكتاب على شطرين *(الشطر الاول)* فى حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب فى كونه محبوبا أشد من حب المال وبيان أن الجاه كمال وهمى وليس بكمال حقيقى وبيان مايحمد من حب الجاه ومايذم وبيان السبب فى حب المدح والثناء وكراهية الذم وبيان العلاج فى حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج حب كراهة الذم وبيان اختلاف أحوال الناس فى المدح والذم فهى اثنا عشر فصلا منها تنشأ معانى الرياء فلابد من تقديمها والله الموفق للصواب بلطفه ومنه وكرمه *(بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت)* اعلم أصلحك الله ان أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر أن يشير الناس اليه بالاصابع فى دينه ودنياه الا من عصمه الله وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب المرء من الشر الا من عصمه الله من السوء أن يشير الناس اليه بالاصابع فى دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم

ابى

الشهوة الخفية التى يعمى عن دركها) ويفهم عن سبرها (الا العقول) الكاملة (النافذة) ببصيرتها (القوية) من نورها (ويرى أنه مخلص فى طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة) واتخذتها (تزيينا للعبادة وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة) عندهم (والوقار واحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال) لعدم الاخلاص فيها (واثبتت اسمه فى جريدة المنافقين) الذين يبطنون خلاف مايظهرون (وهو يظن انه عند الله من المقربين) من ظفره ٧ الالهية (وهذه مكيدة للنفس لايسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرقى عنها الا المقربون) ممن عصمهم الله تعالى بتوفيقه (ولذلك قيل آخر مايخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة) كما نقله القشيرى وصاحب القوت (واذا كان الرياء هو الداء الدفين) أى المدفون فى باطن القلب (الذى هو أعظم شبكة الشياطين) الذين يصطادون بها الرجال (وجب شرح القول فى سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه فى ترتيب الكتاب على شطرين الشطر الاول) منه (فى حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب فى كونه محبوبا حبا أشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمى وليس بكمال حقيقى وبيان مايحمد من حب الجاه ومايذم وبيان السبب فى حب المدح والثناء وكراهة الذم وبيان اختلاف أحوال الناس فى الذم والمدح فهى اثنا عشر فصلا منها تنشأ معانى الرياء فلابد من تقديمها) والله الموفق للصواب بلطفه وكرمه

(بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت)

(اعلم) هداك الله بنور اليقين (ان أصل الجاه) مقلوب الوجه وقد وجه وجاهة فهو وجيه اذا كان له حظ ورتبة ومنه وجوه القوم ساداتهم وله جاه (هو انتشار الصيت) فى الناس والصيت بالكسر الذكر الجميل (وهو مذموم بل المحمود الخمول) وهو خفاء القدر والذكر (الا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال أنس) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر) أى يكفيه منه فى أخلاقه ومعاشه ومعاده (الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع فى دينه ودنياه) لانه انما يشار اليه فى دين لكونه أحدث بدعة عظيمة فيشار اليه بها أو فى دنيا لكونه أحدث منكرا من الكبائر غير متعارف بينهم بخلاف ما يقارب الناس فيه ككثرة صلاة أو صوم فليس محل اشارة ولا تعجب لمشاركة غيره له فاشار فى هذا الحديث بالاشارة بالاصابع الى انه عبد هتك الله ستره فهو فى الدنيا فى عار وغدا فى النار ومن ستره الله فى هذه الدار لم يفضحه فى دار القرار قال العراقى رواه البيهقى فى الشعب بسند ضعيف انتهى قلت رواه باسناد فيه ابن لهيعة وحاله معلومة ويوسف بن يعقوب فان كان النيسابورى فقد قال أبو على الحافظ ما رأيت بنيسابور من يكذب غيره وان كان القاضى باليمن فمجهول ثم ان لفظ البيهقى بحسب امرئ من الشر أن يشار اليه بالاصابع فى دين أو فى دنيا الا من عصمه الله ورواه كذلك الطبرانى فى الاوسط وللبيهقى أيضا من حديث أبى هريرة فيه عندهما عبد العزيز بن حصين ضعفه يحيى والناس وقد رواه البيهقى بسند آخر فيه كلثوم بن محمد بن أبى سدرة قال الذهبى قال أبو حاتم تكلموا فيه وقد رواه أيضا الحكيم فى النوادر عن الحسن مرسلا (وقال جابر بن عبد الله) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب المرء من الشر الا من عصمه الله من السوء أن يشير الناس اليه بالاصابع فى دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى أعمالكم) قال العراقى هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث

أبي هريرة رواه الطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوّله ورواه مسلم مقتصرا على الزيادة التي في آخره وروى الطبراني والبيهقي في الشعب أوّله من حديث عمران بن حصين بلفظ كفى بالمرء إثما ورواه ابن يونس في تاريخ الغرباء من حديث ابن عمر بلفظ هلاك بالرجل وفسره في دينه بالبدعة ودنياه بالفسق واسنادهما ضعيف اهـ قلت لفظ الطبراني والبيهقي قد ذكر قبله وان البيهقي رواه من طريقين كل منهما ضعيف وأما تلك الزيادة التي رواها مسلم فقد رواها كذلك أحمد وابن ماجه من حديث أبي هريرة بزيادة وأموالكم بعد وصوركم ورواه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات وابن عساكر من حديث أبي امامة ورواه هناد في الزهد عن الحسن مرسلا ورواه الحكيم في النوادر عن يحيى بن أبي كثير مرسلا وأما حديث عمران بن حصين فلفظه عند الطبراني في الكبير كفى بالمرء من الشر أن يشار اليه بالاصابع وفي رواية له كفى بالمرء من الاثم وفيه زيادة قالوا يارسول الله وان كان خيرا فهو شرله الا من رحمه الله وان كان شرا فهو شرله وقد رواه الرافعي في تاريخ قزوين وقال كذا في النسخة وربما كانت اللفظة فهو شرله الا من رحمه الله وأما حديث ابن عمر فرواه الديلمي بلفظ كفى بالمرء من الشر أن يشار اليه بالاصابع في دينه بفسق أو في دنياه أن يعطيه الا من عصمه الله مالا ولا يصل به رحما ولا يعطي حقه ورواه بهذا اللفظ الحكيم في تاريخه من حديث أنس (وقد ذكر الحسن) البصري رحمه الله تعالى (للحديث تأويلا لا بأس به اذ روى هذا الحديث فقيل له يا أبا سعيد ان الناس اذا رأوك أشاروا اليك بالاصابع فقال انه لم يعن هذا وانما عنى به المبتدع في دينه) فانه لا يشار اليه الا اذا أحدث في الدين بدعة عظيمة تكون سبب الاشارة كما يقولون خالف تعرف (والفاسق في دنياه) بان أحدث منكرا من الكبائر وهذا التأويل ذكره الحكيم في نوادر الاصول وقد روى نحوه مرفوعا من حديث أنس وابن عمر كما تقدم قبله (وقال علي رضي الله عنه تبذل ولا تشهر) نفسك (ولا ترفع شخصك لتعلم) وفي نسخة لتذكر وتعلم (واكتم) أمرك (واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (ما صدق الله من أحب الشهرة) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال أيوب) بن أبي تميمة السختياني البصري رحمه الله تعالى (والله ما صدق الله عبد الا سره أن لا يشعر بمكانه) رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثني أحمد بن كردوس حدثنا مخلد عن أبي بكر بن الفضل قال سمعت أيوب يقول فساقه (وعن) أبي عبد الله (خالد بن معدان) الكلاعي الحمصي ثقة عابد وكان يسبح في اليوم والليلة أربعين ألف تسبيحة سوى ما كان يقرأ من القرآن مات سنة ثلاث ومائة روى له الجماعة (انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن أبي العالية) رفيع بن مهران الرياحي ثقة روى له الجماعة (انه كان اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة قام) من مجلسه أي مخافة الشهرة (ورأى طلحة) بن عبد الله التيمي القرشي أحد العشرة رضي الله عنه (قوما يمشون معه أكثر من عشرة) وفي نسخة نحوا من عشرة (فقال ذباب طمع وفراش نار) شبههم بالذباب والفراش انهماكهما على الطعام والنار (وقال سليم بن حنظلة بينما نحن حول ابي بن كعب) رضي الله عنه (نمشي خلفه اذ رآه عمر رضي الله عنه فعلاه بالدرة فقال) أبي (يا أمير المؤمنين أنظر ماذا تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع) وقد وقع مثل ذلك لعلي رضي الله عنه لما ورد الكوفة قادما من صفين وتبعه الحرث بن شرحبيل الشامي وكان من وجوه قومه ماشيا خلفه وهو رضي الله عنه راكب فقال له ارجع فان مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن (وعن الحسن) البصري رحمه الله تعالى (قال خرج ابن مسعود) رضي الله عنه (يوما من منزله فتبعه ناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما تبعني منكم رجلان) نقله صاحب القوت وفي رواية قال لهم ارجعوا فانه ذل للتابع وفتنة للمتبوع (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (ان خفق النعال حول الرجال قلما تثبت معه قلوب الحمقى) نقله صاحب القوت (وخرج الحسن) رحمه الله تعالى (ذات يوم فاتبعه

ولقد ذكر الحسن رحمه الله للحديث تأويلا لا بأس به اذ روى هذا الحديث فقيل له يا أبا سعيد ان الناس اذا رأوك أشاروا اليك بالاصابع فقال انه لم يعن هذا وانما عني به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه وقال علي كرم الله وجهه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم ابن أدهم رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السختياني والله ما صدق الله عبد الا سره أن لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن أبي العالية انه كان اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة قام ورأى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول أبي بن كعب نمشي خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه ناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمقى وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه

قوم فقال هل لكم من حاجة والا فعسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن) نقله صاحب القوت (وروى ان رجلا صحب ابن محيريز) هو عبد الله بن محيريز بن جنادة بن وهب الجمحي المكي نزل بيت المقدس تابعي ثقة عابد مات سنة تسع وتسعين روى له الجماعة (في سفر فلما فارقه قال أوصني قال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك) وفي نسخة حوالیك وفي نسخة أخرى معك واليك (وتسأل ولا تسئل فافعل) وقال الزهري مارأينا الزهد في شئ أقل منه في الرياسة ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال فاذا نوزع الرياسة حامى عليها وعادى (وخرج أيوب) بن أبي تميمة السختياني (في سفر فشيعه ناس كثير) من أهل البصرة (فقال لولا اني أعلم ان الله تعالى يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله تعالى) وروى عن شعبة قال ربما ذهبت مع أيوب في الحاجة أريد أن أمشي فلا يدعني فيخرج فيأخذ ههنا وههنا لكيلا يفطن له قال شعبة وقال أيوب ذكرت ولا أحب أن أذكر (وقال معمر) بن راشد الازدي مولاهم البصري نزيل اليمن مات سنة أربع وخمسين روى له الجماعة (عاتبت أيوب) السختياني (في طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد ابن اسحق حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري قال كتب الى عبد الرزاق عن معمر قال كان في قميص أيوب بعض التذييل فقيل له فقال الشهرة اليوم في التشمير (وقال بعضهم كنت مع أبي قلابة) عبد الله بن زيد الجرمي البصري (اذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال) لمن حوله (اياكم وهذا الحمار النهاق) أي الكثير النهاق وهو كونه (يشير به الى طلب الشهرة) نقله صاحب القوت (وقال) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الردية اذ الابصار تمتد اليهما جميعا) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال رجل لبشر بن الحرث) الحافي رحمه الله تعالى (أوصني قال أخمل ذكرك وطيب مطعمك) نقله صاحب القوت (وكان حوشب) بن عقيل أبو دحية البصري ثقة روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه (يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع) يعني به جامع البصرة نقله صاحب القوت (وقال بشر) الحافي رحمه الله تعالى (ما أعرف رجلا أحب أن يعرف الاذهب دينه وافتضح) نقله صاحب القوت (وقال) بشر (أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس) نقله صاحب القوت

(بيان فضيلة الخمول)

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب) هو للتقليل هنا قال ابن هشام وليست هي للتقليل دائما خلافا للاكثر ولا للتكثير دائما خلافا لابن درستويه وجمع بل للتكثير كثيرا وللتقليل قليلا (أشعث) أي الثائر شعر الرأس قد أخذ فيه الجهد حتى أصابه الشعث (أغبر) أي غير الغبار لونه لطول سفره في طاعة الله كحج وجهاد وصلة رحم وكثرة عبادة (ذي طمرين) تثنية طمر بالكسر وهو الثوب الخلق (لا يؤبه به) أي لا يبالى به ولا يلتفت اليه لحقارته (لو أقسم على الله) أي لو حلف عليه ليفعلن شيأ (لابره) أي ابر قسمه وأوقع مطلوبه اكراما له وصونا ليمينه عن الحنث لعظم منزلته عنده أو معنى القسم الدعاء وابراره اجابته (منهم البراء ابن مالك) أخو أنس بن مالك لابيه لان أم أنس أم سليم وأم البراء السحماء وغلط من قال أمهما أم سليم وكان حسن الصوت يرجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد الا بدرا وله يوم اليمامة أخبار وقتل يوم حصن تستر في خلافة عمر قال العراقي رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس باسناد ضعيف رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وللحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الاسناد قلت بل ضعيفه اه قلت روى الترمذي من طريق ثابت وعلي بن زيد عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رب أشعث لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك فلما كان يوم تستر من بلاد فارس انكشف الناس فقال الناس يا براء اقسم على ربك فقال أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم والحقني بنبيك فحمل وحمل الناس معه فقتل مرزبان الزارة من عظماء الفرس وأخذ سلبه فانهزم

قوم فقال هل لكم من حاجة والا فعسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن وروى أن رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال اوصني فقال ان استطعت أن تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك وتسأل ولا تسئل فافعل وخرج أيوب في سفر فشيعه ناس كثيرون فقال لولا اني أعلم ان الله يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله عز وجل وقال معمر عاتبت أيوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره وقال بعضهم كنت مع أبي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال اياكم وهذا الحمار الناهق يشير به الى طلب الشهرة وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحرث أوصني فقال أخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم أجمعين

(بيان فضيلة الخمول)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك

الفرس وقتل البراء ورواه الحاكم فى المستدرك من طريق سلامة عن عقيل عن الزهرى عن أنس نحوه واما بدون هذه الزيادة فروى أحمد ومسلم من حديث أبى هريرة رب أشعث مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لابره وفى رواية لمسلم رب أشعث أغبر ذى طمرين من أمتى يطوف على الابواب ترده اللقمة واللقمتان لو أقسم على الله لابره وفى رواية له أيضا رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره وقد روى الخطيب هذا اللفظ من حديث أنس وروى الحاكم وأبو نعيم من حديث أبى هريرة رب أشعث أغبر ذى طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لابره (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (قال النبى صلى الله عليه وسلم رب ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابر ولو قال اللهم انى أسألك الجنة لاعطاه ولم يعطه من الدنيا شيأ) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا ومن طريقه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف اهـ قلت وقد رواه كذلك ابن عدى بهذه الزيادة ورواه البزار فى مسنده لكن الى قوله لابره قال الهيثمى رجاله رجال الصحيح خلا جارية بن هرم وقد وثقه ابن حبان على ضعفه (وقال صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على أهل الجنة) كذا فى النسخ والرواية ألا أخبركم بأهل الجنة قالوا بلى قال (كل) بالرفع لاغير أى هم كل (ضعيف) عن أذى الناس أو عن المعاصى ملتزم الخشوع والخضوع بقلبه وقالبه (مستضعف) بفتح العين كما فى التنقيح عن ابن الجوزى قال وغلط من كسرها فان المراد ان الناس يستضعفونه ويحتقرونه وفى علوم الحديث للحاكم ان ابن خزيمة سئل عن الضعيف فقال الذى يبرئ نفسه من الحول والقوة فى اليوم عشرين مرة الى خمسين (واهل النار كل مستكبر) أى صاحب كبر والكبر تعظيم المرء نفسه واحتقار غيره والانفة من مساواته (جوّاظ) بالتشديد هو الجموع المنوع وقيل هو الكثير اللحم المختال فى مشيته قال الشيخ الاكبر فى كلامه على الاوّلين انما نالوا هذه المرتبة عند الله لانهم صانوا قلوبهم عن أن يدخلها غير الله أو تتعلق بكون من الاكوان سوى الله فليس لهم جلوس الامع الله ولا حديث الامع الله فهم بالله قائمون وفى الله ناظرون واليه راحلون ومنقلبون وعنه ناطقون ومنه آخذون وعليه متوكلون وعنده قاطنون فما لهم معروف سواه ولا مشهود الااياه صانوا نفوسهم عن نفوسهم فلا تعرفهم نفوسهم فهم فى غيابات الغيب المحجوبون وهم ضنائن الحق المستخلصون يأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق مشى ستر كله حجاب فهذه حالة هذه الطائفة قال العراقى متفق عليه من حديث حارثة بن وهب اهـ قلت لفظهما ألا أخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لابره الا أخبركم باهل النار كل عتل جعظرى جوّاظ مستكبر وهكذا رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والطبرانى من حديث معبد بن خالد عن حارثة بن وهب الخزاعى والمستورد ابن شداد الفهرى معا ورواه الطبرانى أيضا والضياء فى المختارة عن معبد بن خالد عن ابن عبد الله الجدلى عن زيد بن ثابت وروى الطبرانى من حديث معاذ بلفظ الا أخبركم عن ملوك أهل الجنة كل ضعيف مستضعف وذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره وروى أحمد من حديث حذيفة بلفظ الا أخبركم بشرعباد الله الفظ المستكبر الا أخبركم بخير عباد الله الضعيف المستضعف وذى الطمرين لو أقسم على الله لابر قسمه وروى الطبرانى من حديث أبى الدرداء الا أخبرك يا أبا الدرداء باهل النار كل جعظرى جوّاظ مستكبر جماع منوع الا أخبرك باهل الجنة كل مسكين لو أقسم على الله لابره وروى ابن قانع والحاكم من حديث سراقة بن مالك أهل النار كل جعظرى جوّاظ مستكبر وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون وروى الشيرازى فى الالقاب والديلمى من حديث أبى عامر الاشعرى أهل النار كل شديد قبعثرى وأهل الجنة كل ضعيف مزهد (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتجلجل فى صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم) بيض له العراقى (وقال صلى الله عليه وسلم ان من أمتى من لو أتى أحدكم يسأله دينارا لم يعطه اياه ولو ساله درهما لم يعطه اياه

وقال ابن مسعود قال النبى صلى الله عليه وسلم رب ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره ولو قال اللهم انى أسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لابره وأهل النار كل متكبر مستكبر جوّاظ وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لقولهم حوائج أحدهم تتخلخل فى صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من أمتى من لو أتى أحدكم يسأله دينارا لم يعطه اياه ولو سأله درهما لم يعطه اياه

ولوسأله فلسا لم يعطه اياه ولوسأل الله تعالى الجنة لاعطاه اياها ولوساله الدنيا لم يعطها اياها ومامنعها اياه الالهوانه عليه رب ذى طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لابره وروى أن عمر رضى الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل يبكى عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط أهل المدينة وكان بها رجل صالح لايؤبه له لازم لمسجد النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هم فى دعائهم اذجاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين أوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يارب أقسمت عليك الا أمطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغمام وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من مخافة الغرق فقال يارب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحبه الذى استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال انى أتيتك فى حاجة فقال ماهى قال تخصنى بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتسألنى أن اخصك بدعوة ثم قال ماالذى بلغك مارأيت قال أطعت الله فيما أمرنى ونهانى فسألت الله فأعطانى وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح

ولوسأله فلسا لم يعطه اياه ولوسأل الله تعالى الجنة أعطاه اياها ولوسأله الدنيا لم يعطها اياها ومامنعه الدنيا لهوانه عليه ذو طمرين لايؤبه له لوأقسم على الله لابره) قال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث ثوبان باسناد صحيح دون قوله ولوسأله الدنيا لم يعطها اياها ومامنعه اياها لهوانه عليه وروى مرسلا اه قلت هو من مرسل سالم بن أبى الجعد رواه هناد فى الزهد ولفظه ان من أمتى من لو أتى باب أحدكم فسأله دينارا لم يعطه اياه ولوسأله درهما لم يعطه اياه ولوسأله فلسا لم يعطه اياه ولوسأل الله الجنة لاعطاها اياه ولوسأله الدنيا لم يعطها اياها وما يمنعها اياه لهوانه عليه ذو طمرين لايؤبه له لوأقسم على الله تعالى لابره ورواه ابن صصرى فى أماليه بلفظ ان من أمتى من لوجاء أحدهم الى أحدكم فسأله دينارا أودرهما ما أعطاه ولوسأل الله الجنة لاعطاها اياه ولوأقسم على الله لابره ولوسأله شيأ من الدنيا ما أعطاه تكرمة له ورواه الحرث بن أبى اسامة مرفوعا من حديث ابن عباس بلفظ ان من أمتى لمن لوقام على باب أحدكم فسأله دينارا ما أعطاه أودرهما ما أعطاه أوفلسا ما أعطاه ولوسأل الله الدنيا ما أعطاه وما يمنعه الا كرامته عليه ولوسأله الجنة لاعطاه ولو يقسم على الله لابره (وروى ان عمر رضى الله عنه دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكى عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال) له عمر (مايبكيك) يامعاذ (فقال) معاذ (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة) قال العراقى رواه الطبرانى والحاكم واللفظ له وقال صحيح الاسناد قلت بل ضعيف فيه عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرقى متروك اه قلت لفظهما بعد قوله شرك وان من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الابرار الاصفياء الاتقياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وعيسى بن عبد الرحمن الزرقى يكنى أبا عبادة يروى عن الزهرى قال النسائى وغيره متروك وروى أبو نعيم فى الحلية من حديث ثوبان طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تنجلى عنهم كل فتنة ظلماء (وقال محمد بن سويد) بن كلثوم الفهرى صدوق مات بعد المائة روى له النسائى (قحط أهل المدينة وكان بها رجل صالح لايؤبه له) أى خامل لايذكر ولا يعرف (لازم لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم فى دعائهم اذجاءهم رجل عليه طمران) أى ثوبان (خلقان فصلى ركعتين فاوجز فيهما ثم بسط يديه) الى السماء (فقال يارب أقسمت عليك الا أمطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغمام) وفى بعض النسخ حتى تغيمت السماء بالغيم (وأمطروا) وفى نسخة وأمطرت (حتى صاح أهل المدينة من مخافة الغرق فقال يارب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن) المطر (وتبع الرجل صاحبه الذى استسقى حتى عرف منزله ثم بكر اليه فخرج اليه فقال انى أتيتك فى حاجة فقال ماهى قال تخصنى بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتسألنى ان أخصك بدعوة قال ماالذى بلغك مارأيت قال أطعت الله فيما أمرنى ونهانى وسألت الله فاعطانى) وهذا وامثاله يجرى لذوى الانس مع الله وليس لغيرهم التشبه بهم قال الحسن احترقت اخصاص بالبصرة الاخصا بوسطها فقيل لصاحبه مابال خصك لم يحترق قال أقسمت على ربى ان لايحرقه ورأى أبو حفص رجلا مدهوشا فقال مالك قال ضل حمارى ولا أملك غيره فوقف أبو حفص وقال لا أخطو خطوة مالم ترد حماره فظهر حماره فورا وقال الجنيد أهل الانس بالله يقولون فى خلواتهم أشياء هى كفر عند العامة وقال الشعراوى فى المنن من الاخفياء الشعث من يجاب دعاؤه كلما دعا حتى ان بعضهم أراد جماع زوجته فقالت الاولاد يقظون فقال اماتهم الله وكانوا سبعة فصلوا عليهم بكرة النهار فبلغ البرهان المتبولى فاحضره فقال أماتك الله فمات حالا وقال لو بقى لامات خلقا كثيرا (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه يوصى أصحابه (كونوا ينابيع العلم) أى بمنزلة الينابيع التى تخرج منها المياه ولا تنقطع فتكون بواطنكم معمورة بالعلم كعمارة الينابيع بالمياه (مصابيح

الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفوا فى أهل السماء وتخفوا فى أهل الارض وقال أبو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ان أغبط أوليائى عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لايشار اليه بالاصابع ثم تصبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أحب عباد الله الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة الى المسيح عليه السلام وقال الفضيل بن عياض بلغنى أن الله تعالى يقول فى بعض ما يمن به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسترك ألم أخمل ذكرك وكان الخليل ابن أحمد يقول اللهم اجعلنى عندك من أرفع خلقك واجعلنى عند نفسى من أوضع خلقك واجعلنى عند الناس من أوسط خلقك وقال الثورى وجدت قلبى يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء وقال ابراهيم بن أدهم ماقرت عينى يوما فى الدنيا قط الامرة بت ليلة فى بعض مساجد قرى الشام وكان بى البطن فجرنى المؤذن برجلى حتى أخرجنى من المسجد

الهدى) تضيؤن الناس بالهدى كما يستضاء بالمصابيح (احلاس البيوت) أى لازمين بيوتكم لزوم الحلس وهو بالكسر الحصير الذى يفرش تحت الفرش (سرج الليل) أى تحيون ليلكم بالعبادة وتنورونه كما يتنور بالسرج (جدد القلوب) أى مجردين قلوبكم عن غير الله تعالى فلا يخطر فيها ما يشغل عنه تعالى وقد تقدم الخبر القلوب ثلاثة وذكر فيه قلب اجرد وهو قلب المؤمن وفى بعض النسخ جدد القلوب وهو المناسب لقوله (خلقان الثياب) أى رثاثها (تعرفون فى أهل السماء وتخفون فى أهل الارض) والمراد باهل السماء الملأ الاعلى (وقال أبو امامة) الباهلى رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ان اغبط أوليائى رجل مؤمن خفيف الحاذ) أى قليل المال خفيف الظهر من العيال (ذو حظ من صلاة) أى ذو راحة فى مناجاة الله منها واستغراق فى المشاهدة (احسن عبادة ربه) تعميم بعد تخصيص والمراد اجادتها على الاخلاص فقوله (وأطاعه فى السر) عطف تفسيرى على أحسن (وكان غامضا فى الناس) أى مغمورا غير مشهور فيهم (لايشار اليه) أى لايشير الناس اليه (بالاصابع) بيان وتقرير لمعنى الغموض (ثم صبر على ذلك) بين به ان ملاك ذلك كله الصبر وبه يقوى على الطاعة قال الله تعالى أولئك يجزون الغرفة بما صبروا (قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته) أى اسرع هلاكه لقلة تعلقه بالدنيا وكثرة شغفه بالآخرة (وقل تراثه) لانه لم يتعلق بالمال فيخلفه بعده فيكون ميراثا (وقلت بواكيه) لقلة عياله وهوانه على الناس وعدم احتفالهم به فهؤلاء هم الرجال الذين حلوا من الولاية اقصى درجاتها قد صانهم الله وحبسهم فى خيام صون الغيرة وليس فى وسع الخلق ان يقوموا بهذه الطائفة من الحق عليهم لعلو منصبهم قال العراقى رواه الترمذى وابن ماجه باسنادين ضعيفين انتهى قلت ولفظهما ان اغبط اوليائى عندى لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة والصيام احسن عبادة ربه وأطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لايشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك عجلت منيته وقلت بواكيه وقل تراثه وهكذا رواه الطيالسى وأحمد والطبرانى وصاحب الحلية والحاكم والبيهقى وهو من رواية عبد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى امامة وهم ضعفاء وقال الذهبى عقب تصحيح الحاكم له لا بل هو الى الضعف مائل وقال ابن الجوزى حديث لايصح رواته ما بين مجاهيل وضعفاء ولا يبعد أن يكون معمولهم وقال ابن القطان واخطا من عزاه لابى هريرة وأخرج مسلم فى صحيحه ان عمر بن سعد انطلق الى أبيه سعد وهو فى غنم له خارجا من المدينة فلما رآه سعد قال أعوذ بالله من شر هذا الراكب فلما أتاه قال يا أبت أرضيت أن تكون اعرابيا فى غنمك والناس يتنازعون فى الملك بالمدينة فضرب سعد صدره وقال اسكت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ان الله يحب العبد التقى الغنى الخفى (وقال عبد الله بن عمر) رضى الله عنهما (أحب عباد الله الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة الى عيسى بن مريم عليه السلام) وروى أحمد من حديث عبد الله بن عمرو طوبى للغرباء اناس صالحون فى اناس سوء من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم وفى رواية له الغرباء ناس قليلون صالحون وفى سنده ابن لهيعة (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (بلغنى ان الله عز وجل يقول فى بعض ما يمن به على عبده الم أنعم عليك ألم أسترك الم أخمل ذكرك) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وكان الخليل بن أحمد) الفراهيدى امام النحو (يقول) فى دعائه (اللهم اجعلنى عندك من أرفع خلقك واجعلنى فى نفسى من أوضع خلقك واجعلنى عند الناس من أوسط خلقك) نقله صاحب القوت (وقال) سفيان (الثورى) رحمه الله تعالى (وجدت قلبى يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (ماقرت عينى يوما فى الدنيا قط الامرة واحدة بت ليلة فى بعض مساجد قرى الشام وكان بى البطن) أى داء الذرب (فجاء المؤذن وجرنى برجلى حتى أخرجنى من المسجد) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ولفظ القشيرى فى الرسالة وقال ابراهيم بن أدهم ما سررت فى اسلامى الا ثلاث مرات فذكر الاولى ثم قال والاخرى كنت عليلا فى مسجد فدخل المؤذن وقال

وقال الفضيل ان قدرت على أن لاتعرف فافعل وماعليك ان لاتعرف وماعليك ان لايثنى عليك وماعليك ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والاخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة فى القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد فان قلت فاى شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء وكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فاما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهم كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لايعرفه أحد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوى فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم و يثاب على ذلك

(بيان ذم حب الجاه)

قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الآخرة للخالى عن الارادتين جميعا وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا أيضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة عليه من زينتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ماذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم باسرع افسادا من حب الشرف والمال فى دين الرجل المسلم وقال صلى الله

أخرج فلم أطق فاخذ برجلى وجرنى الى خارج المسجد ثم ذكر الثالثة (وقال الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى (ان قدرت على ان لاتعرف فافعل وماعليك أن لايثنى عليك وماعليك أن تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله) أخرجه أبونعيم فى الحلية (فهذه الآثار والاخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة فى القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد فان قلت فاى شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء) المشهورين (فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم) هو (طلب الشهرة فاما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد) بان يحتال على تحصيلها على أى وجه كانت (فليس بمذموم نعم فيها فتنة على الضعفاء) منهم (دون الاقوياء وهو كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لايعرفه أحد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم وأما القوى) السابح النحرير (فالاولى به أن يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم) وينجى نفسه (و يثاب على ذلك)

(بيان ذم حب الجاه)

(قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الآخرة) انما جعلت (للخالى عن الارادتين جميعا) وارادة العلو فى الارض هو حب الجاه الذى هو ملك قلوب الناس واستعبادهم والترفع عليهم ثم قال والعاقبة للمتقين أى حسن العاقبة لهم ودل ذلك على ان حب الجاه والفساد مجانب للتقوى (وقال تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) أى لاينقص حظهم فيها (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا أيضا متناول بعمومه لحب الجاه والمال فانه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها) كما سيأتى بيانه فى الذى يليه (وقال صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل) قال العراقى لم أجده هكذا وقد تقدم قلت والذى ورد من حديث ابن مسعود الغناء واللهو ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب رواه الديلمى ورواه أيضا من حديث أبى هريرة بلفظ حب الغناء ينبت النفاق فى القلب الخ وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب السماع (وقال صلى الله عليه وسلم ماذئبان ضاريان ارسلا فى زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال فى دين المرء المسلم) رواه أحمد والترمذى وقال حسن صحيح والدارمى والطبرانى فى الكبير من حديث كعب بن مالك بلفظ ماذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث عاصم بن عدى قال اشتريت مائة سهم من سهام خيبر فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ماذئبان عاديان ظلا فى غنم أضاعها ربها من طلب المسلم المال والشرف لدينه ورواه الطبرانى فى الصغير والضياء من حديث اسامة بن زيد بلفظ ماذئبان ضاريان باتا فى حظيرة فيها غنم يفترسان ويأكلان باسرع فسادا من طلب المال والشرف ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس بلفظ ماذئبان ضاريان باتا فى غنم بافسد لها من حب ابن آدم الشرف والمال ورواه هناد فى الزهد من حديث أبى جعفر مرسلا بلفظ ماذئبان جائعان ضاريان فى غنم قد اغفلها رعاؤها وتخلفوا عنها أحدهما فى أولاها والآخر فى اخراها باسرع فيها فسادا من طلب المال والشرف فى دين المرء المسلم ورواه البزار بسند حسن وابن عساكر من حديث ابن عمر بلفظ ماذئبان ضاريان فى حظيرة وثيقة يأكلان ويفترسان باسرع فيهما من حب الشرف وحب المال فى دين المسلم وقد تقدم الكلام على هذا الحديث مختصرا (وقال صلى الله

عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه

(بيان معنى الجاه وحقيقته)

اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغنى هو الذى يملك الدراهم والدنانير أى يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذى يملك قلوب الناس أى يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها فى أغراضه وما آربه وكما انه يكتسب الاموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بأنواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا فى نفسه بل يكفى ان يكون كمالا عنده وفى اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذى يطلبه صاحب الجاه أعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلى ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغى أن تكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزلة فى قلوب الناس أى اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثنى عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه فى طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبد فى أغراضه

عليه وسلم انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء) قال العراقى لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم فى العلم من حديث أنس ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع الحديث وللديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس حب الثناء من الناس يعمى ويصم انتهى قلت وتمام حديث أنس واعجاب المرء برأيه هكذا رواه البزار ورواه العسكرى بلفظ واعجاب المرء بنفسه وزاد البيهقى من الخيلاء

(بيان معنى الجاه وحقيقته)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا) وعليهما قيامها ومدارها (ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغنى هو الذى يملك الدراهم والدنانير أى يقدر عليهما) ويتمكن منهما (ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد) أى الى تحصيلها لنفسه (و) كذا (قضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس) من الامور الدنيوية فان التوصل اليها متوقف على القدرة على الدراهم والدنانير (فكذلك ذو الجاه هو الذى يملك قلوب الناس أى يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها فى) قضاء (أغراضه و) حصول (ما آربه وكما انه يكتسب المال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك تكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات) فهى جارية مجرى الحرف والصناعات (ولا تصير القلوب مسخرة) أى منقادة (الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده) فكلما قوى الكمال قوى الاعتقاد فقوى الانقياد (وليس يشترط أن يكون الوصف) القائم بذلك الشخص (كمالا فى نفسه) أى ذاته (بل يكفى أن يكون الوصف كمالا عنده وفى اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا ويذعن قلبه للموصوف به قياما ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال القلب وأحوال القلب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها) فما اعتقده القلب أو تخيله كمالا لزمه الانقياد لا محالة هب ان ذلك الكمال نقص فى نفسه أو بالنسبة للغير اذ الوصف الواحد قد يتصف بالكمال والنقص بالنسبة الى الاشخاص (وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم) واستمالتهم (بل الرق الذى يطلبه صاحب الجاه أعظم) من رق المال (الا ان المالك يملك العبد قهرا) عن نفسه (والعبد متأب) أى ممتنع (بطبعه) لا يريد استرقاقه (ولو خلى) أى ترك ورأيه (انسل من الطاعة) وخرج عنها (وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغى) أى يطلب (أن تكون الاحرار له عبيدا بالطبع والطوع) من غير قهر والجاء (مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه) هو (فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزلة فى قلوب الناس أى اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقد من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء) وهو المبالغة فى المدح (فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثنى عليه) ويبالغ (وكالخدمة) بين يديه (والاعانة) من مهماته الضرورية (فانه لا يبخل ببذل نفسه فى طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبيد فى أغراضه)

وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه في القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما بعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شئ مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محله في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى أعلم *(بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة)* اعلم أن السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر أنواع الاموال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي أن يكون أحب من المال كما

يقتضي أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو أنك تعلم أن الدراهم والدنانير لا غرض في أعيانهما اذ لا تصلح لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس وانما هي والحصباء بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لانهما وسيلة الى جميع المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال ولملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه * الاول أن التوصل بالجاه الى المال أيسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم أو الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال وأما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله وأراد أن يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذا الجاه آلة ووسيلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه أحب * الثاني هو أن المال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرق اليه أخطار كثيرة وأما القلوب اذا ملكت فلا تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدي النهاب والغصاب وأثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم

بل أكثر (وكالايثار) بان يؤثره على نفسه وعلى غيره (وترك المنازعة) له في الامور (والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام) والمثول بين يديه حتى يشير له بالجلوس (وتسليم الصدر) وهو أرفع المواضع (في المحافل) العامة والخاصة (والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلوب ومعنى قيام الجاه في القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما بعلم أو بعبادة) أو بهما جميعا وهو أقوى (أو حسن خلق) في العشرة (أو نسب) كان يكون له اتصال بالبضعة الطاهرة (أو ولاية) وهي الصلاح المعنوي (أو جمال في صورة) ظاهرة (أو قوة في بدن أو شئ مما يعتقده الناس كمالا) عندهم (فان هذه الاوصاف) كلها بمجموعها وافرادها (تعظم محله في القلوب فيكون سببا لقيام الجاه)

(بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر أنواع المال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي أن يكون أحب من المال كما يقتضي أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في أعيانهما) أي ذواتهما (اذ لا تصلح) أبدا (لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس وانما هي والحصى) المرمي في الطرق (بمثابة واحدة) أي بمنزلة واحدة (ولكنهما محبوبة لانهما وسيلة الى جميع المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى سائر أغراضه) ومهماته (فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال ولمالك القلوب ترجيح على مالك المال من ثلاثة أوجه الاول ان التوصل بالجاه الى المال أيسر) واسهل (من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم أو الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب) وصار معتقدا (لو قصد اكتساب المال يتيسر له) باهون سبب (فان أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة) أي مصروفة (لمن اعتقدت فيه الكمال وأما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا) كثر ماله باكتساب أو ارث أو (وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله وأراد أن يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذا الجاه آلة ووسيلة للمال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه أحب) ولذلك أوصى الحكماء باتخاذ الجاه دون المال (الثاني هو ان المال معرض للبلوى والتلف بان يسرق) وينتهب (ويغصب) ويختلس (ويطمع فيه الملوك والظلمة) المتسلطون (ويحتاج فيه الى الحفظة والحراس) يحفظونه ويحرسونه من السراق (و) يحتاج فيه أيضا الى (الخزائن) والصناديق (وتتطرق اليه أخطار كثيرة) ومصائب جمة (واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة) محفوظة (لا يقدر عليها السراق ولا يتناولها أيدي الغصاب) والظلمة الجائرين (واثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم)

ولا يستغني عن المراقبة والحفظ وأما خزائن القلوب فهي محفوظة محروسة بأنفسها وذوا الجاه في أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله الثالث أن ملك القلوب يسري وينمي ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا أذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل أو غيره أفصحت الالسنة لامحالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب أيضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين وأما المال فمن ملك منه شيأ فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة والجاه أبدا في النماء بنفسه ولا مرد لوقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي أن يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم أو كالمبتلى بمرض أو بعقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال أو جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الاموال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى أقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطؤها ولا يشاهد أصحابها ليعظموه أو ليبروه بمال أو ليعينوه على غرض من أغراضه ومع اليأس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن أن ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب وله سببان أحدهما جلي تدركه الكافة والآخر خفي وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون * فاما السبب الاول فهو دفع ألم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفيا في الحال فانه

كما هو مشاهد (ولا يستغني عن المراقبة والحفظ وأما خزائن القلوب فهي محفوظة محروسة بانفسها) لا تحتاج الى المراقبة (وذو الجاه في أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريف) أي بالافساد (وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله الثالث ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب) ومشقة (ومقاساة) أهوال (فان القلوب اذا أذعنت لشخص واعتقد كماله بعلم أو عمل أو غيره أفصحت الالسنة لامحالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب أيضا له) وهذا معنى السريان (ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت) والشهرة (وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار) وانتشر في الآفاق (اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له فرد معين) يقف عليه (وأما المال فمن ملك منه شيأ فهو مالكه فقط ولا يقدر على استنمائه) أي ازدياده (الا بتعب) شديد (ومقاساة) خطوب (والجاه أبدا في النماء بنفسه ولا مرد لوقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء) والذكر الجميل (استحقرت الاموال في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال قائم في الجاه والمال جميعا فلا ينبغي أن يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى المطعم والملبس والمسكن) فهذا القدر لا يستغنى عنه (أو كالمبتلى بمرض أو بعقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة من نفسه الا بمال أو جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع المال وكثرة الكنوز) ودفن الدفائن (وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان له واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا) كما ورد ذلك في الخبر وتقدم ذكره قريبا (وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى أقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه قط لا يطؤها) ولا يراها (ولا يشاهد أصحابها ليعظموه أو ليبروه بمالهم أو ليعينوه على غرض من اغراضه ومع اليأس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع) مركوز فيه (ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب وله سببان أحدهما جلي) ظاهر (يدركه الكافة) من الناس (والآخر خفي وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن افهام الاذكياء) النجباء (فضلا عن الاغبياء) البلداء (وذلك لاستمداده من عرق خفي) دساس (في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون) في بحار الحقائق (فاما السبب الاول) الجلي (فهو دفع ألم الخوف لان الشفيق) على نفسه أي الخائف (بسوء الظن مولع) أي أبدا يسيء ظنه (والانسان وان كان مكفيا في الحال) عنده ما يكفيه (فانه

طويل الامل ويخطر بباله أن المال الذى فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان أصابت هذا المال جائحة فهو أبدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان أصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى أن يملك جميع ما فى الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منهومان

لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد فى حبه قيام المنزلة والجاه فى قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن أو يزعج أولئك عن أوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه فى قلوبهم لما فيه من الامن من هذا الخوف * وأما السبب الثانى وهو الاقوى أن الروح أمر ربانى به وصفه الله تعالى اذ قال سبحانه ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ومعنى كونه ربانيا انه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة فى اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها فهو فان لما فيه من الامر الربانى يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الالهية فصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة فى الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس فى انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصا فى حقها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه موجود سواه

طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذى فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف من قلبه الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان أصابت هذا المال جائحة) أى آفة (فهو أبدا لشفقته على نفسه) أى خوفه عليها (وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات) أى طروقها فجاة (ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع به خوفه وهو كثرة المال حتى اذا أصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال ولذلك لم يكن لمثله موقف الى أن يملك جميع ما فى الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال) رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ورواه البزار والطبرانى فى الاوسط من حديث ابن عباس وقد تقدم وقد روى هذا الكلام أيضا لعلى رضى الله عنه ذكره صاحب نهج البلاغة (ومثل هذه العلة تطرد فى حبه قيام المنزلة والجاه فى قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه) أى يقلقه (عن الوطن أو يزعج أولئك عن أوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه فى قلوبهم لما فيه من الامن من هذا الخوف وأما السبب الثانى) الخفى (وهو الاقوى ان الروح أمر ربانى به وصفه الله تعالى اذ قال ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ومعنى كونه ربانيا انه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة فى اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم) كما رواه البخارى من حديث ابن مسعود وقد تقدم وحيث أمسك صلى الله عليه وسلم عن الاخبار عن الروح وماهيته باذن الله تعالى ووحيه وهو صلى الله عليه وسلم معدن العلم وينبوع الحكمة كيف يسوغ لغيره الخوض فيه والاشارة لا جرم لما تقاضت النفس الانسانية المتطلعة الى الفضول المتشرفة الى المعقول المتحركة بوضعها الى كل ما أمرت فيه بالسكوت والمثورة بحرصها الى كل تحقيق وكل تمويه تاهت فى التيه وتنوعت آراؤها فيه ولم يوجد الاختلاف بين أرباب النقل والعقل فى شئ كالاختلاف فى ماهية الروح ولو لزمت النفوس حدها معترفة بعجزها كان ذلك أجدر بها وأولى (ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع) فان من شأن البهائم كذلك (والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء) فان من شأن السباع كذلك (والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء) فان من شأن الشياطين كذلك (والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر) والقهر (وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من أصول مختلفة) من ماء وطين لازب وصلصال ونفار (يطول شرح تفصيلها فهو لما) الخ (فيه من الامر الربانى يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من نعوت الالهية وصار محبوبا بالطبع) لا ينفك (والكمال فى التفرد بالوجود فان المشاركة فى الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس فى انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى كان ذلك نقصانا فى حقها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه موجود سواه

فان ماسواه أثر من آثار قدرته لاقوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة فى الرتبة والمساواة فى الرتبة نقصان فى الكمال بل الكامل من لا نظير له فى رتبته وكان اشراق نور الشمس فى أقطار الآفاق ليس نقصانا فى الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تساويها فى الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما فى العالم يرجع الى اشراق أنوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا فاذا معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفى باطنه ما صرح به فرعون من قوله أنا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التى أومأ اليها قوله تعالى (٢٤٣) قل الروح من أمر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهى محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذى هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال بعد ان يسلم التفرد بالوجود فى الاستيلاء على كل الموجودات فان أكمل الكمال أن يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به الا أن الاستيلاء على الشئ بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فأحب الانسان أن يكون له استيلاء على كل الاشياء الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغيير فى نفسه كذات الله تعالى وصفاته والى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولى عليه قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالارض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتأثير والتغيير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة والسموات أحب الانسان أن يستولى على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على أسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ

فان ماسواه أثر من آثار قدرته لاقوام له بذاته بل هو قائم به) اذ هو واجب الوجود لذاته وما سواه ممكن الوجود والوجود عارض له (فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة فى الرتبة والمساواة فى الرتبة نقصان فى الكمال بل الكمال ممن لا نظير له) وفى بعض النسخ والكامل من لا نظير له (فى رتبته وكان اشراق نور الشمس فى اقطار الآفاق) وجوانبها ليس نقصانا فى الشمس بل هو من جملة كمالها اذ هو راجع اليه (وانما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تساويها فى الرتبة مع الاستغناء فكذلك كل ما فى العالم يرجع الى اشراق أنوار القدرة) الباهرة (فيكون تابعا ولا يكون متبعا فاذا معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المتفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفى باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا) وربما يستأنس لهذا القول بما رواه ابن لال فى مكارم الاخلاق من حديث جابر الجبروت فى القلب وما اشتهر على الالسنة من كلامهم الظلم كمين فى النفس العجز يخفيه والقدرة تبديه (وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التى أوما) أى أشار (اليها قوله تعالى قل الروح من أمر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهى محبة للكمال) أبدا (ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذى هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته وانما الكلام بعد ان يسلم التفرد بالوجود فى الاستيلاء) والغلبة (على كل الموجودات فان أكمل الكمال) الى غاية درجاته (ان يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال) بالاضافة الى الاول (وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ بها الا ان الاستيلاء على الشئ يكون بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك) أى منقادا لك (تردده كيف تشاء فاحب الانسان ان يكون له الاستيلاء على الاشياء الموجودة معه (الا ان الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغير فى نفسه) أى ذاته (كذات الله تعالى وصفاته) فانها لا تقبل تغيرا أصلا (والى ما يقبل التغير) فى نفسه (ولكن لا تستولى عليه قدرة الخلق كالافلاك والكواكب) المركوزة فيها (وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشاطين وكالجبال والبحار) فانها قابلة للتغيير ولكن لا استيلاء لقدرة الخلق على تغيرها عن هيآتها الموجودة فيها (والى ما يقبل التغير بقدرة العبد كالارض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها تقبل التأثير والتغيير كاجسادهم وأجساد سائر الحيوان فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر عليه كذات الله والملائكة والسموات أحب الانسان أن يستولى على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ

المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولى عليه فلذلك أحب ان يعرف الله تعالى والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها الان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهى اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهى ان يعرف اللعب به وانه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة فى الهندسة أو الشعبذة أو جر الثقيل أو غيره وهو مستشعر فى نفسه بعض العجز والقصور عنه ولكنه اشتاق الى معرفة كيفيته فهو متألم ببعض العجز متلذذ بكمال العلم ان علمه وأما القسم الثانى وهو الارضيات التى يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهى قسمان أجساد وأرواح أما الاجساد فهى الدراهم والدنانير والامتعة فيجب أن يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك أحب الاموال وان كان لا يحتاج اليها فى ملبسه ومطعمه وفى شهوات نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الاشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف فى أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا لها ويقوم القهر منزلته فيها فان الحشمة القهرية أيضا لذيذة لما فيها من القدرة * القسم الثانى نفوس الآدميين وقلوبهم وهى أنفس ما على وجه الارض فهو يحب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب انما تتسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الربانى من جملة معانى الانسان وهو الذى لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والساعى اليه فاذا معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخرت له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من أوصاف الربوبية فاذا محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات ومادام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان فاذا مطلوب القلوب الكمال والكمال بالعلم والقدرة

المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولى عليه فلذلك أحب أن يعرف الله والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وعجائب البحار والجبال وغيرها الان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهى اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج) وهى اللعبة المعروفة فارسى معرب وأصله صدرنك أى مائة حيلة وواضعها صصصة بن داهر حكيم من حكماء الهند لملك من ملوكهم (فانه قد يشتهى ان يعرف اللعب به وانه كيف وضع) ولماذا وضع (وكمن يرى صنعة عجيبة فى الهندسة) علم معروف وأصله أندازه ومعناه تقدير مجارى القنى (أو الشعبذة) وهى الحيل (أو جر الثقيل) وهو علم معروف من الهندسة (أو غيره وهو مستشعر فى نفسه نقص العجز والقصور عنه لكنه يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متألم بنقص العجز وملتذ بكمال العلم ان علمه وأما القسم الثانى وهى الارضيات التى يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهى قسمان أجساد وأرواح أما الاجساد فهى الدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك) نوع تصرف فيها وهو (قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك أحب الاموال وان كان لا يحتاج اليها فى مطعمه وملبسه وفى شهوات نفسه وكذلك طالب استرقاق العبيد واستعباد أشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف فى أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا لها وتقوم منزلته بها فان الحشمة القهرية أيضا لذيذة لما فيها من القدرة) والتمكن كيف شاء (القسم الثانى نفوس الآدميين وقلوبهم وهى أنفس ما على وجه الارض فهو يحب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة) جارية (تحت اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب انما تتسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب) ومرغوب اليه (لان الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الربانى من جملة معانى الانسان وهو الذى لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله عز وجل والساعى اليه فاذا معنى الجاه تسخر القلوب) وتذللها وانقيادها (ومن تسخرت القلوب له كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من أوصاف الربوبية فاذا محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات ومادام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان) منهوم المال ومنهوم العلم وقد تقدم قريبا (فاذا مطلوب القلب الكمال والكمال) انما يتم (بالعلم والقدرة

وتفاوت

وتفاوت الدرجات فيه غير محصور وفسرور كل انسان ولذته بقدر مايدركه من الكمال فهذا هو السبب فى كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو أمر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم مالا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم فى جميع العجائب والمشكلات لان فى العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذى هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا أن فى حب كمال العلم والقدرة مغاليط لابد من بيانها ان شاء الله تعالى

(بيان الكمال الحقيقى والكمال الوهمى الذى لاحقيقة له)

قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا فى العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقى فيه ملتبس بالكمال الوهمى وبيانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه * أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب الى الله تعالى * الثانى من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله تعالى بأتم أنواع الكشف على ما هى عليه فلذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم فى تفاصيل صفات المعلوم كان أقرب الى الله تعالى * الثالث من حيث بقاء العلم أبد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان أقرب الى الله تعالى

والمعلومات قسمان متغيرات وأزليات * (أما المتغيرات) فمثالها العلم بكون زيد فى الدار فانه علم له معلوم ولكنه يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه فى الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدت اعتقادا موافقا وتصور أن ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك نقصانا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة أرض وبعدد البلاد وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ وسائر ما يذكر فى المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التى هى اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه

وتفاوت الدرجات فيه غير محصور وفسرور كل انسان ولذته بقدر مايدركه من الكمال فهذا هو السبب فى كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو أمر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم مالا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم فى جميع العجائب والمشكلات لان فى العلم استيلاء على المعلوم) وهو الاحاطة بجزئياته (وهو نوع من الكمال الذى هو نوع من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا أن فى حب كمال العلم والقدرة أغاليط) جمع أغلوطة وهى ما يوقع الانسان فى غلط (فلابد من بيانها ان شاء الله)

(بيان الكمال الحقيقى والكمال الوهمى الذى لاحقيقة له)

(قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا فى العلم والقدرة لكن الكمال الحقيقى فيه ملتبس بالكمال الوهمى وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه أحدها من حيث كثرة المعلومات) كلياتها وجزئياتها لا ساحل لبحر معلوماته بل تنفد البحار لو كانت مدادا لكلمات ربى (فكذلك كلما كانت علوم العبد أكثر) وأوسع كان (أقرب الى الله عز وجل) أعنى قربا بالمرتبة والدرجة لا بالمكان (والثانى من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به) أى على حقيقته (وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات) مع سعتها (مكشوفات لله تعالى بأتم أنواع الكشف على ما هى عليها فكذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن) بالادلة والبراهين ثم بالكشف الالهى (وأصدق وأوفق للمعلوم فى تفاصيل صفات المعلوم كان أقرب الى الله تعالى) بالمرتبة والدرجة (والثالث من حيث بقاء العلم أبد الآباد من حيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق ولا يتصور) فيه (أن يتغير ولا يزول فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان أقرب الى الله تعالى) بالمرتبة والدرجة وقد عرف حظ العبد من وصف العلم فى هذه الوجوه الثلاثة ولكن يفارق علمه علم الله تعالى فى خواص ثلاثة احداها فى المعلومات فى كثرتها فان معلومات العبد وان كثرت واتسعت فهى محصورة فى قلبه فانى تناسب ما لا نهاية له والثانية ان كشفت فلا تبلغ الغاية التى لا يمكن وراءها والثالث ان علم الله بالاشياء غير مستفاد بالاشياء بل الاشياء مستفادة منه وعلم العبد بالاشياء تابع الاشياء وحاصل بها (والمعلومات) بأسرها (قسمان متغيرات وأزليات اما المتغيرات فمثالها العلم بكون زيد فى الدار) مثلا (فانه علم له معلوم ولكن يتصور) فى الذهن (ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه فى الدار كما كان) أولا (فينقلب جهلا) اذ خالف المعلوم (فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدت اعتقادا موافقا وتصورت أن ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك نقصانا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل من الجبال ومساحة أرض) أى ذرعها (وتعدد البلاد وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ وسائر ما يذكر فى المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التى هى اصطلاحات) ومواضعات (تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه

علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب * (القسم الثاني) * هو المعلومات الازلية وهو جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات أزلية أبدية اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا فكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته و يجوز في أفعاله فالعلم بالله تعالى و بصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت السموات والارض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى و يبقى كمالا للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين أيديهم و بأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا أي تكون هذه المعرفة رأس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فانه يجوز أن يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك لنور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذا لا سعادة الا في معرفة الله تعالى وأما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة له أصلا كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرهما ومنها ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى قد أفلح من زكاها وقال عز و جل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة لله تعالى وانما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله و ينطوي فيه جميع المعارف المحيطة

علوم معلوماتها مثل الزئبق) وهو الذي يشبه الفضة لكنه يترجرج يستخرج من المعادن ومن حجاراتها بالنار (يتغير من حال الى حال) ولا يثبت على حالة واحدة (فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب والقسم الثاني هي المعلومات الازلية وهي جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات أبدية أزلية اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله تعالى وما يجب له وما يستحيل في صفاته و يجوز في أفعاله فالعلم بالله و بصفاته وافعاله وحكمته) الكائنة (في ملكوت السموات والارض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به) أي بهذا العلم (هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى) قرب مرتبة ودرجة (و يبقى كمالا للنفس بعد الموت) أي بعد مفارقة الروح البدن (فتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين أيديهم و بأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا أي تكون هذه المعارف رأس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فانه يجوز أن يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام) فذلك السراج الخفي هو المعرفة المشار اليها (ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له في ذلك) أي في الاقتباس وزيادة الانكشاف (فمن ليس له أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى) في يوم القيامة (كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) لشدة رسوخه بها كما اخرج من ظلمة وقع في أخرى (بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) والمراد بها قلوب الكفار فان النور يراد للهداية فالمصروف عن طريق الهدى باطل وظلمة بل أشد من الظلمة لان الظلمة لا تهدي الى الباطل كما لا تهدي الى الحق وعقول الكفار انتكست وكذلك سائر ادراكاتهم وتعاونت على الضلال فمثالهم هذا والبحر اللجي هو الدنيا والموج الاول موج الشهوات والثاني موج الصفات السبعية والسحاب الاعتقادات الخبيثة فكل ذلك حاجب عن معرفة الاشياء القريبة فضلا عن البعيدة فضلا عن معرفة الله تعالى (فاذا لا سعادة) ولا كمال (الا في معرفة الله تعالى) ولها سبيلان أحدهما السبيل الحقيقي وذلك مسدود الا في حق الله تعالى فلا يتشرئب أحد بملاحظته الا تدهش والثاني معرفة الاسماء والصفات وفيه تتفاوت مراتب العارفين (وأما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة له أصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب) جاهليتها واسلامها (وغيرهما) أما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح فلا يترتب عليه فائدة دينية وأما الانساب فالعلم بها علم لا ينفع وجهالة لا تضر و يتصور ترتب الفوائد في كل من العلمين في الدين لكن بوسائط بعيدة (ومنها ما له فائدة تؤدي الى معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار) النبوية (فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد في استعداد النفس) وتهيئتها (لقبول) أنوار (الهداية الى معرفة الله) كما هي (كما قال تعالى قد أفلح من زكاها) أي طهرها من شوائب الشرك (وقال تعالى والذين جاهدوا فينا) أي جاهدوا أنفسهم باماتتها عن الرذائل لاجلنا (لنهدينهم سبلنا) أي طريق معرفتنا بالهداية ثمرة المجاهدة كما تقدم (فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله وانما الكمال معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله و ينطوي فيه جميع المعارف

المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من أفعاله فمن عرفها من حيث هى فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهى من تكملة معرفة الله تعالى هـذا حكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لائقا باحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال * وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقى للعبد بل للعبد علم حقيقى وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته فهى حادثة باحداث الله كما ذكرناه فى كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفى مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله تعالى فاما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهى وسيلة له الى كمال العلم كسلامة أطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشى وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج فى استيفاء هـذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والمشرب والملبس والمسكن وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة جلال الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التى تنقضى على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل فالخلق أكثرهم هالكون فى غمرة هـذا الجهل فانهم يظنون أن القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى أعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقى الذى يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية أما العلم فما ذكرناه من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذى هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض أبعد كان الى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومنزلته عند الله أعظم

المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من أفعاله فمن عرفها من حيث هى فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهى من تكملة معرفة الله تعالى) وكل معرفة خارجة عن ذلك فليس فيها كبير شرف وايضا فان شرف كل علم بشرف معلومه وأشرف المعلومات هو الله تعالى فلذلك كانت معرفته أشرف المعارف ويليه ما هو تكملة لها هـذا حكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لائقا باحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال (وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقى للعبد بل للعبد علم حقيقى) بالنسبة الى غيره من أوصاف الكمال (وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى) وهو القادر المطلق الذى يخترع كل موجود اختراعا ينفرد به ويستغنى فيه عن معاونة غيره وأما العبد فله قدرة على الجملة ولكنها ناقصة اذ لا تتناول الا بعض الممكنات ولا تصلح للاختراع (وما يحدث من الاشياء عقيب قدرته وارادته وحركته فهى حادثة باحداث الله تعالى كما ذكرناه فى كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفى مواضع شتى من ربع المنجيات) كما سيأتى ذلك ان شاء الله تعالى (فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله عز وجل فاما كمال القدرة فلا) أى ليس كذلك (نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهى وسيلة له الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش وقوة رجليه للمشى و) قوة (حواسه للادراك فان هذه القوى آلة له يتوصل بها الى حقيقة كمال العلم) فيكون كماله بهذه الاضافة (وقد يحتاج فى استبقاء هذه القوى الى القدرة بالمال وبالجاه للتوصل به الى المطعم والمشرب والملبس والمسكن وذلك الى قدر معلوم) وحد محدود (فان لم يستعمله فى الوصول الى معرفة الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التى تنقضى على القرب) ويمحو أثرها (ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل) وأخطأ طريق الصواب (والخلق كلهم هالكون فى غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال) وقد وطنوا أنفسهم بذلك الظن (فلما اعتقدوا ذلك أحبوه) ومالوا اليه (ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقى الذى يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته) المقربين عنده (وهو العلم والحرية أما العلم فما ذكرناه من معرفة الله تعالى) وانها أشرف المعلومات مطلقا (وأما الحرية فالخلاص من أسر الشهوة وغموم الدنيا) واحزانها (والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فاذا رفع أثر الغضب والشهوة عن النفس من الكمال الذى هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله سبحانه استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التأثر والتغير بالعوارض أبعد كان الى الله أقرب وبالملائكة أشبه ومنزلته عند الله أعظم) وبيانه ان الموجودات كاملة وناقصة والكامل أشرف من الناقص ومهما تفاوتت درجات الكمال واقتصر منتهى الكمال على واحد حتى لم يكن الكمال المطلق الا له ولم يكن للموجودات الاخر كمال مطلق بل كانت لها كمالات متفاوتة باضافة فاكملها أقرب لامحالة الى الذى له الكمال المطلق ثم ان الموجودات اما حية أو ميتة والحى أشرف وأكمل من الميت ودرجات الاحياء ثلاث درجات درجة الملائكة ودرجة الانس ودرجة البهائم فاما درجة البهائم فهى أسفل فى نفس الحياة التى بها شرفها وفى ادراكها ناقص وأما درجة الملائكة فهى أعلى الدرجات لانهم مقدسون عن الشهوة والغضب وداعية الى أمر أجل من ذلك وهو طلب القرب الى الله تعالى وأما الانسان فدرجة متوسطة

وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده فى أقسام الكمال لان حقيقته ترجع الى عدم ونقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها والهلاك نقص فى الذات وفى صفات الكمال فاذا الكمالات ثلاثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا ككمال العلم وكمال الحرية وأعنى به عدم العبودية للشهوات وارادة الأسباب الدنيوية وكمال القدرة للعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على أعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا ينعدمان بالموت بل يبقيان كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذى لا يسلم وان سلم فلا بقاء له وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذى اذا حصل كان أبديا لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا فالعلم والحرية هى الباقيات الصالحات التى تبقى كمالا فى النفس والمال والجاه هو الذى ينقضى على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الآية وقال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الى قوله فأصبح هشيما تذروه الرياح وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل مالا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظنى لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل واليه أشار أبو الطيب بقوله

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

الاقدر البلغة منهما الى الكمال الحقيقى اللهم اجعلنا ممن وفقته للخير وهديته بلطفك

(بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم) مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الاموال فانه عرض من (اغراض

بينهما والاغلب عليه فى بداية أمره البهيمية الى ان يشرف عليه بالآخر نور العقل المتصرف فى ملكوت السموات والارض ويظهر فيه الرغبة فى طلب الكمال فيعصى مقتضى الغضب والشهوة حتى يضعفا عن تحريكه وتسكينه فيأخذ بذلك شبها من الملائكة وكذلك ان فطم نفسه عن الجمود والخيالات وأنس بالادراك أخذ شبها آخر من الملائكة فان خاصية الحياة الادراك والعقل والبهما يتطرق النقص والتوسط والكمال ومهما اقتدى بالملائكة فى هاتين الخاصيتين كان أبعد من البهيمية وأقرب من الملائكة والملك قريب من الله تعالى والقريب من القريب قريب (وهذا) أى كونه أبعد عن التغير والتأثر (كمال ثابت سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده فى أقسام الكمال لان حقيقته ترجع الى عدم ونقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها والهلاك نقص فى الذات ونقص فى صفات الكمال) للذات (فاذا الكمالات ثلاثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات) وعدم التأثر بها (وعدم الانقياد لها كمالا ككمال العلم وكمال الحرية ونعنى به عدم العبودية للشهوات والارادة للاسباب الدنيوية وكمال القدرة وللعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب طريق القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال) بالملك والتصرف (وعلى استسخار القلوب) بحسن الاعتقاد (والابدان) بالقهر أو بالاحسان (تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا ينعدمان بالموت بل يبقيان كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان) الذين سلبوا أبصارهم (فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذى لا يسلم وان سلم فلا بقاء له) بل ينعدم قريبا (وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذى اذا حصل كان أبديا) ثابتا (لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون) أى لا ينظر اليهم نظر رحمة أو لا ينظر اليهم أصلا لحقارتهم (وهم الذين لم يفقهوا) وفى نسخة لم يفهموا (قول الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا) وخير أملا (فالعلم والحرية هى الباقيات الصالحات التى تبقى كمالا فى النفس) تهيئها للقرب من الملأ الاعلى (والمال والجاه هو الذى ينقضى على القرب وهو كما مثل الله تعالى حيث قال انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الآية وقال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) كماء أنزلناه من السماء (الى قوله) فأصبح هشيما أى يابسا متحطما (تذروه الرياح فكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل مالا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال كمال ظنى) وهمى (لا أصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل واليه أشار أبو الطيب) أحمد بن الحسين المتنبى (بقوله

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر)

(الاقدر البلغة منهما الى الكمال الحقيقى) فانه مقصود لكن بالذات والله أعلم

(بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم)

(مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الاموال فانه غرض من) جملة

أغراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يتزود منه للآخرة وكما أنه لابد من أدنى مال لضرورة المطعم والمشرب والملبس فلابد من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه واستاذ يرشده وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا أن التحقيق في هذا يفضي الى أن لا يكون المال والجاه بأعيانهما محبوبين له بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان أن يكون له في داره بيت ماء لانه مضطر اليه لقضاء حاجته ويود أن لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس محبا لبيت الماء فكل ما يراد للتوصل به الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل اليه وتدرك التفرقة بمثال آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الانسان زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول وكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوسل بهما الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي فان قلت طلبه المنزلة والجاه في قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيفما كان أو يباح الى حد مخصوص على وجه مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلاثة أوجه

(اغراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة للآخرة) أي بمنزلة المزرعة التي يحصد منها للتزود للآخرة (فكل ما خلق الله في الدنيا فيمكن ان يتزود منه للآخرة وكما انه لابد من أدنى مال لضرورة المطعم والمشرب والملبس فلابد من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله) لقوام بدنه (فيجوز ان يحب الطعام) ضرورة (و) كذا (المال الذي يبتاع) أي يشترى (به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه) في حاجاته الضرورية (ورفيق يعينه على اموره وسلطان يحرسه) بمنعته (ويدفع عنه ظلم الاشرار) وكيد الفجار (فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة) ويبعثه عليها (ليس بمذموم و) كذا (حبه لان يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم) أيضا (و) يلتحق بذلك (حبه لان يكون له في قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده) الى طريق الحق (وتعليمه والعناية به ليس بمذموم) أيضا (و) كذا (حبه لان يكون له من المحل في قلب سلطانه) المتولي أمور السياسة (ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه) من خارج (ليس بمذموم) أيضا (فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي الى ان لا يكون المال والجاه في أعيانهما محبوبين بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان أن يكون له في داره بيت ماء) وهو موضع قضاء الحاجة (لانه يضطر اليه) لا محالة (لقضاء حاجته) ولا يستغني عنه (ويود) انه (لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس يحب بيت الماء فكل ما يراد للتوصل به الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل اليه وتدرك التفرقة) في ذلك (بمثال آخر وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة) المتحصلة من آثار الطعام (كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام) وهو الكيموس (ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته) ولا يحبها أصلا (كما انه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به) أصلا (و) لكنه (قد يحب زوجته لذاتها) لجمالها وحسن اخلاقها (حب العشاق) ولا يتصور في ذهنه قضاء وطر الشهوة منها (ولو كفي الشهوة) من أصلها (لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا الحب دون الاول فكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوصل الى مهمات البدن) الضرورية (غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورات البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية) من المعاصي (وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور) شرعي (وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة) دينية (فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي) قريبا (فان قلت طلب الجاه والمنزلة في قلوب) كل من (استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره) هل هو (مباح على الاطلاق كيفما كان أو يباح على حد مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلاثة أوجه

وجهان منها مباحان ووجه محظور أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوي أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لانه كذب وتلبيس اما بالقول أو بالمعاملة * وأما أحد المباحين فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرب تعالى اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فانه طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه * والثاني أن يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية

من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفى عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يلقى اليه أنه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس اذ يخيل اليه أنه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يتملك مال غيره بتلبيس في عوض أو في غيره فلا يجوز له أن يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب أعظم من ملك الاموال * (بيان السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع اليه وبغضها للذم ونفرتها منه) * اعلم ان لحب المدح والتذاذ وان القلب به أربعة أسباب * (السبب الاول) * وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا أن الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة أبيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة

وجهان منها مباحان ووجه منها محظور (أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها) أي غير متصف بها (مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوي) أي من أولاد علي أو حسني أو حسيني أو فاطمي أو عباسي أو غير ذلك من الانساب المشهورة (أو عالم أو ورع ولا يكون) في نفس الامر كذلك فهذا حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول بان ينطق بلسانه ويصرح به (واما بالمعاملة) فيتزيا بهيئة العلماء الجارية عوائدهم بها في كل عصر وبلاد أو بهيئة الزهاد أو يجعل على رأسه من الخضرة ما يشير للناس انه علوي وكذا كل من زعم فيه انه عالم أو ورع أو علوي وهو يعرف انه ليس كذلك فسكت على زعمه فيه فهو كالمقر له على ذلك وهو أيضا حرام بل يجب عليه ان يقول لست بعالم لست بورع لست بعلوي (وأما المباح فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها) لغرض صحيح (كقول يوسف عليه السلام) لعزيز مصر (اجعلني على خزائن الارض) أي ولني أمرها والارض أرض مصر (اني حفيظ) لها عمن لا يستحقها (عليم) بوجوه التصرف فيها (فانه) عليه السلام (طلب منزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه) اذ رأى انه يستعمله في أمره لا محالة فأراد أن يرى ما يعم فوائده فقال ما قال (وكان صادقا فيه) متصفا بالحفظ والعلم وقيل حفيظ على ما استودعت عليم كاتب حاسب (والثاني أن يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم ولا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح) على نفسه كما لا يجوز على غيره (فهذا ليس فيه تلبيس) على باطل (بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفى عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله اني ورع تلبيس) بلا شك (وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب) فقط (ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده) ويراه بعين الكمال لكونه خاشعا (فان ذلك رياء وهو ملبس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله) عز وجل (وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا) أو خاشعا (فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال من غير فرق) بينهما (وكما لا يجوز له أن يتملك مال غيره بتلبيس في عوض أو غيره فلا يجوز له أن يتملك قلبه بتزوير) وتلبيس (وخداع) وحيل (فان ملك القلوب أعظم من ملك الاموال) ويؤثر فيها الخداع أكثر منها في الاموال

(بيان السبب في حب المدح والثناء)

(وارتياح النفس به وميل الطباع اليه وبغضها الذم ونفرتها عنه اعلم) وفقك الله تعالى (ان لحب المدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب السبب الاول) منها (وهو الاقوى) وفي نسخة وهو أقواها (شعور النفس بالكمال) أي تشعر بانها كاملة (فانا) قد (بينا) آنفا (ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت طربا وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه أقل ولكنه لا يخلو عن لذة) ما (كثنائه عليه بانه طويل القامة) تام القد (أبيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة

وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع أو بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا فى كمال حسنه وفى كمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير فى هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره أورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لايجازف فى القول الاعن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه فى غاية اللذة وان صدر ممن يجازف فى الكلام أولا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم أيضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الالم اذا صدر (٢٥١) الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه فى المدح *(السبب الثانى)* أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المادح ممن لايؤبه له ولا يقدر على شئ فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل المدح الاعلى قدرة قاصرة وبهذه العلة أيضا يكره الذم ويتألم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته أعظم لان الفائت به أعظم *(السبب الثالث)* أن ثناء المثنى ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا مختص بثناء يقع على الملا فلاجرم كلما كان الجمع أكثر والمثنى أجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح ألذ والذم أشد على النفس *(السبب الرابع)* أن المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء على الممدوح اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة أيضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد فى الباطن مامدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلاجرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فتكون لذة ثناء القوى الممتنع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع فى مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة بها أما العلة الاولى وهى استشعار الكمال فتندفع بان يعلم الممدوح أنه غير صادق فى قوله كما اذا مدح بانه نسيب أو سخى أو عالم بعلم أو متورع عن المحظورات وهو يعلم من

وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه أعظم وأقوى كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع أو بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا فى كمال حسنه وكمال علمه وورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يكون مستيقنا بكونه عديم النظير فى هذه الامور) المذكورة (اذ تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره أورثه ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال) له (فتعظم لذته) وارتياحه (وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها) عارف بانواعها مميز لجيدها من رديها (لا يجازف فى القول الاعن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة) الفهم ووفور (الفضل فانه فى غاية اللذة) والارتياح (وان صدر ممن يجزف) وفى نسخة يجازف (فى الكلام أولا يكون بصيرا فى ذلك الوصف ضعفت اللذة) وقل الارتياح (وبهذه العلة يبغض الذم أيضا ويكرهه لانه يشعر بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مؤلم) للطبع (ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه فى المدح السبب الثانى ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته) مطيع له فى سائر أحواله (وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته) ويطول باعه (وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر) وأرباب الاموال (ويضعف مهما كان المادح ممن لايؤبه له) ولا يشار اليه (ولا يقدر على شئ فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر حقير) ليس له قدر (فلا يدل المدح الاعلى قدرة قاصرة وبهذه العلة أيضا يكره الذم ويتألم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته أعظم لان الفائت به أعظم السبب الثالث ان ثناء المثنى ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه) وتعقد عليه الخناصر (وهذا مختص بثناء يقع على الملا) أى الجماعة من أشراف القوم (فلاجرم كلما كان الجمع أكثر والمثنى أجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح ألذ والذم أشد على النفس السبب الرابع ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع) أى من عند نفسه غير مقهور عليه (واما عن قهر فان الحشمة أيضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد فى الباطن مامدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلاجرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فتكون لذة ثناء القوى الممتنع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع فى مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفترق) فلا توجد الا بعضها (فتنقص اللذة بها أما العلة الاولى وهى استشعار الكمال فتندفع بان يعلم الممدوح) المثنى عليه (انه) أى المادح (غير صادق) فى قوله (فى مدحه كما اذا مدح بانه نسيب) أى ذو نسب عال (أو سخى) أى كريم يجود بالاموال (أو عالم بعلم أو متورع عن المحظورات) الشرعية (وهو يعلم من

نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التى سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله و يعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلا لذة لفوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وانما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض والله الموفق بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مصطفى

(بيان علاج حب الجاه)

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراآة لاجلهم ولا يزال فى أقواله وأفعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق وأصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل فى العبادات والمراآة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال عليه السلام انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل وكل من طلب المنزلة فى قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه اذا من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذى لاجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوى الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغى أن يترك به الدين الذى هو الحياة الابدية التى لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقى والكمال الوهمى كما سبق صغر الجاه فى عينه الا ان ذلك انما يصغر فى عين من ينظر الى الآخرة كأنه يشاهدها و يستحقر العاجلة و يستهون

نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التى سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله و يعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف) وقهر (بل كان بطريق اللعب والمزاح بطلت اللذات كلها فلم تكن فيها أصلا لذة لفوات الاسباب الثلاثة) المذكورة (فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وانما ذكرناه) بالتفصيل المتقدم (ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة) والثناء (وخوف المذمة) وكراهتها (فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته) ولا يتيسر (اذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض) وكشف ما خفى منها والله الموفق بكرمه

(بيان علاج حب الجاه)

(اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق) فى أحوالهم (مشغوفا بالتودد اليهم والمراياة لاجلهم) أى اظهار الرياء (ولا يزال فى أقواله وافعاله واعماله متلفتا الى ما يعظم منزلته عندهم) و يرتفع مقامه وقدره لديهم (وذلك بذر النفاق) الذى يتولد منه (وأصل الفساد) الذى ينشأ عليه (ويجر ذلك لا محالة الى التساهل فى العبادات والمراآة بها والى اقتحام المحظورات) وارتكابها (للتوصل الى اقتناص القلوب) وتسخيرها (ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين) كما فى حديث اسامة بن زيد عند الطبرانى فى الصغير وفى الكبير من حديث ابن عباس وفى بعض الروايات وصفهما بعاديين كما فى حديث عاصم بن عدى عند الطبرانى فى الاوسط وفى أخرى وصفهما بجائعين كما فى حديث كعب بن مالك عند أحمد والترمذى وقد تقدم قريبا (وقال) أيضا (انه ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل) أى العشب كما رواه الديلمى من حديث أبى هريرة بلفظ حب الغنى ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب وقد تقدم أيضا (اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل وكل من طلب المنزلة فى قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم) لا محالة (والى التظاهر بخصال حميدة) أى يظهرها من نفسه بتكلف (هو خال عنها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه اذا من المهلكات فيجب علاجه وازالته من القلب فانه طبع جبل القلب عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو ان يعلم السبب الذى لاجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم) بملكها (وقد بينا) أيضا (ان ذلك) لا يصفو و(ان صفا وسلم) من الكدر (فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات) التى تستمر الى ما بعد الموت (بل لو) فرض انه (سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب) ودانوا لك (فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له) غالبا (و يكون حالك كحال من مات قبلك من ذوى الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغى أن يترك به الدين الذى هو الحياة الابدية التى لا انقطاع لها) بعد الموت (ومن فهم الكمال الحقيقى والكمال الوهمى كما سبق) ذكره قريبا (صغر الجاه فى عينه الا ان ذلك انما يصغر فى عين من ينظر الى الآخرة فكأنه يشاهدها) من وراء ستر رقيق (و يستحقر العاجلة)

ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حين كتب الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه
الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب في جوابه أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن
وكأنك بالآخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا أن العاقبة للمتقين فاستحقروا المال والجاه في
الدنيا وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى بل تؤثرون

الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى وقال عز وجل كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حده فينبغي أن تعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو أن يتفكر في الاخطار التي تستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من أن تتغير منزلته في القلوب والقلوب أشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على أمواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الاعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي أن تعالج البصيرة الضعيفة وأما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلا يلتفت الى الدنيا فهذا هو

العلاج من حيث العلم * وأما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة أفعال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتفارقه لذة
القبول ويأنس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا أنفسهم
من أعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم
على محظور لاجل ذلك بل له أن يفعل من

ويستهون أمرها (ويكون الموت كالحاصل عنده) حالا (ويكون حاله كحال الحسن البصري) رحمه الله تعالى (حيث كتب الى عمر بن عبد العزيز) أخي عبد الملك وهو يومئذ خليفة (أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك عمر بن عبد العزيز حيث كتب في جوابه أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل) وهذا الكتاب وجوابه أخرجهما أبو نعيم في الحلية وقد تقدم ذكرهما في كتاب ذم الدنيا (فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين فاستحقروا المال والجاه في الدنيا) واليه أشار القائل

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا * أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

(وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب) لقصورها (ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى وقال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) الى غيرها من الآيات (فمن هذا حده فينبغي ان تعالج قلبه في حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو أن يتفكر في الاخطار) أي الامور العظيمة (التي تستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا) أي يصابون بها (فان كل ذي جاه محسود) بين الناس (ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من أن تتغير منزلته في القلوب والقلوب أشد تغيرا) وانقلابا (من القدر في غليانها) كما ورد ذلك في الخبر وتقدم في كتاب عجائب القلب (وهي مترددة بين الاقبال والاعراض) اما ان تقبل واما ان تعرض (فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي) أي يشابه (ما يبنى على أمواج البحر فانه لا ثبات له) فكذلك ما يبنى على قلوب الخلق لا ثبات له (والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الاعداء كل ذلك غموم عاجلة) وكدورات متواصلة لا ينفك عنها (و) هي (مكدرة للذة الحياة) وفي بعض النسخ الجاه (فلا يفي في الدنيا مرجوها بمخوفها) اذ مخوفها أكثر من مرجوها (فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي ان تعالج البصيرة الضعيفة وأما من نفذت بصيرته) واستنارت (وقوي ايمانه لم يلتفت الى الدنيا) لكمال علمه بأحوالها (فهذا هو العلاج من حيث العلم وأما من حيث العمل فاسقاط الجاه من قلوب الخلق بمباشرة أفعال يلام عليها) ويطعن فيها (حتى يسقط عن أعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويرد الخلق) وما يأتي عنهم (ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو منهج الملامتية) وهم طائفة من الفقراء أساس طريقهم على تحقيق كمال الاخلاص (اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا أنفسهم عن أعين الخلق فيسلموا من آفة الجاه) لان من شأنهم انهم لا يظهرون ما في باطنهم على ظاهرهم ويضعون الامور مواضعها لا تخالف ارادتهم وعلمهم ارادة الحق وعلمه ولا ينفون الاسباب التي في محل يقتضي نفيها وعكسه فان من دفع السبب من موضع اثبته واضعه فقد سفه وجهل قدره ومن اعتمد عليه في موضع نفاه أشرك وألحد وهؤلاء هم الذين جاء في حقهم أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري (وهذا) المسلك (غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين) أي يضعفه (في قلوب المسلمين وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محظور لاجل ذلك بل له أن يفعل من

المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روى أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا ان أرباب الاحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا اصلاح قلوبهم فيه ثم (٢٥٤) يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه وأقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فانه ربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذموه أو نسبوه الى أمر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين بعد أنه محب للجاه والمنزلة ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه أعظم ولا يمكنه أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طمعه عن الناس رأسا أصبح الناس كلهم عنده كالارذال فلا يبالي أكان له منزلة في قلوبهم أم لم يكن كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم

المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روى ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد) ليزوره (فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره) أي بحرص (ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه) اذ كان بلغه صلاحه وانه صائم الدهر (وانصرف) عنه (فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني) وفي بعض النسخ زيادة وأنت لي ذام أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة وهب بن منبه وفيه فاقبل على طعامه يأكله فقال الملك فاين الرجل قيل له هو هذا قال هذا الذي يأكل قالوا نعم قال ما عند هذا من خير فادبر فقال الرجل الحمد لله الذي صرفك عني بما صرفك به وسيأتي ذلك قريبا للمصنف (ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن انه يشرب الخمر فيسقط) مقامه (عن الاعين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه) فان الفقه لا يرى ذلك جائزا ويفتي بحرمة فعله لاجل التشبيه بالمحرمات (الا أن ارباب الاحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفتي به في الفقه) ولا يجوزه الفقيه (مهما رأوا فيه اصلاح قلوبهم ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبال الناس عليه) فاراد أن يخلع نفسه عن ذلك (فدخل حماما و) لما خرج (لبس ثوب غيره فخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار) وهو الذي يقطع النفقات على غفلة من أهلها (وهجروه) فاستراح من الناس وقد سبق ذكر هذه الحكايات في المقدمة وذكرنا هناك اعتراض ابن الجوزي وابن القيم في اعتراضهما على المصنف في تقرير مثل هذه وامثالها وذكرنا الجواب عنه (وأقوى الطريق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس) جملة (والهجرة الى موضع الخمول) أي موضع يصح له فيه خمول ذكره (فان المعتزل في بيته في البلدة التي هو بها مشهور) ومعروف ومذكور (لا يخلو من حب المنزلة التي تترشح له في القلوب بسبب منزلته فربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور) قد غره الشيطان بذلك بل ربما تكون فتنة هذا أعظم من فتنة الذي هو يخالط الناس (وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها) ولذا كان بعض الشيوخ يقول لا أعرف لانكباب الناس على وجها الا سكوني اعتزالهم في بيتي والا فالذي عندي موجود عند غيري (ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه) من الصلاح والورع والزهد (وذموه أو نسبوه الى أمر غير لائق به جزعت نفسه) لا محالة (وتألمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس) وتزوير (ولا يبالي به) وهذا هو الفارق (وبه يتبين بعد انه محب للجاه والمنزلة) وانه لم يخرج ذلك من قلبه (ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه أعظم) من فتنة المال (ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس) وهذا هو الجاه (فاذا أحرز قوته من كسب يده أو من جهة أخرى وقطع طمعه من الناس رأسا أصبح الناس كلهم عنده كالارذال) أي الاسقاط (فلا يبالي كانت له منزلة في قلوبهم أم لم تكن كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه) متباعدون (في أقصى الشرق) أو الغرب (لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع) عز و(استغنى عن الناس واذا استغنى) عنهم (لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن) أي مقدار (ولا يقطع ذلك الجاه الا بالقناعة) باليسير من الرزق (وقطع الطمع) عما في أيديهم (ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه و) في (مدح الخمول والذل مثل قولهم

المؤمن

المؤمن لا يخلو من ذلة أو قلة أو علة وينظر في أحوال السلف وإيثارهم للذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة رضي الله عنهم أجمعين * (بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم) * اعلم أن أكثر الناس إنما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الذم * (أما السبب الأول) * فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها أم لا فإن كنت متصفا بها فهي إما صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع وإما صفة لا تستحق المدح كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية فإن كانت من الأعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال المتنبي

أشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بعروض الدنيا وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وإن كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي أن لا يفرح بها لأن الخاتمة غير معلومة وهذا إنما يقتضي الفرح لأنه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من سوء الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فإن اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به إنسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذي في أحشائه وما أطيب الروائح التي تفوح منه إذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الأقذار والأنتان ثم يفرح بذلك فكذلك إذا أثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث

المؤمن لا يخلو من ذلة أو قلة) أي من المال (أو علة) وهو قول مشهور على ألسنة الناس ويستأنس له بما رواه ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث أبان عن أنس مرفوعا المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله ونفس تنازعه وشيطان يضله ومما يستعين عليه من الأخبار ما رواه الديلمي عن أبان عن أنس رفعه المؤمن بيته قصب وطعامه كسر وثيابه خلق ورأسه شعث وقلبه خاشع ولا يعدل بالسلامة شيأ (وينظر) مع ذلك (في أحوال السلف) في الكتب المتضمنة لها كالحلية لأبي نعيم (وإيثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة) وتركهم حظوظ الدنيا العاجلة ثم ينظر إنها بأجمعها ستفنى ولا يبقى معه إلى ما بعد الموت فما تأمل الناظر في ذلك إلا وقنع بالدون ورضي باليسير وقطع أثر حب الجاه من قلبه والله الموفق

(بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهية الذم)

(اعلم) وفقك الله تعالى (أن أكثر الخلق إنما هلكوا بخوف مذمة الناس) منهم (وحب مدحهم) من كل لسان (فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء المدح) منهم (وخوفا من الذم) يلحقهم (وذلك) في الحقيقة (من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الذم فأما السبب الأول فهو استشعار الكمال) أي يستشعر كمالا في نفسه (بسبب قول المادح) فيه (فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها هل أنت متصف بها أم لا فإن كنت متصفا فهي إما صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع) مثلا (وإما صفة لا تستحق بها كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية فإن كانت من الأعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذي يصير على القرب هشيما) أي متحطما متكسرا (تذروه الرياح) أي تطيره (وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال) أبو الحسن أحمد بن الحسين (المتنبي) رحمه الله تعالى

(أشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا)

(فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بعرض الدنيا) فإنه متاع زائل (وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وإن كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي أن لا يفرح بها لأن الخاتمة غير معلومة) بل هي مجهولة في علم الله تعالى (وهذا إنما يقتضي الفرح لأنه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق) لم يزل (ففي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا) ويشغله عنه (بل الدنيا) كما تقدم (دار أحزان وغموم) وأنكاد تتوالى (لا دار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح) لك به (فإن اللذة) إنما هي (في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله تعالى لا من مدح المادح والمدح تابع له فلا ينبغي أن يفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا) هذا كله إذا كنت متصفا بما مدحت به (وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجهل) ونهاية الجنون (ومثالك من يهزأ به إنسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذي في أحشائه) أي مطاوي بطنه (وما أطيب الروائح التي تفوح منه إذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه) في الباطن (من الأقذار والأنتان ثم يفرح بها) ولا يدرك الذي يستهزئ به (وكذلك أنت إذا أثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث

باطنك وغوائل سريرتك وأقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التى هى من فضل الله عليك وان كذب فينبغى أن يغمك ذلك ولا تفرح به * (وأما السبب الثانى) * وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة فى القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله وبأن تعلم أن طلبك المنزلة فى قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به * (وأما السبب الثالث) * وهو الحشمة التى اضطرت المادح الى المدح فهو أيضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغى أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لان آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل فى بطنه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب اليك من أن يقال لك بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل وروى فى بعض الاخبار فان صح فهو قاصم للظهور أن رجلا أثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت فمات على ذلك دخل النار وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قصمت ظهره لو سمعك ما أفلح الى يوم القيامة وقال عليه السلام ألا لا تمادحوا واذا رأيتم المادحين فاحثوا فى وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى ان بعض   النار
الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شئ فقال أنت يا أمير المؤمنين خير منى وأعلم فغضب وقال انى لم آمرك بأن تزكينى وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله فغضب وقال انى لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الى بمقتك فأشهدك على مقتك وانما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى فى النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من أهل

باطنك وغوائل سريرتك وأقذار صفتك) مما يجانب الصلاح والتقوى (كان ذلك من غاية الجهل فاذا المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التى هى من فضل الله عليك) ولا يكن فرحك بالمدح (وان كذب) فى مدحه (فينبغى أن يغمك ذلك ولا تفرح وأما السبب الثانى وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا التسخير قلب آخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة فى القلوب وقد سبق وجه معالجته) قريبا (وذلك بقطع الطمع) عنه (وطلب المنزلة عند الله وبان تعلم ان طلبك المنزلة فى قلوب الناس وفرحك بها يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به وأما الثالث وهو الحشمة التى اضطرت المادح الى المدح فهى أيضا ترجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا يستحق الفرح بها بل ينبغى أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف) الصالحين وذلك (لان آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناها فى كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد امكن الشيطان من أن يدخل فى بطنه) هذا اذا فرح بمدح ما ليس فيه وأما اذا فرح بما هو فيه فان اغتر بان ما مدح به هو من فعل نفسه ونسى انه من فضل الله عليه وجد الشيطان أيضا سبيلا لتغريره وتسويله (وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل أنت وكان أحب اليك من أن يقال لك بئس الرجل أنت فانت والله بئس الرجل) وهذا مثل قولهم اذا قال الرجل أنا خير من الكلب فالكلب خير منه (وروى فى بعض الاخبار فان صح) وروده (فهو قاصم للظهور ان رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى بالذى قلت فمات على ذلك دخل النار) قال العراقى لم أجد له أصلا (وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قطعت ظهره ولو سمعك ما أفلح الى يوم القيامة) رواه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى بكرة بلفظ ويحك قطعت عنق أخيك والله لو سمعها ما افلح أبدا اذا اثنى أحدكم على أخيه فليقل ان فلانا ولا أزكى على الله أحدا وقد رواه الشيخان بنحوه وكذا أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن أبى الدنيا فى الصمت وقد تقدم فى آفات اللسان (فلهذا كانت الصحابة) رضوان الله عليهم (على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور به حتى روى ان بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شئ فقال يا أمير المؤمنين أنت خير منى وأعلم فغضب وقال انى لم آمرك أن تزكينى) وقد روى ابن أبى الدنيا عن ابراهيم التيمى رفعه ذبح الرجل أن تزكيه فى وجهه وروى عن عمر بن الخطاب قال المدح ذبح وعن خالد بن معدان قال من مدح اماما أو أحدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه (وقيل لبعض الصحابة لن يزال الناس بخير ما أبقاك الله فغضب وقال انى لاحسبك عراقيا) أى لان أهل العراق منهم المجازفة فى المدح (وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الى بمقتك فاشهدك على مقته) رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت عن أحمد بن بجير حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن أبى سنان عن عبد الله بن أبى الهذيل قال أثنى رجل على رجل من المصلين فى وجهه فقال اللهم ان عبدك فساقه (و) هؤلاء (انما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بأحوالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد عن الله) أى عن رحمته (الملقى فى النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من أهل

النار فما أعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس أمره بيد الخلق ومهما علم أن الارزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه والله الموفق للصواب برحمته *(بيان علاج كراهة الذم) قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه أيضا يفهم منه والقول الوجيز فيه أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال اما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة واما أن يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت واما أن يكون كاذبا فان كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي أن تذمه وتغضب (٢٥٧) عليه وتحقد بسببه بل ينبغي ان تتقلد منته فان من أهدى اليك عيوبك فقد أرشدك الى المهلك حتى تتقيه فينبغي أن تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فانه غاية الجهل وان كان قصده التعنت فانك قد انتفعت بقوله اذ أرشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به أو ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه أو قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك أسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وأنت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت ان يجز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل أيها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي أن تفرح به لان تنبهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الآخرة والانسان انما

يعرفها من قول أعدائه فينبغي ان تغتنمه وأما قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به * الحالة الثالثة أن يفترى عليك بما أنت بريء منه عند الله تعالى فينبغي أن لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة أمور أحدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فاشكر الله تعالى اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت بريء عنه والثاني ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بعيب أنت بريء منه وطهرك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتابك فقد أهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك

النار فما أعظم بجهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح الا بفضل الله وثنائه عليه اذ ليس أمره بيد الخلق) بل المتفضل هو الله تعالى (ومهما علم ان الآجال والارزاق بيد الله قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم) فانهم لا يقلبون حاصلا ولا يقطعون واصلا (وسقط من قلبه حب المدح والثناء واشتغل بما يهمه من أمر دينه) والله الموفق بكرمه

(بيان علاج كراهية الذم)

(قد سبق) قريبا (ان العلة في كراهية الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه أيضا يفهم منه والقول الوجيز) أي المختصر الخالي عن التطويل (فيه ان من ذمك) في شئ من امورك (لا يخلو من ثلاثة أحوال اما أن يكون صادقا فيما قال وقد قصد) في قوله (النصح) لك (والشفقة) عليك (واما أن يكون صادقا) فيما قال (ولكنه قصد الايذاء) لك (والتعنت) أي ايقاعك في العنت وهو المشقة (أو يكون كاذبا) فيما قال (فان كان صادقا وقصده النصح) والشفقة (فلا ينبغي أن تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي ان تتقلد منه منة فان من أهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى) ما هو (المهلك حتى تتقيه) وتتحفظ منه (فينبغي أن تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة) التي هي عابتك (عن نفسك ان قدرت عليها فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فانه غاية الجهل) ونهاية الحمق (وان كان قصده التعنت فانك قد انتفعت بقوله اذ أرشدك الى عيبك ان كنت جاهلا) به (أو ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه أو قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك) ونجاتك (وقد استفدته منه) مجانا (فاشتغل بطلب السعادة) والنجاة (فقد اتيحت لك أسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فهما قصدت الدخول على) حضرة (ملك) أو أمير (وثوبك ملوث) أي ملطخ (بالعذرة) أي النجاسة (وأنت لا تدري فلو دخلت عليه كذلك لخفت أن يحز) أي يقطع (رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة) الكائنة في ثوبك (فقال لك قائل أيها الملوث بالعذرة طهر نفسك) أي ثوبك (فينبغي أن تفرح به لان تنبهك بقوله غنيمة) ومن نبه فما قصر (وجميع مساوي الاخلاق) مما تقدم ذكرها في كتاب رياضة النفس (مهلكة في الآخرة والانسان انما يعرفها من قول أعدائه) وحساده (فينبغي أن يغتنمه فاذا قصد العدو التعنت) معك (فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه) أيها الانسان (بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به) فهاتان الحالتان فيما اذا كان صادقا (والحالة الثالثة أن يفترى عليك بما أنت بريء منه عند الله) وانما نسبك اليه كذبا وزورا (فينبغي أن لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة امور أحدها انك اذا خلوت عن ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر) مما ظهر عليك (فاشكر الله اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بما أنت بريء منه والثاني ان ذلك كفارة لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بعيب أنت بريء منه وطهرك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته) كما تقدم في آفات اللسان (وكل من مدحك فقد قطع ظهرك) كما تقدم في الحديث في الذي اثنى على آخر فقال صلى

فمابالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التى تقربك الى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله وأما الثالث فهو أن المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغى أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم أهلكه بل ينبغى ان تقول اللهم أصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومى اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون لما ان كسروا ثنيته وشجوا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم أحد ودعا ابراهيم بن أدهم لمن شج رأسه بالمغفرة فقيل له فى ذلك فقال علمت انى ماجور بسببه وما نالنى منه الا الخير فلا أرضى أن يكون هو معاقبا بسببى ومما يهوّن عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم أثر ذلك فى قلبك وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه ومادام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح فى قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة فى قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغى ان يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم فى سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا

(بيان اختلاف أحوال الناس فى المدح والذم)

اعلم أن للناس أربعة أحوال بالاضافة الى الذام والمادح *الحالة الاولى أن يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافئه أو يحب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية فى هذا الباب *الحالة الثانية أن يمتعض فى الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ماقبله كمال لا

*الحالة الثالثة وهى أول درجات الكمال أن يستوى عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته أن لا يجد فى نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده أكثر مما يجده فى المادح وان لا يجد فى نفسه زيادة هزة ونشاط فى قضاء حوائج المادح فوق ما يجده فى قضاء حاجة الذام وأن لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه أهون عليه من انقطاع المادح وأن لا يكون موت المادح المطرى له أشد نكاية فى قلبه من موت الذام وان

الله عليه وسلم ويحك قد قطعت عنقه (فمابالك تفرح بقطع الظهر) والعنق (وتحزن بهدايا الحسنات التى تقربك الى الله وأنت تزعم انك تحب القرب من الله وأما الثالث فهو ان المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله عز وجل وأهلك نفسه بافترائه) وكذبه (وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغى أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم اهلكه) اللهم أمته (بل ينبغى أن تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه) اللهم وفقه اللهم اغفرله (اللهم ارحمه) وامثال ذلك (كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم اغفر لقومى اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون اذ ضربوه) وادموا وجهه كما رواه البيهقى فى دلائل النبوة وقد تقدم قال العراقى والحديث فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله حكاية عن نبى من الانبياء حين ضربه قومه (ودعا ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (لمن) سأله عن العمران فاشار به الى المقبرة فغضب عليه وقال أسألك عن العمران وأنت تشير بى الى المقبرة فضربه (وشج رأسه) فدعا له (بالمغفرة فقيل له فى ذلك فقال اعلم انى مأجور بسببه فلا أرضى أن يكون هو معاقبا بسببى) والقصة أخرجها أبو نعيم فى الحلية وقد تقدمت (ومما يهوّن عليك كراهية المذمة قطع الطمع) عن الناس (فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم أثر ذلك فى قلبك) بل ولم يشعر به (وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال ومادام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح فى قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة فى قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين) وترك طريق المتقين (فلا ينبغى ان يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم فى سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا) والله الموفق بكرمه

(بيان اختلاف أحوال الناس فى المدح والذم)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان للناس أربعة أحوال بالاضافة الى الذام والمادح الحالة الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافئه أو يحب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق) فى سائر الازمان لان الطباع قد جبلت على ذلك (وهو غاية درجات المعصية فى هذا الباب الحالة الثانية ان يمتعض فى الباطن) أى يلتوى باطنه بوجع (على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح) فى الباطن (ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان) عن رتبة الكمال (الا انه بالاضافة الى ماقبله كمال الحالة الثالثة وهى أول درجات الكمال ان يستوى عنده ذامه ومادحه أى يكونان على حد سواء فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه) ويقول أنا قد استوى عندى الذام والمادح (ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته) كثيرة منها (ان لا يجد فى) نفسه استثقالا للذام عند تطويله (الجلوس عنده أكثر مما يجده فى المادح و) منها (ان لا يجد فى نفسه زيادة هزة ونشاط فى قضاء حوائج المادح فوق ما يجده فى قضاء حاجة الذام و) منها (ان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه أهون عليه من انقطاع المادح و) منها (ان لا يكون موت المادح المطرى) أى المبالغ (له أشد نكاية فى قلبه من موت الذام و) منها (أن

لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الذام وان لا تكون زلة المادح أخف على قلبه وفى عينه من زلة الذام فهما اخف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن فى قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما وانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم أن فى الناس من ارتكب من كبائر المعاصى أكثر مما ارتكب الذام فى مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذى مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد فى نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما يجد المذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم أو غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم ان الشيطان يخيل اليه أنه من الدين حتى يعتقد على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويخسره فى الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا * الحالة الرابعة وهى الصدق فى العبادة أن يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم أنه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له فى الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته فقد قال صلى الله عليه وسلم راس التواضع أن تكره أن تذكر بالبر والتقوى وقد روى فى بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور أمثالنا ان صح اذ روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية أمثالنا الطمع فى الحالة الثانية وهو أن يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فأما الحالة الثالثة وهى التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم ان طالبنا أنفسنا بعلامة الحالة الثانية فانها لا تفى بها الا نهالا بد

لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الذام و) منها (ان لا يكون زلة المادح أخف على قلبه وفى عينه من زلة الذام) فهذه العلامات التى يمتحن بها نفسه وهى الاصول وما عدا ذلك يرجع اليها (فهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس) لهم والثناء عليهم (مستبطن فى قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون أنفسهم بهذه العلامات) وهو غرور عظيم (وربما شعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول له الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد أطاع الله بمدحتك فكيف تسوى بينهما وانما استثقالك الذام من الدين المحض فهذا) الذى يغره الشيطان (محض التلبيس) منه عليه (فان العابد لو تفكر علم ان فى الناس من ارتكب من كبائر المعاصى أكثر مما ارتكبه الذام فى مذمته) له (ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذى مدحه لا يخلو من مذمة غيره) عند غيره أو عنده (ولا يجد فى نفسه نفرة عنه) ولا استنكارا (لمذمة غيره كما لا يجد المذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم أو غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض) ويتوجع (ثم ان الشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع) لا يفيد شيأ (يفوت عليه الدنيا) لتركه اياها (ويخسر فى الآخرة) لاغتراره بتلبيس الشيطان (وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) فهؤلاء قد خسرت أعمالهم وكثر تعبهم وضل سعيهم فلم يمتعوا نفوسهم بالدنيا لزهدهم عنها ولا أخلصوا فى أعمالهم ليتمتعوا بما فى الآخرة فهم ممن خسر الدنيا والآخرة معا (الحالة الرابعة وهى الصدق فى العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر) دافة للعنق (مضرة له فى الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيوبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته وقد قال صلى الله عليه وسلم رأس التواضع أن يكره أن يذكر بالبر والتقوى) قال العراقى لم أجد له أصلا (وقد روى فى بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح) وروده (اذ روى انه صلى الله عليه وسلم قال ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة) قال العراقى لم أجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث أنس ويل لمن لبس الصوف فخالف فعله قوله ولم يخرجه ولده فى مسنده (وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع فى الحالة الثانية وهو أن يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل وأما الحالة الثالثة وهى التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم ان طالبنا أنفسنا بعلامة الحالة الثانية فما وفت لنا والا لابد) وفى

وأن نتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجاته ونتثاقل على اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولانقدر على أن نسوّي بينهما في الفعل الظاهر كما لانقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والذام في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان ان وجد فانه الكبريت الاحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب أيضا فيها درجات أما الدرجات في المدح فهو أن من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس (٢٦٠) واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة التي قبلها وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض السرور اليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم به ولم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى أن يغضب على المادح وينكر عليه وأقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام وأول درجاته اظهار الغضب وآخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام على ذلك ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذا صار بالمذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يبتلي بفتنة الناس واذا

سقت

بعض النسخ فانا لانفي بها فانا ولا بد (أن نتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجاته ونتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولانقدر أن نسوّي بينهما في الفعل الظاهر كما لانقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة) أي شيخا يقتدى به (في هذا الزمان ان وجد فانه) عزيز جدا مثل (الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى) فهو رابع الغول والعنقاء والخل الوفي (فكيف بما بعده من الرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب فيها درجات) متفاوتة (أما الدرجات في المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيلها بكل ممكن) وفي نسخة بكل ما أمكن (حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات) أي ارتكابها (لاستمالة قلوب الناس) اليه (واستنطاق ألسنتهم بالمدح) له (وهذا من الهالكين) في هوة الضلال (ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا) أي طرف (جرف هار) أي هائر بمعنى ساقط (فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه أن يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا) فمن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه (ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه) من غير علاج منه (فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة) والرياضة (ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من أن يستجره فرط السرور الى الرتبة التي قبلها وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهة وبغض السرور اليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له) فيغلبه (وتارة تكون عليه) فيغلب عليه (ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم به ولكن لا يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص) بسبب عدم اغتمامه (ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى أن يغضب على المادح وينكر عليه وأقصى درجاته أن يكره) المدح (ويغضب) على المادح (ويظهر) من نفسه (الغضب) عليه (وهو صادق فيه لا لمن يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد أن يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس منه) مجانب له (وكذلك بالضد) بان يظهر السرور عند سماع مذمته وقلبه مبغض له (ومن هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام وأول درجاته اظهار الغضب وآخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا ممن في قلبه حنق) محركة أي غيرة (وحقد على نفسه لتمردها عليه) أي عصيانها (ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة) وتخديعاتها (فيبغضها بغض العدو) و يمقتها مقت البغيض (والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام على ذلك) وفي نسخة عليها (ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة له عنده اذ صار بالمذمة أوضع) أي أحقر (في أعين الناس) ساقطا لا يؤبه له (حتى لا يبتلي بفتنة الجاه واذا

سبقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون خير العمر به التى هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره فى هذه الخصلة الواحدة
وهو أن يستوى عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احداها
ولا يقطع شيأ منها الا بالمجاهدة الشديدة فى العمر الطويل

(الشطر الثانى من الكتاب فى طلب الجاه والمنزلة بالعبادات)

وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يرائى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفى وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة فى اظهار الطاعات وبيان الرخصة فى كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد أن يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهى عشرة فصول وبالله التوفيق

(بيان ذم الرياء) اعلم ان الرياء حرام والمرائى عند الله ممقوت وقد شهدت لذلك الآيات والاخبار والآثار *(اما الآيات)* فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله عز وجل والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور قال مجاهد
هم أهل الرياء وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفى كل ارادة سوى وجه الله والرياء
ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا نزل ذلك فيمن يطلب الاجر والحمد بعباداته
وأعماله

سبقت اليه حسنات لم ينصب) أى لم يتعب (فيها فعساه يكون خير العمر به التى هو عاجز عن اماطتها) أى ازالتها (ولو جاهد المريد نفسه طول عمره فى هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوى عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره) من مهمات السلوك (وبينه وبين السعادة) أى الوصول اليها (عقبات كثيرة) صعبة المرتقى ودونها حتوف (وهذه احدى تلك العقبات ولا يقطع شئ منها الا بالمجاهدة الشديدة فى العمر الطويل) ولكن من لاحظته العناية الالهية تيسرت له أسباب قطعها فى الحال وسهل عليه الوصول الى السعادة ولكل عمل رجال والله الموفق بمنه

(الشطر الثانى من الكتاب)

(فى طلب الجاه والمنزلة) فى قلوب الناس (بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يرائى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفى وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة فى اظهار الطاعات وبيان الرخصة فى كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح وبيان ما يجب على المريد ان يلزم قلبه قبل الطاعات وبعدها وهى عشرة فصول على الترتيب المذكور)

(بيان ذم الرياء)

(اعلم) وفقك الله تعالى (أن الرياء حرام والمرائى) وهو المتصف به (عند الله ممقوت) أى مبغوض أشد البغض (وقد شهدت بذلك الآيات والاخبار والآثار اما الآيات فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) أى غافلون غير مبالين بها (الذين هم يراؤن) أى يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليها والقاء جزائية أو سببية (وقوله عز وجل والذين يمكرون السيآت لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور وقال مجاهد هم أهل الرياء وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله) على ارادة القول بلسان الحال أو المقال (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) أى شكرا (فمدح المخلصين) من عباده (بنفى كل ارادة سوى وجه الله تعالى والرياء هو ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه) أى يأمل حسن لقائه وثوابه (فليعمل عملا صالحا) يرتضيه الله (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) بان يرائيه أو يطلب منه أجرا (أنزلت فيمن يطلب الاجر والحمد بعباداته وأعماله) قال العراقى رواه الحاكم من حديث طاوس قال رجل انى أقف الموقف أبتغى وجه الله وأحب ان يرى موطنى فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية هكذا فى نسخة من المستدرك ولعله سقط منه ابن عباس أو أبو هريرة انتهى ووجد بخط الحافظ ابن حجر بازائه : وابن عباس وبخط الكمال الدميرى الساقط من نسخة المصنف أبو هريرة وهو ثابت فى غيرها من النسخ انتهى ما وجدته قلت رواه عبد الرزاق وابن أبى الدنيا فى الاخلاص وابن أبى حاتم والحاكم عن طاوس هكذا ولم يذكروا فيه ابن عباس ولا أبا هريرة ورواه الحاكم أيضا وصححه والبيهقى عن طاوس عن ابن عباس كما ذكره الحافظ ابن حجر وأخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد قال كان من المسلمين من يقاتل وهو يحب ان يرى مكانه فانزل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الآية وأخرج ابن المنذر من طريق ابن جريج عن مجاهد قال قال رجل يارسول الله أعتق وأحب ان يرى وأتصدق وأحب ان يرى فنزلت فمن كان يرجو الآية وأخرج ابن منده وأبو نعيم فى الصحابة وابن عساكر من طريق السدى الصغير عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال كان جندب بن زهير اذا صلى أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له فزاد فى ذلك لمقالة الناس فنزل فى ذلك فمن كان يرجو لقاء ربه الآية ثم قال العراقى للبزار من حديث معاذ بسند ضعيف من صام رياء فقد اشرك الحديث وفيه انه صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية انتهى قلت ورواه من حديث عبد الرحمن بن غنم الاشعرى وهو مختلف فى صحبته انه قال لمعاذ

أنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صام رياء فقد أشرك ومن صلى رياء فقد أشرك ومن تصدق رياء فقد أشرك قال بلى ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فمن كان يرجوا لقاء ربه فشق ذلك على القوم واشتد عليهم فقال الا أخرجها عنكم قالوا بلى يارسول الله فقال هي مثل الآية التى في الروم وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربوا عند الله فمن عمل رياء لم يكتب له ولا عليه (وأما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل يارسول الله فيم النجاة فقال ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس) أغفله العراقى وقرأت فى كتاب الفقيه أبى الليث السمرقندى قال أخبرنا باسناده عن جبلة اليحصبي قال كنا فى غزاة مع عبد الملك بن مروان فصحبنا رجل فسهر لا ينام فى الليل الا أقل فمكثنا أياما لا نعرفه ثم عرفناه بعد ذلك فاذا هو رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما حدثنا ان قائلا من المسلمين قال يارسول الله فيم النجاة غدا قال ان لا تخادع الله قال كيف نخادع الله قال ان تعمل بما أمرك الله وتريد به غير وجه الله الحديث وسيأتى تمامه فيما بعد (وروى عن أبى هريرة) رضى الله عنه (فى حديث الثلاثة المقتول فى سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله أوردناه) بتمامه (فى كتاب الاخلاص) وفيه (فان الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت ان يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع كذبت بل أردت ان يقال فلان قارئ فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم انهم لم يثابوا) بما عملوا (وان رياءهم هو الذى أحبط أعمالهم) رواه مسلم وسيأتى فى كتاب الاخلاص (وقال ابن عمر) رضى الله عنه (قال صلى الله عليه وسلم من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به) قال العراقى متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله وأما حديث ابن عمر فرواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه بلفظ من سمع الناس بعمله سمع الله به مسامع خلقه وحقره وصغره وفى الزهد لابن المبارك ومسند أحمد وابن منيع أنه من حديث عبد الله بن عمرو انتهى قلت حديث جندب أخرجه كذلك ابن أبى شيبة وأحمد وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان والبغوى بلفظ من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به ومن شق شق الله عليه يوم القيامة ورواه بدون الجملة الاخيرة أحمد ومسلم من حديث ابن عباس ومسلم وابن ماجه والبيهقى فى الاسماء والصفات من حديث جندب وأحمد والطبرانى وأبو الشيخ من حديث أبى بكرة وأما حديث ابن عمر فاخرجه كذلك ابن أبى شيبة وهناد فى الزهد وأبو نعيم فى الحلية وروى أحمد وابن أبى شيبة والترمذى وقال حسن غريب وابن ماجه وأبو يعلى من حديث أبى سعيد بلفظ من يرائى يرائى الله به ومن يسمع يسمع الله به (وفى حديث آخر طويل ان الله عز وجل يقول للملائكة ان هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه فى سجين) وهى دركة من دركات جهنم قال مجاهد هى تحت الارض السفلى فيها ارواح الكفار وأعمالهم أعمال السوء قال العراقى رواه ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه ابن أبى الدنيا فى الاخلاص وأبو الشيخ فى كتاب العظمة من رواية ضمرة بن حبيب مرسلا ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات انتهى قلت رواه ابن المبارك عن أبى بكر بن أبى مريم عن ضمرة بن حبيب قال قال صلى الله عليه وسلم ان الملائكة يرفعون عمل عبد من عباد الله فيستكثرونه ويزكونه حتى ينتهوا به الى حيث يشاء الله من سلطانه فيوحى الله اليهم انكم حفظة على عمل عبدى وأنا رقيب على مافى نفسه ان عبدى هذا لم يخلص لى عمله فاكتبوه فى سجين ويصعدون بعمل عبد فيستقلونه ويحتقرونه حتى ينتهوا به الى حيث شاء الله من سلطانه فيوحى الله اليهم انكم حفظة على عمل عبدى وأنا رقيب على مافى نفسه ان عبدى هذا قد أخلص لى عمله فاكتبوه فى عليين فهذا هو الذى أشار اليه المصنف بقوله وفى حديث آخر طويل وأخرج ابن مردويه فى التفسير من حديث جابر بن عبد الله قال حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملك يرفع العمل للعبد يرى ان فى يديه منه سرورا حتى ينتهى الى الميقات الذى وضعه الله فيضع العمل فيه فيناديه الجبار من فوقه ارم بما معك فى سجين فيقول الملك مارجعت اليك الا حقا فيقول صدقت ارم بما معك فى سجين وأخرج

(وأما الاخبار) فقد قال صلى الله عليه وسلم حيث سأله رجل فقال يارسول الله فيم النجاة فقال ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وقال أبو هريرة فى حديث الثلاثة المقتول فى سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله كما أوردناه فى كتاب الاخلاص وان الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت ان يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع كذبت بل أردت ان يقال فلان قارئ فأخبر صلى الله عليه وسلم انهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذى أحبط أعمالهم وقال ابن عمر رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به وفى حديث آخر طويل ان الله تعالى يقول للملائكة ان هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه فى سجين

البزار والبيهقي من حديث أنس رفعه قال تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة في صحف مختمة فيقول الله عز وجل ألقوا هذا واقبلوا هذا وتقول الملائكة يارب والله ما رأينا منه الا خيرا فيقول ان عمله كان لغير وجهي ولا أقبل اليوم من العمل الا ما أريد به وجهي (وقال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء) قال العراقي رواه أحمد والبيهقي في الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية ورجاله ثقات ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج انتهى قلت سياق المصنف هو سياق أحمد والبيهقي وأما سياق حديث الطبراني فلفظه يقال لمن يفعل ذلك اذا جاء الناس بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فاطلبوا ذلك عندهم ورواه ابن مردويه في التفسير من حديث أبي هريرة بنحوه (وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو يارسول الله قال واد في جهنم أعد للقراء المرائين) قال الولي العراقي رواه الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة وضعفه ابن عدي انتهى قلت وكذلك رواه البخاري في التاريخ ولفظهم جميعا تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يارسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة يدخله القراء المراؤن وان من أبغض القراء الى الله الذين يزورون الامراء ورواه البيهقي في الشعب مختصرا وفيه قيل ومن يسكنه قال المراؤن بأعمالهم وقد تقدم في كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأما سياق ابن عدي الذي ضعفه ان في جهنم واديا تستعيذ منه سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين بأعمالهم وان أبغض الخلق الى الله عالم السلطان (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من عمل عملا أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا منه بريء وأنا أغنى الاغنياء عن الشرك) قال العراقي رواه مالك في الموطأ واللفظ له من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا منه بريء ومسلم مع تقديم وتأخير دونها أيضا وهو عند ابن ماجه بسند صحيح اه قلت لفظ مسلم وابن ماجه قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه ورواه ابن جرير في تهذيبه والبزار بلفظه قال الله عز وجل من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو كله له وأنا أغنى الشركاء عن الشرك وعند أحمد ومسلم في رواية وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي بلفظه قال عز وجل انه خير الشركاء فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فانا بريء منه وهو للذي أشرك وأخرج البيهقي من حديث جابر رفعه يقول الله تعالى كل من عمل عملا أراد به غيري فانا منه بريء وأخرج الطيالسي وأحمد وابن مردويه من حديث شداد بن أوس رفعه ان الله يقول أنا خير قسيم لمن أشرك بي من أشرك بي شيأ فان عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به أنا عنه غني وأخرج البزار وابن مردويه والبيهقي من حديث الضحاك بن قيس رفعه يقول الله تعالى أنا خير شريك فمن أشرك معي أحدا فهو لشريكه الحديث (وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن أحدكم رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا أعطت يمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء) اي الصيت الحسن (كما يقسم الرزق) أخرجه أحمد في الزهد من طريق هلال بن يساف وسيأتي مثل ذلك من قول عبد الله بن مسعود (وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عملا فيه مثقال ذرة من رياء) قال العراقي لم أجده هكذا قلت هو من كلام يوسف بن اسباط أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الله بن خبيق قال سمعت يوسف بن اسباط يقول فذكره الا انه قال مثقال حبة بدل ذرة (وقال عمر لمعاذ بن جبل) رضي الله عنهما (حين رآه يبكي) عند القبر (ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان أدنى الرياء شرك) قال العراقي رواه الطبراني هكذا ورواه الحاكم بلفظ ان اليسير من الرياء شرك وقد تقدم قريبا انتهى قلت وتمامه واحب العبيد الى الله الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا شهدوا لم يعرفوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم هكذا

وقال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يارسول الله قال واد في جهنم أعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من عمل عملا أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا منه بريء وأنا أغنى الاغنياء عن الشرك وقال عيسى المسيح صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم واذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عز وجل عملا فيه مثقال ذرة من رياء وقال عمر لمعاذ ابن جبل حين رآه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان أدنى الرياء شرك

رواه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية والحاكم من حديث ابن عمر ومعاذ معا والرواية الثانية التى تقدم ذكرها فى فضيلة الخمول ان اليسير من الرياء شرك وان من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الابرار الاخفياء الاتقياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وهكذا رواه الطبرانى والحاكم من حديث معاذ (وقال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية) رواه ابن المبارك فى الزهد من حديث شداد ابن أوس وقد تقدم الكلام عليه فى أول أحاديث هذا الكتاب (وهى أيضا) أى الشهوة الخفية (ترجع الى خفايا الرياء ودقائقه) وقد روى أحمد وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى فى الحديث المذكور قلت يارسول الله فما الشهوة الخفية فقال يصبح أحدكم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه ويواقع شهوته (وقال صلى الله عليه وسلم ان فى ظل العرش يوم لاظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد ان يخفيها عن شماله) هو متفق عليه من حديث أبى هريرة بنحوه فى حديث سبعة يظلهم الله فى ظله وقد تقدم فى كتاب الزكاة وفى كتاب آداب الصحبة (ولذلك ورد بفضل عمل السر على عمل الجهر سبعين ضعفا) قال العراقى رواه البيهقى فى الشعب من حديث أبى الدرداء ان الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به فى السر يضعف أجره سبعين ضعفا قال البيهقى هذا من افراد بقية عن شيوخه المجهولين وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الاخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف يفضل الذكر الخفى الذى لاتسمعه الحفظة على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين درجة انتهى قلت ورواه كذلك البيهقى فى الشعب من طريقه وضعفه ولفظه سبعين ضعفا وأما حديث أبى الدرداء فتمامه عند البيهقى والديلمى فلا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس ويعلنه فيكتب علانية ويمحى تضعيف أجره كله ثم لا يزال به حتى يذكره للناس الثانية ويحب ان يذكر للناس ويحمد عليه فيمحى من العلانية ويكتب رياء (وقال صلى الله عليه وسلم ان المرائى ينادى يوم القيامة يافاجر ياغادر يامرائى ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا من رواية جبلة اليحصبى عن صحابى لم يسم وزاد يا كافر ياخاسر ولم يقل يامرائى واسناده ضعيف قلت هو فى الحديث الطويل الذى تقدم ذكر أوله أورده أبو الليث السمرقندى باسناده الى جبلة اليحصبى قال كنا فى غزاة مع عبد الملك بن مروان فصحبنا رجل الحديث وفيه واتقوا الرياء فانه الشرك بالله وان المرائى ينادى يوم القيامة على رؤس الخلائق بأربعة أسماء يا كافر يافاجر ياغادر ياخاسر ضل عملك وبطل أجرك فلا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له يامخادع قال فقلت له بالله الذى لااله الا هو أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذى لااله الا هو انى لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يكون قد أخطأت شيأ لم أكن أتعمده ثم قرأ ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم (وقال شداد بن أوس) بن ثابت بن المنذر الخزرجى ابن أخى حسان بن ثابت كنيته أبو يعلى صحابى مات بالشام روى له الجماعة (رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يبكى فقلت ما يبكيك فقال انى تخوفت على أمتى الشرك أما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن بأعمالهم) رواه أحمد وابن ماجه وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى بنحوه وقد تقدم فى أول هذا الكتاب (وقال صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الارض مادت) أى تحركت واضطربت (فخلق الجبال فصيرها أوتادا الارض) أى سكنها بها فكانت شبه الاوتاد (فقال الملائكة ما خلق ربنا خلقا أشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم أمر الله الماء فاطفأ النار وأمر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسأل الله تعالى قالوا يارب ما أشد ما خلقت من خلقك) أى أقوى (فقال تعالى لم أخلق خلقا هو أشد من ابن آدم حين يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله فهو أشد خلق خلقته) قال العراقى رواه الترمذى من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب انتهى قلت ولفظه لما خلق الله الارض جعلت تميد فخلق

وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهى أيضا ترجع الى خفايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم ان فى ظل العرش يوم لاظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد يخفيها عن شماله ولذلك ورد فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا وقال صلى الله عليه وسلم ان المرائى ينادى عليه يوم القيامة يافاجر ياغادر يامرائى ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن أوس رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يبكى فقلت ما يبكيك يارسول الله قال انى تخوفت على أمتى الشرك أما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن بأعمالهم وقال صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الارض مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها أوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو أشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذابت الحديد ثم أمر الله الماء باطفاء النار وأمر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسأل الله تعالى قالوا يارب ما أشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أشد على من قلب ابن آدم حين يتصدق بصدقة بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا أشد خلق خلقته

وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم قال لى يا معاذ قلت لبيك بابى أنت وأمى يا رسول الله قال انى محدثك حديثا ان أنت حفظته نفعك وان أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والارض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح الى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى اذا صعدت به الى السماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرنى ربى أن لاأدع عمل من اغتاب الناس يجاوزنى الى غيرى قال ثم تأتى الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتمر به فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرنى ربى أن لاأدع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان يفتخر به على الناس فى مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرنى ربى أن لاأدع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان يتكبر على الناس فى مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدرى له دوى من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره و بطنه أنا صاحب العجب أمرنى ربى أن لاأدع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان اذا عمل عملا أدخل العجب فى عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة الى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم و يعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم و يقع فيهم أمرنى ربى أن لاأدع عمله يجاوزنى الى غيرى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج

الجبال فالقاها عليها فاستقرت فعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يارب هل فى خلقك شئ أشد من الجبال قال نعم الحديد قالت يارب هل فى خلقك شئ أشد من الحديد قال نعم النار قالت يارب هل فى خلقك شئ أشد من النار قال نعم الماء قالت يارب هل فى خلقك شئ أشد من الماء قال نعم الريح قالت يارب هل فى خلقك شئ أشد من الريح قال نعم ابن آدم يتصدق بيمينه ويخفيها عن شماله وهكذا رواه أيضا أحمد وعبد بن حميد وأبو يعلى والبيهقى وأبو الشيخ فى العظمة والضياء فى المختارة (وروى عبد الله بن المبارك) المروزى تقدمت ترجمته فى كتاب العلم (باسناده عن رجل) لم يسم (انه قال لمعاذ بن جبل) رضى الله عنه (حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى يا معاذ قلت لبيك بابى أنت وأمى يا رسول الله قال انى محدثك حديثا ان أنت حفظته نفعك وان أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ ان الله عز وجل خلق سبعة أملاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة) وهم الكرام الكاتبون (بعمل العبد من حين يصبح الى أن يمسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت به الى السماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك) الموكل بتلك السماء (للحفظة) الصاعدين بذلك العمل (اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرنى ربى أن لاأدع عمل من اغتاب الناس يجاوزنى الى غيرى قال ثم تأتى الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه أراد بعمله هذا عرض الدنيا) أى متاعها (أمرنى ربى أن لاأدع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان يفتخر على الناس فى مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرنى ربى أن لاأدع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان يتكبر على الناس فى مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر) أى يضىء (كما يزهر الكوكب الدرى له دوى من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا ظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرنى ربى أن لاأدع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان اذا عمل عملا ادخل فيه العجب قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به الى السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة الى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من تعلم و يعمل بعمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة و يحسدهم و يقع فيهم أمرنى ربى أن لاأدع عمله يجاوزنى الى غيرى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج

وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر أضر به بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة وزكاة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا به جوارحه اقفلوا به على قلبه انى أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه

أراد بعمله غير الله تعالى انه أراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع والارض ومن فيهن قال معاذ قلت يارسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك نقص يامعاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجالسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال تعالى والناشطات نشطا أتدري من هن يامعاذ قلت ماهن بأبي أنت وأمي يارسول الله قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت بأبي أنت وأمي يارسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يامعاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث (وأما الآثار) فيروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلا يطأطئ رقبته فقال ياصاحب الرقبة ارفع

وعمرة وصيام فيجاوزن به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صيام وصدقة وصلاة ونفقة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك يتجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا به جوارحه واقفلوا به على قلبه أنا أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه أراد بعمله غير الله انه أراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى قال فيقول الله تعالى لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ) رضي الله عنه (قلت يارسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك نقص يامعاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجالسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى والناشطات نشطا أتدري ماهن يامعاذ قلت ماهن بأبي أنت وأمي يارسول الله قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظام قلت بأبي أنت وأمي يارسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يامعاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث) قال العراقي هو كما قال المصنف رواه ابن المبارك بطوله في الزهد له وفي اسناده كما ذكر رجل ورواه ابن الجوزي في الموضوعات انتهى وبخط الكمال الدميري قال الشيخ تقي الدين القشيري الرجل المذكور هو خالد بن معدان انتهى وخالد بن معدان هو أبو عبد الله الكلاعي الشامي ثقة عابد يرسل كثيرا عن معاذ وربما كان بينهما اثنان كما ذكره الحافظ ابن حجر في التهذيب وقال ابن عراق ذكر هذا الحديث الحافظ المنذري في ترغيبه مخرجا من الزهد لابن المبارك وأشار الى بعض الطرق المذكورة وغيرها ثم قال وبالجملة فآثار الوضع ظاهرة عليه في جميع طرقه وألفاظه والله أعلم (وأما الآثار فيروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه رأى رجلا يطأطئ رقبته في الصلاة فقال ياصاحب الرقبة ارفع

رقبتك

وقبلك ليس الخشوع فى الرقاب انما الخشوع فى القلوب ورأى أبو امامة الباهلى رجلا فى المسجد (٢٦٧) يبكى فى سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا فى بيتك وقال على كرم الله وجهه للمرائى ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان فى الناس ويزيد فى العمل اذا أثنى عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن الصامت أقاتل بسيفى فى سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمدة الناس قال لاشئ لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لاشئ لك ثم قال فى الثالثة ان الله يقول أنا أغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال ان أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر فقال له أتحب أن تمقت قال لا قال فاذا عملت لله عملا فأخلصه وقال الضحاك لا يقولن أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقولن هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له اقتص منى فقال لا بل أدعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيأ اما أن تدعها لى فأعرف ذلك أو تدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده فقال فنعم اذن وقال الحسن لقد صحبت أقواما ان كان أحدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان أحدهم ليمر فيرى الاذى فى الطريق فما يمنعه أن ينحيه الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء يا مرائى يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب فخذ أجرك ممن عملت

رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب وانما الخشوع فى القلوب) أورده الاسمعيلى فى مناقبه (ورأى أبو امامة الباهلى) رضى الله عنه (رجلا فى المسجد يبكى فى سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا فى بيتك) أشار بذلك الى انه يخاف عليه من الرياء فاما اذا كان فى جوف بيته فلا يطلع عليه أحد الا الله (وقال على رضى الله عنه للمرائى ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان فى الناس ويزيد فى العمل اذا أثنى عليه وينقص اذا ذم) نقله أبو الليث السمرقندى (وقال رجل لعبادة بن الصامت) الاوسى رضى الله عنه (أقاتل بسيفى فى سبيل الله أريد به وجه الله ومحمدة الناس قال لاشئ لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لاشئ لك ثم قال فى الثانية ان الله تبارك وتعالى يقول أنا أغنى الاغنياء عن الشرك الحديث) وقد روى نحوه مرفوعا من حديث أبى امامة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر ماله فقال صلى الله عليه وسلم لاشئ له فاعادها ثلاث مرات يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشئ له ثم قال ان الله لا يقبل الا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه ورواه أبو داود والنسائى والطبرانى بسند جيد وكذلك روى عن أبى هريرة أن رجلا قال يا رسول الله الرجل يجاهد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضا من الدنيا قال لا أجر له وأعظم الناس هذه فعاد الرجل فقال لا أجر له رواه الحاكم وصححه والبيهقى (وسأل رجل سعيد بن المسيب) رحمه الله تعالى (فقال ان أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر فقال له أتحب أن تمقت قال لا قال فاذا عملت عملا لله فاخلصه وقال الضحاك) بن قيس بن خالد بن وهب الفهرى أبو أنيس الامير المشهور صحابى صغير قتل فى مرج راهط سنة أربع وستين روى له النسائى (لا يقول أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقول هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له) وقد روى ذلك عنه مرفوعا بلفظ يقول الله أنا خير شريك فمن أشرك معى أحدا فهو لشريكه يا أيها الناس اخلصوا الاعمال لله فان الله لا يقبل من الاعمال الا ما خلص اليه ولا تقولوا هذا لله وللرحم فانه للرحم وليس لله منه شئ (وضرب عمر) رضى الله عنه (رجلا بالدرة ثم قال له) عمر (اقتصها منى قال لا بل أدعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيأ اما ان تدعها لى فاعرف ذلك لك أو تدعها لله وحده قال ودعتها لله وحده قال فنعم اذا) أخرجه الذهبى فى نعم السمر من طريق داود بن عمرو الضبى حدثنا ابن أبى قتيبة حدثنا سلامة بن مسيح التميمى قال قال الاحنف ابن قيس قال وفدنا على عمر بفتح عظيم فقال أين نزلتم قلت فى مكان كذا وكذا فقام معنا الى مناخ ركائبنا فجعل يتخللها ببصره ويقول الا اتقيتم الله فى ركابكم أما علمتم ان لها عليكم حقا الا خليتم عنها فاكلت من نبت الارض فقلنا يا أمير المؤمنين انا قدمنا بفتح عظيم فرجع ونحن معه فلقيه رجل فقال يا أمير المؤمنين انطلق معى فاعدنى على فلان فانه ظلمنى فخفق رأسه بالدرة وقال تدعون عمر وهو معرض لكم حتى اذا شغل فى أمر من أمر المسلمين أتيتموه أعدنى أعدنى فانصرف الرجل يتذمر فقال عمر على به فالقى اليه المخفقة فقال اقتد قال لا ولكن أدعها لله ولك قال اما تدعها لله أولى قال أدعها لله قال انصرف ثم جاء يمشى حتى دخل منزله ونحن معه فافتتح الصلاة فصلى ركعتين وجلس فقال يا ابن الخطاب ألست كنت وضيعا فرفعك الله تعالى وكنت ضالا فهداك الله وكنت ذليلا فاعزك الله ثم حملك على رقاب المسلمين فجاءك رجل يستعديك فضربته ما تقول لربك غدا اذا أتيته فجعل يعاتب نفسه معاتبة ظننت انه من خير أهل الارض (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (لقد صحبت أقواما ان كان أحدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان أحدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق فلا يمنعه ان لا ينحيه الا مخافة الشهرة) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (ويقال ان المرائى ينادى يوم القيامة باربعة أسماء يا مرائى يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب فخذ أجرك ممن عملت

له ولا أجرلك عندنا) وهذا قد روى مرفوعا من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يسم بلفظ يافاجر ياغادر ياكافر ياخاسر رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص بسند ضعيف وقد تقدم قريبا (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (كانوا يراؤن بما يعملون وصاروا اليوم يراؤن بما لا يعملون) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال عكرمة) مولى ابن عباس (ان الله يعطي العبد على قدر نيته مالا يعطيه على قدر عمله لان النية لارياء فيها) نقله صاحب القوت (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (المرائي يريد أن يغلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الارديا) جمع ردئ (فلابد لقلوب المؤمنين أن تعرفه) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال قتادة) بن دعامة السدوسي البصري العابد الثقة (اذا راءى العبد يقول الله تبارك وتعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي) أخرجه البيهقي في الشعب (وقال مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (القراء ثلاثة قراء الدنيا وقراء الملوك وقراء الرحمن وان محمد بن واسع من قراء الرحمن) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو عمرو عثمان بن محمد العثماني حدثنا اسمعيل بن علي حدثنا هرون بن حميد حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت مالك بن دينار يقول ان من القراء قراء ذا وجهين اذا لقوا الملوك دخلوا معهم فيما هم فيه واذا لقوا أهل الآخرة دخلوا معهم فيما هم فيه وقراء يكونوا من قراء الرحمن وان محمد بن واسع من قراء الرحمن حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا هرون حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت مالك بن دينار يقول القراء ثلاثة فقارئ للرحمن وقارئ للدنيا وقارئ للملوك فيا هؤلاء محمد بن واسع عندي من قراء الرحمن حدثنا مخلد بن جعفر حدثنا عبد الله بن محمد ابن ناجية حدثنا نصر بن علي قال سمعت سفيان يقول قال مالك بن دينار للامراء قراء وللاغنياء قراء وان محمد بن واسع من قراء الرحمن (وقال محمد بن المبارك) بن يعلى القرشي أبو عبد الله (الصوري) القلانسي العابد نزيل دمشق وشيخ الشام بعد أبي مسهر ذكره ابن حبان في كتاب الثقات قال وكان مولده سنة ١٥٣ ووفاته سنة ٢١٥ روى له الجماعة (أظهر السمت بالليل فانه أشرف من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمتك بالليل لرب العالمين وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (التوقي على العمل أشد من العمل) وهذا قد روى مرفوعا من حديث أبي الدرداء بلفظ ان الاتقاء على العمل أشد من العمل رواه البيهقي بسند ضعيف ونقل نحوه عن أبي بكر الواسطي قال حفظ الطاعة أشد من فعلها لان مثلها مثل الزجاج لا يقبل الجبر (وقال ابن المبارك) عبد الله رحمه الله تعالى (ان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان) أي قلبه متعلق بخراسان (قيل له وكيف ذلك قال يحب أن يذكر انه مجاور بمكة) وهذا بخلاف قول بعضهم قوم بخراسان وقلوبهم بمكة (وقال ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (ما صدق الله من أراد أن يشتهر) أخرجه أبو نعيم في الحلية ومن الآثار قال محمد بن الحنفية كل مالا يبتغى به وجه الله مضمحل أخرجه أبو نعيم في الحلية وقال الربيع ابن خيثم مالم يرد به وجه الله يضمحل أخرجه ابن أبي شيبة وعن أبي العالية قال قال لي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يا أبا العالية لا تعمل لغير الله فيكلك الله الى ما عملت له وقال ابن مسعود من صلى صلاة والناس يرونه فليصل اذا خلا مثلها والا فانما هي استهانة يستهين بها ربه أخرجه ابن أبي شيبة ويأتي ذلك للمصنف في فصل الرياء باوصاف العبادات

(بيان حقيقة الرياء وما يراءى به)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الرياء) بالكسر ممدودا (مشتق من الرؤية) وهي النظر بحاسة البصر وقد راءى الشخص رؤية (والسمعة) بالضم (مشتقة من السماع) وقد سمعه وسمع له سمعا وسماعا والعمل ان كان اظهاره للناس قصدا لان يروه فيظنوا به خيرا أو يسمعوا به خيرا فسمعة فالمقصود في

له فلا أجر لك عندنا وقال الفضيل بن عياض كانوا يراؤن بما يعملون وصاروا اليوم يراؤن بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله يعطي العبد على نيته مالا يعطيه على عمله لان النية لارياء فيها وقال الحسن رضي الله عنه المرائي يريد أن يغلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الارديا فلابد لقلوب المؤمنين أن تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء الملوك وان محمد بن واسع من قراء الرحمن وقال الفضيل من أراد أن ينظر الى مراء فلينظر الي وقال محمد بن المبارك الصوري أظهر السمت بالليل فانه أشرف من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال أبو سليمان التوقي عن العمل أشد من العمل وقال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان فقيل له وكيف ذلك قال يحب أن يذكر أنه مجاور بمكة وقال ابراهيم بن أدهم ما صدق الله من أراد أن يشتهر *(بيان حقيقة الرياء وما يراءى به)* اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع

وانما الرياء أصله طلب المنزلة فى قلوب الناس بايرائهم خصال الخير الا أن الجاه والمنزلة تطلب فى القلب باعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة فى القلوب بالعبادات واظهارها فحد الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله فالمرائى هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة فى قلوبهم والمراءى به هو الخصال التى قصد المرائى اظهارها والرياء هو قصده اظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعه خمسة أقسام وهى مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو البدن والزى والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يراؤن بهذه الاسباب الخمسة الا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات *(القسم الاول الرياء فى الدين بالبدن)* وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرائى بتشعيث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الاسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور فارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعوه النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذى خفض من صوته اوضعف الجوع هو الذى ضعف من قوته وعن هذا قال المسيح عليه السلام اذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك روى عن أبى هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مدهنين فهذه مراآة أهل الدين بالبدن فاما أهل الدنيا فيراؤن باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها *(الثانى الرياء بالهيئة والزى)* أما الهيئة فبتشعيث شعر الرأس وحلق الشارب واطراق الرأس

كل منهما رؤية الخلق وسماعهم غفلة عن الخالق وعماية عنه هذا ما تقتضيه اللغة وقد أشار اليه بقوله (وانما الرياء أصله طلب المنزلة فى قلوب الناس بايرائهم خصال الخير) فيظنوا به خيرا و يكرموه (الا ان الجاه والمنزلة تطلب فى القلب باعمال سوى العبادات و) تارة (تطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة فى القلوب بالعبادات واظهارها) للناس (فحد الرياء هو ارادة المنزلة بطاعة الله عزوجل فالمرائى) على صيغة اسم الفاعل (هو العابد) يرائى الناس بعبادته (والمراءى له) على صيغة اسم المفعول (هم الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة فى قلوبهم والمراءى به هو) اسم (الخصال التى قصد المرائى اظهارها) لهم و(الرياء هو قصده اظهار ذلك) ولا يقع غالبا الا عن غفلة عن الخالق وعمايته عنه (والمراءى به كثير ويجمعه خمسة أقسام هى مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو البدن والزى والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يراؤن بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال) هى (ليست من الطاعات أهون من الرياء بالطاعات) اذ لا يظن به خير الا لاجلها (الاول الرياء فى الدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول) وهو السقم وقد نحل البدن ينحل نحولا ونحل كتعب لغة فيه (والاصفرار) أى فى لون الجسم (ليوهم بذلك شدة الاجتهاد) فى العبادة (وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة) فان من غلب عليه خوفها اصفر لونه ونحل جسمه (وليدل بالنحول على قلة الاكل و بالاصفرار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذا يرائى بتشعيث الشعر) وانتشاره (ليدل به على استغراق الهم بالدين) أى أموره (وعدم الفراغ لتسريح الشعر) ودهنه كما قيل لبشر الحافى الا تسرح لحيتك فقال انى اذا الفارغ (فهذه أسباب متى ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور وارتاحت النفس لمعرفتهم بها وكذلك تدعو النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت) اذا تكلم (واغارة العينين وذبول الشفتين) أى يبسهما (ليستدل بذلك على انه صائم مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذى خفض من صوته وضعف الجوع هو الذى أضعف قوته) أى أوهنها (وعن هذا قال عيسى عليه السلام اذا صام أحدكم فليدهن رأسه ولحيته و يرجل شعره و يكحل عينيه) لئلا يرى الناس انه صائم وقد تقدم قريبا باتم منه (وكذلك روى عن أبى هريرة) رضى الله عنه من قوله (وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود) رضى الله عنه لاصحابه (اصبحوا صياما) جمع صائم (مدهنين) أى لئلا يرى عليكم الصوم وقال ابو نعيم فى الحلية حدثنا احمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن احمد حدثنا محمد بن جعفر الدركانى أخبرنا شريك عن أبى حصين عن يحيى بن وثاب عن مسروق عن عبد الله قال اذا أصبح أحدكم صائما أو قال اذا كان أحدكم صائما فليترجل واذا تصدق صدقة بيمينه فليخفها عن شماله واذا صلى صلاة أو صلى تطوعا فليصل فى داخله (فهذه مراآة أهل الدين بالبدن وأما أهل الدنيا فيراؤن باظهار السمن) فى البدن (وصفاء اللون) وذلك بكثرة المأكل والتأنق بانواعها فانه يوجب ذلك (واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها) وكل ذلك يراؤن به (الثانى الرياء بالزى والهيئة اما الهيئة فتشعيث شعر الرأس وحلق الشارب) بتمامه أو احفائه (واطراق الرأس)

فى المشى والهدء فى الحركة وابقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائى به ليظهر من نفسه أنه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس المرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس من حقائق التصوف فى الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة واسبال الرداء على العينين ليرى به انه قد انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم انه من (٢٧٠) أهل العلم والمراؤن بالزى على طبقات فنهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائى بغلظها ووسخها وقصرها وتخرقها انه غير مكترث بالدنيا ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه أن يقول الناس قد بداله من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب فى الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم أعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية الرقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب أحدهم قيمة ثوب أحد الاغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء ان كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط من أعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الدبيقى والكتان الدقيق الابيض والمقصب المعلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من ان يقول أهل الصلاح قد رغبوا فى زى أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته فى زى مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى مادونه أو الى مافوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة وأما أهل الدنيا فمرا آتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل فى الملبس والمسكن وأثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون فى بيوتهم الثياب

على الارض (فى المشى والهدء فى الحركة وابقاء أثر السجود على الوجه) مما يلحقه من غبار أو غيره (وغلظ الثياب ولبس الصوف) الخشن (وتشميرها) أى الثياب (الى قريب من نصف الساق وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا) أو يرقعه بما ليس من جنسه (كل ذلك يرائى به ليظهر من نفسه انه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين) فى هيأتهم (ومنه لبس المرقعة) وهى ثوب يقطع قطعا ثم يرقع رقعا ثم يخيط بالصوف ويسمى أيضا بالخرقة وهى من لبس الصوفية (والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق) المصبوغة بالنيل أو الصفر المصبوغة بالطين الاحمر كل ذلك (تشبها بالصوفية مع الافلاس عن حقائق التصوف فى الباطن) وعدم السلوك على طريقتهم (ومنه التقنع بالازار فوق العمامة واسبال الرداء على العينين ليرى انه انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامات) فيكرم لذلك (ومنه الدراعة) وهى المسماة بالطرحة (والطيلسان) وهو كساء أسود مربع وكل منهما من زى العلماء (وهو خال من العلم) وانما يفعل ذلك (ليوهم) الناس (انه من أهل العلم والمراؤن بالزى على طبقات فنهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة) الذيل والاكمام (الغليظة) الخشنة (ليرائى بغلظها وقصرها ووسخها وتخرقها) بانه من الزاهدين فى الدنيا (ولو كلف) هذا (أن يلبس ثوبا نظيفا وسطا مما كان يلبسه السلف لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه أن يقول الناس قد بداله رأى من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب فى الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة) وفى نسخة الخلقة (ازدرتهم) أى احتقرتهم (أعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الرقيقة) من المرعزى (والاكسية الرفيعة) الثمن (والمرقعات المصبوغة) بانواع الالوان (والفوط الرفيعة) وفى نسخة الرقيقة (فيلبسونها ولعل قيمة ثيابهم) وفى نسخة قيمة ثوب أحدهم (قيمة ثياب الاغنياء وهيئته ولونه هيئة ثياب الصلحاء فيلتمسون) بذلك (القبول عند الفريقين وهؤلاء لو كلفوا لبس ثوب خشن) من الكرباس الغليظ أو من الصوف (أو) ثوب (وسخ) أو مخرق (لكان عندهم كالذبح) فى الحلق (خوفا من السقوط من أعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس ثوب الدبيقى) منسوب الى دبيق وهى من قرى دمياط قد خربت منذ زمان كان يعمل فيها هذه الثياب المنسوجة بالحرير (والكتان الرقيق الابيض أو) ثوب (القصب المعلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من أن يقول أهل الصلاح قد رغب فى زى أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته فى زى مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى مادونه أو مافوقه وان كان مباحا خوفا من) لحوق (المذمة) اليه (وأما أهل الدنيا فمرا آتهم بالثياب النفيسة) الناعمة (والمراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل فى الملبس والمسكن واثاث البيت) من الفرش المفتخرة (وفره الخيل) أى السمينة الموسومة (و بالثياب المصبغة) بانواع الالوان (والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون فى بيوتهم

الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة مالم يبالغوا فى الزينة *(الثالث الرياء بالقول)* ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال فى المحاورة واظهار الغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر فى محضر الناس والامر بالمعروف والنهى عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس للمعاصى وتضعيف الصوت فى الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروى الحديث ببيان خلل فى لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى أن الحديث صحيح أو غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوّته فى علم الدين والرياء بالقول كثير وأنواعه لا تنحصر وأما أهل الدنيا فمرا آتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح فى العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب على أهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب *(الرابع الرياء بالعمل)* كمرا آة المصلى بطول القيام ومد الظهر وطول السجود والركوع واطراق الرأس وترك الالتفات واظهار الهدء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالاخبات فى المشى عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار فى الكلام حتى ان المرائى قد يسرع فى المشى الى حاجته فاذا اطلع عليه أحد من أهل الدين رجع الى الوقار واطراق الرأس خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا رآه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى أن لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا استحيا من ان تخالف مشيته فى الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة فى الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن أنه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه فانه صار فى خلوته أيضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته فى الخلوة ليكون كذلك فى الملا لا لخوف من الله وحياء منه * وأما أهل الدنيا فمرا آتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة *(الخامس المرا آة بالاصحاب والزائرين)*

الثياب الخشنة) البذلة (ويشتد عليهم لو برزوا للناس فى تلك الثياب مالم يبالغوا فى الزينة) والاصلاح والتسوية (الثالث الرياء بالقول ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير) على رؤس الناس (والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار) النبوية (والآثار) والقصص (لاجل الاستعمال فى المحاورة واظهار الغزارة العلم) وسعته (ودلالة على شدة العناية باحوال السلف الصالح وتحريك الشفتين بالذكر فى محضر الناس والامر بالمعروف والنهى عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف) والحزن (على مقارفة الناس) أى ارتكابهم (للمعاصى) والبدع (واضعاف الصوت) وخفضه (فى الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الحزن والخوف وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والرد على من يروى الحديث ببيان خلل فى لفظه) من جهة الاعراب أو خطأ فى المعنى (ليعرف انه بصير بالاحاديث) خبير بها (والمبادرة الى ان الحديث صحيح أو غير صحيح) أو موضوع أو باطل (لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم) وتجهيله وتسكيته (ليظهر للناس قوّته) ومعرفته (فى علم الدين والرياء بالقول كثير وأنواعه ولا تنحصر وأما أهل الدنيا فمرا آتهم بالقول بحفظ الاشعار) المناسبة للمجالس من دواوين شعر العرب (و) حفظ (الامثال) والنوادر والوقائع (والتفاصح فى العبارات) والتفنن فيها عند المحاورات (وحفظ) مسائل (النحو الغريب للاغراب على أهل الفضل) والتميز عليهم (واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب) اليهم (الرابع الرياء بالعمل كمرا آة المصلى بطول القيام ومد الظهر) زيادة عن العادة (وتطويل السجود والركوع واطراق الرأس وترك الالتفات) يمينا وشمالا (واظهار الهدوّ والسكون) والطمأنينة (وتسوية القدمين واليدين) واصطفافهما (وكذلك) المرا آة (بالصوم والغزو والحج والصدقة واطعام الطعام و) المرا آة (بالاخبات فى المشى عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار فى الكلام حتى ان المرائى قد يسرع فى المشى الى حاجته فاذا اطلع عليه واحد من أهل الدين رجع الى الوقار واطراق الرأس خوفا من أن ينسبه الى العجلة) والخفة (وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته واذا رآه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى أن لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء) فتقوم عليه القيامة بسبب ذلك (ومنهم من اذا سمع هذا استحيا ان تخالف مشيته فى الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة فى الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن انه يتخلص به من) وصمة (الرياء و) لا يدرى انه (قد تضاعف به رياؤه فانه صار فى خلوته أيضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته فى خلوته ليكون كذلك فى الملا) من الناس (لا لخوف من الله وحياء منه وأما أهل الدنيا فمرا آتهم بالتبختر) فى المشى (والاختيال وتحريك اليدين) قصدا (وتقريب الخطا والاخذ باطراف الذيل) من اليمين والشمال (وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة) وعلو المنصب (الخامس المرا آة بالاصحاب والزائرين والمخالطين

كالذي يتكلف أن يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا أو عابدا من العباد ليقال ان أهل الدين يتبركون بزيارته و يترددون اليه أو ملكا من الملوك أو عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراآته تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراؤن وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة في ديره أو صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه و يسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه في أسبابه فانه نوع قدرة وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن أكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤن بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء فان قلت فالرياء حرام المال
أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل فاقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه وكما أن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضا محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال اني حفيظ عليم وكما ان

كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلماء) مشهورا (ليقال ان فلانا قد زار فلانا أو) يستزير (عابدا من العباد) معروفا (ليقال ان أهل الدين يتبركون بزيارته و يترددون اليه أو) يستزير (ملكا من الملوك) أو أميرا من الامراء (أو عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين) فيروج بذلك حاله (وكذلك الذي يكثر ذكر الشيوخ) في مجالسهم (ليرى انه) قد (لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه) و يقول كما قال الفرزدق

أولئك آبائي فجئني بمثلهم * اذا جمعتنا يا جرير المجامع

(فيباهاته ومراآته تترشح عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وأنا لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد) وقطعت الوهاد (وخدمت الشيوخ) وتلقيت عنهم كذا وكذا (وما يجري مجراه) من الدعاوي (فهذا مجامع ما يرائي به المراؤن وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى دير سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل) الناس (الى قلة جبل شاهق مدة مديدة وانما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة في ديره أو صومعته لتشوش قلبه) من تلك النسبة (ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته) من تلك الجريمة (بل يشتد بذلك غمه و يسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قد قطع طمعه في أموالهم) فلا تخطر له ببال (ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه في) بيان (أسبابه فانه نوع قدرة واستيلاء وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن أكثر الناس جهال) غلب عليهم الجهل والغرور (ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته) في القلوب (بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد) البعيدة (لتكثر الرحلة اليه) للاخذ والتلقي (ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك) والوزراء (لتقبل شفاعته عندهم وتنجز الحوائج) للناس (على يديه فيقوم له به جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال) من أي وجه كان (ولو من الاوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤن بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما يقع به الرياء فان قلت فالرياء حرام أو مكروه أو مباح) كل ذلك على الاطلاق (أو فيه تفصيل فاقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات أو بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب محظورات) شرعا (فكذلك الجاه) يمكن تحصيله بمثل تلك الاسباب (وكما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكذلك كسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به من الآفات محمود) ولكن من غير حرص على طلبه ومن غير اغتمام على زواله ان زال بلا ضرر فيه (وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام) من عزيز مصر (حيث قال) له اجعلني على خزائن الارض (اني حفيظ عليم) كما تقدم قريبا (وكما ان

المال فيه سم ناقع ودرياق نافع فكذلك الجاه وكما أن كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد وفتنة الجاه أعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول أيضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها وأما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه أوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس (٢٧٣) مراآة وهو ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يخرج يوما الى الصحابة فكان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت أوتفعل ذلك يارسول الله قال نعم ان الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريه أعينهم فان أعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به أن يحسن نفسه في أعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمرا مباحا اذ للانسان أن يحترز من ألم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنس بهم فاذا المراآة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب بها ولذلك نقول الرجل اذا أنفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخي فهذا مراآة وليس بحرام وكذلك أمثاله أما العبادات كالصدقة والصلاة والصيام والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان احداهما ان لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك و يأثم كما دلت عليه الاخبار والآيات

المال فيه) من وجه (سم ناقع) من وجه (درياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال يلهي) عن الطاعات (ويطغي وينسي ذكر الله تعالى والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد لان فتنة الجاه أعظم من فتنة المال وكما أنا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حمله كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز) شرعا (نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب المال والجاه على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها فاما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام) منك (بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه أوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين) من بعده (ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراآة) لغة (وهو ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم) في المسكن والمركب (والدليل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يخرج يوما على أصحابه فكان ينظر في حب الماء) أي الدن الذي فيه الماء (ويسوي عمامته وشعره فقالت أوتفعل ذلك يارسول الله فقال نعم ان الله يحب من العبد أن يتزين اذا خرج لاخوانه) رواه ابن عدي في الكامل وقد تقدم في كتاب أسرار الطهارة (نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق الى الله تعالى وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر محاسن أحواله لكيلا تزدريه) أي تحتقره (أعينهم لان أعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهي مصلحة شرعية (ولكن لو قصد قاصد به ان يحسن نفسه في أعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قصدا مباحا اذ للانسان الحذر من ألم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استقذروه واستثقلوه لم يأنس بهم فاذا المراآة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب بها ولذلك نقول الرجل اذا أنفق ماله على جماعة من الاغنياء) اطعاما لهم واغداقا عليهم (لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخي) كريم بذول (فهذه مراآة ليست بحرام وكذلك أمثاله وأما) الرياء (بالعبادات كالصدقة والصلاة والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان أحداهما ان لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات) والقصود (وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك و يأثم لما دلت عليه الاخبار والآيات

والمعنى فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من أهل الدين وليس كذلك والتلبيس في أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر * والثاني يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله لملائكته انظروا اليه كيف يستهزئ بي ومثاله (٢٧٤) أن يتمثل بين يدى ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فأى استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراآة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه يظن ان ذلك العبد أقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه أولى بالتقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته وأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كما سيأتى بيانه فى درجات الرياء ان شاء الله تعالى ولا يخلو شئ منه عن اثم غليظ أو خفيف بحسب ما به المراآة ولو لم يكن فى الرياء الا أنه يسجد و يركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه وان لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله ولعمرى لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفى لان المرائى عظم فى قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة أن يسجد

الناس

و يركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقى تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا انه ان قصد تعظيم نفسه فى قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فعن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه وأجله ومصالح حاله وماله أكثر مما يملكه الله تعالى

والمعنى فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من أهل الدين وليس كذلك والتلبيس فى أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس انه متبرع عليهم) أى لوجه الله (ليعتقدوا سخاوته) وكرمه (اثم لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر الثانى يتعلق بالله وهو انه مهما قصد بعبادة الله الناس) وفى نسخة الخلق (فهو مستهزئ بالله عز وجل ولذلك قال قتادة) بن دعامة البصرى رحمه الله (اذا راءى العبد) بعمله (قال الله تبارك وتعالى للملائكة انظروا الى عبدى كيف يستهزئ بي) كما تقدم قريبا (ومثاله) فى الظاهر (ان يتمثل) الرجل (بين يدى ملك من الملوك طول النهار) أى يقف (كما جرت) به (عادة الخدمة) فى وقوفهم (وانما وقوفه لملاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد به عبدا من عبيده فاى استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله مراءاة عبد ضعيف لا يملك ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا انه ظن ان ذلك العبد أقدر على تحصيل اغراضه من الله تعالى وانه أولى بالتقرب اليه من الله تعالى اذ آثره) أى اختاره (على ملك الملوك) جل جلاله (فجعله مقصود عبادته وأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى) السيد المالك (فهذا من كبائر المهلكات ولذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر) قال العراقى رواه أحمد من حديث محمود بن لبيد وقد تقدم ورواه الطبرانى من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج فجعله من مسند رافع وقد تقدم قريبا وللحاكم وصحح اسناده من حديث شداد بن أوس كنا نعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرياء الشرك الاصغر اه قلت حديث شداد بن أوس هذا رواه كذلك ابن أبى الدنيا فى كتاب الاخلاص وابن مردويه فى التفسير والبيهقى فى الشعب ولفظهم كنا نعد الرياء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر وأما لفظ حديث محمود بن لبيد ورافع بن خديج ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر الحديث وقد تقدم وأخرج ابن أبى شيبة من حديث محمود بن لبيد اياكم وشرك السرائر قالوا وما شرك السرائر قال ان يقوم أحدكم يريد صلاته جاهدا لينظر الناس اليه فذلك شرك السرائر ولابن مردويه من حديث أبى هريرة اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء الحديث ورواه أيضا كذلك الاصفهانى فى الترغيب والترهيب (نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كما سيأتى بيانه) قريبا بعد هذا الفصل (فى درجات الرياء ولا يخلو شئ منه عن اثم غليظ أو خفيف بحسب ما به المراآة ولو لم يكن فى الرياء الا انه يركع و يسجد لغير الله لكان فيه كفاية لانه اذا لم يقصد التقريب الى الله تعالى فقد قصد غير الله لعمرى ولو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفى لان المرائى عظم فى قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة أن يركع و يسجد لهم فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود و بقى تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا انه ان قصد تعظيم نفسه فى قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان) بغروره (وأوهم عنده ان العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه وأجله ومصالح حاله وماله أكثر مما يملكه

فلذلك عـدل بوجهه عن الله اليهم وأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى اليهم فى الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف يملكون لغيرهم هذا فى الدنيا فكيف فى يوم لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ بل تقول الانبياء فيه نفسى نفسى فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه بطمعه الكاذب فى الدنيا من الناس فلا ينبغى ان تشك فى ان المرائى بطاعة الله فى سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر وأما اذا قصد الاجر والحمد جميعا فى صدقته أو صلاته فهو الشرك الذى يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه فى كتاب الاخلاص ويدل على مانقلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت انه لا أجر له فيه أصلا

(بيان درجات الرياء)

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات فيه وأركانه ثلاثة المراءى به والمراءى لاجله ونفس قصد الرياء *(الركن الاول)* نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما أن يكون مجردا دون ارادة عبادة الله تعالى والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما أن تكون ارادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لارادة العبادة فتكون الدرجات أربعا * الاولى وهى أغلظها ان لا يكون مراده الثواب أصلا كالذى يصلى بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلى بل ربما يصلى من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أداها فهذه الدرجة العليا من الرياء * الثانية أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان فى الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفى عنه المقت والاثم * الثالثة أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة أو كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فنرجو ان يسلم رأسا برأس لا له ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل

الناس فلذلك عـدل) أى صرف (بوجهه عن الله تعالى اليهم فأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى اليهم فى الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه) ذلك (فان العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا فى الدنيا فكيف فى) الآخرة (يوم لا يجزى والد عن والده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ بل يقول الانبياء) عليهم السلام مع جلالة قدرهم (فيه نفسى نفسى) كما جاء فى حديث الشفاعة الطويل (فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله تعالى ما يرتقبه بطمعه الكاذب فى الدنيا من الناس) فاذا عرفت ذلك (فلا ينبغى ان تشك فى ان المرائى بطاعة الله فى سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فأما اذا قصد الاجر والحمد جميعا فى صدقته وصلاته فهذا الشرك الذى يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه فى كتاب الاخلاص) على ما سيأتى ان شاء الله تعالى (ويدل على مانقلناه من الآثار) فيما تقدم قريبا (من قول سعيد بن المسيب) رحمه الله تعالى (و) من قول (عبادة بن الصامت) رضى الله عنه وغيرهما (انه لا أجر له فيه أصلا) ومثله فى الحديث المرفوع عن أبى امامة وغيره كما قدمنا ذكره قريبا والله الموفق

(بيان درجات الرياء)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان بعض درجات الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات فيه وأركانه ثلاثة المراءى به والمراءى لاجله ونفس قصد الرياء الركن الاول نفس قصد الرياء) ذكره فى السياق آخرا وقدمه فى البيان لشدة الاهتمام به فقال (وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة عبادة الله والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان يكون ارادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لارادة العبادة فتكون الدرجات أربعا) الدرجة (الاولى وهى أغلظها ان لا يكون مراده الثواب أصلا) وهذا (كالذى يصلى بين أظهر الناس) أى فى مشهد منهم (ولو انفرد) بنفسه (لكان لا يصلى بل ربما يصلى من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما اداها فهذه الدرجة العليا الدرجة الثانية ان يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان فى الخلوة لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان قصد الرياء يحمله على ذلك العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفى عنه المقت والاثم) عند الله تعالى (الدرجة الثالثة ان يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة أو كان كل واحد لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فنرجو ان يسلم رأسا برأس لا له ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار) الماضية (تدل

على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص الرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا للنشاط ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذى نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا أغنى الاغنياء عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح *(الركن الثانى)* المراءى به وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء بأوصافها *القسم الاول وهو الاغلظ الرياء بالاصول وهو على ثلاث درجات *الاولى الرياء بأصل الايمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذى يظهر كلمتى الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائى بظاهر الاسلام وهو الذى ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون أى في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها الآية وقال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا الى قول الملحدة أو يعتقد طى بساط الشرع والاحكام ميلا الى أهل الاباحة أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد حالا من الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر

على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص) فيما سيأتى (الدرجة الرابعة ان يكون اطلاع الناس عليه مرجحا ومقويا لنشاطه) وفي نسخة وهو الذى يبعث بالنشاط (ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذى نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار ما قصد من الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب) فيه (وأما قوله تعالى) فيما روى عنه في حديث قدسى (انا أغنى الاغنياء عن الشرك) من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه رواه مسلم وابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ أغنى الشركاء وقد تقدم قريبا (فهو محمول على ما اذا تساوى فيه القصدان) قصد الرياء وقصد الثواب (أو كان قصد الرياء أرجح) والله أعلم (الركن الثانى المراءى به وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء باوصافها القسم الاول وهو الاغلظ الرياء بالاصول وهو على ثلاث درجات الدرجة الاولى الرياء باصل الايمان وهو أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذى يظهر كلمتى الشهادة) بلسانه (وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه مراء بظاهر الاسلام) وقاية لحاله (وهو الذى ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم بالشهادة بقوله (والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون أى في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم) لانهم لم يعتقدوا ذلك ثم قال اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا أى ظاهرا ثم كفروا أى سرا فطبع على قلوبهم أى حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون أى حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته (وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام) أى أشدهم عنادا ولجاجة وخصومة (واذا تولى سعى في الارض) ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل (الآية) الى آخرها (وقال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا) أى بالسنتهم (واذا خلوا) أى انفردوا بانفسهم (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور (وقال تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء لغرض) من الاغراض كحماية النفس والمال والعرض وكالطمع في الدنيا وغير ذلك (وذلك مما يقل في زماننا) بل وقبل زمانه (ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا) انسلالا خفيا (فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة) من أصلها (ميلا الى قول الملحدة) وهم في زمن المصنف عرفوا بالباطنية يدعون ان للقرآن ظاهرا وباطنا وانه يخالف الظاهر وانهم يعلمون الباطن فاحالوا بذلك الشريعة لانهم تأولوا بما يخالف العربية التى نزل بها القرآن (أو يعتقد طى بساط الشرع والاحكام ميلا الى أهل الاباحة) القائلين بسقوط التكليف عن العبد اذا بلغ مقام اليقين (أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء) اذ هو آخر درجاته (وحال هؤلاء أشد من حال الكفار المجاهرين) بالكفر (لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر) أعاذنا الله

* الثانية الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله أن يكون مال الرجل في يد غيره فيأمره باخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه انه لو كان في يده لما أخرجها أو يدخل وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك الصلاة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبر والديه لا عن رغبة ولكن خوفا من الناس أو يغزو أو يحج كذلك فهذا مراء معه أصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محمدتهم أشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن أصل الايمان من حيث الاعتقاد * الثالثة أن لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكنه يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة وطلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض فهذا أيضا عظيم ولكنه دون ماقبله فان الذي قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله وأما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكأنه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء بأصول العبادات * القسم الثاني الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات * الاولى ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل

الله منه بنه (الدرجة الثانية الرياء باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله أن يكون مال الرجل في يد غيره فيأمره باخراج الزكاة خوفا من ذمه) أي ان يلحقه ذم من الناس (والله تعالى يعلم انه لو كان في يديه) وممكنا منه (لما أخرجها) بخلا منه (أو يدخل وقت الصلاة وهو في جمع) من الناس (فيصلي معهم وعادته ترك الصلاة في الخلوة) اذا كان منفردا بنفسه (وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة) مع الناس (ولولا خوفه المذمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبر والديه لا عن رغبة لكن خوفا من الناس أو يغزو أو يحج كذلك) دفعا لشين العار والذم عنه فقط (فهذا مراء معه أصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغير الله لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس) واليه أشار علي رضي الله عنه بقوله للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان مع الناس كما تقدم في الآثار وروى صاحب الحلية من طريق عقيل بن معقل قال سمعت عمي وهب بن منبه يقول ان لكل شئ علامة يعرف بها ويشهد له أو عليه فذكر الحديث وفيه وللمنافق ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان أحد عنده ويحرص في كل أمره على المحمدة (فتكون منزلته عند الخلق) في قلوبهم (أحب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محمدتهم أشد من رغبته في ثواب الله تعالى وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالمقت) من الله تعالى (وان كان غير منسل من أصل الايمان من حيث الاعتقاد الدرجة الثالثة ان لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكن يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي) الله تعالى بتركها (ولكن يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثاره لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنائز وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام) يومي (عرفة وعاشوراء) وصوم (يوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا للمذمة وطلبا للمحمدة) من الناس (ويعلم الله تعالى انه لو خلا بنفسه لما زاد على اداء الفرائض فهذا أيضا عظيم) عند الله تعالى (ولكن هو دون ماقبله فان الذي قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق وهو أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق عنده أعظم من عقاب الله تعالى وأما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكأنه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء باصول العبادات القسم الثاني الرياء باوصاف العبادات لا باصولها وهو أيضا على ثلاث درجات الدرجة الاولى ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات) يمينا وشمالا (وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف بلفظ من صلى صلاة والناس يرونه فليصل اذا خلا مثلها والا فانما هي استهانة يستهين بها ربه

أي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع عليه آدمي أحسن الصلاة ومن جلس بين يدي انسان متربعا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لامحالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلاة في الملأ دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الردىء فاذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لاجل الخلق لا كمالا لعبادة الصوم خوفا من المذمة فهذا أيضا من الرياء المحظور لان فيه تقديما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء بأصول التطوعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والغيبة وانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبيس وليس الامر كذلك فان ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك أكثر وما أنت في هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه فضلا وولاية يتقلدها فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر نعم للمرائي فيه حالتان احداهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية أن يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذمهم وغيبتهم فأستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من ان أترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه أدنى نظر والصحيح ان الواجب عليه أن يحسن ويخلص فان لم تحضره النية فينبغي أن يستمر على عادته في الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمراآة بطاعة الله فان ذلك استهزاء كما سبق * الدرجة الثانية أن يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكاة واعتاق الرقبة الغالية

وأخرجه أيضا عن حذيفة مثله (أي ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع آدمي عليه أحسن الصلاة) وأتمها ركوعا وسجودا وقراءة (ومن جلس بين يدي انسان متربعا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لامحالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلاة في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الردىء فاذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لاجل الخلق لا كمالا لعبادة الصوم بل خوفا من المذمة فهذا أيضا من الرياء المحظور لان فيه تقديما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن) الوقوع في (الغيبة فانهم اذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا ألسنتهم بالذم والغيبة فانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة من الشيطان وتلبيس) وتغرير وخداعات (وليس الامر كذلك فان ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك من غيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكانت شفقتك على نفسك أكثر وما أنت في هذا الا كمن يهدي وصيفة) أي جارية (الى ملك) من الملوك (لينال منه) فضلا و(ولاية يتقلدها فيهديها اليه وهي عوراء) أي معيبة (قبيحة) الصورة (مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض عبيده امتنع خوفا من مذمة غلامه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر نعم للمرائي فيه حالتان احداهما ان يطلب بذلك المنزلة في) القلوب (والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا الثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بغيبتهم وذمهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم) عني (ولا أرجو عليه ثوابا) في الآخرة (فهو خير من ان اترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه أدنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص) في صلاته (فان لم تحضره النية فينبغي ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراآة بطاعة الله تعالى فان ذلك استهزاء كما سبق) من قول قتادة (الدرجة الثانية ان يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة للعبادة كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام) بتطويل القراءة فيه (وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى) مع الامام (وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في) اخراج (الزكاة واعتاق الرقبة الغالية) الثمن

(في

في الكفارة وكل ذلك مما لوخلا بنفسه لكان لا يقدم عليه الثالثة أن يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الاول وتوجهه الى يمين الامام ومايجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لوخلا بنفسه لكان لا يبالي أين وقف ومتى يحرم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائي به وبعضه أشد من بعض والكل مذموم * (الركن الثالث) * المراءى لاجله فان للمرائي مقصودا لامحالة وانما يرائي لادراك مال أو جاه أوغرض من الاغراض لامحالة وله أيضا ثلاث درجات * الاولى وهي أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء أوالاوقاف أوالوصايا أومال الايتام فيأخذها أو يسلم اليه تفرقة (٢٧٩) الزكاة أوالصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يودع الودائع فيأخذها ويجحدها أوتسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها أوكلها أو يتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امرأة أوغلام لاجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان أو يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امرأة أو غلام وهؤلاء أبغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى الفجور بامرأة أوغلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى * الثانية أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة وشريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد اما امرأة بعينها لينكحها أوامرأة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه * الثالثة ان لا يقصد نيل حظ

(في الكفارة وكل ذلك مما لوخلا بنفسه لا يقدم عليه الدرجة الثالثة ان يرائي بزيادات خارجة من نفس النوافل أيضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام ومايجري مجراه وكل ذلك يعلم الله منه انه لوخلا بنفسه لكان لا يبالي أين وقف) ومتى (يحرم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يراءى به وبعضه أشد من بعض والكل مذموم) وصاحبه ممقوت عند الله تعالى والله الموفق (الركن الثالث المراءى لاجله فان للمرائي مقصودا لامحالة فانه لا يرائي الا) وفي نسخة فانما يرائي (لادراك مال أو جاه أوغرض لامحالة وله أيضا ثلاث درجات الدرجة الاولى وهي أشدها وأعظمها ان يكون مقصده التمكن من معصية الله كالذي يرائي بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع من أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالامانة) عندهم (فيولى) منصب (القضاء أوالاوقاف أوالوصايا أومال الايتام فيأخذها أو يسلم اليه تفرقة الزكاة أوالصدقات ليستأثر بما يقدر عليه منها أو يودع) عنده (الودائع فيأخذها أويجحدها أوتسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل) أي يقتطع (بعضها أوكلها أو يتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امرأة أوغلام لاجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان أو يخرج الى الحج ومقصده الظفر بمن في الرفقة من غلام أو امرأة وهؤلاء أبغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة الله سلما لمعصيته واتخذوها آلة وبضاعة ومتجرا لهم في فسقهم) وخبث صنعهم (ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة) لانسان (فاتهمه الناس بها فتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى فجور بامرأة أوغلام فيدفع عنه التهمة بالخشوع واظهار التقوى) حتى لا يظن به ذلك (الدرجة الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة) الصورة (كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد اما امرأة بعينها لينكحها أو امرأة شريفة) في قومها (على الجملة وكذلك يرغب في أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور ولانه طلب بطاعة الله متاع) الحياة (الدنيا ولكنه دون الاولى فان المطلوب بهذا مباح في نفسه الدرجة الثالثة ان لا يقصد نيل حظ

وادراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد و يعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشي و يترك العجلة كيلا يقال انه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار وكذلك ان سبق الى الضحك أو بدا منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن و يقول ما أعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح أو يتهجدون أو يصومون الخميس والاثنين أو يتصدقون فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل و يلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيأ من ذلك (٢٨٠) وكالذي يعطش يوم عرفة أوعاشوراء أوفي الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من أن يعلم الناس انه غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجله أو يدعى الى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بأني صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يرى أنه صائم ثم يرى أنه مخلص ليس بمراء وانه يحترز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد أن يقال انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن أن يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا أو تعريضا بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش و يمنع من الصوم أو يقول أفطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كيلا يظن به أنه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل أن يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة في أن يأكل الانسان من طعامه وقد ألح علي اليوم ولم أجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان أمي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن أني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني أصوم فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء في الباطن أما المخلص فانه لا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وان كان له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له أن في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسيأتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد المهلكات وان من شدته أن فيه شوائب هي أخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر

وادراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والعباد) وفي نسخة بدله والزهاد (و يعتقد انه من جملة العامة) ومن آحاد الناس (كالذي يمشي) في طريق (فيطلع عليه الناس فيحسن المشي) بهيئته (و يترك العجلة) والاسراع (كيلا يقال انه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار) والخشوع (وكذلك يسبق الى الضحك أو يبدو منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار) والحوقلة (وتنفس الصعداء واظهار الحزن) وتغير اللون (و يقول ما أعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله تعالى يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان ينظر اليه لا بعين التوقير) والتعظيم (وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح و يتهجدون أو يصومون الاثنين والخميس أو يتصدقون فيوافقهم) في فعلهم (خيفة ان ينسب الى الكسل و يلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيأ منه وكالذي يعطش في يوم عرفة وعاشوراء أوفي الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع من الاكل لاجلهم أو يدعى الى الطعام فيمتنع) من الاكل (ليظن انه صائم وقد لا يصرح بانه صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يرائي انه صائم ثم يرائي انه مخلص ليس بمراء وانه يحترز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال انه ساتر لعبادته ثم انه ان اضطر الى شرب) ماء (لم يصبر عن ان يذكر لنفسه عذرا تصريحا أو تعريضا بان يتعلل بعرض اقتضى فرط العطش) ولولم يشرب لتضرر (و يمتنع) لاجل ذلك (من الصوم أو يقول افطرت تطييبا لقلب فلان) و يسميه (ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كي لا يظن به انه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذرا في معرض حكاية) يسوقها (مثل ان يقول ان فلانا) و يسميه باسمه (محب للاخوان شديد الرغبة في ان يأكل الانسان من طعامه وقد ألح علي اليوم ولم أجد بدا من تطييب قلبه) فوافقته (ومثل ان يقول ان أمي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني ان أصوم) رعاية لخاطرها (فهذا وما يجري مجراه علامات الرياء ولا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء في الباطن) وتمكنه منه (أما المخلص فلا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم تكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد ان يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وان كانت له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له) بباله (ان في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسيأتي شرح ذلك وشروطه) في الفصل الذي بعده (فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد المهلكات وان من شدته ان فيه شوائب هي أخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر) قال العراقي رواه أحمد والطبراني من حديث أبي موسى

نزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم *(بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل)* اعلم أن الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاه وأخفى منه قليلا هو ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم انه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك ما لا يؤثر (٢٨١) في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء الى العمل لم يمكن أن يعرف الا بالعلامات وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فأظهر عنه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا أن يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد وأخفى من ذلك أن يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا رأى الناس أحب أن يبدؤه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه وان ينشطوا في قضاء حوائجه وان

موسى الاشعري اتقوا هذا الشرك فانه أخفى من دبيب النمل ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه وضعفه هو والدارقطني اهـ قلت حديث أبي موسى أخرجه أيضا ابن أبي شيبة في المصنف ولفظه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال يا أيها الناس اتقوا الشرك فانه أخفى من دبيب النمل فقالوا كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله قال قولوا اللهم انا نعوذ بك ان نشرك بك شيأ نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه ورواه كذلك أحمد والطبراني وأما حديث أبي بكر فلفظه الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شئ اذا فعلته أذهبت عنك صغار الشرك وكباره تقول اللهم اني أعوذ بك ان أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم تقولها ثلاث مرات كل يوم هكذا رواه هناد في الزهد والحكيم في النوادر وأبو يعلى وابن المنذر وابن السني في عمل يوم وليلة وهو حديث حسن وروى الحكيم من حديث ابن عباس الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا وهو في الحلية بلفظ من دبيب الذر (نزل فيه فحول العلماء) العارفين (فضلا عن العباد الجهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب) المستكنة والله الموفق

(بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل) وينشط عليه (ويحمل عليه أولا) لقصد المحمدة (دون قصد الثواب) والاجر (وهو أجلاه وأخفى منه قليلا) هو (ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله تعالى كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا دخل عليه الضيفان) وفي نسخة فاذا نزل عليه ضيف (نشط له) وفي نسخة تنشط له (وخف عليه وعلم انه لولا رجاء ثواب الله لكان لا يصلي بمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب) أي مستقر في باطنه (ومهما لم يؤثر في الدعاء الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات) الدالة عليه (وأجلى علاماته ان يسر) أي يفرح (باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك واذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وانبسط وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة) وخفف عنه ثقلها (وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح منه السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في) قلب (الحجر) الصلد (فاظهر منه اطلاع الخلق أثر السرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي) المدسوس (من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى) أي يطلب (تقاضيا) طلبا (خفيا أي يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض) والتلويح (والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق) باللسان (لا تعريضا ولا تصريحا ولكن بالشمائل) الدالة عليه (كاظهار النحول) أي السقم (والاصفرار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وغلبة النعاس الدال على طول التهجد وآثار الدموع) في العينين (وأخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر) أي لا يفرح (بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا رأى الناس أحب ان يبدؤه بالسلام) عليه والمصافحة (وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه) ويمدحوه (وان ينشطوا) أي يخفوا (في قضاء حوائجه) مهما كانت (وان

يسامحوه فى البيع والشراء وأن يوسعوا له فى المكان فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا فى نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التى أخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس فى حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها فى كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفى من الرياء أخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك أن يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روى عن على كرم الله وجهه انه قال ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة ألم يكن يرخص عليكم السعر ألم تكونوا تبتدؤن بالسلام ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج وفى الحديث لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه انه قال ان رجلا من السواح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف أن نكون قد دخل علينا فى أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الاموال فى أموالهم ان أحدنا اذا لقى أحب أن يعظم لمكان دينه وان سأل حاجة أحب أن تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيأ أحب أن يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب فى موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس فقال السائح ماهذا قيل هذا الملك قد أظلك فقال للغلام ائتنى بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه ويأكل أكلا عنيفا فقال الملك أين صاحبكم فقالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس وفى حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذى صرفك عنى وأنت لى ذام

يسامحوه فى البيع والشراء) مالا يسامح بغيرهم (وان يوسعوا له فى المكان) مهما قدم عليهم (فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا فى نفسه كأن نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التى أخفاها) عن الناس (مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبقت منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس فى حقه) فيما ذكر (ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها فيما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله تعالى وحده ولم يكن خاليا عن شوب خفى من الرياء أخفى من دبيب النمل) على الصفا (فكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون) ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لحضرة الصديق رضى الله عنه الا أعلمك شيأ اذا قلته اذهب عنك صغار الشرك وكباره فى خبر تقدم ذكره قريبا (وقد روى عن على رضى الله عنه انه قال ان الله عز وجل يقول للقراء) أى العلماء (يوم القيامة ألم يكن يرخص عليكم السعر ألم تكونوا تبتدؤن بالسلام ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج وفى الحديث لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم) أغفله العراقى وروى البيهقى من حديث أبى هريرة يقول الله تعالى لعبده يوم القيامة يا ابن آدم ألم أحملك على الخيل والابل وأزوجك النساء وأجعلك ترفع وترأس فيقول بلى أى رب فيقول أين شكر ذلك وروى أيضا وكذا أبو الشيخ من حديث عبد الله بن سلام يقول الله للعبد يوم القيامة ألم تدعنى لمرض كذا وكذا فعافيتك ألم تدعنى ان أزوجك كريمة قومها فزوجتك الم الم (وقال عبد الله بن المبارك) رحمه الله تعالى فى كتاب الزهد والرقائق (روى عن وهب بن منبه) اليمانى رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته فى كتاب العلم (انه قال ان رجلا من السياح قال له أصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا فى أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الاموال فى أموالهم ان أحدنا اذا لقى أحب ان يعظم لمكان دينه وان سأل حاجة أحب ان تقضى له لمكان دينه وان اشترى أحب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب فى مركب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس فقال السائح ماهذا فقيل هذا الملك قد أظلك فقال للغلام ائتنى بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقيه ويأكل أكلا عنيفا فقال الملك أين صاحبكم قالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس وفى حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذى صرفك عنى وأنت لى ذام) هكذا أخرجه أبو نعيم فى الحلية من طريق ابن المبارك فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا على بن اسحق حدثنا حسين بن الحسن المروزى حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا بكار بن عبد الله انه سمع وهب بن منبه يقول كان رجل من أفضل أهل زمانه وكان يزار فيعظهم فاجتمعوا اليه ذات يوم فقال انا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الاهل والاموال مخافة الطغيان وقد خفت ان يكون قد دخل علينا فى حالنا هذه من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الاموال فى أموالهم أرانا يحب أحدنا ان تقضى له حاجته وان اشترى بيعا أن يقارب لمكان دينه وان لقى وقر لمكان دينه فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك فعجب به الملك فركب اليه ليسلم عليه وينظر اليه فلما رآه الرجل قيل له هذا الملك قد أتاك ليسلم عليك فقال وما يصنع قال الكلام الذى وعظت به فسأل رده هل عندك من طعام فقال شئ من ثمر الشجر مما كنت تفطر به فامر به فاتى على مسح فوضع بين يديه فاخذ يأكل منه وكان يصوم النهار لا يفطر فوقف عليه الملك فسلم عليه فاجابه باجابة خفية فاقبل على طعامه يأكله فقال الملك فاين الرجل قيل له هو هذا قال هذا الذى يأكل قالوا نعم قال ما عند هذا من خير فادبر فقال الرجل الحمد لله الذى صرفك عنى بما صرفك به وقد رواه أيضا من طريقه بلفظ آخر فقال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا على بن اسحق حدثنا حسين المروزى حدثنا ابن المبارك حدثنا عمر بن عبد

الرحمن

فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها أعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء ان تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة باخلاصهم على ملأ من الخلق اذ علموا ان الله لا يقبل في القيامة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيامة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزى والد عن ولده ويشتغل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بان أرباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والنبهرج والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزاد الذي يتزودونه له من التقوى فاذا شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته انسان أو بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضره البهائم أو الصبيان الرضع أم غابوا اطلعوا على حركته أم لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم أن العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر مفسدا للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى أحدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعاته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم فنقول أولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود فأربعة أقسام * الاول أن يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أطلعهم وأظهر الجميل من أحواله

الرحمن بن مهرب انه سمع وهب بن منبه يقول ان الملك سمع باجتهاده فقال لآتينه يوم كذا وكذا ولاسلمن عليه فاسرعت البشرى الى هذا الراهب فلما كان ذلك اليوم وظن انه يأتيه خرج الى مضحى له قدام مصلاه وأخرج خشف فيه بقل وزيت وحمص فوضعه قريبا منه فلما أشرف اذا هو بالملك مقبل ومعه سواد من الناس قد أحاطوا به فاوضعوا اقربه فلا يرى سهل ولا جبل الا قد ملئ من الناس فجعل الراهب يجمع من تلك البقول والطعام و يعظم اللقمة و يغمس في الزيت فيأكل أكلا عنيفا وهو واضع رأسه لا ينظر الى من أتاه فقال الملك أين صاحبكم قالوا هو هذا قال الملك كيف أنت يافلان فقال الراهب وهو يأكل ذلك الا كل كالناس فرد الملك عنان دابته وقال مافي هذا من خير فلما ذهب قال الراهب الحمد لله الذي أذهبه عني وهو لي لائم (فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها) وكتمها مهما أمكن (أعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم) عن الناس (كل ذلك رجاء ان يخلص عملهم فيجازيهم الله يوم القيامة باخلاصهم على ملا من الخلق اذ علموا ان الله لا يقبل يوم القيامة الا الخالص) فقد روى النسائي والطبراني من حديث أبي امامة ان الله عز وجل لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه وأخرج الخطيب في المتفق والمفترق من حديث الضحاك بن قيس الفهري يا أيها الناس اخلصوا أعمالكم لله فان الله لا يقبل من الاعمال الا ما خلص له (وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيامة وانه يوم) عظيم كما قال الله تعالى يوم (لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) خالص من شوائب الرياء (ولا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ ويشتغل الصديقون) والصالحون (بأنفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم) ممن لم يدانوا مقاماتهم (فكانوا) في سلوكهم (كزوّار بيت الله) الحرام (اذا توجهوا الى مكة) شرفها الله تعالى (فانهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب المصري الخالص) عن الغش والخلط (لعلمهم بان أرباب البوادي) وهم العربان (لا يروج عندهم الزيف والنبهرج) وهو الرديء المغشوش (والحاجة تشتد في البادية ولا وطن) هنالك (يفزع اليه) في تغيير الذهب (ولا حميم يتمسك به) في المعاونة (فلا ينجي الا الخالص من النقد) ولا يقضي الحاجة الا هو (فهكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة) والسفر اليه كالسفر الى مكة (والزاد الذي يتزوّدون له التقوى) واليه يشير قوله تعالى وتزوّدوا فان خير الزاد التقوى (فاذا شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته انسان أو بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرته البهائم أم الصبيان الرضع أو غابوا) وسواء (اطلعوا على حركته أو لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا تقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك) أي ادراك التفرقة من نفسه (ففيه شوب رياء خفي وليس كل شوب محبطا للاجر مفسدا للعمل بل فيه تفصيل) سيأتي ذكره في الفصل الذي يليه (فان قلت فما نرى أحدا ينفك عن السرور اذا عرف بطاعته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود و بعضه مذموم فنقول أولا كل سرور فليس بمذموم كله بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود فاربعة أقسام الاول أن يكون قصده اخفاء الطاعات والاخلاص لله تعالى) منها (ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله أطلعهم) عليه (وأظهر الجميل من أحواله

فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره اليه والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف أعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكأنه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به * الثاني أن يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا

فيستدل به على حسن صنع الله ونظره والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة فلا لطف أعظم من ستر القبيح عليه واظهار الجميل) وقد ورد في بعض الادعية يامن أظهر الجميل وستر القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة وقد تقدم في الدعوات (فيكون فرحه بجميل نظر الله له) وحسن عنايته به ورعايته له (لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكأنه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به) ولكن ليس لكل أحد أن يختبر نفسه وعلم دسائسها ان يقول انه مقبول عند الله ففيه خطر عظيم زلت بسببه اقدام خلق كثير (الثاني ان يستدل باظهار الله تعالى الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل به في الآخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماستر الله على عبد ذنبا) من ذنوبه (في الدنيا) بان لم يفضحه به (الاستره عليه في الآخرة) فلا يفضحه به على رؤس الاشهاد قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ قلت ورواه ابن النجار عن علقمة المزني عن أبيه واسمه عبد الله بن سنان المزني له صحبة وعلقمة هذا أخو بكر المزني في قول البخاري وخالفه غيره وروى الطبراني والخطيب من حديث أبي موسى ماستر الله عز وجل على عبد في الدنيا فيعيره به يوم القيامة (فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل) وقد يجتمعان معا في مؤمن فيكون سبب المزيد فرحه ولكن بشرط انه اذا صدر منه القبيح فرطا من غير تصميم العزم عليه ثم ستره الله تعالى عليه ندم وأحسن توبته فهذا الذي يرجى له الستر في الآخرة وأما من ستر الله عليه ذلك وهو مصمم على الوقوع فيه أو العود اليه فليس له في الآخرة نصيب وربما يفضحه الله في جوف بيته فليحذر السالك من ذلك (الثالث أن يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العلانية بما أظهر آخرا وأجر السر بما قصده أولا ومن اقتدى به في طاعة فله أجر عمل المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شئ) ويشهد لذلك ما رواه أحمد من حديث أبي هريرة من سن خيرا فاستن به كان له أجره كاملا ومن أجور من استن به ولا ينقص من أجورهم شيأ الحديث ورواه السجزي في الابانة بلفظ من سن سنة هدى فاتبع عليها كان له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيأ الحديث وروى مسلم والترمذي وابن ماجه من حديث جرير من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ الحديث (وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة الرابع أن يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة) ويغتنم ذلك منهم ويسره ذلك (اذ) كم (من أهل الايمان من يرى أهل الطاعة فيمقته) بقلبه (أو يحسده) على ما أوتيه (أو يذمه) تبرعا (ويهزأ به ويسبه) في المجالس (أو ينسبه الى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله) ولكن للشيطان في هذا الاسم تغريرات وتلبيسات لذلك قلما يوجد معه الاخلاص (وعلامة الاخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه) ومهما رأى نفسه تستثقل حمدهم غيره في مجلسه فاعلم انه لا اخلاص حينئذ (وأما المذموم فهو الخامس وهو أن يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويعاملوه بالاكرام في مصادره) حين يصدر (وموارده) حين يرد (فهذا مكروه) مذموم * (بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي ومالا يحبطه) * (فنقول اذا عقد) العبد (العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو اما أن يكون ورد عليه

انه كذلك يفعل في الآخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماستر الله على عبد ذنبا في الدنيا الاستره عليه في الآخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل * الثالث أن يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العلانية بما أظهر آخرا وأجر السر بما قصده أولا ومن اقتدى به في طاعة فله مثل أجر أعمال المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شئ وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة * الرابع أن يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة اذ من أهل الايمان من يرى أهل الطاعة فيمقته ويحسده أو يذمه ويهزأ به أو ينسبه الى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه * وأما المذموم وهو الخامس فهو أن يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه بعد ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم * (بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي ومالا يحبط) * فنقول فيه اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو اما أن يرد عليه

بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور بمجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يفسد العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فما يطرأ بعده فنرجو أن لا ينعطف عليه أثره لاسيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن اظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به وأظهره فهذا مخوف

وفي الآثار والاخبار ما يدل على انه محبط فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة فقال ذلك حظه منها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله قال له ما صمت ولا أفطرت فقال بعضهم انما قال ذلك لانه أظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به اذ يبعد أن يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس أن يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراآته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فان ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل واما اذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في أثنائها وارد الرياء فلا يخلو اما أن يكون بمجرد سرور ولا يؤثر في العمل واما أن يكون رياء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط أجره ومثاله أن يكون في تطوع فتجددت له نظارة أو حضر ملك من الملوك وهو يشتهي أن ينظر اليه أو يذكر شيأ نسيه من ماله وهو يريد أن يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط أجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقد قال صلى الله عليه وسلم العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب أوله

بعد فراغه من العمل أو قبل فراغه) منه (فان ورد) عليه (بعد الفراغ سرور بمجرد بالظهور من غير اظهار) منه (فهذا لا يحبط العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن) شوب (الرياء فما يطرأ بعده فنرجو أن لا ينعطف عليه أثره) هكذا ذهب اليه جماعة من العارفين (لاسيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به) للناس (ولم يتمن اظهاره وذكره) بين الناس (ولكنه اتفق ظهوره باظهار الله اياه ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به وأظهره فهذا مخوف وفي الاخبار والآثار) بظواهرها (ما يدل على انه محبط) لذلك العمل (فقد روى عن ابن مسعود) رضي الله عنه (انه سمع رجلا يقول قرأت البارحة سورة البقرة قال ذلك حظه منها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قال له صمت الدهر فقال له ما صمت ولا أفطرت) قال العراقي روى مسلم من حديث أبي قتادة قال عمر يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر قال لا صام ولا أفطر وللطبراني من حديث أسماء بنت يزيد في أثناء حديث فيه فقال رجل الى صائم قال بعض القوم انه لا يفطر انه يصوم كل يوم قال النبي صلى الله عليه وسلم لا صام ولا أفطر من صام الدهر ولم أجده بلفظ الخطاب اهـ قلت بل رواه ابن وهب في مسنده عن سليمان بن بلال عن موسى بن عبيدة عن عمران بن أبي أنس عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ان رجلا قال يا رسول الله ما أفطرت منذ أربع سنين فقال ما صمت ولا أفطرت وكذلك رواه ابن المبارك في الزهد وفي اسناده ارسال وضعف (فقال بعضهم انما قال ذلك لانه أظهره) وهكذا روى عن موسى بن عبيدة أحد رواة هذا الحديث قال وذلك لانه حدث به فيما ترى كذا في مسند ابن وهب وعند ابن المبارك قال أبو سلمة لانه تحدث به (وقيل هو اشارة الى كراهية صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم) في هذا القول (ومن ابن مسعود) رضي الله عنه في قوله السابق (استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد أن يكون ما يطرأ على العمل مبطلا لثواب العمل فالاقيس) من القولين (أن يقال انه يثاب على عمله الذي قد مضى ومعاتب على مراآته بطاعة الله بعد الفراغ منه بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فان ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل وأما اذا ورد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في أثنائها وارد الرياء فلا يخلو اما أن يكون بمجرد سرور ولا يؤثر في العمل واما أن يكون رياء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط أجره) لانه قد تخلل عقد ما أثر فيه فهو أحرى أن يوصف بالانحلال (ومثاله أن يكون في تطوع فتجددت له نظارة) بالتشديد كلمة يستعملها العجم بمعنى التنزه في الرياض والبساتين كذا في المصباح (أو حضر ملك من الملوك) بموكبه وحشمه (وهو يشتهي أن ينظر اليه) أو الى موكبه (أو تذكر شيأ نسيه من ماله) في موضع أو عند أحد (وهو يريد أن يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط أجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقد قال صلى الله عليه وسلم العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب أوله) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث معاوية بن أبي سفيان بلفظ اذا طاب أسفله طاب أعلاه وقد تقدم اهـ

أي النظر الى خاتمته وروي أنه من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء من ذلك مفرد فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلاة وأما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستمام لاجل الثواب كالوحضر (٢٨٦) جماعة في أثناء الصلاة ففرح بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضا فهذا رياء قد أثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا أيضا ينبغي أن يفسد العبادة مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما يغلبها ويغمرها ويحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء قصد أصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه ولقد ذهب الحرث المحاسبي رحمه الله تعالى الى الاحباط في أمر هو أهون من هذا وقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو كحب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة الى أنه محبط لانه نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا أقطع عليه بالحبط وان لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس والاغلب على قلبي أنه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى انهما حالتان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية وقد روي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أسر العمل لا أحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية ثم تكلم على الخبر والاثر فقال أما الحسن فانه أراد بقوله لا يضره أي لا يدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا عقد الرياء بعد عقد الاخلاص

لم

قالت ولفظه انما الاعمال كالوعاء اذا طاب أسفله طاب أعلاه واذا فسد أسفله فسد أعلاه وهكذا رواه أحمد أيضا وعند ابن المبارك في الزهد بلفظ انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء اذا طاب أعلاه طاب أسفله واذا خبث أعلاه خبث أسفله ورواه أبو نعيم في الحلية وقد تقدم الكلام عليه (أي النظر الى خاتمته وروي) أيضا (من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله) قال العراقي لم أجده بهذا اللفظ قلت روى الطبراني وأبو الشيخ وابن عساكر من حديث أبي هند الداري من راءى بالله بغير الله فقد برئ من الله (وهو منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء من ذلك) وفي نسخة منها (منفرد) بذاته (فما يطرأ) بعد (يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلاة) لاتصال العمل فيهما كالصلاة (فاما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستمام لاجل الثواب كالوحضر جماعة في أثناء صلاته ففرح بحضورهم) باطنا (واعتقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم) اليه (وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضا فهذا رياء قد أثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا) قد غمره قصد الرياء (فهذا أيضا ينبغي أن يفسد العبادة مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بها بشرط أن لا يطرأ عليها ما يغلبها ويغمرها) وقد طرأ عليها ما يغمرها ففات الشرط (ويحتمل أن يقال لا تفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء أصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه) وبعض الفقهاء قد قوى هذا الاحتمال وبه كان يفتي شيخنا الفقيه الشريف أبو الحسن المقدسي رحمه الله تعالى (ولقد ذهب) الامام العارف (الحرث) بن أسد (المحاسبي) رحمه الله تعالى في كتابه الرعاية (الى الاحباط في أمر هو أهون من ذلك فقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني) به (سرورا هو كحب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة الى انه يحبط لانه قد نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عليه بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته) كما دل عليه الخبر انما الاعمال بالخواتيم (ثم قال ولا أقطع عليه بالاحباط وان لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس والاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عليه بالرياء ثم قال فان قيل قد قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (انهما حالتان) وفي نسخة صورتان (فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية وقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني أسر العمل) أي أخفيه (لا أحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من رواية ذكوان عن أبي مسعود ورواه الترمذي وابن حبان من رواية ذكوان عن أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فاذا اطلع عليه أعجبه قال له أجر السر وأجر العلانية قال الترمذي غريب وقال انه روي عن أبي صالح وهو ذكوان مرسلا اه قلت وقد روي في افراد مسلم من حديث أبي ذر قال قيل يا رسول الله أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه فقال تلك عاجل بشرى المؤمن (ثم تكلم على الاثر) المروي عن الحسن (والخبر) المذكور (فقال أما الحسن) البصري (فاراد بقوله لا تضره أي لا يدع العمل) أي لا يتركه (ولا تضره الخطرة وهو يريد الله عز وجل) فجعل الحالة الطارئة بمنزلة الخطرة (ولم يقل اذا عقد الرياء بعد عقد الاخلاص

لم يضره وأما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة أوجه * أحدها أنه يحتمل انه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ * والثاني انه أراد أن يسر به للاقتداء به أولسرور آخر محمود مما ذكرناه قبل لا سرورا بسبب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به أجرا ولا ذاهب من الامة الى أن للسرور بالمحمدة أجرا وغايته أن يعفى عنه فكيف يكون للمخلص أجر وللمرائي أجران * والثالث انه قال أكثر من يروي الحديث يرويه غير متصل الى أبي هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء أولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلا الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وانما انضاف اليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به أصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام وأما الاخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق وأما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب أو أغلب منه أما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغي أن يفسد الصلاة ولا يبعد أيضا أن يقال ان الذي أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شئ فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما أوفى مما أوردناه الآن فليرجع اليه فهذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ أو بعد الفراغ * (القسم الثالث) * الذي يقارن حال العقد بان يبتدئ الصلاة على قصد الرياء فان استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يقضي ولا يعتد بصلاته وان ندم عليه في أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة أوجه قالت فرقة لم تنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة

لم يضره وأما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة أوجه أحدها انه يحتمل انه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ) أي يخبر باطلاعهم على عمله بعد ان فرغ منه فيفرح به وهو ظاهر فالعمل على هذا باق على عقد الاخلاص لم يتخلله شئ (والثاني انه يسر به لاقتداء الناس به أو بسرور آخر محمود مما ذكرناه قبل لا سرورا بسبب حب المنزلة والمحمدة بدليل انه جعل له به أجرين ولا ذاهب من) علماء (الامة الى ان المسرور بالمحمدة له أجر وغايته أن يعفى عنه) ويسامح له (فكيف يكون للمخلص أجر وللمرائي أجران والثالث انه قال أكثر من روى الحديث يرويه غير متصل الى أبي هريرة بل أكثرهم أوقفه على أبي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء) في الاخبار المتقدمة (أولى) وأبو صالح المذكور هو المعروف بالسمان والزيات واسمه ذكوان مولى جويرية بنت الاحمس الغطفاني كان يجلب السمن والزيت الى الكوفة وهو والد سهيل وصالح وعبد الله ابن أبي صالح سأل سعد بن أبي وقاص مسئلة في الزكاة وشهد الدار زمن عثمان وروى عن أبي هريرة قال أحمد ثقة من أجل الناس وأوثقهم وقال ابن معين ثقة وزاد أبو زرعة صالح الحديث يحتج بحديثه وقال أبو حاتم ثقة مستقيم الحديث وقال ابن سعد ثقة كثير الحديث مات بالمدينة سنة احدى ومائة روى له الجماعة وأما قول المحاسبي بل أكثرهم أوقفه الخ أي فيكون مرسلا وقد أشار اليه الترمذي والذي رواه مرفوعا فقيل عن أبي هريرة وهو عند الترمذي وابن حبان وقيل عن ابن مسعود وهو عند البيهقي في الشعب كما تقدم والاستدلال بالعمومات مع وجود المرسل هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وجماعة اذ المراسيل غير مقبولة عندهم في الاحتجاج سوى مراسيل ابن المسيب فانها في حكم الرفع ومذهب غيرهم العمل بها فاذا وجد خبر مرسل فانه يقدم على العمومات (هذا ما ذكره) المحاسبي رحمه الله تعالى (ولم يقطع به بل أظهر ميلا الى الاحباط) حيث قال والاغلب على قلبي الخ (والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادرا من باعث الدين وانما انضاف اليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به أصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام واما الاخبار التي وردت في) ذم (الرياء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق) دون الخالق (وأما ما ورد في الشركة) في قوله انا أغنى الاغنياء عن الشرك من أشرك في عمل فهوله (فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب أو أغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغي أن يفسد الصلاة) لضعف قصد الرياء في الكل (ولا يبعد أيضا أن يقال ان الذي أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شئ فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص) فيما سيأتي (كلاما أوفى مما أوردناه الآن) هنا (فليرجع اليه فهذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ أو بعد الفراغ) والله الموفق (القسم الثالث الذي يقارن حال العقد بان يبتدئ الصلاة على قصد الرياء فان استمر عليه حتى يسلم فلا خلاف في انه يعصي) الله عز وجل (ولا يعتد بصلاته فان ندم عليه في أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة أوجه قالت فرقة لم تنعقد صلاته مع قصده الرياء فليستأنف) صلاته (وقالت فرقة) أخرى (يلزمه

اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله دون تحريمة الصلاة لان التحريم عقد والرياء خاطر فى قلبه لايخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لايلزمه اعادة شئ بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا أزيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا تكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لايبالى بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت أفعالا

زائدة فى الصلاة فتفسد الصلاة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو أيضا ضعيف لان الرياء يقدح فى النية وأولى الاوقات بمراعاة أحكام النية حالة الافتتاح فالذى يستقيم على قياس الفقه هو أن يقال ان كان باعثه مجرد الرياء فى ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصلى لاجل الناس فهذه صلاة لانية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا اجابة فأما اذا كان بحيث لولا الناس أيضا لكان يصلى الا انه ظهر له الرغبة فى المحمدة أيضا فاجتمع الباعثان فهذا اما أن يكون فى صدقة وقراءة وماليس فيه تحليل وتحريم أو فى عقد صلاة وحج فان كان فى صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء وأطاع باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر وان كان فى صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما أن تكون فرضا أو نفلا فان كانت نفلا فحكمها أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه اذ اجتمع فى قلبه الباعثان ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى ان من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا فى بيت وحده ما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب أيضا بتطوعه فتصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو به عاص فأما اذا كان فى فرض واجتمع الباعثان وكان كل

اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله) كلها (دون تحريمة الصلاة لان تحريمه عقد والرياء خاطر فى قلبه لايخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة) أخرى (لايلزمه اعادة شئ بل يستغفر الله تعالى بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة) فان صلحت صلح أولها (كما لو بدأها بالاخلاص وختمها بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا أزيل العارض عاد) الثوب (الى الاصل فقالوا ان الصلاة والركوع لا تكون الا لله) عز وجل (ولو سجد لغير الله) تعالى (لكان كافرا لكن قد اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة) والاستغفار (وصار الى حالة لايبالى بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته) فهذا اختلاف القول فى المسئلة (ومذهب الفريقين الاخيرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت أفعالا زائدة فى الصلاة فتبطل الصلاة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو أيضا ضعيف لان الرياء يقدح فى النية وأولى الاوقات بمراعاة أحكام النية حالة الافتتاح فالذى يستقيم على قياس) قانون (الفقه هو أن يقال ان كان باعثه مجرد الرياء فى ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده) لاتصاله بما قبله فيسرى وصف عدم الانعقاد (وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان) على غير وضوء أو كان (ثوبه نجسا أيضا كان يصلى لاجل الناس فهذه صلاة لانية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا اجابة) فقد بطلت صلاته (فاما اذا كان بحيث لولا الناس أيضا لكان يصلى الا انه ظهرت له الرغبة فى المحمدة أيضا فاجتمع) فيه (الباعثان) باعث الثواب وباعث المحمدة (فهذا اما أن يكون فى صدقة أو قراءة وماليس منه تحليل وتحريم وماليس فى عقد صلاة وحج فان كان فى صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء وأطاع باجابة باعث الثواب) قال الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله) بمقتضى هذه الآية (ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر عقده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر فان كان فى صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما أن تكون) تلك الصلاة (نفلا أو فرضا فان كان نفلا فحكمه أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه اذا اجتمع فى قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى ان من يصلى التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا) بنفسه (فى البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب أيضا بتطوعه فيصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر) يخالفه (وهو به عاص) هذا حكم صلاة التطوع (فاما اذا كان فى فرض فاجتمع الباعثان وكان كل

واحد

واحدلايستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لايسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا فى حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لولم يكن باعث الرياء لادى الفرائض ولولم يكن باعث الفرض لانشأ صلاة تطوّعا لاجل الرياء فهذا محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل أن يقال ان الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقدوجد فاقتران غيره به لايمنع سقوط الفرض عنه كالوصلى فى دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلاة فى الدار المغصوبة فانه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال فى تعارض البواعث فى أصل (٢٨٩) الصلاة أما اذا كان الرياء فى المبادرة مثلادون أصل الصلاة مثل من بادرالى الصلاة فى أوّل الوقت لحضور جماعة ولو خلا لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلاة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لان باعث أصل الصلاة من حيث انها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا أبعد عن القدح فى النية هذا فى رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه وأما مجرد السرور باطلاع الناس عليه اذا لم يبلغ أثره الى حيث يؤثر فى العمل فبعيد أن يفسد الصلاة فهذا مانراه لائقا بقانون الفقه والمسألة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها فى فن الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء فى صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بأدنى الخواطر وماذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله عزوجل فيه وهو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم

(بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه)

قدعرفت مما سبق أن الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وانه من كبائر المهلكات وماهذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد فى ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا فى شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبى يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك فى نفسه وانما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء فى قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك أحد

واحدلايستقل) بنفسه اذا انفرد (وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لايسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينهض باعثا فى حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعثا مستقلا) بانفراده (حتى لولم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولولم يكن باعث الفرض لانشا صلاة تطوع) وفى نسخة صلاة تطوعا (لاجل الرياء فهذا محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل ان يقال ان الواجب) على العبد (صلاة خالصة) عن شوب الرياء (لوجه الله تعالى ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال ان الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقدوجد فاقتران غيره به لايمنع من سقوط الفرض عنه كالوصلى فى دار مغصوبة) على أهلها ظلما (فانه وان كان عاصيا) من وجه وهو (بايقاع الصلاة فى الدار المغصوبة فانه مطيع) من وجه وهو (بأصل الصلاة وسقط الفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال فى تعارض البواعث فى أصل الصلاة أما اذا كان الرياء فى المبادرة مثلا دون أصل الصلاة) وذلك (مثل من بادر بالصلاة فى أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا) بنفسه (لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلاة لاجل الرياء فهذا مما يقطع على صحة صلاته وسقوط الفرض به لان باعث أصل الصلاة من حيث انها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تغيير الوقت فهذا أبعد عن القدح فى النية هذا) الذى ذكرنا (فى رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فامامجرد السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ أثره الى حيث يؤثر فى العمل) تأثيرا بينا (فبعيد أن يفسد الصلاة فهذا مانراه لائقا بقانون الفقه) العملى (والمسئلة) من أصلها (غامضة) خفية المدرك (من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها فى فن الفقه) غير نتف اشارات تكلموا عليها فى مبحث النية (والذين خاضوا فيها وتصرفوا) مثل الحرث المحاسبى وصاحب القوت وغيرهما (لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء فى صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب) من الشوائب (وطلب الاخلاص على افساد العبادات بأدنى الخواطر) الطارئة (وماذكرناه) من التفصيل (هو الاقصد) أى الاعدل (فيما نراه والعلم عند الله تعالى فيه) والله الموفق

(بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه)

(قدعرفت مما سبق أن الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله وانه من كبار المهلكات وماهذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد فى ازالته ولو بالمجاهدة) والرياضة وتهذيب النفس (وتحمل المشاق) منها (فلا شفاء الا فى شرب الادوية المرة البشعة) الكريهة الطعم (وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبى يخلق ضعيف العقل و) فاقد (التمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك فى نفسه) ويثبت (وانما يشعر بكون ذلك مهلكا بعد كمال عقله) وقد ذكر فى كتاب رياضة النفس (وقد انغرس الرياء فى قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة) مديدة (لقوة الشهوات) لكونها تولد معه (فلا ينفك أحد

عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق أولا وتخف آخرا وفى علاجه مقامان أحدهما قلع عروقه وأصوله التى منها انشعابه والثانى دفع مايخطر منه فى الحال * (المقام الاول) * فى قلع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلاثة أصول وهى حب لذة المحمدة والفرار من ألم الذم والطمع فيما فى أيدى الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائى ماروى أبو موسى أن اعرابيا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يأنف أن يقهر أو يذم بانه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر فى القلوب والذى يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع فى الدنيا وقال عمر رضى الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملأ دفتى راحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم من غزا لا يبغى الا عقالا فله مانوى فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشتهى الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كيلا يبخل وهو ليس بطامع فى الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع فى الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا أيس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلى ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطمع فى الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من أن يذم بالجهل ويفتى بغير علم و يدعى العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلاثة هى التى تحرك المرائى الى الرياء وعلاجه ماذكرناه فى الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكانذكر الآن مايخص الرياء وليس يخفى أن الانسان انما يقصد الشئ و يرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ امافى الحال وامافى المآل فان علم أنه لذيذ فى الحال ولكنه ضار فى المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن العسل

عن هذه الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق أولا وتخف آخرا) كما هو شأن كل مجاهدة (وفى علاجه مقامان أحدهما قطع عروقه وأصوله التى منها انشعابه) وتولده (والثانى دفع مايخطر منه فى الحال المقام الاول فى قطع عروقه واستئصال أصوله) أى قلعها من أصلها (وأصله) المتفق عليه (حب المنزلة والجاه) فى قلوب الناس (واذا فصل رجع الى ثلاثة أصول وهو حب لذة المحمدة والفرار من ألم المذمة والطمع لما فى أيدى الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائى ماروى أبو موسى) الاشعرى رضى الله عنه (ان اعرابيا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يأنف ان يقهر أو يذم بانه مقهور ومغلوب والرجل يقاتل ليرى مكانه) أى من الشجاعة (وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر) والمنزلة (فى القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) رواه أحمد والشيخان والاربعة (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك اشارة الى الطمع فى الدنيا وقال عمر) رضى الله عنه (يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملأ دفتى راحلته ورقا) بكسر الراء أى فضة (وقال صلى الله عليه وسلم من غزا) وهو (لا يبغى) فى غزواته (الا عقالا) بالكسر الحبل الذى يربط به البعير (فله مانوى) رواه أحمد والدارمى والنسائى والرويانى وابن حبان والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى والضياء من طريق يحيى بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن عبادة بن الصامت وقد تقدم وأخرج الحاكم من حديث يعلى بن منية قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يبعثنى فى سراياه فبعثنى ذات يوم وكان رجل يركب فقلت له ارحل قال ما أنا بخارج معك قلت لم قال حتى تجعل لى ثلاثة دنانير قلت الآن حين ودعت النبى صلى الله عليه وسلم ما أنا براجع اليه ارحل ولك ثلاثة دنانير فلما رجعت من غزاتى ذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال اعطها اياه فانها حظه من غزاته (فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشتهى الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الذم كالبخيل بين الاسخياء) براهم (وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كيلا يبخل وهو ليس بطامع فى الحمد وقد سبقه فى الحمد غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع فى الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا أيس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلى ركعات معدودة كيلا يذم بالكسل وهو لا يطمع فى الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم ما هو محتاج اليه خيفة من أن يذم بالجهل ويفتى بغير علم وقد يدعى العلم بالحديث وهو به جاهل) لا يدرى من فنونه شيأ (كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلاثة هى التى تحرك المرائى الى الرياء وعلاجه ماذكرناه فى الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكانذكر الآن مايخص الرياء وليس يخفى) على البصير (ان الانسان انما يقصد الشئ و يرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ امافى الحال وامافى المآل فان علم انه لذيذ فى الحال ولكنه ضار فى المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل

لذيذ ولكن اذا بان له أن فيه سما أعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤس الخلائق يا فاجر يا غادر يا مرائي أما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله (٢٩١) وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع أن العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حوّل الى كفة السيآت فترجح به ويهوى الى النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه ثم أي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة وأما الطمع فيما في أيديهم فبأن يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ واذا أصاب فلا تفي لذته بألم منته ومذلته وأما

لذيذ ولكنه اذا بان له ان فيه سما) قاتلا (أعرض عنه) وتركه (وكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم عند الله والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤس العباد) يوم القيامة (يا فاجر يا غادر يا مرائي) كما رواه ابن أبي الدنيا في الاخلاص من رواية جبلة اليحصبي عن رجل من الصحابة لم يسم بزيادة يا خاسر يا كافر بدون قوله يا مرائي وقد تقدم قريبا (أما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله تعالى وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله اما كان احد أهون عليك من الله) كل ذلك من مخاطبة الرب لعبده (فمهما كان تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد و) من (التزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وما يحبط عمله من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو أخلص فاذا أفسده الرياء حول الى كفة السيآت فيترجح به ويهوى) أي يسقط (الى النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال) أي في آخر الصف حيث تخلع النعال (من مراتب الاولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم) أي تفريقه (بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك) روى الخطابي في العزلة من حديث أكثم بن صيفي انه قال رضا الناس غاية لا تدرك ولا يكره سخط من رضاه الجور ومن طريق الشافعي انه قال ليونس بن عبد الاعلى يا أبا اسحق رضا الناس غاية لا تدرك ليس الى السلامة من الناس سبيل فانظر ما فيه صلاح نفسك ودع الناس وما هم فيه (وكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق) آخر (ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه) روى الطبراني من حديث ابن عباس من أسخط الله في رضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاه في سخطه ومن أرضى الله من سخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه من أسخط في رضاه حتى يزينه ويزين قوله وعمله في عينه وروى أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة من أرضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله وروى الخليلي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أرضى الله بسخط المخلوقين كفاه الله مؤنة المخلوقين ومن أرضى المخلوقين بسخط الله سلط الله عليه المخلوقين (ثم أي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله تعالى لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة وأما الطمع فيما في أيدي الناس فبان تعلم بان الله تبارك وتعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه) غاية الاضطرار (ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل من المنة والمهانة) أي الذل (فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد وقد يصيب وقد يخطئ فاذا أصاب) يوما (لا تفي لذته بألم منته ومذلته وأما

ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيأ مالم يكتبه عليه الله ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار ان كان من أهل

الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياتا ولا نشورا فاذا قرر في قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مراء وممقوت عند الله ولو أخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم ان مدحي زين وان ذمي شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ذاك الله الذي لا اله الا هو اذ لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وأي شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة المقربين فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه

ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيأ مما لم يكتبه الله عليه ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله في أهل النار ان كان في أهل الجنة ولا يبغضه عند الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة) أي عاجزون في أنفسهم (لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته) أي ضعفت (وأقبل على الله بقلبه) بكليته (فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره و يقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه) أي أبغضوه (وسيكشف الله عن سره) وما في باطنه (حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مراء ممقوت عند الله تعالى ولو أخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له) وكفاه المؤنة (واطلق ألسنتهم بالحمد والثناء عليه مع انه لا كمال في حمدهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر بني تميم) هو الاقرع بن حابس (ان مدحي زين * وان ذمي شين فقال له صلى الله عليه وسلم كذبت ذاك الله رب العالمين الذي لا اله الا هو) قال العراقي رواه أحمد من حديث الاقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات الا اني لا أعرف لابي سلمة بن عبد الرحمن سماعا من الاقرع ورواه الترمذي من حديث البراء وحسنه بلفظ جاء رجل فقال ان حمدي اه قلت قال الحافظ في الاصابة في ترجمة الاقرع بن حابس رواه ابن جرير وابن أبي عاصم والبغوي من طريق وهب عن موسى بن عقبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الاقرع بن حابس انه نادى النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات فلم يجبه فقال يا محمد ان حمدي لزين وان ذمي لشين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلكم الله قال ابن منده روي عن أبي سلمة ان الاقرع نادى فذكره مرسلا وهو الاصح وكذلك رواه الروياني من طريق عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال نادى الاقرع فذكره مرسلا وأخرجه أحمد على الوجهين ووقع في رواية ابن جرير التصريح بسماع أبي سلمة من الاقرع فهذا يدل على انه تأخر اه وقال السيوطي في الدر المنثور أخرج أحمد وابن جرير والبغوي وابن مردويه والطبراني بسند صحيح من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الاقرع بن حابس انه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخرج الينا فلم يجبه فقال يا محمد ان حمدي زين وان ذمي لشين فقال ذلك الله فأنزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون قال البغوي لا أعلم روى الاقرع مسندا غير هذا وأخرج الترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن البراء بن عازب قال جاء رجل فقال يا محمد ان حمدي زين وان ذمي شين فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الله وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان مدحي زين وان شتمي شين فقال ذلك هو الله فنزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون الآية وأخرج ابن اسحق وابن مردويه عن ابن عباس قال قدم وفد بني تميم وهم سبعون رجلا أو ثمانون رجلا منهم الزبرقان بن بدر وعطاء ابن معبد وقيس بن عاصم وقيس بن الحرث وعمرو بن أهتم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق معهم عيينة بن حصن بن بدر الفزاري وكان يكون في كل سراة حتى أتوا منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادوه من وراء الحجرات فقالوا يا محمد ان مدحنا زين وان شتمنا شين نحن أكرم العرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل مدحة الله الزين وشتمه الشين وأكرم منكم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فقالوا انما أتيناك لنفاخرك فذكره بطوله وقال في آخره فقام التميميون فقالوا والله ان هذا الرجل لمصنوع له لقد قام في خطبته فكان أخطب من خطيبنا وقال شاعره فكان أشعر من شاعرنا قال ففيهم أنزل الله ان الذين ينادونك الآية (اذ لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وأي شر لك في ذم الناس وأنت عند الله محمود وفي زمرة المقربين فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة الدنيا مع ما فيه من الكدورات) والغمومات (والمنغصات) التي لا تكاد تفارق الاحوال (واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه

وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح بها له من لطائف المكاشفات ما يزيد به أنسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاول هي الادوية العلمية القالعة مغارس الرياء * وأما الدواء العملي فهو أن يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وقد روى أن بعض أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال أظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع أجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما * (المقام الثاني) * في دفع العارض منه في أثناء العبادة وذلك لابد من تعلمه أيضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه من أعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في أثناء العبادات بل يعارضه بخطرات الرياء ولا تنقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الاول ورده قبل أن يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بان قال مالك وللخلق علموا أو لم يعلموا والله عالم بحالك فأي فائدة في علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد بذكر ما رسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله في القيامة وخيبته في أحوج أوقاته الى أعماله فكما ان معرفة اطلاع الناس تثير

وتخلص من مذمة الرياء ومقاساة قلوب الخلق بانواع التعب وانعطفت من اخلاصه أنوار) تشرق (على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح له من لطائف المكاشفات) الالهية (ما يزيد به انسه بالله ووحشته للخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق عن قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الاخلاص) أى سهل له طريقه (فهذا وما قدمناه في الشطر الاول هي الادوية العلمية القالعة مغارس الرياء) المزيلة أصوله ومنابته (وأما الدواء العملي فهو أن يعود نفسه اخفاء العبادات) عن الناس (واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته لا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وقد روى ان بعض أصحاب أبي حفص) عمر بن مسلم (الحداد) المتوفى سنة نيف وستين ومائتين كان واحد الائمة والسادة (ذم الدنيا وأهلها فقال له أبو حفص اظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم يرخص) أبو حفص له (في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها) وهو غير لائق باحوال المخلصين (فلا دواء للرياء) نافع (مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة) وأوائلها (واذا صبر عليه مدة بالتكلف) ويمرن نفسه عليه (سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله) وتواليها (وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) كما هو في الكتاب العزيز (فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب) فمن لج بالباب ولج ولج (والله لا يضيع أجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) * (المقام الثاني) * (في دفع العارض منه في أثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه أيضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه عن أعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في اثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء ولا تنقطع عنه نزغاته) وتسويلاته (وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية) بل يبقى أثرها (فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعارض من خاطر الرياء وخواطره ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج) واحدا بعد واحد (فالاول العلم باطلاع الخلق) حالا (أو رجاء اطلاعهم) فيما بعد (ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم له وحصول المنزلة عندهم) في قلوبهم وهو الثاني (ثم يتلوه قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه) وهو الثالث (فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بان قال مالك وللخلق علموا أو لم يعلموا ان الله عالم بحالك وأى فائدة في علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد بذكر ما رسخ في قلبه من قبل آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله في القيامة وخيبته في أحوج أوقاته الى أعماله فكما ان معرفة اطلاع الناس تفتح) وفي نسخة

شهوة ورغبة فى الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر فى تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعو الى القبول والكراهة تدعو الى الاباء والنفس تطاوع لامحالة أقواهما وأغلبهما فاذا لابد فى رد الرياء من ثلاثة أمور المعرفة والكراهة والاباء وقد يشرع العبد فى العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التى كان الضمير منطويا عليها وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى فى القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته اذ لم يبق موضع فى القلب خال عن شهوة الحمد أو خوف الذم وهو كالذى يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجرى من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابقة عزمه ويمتلئ قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه أشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت فأنسيناها يوم حنين حتى نودى يا أصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا وأكثر الشهوات التى تهجم فجأة هكذا تكون اذ تنسى معرفة مضرته الداخلة فى عقد الايمان ومهما نسى المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر الانسان فيعلم أن الخاطر الذى خطر له هو خاطر الرياء الذى يعرضه لسخط الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال

لذة

تفيد (شهوة ورغبة فى الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر فى تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعو الى القبول والكراهة تدعو الى الاباء والنفس تطاوع لامحالة أقواهما وأغلبهما فاذا لابد من رد الرياء من ثلاثة أمور المعرفة والكراهة والاباء وقد يشرع العبد فى العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيغلبه ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التى كان الغير منطويا عليها وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى فى القلب متسع لغيره فيعزب) أى يغيب (على القلب) وفى نسخة عن القلب (المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته اذ لم يبق موضع فى القلب خال عن شهوة الحمد) وفى نسخة عن الشهوة التى للحمد (وخوف الذم وهو كالذى يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجرى من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابق عزمه ويملأ قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشتغل عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتمنع) وفى نسخة تدفع (نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه أشار جابر) بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه (بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة) بالحديبية وهو بئر بقرب مكة على طريق جدة دون مرحلة (على أن لا نفر) اذا لاقينا العدو (ولم نبايعه على الموت فانسيناها) وفى نسخة فانسيتها (يوم حنين حتى نودى يا أصحاب الشجرة فرجعوا) قال العراقى رواه مسلم مختصرا دون ذكر يوم حنين فرواه مسلم من حديث العباس اهـ قلت ولفظ مسلم من حديث جابر قال كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة وقال بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت ورواه كذلك ابن جرير وابن مردويه وروى عبد بن حميد ومسلم وابن مردويه من حديث معقل بن يسار قال لقد رأيتنى يوم الشجرة والنبى صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربع عشرة مائة ولم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر وروى عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة فبايعوه على أن لا يفروا ولم يبايعوه على الموت وأما حديث العباس فى قصة حنين فعند مسلم من طريق كثير بن العباس بن عبد المطلب عن أبيه وفيه فطفق النبى صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها وأبو سفيان بن الحرث آخذ بركابه فقال يا عباس ناد يا أصحاب الشجرة الحديث وأخرجه الدولابى من حديث أبى سفيان بن الحرث بسند منقطع وقصة حنين قد تقدم الكلام عليها فى المعجزات وحاصله انه لما انكشفت خيل بنى سليم مولية وتبعهم أهل مكة والناس ولم يثبت معه الا عمه العباس وأبو سفيان بن الحرث وأبو بكر وأسامة فى أناس من أهل بيته وأصحابه قال العباس وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل الى العدو وأبو سفيان آخذ بركابه وجعل صلى الله عليه وسلم يأمر العباس بمناداة الانصار وأصحاب الشجرة فناداهم وكان صيتا فلما سمعوه أقبلوا كأنهم الابل حنت على أولادها يقولون يا لبيك يا لبيك فتراجعوا حتى ان من لم يطاوعه بعيره نزل عنه ورجع ماشيا فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار فنصرهم الله (وذلك لان القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا) بمناداة العباس فرجعوا (وأكثر الشهوات التى تهجم فجأة) أى مرة واحدة من غير انتظار (هكذا تكون اذ تنسى معرفة مضرته الداخلة فى عقد الايمان ومهما نسى المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر الانسان فيعلم ان الخاطر الذى خطر له هو خاطر رياء وهو الذى يعرضه لسخط الله) أى غضبه (ولكنه يستمر عليه) بعد علمه به (لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال) ويؤثره على

فيسوّف بالتوبة أو يتشاغل عن التفكر فى ذلك لشدة الشهوة فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه الى فعله الا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحجة عليه أوكد اذ قبل داعى الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله ولا تنفعه معرفته اذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعى الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا أيضا لا ينتفع بكراهيته اذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل فاذا لا فائدة الا فى اجتماع الثلاث وهى المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التأمل فى آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هى التى تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر فى العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وأنوار العلوم فان قلت فمن صادق من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه الا أنه كاره لحبه ولميله اليه وغير مجيب اليه فهل يكون فى زمرة المرائين فاعلم أن الله لم يكلف العباد الا ما تطيق وليس فى طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينزع اليها وانما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الايمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية فى أداء ما كلف به ويدل على ذلك من الاخبار ما روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا اليه وقالوا تعرض لقلوبنا أشياء لان نخر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوى بنا الريح فى مكان سحيق أحب الينا من أن نتكلم بها فقال عليه السلام أوقد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان

لذة المآل (فيستلذ بالشهوة ويسوّف بالتوبة) أى يؤخرها (أو يتشاغل عن التفكر فى ذلك لشدة الشهوة) لانها تعمى حاسة الفكر (فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه الى فعله الا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه) متشاغلا أو متعاميا (فتكون الحجة عليه أوكد) أى أثبت (اذ قبل داعى الرياء مع علمه بغائلته) ووخامة عاقبته (وكونه مذموما عند الله ولا تنفعه معرفته اذا خلت المعرفة عن الكراهية وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعى الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا أيضا لا ينتفع به لكراهته اذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل) وتمنع منه (فاذا لا فائدة الا فى اجتماع الثلاث وهى المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم) فكلما كان نور العلم زائدا قوى الايمان وبقوته تقوى المعرفة وبقوتها تظهر ثمرتها وهى كراهة الرياء (وضعف المعرفة بحسب) وفى نسخة بسبب ضعف الايمان الناشئ عن (الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله) من الاجر والنعيم (وقلة التأمل فى آفات الحياة الدنيا) ومنغصاتها (و) قلة التأمل فى (نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره) ويفيده (وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات) الى متاعها (فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب) كما روى من مرسل الحسن البصرى حب الدنيا رأس كل خطيئة رواه البيهقى فى الشعب بسند حسن ورواه أبو نعيم فى الحلية من قول عيسى عليه السلام ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب مكايد الشيطان من قول مالك ابن دينار ورواه ابن يونس فى تاريخ مصر من قول سعد بن مسعود التجيبى وقد تقدم ذلك (لان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هى التى تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر فى العاقبة والاستبصار بنور الكتاب والسنة وأنوار العلم) ومعرفة طريق الهداية والتوفيق (فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه الا انه كاره لحبه ولميله وغير مجيب اليه فهل يكون فى زمرة المرائين) نظرا الى ذلك الميل أولا يعد فى زمرتهم نظرا الى كراهته ونفرته منه (فاعلم ان الله تعالى لم يكلف العبد الا ما يطيق) ويقدر عليه (وليس فى طاقة العبد منع الشيطان من نزغاته) بالكلية (ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات) أصلا (ولا ينزع اليها وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الايمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية فيما كلفه) وفى نسخة فى أداء ما كلف (ويدل على ذلك من الاخبار ما روى ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا اليه وقالوا تعرض لقلوبنا أشياء لان نخر من السماء) أى نسقط (فتخطفنا الطير أو تهوى بنا الريح فى مكان سحيق) أى بعيد الغور (أحب الينا من أن نتكلم بها فقال) صلى الله عليه وسلم (أوقد وجدتموه قالوا نعم) وجدناه (قال ذلك صريح الايمان) قال العراقى رواه مسلم من حديث ابن مسعود مختصرا سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال ذلك محض الايمان ورواه النسائى فى اليوم والليلة وابن حبان فى صحيحه ورواه النسائى فيها من حديث عائشة اهـ قلت لفظ المصنف أخرجه البزار من حديث عمارة بن أبى حسن المازنى عن عمه عبد الله بن زيد بن عاصم ان الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة التى

ولم يجدوا الاالوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الاحمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وان كان عظيما فهو دون الوسوسة فى حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبأن يندفع بها ضرر الاصغر أولى وكذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث ابن عباس أنه قال الحمد لله الذى رد كيد الشيطان الى الوسوسة وقال أبو حازم ما كان من نفسك وكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ماهو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لاتضرك مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التى هى العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب المهيجة للرياء هى من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان ومن آثار العقل الا أن للشيطان ههنا مكيدة وهى أنه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه أن صلاح قلبه فى الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته فى الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصانا فى منزلته عند الله والمتخلصون عن الرياء فى دفع خواطر الرياء على أربع مراتب * الاولى أن يرده على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذى هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان فى السلوك * الثانية أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان فى السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته * الثالثة أن لا يشتغل بتكذيبه أيضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد قرر فى عقد

ضميره

يجدها أحدهم لان يسقط من عند الثريا أحب اليه من أن يتكلم به قال ذاك صريح الايمان ان الشيطان يأتى العبد فيما دون ذلك فاذا عصم منه وقع فيما هنالك واسناده صحيح وقد رواه أيضا لكنه مختصرا مسلم وأبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة والطبرانى فى الاوسط من حديث ابن مسعود وأما حديث عائشة فلفظه شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجدون من الوسوسة قال ذلك محض الايمان هكذا رواه أحمد ورواه أبو يعلى من حديث أنس ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن مسعود (ولم يجدوا الاالوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء فانه وان كان عظيما) فى حد نفسه (فهو دون الوسوسة فى حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبأن يندفع بها ضرر الاصغر أولى وكذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث ابن عباس) رضى الله عنهما (انه قال الحمد لله الذى رد كيد الشيطان الى الوسوسة) قال العراقى رواه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة بلفظ كيده باسناد جيد انتهى قلت لفظ المصنف أخرجه أحمد والطيالسى انه قال لرجل قال انى لاتحدث بشئ لان أخر من السماء أحب الى من ان أتكلم به فكبر النبي صلى الله عليه وسلم مرتين وقال الحمد لله فذكره ورواه الطيالسى أيضا وأبو داود والترمذى وضعفه والطبرانى والبيهقى بلفظ الحمد لله الذى لم يقدر منكم الا على الوسوسة وعند الطبرانى من حديث معاذ قال قلت يارسول الله انه ليعرض فى نفسى الشئ لان أكون حممة أحب الى من أن أتكلم به فقال الحمد لله ان الشيطان قد أيس ان يعبد بأرضى هذه ولكنه قد رضى بالمحقرات من أعمالكم (وقال أبو حازم) سلمة بن دينار الاعرج المدنى رحمه الله تعالى (ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ماهو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه) أخرجه أبو نعيم فى الحلية بنحوه (فاذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لاتضرك مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التى هى العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب المهيجة) وفى نسخة المنجية (للرياء من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس) فالشيطان يوسوس بتلك الخواطر والنفس ترغب اليها (والكراهة من الايمان ومن آثار العقل) فانه من قوى ايمانه واستنار عقله لا يرغب الى تلك الخواطر بل يكرهها (الا ان للشيطان ههنا مكيدة وهى انه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه ان اصلاح قلبه فى الاشتغال بمجادلة الشيطان) ومحاولته (ومطاولته فى الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص) فى العبادة (وحضور القلب) مع الله (لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته) عنه (انصراف عن سر المناجاة مع الله) لكون ذلك شغلا بالسوى (فيوجب ذلك نقصانا فى منزلته عند الله تعالى والمتخلصون عن الرياء فى دفع خواطر الرياء على أربع مراتب الرتبة الاولى ان يرد على الشيطان مكيدته ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته) بكل ممكن (ويطول جداله معه لظنه ان ذلك أسلم لقلبه) وأخلص له (وهو على التحقيق نقصان) وليس بكمال (لانه اشتغل عن مناجاة الله تعالى وعن الخير الذى هو بصدده) وهو الوصول الى مرتبة القرب (وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال) وفى نسخة والتفرغ الى قتال (قطاع الطريق نقصان فى السلوك) عند أهل السلوك (الرتبة الثانية أن يعرف ان الجدال والقتال نقصان فى السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه) فقط (ولا يشتغل بمجادلته) ولا يصرف وقته فى ذلك (الرتبة الثالثة أن لا يشتغل بتكذيبه أيضا لان ذلك وقفة) فى السلوك (وان قلت بل يكون قد قرر فى عقد

ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة * الرابعة أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء الصدقة والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع * يروى عن الفضيل ابن غزوان أنه قيل له ان فلانا يذكرك فقال والله لاغيظن من أمره قيل ومن أمره قال الشيطان اللهم اغفر له أى لاغيظنه بان أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من أن يزيد فى حسناته * وقال (٢٩٧) ابراهيم التيمى ان الشيطان ليدعو العبد الى الباب من الاثم فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيرا فاذا رآه كذلك تركه وقال أيضا اذا رآك الشيطان مترددا طمع فيك واذا رآك مداوما ملك وقلاك وضرب الحرث المحاسبى رحمه الله لهذه الاربعة مثالا أحسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق فتقدم الى واحد فمنعه وصرفه عن ذلك ودعاه الى مجلس ضلال فأبى فلما عرف اباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثانى عليه نهاه واستوقفه فوقف فدفع فى نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية فمر الرابع فلم يتوقف له وأراد أن يغيظه فزاد فى عجلته وترك التأنى فى المشى فيوشك ان عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يعاودوا الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعاود خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله فان قلت فاذا كان الشيطان لا تؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظارا لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه فذهبت فرقة من أهل البصرة الى أن الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله واشتغلوا بحبه فاعتزلهم

ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة الرتبة الرابعة أن يكون قد علم ان الشيطان سيصيده) وفى بعض النسخ سيحسده (عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء الصدقة والعبادة غيظا للشيطان) وارغاما له (وذلك) أى عدم الالتفات اليه فى نزغاته والاستمرار على الاخلاص (هو الذى يغيظ الشيطان ويقمعه) ويدفعه (ويوجب يأسه) عنه (وقنوطه) فيه (حتى لا يرجع اليه) ثانيا (يروى عن) أبى الفضل (فضيل) مصغرا (بن غزوان) بفتح الغين المعجمة وسكون الزاى ابن جرير الضبى مولاهم الكوفى ثقة مات سنة أربعين روى له الجماعة (انه قيل له ان فلانا يذكرك) أى يسبك (قال والله لاغيظن من أمره قيل) له (ومن أمره قال الشيطان ثم قال اللهم اغفر له أى لاغيظنه بان أطيع الله فيه) وفى نسخة بعد قوله اللهم اغفر له أى لاطيعن الله فيه (ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من ان يزيد فى حسناته وقال ابراهيم) بن يزيد (التيمى) رحمه الله تعالى (ان الشيطان ليدعو العبد الى الاسباب من الاثم فلا يطيعه وليحدث عند ذلك خيرا فاذا رآه كذلك تركه) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال أيضا اذا رآك الشيطان مترددا طمع فيك واذا رآك مداوما ملك وقلاك) أى أبغضك وفى نسخة خلاك (وضرب الحرث) بن أسد (المحاسبى) رحمه الله تعالى (لهذه الاربعة مثالا) فى كتاب الرعاية (أحسن فيه فقال مثالهم كاربعة) أشخاص (قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع يضل الناس ببدعته وخاف أن يعرفوا الحق فتقدم الى واحد فمنعه وصرفه عنه ودعاه الى مجلس ضلال فأبى) عليه ولم يطعه (فلما عرف اباءه شغله بالمجادلة معه فاشتغل معه ليرد ضلالته وهو يظن ان ذلك مصلحة له وهو غرض الضال) ومقصوده الاعظم (ليفوت عليه) فائدة المجلس (بقدر تأخره) فى جداله (فلما مر الثانى عليه نهاه واستوقفه) أى طلب أن يقف معه (فوقف فدفع فى نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية فمر به الرابع فلم يتوقف له وأراد أن يغيظه فزاد فى عجلته وترك التأنى فى المشى فيوشك ان عادوا ومروا عليه مرة أخرى ان يعاود الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعود اليه خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله) فهذا المثال يفهمك ان الاشتغال بمجادلة الشيطان والوقوف له لاستماع زخرفته ولو لحظة والتأنى لسماع ما يلقيه فى التسويلات ولو غير ملتفت اليه كما هو حال هؤلاء الثلاثة محض خسران (فان قلت فالشيطان لا تؤمن نزغاته) وفى نسخة مراوغاته (فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظارا لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه وعدم الالتفات اليه بالكلية قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه فذهبت فرقة من) عباد (أهل البصرة الى ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله واشتغلوا بحبه) فلم يكن فى قلوبهم سعة لغير الله (فاعتزلهم

الشيطان وايس منهم وخنس عنهم) أى تأخر (كما أيس من ضعفاء العباد فى الدعوة الى) شرب (الخمر و) مفارقة (الزنا فصارت ملاذ الدنيا عندهم وان كانت مباحة كالخمر والخنزير فارتحلوا من حبها بالكلية ولم يبق للشيطان اليهم سبيل) يوسوس لهم به (فلا حاجة بهم الى الحذر) منه (وذهبت فرقة من) عباد (أهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله فمن أيقن انه لا شريك لله فى تدبيره فلا يحذر غيره و يعلم ان الشيطان ذليل مخلوق وليس له) فى عباد الله (أمر ولا يكون الا ما أراده الله تعالى فهو الضار النافع) وهو الفاعل المختار فى خلقه (والعارف يستحى منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة) وفى نسخة طائفة (من أهل العلم لابد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الاقوياء استغنوا عن الحذر) عنه (ان خلت قلوبهم من حب الدنيا) وفى نسخة ان خلا من قلوبهم حب الدنيا (بالكلية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا اذ الانبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا) كما ظنوا (بل فى صفات الله تعالى واسمائه وفى تحسين البدع والضلال وغير ذلك ولا ينجو أحد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى) وقد تقدم الكلام على الرسول والنبى فى كتاب قواعد العقائد (الا اذا تمنى) أى زوّر فى نفسه ما يهواه (ألقى الشيطان فى أمنيته) فى تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما فى الخبر وانه ليغان على قلبى (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى فيبطله و يذهبه بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه (ثم يحكم الله آياته) أى ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق فى أمر الآخرة (والله عليم) بأحوال الناس (حكيم) فيما يفعل بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليهم ما يقربهم اليه فاستمر به ذلك حتى كان فى ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فأخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى تابعوه فى السجود لما سجد فى آخرها بحيث لم يبق فى المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله

تمنى كتاب الله أول مرة * تمنى داود الزبور على رسل

وامنيته قراءته وألقى الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فقد رد أيضا بما يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه أيضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم كل هذا سياق البيضاوى والمسئلة مختلف فيها قديما وقد تكلم عليها القاضى عياض فى الشفاء ورد ما ذكروه فى توجيه الآية وأوسع عليه الكلام شارحه الشهاب الخفاجى والصحيح ورود القضية فقد رويت من طرق كثيرة لا تحتمل الخطأ كما أشار اليه الحافظ فى فتح البارى فقد أخرجه عبد بن حميد من طريق السدى عن أبى صالح عن ابن عباس والبزار والطبرانى وابن مردويه والضياء فى المختارة بسند رجاله ثقات من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه بسند صحيح عن سعيد بن جبير وابن جرير وابن مردويه من طريق العوفى عن ابن عباس وابن مردويه من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ومن طريق أبى بكر الهذلى وأيوب عن عكرمة عن ابن عباس وعبد بن حميد وابن جرير من طريق يونس عن الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وابن أبى حاتم من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب والبيهقى فى الدلائل عن موسى بن عقبة ولم يذكر ابن شهاب والطبرانى عن عروة مثله وسعيد بن منصور وابن جرير عن محمد بن كعب القرظى ومحمد بن قيس وابن جرير عن الضحاك وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم بسند صحيح عن أبى العالية وعبد بن حميد عن مجاهد وعن عكرمة وابن أبى حاتم عن السدى

الشيطان وأيس منهم وخنس عنهم كما أيس من ضعفاء العباد فى الدعوة الى الخمر والزنا فصارت ملاذ الدنيا عندهم وان كانت مباحة كالخمر والخنزير فارتحلوا من حبها بالكلية فلم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة من أهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله فمن أيقن بان لا شريك لله فى تدبيره فلا يحذر غيره و يعلم ان الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون الا ما أراده الله فهو الضار والنافع والعارف يستحى منه أن يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من أهل العلم لابد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا اذ الانبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل فى صفات الله تعالى وأسمائه وفى تحسين البدع والضلال وغير ذلك ولا ينجو أحد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته

وقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي مع أن شيطانه قد أسلم ولا يأمره الا بخير فمن ظن ان اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة التي هي دار الامن والسرور وبعد أن قال الله لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ومع انه لم ينه الا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فاذا لم يأمن نبي من الانبياء وهو في الجنة دار الامن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن في دار الدنيا وهي منبع المحن والفتن ومعدن الملاذ والشهوات المنهي عنها وقال موسى عليه السلام فيما أخبر عنه تعالى هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج أبويكم من الجنة وقال عز وجل انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقرآن من أوله الى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدعي الامن منه وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لا ينافي الاشتغال بحب الله فان من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وقال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل

وألفاظ الكل متقاربة وفي سوق كل منها تطويل ومع ثبوت القصة من هذه الطرق لا يسع العالم ردها فضلا عن المحقق (وقال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي) واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة رواه أحمد وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن حبان والبغوي وابن قانع والباوردي والطبراني كلهم من حديث الاغر بن يسار المزني وقد تقدم الكلام على هذا الحديث (مع ان شيطانه) صلى الله عليه وسلم (قد أسلم فلا يأمره الا بخير) رواه الطبراني من حديث المغيرة بلفظ ما من أحد الا جعل معه قرين من الجن قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بخير وروى أحمد وأبو يعلى والطبراني والضياء من حديث ابن عباس ليس منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الشيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال نعم ولكن الله أعانني عليه فأسلم وقد تقدم الكلام عليه أيضا (فمن ظن ان اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء) عليهم السلام (فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه) أي من كيده (آدم وحواء) عليهما السلام وهما (في الجنة التي هي دار الامن والسرور بعد ان قال الله لهما ان هذا) يعني الشيطان (عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما) أي لا يكون سببا لاخراجكما (من الجنة) والمراد نهيهما عن أن يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما (فتشقى) أفرده باسناد الشقاء اليه بعد اشتراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها أو لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال والشقاء بمعنى التعب شائع في كلام العرب يقولون أشقى من رائض المهر وسيد القوم أشقاهم ويؤيده قوله (ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) فانه بيان وتذكير لماله في الجنة من أسباب الكفاية واقطاب الكفاية هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي بتحصيل اعراض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها لتطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها (مع انه لم ينهه الا عن شجرة واحدة) قيل هي الحنطة وقيل الكرم وقيل التين وقيل غير ذلك (وأطلق له وراء ذلك ما أراد) وفيه الاشارة بقوله تعالى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما (فاذا لم يأمن نبي من الانبياء وهو) مستقر (في الجنة) التي هي (دار الامن والسعادة من كيد الشيطان) ووسوسته (فكيف يجوز لغيره ان يأمن) من وسوسته وهو (في دار الدنيا وهي منبع الفتن والمحن ومعدن الملاذ والشهوات المنهي عنها وقال موسى عليه السلام) فيما حكى الله عنه في كتابه العزيز ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال (هذا من عمل الشيطان) لانه لم يؤمر بقتل الكفار أو لانه كان مؤمنا فيهم فلم يكن له اغتياله ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم (انه عدو مضل مبين) ظاهر العداوة (ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) آدم وحواء (ينزع عنهما لباسهما) أي حلل الجنة قيل انهما لما تناولا من الشجرة سقطت عنهما الحلل (وقال عز وجل انه يراكم هو وقبيله) أي جماعته وجنوده (من حيث لا ترونهم والقرآن من أوله الى آخره تحذير من الشيطان) وتنبيه على غوايته وارشاد في مخالفته (فكيف يدعي الامن منه وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لا ينافي الاشتغال بحب الله تعالى فان من الحب له امتثال أمره وقد أمرنا بالحذر من العدو كما أمرنا بالحذر من الكفار فقال تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) أي ليأخذوا ما فيه الحذر بالكسر وهو التحرز والاسلحة جمع سلاح وهو كل عدة للحرب (وقال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به

فاذا الزمك امر الله الحذر من العدو الكافر وأنت تراه فبأن يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه أولى ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك أن تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك فأشار الى الشيطان فكيف وليس فى الغفلة عن عداوة الكافر الاقتل هو شهادة وفى اهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية فى ظنهم ان ذلك قادح فى التوكل فان أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح فى توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقدح فى التوكل الخوف مما خوّف الله به والحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا فى كتاب التوكل ما يبين غلط من زعم أن معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل لا يناقض امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد أن الهادى والمضل هو الله ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه فى التوكل وهذا ما اختاره الحرث المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذى يشهد له نور العلم وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لم يغزر علمهم ويظنون أن ما يهجم عليهم من الاحوال فى بعض الاوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة أوجه فى كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله تعالى العدوّ فلا ينبغى أن يكون شئ أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدى الى خلوّ القلب عن ذكر الله القلب واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر منه فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسب وان تجردنا للذكره كنا قد أهملنا ذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان أما الاوّل فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلا يخفى غلطه وانما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدوّ ثم يؤدى ذلك الى خلوّ القلب عن نور ذكر الله تعالى

عدوّ الله وعدوّكم فاذا الزمك بامر الله الحذر من العدوّ والكافر وأنت تراه) وتشاهده بعينك (فبأن يلزمك الحذر من عدوّ يراك) هو وقبيله (ولا تراه) ولا ترى قبيله (أولى) وآكد (ولذلك قال) عبد الله (بن محيريز) بمهملة وراء آخره زاى مصغرا ابن جنادة بن وهب الجمحى المكى نزل بيت المقدس ثقة عابد مات سنة تسع وتسعين روى له الجماعة (عدوّ صيد تراه ولا يراك يوشك أن تظفر به وعدوّ صائد يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك وأشار به) أى بهذا الكلام (الى الشيطان) فانه عدوّك وقصده أن يصيدك وهو يراك ويخيل لك ويرمى عليك الفخ وأنت لا تراه فما أقرب أن تقع فى قبضته (كيف وليس فى الغفلة من عداوة الكافر الاقتل هو شهادة) ان تيسر القتل (وفى اهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية فى ظنهم ان ذلك قادح فى التوكل فان أخذ الترس والسلاح وجمع الجند) وحشد العساكر (وحفر الخندق لم يقدح فى توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقدح فى التوكل الخوف مما خوّف الله تعالى به والحذر مما أمر الله بالحذر منه وقد ذكرنا فى كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن ان معنى التوكل النزوع من الاسباب بالكلية) أى الخروج عنها (وقوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل لا يناقض امتثال التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله) عز وجل لا غيره (فكذلك يحذر الشيطان) ويحترز منه (ويعتقد أن المضل والهادى هو الله) عز وجل لا غيره (ويرى الاسباب وسائط مسخرة) بلطف الحكمة الالهية (كما ذكرناه فى كتاب (التوكل) وسيأتى تحقيقه ان شاء الله تعالى (وهذا ما اختاره) الحرث (المحاسبي) رحمه الله تعالى (وهو الصحيح الذى يشهد له نور العلم وما قبله) مما ذكر (يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لا يغزر) أى لا يكثر (علمهم ويظنون ان ما يهجم عليهم من الاحوال فى بعض الاوقات من) نتيجة (الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد) لان الاحوال لا تثبت (ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة أوجه فى كيفية الحذر) أى الاحتراز (فقال قوم اذا حذرنا الله العدوّ فلا ينبغى أن يكون شئ أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا اذا غفلنا عنه لحظة) واحدة (يوشك أن يهلكنا) بكيده ومكره (وقال قوم ان ذلك) أى كونه أغلب شئ على القلب (يؤدى الى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة وذكر الله ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة) الداعية (الى الحذر منه فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسب فيهلكنا (وان تجردنا للذكره) والترصد له (كنا قد أهملنا ذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون) من الصوفية (غلط الفريقان اما الاولى فقد تجردت لذكر الشيطان ونسيت ذكر الله ولا يخفى غلطها) على من تأمل كلامها (وانما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدوّ ثم يؤدى ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله) فان

فاذاقصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره وأما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت فى القلب بين ذكر الله والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ماعداه ابليس وغيره فالحق أن يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على أن يتنبه فى ذلك الوقت فيتنبه فى الليل مرات قبل أوانه لما أسكن فى قلبه من الحذر مع أنه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذى يقوى على دفع العدو اذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر العدو فمثال القلب مثال بئر أريد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافى فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذى جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزح الماء القذر من جانب ولكنه تركه جاريا اليها من جانب آخر فيطول تعبه ولا تجف البئر من الماء القذر والبصير هو الذى يجعل لمجرى الماء القذر سدا وملأها بالماء الصافى فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب*(بيان الرخصة فى قصد اظهار الطاعات)* اعلم أن فى الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفى الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس فى الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون أن السر أحرز العملين ولكن فى الاظهار أيضا فائدة ولذلك أثنى الله تعالى على السر

القلب انما اضاءته بسبب ما يرد عليه من أنوار الذكر (فاذاقصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله وقوة الاشتغال به فيوشك ان يظفر به) ويستولى عليه (ولا يقوى على دفعه فلم يؤمر) العبد وفى نسخة فلم يأمرنا (بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره وأما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت فى القلب بين ذكر الله والشيطان) وهما نقيضان (وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله) ويشتغل عنه (وقد أمر الله تبارك وتعالى الخلق بذكره ونسيان ماعداه) أى ماسواه (ابليس وغيره) بل سائر ما فى الكون الاشتغال به شغل عن الله عز وجل (فالحق) الذى أحق أن يتبع وهو الوجه الثالث (أن يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته) على طريق التأكد (فاذا اعتقده وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله) حينئذ (ويكب عليه بكل الهمة) أى يقبل عليه مع الملازمة (ولا يخطر بباله أمر الشيطان فانه ان اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له) فى الحال (وعند التنبه يشتغل بدفعه) على قدر الامكان (والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان) والتنبه له (بل الرجل ينام وهو خائف على أن يفوته مهم) أى أمر مقصود لذاته (عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر) أى التحرز (وينام على أن يتنبه فى ذلك الوقت فيتنبه من الليل) أى فى أثنائه (مرات قبل أوانه لما سكن فى قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنعه تنبهه) لا يحذر منه (ومثل هذا القلب الذى يقوى على دفع العدو) اذا هجم عليه (واذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله فقد أمات منه الهوى وأحيا منه نور الفضل والعلم وأماط) أى أزال (عنه ظلمة الشهوات فأهل البصيرة) التامة (أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده) وانتظاره (والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤا بنور ذكر الله حتى أبصروا خواطر العدو) من أين تهجم فاستعدوا لدفعها بقوة نور الذكر (فمثال القلب مثال بئر أريد تطهيرها من الماء القذر) المنتن (ليتفجر منها الماء الصافى فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذى جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله تعالى قد نزح الماء القذر من جانب ولكنه قد تركه جاريا اليها من جانب آخر فيطول تعبه ولا يخف من البئر الماء القذر والبصير) العارف (هو الذى يجعل لمجرى الماء القذر سدا) فسده عليه (وملأه بالصافى) الذى لا كدر فيه (فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد) يقال سكرت النهر سكرا اذا سددته والسكر بالكسر ما يسد به النهر (من غير كلفة) أى مشقة (ومؤنة وزيادة تعب) والله الموفق

(بيان الرخصة فى قصد اظهار الطاعات)

(اعلم) هداك الله بتوفيقه (ان فى الاسرار للاعمال) أى فى اخفائها (فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفى الاظهار) لها (فائدة الاقتداء) فيها (وترغيب الناس فى الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (ان السر أحرز العملين ولكن فى الاظهار أيضا فائدة ولذلك أثنى الله على السر

والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعماهي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان أحدهما في نفس العمل والآخر بالتحدث بما عمل *(القسم الاول)* اظهار نفس العمل كالصدقة في الملأ لترغيب الناس فيها كما روى عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وتجري سائر الاعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والغزو وغيرها ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع أغلب نعم الغازي اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لان الغزو في أصله من أعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليست من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في الصلاة بالليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلاة فان كان اظهار الصدقة يؤذى المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لان الايذاء حرام فان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر أفضل من العلانية

والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعماهي) أي فنعم شيء تبدوها (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء) أي تعطوها مع الاخفاء (فهو خير لكم) وتمام الآية ونكفر عنكم من سيآتكم والله بما تعملون خبير (والاظهار قسمان أحدهما في نفس العمل والآخر بالتحدث بما عمل القسم الاول اظهار نفس العمل كالصدقة في الملأ) أي بين أظهر الناس (لترغيب الناس فيها كما روى عن الانصاري الذي جاء بالصرة) فبادراهم وذلك لما رغب النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الصدقة (فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه) قال العراقي رواه مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي وفي أوله قصة اهـ قلت لفظ مسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير ان ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وهكذا رواه أيضا الطيالسي وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي وابو عوانة وابن حبان وفي الباب حذيفة بن اليمان وأبو هريرة وأبو جحيفة وواثلة بن الاسقع فلفظ حديث حذيفة من سن في الاسلام خيرا فاستن به كان له أجره ومثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيأ ومن سن شرا فاستن به كان عليه وزره ومن أوزار من تبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيأ هكذا رواه أحمد والبزار والطبراني في الاوسط والحاكم والضياء من رواية أبي عبيدة بن حذيفة عن أبيه ولفظ حديث أبي هريرة من سن خيرا فاستن به كان له أجره كاملا ومن أجور من استن به من غير أن ينقص من أجورهم شيأ ومن سن شرا فاستن به كان عليه وزره كاملا ومن أوزار الذي استن به لا ينقص من أوزارهم شيأ هكذا رواه أحمد وفي رواية من سن سنة هدى فاتبع عليها كان له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيأ ومن سن سنة ضلالة فاتبع عليها كان عليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيأ هكذا رواه السجزي في الابانة ولفظ حديث أبي جحيفة من سن سنة حسنة فعمل بها بعده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن ينتقص من أجورهم شيأ ومن سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ومثل أوزارهم من غير أن ينتقص من أوزارهم شيأ هكذا رواه ابن ماجه والطبراني في الاوسط ولفظ حديث واثلة من سن سنة حسنة فله أجرها ما عمل بها في حياته وبعد مماته حتى يترك ومن سن سنة سيئة فعليه اثمها حتى تترك ومن مات مرابطا في سبيل الله جرى له أجر المرابط حتى يبعث يوم القيامة هكذا رواه الطبراني في الكبير والسجزي في الابانة (وتجري سائر الاعمال هذا المجرى من الصلاة والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع أغلب) كما وقع للانصاري المتقدم ذكره (نعم الغازي) في سبيل الله (اذا هم بالخروج) من محله بنية الغزو (فاستعد) وتهيأ (وشد الرحل) والركائب (قبل القوم تحريضا على الحركة) والنهوض (فذلك أفضل له لان الغزو في نفسه من أعمال العلانية لا يمكن اسراره) أي اخفاؤه (والمبادرة اليه ليس من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في صلاة الليل) أي التي يصليها بعد هجعة (لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به) في فعله (فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض) على الانتفاع به فمن كان ممن يستن به عالما بما لله عليه قاهرا لشيطانه استوى ما ظهر من عمله وما خفي لصحة قصده جاز له الاظهار والمبادرة واليه الاشارة بقوله (بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء) والا فالافضل الاخفاء مطلقا صرح به العز بن عبد السلام في قواعده (وأما ما يمكن اسراره) أي اخفاؤه (كالصدقة والصلاة فان كان اظهار الصدقة يؤذى المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لان الايذاء حرام) فيغلب جانبه على جانب الترغيب عند التعارض (وان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر أفضل من العلانية) ومعه يكون تكفير

وان كان فى العلانية قدوة وقال قوم السر أفضل من علانية لاقدوة فيها أما العلانية للقدوة فأفضل من السر ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الانبياء باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل العملين ويدل عليه قوله عليه السلام له أجرها وأجر من عمل بها وقد روى فى الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا الاوجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد فى الحالتين فما يقتدى به أفضل لامحالة وانما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف فى أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احداهما أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به أهله دون جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محلته وانما العالم المعروف هو الذى يقتدى به الناس كافة فغير العالم اذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو فى محل القدوة على من هو فى محل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفى فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله الا الاقوياء المخلصين وقليل ما هم فلا ينبغى أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق

السيآت (وان كان فى العلانية قدوة) لامثاله (وقال قوم السر أفضل من علانية لاقدوة فيها اما العلانية للقدوة) أى لاجل ان يقتدى به ويستشرف له أمثاله (فأفضل من السر ويدل على ذلك ان الله عز وجل أمر أنبياءه) عليهم السلام (بالاظهار للعمل للاقتداء) بهم (وخصهم بمنصب النبوة) واجتباهم به (ولا يجوز ان نظن بهم انهم حرموا أفضل العملين ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم) فى الحديث السابق من سن سنة حسنة (فله أجرها وأجر من عمل بها) من غير أن ينقص من أجورهم شيأ (وقد روى فى بعض الحديث أن عمل السر يضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله على عمل السر بسبعين ضعفا) قال العراقى رواه البيهقى فى الشعب من حديث أبى الدرداء مقتصرا على الشطر الاول بنحوه وقال هذا من افراد بقية عن شيوخه المجهولين وقد تقدم قبل هذا قريبا وله من حديث ابن عمر عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء وقال تفرد به بقية عن عبد الملك بن مهران وله من حديث عائشة يفضل أو يضاعف الذكر الخفى الذى لا يسمعه الحفظة على ما تسمعه بسبعين ضعفا وقال تفرد به معاوية بن يحيى الصدفى وهو ضعيف اه قلت اما حديث أبى الدرداء فلفظه عند الديلمى فى مسند الفردوس ان الرجل ليعمل عملا سرا فيكتبه الله عنده سرا فلا يزال الشيطان حتى يتكلم به فيمحى من السر فيكتب علانية فان عاد فتكلم الثانية محى عن السر والعلانية وكتب رياء ولفظه عند البيهقى ان الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به فى السر يضعف أجره سبعين ضعفا هذا أوله والباقى كسياق الديلمى وقد تقدمت الاشارة اليه فى بيان فهم الرياء فى أول الشطر الثانى من هذا الكتاب وأما حديث عائشة فرواه كذلك ابن أبى الدنيا فى كتاب الاخلاص وتقدمت الاشارة اليه وأما حديث ابن عمر فقد رواه كذلك الديلمى فى مسند الفردوس ولفظه السر أفضل من العلانية ولمن أراد الاقتداء العلانية أفضل من السر وفيه محمد بن الحسين السلمى قال الذهبى قال الخطيب قال محمد بن القطان كان يضع للصوفية الحديث وبقية قال الذهبى صدوق ولكنه يروى عمن دب ودرج فكثرت العجائب والمناكير فى حديثه وعثمان بن زائدة أورده الذهبى فى الضعفاء وقال له حديث منكر وفى اللسان عثمان بن زائدة عن نافع عن ابن عمر حديثه غير محفوظ قاله العقيلى وساق له هذا الخبر (وهذا الاوجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء) وسلم منه (وتم الاخلاص على وجه واحد فى الحالتين فما يقتدى به أفضل لامحالة وانما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصل شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف فى ان السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احداهما أن يظهره حيث يعلم انه يقتدى به) علما حاصلا له به فى الحال (أو يظن ذلك ظنا) ففى الحالتين له الاظهار (وربما يقتدى به أهل محلته) فقط (وانما العالم المعروف هو الذى يقتدى به الناس كافة) فى بلده ومن الواردين عليه (فغير العالم اذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو فى محل القدوة على من هو فى محل الاقتداء به الثانية أن يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفى) المستكن فى الضمير (فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء) أى يقول انما أظهره ليقتدى بى الناس وهذا عذرى (وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به) فيحتاج الى المراقبة فى ذلك فان وجد فى نفسه شيأ من ذلك لم يجز له الاظهار أصلا (وهذا حال كل من يظهر أعماله) فانه لا يخلو من حب الرياء الخفى (الا الاقوياء المخلصين) الذين يتوقون من ذلك (وقليل ما هم فلا ينبغى أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر) بهلاكه (فان الضعيف مثاله مثال الغريق

الذى يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء فى الدنيا ألمه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لابل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزلة أقدام العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء فى الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط أجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدى الناس بعابد آخر من أقرانك ويكون لك فى السر مثل أجر الاعلان فان مال قلبه الى أن يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر واقتداء الناس به ورغبتهم فى الخير فانهم قد رغبوا فى الخير بالنظر الى غيره وأجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظته لاعين الخلق ومراآتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الاعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغى أن يعدل بالسلامة شيأ والسلامة فى الاخفاء وفى الاظهار من الاخطار مالا يقوى عليه أمثالنا فالحذر من الاظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء *(القسم الثانى)* أن يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر فى هذا أشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجرى فى الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة فى اظهار الدعاوى عظيمة الا أنه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر فى افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوى قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس فى عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة فى الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب اليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لانه ترغيب فى الخير والترغيب فى الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاقوياء قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسى بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسى بغير ماهى قائلة وما هو مقول لها وما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول قولا قط الا علمت أنه حق وقال عمر رضى الله عنه ما أبالى أصبحت على عسر أو يسر لانى لا أدرى أيهما خير لى وقال ابن مسعود ما أصبحت على حال فتمنيت أن أكون على غيرها وقال عثمان رضى الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

الذى يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة غرقى) مثله (فرحمهم) فأشفق لهم (فأقبل عليهم حتى تشبثوا به) فهلكوا وهلك معهم (والغرق بالماء فى الدنيا ألمه ساعة) ثم يرتاح (وليت كان الهلاك بالرياء مثله لابل عذابه دائم) مقيم (مدة مديدة) أى طويلة (وهذه مزلة أقدام العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء فى الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط أجورهم بالرياء) فيهلكون (والتفطن لذلك غامض) أى خفى المدرك (ومحك ذلك أن يعرض على نفسه انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدى الناس بعابد آخر من أقرانك) وأمثالك (ويكون لك فى السر مثل أجر الاعلان فان مال قلبه أن يكون هو المقتدى به) دون غيره (وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر واقتداء الناس به ورغبتهم فى الخير فانهم قد رغبوا فى الخير بالنظر الى غيره وأجره قد توفر عليه مع اسراره) أى اخفائه (فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظته لاعين الخلق ومراآتهم فليحذر العبد خدع النفس) ومكرياتها (فان النفس خدوع والشيطان) طلاع (مترصد) لان يوقعك (وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الاعمال الظاهرة من الآفات فلا ينبغى أن يعدل بالسلامة شيأ) فانها غنيمة الاكياس (والسلامة فى الاخفاء) محققة (وفى الاظهار من الاخطار مالا يقوى عليه أمثالنا فالحذر من الاظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء أمثالنا القسم الثانى أن يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر فى هذا أشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد يجرى فى الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة فى اظهار الدعاوى) الكاذبة (عظيمة الا انه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر فى افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو) من هذا الوجه (أهون والحكم فيه ان من قوى قلبه) بنور الذكر (وتم اخلاصه وصغر الناس فى عينه واستوى عنده مدحهم) له (وذمهم) كذلك (وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة فى الخير بسببه فهو جائز بل مندوب اليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لانه ترغيب فى الخير والترغيب فى الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاقوياء) قال أبو عمرو (سعد بن معاذ) بن النعمان الانصارى الاشهلى سيد الاوس شهد بدرا واستشهد بسهم أصابه فى الخندق روى له البخارى (ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسى بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسى بغير ماهى قائلة وما هو مقول لها وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا قط الا علمت انه حق وقال عمر) رضى الله عنه (ما أبالى أصبحت على يسر أو على عسر لانى لا أدرى أيهما خير لى) أخرجه الاسماعيلى فى مناقبه (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (ما أصبحت على حالة فتمنيت أن أكون على غيرها وقال عثمان) رضى الله عنه (ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال العراقى رواه أبو يعلى الموصلى فى معجمه باسناد ضعيف من روايته عنه فى أثناء حديث وان عثمان قال يارسول الله فذكره بلفظ منذ بايعتك قال هو ذاك ياعثمان اهـ قلت رواه وكيع عن الصلت عن عقبة بن صهبان انه سمع عثمان يقول ما تمنيت ولا تغنيت

ولا

وقال شداد بن أوس ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها غير هذه وكان قد قال لغلامه ائتنا بالسفرة لنعبث بها حتى ندرك الغذاء وقال أبو سفيان لاهله حين حضره الموت لا تبكوا على فانى ما أحدثت ذنبا منذ أسلمت وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما قضى الله فى بقضاء قط فسرنى أن يكون قضى لى بغيره وما أصبح لى هوى الا فى مواقع قدر الله فهذا كله اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراآة اذا صدرت ممن رائى بها وفيها غاية الترغيب اذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للاقوياء بالشروط التى ذكرناها فلا ينبغى أن يسد باب اظهار الاعمال والطباع مجبولة على حب التشبه والاقتداء بل اظهار المرائى للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائى فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله وقد روى أنه كان يجتاز الانسان فى سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات المصلين بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم كتابا فى دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائى فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لاخلاق لهم كما ورد فى الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم

(بيان الرخصة فى كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له)

ولا مسست فرجى بيمينى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم فى كتاب الوجد والسماع (وقال شداد بن أوس) رضى الله عنه (ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى ازمها وأخطمها) يقال زم ناقته وخطمها اذا حبسها بزمام أو خطام (غير هذه وكان قد قال لغلامه ائتنا بالسفرة لنعبث بها حتى ندرك الغذاء) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت من طريقين احداهما قال فيها حدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن عمران بن أبى ليلى حدثنا عيسى بن يونس عن الاوزاعى حسان بن عطية قال كان شداد بن أوس فى سفر فنزل منزلا فقال لغلامه ائتنا بالسفرة نعبث بها فانكرت عليه فقال ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت الا وأنا أخطمها وأزمها الا كلمتى هذه فلا تحفظوها على والثانية قال فيها حدثنا أحمد بن جميل أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا السرى بن يحيى عن ثابت البنانى قال قال شداد بن أوس لغلامه ائتنا بسفرتنا نعبث ببعض ما فيها فقال له رجل من أصحابه ما سمعت منك كلمة منذ صاحبتك أرى أن يكون فيها شئ من هذه قال صدقت ما تكلمت بكلمة منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أزمها وأخطمها الا هذه وايم الله لا تذهب منى هكذا فجعل يسبح ويكبر ويحمد الله عز وجل (وقال أبو سفيان) بن الحرث بن عبد المطلب الهاشمى رضى الله عنه ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة أرضعتهما حليمة (لاهله حين حضره الموت لا تبكوا على فانى ما أحدثت ذنبا منذ أسلمت) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت وسيأتى فى آخر الكتاب وكان اسلامه يوم فتح مكة ثم شهد حنينا وكان ممن ثبت معه وكان آخذا بركاب البغلة ومات سنة خمس عشرة فى خلافة عمر وقيل سنة عشرين وقيل انه لم يرفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه (وقال عمر بن عبد العزيز) الاموى رحمه الله تعالى (ما قضى الله تعالى لى بقضاء قط فسرنى ان يكون قضى لى بغيره وما أصبح لى هوى الا فى مواقع قدر الله) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (فهذا كله اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراآة اذا صدرت ممن رائى بها وفيها غاية الترغيب اذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للاقوياء) القادرين على أنفسهم المخلصين فى قصودهم (بالشروط التى ذكرناها فلا ينبغى ان يسد باب اظهار الاعمال) على مظهريها (والطباع مجبولة على حب التشبه والاقتداء) بذوى الصلاح فى أعمالهم وكيفية سلوكهم وآدابهم (بل اظهار المرائى للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائى فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله وقد روى انه كان يجتاز) أى يمر (الانسان فى سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات المصلين بالقرآن من البيوت) وكان المراد به صلاة الليل فقوله عند الصبح أى بالقرب من طلوعه (فصنف بعضهم كتابا فى) التصوف وذكر فيه جملة من (دقائق الرياء) وخفاياها فطالعوه وسمعوه (فتركوا ذلك) خوفا من أن يدخل فيه الرياء الخفى (وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف) نقله صاحب القوت (واظهار المرائى فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه فان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لاخلاق لهم كما ورد) ذلك (فى الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم) قال العراقى هما حديثان فالاول عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم فى العلم والثانى رواه النسائى من حديث أنس بسند صحيح وقد تقدم أيضا اهـ قلت وروى الطبرانى من حديث عمرو بن النعمان بن مقرن ان الله تعالى ليؤيد الدين بالرجل الفاجر وروى ابن النجار من حديث كعب بن مالك ان الله ليؤيد الدين بقوم لاخلاق لهم وروى الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو ان الله عز وجل ليؤيد الاسلام برجال ما هم من أهله وقد تقدم الكلام عليه

(بيان الرخصة فى كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم)

اعلم أن الاصل فى الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضى الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك لم تستحى منه وقال أبو مسلم الخولانى ما عملت عملا أبالى أن يطلع الناس عليه الا أتيانى أهلى والبول والغائط الا أن هذه درجة عظيمة لا ينالها كل أحد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لاسيما ما تختلج به الخواطر فى الشهوات والامانى والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما يظن أنه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور أنه يستر ذلك ليرى الناس أنه ورع خائف (٣٠٦) من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائى وأما الصادق الذى لا يرائى فله ستر المعاصى ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية أوجه *(الاول)* أن يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره ويخاف أن يهتك ستره فى القيامة اذ ورد فى الخبر أن من ستر الله عليه فى الدنيا ذنبا ستره الله عليه فى الآخرة وهذا غم ينشأ من قوة الايمان *(الثانى)* انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصى ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيأ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما أحبه الله وهذا ينشأ من قوة الايمان بكراهة الله ظهور المعاصى وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضا ويغتم بسببه *(الثالث)* أن يكره ذم الناس له به من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشتغل عن الطاعة وبهذه العلة أيضا ينبغى أن يكره الحمد الذى يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا أيضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة فى فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان *(الرابع)* أن يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصى اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان أن لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به نعم كمال الصدق فى أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه

(اعلم) أرشدك الله (ان الاصل فى الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضى الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك لم تستحى منه) أخرجه الاسماعيلى فى مناقبه وبه فسر مالك رحمه الله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم اذا لم تستح فاصنع ما شئت أى اذا كنت فى أمورك آمنا من الحياء فى فعلها لكونها على القانون الشرعى الذى لا يستحى منه أهله فاصنع ما شئت ولا عليك من متكبر يلومك ولا من متصلف يستعيبك فان ما أباحه الشرع لا حياء فى فعله (وقال أبو مسلم) عبد الله بن ثوب (الخولانى) الزاهد الشامى التابعى رحمه الله تعالى (ما عملت عملا أبالى أن يطلع الناس عليه الا اتيانى أهلى والبول والغائط) أى فهذان العملان مما يستحيا منهما اذا اطلع عليهما الناس (الا أن هذه درجة عظيمة لا ينالها كل أحد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه وبجوارحه) الظاهرة (وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لاسيما ما تختلج به الخواطر من الشهوات والامانى والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما يظن انه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور أن يستر ذلك) عنهم (ليرى الناس انه ورع) وانه متق (وانه خائف من الله مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائى وأما الصادق الذى لا يرائى فله ستر المعاصى ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية أوجه) الوجه (الاول هو أن يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره) فى الدنيا (ويخاف أن يهتك ستره فى القيامة اذ ورد فى الخبر ان من ستر عليه فى الدنيا يستر عليه فى الآخرة) تقدم قريبا من رواية مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ ما ستر الله على عبد فى الدنيا الا ستر عليه فى الآخرة (وهذا غم ينشأ من قوة الايمان) الوجه (الثانى انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصى ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيأ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله) رواه الحاكم فى المستدرك وقد تقدم فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه من محبة ما أحبه الله وهذا ينشأ من قوة الايمان بكراهة ظهور المعاصى وأثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره أيضا ويغتم بسببه) الوجه (الثالث ان يكره ذم الناس له من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله من طاعة الله فان الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشتغل عن الطاعة ولهذه العلة أيضا ينبغى ان يكره الحمد الذى يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه) بان يغمره كله (ويصرفه عن ذكر الله وهذا أيضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة فى فراغ القلب لاجل الطاعة) حتى لا يكون فيه شاغل سواها (من الايمان) الوجه (الرابع ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما ان الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم الذنب ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصى به اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز) ارتكابه (حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به (نعم كمال الصدق فى ان تزول عنه رؤيته للخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه) أى يكون عنده حامده وذامه فى الخلق سواء كما قال ابن مسعود لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحل بذروته ولا يحل بذروته حتى يكون حامده وذامه عنده سواء رواه صاحب

لعلمه أن الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا وأكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود اذا كان الذام من أهل البصيرة فى الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان فى الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم لفوات الحمد بالورع كأنه يحب أن يحمد بالورع ولا يجوز ان يحب ان يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك فى نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد وأما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله التستر حذرا من ذلك ويتصور أن يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده أن يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم وأما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة فى الحال وأما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه الا أمر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان فى الدين بل ينبغى أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر (الخامس) أن يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله تعالى به وهذا من الايمان وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضا فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع *(السادس) أن يستر ذلك كيلا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم الذم فان الذم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فله ان يستر ذلك حذرا منه *(السابع) مجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث فى أول الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحى من القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله وقال صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان

الحلية (لعلمه ان الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون و) وجود (ذلك قليل جدا) لعزة هذا المقام (وأكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب متألم بالذم محمود ان كان الذام من أهل البصيرة فى الدين فانهم شهداء الله) فى الارض وروى الطبرانى من حديث سلمة بن الاكوع أنتم شهداء الله فى الارض والملائكة شهداء الله فى السماء (وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصانه فى الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو أن يغتم لفوات الحمد بالورع كانه يحب أن يحمد بالورع ولا يجوز أن يحب أن يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك فى نفسه وجب عليه أن يقابله بالكراهة والرد وأما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله التستر حذرا من ذلك ويتصور أن يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده أن يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر على لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم وأما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة فى الحال وأما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه لامر واحد وهو أن يشغله غمه عنه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان فى الدين بل ينبغى أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر) لان شغله باطلاع الخلق لا يزيده الا غما بخلاف شغله باطلاع الله فانه يزيده رهبة ويجره الى توبة (الخامس أن يكره الذم من حيث ان الذم قد عصى الله به وهذا من الايمان وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضا فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع) فانه يتوجع لنفسه أكثر من غيره الوجه (السادس أن يستر ذلك كيلا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم الذم فان الذم يؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فله أن يستر ذلك حذرا منه) الوجه (السابع مجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث فى أول الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحى من القبائح اذا شوهدت منه) والاستحياء استفعال من الحياء والحياء من قوة الحس ولطفه وقوة الحياء (وهو وصف محمود) واختلف فيه وأشهر الاقوال انه تغير وانكسار يعرض للانسان من تخوف ما يعاب به أو يذم عليه (قال صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله) قال العراقى رواه مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم قلت وكذلك رواه أحمد وأبو داود وانما كان خيرا كله لان مبدأه انكسار يلحق الانسان مخافة نسبته الى القبيح ونهايته ترك القبيح وكلاهما خير ومن ثمراته مشهد النعمة والاحسان فان الكريم لا يقابل بالاساءة من أحسن وانما يفعله اللئيم فيمنعه مشهد احسانه اليه ونعمته عليه من عصيانه حياء منه ان يكون خيره وانعامه نازلا عليه ومخالفته صاعدة اليه فملك ينزل بهذا وملك يعرج بهذا فاقبح به من مقابلة (وقال صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان) قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم قلت وروى أحمد وابن منيع والترمذى وقال حسن غريب والحاكم والضياء من حديث أبى أمامة الحياء والعى شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق وفى لفظ آخر الحياء من الايمان رواه مسلم والترمذى وابن ماجه من طريق سفيان بن عيينة والبخارى وأبو داود والنسائى من طريق مالك ومسلم وحده من طريق معمر ثلاثتهم عن الزهرى عن سالم عن أبيه انه قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يعظ أخاه فى الحياء فقال الحياء من الايمان وفى رواية وقال دعه فان الحياء من الايمان وقد انفرد

وقال صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتي الا بخير وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم فالذي يفسق ولا يبالي أن يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو أشد حالا ممن يستتر ويستحي الا أن الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراء انه مستحي وان سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور أن يخلص معه ويتصور أن يرائي معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا أنه يستحي من رده وعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك أحوال احداها أن يشافه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحي اما أن يتعلل أو يقرض فان أعطى فيتصور له ثلاثة أحوال أحدها أن يمزج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي أن تعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء أو ينبغي أن تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء * الثاني أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج داعي الاخلاص ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمان عشرة ففيه أجر عظيم وادخال والثواب سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء اخلاصه * الثالث ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحي منه من الاجانب والاراذل لكان يرده وان كثر الجد

الشيخان بهذا اللفظ ورواه أبو يعلى من حديث عبد الله بن سلام ورواه ابن عساكر وابن النجار من حديث أبي بكرة ورواه أيضا من حديث أبي هريرة وفي لفظ الحياء من الايمان والايمان في الجنة رواه الطبراني والبيهقي من حديث عمران بن حصين ورواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة ورواه البخاري في الادب والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث أبي بكرة ورواه الشيرازي في الالقاب والطبراني في الاوسط من حديث عمران بن حصين وأبي بكر معا وفي لفظ الحياء شعبة من شعب الايمان ولا ايمان لمن لا حياء له رواه ابن لال في مكارم الاخلاق عن مجمع بن حارثة عن عمه (وقال صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتي الا بخير) لان من استحيا من الناس ان يروه يأتي بقبيح دعاه ذلك الى أن يكون حياؤه من ربه أشد فلا يضيع فريضته ولا يرتكب خطيئته قال العراقي متفق عليه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم قلت ورواه كذلك أحمد (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم) أي صاحب الحياء والحلم قال العراقي رواه الطبراني من حديث فاطمة وللبزار من حديث أبي هريرة ان الله يحب الغني الحليم المتعفف وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه اه قلت وروى ابن صصري في أماليه من حديث أبي هريرة ان الله يحب الحيي الحليم العفيف المتعفف من عباده ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف وروى أحمد ومسلم والعسكري في الامثال من حديث سعد ان الله عز وجل يحب العبد التقي الغني الخفي (فالذي يفسق ولا يبالي بان يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك والوقاحة) أي صلابة الوجه (وفقد الحياء فهو أشد حالا ممن يستتر ويستحي الا أن الحياء ممزوج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراء انه مستحي وان سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم) ونقل القشيري في الرسالة عن الجنيد رحمه الله تعالى قال الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير فتولد بينهما حالة تسمى الحياء (ويهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور أن يخلص معه ويتصور ان يرائي معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا أنه يستحي من رده) بلا اعطاء (وعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك أحوال احداها أن يشافهه) أي يواجهه (بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحي) لا يخلو (اما أن يتعلل) أي يعتذر ويتعلق بذكر علة مانعة له من الاقراض (أو يقرض) في الحال (فان أعطى فيتصور له ثلاثة أحوال احداها أن يمزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي أن تعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء أو ينبغي أن تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء) الحالة (الثانية أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج باعث الاخلاص ويقول ان الصدقة بواحدة والقرض بثمانية عشر) كما ورد ذلك في الخبر (ففيه أجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء اخلاصه) الحالة (الثالثة أن لا تكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاؤه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحي منه من الاجانب والاراذل لكان يرده وان كثر الجد

والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحي من المباحات أيضا حتى انه يرى مستعجلا في المشي فيعود الى الهدو أو ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد (٣٠٩) قيل ان بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وامامة الناس في الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحي من شيبته أن تنكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن تستحي من الله فلا تضيع الامر بالمعروف فالقوي يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الاسباب التي يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب (الثامن) أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجرئ عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في اظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالائمة أو بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي أيضا أن يخفي العاصي أيضا معصيته من أهله وولده لانهم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية أن يخيل الى الناس أنه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك

والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب) أي ملابستها (والمرائي يستحي من المباحات أيضا حتى انه يرى مستعجلا في المشي فيعود الى الهدو) أي السكون (أو) يرى (ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل ان بعض الحياء ضعف وهو) قول (صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وامامة الناس في الصلاة وهو في النساء والصبيان محمود وفي العقلاء) البالغين (غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فيستحي من شيبته أن ينكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم) كما ورد في الخبر ان من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم رواه ابن المبارك وابن أبي شيبة وأبو داود والطبراني والبيهقي والخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث جابر ان من اكرام جلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم (وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن تستحي من الله فلا تضيع الامر بالمعروف فالقوي يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه) وقال النووي في شرح مسلم وأما كون الحياء خيرا كله ولا يأتي الا بخير فقد يشكل على بعض الناس من حيث ان صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يجله فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وقد يحمل على الاخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة قال وجواب هذا ما أجاب به جماعة من الائمة منهم الشيخ ابن الصلاح ان هذا المانع الذي ذكرناه ليس الحياء حقيقة بل هو عجز وخور ومهانة وانما التسمية حياء من اطلاقهم يعني أهل العرف أطلقوه مجازا لمشابهته للحياء الحقيقي وانما حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق والله أعلم (فهذه الاسباب هي التي يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب) وقد ذكر المصنف منها سبعة ولم يذكر الوجه السابع وتقدم له في أول الكلام انها ثمانية أوجه وقد راجعت غالب نسخ المتن فوجدت الوجه السابع ساقطا فيها فانظر ذلك الوجه (الثامن ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجرئ عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في اظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالائمة أو بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي ان يخفي العاصي أيضا معصيته من أهله وولده لانهم يتعلمون منه) اذا اطلعوا عليها منه (ففي ستر الذنوب بهذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد ستر المعصية ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة) كلاهما على حد سواء (فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس فقال ازهد في الدنيا) من الزهد بالضم وهو لغة الاعراض عن الشئ احتقارا وشرعا الاقتصار على قدر الضرورة مما يتيقن حله والمراد بالزهد في الدنيا استصغار جملتها واحتقار جميع شأنها لتحذير الله منها واحتقاره لها (يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام) أي ارم لهم بما في يدك من اعراض الدنيا (يحبوك) لان قلوبهم مجبولة مطبوعة على حب الدنيا ومن نازع انسانا في محبوبه كرهه وقلاه ومن لم يعارضه فيه أحبه واصطفاه قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ وازهد مما في أيدي الناس يحبك الناس قلت سياق المصنف أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق منصور بن المعتمر عن مجاهد عن أنس بلفظ ازهد في الدنيا يحبك الله وأما الناس فانبذ اليهم هذا فيحبوك ورجاله ثقات لكن في سماع مجاهد عن أنس فيه نظر وقد رواه الاثبات فلم يجاوز وابه مجاهدا وكذا روي من حديث ربعي بن حراش عن الربيع بن خثيم رفعه مرسلا وأما حديث سهل بن سعد فرواه ابن ماجه في الزهد في سننه والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية وابن حبان والحاكم في صحيحه والبيهقي في الشعب وآخرون كلهم من حديث خالد بن عمرو القرشي عن الثوري عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال جاء رجل الى رسول الله صلى

فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه تعالى اذا أحب عبدا حببه فى قلوب عباده والمذموم أن تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والمباح أن تحب أن يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحبك ذلك كحبك المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال فلا فرق بينهما

(بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات) اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال ومالا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو أن الطاعات تنقسم الى مالا لذة فى عينه كالصلاة والصوم والحج والغزو فانها مقاساة ومجاهدات انما تصير لذيذة من حيث انها توصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ماهو لذيذ وهو أكثر مالا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلاة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة (القسم) الاول الطاعات اللازمة للبدن التى لا تتعلق بالغير ولا لذة فى عينها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث احداها ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينبغى أن يترك لانه معصية لا طاعة فيه فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستحيين من مولاك لا تسخين بالعمل لاجله وتسخين بالعمل لاجل عباده حتى يندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل

الله عليه وسلم فقال يارسول الله دلنى على عمل اذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال ازهد وذكره وقال الحاكم انه صحيح الاسناد وليس كذلك فالد مجمع على تركه بل نسب الى الوضع لكن قد رواه غيره عن الثورى وقال المنذرى عقيب عزوه لابن ماجه وقد حسن بعض مشايخنا اسناده وفيه بعد لانه من رواية خالد القرشى وقد ترك واتهم قال على هذا الحديث لامعة من أنوار النبوة ولا يمنع كون راويه ضعيفا أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قاله اهـ وقد سبقه النووى فى تحسينه وتبعه العراقى والجلال السيوطى وقد اختلف فيه كلام الحافظ بن حجر والذى يميل الى القلب تحسينه والله أعلم (فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه عز وجل اذا أحب عبدا حببه فى قلوب عباده) روى أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس اذا أحب الله عبدا قذف حبه فى قلوب الملائكة واذا ابغض عبدا قذف بغضه فى قلوب الملائكة ثم يقذفه فى قلوب الآدميين وفى المتفق عليه من حديث أبى هريرة اذا أحب الله عز وجل عبدا نادى جبريل ان الله يحب فلانا فاحببه فيحبه جبريل فينادى جبريل فى أهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض وعند الترمذى وقال حسن صحيح بزيادة ثم تنزل له المحبة فى أهل الارض فذلك قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّا (والمذموم ان تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجلا سوى ثواب الله) فذلك مذموم (والمحمود ان تحب ان يحبوك لصفات محمودة) وأخلاق حسنة (سوى الطاعات المحبوبة المعينة فحبك ذلك كحبك للمال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال فانه كذلك وسيلة الى الاغراض فلا فرق بينهما) حينئذ والله الموفق

(بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات)

(اعلم) هداك الله (ان من الناس من يترك العمل خوفا ان يكون مرائيا به وذلك) أى ترك أصل العمل لهذا الخوف (غلط وموافقة للشيطان) فان قصده من العبد ذلك (بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره) الآن (وهو ان الطاعات) باسرها (تنقسم الى مالا لذة فى عينه كالصلاة والصوم والحج والغزو فانها) من أصلها (مقاساة ومجاهدات) بدنية ومالية (وانما تصير لذيذة) لعارض وهو (من حيث انها توصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه) فظاهر ان اللذة فيها الا لعينها (والى ماهو لذيذ) لعينه (وهو أكثر مالا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلاة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة به لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة القسم الاول الطاعات اللازمة للبدن التى لا تتعلق بالغير ولا لذة فى عينها كالصلاة والصوم والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث احداها ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينبغى ان يترك لانه معصية لا طاعة فيه فانه تدرع) أى تلبس (بصورة الطاعة الى طلب المنزلة) فى قلوب الناس (فان قدر الانسان على ان يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستحيين من مولاك لا تسخى بالعمل لاجله وتسخين بالعمل لاجل عباده حتى يندفع) بذلك القول (باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل

حينئذ

بالعمل الثانية أن ينبعث لاجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة وأولها فلا ينبغي أن يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص بالمعالجات التي ذكرناها من الزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول الثالثة أن يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتمم العمل لان الشيطان يدعوك أولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مراء وتعبك ضائع فاي فائدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه أن يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها زوان وقال خلصها من الزوان ونقها منه تنقية بالغة فيترك أصل العمل ويقول أخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فيترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل أن يترك العمل خوفا على الناس أن يقولوا انه مراء فيعصون الله به فهذا من مكايد الشيطان لانه أولا أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مراء هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فماله ولقولهم قالوا انه مراء أو قالوا انه مخلص وأي فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال انه مراء وبين أن يحسن العمل خوفا من أن يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل أشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع في أن يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن يقول الناس انك تركت العمل ليقال انه مخلص لا يشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى أن تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض ألقى في قلبك حلاوة معرفة الناس لتزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه الا بان تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو انه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وان نزغ العدو نازغ الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة

حينئذ بالعمل الثانية ان ينبعث لاجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقدا لعبادة وأولها فلا ينبغي ان يترك العمل) لهذا (لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل) وليستمر عليه (وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل) أصل (الاخلاص بالمعالجة التي ذكرناها من الزام النفس كراهية الرياء والاباء عن القبول الثالثة أن يعقد على الاخلاص بالمعالجة ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي أن يجاهد في الدفع) مهما أمكنه (ولا يترك العمل لكي يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتمم العمل لان الشيطان يدعوك أولا الى ترك العمل) من أصله (فاذا لم تجب) دعاءه (واشتغلت) بالعمل (فيدعوك الى الرياء فان لم تجب) دعاءه (ودفعت) في عملك (بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مراء وتعبك ضائع وأي فائدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك على ترك العمل) بهذه الخداعات (فاذا تركته فقد حصلت غرضه) الذي هو بصدده وهذا معنى الخبران للشيطان مصائد وفخوخا وفي الخبر الآخر الشيطان طلاع رصاد (ومثال من يترك العمل لخوفه أن يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها زوان) وهو حب يخالط البر فيكسبه الرداءة وفيه لغات ضم الزاي مع الهمز وتركه فيكون وزن غراب وكسر الزاي مع الواو الواحدة زوانة ويسمى السليم (وقال خلصها من الزوان ونقها منه تنقية بالغة فيترك أصل العمل ويقول أخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فيترك العمل من أجله وهو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا على الناس ان يقولوا انه مراء فيعصون الله) بسبب قولهم ذلك فيكون هو الحامل لهم على الوقوع في تلك المعصية (فهذا من مكايد الشيطان) وخدعه (لانه أولا أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك) فهو داخل تحت قوله تعالى ان بعض الظن اثم (ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مراء هو عين الرياء) فهو مثله مثل من فر من المطر الى الميزاب (فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من مذمتهم فماله ولقولهم انه مراء او قالوا انه مخلص فاي فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال انه مراء و بين أن يحسن العمل خوفا من ان يقال انه غافل) عن أمور الدين (مقصر) فيها (بل ترك العمل أشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان) وتلبيساته (على العباد الجهال) الذين اشتغلوا على العبادة وتركوا العلم (ثم كيف يطمع ان يتخلص من) شرك (الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له) مما يوسوس اليه (الآن يقول الناس انك تركت العمل ليقال انك مخلص لا تشتهي الشهرة فيضطرك) أي يلجئك (بذلك الى أن تهرب (من الناس فان هربت ودخلت سربا) محركة بيتا (تحت الارض) لا سقف له ويسمى الوكر (ألقى في قلبك حلاوة معرفة الناس بتزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف يتخلص) من شره ومن شركه (بل لا نجاة منه الا بان تلزم قلبك معرفة الرياء وهو انه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل) وتستمر عليه (فلا تبالي وان نزغ العدو نازغ الطبع فان ذلك لا ينقطع) ولا يدرك منتهاه (وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة

وترك الخيرات فمادمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء وألزم قلبك الحياء من الله اذا دعتك نفسك الى أن تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانك تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان أنت مراء فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وابائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى وان لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فلا بد أن يبقى معه أصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة روي ان ابراهيم النخعي دخل عليه انسان وهو يقرأ فأطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا أنا نقرأ كل ساعة وقال ابراهيم التيمي اذا أعجبك الكلام فاسكت واذا أعجبك السكوت فتكلم وقال الحسن ان كان أحدهم ليمر بالأذى ما يمنعه من دفعه الا كراهة الشهرة وكان أحدهم يأتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد ورد في ذلك آثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات ممن لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب الى خوف الشهرة من البكاء واماطة الأذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الأفضل والأفضل انما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء فالأفضل أن يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وأرباب الأعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي أن يكون بالأقوياء وأما اطباق ابراهيم النخعي في المصحف فيمكن أن يكون لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستئنافه بعد خروجه للاشتغال بمكالمته فرأى أن لا رياء في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك وأما ترك دفع الأذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشبة من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا بمجرد خوف الرياء وأما قول التيمي اذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول عن مباح الى مباح حذرا من

(و) يفضي الى (ترك الخيرات) فيبقى محروما خاسرا (فمادمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء والزم قلبك الحياء من الله اذ دعتك نفسك الى أن تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك) رقيب على أحوالك (ولو اطلع الخلق على قلبك وأنت تريد حمدهم لمقتوك) أي أبغضوك (بل ان قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك قائل أو الشيطان أنت مراء فاعلم كذبه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وابائه وخوفك منه وحيائك من الله فان لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل مجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فانه لا بد أن يبقى معه أصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن أقوام) من السلف (ترك العمل مخافة الشهرة) فمن ذلك (روي ان ابراهيم) بن يزيد (النخعي) رحمه الله تعالى (دخل عليه انسان) وكان يقرأ في المصحف (فاطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا انا نقرأ كل ساعة وقال ابراهيم) بن يزيد (التيمي) رحمه الله تعالى (اذا أعجبك الكلام فاسكت واذا أعجبك السكوت فتكلم) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وقد تقدم في آفات اللسان (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (ان كان أحدهم) أي من الذين أدركهم من السلف (ليمر بالأذى) في الطريق من خشبة وعذرة وحجر وشوك وغير ذلك (ما يمنعه رفعه) وازالته (الا كراهة الشهرة) بين الناس (وكان أحدهم يأتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة) بين الناس رواه أبو نعيم في الحلية من طريق هشام عن الحسن (وقد ورد في ذلك آثار كثيرة) تدل على ترك العمل مخافة الشهرة (قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات ممن لا يحصى واظهار الحسن البصري) رحمه الله تعالى (هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب الى خوف الشهرة من البكاء واماطة الأذى عن الطريق) بقليل ويندر (ثم لم يتركه) أي لم يثبت عنه الترك (وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الأفضل والأفضل انما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء فالأفضل أن يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وأرباب الأعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف) وتمكنه منهم (فالاقتداء ينبغي أن يكون بالأقوياء وأما اطباق ابراهيم النخعي المصحف يمكن أن يكون لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستئنافه بعد خروجه للاشتغال بمكالمته) وانجاح ما جاء لأجله (فرأى أن لا رياء في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك وأما ترك رفع الأذى فذلك مما يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشبة عن الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكثر منها لا بمجرد خوف الرياء وأما قول ابراهيم التيمي اذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الخطاب وغيره فان ذلك يورث العجب) في النفس (وكذلك العجب في السكوت المباح محذور فهو عدول من مباح الى مباح حذرا من) الوقوع

العجب فاما الكلام الحق المندوب اليه فلم ينص عليه على ان الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء واماطة الاذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقائق وانما ذكره (٣١٣) تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها (القسم الثاني) ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال * اما الخلافة والامارة فهي من أفضل العبادات اذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط أحدهم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل أحدهم وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة امام عادل رواه أبو سعيد الخدري فالامارة والخلافة من أعظم العبادات ولم يزل المتقون يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظم الخطر اذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو أعظم ملاذ الدنيا فاذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضي الله عنه يقول من يأخذها بما فيها

في (العجب فاما الكلام الحق المندوب اليه فلم ينص عليه على ان الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني) الآتي ذكره بعد هذا (وانما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن) البصري رحمه الله تعالى (في تركهم البكاء واماطة الاذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقائق وانما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها القسم الثاني ما يتعلق به الخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار وأعظمها الخلافة) أي الولاية العامة (ثم القضاء) وهي الولاية الخاصة (ثم التذكير) والوعظ على العامة (ثم التدريس) للعلوم الشرعية (والفتوى ثم انفاق الاموال) على الناس (اما الخلافة والامارة فهي من أفضل العبادات اذا كان مع العدل والاخلاص وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما) قال العراقي رواه الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس وقد تقدم اهـ قلت لفظهما يوم من امام عادل أفضل من عبادة ستين سنة وحد يقام في الارض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين عاما وقد روي الجملة الاخيرة من حديث أبي هريرة بلفظ حد يقام في الارض خير من قطر أربعين صباحا هكذا رواه ابن حبان وعند أحمد والنسائي وابن ماجه بلفظ حد يقام في الارض خير لاهل الارض من أن يمطروا أربعين صباحا (فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط أحدهم) قال العراقي رواه مسلم من حديث عياض بن حماد أهل الجنة ثلاث ذو سلطان مقسط ولم أر فيه ذكر الاولية اهـ (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل أحدهم) وتمام الحديث والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين هكذا رواه الطيالسي وأحمد والترمذي وقال حسن وابن ماجه والبيهقي وروى ابن حبان صدره الى قوله المظلوم وقد تقدم في كتاب الصوم وروى ابن أبي شيبة بلفظ الامام العادل لا ترد دعوته (وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس مني منزلا يوم القيامة امام عادل رواه أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه قال العراقي رواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب من رواية عطية العوفي وهو ضعيف عنه وفيه أيضا اسحق بن ابراهيم الديباجي ضعيف أيضا اهـ قلت رواه أحمد والترمذي وقال حسن غريب والبيهقي بلفظ ان أحب عباد الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا امام عادل وأبغض الناس الى الله وأبعدهم منه مجلسا وفي لفظ وأشدهم عذابا امام جائر (فالامارة والخلافة من أعظم العبادة ولم يزل المتقون يحترزون منها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظم الخطر اذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو أعظم ملاذ الدنيا فاذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه وأوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته) أي منزلته وقدره (وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه) وهو حديث ابن عباس (ولهذا الخطر العظيم كان عمر) رضي الله عنه (يقول من يأخذها) أي الامارة (بما فيها) أي من الاخطار وروى ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء بلفظ فقال عمر وا عمراه من يتولاها بما فيها وقد تقدم للمصنف في كتاب الامر بالمعروف وروى أبو نعيم في الحلية من طريق الاوزاعي عن سماك عن ابن عباس قال لما طعن

عمر دخلت عليه فقلت ابشر أمير المؤمنين فان الله قد مصر بك الامصار ودفع بك النفاق وافشى بك الرزقة فقال أفي الامارة تثني علي يا ابن عباس فقلت وفي غيرها فقال والذي نفسي بيده لوددت اني خرجت منها كما دخلت فيها لا أجر ولا وزر (وكيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم ما من والى عشيرة الاجاء يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه أطلقه عدله او أوبقه جوره رواه معقل بن يسار) بن عبد الله المزني رضي الله عنه شهد الحديبية ونزل البصرة قال العراقي رواه أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبزار من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة وفيهما يزيد بن زياد متكلم فيه ورواه أحمد والبزار وأبو يعلى والطبراني في الاوسط من حديث أبي هريرة ورواه البزار والطبراني من حديث بريدة والطبراني في الاوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبي الدرداء ما من والى ثلاثة الالقى الله مغلولة يمينه الحديث وقد عزا المصنف هذا الحديث لرواية معقل بن يسار والمعروف من حديث معقل بن يسار ما من عبد يسترعيه الله رعية لم يحطها بنصحه الالم يرح رائحة الجنة متفق عليه انتهى قلت سياق المصنف رواه الضياء في المختارة من حديث ثوبان وأما حديث معقل بن يسار فلفظه عند الحاكم في الكنى والطبراني في الكبير ما من والٍ ولى من أمر المسلمين شيأ فلم يحط من ورائهم بالنصيحة الاكبه الله على وجهه في جهنم يوم يجمع الله الاولين والآخرين ولفظ مسلم ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لم يجهد لهم ولم ينصح الالم يدخل معهم الجنة وأما حديث أبي الدرداء فلفظه ما من والى ثلاثة الالقى الله مغلولا يمينه الى عنقه فكه عدله أو جوره هكذا رواه ابن عساكر أيضا وروى أحمد من حديث أبي امامة ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك الا أتى الله عز وجل مغلولا يده الى عنقه فكه عدله أو أوبقه اثمه أولها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها خزي يوم القيامة وروى النسائي من حديث أبي هريرة ما من أمير ثلاثة الا يؤتى به يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه أطلقه الحق أو أوبقه ورواه البيهقي بلفظ ما من أمير عشرة الا يؤتى به يوم القيامة ويده مغلولة الى عنقه وعند الطبراني من حديث ابن عباس ما من أمير يؤمر على عشرة الا سئل عنهم يوم القيامة وأما حديث سعد بن عبادة فلفظه عند أحمد ما من أمير عشرة الا يؤتى به يوم القيامة مغلولا يده الى عنقه لا يفكه من غله ذلك الا العدل هكذا رواه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والطبراني والبيهقي وروى ابن أبي شيبة والبيهقي وابن عساكر من حديث أبي هريرة ما من أمير عشرة الا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولا حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور (وولاه) أي معقل بن يسار (عمر) رضي الله عنه (ولاية) قبل ولاية البصرة (فقال يا أمير المؤمنين أشر علي فقال اجلس واكتم علي وروى الحسن) البصري رحمه الله تعالى (أن رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال) الرجل (للنبي صلى الله عليه وسلم خرلي فقال اجلس) قال العراقي رواه الطبراني موصولا من حديث عصمة هو ابن مالك وفيه الفضل بن المختار أحاديثه منكرة يحدث بالاباطيل قاله أبو حاتم ورواه أيضا من حديث ابن عمر بلفظ الزم بيتك وفيه الفرات بن أبي الفرات ضعفه ابن معين وابن عدي وقال أبو حاتم صدوق اه وقال الحافظ في الاصابة عصمة بن مالك الخطمي له أحاديث أخرجها الدارقطني والطبراني وغيرهما مدارها على الفضل بن المختار وهو ضعيف جدا (وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة) العبشمي القرشي رضي الله عنه (اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن) بن سمرة (لا تسأل الامارة فانك ان أوتيتها من غير مسئلة أعنت عليها وان أوتيتها عن مسئلة وكلت اليها) رواه أحمد وابن أبي شيبة والشيخان وأبو داود والترمذي بزيادة واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وائت الذي هو خير ورواه ابن عساكر بلفظ لا تسأل الامارة فانه من سألها وكل اليها ومن ابتلي اليها ولم يسألها أعين عليها (وقال أبو بكر) رضي الله عنه (لرافع بن عمر) الطائي (لا تأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقال له رافع ألم تقل لي لا تأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله أي لعنة الله) روى ابن المبارك في الزهد عن رافع الطائي قال صحبت أبا

وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من والى عشيرة الاجاء يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه أطلقه عدله أو أوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يا أمير المؤمنين أشر علي قال اجلس واكتم علي وروى الحسن أن رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي خرلي قال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وان أوتيتها عن مسألة وكلت اليها وقال أبو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لا تأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع ألم تقل لي لا تأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه لعنة الله

ولعل القليل البصيرة يرى ماورد من فضل الامارة مع ماورد من النهى عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الاقوياء فى الدين لا ينبغى أن يمتنعوا من تقلد الولايات وأن الضعفاء لا ينبغى أن يدوروا بها فيهلكوا وأعنى بالقوى الذى لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تأخذه فى الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا فى الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فأيس منهم فهؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت فيه أرواحهم فهم أهل نيل الفضل فى الامارة والخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض فى الولايات ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات فى غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتغير اذا ذاقت لذة الولاية وان تستحلى الجاه وتستلذ نفاذ الامر فتكره العزل فيداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء فى أنه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف أمر فى المستقبل وهو فى الحال لم يعهد نفسه الاقوية فى ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف اذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلم وهو كما قيل العزل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق وتهوى به فى قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى الموت الا أن يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس الى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو أمارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا لا نولى أمرنا من سألنا فاذا فهمت اختلاف حكم القوى والضعيف علمت أن نهى أبى بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض * وأما القضاء فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو فى معناهما فان كل ذى ولاية أمير أى له أمر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب فى القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه أيضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم

بكر فى غزاة فلما قفلنا قلت أوصنى قال أتم الصلاة المكتوبة فساق الحديث وفيه ولا تكونن أميرا ثم قال ان هذه الامارة التى ترى اليوم يسير وقد أوشك ان تفشو وتكثر حتى ينالها من ليس لها باهل وانه من يكن أميرا فانه من أطول الناس حسابا وأغلظه عذابا الحديث وروى الدينورى فى المجالسة عن رافع الطائى قال خطب أبو بكر رضى الله عنه فذكر المسلمين فقال من ظلم منهم أحدا فقد أخفر ذمة الله ومن ولى من أمور المسلمين شيأ فلم يعطهم كتاب الله فعليه بهلة الله (ولعل القليل البصيرة يرى ماورد فى فضل الامارة مع ماورد من النهى عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه ان الخواص الاقوياء فى الدين لا ينبغى ان يمتنعوا من تقلد الولايات) لقوتهم وصلابتهم فى الدين (وان الضعفاء) فى المعرفة (لا ينبغى ان يدوروا بها فيهلكوا) لعدم تحملهم لذلك فيكون سببا لهلاكهم (وأعنى بالقوى الذى لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع) أى لا يحركه ولا يحمله (ولا يأخذه فى الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق فى أعينهم) فلم تكن لهم منزلة عندهم (وزهدوا فى الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق) أى ضجروا (وقهروا أنفسهم) فأماتوها وملكوها وقمعوا الشيطان فايس منهم فلا يحول حول حماهم (فهؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت فيه أرواحهم فهم أهل نيل الفضل فى الامارة والخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض فى الولايات) والدوران لطلبها (ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات فى غير الولاية لكن خاف عليها أن تتغير) عن حالتها الاولى (اذا ذاقت لذة الولاية وان تستحلى الجاه وتستلذ نفاذ الامر فيه فتكره العزل) عنها (فتداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء فى انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية) أم لا (فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف أمر فى المستقبل) أى فيما سيعرض (وهو فى الحال لم يعهد نفسه الاقوياء فى ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو) انها (وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها ان تتغير عند الولاية فكيف اذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع والعزل مؤلم وهو كما قيل طلاق الرجال) وسبب كون العزل مؤلما نفور النفس عن مفارقة ما ألفته من لذة الاستيلاء وملك القلوب ونفاذ الامر (فاذا شرع) فى الولاية (لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق ويهوى به فى قعر جهنم) أى يسقط فيه (ولا يستطيع النزوع منه الى الموت) برضا نفسه (الا أن يعزل قهرا) على نفسه (وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس الى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب) لها (فهو امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا نولى أمرنا من سألناه) قال العراقى متفق عليه من حديث أبى موسى (فاذا فهمت اختلاف حكم القوى والضعيف عرفت ان نهى أبى بكر) رضى الله عنه (لرافع) الطائى (عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض وأما القضاء فهو وان كان دون الخلافة والامارة) فى المرتبة (فهو فى معناهما فان كل ذى ولاية أمير أى له أمر نافذ) فى الناس (والامارة محبوبة بالطبع) لذيذة بحكم نفاذ الامر (والثواب فى القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه أيضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال صلى الله عليه وسلم

القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة وقال عليه السلام من استقضى فقد ذبح بغير سكين فبحكمه حكم الامارة ينبغى

أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن فى عينه وليتقلده الاقوياء الذين لا تأخذهم فى الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضى على القضاء الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أو لم يطيعوه فليس له أن يتقلد القضاء وان تقلده فعليه أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له فى الاهمال أصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغى أن يفرح بالعزل ان كان يقضى لله فان لم تسمح نفسه بذلك فهو اذا يقضى لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة فى الدرك الاسفل من النار * وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا لى ودفن بشر كذا كذا قطرة من الحديث وقال يمنعنى من الحديث أن اشتهى أن احدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت والواعظ يجد فى وعظه

القضاة ثلاثة واحد فى الجنة واثنان فى النار) قال العراقى رواه أصحاب السنن من حديث بريدة وقد تقدم فى العلم انتهى قلت وكذلك رواه سعيد بن منصور وابن أبى عاصم والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى والضياء من حديث ابن بريدة عن أبيه ولفظهم القضاة ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة رجل علم الحق فقضى به فهو فى الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار ورواه الطبرانى أيضا من حديث ابن عمر بلفظ القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة قاض قضى بالهوى فهو فى النار وقاض قضى بغير علم فهو فى النار وقاض قضى بالحق فهو فى الجنة وفى لفظ للطبرانى من حديث بريدة قاض قضى بغير حق وهو يعلم فذلك فى النار وقاض قضى وهو لا يعلم فأهلك حقوق الناس فذلك فى النار وقاض قضى بحق فذلك فى الجنة ورواه البيهقى من حديث على موقوفا وحكمه الرفع وقد أفرد الحافظ ابن حجر فى طرق حديث بريدة جزأ (وقال) صلى الله عليه وسلم (من استقضى فقد ذبح بغير سكين) قال العراقى رواه أصحاب السنن من حديث أبى هريرة بلفظ من جعل قاضيا وفى رواية من ولى القضاء واسناده صحيح انتهى قلت رواه أحمد وأبو داود والنسائى والدارقطنى وابن أبى عاصم والبيهقى من طريق عثمان بن محمد الاخنسى عن سعيد المقبرى والاعرج كلاهما عن أبى هريرة بلفظ من جعل قاضيا ذبح بغير سكين وهو عند ابن ماجه وكذا النسائى والدارقطنى وابن أبى عاصم من حديث داود بن خالد المكى انه سمع المقبرى وأبو داود أيضا بلفظ من ولى القضاء أو جعل قاضيا بين الناس والدارقطنى بلفظ من ولى وقال الترمذى انه حسن غريب وقال النسائى ان داود ليس بالمشهور والاخنسى ليس بالقوى قال الحافظ السخاوى فى المقاصد قد روى عن غيرهما بل رواه أحمد من حديث محمد بن عجلان وابن أبى عاصم من حديث بعض المدنيين والقضاعى من حديث زيد بن أسلم ثلاثتهم عن المقبرى وهو صحيح بل حسن قيل وفى قوله بغير سكين اشارة الى ان محذوره الخوف من هلاك الدين دون البدن اذ الذبح فى ظاهر العرف انما هو بالسكين أو الى شدة الالم لكون الذبح بغير السكين اما بالخنق أو التعذيب والذبح بالسكين أروح والله أعلم (فبحكمه حكم الامارة ينبغى أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن) أى مقام ومنزلة (فى عينه) فلا يليق به تقلده (وليتقلده الاقوياء الذين لا تأخذهم فى الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضى على القضاء الا بمداهنتهم) وضمانيتهم (واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه) عن منصبه (أو لم يطيعوه) وراموا اذايته (فليس له أن يتقلد) منصب (القضاء وان تقلده فعليه أن يطالبهم بالحقوق) الشرعية (ولا يكون خوف العزل) عن منصبه (عذرا مرخصا له فى الاهمال أصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغى أن يفرح بالعزل ان كان يقضى لله) عز وجل (فان لم تسمح نفسه بذلك فهو اذا يقضى لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه) أى ينتظر (ثوابا من الله وهو مع الظلمة فى الدرك الاسفل من النار) فقد روى أن القضاة يحشرون فى زمرة الملوك كما نقله صاحب القوت وتقدم فى كتاب العلم (وأما الوعظ) على العامة (والفتوى والتدريس ورواية الحديث) بالارتحال الى البلدان النائية (وجمع الاسانيد العالية) وعلوها بسبب قربها من فوق بان يقع له ثلاثيا أو رباعيا وهلم جرا الى العشاريات (وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا) كما تقدم فى كتاب العلم (وكانوا يقولون) قول المحدث (حدثنا) وأخبرنا (باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال) بلسان حاله (أوسعوا لى) تقدم فى كتاب العلم (ودفن) أبو نصر (بشر بن الحرث) الحافى قدس سره (كذا وكذا قطرة من الحديث) الذى كان يسمعه من الشيوخ وكتبه بيده تقدم فى كتاب العلم (وقال يمنعنى من الحديث) أى من التحدث به (ان أشتهى أن أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت) تقدم فى كتاب العلم (والواعظ يجد فى وعظه)

وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لاتوازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وان كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى مايحرك قلوب العوام ويعظم منزلته فى قلوبهم فلايسمع حديثا وحكمة الا ويكون فرحه به من حيث انه يصلح لان يذكره على رأس المنبر وكان ينبغى أن يكون فرحه به من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولا ثم يقول اذا أنعم الله على بهذه النعمة ونفعنى بهذه الحكمة فاقصها ليشاركنى فى نفعها اخوانى المسلمون فهذا أيضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لاباعث له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغى أن يتركه ويخالف الهوى فيه الى أن ترتاض نفسه وتقوى فى الدين همته ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة وندامة يوم القيامة الا من أخذها بحقها وقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة

للناس (وتأثر قلوب الناس به) أى بوعظه (وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة) عظيمة (لاتوازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال قلبه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان) فى نفسه (باطلا ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وان كان) فى نفسه (حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى مايحرك قلوب العوام) ويروج عندهم (وتعظم منزلته فى قلوبهم فلايسمع حديثا ولاحكمة) ونادرة (الا ويكون فرحه بها من حيث انه يصلح لان يذكره على رأس المنبر) الكرسى (وكان ينبغى أن يكون فرحه به من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولا ثم يقول اذا أنعم الله على بهذه النعمة ونفعنى بهذه الحكمة فاقصها) للناس (يشاركنى فى نفعها اخوانى المسلمون) ممن يسمع منى (فهذا أيضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة) فحكمه حكم (الولايات فمن لاباعث له الا طلب الجاه) والمنزلة فى القلوب (والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر به فينبغى ان يتركه ويخالف الهوى فيه الى ان ترتاض نفسه) وتتزكى (وتقوى فى الدين منعته) بالضم أى قوته (ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست) لعدم رغبة طالبيها (وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب الامارة وتوعد عليها) وهو فى حديث عبد الرحمن بن سمرة لاتسأل الامارة وقد ذكر قريبا (حتى قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيامة وندامة الا من أخذها بحقها) قال العراقى رواه البخارى من حديث أبى هريرة دون قوله الا من أخذها بحقها وزاد فى آخره فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة ودون قوله حسرة وهى فى صحيح ابن حبان انتهى قلت ولفظ البخارى انكم ستحرصون على الامارة وانها ستكون ندامة وحسرة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة وكذلك رواه أحمد وابن أبى شيبة والنسائى وروى الطبرانى من حديث عوف بن مالك انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الامارة فقال أولها ملامة وثانيها ندامة وثالثها عذاب يوم القيامة وروى الطيالسى وابن أبى شيبة ومسلم وابن سعد وابن خزيمة وأبو عوانة والحاكم من حديث أبى ذر قال قلت يارسول الله ألا تستعملنى قال ياأباذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها وروى الطبرانى من حديث زيد بن ثابت نعم الشئ الامارة لمن أخذها بحقها وحلها وبئس الشئ الامارة لمن أخذها بغير حقها فتكون عليه حسرة يوم القيامة (نعمت المرضعة وبئست الفاطمة) قال العراقى رواه البخارى من حديث أبى هريرة وهو بقية الحديث الذى قبله ورواه ابن حبان بلفظ فبئست المرضعة وبئست الفاطمة انتهى قلت وجد بخط الحافظ ابن حجر مانصه يريد باعتبار مافى نفس الامر ولفظ نعمت فى الاولى باعتبار مافى معتقد المتلبس بذلك (ومعلوم ان السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزاد) الامر وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك (وضرب عمر أبى بن كعب) رضى الله عنهما أى رفع درته وأراد ان يضربه بها (حين رأى قوما يتبعونه وهو فى ذلك يقول أبى سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن) بل قرأ عليه من هو أفضل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ان الله أمرنى ان أقرأ عليك قال الله سمانى لك قال نعم الله سماك لى قال فجعل أبى يبكى رواه أبونعيم فى الحلية من حديث أنس (فمنع أن يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع) وقد تقدم فى أول هذا الكتاب (وعمر) رضى الله عنه (كان بنفسه يخطب ويعظ ولايمتنع منه واستأذن رجل على عمر)

ومعلوم أن السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك وضرب عمر رضى الله عنه أبى بن كعب حين رأى قوما يتبعونه وهو فى ذلك يقول أبى سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فمنع من أن يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ ولايمتنع منه واستأذن رجل عمر

أن يعظ الناس اذا فرغ من صلاة الصبح فنعه فقال أتمنعني من نصح الناس فقال أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ رأى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس اليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد الى تعطل القضاء بل الرياسة وحبها يضطر الخلق (٣١٨) الى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لافلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم اني أقول مع هذا اذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه الا امتناع بعضهم والا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن في البلد الا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخيله الى العوام انه انما يريد الله بوعظه وانه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قال لست أقدر على نفسي فنقول اشتغل وجاهد لانا نعلم انه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع أحب عندنا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لامر الدين وتخويف المسلمين بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصي بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وانما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولهذا قال المسيح عليه السلام

رضي الله عنه (أن يعظ الناس اذا فرغ من صلاة الصبح فنعه) من ذلك (فقال تمنعني من نصح الناس فقال أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا) وهذا أورده على سبيل المبالغة (اذ رأى فيه مخايل) أي مظان (الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق) فلذلك منعه (فالقضاء والخلافة مما يحتاج اليه الناس في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي الى اندراس العلم) وانطماسه (فهو غلط) نشأ من وهم (اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي ذر لا تأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم انتهى قلت ورواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم بلفظ يا أبا ذر اني أراك ضعيفا واني أحب لك ما أحب لنفسي لا تتأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم وروى أبو نعيم من حديث أنس لا تأمرن على اثنين ولا تقضين بينهما. (لم يؤد الى تعطل القضاء بل الرياسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الناس) في موضع (وقيدوا بالسلاسل) في أرجلهم (والاغلال) في أعناقهم ومنعوا (عن طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لافلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله تعالى ان يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم) كما في الخبر وتقدم ذكره (فلا تشغل قلبك بأمر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر في نفسك) وما أنت فيه (ثم اني أقول مع هذا اذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه الا امتناع بعضهم والا فيعلم ان كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن في البلد الا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه) بان يكون سلسا منقادا لا تعقيد فيه (وحسن سمته في الظاهر) مما يوافق الشرع في لباسه وهيئته وغض بصره وغير ذلك (وتخيله الى العوام انه انما يريد الله بوعظه) لا غيره (وانه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك وان قال لست أقدر على نفسي فنقول اشتغل وجاهد لانا نعلم انه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده) دون غيره (وسلامة دين الجميع أحب الينا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم) رواه النسائي وقد تقدم (ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته وأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الاعصار من) القاء (الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة) الموزونة (المقرونة بالاشعار) الغريبة (مما ليس فيه تعظيم لامر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصي بطيارات النكت) أي بالنكت النوادر الغريبة المهيجة للاوصاف المستكنة في الضمائر مما يكون باعثا على آفاته غرض شيطاني (فيجب اخلاء البلاد منهم) ومنعهم عن صعود المنابر والكراسي (فانهم نوائب الدجال وخلفاء الشيطان) بجامع الافساد والافتتان (وانما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر) والاحتراز (من فتن العلم وغوائله ولقد قال عيسى عليه السلام) فيما أورده صاحب القوت في مقام الزهد

ياعلماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولاتفعلون ماتؤمرون وتدرسون مالا تعملون فياسوء ماتحكمون تتوبون بالقول والامانى وتعملون بالهوى ومايغنى عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لاتكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل فى صدوركم ياعبيد الدنيا كيف (٣١٩) يدرك الآخرة من لاتنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم ان قلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب اليكم من صلاح الآخرة فأى ناس أخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون فى محلة المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لايغنى عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة ياعبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم وقد روى الحرث المحاسبي هذا الحديث فى بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم فى العاجل عار وشين وفى الآخرة هم الخاسرون فان قلت فهذه الآفات ظاهرة ولكن وردفى العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يهدى الله بك رجلا خير

وهو المقام السادس من مقامات اليقين انه قال (ياعلماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ماتؤمرون وتدرسون مالاتعلمون فياسوء ماتحكمون تتوبون بالقول والامانى وتعملون بالهدى ومايغنى عنكم ان تنقوا جلودكم) أى تنظفوها وتغسلوها بالماء والاشنان (وقلوبكم دنسة) أى وسخة بالمعاصى الباطنة (بحق أقول لكم لاتكونوا كالمنخل) بضم الميم (يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة) وهو مايرمى من الدقيق (كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم) تعظون بها الناس (ويبقى الغل فى صدوركم ياعبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لاتنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم ان قلوبكم تبكى من أعمالكم) لمخالفتها لها (جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم) وهو كناية عن الغفلة والاعراض وعدم الاعتناء فان من جعل شيأ تحت قدمه فقد استهان به (بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب اليكم من صلاح الآخرة فأى الناس أخس منكم) أى أكثر دناءة منكم (لو تعلمون) ذلك (ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين) أى السارين بالليل (وتقيمون فى محلة المتحيرين) أى الواقفين وقوف المتحير الذى لايجد للسلوك سبيلا (كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم) فتمتعون بها ويسلبون دنياهم لاجل صلاح حالكم (مهلا مهلا ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم) لانور فيه (كذلك لايغنى عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة) من وصول النور اليه (ياعبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم) أى تزيلكم (عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم) أى ترميكم (على مناخركم) أى وجوهكم (ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان) المجازى بأعمالكم (حفاة عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم) أى فضيحتكم (ثم يجزيكم بسوء أعمالكم) هكذا نقله صاحب القوت بتمامه وروى صاحب الحلية فى ترجمة ابن السماك من طريق عبد الله بن صالح قال سمعت عبد الله بن السماك يقول قال عيسى عليه السلام حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون فى محلة المتحيرين تنقون البعوض من شرابكم وتسترطون الجمال بأحمالها وفى ترجمة وهب من طريق بكار ابن عبد الله قال سمعت وهب بن منبه يقول قال الله عز وجل فيما يعتب به بنى اسرائيل تفقهون لغير الدين وتتعلمون لغير العمل وتتباهون لعمل الآخرة تلبسون جلود الضأن وتخفون أنفس الذئاب وتنقون القذى من شرابكم وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام تطيلون الصلاة وتبيضون الثياب تقتنصون بذلك مال اليتيم والارملة فبعزتى حلفت لاضربنكم بفتنة يضل فيها رأى ذى الرأى وحكمة الحكيم (وقد روى الحرث) بن أسد (المحاسبى) رحمه الله (هذا الحديث فى بعض كتبه) بهذا السياق (ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس) وقد روى الطيالسى وأحمد والنسائى وأبو يعلى والحاكم والبيهقى من حديث أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباذر تعوذ بالله من شر شياطين الانس والجن قال يارسول الله وللانس شياطين قال نعم الحديث ورواه الطبرانى من حديث أبى أمامة (رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم فى العاجل عار وشين وفى الآخرة هم الاخسرون) وقد تقدم هذا السياق للمصنف فى أول الكتاب (فان قلت فهذه الآفات ظاهرة ولكن وردفى العلم والوعظ) والتذكير (رغائب كثيرة حتى قال صلى الله عليه وسلم لان يهدى الله بك رجلا خير

لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم أيما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي أن يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراآة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلاة لا تترك العمل ولكن اتمم العمل وجاهد نفسك فاعلم ان فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم آفة وانما الآفة في اظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا نقول له أيضا اتركه مادام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء فاذا لم يحركه الا الرياء فترك الاظهار أنفع له وأسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما اذا خطر له وساوس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لان آفة الرياء في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلاث * الاولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة * الثانية الصوم والصلاة والحج والغزو وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله بأدنى قوة * الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة فالصلاة ينبغي أن لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء رأسا دون الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم انه بالولاة أشبه وان الحذر منه في حق الضعيف أسلم والله أعلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال وأخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخاء استجلابا للثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها أيضا كثيرة ولذلك سئل الحسن

الله

لك من الدنيا وما فيها) قال العراقي متفق عليه من حديث سهل بن سعد بلفظ خير لك من حمر النعم وقد تقدم في العلم قلت ورواه الحكيم والطبراني من حديث أبي رافع قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا الى اليمن فعقد له لواء فلما مضى قال يا أبا رافع الحقه ولا تدعه من خلفه وليقف ولا يلتفت حتى أجيئه فأتاه وأوصاه بأشياء وقال لان يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه شمس وغربت (وقال صلى الله عليه وسلم أيما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أنس بزيادة في أوله ولمسلم من حديث أبي هريرة من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه الحديث اهـ قلت لفظ حديث أنس عند ابن ماجه أيما داع دعا الى ضلالة فاتبع فان عليه مثل أوزار من اتبعه ولا ينقص من أوزارهم شيأ وأيما داع دعا الى هدى فاتبع فان له مثل أجور من اتبعه ولا ينقص من أجورهم شيأ وأما لفظ حديث أبي هريرة عند مسلم من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه ولا ينقص ذلك من أجورهم شيأ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ وهكذا رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ورواه الطبراني بهذا اللفظ من حديث ابن عمر (الى غير ذلك من فضائل العلم) مما تقدم مجموعها في كتاب العلم (فينبغي أن يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراآة الخلق كما يقال لمن خالطه الرياء في الصلاة لا تترك العمل ولكن اتمم العمل وجاهد نفسك فاعلم ان فضل العلم كثير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لاحد من عباد الله اترك العلم) ولا تشتغل به (اذ ليس في نفس العلم آفة انما الآفة في اظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الاحاديث) بالاسانيد (ولا نقول أيضا اتركه مادام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء فاما اذا لم يحركه الا الرياء) ولم يكن هناك باعث الدين (فترك الاظهار أنفع له وأسلم) لدينه (وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما اذا خطر له وساوس الرياء في أثناء الصلاة وهو له كاره فلا يترك الصلاة لان آفة الرياء في العبادات ضعيفة) كما تقدمت الاشارة اليه (وانما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلاث الاولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف) وهربوا منها (خوفا من الآفة) أن تلحقهم (الثانية الصلاة والصوم والحج والغزو وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك) لها (لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها) وطردها (مع اتمام العمل لله بأدنى قوة الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلوات فالصلاة لا ينبغي أن لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء رأسا دون الاقوياء) المتحملين لها (ومناصب العمل بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم انه بالولايات أشبه وان الحذر منه في حق الضعيف أسلم والله أعلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال وأخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق) عليهم (اظهار السخاء) والجود (استجلابا للثناء) والمحمدة (وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس) عظيمة (والآفات فيها أيضا كثيرة) كما تقدم ذكر بعضها (ولذلك سئل الحسن) البصري رحمه

عن رجـل طلب القوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضـل لما يعرفون من قلة السلامة فى الدنيا وان من الزهد تركها قربة الى الله تعالى وقال أبو الدرداء ما يسرنى انى أقف على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها أما انى لا أحرم البيع والشراء ولكنى أريد أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسـلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجـلوس فى دوام ذكر الله أفضل والاخذ والاعطاء يشغل عن الله وقد قال المسيح عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر بها تركك لها أبر وقال أقل ما فيه أن يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضـل وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركه لها أبر والاشـتغال بالذكر لاخـلاف فى انه أفضـل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والاحب أن يعمل ويدفع الآفات فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيـه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العـلم دون ما يميل اليه الطبـع وبالجملة ما يجده أخف على قلبه فهو فى الاكثر أضر عليه لان النفس لا تشـير الا بالشر وقلما تسـتلذ الخير وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك أيضا فى بعـض الاحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفى واثبات فهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع بما ذكرناه غرور للجاهـل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولاخلاف فى أن تفرقة المال فى المباحات فضلا عن الصدقات أفضل من امساكـه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب أن الافضـل الكسب والانفاق أو التجـرد للـذكر وذلك لما فى الكسب من الآفات فأما المال الحاصـل من الحلال فتفرقته أفضـل من امساكه بكل حال فان قلت فبأى علامة يعرف العالم والواعظ انه صادق مخلص فى وعظه غـير مريد رياء الناس فاعلم أن لذلك علامات احداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغزر منه علما والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسده

الله تعالى (عن رجل طلب القوت ثم أمسك) عليه (وآخر طلب فوق قوته ثم تصـدق به فقال القاعد أفضل) وذلك لما (يعرفون من قلة السلامة فى الدنيا وان من الزهـد تركها قربة لله عز وجـل) نقله صاحب القوت (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (ما يسرنى انى أقف على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها أما انى لا أحرم البيع والشراء ولكنى أريد أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) أخرجه أحمد فى الزهد ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الصمد ثنا عبد الله ابن يحيى حدثنا أبو عبد رب قال قال أبو الدرداء ما يسرنى أن أقوم على الدرج من باب المسجد فابيع واشترى فاصيب كل يوم ثلاثمائة دينار أشهد الصلوات كلها فى المسجد أقول ان الله لم يحل البيع وحرم الربا ولكن أحب أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل) وهذا قول عباد الشام (وقال قوم الجلوس فى دوام ذكر الله أفضل والاخذ والاعطاء يشغل عن الله) وهـذا قول عباد البصرة (وقد قال عيسى عليه السـلام يا طالب الدنيا لتبر بها تركك لها أبر) تقـدم فى كتاب ذم الدنيا (وقال) أيضا (أقل ما فيه انه يشغله اصـلاحه عن ذكر الله وذكر الله أفضل وأكبر) وروى عنه انه قال ان فى المال داء كبيرا قيل يا روح الله وان كان يكتسبه من الحلال قال يشغله كسبه عن الله عز وجل (وهذا فيمن سلم من الآفات فاما من يتعرض لآفة الرياء فتركه لها أبر والاشتغال بالذكر لاخـلاف فى انه أفضل) وقد وردت بذلك أخبار (وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والاحب أن يعمل ويدفع الآفات فان عجز عن الدفع فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبـع) فما دل عليه نور العلم واطمأن اليه القلب يقدم عليه وما مال اليه الطبـع وحاك فى الصدر يتركه (وبالجملة ما يجـده أخف على قلبه فهو فى الاكثر أضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقلما تستلذ الخير) أو تستحسنه (وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك أيضا فى بعض الاحوال وهـذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصـيلها بنفى واثبات فهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه) بما يصلحه (ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه) كما ورد الاثر بذلك فى الخبر (ثم قد يقع بما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفق خيفة من الآفة وهو عين البخل) المذموم (ولاخلاف فى ان تفرقة المال فى المباحات فضلا عن الصدقات) الواجبة أو المسنونة (أفضـل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل ترك الكسب والانفاق أو التجرد للذكر وذلك لما فى الكسب من الآفات) أكبرها الشغل عن الله (وأما المال الحاصـل من الحلال) من غير مزاولة الاكتساب (فتفرقته أفضـل من امساكه بكل حال فان قلت وبأى علامة يعرف العالم الواعظ انه صادق مخلص فى وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم ان لذلك علامات احداها انه لو ظهر) فى بلده (من هو أحسن منه وعظا وأغزر منه علما والناس أشد له قبولا) وأكثر محبة (فرح به) باطنا وظاهرا (ولم يحسده) على ما أوتى

نعم لاباس بالغبطة وهو أن يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى أن الا كابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقى كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى أن لايحب اتباع الناس له فى الطريق والمشى خلفه فى الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روى عن سعيد ابن أبى مروان قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون أصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت فى المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له أيضا عن ناحية مجلسى حتى صار بينى وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بينى وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به فى كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت فى نفسى لابلون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه أن يزيد فى كلامه يتقرب اليه أو يحمل الحسن هيبة الحجاج أن ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به فى كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس وأشباهها فاتخذوها خلقا وعادة فانه بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من أمر الناس ماغلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم افترا الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجاء رجل من أهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين ألاتعجبون انى رجل شيخ كبير وانى أغزو فأكلف فرسا وبغلا وأكلف فسطاطا وان لى ثلثمائة درهم من العطاء وان لى سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى رق الحسن له وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال مالهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا

مستخدمين

من فضله وعلمه (نعم لابأس بالغبطة) فيه (وهو أن يتمنى لنفسه مثل علمه) من غير أن يزول منه ذلك (والاخرى أن الا كابر) من أرباب الدنيا (اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل يبقى على ما كان عليه) فى سوقه (فينظر الى الخلق بعين واحدة) فمن نظر اليهم كذلك فهو بعينين ومن نظر اليهم بعينين فهو بعين واحدة (والاخرى ان لايحب اتباع الناس له فى الطريق والمشى خلفه فى الاسواق ولذلك علامات كثيرة) غير ماذكرناها ههنا (يطول احصاؤها وقد روى عن سعيد بن أبى مروان) الاسلمى أخو عطاء ابن أبى مروان وأبو مروان كان كثير الصحبة لعمر وقيل له صحبة (قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج) بن يوسف الثقفى عامل لبنى أمية (من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس) أى الجند والاعوان (وهو على برذون أصفر) والبرذون الحصان الرومى (فدخل المسجد) أى ساحته (وهو على برذونه) أى راكبا (فجعل يلتفت فى المسجد) يمينا وشمالا (فلم ير حلقة احفل) أى أعظم وأكبر (من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد) الراوى (وتجافيت له أيضا عن ناحية مجلسى حتى صار بينى وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بينى وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به فى كل يوم فما قطع الحسن كلامه) لجلوس الحجاج (فقال سعيد) الراوى (فقلت فى نفسى لابلون الحسن اليوم ولانظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه أن يزيد فى كلامه يتقرب اليه) بذلك (أو يحمل الحسن هيبة الحجاج أن ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا مما كان يتكلم به فى كل يوم حتى انتهى الحسن الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر) أى فيما قال (فعليكم بهذه المجالس وأشباهها واتخذوها خلقا وعادة فانه بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة) قد ورد معنى ذلك فى أخبار منها اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر رواه الترمذى وقال حسن غريب وأبو يعلى وابن شاهين فى الترغيب فى الذكر والبيهقى فى الشعب من حديث أنس وفى لفظ قال مجالس العلم رواه الطبرانى من حديث ابن عباس وفى لفظ قال المساجد والرتع فيها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال غريب وقد تقدم فى كتاب الاذكار والدعوات (ولولا ما حملناه من أمر الناس ماغلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم افترا الحجاج) أى فتح فاه (فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر) فى مجلسه (من بلاغته فلما فرغ) من كلامه (طفق فقام) من المجلس (فجاء رجل من أهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين ألاتعجبون انى رجل شيخ كبير وانى أغزو) أى أومر بالغزو (فأكلف فرسا وبغلا وأكلف فسطاطا وان لى ثلاثمائة درهم من العطاء) أى فى ديوان الجند (وعلى سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى رق له الحسن وأصحابه) على ذلك (والحسن مكب) أى خافض رأسه ليسمع ما يقول (فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال مالهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا) أى

ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا فى الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة واذا أغزى أخاه أغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشده فقام رجل من أهل الشام كان جالسا الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن ان أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الامير فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذى تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلما رأيته فاغرا فاه يضحك انما كان يتبسم فاقبل حتى

قعد فى مجلسه فعظم الامانة وقال انما تجالسون بالامانة كأنكم تظنون أن الخيانة ليست الا فى الدينار والدرهم ان الخيانة أشد الخيانة أن يجالسنا الرجل فنطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار انى أتيت هذا الرجل فقال أقصر عليك من لسانك وقولك اذا غزا عدو الله كذا وكذا واذا أغزا أخاه أغزاه كذا لا أبا لك تحرض علينا الناس أما انا على ذلك لا نتهم نصيحتك فاقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عنى وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شئ والا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد فبهذه العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا أرحم الراحمين

(بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق ومالا يصح) اعلم أن الرجل قد يبيت مع القوم فى موضع فيقومون للتهجد أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه وهو ممن يقوم فى بيته ساعة قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده أو يصلى مع انه كان لا يعتاد الصلاة بالليل أصلا وكذلك قد يقع فى موضع يصوم فيه أهل الموضع فينبعث له نشاط فى الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط

مستخدمين (ومال الله دولا يتناوبونه وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا فى الفساطيط الهبابة) أى العالية المشرعة (وعلى البغال السباقة فاذا أغزى أخاه أغزاه طاويا) أى جائعا (راجلا) أى على رجليه (فما فتر الحسن حتى ذكرهم باقبح العيب وأشده فقام رجل من أهل الشام كان جالسا الى الحسن فسعى به الى الحجاج) أى نقل مجلسه ذلك (وحكى له كلامه فما لبث الحسن ان أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الامير فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذى تكلم به) فى حقهم (فلم يلبث الحسن ان رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلما رأيته فاغرافاه) أى فاتحا (يضحك انما كان يتبسم فأقبل حتى قعد فى مجلسه فعظم الامانة) أى أمرها (وقال انما تجالسون بالامانة) رواه بهذا اللفظ العسكرى من طريق هشام بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن ابن عباس رفعه وروى عبد الرزاق فى جامعه وابن المبارك فى الزهد والخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم مرفوعا ومرسلا انما يتجالس المتجالسان بامانة الله تعالى فلا يحل لاحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره ورواه ابن لال فى مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود وروى العسكرى والديلمى والقضاعى من حديث على المجالس بالامانة وروى الديلمى من حديث أسامة بن زيد المجالس أمانة فلا يحل لمؤمن أن يرفع على مؤمن قبيحا (كأنكم تظنون أن الخيانة ليست الا فى الدينار والدراهم ان الخيانة أشد الخيانة أن يجالسنا الرجل فنطمئن الى ناحيته ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار) وروى العسكرى عن ابن عباس فى تأويل قوله انما تجالسون بالامانة قال أراد صلى الله عليه وسلم ان الرجل يجلس الى القوم فيخوضون فى الحديث ولعل فيه ما ان نمى كان فيه ما يكرهون فيأمنونه على أسرارهم وروى من طريق مسلم بن جنادة حدثنا أبو أسامة عن عمرو بن عبيد عن الحسن عن أنس مرفوعا الا ومن الامانة أو الا من الخيانة أن يحدث الرجل أخاه بالحديث فيقول اكتمه فيفشيه (انى أتيت هذا الرجل يعنى الحجاج فقال اقصر عليك من لسانك وقولك اذا غزا عدو الله غزا كذا فاذا أغزى أخاه أغزاه كذا لا أبا لك تحرض علينا الناس اما انا على ذلك لا نتهم نصيحتك فاقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عنى وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شئ والا فارجعوا) أى فان ذلك فتنة على المتبوع ومذلة للتابع (فما يبقى هذا من قلب العبد فبهذه العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون) مع بعضهم (ولا يتوانسون ولا يتعاونون) فى الحق (فاعلم انهم) علماء سوء (قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون) فى صفقتهم الخائبون فى حركتهم والله الموفق

(بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق ومالا يصح)

(اعلم) وفقك الله (ان الرجل قد يبيت مع القوم فى موضع فيقومون للتهجد) أى لصلاة الليل (أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه وهو ممن يقوم فى بيته ساعة قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة) معهم فى عملهم (حتى يزيد على ما كان يعتاده أو) انه (يصلى مع انه كان لا يعتاد الصلاة بالليل أصلا وكذلك قد يقع فى موضع يصوم فيه أهل) ذلك (الموضع فينبعث له نشاط فى الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط

فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق ويمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن من الشهوات أو تستهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تندفع العوائق والاشغال في بعض المواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجته أو المحادثة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفتر رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كمشاهدته اياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء أو ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع أو سبب آخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف اليه انه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه أطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا أعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم منها قوى الباعث فهذا وأمثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزد على صلاتك المعتادة وقد تكون رغبته في نفسه

الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون به انه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله وانما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرف ان المحرك هو الرياء فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لانه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فان سخت

فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن) فهو (راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق وتمنعه الاشغال ويغلبه التمكن من الشهوات أو تستهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال) تلك (الغفلة أو تندفع العوائق والاشغال في بعض المواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير) أي وطيء (أو تمكنه من التمتع بزوجته أو المحادثة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه) أو غير ذلك من الاسباب (فاذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفتر) أي تضعف (رغبته في الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير لمشاهدته اياهم وقد اقبلوا على الله) بقلوبهم (وأعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فتتحرك دواعيه للدين لا للرياء وربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع) أو مزايلة الطبع مالوفه (أو بسبب آخر) ككثرة الناموس والبرغوث أو البق (فيغتنم زوال النوم) عنه (وفي منزله ربما يغلب عليه النوم وربما ينضاف اليه انه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وانما تسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر الصوم عليه في منزله ومعه أطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها) مع تمكنه منها (فاذا أعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم فان للشهوات الحاضرة عوائق) أي موانع (ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم منها قوى الباعث فهذا وأمثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل) ويمنعه (ويقول لا تعمل فانك ان عملت (تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد على صلاتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون به انه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط من أعينهم فيريد ان يحفظ منزلته) عندهم (وعند ذلك قد يقول له الشيطان صل فانك مخلص) لله (ولست تصلي لاجلهم بل لله) عز وجل (وانما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق) التي كانت عرضتك (وانما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبه) الطرفين (الا على ذوي البصائر) النافذة (فاذا عرف ان المحرك هو الرياء فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لانه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه انه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فان سخت

نفسه فليصل فان باعثه الحق وان كان ذلك يثقل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة مالا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن ان يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس الى حب الحمد فهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغي ان يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي ان يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق اذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه ان يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى أم لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسي القلب فينبغي ان يترك التباكي قال لقمان عليه السلام لابنه لا ترى الناس أنك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والانين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجاري الاحوال تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية فهي الرياء وان اقترنت بداعية الحزن فان أباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله به وقد يكون أصل الانين عن الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور لانها في حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف مالا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله فيدعو الى زيادة تحزين للصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت لخشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحي أن يقال له انه سقط من غير زوال العقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فتجزع نفسه أن يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول

نفسه فليصل فان باعثه الحق وان كان يثقل على نفسه ذلك لو غاب عن أعينهم فليترك فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة) مع الجماعة (مالا يحضره كل يوم) و (يمكن ان يكون ذلك لحب حمدهم) له (ويمكن ان يكون تحرك نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس الى حب الحمد فهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغي ان يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي ان يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشتغل بالعبادة وكذلك قد تبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب) وتليينه (وقد لا يحضره البكاء فيتباكى) أي يتكلف البكاء (تارة رياء وتارة مع الصدق اذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين) رآهم (يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه ان يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى أم لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسي القلب فينبغي ان يترك التباكي كما قال لقمان لابنه) يا بني (لا ترى الناس انك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر) أي فان ذلك رياء ونفاق (وكذلك الصيحة) أي الزعقة (والتنفس) صعداء (والانين عند) سماع (القرآن والذكر أو بعض مجاري الاحوال تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف) على مافات من الخير (وتارة تكون بمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتنفس ويتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على انه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية فهي الرياء وان اقترنت بداعية الحزن فان اباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله به وقد يكون أصل الانين عن الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فرفع تلك الزيادة رياء وهو محظور لانها في حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف مالا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبله فيدعو الى زيادة تحزين الصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة) الجارية (على الوجه حتى تبصر) أي يراها الناس (بعد ان استرسلت لخشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه) وترتخي (من الخوف فيسقط) على الارض (فيستحي ان يقال انه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويصيح ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فتجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص والتواجد ليرى دوام حاله) وثبوتها (وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول

ضعفه سريعا فيجزع أن يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكئ على غيره يرى انه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطا ليظهر انه ضعيف عن سرعة المشي فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها أن يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله مطلع على ضميره وهو له أشد مقتا كما روي عن ذي النون رحمه الله انه قام وزعق فقام معه شيخ آخر رأى (٣٢٦) فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال المنافقين وقد جاء في الخبر نعوذ بالله من خشوع النفاق وانما خشوع النفاق ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراآة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن أين هو فان كان لله فامضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك أهي مقبولة أم لا لخوفك على الاخلاص فيها واحذر أن يتجدد لك خاطر الركون الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتفكر في اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام اذ قال يا أيوب أما علمت ان العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم أعوذ بك ان يرى الناس اني أخشاك وأنت لي ماقت وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما اللهم اني أعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح لك فيما أخلو سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي ومضيعا لما أنت مطلع عليه مني أبدي للناس أحسن أمري وأفضي اليك بأسوأ عملي تقربا الى الناس بحسناتي وفرارا منهم اليك بسيآتي فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك أعذني من ذلك

ضعفه سريعا فيجزع ان يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكئ على غيره يرى انه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي) يمينا وشمالا (ويقرب الخطا ليظهر انه ضعيف عن سرعة المشي فهذه كلها مكايد الشيطان) وخدعه (ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو عرفوا انفاقه في الباطن واطلعوا على) ما في ضميره (لمقتوه) أي أبغضوه (وان الله مطلع على ضميره وهو له أشد مقتا كما روي عن ذي النون) رحمه الله تعالى (انه) لما دخل بغداد واجتمعت عليه الصوفية ومنهم قوال يقول شيأ فاستأذنوه بان يقول بين يديه شيأ فاذن له فابتدأ يقول

صغير هواك عذبني * فكيف به اذا احتنكا * وأنت جمعت من قلبي

هوى قد كان مشتركا * اما ترثي لمكتئب * اذا ضحك الخلي بكى

(قام) ذو النون (وزعق) وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يشعر به (فقام معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف) يتواجد (فقال) له ذو النون (يا شيخ الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ) حكاه القشيري في الرسالة عن أحمد بن مقاتل المكي ثم قال سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول في هذه الحكاية كان ذو النون المصري صاحب اشراف على ذلك الرجل حيث نبهه ان ذلك ليس مقامه وكان ذلك الرجل صاحب انصاف حيث قبل ذلك منه فرجع وقعد وقد تقدم ذلك في كتاب السماع والوجد (وكل ذلك من أعمال المنافقين وقد جاء في الخبر نعوذ بالله من خشوع النفاق) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من حديث أبي بكر الصديق وفيه الحرث بن عبيد الانماري ضعفه أحمد وابن معين (وانما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع) وقد جاء مفسرا هكذا في الخبر فيما رواه الحكيم والبيهقي من حديث أبي بكر المتقدم بلفظ تعوذوا بالله من خشوع النفاق قالوا يا رسول الله وما خشوع النفاق قال خشوع البدن ونفاق القلب وقد رواه كذلك الحاكم في تاريخه من حديث ابن عمر (ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراآة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة) يعسر التمييز بينها الا على ذوي البصائر (فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن أين هو فان كان لله فامضه واحذر مع ذلك أن يكون خفي عليك شيء من الرياء الذي هو) في دقته وخفائه (كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك أهي مقبولة) عند الله (أم لا لخوفك على الاخلاص فيها واحذر أن يتجدد لك خاطر الركون) أي الميل (الى حمدهم بعد الشروع في الاخلاص فان ذلك مما يكره) في الاعمال (جدا فاذا خطر لك فتفكر في اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله أحد الثلاثة نفر الذين حاجوا أيوب عليه السلام اذ قال يا أيوب أما علمت ان العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها في نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس اني أخشاك وأنت لي ماقت) أي باغض (وكان من دعاء علي بن الحسين) بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم (اللهم اني أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون) أي ما ظهر منها (علانيتي وتقبح لك فيما أخلو سريرتي محافظا على رياء الناس في نفسي ومضيعا ما أنت مطلع عليه مني أبدي للناس أحسن أمري وأفضي اليك باسوأ عملي تقربا الى الناس بحسناتي وفرارا منهم اليك بسيآتي فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك أعوذ بالله من ذلك

يارب العالمين) وهذا الدعاء رواه صاحب نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ولفظه اللهم اني أعوذ بك من أن تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح فيما أبطن لك سريرتي محافظا على رياء الناس مطالع من نفسي بجميع ما أنت مطلع عليه مني فأبدي للناس حسن ظاهري وأفضي اليك بسوء عملي تقربا الى عبادك وتباعدا من مرضاتك وهو من رواية علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده (وقد قال أحد الثلاثة نفر لايوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم فهذه جملة آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليها ففي الخبر ان الرياء سبعين بابا) قال العراقي هكذا ذكر المصنف هذا الحديث هنا وكأنه تصحف عليه أو على من نقله من كلامه انه الرياء بالمثناة التحتية وانما هو الربا بالموحدة والرسم كتابته بالواو والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ الربا سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه وفي اسناده أبو معشر واسمه نجيح مختلف فيه وروى ابن ماجه من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الربا ثلاثة وسبعون بابا واسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين في أبواب التجارات وقد روى البزار حديث ابن مسعود بلفظ الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك وهذه الزيادة قد يستدل بها على انه الرياء بالمثناة لاقترانه مع الشرك والله أعلم اهـ قلت روى ذلك من حديث أبي هريرة وابن مسعود والبراء وعائشة ورجل من الانصار فحديث أبي هريرة رواه ابن جرير بلفظ الربا سبعون حوبا أهونها مثل وقوع الرجل على أمه ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الغيبة بلفظ وأيسرها كنكاح الرجل أمه وان أربى الربا عرض الرجل المسلم ورواه البيهقي بلفظ الربا سبعون بابا أدناها كالذي يقع على أمه وفي لفظ له ان الربا سبعون حوبا أدناها مثل ما يقع الرجل على أمه وأربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه وأما حديث ابن مسعود فلفظه الربا ثلاث وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه وان أربى الربا عرض الرجل المسلم رواه الحاكم والبيهقي وأما حديث البراء فلفظه الربا اثنان وسبعون بابا أدناها مثل اتيان الرجل أمه رواه ابن جرير وأما حديث عائشة فلفظه ان الربا بضع وسبعون بابا أصغرها كالواقع على أخته رواه أبو نعيم في الحلية وأما حديث رجل من الانصار فلفظه الربا أحد وسبعون أو قال ثلاثة وسبعون حوبا أهونها مثل اتيان الرجل أمه رواه عبد الرزاق في جامعه وأما حديث ابن مسعود الذي رواه البزار فقد رواه ابن جرير كذلك وضبطوه بالموحدة وقد تقدم ذكر هذا الحديث في كتاب اللسان (وقد عرفت ان بعضه أغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل وبعضه أخفى من دبيب النمل وكيف يدرك ما هو أخفى من دبيب النمل) لشدة خفائه ودقته (الا بشدة التفقد والمراقبة) وكثرة المجاهدة لعيوب النفس (وليته أدرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه من غير تفقد القلب وامتحان النفس) ورياضة لها وتهذيبها (وتفتيش عن خدعها) وتلبيساتها والله الموفق

(بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه)

(اعلم) هداك الله (ان أول ما يلزم المريد قلبه في سائر أوقاته القناعة بعلم الله تعالى في جميع طاعاته وما يتقرب به اليه ولا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف الا الله ولا يرجو الا الله فأما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن أحواله) الباطنة والظاهرة (فان كان) المريد (في هذه المرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك) أي بحسبه ويجعل الكراهة كالزمام وفي نسخة فيلزم (من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت) والسقوط من عين الله تعالى (وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الافشاء) والاظهار (وتقول مثل هذا العمل العظيم) الشاق (والخوف العظيم والبلاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك) تعظيما لمقامك (فما في

يارب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نفر لايوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم فهذه جملة آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليها ففي الخبر ان الرياء سبعين بابا وقد عرفت أن بعضه أغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل وبعضه أخفى من دبيب النمل وكيف يدرك ما هو أخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته أدرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه من غير تفقد القلب وامتحان النفس وتفتيش عن خدعها نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه واحسانه *(بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه)* اعلم ان أولى ما يلزم المريد قلبه في سائر أوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف الا الله ولا يرجو الا الله فأما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن أحواله فان كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما في

الخلاق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه) وكتمه (فيجهل الناس محلك) ومنزلتك (وينكرون قدرك
ويحرمون الاقتداء بك في مثل هذا الامر) اذا عرض له (ينبغي أن يثبت قدمه و يتذكر في مقابلة عظم
عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبد الآباد) وما أعد الله فيها للعاملين مما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر (و) يتذكر أيضا (عظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من
عباده و يعلم ان اظهاره لغيره محبب اليه وسقوط عند الله) من عين رحمته (واحباط العمل العظيم
فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق) وثنائهم (وهم عاجزون) في أنفسهم (لا يقدرون لي
على رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه) و برده عليه (ولا ينبغي أن ييأس عنه فيقول انما يقدر على الاخلاص
الاقوياء) من الناس (فاما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الاخلاص) رأسا (لان المخلط
الى ذلك أحوج من المتقي لان المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة) محفوظة عن الفساد
(والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم يسلم صار مأخوذا بالفرائض
وهلك به فالمخلط الى الاخلاص) في أعماله (أحوج) من المتقي (وقد روى) أبو رقية (تميم) بن أوس بن
حارثة بن سور بن جذيمة بن ذراع بن عدي بن الدار (الداري) رضي الله عنه قدم المدينة سنة تسع وأسلم
وذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة والدجال فحدث النبي صلى الله عليه وسلم بذلك على المنبر
وعد ذلك من مناقبه وانتقل الى الشام بعد قتل عثمان وسكن فلسطين وكان النبي صلى الله عليه وسلم
أقطعه بها قرية عينون قال ابن حبان مات بالشام وقبره ببيت جبرين من بلاد فلسطين (عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال يحاسب العبد يوم القيامة فان نقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له
تطوع أكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع أخذ بطرفيه فالقي في النار) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه
والدارمي وابن قانع والحاكم والبيهقي والضياء ولفظهم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته
فان كان أتمها كتبت له تامة فان لم يكن أتمها قال الله عز وجل للملائكته انظروا هل تجدون لعبدي من
تطوع فتكملون بها فريضته ثم الزكاة كذلك ثم تؤخذ الاعمال على حسب ذلك ورواه أيضا أحمد وابن
أبي شيبة عن رجل من الصحابة وفي رواية أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة يقول
ربنا عز وجل للملائكته وهو أعلم انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فان كانت تامة كتبت له تامة
وان كانت انتقص منها شئ قال انظروا هل لعبدي من تطوع فان كان تطوع قال أتموا لعبدي فريضته
من تطوعه ثم تؤخذ الاعمال على ذاكم هكذا رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم والبيهقي من
حديث أبي هريرة وروى الحاكم في الكنى من حديث ابن عمر أول ما افترض الله تعالى على أمتي الصلوات
الخمس وأول ما يرفع من أعمالهم الصلوات الخمس وأول ما يسئلون عن الصلوات الخمس فمن كان ضيع
شيأ منها يقول الله تبارك وتعالى انظروا هل تجدون لعبدي نافلة من صلاة تتمون بها ما نقص من الفريضة
وانظروا في صيام عبدي شهر رمضان فان كان ضيع شيأ منه فانظروا هل تجدون لعبدي نافلة من صيام
تتمون به ما نقص من الصيام وانظروا في زكاة عبدي فان كان ضيع شيأ منها فانظروا هل تجدون لعبدي
نافلة من صدقة تتمون بها ما نقص من الزكاة فيؤخذ ذلك على فرائض الله وذلك برحمة الله وعدله فان
وجد فضل وضع في ميزانه وقيل ادخل الجنة مسرورا وان لم يوجد له شئ من ذلك أمرت به الزبانية فاخذ
بيديه ورجليه ثم قذف به في النار وروى ابن عساكر من حديث أبي هريرة ان أول ما يحاسب به العبد
صلاته فان سلمت سلم سائر عمله وان فسدت فسد سائر عمله ثم يقول انظروا هل لعبدي من نافلة فان كانت
له نافلة أتم بها الفريضة ثم الفرائض كذلك بعائدة الله تعالى و رحمته واسناده حسن ورواه الترمذي
وقال حسن غريب والنسائي وابن ماجه بلفظ ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فان
صلحت فقد أفلح ونجح وان فسدت فقد خاب وخسر وان انتقص من فريضته قال الرب انظروا هل لعبدي

الخلاق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك في مثل هذا الامر ينبغي أن يثبت قدمه و يتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده و يعلم ان اظهاره لغيره محبب اليه وسقوط عند الله واحباط العمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون لي على رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي أن ييأس عنه فيقول انما يقدر على الاخلاص الاقوياء فاما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لان المخلط الى ذلك أحوج من المتقي لان المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم تسلم صار مأخوذا بالفرائض وهلك به فالمخلط الى الاخلاص أحوج * وقد روى تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يحاسب العبد يوم القيامة فان نقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع أكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع أخذ بطرفيه فالقي في النار

فيأتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده في جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل وأما المتقي فجهده في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يترجح على السيئات فيدخل الجنة فاذا ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به واذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلا من عمله خائفا أنه ربما داخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده مجوزا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتداء العقد بل ينبغي أن يكون (٣٢٩) متيقنا في الابتداء أنه مخلص ما يريد بعمله الا الله حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية أحبطت عمله من رياء أو عجب أولى به ولكن يكون رجاؤه أغلب من خوفه لأنه استيقن أنه دخل بالاخلاص وشك في أنه هل أفسده برياء فيكون رجاء القبول أغلب وبذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والرياء شك وخوفه لذلك الشك جدير بأن يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يتقرب الى الله بالسعي في حوائج الناس وافادة العلم ينبغي أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فهما توقع من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة أو مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه أو ترددا منه في حاجة فقد أخذ أجره فلا ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل أجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فنرجو منه أن لا يحبط ذلك أجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا حتى ان بعضهم وقع في بئر فجاء قوم فادلوا حبلا ليرفعوه فحلف عليهم أن لا يقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن أو سمع منه حديثا خيفة أن يحبط أجره وقال شقيق البلخي أهديت لسفيان الثوري ثوبا فرده علي فقلت له يا أبا عبد الله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترده علي قال علمت ذلك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يلين قلبي لأخيك أكثر مما يلين لغيره

من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب الصلاة (فيأتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة باجتهاده في جبر الفرائض) بالنوافل (وتكفير السيئات أحوج ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل) حتى يقع بها الجبر (اما المتقي فجهده في زيادة الدرجات) ورفعها (وان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يترجح به على السيئات فيدخل الجنة) بفضل الله ورحمته (فاذا ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره للناس فاذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلا من عمله خائفا أنه ربما داخله من الرياء الخفي ما لا يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده مجوزا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها) أي أبغضه (ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتداء العقد بل ينبغي أن يكون متيقنا في الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا الله حتى يصح عمله فاذا شرع فيه ومضت لحظة تمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية أحبطت عمله من رياء أو عجب أولى به) وبه يكون تمام عمله بالاخلاص فيعطى لآخره حكم أوله (ولكن يكون رجاؤه أغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل بالاخلاص) في ابتداء العقد (وشك انه هل أفسده برياء فيكون رجاء القبول أغلب وبذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والرياء شك) واليقين لا يزال بالشك (وخوفه لاجل الشك جدير بان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه) اما (الذي يتقرب الى الله بالسعي في حوائج الناس) التي يضطرون اليها (و) في (افادة العلم) فانه (ينبغي أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فهما توقع) أي ترجى (من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة أو مرافقة الى المشي في الطريق يستكثر باتباعه) له أو مشيه خلفه راكبا أو ماشيا (أو ترددا منه في حاجة) من حاجاته المتعلقة به (فقد أخذ أجره ولا ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع هو) ذلك (ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل أجره ولكن) لو (خدمه التلميذ بنفسه) من غير طلب منه (فقبل خدمته فنرجو أن لا يحبط لذلك أجره) اذ كان لا ينتظره (ولا يريده منه) ولا يطلبه (ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا حتى ان بعضهم وقع في بئر) فاستغاث (فجاء قوم فادلوا) له (حبلا ليرقوه) وفي نسخة ليرفعوه (فحلف عليهم أن لا يقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن أو سمع منه حديثا خيفة من أن يحبط أجره وقال شقيق البلخي) رحمه الله تعالى (اهديت لسفيان) بن سعيد (الثوري) رحمه الله تعالى (ثوبا فرده علي) ولم يقبله (فقلت يا أبا عبد الله لست أنا ممن أسمع الحديث حتى ترده علي) فتخاف اني اهديته لاجل ذلك (قال) الثوري قد (علمت ذلك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يلين قلبي لأخيك أكثر مما يلين لغيره)

وجاء رجل الى سفيان ببدرة أو بدرتين وكان أبوه صديقا لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيرا فقال له يا أبا عبد الله فى نفسك من أبى شئ فقال يرحم الله أباك كان وكان وأثنى عليه فقال يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا المال الى فاحب ان تأخذ هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان ذلك قال فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه فرده على فقال أحب ان تأخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكأنه كانت اخوته مع أبيه فى الله تعالى فكره أن يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم أملك نفسى أن جئت اليه فقلت ويلك أى شئ قلبك هذا حجارة عد أنه ليس لك عيال أما ترحمنى أما ترحم اخوتك أما ترحم عيالنا فأكثرت عليه فقال الله يا مبارك تأكلها أنت هنيأ مريأ وأسئل عنها أنا فاذا يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله فى اهتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم ان يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المعلم وعند الخلق وربما يظن أن له أن يرائى بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لان ارادته بطاعته غير الله خسران فى الحال والعلم ربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر فى الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغى أن يتعلم لله ويعبد لله ويخدم المعلم لله لا ليكون له فى قلبه منزلة ان كان يريد أن يكون تعلمه طاعة فان العباد أمروا أن لا يعبدوا الا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغى أن

أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن عبد المنعم بن عمر حدثنا أحمد بن محمد بن زياد حدثنا أبو داود حدثنا اسحق بن الجراح الازدى حدثنا عبد الرحمن بن محمد قال حدثنى شقيق البلخى قال اهديت لسفيان فذكره وقال أبو نعيم أيضا حدثنا عبد المنعم بن عمر حدثنا أحمد بن محمد بن زياد حدثنا محمد بن اسمعيل الصائغ حدثنا الحلوانى حدثنا يحيى بن أيوب حدثنا مبارك بن سعيد قال (جاء رجل الى سفيان ببدرة أو ببدرتين وكان أبوه صديقا لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيرا) قال (فقال له يا أبا عبد الله فى نفسك من أبى شئ فقال يرحم الله أباك كان وكان فاثنى عليه) قال (فقال يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار الى هذا المال فاحب أن تأخذ هذه) البدرة من المال (تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان ذلك فلما خرج قال لولده) ولفظ الحلية بعد قوله ذلك وقام الرجل فلما كاد أن يخرج قال (يا مبارك الحقه فرده على) وهذا السياق هو الصواب فان مباركا أخاه لا ولده وهو مبارك بن سعيد بن مسروق الثورى الاعمى أبو عبد الرحمن الكوفى نزيل بغداد صدوق مات سنة ثمانين روى له أبو داود والترمذى والنسائى فى عمل اليوم والليلة (فرجع) الرجل (فقال) له سفيان يا ابن أخى (أحب أن تأخذ مالك) قال له يا أبا عبد الله فى نفسك منه شئ قال لا ولكن أحب أن تأخذه (فلم يزل به حتى رده عليه) وذهب به و (كأنه كانت أخوته مع أبيه فى الله فيكره أن يأخذ ذلك) ومن قوله وكأنه الى هنا من زيادة المصنف ليست فى سياق الحلية وقد ساقها للاعتذار عن سفيان وهو حسن (قال ولده فلما خرج) الرجل بماله (لم أملك نفسى أن جئت اليه فقلت ويلك) وليس فى الحلية ولده وانما هو وقال فلما خرج لم أملك نفسى ان جئت اليه فقلت ويحك (أى شئ قلبك هذا حجارة عد أنه ليس لك عيال اما ترحمنى أما ترحم اخوتك أما ترحم عيالك) وفى الحلية عيالنا وعيالك قال (فاكثرت عليه فقال الله يا مبارك تأكلها أنت هنيأ مريئا واسئل عنها أنا) ولفظ الحلية أنا عنها (فاذا يجب على العالم أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله فى اهتداء الناس به فقط) ولا يخطر به شئ سواه (ويجب على المتعلم أن يلزم قلبه حمد الله تعالى وطلب ثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المعلم وعند الخلق وربما ظن أن له أن يرائى بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لان ارادة غير الله بطاعته خسران فى الحال والعلم ربما يفيد وربما لا يفيد وكيف يخسر فى الحال عملا نقدا) حاضرا (على توهم علم) سيستفيده مع التردد فى كونه مفيدا أو غير مفيد (وذلك غير جائز وينبغى أن يتعلم لله ويعبد لله ويخدم المعلم لله لا ليكون له فى قلبه منزلة ان كان يريد أن يكون تعلمه طاعة فان العباد أمروا أن لا يعبدوا الا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره) كما قال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء لله غير مشركين به (وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغى أن يخدمهما لطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان رضا الله فى رضا الوالدين) وقد روى الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو رضا الرب من رضا الوالد وسخط الرب من سخط الوالد (ولا يجوز له أن يرائى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية فى الحال وسيكشف الله عن ريائه وتسقط منزلته من قلب الوالدين أيضا) فان من طلب رضا الناس بسخط الله أسخطهم كما ورد ذلك فى الخبر وتقدم (واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغى أن يلزم قلبه ذكر الله) تعالى (والقناعة بعلمه) فقط (ولا يخطر بقلبه معرفة الناس بزهده واستعظامهم محله) وتبجيلهم له (فان ذلك يغرس الرياء فى صدره حتى تتيسر عليه العبادة فى خلواته به) وفى نسخة العبادات فى خلوته به (وانما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو

يخدمهما لطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان رضا الله عنه فى رضا الوالدين ولا يجوز له أن يرائى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية فى الحال وسيكشف الله عن ريائه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضا وأما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغى له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله فان ذلك يغرس الرياء فى صدره حتى تتيسر عليه العبادات فى خلوته به وانما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا

لايدرى انه المخفف للعمل عليه قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه فى صومعته فقلت ياسمعان منذ كم أنت فى صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال ياحنيفى ومادعاك الى هذا قلت أحببت أن أعلم قال فى كل ليلة حمصة قلت فما الذى يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير الذى بحذائك قلت نعم قال انهم يأتونى فى كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتى و يطوفون حولها و يعظمونى فكلما تثاقلت نفسى عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فانا أحتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل ياحنيفى جهد ساعة لعز الابد فوقر فى قلبى المعرفة فقال حسبك أو أزيدك قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى لى ركوة فيها عشرون حمصة فقال لى ادخل الدير فقد رأوا ما ادليت اليك فلما دخلت الدير اجتمع على

النصارى فقالوا ياحنيفى ما الذى ادلى اليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع به ونحن أحق به ثم قالوا ساوم قلت عشرون دينارا فاعطونى عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال ياحنيفى ما الذى صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطأت لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لاعطوك هذا عز من لا تعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده ياحنيفى أقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة فى القلوب يكون باعثا فى الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغى ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهة ضعيفة ان وجدها فى قلبه فيردها فى الحال بعقله وايمانه فانه لو كان فى عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان و بادر الى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون اليه فيرجى له ان لا يخيب سعيه الا أن يزيد عند مشاهدتهم فى الخشوع والانقباض كى لا ينبسطوا اليه فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد تكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فيطالبها فى دعواها قصد الانقباض بموثق من الله غليظ وهو أنه لو علم أن انقباضهم عنه انما حصل بان يعدو كثيرا أو يضحك كثيرا أو يأكل كثيرا فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح وسمحت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها المنزلة عندهم ولا ينجو من ذلك الا من تقرر فى قلبه انه ليس فى الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا خطرات

لايدرى انه المخفف للعمل عليه قال ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (تعلمت المعرفة من راهب) فى دير (يقال له سمعان دخلت عليه فى صومعته) التى هو يتعبد فيها (فقلت ياسمعان منذ كم أنت فى صومعتك) هذه (قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك) فى هذه المدة (قال ياحنيفى ومادعاك الى هذا) السؤال (قلت أحببت أن أعلم قال فى كل ليلة حمصة قلت فما الذى يهيج فى قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير الذى بحذائك قلت نعم قال انهم يأتون فى كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتى و يطوفون حولها و يعظمونى فكلما تثاقلت نفسى عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل ياحنيفى جهد ساعة لعز الابد فوقر فى قلبى المعرفة فقال حسبك) أى يكفيك ما علمت (أو أزيدك فقلت بلى) زدنى (قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى) أى انزل (الى ركوة فيها عشرون حمصة فقال لى ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت لك فلما دخلت الدير اجتمعت على النصارى فقالوا ياحنيفى ما الذى أدلى لك الشيخ) يعنون الراهب (قلت) شيأ (من قوته قالوا وما تصنع به فنحن أحق به ثم قالوا ساوم قلت عشرون دينارا فاعطونى عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال ياحنيفى ما الذى صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطأت لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لاعطوك هذا عز من لا تعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده ياحنيفى أقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة) أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن محمد بن أحمد بن ابراهيم بن يزيد حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن عمران النيسابورى حدثنا اسحق بن ابراهيم الحنظلى قال سمعت بقية بن الوليد يقول سمعت ابراهيم بن أدهم يقول تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان فذكره (والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة فى القلوب يكون باعثا فى الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغى أن يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم لم يجزع) من ذلك (ولم يضق به ذرعا الا كراهة ضعيفة ان وجدها فى قلبه فيردها فى الحال بعقله وايمانه وانه لو كان فى عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن) مع ذلك (اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان و بادر الى ذلك ولم يقبل السرور) وذلك (بالركون اليه) أى ميل الطبع (فيرجى له أن لا يخيب سعيه الا أن يزيد عند مشاهدتهم فى الخشوع والانقباض) فى نفسه (كيلا ينبسطوا اليه فذلك لا باس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد تكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فليطالبها فى دعواها قصد الانقباض بموثق من الله غليظ وهو انه لو علم ان انقباضهم عنه انما حصل بان يعدو سريعا أو يأكل كثيرا أو يضحك فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح به وسمح بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها المنزلة عندهم) فى قلوبهم (ولا ينجو من ذلك الا من تقرر فى قلبه انه ليس فى الوجود أحد سوى الله) تعالى وهو التوحيد الصرف (فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله ولا يلتفت قلبه الى الخلق الا خطرات

ضعيفة لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان أحدهما غني والآخر فقير
فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن
كان استرواحه الى مشاهدة الاغنياء أكثر فهو مراء أو طماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد في الرغبة الى الآخرة ويحبب الى القلب المسكنة
والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف (٣٣٢) استروح بالنظر الى الغني أكثر مما يستروح الى الفقير وقد حكي أنه لم ير الاغنياء في مجلس أذل

منهم فيه في مجلس سفيان
الثوري كان يجلسهم وراء
الصف ويقدم الفقراء
حتى كانوا يتمنون أنهم
فقراء في مجلسه نعم لك زيادة
اكرام للغني اذا كان
أقرب اليك أو كان بينك
و بينه حق وصداقة سابقة
ولكن يكون بحيث لو
وجدت تلك العلاقة في فقير
لكنت لا تقدم الغني عليه
في اكرام وتوقير البتة فان
الفقير أكرم على الله من
الغني فايثارك له لا يكون
الا طمعا في غناه ورياء له ثم
اذا سويت بينهما في المجالسة
فيخشى عليك أن تظهر
الحكمة والخشوع للغني
أكثر مما تظهره للفقير
وانما ذلك رياء خفي أو طمع
خفي كما قال ابن السماك
لجارية له مالي اذا أتيت
بغداد فتحت لي الحكمة
فقالت الطمع يشحذ لسانك
وقد صدقت فان اللسان
ينطلق عند الغني بما لا
ينطلق به عند الفقير وكذلك
يحضر من الخشوع عنده
ما لا يحضر عند الفقير ومكايد
النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا أن تخرج ما سوى الله من قلبك
وتتجرد بالشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في أيام متقاربة وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد
أمكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم أنه لو احتمى وجاهد
شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الادوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع
اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم

ضعيفة لا يشق عليه ازالتها) باهون سبب (فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق) ووجود مثل ذلك
عزيز (ومن علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان أحدهما غني) وذو مال (والآخر فقير) لا شيء له
(فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم أو زيادة ورع
فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة الغني) وفي نسخة الاغنياء (أكثر
فهو) اما (مراء أو طماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد رغبة في الآخرة ويحبب الى القلب المسكنة)
والتواضع (والنظر الى الاغنياء بخلافه) أي يزيد الرغبة في الدنيا ويحبب الى القلب التجبر والبطر
(فكيف يستروح الى الغني أكثر مما يستروح الى الفقير وقد حكي انه لم ير الاغنياء في مجلس أذل منهم في
مجلس سفيان الثوري وكان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون انهم فقراء في مجلسه)
قال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن بركة حدثنا يوسف بن سعد بن مسلم سمعت قبيصة
يقول ما رأيت الاغنياء أذل منهم في مجلس سفيان الثوري وحدثنا محمد بن علي حدثنا عبد الرحمن بن
الحسن الموازي بمصر حدثنا ابراهيم بن أبي داود حدثنا سعيد بن أسلم عن أبيه عن حماد بن دليل قال ما كنا
نأتي سفيان الا في خلقان ثيابنا (نعم لك زيادة اكرام الغني اذا كان أقرب اليك أو كان بينك وبينه حق
وصداقة سابقة ولكن بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام وتوقير
البتة فان الفقير أكرم على الله من الغني) فالنظر الى تفضيل الغني على الفقير كما سيأتي بيانه (فايثارك له
لا يكون الا طمعا في غناه ورياء له ثم اذا سويت بينهما في المجالسة) ولم تميز (فيخشى عليك أن تظهر
الحكمة والخشوع للغني أكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك لرياء خفي أو طمع خفي كما قال) محمد بن صبيح
(ابن السماك) البغدادي الواعظ (لجارية له مالي اذا أتيت بغداد فتحت لي الحكمة فقالت الطمع يشحذ
لسانك) أي يجعله حديدا منطلقا في الفصاحة (وقد صدقت) الجارية (فان اللسان ينطلق عند الغني
بما لا ينطلق) وفي نسخة أكثر مما ينطلق (عند الفقير) وما ذلك الا لطمع أو رياء ومن قولهم اللها تفتح
اللها (وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير) لانه لا يكترث بالفقير في مجلسه فكيف
يؤاتيه الخشوع (ومكايد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا بان تخرج ما سوى الله
من قلبك) فلا يكون له تعلق بسواه أبدا (وتتجرد للشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب)
ارتكاب (شهوات منغصة) أي مكدرة (في أيام متقاربة منقضية) سريعة الذهاب وفي الخبر حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد أمكنته الشهوات
وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم) أي مرض (وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في
الشهوات) أي في تناولها (وعلم انه لو احتمى) عنها (وجاهد) فيه (شهوته عاش ودام ملكه فلما
عرف ذلك) من نفسه (جالس الاطباء وحارف) أي نادم (الصيادلة) وهم الذين يبيعون العقاقير
(وعود نفسه شرب الادوية المرة) الكريهة الطعم (فصبر على بشاعتها) وكراهتها (وهجر جميع اللذات
وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا) أي تغيرا ونقصا (لقلة أكله ولكن سقمه كل يوم يزداد

نقصانا

نقصانا الشدة احتماله فهما نازعته نفسه الى شهوة تفكر فى توالى الآلام والاوجاع عليه وادى ذلك الى الموت المفرق بينه و بين مملكته الموجب لشماتة الاعداء) أى فرحهم فيه (ومهما اشتد عليه شرب دواء) كريه الطعم (تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذى هو سبب التمتع بملكه ونعيمه فى عيش هنىّ وبدن صحيح وقلب رضى) أى منشرح (وأمر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات) والشهوات (ومصابرة المكروهات وكذلك المؤمن المريد للملك الآخرة احتمى من كل مهلك له فى آخرته وهى لذات الدنيا وزهراتها فاجتزى) أى اكتفى (منها بالقليل) قدر البلاغ (واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من أن يحل عليه غضب الله فيهلك) هلاك الابد (ورجاء أن ينجو من عذابه فخف ذلك كله عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة أمره) بما سيصير اليه (وبما أعدله من النعيم فى رضوان الله) غير منقطع (أبد الآباد) ودهر الدهور (ثم علم ان الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا) ومعينا (وبهم رؤفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب والنصب) وساق لهم لذات الدنيا باسرها (ولكن) حماهم عنها و (أراد أن يبلوهم) ويختبرهم (ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا) واليه يشير قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا (ثم اذا تحمل المريد (التعب فى بدايته) من جهة مجاهدة النفس وقطعها من مألوفاتها (أقبل الله عليه بالمعونة) الباطنية (والتيسير) لاسباب الخير (وحط عنه الاعباء) أى الاثقال (وسهل عليه الصبر) وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات بل لا توازيها لذة (ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمده بمعونته) وقربه اليه (فان الكريم) من شأنه انه (لا يضيع سعى الراجى ولا يخيب أمل المحب وهو الذى يقول) فيما أخبرنا عنه نبينا صلى الله عليه وسلم (من تقرب الىّ) أى طلب قربه منى بالطاعة (شبرا) أى مقدارا قليلا (تقربت منه ذراعا) أى وصلت رحمتى اليه قدرا أزيد منه وكلما زاد العبد قربة زاده الله رحمة (ومن تقرب الىّ ذراعا تقربت اليه ميلا) وتمام الحديث واذا أتى الى مشيا أتيته هرولة رواه البخارى من حديث قتادة عن أنس ورواه أيضا من رواية التيمى عن أنس عن أبى هريرة مرفوعا ورواه أبو عوانة والطبرانى والضياء من حديث سلمان بلفظ قال الله تعالى اذا تقرب العبد الىّ شبرا الخ قال النووى معناه من تقرب الىّ بطاعتى تقربت اليه برحمتى وان زاد زدت فان أتانى يمشى وأسرع فى طاعتى أتيته هرولة أى صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه الى المشى الكثير فى الوصول الى المقصود وقال عياض العبد لا يزال يتقرب الى الله بانواع الطاعات وأصناف الرياضات ويترقى فى مقام الى آخر أعلى منه حتى يستغرق بملاحظة جناب قدسه بحيث ما لاحظ شيأ الا لاحظ ربه فما التفت الى حاس ومحسوس وصانع ومصنوع وفاعل ومفعول الا رأى الله وهو آخر درجات السالكين وأول درجات الواصلين اهـ وروى الطيالسى فى مسنده من حديث أبى ذر قال ربكم عز وجل الحسنة بعشرة والسيئة بواحدة أو اغفر هاشم ساق الحديث وفيه من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا وهذا أشبه بسياق المصنف ورواه أحمد ومسلم وابن ماجه وأبو عوانة بنحوه وروى أحمد وعبد بن حميد من حديث أنس قال الله تعالى يا ابن آدم ان ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى وان ذكرتنى فى ملا ذكرتك فى ملا خير منهم وان دنوت منى شبرا دنوت منك ذراعا وان دنوت منى ذراعا دنوت منك باعا وان أتيتنى تمشى أتيتك هرولة رواه ابن شاهين فى الترغيب فى الذكر من حديث ابن عباس بلفظ يقول الله ابن آدم وفيه معمر بن زائدة قال العقيلى لا يتابع على حديثه ورواه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة بلفظ يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى الخ

وبين مملكته الموجب لشماتة الاعداء به ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذى هو سبب التمتع بملكه ونعيمه فى عيش هنىّ وبدن صحيح وقلب رخى وأمر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات فكذلك المؤمن المريد للملك الآخرة احتمى عن كل مهلك له فى آخرته وهى لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من ان يحل عليه غضب من الله فيهلك ورجاء أن ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة أمره وبما أعدله من النعيم المقيم فى رضوان الله أبد الآباد ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب والنصب ولكن أراد أن يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل التعب فى بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعى الراجى ولا يخيب أمل المحب وهو الذى يقول من تقرب الىّ شبرا تقربت اليه ذراعا

(ويقول) عزوجل (قد طال شوق الابرار الى لقائى وأنا الى لقائهم أشد شوقا فليظهر العبد فى البداية جده) أى اجتهاده (وصدقه) فى العمل (واخلاصه) بأن لا يشرك فيه غير من يعمل له (فلا يعوزه من الله على القرب ماهو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته) فمن جد وجد ومن صدق فى العمل نال الامل ومن أخلص أجرى الله ينابيع الحكم الى قلبه وجعله من المقربين فى حظيرة قدسه على بساط انسه اللهم اجعلنا منهم يارب العالمين وبه تم كتاب ذم الجاه وحب المال والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خلاصة الموجودات وعلى آله وصحبه وسلم

قال مؤلفه الامام الكامل والرحلة الشامل أبو الفيض محمد مرتضى الحسينى غفر الله ذنوبه وستر بعميم فضله عيوبه فرغ من تسويد ذلك مسوده وذلك فى الرابعة من ليلة الخميس تاسع شهر ربيع الآخر سنة ١٢٠٠ حامدا ومصليا ومسلما ومستغفرا الله انفعنا به وبامثاله آمين والحمد لله رب العالمين

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الله ناصر كل صابر)

الحمد لله العلى عن شبه المخلوقين * الغالب لمقال الواصفين * الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين * الباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين * أحمده استتماما لنعمته * واستسلاما لعزته واستعفافا عن معصيته * واستعينه فاقة الى كفايته * انه لا يضل من هداه * ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه * وأشهد أن لا اله الا الله شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها * نتمسك بها أبدا ما أبقانا * وندخرها لاهاويل ما يلقانا * فانها عزيمة الايمان * وفاتحة الاحسان * ومرضاة الرحمن ومدحرة الشيطان * وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله أرسله بالضياء وقدمه فى الاصطفاء فرتق به المفاتق وساور به الغالب وذلل به الصعوبة * وسهل به الحزونة * حتى سرح الضلال * عن يمين وشمال * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه عياب علمه وموائل حكمه وكهوف ثبته ورجال دينه بهم أنام انحناء ظهره واذهب ارتعاد فرائصه وسلم تسليما كثيرا وبعد فهذا شرح (كتاب ذم العجب والكبر) وهو التاسع من الربع الثالث من كتاب الاحياء للامام حجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى أمطر الله على ضريحه سحب الرحمة تزدحم وتوالى قصدت فيه ابراز ماخفى من مخدرات ابكاره وتبيين ما استدق من زواهر أسراره وايضاح ما أبهم من رواة أخباره * واذاعة ما أودع فى سياقه من محصلات أذكاره على نسق يرتضيه العالمون ووجه ينتحيه المخلصون ونهج يهتدى به السالكون ومحجة يقتفيها المتقون معتصما بالله فى تكميل ما أنا بصدده متوكلا عليه مستعينا بفيض مدده انه نعم العون لمن أخلص اليه وقصر نظره على الخير من يديه قال رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) مفتاح كل كتاب كما رواه الخطيب فى الجامع من رواية أبى جعفر محمد بن على معضلا (الحمد لله الخالق البارئ المصور) اعلم انه قد يظن ان هذه الاسماء الثلاثة مترادفة وان الكل يرجع الى الخلق والاختراع ولا ينبغى أن يكون كذلك بل كل ما يخرج من العدم الى الوجود يفتقر الى تقدير أولا والى ايجاد على وفق التقدير ثانيا والى التصوير بعد الايجاد ثالثا والله تعالى خالق من حيث انه مقدر بارئ من حيث انه مخترع موجد ومصور من حيث انه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب وهذا كالبناء مثلا فانه يحتاج الى مقدر يقدر ما لابد منه من الخشب واللبن ومساحة الارض وعدد الابنية وطولها وعرضها وهذا يتولاه المهندس فيرسمه ويصوره ثم يحتاج الى بناء يتولى الاعمال التى تحدث عندها أصول الابنية ثم يحتاج الى مزين ينقش ظاهره ويزين صورته فيتولاه غير البناء وهذه هى العادة فى التقدير والبناء والتصوير وليس كذلك فى أفعال الله تعالى بل هو المقدر والموجد والمزين فهو الخالق البارئ المصور وهو باعتبار تقدير الامور وباعتبار الايجاد على وفق التقدير خالق وباعتبار مجرد الايجاد والاختراع من العدم الى الوجود بارئ والايجاد المجرد شئ والايجاد على وفق التقدير شئ آخر وهذا يحتاج اليه من يعدد الخالق الى مجرد التقدير مع ان له فى اللغة وجها اذ العرب تسمى الحذاء خالقا

ويقول تعالى لقد طال شوق الابرار الى لقائى وانى الى لقائهم أشد شوقا فليظهر العبد فى البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ماهو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته تم كتاب ذم الجاه والرياء والحمد لله وحده

(كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الخالق البارئ المصور

لتقديره

لتقديره بعض طاقات النخل على بعض كما قال الشاعر

ولانت تفري ما خلقت * وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

وأما اسم المصوّر فهو له من حيث رتب صور الاشياء أحسن ترتيب وصوّرها أحسن تصوير وهذا من أوصاف الفعل فلا يعلم حقيقته الا من يعلم صورة العالم على الجملة ثم على التفصيل وكل من كان أوفر علما بالتفصيل كان أكثر احاطة بمعنى اسم المصوّر (العزيز) هو الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فما لم تجتمع هذه المعاني الثلاثة لم يطلق اسم العزيز عليه ثم في كل واحد من المعاني الثلاثة كمال ونقصان فالكمال في قلة الوجودان يرجع الى واحد اذ لا أقل من واحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثله وليس هو الا الله تعالى والكمال في شدة الحاجة ان يحتاج اليه كل شئ في كل شئ حتى في وجوده وبقائه وصفاته وليس ذلك على الكمال الا لله تعالى والكمال في صعوبة الوصول على معنى الاحاطة بكنهه وليس ذلك على الكمال الا لله تعالى فهو العزيز المطلق الحق الذي لا يوازيه فيه غيره (الجبار) هو الذي تنفذ مشيئته على سبيل الاجبار في كل واحد ولا تنفذ فيه مشيئة أحد والذي لا يخرج أحد من قبضته وتقصر الايدي دون حمى حضرته والجبار المطلق هو الله تعالى فانه يجبر كل أحد ولا يجبره أحد ولا تسوية في حقه من الطرفين (المتكبر) هو الذي يرى الكل حقيرا بالاضافة الى ذاته ولا يرى العظمة والكبرياء الا لنفسه فينظر الى غيره نظر الملوك الى العبيد فان كانت الرؤية صادقة كان التكبر حقا وكان صاحبها متكبرا حقا ولا يتصوّر ذلك على الاطلاق الا لله تعالى وان كان التكبر والاستعظام باطلا ولم يكن ما يراه من التفرد بالعظمة كما يراه كان التكبر باطلا ومذموما وكل من رأى العظمة والكبرياء لنفسه على الخصوص دون غيره كانت رؤيته كاذبة ونظره باطلا الا الله سبحانه وتعالى (العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع) لان العلو عبارة عن الفوقية والموجودات بأسرها مالا يمكن قسمتها الى درجات متفاوتة في العقل الا ويكون الحق تعالى في الدرجة العليا من درجات أقسامها حتى لا يتصوّر أن يكون فوقه درجة وذلك هو العلي المطلق وكل ماسواه فيكون عليا بالاضافة الى مادونه ويكون دنيا أو سافلا بالاضافة الى ما فوقه (الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جانب عزه مسكين متواضع) تقدم معنى الجبار والمتكبر قريبا والاستكانة الذل والمسكنة واختلف في سينها فقيل هي أصلية وقيل زائدة (فهو القهار) لا موجود الا وهو مسخر تحت قهره وقدرته فهو (لا يدافعه عن مراده دافع الغني الذي) لا تعلق له بغيره لا في ذاته ولا في صفاته بل هو منزه عن العلاقة مع الاغيار (ليس له في ملكه شريك ولا منازع) وكان من شاركه في نكد أو نازعه في أمر فهو محتاج فقير الى الكسب ولا يتصوّر أن يكون غنيا مطلقا الا الله تعالى (القادر الذي بهر ابصار الخلائق جلاله وبهاؤه) لانه اخترع كل موجود اختراعا انفرد به واستغنى فيه عن معاونة غيره فابصار الخلائق دون عظمته وجلاله خاسرة (وقهر العرش المجيد استواؤه) واستواؤه استعلاؤه (واستيلاؤه) يشير الى ان الاستواء في اللغة يتردّد بين ثلاثة معان معنيان جائزان على الله تعالى وهما الاستعلاء والاستيلاء وواحد باطل واعلم ان الموجودات باسرها تنقسم الى ما هو سبب والى ما هو مسبب والسبب فوق المسبب فوقية بالرتبة والفوقية المطلقة ليست الا لمسبب الاسباب وكذلك تنقسم الموجودات الى حي وميت والحي ينقسم الى ما ليس له الا الادراك الحسي وهو البهيمة والى ماله مع الحس الادراك العقلي والذي له الادراك العقلي ينقسم الى ما يعارضه في ادراكه الشهوة والغضب وهو الانسان والى ما سلم ادراكه عن معارضة الكدورات والذي يسلم عنها ينقسم الى ما يمكن أن يبتلى بها وان رزق السلامة كالملائكة والى ما يستحيل ذلك في حقه وهو الله سبحانه وتعالى وليس يخفى عليك في هذا القسم التدريج اذ الملك فوق الانسان والانسان فوق البهيمة وان الله تعالى فوق الكل فهو العلي المطلق المنزه عن جميع أنواع النقص فقد وقع الميت في الدرجة السفلى من درجات الكمال ولم يقع في العلو الا الله تعالى وهكذا ينبغي ان يفهم فوقيته وعلوه فان هذه الاسامي وضعت

العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع الغني الذي ليس له شريك ولا منازع القادر الذي بهر أبصار الخلائق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه

أولا بالاضافة الى ادراك البصر وهو درجة العوام ثم لما تنبه الخواص لادراك البصائر وجدوا بينها و بين الابصار موازنات استعار وا منها الالفاظ المطلقة وفهمها الخواص وأنكرها العوام فلم يفهموا عظمته الا بالمسافة ولا علوا الا بالمكان فاذا فهمت هذا فهمت معنى استوائه على العرش لان العرش أعظم الاجسام الموجودات وهو فوق جميعها والموجود المنزه عن التحدد والتعدد بحدود الاجسام ومقاديرها فوق الاجسام كلها فى المرتبة ولكن خص العرش بالذكر لانه فوق جميع الاجسام فما كان فوقها كان فوق جميعها وهو كقول القائل الخليفة فوق السلطان تنبيها به على انه اذا كان فوقه كان فوق جميع الناس الذين هم دون السلطان وقد تقدم الكلام فى الاستواء فى شرح كتاب قواعد العقائد مفصلا (وحصر ألسن الانبياء) عليهم السلام وهم خواص عباده المقربين (وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه) فان نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هى انهم لا يعرفونه وانهم لا يمكنهم البتة معرفته وانه يستحيل ان يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية الا الله تعالى فاذا انكشف لهم ذلك انكشافا برهانيا فقد بلغوا المنتهى الذى يمكن فى حق الخلق من معرفته وهو الذى أشار اليه الصديق الاكبر رضى الله عنه حيث قال العجز عن درك الادراك ادراك بل هو الذى عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولم يرد به انه عرف منه ما لا يطاوعه لسانه فى العبارة عنه بل معناه انى لا احيط بمحامدك وصفات الهيتك وانما أنت المحيط بها وحدك فاذا لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته الا بالحيرة والدهشة وأما اتساع المعرفة فانما يكون فى معرفة أسمائه وصفاته (وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه) المراد بالاكاسرة ملوك الفرس جمع كسرى وهو لقب كل من ملك بلاد الفرس (وقصر أيدى القياصرة عظمته وكبرياؤه) المراد بالقياصرة ملوك الروم جمع قيصر وهو كل من ملك بلاد الروم وفى كل من الجملتين جناس اشتقاق (فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه) العظمة كون الشئ فى نفسه كاملا شريفا مستغنيا والكبرياء كناية عن كمال الذات وأعنى بكمال الذات كمال الوجود وكمال الوجود يرجع الى شيئين أحدهما دوامه أزلا وأبدا والثانى ان وجوده هو الوجود الذى يصدر عنه وجود كل موجود ومعنى كونهما ازاره ورداءه انهما من خاص صفاته كما يليق به (ومن نازعه فيهما) أى جاذبه اياهما بأن تعاظم على عباده وتكبر (قصمه) أى كسره (بداء الموت فاعجزه دواؤه) اذ لا دواء له (جل جلاله) أى عظم تناهيه فى عظم القدر (وتقدست أسماؤه) أى تنزهت عن أن يلحقها نقص (والصلاة على) سيدنا (محمد الذى أنزل معه النور المنتشر ضياؤه) اعلم أن العقول وان كانت مبصرة فليست المبصرات كلها عندها على مرتبة واحدة بل بعضها يكون عندها كأنها حاضرة كالعلوم الضرورية وبعضها ما لا يقارن العقل فى كل حال اذا عرض عليه بل يحتاج الى أن ينبه عليه بالتنبيه كالنظريات فانما ينبهه كلام الحكمة فعند اشراق نور الحكمة يصير العقل مبصرا بالفعل بعد ان كان مبصرا بالقوة وأعظم الحكم كلام الله تعالى ومن جملة كلامه القرآن خاصة فتكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة اذ به يتم الابصار فبالحرى أن يسمى القرآن نورا كما يسمى نور الشمس نورا فمثال القرآن نور الشمس ومثال العقل نور العين وبهذا يفهم معنى قوله تعالى فآمنوا بالله و رسوله والنور الذى أنزلنا وقوله تعالى قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا وبين النور والضياء عموم وخصوص (حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وارجاؤه) أى أطرافه من سائر الجهات (وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباؤه وأولياؤه وخيرته وأصفياؤه) أى أحبهم الله بحبه ووالاهم وقربهم وأدناهم واختارهم واصطفاهم (وسلم) تسليما (كثيرا أما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائى) والعظمة (ازارى) اختلفوا فى معنى ذلك فقال الكلاباذى الرداء عبارة عن الجمال والبهاء والازار عبارة عن الجمال والستر والحجاب فكأنه قال لا يليق الكبرياء الا بى

وحصر ألسن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه وقصر أيدى القياصرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فاعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست أسماؤه والصلاة على محمد الذى أنزل عليه النور المنتشر ضياؤه حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباء الله وأولياؤه وخيرته وأصفياؤه وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى

لان من دونى صفات الحدوث لازمة له وسمة العجز ظاهرة عليه والازار عبارة عن الاقناع عن الادراك والاحاطة به علما والكيفية لذاته وصفاته فكأنه قال حجبت خلقى عن ادراك ذاتى وكيفية صفاتى بالجلال والعظمة وقال عياض الكبرياء الكبر وهو الترفع على الغير بان يرى لنفسه عليه شرفا والعظمة كون الشئ فى نفسه كاملا شريفا مستغنيا فالاول أرفع من الثانى اذ هو غاية العظمة فلذا مثله بالرداء وقيل الكبرياء الترفع عن الانقياد وذلك لا يستحقه الا الحق فكبرياء ألوهيته التى هى عبارة عن استغنائه واستعلائه ومثلهما بالرداء ابرازا للمعقول فى صورة المحسوس فكما لا يشارك الرجل فى ردائه وازاره لا يشارك البارى فى هذين فانه الكامل المنعم المنفرد بالبقاء وماسواه ناقص محتاج (فمن نازعنى) بان تشوق الى الاتصاف بهما أو بأحدهما (قصمته) أى أذللته وأهنته أوقربت هلاكه قال الزمخشرى هذا وارد عن غضب شديد ومناد على سخط عظيم لان القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذى يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الكسر اهـ وقال صاحب الحكم كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا منعك أن تدعى ماليس لك مما للمخلوقين أفيبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين وقد أفاد هذا الوعيد أن التكبر والتعاظم من الكبائر قال العراقى رواه الحاكم فى المستدرك دون ذكر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم فى العلم وسيأتى بعد حديثين بلفظ آخر اهـ قلت ورواه الحاكم من حديث أبى هريرة ولفظه الكبرياء ردائى فمن نازعنى ردائى قصمته (وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات) وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات أما المهلكات (شح مطاع) أى بخل يطيعه الانسان فلا يؤدى ماعليه من حق الحق وحق الخلق فلا يكون بمجرد الشح مهلكا الا اذا كان مطاعا والا فهو من لوازم النفس قال الراغب خص المطاع لينبه أن الشح فى النفس ليس مما يستحق به ذما اذ ليس هو من فعله وانما يذم بالانقياد له (وهوى متبع) بأن يتبع كل أحد مايأمره به هواه (واعجاب المرء بنفسه) أى تحسين كل أحد نفسه على غيره وان كان قبيحا قال القرطبى اعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيانه نعمة الله فان احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر وأما مافى الحديث فقد تقدم فى كتاب ذم البخل وقد رواه الطبرانى فى الاوسط وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر وفيه ابن لهيعة ورواه البزار والطبرانى وأبو الشيخ فى التوبيخ وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بلفظ ثلاث منجيات خشية الله فى السر والعلانية والعدل فى الرضا والغضب والقصد فى الفقر والغنى وثلاث مهلكات هوى متبع وشح مطاع واعجاب المرء بنفسه (فالكبر والعجب داآن مهلكان والمتكبر والمعجب) بنفسه (سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا كان القصد فى هذا الربع من كتاب احياء علوم الدين شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح المرديات) الردى هو الهلاك وأرداه أوقعه فيه (ونحن نستقصى بيانهما من الكتاب فى شطرين شطر فى الكبر وشطر فى العجب الشطر الاول من الكتاب فى الكبر وفيه بيان ذم الكبر و بيان ذم الاختيال و بيان فضيلة التواضع و بيان حقيقة الكبر وآفته و بيان من يتكبر عليه ودرجات الكبر و بيان مابه التكبر و بيان الباعث على التكبر و بيان اختلاف المتواضعين ومافيه يظهر التكبر و بيان علاج الكبر و بيان امتحان النفس فى خلق الكبر و بيان المحمود من خلق التواضع و بيان المذموم منه)

*(بيان ذم الكبر)

اعلم انه (قد ذم الله الكبر فى مواضع من كتابه وذم كل جبار ومتكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتى) المنصوبة فى الآفاق والانفس (الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق) سيأتى تفسيره للمصنف فى آخر بيان حقيقة الكبر وآفته (وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قرئ بالتنوين على حذف مضاف أى كل ذى قلب (وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) أى معاند للحق جاحد له مستكبر عن قبوله (وقال تعالى ان الله لايحب المستكبرين وقال تعالى لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا

فمن نازعنى فيهما قصمته وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داآن مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا كان القصد فى هذا الربع من كتاب احياء علوم الدين شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح المرديات ونحن نستقصى بيانهما من الكتاب فى شطرين شطر فى الكبر وشطر فى العجب *(الشطر الاول)* من الكتاب فى الكبر وفيه بيان ذم الكبر و بيان ذم الاختيال و بيان فضيلة التواضع و بيان حقيقة التكبر وآفته و بيان من يتكبر عليه ودرجات التكبر و بيان مابه التكبر و بيان البواعث على التكبر و بيان أخلاق المتواضعين وما فيه يظهر التكبر و بيان علاج الكبر و بيان امتحان النفس فى خلق الكبر و بيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه *(بيان ذم الكبر)* قد ذم الله الكبر فى مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وقال عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى انه لايحب المستكبرين وقال تعالى لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا

عتوّا كبيرا وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي) فلا يرفعون لها رأسا (سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين ذليلين (وذم الكبر في القرآن كثير وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان) قال العراقي رواه مسلم من حديث ابن مسعود اهـ قلت سياق المصنف لاحمد في مسنده لكنه بتقديم وتأخير وزيادة قال حدثنا عارم قال حدثنا عبد العزيز بن مسلم القسملي حدثنا سليمان الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى ابن جعدة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من ايمان ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر قال رجل يا رسول الله يعجبني أن يكون ثوبي غسيلا ورأسي دهينا وشراك نعلي جديدا وذكر أشياء حتى علاقة سوطه قال ذاك جمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الكبر من بطر الحق وازدرى الناس ورواه الحاكم من رواية عفان عن عبد العزيز بن مسلم بالاسناد المذكور ولفظ الحديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه حبة من كبر الحديث وفيه والله يحب الجمال ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقد احتجا جميعا برواته واعترض عليه العراقي في اصلاح المستدرك فقال لم يحتج واحد من الشيخين بيحيى بن جعدة ومع ذلك فهو مرسل فان يحيى لم يلق ابن مسعود كما قال ابن معين وأبو حاتم ومع ذلك فالحديث أخرجه مسلم من رواية ابراهيم عن علقمة عن ابن مسعود مع اختلاف يسير فلا حاجة الى ايراده اهـ كلام العراقي قلت لفظ مسلم قيل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس وقد رواه هناد في الزهد عن يحيى بن جعدة المخزومي مرسلا ولفظه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر العزة ازار الله والكبرياء رداؤه وروى الطبراني في الكبير من حديث السائب بن يزيد لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال كبر وروى البزار من حديث ابن عباس لا يدخل الجنة مثقال حبة خردل من كبر ولا يدخل النار مثقال حبة خردل من ايمان وروى مسلم والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء وروى أبو يعلى والطبراني والبيهقي والضياء من حديث عبد الله بن سلام لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ورواه الطبراني أيضا من حديث ابن عباس ورواه أحمد وهناد والطبراني أيضا من حديث عبد الله بن عمرو وروى ابن سعد وأحمد والبغوي والطبراني والبيهقي وابن عساكر من حديث أبي ريحانة لا يدخل الجنة من الكبر شئ فقال قائل يا رسول الله اني أحب ان أتجمل بسير سوطي وشسع نعلي فقال ان ذلك ليس بالكبر ان الله جميل يحب الجمال انما الكبر من سفه الحق وغمص الناس بعينه (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي) قال العراقي رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له وقال أبو داود قذفته في النار وقال مسلم عذبته وقال رداؤه وازاره بالغيبة وزاد مع أبي هريرة أبا سعيد أيضا اهـ قلت وبلفظ أبي داود رواه أيضا أحمد وهناد والدارقطني في الافراد ورواه ابن حبان في صحيحه بلفظ ألقيته في النار ورواه القضاعي في مسنده من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن أبي هريرة مثله ورواه سمويه في فوائده من حديث أبي هريرة وأبي سعيد معا بلفظ مسلم الا أنه قال ردائي وازاري ورواه الحاكم في مستدركه من وجوه أخر بلفظ قصمته وبدون ذكر العظمة وقد تقدم قبل هذا بحديثين وعند الحكيم الترمذي من حديث أنس يقول الله عز وجل لي العظمة والكبرياء والفخر والقدر سري فمن نازعني واحدة منهن كببته في النار (وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن) بن عوف القرشي الزهري المدني قيل اسمه عبد الله وقيل اسمعيل وقيل اسمه وكنيته واحد قال ابن سعد كان ثقة فقيها كثير الحديث وقال أبو زرعة ثقة امام توفي سنة أربع وتسعين بالمدينة وهو ابن اثنين وسبعين سنة روى

عتوّا كبيرا وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن

التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتوافقا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والانس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي ألف من الانس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله للجنة انما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها

له الجماعة (قال التقى عبد الله بن عمر) بن الخطاب (وعبد الله بن عمرو) بن العاص رضي الله عنهما (على المروة فتوافقا فمضى ابن عمرو) بن العاص (وقام ابن عمر يبكي فقالوا وما يبكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو) بن العاص (زعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه) قال العراقي رواه أحمد والبيهقي في الشعب من طريقه باسناد صحيح اهـ قلت وكذلك رواه الدارقطني في الافراد وابن النجار في التاريخ (وقال صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب) قال العراقي رواه الترمذي وحسنه من حديث سلمة بن الاكوع دون قوله من العذاب اهـ قلت لفظ الترمذي لا يزال الرجل يتكبر و يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم وقال حسن غريب ورواه كذلك الدارقطني في الافراد والطبراني في الكبير (وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والجن والانس والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي ألف من الانس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات) الزجل محركة الصوت (ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا) أي من هاتف (لو كان في قلب صاحبكم) يعني سليمان عليه السلام (مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين) قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب اهـ قلت لفظ الترمذي يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان والباقي سواء وقال حسن غريب ورواه كذلك أحمد وابن مردويه والبيهقي (وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ الملكة) قال العراقي تقدم في آداب الكسب والمعاش والمعروف خائن مكان كل جبار اهـ قلت وروى الطيالسي من حديث أبي بكر لا يدخل الجنة خب ولا خائن ورواه أحمد بلفظ لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة وعند الخطيب في ذم البخلاء وابن عساكر لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا لئيم ولا منان ولا خائن ولا سيئ الملكة وعند الخرائطي في مساوي الاخلاق من حديث أنس لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا منان ولا سيئ الملكة وروى الطيالسي والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه والدارقطني في الافراد من حديث أبي بكر لا يدخل الجنة سيئ الملكة ولم أجد لفظ جبار في شئ من الروايات (وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله تعالى للجنة انما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها) فيه فوائد * الاولى رواه أحمد والبخاري من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة ورواه مسلم أيضا من طريق أبي الزناد عن الاعرج ومن طريق أيوب السختياني عن محمد بن سيرين كلاهما عن أبي هريرة * الثانية قوله تحاجت أي تخاصمت قال الجوهري التحاج التخاصم وقال ابن سيده حاجه نازعه الحجة وحجه غلبه على حجته وقال ابن عطية في تفسير قوله تعالى واذ يتحاجون في النار المحاجة التحاور بالحجة والخصومة * الثالثة الظاهر ان المراد بتحاجهما تخاصمهما في الافضل منهما واقامة كل منهما الحجة على أفضليته فاحتجت النار بقهرها للمتكبرين والمتجبرين واحتجت الجنة بكونها مأوى الضعفاء في الدنيا عوضهم الله تعالى من ضعفهم الجنة فقطع سبحانه التخاصم بينهما وبين الجنة بان الجنة رحمته أي نعمته على الخلق ان جعلت الرحمة صفة فعل أو أثر ارادته الخير بمن يشاء ان جعلت صفة ذات وان النار عذابه الناشئ عن غضبه وانتقامه جل وعلا * الرابعة قال النووي هذا الحديث على ظاهره وان الله تعالى جعل في النار والجنة تمييزا يدركان به فتحاجا ولا يلزم من هذا أن يكون التمييز فيهما دائما وقال أبو العباس القرطبي ظاهر هذه المحاجة انها لسان فقال فيكون

خزنة كل واحد منهما هم القائلون ذلك ويجوز أن يخلق الله ذلك القول فيما شاء من أجزاء الجنة ولا
يشترط عقلا فى الاصوات المتقطعة أن يكون محلها حيا خلافا لمن اشترط ذلك من المتكلمين ولو سلمنا ذلك
لكان من الممكن أن يخلق الله تعالى فى بعض أجزاء الجنة والنار والجمادية حياة بحيث يصدر ذلك
القول عنه لاسيما وقد قال بعض المفسرين فى قوله تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون
ان كل ما فى الجنة حى ويحتمل أن يكون ذلك لسان حال فيكون ذلك عبارة عن حالتيهما والاول أولى والله
أعلم * الخامسة قوله لا الضعفاء من الناس لفظ الشيخين الاضعفاء الناس جمع ضعيف قال أبو العباس
القرطبى يعنى الضعفاء فى أمر الدنيا ويحتمل أن يريد به هنا الفقراء وحمله على الفقراء أولى من حمله على
الاول لانه يكون معنى الضعفاء معنى العجزة المذكورة من بعد وقال عياض المراد بالضعيف هنا وفى
الحديث الآخر أهل الجنة كل ضعيف متضعف انه ضد المتجبر المتكبر وقال أبو بكر بن خزيمة الضعيف هنا
الذى برأ نفسه من الحول والقوة فى اليوم والليلة عشرين مرة الى خمسين ولم يرد التحديد وانما أراد
اتصافه من التبرى من الحول والقوة والالتجاء الى الله حتى يذكر قال أبو عبد الله القرطبى ومثل هذا
لا يقال من قبل الرأى فهو مرفوع اهـ قال الولى العراقى وهو عجيب لان ذلك انما قيل فى الصحابى لافى
مطلق الناس * السادسة قوله وسقاطهم هو جمع ساقط ككاتب وكتاب وهو النازل القدر وهو الذى عبر عنه
بانه لا يؤبه له ولعله من سقط المتاع وهو رديه وفى رواية مسلم وسقطهم بفتح السين والقاف وهو جمع ساقط
أيضا والمعنى واحد ويلزم على ذلك أن يكون بالتاء ككاتب وكتبة وحاسب وحسبة وانما يسقطون التاء
لانهم سلكوا بالجمع مسلك اسم الجنس * السابعة وقع فى رواية مسلم بعد قوله وسقطهم وغويهم وروبت
هذه اللفظة على ثلاثة أوجه حكاها القاضى عياض قال النووى وهى موجودة فى النسخ احداها بفتح
الغين المعجمة وكسر الواو وتشديد الياء ولا يظهر له هنا معنى ولهذا كان الحافظ العراقى يقول لعله
وغوغاؤهم وكتب بخطه كذلك على حاشية نسخته ولعله تصحف بقوله وغويهم الثانى غرثهم بغين معجمة
مفتوحة وراء مفتوحة وثاء مثلثة قال عياض هذه رواية الاكثرين من شيوخنا ومعناه أهل الحاجة
والفاقة والجوع والغرث الجوع والثالث غرتهم بغين معجمة مكسورة وراء مشددة وتاء مثناة من فوق
وهذا هو الاشهر فى نسخ بلاد المشرق أى البله الغافلون الذين ليس لهم فتك وحذق فى أمور الدنيا وهو
نحو الحديث الآخر أكثر أهل الجنة البله وقال عياض معناه سواد الناس وعامتهم من أهل الايمان
فتدخل عليهم الفتنة أو تدخلهم فى البدعة أو غيرها فهم ثابتو الايمان صحيحو العقائد وهم أكثر المؤمنين
وهم أكثر أهل الجنة وأما العارفون والعلماء العاملون والصالحون المتعبدون فهم قليلون وهم أصحاب
الدرجات العلى الثامنة وقع فى رواية الشيخين بعد قوله ضعفاء الناس وسفلهم هو بكسر السين المهملة
وفتح الفاء وهو جمع سفلة بكسر فسكون وهو الرجل الوضيع ويوافقه ما فى الصحاح والعامة تقول رجل
سفلة من قوم سفل وكذا قال فى النهاية ثم قال وليس بعربى وذلك بعد ان صدر كلامه بما بان السفلة بفتح
فكسر السقاط من الناس وانه يقال هو من السفلة لا يقال سفلة لانه جمع ثم قال فى النهاية وبعض
العرب تخفف فتقول من سفلة الناس فتنقل كسرة الفاء الى السين وحكاه فى الصحاح عن ابن السكيت
وقال فى المحكم سفلة الناس أى بفتح فكسر وسفلتهم وسفلتهم أى بكسر فسكون أسافلهم وغواتهم
* التاسعة قوله وعجزتهم بعين مهملة مفتوحة وجيم وزاى وتاء جمع عاجز ومعناه العاجزون عن طلب الدنيا
والتمكن فيها والثروة والشوكة كذا ضبطه عياض والنووى قال أبو العباس القرطبى ويلزم على ذلك
أن يكون بالتاء وسقوطها فى مثل الجمع نادر وانما يسقطونها اذا سلكوا بالجمع مسلك اسم الجنس كما
قدمنا فى سقطهم وصواب هذا اللفظ أن يكون عجزهم بضم فتشديد ككشاهد وشهد * العاشرة فيه ذم التكبر
والتجبر وان فاعل ذلك من أهل النار فان وصل الكبر بالانسان الى الكفر لتكبره عن الايمان بالله

ورسوله

ورسوله فهو مخلد فيها وان لم يصل الى ذلك فلا بد له من الخلوص منها ولا يقطع له أيضا بدخولها بل هو تحت المشيئة فقد يعفى عنه ولا يدخلها * الحادية عشرة هذا الحديث له بقية عند أحمد والشيخين وهي فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله وفي لفظ قدمه تقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحدا وأما الجنة فان الله عز وجل ينشئ لها خلقا ولم يذكر المصنف رحمه الله هذه الزيادة لحصول المقصود بصدر الحديث وهو الدلالة على ذم الكبر واستحقاق فاعله النار ولانها من أحاديث الصفات المشكلة المحتاجة الى التأويل وقد زعم ابن فورك ان هذه اللفظة وهي قوله حتى يضع الله رجله غير ثابتة عند أهل النقل ولكن قد عرفت انه رواه أحمد والشيخان وغيرهم فهي صحيحة وتأويلها من أوجه أحدها ان المراد رجل بعض المخلوقين فيعود الضمير في رجله الى ذلك المخلوق المعلوم الثاني انه يحتمل ان من المخلوقات ما يسمى بهذه التسمية الثالث انه يجوز أن يراد بالرجل الجماعة من الناس كما تقول رجل من جراد أي قطعة منه الرابع أن المراد بوضع الرجل نوع ٧ جزلها كما تقول جعلته تحت رجلي الخامس أن الرجل قد تستعمل في طلب الشيء على سبيل الجد والالحاح كما تقول قام في هذا الامر على رجل والمشهور في أكثر روايات الحديث حتى يضع فيها قدمه وفيه التأويلات المتقدمة وأشهرها تأويل آخر ان المراد من قدمه الله لها من أهل العذاب وهذا كله بناء على طريقة التأويل وهي طريقة جمهور المتكلمين والذي عليه السلف وذهبت اليه طائفة من المتكلمين انه لا يتكلم في تأويلها بل نؤمن بانها حق على ما أراد الله ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد وذكر الخطابي ان ترك التأويل انما هو في الصفات الواردة في القرآن أو في السنة المتواترة فأما الواردة في أخبار الآحاد من غير أن يكون لها أصل في القرآن فانها تؤول والله أعلم (وقال صلى الله عليه وسلم بئس) وهي كلمة جامعة للمذام مقابلة لنعم الجامعة لوجوه المدائح كلها (العبد عبد تجبر) من الجبر وهو القهر بان انتشأ في الشهوات وجبر الخلق على هواه فيها فصار ذلك عادة له (واعتدى) أي تجاوز الحدود في جبروته (ونسي الجبار الاعلى) الذي له الجبروت الاعظم (بئس العبد عبد تجبر واختال) من الخيلاء وهو الكبر والعجب (ونسي) الله (الكبير المتعال) أي نسي ان الكبرياء والتعالي ليس الا للواحد القهار (بئس العبد عبد سها) بالاماني مستغرقا في شؤن هذا الحطام الفاني (ولها) بالاكباب على الشهوات والاشتغال بما لا يعنيه مما خلق لاجله من العبادات (ونسي المقابر والبلى) اي بأن القبر يضمه يوما ويحتوي على أركانه ويبلي لحمه ودمه (بئس العبد عبد عتا وطغى) العتو التجبر والتكبر والطغيان مجاوزة الحد أي بالغ في ركوب المعاصي وتمرد حتى صار لا ينجع فيه وعظ ولا يؤثر فيه زجر فصار إيمانه محجوبا (ونسي المبدأ والمنتهى) أي نسي من أين بدئ والى أين يعاد وصيرورته ترابا أي من كان من ذلك ابتداؤه ويكون انتهاؤه هذا جدير بان يطيع الله في أوسط الحالين قال العراقي رواه الترمذي من حديث أسماء بنت عميس بزيادة فيه مع تقديم وتأخير وقال غريب وليس اسناده بالقوي ورواه الحاكم في المستدرك وصححه ورواه البيهقي في الشعب من حديث نعيم بن حماد وضعفه اهـ قلت لفظ الترمذي بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وطغى ونسي المبتدا والمنتهى بئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات بئس العبد عبد طمع يقوده بئس العبد عبد هوى يضله بئس العبد عبد رغب يذله هكذا رواه الترمذي وضعفه والبغوي والطبراني ورواه الحاكم في الرقاق من مستدركه وصححه ورده الذهبي وقال سنده مظلم وكذلك رواه البيهقي كلهم من حديث أسماء قال البيهقي اسناده ضعيف ورواه الطبراني وابن عدي والبيهقي من حديث نعيم بن عمار الغطفاني وفيه طلحة بن زيد الرقي وهو ضعيف (وعن) أبي محمد (ثابت) بن أسلم البناني البصري ثقة عابد مات سنة بضع وعشرين وله ست وثمانون سنة روى له الجماعة (قال بلغنا انه

و قال صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد غفل وسها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى وعن ثابت أنه قال بلغنا انه

قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب هكذا مرسلا بلفظ ما أعظم كبر فلان (وقال عبدالله بن عمرو) بن العاص رضي الله عنهما (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى آمركما باثنين وأنهاكما عن اثنين أنهاكما عن الشرك) بالله (والكبر) على الناس (وآمركما بلا اله الا الله فان السموات السبع والارض وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت أرجح منها ولو أن السموات والارض وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شئ وبها يرزق كل شئ) قال العراقي رواه أحمد والبخاري في كتاب الادب والحاكم بزيادة في أوّله وقال صحيح الاسناد اهـ قلت وكذلك رواه الطبراني في الكبير ولفظهم جميعا ان نبي الله نوحا لما حضرته الوفاة قال لابنه يابنى انى موصيك فقاصر عليك الوصية آمرك باثنين وأنهاك عن اثنين آمرك بلا اله الا الله فلو ان السموات السبع والارضين السبع وضعن في كفة ولا اله الا الله في كفة لرجحت بهن ولو أن السموات السبع والارضين السبع كانت حلقة مبهمة قصمتهن لا اله الا الله وأوصيك بسبحان الله وبحمده فانها صلاة الخلق وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الكفر والكبر قيل يارسول الله ما الكبر أهوان يكون للرجل حلة حسنة يلبسها وفرس جميل يعجبه جماله قال لا الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس وروى ابن أبي شيبة من حديث جابر ألا أعلمكم ما علم نوح ابنه آمرك بقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فان السموات لو كانت في كفة لرجحت بها ولو كانت حلقة قصمتها وآمرك بسبحان الله وبحمده فانها صلاة الخلق وتسبيح الخلق وبها ترزق الخلق وروى الحكيم الترمذي والديلمي من حديث معاذ بن أنس الا أخبركم عن وصية نوح حين حضره الموت قال انى واهب لك أربع كلمات هي قيام السموات والارض وهن أوّل الكلمات دخولا وآخر الكلمات خروجا من عنده ولو وزن بهن أعمال بنى آدم لوزنتهن فاعمل بهن واستمسك حتى تلقانى تقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر والذى نفس محمد بيده لوان السموات والارض وما فيهن وما تحتهن وزن بهذه الكلمات لوزنتهن وروى عبد بن حميد وابن عساكر من حديث جابر وأبو يعلى والبيهقي وابن عساكر أيضا من حديث عبدالله بن عمرو ألا أخبركم بشئ أمر به نوح ابنه ان نوحا قال لابنه يابنى آمرك بأمرين وأنهاك عن أمرين آمرك أن تقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير فان السموات والارض لو جعلتا في كفة وزنتها ولو جعلتا حلقة قصمتها وآمرك يابنى أن تقول سبحان الله وبحمده فانها صلاة الخلائق وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق وأنهاك يابنى عن الشرك فان من أشرك بالله حرم الله عليه الجنة وأنهاك يابنى عن الكبر فان أحدا لا يدخل الجنة وفي قلبه مثقال حبة من خردل من كبر فقال معاذ يارسول الله الكبر أن يكون لاحدنا دابة يركبها والنعلين يلبسهما والثياب يلبسها والطعام يجمع عليه أصحابه قال لا ولكن الكبر أن تسفه الحق وتغمص المؤمن وسأنبئك بخلال من كن فيه فليس بمتكبر اعتقال الشاة وركوب الحمار ولبوس الصوف ومجالسة فقراء المؤمنين وأن يأكل أحدهم مع عياله (وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا) أى متكبرا (وقال النبي صلى الله عليه وسلم أهل النار كل جعظرى) وهو الفظ الغليظ المتفخر بما ليس عنده (جوّاظ) وهو الكثير اللحم المختال في مشيته (مستكبر) على اخوانه (جماع) للمال (مناع) للحق (وأهل الجنة الضعفاء المقلون) وفي لفظ المغلوبون قال العراقي رواه أحمد والبيهقي في الشعب من حديث سراقة بن مالك دون قوله جماع مناع وهذه الزيادة عندهما من حديث عبدالله بن عمرو وفي الصحيحين من حديث حارثة بن وهب الخزاعي الا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لابره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جوّاظ مستكبر اهـ قلت لفظ حديث سراقة عند ابن قانع والحاكم أهل النار كل جعظرى جوّاظ مستكبر وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون

قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت وقال عبدالله بن عمر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى آمركما باثنين وأنهاكما عن اثنين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارضين وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت أرجح منهما ولو أن السموات والارضين وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شئ وبها يرزق كل شئ وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال صلى الله عليه وسلم أهل النار كل جعظرى جوّاظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المقلون

و روى أحمد والطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو وسراقة بن مالك أهل الجنة المغلوبون وأهل النار كل جعظرى جوّاظ مستكبر و روى الطيالسى من حديث حارثة بن وهب أهل النار كل جوّاظ عتل مستكبر و روى الشيرازى فى الالقاب والديلمى من حديث أبى عامر الاشعرى أهل النار كل شديد قبعثرى قيل يارسول الله وماهو قال الشديد على الاهل الشديد على الصاحب الشديد على العشيرة وأهل الجنة كل ضعيف مزهد و روى أحمد والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو أهل النار كل جعظرى جوّاظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون و روى الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عمرو ألا أنبئك بأهل الجنة الضعفاء المغلوبون و روى أيضا من حديث أبى الدرداء ألا أخبرك يا أبا الدرداء بأهل النار كل جعظرى جوّاظ مستكبر جماع ألا أخبرك بأهل الجنة كل مسكين لو أقسم على الله تعالى لابره وأما حديث حارثة بن وهب فى الصحيحين فلفظه ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لابره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جوّاظ جعظرى مستكبر وهكذا رواه الطيالسى وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والطبرانى كلهم من طريق معبد بن خالد عن حارثة بن وهب الخزاعى و رواه الطبرانى أيضا عن معبد بن خالد بن حارثة بن وهب والمستورد بن شداد الفهرى معا و رواه الطبرانى أيضا والضياء عن معبد بن خالد عن أبى عبد الله الجدلى عن زيد بن ثابت (وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الينا وأقربكم منا فى الآخرة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم الينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون) قال العراقى رواه أحمد من حديث أبى ثعلبة الخشنى بلفظ الى دينى وفيه انقطاع مكحول لم يسمع من أبى ثعلبة وقد تقدم فى رياضة النفس أوّل الحديث اهـ قلت لفظ أحمد ان أحبكم الىّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم الىّ وأبعدكم منى فى الآخرة مساويكم أخلاقا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وكذلك رواه ابن حبان والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى والخرائطى و روى الخرائطى أيضا والخطيب وابن عساكر والضياء من حديث جابر ان أحبكم الىّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم الىّ وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة مساويكم أخلاقا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون و روى الطبرانى من حديث ابن مسعود ان أحبكم الىّ يوم القيامة أحاسنكم وان من أبغضكم الىّ يوم القيامة المتشدقون المتفيهقون و روى البيهقى من حديث أبى هريرة ألا أخبركم بشراركم هذه الامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون أفلا أنبئكم بخيارهم أحاسنهم أخلاقا و رواه أحمد بلفظ ألا أنبئكم بشراركم الثرثارون المتشدقون ألا أنبئكم بخياركم أحاسنكم أخلاقا (وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة ذرا فى مثل صور الرجال يعلوهم كل شئ من الصغار) أى الذل (ثم يساقون الى سجن فى جهنم يقال له بولس) بضم الموحدة وفتح اللام وآخره سين مهملة (تعلوهم نار الانيار) هو جمع نار (يسقون من طينة الخبال) وهى (عصارة أهل النار) أى مما يسيل من أجسادهم بعد ذوبانها من القيح والصديد قال العراقى رواه الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال حسن غريب اهـ قلت وكذلك رواه أحمد ولفظه أمثال الذر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان والباقى سواء (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة فى صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله) قال العراقى رواه البزار هكذا مختصرا دون قوله الجبارون واسناده حسن (وعن محمد بن واسع) بن جابر بن الاخنس البصرى ثقة عابد كثير المناقب مات سنة ثلاث وعشرين ومائة روى له مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى (قال دخلت على بلال بن أبى بردة) بن أبى موسى الاشعرى قاضى البصرة مات سنة نيف وعشرين روى له البخارى معلقا والترمذى (فقلت يا بلال ان أباك) أبا بردة بن أبى موسى الاشعرى قيل

وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الينا وأقربكم منا فى الآخرة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم الينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة فى مثل صور الذر تطؤهم الناس ذرا فى مثل صور الرجال يعلوهم كل شئ من الصغار ثم يساقون الى سجن فى جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طين الخبال عصارة أهل النار وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبى بردة فقلت له يا بلال ان أباك

اسمه عامر وقيل الحرث ثقة مات سنة أربعمائة روى له الجماعة (حدثني عن أبيه) أبي موسى عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار الاشعرى رضى الله عنه صحابي مشهور وأمره عمر ثم عثمان وهو أحد الحكمين بصفين سنة خمسين وقيل بعدها (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار فاياك يا بلال أن تسكنه) قال العراقى رواه أبو يعلى والطبرانى والحاكم وقال صحيح الاسناد قلت فيه أزهر بن سنان ضعفه ابن معين وابن حبان وأورده فى الضعفاء هذا الحديث اه قلت قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن مخلد حدثنا الحرث بن أبى أسامة حدثنا يزيد بن هرون حدثنا أزهر بن سنان القرشى حدثنا محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبى بردة فقلت يا بلال ان أباك حدثنى عن جدك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى جهنم واديا ولذلك الوادى بئر يقال لها هبهب حق على الله أن يسكنها كل جبار فاياك أن تكون منهم قلت ورواه كذلك العقيلى وابن عدى وابن عساكر وقال أبو نعيم بعد ان أورد الحديث هذا حديث تفرد به أزهر عن محمد وحدث به أحمد بن حنبل وأبو خيثمة عن يزيد بن هرون بمثله (وقال صلى الله عليه وسلم ان فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم) قال العراقى رواه البيهقى فى الشعب من حديث أنس وقال توابيت مكان قصر وقال فيقفل مكان يطبق وفيه أبان بن عياش وهو ضعيف (وقال صلى الله عليه وسلم) فى دعائه (اللهم انى أعوذ بك من نفخة الكبرياء) قال العراقى لم أره بهذا اللفظ وروى أبو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم مرفوعا فى أثناء حديث أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة ولاصحاب السنن من حديث أبى سعيد الخدرى نحوه تكلم فيه أبو داود وقال الترمذى هذا أشد حديث فى الباب (وقال صلى الله عليه وسلم من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاثة دخل الجنة الكبر والدين والغلول) قال العراقى رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ثوبان باسناد صحيح وذكر المصنف لهذا الحديث فيها وافق للمشهور فى الرواية انه الكبر بالموحدة والراء ولكن ذكر ابن الجوزى فى جامع المسانيد عن الدارقطنى قال انما هو الكنز بالنون والزاى وكذلك أيضا ذكر ابن مردويه فى تفسير ان الذين يكنزون الذهب والفضة اه قلت ورواه أيضا أحمد والدارمى وأبو يعلى والرويانى وابن حبان والحاكم وأبو نعيم والبيهقى والضياء ووقع فى رواياتهم الغل بدل الغلول (الآثار قال أبو بكر الصديق) رضى الله عنه (لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين) وفى نسخة لا تحقرن أحدا من المسلمين (فان صغير المسلمين عند الله كبير) رواه أبو عبد الرحمن السلمى والديلمى فى مسند الفردوس من حديثه مرفوعا بلفظ لا تحقرن من المسلمين أحدا والباقى سواء (وقال وهب) بن منبه رحمه الله تعالى (لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال أنت حرام على كل متكبر) روى الطبرانى من حديث ابن عباس لما خلق الله عز وجل جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون زاد ابن عساكر ثم قالت أنا حرام على كل بخيل ومرائى ثم أطبقها فلم ير ما فيها ملك مقرب ولا نبى مرسل وقد تقدم ذلك فى ذم الرياء (وكان الاحنف بن قيس) بن معاوية التميمى أبو بحر البصرى أدرك زمان النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره قال العجلى بصرى تابعى ثقة وكان سيد قومه (يجلس مع مصعب بن الزبير) بالبصرة وكان أخوه عبد الله بن الزبير قد ولاه عليها (على سريره فجاء) الاحنف (يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما) لدخوله (وقعد الاحنف) على السرير على عادته (فزاحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك فى وجهه فقال) الاحنف (عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين) مرة من مجرى بول أبيه وثانية من مجرى بول أمه ومات الاحنف فى ولاية مصعب روى عن عتبة ابن صعصعة قال رأيت مصعب بن الزبير فى جنازة الاحنف متقلدا سيفا ليس عليه رداء وهو يقول ذهب اليوم الحزم والرأى (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (العجب من ابن آدم يغسل الخراء بيده كل

حدثنى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان فى جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار فاياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم ان فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول (الآثار) قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال أنت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك فى وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال العجب من ابن آدم يغسل الخرء بيده كل

يوم مرة أو مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وقد قيل) في تأويل قوله تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون هو سبيل البول والغائط) ولفظ القوت وقال بعض أهل التفسير في تأويل قوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون قال مواضع البول والغائط أي فتعتبروا به مثال الدنيا وقبح عاقبتها وتغيرها الى الآخرة (وقال) أبو جعفر (محمد بن الحسين بن علي) بن أبي طالب رضي الله عنهم كذا في النسخ وصوابه محمد بن علي ابن الحسين بن علي (ما دخل قلب امرئ شئ من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبيه حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسين حدثنا أبو الربيع الرشديني حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني ابراهيم بن النشيط عن عمر مولى غفرة عن محمد بن علي بن الحسين قال ما دخل قلب امرئ شئ من الكبر فذكره (وسئل سلمان) الفارسي رضي الله عنه (عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة قال الكبر وقال النعمان بن بشير) بن سعد بن ثعلبة الانصاري الخزرجي له ولابيه صحبة ثم سكن الشام ثم ولي امرة الكوفة ثم قتل بحمص سنة خمس وستين وله أربع وستون سنة (ان للشيطان مصالي) وهي تشبه الشرك جمع مصلاة والمراد ما يستفز به الناس من زينة الدنيا وشهواتها (ونفوخا) جمع فخ آلة يصاد بها (وان من مصالي الشيطان ونفوخه البطر بانعم الله) أي الطغيان عند النعمة (والفخر باعطاء الله) أي ادعاء العظم والشرف (والكبر على عباد الله) أي التعاظم والترفع عليهم (واتباع الهوى في غير ذات الله) فهذه الخصال أخلاقه وهي نفوخه ومصائده التي نصبها لبني آدم فاذا أراد الله بعبد شرا خلى بينه وبين الشيطان فيقع في شبكته فكان من الهالكين ومن أراد به خيرا يقظه ليجتنب تلك الخصال ويتباعد عنها ليصير من أهل الكمال هكذا أورده المصنف موقوفا على النعمان وقد روى ذلك مرفوعا من طريقه بلفظ البطر بنعم الله والفخر بعطاء الله والباقي سواء هكذا رواه أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق والبيهقي في الشعب وابن عساكر في التاريخ وفي الاسناد اسمعيل بن عياش مختلف فيه والله أعلم

(بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب)

(قال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا) هكذا في سائر النسخ وفي نسخة العراقي لا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا وقال متفق عليه من حديث أبي هريرة وقال في التقريب وعن الاعرج عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا قال ولده الولي العراقي في شرحه على كتاب والده أخرجه البخاري من هذا الوجه من طريق مالك وأخرجه مسلم والنسائي من طريق شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة وابن ماجه من رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة بلفظ من الخيلاء اهـ وقال السيوطي في المعجم الكبير حديث لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه بطرا رواه البخاري وأحمد والبيهقي من حديث أبي هريرة ومعنى كون الله لا ينظر اليه نظر رحمة ونظره سبحانه لعباده رحمته لهم ولطفه لهم فعبر عن المعنى الكائن عن النظر بالنظر لان من نظر الى متواضع رحمه ومن نظر الى متكبر مقته فالنظر اليه اقتضى الرحمة أو المقت وأما التقييد بيوم القيامة فلانه محل الرحمة العظيمة المستمرة التي لا تنقطع عن المرحوم (وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في برديه) مثنى برد بضم فسكون نوع من الثياب معروف قال في المحكم ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشي والجمع ابراد وأبرد وبرود وفي رواية في بردين (وقد أعجبته نفسه) وفي رواية قد أعجبته جمته وبرداه كما سيأتي (خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها) أي يتحرك وينزل مضطربا قاله الخليل (الى يوم القيامة) وفي رواية حتى يوم القيامة فيه فوائد* الاولى أخرجه مسلم من طريق همام عن أبي هريرة ومن طريق أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة وأخرجه من طريق أبي رافع عن أبي هريرة بلفظ ان رجلا ممن كان قبلكم يتبختر في حلة الحديث واتفق عليه الشيخان من طريق شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة بلفظ بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته اذ خسف به فهو يتجلجل الى يوم القيامة لفظ البخاري ولم يسق مسلم لفظه وأخرجه

يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات وقد قيل في وفي أنفسكم أفلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن علي ما دخل قلب امرئ شئ من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصالي ونفوخا وان من مصالي الشيطان ونفوخه البطر بأنعم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

(بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في بردته اذ أعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة

أيضا من طريق الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة بلفظ بينما رجل يمشي قد أعجبته نفسه جمته وبرداه وأخرجه البخاري من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبي هريرة * الثانية قد يحتمل ان هذا الرجل من هذه الامة فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانه سيقع هذا وقيل بل هو اخبار عمن قبل هذه الامة قال عياض وهذا أظهر وقال النووي وهذا هو الصحيح وهو معنى ادخال البخاري له في ذكر بني اسرائيل قال الولي العراقي قد صرح به في رواية مسلم المتقدمة حيث قال فيها ان رجلا ممن كان وروى أبو يعلى الموصلي في مسنده عن كريب قال كنت أقود ابن عباس في زقاق أبي لهب فقال يا كريب بلغنا مكان كذا وكذا قلت أنت عنده الآن فقال حدثني العباس بن عبد المطلب قال بينما أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع اذا أقبل رجل يتبختر بين بردين وينظر بين عطفيه قد أعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض في هذا الموطن فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ولم يسق مسلم لفظه وأخرجه أيضا من طريق الربيع عن محمد بن زياد قلت وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي جري الهجيمي بلفظ ان رجلا ممن كان قبلكم لبس بردة فتبختر فيها فنظر الله اليه من فوق عرشه فمقته فامر الارض فاخذته فهو يتجلجل فاحذرك مقت الله عز وجل وروى ابن عساكر ان رجلا في الجاهلية جعل يتبختر وعليه حلة قد لبسها فامر الله عز وجل الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة هكذا أورده السيوطي في المعجم الكبير ولم يذكر صحابيه وبيض له فليحرر ولعله أبو هريرة * الثالثة قال أبو العباس القرطبي البردان الرداء والازار وهذا على طريقة تثنية العمرين والقمرين انتهى قال الولي العراقي وفي تعيينه ان البردين ازار ورداء نظر وقوله انه كالعمرين والقمرين مردود لان ذلك فيه تغليب وهذا لا تغليب فيه بل كل من مفرديه برد ولو قيل للرداء والازار ازاران أو رداآن لكان من باب التغليب * الرابعة قال أبو العباس القرطبي اعجاب الرجل بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال والاستحسان مع نسيان منة الله فان رفعها على الغير واحتقره فهو الكبر المذموم * الخامسة في الرواية التي فيها حتى يوم القيامة يوم القيامة مجرور بحتى وهي دالة على انتهاء الغاية بشرط كون المجرور بها آخر جزء أي في آخر جزء ذكره الزمخشري وطائفة من المغاربة وابن مالك في شرح الكافية ولم يشترط ذلك في التسهيل * السادسة قال أبو العباس القرطبي يفيد هذا الحديث ترك الامن من تعجيل المؤاخذة على الذنوب وان عجب المرء بنفسه وثوبه وهيئته حرام وكبيرة والله أعلم (وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة) أغفله العراقي وقد رواه أحمد والشيخان والاربعة من حديث ابن عمر ورواه ابن ماجه أيضا من حديث أبي سعيد ورواه أيضا من حديث أبي هريرة ورواه الطيالسي ومسلم أيضا بلفظ من جر ازاره لا يريد بذلك الا الخيلاء فان الله لا ينظر اليه وروى من جر ثيابه من الخيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة وبينما رجل يمشي بين بردين مختالا خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة هكذا رواه أحمد وأبو يعلى والضياء من حديث أبي سعيد وروى من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه في حلال ولا في حرام هكذا رواه الطبراني من حديث ابن مسعود (وقال زيد بن أسلم) أبو عبد الله العدوي مولى عمر بن الخطاب مدني ثقة عالم مات سنة ست وثلاثين روى له الجماعة (دخلت على ابن عمر) يعني به عبد الله (فمر به عبد الله بن واقد) بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فهو حفيد ابن ابنه مدني مقبول مات سنة تسع عشرة روى له مسلم وأبو داود وابن ماجه (وعليه ثوب جديد فسمعته يقول اى بني ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء) قال العراقي رواه مسلم مقتصرا على المرفوع دون ذكر مرور عبد الله بن واقد على ابن عمر وفي رواية لمسلم ان المار رجل من بني ليث غير مسمى انتهى قلت رواه الشيخان والترمذي من طريق مالك عن نافع وعبد الله بن دينار وزيد بن أسلم كلهم يخبرون عن عبد الله بن عمر بهذا اللفظ ورواه مسلم والنسائي وعلقه البخاري من طريق الليث بن سعد ورواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق أيوب السختياني وزاد الترمذي والنسائي

وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيامة وقال زيد ابن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول أي بني ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء

في

فى روايتهما فقالت أم سلمة فكيف تصنع النساء بذيولهن فقال يرخين شبرا فقالت اذا تنكشف أقدامهن قال فيرخينه ذراعا لا يزدن عليه وقال الترمذى حسن صحيح ورواه مسلم والنسائى وابن ماجه من رواية أسامة بن زيد الليثى وعمرو بن محمد العمرى خمستهم عن نافع وزادوا فيه يوم القيامة وفى رواية البخارى وأبى داود والنسائى فقال أبو بكر ان أحد شقى ثوبى يسترخى الا أن أتعاهد ذلك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لست تصنع ذلك خيلاء واتفق عليه الشيخان والنسائى من رواية محارب بن دثار ومسلم والنسائى من رواية جبلة بن سحيم ومسلم بن يساف ومسلم أيضا من رواية زيد بن محمد العمرى وعلقه البخارى من رواية زيد بن عبد الله وجبلة بن سحيم أيضا وابن ماجه من رواية عطية العوفى كلهم عن ابن عمر وفى الحديث فوائد * الاولى الخيلاء بضم الخاء وحكى كسرها فى المحكم وغيره والياء مفتوحة ممدودا قال النووى قال العلماء الخيلاء والمخيلة والبطر والزهو والتبختر كلها بمعنى واحد وهو حرام ويقال خال الرجل خالا واختال اختيالا اذا تكبر وهو رجل خال أى متكبر وصاحب خال أى صاحب كبر انتهى وقال العراقى فى شرح الترمذى وكأنه مأخوذ من التخيل الى الظن وهو أن يخيل له انه بصفة عظيمة بلباسه لذلك اللباس أو لغير ذلك * الثانية يدخل فى قوله برديه الازار والرداء والقميص والسراويل والجبة والقباء وغير ذلك مما يسمى ثوبا وفى صحيح البخارى عن شعبة قلت لمحارب اذكر ازارا قال ما خص ازارا ولا قميصا وفى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه باسناد حسن عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الاسبال فى الازار والقميص والعمامة من جر شيأ خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة وأما الرواية التى فيها ذكر الازار وهى فى الصحيح فخرجت على الغالب من لباس العرب وهو الازر وحكى النووى فى شرح مسلم عن محمد بن جرير الطبرى وغيره ان ذكر الازار وحده لانه كان عامة لباسهم وحكم القميص وغيره حكمه ثم اعترض ذلك بانه جاء مبينا منصوصا فذكر رواية مسلم عن أبيه المتقدمة فان قلت ما المراد باسبال العمامة هل هو جرها على الارض كالثوب أو المراد المبالغة فى تطويل عذبتها بحيث يخرج عن المعتاد قال العراقى فى شرح الترمذى هو محل نظر والظاهر انه اذا لم يكن جرها على الارض معهودا مستعملا فالمراد الثانى وانه فى كل شئ بحسبه * الثالثة هل يختص ذلك بجر الذيول أو يتعدى الى غيرها كالاكمام اذا خرجت عن المعتاد وقال العراقى فى شرح الترمذى لا شك فى تناول التحريم لما مس الارض منها للخيلاء ولو قيل بتحريم ما زاد على المعتاد لم يكن بعيدا فقد كان كم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ وكذلك فعل على فى قميص اشتراه لنفسه ولكن قد حدث للناس اصطلاح بتطويلها فان كان ذلك على سبيل الخيلاء فهو داخل فى النهى وان كان على طريق العوائد المتجددة من غير خيلاء فالظاهر عدم التحريم وحكى عياض عن العلماء انه يكره كل ما زاد على الحاجة والمعتاد فى اللباس من الطول والسعة * الرابعة هذا الوعيد يقتضى ان ذلك كبيرة وقد تقدم عن القرطبى انه قال العجب كبيرة والكبر عجب وزيادة وفى سنن أبى داود عن أبى هريرة قال بينما رجل يصلى مسبلا ازاره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فتوضأ فذهب فتوضأ ثم جاء فقال اذهب فتوضأ فقال له رجل يا رسول الله مالك أمرته ان يتوضأ ثم سكت عنه قال انه كان يصلى وهو مسبل ازاره ان الله لا يقبل صلاة رجل مسبل وفى الاوسط للطبرانى من حديث جابر خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديثا فيه فان ريح الجنة لتوجد من مسيرة ألف عام وانه لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء انما الكبرياء لله رب العالمين * الخامسة التقييد بالخيلاء يخرج ما اذا جر بغير هذا القصد ويقتضى انه لا تحريم فيه قال النووى فى شرح مسلم ظواهر الحديث فى تقييدها بالجر خيلاء يدل على ان التحريم مخصوص بالخيلاء وهكذا نص الشافعى عليه وأما القدر المستحب فنصف الساقين والجائز بلا كراهة ما تحته الى الكعبين وما تحتهما فهو ممنوع فان كان للخيلاء فهو ممنوع منع تحريم والا فمنع تنزيه وأما الاحاديث المطلقة بان ما تحت الكعبين فى

و روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي هي مشية فيها اختيال

النار فالمراد بها ما كان للخيلاء لانه مطلق فوجب حمله على المقيد * السادسة يستثنى من جره ما اذا كان ذلك حالة القتال فيجوز كما ورد ذلك في الخبر ان فيه اعزاز الاسلام وظهوره واحتقار عدوه وغيظه بخلاف ما فيه احتقار المسلمين وغيظهم والاستعلاء عليهم والظاهر أيضا جوازه بلا كراهة دفعا الضرر كأن يحصل له كان يكون تحت كعبه جراح أو حكة ونحو ذلك ان لم يغطها تؤذه الهوام كالذباب ونحوه بالجلوس عليها ولا يجد ما يسترها به الا ازاره أو رداءه أو قميصه فقد أذن صلى الله عليه وسلم للزبير وابن عوف في لبس قميص الحرير من حكة كانت بهما ولكعب في حلق رأسه وهو محرم لما آذاه القمل مع تحريم لبس الحرير لغير عارض وتحريم حلق الرأس للمحرم وهذا كما يجوز كشف العورة للتداوي وغير ذلك من الاسباب المبيحة للرخص ذكره العراقي في شرح الترمذي * السابعة ان قلت في الصحيح من حديث ابن مسعود لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمص الناس فالجار لثوبه فوق الكعبين مظهرا للتجمل بذلك معجبا بحسن ملبسه ونضارته ورونقه لم يتكبر عن قبول الحق ولم يحتقر أحدا فكيف جعل كبره مذموما قلت الذم انما ورد فيمن فعل ذلك كبرا بان فعله غير قابل للنصيحة النبوية ولا مكترثا بالتأديب الالهي أو محتقرا لمن ليس على صفته التي رآها حسنة بهجة فان لم يوجد واحد من الامرين وانما أعجبه رونقه غافلا عن نعمة الله تعالى فهو العجب على ما تقدم بيانه فان استحضر مع استحسانه لهيئته واعجابه الملبوس نعمة الله عليه بذلك وخضع لها فليس هذا كبرا ولا اعجابا ولم يرد في الحديث ذمه والله أعلم (و روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بزق يوما على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه) يعني النطفة (حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين) أي معجبا بنفسك (وللارض منك وئيد) أي وطء ثقيل ومنه قول الزباء

ما للجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا

(جمعت) الاموال (ومنعت) الحقوق (حتى اذا بلغت) الروح (التراقي) جمع ترقوة وهي عظام العنق (قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة) قال العراقي رواه ابن ماجه والحاكم وصحح اسناده من حديث بسر بن جحاش انتهى قلت ورواه أيضا أحمد وابن سعد وابن أبي عاصم والباوردي وابن قانع وسمويه والطبراني والبيهقي وأبو نعيم والضياء ولفظهم جميعا يقول الله يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذا والباقي سواء وبسر بضم فسين مهملة وأهل الشام يقولون بشر وهو صحابي عبدري قرشي واسناد أحمد وابن ماجه صحيح (وقال صلى الله عليه وسلم اذا مشت أمتي المطيطاء) بضم الميم وفتح الطاءين المهملتين بينهما مثناة تحتية مصغرا يمد ويقصر أي تبختروا في مشيتهم عجبا واستكبارا (وخدمتهم فارس والروم) أي فتحت بلادهم فاسرت منها الذكور والاناث (سلط الله بعضهم على بعض) قال العراقي رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر انتهى قلت سياق المصنف رواه الطبراني من حديث أبي هريرة واسناده حسن وأما لفظ الترمذي اذا مشت أمتي المطيطا وخدمها أبناء الملوك أبناء فارس والروم سلط الله شرارها على خيارها وقال غريب وفيه زيد بن الحباب وموسى بن عبيد قد ضعفا وهذا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم فانهم لما فتحوا بلاد فارس والروم وأخذوا اموالهم واستخدموا أولادهم سلط عليهم قتلة عثمان فقتلوا عثمان ثم سلط بني أمية على بني هاشم ففعلوا ما فعلوا قال الميداني والعسكري لم تعرف الجاهلية اللواط قبل الاسلام وانما حدث في صدره حين كثر الغزو وطالت غيبتهم عن نسائهم وسبوا أبناء فارس والروم واستخدموهم وطالت خلوتهم بهم فرأوهم يجزؤن عن النساء في الجملة ففعلوه (قال ابن الاعرابي) أحد أئمة اللغة (هي) أي المطيطا (مشية فيها اختيال) هكذا رواه عنه غير واحد من الائمة وقال الزمخشري ممدودة مقصورة بمعنى التمطي وهو التبختر ومد اليدين وأصل التمطي التمطط تفعل من المط وهو المد وهي

وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان (الآثار) عن أبي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها

فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بأنفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه أي حميق أنت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدي حق الله منها والله أن يمشي أحد طبيعته يتخلج تخلج المجنون في كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به لعنة فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى ربك أما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال له ابن آدم معجب بشبابه محب لشمائله كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم * وروى أن عمر ابن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال أتدري من أنت أما أمك فاشتريتها بمائتي درهم وأما أبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله

من المصغرات التي لم يستعمل لها مكبر ككميت انتهى وقال عياض هي مشية فيها تبختر ومد يدين من مطه اذا مده وكذا التمطي وهو من المصغرات ولم يستعمل لها مكبر وكالمريطا (وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه) أي تكبر وتجبر (واختال في مشيته) أي تبختر وأعجب بنفسه (لقي الله وهو عليه غضبان) فان شاء عذبه وان شاء عفا عنه قال العراقي رواه أحمد والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر انتهى قلت وكذلك رواه البخاري في الادب المفرد قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح وقال المنذري رواته محتج بهم في الصحيح (الآثار عن أبي بكر) سلمى بن عبد الله بن سلمى (الهذلي) البصري وهو ابن بنت ابن عبد الرحمن الحميري روى عن قتادة بن دعامة وعنه اسمعيل بن عياش قال الحافظ في التهذيب اخباري متروك الحديث مات سنة سبع وستين روى له ابن ماجه (قال بينما نحن مع الحسن) يعني البصري (اذ مر علينا ابن الاهتم) اذا أطلق ينصرف الى عمرو بن الاهتم بن سمي بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس التميمي المنقري كان خطيبا جميلا بليغا شاعرا شريفا في قومه له صحبة وهو الذي يخاطب الزبرقان ابن بدر بقوله

طلبت مفترش الهلباء تشتمني * عند النبي فلم تصدق ولم تصب

ولكن يبعد خطاب الحسن البصري الآتي ذكره وهو أصغر سنا وقدرا مع مثله وهو صحابي أكبر منه سنا وقدرا فالظاهر ان المراد به أحد بني اخوته اما شيبة بن سعد بن الاهتم واما المؤمل بن خاقان بن الاهتم واما خالد بن صفوان بن عبد الله بن الاهتم وكلهم من البلغاء المشهورين فليحرر ذلك (يريد المقصورة) وهو الموضع الذي جعل شبه القصر على يمين المحراب أحدثها بنو أمية (وعليه جباب خز قد نضض بعضها فوق بعض على ساقه) أي رتبها واحدا فوق واحد (فانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر) أي يميل يمينا وشمالا (اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بانفه) وهو كناية عن التكبر يقال شمخ بأنفه اذا تكبر (مصعر خده) يقال صعر خده بالتشديد وصاعره أماله عن الناس اعراضا وتكبرا (ينظر في عطفيه) أي جانبيه والجمع اعطاف (أي حميق) أي يا أحمق وهو مصغر أحمق بتشديد التحتية المكسورة (أنت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدي حق الله منها والله ان يمشي أحدكم طبيعته يتخلج تخلج المجنون) أي يضطرب اضطرابه (في كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان فيه لعنة فسمع ابن الاهتم) هذا الكلام (فرجع يعتذر اليه فقال) الحسن (لا تعتذر الي وتب الى ربك أما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) أخرجه أبو نعيم في الحلية (ومر بالحسن) البصري رحمه الله تعالى (شاب عليه بزة حسنة) البزة بالكسر الهيئة (فدعاه فقال ابن آدم معجب بشبابه محب لشمائله كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك وقد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وروى ان عمر بن عبد العزيز) بن عبد الملك بن مروان الاموي رحمه الله تعالى (حج قبل ان يستخلف) وذلك في زمن عمه ابن سليمان ابن عبد الملك (فنظر اليه طاوس) اليماني رحمه الله تعالى (وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء) وفي بعض النسخ من في قلبه خير (فقال عمر كالمعتذر) له (يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمها) أخرجه أبو نعيم في الحلية (ورأى محمد بن واسع) البصري رحمه الله تعالى (ولده يختال فدعاه فقال أتدري من أنت أما أمك فاشتريتها بمائتي درهم وأما أبوك فلا أكثر الله في الاسلام) وفي نسخة في المسلمين (مثله) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أحمد بن محمد بن شيبان حدثنا أبو العباس السراج حدثنا أبو العباس بن أبي طالب حدثنا عبد الله بن عيسى الطفاوي حدثنا محمد بن عبد الله الزراد أبو يحيى قال نظر محمد بن واسع الى ابن له يخطر بيده فقال له ويحك تدري ابن من أنت

أملك اشتريتها بمائتى درهم وأبوك فلا كثر الله فى المسلمين ضربه أو نحوه وأخرج أيضا من طريق الاصمعى قال آذى ابن لمحمد بن واسع رجلا فقال له محمد اتؤذيه وأنا أبوك وانما اشتريت أمك بمائة درهم (ورأى ابن عمر) رضى الله عنه (رجلا يجر ازاره) أى اختيالا (فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين أو ثلاثا) وانما قيدناه بكونه اختيالا لان من جره من غير هذا القصد فانه لا يحرم عليه كما تقدمت الاشارة اليه وبوب البخارى فى صحيحه باب من جر ازاره من غير خيلاء وأورد فيه حديث أبى بكر لما قال يارسول الله ان أحد شقى ثوبى يسترخى الا ان أتعاهد ذلك منه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انك لست تصنع ذلك خيلاء وحديث أبى بكرة خسفت الشمس ونحن عند النبى صلى الله عليه وسلم فقام يجر ثوبه مستعجلا حتى أتى المسجد الحديث (و يروى ان مطرف بن عبد الله) بن الشخير الحرشى البصرى التابعى العابد الثقة (رأى المهلب) بن أبى صفرة ظالم بن سراق الازدى العتكى (وهو يتبختر فى جبة خز فقال يا عبد الله) سماه باعم أسمائه اذ كل الناس عبيد الله عزوجل (هذه مشية يبغضها الله عزوجل ورسوله فقال له المهلب أما تعرفنى فقال بل أعرفك أوّلك نطفة مذرة) أى متغيرة (وآخرك جيفة قذرة) أى نتنة (وأنت بين ذلك تحمل العذرة) بفتح العين المهملة وكسر الذال المعجمة الخرء ولا يعرف تخفيفها (فمضى المهلب وترك مشيته) هكذا فى نسخ الكتاب من رواية مطرف بن عبد الله وأخرجه أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة مالك بن دينار فقال حدثنا الحسن بن على بن الخطاب الوراق حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة حدثنا ابراهيم بن العباس الكاتب حدثنا الاصمعى قال مر المهلب بن أبى صفرة على مالك بن دينار وهو يتبختر فى مشيته فقال له مالك ماعلمت الا هذه المشية تكره الا بين الصفين فقال له المهلب اما تعرفنى فقال مالك أعرفك أحسن المعرفة قال وما يعرفك منى قال اما أوّلك فنطفة مذرة واما آخرك فجيفة قذرة وأنت بينهما تحمل العذرة قال فقال المهلب الآن عرفتنى حق المعرفة وأخرج من طريق سلام بن مسكين عن مالك بن دينار انه لقى بلال بن أبى بردة والناس يطوفون حوله فقال له أما تعرفنى قال بلى أعرفك أوّلك نطفة وأوسطك جيفة وأسفلك دودة قال فهموا به أن يضربوه فقال لهم أنا مالك بن دينار فركب ومضى (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى (فى قوله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى أى يتبختر) أصله يتمطط وهو تفعل من المط وهو المد وأصله أن يمد يديه فى حالة المشى (واذ ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر) الآن (فضيلة التواضع) ومافيه من الاخبار والآثار والله الموفق

(بيان فضيلة التواضع)

وهو تفاعل من الوضع بمعنى الخشوع والذل والفرق بين التواضع والضعة ان التواضع رضا الانسان بمنزلة دون ماتستحقه منزلته والضعة وضع الانسان نفسه بمحل يزرى به والفرق بين التواضع والخشوع ان التواضع يعتبر بالاخلاق والافعال الظاهرة والباطنة والخشوع يقال باعتبار أفعال الجوارح ولذلك قيل اذا تواضع القلب خشعت الجوارح قاله الراغب وقال ابن القيم الفرق بين التواضع والمهانة ان التواضع يتولد من بين العلم بالله وصفاته ومحبته واجلاله و بين معرفته بنفسه ونقائصها وعيوب عمله وآفاتها فيتولد من ذلك خلق هو التواضع وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة للخلق والمهانة الدناءة والخسة وابتذال النفس فى نيل حظوظها كتواضع الفاعل للمفعول به (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله) قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم مامن أحد) ما نافية ومن زائدة وهى هنا تفيد عموم النفى وتحسين دخول ما على النكرة (الا ومعه ملكان) موكلان به (وعليه حكمة) محركة وهى نحو لجام الدابة سميت بذلك لانها تذللها لراكبها حتى تمنعها الجماح ونحوه ومنه اشتقاق الحكمة بالكسر لانها تمنع صاحبها من اخلاق الاراذل (يمسكانه بها فان هو رفع نفسه) على غيره واستعلى (جبذاها ثم قالا اللهم ضعه) وهو كناية عن اذلاله (وان وضع نفسه) للحق والخلق (قالا اللهم ارفعه) وهو كناية عن اعزازه و رفع قدره

ورأى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين أو ثلاثا و يروى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر فى جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب أما تعرفنى فقال بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد فى قوله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى أى يتبختر واذ قد ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع والله تعالى أعلم

(بيان فضيلة التواضع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله وقال صلى الله عليه وسلم مامن أحد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه

قال العراقى رواه العقيلى فى الضعفاء والبيهقى أيضا من حديث ابن عباس وكلاهما ضعيف . اه . قلت حديث ابن عباس رواه الطبرانى فى الكبير وحديث أبى هريرة رواه البزار قال المنذرى والهيثمى اسنادهما حسن وتبعهما السيوطى فرمز لحسنه ولفظهما مامن آدمى الا وفى رأسه حكمة بيد ملك فاذا تواضع قيل للملك ارفع حكمته واذا تكبر قيل للملك ضع حكمته لكن قال ابن الجوزى حديث لا يصح وروى الخرائطى فى مساوى الاخلاق والحسن بن سفيان فى مسنده وابن لال فى مكارم الاخلاق والديلمى من حديث ابن عباس مامن آدمى الا وفى رأسه سلسلتان سلسلة فى السماء السابعة وسلسلة فى الارض السابعة فاذا تواضع رفعه الله بالسلسلة الى السماء السابعة واذا تجبر وضعه الله بالسلسلة الى الارض السابعة وقد روى ذلك من حديث أنس عند ابن صصرى فى أماليه بلفظ مامن آدمى الا فى رأسه حكمة بيد ملك فاذا تواضع رفعه الله وان ارتفع قمعه الله والكبرياء رداء الله فمن نازع الله قمعه وعند أبى نعيم فى الحلية والديلمى بلفظ مامن آدمى الا وفى رأسه حكمة بيد ملك فان تواضع رفعه بها وقال ارتفع رفعك الله وان رفع نفسه جذبه الى الارض وقال اخفض خفضك الله (وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة) بان لا يضع نفسه بمكان يزرى به ويؤدى الى تضييع حق الحق أو الخلق فالقصد بالتواضع خفض الجناح للمؤمنين مع بقاء عزة الدين (وانفق مالا جمعه فى غير معصية) أى صرفه فى وجوه الطاعات (ورحم أهل الذل والمسكنة) أى رق لهم وواساهم بمقدوره (وخالط أهل العفة والحكمة) رواه البخارى فى التاريخ والبغوى فى معجم الصحابة والباوردى وابن قانع والطبرانى وتمام والبيهقى وابن عساكر من رواية نصيح العبسى عن ركب المصرى وله صحبة مرفوعا بلفظ طوبى لمن تواضع فى غير منقصة وذل نفسه فى غير مسكنة وانفق من مال جمعه فى غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة ورحم أهل الذل والمسكنة طوبى لمن ذل نفسه وطاب كسبه وحسنت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله وروى بعض ذلك البزار من حديث أنس وقد تقدم بعضه فى كتاب العلم وبعضه فى آفات اللسان وذكرنا هنالك الكلام على راويه ومرتبة الحديث (وعن أبى سلمة المدينى عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء) وهو على ميلين من المدينة من جهة الجنوب (وكان صائما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيأ من عسل فلما رفعه فذاقه وجد حلاوة العسل فقال ماهذا قلنا يارسول الله جعلنا فيه شيأ من عسل فوضعه) من يده على الارض (وقال اما انى لا أحرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد) أى توسط فى معيشته (أغناه الله ومن بذر) أى فرق ماله فى غير موضعه (أفقره الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله) قال العراقى رواه البزار من رواية طلحة بن عبيد الله عن جده فذكر نحوه دون قوله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله ولم يقل بقباء وقال الذهبى فى الميزان انه خبر منكر وقد تقدم ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فيه لبن وعسل الحديث وفيه اما انى لا أزعم انه حرام الحديث وفيه ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله وروى المرفوع منه أحمد وأبو يعلى من حديث أبى سعيد دون قوله ومن بذر أفقره الله وذكر فيه قوله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وتقدم فى ذم الدنيا اه قلت هو فى نوادر الاصول للحكيم الترمذى من طريق محمد بن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه أوس بن خولى بقدح فيه لبن وعسل فوضعه وقال اما انى لا أحرمه ولكن أتركه تواضعا لله فان من تواضع لله رفعه الله ومن اقتصد أغناه ومن بذر أفقره الله وروى ابن منده فى معجم الصحابة وأبو عبيد من حديث أوس ابن خولى من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وقال البغوى لا أعلم لاوس بن خولى حديثا مسندا قال الحافظ بل له حديث مسند اورده ابن منده من طريق عبد بن أبى هالة عن أوس بن خولى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له من تواضع لله رفعه الله وفى اسناده خارجة بن مصعب وهو ضعيف وفيه من

وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة وأنفق مالا جمعه فى غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة وعن أبى سلمة المدينى عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صائما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيأ من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال ماهذا قلنا يارسول الله جعلنا فيه شيأ من عسل فوضعه وقال أما انى لا أحرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله

لا يعرف أيضا وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة من تواضع لله رفعه الله وزاد ابن النجار ومن اقتصد أغناه الله ومن ذكر الله أحبه الله وروى ابن شاهين في الترغيب في الذكر من حديثه بسند رجاله ثقات من أكثر ذكر الله أحبه الله (وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة) وهو مرض يدوم زمانا طويلا (يتكره منها) وفي نسخة منكرة (فاذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال اطعم) أى كل (وكان رجلا من قريش اشمأزمنه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها) قال العراقى لم أجد له أصلا والموجود أكله مع مجذوم رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث جابر وقال الترمذى غريب اهـ وما روى عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رفعه قال لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر واتقوا المجذوم كما يتقى الاسد فالمعنى الفرار منه خوفا من العدوى لا كما يتوهمه العامة ثم ان هذا في حق ضعيف اليقين والافقد ورد لايعدى شئ شيأ ولا عدوى ونحو ذلك كما قرر في محاله ويؤيد الجملة الاخيرة من الحديث مارواه البيهقى عن يحيى بن جابر قال ما عاب رجل قط رجلا بعيب الا ابتلاه الله بذلك العيب وعن ابراهيم النخعى قال انى لارى الشئ فأكرهه فلا يمنعنى ان أتكلم فيه الا مخافة ان ابتلى بمثله ويروى عن ابن مسعود قال لو سخرت من كلب خشيت ان أحوّل كلبا وقال عمرو بن شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه لخشيت ان أصنع مثل ماصنع الى غير ذلك مما تقدم بعضه (وقال صلى الله عليه وسلم خيرنى ربى بين أمرين ان أكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا فلم أدر أيهما اختار وكان صفيى من الملائكة جبريل) عليه السلام والصفى كغنى هو من يصطفيه الانسان لنفسه بالصحبة والمحبة ويختاره (فرفعت رأسى) كالمستشير اليه (فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا) قال العراقى رواه أبو يعلى من حديث عائشة والطبرانى من حديث ابن عباس وكلا الحديثين ضعيف اهـ قلت ورواه هناد فى الزهد من مرسل الشعبى بلفظ خيرنى ربى بين ان أكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا ولم أدر ما أقول وكان صفيى من الملائكة جبريل فنظرت اليه فقال بيده أن تواضع فقلت نبيا عبدا (وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام) ياموسى (انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتعاظم على خلقى والزم قلبه خوفى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى) رواه الديلمى من حديث حارثة بن وهب رفعه قال الله عزوجل ليس كل مصل يصلى انما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتى وكف شهواته عن محارمى ولم يصر على معصيتى واطعم الجائع وكسا العريان ورحم المصاب وآوى الغريب كل ذلك لى الحديث وروى الدارقطنى فى الافراد من حديث على يقول الله تعالى انما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتى ولم يتكبر على خلقى وقطع نهاره بذكرى ولم يبت مصرا على خطيئته يطعم الجائع ويؤوى الغريب ويرحم الصغير ويوقر الكبير فذلك الذى يسألنى فاعطيه الحديث وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع) أى ان الناس متساوون وان أحسابهم انما هى بافعالهم لا بانسابهم (واليقين الغنى) فان العبد اذا تيقن ان له رزقا قدر له لا يتخطاه عرف ان طلبه لما لم يقدر له عناء لا يفيد سوى الحرص والطمع المذمومين فقنع برزقه وشكر عليه قال العراقى رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب اليقين مرسلا واسند الحاكم أوّله من رواية الحسن عن سمرة وقال صحيح الاسناد اهـ قلت رواه ابن أبي الدنيا فى الكتاب المذكور من مرسل يحيى بن أبي كثير ورواه العسكرى فى الامثال من قول عمر بلفظ الكرم التقوى والحسب المال لست بخير من فارسى ولا نبطى الا بتقوى الله ويروى الحسب المال والكرم التقوى هكذا رواه أحمد وعبد بن حميد فى تفسيره والترمذى وقال حسن صحيح غريب وابن ماجه والطبرانى والحاكم والبيهقى والضياء من حديث سمرة وهذا هو الذى أشار اليه العراقى ورواه القضاعى من حديث بريدة ورواه العسكرى فى الامثال والطبرانى وأبو نعيم فى الحلية من حديث أبي هريرة ورواه الطبرانى وابن جرير وصححه والخطيب من حديث على ورواه الطبرانى من حديث جابر (وقال عيسى

* وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان فى نفر من أصحابه فى بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فاذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال صلى الله عليه وسلم خيرنى ربى بين أمرين أن أكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا فلم أدر أيهما اختار وكان صفيى من الملائكة جبريل فرفعت رأسى اليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتعاظم على خلقى وألزم قلبه خوفى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال المسيح

عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون

عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هـم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هـم الذين ينظرون الى الله يوم القيامة) أخرجه أحمد في الزهد من طريق خيثمة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته) أي في ظاهر ما يرى (وجعله في موضع غـير شائن له) من الشين وهو العيب أي لا يكون في نسبه دخلة (ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله) أي ممن اصطفاه الله واختاره قال العراقي رواه الطبراني موقوفا على ابن مسعود نحوه وفيه المسعودي مختلف فيه اهـ قلت وروى ابن النجار من حديث أنس من حسن الله خلقه وحسن خلقه ورزقه الاسلام أدخله الجنة (وقال صلى الله عليه وسـلم أربع) خصال (لا يعطيهن الله الا من يحب) وفي نسخة من أحب (الصمت) أي السكوت عما لا ينبغي أو ما لا يعـني المتكلم (وهو أول العبادة) أي مبناها وأساسها لان اللسان هو الذي يكب الناس على مناخرهم (والتوكل على الله والتواضع) أي لين الجانب للخلق على طبقاتهـم ورؤية الانسان نفسه حقيرا صـغيرا (والزهد في الدنيا) أي القلة فيها قال العراقي رواه الطبراني والحاكم من حديث أنس أربـع لا يصبن الا بعجب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وذكر الله وقلة الشئ قال الحاكم صحيح الاسناد قلت فيه العوّام بن جويرية قال ابن حبان يروي الموضوعات ثم روى له هـذا الحديث اهـ قلت وكذلك رواه البيهقي ورواه ابن عساكر موقوفا ومعنى كونهن لا يصبن الا بعجب أي لا توجد وتجتمع في انسان في آن واحد الا على وجه عجيب يتعجب منه لعظم موقعه لكونها قل أن تجتمع فان الغالب على الزاهد في الدنيا قلة ما ينفق منه على نفسه ودونه فيظهر الشكوى والتضجر ويمنع صرف الهـمة الى الذكر فاجتماعها شئ عجيب لا يحصل الا بتوفيق الهـي وامداد سماوي وقد شنع الذهبي والمنـذري على الحاكم في الحكم بتصحيحه فذكر الذهـبي في الميزان في ترجمة العوّام بن جويرية بعد أن تعجب من اخراجـه له وقال ابن عدي الاصل في هذا انه موقوف على أنس وقد رفعه بعض الضـعفاء عن أبي معاوية حميد بن الربيع وقد قال يحيى حميد كذاب (وقال ابن عباس) رضي الله عنـه (قال صلى الله عليه وسـلم اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب نحوه وفيـه زمعة بن صالح ضعفه الجمهور اهـ قلت سياق المصنف رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق وفيه الكريمي قال ابن حبان كان يضع على الثقات وروى الخرائطي في مساوي الاخلاق في اثناء حديث فاذا تواضع رفعه الله بالسلسلة الى السماء السابعة وقد تقدم قريبا (وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله) قال العراقي رواه الاصفهاني في الترغيب والترهيب من حـديث أنس وفيه بشر بن الحسين وهو ضعيف جدا ولمسلم في اثناء حديث لابي هريرة ما تواضع أحد لله الا رفعه الله اهـ قلت سياق المصنف رواه أبو نعيم في الحلية ومن طريقه الديلمي من حديث أنس الا انه قال فتواضعوا يرفعكم الله ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حـديث محمد بن عمير العبدي بزيادة جملتـين وهما والعفو لا يزيد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله ومحمد بن عمير العبدي لم أجده في الصحابة (وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل اسود) اللون (به جدري قد) برئ منه (وتقشر وتقيح (فجعل لا يجلس الى أحد الا قام من جنبه) تقذرا له وتكرها (فاجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه) وأكل معه قال العراقي لم أجده هكذا والمعروف أكله مع مجذوم رواه أبو داود وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم انه ليعجبني أن يحمل الرجل شيا في يده يكون مهناة) وفي بعض النسخ مهنـة (لاهـله يدفع به الكبر عن نفسه) قال العراقي غريب قلت وورد من حديث أبي سعيد كان صلى الله عليه وسـلم لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعة من السوق أورده القشيري في الرسالة (وقال صلى الله عليه وسلم مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع)

الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهـم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم بلغني أن النبي صـلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله عبـدا للاسـلام وحسن صورته وجعـله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال صـلى الله عليه وسـلم أربع لا يعطيهن الله الا من أحب الصمت وهـو أوّل العبادة والتوكل عـلى الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم اذا تواضع العبـد رفعه الله الى السماء السابعة وقال صلى الله عليه وسـلم التواضع لا يزيد العبـد الا رفعـة فتواضعوا يرحمكم الله ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل أسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى أحـد الا قام من جنبـه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم انه ليعجبني أن يحمل الرجل الشئ في يده يكون مهنـة لاهله يدفع به الكبر عـن نفسه وقال النبي صـلى الله عليه وسلم لاصحابه يوما مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع

وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار (الآثار) قال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش رفعك الله واذا تكبر وعدى طوره رهصه الله في الارض وقال اخسأ خسأك الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى انه لأحقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي ياجرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة ياجرير أتدري ما ظلمة النار يوم القيامة قلت لا قال انه ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن أفضل العبادة التواضع وقال يوسف بن أسباط يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ما هو فقال أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من أجهل الناس قبلته

قال العراقي غريب أيضا (وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المتواضعين فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار) قال العراقي غريب أيضا والمعنى ان المتكبر اذا تواضعت له تمادى في تيهه واذا تكبرت عليه يمكن ان يتنبه ومن ثم قال الشافعي ماتكبر على متكبر مرتين وقال الزهري التجبر على ابناء الدنيا أوثق عرى الاسلام وفي بعض الآثار التكبر على المتكبر صدقة ويؤيده ما تقدم من حديث ركب المصري طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في غير مسكنة ومنه يؤخذ أن الرجل اذا تغير صديقه وتكبر عليه لنحو منصب أن يفارقه ولذلك قيل

سأصبر عن رفيقي اذا جفاني * على كل الاذى الا الهوان

وقال الشيخ الاكبر قدس سره الخضوع واجب في كل حال الى الله باطنا وظاهرا فاذا اتفق أن يقام في موطن الاولى فيه ظهور عزة الايمان وجبروته وعظمته لعز المؤمن وعظمته وجبروته ويظهر في المؤمن من الانفة والجبروت ما يناقض الخضوع والذلة فالاولى اظهار ما يقتضيه ذلك الموطن فان للمواطن أحكاما فافعل بمقتضاها تكن حكيما والله أعلم (الآثار قال عمر رضي الله عنه اذا تواضع العبد لله رفع الله حكمته وقال انتعش) اي ارتفع (رفعك الله واذا تكبر وعدا) أي تجاوز (طوره رهصه الله في الارض) أي دفعه اليها (وقال اخسأ خسأك الله) والقائل بهذا هو الملك الموكل بالحكمة (فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير) أوله روى مرفوعا من حديث أنس عند أبي نعيم والديلمي بلفظ مامن آدمي الا وفي رأسه حكمة بيد ملك فان تواضع رفعه بها وقال ارتفع رفعك الله وان رفع نفسه جذبه الى الارض وقال اخفض خفضك الله وعند ابن صصري في أماليه بلفظ فان تواضع رفعه الله وان ارتفع قمعه الله وكل ذلك قد تقدم وآخره رواه أبو نعيم من حديثه مرفوعا بلفظ من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه صغير وفي أنفس الناس عظيم ومن تكبر وضعه الله فهو في أعين الناس صغير وفي نفسه كبير حتى لهو أهون عليهم من كلب أو خنزير (وقال جرير بن عبد الله) البجلي رضي الله عنه (انتهيت مرة الى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له) وهو المتخذ من الاديم معروف وفيه أربع لغات فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها والجمع أنطاع ونطوع (وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي) رضي الله عنه (فذكرت له ماصنعت فقال لي ياجرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة ياجرير أتدري ما ظلمة النار يوم القيامة قلت لا قال ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن سلم حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي ظبيان عن جرير قال قال سلمان ياجرير تواضع لله فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة ياجرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة قلت لا أدري قال ظلم الناس بينهم في الدنيا قال ثم أخذ عويدا لا أكاد أن أراه بين أصبعيه قال ياجرير لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده قال قلت يا أباعبد الله فأين النخل والشجر قال أصولها اللؤلؤ والذهب أعلاها الثمر رواه جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه نحوه (وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن أفضل العبادة التواضع) أي الخشوع لله ولين الجانب للخلق وانما كان أفضل العبادة (لانه ثمرتها) رواه ابن أبي شيبة في المصنف عن وكيع عن مسعر عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن الاسود عن عائشة (وقال يوسف بن اسباط) الشيباني رحمه الله تعالى (يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أحمد بن اسحق حدثنا محمد بن يحيى بن منده حدثنا الحسين بن منصور حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا سهل أبو الحسن سمعت يوسف بن أسباط يقول فذكره (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله (وقد سئل عن التواضع هو أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من أجهل الناس قبلته) ولفظ القشيري في الرسالة وسئل

وقال ابن المبارك رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك فى الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من أعطى مالا أو جمالا أو ثيابا أو علما ثم لم يتواضع

فيه كان عليه وبالا يوم القيامة وقيل أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتممها عليك وقال كعب ما أنعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله الا أعطاه الله نفعها فى الدنيا ورفع له بها درجة فى الآخرة وما أنعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله الا منعه الله نفعها فى الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه ان شاء أو يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان أى الرجال أفضل قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصرة عن قوة ودخل ابن السماك على هرون فقال يا أمير المؤمنين ان تواضعك فى شرفك أشرف لك من شرفك فقال ما أحسن ما قلت فقال يا أمير المؤمنين ان امرأ آتاه الله جمالا فى خلقته وموضعا فى حسبه وبسط له فى ذات يده فعف فى جماله وواسى من ماله وتواضع فى حسبه كتب فى ديوان الله من خالص أولياء الله فدعا هرون بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمان بن داود عليهما السلام اذا أصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجىء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين

الفضيل عن التواضع فقال ان تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا محمد بن جعفر حدثنا محمد ثنا اسمعيل بن يزيد حدثنا ابراهيم قال سألت الفضيل ما التواضع قال ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبى قبلته منه ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه وسألته ما الصبر على المصيبة قال ان لا تبث وأخرج من طريق محمد بن زنبور قال سئل الفضيل عن التواضع قال ان تخضع للحق (وقال ابن المبارك) رحمه الله تعالى (رأس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتى يعلم انه ليس له بدنياه عليك فضل) رواه هكذا فى كتاب الزهد له (وقال) أبو الخطاب (قتادة) بن دعامة البصرى رحمه الله تعالى (من أعطى مالا أو جمالا أو ثناء) حسنا بين الناس (أو علما) ينتفع به (ثم لم يتواضع فيه) أى فيما أعطيه (كان عليه وبالا يوم القيامة) فان هذه نعم من الله عليه والتواضع هو شكرها فان لم يتواضع فكأنه بطر بنعم الله تعالى والبطر وبال يوم القيامة (وقيل أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام) يا عيسى (اذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة) أى الخضوع والتواضع (أتممها عليك وقال كعب) الاحبار رحمه الله تعالى (ما أنعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها لله الا منعه الله نفعها فى الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه ان شاء أو يتجاوز عنه) ومعناه فى المرفوع من حديث ابن عباس عند ابن النجار ما أنعم الله عز وجل على عبد من نعمة وأسبغها عليه ثم جعل اليه شيأ من حوائج الناس فتبرم بها الا وقد عرض تلك النعمة للزوال ورواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث عمر بلفظ فقد عرض تلك النعمة لزوالها (وقيل لعبد الملك بن مروان) بن الحكم الاموى القرشى (أى الرجال أفضل قال من تواضع عن قدرة) أى خضع لجلال الحق وراعى ذلك فى الخلق باختيار نفسه من غير الجاء اليه (وزهد) فى الدنيا (عن قدرة) أى وهو قادر على حوزها ولكنه زهد عنها (وترك النصرة) لنفسه (عن قدرة) أى كان قادرا على أن يشفى غيظه بان ينتصر على أخيه ولكنه ترك ذلك لله تعالى (ودخل) محمد بن صبيح (بن السماك) البغدادى الواعظ (على هرون الرشيد فقال يا أمير المؤمنين ان تواضعك فى شرفك) أى انقيادك للعلماء مع هذا الشرف وعلو المقام الذى أنت فيه (أشرف لك من شرفك فقال) هرون (ما أحسن ما قلت فقال يا أمير المؤمنين ان امرأ آتاه الله جمالا فى خلقه) بان كان معتدل التركيب مستوى الخلقة (وموضعا فى حسبه) بان يكون ذا دين وتقوى (وبسط له فى ذات يده) يعنى المال (فعف فى جماله) أى سلك فيه سبيل العفاف بان لم يدنسه بمحارم الله (وواسى فى ماله) المحتاجين (وتواضع فى حسبه) بان لم يتكبر على اخوانه (كتب فى ديوان الله من خالص عباد الله) وفى نسخة من خالص أولياء الله (فدعا هرون بدواة وقرطاس وكتبه بيده) وروى صاحب الحلية قصة أخرى لابن السماك مع هرون الرشيد تشبهها قال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن موسى حدثنا محمد بن بكار قال بعث هرون الرشيد الى ابن السماك فدخل وعنده يحيى بن خالد البرمكى فقال يحيى ان أمير المؤمنين أرسل اليك لما بلغه من صلاح عنك فى نفسك وكثرة ذكرمنك لربك عز وجل ودعائك للعامة فقال ابن السماك اما ما بلغ أمير المؤمنين من صلاح عنا فى أنفسنا فذلك بستر الله علينا فلو اطلع الناس على ذنب من ذنوبنا لما أقدم قلب لنا على مودة ولا جرى لسان لنا بمدحة وانى لاخاف أن أكون بالستر مغرورا وبمدح الناس مفتونا وانى لاخاف أن أهلك بهما وبقلة الشكر عليهما فدعا بدواة وقرطاس فكتبه الرشيد (وكان سليمان بن داود) عليهما السلام (اذا أصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجىء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين) وأخرج أحمد فى الزهد عن أبى الخليل قال كان داود عليه السلام يدخل المسجد فينظر أغمض حلقة من بنى اسرائيل فيجلس اليهم ثم يقول مسكين بين ظهرانى

وقال بعضهم كما تكره أن يراك الاغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره أن يراك الفقراء في الثياب المرتفعة وروى انه
خرج يونس وأيوب والحسن
يتذاكرون التواضع
فقال لهم الحسن أتدرون
ما التواضع التواضع أن
تخرج من منزلك ولا تلقى
مسلما الارأيت له عليك
فضلا وقال مجاهد ان الله
تعالى لما أغرق قوم نوح
عليه السلام شمخت
الجبال وتطاولت وتواضع
الجودى فرفعه الله فوق
الجبال وجعل قرار السفينة
عليه وقال أبو سليمان ان
الله عز وجل اطلع على
قلوب الآدميين فلم يجد قلبا
أشد تواضعا من قلب موسى
عليه السلام فخصه من بينهم
بالكلام وقال يونس بن
عبيد وقد انصرف من
عرفات لم أشك في الرحمة لولا
أني كنت معهم أني أخشى
انهم حرموا بسببي ويقال
أرفع ما يكون المؤمن عند
الله أوضع ما يكون عند
نفسه وأوضع ما يكون عند
الله أرفع ما يكون عند نفسه
وقال زياد النميرى الزاهد
بغير تواضع كالشجرة التى
لا تثمر وقال مالك بن دينار
لو أن مناديا ينادى بباب
المسجد ليخرج شركم رجلا
والله ما كان أحد يسبقنى
الى الباب الارجل بفضل
قوة أو سعى قال فلما بلغ ابن
المبارك قوله قال بهذا صار
مالك مالكا وقال الفضيل
من أحب الرياسة لم يفلح أبدا وقال موسى بن القاسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت
يا أبا عبد الله أنت أمامنا فادع الله عز وجل لنا فبكى ثم قال ليتنى لم أكن سبب هلاككم قال

مساكين (وقال بعضهم كما تكره أن يراك الاغنياء في الثياب الدون) أى الحقيرة (فكذلك فاكره أن يراك الفقراء في الثياب المرتفعة) أى الغالية الثمن (وروى أنه خرج يونس) بن عبيد (وأيوب) السختيانى (والحسن) البصرى يوما (يتذاكرون التواضع) واختلف قولهم فيه (فقال لهما الحسن أتدرون ما التواضع التواضع أن تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الارأيت له عليك فضلا) أى لا ترى لنفسك معه حالا أو مقاما أو قيمة (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى (لما أغرق قوم نوح) عليه السلام (شمخت الجبال وتطاولت) أى ارتفعت (وتواضع الجودى) أى تطامن الى الارض وهو جبل بالجزيرة قرب الموصل (فرفعه الله فوق الجبال) لتواضعه (وجعل قرار السفينة عليه) وذلك فيما قال الله تعالى في كتابه واستوت على الجودى أى وقفت والجودى لما لم ير نفسه أهلا لحلول النبى والمؤمنين عليه أعطاه الله تلك المنزلة نقله القشيرى في الرسالة قلت أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد قال الجودى جبل بالجزيرة تشامخت الجبال يومئذ من الغرق فتطاولت وتواضع هو لله فلم يغرق ورست عليه السفينة وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن عطاء قال بلغنى أن الجبال تشامخت في السماء الا الجودى فعرف أن أمر الله سيدركه فسكن اه وفيه دلالة على جواز خلق الحركات في الجمادات ونقل القشيرى أيضا عن الفضيل بن عياض قال أوحى الله الى الجبال انى مكلم على واحد منكم نبيا فتطاولت الجبال وتواضع طور سينا فكلم الله سبحانه عليه موسى لتواضعه اه وأنشد الشيخ سعد الدين الشيرازى

أقل جبال الارض طور وانه * لاعظم عند الله قدرا ومنزلا

(وقال أبو سليمان) الدارانى رحمه الله تعالى (ان الله عز وجل اطلع الى قلوب الآدميين) أى نظر اليها (فلم يجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه منهم بالكلام) فاميزه تعالى على أمته وخصه بكلامه الا لما خص به من كمال تواضعه رواه القشيرى عن وهب بن منبه بلفظ وقال وهب مكتوب في بعض ما أنزل الله من الكتب انى أخرجت الذر من صلب آدم فلم أجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى فلذلك اصطفيته وكلمته (وقال يونس بن عبيد) البصرى رحمه الله تعالى (وقد انصرف) راجعا (من عرفات لم أشك في الرحمة) أى في ان الله تعالى رحمهم وغفر ذنوبهم (لولا انى كنت معهم انى لاخشى انهم حرموا بسببى) أى بسبب ذنوبى وهذا من مقام الخائفين وروى أبو نعيم في الحلية والقشيرى في الرسالة من طريق شعيب بن حرب قال بينا أنا في الطواف اذ لكزنى انسان بمرفقه فالتفت فاذا هو الفضيل فقال يا أبا صالح ان كنت تظن انه شهد الموسم من هو شر منى ومنك فبئس ما ظننت (ويقال ارفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه) وهو مصداق الخبر المتقدم اذا تواضع العبد رفعه الله واذا تكبر وضعه (وقال زياد) بن عبد الله (النميرى) البصرى روى له الترمذى (الزاهد بغير تواضع كالشجرة التى لا تثمر) أى فكما انه لا ينتفع بها اذا كانت غير مثمرة فكذلك الزاهد لا ينتفع به اذا لم يكن متواضعا (وقال مالك بن دينار) البصرى رحمه الله تعالى (لو أن مناديا ينادى بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان يسبقنى أحد الى الباب الارجل بفضل قوة أو سعى) قال الراوى (فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا) أى بهذه المعرفة الدالة على احتقار نفسه وتواضعه نال علو المقام عند الله تعالى (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (من أحب الرياسة لم يفلح أبدا) أى في طريق القوم فان حب الرياسة ينبئ عن تكبر النفس المجانب للتواضع وهذا القول أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال موسى بن القاسم) الثعلبى الكوفى (كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل) الهلالى الكوفى (فقلت يا أبا عبد الله أنت امامنا فادع الله عز وجل لنا) يرفع عنا هذه الزلزلة والريح (فبكى ثم قال ليتنى لم أكن سبب هلاككم قال)

موسى

موسى (فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان الله دفع) وفي نسخة رفع (عنكم بدعاء محمد ابن مقاتل وجاء رجل الى) أبي بكر (الشبلي) رحمه الله تعالى (فقال له ما أنت وكان هذا دأبه) وفي نسخة شأنه (وعادته) أي في سؤاله بهذا أي بما أنت الذي يعم العقلاء وغيرهم أي ما حالك وفي بعض نسخ الرسالة من أنت (فقال انا النقطة التي تحت الباء) أي باء البسملة فكما انها دليل على معرفتها وتمييزها عن غيرها كذلك أنا وهو يشير الى مقام الواحدية وانها مقام التمييز من الاحدية ولولا النقطة لما تميزت الباء من الالف (فقال له الشبلي أباداالله شاهدك) أي أهلكه (أو تجعل لنفسك موضعا) وفي نسخة مكانا ولفظ القشيري في الرسالة وجاء الى الشبلي رجل فقال له الشبلي ما أنت فقال يا سيدي النقطة التي تحت الباء فقال أنت شاهدي مالم تجعل لنفسك مقاما وقال شارحها أنت شاهدي أي حاضري يعني حالك مستقيم مالم تجعل لنفسك مقاما ودخول هذا في التواضع من حيث ان المسؤل جعل نفسه كالنقطة التي تحت الباء دون التي فوق الحروف ونزل نفسه ولم يرلها قدرا اه وهذا اذا تأملت وجدت كلام من لم يدق في مصطلحات القوم فان قوله يعني حالك مستقيم يخالف جواب الشبلي فانه ينكر عليه فكيف يصف حاله بالاستقامة على ان سياق المصنف أقعد في فهم المراد فان المسؤل لما أثبت لنفسه شاهدا ودليلا رد عليه الشبلي ونبهه ان هذا يخالف التواضع عند أهل الحق فانهم لا يثبتون لانفسهم وجودا ولا شاهدا ولذلك قال أو تجعل لنفسك موضعا أو مكانا وسياق الرسالة فيه غموض ودقة يحتاج الى تأويل ويروى ان أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه سئل يوما من أنت فقال أنا النقطة التي تحت الباء وهذا له وجه لجلالة قدره وعلو مقامه لا يتوهم فيه انه أثبت لنفسه شاهدا وليس لغيره ولو بلغ الدرجة العليا أن يقلده في مقاله ولعل هذا سبب انكار الشبلي عليه اذ لكل ميدان رجال والحاصل ان هذا القول مباين لمقام التواضع فتأمل ذلك (وقال الشبلي) رحمه الله تعالى في بعض كلامه (ذلي) في نفسي بمعرفتي بقدرها وبقلة ما يحصل لي من الخير منها و بعجزها عن قيامها بما عليها الربها او بسرعة نقضها لعهدها (عطل ذل اليهود) المذكور في قوله تعالى ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا فهم أذل الخلق والمعنى ذلي في نفسي أعظم من ذل اليهود في أنفسهم لان ذلهم قهري وذلي عن علم بما عليه نفسي من النقص وهذا لا يلزمه جحده لفضل ربه عليه لان ما ذكر من الذل بالنظر بنفسه وما هو عليه من الفضل جار عليه من ربه فهو ذليل عزيز وهذا القول نقله القشيري في الرسالة (ويقال من رأى لنفسه قيمة) يفضل بها غيره ليتكبر عليه (فليس له من) وفي نسخة في (التواضع نصيب) وهذا القول نقله القشيري في الرسالة عن الفضيل بن عياض وفي كلام أبي سليمان الداراني من رأى لنفسه قيمة لم يرزق حلاوة العبادة والخدمة (وعن أبي الفتح ابن شخرف) رحمه الله تعالى تقدم ذكره في كتاب العلم (قال رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظني فقال ما أحسن التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله تعالى وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله تعالى) وهذا من كلام علي مشهور ذكره صاحب نهج البلاغة دون ذكر الرؤيا (وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (لا يتواضع العبد) أي لا يتحقق بهذا المقام (حتى يعرف نفسه) أي يعرف ما فيها من العيوب والنقص فاذا عرفها بما فيها تواضع لله حق التواضع (وقال أبو يزيد) طيفور بن عيسى البسطامي قدس سره (ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر) أي لكونه رأى لنفسه قدرا (فقيل متى يكون متواضعا) كاملا (قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا) يفضل بهما غيره أورده القشيري في الرسالة بلفظ وقيل لابي يزيد متى يكون الرجل متواضعا فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى انه في الخلق من هو شر منه انتهى وقد اختلفت اشارات الشيوخ في الفرق بين الحال والمقام والضابط الفارق بينهما ان الحال سمي حالا لتحوله والمقام مقاما لثبوته واستقراره وقد يكون الشيء بعينه حالا ثم يصير مقاما وقال بعضهم المقامات مكاسب والاحوال مواهب وقال

فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل الى الشبلي رحمه الله فقال له ما أنت وكان هذا دأبه وعادته فقال أنا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي أباد الله شاهدك أو تجعل لنفسك موضعا وقال الشبلي في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وعن أبي الفتح بن شخرف قال رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظني فقال لي ما أحسن التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله وأحسن ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل وقال أبو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل له فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا

وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه (٣٥٨) عز وجل ومعرفته بنفسه وقال أبو سليمان لو اجتمع الخلق على أن يضعونى كاتضاعى عند نفسى ماقدروا عليه وقال عروة ابن الورد التواضع أحد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكى الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذى التكبر عليك بماله تواضع و يقال التواضع فى الخلق كلهم حسن و فى الاغنياء أحسن والتكبر فى الخلق كلهم قبيح وفى الفقراء أقبح و يقال لاعز الا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة الا لمن تواضع لله عز وجل ولا أمن الا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وقال أبو على الجوزجانى النفس مجبولة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به فى ذلك فاذا هاجت فى نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصر الله تعالى واذا هاجت نار الحسد فى نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجل واذا هاجت فى نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله عز وجل وعن الجنيد رحمه الله انه كان يقول يوم الجمعة فى مجلسه لولا أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يكون فى آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ماتكلمت عليكم

بعضهم الاحوال مواجيد والمقامات طرق المواجيد وقال بعضهم الاحوال مواريث الاعمال وقيل الحال مامن الله والمقام مامن العبد وقد أطال الكلام فيه صاحب العوارف فى آخر كتابه فراجعه (وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه) فكل من قويت معرفته بنفسه قويت معرفته بربه وبه يكمل له مقام التواضع (وقال عروة بن الورد التواضع أحد مصائد الشرف) أى أحد الآلات التى يصطاد بها الشرف (وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع) اذ الحسد لايكون الا على النعم المعروفة للحاسد والتواضع أكثر الناس لايعدونه نعمة بل مذمة وقلة همة ولفظ الرسالة وقيل التواضع نعمة لايحسد عليها والكبر محنة والعز فى التواضع فمن طلبه فى الكبر لم يجده (وقال يحيى ابن خالد) بن برمك (البرمكى) نسبة الى جده (الشريف) أى الرفيع القدر والمقام (اذا تنسك) أى تعبد (تواضع) فان تنسكه يجره اليه (والسفيه اذا تنسك تعاظم) على اخوانه وتكبر عليهم ولم يزده تنسكه الا سفها (وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله (التكبر على ذى التكبر عليك بماله) أى اعراضك عنه (تواضع) لانك صغرت ماصغره الله حيث لم تلتفت الى تكبر المتكبر بن نقله القشيرى فى الرسالة بلفظ على من تكبر عليك و يروى نحوه لابن المبارك قال التكبر على الاغنياء والتواضع للفقراء من التواضع (و يقال التواضع فى الخلق كلهم حسن وفى الاغنياء أحسن والكبر فى الخلق كلهم قبيح وفى الفقراء أقبح) وذلك لوجود أسباب التكبر فى الاغنياء من المال والجاه وغيرهما وفقدها فى الفقراء فكان تواضع الاغنياء أحسن من تواضع الفقراء وتكبر الفقراء أقبح من تكبر الاغنياء وهذا القول نقله القشيرى فى الرسالة وعزاه الى يحيى بن معاذ بلفظ التواضع حسن فى كل أحد لكنه فى الاغنياء أحسن والتكبر سمج فى كل أحد لكنه فى الفقراء اسمج (و يقال لاعز الا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة الا لمن تواضع لله عز وجل ولا أمن الا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وقال أبو على الجوزجانى) بفتح الجيم وسكون الواو والزاى نسبة الى كورة من خراسان من كور بلخ (النفس مجبولة بالكبر والحرص والحسد) أى مجبولة على هذه الاوصاف الثلاثة من أصل خلقتها (فمن أراد الله تعالى هلاكه منع من التواضع والنصيحة والقناعة) فاذا ترك التواضع ولم يقبل النصح ولم يقنع بما فى يده كان الى الهلاك أقرب (واذا أراد الله به خيرا لطف به فى ذلك فاذا هاجت فى نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصر الله تعالى) فأطفاها (واذا هاجت فى نفسه نار الحسد أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجل) لقبولها (فأطفاتها واذا هاجت فى نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله) فأطفاتها (وعن) أبى القاسم (الجنيد) قدس سره (انه كان يقول يوم الجمعة فى مجلسه لولا انه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يكون فى آخر الزمان زعيم القوم) أى رئيسهم (أرذلهم ماتكلمت عليكم) قال العراقى رواه الترمذى من حديث أبى هريرة اذا اتخذ الفىء دولا الحديث وفيه وكان زعيم القوم أرذلهم الحديث وقال غريب وله من حديث على بن أبى طالب اذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكرها وكان زعيم القوم أرذلهم ولابى نعيم فى الحلية من حديث حذيفة من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة فذكرها وفيه فرج بن فضالة ضعيف اه قلت لفظ حديث على اذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق امه و بر صديقه وجفا أباه وارتفعت الاصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الامة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا أومسخا هكذا رواه الترمذى والبيهقى فى البعث وضعفاه ولفظ حديث أبى هريرة اذا اتخذ الفىء دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الاصوات فى المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت

القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الامة أوّلها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات تتابع كنظام اللآلى قطع سلكه فتتابع (وقال) أبو القاسم (الجنيد) قدس سره (التواضع عند أهل التوحيد تكبر) وروى عنه أيضا انه قال التواضع خفض الجناح ولين الجانب رواه ابراهيم بن فاتك عنه وقوله الاول يخالف الثانى فى الظاهر فان التواضع فى الحقيقة هو ضد التكبر فكيف يكون الشئ عين نقيضه وقد وجهه المصنف بقوله (ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه أولا فيجعلها شاهدا ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه) أصلا (ولا يراها شيأ حتى يضعها أو يرفعها) وهذا هو عين مراد الشبلى فى جوابه لمن قال له أنا النقطة التى تحت الباء حين قال له ابادالله شاهدك أو تضع لنفسك موضعا وكلاهما من واد واحد هذا يفسر ذلك فتأمل (وعن) أبى زيد (عمر بن شبة) بفتح المعجمة وتشديد الموحدة ابن عبيدة ابن زيد النميرى بالتصغير البصرى نزيل بغداد صدوق له تصانيف مات سنة اثنين وستين وقد جاوز التسعين روى له ابن ماجه (قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا) من عمال الخليفة (راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذاهم يعنفون الناس و يطاردونهم من بين يديه لاجله قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر) الذى على نهر دجلة الفارق بين الشرقية والغربية واليه الاشارة بقول الشاعر

عيون المها بين الرصافة والجسر * سلبن النهى من حيث تدرى ولا تدرى

(فاذا أنا برجل حاف) الرجل (حاسر) الرأس (طويل الشعر) أشعث يسأل الناس (فجعلت انظر اليه) متعجبا من حاله (فقال لى مالك تنظر الى فقلت له شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة فقال أنا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال انى ترفعت) أى تكبرت (فى موضع تتواضع فيه الناس فوضعنى الله حيث يرفع الناس) يعنى فى بغداد حيث نقم عليه الخليفة لما وصل اليه وسلبه جميع ما هو فيه وصار فقيرا يسأل الناس أورده القشيرى فى الرسالة مختصر اللفظ وقال بعضهم رأيت فى الطواف انسانا بين يديه شاكرية يمنعون الناس لاجله عند الطواف ثم رأيته بعد ذلك بمدة على جسر بغداد يسأل الناس شيأ فعجبت منه فقال أنا تكبرت فى موضع تتواضع الناس هنالك فابتلانى الله سبحانه بالتذلل فى موضع يترفع فيه الناس اه ويحكى ان الملك الاشرف قايتباى سنة حجه دخل باب السلام راكبا على هينة والامراء بين يديه ولم يتجاسر أحد أن يقول له انزل عن الفرس مهابة له فبينما هو كذلك اذ زلقت رجل الفرس فوقع السلطان على الارض وسقطت عمامته فلم يتناول العمامة ولم يضعها على رأسه ودخل الحرم وهو مكشوف الرأس متذللا متواضعا لانه تنبه على اساءة أدبه فى دخوله راكبا فتواضع وطاف هكذا حاسر الرأس وعد ذلك فى مناقبه رحمه الله تعالى (وقال المغيرة) بن مسلم الضبى مولاهم أبو هاشم الكوفى ثقة متقن مات سنة ست وثلاثين روى له الجماعة (كنا نهاب ابراهيم) بن يزيد (النخعى هيبة الامير) لجلالة قدره (وكان ابراهيم) مع ذلك (يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء) وهذا من باب التواضع وهضم النفس قال العجلى كان النخعى رجلا صالحا فقيها متوقيا قليل التكلف وكان مفتى اهل الكوفة هو والشعبى فى زمانهما (وكان عطاء السلمى) بفتح السين وكسر اللام ويقال له أيضا العبدى وهو من رجال الحلية رحمه الله تعالى (اذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذه بطنه كانه امرأة ماخض) أى الذى أخذها طلق الولادة (وقال هذا من أجلى يصيبكم لومات عطاء لاستراح الناس) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أحمد بن ابراهيم حدثنا ابراهيم بن عبد الرحمن عن سيار قال سمعت جعفرا يقول هاجت ريح بالبصرة وظلمة قال فتشاغل الناس الى المساجد فأتيت عطاء فاذا هو قائم فى الحجرة ويده على رأسه وهو يقول الهى لم أكن أرى أن تبقينى حتى ترينى اعلام القيامة قال فما زال قائما فى مقامه ذلك حتى أصبح حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أحمد بن ابراهيم حدثنا ابن عبيدة حدثنا يحيى بن راشد حدثنا مرجاء بن وداع الراسبى قال كان عطاء اذا هبت ريح وبرق ورعد قال هذا من أجلى يصيبكم لومات عطاء لاستراح الناس قال

وقال الجنيد أيضا التواضع عند أهل التوحيد تكبر ولعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيأ حتى يضعها أو يرفعها وعن عمرو بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذاهم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت أنظر اليه وأتأمله فقال لى مالك تنظر الى فقلت له شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة فقال أنا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال انى ترفعت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى الله حيث يترفع الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابراهيم النخعى هيبة الامير وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمى اذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذه بطنه كأنه امرأة ماخض وقال هذا من أجلى يصيبكم لومات عطاء لاستراح الناس

وكان بشر الحافي يقول سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال أعطاك الله ما ترجوه فقال ان الرجاء يكون بعد المعرفة فأين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان الفارسي رضي الله عنه يوما فقال سلمان لكنني خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم آتي الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فأنا لئيم وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع نسأل الله الكريم حسن التوفيق

(بيان حقيقة الكبر وآفته) اعلم أن الكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق وأما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا الا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستحقر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لا أن هذه الرؤية

وكان دخل على عطاء فاذا قلنا له زاد الطعام قال هذا من أجلي يصيبكم غلاء الطعام لو مت لاستراح الناس وساق المصنف هذا القول هنا بناء على ان هذا من باب التواضع وفيه نظر فان عطاء كان ممن غلب عليه الخوف فما قاله ليس من باب التواضع انما هو من باب الخوف الغالب على القلب ويمكن أن يقال ان التواضع هنا هو ثمرة الخوف (وكان بشر) بن الحرث (الحافي) رحمه الله تعالى (يقول) لبعض أصحابه تأديبا لهم لما رآهم يسلمون على أبناء الدنيا باهم ويعتلون بانهم انما يقصدون الزيارة (سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام) يعني تركهم السلام عليهم أسلم لكم من السلام عليهم على الوجه المذكور لانه حينئذ ليس بطاعة بل فيه خطر أورده القشيري في الرسالة (ودعا رجل لعبد الله بن المبارك) رحمه الله تعالى (فقال أعطاك الله ما ترجوه فقال) ابن المبارك (ان الرجاء يكون بعد المعرفة فأين المعرفة) وهذا من باب التواضع والرجاء والخوف لا يكملان الا بعد المعرفة فمن لم يعرف الله لم يرجه ولم يخفه (وتفاخرت قريش) أي جماعة منهم (عند سلمان الفارسي رضي الله عنه (يوما) من الاسلام أي باحسابهم وانسابهم (فقال سلمان) رضي الله عنه (لكن خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم) أبعث (وآتي الميزان) حيث توزن الاعمال (فان ثقل بالاعمال الصالحة فانا كريم وان خف فأنا لئيم) فارشدهم سلمان الى أن الكرم هو التقوى كما قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وليس الكرم بالانساب والاحساب (وقال أبو بكر رضي الله عنه وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع) وقد رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من حديث يحيى بن أبي بشر مرسلا بلفظ الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقد تقدم قريبا وقال القشيري في الرسالة سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت ابراهيم بن شيبان يقول الشرف في التواضع والعز في التقوى والحرية في القناعة

(بيان حقيقة الكبر وآفته)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الكبر) بكسر فسكون اسم من التكبر قال ابن القوطية هو اسم من كبر الامر اذا عظم والكبر العظمة والكبرياء مثله ويقال كبر الصغير وغيره يكبر من باب تعب كبرا وزان عنب ومكبرا كمسجد فهو كبير وكبر الشئ من باب قرب عظم فهو كبير أيضا والاستكبار مثل التكبر فالكبر اسم لحالة يتخصص بها الانسان من اعجابه بنفسه وان يرى نفسه اعظم من غيره وهو (ينقسم الى ظاهر وباطن فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق) لانه منشؤه الاعجاب والرؤية (وأما الاعمال فانها ثمرة لذلك الخلق) ونتائج له (وخلق الكبر موجب للاعمال وذلك اذا ظهر) أثره (على الجوارح يقال تكبر) واستكبر ٧ (واذا لم يظهر يقال) فلان (في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه) في العظم والقدر والمنزلة (فان الكبر يستدعي) شيئين (متكبرا عليه ومتكبرا به) فلا بد منهما في تصور حقيقة الكبر (وبه ينفصل الكبر من العجب كما سيأتي فان العجب) بضم فسكون (لا يستدعي غير المعجب) به (بل لو لم يخلق الا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا الا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي أن يستعظم نفسه) أي يعده عظيم القدر والمنزلة (ليكون) بذلك الاستعظام (متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه) مساويا له (فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستحقر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم) بعد ذلك (يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر) في الباطن (لان هذه

---

٧ بياض بالاصل

الرؤية تنفي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من نفخة الكبرياء وكذلك قال عمر أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استأذنه أن يعظ بعد صلاة الصبح فكأن الانسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى

أيضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي أعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيأنف من مساواته وتقدم عليه في مضايق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر ان يبدأه بالسلام واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج أو ناظر أنف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كأنه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من ان تحصى فلا حاجة الى تعدادها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا دون الجنة لانه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز

الرؤية تنفي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح) واسترواح (وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى العقيدة هي خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني أعوذ بك من نفخة الكبرياء) أي من الركون الى تلك العقيدة التي تنفخ الكبر في باطني وقد تقدم الكلام على هذا الحديث وان العراقي قال لم أجده هكذا (ولذلك قال عمر) رضي الله عنه (أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا) قاله (للذي استأذنه أن يعظ بعد صلاة الصبح) فانه خشي عليه من هذه النفخة وقد تقدم أيضا (فكأن الانسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر) أي عظم (وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات ويسمى أيضا عزة وتعظما) ويستعمل كل ذلك في معنى واحد لكونها متقاربة (ولذلك قال ابن عباس) رضي الله عنه (في قوله تعالى) ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم (ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها) وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد (ففسر الكبر بتلك العظمة) والمراد بالعظمة هنا التكبر عن الحق والتعظم من الشكر أو التعلم (ثم هذه العزة تقتضي أعمالا في الظاهر أو الباطن هي ثمراته ويسمى ذلك تكبرا) واستكبارا (فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى ان حقه أن يقوم ماثلا بين يديه) كهيئة الخدم (ان اشتد كبره فان كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ولا لخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيأنف عن مساواته وتقدم عليه في مضايق الطرق) عند مماشاته (وارتفع عليه في المحافل) العامة والخاصة (وانتظر) منه (ان يبدأه بالسلام) والمصافحة (واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج أو ناظر أنف ان يرد عليه) في مناظرته (وان وعظ استنكف عن القبول) لوعظه (وان وعظ) غيره (عنف في النصح) وشدد الكلام فيه (وان رد عليه شيء من قوله) في محاوراته (غضب) من ذلك (وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كأنه ينظر الى الحمير) في بلادتهم (استجهالا لهم واستحقارا) لشأنهم (والاعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى فلا حاجة الى تعدادها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه تهلك الخواص من الخلق وقلما تنفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الناس وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر) ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان رواه القشيري في الرسالة عن أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى المزكي أخبرنا أبو الفضل الجوهري أخبرنا علي بن الحسن أخبرنا يحيى بن حماد حدثنا شعبة عن أبان بن تغلب عن فضيل الفقيمي عن ابراهيم النخعي عن علقمة بن قيس عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقد تقدم انه من افراد مسلم (وانما صار حجابا دون الجنة لانه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي أبواب الجنة) أي بمنزلة الابواب التي هي مفاتح للجنة (والكبر والعزة يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز) وقد روى الشيخان من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه

ولا يقدر على التواضع وهو رأس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدران يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التى فيها ذم الكبر والمتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطو أيديهم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم أخبر ان أشد أهل النار عذابا أشدهم عتيا على الله تعالى فقال ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا وقال تعالى فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال عز وجل يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين وقال سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قيل فى التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفى بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج سأصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال المسيح عليه السلام ان الزرع ينبت فى السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل فى قلب المتواضع وسهولته

ما يحب لنفسه (ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين وفيه العز) اذ لا يتم التقوى الا بالتواضع (ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر على أن يدوم على الصدق) فى القول والعمل (وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز) لان كبره يجره اليه (ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز) لان كبره يجره الى العنف فى النصح (ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس) والاحتقار لهم (وفيه العز ولا معنى للتطويل) فى مثل هذا (فما من خلق ذميم الا وصاحب الكبر والعز مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوت عزه فمن هذا) المعنى (لم يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة منه) كما أخبر به صلى الله عليه وسلم (والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض) وجار اليه (لا محالة) فكل منها أنواع (وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم) الذى هو المعرفة بالله تعالى (وقبول الحق والانقياد له) واليه الاشارة بما ورد فى الخبر لا يتعلم العلم مستحى ولا متكبر (وفيه وردت الآيات التى فيها ذم الكبر وذم المتكبرين) من ذلك (قال الله عز وجل والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) ونبه بذلك على ان الاستكبار والتكبر شئ واحد والاستكبار على وجهين أحدهما ان يتحرى الانسان ويطلب أن يكون كبيرا وذلك متى كان على ما يجب وفى المكان الذى يجب وفى الوقت الذى يجب فمحمود والثانى ان يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له فهذا هو المذموم وعليه ورد القرآن كهذا القول وكقوله أبى واستكبر وكقوله فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ونبه بقوله مجرمين ان حاملهم على ذلك ما تقدم من جرمهم وان ذلك دابهم لانه شئ حادث منهم (ثم أخبر ان أشد أهل النار عذابا أشدهم عتيا على الله تعالى فقال ثم لننزعن من كل شيعة) أى جماعة وفرقة أيهم أشد على الرحمن عتيا قيل العتى هنا مصدر وقيل جمع عات وأصل العتو النبو عن الطاعة وقد عتا عتوا وعتيا استكبر وجاوز الحد فهو عات وعتى والجمع عتى بالضم (وقال) تعالى (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال) تعالى (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين) وكذا قوله تعالى واذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد (وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتى) عن دعائى أو صلاتى (سيدخلون جهنم داخرين) أى صاغرين اذلالا (وقال) تعالى (سأصرف عن آياتى) قال ابن جريج عن خلق السموات والارض وما فيهما من الآيات (الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قيل فى التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم) وذلك بالطبع عليها رواه ابن المنذر وأبو الشيخ عن سفيان بن عيينة بلفظ سأنزع منهم فهم القرآن (وفى بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت) فلا يشاهدون أسرارها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا وقوله بغير الحق صلة يتكبرون أو حال من فاعله (قال ابن جريج) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الاموى مولاهم المكى فقيه فاضل مات سنة خمسين أو بعدها روى له الجماعة (سأصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها) رواه ابن المنذر وأبو الشيخ عنه (ولذلك قال عيسى عليه السلام ان الزرع ينبت فى السهل) وهو الموضع اللين من الارض (ولا ينبت على الصفا) أى الحجر الاملس (كذلك الحكمة تعمل فى قلب المتواضع) لينه

ولا تعمل فى قلب المتكبر ألا ترون أن من شمخ برأسه الى السقف شجه ومن طأطأ أظله وأكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق فى حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال من سفه الحق وغمص الناس

(بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه) اعلم أن المتكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذا التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة أقسام * الاول التكبر على الله وذلك هو أفحش أنواع الكبر ولا مثارله الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمروذ فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال أنا ربكم الاعلى اذ استنكف أن يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الآية وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا * القسم الثانى التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها

وسهولته (ولا تعمل فى قلب المتكبر) لصلابته (ألا ترون ان من شمخ برأسه) أى تطاول (الى السقف شجه) السقف (ومن تطأطأ) برأسه (أظله وأكنه فهذا مثل ضربه) عيسى عليه السلام (للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق فى حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال) الكبر (من سفه الحق) أى جحده (وغمص الناس) بالمهملة أى احتقرهم قال العراقى رواه مسلم من حديث ابن مسعود فى اثناء حديث وقال بطر الحق وغمط الناس ورواه الترمذى فقال من بطر الحق وغمص الناس ورواه أحمد من حديث عقبة بن عامر بلفظ المصنف ورواه البيهقى فى الشعب من حديث أبى ريحانة هكذا اهـ قلت حديث ابن مسعود قد تقدم قريبا من طريق القشيرى وفيه فقال رجل يارسول الله ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة فقال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمص الناس وعند مسلم وغمط بدل وغمص والمعنى واحد وأما حديث أبى ريحانة فلفظه فقال قائل يارسول الله انى أحب ان أتجمل بسير سوطى وشسع نعلى فقال ان ذلك ليس بالكبر انما الكبر من سفه الحق وغمص الناس بعينه هكذا رواه ابن سعد وأحمد والبغوى والطبرانى والبيهقى وابن عساكر وعند أحمد من حديث ابن مسعود قال رجل يارسول الله يعجبنى ان يكون ثوبى غسيلا ورأسى دهينا وشراك نعلى جديدا وذكر أشياء حتى علاقة سوطه قال ذاك جمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الكبر من بطر الحق وازدرى الناس وفى حديث عبد الله بن عمرو فى اثناء حديث وصية نوح عليه السلام لابنه قيل يارسول الله ما الكبر أهو ان يكون للرجل حلة حسنة يلبسها وفرس جميل يعجبه جماله قال لا الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وهكذا رواه أحمد والبخارى فى الادب المفرد والطبرانى والحاكم وقد تقدم ورواه أبو يعلى والبيهقى وابن عساكر بلفظ فقال معاذ بن جبل يارسول الله الكبر أن تكون لاحدنا دابة يركبها والنعلان يلبسها والثياب يلبسها والطعام يجمع عليه أصحابه قال لا ولكن الكبر ان تسفه الحق وتغمص المؤمن وروى ذلك عبد بن حميد من حديث جابر وقد تقدم أيضا

(بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه)

(اعلم) أرشدك الله (ان المتكبر عليه هو الله أو رسله أو سائر خلقه وقد خلق الانسان ظلوما) كثير الظلم على نفسه (جهولا) كثير الجهل بمعرفة ربه (فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذا التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة أقسام القسم الاول التكبر على الله) بالامتناع عن قبول الحق والانقياد له (وذلك هو أفحش أنواع الكبر) وأغلظها (ولا مثارله الا الجهل المحض والطغيان) البالغ (مثل ما كان من نمروذ) بضم النون وسكون الميم والذال المعجمة وهو ابن كنعان بن الحارث بن النمروذ من ولد كنعان ابن حام بن نوح عليه السلام وهو الذى حاج ابراهيم فى ربه (فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء) ويحكى انه كان يرمى بالسهام الى السماء فترجع اليه مضمخة بالدم فيزعم بانه يقتل من فى السماء (وكما يحكى عن جماعة من الجهلة من اضرابه بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون) وهو الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبى شمر من ولد لاود بن سام بن نوح عليه السلام وهو فرعون موسى عليه السلام وفرعون لقب له (وغيره) من أشباهه (فانه) أى فرعون موسى (قال) فيما حكى عنه الله فى كتابه فحشر فنادى فقال (أنا ربكم الاعلى اذا استنكف ان يكون عبد الله) تعالى (وكذلك قال الله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) أى أذلاء صاغرين (وقال تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته الآية) أى الى آخرها وهو قوله ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا ثم قال وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما (وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) فكل ذلك من التكبر على الله تعالى وهو أفحش الانواع (القسم الثانى التكبر على الرسل) الكرام (من حيث تعزز النفس وترفعها

عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى فى ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان أنه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله عن قولهم أنؤمن لبشرين مثلنا وقولهم ان أنتم الا بشر مثلنا لئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد

استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقالوا لولا أنزل عليه ملك وقال فرعون فيما أخبر الله عنه أو جاء معه الملائكة مقترنين وقال الله تعالى واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعا فقال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما أنت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد ابن المغيرة وأبو مسعود الثقفى طلبوا من هو أعظم رياسة من النبى صلى الله عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك وقال الله تعالى ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أى استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء أشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم بأعينهم لفقرهم وتكبروا عن مجالستهم فأنزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الى قوله ما عليك من حسابهم وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا

عن الانقياد) والامتثال لما يأمرون (لبشر مثل سائر الناس ولذلك يصرف تارة عن الفكر والاستبصار فيبقى فى ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه) وهذا لامعرفة معه ان يظن الا ظنا (وتارة يمتنع) عن الانقياد (مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله عز وجل عن قولهم أنؤمن لبشرين مثلنا وقوله) عنهم (ان أنتم الا بشر مثلنا ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقالوا لولا أنزل عليه ملك وقال فرعون فيما أخبر الله عنه أو جاء معه الملائكة مقترنين وقال تعالى فاستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق فتكبر على الله وعلى رسوله جميعا) وكبره على الله بادعائه الالوهية والربوبية وكبره على الرسول بعدم الانقياد لما جاء به (وقال وهب) بن منبه رحمه الله تعالى يروى انه (قال له موسى عليه السلام آمن) بالله (ولك ملكك قال حتى أشاور هامان) وكان وزيره الذى يصدر عن رأيه فشاور هامان (فقال هامان بينما أنت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد) غيرك (فاستنكف) فرعون (عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام) فهذا تكبره على الله (وقالت قريش فيما أخبر الله عنهم لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) والمراد بالقريتين مكة والطائف (قال قتادة) بن دعامة البصرى (هما الوليد) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم من أهل مكة (وأبو مسعود الثقفى) من أهل الطائف (طلبوا من هو أعظم رياسة من النبى صلى الله عليه وسلم حيث قالوا غلام يتيم) مات أبواه (كيف بعثه الله الينا فقال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك وقال الله تعالى ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أى استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء اشارة الى فقراء المسلمين فازدروهم بأعينهم وتكبروا عن مجالستهم فأنزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الى قوله) ما عليك من حسابهم وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه (ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) قال العراقى رواه مسلم من حديث سعد بن أبى وقاص الا انه قال فقال المشركون وقال ابن ماجه قالت قريش اهـ قلت لفظ حديث سعد عند مسلم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ستة نفر فقال المشركون اطرد هؤلاء عنك فانهم وانهم قال فكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسمهما قال فوقع فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك ما شاء الله فحدث به نفسه فأنزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه وقد رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد حدثنا عبد الله بن شهرويه حدثنا اسحق بن راهويه حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا اسرائيل عن المقدام بن شريح الحارثى عن أبيه عن سعد بن أبى وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ولفظه عند ابن ماجه قال نزلت هذه الآية فى ستة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ابن مسعود قال كنا نستبق الى النبى صلى الله عليه وسلم ندنو اليه فقالت قريش تدنى هؤلاء دوننا فكان النبى صلى الله عليه وسلم هم بشئ فنزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الآية وقد رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان الثورى عن المقدام بن شريح عن أبيه عن سعد بن أبى وقاص قال نزلت فذكره وفى الباب خباب بن الارت وسلمان الفارسى وابن مسعود أما حديث خباب فقال أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف

حدثنا

حدثنا أحمد بن الفضيل حدثنا اسباط بن نصر عن السدى عن أبي سعد الازدى عن أبي الكنود عن خباب ابن الارت ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه قال جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزارى فوجدا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع بلال وعمار وصهيب وخباب فى أناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حقروهم فخلوا به فقالوا انا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحي ان ترانا العرب قعودا مع هذه الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك كتابا فدعا بالصحيفة ليكتب لهم ودعا عليا ليكتب فلما أراد ذلك ونحن قعود فى ناحية اذ نزل جبريل عليه السلام فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الى قوله فتكون من الظالمين ثم ذكر الاقرع وصاحبه فقال وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين ثم ذكر فقال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحيفة ودعانا فاتيناه وهو يقول سلام عليكم فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا فاذا أراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تعالى ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا يقول لا تعد عيناك عنهم تجالس الاشراف ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا أما الذى أغفلنا قلبه فهو عيينة بن حصن والاقرع وأما فرطا فهلاكا فاذا بلغنا الساعة التى كان يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم والاصبر أبدا حتى نقوم ورواه أبو نعيم فى الحلية من طريقه وقال رواه عمرو بن محمد العنقزى عن اسباط مثله وأما حديث سلمان الفارسي فقال الحسن بن سفيان فى مسنده حدثنا أبو وهب الحرانى حدثنا سليمان بن عطاء عن سلمة بن عبد الله عن عمه عن سلمان الفارسي قال جاءت المؤلفة قلوبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة والاقرع بن حابس وذووهم فقالوا يا رسول الله انك لو جلست فى صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم يعنون أبا ذر وسلمان وفقراء المسلمين وكان عليهم جباب الصوف ولم يكن عليهم غيرها جلسنا اليك وحادثناك وأخذنا عنك فانزل الله تعالى واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته وان تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا حتى بلغ نارا أحاط بهم سرادقها يتهددهم بالنار فقام نبي الله يلتمسهم حتى أصابهم فى مؤخر المسجد يذكرون الله فقال الحمد لله الذى لم يمتني حتى أمرنى ان أصبر نفسى مع قوم من أمتى معكم المحيا والممات وأما حديث ابن مسعود فقال اسحق بن راهويه فى مسنده أخبرنا جرير عن أشعث بن سوار عن كردوس عن عبد الله بن مسعود قال مر الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار ونحوهم ناس من ضعفاء المسلمين فقالوا يا رسول الله أرضيت هؤلاء من قومك أفنحن نكون تبعا لهؤلاء أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أطردهم فلعلك ان تطردهم اتبعناك قال فانزل الله تعالى وانذر الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم الى قوله فتكون من الظالمين (ثم أخبر الله تعالى عن تحجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا) فيها (الذين استرذلوهم واستضعفوهم (فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل عنوا عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضى الله عنهم) أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال ذلك قول أبي جهل فى النار يقول مالى لا أرى رجالا بلالا وعمارا وصهيبا وخبابا وفلانا وفلانا اتخذناهم سخريا ليسوا كذلك أم زاغت عنهم الابصار قال أم هم فى النار ولا نراهم وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال هم عبد الله بن مسعود ومن معه وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن سهل بن عطية قال يقول أبو جهل فى النار أين خباب أين صهيب أين بلال أين عمار (ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى مخبرا عنهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا

ثم أخبر الله تعالى عن تحجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضى الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى مخبرا عنهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا

به وقال وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله * القسم الثالث التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو أيضا عظيم من وجهين * أحدهما أن الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق الا بالملك

القادر فاما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شئ فمن أين يليق بحاله الكبر فهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق الا بجلاله ومثاله أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره فما أعظم استحقاقه للمقت وما أعظم تهدفه للخزي والنكال وما أشد استجراءه على مولاه وما أقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته أي انه خاص صفتي ولا يليق الا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان الكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وان لم تبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمروذ وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك * الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو الى مخالفة الله تعالى في أوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا

به) وهؤلاء طائفة اليهود فانهم عرفوا انه صلى الله عليه وسلم محق ومنعهم كبرهم عن الاعتراف (وقال) تعالى (وجحدوا بها) أي الآيات الدالة على صدقه (واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) أي تكبرا وعنادا وترفعا (وهذا الكبر قريب من التكبر على الله وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله) عليه السلام (القسم الثالث التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه) أي يعده عظيم المنزلة (ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع عليهم ويزدريهم ويستصغرهم) أي يستذلهم (ويأنف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول) الذي هو التكبر على رسله (فهو أيضا عظيم من وجهين أحدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلاء) وكل ذلك ألفاظ متقاربة (لا يليق الا بالملك القادر) جل جلاله (فاما العبد المملوك الضعيف) في نفسه (العاجز) عن دفع الضر عنها (الذي لا يقدر على شئ) من خير أو شر (فمن أين يليق به الكبر فهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق الا بجلاله) وعظمته (ومثاله ان يأخذ الغلام قلنسوة الملك) أي تاجه الذي يضعه على رأسه وبه يتميز عن غيره (فيضعها على رأسه ويجلس على سريره) الذي من عادته ان يجلس عليه (فما أعظم استحقاقه للمقت) من الملك (وما أعظم تهدفه للخزي) والنكال (وما أشد استجراءه) أي جراءته (على مولاه وما أقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى) في الحديث القدسي (العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته) روى ذلك من حديث أبي هريرة وقد تقدم الكلام عليه في أول هذا الكتاب قريبا (أي انه خاص صفتي ولا يليق الا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي) وانما مثلهما بالازار والرداء ابرازا للمعقول في صورة المحسوس فكما لا يشارك الرجل في ردائه وازاره لا يشارك الباري في هذين فانه الكامل المنعم المنفرد بالبقاء وما سواه ناقص محتاج وفي الحديث اشارة الى ان العظمة أرفع من الكبرياء وأقرب اليه منها كما ان الازار أقرب في اللباس من الرداء (واذا كان الكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما هو حق الملك ان يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وان لم تبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه) أي الاستقلال به (فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة) التامة (والكبرياء) والعلو (عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه) فيكون سببا لقصم ظهره (نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمروذ وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعتهم في أصل الملك الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في أوامره) ونواهيه (لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله وتشمر لجحده) أي انكاره (ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس) والمغالطات في المحاورات (وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى) في كتابه العزيز (فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا

لهـذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فـكل من يناظر للغلبة والافحام لاليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم فى هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم (٣٦٧) وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قرأها فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يامر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذى خالفه والذى أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا أستطيع فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا كبره قال فما رفعها بعد ذلك أى اعتلت يده فاذا تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على أمر الله وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكاه من أحواله الا ليعتبر به فانه قال أنا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على أن يمتنع من السجود الذى أمره الله تعالى به وكان مبدؤه الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يارسول الله انى امرؤ قد حبب الى من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفى حديث آخر من سفه الحق وقوله وغمص الناس أى ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله

لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لاليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم فى هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال تعالى واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم روى عن عمر) بن الخطاب رضى الله عنه (انه قرأها) أى هذه الآية (فاسترجع فقال انا لله وانا اليه راجعون) اشارة الى أن ما سيذكره مصيبة عظيمة وهى (قام رجل فامر بالمعروف فقتل فقام) رجل (آخر وقال أتقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذى خالفه والذى أمره بالمعروف كبرا) وعزة فهذا معنى قوله أخذته العزة بالاثم رواه ابن جرير عن أبى الخليل قال سمع عمر انسانا يقرأ هذه الآية فاسترجع قال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر فقتل ورواه أيضا عن أبى زيد ان ابن عباس قرأ هذه الآية عند عمر فقال اقتتل الرجلان فقال له عمر ماذا قال يا أمير المؤمنين أرى ههنا من اذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالاثم وأرى من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله فيأمر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل وأخذته العزة بالاثم قال هذا انما اشرى نفسى فقاتله فاقتتل الرجلان فقال عمر لله درك يا ابن عباس (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك) رواه ابن المنذر فى تفسيره بلفظ ان من أكبر الذنوب أن يقول الرجل لاخيه اتق الله فيقول عليك بنفسك (وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا أستطيع فقال) صلى الله عليه وسلم (لا استطعت فما منعك الا الكبر قال فما رفعها بعد ذلك أى اعتلت يده) قال العراقى رواه مسلم من حديث سلمة بن الاكوع (فاذا تكبره على الخلق) عظيم (لانه سيدعوه الى التكبر على أمر الله وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكى من أحواله الا ليعتبر به فانه قال أنا خير منه) أى من آدم عليه السلام (وهذا الكبر بالنسب لانه قال) بعد ذلك (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من التراب (فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذى أمره الله تعالى به فكان مبدؤه التكبر على آدم) عليه السلام (والحسد له) على ما أنعم عليه (فجره ذلك الى التكبر على أمر الله وكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس) بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الانصارى الخزرجى خطيب الانصار يكنى أبا محمد وقيل أبو عبد الرحمن قتل يوم اليمامة (فقال يارسول الله انى امرؤ قد حبب الى من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس) قال العراقى رواه مسلم والترمذى ولكن ليس فيهما ان القائل هو ثابت بن قيس وانما رواه الطبرانى من حديثه وقد تقدم انتهى قلت وكذلك رواه الباوردى وابن قانع من حديث ثابت بن قيس بلفظ انه ليس من الكبر ان تحسن راحلتك ورحلك ولكن الكبر من سفه الحق وغمص الناس وعند سمويه فى فوائده من حديث ثابت بن قيس قال يارسول الله انى لاحب الجمال حتى انى لاحبه فى شراك نعلى وجلاز سوطى وان قومى يزعمون أنه من الكبر فقال ليس الكبر أن يحب أحدكم الجمال ولكن الكبر أن يسفه الحق ويغمص الناس ورواه الطبرانى كذلك ورواه ابن عساكر من حديث خريم بن فاتك ورواه الطبرانى أيضا من رواية فاطمة بنت الحسين عن أبيها مرفوعا ورواه الطبرانى وسمويه أيضا والضياء من حديث سواد بن عمرو الانصارى (وفى حديث آخر من سفه الحق) وغمص الناس رواه أحمد من حديث عقبة بن عامر (وقوله غمص الناس) بالصاد المهملة (أى ازدراهم واستحقرهم) وغمط بالطاء المهملة كما فى رواية مسلم من حديث ابن مسعود بمعناه (وهم عباد الله

أمثاله أو خير منه وهذه الآفة الاولى وسفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية فكل من رأى انه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار أو رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن أنف من أن يخضع لله تعالى و يتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه و بين الله تعالى و رسله *(بيان مابه التكبر)* اعلم أنه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع الى كمال ديني أودنيوى فالديني هو العلم والعمل والدنيوى هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة أسباب *(الاول)* العلم وما أسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم أن يتعزز بعز العلم و يستشعر في نفسه جمال العلم وكماله و يستعظم نفسه و يستحقر الناس و ينظر اليهم نظره الى البهائم و يستجهلهم و يتوقع أن يبدؤه بالسلام فان بدأ واحدا منهم بالسلام أو رد عليه ببشر أو قام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده و يدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه أكرمهم وفعل بهم مالا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له و يخدموه شكرا له على صنيعه بل الغالب انهم يبرونه فلا يبرهم و يزورونه فلا يزورهم و يعودونه فلا يعودهم و يستخدم من خالطه منهم و يستسخره في حوائجه فان قصر فيه استنكره كأنهم عبيده أو اجراؤه وكان تعليمه العلم صنيعة منه اليهم ومعروفا لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا أما في أمر الآخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه و يرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلا أولى من أن يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذا العلم يزيد خوفا وتواضعا وتخشعا ويقتضي أن يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام

بشكر

أمثاله أو خير منه وهذه الآفة الاولى وسفه الحق هو جهله و رده وهي الآفة الثانية فكل من رأى انه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار أو رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه و بين الخلق ومن أنف أن يخضع لله و يتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه و بين الله تعالى والرسل)

(بيان مابه التكبر)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع الى كمال ديني ودنياوي فهذه سبعة أسباب) اثنان منها يتعلقان بالدين والخمسة بالدنيا (الاولى العلم وما أسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء) قال العراقي هكذا ذكر المصنف والمعروف آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء كذا رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث علي بسند ضعيف وروى عنه الديلمي في مسند الفردوس آفة الجمال الخيلاء وفيه الحسن بن عبد الحميد الكوفي لا يدرى من هو حدث عن أبيه بحديث موضوع قاله صاحب الميزان انتهى قلت لفظ القضاعي في مسند الشهاب آفة الظرف الصلف وآفة الشجاعة البغي وآفة السماحة المن وآفة الجمال الخيلاء وآفة العبادة الفترة وآفة الحديث الكذب وآفة العلم النسيان وآفة الحلم السفه وآفة الحسب الفخر وآفة الجود السرف وآفة الدين الهوى وهكذا رواه أيضا ابن لال في مكارم الاخلاق والديلمي والبيهقي في الشعب وضعفه وهو من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده ورواه القضاعي والديلمي وابن عدي في كامله من طريق شعبة عن أبي اسحق السبيعي عن الحرث الاعور عن علي مرفوعا في حديث بلفظ آفة الحديث الكذب وآفة العلم النسيان وسنده ضعيف الا انه صحيح المعنى (فلا يلبث العالم أن يتعزز بعز العلم و يستشعر في نفسه كمال العلم وجماله و يستعظم نفسه و يستحقر الناس و ينظر اليهم نظره الى البهائم و يستجهلهم) و يستبلدهم (و يتوقع) منهم (ان يبدؤه بالسلام) اذا لقوه (فان بدأ واحدا منهم بالسلام أو رد عليه ببشر أو قام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده و يدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه أكرمهم وفعل بهم مالا يستحقون من مثله فانه ينبغي أن يرقوا له) أي يكونوا كالرقيق له (و يخدمونه شكرا له على صنيعه) ذلك (بل الغالب انهم يبرونه فلا يبرهم ولا يزدرونه فيزدريهم و يعودونه فلا يعودهم و يستخدم من خالطه منهم و يستسخره في حوائجه) أي يجعله سخرة في قضائها (فان قصر فيه استنكره كأنهم عبيده واجراؤه وكان تعليمه) اياهم (العلم صنيعة منه لديهم ومعروف اليهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا أما في أمر الآخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه و يرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلا أولى من أن يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه) بالذل والعز والعجز والقدرة والنقص والكمال (وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذه العلوم تزيد خوفا وتواضعا وتخشعا) وانكسارا في القلب (وتقتضي ان يرى) صاحبها (ان كل الناس خير منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام

بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال * فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وأمنا فاعلم ان لذلك سببين * أحدهما أن يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس علما حقيقيا وانما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه وخطر أمره فى لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبرا ونفاقا وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية (٣٦٩) وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالبا * السبب الثانى أن يخوض العبد فى العلم وهو خبيث الدخلة ردىء النفس سيئ الاخلاق فانه لم يشتغل أولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه فى عبادة ربه فبقى خبيث الجوهر فاذا خاض فى العلم أى علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر فى الخير أثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشرب به الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها وأهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لنبيه عليه السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال عز وجل ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف أولياءه فقال أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضى الله عنه يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم التفت الى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الامة أولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك استأذن تميم الدارى عمر رضى الله عنه فى القصص فأبى أن يأذن له وقال له انه الذبح واستأذنه رجل كان امام

بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو الدرداء) رضى الله عنه (من ازداد علما زاد وجعا وهو كما قال فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان لذلك سببين أحدهما أن يكون اشتغاله بما يسمى علما) فى الظاهر (وليس بعلم حقيقي وانما العلم الحقيقي ما يعرف العبد به نفسه وربه وخطر أمره فى لقاء ربه والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب العلم (فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان) وقام بازائها (حتى امتلأ منها امتلأ منها كبرا ونفاقا وهذه بان تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوما بل العلم معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذا يورث التواضع غالبا السبب الثانى أن يخوض العبد فى العلم وهو خبيث الدخلة ردىء النفس سيئ الاخلاق فانه لم يشتغل أولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه) من تلك الاوصاف الذميمة (بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه فى عبادة ربه فبقى خبيث الجوهر فاذا خاض فى العلم أى علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر فى الخير أثره وقد ضرب وهب) بن منبه رحمه الله تعالى (لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشرب به الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة وكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها وأهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا) هذا آخر كلام وهب (وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل مع جهله خائفا فاذا ازداد علما علم ان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا) واذا كان الرجل محبا فى الدنيا مائلا الى تحصيل اعراضها وازداد علما لم يزدد الارغبة فيها اذ وجد ما يعينه على تحصيلها وروى الديلمى من حديث على من ازداد علما ولم يزدد فى الدنيا زهدا لم يزدد من الله الا بعدا (فالعلم من أعظم ما يتكبر به) (ولاجل ذلك قال الله تعالى لنبيه) صلى الله عليه وسلم (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال) تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف أولياءه فقال أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس) بن عبد المطلب رضى الله عنه (يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا واعلم منا ثم التفت الى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الامة أولئك هم وقود النار) قال العراقى رواه ابن المبارك فى الزهد والرقائق (وكذلك قال عمر رضى الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفى علمكم بجهلكم) وروى الخطيب فى الجامع من حديث أبى هريرة ولا تكونوا من جبابرة العلماء وقد تقدم (ولذلك استأذن تميم) بن أوس (الدارى عمر) رضى الله عنه (فى القصص فأبى ان يأذن له وقال انه الذبح) خاف عليه من الشهرة (واستأذن رجل) آخر (وكان امام

قومه انه اذا سلم من صلاته ذكرهم فقال انى أخاف أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم من صلاته قال لتلتمسن اماما غيرى أو لتصلن وحدانا فانى رأيت فى نفسى انه ليس فى القوم أفضل منى فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخرى هذه الامة فما أعز على بسيط الارض عالما يستحق أن يقال له عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغى أن يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله ولو عرفنا ذلك ولو فى أقصى الصين لسعينا اليه رجاء أن تشملنا بركته وتسرى الينا سيرته وسجيته وهيهات فانى يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم أرباب الاقبال وأصحاب الدول قد انقرضوا فى القرن الاول ومن يليهم بل يعز فى زماننا عالم يختلج فى نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك أيضا اما معدوم واما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سيأتى على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما أنتم عليه نجا لكان جديرا بنا أن نقتحم والعياذ بالله تعالى ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أعمالنا ومن لنا أيضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره فنسأل الله تعالى ان يعاملنا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله (الثانى) العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم فى الدين والدنيا أما فى الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم اليهم والتوسع لهم فى المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس فى الحظوظ الى جميع ماذكرناه فى حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق وأما فى الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم

قومه انه اذا سلم من صلاته ذكرهم) ووعظهم فلم يأذن له (قال انى أخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا) وقد تقدم ذلك (وصلى حذيفة) بن اليمان رضى الله عنه (بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيرى أو لتصلن وحدانا) أى منفردين (انى رأيت فى نفسى انه ليس فى القوم أفضل منى فاذا كان مثل حذيفة) رضى الله عنه وهو صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسلم (فكيف يسلم الضعفاء من متأخرى هذه الامة فما أعز على بسيط الارض عالما يستحق أن يقال انه عالم ثم انه لا يحركه عز العلم) وترفعه (وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه) ووحيد عصره (فلا ينبغى أن يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله ولو عرفنا ذلك ولو فى أقصى الصين) أى آخر بلاد المشرق (لسعينا) وبذلنا المجهود فى الوصول (اليه رجاء أن تشملنا بركته وتسرى الينا سيرته وسجيته وهيهات فانى يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم أرباب الاقبال وأصحاب الدول قد انقرضوا فى القرن الاول ومن يليهم) من أوائل القرن الثانى (بل يعز فى زماننا عالم يختلج فى نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك أيضا اما معدوم) بالكلية (واما عزيز) أى نادر الوجود (ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سيأتى على الناس زمان من تمسك بعشر ما أنتم عليه نجا) قال العراقى رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال غريب لا نعرفه الا من حديث نعيم بن حماد ورواه أحمد من رواية رجل عن أبى ذر انتهى قلت ورواه ابن عدى وابن عساكر وابن النجار من حديث أبى هريرة بلفظ أنتم اليوم فى زمان من ترك عشر ما أمر به هلك وسيأتى على الناس زمان من عمل منهم عشر ما أمر به نجا (لكان جديرا بنا أن نقتحم والعياذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أعمالنا ومن لنا أيضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره) وهذا فى زمان المصنف وأما الآن بعد المائتين فلا يحتاج التنبيه عليه حيث درست رسوم الرسوم وظهر المعلوم والمحتوم فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (فنسأل الله تعالى) المنان بفضله (أن يعاملنا بما هو أهله وأن يستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله) آمين يارب العالمين (الثانى العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة الكبر والعز واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم فى الدين والدنيا أما فى الدنيا فانهم يرون غيرهم بزيارتهم) والمجىء اليهم (أولى منهم بزيارة غيرهم) فاذا رأوهم يزورون غيرهم يغضبون ويعاتبون (ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم) أى تعظيمهم (والتوسيع لهم فى المجالس) كأنهم عبيد اجراء ويتوقعون أيضا (ذكرهم بالورع والتقوى) ومحاسن الاخلاق (وتقديمهم على سائر الناس فى الحظوظ) الدنيوية (الى جميع ماذكرناه فى حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق) يمتنون بها هذا فى الدنيا (وأما فى الدين فهو انه يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك) واعتقده (قال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم) وفى رواية اذا سمعت (الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم) روى بضم الكاف وهى الرواية المشهورة أى أشدهم هلاكا وأحقهم بالهلاك وأقربهم اليه لذمه للناس وذكره عيوبهم والحط منهم ويروى فهو أهلكهم بفتح الكاف على انه صيغة ماض أى فهو جعلهم هالكين لانهم هلكوا حقيقة أى فهو أهلكهم لكونه أقنط عباد الله عن رحمته أو معناه فانهم ليسوا هالكين الا من قبله ومن جهته بنسبة الهلاك

وانما قال ذلك لان هـذا القول منـه يدل على أنه مزدر بخلق انه مغتر بانه آمن من مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجوله مالا يرجوه لنفسـه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله فهم يتقربون الى الله تعالى بالدنو منه وهو يتمقت الى الله بالتـنزه والتباعد منهم كانه مترفع عن مجالستهم فما أجدرهم اذا أحبوه لصلاحه أن ينقلهم الله الى درجتـه فى العمل وما أجـدره اذا ازدراهم بعينه ان ينقله الله الى حد الاهمال كما روى أن رجلا فى بنى اسرائيل كان يقال له خليع بنى اسرائيـل لكثرة فساده ومر برجـل آخر يقال له عابد بـنى اسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع فى نفسه أنا خليع بنى اسرائيل هـذا عابد بنى اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمنى فجلس اليـه فقال العابد أنا عابد بنى اسرائيل وهذا خليع بنى اسرائيل فكيف يجلس الى فأنف منه وقال له قم عـنى فاوحى الله الى نبى ذلك الزمان مرهـما فليسـتأنفا العـمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفى رواية أخرى فتحولت الغمامة الى رأس الخليع وهـذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل العاصى اذا تواضع هيبة لله وذل خوفا منه فقد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روى ان رجـلا فى بنى اسرائيل أتى عابدا من بنى اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه أيها المتألى على بل أنت لا يغفر الله لك

اليهم وظاهره ان ذلك لا يؤثرفيهم ولا يقتضى هلاكهم قال العراقى رواه مسلم من حـديث أبى هريرة انتهـى قلت وكذلك رواه أحمد والبخارى فى الادب المفرد وأبو داود (وانما قال) صلى الله عليه وسلم (ذلك لان هذا القول منه يدل على انه مزدر بخلق الله) مستحقر لهم مستصغر لشأنهم (مغتر بالله) معجب بنفسه تائه بعمله وعبادته (آمن من مكره غـير خائف من سطوته وكيف لا يخاف) من سطوة الله (ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ بحسب امرئ من الشر انتهـى قلت وكذلك رواه ابن ماجه (وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجوله مالا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله فهم يتقربون الى الله بالدنو منه وهو يتمقت الى الله بالتنزه والتباعد منهم كانه مترفع عن مجالستهم فما أجدرهم اذا أحبوه لصلاحه) وورعه (ان ينقلهم الله الى درجته فى العمل وما أجدره اذا ازدراهم) أى احتقرهم (بعينه أن ينقله الله الى حد الاهـمال) فلا يبالى به فى أى أودية هلك (كما روى ان رجلا من بنى اسرائيل كان يقال له خليع بنى اسرائيل لكثرة فساده) كأنه خلع عذاره (ومر برجل آخر يقال له عابد بنى اسرائيل لكثرة عبادته) لله تعالى وكل منهما اشتهر بوصف هو قائم به (وكان على رأس العابد غمـامة تظله) أكرمه الله بها (لما مر الخليع به فقال الخليع فى نفسه أنا خليع بنى اسرائيل) وفاجرهـم (وهذا عابد بنى اسرائيل) وصالحهم (فلو جلست اليه لعل الله يرحمنى) ببركة جلوسى اليه (فجلس اليـه فقال العابد أنا عابد بنى اسرائيل وهذا خليع بنى اسرائيـل فكيف يجلس الى فانف منه) ولم يحب تقربه اليـه (وقال له قم عنى فأوحى الله تعالى الى نبى ذلك الزمان مرهـما) أى العابد والخليع (فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع) ذنوبه (وأحبطت عمل العابد وفى رواية أخرى فتحولت الغـمامة الى رأس الخليع) وقال أبو نعيم فى ترجمة بكر بن عبد الله المزنى قال كان الرجل من بنى اسرائيل اذا بلغ المبلغ فمشى فى الناس تظله غمـامة قال فمر رجل قد أظلته غمـامة على رجـل فاعظمه لما رآه لما آتاه الله عز وجـل قال فاحتقره صاحب الغمامة أو قال كلمة نحوها قال فامرت أن تحول من رأسـه الى رأس الذى عظم أمر الله عز وجل (وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل والعاصى اذا تواضع) كل منهما (وذل هيبة لله وخوفا منـه فقد أطاع الله بقلبـه فهو أطوع لله من العالم المتكبر) على اخوانه (والعابد المعجب) بعبادته (وكذلك روى أن رجلا فى بنى اسرائيل أتى عابدا) من العباد (فوطئ على رقبتـه وهو ساجد فقال) العابد (ارفع) رجلك عن رقبتى (فوالله لا يغـفر الله لك فاوحى الله اليـه أيها المتألى) أى الحالف (على بل أنت لا يغفر الله لك) قال العراقى رواه أبو داود والحاكم من حديث أبى هريرة فى قصة العابد الذى قال للعاصى والله لا يغفر الله لك أبدا وهو بغير هذه السياق واسناده حسن انتهـى قلت سياق المصنف أخرجه الطبرانى فى الكبير من حـديث ابن مسعود بلفظ كان رجل يصلى فلما سجد أتاه رجـل فوطئ على رقبته فقال الذى تحتـه والله لا يغفر الله لك أبدا فقال الله عز وجل تألى على عبـدى ان لا أغفر لعبدى فانى قد غفرت له وأما الذى أشار اليه العراقى من رواية أبى هريرة فلفظه كان رجلان فى بنى اسرائيل متواخيان وكان أحدهـما مذنبا والآخر مجتهدا فى العبادة وكان لا يزال المجتهد الآخر مع الذنب فيقول اقصر فوجـده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلـنى وربى أبعثت على رقيبا فقال والله لا يغـفر الله لك أولا يدخلك الله الجنة فقبض روحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهـد أكنت بى عالما أو كنت على ما فى يدى قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتى وقال للآخر اذهبوا به الى النار وهكذا رواه

وكذلك قال الحسن وحتى ان صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب المطارف الخز أى ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له
وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضا قلما ينفك عنها كثير من العباد وهو انه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبعد ان
يغفر الله له ولا يشك فى انه صار ممقوتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع
بين الكبر والعجب والاغترار بالله وقد ينتهى الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجرى عليه واذا أصيب
بنكبة زعم ان ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به الاشفاء غليله والانتقام له منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الانبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم ان الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم فى الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه فى الدنيا ولا فى الآخرة ثم الجاهل المغرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وانه قد انتقم له بما لا ينتقم لانبيائه به ولعله فى مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين وأما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمى حين كان تهب ريح أو تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسبى ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد انصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجميعهم لولا كونى فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقى الله ظاهرا وباطنا وهو
وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذاك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان به ثم انه يمتن
على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله فان الجهل أفحش المعاصى وأعظم شئ يبعد العبد عن
الله وحكمه لنفسه بأنه خير ممن غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روى ان رجلا ذكر بخير
النبى صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذى ذكرناه لك فقال انى أرى فى وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على
النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أسألك بالله حدثتك نفسك ان ليس فى القوم أفضل منك قال اللهم نعم

أحد (وكذلك قال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى فى سياق كلامه (حتى ان صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب المطارف الخز) المطرف ثوب مربع له أعلام وأطرفته اطرافا اذا جعلت فى طرفيه علمين فهو مطرف وربما جعل اسما برأسه غير جار على فعله وكسرت الميم تشبيها بالآلة والجمع مطارف (أى صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه) فهذا معنى قول الحسن (وهذه الآفة قلما ينفك منها كثير من العباد وهو انه لو استخف به مستخف وآذاه مؤذ استبعد أن يغفر الله له ولا يشك فى أنه صار ممقوتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين العجب والكبر والاغترار بالله) عز وجل (وقد ينتهى الحمق) أى فساد جوهر العقل (والغباوة) أى البلادة (ببعضهم الى ان يتحدى) أى يتصدى للمعارضة (ويقول سترون ما يجرى عليه) من النكال (واذا أصيب بنكبة) أى مصيبة عرضت له (زعم ان ذلك من كراماته وان الله ما أراد به الاشفاء غليله) وهو وحرة صدره والانتقام منه (مع انه يرى طبقات من الكفار) على أنواعهم (يسبون الله ورسوله) عدوا بغير علم (وعرف جماعة آذوا الانبياء عليهم السلام بأشد أنواع الاذى (فمنهم من ضربهم) ومنهم من وجأ رقابهم بسلا جزور وهو ساجد ومنهم من شجهم (ومنهم من قتلهم ثم ان الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم فى الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه فى الدنيا ولا فى الآخرة) لان الاسلام يجب ما قبله كما فى الخبر (ثم الجاهل المغرور يظن انه أكرم على الله من أنبيائه) ورسله (وانه قد انتقم له بما لم ينتقم لانبيائه ولعله فى مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين) وهى من أكبر الآفات (وأما الاكياس) أى العقلاء (من العباد فيقولون) مثل (ما كان يقوله عطاء السلمى) البصرى العابد (حين كان تهب ريح أو تقع صاعقة) أو نحو ذلك من الآيات المخوفة (ما يصيب الناس ما أصابهم الا بسبى ولو مات عطاء) يعنى نفسه (لتخلصوا) واستراحوا أخرجه أبو نعيم فى الحلية وتقدم (و) مثل (ما قال الآخر) وهو يونس بن عبيد البصرى (بعد انصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجميعهم) لمن حضر (لولا كونى فيهم وقد تقدم) أيضا (فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقى الله ظاهرا وباطنا وهو) مع ذلك (وجل على نفسه) خائف من ربه (مزدر لعمله وسعيه وذاك) الآخر (ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان به ثم انه يمتن على الله بعمله) من يكون أخس منه (ومن اعتقد جزما انه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله فان الجهل أفحش المعاصى) وأغلظها (وأعظم شئ يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه انه خير من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روى ان رجلا ذكر بخير للنبى صلى الله عليه وسلم فاقبل) ذلك الرجل (ذات يوم فقالوا) وفى نسخة فقيل (يارسول الله هذا) الرجل (الذى ذكرناه لك فقال) صلى الله عليه وسلم (انى أرى فى وجهه سفعة) بالفتح والضم أى أثر سواد أشرب بحمرة (من الشيطان فسلم) الرجل (ووقف على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أسألك بالله حدثتك نفسك ان ليس فى القوم أفضل منك قال اللهم نعم) قال العراقى رواه أحمد والبزار والدارقطنى من حديث انس

فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوّة ما استكن فى قلبه سفعة فى وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد فى آفة الكبر على ثلاث درجات * الدرجة الاولى أن يكون الكبر مستقرا فى قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا أنه يجتهد و يتواضع و يفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ فى قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية * الثانية ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع فى المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر فى حقه و أدنى

ذلك فى العالم ان يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم وفى العابد ان يعبس وجهه و يقطب جبينه كأنه متنزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس فى الجبهة حتى تقطب ولا فى الوجه حتى يعبس ولا ثم الخد حتى يصعر ولا فى الرقبة حتى تطأطأ ولا فى الذيل حتى يضم انما الورع فى القلوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار الى صدره فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقا وأكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحرث بن جزء الزبيدى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبنى من القراء كل طليق مضحاك فأما الذى تلقاه ببشر و يلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا أكثر الله فى المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهؤلاء الذين يظهر أثر الكبر على شمائلهم فأحوالهم أخف حالا ممن هو فى الرتبة الثالثة وهو الذى يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير فى العلم والعمل أما العابد فانه يقول فى معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وماعمله ومن أين زهده فيطول اللسان فيهم بالتنقص ثم يثنى على نفسه و يقول انى لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل وأختم القرآن فى كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة ومايجرى مجراه وقد يزكى

أنس بسند حسن (فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوّة ما استنكر فى قلبه سفعة فى وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد الا من عصمه الله) بفضله (لكن العلماء والعباد فى آفة الكبر على ثلاث درجات الاولى ان يكون الكبر مستقرا فى قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد و يتواضع و يفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ فى قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية) ولم يدعها تتفرع (الثانية ان يظهر ذلك على أفعاله بالترفع فى المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر فى حقه) أو يتأخر فى قضاء حوائجه (وأدنى ذلك فى العالم ان يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم وفى العابد ان يعبس وجهه و يقطب عينيه) يقال قطب بين عينيه من حد ضرب اذا جمع بينهما (كأنه تنزه عن الناس مستقذرا لهم أو غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس فى الجبهة حتى تقطب ولا فى الوجه حتى يعبس ولا فى الخد حتى يصعر ولا فى الرقبة حتى تطأطأ ولا فى الذيل حتى يضم انما الورع فى القلوب) قال الفضيل بن عياض كان يكره ان يرى الرجل من الخشوع أكثر مما فى قلبه (قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار الى صدره رواه مسلم من حديث أبى هريرة) وقد تقدم وعند أبى يعلى التقوى ههنا قاله ثلاثا وأشار الى قلبه (فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق) على الله وأتقاهم (وكان) مع ذلك (أوسعهم خلقا وأكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا) كل ذلك تقدم فى كتاب أخلاق النبوّة (ولذلك قال الحرث بن جزء الزبيدى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) هكذا فى سائر نسخ الكتاب وهو خطأ والصواب عبد الله بن الحرث بن جزء وهو الذى له صحبة وتمام نسبه بعد جزء بفتح الجيم وسكون الزاى هو ابن عبد الله بن معدى كرب بن عمرو بن عصم بن عمرو بن عريج بن عمرو بن زبيد الزبيدى حليف أبى وداعة السهمى وابن أخى محمية بن جزء الزبيدى قال البخارى له صحبة سكن مصر روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث حفظها عنه المصريون ومن آخرهم يزيد بن أبى حبيب قال ابن يونس مات سنة ست وثمانين بعدان عمى وكانت وفاته بسفط القدور قاله الطحاوى وهو آخر من مات من الصحابة بمصر وسفط القدور قرية بمصر من المنوفية تعرف الآن بسفط عبد الله وقد زرت مقامه بها مرارا والعامة تزعم انه عبد الله بن سلام وهو خطأ (يعجبنى من القراء) أى العلماء (كل طليق) الوجه (مضحاك) أى كثير الضحك (فأما الذى تلقاه ببشر و يلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا أكثر الله فى المسلمين مثله ولو كان الله يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) وقد أورد ابن يونس فى تاريخ الصحابة الذين دخلوا مصر فى ترجمة عبد الله بن الحرث انه قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه من طريق ابن لهيعة حدثنا عبيد الله بن المغيرة قال سمعت عبد الله بن الحرث يقول فساقه (وهؤلاء الذين يظهر التكبر على شمائلهم وأحوالهم أخف حالا من هو فى الرتبة الثالثة وهو الذى يظهر التكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكاية الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير فى العلم والعمل اما العابد فانه يقول فى معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن أين زهده فيطول اللسان فيهم بالتنقيص) والتقصير (ثم يثنى على نفسه و يقول انى لم أفطر منذ كذا وكذا) مدة (ولا أنام الليل) الا القليل (واختم القرآن فى كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجرى مجراه وقد يزكى

نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض أو ما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه وأما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من ان يقال غيره أعبد منه أو أقوى منه في دين الله وأما العالم فانه يتفاخر ويقول أنا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه وأما مباهاته فهو انه يجتهد في المناظرة أن يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث ألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان أقرانه ويفرح مهما أخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوءه اذا أصاب وأحسن خيفة من ان يرى انه أعظم منه فهذا كله أخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل وأين من يخلو عن جميع ذلك أو عن بعضه فليت شعري من الذي عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه من أهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى   اطفا
لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل *(الثالث)* التكبر بالحسب والنسب فالذي نسبه شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان أرفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له موال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي ويا هندي ويا أرمني من أنت ومن أبوك فأنا فلان بن فلان وأين لمثلك أن يكلمني أو ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا وعاقلا الا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب

نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض أو ما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه وأما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلي) حين يكون في منزله (وان كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته) على الجوع (وعجزهم) عنه (وكذلك يشتد في العبادة) كل ذلك (خوفا من أن يقال غيره أعبد منه أو أقوى منه في دين الله وأما العالم فانه يتفاخر ويقول أنا متفنن في العلوم) أي صاحب فنون (ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وما فضلك ومن لقيت) من الشيوخ (وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه وأما مباهاته فهو انه يجتهد في المناظرة أن يغلب) مناظره (ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل) والمنطق وآداب البحث والنحو (وتحسين العبادة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتعظم) عليهم ويشار اليه بالاصابع (ويحفظ الاحاديث وألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان أقرانه ويفرح مهما أخطأ واحد منهم ليرده عليه ويسوءه) أي يغمه (اذا أصاب) في سياقته (وأحسن خيفة من أن يرى انه أعظم منه فهذا كله أخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل وأين من يخلو عن جميع ذلك أو عن بعضه فليت شعري من عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر) رواه القشيري في الرسالة عن علي بن أحمد الاهوازي حدثنا أحمد بن عبيد البصري حدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا أبو الحسن علي بن زيد الفرائضي حدثنا محمد ابن كثير وهو المصيصي عن هرون بن حيان عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره وقد تقدم (كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره و) هو يقول (رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل النار وانما العظيم) القدر عند الله (من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظيم وتكبر والعالم هو الذي فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا) أي مقاما (ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا) ومنزلة (فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب) وزور (ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو الكبر بالعلم والعمل الثالث التكبر بالنسب والحسب فالذي له نسب شريف) بأن يكون منتسبا الى بيت شريف مشهور (يستحقر من ليس له ذلك وان كان ارفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له موال وعبيد) أي بمنزلتهم (ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم) وهو يترفع عنهم (وثمرته على اللسان التفاخر به) بين الناس (فيقول لغيره يا نبطي ويا هندي ويا أرمني) وأشباه ذلك (من أنت ومن أبوك وأنا فلان بن فلان وأنى لمثلك أن يكلمني أو ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه) مما يقع في محاورة الكلام (وذلك عرق دفين) دساس (في النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صادقا) وفي نسخة صالحا (وعاقلا الا أنه قد لا يترشح ذلك منه عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب

أطفأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن أبي ذر) جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه (انه قال قاولت) أي خاصمت (رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم طف الصاع طف الصاع) الصاع مكيال معروف وطفامنه ماقرب من ملئه وقيل هو ماعلا فوق رأسه شبههم في نقصانهم بالمكيل الذي لم يبلغ أن علاء المكيال كذا في مجمع البحار (ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل) أي كلكم في الانتساب الى أب واحد بمنزلة واحدة في النقص عن غاية التمام (قال أبو ذر فاضطجعت وقلت للرجل) المذكور (قم فطأ على خدي) قال العراقي رواه ابن المبارك في البر والصلة مع اختلاف ولاحمد من حديثه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود الا أن تفضله بتقوى الحديث وفي الصحيحين انه ساب رجلا فعيره بامه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية وقد تقدم اه أي في أوائل كتاب الغضب والحقد والحسد (فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى لنفسه فضلا) على أخيه (لكونه ابن بيضاء وانه خطأ وجهل وانظر كيف) رجع أبو ذر و(تاب وقلع عن نفسه شجرة الكبر بأخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل) وكل ذلك بين يديه صلى الله عليه وسلم ولم يمنعه من ذلك وصوب فعله (ومن ذلك ماروى ان رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم) وفي نسخة وأنت العاشر قال العراقي رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند من حديث أبي بن كعب باسناد صحيح ورواه أحمد موقوفا على معاذ بقصة موسى عليه السلام فقط اه قلت وروى أحمد والبخاري في التاريخ وأبو يعلى والبغوي وابن قانع والطبراني والبيهقي وابن عساكر من حديث أبي ريحانة من انتسب الى تسعة آباء كفار يريد بهم عزا وكرما كان عاشرهم في النار (وقال صلى الله عليه وسلم ليدعن) أي ليتركن (أقوام الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان) بكسر الجيم وسكون العين المهملة جمع جعل بضم ففتح كصرد وصردان اسم للدويبة التي (تدوف بآنافها القذر) قيل هي أم حبين تدحرج القذر برجلها قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث أبي هريرة اه قلت وأخرج البزار من حديث حذيفة كلكم بنو آدم وآدم خلق من التراب ولينتهين أقوام يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان والسياق المذكور للمصنف من حديث أبي هريرة ليس هو أول حديث بل أوله ان الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية الحديث وسيأتي في آخر الفصول من هذا الكتاب وفيه ليدعن رجال فخرهم باقوام انما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي ترفع بانفها النتن (الرابع التفاخر بالجمال وذلك أكثر ما يجري بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب) أي المسبة والتعييب (والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ماروى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت دخلت امرأة) قيل انها من الانصار (على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذا أي انها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والخرائطي في مساوي الاخلاق وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق حسان بن مخارق عن عائشة قالت دخلت امرأة قصيرة والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فقلت بابهامي هكذا وأشرت الى النبي صلى الله عليه وسلم انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتها ورواه عبد بن حميد عن عكرمة عن عائشة نحوه ورواه ابن أبي الدنيا من طريق سفيان بن علي بن الاقمر بن حذيفة عن عائشة انها ذكرت امرأة فقالت انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتها وقد تقدم ذلك في آفات اللسان (وهذا منشؤه خفاء الكبر لانها

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر بأخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف أن العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ماروى ان رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدوف بآنافها القذر (الرابع) التفاخر بالجمال وذلك أكثر ما يجري بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ماروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذا أي انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها وهذا منشؤه خفاء الكبر لانها

لو كانت أيضا صغيرة لماذ كرتها بالصغر فكأنها أعجبت بقامتها واستقصرت المرأة فى جنب نفسها فقالت ما قالت * الخامس الكبر بالمال وذلك يجرى بين الملوك فى خزائنهم وبين التجار فى بضائعهم وبين الدهاقين فى أراضيهم وبين المتجملين فى لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقرون الغنى الفقير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكد ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما معك وأثاث بيتى يساوى أكثر من جميع مالك وأنا أنفق فى اليوم مالا تأكله فى سنة وكل ذلك لاستعظامه للغنى واستحقاره للفقر وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الغنى واليه الاشارة

بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا حتى أجابه فقال ان ترنى أنا أقل منك وولدا فعسى ربى أن يؤتينى خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة أمره بقوله ياليتنى لم أشرك بربى أحدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى اخبارا عن تكبره فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم * السادس الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف * السابع التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والاقارب والبنين ويجرى ذلك بين الملوك فى المكاثرة بالجنود وبين العلماء فى المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ماهو نعمة وأمكن أن يعتقد كمالا وان لم يكن فى نفسه كمالا أمكن أن يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته فى صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى بشئ منه على من لا يدلى به أو على من يدلى بما هو دونه فى اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذى يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه انه هو الاعلم ولحسن اعتقاده فى نفسه نسأل الله العون بلطفه ورحمته انه على كل شئ قدير

(بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له)

لو كانت أيضا قصيرة لماذ كرتها بالقصر لانها أعجبت بقامتها فاستقصرت المرأة) أى عدتها قصيرة (فى جنب نفسها فقالت ما قالت) وفى رواية قال لها النظى فلفظت بضعة لحم وقد تقدم فى آفات اللسان (الخامس الكبر بالمال وذلك يجرى بين الملوك فى خزائنهم وبين التجار فى بضائعهم وبين الدهاقين) جمع دهقان وهو رئيس القرية (فى أراضيهم وبين المتجملين فى لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغنى الفقير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكد) أى صاحب كدية أى فقير (ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما معك وأثاث بيتى يساوى أكثر من جميع مالك وأنا انفق فى اليوم) الواحد (مالا تأكله فى سنة) وما يجرى مجراه (وكل ذلك لاستعظامه للغنى واستحقاره للفقر وكل ذلك جهل منه بآفة الغنى وفضيلة الفقر واليه الاشارة بقوله تعالى) واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين الآية (فقال له صاحبه وهو يحاوره) أى يراجعه فى الكلام (انا أكثر منك مالا وأعز نفرا) حشما وأموالا وقيل أولادا ذكورا (حتى أجابه فقال) ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله (ان ترنى أنا أقل منك مالا وولدا) وفى قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد (فعسى ربى ان يؤتينى خيرا من جنتك) فى الدنيا وفى الآخرة (الى قوله فلن تستطيع له طلبا) أى للماء الغائر (وكان ذلك تكبرا منه بالمال والولد ثم بين عاقبة أمره بقوله ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) كانه تذكر موعظة أخيه وعلم انه من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه (ومن ذلك تكبر قارون) ابن ياسف بن لاوى من ولد يعقوب عليه السلام وهو صاحب الكنوز المذكورة قصته فى القرآن (اذ قال تعالى اخبارا عن تكبره فخرج على قومه فى زينته حتى قال قوم ياليت لنا مثل ما أوتى قارون) أى من الاموال والحشم (انه لذو حظ عظيم) وكل ذلك تكبر بالاموال والاعوان والحشم (السادس الكبر بالقوة وشدة البطش) فيفتخر بها ويتباهى (والتكبر على أهل الضعف) الذين لا قوة لهم ولا بطش (السابع التكبر بالاتباع والانصار) والاعوان (والتلامذة والغلمان) بالشراء أو الاستئجار (وبالعشيرة والاقارب والبنين ويجرى ذلك) غالبا (بين الملوك فى المكاثرة بالجنود) والعساكر (وبين العلماء فى المكاثرة بالمستفيدين) منهم (وبالجملة فكل ماهو نعمة وأمكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن فى نفسه كمالا أمكن ان يتكبر به حتى ان المخنث) بكسر النون المشددة وهو من يتشبه بالنساء فى حركاتهن (يتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته فى صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا) ووبالا عليه (وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب) للخمور (وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ذلك كمالا وان كان مخطئا فيه) ولولا ظنه كذلك لما تباهى به (فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى) أى يتقرب (بالشئ على من لا يدلى بذلك الشئ أو على من يدلى بما هو دونه فى اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله كالعالم الذى يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه) فى نفسه (انه) هو (الاعلم ويحسن اعتقاده فى نفسه) والله أعلم

(بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له)

(اعلم)

اعلم أن الكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي ثمرة ونتيجة وينبغي أن يسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالمتكبر كما سيأتي معناه فانه اذا أعجب بنفسه وبعلمه وبعمله أو بشيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما الكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرهما أما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الاسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد والحسد والرياء * أما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال * وأما الحقد فانه قد يحمل على التكبر من غير عجب (٢٧٧) كالذي يتكبر على من يرى انه مثله

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الكبر خلق باطن) كما تقدم قريبا (وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي ثمرة ونتيجة وينبغي ان يسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها) ومنزلة (فوق قدر الغير) ومنزلته (وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالمتكبر كما سيأتي معناه فانه اذا أعجب بنفسه وبعلمه أو بعمله أو بشيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما التكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة سبب في المتكبر) الذي قام به وصف الكبر (وسبب للمتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما أما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الاسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد والحسد والرياء أما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر بالظاهر) وينتجه (في الاعمال والاقوال والاحوال) والمراد بالاحوال ما ينتج من الاعمال (وأما الحقد فانه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله) مساوله (أوفوقه) في المنزلة (ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه أو بغضه له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته) وهذا هو السفه المشار اليه في حديث ثابت بن قيس بن شماس (و) يحمله أيضا (على الانفة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك و) يحمله أيضا (على أن لا يستحله وان ظلمه وتعدى عليه فلا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فانه أيضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحسد ويدعو الحسد أيضا الى جحد الحق) أي انكاره (حتى يمنع من قبول النصح) رأسا (و) من (تعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم) أن يحوزه لنفسه (وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه) أو جيرانه (حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع) له والاكرام (بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق التكبر وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه وأما الرياء فهو أيضا يدعو الى أخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة) سابقة (ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس انه أفضل منه) فيسقط مقامه عندهم (فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه) لمعرفته فضله (وأما الذي يتكبر بالعجب أو الحقد أو الحسد فانه يتكبر أيضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهم) وفي نسخة معهما (ثالث وكذلك قد ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب) في انتمائه (ثم يتكبر على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس

أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه أو بغضه له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله وان ظلمه فلا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فانه أيضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضا الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من

واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا أو بغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق المتكبرين وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه * وأما الرياء فهو أيضا يدعو الى أخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس انه أفضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما الذي يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فانه يتكبر أيضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس

ويتقدم عليه في الطرق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوى
النسب ولكن يحمله الرياء على أفعال المتكبرين وكأن اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن
صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاحتقار وهو ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بأفعال الكبر نسأل الله حسن

ويتقدم عليه في الطرق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته) في نفسه (بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على أفعال المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاحتقار وهو وان سمي تكبرا فلاجل التشبيه بافعال الكبر) والله الموفق

(بيان اخلاق المتواضعين وبيان ما يظهر فيه أثر التواضع والكبر)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الكبر يظهر في شمائل الرجل) أي أخلاقه (كصعر في وجهه) أي ازورار (ونظره شزرا) بان يكون بمؤخر عينيه كالمعرض المتغضب (واطراقه رأسه) الى الارض (وجلوسه متربعا أو متكئا و) يظهر أيضا (في أقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد و) يظهر أيضا (في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وفي حركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله) فهو المقيت الممقت (ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض) وهو دون الاول (فمنها) أي من أخلاق المتكبرين (التكبر بان يحب قيام الناس له) اذا ورد عليهم (أو) يحب بان يقوم الناس (بين يديه) كهيئة الغلمان (وقد قال علي كرم الله وجهه من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار) أي ممن يستحق دخولها (فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام) ومعناه في المرفوع من حديث عمرو بن مرة الجهني من أحب أن يتمثل له الرجال بين يديه قياما فليتبوأ مقعده من النار رواه الطبراني في الكبير من حديث معاوية نحوه ورواه أحمد وهناد وأبو داود والترمذي وحسنه وعند ابن جرير بلفظ وجبت له النار (وقال أنس) رضي الله عنه (لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك) تقدم ذلك في كتاب آداب الصحبة وفي كتاب أخلاق النبوة (ومنها أن لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال أبو الدرداء) رضي الله عنه (لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن اسحق حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا بكر بن مضر عن عبيد الله بن زحر عن الهيثم ابن خالد عن سليمان بن عنز قال لقينا كريب بن أبي برهة راكبا ووراءه غلام له فقال سمعت أبا الدرداء يقول فذكره (وكان عبد الرحمن بن عوف) رضي الله عنه (لا يعرف من) بين (عبيده) وغلمانه (اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة) فكان اذا مشى بينهم أو قعد معهم لم يعرف (ومشى قوم خلف الحسن البصري) رحمه الله تعالى وهو راكب على حمار (فمنعهم) عن المشي خلفه (وقال ما يبقى هذا من قلب العبد) أي لانه مذلة للتابع وفتنة للمتبوع وقد تقدم (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيأمرهم بالتقدم) عليه (ويمشي) هو خلفهم أو (في غمارهم) أي جماعتهم (اما للتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وسواس الشيطان بالكبر والعجب) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا انه خرج يمشي الى البقيع فتبعه أصحابه فوقف فأمرهم أن يتقدموا ومشى خلفهم فسئل عن ذلك فقال اني سمعت خفق نعالكم فأشفقت أن يقع في نفسي شئ من الكبر وهو منكر فيه جماعة ضعفاء اه قلت وبخط الحافظ ابن حجر رواه أحمد بسياق مطول وابن ماجه مختصرا (كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لاحد هذين المعنيين) قال

التوفيق والله تعالى أعلم

(بيان أخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر) اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه رأسه وجلوسه متربعا أو متكئا وفي أقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بأن يحب قيام الناس له أو بين يديه وقد قال علي كرم الله وجهه من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال أنس لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك ومنها أن لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال أبو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع بعض الاصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وسواس الشيطان بالكبر والعجب كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لاحد هذين المعنيين

العراقي

ومنها أن لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره فى الدين وهو ضد التواضع روى أن سفيان الثورى قدم الرملة فبعث اليه ابراهيم ابن أدهم أن تعال فحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا أبا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال أردت أن أنظر كيف تواضعه ومنها أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست الى عبد العزيز بن أبى رواد فمس فخذى فخذه فنحيت نفسى عنه فأخذ ثيابى فجرنى الى نفسه وقال لى لم تفعلون بى ما تفعلون بالجبابرة وانى لا أعرف رجلا منكم شرا منى وقال أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها أن يتوقى من مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدرى قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ناس من أصحابه يأكلون فما جلس الى أحد الا قام من جنبه فأجلسه النبى صلى الله عليه وسلم الى جنبه وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا أبرص ولا مبتلى الا أقعدهم على مائدته ومنها أن لا يتعاطى بيده شغلا فى بيته والتواضع خلافه روى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم الى المصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال أفأنبه الغلام فقال هى أول نومة نامها فقام وأخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص منى شئ وخير الناس من كان عند الله متواضعا

العراقى المعروف نزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق أو نزع الخميصة ولبس الانبجانية وكلاهما قد تقدم فى الصلاة (ومنها أن لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره فى الدين وهو ضد التواضع روى أن سفيان) بن سعيد (الثورى) رحمه الله (قدم الرملة) مدينة فلسطين (فبعث اليه ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى يقول له (أن تعال فحدثنا فجاءهم سفيان) فحدثه (فقيل له يا أبا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال أردت أن أنظر كيف تواضعه) أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن أحمد بن اسحق وقال حدثنا أبو بكر بن أبى عاصم حدثنا الحسن بن على حدثنا يحيى بن أيوب قال قال أبو عيسى الحوارى لما قدم سفيان الثورى الرملة أو بيت المقدس أرسل اليه ابراهيم بن أدهم فقال حدثنا فقيل له يا أبا اسحق تبعث اليه بمثل هذه قال انما أردت أن أنظر كيف تواضعه قال فجاء فحدثهم (ومنها أن يستنكف عن جلوس غيره بالقرب منه الا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب) وهو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشى مولاهم أبو محمد المصرى الحافظ الفقيه ثقة عابد مات سنة سبع وتسعين وله اثنتان وسبعون سنة روى له الجماعة (جلست الى عبد العزيز بن أبى رواد) بفتح الراء وتشديد الواو ويكنى أبا عبد الرحمن صدوق عابد مات سنة تسع وخمسين روى له البخارى فى التاريخ والاربعة (فمس فخذى فخذه فنحيت نفسى عنه) أى بعدت عنه فى الجلوس (فأخذ بثيابى فجرنى الى نفسه وقال لى لم تفعلون بى ما تفعلون بالجبابرة) أى فى الجلوس بين أيديهم (وانى لا أعرف منكم رجلا شرا منى وقال أنس) رضى الله عنه (كانت الوليدة من ولائد المدينة) أى الجارية الصغيرة من جواريها (تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت) تقدم فى كتاب آداب المعيشة وفى كتاب أخلاق النبوة (ومنها أن يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر) روى انه (دخل رجل وعليه جدرى قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أصحابه يأكلون فما جلس) الرجل المذكور (الى أحد الا قام من جنبه) تقذراله (فأجلسه النبى صلى الله عليه وسلم الى جنبه) وأطعمه وقد تقدم الكلام عليه قريبا (وكان عبد الله بن عمر) رضى الله عنه (لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا أبرص ولا مبتلى) بعلة (الا أقعدهم على مائدته) وأكل معهم ثقة بالله وتواضعا لله عز وجل (ومنها أن لا يتعاطى بيده شغلا فى بيته والتواضع خلافه روى أن عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (أتاه ليلة ضيف وكان يكتب) شيأ (فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم الى المصباح فاصلحه) استأذنه فى ذلك لانه لا ينبغى للضيف أن يتصرف فى دار من أضافه الا باذنه (فقال) له لا اذ (ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه) لان المأمور به اكرامه والاستخدام يناقض الاكرام (قال فأنبه الغلام) يصلحه (قال) لا (هى) أى النومة (أول نومة نامها) الليلة فلا تشوش عليه نومه (فقام) عمر (وأخذ البطة) التى فيها الدهن (وملأ المصباح زيتا) ورد البطة الى مكانها ثم جلس (فقال الضيف قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين) متعجبا من ذلك لمخالفته عادة الولاة فضلا عن الخلفاء (قال ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص منى شئ وخير الناس من كان عند الله متواضعا) رواه القشيرى فى الرسالة نحوه دون قوله وخير الناس الخ وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا أحمد بن الوليد حدثنا محمد بن كثير حدثنا ابن كثير بن مروان عن رجاء بن حيوة قال سهرت ليلة عند عمر فاعتل السراج فذهبت أقوم أصلحه فأمرنى عمر أن أجلس ثم قام فاصلحه ثم عاد فجلس فقال قمت وأنا عمر بن عبد العزيز وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز ولؤم بالرجل أن يستخدم ضيفه ورواه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد من طريق

عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن فذكر مثله (ومنها أن لا يأخذ متاعه ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك) قال العراقي رواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة في شرائه للسراويل وحمله وقد تقدم قلت وفي حديث أبي سعيد الخدري وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق الى أهله هكذا رواه القشيري في الرسالة بلا سند وسيأتي الكلام عليه قريبا (وقال علي رضي الله عنه لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شئ الى عياله) أورده الموسوي في نهج البلاغة (وكان أبو عبيدة) عامر (بن الجراح) رضي الله عنه (وهو أمير) على دمشق من جهة عمر (يحمل سطلاله من خشب الى الحمام) فيغتسل به ولا يأنف من ذلك تواضعا لله تعالى (وقال ثابت بن أبي مالك) هكذا في سائر نسخ الكتاب وهو غلط من النساخ والصواب ثعلبة بن أبي مالك وهو القرظي حليف الانصار أبو مالك ويقال أبو يحيى المدني امام مسجد بني قريظة له رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابن معين وقال العجلي تابعي ثقة وقال ابن سعد قدم أبو مالك واسمه عبد الله بن سام من اليمن وهو من كندة فتزوج امرأة من قريظة فعرف بهم روى له البخاري وأبو داود وابن ماجه (رأيت أبا هريرة) رضي الله عنه (أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة) أي نائب بالمدينة (لمروان) بن الحكم (فقال أوسع الطريق للامير يا ابن أبي مالك) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا أحمد بن سعيد حدثنا ابن وهب حدثني عمرو بن الحارث عن يزيد بن زياد القرظي ان ثعلبة بن أبي مالك القرظي حدثه ان أبا هريرة أقبل في السوق فذكره وزاد فقلت أصلحك الله تكفي هذا فقال أوسع الطريق للامير والحزمة عليه وقال القشيري في الرسالة سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول رؤي أبو هريرة وهو أمير المدينة وعلى ظهره حزمة حطب وهو يقول طرقوا للامير (وعن الاصبغ بن نباتة) بضم النون التميمي الحنظلي الكوفي يكنى أبا القاسم متروك رمي بالرفض روى له ابن ماجه (قال كأني أنظر الى عمر رضي الله عنه معلقا لحمة في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله) أي منزله رواه يونس بن بكير عن الوليد بن عبدة عن أصبغ بن نباتة قال خرجت أنا وأبي من زرود حتى ننتهي الى المدينة في غلس فانصرف الناس من الصلاة فرفع الينا رجل معه درة فقال يا اعرابي أتبيع فلم يزل حتى راضاه على ثمن واذا هو عمر فجعل يطوف في السوق يأمرهم بتقوى الله فجعل يقبل ويدبر ثم مر على أبي فقال حبستني ثم مر الثانية فقال له كذلك فيرد عليه عمر لا أريم حتى أوفيك ثم مر الثالثة فوثب أبي مغضبا فأخذ بثوب عمر فقال له كذبتني وظلمتني ولهزه فوثب المسلمون اليه يا عدو الله لهزت أمير المؤمنين فأخذ عمر بمجامع ثياب أبي فجره وكان شديدا فانتهى به الى قصاب فقال عزمت عليك لتعطين هذا حقه ولك ربحي قال لا يا أمير المؤمنين ولكن اعطيه وأهب لك ربحك فاعطاه فقال لابي عمر استوفيت قال نعم قال بقي حقنا عليك لهزتك قد تركتها لله قال أصبغ فكأني أنظر الى عمر اخذ ربحه لحما فعلقه في يده اليسرى وفي اليمنى الدرة حتى دخل رحله أخرجه الذهبي في مناقب عمر (وقال بعضهم رأيت عليا رضي الله عنه اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين قال لا أبو العيال أحق أن يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان) قال العراقي رواه أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة بن ثعلبة وقد تقدم قلت وكذلك رواه أحمد والطبراني والحاكم في الكنى والبيهقي وأبو نعيم والضياء من رواية صالح بن أبي صالح عن عبد الله بن أبي أمامة اياس بن ثعلبة الحارثي عن أبيه رفعه قاله ثلاثا (قال هرون) أحد رواة هذا الحديث وهو هرون بن سعيد الايلي السعدي مولاهم أبو جعفر نزيل مصر ثقة فاضل مات سنة ثلاث وخمسين وله ثلاث وثمانون سنة (سألت معنا) يحتمل أن يكون ابن عيسى القزاز من أصحاب مالك أو معن بن محمد بن معن الغفاري (عن البذاذة) وفي بعض النسخ قال هرون سألت عن معنى

ومنها أن لا يأخذ متاعه ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال علي كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شئ الى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلاله من خشب الى الحمام وقال ثابت بن أبي مالك رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال أوسع الطريق للامير يا ابن أبي مالك وعن الاصبغ ابن نباتة قال كأني أنظر الى عمر رضي الله عنه معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم رأيت عليا رضي الله عنه وقد اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لا أبو العيال أحق أن يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان فقال هرون سألت معنا عن البذاذة

البذاذة (فقال هو الدون من الثياب) اعلم أن البذاذة هي رثاثة الهيئة وترك الترفه في البدن والملبس وجعله من أخلاق أهل الايمان لان المؤمن يؤثر الخمول بين الناس ويقصد التواضع و يزهد في الدنيا ويكف نفسه عن الفخر والكبرياء فالبذاذة أليق به هذا اذا قصد به ذلك لا ان يتظاهر به الفقر و يصون المال فليس هذا من الايمان بل عرض النعمة للكفران وأعرض عن شكر المنعم المنان (وقال زيد بن وهب) الجهني أبو سليمان الكوفي مخضرم ثقة جليل مات بعد الثمانين وقيل سنة تسعين روى له الجماعة (رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق و بيده الدرة وعليه ازار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من ادم) رواه علي بن هاشم عن الاعمش عن زيد بن وهب وقال أسد بن موسى حدثنا أبو سفيان عطية سمعت مالك بن دينار حدثني نافع حدثني ابن عمر انه رأى عمر يرمي الجمرة عليه ازار فيها اثنتا عشرة رقعة بعضها من ادم وقال أسباط بن محمد عن خالد عن أبي كريمة عن أبي محصن الطائي صلى بنا عمر وعليه ازار فيه رقاع بعضها من ادم وهو أمير المؤمنين وقال عفان حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا الجريري عن أبي عثمان النهدي قال رأيت عمر يطوف عليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة احداهن من ادم أحمر وقال حماد بن زيد عن ابن جدعان عن أبي عثمان قال رأيت ازار عمر قد رقعه بقطعة من ادم وقال جعفر بن سليمان حدثنا مالك بن دينار حدثنا الحسن ان عمر خطب وهو خليفة وعليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة وقال معمر عن ثابت عن أنس قال نظرت في قميص عمر فاذا بين كتفيه أربع رقاع لا يشبه بعضها بعضا وقال سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال كان بين كتفي عمر ثلاث رقاع وقال حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال كنا عند عمر وفي ظهر قميصه أربع رقاع (وعوتب علي كرم الله وجهه في ازار مرقوع فقال يقتدي به المؤمن و يخشع له القلب) رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد عن علي بن حكيم ورواه أبو القاسم البغوي عن علي بن الجعد قالا حدثنا شريك عن عثمان بن أبي زرعة عن زيد بن وهب قال قدم على علي وفد من أهل البصرة فيهم رجل من رؤس الخوارج يقال له الجعد بن بعجة فعاتب عليا في لبوسه فقال علي مالك وللبوسي ان لبوسي أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي به المسلم (وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب) أي يورث العجب في القلب (وقال طاوس) اليماني رحمه الله تعالى (اني لاغسل ثوبي هذين فأنكر قلبي ماداما نقيين) اشارة الى ما يداخله من العجب في الباطن (و يروى أن عمر بن عبد العزيز) رحمه الله (كان قبل أن يستخلف تشترى له الحلة) ازار أورداء (بألف دينار فيقول ما أجودها) وما أحسنها (لولا خشونة فيها) عند المشي (فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما أجوده) وما أحسنه (لولا لينه فقيل له أين لباسك ومركبك وعطرك) الذي كنت تختاره لنفسك (فقال ان لي نفسا ذوّاقة توّاقة) كثيرة الذوق والتوقان (وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت) طعم (الخلافة) على الامة (وهي أرفع الطبقات تاقت الى ما عند الله) عز وجل قال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا عبد الله بن الحسين المطي حدثنا الحسين بن محمد الزعفراني حدثنا سعيد بن عامر حدثنا جويرية بن أسماء قال قال عمر ان نفسي هذه توّاقة لم تعط من الدنيا شيأ الا تاقت الى ما هو أفضل منه فلما أعطيت الذي لا شئ أفضل منه تاقت الى ما هو أفضل منه قال سعيد الجنة أفضل من الخلافة حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا شعيب بن صفوان عن محمد بن مروان عن أبان بن عثمان بن عفان عن سمع مزاحما مولى عمر بن عبد العزيز يقول قال عمر ان لي نفسا توّاقة لقد رأيتني بالمدينة وأنا غلام مع الغلمان ثم تاقت نفسي الى العلم فاصبت منه حاجتي ثم تاقت نفسي الى السلطان فاستعملت على المدينة ثم تاقت الى اللباس والعيش والطيب فما علمت ان أحدا من أهل بيتي ولا غيرهم كانوا في مثل ما كنت فيه ثم تاقت نفسي الى الآخرة والعمل بالعدل فانا أرجو ان أنال ما تاقت اليه نفسي من

فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق و بيده الدرة وعليه ازار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم وعوتب علي كرم الله وجهه في ازار مرقوع فقال يقتدي به المؤمن و يخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء في القلب وقال طاوس اني لأغسل ثوبي هذين فأنكر قلبي ماداما نقيين و يروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشترى له الحلة بألف دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما أجوده لولا لينه فقيل له أين لباسك ومركبك وعطرك يا أمير المؤمنين فقال ان لي نفسا ذوّاقة توّاقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي أرفع الطباق تاقت الى ماعند الله عز وجل

وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ان الله قد أعطاك فلو لبست فنكس رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال ان أفضل القصد عند الجدة وان أفضل العفو عند القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من ترك زينة لله و وضع ثيابا حسنة (٣٨٢) تواضعا لله وابتغاء لمرضاته كان حقا على الله أن يدخله عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال انى امرؤ حبب الى من الجمال ماترى فعرف ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اذا رآه الناس ولا يبالى اذا انفرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال فى كل شئ ولو فى خلوته وحتى فى ستور داره فذلك ليس من التكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله خيلاء القلب يعنى قد تورث خيلاء فى القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعنى ان الكبر لا يوجبه و يجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر و بالجملة فالاحوال تختلف فى مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذى لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة وقد قال صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده

أمر آخرتى (وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ان الله قد أعطاك فلو لبست فنكس رأسه مليا) أى زمانا (ثم رفع رأسه فقال ان أفضل القصد) أى الاقتصاد (عند الجدة) أى عند الغنى (وان أفضل العفو عند القدرة) أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن محمد بن ابراهيم قال حدثنا الحسين بن محمد الحرانى حدثنا أبو الحسين الرهاوى حدثنا زيد بن الحباب أخبرنى معاوية بن صالح قال حدثنا سعيد بن سويد ان عمر بن عبد العزيز صلى بهم الجمعة ثم جلس فذكره (وقال صلى الله عليه وسلم من ترك زينة لله و وضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء مرضاته كان حقا على الله ان يدخله عبقرى الجنة) قال العراقى رواه أبو سعد المالينى فى مسند الصوفية وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة الدنيا لله الحديث وفى اسناده نظر اهـ قلت ورواه أبو على الذهلى الهروى فى فوائده وابن النجار بلفظ من ترك زينة لله و وضع ثيابا حسنة تواضعا له وابتغاء وجهه كان حقا على الله ان يكسوه من عبقرى الجنة ولفظ أبى نعيم فى الحلية كان حقا على الله ان يبدله بعبقرى الجنة وروى الترمذى والطبرانى وأبو نعيم والحاكم والبيهقى من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه رفعه من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره من أى حلل الايمان شاء يلبسه واسناده حسن (فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب) كما ذكر قريبا (وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال فى الثياب هل هو من الكبر) والسائل هو ثابت بن قيس بن شماس عند الطبرانى كما تقدم (قال لا ولكن من سفه الحق) أى جهله أو رده (وغمص الناس) أى احتقرهم وقد تقدم قريبا (فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر فى حق كل أحد فى كل حال وهو الذى أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى عرفه صلى الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس) بن شماس (اذ قال) له (انى امرؤ حبب الى من الجمال ماترى) كما تقدم (فعرفه) صلى الله عليه وسلم (ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون) ليس من ضرورته ان يكون من التواضع و (قد يكون) ذلك (من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اذا رآه الناس ولا يبالى اذا انفرد بنفسه كيف كان وعلامة طلب الجمال ان يحب الجمال فى كل شئ ولو فى خلوته) بنفسه (حتى فى ستور داره (فذلك ليس من الكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام) السابق (على بعض الاحوال على ان قوله هو خيلاء القلب يعنى قد تورث خيلاء فى القلب) أى مظنة له (وقول نبينا صلى الله عليه وسلم ليس من الكبر يعنى ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر و بالجملة فالاحوال تختلف فى مثل هذا) وينزل كل قول على حال (والمحبوب الوسط من اللباس الذى لا يوجب شهرة) واشارة اليه بالاصابع (بالجودة ولا بالرداءة) فما أوجب فى كل منهما شهرة فهو مكروه (وقد قال صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب ان يظهر أثر نعمته على عبده) قال العراقى هما حديثان وقد جعلهما المصنف حديثا واحدا أما الاول فرواه النسائى وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والثانى رواه الترمذى وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده اهـ قلت لم يجعلهما المصنف

حديثا

وقال بكر بن عبد الله المزنى البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب أهل الصلاح وقد قال عيسى عليه السلام مالكم ماتأتونى وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية ومنها أن يتواضع بالاحتمال اذا سب وأوذى وأخذ حقه فذلك هو الاصل وقد أوردنا مانقل عن السلف من احتمال الاذى فى كتاب الغضب والحسد و بالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فيه فينبغى ان يقتدى به ومنه ينبغى ان يتعلم وقد قال ابن أبى سلمة قلت لابى سعيد الخدرى ماترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن أخى كل لله واشرب لله والبس لله وكل شئ من ذلك دخله زهو ومباهاة أو رياء أوسمعة فهو معصية وسرف وعالج فى بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته كان يعلف الناضح و يعقل البعير و يقم البيت و يحلب الشاة و يخصف النعل و يرقع الثوب و يأكل مع خادمه و يطحن عنه اذا أعيا و يشترى الشئ من السوق ولايمنعه الحياء ان يعلقه بيده أو يجعله فى طرف ثوبه و ينقلب الى أهله يصافح الغنى والفقير والكبير والصغير و يسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير أو كبير أسود أو أحمر حر أو عبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لايستحى من أن يجيب اذا دعى وان كان أشعث أغبر ولايحقر مادعى اليه وان لم يجد الاحشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولاعشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك

حديثا واحدا من عند نفسه بل هكذا رواه فى سياق واحد أحمد والحاكم والبيهقى وتمام فى فوائده من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولفظهم كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا فى غير مخيلة ولا سرف فان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده وقد روى القطعة الاولى منه النسائى وابن ماجه كما أشار اليه العراقى وروى الترمذى القطعة الثانية كما أشار اليه العراقى أيضا ورواها سمويه فى فوائده من حديث أبى سعيد بزيادة و يبغض البؤس والتباؤس (وقال بكر بن عبد الله المزنى) تقدمت ترجمته فى كتاب العلم (البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية) وأخرج أبو نعيم فى ترجمته من طريق مبارك بن فضالة قال قال بكر بن عبد الله قال أعيش عيش الاغنياء وأموت موت الفقراء قال فمات وان عليه لشيأ من دين وأخرج أيضا من طريق معمر عن حميد قال كانت قيمة ثياب بكر بن عبد الله أربعة آلاف فكان يجالس الفقراء والمساكين و يقول انهم يحبهم ذلك ومن طريق عمرو بن أبى وهب قال قال بكر بن عبد الله كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يلبسون لا يطعنون على الذين لا يلبسون والذين لا يلبسون لا يطعنون على الذين يلبسون (وانما خاطب) بكر بن عبد الله (بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب أهل الصلاح وقد قال عيسى عليه السلام مالكم تأتونى وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى) أى مولعة بالنهش (البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية) من الله عز وجل أى فالعمدة على اصلاح الباطن (ومنها) أى من أخلاق المتواضعين (ان يتواضع بالاحتمال اذا سب وأوذى وأخذ حقه) غصبا (فذلك هو الاصل وقد أوردنا مانقل عن السلف من احتمال الاذى فى كتاب الغضب والحسد و بالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ينبغى ان يقتدى ومنه ينبغى ان يتعلم وقد قال أبو سلمة) بن عبد الرحمن بن عوف تابعى مدنى ثقة (قلت لابى سعيد الخدرى) رضى الله عنه (ماترى فيما أحدث الناس من الملبس والمركب والمطعم والمشرب فقال يا ابن أخى كل لله واشرب لله والبس لله وكل شئ من ذلك دخله زهو) أى عجب (أو مباهاة) أى مفاخرة (أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف وعالج فى بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج فى بيته كان يعلف الناضح) أى البعير أى يطعمه العلف (و يعقل البعير) أى يشده بالعقال وعند الطبرانى من حديث ابن عباس كان يعقل الشاة (و يقم البيت) أى يكنسه (و يحلب الشاة و يخصف النعل و يرقع الثوب) وروى أبو نعيم فى الحلية من حديث عائشة كان يفلى ثوبه و يحلب شاته و يخدم نفسه وروى ابن سعد من حديثها كان يعمل عمل البيت وأكثر مايعمل الخياطة وروى ابن عساكر من حديث أبى أيوب كان يخصف النعل و يرقع القميص و يلبس الصوف (و يأكل مع خادمه) تواضعا لله تعالى (و يطحن عنه) بالرحى (اذا أعيا) أى تعب (و يشترى الشئ من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده أو يجعله فى طرف ثوبه و ينقلب الى أهله يصافح الغنى والفقير والصغير والكبير و يسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير أو كبير أو اسود أو أحمر حر أو عبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه) الا أن البيهقى روى من حديث جابر انه كان له برد يلبسه فى العيدين والجمعة (لا يستحى من أن يجيب اذا دعى وان كان) الداعى (أشعث أغبر) وعند ابن ماجه من حديث أنس كان يجيب دعوة المملوك (ولا يحقر مادعى اليه) ولو كان قليلا أو حقيرا (وان لم يجد الا حشف الدقل) وهو ردىء التمر (لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء) وقد روى عن عطاء عن أبى سعيد نحوه كما سيأتى التنبيه عليه (هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك) أى كثير التبسم من غير مجاوزة فيه كما روى من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء

محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يتجشأ قط من شبع ولم يمد يده من طمع قال أبو سلمة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتها بما قال أبو سعيد في زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما أخطأ منه حرفا ولقد قصر اذ ما أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث الى أحد شكوى وان كانت الفاقة لاحب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسأل ربه فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الارض ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما أوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم وقدموا على ربهم فاكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر أياما يسيرة احب الي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شئ احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل فما نقل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما أشد جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام

(محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق) أي النظر الى الارض (لم يتجشأ قط من شبع ولم يمد يده الى طمع قال أبو سلمة) بن عبد الرحمن (فدخلت على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فحدثتها بما قال أبو سعيد) الخدري رضي الله عنه (في زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما أخطأ منه حرفا واحدا ولقد قصر اذ ما أخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث الى أحد شكوى وان كانت الفاقة لاحب اليه من اليسار والغنى وان كان) صلى الله عليه وسلم (ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسأل ربه فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل) أي لم يكن ذلك من اضطرار به اليه ولكنه اختار ما عند الله (وربما بكيت رحمة له مما أوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم وقدموا على ربهم فاكرم مآبهم) أي منصرفهم (وأجزل) أي وفر (ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت) أي توسعت (في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر أياما يسيرة أحب الي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شئ أحب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل) قال العراقي في حديث أبي سعيد الخدري وعائشة قال الخدري لابي سلمة عالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يعلف الناضح الحديث وفيه قال أبو سلمة فدخلت على عائشة فحدثتها بذلك عن أبي سعيد فقالت ما أخطأ منه حرفا ولقد قصر وما أخبرك انه لم يمتلئ شبعا قط الحديث بطوله لم أقف لهما على اسناد اهـ قلت روى أبو نعيم في الحلية من طريق الوضين بن عطاء حدثنا عطاء بن أبي رباح قال دعي أبو سعيد الخدري الى وليمة وأنا معه فرأى صفرة وخضرة فقال أما تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد (فما نقل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به) فان في الاقتداء به مقنعا له (ومن رأى نفسه فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما أشد جهله) وما أكثر حمقه (فلقد كان) صلى الله عليه وسلم (أعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به) والاستنان بسنته (ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم أعزنا الله بالاسلام ولا نطلب العز في غيره) قال ذلك (لما عوتب في بذاذة هيئته) أي رثاثتها (عند دخوله الشام) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن أحمد حدثنا عبد الرحمن بن محمد المقري حدثنا يحيى بن الربيع حدثنا سفيان عن أيوب الطائي عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع خفيه وأمسكهما وخاض الماء ومعه بعيره فقال أبو عبيدة لقد صنعت اليوم صنيعا عظيما عند أهل الارض فصك في صدره وقال أوه لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة انكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس فاعزكم الله برسوله فمهما تطلبون العزة بغيره يذلكم الله رواه الاعمش عن قيس بن مسلم مثله حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن شبل حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن اسمعيل عن قيس قال لما قدم عمر الشام استقبله الناس وهو على بعيره فقالوا يا أمير المؤمنين لو ركبت برذونا يلقاك عظماء الناس ووجوههم فقال عمر لا أراكم ههنا انما الامر من ههنا واشار بيده الى السماء خلوا سبيل جملي اهـ قلت وروى الحافظ الذهبي من طريق قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب نحوا مما رواه أبو نعيم وفيه فقيل له يا أمير المؤمنين الآن يلقاك الجنود والبطارقة وأنت هكذا فقال انا قوم أعزنا

وقال أبو الدرداء اعلم أن لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم أوتاد الارض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تجبن وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله

واستخلصهم لنفسه وهم أربعون صديقا أو ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام لايموت الرجل منهم حتى يكون الله قد انشأ من يخلفه واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيأ ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرصون على الدنيا هم أطيب الناس خبرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لاتدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله واشتياقا اليه وقدما في استباق الخيرات أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد على من تلك الصفة وكيف لي أن أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون في أوسعها الا أن تكون تبغض الدنيا فانك اذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله من عبد حسن الطلب افرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن أخي ان ذلك في كتاب الله تعالى المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى ابن كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته اللهم اجعلنا من محبي المحبين لك يارب العالمين فانه لا يصلح لحبك الا من ارتضيته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الله بالاسلام فلن نلتمس العز بغيره (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (اعلم ان لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم أوتاد الارض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم أقواما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن خلقة) وفي نسخة حلية ولفظ النوادر ولا تسبيح (لكن بصدق الورع) ولفظ النوادر ولكن بحسن الخلق وصدق الورع (وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تجبر وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم أربعون صديقا ثلاثون رجلا منهم قلوبهم على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام لايموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه) أي يصير خلفا له (واعلم يا أخي انهم لا يلعنون شيأ) أي لان الصديق لا يكون لعانا كما ورد في الخبر وتقدم في آفات اللسان (ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون أحدا) على ما آتاه الله من فضله (ولا يحرصون على الدنيا هم أطيب الناس خبرا) بضم فسكون أي مخبرا (وألينهم عريكة) أي طبيعة (وأسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومون على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لاتدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله واشتياقا اليه وقدما في استباق الخيرات أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي قلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة هي أشد علي من هذه الصفة فكيف لي ان أبلغها قال ما بينك وبين ان تكون في أوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك اذا بغضت الدنيا اقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا أخي ان ذلك في كتاب الله المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن كثير) الكاهلي الكوفي لين الحديث روى له أبو داود قال الذهبي في الديوان هو معاصر للاعمش مجهول وضعفه النسائي وفي رجال ابن ماجه يحيى بن كثير عن أيوب قال الدارقطني متروك اما يحيى بن كثير بن درهم العنبري البصري فثقة معروف (فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته) هكذا أورده الحكيم الترمذي في نوادر الاصول بطوله من قول أبي الدرداء اعلم ان حديث الابدال قد روي عن جماعة من الصحابة مرفوعا وموقوفا منهم أنس بن مالك وعبادة بن الصامت وعبد الله بن عمر وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعوف بن مالك وأبو هريرة ومعاذ بن جبل أما حديث أنس فله طرق بالفاظ مختلفة منها للخلال في كرامات الاولياء والديلمي في مسند الفردوس بلفظ الابدال أربعون رجلا وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا واذا ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة ومنها للطبراني في الاوسط بلفظ لن تخلو الارض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن فبهم يسقون وبهم ينصرون ما مات منهم أحد الا أبدل الله مكانه آخر واسناده حسن ومنها لابن عدي في كامله بلفظ البدلاء أربعون رجلا اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق وكلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة وقد رواه أيضا الحكيم في نوادر الاصول والخلال في كرامات الاولياء ومنها ان بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين رواه الدارقطني في كتاب الاجواد وابن لال في مكارم الاخلاق وقد رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث أبي سعيد به

نحوه وقال فضيل بن عياض لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة وانما أدرك بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للامة وأما حديث عبادة بن الصامت فلفظه الابدال فى هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا رواه أحمد والحكيم والخلال فى كرامات الاولياء واسناده حسن وقال الهيثمى رجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الواحد بن قيس وثقه العجلى وأبو زرعة وضعفه غيرهما وروى لا يزال فى هذه الامة ثلاثون مثل ابراهيم خليل الرحمن كلما مات واحد أبدل الله مكانه آخر وروى أحمد والخلال وهو عند الطبرانى فى الكبير بلفظ لا يزال فى أمتى ثلاثون بهم تقوم الارض وبهم يمطرون وبهم ينصرون وأما حديث عبد الله بن عمر فاخرجه الطبرانى فى الكبير وعنه أبو نعيم فى الحلية قال حدثنا محمد بن الحرث حدثنا سعيد بن ابى زيدون حدثنا عبد الله بن هرون الصورى حدثنا الاوزاعى عن الزهرى عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار أمتى فى كل قرن خمسمائة والابدال اربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما مات رجل ابدل الله من الخمسمائة مكانه وادخل من الاربعين مكانهم قالوا يا رسول الله دلنا على اعمالهم قالوا يعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من اساء اليهم ويتواسون فيما آتاهم الله وقد رواه كذلك ابن عساكر وفى لفظ للخلال لا يزال أربعون رجلا يحفظ الله بهم الارض كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر وهم فى الارض كلها وأما حديث على بن أبى طالب فيروى بلفظ الابدال ستون رجلا ليسوا بالمتنطعين ولا بالمبتدعين ولا بالمتعمقين ولا بالمعجبين لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكن بسخاء الانفس وسلامة القلوب والنصيحة لائمتهم انهم يا على فى أمتى أقل من الكبريت الاحمر رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الاولياء والخلال فى كراماتهم ولاحمد فى مسنده من طريق ابن شريح يعنى ابن عبيد قال ذكر أهل الشام عند على رضى الله عنه وهو بالعراق فقالوا العنهم يا أمير المؤمنين فقال لا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول البدلاء وفى لفظ الابدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الاعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب ورجاله من رواة الصحيح الا شريحا وهو ثقة ورواه أيضا الطبرانى والحاكم من طرق تنوف على العشرة وأما حديث عبد الله بن مسعود فقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا محمد بن السرى القنطرى حدثنا قيس بن ابراهيم بن قيس السامرى حدثنا عبد الرحيم بن يحيى حدثنا عثمان بن عمارة حدثنا المعافى بن عمران عن سفيان الثورى عن منصور عن ابراهيم عن الاسود عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله فى الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ولله فى الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام ولله فى الخلق سبعة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ولله فى الخلق خمسة قلوبهم على قلب عزرائيل عليه السلام ولله فى الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ولله فى الخلق واحد قلبه على قلب اسرافيل عليه السلام فاذا مات الواحد ابدل الله مكانه من الثلاثة واذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة واذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة واذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الاربعين واذا مات من الاربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة واذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة فبهم يحيى ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء قيل لابن مسعود كيف بهم يحيى ويميت قال لانهم يسألون الله اكثار الامم فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون ويسألون فتنبت لهم الارض ويدعون فتدفع عنهم أنواع البلاء وأما حديث عوف بن مالك فاخرجه الطبرانى وابن عساكر بلفظ الابدال فى أهل الشام وبهم ينصرون وبهم يرزقون وأما حديث أبى هريرة فاخرجه ابن حبان فى تاريخه بلفظ لن تخلو الارض من ثلاثين مثل ابراهيم خليل الرحمن بهم يعافون وبهم يرزقون وبهم يمطرون واسناده حسن وأما حديث معاذ بن جبل فاخرجه أبو عبد الرحمن

السلمى

السلمى فى سنن الصوفية والديلمى بلفظ ثلاث من كن فيه فهو من الابدال الذين بهم قوام الدنيا وأهلها الرضا بالقضاء والصبر على محارم الله والغضب فى ذات الله وقد روى موقوفا على على بلفظ لاتسبوا أهل الشام جما غفيرا فان بها الابدال قالها ثلاثا أخرجه عبد الرزاق ومن طريقه البيهقى فى الدلائل بل أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه من قوله وكلهم رووه من طريق عبد الله بن صفوان عن على وهذه الرواية صححها الضياء فى المختارة ولفظ الحاكم لاتسبوا أهل الشام فان فيهم الابدال وقد رواه الطبرانى فى الاوسط وابن عساكر فى التاريخ من حديث على مرفوعا ومن المراسيل ما رواه أبو داود فى مراسيله والحاكم فى الكنى من حديث عطاء بن أبى رباح الابدال من الموالى زاد الحاكم ولا يبغض الموالى الا منافق وفى مسنده رحال بن سالم منكر الحديث ومنها ما رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الاولياء عن بكر بن خنيس مرفوعا مرسلا علامة أبدال أمتى انهم لا يلعنون شيأ أبدا وقال السخاوى هو مرفوع معضل وأما الآثار فسيأتى ذكرها وقد أورد ابن الجوزى أحاديث الابدال فى الموضوعات وطعن فيها واحدا واحدا وتعقبه الحافظ السيوطى بان خبر الابدال صحيح وان شئت قلت متواترا وأطال ثم قال مثل هذا بالغ حد التواتر المعنوى بحيث يقطع بصحة وجود الابدال ضرورة انتهى وقال الحافظ ابن حجر فى فتاويه الابدال وردت فى عدة أخبار منها ما يصح ومنها ما لا يصح وأما القطب فورد فى بعض الآثار وأما الغوث بالوصف المشتهر بين الصوفية فلم يثبت انتهى وبهذا يظهر بطلان زعم ابن تيمية انه لم يرد لفظ الابدال فى خبر صحيح ولا ضعيف الا فى خبر منقطع وليته نفى الرؤية بل نفى الوجود وكذب من ادعى الورود فهذه الاخبار وان فرض ضعفها جميعها لكن لا ينكر تقوى الحديث الضعيف بكثرة طرقه وتعدد مخرجيه قال المصنف رحمه الله تعالى وانما استتر الابدال عن أعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله وهم عند أنفسهم الجهلاء علماء اه ورأى بعضهم النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال أين بدلاء أمتك فأومأ بيده نحو الشام قال فقلت يا رسول الله اما بالعراق منهم أحد قال بلى وسمى جماعة ومما يتقوى به هذا الحديث ويدل لانتشاره بين الائمة قول الامام الشافعى رحمه الله تعالى فى بعضهم كنا نعده من الابدال وقول البخارى فى غيره كانوا لا يشكون انه من الابدال وكذا وصف غيرهما من النقاد والحفاظ والائمة غير واحد بانهم من الابدال وقال بعضهم الابدال أكلهم فاقة وكلامهم ضرورة وقال بعضهم علامة الابدال ان لا يولد لهم وعن معروف الكرخى قال من قال اللهم ارحم أمة محمد فى كل يوم كتبه الله من الابدال وهو فى الحلية بلفظ من قال كل يوم اللهم اصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد كتب من الابدال وقال يزيد بن هرون الابدال هم أهل العلم وقال أحمد ان لم يكونوا أصحاب الحديث فمن هم وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن مقسم حدثنا الياس بن يوسف الشكلى حدثنى محمد بن عبد الملك قال قال عبد البارى قلت لذى النون المصرى صف لى الابدال فقال انك لتسألنى عن دياجى الظلم لاكشفنها لك عبد البارى هم قوم اذا ذكروا الله بقلوبهم تعظيما لربهم لمعرفتهم بجلاله فهم حجج الله على خلقه ألبسهم النور الساطع من محبته ورفع لهم أعلام الهداية الى مواصلته وأقامهم مقام الابطال لارادته وأفرغ عليهم الصبر عن مخالفته وطهر أبدانهم بمراقبته وطيبهم بطيب أهل معاملته وكساهم حللا من نسج مودته ووضع على رؤسهم تيجان مسرته ثم أودع القلوب من ذخائر الغيوب فهى معلقة بمواصلته فهمومهم اليه ثائرة وأعينهم اليه بالغيب ناظرة الى آخر ما قاله وروى الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول ان الارض اشتكت الى ربها انقطاع النبوة فقال تعالى سوف أجعل على ظهرك أربعين صديقا كلما مات منهم رجل أبدلت مكانه رجلا ولذلك سموا ابدالا فهم أوتاد الارض وبهم تقوم الارض وبهم يمطرون وقال القطب أبو العباس المرسى قدس سره جلت فى الملكوت فرأيت أبا مدين معلقا بساق العرش رجل أشعر أزرق العين فقلت له ما علومك وما مقامك قال علومى أحد وسبعون علما ومقامى رابع الخلفاء ورأس الابدال السبعة قلت

فالشاذلى قال ذالك بحر لا يحاط به وقال المرسى أيضا كنت جالسا بين يدى أستاذى الشاذلى فدخل جماعة فقال هؤلاء ابدال فنظرت ببصيرتى فلم أرهم ابدالا فتحيرت فقال الشيخ من بدلت سيآته حسنات فهو بدل فعلمت انه أول مراتب البدلية وأخرج ابن عساكر ان ابن المثنى سأل أحمد بن حنبل ماتقول فى بشر بن الحرث قال رابع سبعة من الابدال وقال بلال الخواص فيما رويناه فى مناقب الشافعى وفى رسالة القشيرى كنت فى تيه بنى اسرائيل فاذا رجل يماشينى فتعجبت منه وألهمت انه الخضر فقلت بحق الحق من أنت قال أنا أخوك الخضر فقلت له أريد ان أسالك قال سل قلت ماتقول فى الشافعى قال هو من الاوتاد قلت فما تقول فى أحمد قال رجل صديق قلت فما تقول فى بشر بن الحرث قال رجل لم يخلق بعده مثله قلت فبأى وسيلة رأيتك قال ببرك أمك وفى تاريخ الخطيب عن أبى بكر الكتانى قال النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والبدلاء أربعون والاخيار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد فسكن النقباء المغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن البدلاء الشام والاخيار سياحون فى الارض والعمد فى زوايا الارض ومسكن الغوث مكة

(فصل) قال الشيخ الاكبر قدس سره فى كتاب حلية الابدال أخبرنى صاحب لنا قال بينا أنا ليلة فى مصلاى قد أكملت وردى وجعلت رأسى بين ركبتى أذكر الله تعالى اذ حسست بشخص قد نفض مصلاى من تحتى وبسط عوضه حصيرا وقال صل عليه وباب بيتى على مغلق فداخلنى منه الفزع فقال لى من يانس بالله لم يجزع ثم قال اتق الله فى كل حال ثم انى ألهمت الصوت فقلت ياسيدى بماذا يصير الابدال ابدالا فقال بالاربعة التى ذكرها أبو طالب فى القوت الصمت والعزلة والجوع والسهر ثم انصرف ولا أعرف كيف دخل ولا خرج وبابى مغلق انتهى قال الشيخ الاكبر وهذا رجل من الابدال اسمه معاذ بن أشرس والاربعة المذكورة هى عماد هذا الطريق الاسنى وقوائمه ومن لاقدم له فيها ولا رسوخ تاه عن طريق الله تعالى وفى ذلك قلت

يامن أراد منازل الابدال * من غير قصد منه للاعمال
لاتطمعن بها فلست من أهلها * ان لم تزاحمهم على الاحوال
واصمت بقلبك واعتزل عن كل من * يدنيك من غير الحبيب الدالى
واذا سهرت وجعت نلت مقامهم * وصحبتهم فى الحل والترحال
بيت الولاية قسمت أركانه * ساداتنا فيه من الابدال
ما بين صمت واعتزال دائم * والجوع والسهر النزيه العالى

(تنبيه) لاتناقض بين أخبار الاربعين والثلاثين لان الجملة أربعون رجلا منهم ثلاثون قلوبهم على قلوب ابراهيم وعشرة ليسوا كذلك فلا خلاف كما صرح به خبر أبى هريرة عند الحكيم الترمذى وقال الشيخ الاكبر قدس سره الاوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم أربعة فقط وهم أخص من الابدال والامامان أخص منهم والقطب أخص الجماعة والابدال لفظ مشترك يطلقونه على من تبدلت أوصافه المذمومة بالمحمودة ويطلقونه على عدد خاص وهم أربعون وقيل ثلاثون وقيل سبعة وانما سموا ابدالا لانه اذا مات واحد منهم أبدل أولانهم أعطوا من القوة أن يتركوا بدلهم حيث يريدون ولكل وتد من الاوتاد الاربعة ركن من أركان البيت ويكون على قلب نبى من الانبياء فالذى على قلب آدم له الركن الشامى والذى على قلب ابراهيم له الركن العراقى والذى على قلب يحيى له الركن اليمانى والذى على قلب محمد صلى الله عليه وسلم له ركن الحجر الاسود وهو لنا بحمد الله تعالى وقال فى الفتوحات قوله فى حديث على قلب ابراهيم وفى حديث آخر على قلب آدم وكذا قوله فى غير هؤلاء ممن هو على قلب شخص من أكابر البشر أو الملائكة معناه انهم يتقلبون فى المعارف الالهية بدل ذلك الشخص اذ كانت واردات العلوم الالهية انما ترد على القلوب فكل علم يرد على قلب ذلك الكبير من ملك أو رسول يرد على هذه القلوب التى هى على قلبه وربما يقول بعضهم فلان على قدم فلان ومعناه ماذكرو الله أعلم

*(بيان

(بيان الطريق فى معالجة الكبر واكتساب التواضع له) اعلم أن الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شئ منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمنى بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفى معالجته مقامات أحدها استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها فى القلب الثانى دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التى بها يتكبر الانسان على غيره *(المقام الاول)* فى استئصال أصله وعلاجه علمى وعملى ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما أما العلمى فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك فى ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء الا بالله أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا يطول ولكنا نذكر من ذلك ما ينفع فى اثارة التواضع والمذلة ويكفيه أن يعرف معنى آية واحدة فى كتاب الله فان فى القرآن علم الاولين والآخرين ان فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره فقد أشارت الآية الى أول خلق الانسان والى آخر أمره والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الانسان فهو انه لم يكن شيأ مذكورا وقد كان فى حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه أول وأى شئ أخس وأقل من المحو والعدم وقد كان كذلك فى القدم ثم خلقه الله من أرذل الاشياء ثم من أقذرها اذ قد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيأ مذكورا فما صار شيأ مذكورا الا وهو على أخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق فى ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه

(بيان الطريق فى معالجة الكبر واكتساب التواضع له)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شئ منه) الا من عصمه الله تعالى (وازالته فرض عين) أى بمنزلته (ولا يزول بمجرد التمنى) والتشهى (بل بالمعالجة) والرياضة وتهذيب النفس (واستعمال الادوية القامعة له وفى معالجته مقامات أحدهما استئصال أصله من سنخه) بكسر السين المهملة وسكون النون والخاء المعجمة وسنخ كل شئ أصله والجمع أسناخ (وقلع شجرته من مغرسها فى القلب الثانى دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التى بها يتكبر الانسان على غيره المقام الاول فى استئصال أصله وعلاجه علمى وعملى ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما أما العلمى فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك فى ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل فانه لا يليق به الا التواضع والمذلة والمهانة) فتلك أخص أوصافه (واذا عرف ربه) حق المعرفة (علم انه لا تليق العظمة والكبرياء) والجلال والمهابة (الا بالله) عز وجل (أما معرفة ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا يطول لكن نذكر من ذلك علم ما ينفع فى اثارة) التواضع (والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى آية واحدة فى كتاب الله تعالى فان فى القرآن علم الاولين والآخرين لمن فتحت بصيرته) فقد روى الديلمى من حديث أنس من أراد علم الاولين والآخرين فليتبوأ القرآن (وقد قال الله عز وجل قتل الانسان ما أكفره) دعاء عليه بأشنع الدعوات وتعجب من افراطه فى الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ (من أى شئ خلقه) بيان لما أنعم عليه خصوصا من بعد عمومه والاستفهام للتحقير ولذلك أجاب عنه بقوله (من نطفة خلقه فقدره) أى هيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال أو فقدره أطوارا الى ان تم خلقه (ثم السبيل يسره) أى ثم سهل مخرجه من بطن أمه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس أو ذلل له سبيل الخير والشر وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه ايماء بان الدنيا طريق والمقصود غيرها ولذلك عقبه بقوله (ثم أماته فاقبره ثم اذا شاء أنشره) وعد الاماتة والاقبار فى النعم لان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفى اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين فى نفسه انما هو موكول الى مشيئته (فقد أشارت الآية الى أول خلق الانسان والى آخره والى أوسطه فلينظر الانسان ذلك) ببصيرته (ليفهم معنى هذه الآية أما أول الانسان فهو انه لم يكن شيأ مذكورا) كما قال تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا (وقد كان فى كتم العدم) وفى نسخة فى حيز العدم (دهورا) أى أزمنة متطاولة (بل لم يكن لعدمه أول وأى شئ أخس وأقل من المحو والعدم وقد كان كذلك فى القدم ثم خلقه الله من أرذل الاشياء) وفى نسخة من أذل الاشياء (ثم من أقذرها اذ خلقه من تراب) وهو أذل الاشياء لكونه يداس بالارجل (ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظما ثم كسا العظم لحما) كما قال تعالى ثم كسونا العظام لحما (فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيأ مذكورا) بعد ان لم يكن (فما صار شيأ مذكورا الا وهو على أخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق فى ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته) الذى هو العدم (قبل حياته) وهى الوجود (وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه

و بعماه قبل بصره و بصممه قبل سمعه و ببكمه قبل نطقه و بضلالته قبل هداه و بفقره قبل غناه و بعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من أى شئ
خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة
أمشاج نبتليه كذلك خلقه
أولا ثم امتن عليه فقال ثم
السبيل يسره وهذا اشارة
الى ماتيسر له فى مدة حياته
الى الموت وكذلك قال من
نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه
سميعا بصيرا انا هديناه
السبيل اما شاكرا واما
كفورا ومعناه انه أحياه
بعد ان كان جمادا ميتا
ترابا أولا ونطفة ثانيا
وأسمعه بعد ما كان أصم
وبصره بعد ما كان فاقدا
للبصر وقواه بعد الضعف
وعلمه بعد الجهل وخلق له
الاعضاء بما فيها من العجائب
والآيات بعد الفقد لها
وأغناه بعد الفقر وأشبعه
بعد الجوع وكساه بعد
العرى وهداه بعد الضلال
فانظر كيف دبره وصوره والى
السبيل كيف يسره والى
طغيان الانسان ما أكفره
والى جهل الانسان كيف
أظهره فقال أولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو
خصيم مبين ومن آياته
ان خلقكم من تراب ثم اذا
أنتم بشر تنتشرون فانظر
الى نعمة الله عليه كيف نقله
من تلك الذلة والقلة والخسة
والقذارة الى هذه الرفعة
والكرامة فصار موجودا
بعد العدم وحيا بعد الموت
وناطقا بعد البكم وبصيرا
بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل ومهديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان فى الكبرياء
ذاته لاشئ وأى شئ أخس من لاشئ وأى قلة أقل من العدم المحض ثم صار بالله شيأ وانما خلقه من التراب الذليل الذى يوطأ بالاقدام والنطفة
القذرة بعد العدم المحض أيضا ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه و يعلم بها عظمته و جلاله وانه لا يليق

و بعماه قبل بصره و بصممه قبل سمعه و ببكمه قبل نطقه و بضلالته قبل هداه و بفقره قبل غناه و بعجزه قبل قدرته وهذا) هو (معنى قوله) تعالى (من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره و) كذلك (معنى قوله) تعالى (هل أتى على الانسان) وهو استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد (حين من الدهر) أى طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود (لم يكن شيأ مذكورا) بل كان شيأ منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان أو وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله (انا خلقنا الانسان) أو آدم بين أولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه فقال (من نطفة أمشاج نبتليه كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره) أى سبيل الخير والشر (وهذا اشارة الى ماتيسر له فى مدة حياته الى الموت وكذلك قال فى الآية الاخرى من نطفة أمشاج) أى اخلاط جمع مشيج من مشجت الشئ اذا خلطته ووصف النطفة بها لان المراد بها مجموع منى الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء فى الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كاعشار وأكباش وقيل ألوان فان ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فاذا اختلطا اخضرا أو اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة (نبتليه) فى موضع الحال أى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره أو ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء (فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله (انا هديناه السبيل) أى بنصب الدلائل وانزال الآيات (اما شاكرا واما كفورا ومعناه انه أحياه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا أولا ونطفة ثانيا وأسمعه بعد ما كان أصم و بصره بعد ما كان فاقدا للبصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجائب والآيات) الدالة على عظيم قدرته (بعد الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال) ثم قال تعالى اما شاكرا واما كفورا وهما حالان من ضمير هديناه واما للتفصيل أو التقسيم أى هديناه فى حالتيه جميعا أو مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ به و بعضهم كفور بالاعراض عنه (فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل) المفضى للخير والشر (كيف يسره) أى سهله وذلله (والى طغيان الانسان) على ربه وخالقه (ما أكفره والى جهل الانسان) بمعرفة نفسه (كيف أظهره فقال) تعالى (أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) أى فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا من طينة قادر على الخصام معرب عما فى نفسه وقال تعالى (ومن آياته) الدالة على باهر قدرته (ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) فوق الارض وفى الآية الاولى تقبيح بليغ لانكار الانسان حيث عجب منه و جعله افراطا فى الخصومة بينا ومنافاة الجحود لقدرته على ماهو أهون مما عمله فى بداية خلقه ومقابلة نعمته التى لا مزيد عليها وهى خلقه من أخس شئ وأمهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب وقد أشار اليه المصنف بقوله (فانظر الى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة) والشرف (فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل ومهديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر وكان فى ذاته لاشئ) يذكر و يشار اليه (وأى شئ أخس من لاشئ) ولذلك سميت الجيفة القذرة لاشئ لما فيها من نهاية وصف الخسة (وأى قلة أقل من العدم المحض ثم صار بالله شيأ) يذكر و يشار به واليه (وانما خلقه من التراب الذليل الذى يوطأ بالاقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضا ليعرفه خسة ذاته) ودناءتها (فيعرف به نفسه وانما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه و يعلم بها عظمته و جلاله وانه لا يليق

الكبرياء الابه جل وعلا ولذلك امتن عليه فقال ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرف خسته أولا فقال ألم يك نطفة من مني
يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته عليه فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولا بالاختراع
فمن كان هذا بدأه وهذه أحواله فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق أخس الاخساء وأضعف الضعفاء ولكن هذه
عادة الخسيس اذا رفع من خسته شمخ بأنفه وتعظم وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة (٣٩١) الا بالله نعم لو أكمله وفوض اليه أمره

وأدام له الوجود باختياره
لجاز أن يطغى و ينسى المبدأ
والمنتهى ولكنه سلط عليه
فى دوام وجوده الامراض
الهائلة والاسقام العظيمة
والآفات المختلفة والطباع
المتضادة من المرة والبلغم
والريح والدم يهدم البعض
من أجزائه البعض شاء أم
أبى رضى أم سخط فيجوع
كرها و يعطش كرها
و يمرض كرها و يموت
كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا
ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد
أن يعلم الشئ فيجهله ويريد
أن يذكر الشئ فينساه
و يريد أن ينسى الشئ
ويغفل عنه فلا يغفل عنه
و يريد أن يصرف قلبه الى
ما يهمه فيجول فى أودية
الوساوس والافكار
بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه
ولا نفسه نفسه و يشتهى
الشئ و ربما يكون هلاكه
فيه و يكره الشئ و ربما
تكون حياته فيه يستلذ
الاطعمة وتهلكه وترديه
و يستبشع الادوية وهى
تنفعه وتحييه ولا يأمن فى
لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه و بصره وتفلج أعضاؤه و يختلس عقله و يختطف روحه و يسلب جميع ما يهواه فى دنياه فهو
مضطر ذليل ان ترك بقى وان اختطف فنى عبد مملوك لا يقدر على شئ من نفسه ولا شئ من غيره فاى شئ أذل منه لو عرف نفسه وأنى يليق الكبر
به لولا جهله فهذا أوسط أحواله فليتأمل وأما آخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم أماته فاقبره ثم اذا شاء أنشره ومعناه انه يسلب
روحه وسمعه و بصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان أول مرة لا يبقى الا شكل أعضائه وصورته لا حس فيه ولا
حركة ثم يوضع فى التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان فى الاول نطفة مذرة ثم تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه و يصير رميما رفاتا

الكبرياء الابه جل وعلا ولذلك امتن عليه فقال) عز وجل (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما (ولسانا)
يترجم به عما فى ضميره (وشفتين) يستر بهما فاه و يستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها
(وهديناه النجدين) طريقى الخير والشر (وعرف خسته أولا فقال) أيحسب الانسان أن يترك سدى
(ألم يك نطفة من منى يمنى) أى يراق يقال أمنى منيه اذا أراقه ومنى يمنى كرمى يرمى لغة فيه (ثم كان علقة)
أى دما (ثم ذكر منته عليه فقال فخلق فسوى) أى قدره فعدله (فجعل منه الزوجين) الصنفين (الذكر
والانثى ليدوم وجوده بالتناسل) والتوالد ولا ينقطع (كما جعل وجوده ابتداء بالاختراع) البديع من غير
سبق مثال (فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله) وأطواره (فمن أين له البطر) والاشر (والكبرياء والفخر
والخيلاء) والتجبر (وهو على التحقيق أخس الاخساء وأضعف الضعفاء) وأذل الاشياء (ولكن هذه
عادة الخسيس اذا رفع من خسته شمخ بأنفه وتعظم وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة الا بالله نعم لو أكمله
وفوض اليه أمره وأدام له الوجود باختياره) وفى قبضة قدرته (لجاز) له (أن يطغى) ويبطر (وينسى
المبتدا والمنتهى ولكنه سلط عليه فى دوام وجوده الامراض الهائلة) أى المخيفة (والاسقام العظيمة
والآفات المختلفة والطبائع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من أجزائه البعض شاء
أو أبى) أى امتنع (رضى أم سخط فيجوع كرها و يعطش كرها و يمرض كرها و يموت كرها) كل ذلك اجبارا
عليه (لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا) ومن غريب أحواله انه (يريد أن يعلم الشئ فيجهله
و يريد أن يذكر الشئ فينساه و يريد أن ينسى الشئ و يغفل عنه فلا يغفل عنه و يريد أن يصرف قلبه الى
ما يهمه) و يعنيه (فيجول فى أودية الوسواس والافكار) المختلفة (بالاضطراب فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه
نفسه فيشتهى الشئ و ربما يكون هلاكه فيه و يكره الشئ و ربما يكون حياته فيه يستلذ الاطعمة)
المختلفة الالوان (فتهلكه وترديه) اما من الاكثار فيها أو من ضعف المعدة عن تحملها أو بغير ذلك
(و يستبشع الادوية) المرة (وهى تنفعه وتحييه) وهو مع ذلك (لا يأمن) على نفسه (فى لحظة من ليله
ونهاره أن يسلب سمعه و بصره وتفلج أعضاؤه و يختلس عقله و يختطف روحه) كل ذلك فلتة (و يسلب
جميع ما يهواه فى دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقى وان اختطف فنى عبد مملوك لا يقدر على شئ من) عند
(نفسه ولا على شئ من غيره فأى شئ أذل منه لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله) وعناده (فهذا
أوسط أحواله فيتأمله) ببصيرته حتى ينكشف له ذلك (واما آخره ومورده) الذى يرد عليه (فهو
الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم أماته فاقبره ثم اذا شاء أنشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه و بصره وعلمه
وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان أول مرة لا يبقى) معه (الا شكل أعضائه
وصورته) الظاهرة (لا حس فيه ولا حركة) ثم يدرج فى ثياب (ثم يوضع فى التراب) و يغلق عليه الباب
(فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان فى الاول نطفة مذرة ثم) بعد ذلك (تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وتنخر
عظامه فيصير رميما ورفاتا) وقد رم العظم يرم من باب ضرب بلى فهو رميم والجمع أرماء كدليل وأدلاء

و يا كل الدود اجزاءه فيبتدئ بحدقتيه فيقلعهما و بخديه فيقطعهما و بسائر أجزائه فيصير روثا فى أجواف الديدان و يكون جيفة يهرب منه الحيوان و يستقذره كل انسان و يهرب منه لشدة الانتان و أحسن أحواله أن يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان و يعمر منه البنيان فيصير مفقودا بعدما كان موجودا وصار كأن لم يغن بالامس حصيدا كما كان فى أول أمره أمدا مديدا وليته بقى كذلك فما أحسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسى شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة و يخرج الى أهوال القيامة فينظر الى قيامة قائمة وسماء مشققة ممزقة وأرض مبدلة و جبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهنم تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر و يرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وماهو فيقال كان قد وكل بك فى حياتك التى كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما كنت تنطق به أو تعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير وأكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك وأحصاه الله عليك فهلم الى الحساب واستعد للجواب أو تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر الصحيفة و يشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء أنشره فمالمن هذا حاله والتكبر والتعظم بل ماله والفرح فى لحظة واحدة فضلا عن البطر والاشر فقد ظهر له أول حاله و وسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلبا أو خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا أو يلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع اذ أوله التراب وآخره التراب

وجاء رمام مثل كريم وكرام والرفات بالضم العظم المتكسر (ويأكل الدود) المتولد منه (أجزاءه فيبتدئ بحدقتيه) فانهما أول ما يسيلان على الخدين (فيقلعهما) من موضعهما (وبخديه فيقطعهما و بسائر أجزائه فيصير روثا فى أجواف الديدان) ومن هنا مخاطبة القبر للانسان أنا بيت الدود كما فى الخبر (ويكون جيفة يهرب منه الحيوان و يستقذره كل انسان و يهرب منه لشدة الانتان) اذ الانتن أشد من نتن جيفة الانسان (وأحسن أحواله أن يعود الى ما كان فيصير ترابا تعمل منه الكيزان و يعمر به البنيان و يصير مفقودا بعدما كان موجودا وصار كأن لم يغن بالامس حصيدا) محصودا متكسرا (كما كان فى أول مرة أمدا مديدا) أى ممتدا (وليته بقى كذلك فما أحسنه لو ترك ترابا) ومن هنا قول بعضهم

*ليتنى كنت رمادا مديدا * وقال آخر

ولو انا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حى

(لا بل يحييه بعد طول البلى) بكسر الباء (ليقاسى شدائد البلاء) بفتح الباء (فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة و يخرج الى أهوال) يوم (القيامة) التى لم تكن منه على بال (فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة) مطوية قال تعالى اذا السماء انشقت وقال تعالى والسموات مطويات بيمينه (وأرض مبدلة) قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض (وجبال مسيرة) قال تعالى واذا الجبال سيرت (ونجوم منكدرة) قال تعالى واذا النجوم انكدرت (وشمس منكسفة) مكورة (وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد) أى أقوياء قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد (وجحيم تزفر) قال الله تعالى واذا الجحيم سعرت (وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر) على دخولها (و يرى صحائف منشورة) قال تعالى واذا الصحف نشرت (فيقال له اقرأ كتابك) كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (فيقول وماهو فيقال) له (كان قد وكل بك فى حياتك التى كنت) تفرح بها فى الدنيا (وتتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها) واعراضها (ملكان رقيبان) عتيدان (يكتبان عليك ما كنت تنطق به وتعمله من قليل وكثير وصغير وكبير ونقير وقطمير) وأصل النقير النكتة التى على ظهر النواة والقطمير قشرتها والمراد بهما القلة (وأكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك وأحصاه الله) وضبطه (عليك فهلم الى الحساب واستعد للجواب أو تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل أن تنشر الصحيفة و يشاهد ما فيها من مخازيه) وفضائحه (فاذا شاهده قال) مبادرا (ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) ووجد ما عمله حاضرا ولا يظلم ربك أحدا (فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء أنشره فمالمن هذا حاله والتكبر بل ماله والفرح فى لحظة فضلا عن البطر والتجبر فقد ظهر له أول حاله ووسطه ولو ظهر) له (آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلبا أو خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا أو يلقى عذابا) ونظر الى هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ليتنى كنت كبش أهلى سمنونى ما بدا لهم حتى اذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض من يحبون فجعلوا بعضى شواء وبعضى قديدا ثم أكلونى فأخرجونى عذرة ولم أك بشرا أخرجه هناد فى الزهد عن أبى معاوية عن جويبر عن الضحاك عن عمر وقال المسور بن مخرمة لما طعن عمر قال والله لو أن لى طلاع الارض ذهبا لافتديت به من عذاب الله من قبل ان أراه (وان كان عند الله مستحقا عذابا) وفى نسخة للنار (فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع اذ اوله التراب وآخره

التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لايهرب منه الخلق ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب فى النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذى يسقى منه فى بحار الدنيا لصارت أنتن من الجيفة فمن هذا حاله فى العاقبة الا أن يعفو الله عنه وهو على شك من العفو كيف يفرح ويبطر وكيف يتكبر ويتجبر وكيف يرى نفسه شيأ حتى يعتقد له فضلا وأى عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا أن يعفو الله الكريم بفضله ويجبر الكسر بمنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا قوة الا بالله أرأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجناياته ضرب ألف سوط فحبس فى السجن وهو ينتظر أن يخرج الى العرض وتقام عليه العقوبة على ملا من الخلق وليس يدرى أيعفى عنه أم لا كيف يكون ذله فى السجن افترى أنه يتكبر على من فى السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدرى كيف يكون آخر أمره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمى القامع لاصل الكبر * وأما العلاج العملى فهو التواضع لله بالفعل ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنه كان يأكل على الارض ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما أنا عبد فاذا أعتقت يوما لبست جديدا أشار به الى العتق فى الآخرة ولم يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفى الصلاة أسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحنى لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام

التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب و) أيضا فان (الخنزير والكلب لايهرب منه الخلق ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب فى النار لصعقوا من) الرؤية الى (وحشة خلقته وقبح صورته) أى سقطت قوتهم (ولو وجدوا ريحه لماتوا بنتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذى يسقى منه فى بحار الدنيا لصارت أنتن من الجيفة فمن هذا حاله فى العاقبة) والمآل (الا أن يعفو الله عنه) ويسامحه (وهو على شك من العفو) هل يعفى له أم لا (فكيف يفرح ويبطر وكيف يتكبر) على اخوانه (وكيف يرى نفسه شيأ حتى يعتقد له فضلا وأى عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا أن يعفو الكريم بفضله) واحسانه (أو يجبر الكسر بمنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به أرأيت من جنى على بعض الملوك بما استحق به ضرب ألف سوط فحبس فى السجن وهو ينتظر أن يخرج الى العرض وتقام عليه العقوبة على ملا من الخلق وليس يدرى أيعفى عنه أم لا كيف يكون ذله فى السجن) وينسى ما أعد له من العقوبة (وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه) وقد روى الحاكم فى تاريخه من حديث أبى هريرة الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد تقدم (وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدرى كيف يكون أمره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمى القاطع) وفى نسخة القامع (لاصل الكبر) من سنخه (وأما العلاج العملى فهو التواضع بالفعل لله) تعالى (ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من أحوال) السلف (الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه كان يأكل على الارض) ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير رواه الطبرانى من حديث ابن عباس (ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد) رواه الدارقطنى فى الافراد وابن عساكر من حديث البراء ورواه هناد فى الزهد عن الحسن مرسلا ورواه ابن عدى وابن عساكر من حديث أنس بزيادة وأشرب كما يشرب العبد ورواه الديلمى من حديث أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم أتى بهدية فلم يجد شيأ يضعها عليه فقال دعها على الحضيض يعنى الارض ثم نزل فأكل ثم قال انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وقد تقدم فى كتاب آداب المعيشة (وقيل لسلمان) الفارسى رضى الله عنه وقد رؤى عليه ثوب خلق (لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما أنا عبد فاذا اعتقت يوما لبست) وقد (أشار به الى العتق فى الآخرة) أى اذا اعتقت من عذاب الآخرة لبست وانما استراح من غفر له كما فى حديث عائشة (ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان وبالصلاة جميعا) فالايمان المعرفة والصلاة العمل (وقيل الصلاة عماد الدين) روى أبو نعيم الفضل بن دكين شيخ البخارى فى كتاب الصلاة له عن حبيب بن سليم عن بلال بن يحيى قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن الصلاة فقال الصلاة عمود الدين وهو مرسل ورجاله ثقات وروى الديلمى من حديث على الصلاة عماد الايمان وعند الاصبهانى فى الترغيب بلفظ الصلاة عماد الاسلام (وفى الصلاة أسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كان العرب قديما يأنفون من الانحناء) ويعدونه من المهانة (فكان يسقط من يد الواحد منهم سوطه فلا ينحنى لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لاصلاحه حتى قال) أبو خالد (حكيم بن حزام) بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى الاسدى ابن أخى خديجة بنت خويلد له حديث فى

بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا أخر الا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة أمروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم و يزول كبرهم و يستقر التواضع في قلوبهم و به أمر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفاء العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت (المقام الثاني) فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم أن لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة * الاول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة أمرين أحدهما أن هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل

لئن فخرت بآباء ذوي شرف * لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب اليه حيا لكان له أن يقول الفضل لي ومن أنت وانما أنت دودة خلقت من بولي أفترى أن الدودة التي خلقت من بول انسان أشرف من الدودة التي من بول فرس هيهات بل هما متساويان والشرف للانسان لا للدودة * الثاني أن يعرف نسبه الحقيقي فيعرف أباه وجده فان أباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن أصله التراب المهين الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر وأخس الاشياء ما اليه انتسابه اذ يقال يا أذل من التراب ويا أنتن من الحمأ ويا أقذر من المضغة فان كان كونه من أبيه أقرب من كونه من التراب فنقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة أقرب اليه من الاب فليحقر نفسه بذلك ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن أين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن أين جاءت الرفعة لولده فاذا أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا

فصل

الكتب الستة وكان من سادات قريش تأخر اسلامه رضي الله عنه حتى أسلم عام الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم وشهد حنينا وأعطى من غنائمها مائة بعير ثم حسن اسلامه مات سنة خمسين وقيل ستين وهو ممن عاش مائة وعشرين سنة شطرها في الجاهلية وشطرها في الاسلام قاله ابن المنذر (بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا أخر الا قائما) رواه أحمد والنسائي وفيه ارسال خفي (ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى المذلة والضعة أمروا به لينكسر بذلك خيلاؤهم و يزول كبرهم و يستقر التواضع في قلوبهم) و ينتفي عيبة الجاهلية عنهم (وبه أمر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضه) فان المعالجة لا تتم الا بما يناقض الداء (حتى يصير التواضع له خلقا) راسخا (فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفاء العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت) كما تقدم في كتاب عجائب القلب والله الموفق * (المقام الثاني) فيما يعرض من التكبر بالاسباب (السبعة المذكورة) آنفا (وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي) لا حقيقة له (فمن هذا يعسر على العالم أن لا يتكبر) وكذا العابد (ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة الاول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة أمرين أحدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل

(لئن فخرت بآباء ذوي شرف * لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا)

فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب اليه حيا لكان له أن يقول الفضل لي ومن أنت وانما أنت دودة خلقت من بولي أفترى ان الدودة التي خلقت من بول انسان أشرف من الدودة التي خلقت من بول فرس) مثلا (هيهات فهما متساويان والشرف للانسان لا للدودة الثاني هو أن يعرف نفسه نسبه الحقيقي فيعرف أباه وجده فان أباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد) وهو آدم عليه السلام (تراب ذليل فقد عرفه الله تعالى نسبه فقال) عز وجل (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن أصله التراب المهين الذي يداس بالاقدام) ويوطأ بها عليه (ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر وأخس الاشياء ما اليه انتسابه اذ يقال يا أذل من التراب ويا أنتن من الحمأ ويا أقذر من المضغة فان كان كونه من أبيه أقرب من كونه من التراب فيقول افتخر بالقريب دون البعيد فالمضغة والنطفة أقرب اليه من الاب فليحقر نفسه بذلك ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى) خلق (من التراب فمن أين رفعته) ومن شأن التراب الذل (واذا لم تكن له رفعة فمن أين جاءت الرفعة لولده فاذا أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا

فضل وهذه غاية خسة النسب فالاصل يوطأ بالاقدام والفضل تغسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد أخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك اذ أخبره عدول لا يشك في قولهم أنه ابن هندي حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم أفترى ان ذلك يبقي شيأ من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن أن يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجامة أو غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة أعضاء أبيه للتراب والدم فكيف اذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التي يتنزه عنها هو في نفسه * السبب الثاني التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فانه وكل به الاقذار في جميع أجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في أنفه والبزاق في فيه والوسخ في أذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط بيده كل يوم دفعة أو دفعتين ويتردد كل يوم الى الخلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه مالو رآه بعينه لاستقذره فضلا عن أن يمسه أو يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا في حال توسطه وفي أول أمره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وأخرج من مجرى الاقذار اذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال أنس رحمه الله كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر الينا أنفسنا و يقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرء اذ رآه يتبختر وذلك كان قبل خلافته وهذا أوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وصار أنتن وأقذر من الدواب المهملة التي لا تتعهد نفسها قط فاذا نظر أنه خلق من أقذار واسكن في أقذار وسيموت فيصير جيفة أقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن

فضل وهذه غاية خسة النسب فالاصل يوطأ بالاقدام والفضل تغسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه) انه (من) ولد (بني هاشم) بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم (وقد أخبره بذلك والده فلم تزل فيه نخوة الشرف) أي عظمته (فبينما هو كذلك اذ اخبره) جماعة من المسلمين (عدول لا يشك في قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى القاذورات) أي مص الدماء (وكشفوا له وجه التلبيس عليه) الى أن وثق به (فلم يبق له شك في صدقهم أفترى ان ذلك يبقي شيأ من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن ان يتكبر على غيره فهذا حال البصير) الناقد (اذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان أبوه من يتعاطى نقل التراب) بان كان كناسا اوزبالا (أو يتعاطى الدم) أي مصه (بالحجامة) أو التشريط (وغيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة أعضاء أبيه للتراب والدم فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التي يتنزه عنها هو) ويتباعد في نفسه (السبب الثاني الكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر الى باطنه نظر العقلاء المتأملين ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه) والدم (في عروقه رأى من الفضائح ما يكدر عليه تعززه بجماله فانه وكل به الاقذار في جميع أجزائه الرجيع) أي العذرة (في امعائه والبول في مثانته والمخاط في أنفه والبزاق في فيه والوسخ في أذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطيه و يغسل الغائط) بيده (كل يوم دفعة أو دفعتين و يتردد الى الخلاء كل يوم مرة أو مرتين ليخرج من باطنه مالو رآه بعينه لاستقذره فضلا عن ان يمسه أو يشمه) ولو أصاب منه شيأ من جسده أو ثوبه لساء مزاجه و بادر الى ازالته فتراه مدة جلوسه واضعا يده على أنفه لئلا يشمه (كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا في حال توسطه وفي أول أمره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض) ولذلك اذا علقت المرأة انقطع عنها الدم (وأخرج من مجاري الاقذار اذ خرج) أولا (من الصلب) أي من صلب أبيه (ثم من الذكر مجرى البول) ومجرى المني غير مجرى البول عند الشافعي رحمه الله تعالى كما تقدم الكلام عليه في سر الطهارة (ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى) وفي نسخة من مخرج (القذر قال أنس) بن مالك (رحمه الله تعالى كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر الينا أنفسنا و يقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين) الاولى من مجرى بول أبيه والثانية من مجرى بول أمه (وكذلك قال طاوس) اليماني (لعمر بن عبد العزيز) رحمهما الله تعالى (ما هذه مشية من في بطنه خرء اذ رآه يتبختر وذلك قبل خلافته) وقد تقدم (هذا أوله و وسطه ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهدها بالتنظف والغسل) بالماء (لثارت منه الانتان والاقذار) أي انبعثت (وصار أقذر و أنتن من الدواب المهملة التي لا تتعهد في نفسها قط فاذا نظر انه خلق من أقذار واسكن في أقذار وسيموت فيصير جيفة أقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن) أي الشجرة الخضراء في منبت سوء فان ما ينبت في الدمن وان كان ناضرا لا يكون نامرا

وكاون الازهار فى البوادى فبينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح اذلم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جمال الجميل اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاءله بل هو فى كل حين يتصوّر أن يزول بمرض أو جدرى أو قرحة أو بسبب من الاسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأملها * السبب الثالث التكبر بالقوّة والايدى ويمنعه من ذلك أن يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد فى يده لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيأ لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت فى أنفه أو نملة دخلت فى أذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت فى رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوّته مالا ينجبر فى مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغى ان يفتخر بقوّته ثم ان قوى الانسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل وأى افتخار فى صفة يسبقك فيها البهائم * السبب الرابع والخامس الغنى وكثرة المال وفى معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان لا كالجمال والقوّة والعلم وهذا أقبح أنواع الكبر فان المتكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة فى نفسه بنى أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى من اليهود من يزيد عليه فى الغنى والثروة والتجمل فأف لشرف يسبقك به اليهودى وأف لشرف يأخذه السارق فى لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه أسباب ليست فى ذاته وما هو فى ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو فى الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشئ من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان أبقاه بقى لك وان استرجعه زال عنك وما أنت الا عبد مملوك لا تقدر على شئ ومن عرف ذلك لا بد وأن يزول كبره ومثاله أن يفتخر الغافل بقوّته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه رقيق لفلان وأن أبويه كانا مملوكين له تعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء

وهو سريع الفساد (وكاون الازهار فى البوادى بينما هو كذلك اذ صار هشيما) يابسا متكسرا (تذروه) اى تسفيه (الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب ان لا يتكبر به على القبيح) الصورة (اذلم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جمال الجميل اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاءله بل هو فى كل حين) وفى نسخة حالة (يتصوّر ان يزول بمرض أو جدرى أو قرحة أو بسبب من الاسباب) غير ماذكر (فكم من وجوه جميلة سمجت) أى قبحت بعد ان كانت جميلة (بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأملها السبب الثالث التكبر بالقوة والايدى ويمنعه من ذلك ما سلط عليه من العلل) العارضة (والامراض) الفاجئة (فانه لو توجع عرق واحد فى يده) لسلب القرار و(لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل) فكم لله من نعمة على عرق ساكن (وانه لو سلبه الذباب) الذى هو أحقر المخلوقات (شيأ لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت أنفه) لافسدت دماغه وبها كان هلاك النمروذ (أو نملة دخلت أذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته) عن المشى (وان حمى يوم تحلل من قوّته مالا ينجبر فى مدة) من الزمان (فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر ان يمنع عن نفسه ذبابة فلا ينبغى ان يفتخر بقوّته) ثم يتأمل ان أصله من التراب وهو أذل ما يكون فما يكون للمخلوق منه من القوة حتى يفتخر بها (ثم ان قوى الانسان لا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل وأى افتخار فى صفة تسبقك البهائم فيها السبب الرابع والخامس الغنى وكثرة المال وفى معناه كثرة الاتباع والانصار) والخدم (والتكبر بولاية السلاطين) للمناصب (والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان لا كالجمال والقوّة والعمل وهذا أقبح أنواع التكبر فان المتكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته) لمنصب (لا بصفة فى نفسه بنى أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر فان تغير عليه) عزله عن ولايته وأسقطه من عينه و(كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل) فاسد العقل (كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى فى اليهود) والنصارى (من يزيد عليه فى الغنى والثروة والتجمل) بالاثاث والامتعة (فأف لشرف يسبقك به اليهود) والنصارى (وأف لشرف يأخذه السارق فى لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه أسباب ليست فى ذاته وما هو فى ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو فى الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشئ من هذه الامور ليس اليك بل هى الى واهبه ان أبقاه بقى لك وان استرجعه زال عنك وما أنت الا عبد مملوك لا تقدر على شئ فمن عرف ذلك) وتأمل فيه حق التأمل (لا بدوان يزول كبره ومثاله ان يفتخر الغافل بقوّته وجماله وماله وحريته) وأعوانه (واستقلاله) فى أموره (وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف) عادل (بانه رقيق لفلان وان أبويه كانا مملوكين له فعلم ذلك) وثبت لديه (وحكم به الحاكم فجاء

مالكه

مالكه فأخذه وأخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك يخشى أن يعاقبه وينكل به لتفريطه في أمواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف أن له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسا في منزل قد أحدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحد منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة أفترى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوته وكماله أم تذل نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فلا يملك رقبته وبدنه وأعضاءه وماله وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وامراض وأسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته اذ يعلم أنه لاقدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب الخارجة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جديران بأن يفرح بهما ولكن في التكبر بهما أيضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره السبب السادس الكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغلب الادواء وأبعدها عن قبول العلاج الا بشدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لاقدر لهما أصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب الاحبار ان للعلم طغيانا كطغيان المال وكذلك قال عمر رضي الله عنه العالم اذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة أمرين أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد وانه يحتمل من الجاهل مالا يحتمل عشره من العالم فان من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته أفحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال عز وجل مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا أراد به علماء اليهود وقال في بلعم بن باعوراء

مالكه فأخذه وأخذ جميع ما في يديه وهو يخشى مع ذلك ان يعاقبه وينكل به لافراطه في أمواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسا في منزل قد أحدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة افترى ان من هذا حاله هل يفتخر بقدرته وثروته وقوته وجماله أم يذل في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فانه لا يملك رقبته وماله وبدنه وأعضاءه وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وأمراض وأسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقدرته وقوته اذ يعلم انه لاقدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب الخارجة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جديران بان يفرح بهما لكن في التكبر بهما أيضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره السبب السادس التكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغلب الادواء وأبعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لاقدر لهما أصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب الاحبار) رحمه الله (ان للعلم طغيانا كطغيان المال وقال عمر رضي الله عنه العالم اذا زل زل بزلته عالم) الاولى بكسر اللام والثانية بفتحها وأخصر منه زلة العالم زلة العالم وقد تقدم في كتاب العلم (فيعجز العالم ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة أمرين أحدهما ان يعلم ان حجة الله على أهل العلم آكد وانه يحتمل من الجاهل مالا يحتمل عشره من العالم وانه من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته أفحش) وأغلظ (اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العالم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه) أي امعاؤه (فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك) أي ما شأنك (فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه) قال العراقي متفق عليه من حديث أسامة بن زيد بلفظ يؤتى بالرجل وتقدم في العلم قلت لفظ الشيخين يجاء بالرجل وفيه فيقولون يافلان ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول بلى قد كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه ورواه كذلك أحمد ولفظ الحميدي والعوفي في مسنديهما يؤتى برجل كان واليا فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور في النار كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع اليه أهل النار فيقولون ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر والباقي سواء وعند أبي نعيم في الحلية يجاء بالامير يوم القيامة فيلقى في النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار بطاحونته فيقال له ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر قال بلى ولكن لم أكن لافعله وروى ابن النجار من حديث أنس يؤتى بعلماء السوء يوم القيامة فيقذفون في نار جهنم فيدور أحدهم في جهنم بقصبه كما يدور الحمار بالرحى فيقال له ياويلك بك اهتدينا فما بالك قال اني كنت أخالف ما أنهاكم (وقد مثل الله تعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا أراد به علماء اليهود) فانهم لم يعملوا بما علموا (وقال بلعم بن باعورا) بن برم بن برسم بن

مازن بن هاران بن تارح بن ناحور بن سروع بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقيل في نسبه غير ذلك وقيل هو من الكنعانيين وكان قد أوتي علم بعض كتب الله (واتل عليهم) أي على اليهود (نبأ الذي آتيناه آياتنا) وكان أحد علماء بني اسرائيل أو المراد به أمية بن أبي الصلت فانه حينئذ قد كان قرأ الكتاب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا في ذلك فرجا ان يكون هو فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسده فكفر به وهذا يروى عن عبد الله بن عمرو (فانسلخ منها) أي من الآيات بالله كفر بها أو أعرض عنها (حتى بلغ فمثله كمثل الكلب) وتمام الآية بعد قوله فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب أي فصفته التي هي مثل في الخسة كصفة الكلب في أخس أحواله وقوله أخلد الى الارض أي مال الى الدنيا والى السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات وكان من حقه ان يقول ولكنه أعرض عنها فأوقع موقعه أخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة (قال ابن عباس) رضي الله عنهما (أوتي بلعم كتابا فأخلد الى شهوات الارض) أي مال اليها روى عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه من طرق عن ابن عباس قال هو بلعم بن باعورا وفي لفظ بلعام بن باعر الذي أوتي الاسم وكان من بني اسرائيل وروى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم أوتي اسم الله الاكبر فلما نزل بهم موسى عليه السلام أتاه بنو عمه وقومه فقالوا ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه ان يظهر علينا يهلكنا فادع الله ان يرد عنا موسى ومن معه قال اني ان دعوت الله ان يرد موسى ومن معه مضت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فانسلخ ما كان فيه وروى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس قال هو رجل يدعى بلعم من أهل اليمن آتاه الله آياته فتركها وروى ابن جرير عن مجاهد قال هو نبي من بني اسرائيل يقال له بلعم أوتي النبوة فرشاه قومه على ان يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه (ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) واللهث ادلاع اللسان في التنفس الشديد أي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب (أي سواء آتيته أو لم أوته فلا يدع شهوته) وقال ابن عباس أي ان حمل الحكمة لم يحملها وان ترك لم يهتد لخير كالكلب ان كان رابضا يلهث وان طرد يلهث وقال قتادة هذا مثل الكافر ميت الفؤاد كما أميت فؤاد الكلب وقال عكرمة هم أناس من اليهود والنصارى والحنفاء ممن أعطاه الله آياته وكتابه فانسلخ منها فجعله مثل الكلب وقال مجاهد قوله ان تحمل عليه أي ان تطرده بدابتك ورجليك وهو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به وقال الحسن ان تحمل عليه أي تسعى عليه وقال ابن جرير الكلب منقطع الفؤاد لا فؤاد له مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له انما فؤاده منقطع كان ضالا قبل وبعد (ويكفي العالم هذا الخطر فأي عالم لم يتبع شهوته) وركن اليها (وأي عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه فهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره أعظم من خطر غيره كما ان قدره أعظم من قدر غيره فهذا) يقابل (بذاك) فانظر أيهما أرجح (وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فانه اذا أخذ وقهر) واذل (اشتهى أن يكون قد كان فقيرا) من آحاد الرعية ولم يكن ملكا (فكم من عالم يشتهي في الآخرة) لما يعاين الاهوال (سلامة الجهال والعياذ بالله تعالى منه فهذا الخطر يمنع من التكبر) ويشغله عنه (لانه ان كان من أهل النار فالخنزير أفضل منه) اذ لا حساب على الخنزير (فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي ان يكون العالم أكبر عند نفسه من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول ياليتني لم تلدني أمي) روى ذلك من قول عمر رضي الله

واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى بلغ فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قال ابن عباس رضي الله عنهما أوتي بلعم كتابا فأخلد الى شهوات الارض أي سكن حبه اليها فمثله بالكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي سواء آتيته الحكمة أو لم أوته لا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فأي عالم لم يتبع شهوته وأي عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه فهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فانه اذا أخذ وقهر اشتهى ان يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فانه ان كان من أهل النار فالخنزير أفضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي أن يكون العالم أكبر عند نفسه من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول ياليتني لم تلدني أمي

و يأخذ الآخر تبنة من الارض و يقول ياليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر ليتني كنت طيرا أوكل و يقول الآخر ليتني لم أك شيأ مذكورا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما أطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره و رأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله مثال عبد أمره سيده بأمور فشرع فيها فترك بعضها وأدخل النقصان في بعضها وشك في بعضها أنه هل أداها على ما يرتضيه سيده أم لا فأخبره مخبر ان سيده أرسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا و يلقيه على بابه في الحر والشمس زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر و بلغ به المجهود أمر برفع حسابه وفتش عن جميع أعماله قليلها وكثيرها ثم أمر به الى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم أن سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري من أي الفريقين يكون فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل و بطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من أوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لامحالة * الامر الثاني أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق الا بالله عز و جل وحده وأنه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا مالم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندي فلا بد وان يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن أنه لا ذنب له مثلا أو تصور ذلك وبهذا زال التكبر عن الانبياء عليهم السلام اذ علموا أن من نازع الله تعالى في رداء الكبرياء قصمه وقد أمرهم الله بان يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا أيضا مما يبعثه على التواضع لامحالة فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله وكيف يغنيه ان يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان و يضل هذا العالم فيختم له بالكفر

عنه بالفطاليت أم عمر لم تلد عمر ليتني كنت كبشا لاهلي فسمنوني فذبحوني وأكلوني (و يأخذ الآخر) منهم (تبنة من الارض و يقول ياليتني كنت هذه التبنة و يقول الآخر ليتني كنت طيرا) آوي الى الاشجار وآكل الثمار ولا أشاهد هول القيامة (و يقول الآخر ليتني لم أك شيأ مذكورا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون أنفسهم اسوأ حالا من الطير ومن التراب) ومن التبنة وما أشبه ذلك من المحقرات (ومهما أطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق) فهذه مشاهدة العارفين الكاملين (ومثاله مثال عبد أمره سيده بأمور فشرع فيها) بالعمل (وترك بعضها) تهاونا (وأدخل النقصان في بعضها وشك في بعضها انه هل أداها على ما يرتضيه سيده أم لا فاخبره مخبر أن مولاه أرسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا و يلقيه على بابه في الشمس والحر زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر و بلغ به المجهود) أي نهاية طاقته (أمر برفع حسابه وفتش عن جميع أعماله قليلها وكثيرها ثم أمر به الى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم) ذلك العبد (ان سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري من أي الفريقين يكون) أمن المعذبين أم من الخالصين (فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل و بطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق بل تواضع) وخشع (رجاء ان يكون من شفعائه عند نزول العذاب به فكذلك العالم إذا تفكر فيما ضيعه من أوامر ربه) وقصر فيها (بجنايات على جوارحه و بذنوب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لامحالة الامر الثاني ان العالم يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله عز و جل وحده) لقوله تعالى وله الكبرياء في السموات والارض (وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا) لانه نازع صفة من صفاته تعالى (وقد أحب الله تعالى منه ان يتواضع) وأثنى على من اتصف به (وقال له) يا عبدي (ان لك عندي قدرا) أي منزلة ومقاما (مالم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندي ولا بد ان يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا) الفهم (يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن انه لا ذنب له مثلا أو تصور ذلك) من غير استيقان (وبهذا زال الكبر عن الانبياء) عليهم السلام (اذ علموا ان من نازع الله في رداء الكبرياء) بان أراد ان يرتدي به (قصمه) أي كسره وقطعه (وقد أمرهم الله تعالى ان يصغروا أنفسهم) ويذللوها (حتى يعظم عند الله محلهم فهذا أيضا مما يبعثه على التواضع لامحالة) ويحمله على الاتصاف به (فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع) الحامل على بدعته (وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد) ورع تقي (وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله وكيف يخطر بباله وهو يعلم ان خطر الفاسق المبتدع أكثر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور) في العقل (ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان و يضل هذا العالم و يختم له بالكفر) عياذا بالله منه وقد وقع ذلك لكثير منهم وحكاية ابن السقاء والقطب عبد القادر الجيلاني في دخولهما على أحد الاولياء المكاشفين مشهورة في المناقب

والكبير من هو كبير عند الله فى الآخرة والكلب والخنزير أعلى رتبة ممن هو عند الله من أهل النار وهو لا يدرى ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضى الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الاسلام وفاق جميع المسلمين الا أبا بكر وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع الفضائل فى الدنيا تراد للعاقبة فاذا من حق العبد ان لا يتكبر على أحد بل ان نظر الى جاهل قال هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فهو أعذر منى وان نظر الى عالم قال هذا قد علم مالم أعلم فكيف أكون مثله وان نظر الى كبير هو أكبر منه سنا قال هذا قد أطاع الله قبلى فكيف أكون مثله وان نظر الى صغير قال انى عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وان نظر الى مبتدع أو كافر قال مايدرينى لعله يختم له بالاسلام ويختم لى

بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية الى كما لم يكن ابتداؤها الى فبملاحظة الخاتمة يقدر عن ان ينفى الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم أن الكمال فى سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر فى الدنيا مما لا بقاء له ولعمرى هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الهمة الى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه فاذا حبس جماعة فى جناية ووعدوا بأن تضرب رقابهم لم يتفرغوا التكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد هم نفسه عن الالتفات الى هم غيره حتى كأن كل واحد هو وحده فى مصيبته وخطره فان قلت فكيف أبغض المبتدع فى الله وأبغض الفاسق وقد أمرت ببغضهما ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا أمر مشتبه يلتبس على

التفاقد

أكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله فى انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا رأى فاسقا جالس بجنبه أزعجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن فى نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لعابد بنى اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان أيضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب وأحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذى يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة أمور أحدها

(والكبير من هو كبير عند الله فى الآخرة والكلب والخنزير أعلى مرتبة ممن هو عند الله من أهل النار وهو لا يدرى ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضى الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق) بعد ذلك (جميع المسلمين الا أبا بكر) رضى الله عنه (وحده) بنص ما طلعت شمس ولا غربت على أفضل من أبى بكر كما هو فى الخبر (فالعواقب مطوية عن العباد) لا علم لهم بها (ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع الفضائل) انما (تراد للعاقبة فاذا من حق العبد ان لا يتكبر على أحد) أبدا (بل ان نظر الى جاهل قال هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فهذا أعذر منى) أى يقبل عذره أكثر منى (وان نظر الى عالم قال هذا قد علم مالم أعلم) وحصل مالم أحصل (فكيف أكون مثله وان نظر الى كبير هو أكبر منه سنا قال هذا قد أطاع الله قبلى) وعبد الله قبلى (فكيف أكون مثله وان نظر الى صغير قال انى عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وان نظر الى مبتدع أو كافر قال مايدرينى لعله يختم له بالاسلام) ولعل المبتدع يتوب ويحسن حاله (ويختم لى بما عليه الآن) من الكفر والابتداع (فليس دوام الهداية الى كما لم يكن ابتداؤها الى) اذ هى بيد الله تعالى (فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفى) وصف (الكبر عن نفسه) ويزيله (وكل ذلك بان يعلم ان الكمال) انما هو (فى سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر فى الدنيا مما لا بقاء له) ولا دوام (ولعمرى هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الهمة الى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه فاذا حبس جماعة فى جناية ووعدوا بان تضرب رقابهم لم يتفرغوا لتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر) جميعا (اذ شغل كل واحدهم نفسه عن الالتفات الى هم غيره حتى كان كل واحد هو وحده فى مصيبته وخطره فان قلت فكيف أبغض المبتدع فى الله وأبغض الفاسق وقد أمرت ببغضهما ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم أن هذا أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله فى انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال) أى الاعجاب (بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور واذا رأى فاسقا) من الفساق (جالس بجنبه أزعجه) أى أقامه (من عنده وتنزه عنه) أى تباعد (بكبر باطن فى نفسه وهو ظان انه قد غضب لله) وليس كما ظن (كما وقع لعابد بنى اسرائيل مع خليعهم) وتقدم ذكره قريبا (وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان أيضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب وأحدهما يثمر الآخر ويوجبه) فالغضب يوجب التكبر والتكبر يوجب الغضب (وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون) بالله تعالى (والذى يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف أو) عند (نهيهما عن المنكر ثلاثة أمور أحدها

التفاتك الى ماسبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك فى عينك والثانى أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته أنه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر فان قلت فكيف أغضب مع هذه الاحوال فاقول تغضب لمولاك وسيدك اذ أمرك أن تغضب له لا لنفسك وأنت فى غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة

وأعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وأمره أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام محبا مطيعا لمولاه فلا يجد بدا من أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الادب وانما يغضب عليه لمولاه ولانه أمره به ولانه يريد التقرب بامتثال أمره اليه ولانه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد أعز لا محالة من الغلام فاذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن أنه ربما كان قدرهما فى الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسنى فى الازل ولما

سبق لك من سوء القضاء فى الازل وأنت غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك فى الآخرة فهكذا يكون بغض العلماء الاكياس فينضم اليه الخوف والتواضع وأما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر * (السبب السابع) * التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو ان يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغى أن يتكبر عليه كيفما كان لما عرف من فضيلة العلم وقد قال تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى

التفاتك الى ماسبق من ذنوبك وخطاياك) وسائر ما قصرت فيه من أوامر الله ونواهيه (ليصغر عند ذلك قدرك فى عينك) فلا ترى لنفسك مقاما (والثانى اما أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر) وفى بعض النسخ لم تنفر (والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه) فاذا حضرت هذه الامور الثلاثة عند مشاهدة هؤلاء أو عند أمرهم ونهيهم يرجى أن يكون غضبه لله تعالى (فان قلت فكيف أغضب مع) وجود (هذه الاحوال فأقول تغضب لمولاك وسيدك اذ أمرك أن تغضب له لا لنفسك وأنت فى غضبك) عليه (لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك لما علم الله من خفايا ذنوبك) ودقائق معاصيك (أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة وأعرفك ذلك بمثال) يفهمك المقصود (لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك غلام وولد هو قرة عينه) والعزيز عنده (وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه) ويحافظ عليه (وأمره بان يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام محبا مطيعا لمولاه) وفى نسخة مطيعا محبا لمولاه (فلا يجد بدا من أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الادب وانما يغضب عليه لمولاه) لا لنفسه (لانه) أى مولاه (أمره به ولانه يريد التقرب بامتثال أمره اليه ولانه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له) عارف به (يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد أعز لا محالة من الغلام) وأقرب (فاذا ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما عند الله فى الآخرة أعظم لما سبق لهما من الحسنى فى الازل ولما سبق لك من سوء القضاء فى الازل وأنت غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه) ونهى عنه (مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك فى الآخرة فهكذا يكون بغض العلماء الاكياس) الفطنين (فينضم اليه الخوف والتواضع واما المغرور) بعلمه (فانه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعافية وذلك غاية الغرور) وهو مهلك (فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله واعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر) الالهى (السبب السابع التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد) والورعين (وسبيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم أن من تقدم عليه فى العلم لا ينبغى أن يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال تعالى) فى كتابه العزيز (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) تقدم الكلام عليه فى أول كتاب العلم (وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى) رواه الترمذى والطبرانى من حديث أبى أمامة

الى غير ذلك مما ورد فى فضل العلم فان قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له أما عرفت ان الحسنات يذهبن السيآت وكما أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان هذا الامر غائبا عنه لم يجز له أن يحتقر عالما بل يجب عليه التواضع له فان قلت فان صح هذا فينبغى أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الامر مشكوك فيها فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذا كان كل واحد من العابد والعالم خائفا على نفسه وقد كلف أمر نفسه لا أمر غيره فينبغى أن يكون الغالب عليه فى حق نفسه الخوف وفى حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهم منقسمون فى حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغى أن لا يتكبر على المستور فلعله أقل منه ذنوبا وأكثر منه عبادة وأشد منه حبا لله وأما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب الا ما تزيد عليه ذنوبك فى طول عمرك فلا ينبغى أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر منى ذنبا لان عدد ذنوبك فى طول عمرك وذنوب غيرك فى طول العمر لا تقدر على احصائها حتى تعلم الكثرة نعم يمكن أن تعلم ان ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغى أن تتكبر عليه اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة فى صفات الله تعالى وتخيل الخطأ فى ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك فى باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله واخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيآته فينكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغى أن يكون قريبا عندك ان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف فى حقك فانه لا تزر وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيأ من عذابك فاذا تفكرت فى هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة

بلفظ كفضلى على أدنا كم قال الترمذى حسن صحيح غريب وقد تقدم فى كتاب العلم وروى الحرث بن أبى أسامة فى مسنده وابن حبان فى الضعفاء وابن عبد البر فى العلم وابن النجار من حديث أبى سعيد بلفظ كفضلى على أمتى (الى غير ذلك مما ورد فى فضل العلم) مما تقدم جميعها فى كتاب العلم (فان قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له أما علمت أن الحسنات يذهبن السيآت وكما أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له الى النجاة وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك فاذا كان هذا الامر غائبا عنه لم يجز له أن يحتقر عالما بل يجب عليه أن يتواضع له) ويراه بعين الكمال (فان قلت فان صح هذا فينبغى أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الامر مشكوك فيها) غير معلومة لاحد (فيحتمل أن يموت بحيث أن يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق بذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به) وأبغضه بسببه (واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذا كل واحد من العالم والعابد خائف على نفسه وقد كلف أمر نفسه لا أمر غيره فيكون الغالب عليه فى حق نفسه الخوف وفى حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من الكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فينقسمون فى حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغى أن لا يتكبر على المستور) الذى لم يجاهر بمعصيته (فلعله أقل منه ذنوبا وأكثر منه عبادة وأشد منه حبا لله وأما المكشوف حاله) عند الناس (ان لم يظهر لك من الذنوب الا ما تزيد عليه ذنوبك فى طول عمرك فلا ينبغى أن تتكبر عليه ولا يمكن) لك (أن تقول هذا أكثر منى ذنبا لان عدد ذنوبك وذنوب غيرك فى طول العمر لا تقدر على احصائها حتى تعلم الكثرة) فيها (نعم يمكن أن يعلم ان ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والزنا) وغيرها من الكبائر (ومع ذلك فلا ينبغى أن تتكبر عليه اذ ذنوب القلب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة فى صفات الله تعالى وتخيل الخطأ فى ذلك كل ذلك شديد عند الله) مؤاخذ به العبد (فربما جرى عليك فى باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا) وأنت لا تشعر (وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله واخلاص وخوف وتعظيم) لامر الله (ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيآته فينكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغى أن يكون قريبا عندك ان كنت مشفقا على نفسك ولا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف فى حقك فانه لا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل حاملة ذنب نفس أخرى (وعذاب غيرك لا يخفف شيأ من عذابك فاذا تفكرت فى هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق نفس غيرك وقد قال وهب بن منبه) اليمانى رحمه الله تعالى (ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعا حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة

وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره أن يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان رأى من هو خير منه سره ذلك وتمنى أن يلحق به وان رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلا تراه الا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدرى لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له بأحسن الاعمال وبرى ظاهر فذلك شر لى فلا يأمن فيما أظهره من الطاعة أن يكون دخلها الآفات فأحبطتها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد أهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة فمن جوّز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء فى الازل بشقوته فماله سبيل الى أن يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روى أن عابدا أوى الى جبل فقيل له فى النوم ائت فلانا الاسكاف فسله أن يدعو لك فأتاه فسأله عن عمله فأخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه فرجع وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس هذا كالتفرغ لطاعة الله فأتى فى النوم ثانيا فقيل له ائت فلانا الاسكاف فقل له ما هذا الصفار الذى بوجهك فأتاه فسأله فقال له ما رأيت أحدا من الناس الا وقع لى أنه سينجو وأهلك أنا فقال العابد بهذه والذى يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى يؤتون ما أوتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أى انهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال تعالى انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين وقد وصف الله تعالى الملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدؤب بالاشفاق فقال تعالى مخبرا عنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم من خشيته مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء فى الازل وينكشف عند خاتمة الاجل غلب الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد

وما العاشرة) أخرجه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مخلد حدثنا الحرث بن أبى أسامة حدثنا داود بن المحبر حدثنا عباد بن كثير ح وحدثنا أحمد بن السندى حدثنا الحسن بن علوية القطان حدثنا اسمعيل بن عيسى حدثنا اسحق بن بشر كلاهما عن ادريس عن جده وهب بن منبه قال ما عبد الله بشئ أفضل من العقل وما تم عقل امرئ حتى يكون فيه عشر خصال حتى يكون الكبر فيه مأمونا والرشد فيه مأمولا يرضى من الدنيا بالقوت وما كان من فضل فبذول التواضع فيها أحب اليه من الشرف والذل فيها أحب اليه من العز لا يسام من طلب العلم دهره ولا يتبرم من مطالب الخير ولا يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقل كثير المعروف من نفسه والعاشرة هى ملاك أمره (بها ساد مجده) ولفظ الحلية ينال مجده (وبها علا) ولفظ الحلية يعلو (ذكره) وزاد بعده وبها علا فى الدرجات فى الدارين كلاهما قيل وما هى قال (أن يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان ففرقة هى أفضل منه وأرفع وفرقة هى شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان رأى من هو خير منه) وأفضل (سره ذلك وتمنى أن يلحق به وان رأى من هو شر منه) وأرذل (قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلا تراه الا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن) ولفظ الحلية لعل لهذا باطنا لم يظهر لى (فذلك خير له ولا أدرى لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له بأحسن الاعمال وبرى ظاهر فذلك شر لى) ولفظ الحلية ولعل ذلك شر لى (فلا يأمن فيما أظهره من الطاعات أن يكون دخلها الآفات فأحبطتها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد أهل زمانه) ولفظ الحلية فهنالك يكمل عقله ويسود أهل زمانه وكان من السباق الى رحمة الله عز وجل وجنته ان شاء الله (فهذا كلامه) وفى سياق الحلية اختصار ومخالفة فى بعض المواضع (وبالجملة فمن جوّز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء فى الازل بشقوته فماله سبيل الى أن يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلب عليه الخوف رأى كل واحد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روى) فى أخبار بنى اسرائيل (أن عابدا) من عبادهم (آوى الى جبل) فنام (فقيل له فى النوم ائت فلانا الاسكاف) وسماه له (فسله أن يدعو لك فأتاه فسأله عن عمله فأخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه فرجع) العابد (وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس هذا كالتفرغ لطاعة الله تعالى فأتى فى النوم ثانيا وقيل له ائت فلانا الاسكاف) المذكور (فقل له ما هذا الصفار الذى بوجهك) أى أى شئ صفر لون وجهك (فأتاه فسأله فقال ما رأيت أحدا من الناس الا وقع لى) فى خاطرى (انه سينجو وأهلك أنا فقال العابد بهذه) نال ما نال من القرب والكرامة (والذى يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله عز وجل يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أى يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال تعالى انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين وقد وصف الله الملائكة) عليهم السلام (مع تقدسهم من الذنوب ومواظبتهم على العبادة على الدؤب) أى الاستمرار (بالاشفاق فقال تعالى مخبرا عنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم من خشيته مشفقون فتى زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء فى الازل وينكشف عند خاتمة الاجل غلب الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد)

فاذن ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار أكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير الا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهى كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا ينبغى أن يكتفى فى المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغى أن تكمل بالعمل وتجرب بأفعال المتواضعين فى مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه أن تمتحن النفس بخمس امتحانات هى أدلة على استخراج ما فى الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة *الامتحان الاول أن يناظر فى مسألة مع واحد من أقرانه فان ظهر شئ من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه ويشتغل بعلاجه أما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى وأما العمل فبأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق وان يطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتنى له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغى أن يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبولها ومهما ثقل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه فى الخلوة ويثقل عليه فى الملا فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بأن منفعته فى كماله فى ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من أدوية الرياء وان ثقل عليه فى الخلوة والملا جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من أحدهما مالم يتخلص من الثانى فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان *الامتحان الثانى ان يجتمع مع الاقران والامثال فى المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشى خلفهم ويجلس فى الصدور تحتهم فان ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو أن يجلس فى صف النعال أو يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا أماكنهم بالاستحقاق والتفضيل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع أيضا فظاهره

أى يورث السعادة فى الآخرة (فاذا ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار) والمهانة (أكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها) اذا تحقق بها (يزول داء الكبر من القلب لا غير الا ان النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع) فى باطنها (وتدعى البراءة من الكبر وهى كاذبة) فى دعواها (فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا ينبغى أن يكتفى فى المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغى ان تكمل بالعمل وتجرب بافعال المتواضعين فى مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه ان تمتحن النفس بخمسة امتحانات هى أدلة) قوية (على استخراج ما فى الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة الامتحان الاول ان يناظر فى مسئلة) من المسائل العلمية (مع واحد من أقرانه فان ظهر شئ من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه فذلك يدل على أن فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه ويشتغل بعلاجه) بالعلم والعمل (اما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله) عز وجل (وأما بالعمل فبأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق اللسان بالحمد) له (والثناء) عليه (ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة وهو أن يقول ما أحسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتنى له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغى أن يشكر من دله عليها) رواه الترمذى من حديث أبى هريرة الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها وعند ابن النجار من حديث بريدة بلفظ حيثما وجدها أخذها وروى القضاعى من مرسل زيد بن أسلم بلفظ حيثما وجد المؤمن ضالته فليجمعها اليه (فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك طبعا له) وسجية لازمة (وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم) من الاوصاف (ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه فى الخلوة ويثقل عليه فى الملأ فليس فيه كبر وانما فيه رياء فيعالج الرياء بما ذكرناه) آنفا (من قطع الطمع عن الناس) وعدم الالتفات الى ما بأيديهم (ويذكر القلب بان منفعته فى كماله فى ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من أدوية الرياء) كما تقدم (فان ثقل عليه فى الخلوة والملأ جميعا ففيه الكبر والرياء ولا ينفعه الخلاص من أحدهما مالم يتخلص من الثانى فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان الامتحان الثانى أن يجتمع مع الاقران والامثال فى المحافل) العامة (ويقدمهم على نفسه ويمشى خلفهم ويجلس فى الصدور) من المجالس (تحتهم فان ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله) ويصير طبعا له (فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة) خفية (وهو أن يجلس فى صف النعال) وهى آخر الصفوف وأرذلها (أو يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع) منه (وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين) ولا يثقل عليهم (اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر باظهار التواضع أيضا)

بل ينبغي ان يقدم أقرانه و يجلس بينهم بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن* الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير و يمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته

بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ماذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر* الامتحان الرابع أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق الى البيت فان أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء فان كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل عليه الا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعلله المهلكة له ان لم تتدارك وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع أن الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى الا من أتى الله بقلب سليم و يروى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في غلمانك و بنيك ما يكفيك قال أجل ولكن أردت ان أجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما أعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها أهي صادقة أم كاذبة وفي الخبر من حمل الفاكهة أو الشئ فقد برئ من الكبر* الامتحان الخامس ان يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس عن ذلك في الملا رياء وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه له مسح يلبسه بالليل وقد قال صلى الله عليه وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال عليه السلام انما أنا عبد آكل بالارض وألبس الصوف وأعتقل البعير وألعق أصابعي وأجيب دعوة المملوك فمن

فظاهره يرى متواضعا وفي باطنه داء الكبر (بل ينبغي أن يقدم أقرانه و يجلس بينهم بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير) ولا يتأنف منه (و يمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب) والاصدقاء (فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق) ومحاسنها (والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث) كامن (في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ماذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر الامتحان الرابع أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق الى البيت فان أبت نفسه ذلك) وامتنعت (فهو كبر ورياء فان كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق) عن الناس (فهو كبر وان كان لا يثقل عليه الا عند مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعلله المهلكة له) هلاكا أبديا (ان لم تتدارك) بالمعالجات (وقد أهمل الناس طب القلوب) مع شدة الحاجة اليه (واشتغلوا بطب الاجساد مع أن الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة) فاني يجدي الاشتغال بمداواتها (والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها) عن الغش والغل والكبر والرياء والعجب وغيرها من الاخلاق الذميمة (اذ قال تعالى الا من أتى الله بقلب سليم و يروى عن عبد الله بن سلام) بن الحرث الاسرائيلي رضي الله عنه يكنى أبا يوسف وهو من ذرية يوسف عليه السلام أسلم أول ماقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين (انه حمل حزمة حطب) على ظهره (فقيل له يا أبا يوسف قد كان في غلمانك و بنيك) وهم محمد و يوسف (ما يكفيك) يعني حمل الحطب (قال أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تنكر ذلك) أم لا (فلم يقنع منها بما أعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها أهي صادقة أم كاذبة وفي الخبر من حمل الفاكهة أو الشئ فقد برئ من الكبر) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من حديث أبي امامة وضعفه بلفظ من حمل بضاعة اهـ قلت و بهذا اللفظ رواه ابن لال في مكارم الاخلاق ورواه القضاعي والديلمي في مسنديهما وأبو نعيم من طريق سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر به مرفوعا بلفظ سلعته وفي لفظ الشرك بدل الكبر وروى ابن منده وأبو نعيم من رواية حكيم بن حزام عن أبيه رفعه في أثناء حديث ومن حمل من سوقه فقد برئ من الكبر وسيأتي قريبا و روى الديلمي من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه من اشترى لعياله شيأ ثم حمله بيده اليهم حط عنه ذنب سبعين سنة وقد تقدم (الامتحان الخامس أن يلبس ثيابا بذلة) أي مبتذلة (فان نفور النفس عن ذلك في الملا رياء وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (له مسح يلبسه بالليل) والمسح بكسر الميم وسكون السين المهملة كساء من صوف أسود (وقد قال صلى الله عليه وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر) قال العراقي رواه البيهقي من حديث أبي هريرة بزيادة فيه وفي اسناده القاسم العمري ضعيف جدا اهـ قلت وروى الطبراني في الكبير من حديث السائب بن يزيد من لبس الصوف وحلب الشاة وأكل مع ماملكت يمينه فليس في قلبه ان شاء الله الكبر وروى ابن منده وأبو نعيم من رواية حكيم بن حزام عن أبيه رفعه بسند ضعيف من حلب شاته و رقع قميصه وخصف نعله وواكل خادمه وحمل من سوقه فقد برئ من الكبر وروى تمام في فوائده وابن عساكر من حديث ابن عمر من لبس الصوف وانتعل المخصوف وركب حماره وحلب شاته وأكل معه عياله فقد نحى الله عنه الكبر الحديث وسيأتي بقيته بعد هذا الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم انما أنا عبد آكل بالارض وألبس الصوف وأعتقل البعير وألعق أصابعي وأجيب دعوة المملوك فمن

رغب عن سنتي فليس مني وروى ان أبا موسى الاشعري قيل له ان أقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس
وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملا فهو الرياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر فاعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه
ومن لا يدرك المرض لا يداويه *(بيان غاية الرياضة في خلق التواضع)* اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له

رغب عن سنتي فليس مني) قال العراقي تقدم بعضه ولم أجد بقيته قلت كأنه يشير الى حديث البراء
وأنس انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وقد تقدم ذكره وروى تمام في فوائده وابن عساكر من حديث
ابن عمر من لبس الصوف الحديث وفيه أنا عبد ابن عبد أجلس جلسة العبد وآكل أكلة العبد اني قد أوحى
الي ان تواضعوا ولا يبغي أحد على أحد الحديث وروى ابن عساكر من حديث أبي أيوب كان النبي صلى
الله عليه وسلم يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي
فليس مني وروى الحاكم من حديث أنس كان يردف خلفه ويضع طعامه على الارض ويجيب دعوة
المملوك ويركب الحمار وحديث لعق الاصابع تقدم في كتاب أخلاق النبوة (وروى ان أبا موسى الاشعري)
رضي الله عنه (قيل له ان أقواما يتخلفون عن) صلاة (الجمعة) أي بالبصرة (بسبب ثيابهم) أي بسبب
ابتذالها وكانهم يستحيون أن يحضروا في تلك الثياب (فلبس عباءة) وهي كساء صوف على هيئة القميص
(فصلى فيها بالناس) أخرجه أبو نعيم في الحلية ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا
أبي حدثنا عبد الصمد حدثنا أبو هلال حدثنا قتادة ان أبا موسى بلغه ان ناسا يمنعهم من الجمعة أن لا ثياب لهم
فلبس عباءة ثم خرج فصلى بالناس (وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملا فهو الرياء وما
يكون في الخلوة فهو الكبر فاعرف) ولتميز بينهما ثم يداوي كلا منهما بما تقدم من ذكر الاجزاء المركبة من
العلم والعمل (فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه) فمعرفة الشر من حيث انه شر
لازم كمعرفة المرض فانه اذا وقع فيه يعرف كيف يتخلص منه والله الموفق

(بيان غاية الرياضة في خلق التواضع)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة
يسمى تكبرا) وهو الافراط (وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة) وهو تفاعل من الخسة
وهذا هو التفريط (والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا
طرفي) قصد (الامور ذميم وأحب الامور الى الله أوساطها) وروى صاحب الحلية عن وهب بن منبه قال
ان لكل شئ طرفين ووسطا فاذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر واذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان
فعليكم بالاوساط من الاشياء (فمن يتقدم على أمثاله) وفي نسخة أقرانه (فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو
متواضع) بان يجلس بجنبهم (أي وضع شيأ من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف) أو
من في معناه من السوقية (فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وغدا الى باب الدار
خلفه) يودعه (فقد تخاسس وتذلل وهو أيضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو أن يعطي كل ذي حق
حقه فينبغي أن يتواضع بمثل هذا الامثاله) وأقرانه (وان يقرب من درجته فاما تواضعه للسوقي فبالقيام
والبشر في الكلام) والبشاشة في الوجه (والرفق في السؤال واجابة دعوته) اذا دعاه الى منزله (والسعي في
حاجته) حتى يتمها (وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا
يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره) وخاتمته بماذا يختم لكل منهما (فاذا سبيله في اكتساب
التواضع أن يتواضع للاقران وان دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به
الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو) مع هذا (يفعل ذلك
فهو متكلف لا متواضع بل الخلق) كما تقدم في رياضة النفس (ما يصدر عنه الفعل بسهولة) ويسر (من

طرفان وواسطة فطرفه
الذي يميل الى الزيادة يسمى
تكبرا وطرفه الذي يميل
الى النقصان يسمى تخاسسا
ومذلة والوسط يسمى
تواضعا والمحمود أن
يتواضع في غير مذلة ومن
غير تخاسس فان كلا
طرفي الامور ذميم وأحب
الامور الى الله تعالى
أوساطها فمن يتقدم على
أمثاله فهو متكبر ومن
يتأخر عنهم فهو متواضع
أي وضع شيأ من قدره
الذي يستحقه والعالم اذا
دخل عليه اسكاف فتنحى
له عن مجلسه وأجلسه فيه
ثم تقدم وسوى له نعله
وغدا الى باب الدار خلفه
فقد تخاسس وتذلل وهذا
أيضا غير محمود بل المحمود
عند الله العدل وهو أن
يعطي كل ذي حق حقه
فينبغي أن يتواضع بمثل
هذا لاقرانه ومن يقرب
من درجته فاما تواضعه
للسوقي فبالقيام والبشر في
الكلام والرفق في السؤال
واجابة دعوته والسعي في
حاجته وأمثال ذلك وأن
لا يرى نفسه خيرا منه بل
يكون على نفسه أخوف
منه على غيره فلا يحتقره ولا

يستصغره ولا يعرف خاتمة أمره فاذا سبيله في اكتساب التواضع أن يتواضع للاقران وان دونهم حتى يخف
عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل
ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من

غير

غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى أحب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن أن يذل نفسه الى أن يعود الى الوسط الذى هو الصراط المستقيم وذلك غامض فى هذا الخلق وفى سائر الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق أهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما أن الميل الى طرف التبذير فى المال أحمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أفحش وكذلك نهاية التكبر ونهاية التنقص والتذلل مذمومان وأحدهما أقبح من الآخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع *(الشطر الثانى من الكتاب)* فى العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

(بيان ذم العجب وآفاته)

اعلم أن العجب مذموم فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ ذكر ذلك فى معرض الانكار وقال عز وجل وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار فى اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وهذا أيضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابى ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الامة فقال اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك وقال ابن مسعود الهلاك فى اثنتين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعى والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وقد ظفر

غير ثقل ومن غير روية) أى تروّ فى أمر بان يقدم رجلا ويؤخر أخرى (فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى أحب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن أن يذل نفسه) كما ورد فى الخبر وتقدم فى كتاب العلم (الى أن يعود الى) حد (الوسط الذى هو الصراط المستقيم) السالم عن الميل (وذلك غامض فى هذا الخلق) بل (وفى سائر الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق) والتذلل (أهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما أن الميل الى طرف التبذير فى المال أحمد عند الناس من الميل الى طرف البخل) لما فيه من البذل للغير وان كان فى غير موضعه بخلاف طرف البخل (فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان) وقد جاء فى كل منهما من الآيات والاخبار ما يشهد على الذم (وأحدهما أفحش من الآخر وكذلك نهاية التكبر ونهاية التنقص والتذلل مذمومان وأحدهما أقبح من الآخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما تعرف ذلك بالشرع والعادة) فما اقتضته القواعد الشرعية واستحسنته العادة العرفية فليقدم عليه وما لا فلا (ولنقتصر على هذا القدر من بيان خلق الكبر والتواضع) وبه يتم الشطر الاول من هذا الكتاب والله الموفق

(الشطر الثانى من الكتاب فى العجب) وفيه بيان ذم العجب وآفته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه)

(بيان ذم العجب وآفته)

(اعلم) ارشدك الله تعالى (ان العجب مذموم فى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ذكر ذلك فى معرض الانكار) أى أنكر عليهم اعجابهم بقولهم انا لن نغلب من قلة قاله رجل من الانصار وكان المسلمون اثنى عشر ألفا عشرة آلاف من أهل المدينة وألفان من مسلمة الفتح وقد تقدم ذلك (وقال تعالى وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار فى اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا أيضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه) رواه الطبرانى فى الاوسط والبزار وأبو الشيخ فى التوبيخ والبيهقى والخطيب فى المتفق والمفترق وأبو نعيم فى الحلية من حديث أنس بزيادة من الخيلاء ورواه الطبرانى فى الاوسط أيضا من حديث ابن عمر ورواه البزار من حديث أنس بلفظ واعجاب المرء برأيه وقد تقدم ذلك مرارا فى كتاب ذم البخل وأول ما ذكره المصنف فى كتاب العلم (وقال) صلى الله عليه وسلم (لابى ثعلبة) الخشنى رضى الله عنه (حيث ذكر آخر هذه الامة) وما تؤل اليه من الحوادث والوقائع (اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك) رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وقد تقدم (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (الهلاك فى اثنتين) أى فى خصلتين هما (القنوط) من رحمة الله (والعجب) بنفسه (وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعى والطلب والجد والتشمير) وبذل الهمة (والقانط) من شأنه انه (لا يسعى ولا يطلب والمعجب) بنفسه أو برأيه (يعتقد انه قد سعد وظفر

بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة فى اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة فى اعتقاد القانط فمن ههنا جمع بينهما وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن أسلم لا تبروها أى لا تعتقدوا أنها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكأنه أعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك عمر فيه فقال مازال يعرف فى طلحة نأو منذ أصيبت أصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والنأو هو العجب فى اللغة الا أنه لم ينقل فيه انه أظهره واحتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم يأخذوا حذرهم وقال مطرف لان أبيت نائما وأصبح نادما أحب الى من أن أبيت قائما وأصبح معجبا وقال صلى الله عليه وسلم لولم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو أكبر من ذلك العجب العجب

بمراده فلا يسعى) أيضا (فالموجود) المتيسر (لا يطلب والمحال لا يطلب) لكون فرضه محالا وان لم يكن فى نفسه محالا (والسعادة موجودة فى اعتقاد المعجب حاصلة له) كأنها فى حوزة يده (ومستحيلة فى اعتقاد القانط) ولو لم تكن فى الحقيقة كذلك (فمن ههنا جمع بينهما وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم) أى لا تمدحوها ولا تثنوا عليها والتزكية النسبة الى الصلاح (وقال ابن جريج) عبد الملك بن عبد العزيز القرشى مولاهم (معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت) وروى نحوه عن مجاهد عند ابن المنذر (وقال زيد بن أسلم) العدوى مولاهم معناه (لا تبروها) رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر (أى لا تعتقدوها انها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة) بن عبيد الله التيمى القرشى أحد العشرة رضى الله عنهم (رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه) قال العراقى رواه البخارى من رواية قيس بن أبى حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ وروى أبو داود والطيالسى من حديث عائشة قالت كان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد قال ذلك يوم كله لطلحة رأيناه فى بعض تلك الحفار فاذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة وضربة ورمية واذا قد قطعت أصبعه فاصلحنا من شأنه (فكأنه أعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك فيه عمر) رضى الله عنه (فقال مازال يعرف فى طلحة بأو منذ أصيب أصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والبأو هو العجب فى اللغة) ومنهم من قال هو العجب بحسن الهيئة ومنهم من فسره بالافتخار (الا أنه لم ينقل فيه انه أظهره) فى وقت من الاوقات (واحتقر مسلما) وقد عصمه الله من ذلك (ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس) رضى الله عنهما (أين أنت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة) أخرجه اسحق بن بشر فى كتاب المبتدا له باسناد له عن ابن عباس قال دخلت على عمر وقد خلا يوما فتنفس تنفسا ظننت ان نفسه خرجت ثم رفع رأسه فتنفس الصعداء فقلت والله لاسألنه فقلت ما أخرج هذا منك الا هم قال هم والله شديد هذا الامر لو أجد له موضعا يعنى الخلافة ثم قال لعلك تقول ان صاحبك لها يعنى عليا قلت يا أمير المؤمنين أليس هو أهلها فى هجرته وأهلها فى صحبته وأهلها فى قرابته قال هو كما ذكرت ولكن رجل فيه دعابة فقلت فالزبير قال يقاتل على الصاع بالبقيع قلت طلحة قال ان فيه لبأوا وما أرى الله يعطيه خيرا وما برح ذلك فيه منذ أصيبت يده قلت سعد قال يحضر الناس ويقاتل وليس بصاحب هذا الامر قلت فابن عوف قال نعم المرء ولكنه ضعيف قال وأخرت عثمان لكثرة صلاته وكان أحب الناس الى قريش فقلت عثمان قال أوه أوه كلف بأقاربه كلف بأقاربه لو استعملته استعمل بنى أمية أجمعين أكتعين ويحمل بنى أبى معيط على رقاب الناس والله لو فعلت لفعل ولسارت اليه العرب حتى تقتله ان هذا الامر لا يحمله الا اللين فى غير ضعف القوى فى غير عنف الجواد فى غير سرف الممسك فى غير بخل واسحق بن بشر قال الذهبى كذاب (فاذا كان لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم يأخذوا حذرهم قال مطرف) بن عبد الله بن الشخير رحمه الله تعالى تابعى عابد ثقة (لان أبيت قائما وأصبح نادما أحب الى من أن أبيت قائما وأصبح معجبا) أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن أبى حامد بن جبلة حدثنا أبو العباس السراج حدثنا الفضل بن سهل حدثنا يزيد بن هرون حدثنا أبو الاشهب عن رجل قال قال مطرف فذكره (وقال صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا) وفى رواية لو لم تكونوا تذنبون (لخشيت) وفى رواية لخفت (عليكم ماهو أكبر من ذلك العجب العجب) هكذا هو مرتين قال العراقى رواه البزار وابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث أنس وفيه سلام بن أبى الصهباء قال البخارى منكر الحديث وقال أحمد حسن الحديث ورواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد بسند ضعيف جدا اهـ قلت ورواه كذلك الخرائطى فى مساوى الاخلاق والحاكم فى تاريخه وأبو نعيم فى الحلية كلهم من حديث أنس وطرق الكل ضعيفة ولذا قال الذهبى فى الميزان عقب ايراده ما أحسنه من حديث لو صح وقال السيوطى فى المنار هو حسن وكأنه راعى تعدد طرقه فانه يفيد نوع قوة بل قال المنذرى رواه البزار

فجعل العجب أكبر الذنوب وكان بشر بن منصور من الذين اذا رؤا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة فأطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف عن الصلاة قال له لا يعجبنك ما رأيت مني فان ابليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب (٤٠٩) مذموم جدا *(بيان آفة العجب)*

اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه أحد أسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن انه يغفر له وأما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا أعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان أكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وأن له عند الله منة وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطا الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه

باسناد جيد (فجعل العجب أكبر من الذنوب) لكونه يورث الغرور بالعمل فلا يوفق للتوبة بخلاف غيره من المعاصي ولان العجب يصرف وجه العبد عن الله والذنب يصرفه اليه ولان العجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به على ربه ولان العجب ينتج الاستكبار والذنب ينتج الاضطرار والافتقار وخير أوصاف العبد اضطراره وافتقاره الى ربه وفي الحديث دلالة على ان العبد لا تبعده الخطيئة عن الله وانما يبعده الاصرار والاستكبار والاعراض بل قد يكون الذنب سبب الوصلة بينه وبين ربه (وكان بشر بن منصور) السلمي أبو محمد البصري والد اسمعيل وسلمة كسفينة حي من الازد قال أحمد ثقة وزيادة وقال أبو زرعة ثقة مأمون مات سنة ثمانين ومائة روى له مسلم وأبو داود والنسائي (من الذين اذا رؤا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة) قال ابن المديني ما رأيت أحدا أخوف لله منه وكان يصلي كل يوم خمسمائة ركعة وحفر قبره وختم فيه القرآن وكان ورده ثلث القرآن (فأطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف من الصلاة قال لا يعجبنك ما رأيته مني فان ابليس قد عبد الله مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه) أي فلا ينبغي للانسان أن يغتر بالعمل أو يسلك به مسلك الاعجاب (وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيأ قالت اذا ظن انه محسن وقال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن) على المتصدق عليه (نتيجة استعظام صدقته واستعظام العمل هو العجب) لانه لولا يعجب به لما عده عظيما (فظهر بهذا ان العجب مذموم جدا والله أعلم)

(بيان آفة العجب)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه أحد أسبابه كما ذكرناه) قريبا (فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى) فآفات الكبر في آفات العجب (هذا مع العباد وأما مع الله) عز وجل (فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها) من أصلها (فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها) لاجل ذلك (وما يتذكر منها فيستصغره ولا يستعظمه ولا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن انه يغفر له وأما العبادات والاعمال) الصادرة منه (فانه يستعظمها ويتبجح بها) أي يتفاخر (ويمن على الله تعالى بفعلها وينسى نعمة الله تعالى عليه بالتوفيق والتمكين منها) ولو شاء لصرفه عنها (ثم اذا أعجب بها عمي عن آفاتها) التي في ضمنها وما يطرأ عليها منها (ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان أكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب) الخفية (قلما تنفع) صاحبها (وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون) من يغلب عليه (العجب والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان) ومنزلة (وان له عند الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها) وينسب لها الفضيلة (فان أعجب برأيه وعقله وعلمه) بان نسب الرأي الى السداد والعقل الى الكمال والعلم الى الكثرة (منع ذلك من الاستفادة والاستشارة والسؤال فيستبد) أي يستقل (بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه) أو يجلس بين يديه فيستفيد منه حكمة (وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه) ويعمل

ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال و يصر على خطئه فان كان رأيه فى أمر دنيوى فيحقق فيه وان كان فى أمر دينى لاسيما فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولواتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن أعظم آفاته أن يفتر فى السعى لظنه انه قد فاز وانه (٤١٠) قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذى لا شبهة فيه نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته

(بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما)

اعلم أن العجب انما يكون بوصف هو كمال لامحالة وللعالم بكمال نفسه فى علم وعمل ومال وغيره حالتان احداهما أن يكون خائفا على زواله ومشفقا على تكدره أوسلبه من اصله فهذا ليس بعجب والاخرى أن لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا أيضا ليس بعجب وله حالة ثالثة هى العجب وهى أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله تعالى بأنه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة فى الدنيا واستبعد أن يجرى عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجرى على الفساق سمى هذا ادلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطى غيره شيأ فيستعظمه و يمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه أواقترح عليه الاقتراحات أواستبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة فى قوله تعالى ولا تمنن تستكثر أى لا تدل بعملك وفى الخبر ان صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه ولان تضحك وأنت معترف بذنبك خير من ان تبكى وأنت مدل بعملك

بمقتضاه (ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال) والاستحماق (و يصر على خطاياه فان كان رأيه فى أمر دنيوى فيحقق فيه وان كان فى أمر دينى لاسيما فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولواتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم) مع أهله (وتابع سؤال أهل البصيرة و) العرفان (لكان ذلك يوصله الى الحق) لامحالة (فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات) ويشير اليه لفظ البزار فى الحديث المتقدم عن أنس واعجاب المرء برأيه (ومن أعظم آفاته انه يفتر) أى يكسل (فى السعى لظنه انه قد فاز) وسعد (وقد استغنى وهو الهلاك الصريح الذى لا شبهة فيه) والله الموفق

(بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لامحالة وللعالم بكمال نفسه فى علم وعمل ومال وغيره حالتان احداهما أن يكون خائفا على زواله مشفقا على تكدره أوسلبه من أصله فهذا ليس بعجب والاخرى أن يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى) أنعم به (عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا أيضا ليس بعجب) لان العجب كما سيأتى كناية عن الركون الى النعمة مع نسيان اضافتها الى المنعم وفى الحالتين ليس كذلك (وله حالة ثالثة هى العجب وهى أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به ومطمئنا اليه و يكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة و رفعة وخير لا من حيث انه عطية من الله ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون اليها) أى الاطمئنان بها (مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان) رفيع (حتى يتوقع) أى يترجى (بعمله كرامة له فى الدنيا واستبعد ان يجرى عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجرى على الفساق) والفجار (سمى هذا ادلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة) وهو بتشديد اللام اسم من الادلال (ولذلك قد يعطى غيره شيأ فيستعظمه و يمن عليه فيكون معجبا) باستعظامه ومنه (فان استخدمه) أى شغله فى خدمة (أواقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه قال) أبو الخطاب (قتادة) بن دعامة السدوسى البصرى رحمه الله (فى قوله عز وجل ولا تمنن تستكثر) أى (لا تدل بعملك) وروى عبد ابن حميد عن ابن عباس قال معناه أن تستكثر عملك وعن مجاهد قال لا تعظم عملك فى عينك ان تستكثر الخير ورواه كذلك ابن المنذر (وفى الخبر ان صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه ولان تضحك وأنت معترف بذنبك خير من ان تبكى وأنت مدل بعملك) قال العراقى لم أجد له أصلا قلت هو كذلك ليس له أصل فى المرفوع ولكنه من كلام راهب من رهبان بنى اسرائيل قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو بكر الآجرى حدثنا عبد الله بن محمد العطشى حدثنا ابراهيم بن الجنيد حدثنا عبد الله بن أبى بكر المقدمى حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا عمر بن عبد الرحمن الصنعانى قال سمعت وهب بن منبه يقول لقى رجل راهبا فقال يا راهب كيف صلواتك فقال

الراهب

والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله لانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر وأسبابه والله

تعالى أعلم

(بيان علاج العجب على الجملة)

اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب ومالا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه فهو محله ومجراه أو من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث انه هو منه واليه وباختياره حصل وبقدرته تم فينبغي أن يتأمل في قدرته وارادته وأعضائه وسائر الاسباب التي بها يتم عمله انها من أين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي أن يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله اذ أفاض عليه مالا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فهما بر زالملك لغلمانه ونظر اليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي أن يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق واعجابه بنفسه من أين وما سببه ولم ينبغي أن يعجب هو بنفسه نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول الملك حكم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الالسبب

الراهب لا أحسب أحدا سمع بذكر الجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يصلي فيها قال فكيف ذكرك للموت قال ما أرفع قدما ولا أضع أخرى الا رأيت اني ميت فقال الراهب كيف صلاتك أيها الرجل قال اني لاصلي وأبكي حتى ينبت العشب من دموع عيني فقال الراهب للرجل اما ان تضحك وأنت معترف بخطيئتك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك فان المدل لا يرفع له عمل فقال الرجل للراهب فاوصني فاني أراك حكيما فقال ازهد في الدنيا ولا تنازع أهلها وكن منها كالنحلة ان أكلت أكلت طيبا وان وضعت وضعت طيبا وان وقعت على عود لم تكسره وانصح لله عز وجل نصح الكلب لاهله يجيعونه ويطردونه ويضربونه ويأبى الا أن ينصح لهم قال فكان وهب بن منبه اذا ذكر هذا الحديث قال واسوأتاه اذا كان الكلب أنصح لاهله منك لله عز وجل وحدثنا أبو بكر الآجري حدثنا ابن عمر بن أيوب السقطي حدثنا أبو همام حدثني قبيصة حدثنا سفيان عن رجل من أهل صنعاء عن وهب قال مر رجل مع راهب فقال يا راهب كيف دأب نشاطك فذكر نحوه (والادلال وراء العجب ولا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله لانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال) وقد اتضح لك حدهما وحقيقتهما (وهو من مقدمات الكبر وأسبابه) فانه اذا وجد ذلك ترشح منه وصف الكبر والله الموفق

(بيان علاج العجب على الجملة)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا أبلغ من العجب بالجمال والقوة والنسب و) كل (مالا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه فهو محله ومجراه أو) يعجب به (من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وبقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل) من المعجب (لان المحل) انما هو (مسخر ومجرى) يجري فيه (لا مدخل له في الايجاد والتحصيل) ولا يد له في شئ منهما (فكيف يعجب بما ليس اليه) ولا مدخل له فيه (وان كان يعجب به من حيث هو منه واليه وباختياره حصل وبقدرته وقوته تم فينبغي أن يتامل في قدرته وارادته وأعضائه وسائر الاسباب التي بها تم عمله انها من أين كانت له) وكيف تيسرت له (فان كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي أن يكون اعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله اذ أفاض عليه مالا يستحقه) وخصه (وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة) يدلي بها (فهما بر زالملك لغلمانه ونظر اليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم) خلعة (لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي أن يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره) له من دونهم (من غير استحقاق) ظاهر له (فاعجابه بنفسه من أين وما سببه ولم ينبغي أن يعجب هو بنفسه نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول الملك حكم عدل لا يظلم) أحدا (ولا يقدم ولا يؤخر الاسباب) خفي

فلولا أنه تفطن فى صفة من الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الايثار بالخلعة لما آثرنى بها فيقال وتلك الصفة أيضا هى من خلعة الملك وعطيته التى خصصك بها من غيرك من غير وسيلة أو هى عطية غيره فان كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب بها بل كان كما لو أعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما أعطانى غلاما لانى صاحب فرس فاما غيرى فلا فرس له فيقال وهو الذى أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معا أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فاذا كان الكل منه فينبغى أن يعجبك جوده وفضله لا نفسك وأما ان كانت تلك الصفة من

غيره فلا يبعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا يتصوّر فى حق الملوك ولا يتصوّر فى حق الجبار القاهر ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان عجبت بعبادتك وقلت وفقنى للعبادة لحبى له فيقال ومن خلق الحب فى قلبك فستقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ أنعم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك فاذا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغنى بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل أيضا من فضله وجوده فان قلت لا يمكننى أن اجهل أعمالى وانى أنا عملتها فانى أنتظر عليها ثوابا ولولا انها عملى لما انتظرت ثوابا فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لى الثواب وان كانت الاعمال منى وبقدرتى فكيف لا أعجب بها فاعلم أن جوابك من وجهين أحدهما هو صريح الحق اى والآخر فيه مسامحة أما صريح الحق فهو انك وقدرتك وارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذى انكشف لارباب القلوب بمشاهدة أوضح من ابصار العين بل خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيها القوّة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو أردت ان تنفى شيأ من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات فى أعضائك مستبدا باختراعها

على مدركه (فلولا انه تفطن فى صفة من الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الايثار بالخلعة ولما آثرنى بها) واختصنى من دونهم (فيقال) له (وتلك الصفة هى أيضا من خلعة الملك وعطيته التى خصصك بها عن غيرك من غير وسيلة أو هى عطية غيره فان كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب بها بل كان كما لو أعطاك فرسا) تركبه (فلم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما اعطانى غلاما لانى صاحب فرس) اذ صاحب الفرس لا يستغنى عن غلام (وأما غيرى فلا فرس له فيقال وهو الذى أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معا أو يعطى أحدهما بعد الآخر فاذا كان الكل منه فينبغى أن يعجبك جوده وفضله لا نفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد أن يعجب بتلك الصفة وهذا يتصور فى حق الملوك) فى الدنيا (ولا يتصور فى حق الجبار القاهر ملك الملوك) جل جلاله (المنفرد باختراع الجميع) من غير سابق مثال (المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان أعجبت بعبادتك وقلت وفقنى للعبادة لحبى له فيقال ومن خلق الحب فى قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك فاذا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغنى بماله لان كل ذلك من فضل الله) ومن احسانه وجوده وكرمه (وانما هو محل لفيضان فضل الله وجوده والمحل أيضا من جوده وفضله فان قلت لا يمكننى أن أجحد اعمالى وانى أنا عملتها) أى لا يمكننى انكارها (فانى انتظر عليها ثوابا) أى جزاء ومكافاة (ولولا انها عملى) وصدرت منى (لما انتظرت عليها الثواب فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لى الثواب وان كانت الاعمال منى وبقدرتى فكيف لا أعجب بها) وهى فى محل الاعجاب (فاعلم ان جوابك) عن هذا الاشكال (من وجهين أحدهما وهو صريح الحق والآخر فيه مسامحة ما أما صريح الحق فهو انك وقدرتك وارادتك وحركتك جميع ذلك من خلق الله تعالى واختراعه فما عملت اذ عملت) الا باعانته (وما صليت اذ صليت) الا بتاييده والى هذا الاشارة بقوله تعالى يخاطب به حبيبه صلى الله عليه وسلم (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقد تقدم الكلام على هذا فى مواضع من هذا الكتاب فاغنانا عن اعادته (فهذا هو الحق) الصريح (الذى انكشف لارباب القلوب) لما ترقوا من حضيض المجاز الى ارتفاع الحقيقة واستكملوا معراجهم (بمشاهدة) عيانية (اوضح من ابصار العين) فليس فى الوجود الا الله وكل شئ سواه اذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض واذا اعتبر من الوجه الذى يسرى اليه الوجود من الازل رؤى موجودا لا فى ذاته لكن من الوجه الذى يلى موجده فيكون الموجود وجه الله فقط ولكل شئ وجهان وجه الى نفسه ووجه الى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله موجود فاذا لا موجود الا الله ووجهه (بل خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيها القوّة والقدرة والصحة) والكمال (وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو أردت ان تنفى شيأ من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات فى أعضائك) مختلفة الاحوال (مستبدا بها)

من غير مشاركة من جهتك معه فى الاختراع الا انه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق فى العضو قوة وفى القلب ارادة ولم يخلق ارادة مالم يخلق علما بالمراد ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذى هو محل العلم فتدريجه فى الخلق شيأ بعد شئ هو الذى خيل اليك انك أوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سيأتى تقريره فى كتاب الشكر فانه أليق به فارجع اليه ونحن الآن نزيل اشكالك بالجواب الثانى الذى فيه مسامحة ما وهو ان تحسب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك ووجود عملك وارادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهى بيد الله لا محالة أرأيت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة فى قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها ألف سنة لم يمكنك أن تنظر الى دينار مما فيها ولو أعطاك المفتاح لأخذته من قريب بان تبسط يدك اليه فتأخذه فقط فاذا أعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك وأخذتها كان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح أو بما اليك من مد اليد وأخذها فلا تشك فى انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة فى تحريك اليد بأخذ المال قريبة وانما الشأن كله فى تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعى والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله ليس شئ منها اليك فمن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه فى ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعى الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط اخوان السوء

أى مستقلا بذاته (من غير مشاركة من جهتك معه فى) أصل (الاختراع) والابتداع (الا انه خلقه على ترتيب) بديع (فلم يخلق الحركة مالم يخلق فى العضو قوة) لاحتمالها (وخلق فى القلب ارادة ولم يخلق ارادة مالم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم مالم يخلق القلب الذى هو محل العلم) ومستقره ومصدر أحكامه فهذه الثلاثة مرتبة بعضها أعلى من بعض ولكل واحد مقام معلوم ودرجة خاصة لا تتعداه وكذلك الانوار الملكوتية انما وجدت على ترتيب كذلك وهى لا تتسلسل الى غير نهاية بل ترتقى الى منبع أول هو النور لذاته وبذاته ليس يأتيه نور من غيره ومنه تشرق الانوار كلها على ترتيبها (فتدريجه فى الخلق شيأ بعد شئ هو الذى خيل اليك انك أوجدت عملك وقد غلطت) فى هذا التخييل (وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سيأتى تقريره فى كتاب الشكر فانه أليق به فارجع اليه) وطالعه (ونحن الآن نزيل اشكالك بالجواب الثانى الذى فيه مسامحة ما وهو ان تحسب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك) ومن أوجدها فيك (ولا يتصور العمل الا بوجودك ووجود عملك وارادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك) وتفصيل ذلك الصلاة وهى عمل من أعمالك وهى تستدعى الطهارة والطهارة تكون بالماء فمن أنزل من السماء ماء طهورا واذا كان الماء موجودا متيسرا فمن أوجد فيك القدرة لاستعماله ثم اذا تطهرت فمن أوجد فيك قوة الى القيام ورفع اليدين الى الاذنين والنطق بالقراءة بتحريك اللسان والركوع والسجود والجلوس وقس على ذلك سائر الاعمال (فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه) الذى يفتح به باب ذلك العمل (وهذا المفتاح بيد الله) عز وجل (ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات) كلها بمثابة (خزائن) مملوأة (بها يتوصل الى السعادات) الدنيوية والاخروية (ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهى بيد الله تعالى لا محالة) وهذا نحو ما ورد فى بعض الاخبار العلم خزائن ومفاتيحها السؤال فكذلك نقول العبادات خزائن ومفاتيحها القدرة والعلم والارادة (أرأيت لو رأيت خزائن الدنيا) بأسرها (لو كانت مجموعة فى قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن وجلست على بابها و) درت (حول حيطانها ألف سنة) مثلا (لم يمكنك أن تنظر الى دينار) واحد (مما فيها ولو أعطاك) الخازن (المفتاح لأخذته من قريب) من غير مشقة (بان تبسط يدك اليه فتأخذه فقط فاذا أعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك وأخذتها كان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح) أكثر (أو بما اليك من مد اليد وأخذها) وتناوله (فلا تشك فى انك ترى ذلك نعمة من الخازن) حيث مكنك منه (لان المؤنة فى تحريك اليد بأخذ المال قريبة وانما الشأن كله فى تسليم المفاتيح) فينبغى أن يكون الاعجاب به أكثر (فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعى والبواعث وصرفت عنك الموانع والصوارف) أى الشواغل (حتى لم يبق صارف الا دفع) عنك (ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك) متيسر لك بسهولة (وتحريك البواعث وصرف العوائق) ومنع الشواغل (وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى) وحده (ليس شئ منها اليك) ابتداء وانتهاء (فمن العجائب أن تعجب بنفسك) وبعملك (ولا تعجب بمن اليه الامر كله) بدأ وعودا (فلا تعجب بجوده وفضله وكرمه) ومنته عليك (فى ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعى الفساد) وبواعث الشر (على الفساق وصرفها عنك وسلط اخوان السوء

ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وأبعد العاصي وأشقاه بعدله فما أعجب إعجابك بنفسك إذا عرفت ذلك فإذا لا تنصرف قدرتك إلى المقدور إلا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا إلى مخالفتها فكأنه الذي اضطرك إلى الفعل إن كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسيأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما تستبين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب إذا رزقه الله عقلا وأفقره ممن أفاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منعني قوت يومي وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو الغافل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري المغرور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال إذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما فهلا جمعتهما لي أو هلا رزقتني أحدهما وإلى هذا أشار علي رضي الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني أحسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا عن عقلك وفقرك لامتنع عنه فإذا ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يتعجب من ذلك والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر اوهام على الذميمة القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص مثل ذلك القبح ولا تدري المغرورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال فإذن نعمة الله عليها أكبر وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا وأعطيتها الجهال كقول من أعطاه الملك فرسا فيقول أيها الملك لم لا تعطيني الغلام وأنا صاحب فرس فيقول له كنت لا تتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فهب أني ما أعطيتك فرسا أصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى فهذه

ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات) فيها بتوافيها (وزواها عنك) فمن العصمة أن لا تقدر (وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى يتيسر لك الخير) ويسهل سبيله (ويتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وأبعد العاصي) عن حظيرة قربه (وأشقاه بعدله فما أعجبك بإعجابك بنفسك إذا عرفت ذلك) وتأملته (فإذا لا تنصرف قدرتك إلى المقدور) من أي عمل كان (إلا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا إلى مخالفتها فكأنه الذي اضطرك إلى الفعل إن كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة) وحده (لا لك وسيأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات) وارتباط بعضها ببعض (ما تستبين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب إذا رزقه الله عقلا) وحكمة (وأفقره) أي جعله فقيرا معدما (ممن أفاض عليه المال من غير علم) ولا عقل (فيقول كيف منعني قوت يومي وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما) ومن ذلك قول ابن الراوندي الملحد

كم عاقل عاقل ضاقت معيشته * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

وقال غيره

كم من قوي قوي في تقلبه * مهذب الرأي عنه الرزق منحرف

وكم ضعيف ضعيف العقل مختلط * كأنه من خليج البحر يغترف

(ولا يدري المغرور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال) وإن لم يكن ظلما حقيقة (إذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما فهلا جمعتهما لي) فجعلتني عاقلا غنيا (أو هلا رزقتني أحدهما وإلى هذا أشار علي رضي الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه) أي فبقدر ما يعطى من العقل والحكمة ينقص من رزقه وفي لفظ إن ذكاء الرجل والمعنى واحد (والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني أحسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لامتنع عنه فإذا ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يتعجب من ذلك وكذلك المرأة الحسناء) الجميلة الصورة (الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الذميمة القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة) الظاهرة من الحلي والجواهر (ويخصص مثل ذلك القبيح) الصورة (ولا تدري المغرورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خيرت بين الجمال والقبح مع الغنى لآثرت الجمال) ولم تلتفت إلى الغنى مع قبح الصورة (فإذا نعمة الله عليها أكبر وقول العاقل الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني من الدنيا وأعطيت الجهال كقول من أعطاه الملك فرسا فيقول أيها الملك لم لا تعطيني الغلام وأنا صاحب فرس فيقول) الملك (كنت لا تتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فهب أني ما أعطيتك فرسا أصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى فهذه

أوهام لاتخلوا الجهال عنها ومنشا جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتدأه
بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور

أوهام لاتخلوا الجهال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل) وتقل وتكثر باختلاف أنواع الجهل فمن كان جهله بسيطا كان الوهم عنده أكثر (ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتدأه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك لما قال داود عليه السلام ماتأتي ليلة الاوانسان من آل داود قائم ولا يأتي يوم الاوانسان من آل داود صائم وفي رواية ماتم ساعة من ليل أونهار الاوعابد من آل داود يعبدك امايصلي واما يصوم واما يذكرك فاوحى الله تعالى اليه ياداود ومن أين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الابي ولولاعوني اياك ماقويت وسأكلك الى نفسك قال ابن عباس) رضي الله عنه (انما أصاب داود ماأصاب من الذنب لعجبه بعمله اذ اضافه الى آل داود مدلابه حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا أورثه الحزن والندم) أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن ابن عباس قال ماأصاب داود ماأصاب بعد القدر الامن عجب بنفسه وذلك انه قال يارب مامن ساعة من ليل أونهار الاوعابد من آل داود يعبدك فيصلي لك أو يسبح أو يكبر وذكر شيأ فكره الله ذلك فقال ياداود ذلك لم يكن الابي ولولاعوني ماقويت عليه وجلالي لاكلنك الى نفسك يوما فقال يارب فاخبرني به فاصابته الفتنة في ذلك اليوم (وقال داود) عليه السلام (يارب ان بني اسرائيل يسألونك بابراهيم واسحق ويعقوب فقال اني ابتليتهم فصبروا فقال يارب وأنا ان ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال تعالى اما اني لم أخبرهم بأي شئ ابتليهم ولافي أي شهر ولافي أي يوم وأنا مخبرك في سنتك هذه في شهرك هذا أبتليك غدا بامرأة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال ان داود قال يارب قد أعطيت ابراهيم واسحق ويعقوب من الذكر مالوأردت أعطيتني مثله قال الله عز وجل اني ابتليتهم بمالم أبتلك فان شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم وأعطيتك كما أعطيتهم قال نعم قال له فاعمل حتى أرى بلاءك فكان ماشاء الله ان يكون وطال ذلك فكاد ان ينساه فبينماهو في محرابه اذوقعت عليه حمامة ثم ذكر باقي القصة بطولها في ابتلائه باوريا ورجوعه وتوبته وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن أبي حاتم عن ابن عباس ان داود حدث نفسه ان ابتلي ان يعتصم فقيل له انك ستبتلى وستعلم الذي تبتلى فيه فخذ حذرك فقيل له هذا اليوم تبتلى فيه فاخذ الزبور ودخل المحراب وأغلق الباب واقعد منصفا على الباب وقال لاتأذن لاحد علي اليوم فبينماهو يقرأ الزبور اذ جاء طائر مذهب فذكر الحديث وأخرج ابن جرير والحاكم عن السدي قال كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوما يقضي فيه بين الناس ويوما يخلو فيه بعبادة ربه ويوما يخلو فيه بنسائه وكان له تسع وتسعون امرأة وكان فيما يقرأ من الكتب آية قال يارب ان الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فاعطني مثل ماأعطيتهم وافعل بي مافعلت بهم فاوحى الله اليه ان آباءك قد ابتليتهم ببلايا لم تبتل بها ابتلي ابراهيم بذبح ابنه وابتلي اسحق بذهاب بصره وابتلي يعقوب بحزنه على يوسف وأنت لم تبتل بشئ من ذلك قال يارب ابتلني كما ابتليتهم واعطني مثل ماأعطيتهم فاوحى الله اليه انك مبتلى فاحترس فمكث بعد ذلك ماشاء الله ان يمكث اذجاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب ثم ذكر باقي الحديث وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير قال انما كانت فتنة داود النظر (وكذلك لما اتكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم) وشوكتهم (وكثرتهم اذ كانوا اثني عشر ألفا) عشرة آلاف من أهل المدينة والفان من مسلمة الفتح (ونسوا فضل الله عليهم وقالوا لانغلب اليوم من قلة) وكان القائل لذلك رجلا من الانصار وكون قائل ذلك أبا بكر الصديق من افتراء الرافضة (وكلوا الى أنفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت) أي اتسعت (ثم وليتم

أن يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يارب ماتاتي ليلة الاوانسان من آل داود قائم ولا يأتي يوم الا وانسان من آل داود صائم وفي رواية ماتم ساعة من ليل أونهار الاوعابد من آل داود يعبدك امايصلي واما يصوم واما يذكرك فاوحى الله تعالى اليه ياداود ومن أين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الابي ولولاعوني اياك ماقويت وسأكلك الى نفسك قال ابن عباس انما أصاب داود ماأصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ أضافه الى آل داود مدلابه حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا أورثه الحزن والندم وقال داود يارب ان بني اسرائيل يسألونك بابراهيم واسحق ويعقوب فقال اني ابتليتهم فصبروا فقال يارب وأنا ان ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم أخبرهم باي شئ ابتليهم ولافي أي شهر ولا في أي يوم وأنا مخبرك في سنتك هذه وشهرك هذا أبتليك غدا بامرأة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم
وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لانغلب اليوم من قلة وكلوا الى أنفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ
وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم

مدبرين وروى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال الهى انك ابتليتنى بهذا البلاء وما ورد على أمر الا آثرت هواك على

هواى فنودى من غمامة
بعشرة آلاف صوت يا أيوب
أنى لك ذلك أى من أين لك
ذلك قال فاخذ رمادا ووضعه
على رأسه وقال منك يارب
منك يارب فرجع من
نسيانه الى اضافة ذلك الى
الله تعالى ولهذا قال الله
تعالى ولولا فضل الله عليكم
ورحمته ما زكا منكم من
أحد أبدا وقال النبى صلى
الله عليه وسلم لاصحابه وهم
خير الناس ما منكم من
أحد ينجيه عمله قالوا ولا أنت
يارسول قال ولا أنا الا أن
يتغمدنى الله برحمته ولقد
كان أصحابه من بعده يتمنون
أن يكونوا ترابا وتبنا وطيرا
مع صفاء أعمالهم وقلوبهم
فكيف يكون لذى بصيرة
ان يعجب بعمله او يدل به
ولا يخاف على نفسه فاذا
هذا هو العلاج القامع
لمادة العجب من القلب
ومهما غلب ذلك على القلب
شغله خوف سلب هذه
النعمة عن الاعجاب بها بل
هو ينظر الى الكفار والفساق
وقد سلبوا نعمة الايمان
والطاعة بغير ذنب أذنبوه
من قبل فيخاف من ذلك
فيقول ان من لا يبالى أن
يحرم من غير جناية ويعطى
من غير وسيلة لا يبالى ان
يعود ويسترجع ما وهب
فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال والله تعالى أعلم

(بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه) اعلم أن العجب بالاسباب التى بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه

بالراى

مدبرين) أى منهزمين قال العراقى رواه البيهقى فى الدلائل من رواية الربيع بن أنس مرسلا ان رجلا
قال يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ويوم
حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ ولابن مردويه فى تفسيره من حديث أنس لما التقوا يوم حنين
أعجبتهم كثرتهم فقالوا اليوم نقاتل ففروا فرار الفرخ وابن فضالة ضعفه الجمهور اهـ قلت وتمام سياق
البيهقى فى الدلائل قال الربيع وكانوا اثنى عشر ألفا منهم ألفان من أهل مكة وجاء تفصيل ذلك فى رواية
عبيد بن عمير الليثى عند أبى الشيخ قال كان مع النبى صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف من الانصار وألف من
جهينة وألف من مزينة وألف من اسلم وألف من غفار وألف من أشجع وألف من المهاجرين وغيرهم
وأما حديث أنس الذى عند ابن مردويه فقد رواه أيضا أبو الشيخ والحاكم وصححه ولفظه لما اجتمع
يوم حنين أهل مكة وأهل المدينة أعجبتهم كثرتهم فقال القوم اليوم والله نقاتل فلما التقوا واشتد القتال
ولوا مدبرين الحديث وأخرج ابن المنذر عن الحسن البصرى قال لما اجتمع أهل مكة وأهل المدينة قالوا
الآن والله نقاتل حين اجتمعنا فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالوا وما أعجبهم من كثرتهم فالتقوا
فهزموا الحديث (وروى ابن عيينة) سفيان رحمه الله (ان أيوب عليه السلام قال الهى انك ابتليتنى
بهذا البلاء وما ورد على أمر الا آثرت هواك على هواى فنودى من غمامة بعشرة آلاف صوت يا أيوب انى
لك) من أين لك (ذلك فاخذ رمادا فوضعه على رأسه وقال منك يارب منك يارب فرجع من نسيانه الى
اضافة ذلك الى الله تعالى) أخرجه أبو نعيم فى الحلية قال حدثنا أبى حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا
أبو الربيع سليمان بن داود المصرى حدثنا يونس بن عبد الرحمن قال سمعت سفيان بن عيينة يقول قال أيوب
عليه السلام اللهم انك تعلم انه لم يعرض لى أمران قط أحدهما لك فيه رضا والآخر لى فيه هوى الا آثرت
الذى لك فيه رضا على الذى لى فيه هوى قال فنودى من غمامة من عشرة آلاف صوت يا أيوب من فعل
ذلك بك قال فوضع التراب على رأسه ثم قال أنت يارب (ولهذا قال) الله (تعالى ولولا فضل الله عليكم
ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير الناس) بنص الخبر
خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم (ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن
يتغمدنى الله برحمته) قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة اهـ قلت ورواه ابن حبان أيضا
بزيادة ولكن سددوا ويروى من حديث شريك بن طارق وأبى موسى أما حديث شريك فلفظه يدخله
بدل ينجيه وربى بدل الله رواه ابن حبان والبغوى وابن قانع والطبرانى قال البغوى ولا أعلم له غيره وأما
حديث أبى موسى فلفظه يدخله ويتغمدنى الله برحمته رواه الطبرانى (ولقد كان أصحابه من بعده يتمنون
أن يكونوا ترابا) ورمادا (وتبنا وطيرا) كما تقدم عن عمر وابن مسعود وغيرهما (مع صفاء أعمالهم
و) طهارة (قلوبهم) واستقامة أحوالهم (فكيف يكون لذى بصيرة ان يعجب بعمله أو يدل به ولا يخاف
على نفسه فاذا هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك القلب شغله خوف سلب هذه
النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب
أذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يبالى أن يحرم) أى يمنع (من غير جناية) سابقة
(ويعطى من غير وسيلة لا يبالى أن يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق
وختم له بالسوء) والعياذ بالله (وهذا لا يبقى معه عجب بحال) والله الموفق

(بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه)

(اعلم) هداك الله تعالى (أن العجب بالاسباب التى بها يتكبر كما ذكرنا وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه

بالرأى الخطا الذى يزين له بجهله فبابه العجب ثمانية أقسام الاول أن يعجب ببدنه فى جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته و بالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه و ينسى انه نعمة من الله) تعالى (وهو) مع ذلك (بعرضة الزوال) أى مظنة لان يعرض له زوال ما يتكبر به (فى كل حال) من أحواله (وعلاجه ماذكرناه فى الكبر بالجمال وهو التفكر فى اقذار باطنه) أى مافى باطنه من المستقذرات (و) التفكر (فى أول أمره) كيف بدئ ومن أى شئ خلق (وآخره) كيف يعود (وفى الوجوه الجميلة) الوضيئة (والابدان الناعمة) المربربة (انها كيف تمزقت فى التراب وانتنت فى القبور حتى استقذرتها الطباع) ونفرت من مقاربتها والنظر اليها (الثانى القوة والبطش كما حكى عن قوم عاد حين قالوا فيما أخبر الله عنهم) فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا (من أشد منا قوة) اغترارا بقدرتهم وشوكتهم فرد الله عليهم فقال أولم يروا ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وعاد قبيلة من العرب الاول وهم قوم هود عليه السلام قال الليث هم بنو عاد بن عاديا بن سام بن نوح عليه السلام قال زهير * واهلك لقمان بن عاد وعاديا * وأما عاد الآخرة فهم بنو تميم ينزلون رمال عالج عصوا الله فمسخوا نسناسا وقال أئمة النسب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح كان يعبد القمر و يقال انه رأى من صلبه وأولاده وأولاد أولاده أربعة آلاف وانه نكح ألف جارية ومن أولاده شداد بن عاد صاحب المدينة المذكورة (وكما اتكل عوج) بالضم (على قوته فاعجب بها) وهو رجل ذكرانه ولد فى منزل آدم عليه السلام وعاش الى زمن موسى عليه السلام قال القزاز فى جامع اللغة هو رجل من الفراعنة كان يوصف من الطول بامر شنيع قال الخليل ذكرانه كان اذا قام كان السحاب له مئزرا قال (فاقتلع جبلا) أى صخرة كبيرة منه (ليطبقه على عسكر موسى) عليه السلام فدعا موسى الى ربه بهلاكه (فثقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل) بان سلط عليه طيرا فثقبه بمنقاره (حتى صارت فى عنقه) ولم يزل بها حتى هلك بها ولم تنفعه قوته شيأ واختلف فى اسم أبيه فقيل عنق بضم العين والنون وهذا هو المشهور على الالسنة وخطأه صاحب القاموس وقال الصواب عوق بالضم وسكون الواو قال شيخنا أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسى فى حاشيته على القاموس زعم بعض الحفاظ المؤرخين ان عنق اسم أم عوج وعوق أبوه فعلى هذا لاخطا ولا غلط وفى شعر عرقلة الدمشقى المتوفى سنة ٥٦٧

أعور الدجال يمشى * خلف عوج بن عناق

وهو ثقة عارف وتمام الكلام عليه فى شرحى على القاموس فراجعه (وقد يتكل المؤمن أيضا على قوته كما روى عن سليمان عليه السلام انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل ان شاء الله فحرم ما أراد من الولد) رواه أحمد والشيخان والنسائى من حديث أبى هريرة بلفظ قال سليمان بن داود عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق انسان والذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته يجاهدون فى سبيل الله فرسانا أجمعون * شرح الحديث فى رواية لاطيفن قال عياض وهما لغتان فصيحتان واللام موطئة للقسم أى والله لادورن الليلة أى فى الليلة على مائة امرأة فكنى بالطواف عن الجماع وفى رواية على سبعين وفى أخرى تسعين وجمع بان البعض سرارى والبعض حرائر على ان القليل لا ينفى الكثير بل مفهوم العدد ليس بحجة عند الاكثر كلهن يأتى بفارس أى تلد ولدا و يصير فارسا فقال له صاحبه أى قرينه وبطانته أو وزيره من الانس أو خاطره وفى رواية الملك قل ان شاء الله ذلك فلم يقل أى بلسانه لنسيان عرض له فعلة الترك النسيان لا الاباء عن التفويض الى الرحمن فصرف عن الاستثناء القدر السابق أن لا يكون ما تمنى وفيه تقديم وتأخير أى لم يقل ان شاء الله فقال له صاحبه قل ذكره عياض فطاف عليهن أى جامعهن جميعا فى ليلة واحدة وفيه دلالة على ما رزقه الانبياء عليهم السلام من

بالرأى الخطا الذى يزين له بجهله فبابه العجب ثمانية أقسام * الاول أن يعجب ببدنه فى جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وحسن صوته و بالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه و ينسى انه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال فى كل حال وعلاجه ماذكرناه فى الكبر بالجمال وهو التفكر فى اقذار باطنه وفى اول امره وفى آخره وفى الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت فى التراب وانتنت فى القبور حتى استقذرتها الطباع * الثانى البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد حين قالوا فيما اخبر الله عنهم من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بنقر هدهد ضعيف المنقار حتى صارت فى عنقه وقد يتكل المؤمن ايضا على قوته كما روى عن سليمان عليه السلام انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل ان شاء الله تعالى فحرم ما اراد من الولد

وكذلك قول داود عليه السلام ان ابتليتني صبرت وكان اعجابا منه بالقوة فلما ابتلى بالمرأة لم يصبر و يورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ماذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبها الله تعالى بادنى آفة يسلطها عليه الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالرأي وترك المشورة (٤١٨) واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه و يخرج الى قلة الاصغاء الى أهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالرأي والعقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه ان يشكر الله تعالى على مارزق من العقل و يتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس و يجن بحيث يضحك منه فلا يأمن ان يسلب عقله ان أعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم انه ما أوتي من العلم الاقليلا وان اتسع علمه وان ماجهله مما عرفه الناس أكثر مما عرفه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله و ينظر الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم و يضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدري فان القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن أعدائه لا من أصدقائه فان من يداهنه يثني عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له و يتخيل بعضهم ان جميع من الخلق له موال وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف آباءه في افعالهم واخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال المحمودة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شرا من الكلاب وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى أي لا تفاوت في أنسابكم لاجتماعكم في أصل واحد

القوة في الجماع وانها في الرجال فضيلة وهي تدل على صحة الذكورية وكمال الانسانية فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق انسان قيل هو الجسد الذي القي على كرسيه والذي وفي رواية اما والذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لم يحنث أي لو سلك طريق الادب والتفويض لادرك مراده وهذه منقبة عظيمة لسليمان عليه السلام حيث كان همه الاعظم اعلاء كلمة الله حيث عزم أن يرسل أولاده الذين هم اكباده الى الجهاد المؤدي الى الموت (وكذلك قول) والده (داود عليه السلام ان ابتليتني صبرت) كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وتقدم قريبا (وكان اعجابا للقوة) وروئيتها (فلما ابتلى بالمرأة لم يصبر و يورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ماذكرناه وهو أن يعلم ان حمى يوم) اذا أطبقت عليه (تضعف قوته) أي قوة سنة كما صرح به الاطباء (وانه اذا أعجب بها سلبها الله تعالى بادنى آفة يسلطها عليه الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من صلاح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد) أي الاستقلال (بالرأي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه) واستبلادهم (و يخرجه ذلك الى قلة الاصغاء الى أهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالرأي والعقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على مارزقه من العقل) والمعرفة (و يتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس و يجن) فيتغير عقله (بحيث يضحك منه فلا يأمن ان يسلب عقله ان أعجب به ولم يقم بشكره) فما من نعمة (لم يؤد شكرها فقد عرضها للزوال) وليستصغر عقله وعلمه وليعلم انه ما أوتي من العلم الا قليلا (وان اتسع علمه) لقوله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا (و) ليعلم (ان ماجهله مما عرفه الناس أكثر مما علمه) هو (فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله و ينظر الى الحمقى) الناقصين (كيف يعجبون بعقولهم و يضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدري فان القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله) ولو علمه لسعى في ازالة قصوره (فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه و) ان يعرف مقداره (من أعدائه) وحساد نعمته (لا من اصدقائه) ومعتقديه (فان من يداهنه يثني عليه) و يمدحه (فيزيده عجبا) وتيها (وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا الرابع العجب بالنسب الشريف) أي المتصل الى حضرته صلى الله عليه وسلم (كعجب الهاشمية) هم بنو هاشم فيشمل العلويين والطالبيين والجعفريين (حتى يظن بعضهم انه ينجو بسبب شرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له و يتخيل بعضهم ان جميع الخلق له موال وعبيد) أي بمنزلتهم في المذلة (وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد جهل) الحقيقة فان اللحوق يقتضي الموافقة (وان اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب) بالنسب وغيره (بل الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذلة النفس) واستصغارها (ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال المحمودة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به) فيلحق بهم (وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله) ولم يرفع له رأسا وسلك سبيل العناد كأبي جهل وأبي لهب وأضرابهما (فكانوا عند الله شرا من الكلاب وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) أي آدم وحواء (أي لا تفاوت في أنسابكم لاجتماعكم في أصل واحد)

من فوق (ثم ذكر فائدة النسب) بجعلهم متميزين (فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) فالشعب هو النسب الاول والقبيلة ما انقسم فيه أنساب الشعب ثم عمارة وبطن ونفذ وفصيلة تفريعة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم نفذ والعباس فصيلة (ثم بين أن الشرف) الذي هو كرم الاصل (بالتقوى لا بالنسب فقال ان أكرمكم عند الله أتقاكم) أي أخشاكم له في السر والعلانية (ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس من أكيس الناس لم يقل) في الجواب (من ينتهي الى نسبي) بالولادة (ولكن قال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله أكرم الناس وهو بهذه الزيادة عند ابن أبي الدنيا في كتاب ذكر الموت وسيأتي في كتاب ذكر الموت في آخر الكتاب قلت ولفظ ابن ماجه أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من أكيس الناس الحديث وسيأتي هذا السياق للمصنف في آخر الكتاب وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن العباس حدثنا ابراهيم بن اسحق الحربي حدثنا الحسن بن موسى حدثنا اسمعيل بن عياش عن العلاء بن عتبة عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر قال قام فتى فقال يا رسول الله أي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا قبل أن ينزل به أولئك الاكياس ورواه أبو سهيل بن مالك وحفص بن غيلان ويزيد بن أبي مالك وقرة بن قيس ومعاوية بن عبد الرحمن عن عطاء مثله ورواه مجاهد عن ابن عمر نحوه (وانما أنزلت هذه الآية حيث أذن بلال) رضي الله عنه (يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث ابن هشام) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم من مسلمة الفتح وكان من سادات قومه (وسهيل بن عمرو) بن عبد شمس بن عبدود العامري القرشي أبو يزيد خطيب قريش أسلم يوم الفتح (وخالد بن أسيد) بن أبي العيص بن أمية الاموي أخو عتاب أسلم يوم الفتح وكان فيه تيه شديد (هذا العبد الاسود يؤذن فقال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم) روى ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن أبي مليكة قال لما كان يوم الفتح رقي بلال فأذن على الكعبة فقال بعض الناس أهذا العبد الاسود يؤذن على ظهر الكعبة وقال بعضهم ان يسخط الله هذا يغيره فنزلت الآية وروى ابن المنذر عن ابن جريج قال أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث بن هشام أهذا العبد حين يؤذن على الكعبة فقال خالد بن أسيد الحمد لله الذي أكرم أسيدا ان يرى هذا وقال سهيل بن عمرو ان يكره الله هذا ينزل فيه وسكت أبو سفيان فنزلت الآية (وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية) بضم العين المهملة وكسر الموحدة وتشديد التحتية المفتوحة (أي) نخوتها (وكبرها كلكم بنو آدم وآدم) خلق (من تراب) قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة ورواه الترمذي أيضا من حديث ابن عمر وقال غريب اه قلت لفظ أبي داود ان الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي أنتم بنو آدم وآدم من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام انما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن هذا لفظه وقد تقدم بعضه للمصنف قريبا هكذا رواه أحمد والبيهقي وأما لفظ الترمذي من حديث ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج فلم يجد مناخا فنزل على أيدي الرجال فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال الحمد لله الذي أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها بآبائها الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب قال الله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا الى قوله خبير ثم قال أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وهكذا رواه عبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب وروى البيهقي من حديث أبي أمامة رفعه ان الله أذهب نخوة الجاهلية وتكبرها بآبائها كلكم لآدم وحواء كطف الصاع بالصاع وان أكرمكم عند الله أتقاكم (وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر

ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان أكرمكم عند الله أتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس من أكيس الناس لم يقل من ينتهي الى نسبي ولكن قال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا وانما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن أسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية أي كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر

قريش لاتأتى الناس بالاعمال يوم القيامة وتأتونى بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يامحمد يامحمد فأقول هكذا أى فأعرض عنكم) قال العراقى رواه الطبرانى من حديث عمران بن حصين الا انه قال يامعشر بنى هاشم وسنده ضعيف اهـ قلت صدر الحديث رواه البخارى فى التاريخ وابن عساكر من رواية شريح بن الحرث عن أبى أمامة والحرث بن الحرث الغامدى وكثير بن مرة وعمير بن الاسود معا ولفظه يامعشر قريش لاألفين أناسا يأتون يجرون الجنة وتأتون تجرون الدنيا اللهم لاأحل لقريش أن يفسدوا ما أصلحت أمتى الحديث وروى الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول من حديث أبى هريرة يابنى عبد مناف يابنى عبد المطلب يافاطمة بنت محمد ياصفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله اشتروا أنفسكم لاأغنى عنكم من الله شيأ سلونى من مالى ماشئتم واعلموا أن أولى الناس بى يوم القيامة المتقون وأن تكونوا أنتم مع قرابتكم فذاك لايأتينى الناس بالاعمال وتأتونى بالدنيا تحملونها على أعناقكم فتقولون يامحمد فأقول هكذا ثم تقولون يامحمد فأقول هكذا أعرض بوجهى عنكم فتقولون يامحمد أنا فلان بن فلان فأقول اما النسب فأعرف وأما العمل فلاأعرف نبذتم الكتاب فارجعوا فلاقرابة بينى وبينكم وأما لفظ الطبرانى من حديث عمران بن حصين يابنى هاشم ان أوليائى منكم المتقون يابنى هاشم اتقوا النار ولو بشق تمرة يابنى هاشم لاألفينكم تأتون بالدنيا تحملونها على ظهوركم ويأتون بالآخرة يحملونها (فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن) فقال يابنى عبد مناف يابنى عبد المطلب (حتى قال يافاطمة بنت محمد ياصفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله اعملا لانفسكما فانى لاأغنى عنكما من الله شيأ) قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة اهـ قلت ورواه الحكيم من حديث أبى هريرة وتقدم سياقه قبل هذا وعند البيهقى يافاطمة بنت محمد اشترى نفسك من النار ولو بشق تمرة ياعائشة لايرجع من عندك سائل ولو بظلف محرق ورواه الترمذى من حديث عائشة وقال حسن غريب ياصفية بنت عبد المطلب يافاطمة بنت محمد يابنى عبد المطلب انى لاأملك لكم من الله شيأ سلونى من مالى ماشئتم وأما لفظ مسلم من حديث أبى هريرة يابنى كعب بن لؤى انقذوا أنفسكم من النار يابنى مرة بن كعب انقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد مناف انقذوا أنفسكم من النار يابنى هاشم انقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد المطلب انقذوا أنفسكم من النار يافاطمة انقذى نفسك من النار فانى لاأملك لكم من الله شيأ ورواه كذلك النسائى ولفظ أحمد والترمذى من حديث أبى هريرة يامعشر قريش انقذوا أنفسكم من النار فانى لاأملك لكم من الله ضرا ولانفعا يامعشر بنى عبد مناف انقذوا أنفسكم من النار فانى لاأملك لكم من الله ضرا ولانفعا يامعشر بنى قصى انقذوا أنفسكم من النار فانى لاأملك لكم من الله ضرا ولانفعا يامعشر بنى عبد المطلب انقذوا أنفسكم من النار فانى لاأملك لكم من الله ضرا ولانفعا يافاطمة بنت محمد انقذى نفسك من النار فانى لاأملك لك من الله ضرا ولانفعا (فمن عرف هذه الامور وعرف أن شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع فان اقتدى) وسلك طريقهم (فى التقوى والتواضع) فهو المطلوب (والا كان طاعنا فى نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم فى التواضع والتقوى والخوف والاشفاق) والحذر من المقت (فان قلت فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية) رضى الله عنهما (انى لاأغنى عنكما من الله شيأ الا ان لكما رحما سابلها ببلالها) قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ غيران لكما رحما سابلها ببلالها اهـ قلت ورواه النسائى كذلك وليس فى حديثهما ذكر صفية وأول الحديث قد تقدم قريبا ورواه أحمد والترمذى بلفظ ان لك رحما وسابلها ببلالها وذكره بعد قوله يافاطمة بنت محمد انقذى نفسك من النار فانى لاأملك لك ضرا ولانفعا وأول الحديث تقدم أيضا قريبا (وقال صلى الله عليه وسلم اترجو

قريش لاتأتى الناس بالاعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يامحمد يامحمد فأقول هكذا أى أعرض عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يافاطمة بنت محمد ياصفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملا لانفسكما فانى لاأغنى عنكما من الله شيأ فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم فى التقوى والتواضع والا كان طاعنا فى نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم فى التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية انى لاأغنى عنكما من الله شيأ الا ان لكما رحما سابلها ببلالها وقال عليه السلام أترجو

سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم والنسيب أيضا جدير بأن يرجوها لكن بشرط أن يتقي الله أن يغضب عليه فانه ان يغضب عليه فلا يأذن لاحد في شفاعته لأن
الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة له والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان
كل ذي مكانة عند الملك
لا يقدر على الشفاعة فيما
اشتد عليه غضب الملك فن
الذنوب ما لا تنجي منه
الشفاعة وعنه العبارة بقوله
تعالى ولا يشفعون الا لمن
ارتضى وبقوله من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه وبقوله
ولا تنفع الشفاعة عنده الا
لمن أذن له وبقوله فما
تنفعهم شفاعة الشافعين
واذا انقسمت الذنوب الى
ما يشفع فيه والى ما لا يشفع
فيه وجب الخوف
والاشفاق لامحالة ولو كان
كل ذنب تقبل فيه الشفاعة
لما أمر قريشا بالطاعة
ولما نهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاطمة رضي
الله عنها عن المعصية
ولكان يأذن لها في اتباع
الشهوات لتكمل لذاتها
في الدنيا ثم يشفع لها في
الآخرة لتكمل لذاتها
في الآخرة فالانهماك في
الذنوب وترك التقوى
اتكالا على رجاء الشفاعة
يضاهي انهماك المريض
في شهواته اعتمادا على
طبيب حاذق قريب مشفق
من أب أو أخ أو غيره وذلك
جهل لان سعي الطبيب وهمته
وحذقه تنفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطبيب أثر على الجملة ولكن في الامراض
الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي أن تفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا
يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يتمنون أن يكونوا بهائم من خوف الآخرة
مع كمال تقواهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة

سليم) مصغر قبيلة من العرب (شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب) قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر وفيه أصرم بن حوشب عن اسحق بن واصل وكلاهما ضعيف جدا (فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسيب) أي ذو النسب (جدير بان يرجوها) وينالها (ولكن بشرط أن يتقي الله أن) عقت و(يغضب عليه فانه ان يغضب عليه فلا يأذن لاحد في شفاعته فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت) من الله تعالى وهو أشد الغضب (فلا يؤذن في الشفاعة له) أصلا (والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك) أي منزلة وقدر (لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله عز وجل ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا وبقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين) فهذه الآيات كلها دالة انه ليس كل أحد يستقل بالشفاعة ولا كل الذنوب يشفع فيها (واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيه والى ما لا يشفع فيه وجب الخوف والاشفاق لامحالة ولو كان كل ذي ذنب تقبل فيه الشفاعة لما أمر قريشا) وهم خيار البطون من القبائل (بالطاعة) والامتثال لاوامر الله تعالى (ولما نهى فاطمة) رضي الله عنها وهي بضعة من جسده صلى الله عليه وسلم (عن المعصية) ولما أمرها أن تشتري نفسها من الله تعالى (ولكان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذتها في الدنيا) بها (ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذتها في الآخرة) فتكون قد جمعت بين اللذتين (فالانهماك في الدنيا وترك التقوى اعتمادا على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته) وانبساطه فيها (اعتمادا على طبيب حاذق) بصير بالمعالجة (مشفق من أب أو أخ أو غيره) ممن يعتمد على محبته (وذلك جهل لان سعي الطبيب وهمته وحذقه) انما (ينفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية) التي هي رأس الدواء (مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطبيب أثر على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة) السهلة التي يرجى بمعالجتها البرء من قرب (وعند غلبة اعتدال المزاج) وأما عند فساده فلا ينجع تدبير الطبيب فيه الا قليلا (فهكذا ينبغي أن يفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء والاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر والاشفاق (وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه) بمقتضى الخبر خير القرون قرني ثم الذين يلونهم (وقد كانوا يتمنون أن يكونوا بهائم) كما تقدم من قول عمر رضي الله عنه ليتني كنت كبشا لاهلي فذبحوني وأكلوني كل ذلك (من خوف الآخرة) وهول المطلع هذا (مع كمال تقواهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم و) مع (ما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بالجنة خاصة) يشير الى ما رواه ابن أبي شيبة وأحمد وابن منيع وابن أبي عاصم وأبو نعيم في الحلية والضياء من حديث سعيد بن زيد رفعه أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة ورواه أيضا أحمد والترمذي وأبو نعيم في المعرفة وابن عساكر من رواية عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده رفعه بهذا (وسائر المسلمين بالشفاعة عامة)

ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم * الخامس العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وانهم الممقوتون عند الله تعالى ولو نظر الى صورهم في النار وأنتانهم وأقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم استقذارا واستحقارا لهم ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرأ الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير أحب اليه من الانتساب اليهم فحق أولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم ان كانوا مسلمين فاما العجب بنسبهم فجهل محض * السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكفار نحن أكثر أموالا وأولادا وكما قال المؤمنون يوم حنين لا نغلب اليوم من قلة وعلاجه ماذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه الى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيأ وهو في أحوج أوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه الآية فأي خير فيمن يفارقك في أشد أحوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة وعلى الصراط الا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك نفعك وضرك وموتك وحياتك * السابع العجب بالمال كما قال تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام أخشيت أن يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه أن

يشير الى ما رواه الحرث بن أبي أسامة من حديث أبي هريرة شفاعتي لمن شهد أن لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وقلبه لسانه (ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخشوع والخوف قلوبهم فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم) وتقواهم واخلاصهم (الخامس العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم) والافتخار به (دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر في مخازيهم) وفضائحهم (وما جرى لهم من الظلم والتعدي على عباد الله والفساد في دين الله وانهم ممقوتون عند الله ولو نظر الى صورهم في النار) وقد امتحشوا وصاروا حمما (و) نظر الى (أقذارهم وأنتانهم) مما يسيل من أجسادهم (لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم استقذارا لهم واستحقارا ولو انكشف له ذلهم في القيامة) ومهانتهم (وقد تعلق الخصماء بهم) يطالبونهم بحقوقهم (والملائكة يأخذون بنواصيهم) وأقدامهم (يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرأ الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير أحب اليه من الانتساب اليهم فحق أولاد الظلمة ان عصمهم الله تعالى من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم ان كانوا مسلمين وأما العجب بنسبهم فجهل السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد) والاحفاد والاسباط (والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار) والاعوان (والاتباع كما قال الكفار نحن أكثر أموالا وأولادا) فأعجبوا بكثرتهم (وكما قال المؤمنون يوم حنين لا نغلب اليوم عن قلة) اذ اعجبوا بكثرة المؤمنين وكانوا اثنى عشر ألفا سوى من خرج معهم من مشركي مكة نحو الثمانين مساعدة لهم (وعلاجه ماذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد وعجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) كما جرت به عادة الله وما النصر الا من عند الله (ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد ولا أهل ولا قريب ولا حميم ولا عشيرة) ممن كان يعتمد عليه ويتبجح به (فيسلمونه الى البلى والحيات والعقارب والديدان) ينتهبون جسمه العزيز الغالي وينهشونه نهشا حتى يصير رفاتا في أجوافها (ولا يغنون عنه شيأ وهو في أحوج أوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة) كما قال تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (فأي خير فيمن يفارقك في أشد أحوالك ويهرب منك فكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة وعلى الصراط الا عملك) الصالح الذي قدمته بين يديك (فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك ضرك ونفعك وموتك وحياتك السابع العجب بالمال كما قال تعالى) حكاية عن الكفار نحن أكثر أموالا وأولادا و (قال تعالى اخبارا عن صاحب احدى (الجنتين اذ قال) أحدهما لصاحبه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أي أولادا وأعوانا (ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال صلى الله عليه وسلم أخشيت أن يعدو اليك فقره) قال العراقي رواه أحمد في الزهد (وذلك للعجب بالغنى وعلاجه أن

يتفكر

يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله و ينظر الى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيامة والى ان المال غاد ورائح ولا أصل له والى أن في اليهود من يزيد عليه في المال والى قوله عليه الصلاة والسلام بينما رجل يتبختر في حلة له قد أعجبته نفسه اذ أمر الله الارض فأخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة أشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال أبوذر كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر ارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا رجل عليه ثياب خلقة فقال لي يا أباذر هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا وجميع ماذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن أن يعجب بثروته بل لايخلو المؤمن عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال في أخذه من حله ووضعه في حقه ومن لايفعل ذلك فمصيره الى الخزي والبوار فكيف يعجب بماله * الثامن العجب بالرأي الخطا قال الله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم السالفة اذ افترقت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع أهل البدع والضلال انما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان مايسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب أشد من علاج غيره لان صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطئه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا لان العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله و يزيله عنه الا اذا كان معجبا برأيه وجهله فانه لايصغي الى العارف و يتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف

يتفكر في آفات المال) التي تعرض بسببه (وكثرة حقوقه وعظم غوائله) أي دواهيه (و ينظر الى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيامة) قبل الاغنياء بخمسمائة عام كما تقدم ذلك في الاخبار (والى أن المال غاد ورائح) أي يغدو تارة و يروح أخرى لااعتماد عليه (ولا أصل له والى أن في اليهود) والنصارى (من يزيد عليه في المال) كما هو مشاهد (والى قوله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في حلة أعجبته نفسه اذ أمر الله الارض فأخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة وقد تقدم في أول هذا الكتاب (أشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال أبوذر) رضي الله عنه (كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال يا أباذر ارفع رأسك) قال (فرفعت رأسي فاذا رجل عليه ثياب خلقان) بالضم جمع خلق محركة يقال ثوب خلق وثياب خلقان وقد خلق ككرم اذا بلي وتقطع (فقال لي يا أباذر هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا) والقراب بالكسر مصدر قارب الامر اذا داناه يقال لو جاء بقراب الارض أي بما يقاربها ولو أن لي قراب الارض ذهبا أي ما يقارب ملأها قال العراقي رواه ابن حبان في صحيحه اهـ قلت لكن لفظه يا أباذر انظر الى أرفع رجل في المسجد في عينك قال فنظرت فاذا رجل عليه حلة قلت هذا قال انظر الى أوضع رجل في المسجد قال فنظرت فاذا رجل عليه خلاق قلت هذا قال والذي نفسي بيده لهذا عند الله يوم القيامة خير من ملء الارض مثل هذا وهكذا رواه أيضا أحمد وهناد كلاهما في الزهد وأبو يعلى في المسند والروياني والحاكم والضياء في المختارة (وجميع ماذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله) تعالى (فكيف يتصور من المؤمن أن يعجب بثروته) أي كثرة ماله (بل لايخلو المؤمن عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال وأخذه من حله ووضعه في حقه) واني يقوم بتلك الحقوق (ومن لايفعل ذلك) أي لايأخذ المال من حيث الحل ثم اذا أخذه كذلك لايضعه في حقه (فمصيره الى الخزي والبوار) أي الهلاك (فكيف) يتصور أن (يعجب بماله الثامن العجب بالرأي الخطا قال الله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) أي زين له الشيطان في عينه فأعجب (وقال تعالى) في حق الاخسرين أعمالا (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقد أخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك) أي الاعجاب بالرأي الخطا (يغلب على آخر هذه الامة و) انه (بذلك هلكت الامم السالفة اذ افترقت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون) يشير بذلك الى حديث أبي ثعلبة الخشني فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك وهو عند أبي داود والترمذي وقد تقدم في أول هذا الكتاب (وجميع أهل البدع والضلال انما أصروا عليها) أي على بدعهم (لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان مايسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا) وصوابا (وعلاج هذا العجب أشد من غيره لان صاحب الرأي الخطا جاهل بخطئه ولو عرفه لتركه) و باشر أسباب ما يضاده (ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا الا ان العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله و يزيله عنه) بحسن العبارة والالقاء (الا اذا كان معجبا بجهله ورأيه فانه لايصغي الى العارف) ولا يرفع له رأسا (و يتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف

عكن علاجــه وكيف يطلب الهرب مماهو سبب سعادته فى اعتقاده وانماعلاجه على الجلة أن يكون متهما لرأيه أبدا لايغتر به الا أن يشهدله قاطع من كتاب أوسنة أودليل عقل صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الابقريحة تامة وعقل ثاقب وجـد وتشمر فى الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العـمر ومدارسـة للعلوم ومع ذلك فلايؤمن عليه الغلط فى بعض الامور والصـواب لمن لم يتفـرغ لاستغراق عمره فى العلم أن لايخوض فى المذاهب ولا يصغى اليها ولايسمعها ولكن يعتقد أن الله تعالى واحد لاشريك له وأنه ليس كمثله شئ وهو السميع البصـير وأن رسـوله صادق فيما أخبر به و يتبع سنة السلف و يؤمن بجـملة ماجاء به الكتاب والسـنة من غير بحث وتنقـير وسؤال عن تفصـيل بـل يقول آمنا وصدقنا و يشتغل بالتقوى و اجتناب المعاصى وأداء الطاعات والشـفقة عـلى المسلمين وسائر الاعمـال فان خاض فى المذاهب والبدع والتعصب فى العقائد هلك من حيث لايشعر هذا حق كل من عزم على أن يشتغل فى عمره بشئ غير العلم فأما الذى عزم على التجرد للعلم فأوّل مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك ممايطول الامر فيـه والوصول الى اليقين والمعرفة فى أكثر المطـالب شديد لايقدر عليه الا الاقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذبه من الاغترار بخيالات الجهال تم كتاب ذم الكبر والعجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوّة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عكن علاجه وكيف يطلب الهرب مماهو سبب سعادته فى اعتقاده) فهذا سبب عسر المداواة (وانما علاجه على الجلة أن يكون متهما لرأيه أبدا لايغتر به الا أن يشـهدله قاطع من كتاب أو سنة أودليل عقلى صحيح جامع لشروط الادلة) عكن التوصل بصحيح النظر فيه الى حصول المطـلوب (ولن يعرف الانسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط منها الابقريحـة تامة) راجحة (وعقـل ثابت) وذهن صحيح (وجد وتشمر فى الطلب) قد عرف به وأكب عليـه (وممارسة فى الكتاب والسـنة) بكثرة المراجعة لهما فى كل مهمة (ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم) مع أهلها القاء وتقريرا ومباحثة (ومع ذلك فلايؤمن عليـه الغلط فى بعض الامور) كما هو من عوائد البشر (والصواب لمن لم يتفـرغ لاستغراق عمره فى العلم أن لايخوض فى المذاهب) ومافيها من الآراء والاختلافات (ولا يصغى اليها ولا يسمعها) فانه يورث تشتيتا للفكر وحيرة فى المقام وأحوالا مختلفـة تتولد منها أوصاف التعصب مالان أخلد اليها كانت سببا لهلاك باطنه (ولكن يعتقد أن الله تعالى واحـد لاشريك له وانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وان رسوله) صلى الله عليه وسلم (صادق فيما أخبر به) و بلغه (و يتبع سنة السلف) و يسلك على مناهجهم بما تلقفه من شيوخه ومن مطالعة كتب القوم (و يؤمن بجميع ماجاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل) ما أجمل فيه أو أشير اليه (بل يقول آمنا وصدقنا) فهذا هو الايمان الاجمالى (و يشتغل) بعد ذلك (بالتقوى واجتناب المعاصى) ومجانبة الرذائل المسقطة للمروءة (وأداء الطاعات) كما أمر بها (والشفقة على المسلمين) فلا يألو فى نصحهم ولا يحقرهـم ولا يذلهم (وسائر الاعمال) الصالحة (فان خاض فى المذاهب والبدع والتعصب فى العقائد) فقد شغل نفســه بغير الاهم بل ربما (هلك من حيث لايشعر هذا حق كل من عزم على أن يشتغل فى عمره بشئ غير العلم) فانه يكفيه القدر المذكور (فاما الذى عزم على التجرد للعلم فأوّل مهم له معرفة الدليل وشروطــه) وهو مبين فى كتب الاصول (وذلك ممـا يطول الامر فيه) لانه متوقف على تحصـيل فنون بها يتدرج على معرفة شروط الدليل فالاعمار تفنى وهو لم يحصـل بعد حتى يأتيه الموت وهو يتحسر على فوات مقصوده (والوصول الى اليقين والمعرفة فى أكثر المطالب شديد) عسر

كيف الوصول الى سعاد ودونها * قلل الجبال ودونهن حتوف

(لا يقدر عليه الا الاقوياء المؤيدون بنور الله تعالى) اذ من أيد بنوره انكشفت له غوامض الحقائق من وراء حجاب واتضحت له وجوه الصواب بلا ارتياب (وهو عزيز الوجود جدا) لما استحوذ الشيطان والنفس الامارة على غالب الطالبين وآثروا دنياهـم على آخرتهم بجعلهـم مايجعلونه شبكة يصطادون بها الغافلين (فنسأل الله تعالى العصمـة من الضلال ونعوذبه من الاغترار بخيالات الجهال) انه سميع قريب مجيب والحمـد لله رب العالمين وصلى الله على سـيدنا ومولانا محمد خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله الائمة الاطهرين وأصحابه الكرام الفاضلين وبه تم شرح كتاب ذم الكبر والعجب بحمد الله الذى بنعمته تتم الصالحات كان الفراغ من تسويده فى مجالس آخرها فى الساعة الخامسة من نهار الاحد لاربع بقين من شهر ربيع الآخر من شهور سنة ١٢٠٠ أحسن الله ختامها قال المؤلف وذلك على يد مؤلفه العبد الفقير الى مولاه أبى الفيض محمد مرتضى الحسينى لطف الله به وأحسن اليه بمنه وكرمه حامدا الله ومصليا ومسلما ومحسبلا ومحوقلا

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الله ناصر كل صابر)

الحمـد لله الذى علا بحوله * ودنا بطوله * مانح كل غنيمة وفضل وكاشف كل عظيمة وأذل احمده على

عواطف كرمه * وسوابغ نعمه * ونؤمن به أوّلا باديا * واستهديه قريبا هاديا * واستعينه قادرا قاهرا * وأتوكل عليه كافيا ناصرا * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أرسله لانفاذ أمره * وانهاء عذره * وتقديم نذره * فبلغ الرسالة صادعا بها * وحمل على المحجة دالا عليها * وأقام أعلام الاهتداء ومنار الضيا * وجعل امراس الاسلام متينة وعرى الايمان به وثيقة صلى الله عليه وعلى آله الائمة الاطهار * وأصحابه الانجاب الاخيار * والتابعين لهم باحسان الى مابعد القرار * وسلم تسليما كثيرا وبعد فهذا شرح (كتاب ذم الغرور) وهو العاشر من الربع الثالث من كتاب الاحياء للامام أبى حامد الغزالى قدس الله سره * وواصل الينافتوحه وبره * أوضحت فيه سبل النجاة للسالكين ونبهت فيه على جمل من فوائد توقظ المغترين * وكشفت فيه عن رموز عجب الخفا * وأوردت فيه من زبد اشارات القوم ممارق وصفا * سالكا مسلك الايجاز المفيد * معرضا عن التطويل الممل للمريد * سائلا من الله الاعانة والتوفيق * والهداية الى ابتهاج الطريق * انه ولى كل مأمول * والحرى باجابة السول قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى بيده مقاليد الامور) أى مفاتيحها جمع اقليد بالكسر معرب كليد وهذا كما قالوا ملامح ومشابه ومحاسن ومذاكير أو جمع مقليد أو مقلاد وبه فسر مجاهد قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال أى مفاتيحها وقال السدى أى خزائنها فهذا قد فسر المقاليد بالخزائن ويؤيده قوله تعالى ولله خزائن السموات والارض وأحسن ما فسر القرآن بالقرآن وشاهد الاقليد قول تبع

واقنابه من الدهر سبتا * وجعلنا لبابه اقليدا

(وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور) فما من خير أو شر الا ومفتاحه فى قبضة قدرته وحيطة قهره اذ هو القادر المطلق أى لا يملكها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن كمال قدرته وحفظه للامور وفى الجملتين مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها (مخرج أوليائه) بهدايته وتوفيقه (من الظلمات) ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر (الى النور) أى الهدى الموصل للايمان (ومورد أعدائه) ممن ثبت فى علمه انه لا يؤمن (ورطات الغرور) والشبهات وذلك لفساد استعدادهم وانهماكهم فى الشهوات وأصل الغرور الغفلة وسكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع (والصلاة على) سيدنا (محمد مخرج الخلائق من الديجور) أى من ظلمة الشكوك والشبهات الى نور اليقين والبينات وأصل الديجور ظلمة الليل وشدة سواده والجمع دياجير ويستعار لظلمات الكفر والجحود وفساد العقائد (وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا) أى لم تأخذهم غرة بالكسر وهى الخصلة التى يغتر بها ظاهرها حسن وماكاهاقبيح (ولم يغرهم بالله الغرور) كصبور كل ما يغرك من مال وجاه وشهوة وشيطان وقد فسر بالشيطان وبالدنيا لانها تغر وتضر وتمر فاما الشيطان فهو أقوى الغاوين وأخبثهم واغراره بالانسان بان يرقبه التوبة والمغفرة فيجسره على المعاصى (صلاة تتوالى) أى تتضاعف وتتكرر (على ممر الدهور) على مرور أزمان بعد أزمان بحيث لا تنقطع (ومكر الساعات والشهور) والمكر بمعنى الممر أى على مرور كل ساعة من الساعات فى ضمن الايام والليالى من الشهور والكارة (أما بعد فمفتاح السعادة) التى هى معاونة الامور الالهية للانسان على نيل الخير (التيقظ) أى الانتباه (والفطنة) وهى سرعة هجوم النفس على حقائق معانى ما توردها الحواس عليها (ومنبع الشقاوة) وهى ضد السعادة ومنبع كل شئ أصله (الغرور والغفلة) تقدم معنى الغرور قريبا والغفلة عبارة عن فقد الشعور بما حقه أن يشعر به أو هى الذهول عن الشئ وقال بعضهم هى سهو يعترى عن قلة التحفظ والتيقظ وقيل بل هى متابعة النفس على ما تشتهيه (فلا نعمة لله على عباده أعظم من الايمان) به وحده (والمعرفة) وبها تكمل لذة الايمان (ولا وسيلة اليه) أى الى الايمان المستكمل بالمعرفة (سوى انشراح الصدر بنور البصيرة) بان

(كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور ومخرج أوليائه من الظلمات الى النور ومورد أعدائه ورطات الغرور والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلاة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور (أما بعد) فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده أعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة

ينفسح لقبوله (ولا نقمة أعظم من الكفر) بالله (والمعصية ولا داعي اليهما) أي الى ارتكابهما (سوى عمى القلب بظلمة الجهالة) بان يغلب عليه الجهل فيظلمه فيعميه عن درك الحقائق ويدعوه الى عدم الانقياد للحق (فالاكياس) أي العقلاء (وأرباب البصائر) المضيئة (قلوبهم كمشكاة) أي بمثابة كوة في الحائط غير نافذة (فيها مصباح) أي سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة (المصباح في زجاجة) أي في قنديل من الزجاج (الزجاجة كأنها كوكب درى) مضيء متلالئ (توقد من شجرة مباركة زيتونة) أي ابتدأ ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها (لا شرقية ولا غربية) تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة جبل أو صحراء واسعة فان ثمرتها تكون أجود وزيتها أصفى (يكاد زيتها يضيء) أي يكاد يضيء بنفسه (ولو لم تمسسه نار) لتلألؤه وفرط وبيصه (نور على نور) أي نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه والاوفق للسياق انه تمثيل لما نوّر الله به قلوب أوليائه من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها مصباحها ويؤيده قراءة أبيّ بن كعب مثل نور المؤمن وقيل بل هو تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صورة تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعلمية التي تدرك الحقائق الكلية والفكرة وهي التي تؤلف المعقولات تستنتج منها علم ما لم يعلم والقوة القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوة ووجهها الى الظاهر ويدري ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور المذكورات من الجوانب وضبطها الى الانوار العقلية وانارتها بما يشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءته بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والفكرة بالشجرة المباركة لتاديها الى ثمرات لا نهاية لها والزيتون المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصباح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية والقوة القدسية كالزيت لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تعليم وقد أوسع الكلام على هذا المقام المصنف في كتابه مشكاة الانوار وتقدم شيء من ذلك في كتاب عجائب القلب (والمغترون) بأعمالهم التي يحسبون انها صالحة نافعة عند الله فاذا هي لاغية عند الله في العاقبة فهؤلاء (قلوبهم) خالية عن نور الحق (كظلمات) متراكمة (في بحر لجي) أي عميق (يغشاه) أي البحر (موج من فوقه موج) أي أمواج مترادفة (من فوقه) أي الموج الثاني (سحاب) غطى النجوم وحجب أنوارها (ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده) وهي أقرب ما ترى اليه (لم يكد يراها) أي لم يقرب أن يراها فضلا أن يراها (ومن لم يجعل الله له نورا) أي من لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها (فما له من نور) بخلاف الموفق الذي هو نور على نور وقد تقدم الكلام على هذه الآية في آخر كتاب عجائب القلب (والاكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم) أي يعرفهم طريق الحق ويوفقهم لاسباب الهداية (فشرح صدورهم للاسلام والهدى) أي اتسعت وانفسحت لقبولهما وهو كناية في جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه أشار صلى الله عليه وسلم حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من أمارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله (والمغترون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدورهم ضيقة حرجة) أي شديدة الضيق بحيث تنبو عن قبول الحق فلا يدخلها الايمان (كأنما يصعد في السماء) شبه مبالغة في ضيق صدورهم بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة وتنبيه

ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وأرباب البصائر قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فالاكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغترون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدرهم ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء

والمغرور وهو الذى لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقى فى العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا واذا عرف أن الغرور وهو أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة أمره ونحن نشرح أجناس مجارى الغرور وأصناف المغترين من القضاة والعلماء

والصالحين الذين اغتروا بمبادى الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تغنى عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة لكن يجمعهم أربعة أصناف الصنف الاول من العلماء الصنف الثانى من العباد الصنف الثالث من المتصوفة الصنف الرابع من أرباب الاموال والمغتر من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذى يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذى غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذى يكون همه فى الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل لا تتضح الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدأ أولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده *(بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته)* اعلم أن قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى الآية كاف فى ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من

على أن الايمان يمتنع عنها كما يمتنع صفة الصعود وقد أشار بذلك الى قوله عز وجل فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون (والمغرور وهو الذى لم تنفتح بصيرته) أى عين بصيرته (ليكون بهداية نفسه كفيلا) أى متكفلا لضبطها ومراعاتها (وبقى فى العمى) أى ظلمة جهله (فاتخذ الهوى قائدا) يقوده حيث شاء (والشيطان دليلا) وقرينا ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ومن كان الغراب له دليلا * يكون مآله جيف الكلاب (ومن كان فى هذه) أى دار الدنيا (أعمى) لم يهتد لنور ايمانه (فهو فى الآخرة أعمى) أى أكثر عمى (وأضل سبيلا) وقيل المراد بالعمى الاول عمى القلب وبالثانى عمى البصر بدليل قوله عز وجل حكاية عنه رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا فيأتيه النداء بالجواب قد أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (واذا عرف أن الغرور وهو أم الشقاوات) أى أصلها (ومنبع المهلكات) منه تتفرع (فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد) السالك فى طريق الحق (بعد معرفته فيتقيه) ويجتنبه (فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد) فى أعماله (فأخذ منها حذره) واتقاه (وبنى على الحزم والبصيرة أمره) ومن لا يعرف الشر يقع فيه وهو لا يشعر (ونحن) بحمد الله تعالى (نشرح أجناس مجارى الغرور وأصناف المغترين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادى الامور) وأوائلها (الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها) أى بواطنها (ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تغنى عن الاستقصاء) أى عن طلب النهاية فيه (وفرق المغترين كثيرة لكن يجمعهم أربعة أصناف الصنف الاول من العلماء الصنف الثانى من العباد الصنف الثالث من المتصوفة الصنف الرابع من أرباب الاموال) هكذا على هذا الترتيب فالعلم هو الاصل والعبادة تنشأ عنه والتصوف ينشأ عنهما (والمغتر من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذى يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذى غرضه) من وعظه (القبول والجاه) فقط (ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب) وهو المخ الخالص من الثمرة (ويشتغل بالقشر) الذى يكون من فوق اللب (كالذى يكون همه فى الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف) وكيفية النطق بها (الى غير ذلك من مداخل لا تتضح الا بتفصيل الفرق وضروب الامثلة ولنبدأ أولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده)

(بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا) أى لا توقعنكم فى الغرور (ولا يغرنكم بالله الغرور) تقدم انه فسر بالشيطان لانه أكبر الغارين وبالدنيا فانها تغر وتضر وتمر (وقوله تعالى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم) أى تأخرتم عن نصرة الرسول (وارتبتم) أى شككتم (وغرتكم الامانى) أى أوقعتكم فى الغرور (الآية) الى آخرها (كاف فى ذم الغرور وقد قال صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من

ملء الارض من المغترين) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول أبي الدرداء بنحوه وفيه انقطاع وفي بعض الروايات أبي الورد بدل أبي الدرداء ولم أجده مرفوعا اهـ قلت ورواه أيضا أبو نعيم في الحلية من قول أبي الدرداء قال حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي حدثنا يزيد حدثنا أبو سعيد الكندي عمن أخبره عن أبي الدرداء انه قال يا حبذا نوم الاكياس وافطارهم كيف يعيبون سهر الحمق وصيامهم ومثقال ذرة من برصاحب تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين والانقطاع الذى أشار اليه العراقي هو ما بين أبي سعيد الكندي وبين أبي الدرداء (وقال صلى الله عليه وسلم الكيس) كسيد هو الظريف الفطن وقد كاس كيسا (من دان نفسه) أى استعبدها وقهرها بان جعلها مطية منقادة لاوامر ربها قال الشيخ الاكبر قدس سره كان أشياخنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلمون به وما يفعلونه ويقيدونه في دفتر فاذا كان بعد العشاء حاسبوا نفوسهم وأحضروا دفترهم ونظروا فيما صدر منهم من قول وعمل وقابلوا كلا بما يستحقه ان استحق استغفارا استغفروا أو توبة تابوا أو شكرا شكروا ثم ينامون فزدنا عليهم في محاسبة الخواطر فكنا نقيد ما تحدث به نفوسنا وتهم به ونحاسبها عليه (وعمل لما بعد الموت) قبل نزوله ليصير على نور من ربه فالموت عاقبة أمور الدنيا فالكيس من أبصر العاقبة (والاحمق) وفي رواية العاجز بالعين المهملة والزاى ورواية العسكري في الامثال الفاجر بالفاء (من اتبع نفسه هواها) فلم يكفها عن الشهوات ولم يمنعها عن مقارفة المحرمات واللذات (وتمنى على الله) زاد في رواية الامانى بتشديد الياء جمع الامنية وهى طلب ما لا طمع فيه أو ما فيه عسر أى فهو على تقصيره في طاعة ربه واتباع شهوات نفسه لا يستعد ولا يعتذر ولا يرجع بل يتمنى على الله العفو والجنة مع الاصرار وترك التوبة والاستغفار قال العراقي رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث شداد بن أوس اهـ قلت ورواه أيضا أبو داود والطيالسي وأحمد وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس والحرث بن أبي أسامة والبيهقي والعسكري في الامثال والقضاعي والطبراني والحاكم من حديث ابن المبارك عن أبي بكر بن أبي مريم عن حمزة بن حبيب عن شداد بن أوس به مرفوعا وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق ابن المبارك ثم من طريق أبي داود الطيالسي والحرث بن أبي أسامة فقال حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود يعني الطيالسي ح وحدثنا أبو بكر بن خلاد حدثنا الحرث بن أبي أسامة حدثنا أبو النضر قالا حدثنا عبد الله بن المبارك عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن حمزة بن حبيب عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ثم قال هذا حديث مشهور بابن المبارك عن أبي بكر بن أبي مريم رواه عنه المتقدمون ورواه عمرو بن بشر بن السرح عن أبي بكر بن أبي مريم مثله ورواه ثور بن يزيد وغالب عن مكحول عن ابن غنم عن شداد عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله وحدثناه سليمان بن أحمد حدثنا مكحول البيروتي حدثنا ابراهيم بن بكر بن عمرو قال سمعت أبي يحدث عن ثور وغالب باسناده اهـ كلام أبي نعيم وكأنه نظر الى هذا الحاكم فصححه وتعقبه الذهبي بان ابن أبي مريم واه وكذا قال ابن طاهر ان مداره على أبي بكر بن أبي مريم وهو ضعيف جدا وكأنهم لم يروا ما توبع عليه فتأمل والله أعلم وقال العسكري هذا الحديث فيه رد على المرجئة واثبات للوعيد وروى البيهقي من طريق عون بن عمارة عن هشام بن حسان عن ثابت عن أنس رفعه الكيس من عمل لما بعد الموت والعارى العارى عن الدين اللهم لا عيش الا عيش الآخرة (وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل اذ الجهل) في الاصل خلو النفس عن العلم وقد جعله بعض معنى مقتضيا الافعال الجارية على النظام ثم هو نوعان الاول (هو أن يعتقد الشئ ويراه على خلاف ما هو به) وعليه والثانى فعل الشئ بخلاف ما حقه أن يفعل به اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أم فاسدا كتارك الصلاة عمدا ومن أنواع الجهل الجهل بمعنى الذم ومن أنواعه البسيط والمركب (والغرور هو الجهل الا أن كل جهل ليس بغرور بل يستدعى الغرور مغرورا

ملء الارض من المغترين
وقال صلى الله عليه وسلم
الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والاحمق
من اتبع نفسه هواها وتمنى
على الله وكل ما ورد في فضل
العلم وذم الجهل فهو دليل
على ذم الغرور لان الغرور
عبارة عن بعض أنواع
الجهل اذ الجهل هو أن
يعتقد الشئ ويراه على
خلاف ما هو به والغرور
هو جهل الا أن كل جهل
ليس بغرور بل يستدعى
الغرور مغرورا

فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذى يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيأ يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل لشبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا تكون دليلا) فى الحقيقة (سمى الجهل الحاصل به غرورا) فهو أخص من الجهل (فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان) أشار اليه الراغب فى المفردات وصاحب القاموس فى البصائر (فمن اعتقد انه على خير اما فى العاجل أو فى الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور) قد غره الشيطان بتلك الشبهة حين ألقاها فى مخيلاته وتدرج فى تمكينها منه فيها حتى رسخت فأورثت اعتقاد الخيرية (وأكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطؤن فيه) وسبب خطئهم قيام تلك الشبهة فى ضمائرهم وعدها دليلا (فأكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت أصناف غرورهم) وتنوعت (واختلفت درجاتهم) فيه (حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من) غرور (بعض وأظهرها وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لهما أمثلة لحقيقة الغرور) بها تتضح تلك الحقيقة فنقول (المثال الاول غرور الكفار) وهم المحجوبون بمحض الظلمة وهم أقسام الاول الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة وهؤلاء صنفان صنف تشوف الى طلب سبب لهذا العالم فاحاله على الطبع والطبع عبارة عن صفة مركوزة فى الاجسام حالة فيها وهى مظلمة اذ ليس لها معرفة وادراك ولا خبر لها من نفسها ولا مما يصدر منها وليس لها نور يدرك بالبصر الظاهر أيضا الصنف الثانى هم الذين شغلوا بأنفسهم ولم يتفرغوا لطلب السبب أيضا بل عاشوا عيش البهائم فكانت حجابهم أنفسهم المكدرة وشهواتهم المظلمة فلا ظلمة أشد من الهوى والنفس وهؤلاء ينقسمون فرقا الاولى زعمت ان عامة المطلب فى الدنيا هى الاوطار ونيل الشهوات وادراك اللذات البهيمية فهؤلاء عبيد اللذات يعبدونها ويطلبونها ويعتقدون ان نيلها غاية السعادة رضوا لانفسهم أن يكونوا بمنزلة البهائم بل أخس حالا منها فأى ظلمة أشد من ذلك فقد حجب هؤلاء بمحض الظلمة والثانية رأت ان غاية السعادات هى الغلبة والاستيلاء والفتك والسبى والقتل والاسر وهم محجوبون بظلمة الصفات السبعية لغلبتها عليهم * الثالثة رأت ان غاية السعادات كثرة المال واتساع اليسار لأن المال هو آلة قضاء الشهوات كلها وبه يحصل للانسان الاقتدار على قضاء الاوطار فهؤلاء همتهم جمع الاموال والاستكثار منها واكتساب الضياع والعقار والخيل والانعام والحرث وركوب الاخطار فى البرارى والبحار والرابعة ترقت عن جهالة هؤلاء وتعاقلت وزعمت ان أعظم السعادات اتساع الجاه والصيت وانتشار الذكر وكثرة الاتباع ونفوذ الامر المطاع فتراها لاهم لها الا المراآة وعمارة مطارح أبصارهم ناظرين حتى ان الواحد قد يجوع فى بيته ويتحمل الصبر ويصرف ماله الى ثياب يتجمل بها عند خروجه كيلا ينظر اليه الناس بعين الحقارة وأصناف هؤلاء لا يحصون وكلهم محجوبون عن الله بمحض الظلمة وهى نفوسهم المظلمة (فمنهم من غرتهم الحياة الدنيا ومنهم من غرهم بالله الغرور) ويدخل فى ظلمة هؤلاء جماعة يقولون بلسانهم لا اله الا الله ولكن حملهم على ذلك خوف أو استظهار بالمسلمين وتجمل بهم واستمداد من مالهم أو لاجل التعصب بنصرة مذهب الآباء وهؤلاء اذا لم تحملهم الكلمة على العمل الصالح فلا تخرجهم الكلمة عن الظلمة الى النور بل أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أما من أثرت فيه الكلمة بحيث ساءته سيئة وسرته حسنة فهو خارج عن محض الظلمة وان كان كثير المعصية القسم الثانى طائفة حجبوا بنور مقرون بظلمة وهم ثلاثة أصناف صنف منشأ ظلمتهم من الحس وصنف منشأ ظلمتهم من الخيال وصنف منشأ ظلمتهم من مقايسات عقلية فاسدة وتحت كل صنف طوائف فمن طوائف الصنف الاول عبدة الاوثان وعبدة الجمال المطلق وعبدة النار وعبدة الكواكب والثنوية (أما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد) وهو الحاضر المعجل فى الحال (خير من النسيئة) وهو الغائب

فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذى يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيأ يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل عن شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا تكون دليلا سمى الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير اما فى العاجل أو فى الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطؤن فيه فأكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لهما أمثلة لحقيقة الغرور * (المثال الاول) * غرور الكفار فمنهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور وأما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة

والدنيا نقد والآخرة نسيئة فهى

اذا خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا تترك اليقين بالشك وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان أما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى فى قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفى قوله عز وجل وما عند الله خير وقوله والآخرة خير وأبقى وقوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله أبعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبى والده فى ان حضور المكتب خير من حضور الملعب مع انه لا يدرى وجه كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذى نظمه فى قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع فى النفس ويورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذى نظمه الشيطان فيه أصلان أحدهما أن

المقدر بالاجل فعيلة من نسا الامر اذا أخره (والدنيا نقد والآخرة نسيئة فاذا هى خير فلا بد من ايثارها) على الآخرة (وقالوا) أيضا (اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين) أى متيقن بها لحصولها فى الحال (ولذات الآخرة شك) اذ هى غير مرئية وانما يحكى عنها (فلا نترك اليقين بالشك وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال) فى معرض تفضيل نفسه على آدم عليه السلام (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار خير من الطين اذ هى جوهر نورانى والطين جوهر ظلمانى (والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) أى استبدلوا بها (فلا يخفف عنهم العذاب) يوم القيامة (ولاهم ينصرون) فى الدنيا أولا يغاثون فى الآخرة (وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فان يصدق الله تعالى فى قوله ما عندكم ينفد) أى يفنى (وما عند الله باق) لا نفاد له (وفى قوله وما عند الله خير وأبقى وفى قوله والآخرة خير وأبقى وفى قوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وفى قوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا فاذا صدق الله تعالى فى هذه الاقوال انمحت ظلمة الكفر) عن قلبه وارتسم نور ذلك التصديق فيه فهذا مبدأ الانوار (وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف الكفار) من عبدة الاوثان والكواكب (فقلدوه وصدقوه وآمنوا ولم يطالبوه بالبرهان) قال العراقى وهو المشهور فى السير من ذلك قصة اسلام الانصار وبيعتهم وهى عند أحمد باسناد جيد من حديث جابر وفيه حتى بعثنا الله اليه من يثرب فآويناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب الى أهله فيسلمون باسلامه الحديث (ومنهم من قال نشدتك الله) أى حلفتك به (أبعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق) قال العراقى متفق عليه من حديث أنس فى قصة ضمام بن ثعلبة وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم آلله أرسلك الى الناس كلهم فقال اللهم نعم وفى آخره فقال الرجل آمنت بما جئت به وللطبرانى من حديث ابن عباس فى قصة ضمام قال نشدتك به أهو أرسلك بما أتتنا كتبك وأتتنا رسلك ان نشهد أن لا اله الا الله وان ندع اللات والعزى قال نعم الحديث انتهى قلت حديث ضمام فى الصحيحين من رواية أنس قال بينما نحن عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ جاء اعرابى فقال أيكم ابن عبد المطلب الحديث وفيه انه أسلم وقال أنا رسول من ورائى من قومى وأنا ضمام بن ثعلبة ومداره عند البخارى على الليث عن سعيد المقبرى عن شريك عن أنس وعلقه البخارى أيضا ووصله من رواية سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس وأخرجه النسائى والبغوى من طريق عبيد الله بن عمر عن سعيد عن أبى هريرة وعدوه وهما فى السند وفى آخر المتن قبل قوله وأنا ضمام بن ثعلبة قال فاما هذه الهنات يعنى الفواحش فوالله انا كنا نتنزه عنها فى الجاهلية فلما ان ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل وكان عمر رضى الله عنه يقول ما رأيت أحدا أحسن مسئلة ولا أوجز من ضمام بن ثعلبة وروى أبو داود من طريق اسحق عن سلمة بن كهيل وغيره عن كريب عن ابن عباس قال بعث بنو سعد ضمام بن ثعلبة الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكره مطولا وفى آخره فما سمعنا بوافد قوم قط كان أفضل من ضمام قال البغوى كان يسكن الكوفة وكان قدومه سنة تسع (وهذا ايمان العامة وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبى) الغر (والده فى ان حضور المكتب خير من حضور الملعب مع انه لا يدرى وجه كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان والبرهان وهو ان تعرف وجه فساد هذا القياس الذى نظمه فى قلبه الشيطان) ورتبه وحسنه اياه (فان كل مغرور فلغروره سبب) لولاه لما وجد (وذلك السبب هو دليل) أى بمنزلته (وكل دليل فهو نوع قياس يقع فى النفس ويورث السكون اليه) فى الجملة (وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء) كما جرت به العادة من تقسيمه الى لفظى ووضعى وتقسيم الوضعى الى مطابقة وتضمن والتزام (فالقياس الذى نظمه الشيطان) فى قلبه (فيه أصلان أحدهما ان

الدنيانقــدوالآخرةنسيئةوهذاصحيح والآخرقوله ان النقدخيرمن النسيئةوهذامحل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئةفى المقداروالمقصود فهوخير وان كان أقل منهافالنسيئةخيرفان الكافرالمغرور يبذل فى تجارته درهمالياخذعشرة نسيئةولا يقول النقدخيرمن النسيئةفلاأتركه واذاحذره الطبيب الفواكه ولذائذالاطعمةترك ذلك فى الحال خوفامن ألم المرض فى المستقبل فقــد ترك النقدورضى بالنسيئة والتجاركلهم يركبون البحار و يتعبون فى الاسفارنقدالاجل الراحة (٤٣١) والربح نسيئةفان كان عشرةفى ثانى الحال خيرامن واحــدفى الحال فانسـبـلذةالدنيا من حيث مــدتهاالى مدة الآخرة فان أقصى عمــر الانسان مائةسنة وليس هوعشرعشيرمن جزء من ألف ألف جزءمن الآخرة فكانه ترك واحداليأخذ ألف ألف بل ليأخــذمالا نهايةله ولاحــدوان نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيامكدرةمشوبة بانواع المنغصات ولذات الآخرة صافيــةغيرمكدرةفاذاقد غلط فى قوله النقدخيرمن النسيئةفهذاغرورمنشؤه قبول لفظ عام مشــهور أطلق وأريدبه خاص فغفل به المغــرورعن خصوص معناه فان من قال النقدخير من النسيئةأرادبه خيرامن نسيئــةهى مثــله وان لم يصرح به وعندهذا يفزع الشــيطان الى القياس الآخروهوان اليقين خير من الشــك والآخرةشك وهذاالقياس أكثرفسادا من الاول لان كلاأصليه باطــل اذاليقين خيرمن الشــك اذا كان مثله والا فالتاجر فى تعبه على يقين وفى ربحه على شك والنفقةفى اجتهاده على يقين وفى ادراكه رتبةالعلم على شك والصيادفى تردده فى المقتنص على يقين وفى الظفر بالصــيدعلى شك وكذاالحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم أتجر بقيت جائعاوعظم ضررى وان اتجرت كان تعبى قليلاوربحى كثيراوكذلك المريض يشرب الدواءالبشع الكريه وهومن الشفاءعلى شــك ومن مرارةالدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارةالدواءقليل بالاضافةالى ماأخافه من المرض والموت فكذلك من شك فى الآخرةفواجب عليه بحكم الحزم ان يقول أيام الصبرقلائل وهومنتهى العمر بالاضافةالى مايقال من أمرالآخرةفان كان ماقيل

الدنيا نقد) معجل (والآخرةنسيئة و هذا) أصل (صحيح) لصدق الموضوع والمحمول فيهما (والآخران النقدخيرمن النسيئةوهذا) باطل على عمومه وهو (محل التلبيس فليس الامر كذلك بل) فيه تفصيل وذلك (ان كان النقد مثل النسيئة فى المقدار والمقصود) بان يتساويا فيهما بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر (فهو) حينئذ (خيرمن النسيئة لان عند التساوى يرجح ما هو الحاضر) لسرعة الانتفاع به (وان كان أقل منها فالنسيئة خــير) منه وأما قولهم عصفور فى الكف خيرمن كركى فى الجو فهو اشارة الى تمنى مايعسرعليه الوصول له مع امكانه فحينئذ الكثرة فى الطرف الثانى غيرمعتبرة وكلامنا فى النقــد والنسيئة اذا كانا متيسرين على حد واحد (فان هذا الكافر) المحجوب بظلمة الطبع (المغرور) فى حاله (يبذل فى تجارته درهــما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقــد خيرمن النسيئة فلاأتركه واذا حــذره الطبيب الفواكه) الرطبة (ولذائذ الاطعمة ترك ذلك فى الحال خوفا من ألم المرض فى المستقبل وقد) تراه (ترك النقــد ورضى بالنسيئة و) أيضا فان (التجار كلهم يركبون البحار و يتعبون فى الاســفار) فى البرارى والقفار (نقد الاجل) حصول (الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة فى ثانى حال خيرا من واحد فى الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الآخرة فان أقصى عمر الانسان مائة ســنة) وهو المقارب للعمر الطبيعى فى الغالب (وليس عشر عشير من جزء من ألف ألف جزء من الآخرة فكانه ترك واحدا ليأخــذ ألف ألف بل ليأخذ مالا نهاية له ولا حد وان نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا) كلها (مكدرة) ممررة (مشوبة بانواع المنغصات) أى المكدرات (ولذات الآخرة) باسرها صافية غيرمكدرة ولا منغصة وأيضا فلذات الدنيا الى نفاد ولذات الآخرة الى ازدياد (فاذا قد غلط فى قوله النقد خيرمن النسيئة) على الاطلاق (فهذا غرورمنشؤه قبول لفظ عام مشــهور) وضع وضــعا واحدا لكثير غير محصور مستغرق لجميع مايصلح له (أطلق وأريد به) معنى (خاص) معــلوم على الانفراد وانما قيدنا بالانفراد ليتميز عن المشترك (فغفل المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خيرمن النسيئة أراد به من نسيئة هى مثــله) فى المقدار والمقصود (وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الآخر) لما يرى نفسه منهزما من الاول (وهو ان اليقين خيرمن الشك) والدنيا يقين حاضر (والآخرة شك) غائب (وهذا القياس أكثر فسادا من الاول لان كلا أصليه باطل اذ اليقين خيرمن الشك اذا كان مثله) ومساويه فى الرتبــة (والا فالتاجر فى التعب على يقين وفى ربحه على شك و) كذلك (الصياد فى تردده الى المقتنص) أى موضع الصيد (على يقين وفى الظفر بما يصيد على شك وكذلك الحزم) وهو الاخذ بالتحرى والضبط (داب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم أتجر بقيت جائعا وعظم ضررى وان اتجرت كان تعبى قليلا وربحى كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع) المر (الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قريب) وفى نسخة قليل (بالاضافة الى ماأخافه من المرض والموت وكذلك من شك فى الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر) وباقيه قريب وفى نسخة قليل (بالاضافة الى مايقال من أمر الآخرة فان كان ماقيل

فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم أيام حياتي وقد كنت في العدم من الازل الى الآن أتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ماقيل صدقا فابقى في النار أبد الآباد وهذا الابطاق ولهذا قال علي كرم الله وجهه لبعض الملحدين ان كان ماقلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ماقلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له أنه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور * وأما الاصل الثاني من كلامه وهو ان الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان أحدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك أيضا يزيل

الغرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه النبت الفلاني فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي أو معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الاحوال أنهم أكثر منه عددا وأغزر منه فضلا وأعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر في علمه بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله وأعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على أصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف من أهل النار فجحدوا يختلف الآخرة وكذبوا الانبياء فكما أن قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمأنينة القلب الى ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشككك في صحة أقوال الانبياء والاولياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لامحالة والغرور يزول به وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للانبياء والالهام للاولياء ولا تظنن أن معرفة النبي عليه السلام لامر الآخرة ولامور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع منه كما أن معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وانما

فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم أيام حياتي وقد كنت في العدم من الآزال الى الآن لا أتنعم فاحسب اني بقيت في العدم) كما كنت أولا (وان كان ماقيل صدقا فابقى في النار أبد الآباد وهذا الابطاق ولذلك قال علي كرم الله وجهه لبعض الملحدين) من منكري الآخرة وقد سأله عن أشياء فأجاب ثم قال (ان كان ماقلته حقا) أي في أمر الآخرة والعذاب (فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ماقلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت) أورده الشريف في نهج البلاغة (وليس هذا) الجواب (عن شك منه) رضي الله عنه (في) أمور (الآخرة ولكن) سجل بذلك اذ (كلم الملحد على قدر عقله وبين له انه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور وأما الاصل الثاني وهو ان الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان أحدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك أيضا يزيل الغرور وهو مدرك ليقين العوام وأكثر الخواص ومثاله مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم) أي جميعا (على ان دواءه النبت الفلاني) مثلا (فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي) منسوب الى سواد الارض والمراد به الغافل المشتغل بحراثة الارض البعيد عن الجماعة (أو معتوه) فاسد العقل (يكذبهم في ذلك) القول (وهو يعلم بالتواتر وقرائن الاحوال انهم) أي الاطباء وأهل الصناعة (أكثر منه عددا وأغزر منه فضلا وأعلم بالطب منه لا بل لا علم له) أي لذلك السوادي والمعتوه (بالطب) أصلا (فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر في علمه بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا) مخطئا في عمله (فلذلك من نظر الى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها) وما فيها من المخاوف والاهوال والسعادة والاقبال (والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله) وخلاصتهم (وأعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليهم الخلق على أصنافهم) حينا بعد حين (وشذ منهم آحاد من البطالين) الذين قد (غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع) بالاعراض الفانية (فعظم عليهم ترك الشهوات) وقد ألفوها (وعظم عليهم الاعتراف بانهم من أهل النار) استنكافا منهم (فجحدوا الآخرة) رأسا (وكذبوا الانبياء) والرسل عليهم السلام ولم يصغوا لاقوال العلماء (وكما ان قول الصبي) والمعتوه (وقول السوادي لا يزيل طمأنينة القلب الى ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا الغبي) الفدم (الذي استرقته الشهوات) وغلب عليه حب اللذات (لا يشككك في صحة أقوال الانبياء والاولياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لامحالة والغرور يزول به وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للانبياء) خاصة (والالهام) لهم (وللاولياء) وقد تقدم ذكر مراتب الوحي واقسامه وما اختص بها كل من الانبياء والاولياء (ولا تظنن ان معرفة النبي لامر الآخرة ولامر الدين) فيما يوحى اليه (تقليد لجبريل) عليه السلام (بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبي حتى تكون معرفتك كمعرفته وانما

يختلف المقلد فقط وهيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونه من أمر الله الامر الذى يقابل النهى لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشان حتى يكون المراد به انه من خلق الله فقط لان ذلك عام فى جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الخلق والامر فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير فى وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة فى ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذى منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر ربانى بطبعه وفطرته وانه فى العالم الجسمانى غريب وأن هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه فى ذاته بل بامر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمعصية وهى التى حطته عن الجنة التى هى أليق به بمقتضى ذاته فانها فى جوار الرب تعالى وانه أمر ربانى وحنينه الى جوار الرب تعالى له طبعى ذاتى الا أن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم

يختلف المقلد) بفتح اللام (فقط وهيهات) هيهات (فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح) فى اتباعه غيره من غير نظر وتامل فى دليل (والانبياء) عليهم السلام (عارفون) لا مقلدون (ومعنى معرفتهم انه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هى عليها) عند الله تعالى (فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون) ما أخبروا (عن مشاهدة) صحيحة (لا عن سماع وتقليد) للغير (وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من أمر الله وليس المراد بكونه من الله الامر الذى يقابل النهى لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشان حتى يكون المراد به انه من خلق الله فقط لان ذلك عام فى جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الخلق والامر) كما قال تعالى ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين فعالم الامر ما وجد عن الحق من غير سبب ويطلق بازاء الملكوت وعالم الخلق ما وجد عن سبب ويطلق بازاء عالم الشهادة (فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير) المستقيم (فى وضع اللسان) ويستعمل فى ابداع الشئ من غير أصل ولا اقتداء (وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر) والكمية منسوب الى كم وهو العرض الذى يقتضى الانقسام لذاته (وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة فى ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماعه) وحيث أمسك صلى الله عليه وسلم عن الاخبار عنه وعن ماهيته باذن الله ووحيه وهو صلى الله عليه وسلم معدن العلم وينبوع الحكمة كيف يسوغ لغيره الخوض فيه والاشارة اليه لا جرم لما تقاضت النفس الانسانية المتطلعة الى الفضول المتشرفة الى المعقول المتحركة بوضعها الى كل ما أمرت بالسكوت فيه والمتسورة بحرصها الى كل تحقيق وكل تمويه فاطلقت عنان النظر فى مسارح الفكر وخاضت غمرات ماهية الروح تاهت فى التيه وتنوعت آراؤها فيه ولو لزمت النفوس حدها معترفة بعجزها كان ذلك أجدر بها وأولى وذلك (كسر القدر الذى منع من افشائه) والخوض فى مشكلاته (فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف انه أمر ربانى بطبعه وفطرته وانه فى العالم الجسمانى غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه فى ذاته بل بامر عارض غريب من ذاته) وتحقيقه ان الروح الانسانى العلوى السماوى من عالم الامر والروح الحيوانى البشرى من عالم الخلق والروح الحيوانى البشرى محل الروح العلوى ومورده ولو رود الروح الانسانى العلوى تجنس الروح الحيوانى وباين أرواح الحيوانات واكتسب صفة أخرى فصار نفسا محلا للنطق والالهام فتكونت النفس بتكوين الله تعالى من الروح العلوى فى عالم الامر كتكوين حواء من آدم فى عالم الخلق وصار بينهما للتألف والتعاشق كما بين آدم وحواء فسكن الروح الآدمى الانسانى العلوى الى الروح الحيوانى وصيره نفسا وتكونت من سكون الروح الى النفس القلب والمراد به اللطيفة التى محلها المضغة اللحمية فالمضغة اللحمية من عالم الخلق وهذه اللطيفة من عالم الامر وكان تكون القلب من الروح والنفس فى عالم الامر كتكون الذرية من آدم وحواء فى عالم الخلق (وذلك العارض الغريب ورد على آدم عليه السلام وعبر عنه بالمعصية وهى التى حطته من الجنة التى هى أليق به بمقتضى ذاته فانها فى جوار الرب تعالى وانه أمر ربانى وحنينه الى جوار الرب تعالى طبيعى ذاتى الا أن تصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب عن ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أى تركوا معرفته ولم يذكروه (فانساهم أنفسهم) أى جعلهم ناسين لها فلم يعرفوها ففيه ان نسيان النفس من ثمرات نسيان الرب كما ان نسيان النفس يورث نسيان الرب والمطلوب معرفتهما جميعا فتضمحل النفس ويبقى الرب أو المعنى انهم لما نسوا الله أراهم من أهوال الحجاب ما أنساهم أنفسهم أى حجبهم عن

أولئك هم الفاسقون أى الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمها اذا خرجت عن معدنها الفطرى وهذه اشارة الى أسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون وتشمئز من سماع ألفاظها القاصرون فانها تضربهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر أعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس أبصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية فيسمى صاحبه وليا وعارفا وهى مبادى مقامات الانبياء وآخر مقامات الاولياء أول مقامات الانبياء * ولنرجع الى الغرض المطلوب فالمقصود أن غرور الشيطان بان الآخرة شك يدفع اما بيقين تقليدى واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا أوامر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصى فهم مشاركون للكفار فى هذا الغرور لانهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة نعم أمرهم أخف لان أصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم أيضا من المغرورين فانهم اعترفوا بان الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وآثروها ومجرد الايمان لا يكفى للفوز قال الله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه

نور المعرفة بالظلمة المتراكمة على القلوب (أولئك هم الفاسقون أى الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم) وهذا معنى صحيح مطابق لوضع اللغة (يقال فسقت الرطبة من كمها اذا خرجت من معدنها الفطرى) ولفظ الصحاح من قشرها (وهذه اشارة الى أسرار) مخزونة (تهتز) أى تتحرك طربا (لاستنشاق روائحها) الطيبة بآنافهم (العارفون) الكاملون (وتشمئز) أى تنقبض (لسماع ألفاظها) الغريبة (القاصرون) عن درجة المعرفة (فانها) أى تلك الروائح الذكية (تضربهم) فيحيدون عنها (* كما تضر رياح الورد بالجعل *) بضم الجيم وفتح العين المهملة حيوان شبه الخنفساء تدحرج العذرة برجليها وتشمها بآنافها ومن شأنها اذا شمت الرائحة الطيبة حصلت لها حالة مثل السبات وربما تهلك وهو نصف مصراع بيت (وتبهر أعينهم الضعيفة) أى تغلبها (كما تبهر الشمس أبصار الخفافيش) جمع خفاش وهو حيوان معروف لا يقدر ان يفتح عينه فى مقابلة الشمس ولا يستطيع النظر الى النور (وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية) وبه يقوم العبد بالحق عند الفناء عن نفسه (ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهى مبادى مقامات الانبياء) ثم يترقون الى معاريج الكمال (وآخر مقامات الاولياء) الذى ينتهون اليه فى سيرهم (أول مقامات الانبياء) وقول أبى يزيد البسطامى قدس سره خضت بحرا وقف الانبياء بساحله اشارة الى الولاية الخاصة (ولنرجع الى الغرض المطلوب والمقصود ان غرور الشيطان بان الآخرة شك يدفع اما بيقين تقليدى) يسلم الامر الى المقلد له ولا يفاتحه ببرهان ولا دليل (واما ببصيرة) نافذة (ومشاهدة) حاصلة (من جهة الباطن) ثم ان ذلك الحجب الحاصل لهم من الغرور الشيطانى لا يختص به الكفار المحجوبون بمجرد الظلمة بل قد يحصل أيضا لجماعة ظاهرهم الاسلام وباطنهم ملوث بالعقائد الفاسدة ولهم أعمال سيئة واليه أشار المصنف بقوله (والمؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا أوامر الله تعالى) ولم يقوموا بها كما أمروا تهاونا بها (وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات) النفسية وآثروا اللذات الحسية (و) ارتكبوا (المعاصى) والدناآت (فهم مشاركون للكفار فى هذا الغرور) ومحجوبون ببعض الظلمة كما حجبوا (لانهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة) فكان حجابهم أنفسهم الكدرة وشهواتهم المظلمة فلا ظلمة أشد من الهوى والنفس (نعم أمرهم أخف) من أمر الكفار (لان أصل الايمان يعصمهم من عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين) لما روى الترمذى وقال حسن صحيح من حديث أبى سعيد يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان وروى أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث أنس يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن ذرة وللبخارى من حديثه يخرج من النار قوم بعد ما احترقوا فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين (ولكنهم أيضا من المغرورين فانهم اعترفوا بان الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وآثروها) وانهمكوا فى شهواتها ولذاتها (ومجرد الايمان) عن صالح العمل (لا يكفى للفوز قال الله تعالى وانى لغفار لمن تاب) من الشرك (وآمن) بما يجب الايمان به (وعمل صالحا ثم اهتدى) ثم استقام على الهدى المذكور (وقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه) فان لم تكن تراه فانه يراك رواه أحمد والشيخان وابن ماجه من حديث أبى هريرة ورواه النسائى من حديث أبى هريرة وأبى ذر معا ورواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث عمر وروى الاحسان ان تعمل لله كأنك تراه فان كنت لا تراه فانه يراك فاذا فعلت

ذلك

وقال تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فوعد المغفرة فى جميع كتاب الله تعالى منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء أيضا مغرورون أعنى المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا * ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم فى أنفسهم وبألسنتهم انه لو كان لله من معاد فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حظا فيه وأسعد حالا كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة أمرهما كما نقل فى التفسير أن الكافر منهما بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخدما بألف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار وفى ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا يفنى ويخرب ألا اشتريت قصرا فى الجنة لا يفنى واشتريت بستانا يخرب ويفنى ألا اشتريت بستانا فى الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفى كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ماهناك شئ وماقيل من ذلك فهو أكاذيب وان كان فليكونن لى فى الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل اذ يقول لاوتين مالا وولدا

ذلك فقد أحسنت هكذا رواه أحمد والبزار من حديث ابن عباس ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ورواه أحمد أيضا من حديث أبى عامر أو أبى مالك ورواه البزار أيضا من حديث أنس وهو فى تاريخ ابن عساكر من حديث عبد الرحمن بن غنم وقد اختلف فى صحبته (وقال تعالى والعصر ان الانسان) التعريف للجنس (لفى خسر) فى مساعيهم وصرف أعمالهم فى مطالبهم والتنكير للتعظيم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية (فوعد المغفرة فى جميع كتاب الله منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء أيضا مغرورون أعنى المطمئنين الى الدنيا) المائلين اليها (الفرحين بها المترفهين بنعيمها) المتقلبين فى لذاتها (المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا) فقط (دون الكارهين له خيفة لما بعده) من الاهوال والشدائد والوقوف بين يدى الله تعالى (فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا) ومن المؤمنين من حجب ببعض الانوار فاغتر بها وهذا هو القسم الثالث من الاقسام التى ذكرناها وهم كذلك أصناف شتى وقد دخلهم الغرور فى عقائدهم ومذاهبهم وانما الواصل منهم صنف واحد وهم العارفون (ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم فى أنفسهم وبألسنتهم انه لو كان لله من معاد) كما يزعمون (فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حظا فيه) من غيرنا (وأسعد حالا) من غيرنا (كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين اذ قال) أى الكافر وهما اخوان من بنى اسرائيل مؤمن وكافر فالمؤمن اسمه يهوذا والكافر اسمه فرطس وقد ضرب الله لهم مثلا فى كتابه العزيز فقال واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيأ وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أى يراجعه فى الكلام أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن ان تبيد هذه أبدا (وما أظن الساعة قائمة) أى كائنة (ولئن) كانت قائمة ثم (رددت الى ربى) بالبعث كما زعمت (لاجدن خيرا منها) أى من جنته (منقلبا) أى مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما أقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما أولاه ما أولاه لاستئهاله له واستحقاقه اياه لذاته وهو معه أينما يلقاه (وجملة أمرهما كما نقل فى التفسيران الكافر منهما) واسمه فرطس كما تقدم أو فرطوس أو أبو فرطاس قيل ونهر أبى فرطس المشهور بفلسطين نسب اليه (بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخدما بألف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار وفى ذلك كله يعظه المؤمن) أخوه وهو يهوذا (ويقول) يا أخى (اشتريت قصرا يخرب ويفنى ألا اشتريت قصرا فى الجنة لا يفنى واشتريت بستانا يخرب ويفنى ألا اشتريت بستانا فى الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفى كل ذلك يرد عليه) أخوه (الكافر ويقول ماهناك شئ) وكان منكرا للبعث (وماقيل من ذلك فهو أكاذيب) وترهات (فان كان) كما يزعمون واردنا ثانيا (ليكونن لى فى الآخرة) وفى نسخة الجنة (خيرا من هذا) قال البيضاوى وكانا قد ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن فى وجوه الخير وآل أمرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل المثل لهما اخوان من بنى مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو أبو سلمة بن عبد الاسد وهو زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل) بن هشام بن سعيد بن سهم بن عمرو بن مغيص بن لؤى القرشى والد عمرو وهشام وهما مؤمنان وأبوهما المذكور كان هو من المتعنتين المنكرين للبعث (اذ قال) فيما حكى الله تعالى عنه فى كتابه العزيز أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال (لاوتين مالا وولدا) ولما كانت الرؤية أقوى سند الاخبار

استعمل أرأيت بمعنى الاخبار والفاء على أصلها والمعنى أخبر بقصة هـذا الكافر عقيب حديث أولئك (فقال الله تعالى ردّاعليه أطلع الغيب) أي أقد بلغ من عظم شأنه الى ان يؤتى ارتقى الى عـلم الغيب الذى توحد به الواحد القهار حتى ادعى انه يقرر له فى الا ٓخرة مالاو ولداوتمالاعليه (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) أى أواتخذ من علم الغيب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هـذين الطريقين (كلا) ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوّره لنفسه (وروى عن) أبي عبـدالله (خباب بن الارت) بتشديد المثناة ابن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سـعد بن زيد مناة بن تميم التميمى حالف بنى زهرة وأسلم قديما وكان من المعذبين فى الله وشهد المشاهد كلها وكـان يعمل السيوف فى الجاهلية توفى سنة سبع وثلاثين بالكوفة وهو أوّل من دفن بظهرها وكان عمره ثلاثا وسـتين سـنة (انه قال كان لى على العـاص بن وائل) المذكور قريبا (دين) وكان قد عمل له فى السيوف فى الجاهلية (فجئت أتقاضاه) أى اطالبه به (فلم يقضه) أى امتنع من دفعه (فقلت انى آخذه فى الا ٓخرة فقال) مستهزئا به (اذا صرت الى الا ٓخرة فان لى هنالك مالاو ولدافاقضيك منـه فانزل الله قوله أفرأيت الذى كفر با ٓياتنا وقال لاوتين مالاو ولدا) قال العراقى متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسـلم من حديث عمر وقد تقدم اهـ قلت ولفظ البخارى ومسلم من رواية أبي هريرة عن خباب قال كنت رجلا قينا وكان لى على العاص بن وائل دين فاتيته أتقاضاه فقال والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت وتبعث قال فانى اذا مت ثم بعثت جئتنى وثم مال و ولد فاعطيك فانزل الله أفرأيت الذى كفر با ٓياتنا وقال لاوتين مالاو ولدا الى قوله و يأتينا فردا وهكذا رواه أيضا أحمد وسعيد بن أبي منصور والبزار ورواه أيضا ابن جرير وسعيد بن أبي منصور وعبد بن حميد والترمذى والبيهقى فى الدلائل وابن المنـذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه من حديث خباب ورواه الطبرانى بلفظ عملت للعاص بن وائل عملا فأتيته أتقاضاه فقال انكم تزعمون انكم ترجعون الى مال و ولد وانى راجع الى مال و ولد واذا رجعت اليـه ثم أعطيك فانزل الله أفرأيت الذى كفر با ٓياتنا الا ٓية وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس ان رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل بدين وأتوه يتقاضونه فقال ألستم تزعمون ان فى الجنة ذهبا وفضة وحريرا ومن كل الثمرات قالوا بلى قال فان موعدكم الا ٓخرة والله لاوتين مالاو ولدا ولاوتين مثل كتابكم الذى جئتم به فقال الله تعالى أفرأيت الذى كفر با ٓياتنا الا ٓيات وروى سعيد بن منصور من مرسل الحسن قال كان لرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم دين على رجل من المشركين فأتاه يتقاضاه فقال ألست مع هذا الرجل قال نعم قال يزعم ان لكم فيه جنـة ونارا وأموالا وبنين قال بلى قال اذهب فلست قاضيك فأنزلت الا ٓية أفرأيت الذى كفر با ٓياتنا الى قوله و يأتينا فردا (وقال تعالى ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته) بتفريجها عنه (ليقولن هذا لى) حق استحقه من الفضل والعمل أولى دائما فلا يزول (وما أظن الساعة قائمة) أى تقوم كما يزعمون (الا ٓية) وتمامها ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى (وهذا كله من الغـرور بالله) والتمادى فى الغفلة واعتقاد فى انه ما أصابه من نعم الدنيا فلاستحقاقه لا ينفك (وسببه قياس من أقيسة ابليس وذلك انهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليه نعمة الا ٓخرة و ينظرون مرة الى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الا ٓخرة كما قال عز وجل و يقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول فقال تعالى جوابا لقولهم حسـبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث) الرؤس (غبر) الالوان (فيزدرون بهم و يستحقرونهم و يقولون) كما أخبر الله تعالى عنهم فى قوله وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) أليس الله باعلم بالشاكرين (و يقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذى نظمه) الشيطان (فى

فقال الله تعالى رداعليـه أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا وروى عن خباب بن الارت أنه قال كان لى عـلى العاص بن وائل دين فجئت أتقاضاه فلم يقض لى فقلت انى آخذه فى الا ٓخرة فقـال لى اذا صرت الى الا ٓخرة فان لى هنالك مالا وولدا أقضيك عنـه فانزل الله تعالى قوله أفرأيت الذى كفر با ٓياتنا وقال لاوتين مالاو ولدا وقال الله تعـالى ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسـته ليقولن هـذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وهذا كله من الغرور بالله وسببـه قياس من أقيسة ابليس نعوذ بالله منه وذلك أنهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها نعـمة الا ٓخرة و ينظرون مرة الى تأخير العـذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الا ٓخرة كما قال تعـالى و يقولون فى أنفسهم لولا يعـذبنا الله بما نقول فقال تعالى جوابا لقولهـم حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصـير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غـبر فـيزدرون بهـم و يستحقرونهـم فيقولون أهؤلاء من الله عليهـم من بيننا و يقولون لو كان خيرا ما سـبقونا اليه وترتيب القياس الذى نظمه فى

قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن أيضا في المستقبل كما قال الشاعر

لقد أحسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقي

وانما يقيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا أني كريم عند الله ومحبوب لما أحسن الي والتلبيس تحت ظنه أن كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان ومثاله ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض أحدهما ويحب الآخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية التي تنفعه والذي يبغضه ويهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل كل ما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله فان الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر وكان أرباب البصائر اذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة المقت والاهمال واذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا أقبلت عليه الدنيا ظن انها كرامة من الله واذا صرفت عنه ظن انها هوان كما أخبر الله تعالى عنه اذ قال فاما الانسان

قلوبهم انهم يقولون قد أحسن الله الينا بنعيم الدنيا) واغدقه علينا (وكل محسن فهو محب وكل محب فهو يحسن في المستقبل أيضا كما قال الشاعر

لقد أحسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقي

وانما قيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة) أي الاكرام الظاهر (والحب اذ يقول لولا اني كريم عند الله ومحبوب) لديه (لما أحسن الي" والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب) ولا يلزم من الاحسان الحب (لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه كريم عند الله بدليل) احسانه اليه وهذا (لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان) والبعد والمقت ولقد هلك بهذا الغرور خلق كثير لا يحصون ولقد فاوضت مع جماعة ان أردهم عن هذا الظن الفاسد فلم يمكن ذلك ولا حول ولا قوة الا بالله ماشاء الله كان (ومثاله ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض أحدهما ويحب الآخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه) الرطبة (وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية) المرة البشعة (التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب) طول نهاره مع الصبيان (ولا يدخل المكتب ويأكل ما يشتهي) من ألوان الطعام والفواكه (فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه ولم يمنعه) عنها (ولم يحجر عليه وذلك لانه محض الغرور) ونهاية الغفلة (وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله) تعالى (وان الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد في الاخبار) قال العراقي رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان اه قلت وروى ذلك أيضا من حديث محمود بن لبيد وأبي سعيد وأنس وحذيفة بلفظ حديث محمود بن لبيد ان الله يحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه هكذا رواه ابن عساكر ورواه أحمد الا أنه قال من الدنيا ورواه الحاكم بهذا اللفظ من حديث أبي سعيد ولفظ حديث أنس ان الله تعالى ليحمي المؤمن من الدنيا نظرا وشفقة عليه كما يحمي المريض أهله من الطعام رواه الديلمي ولفظ حديث حذيفة ان الله تعالى يحمي عبده المؤمن كما يحمي الراعي الشفيق غنمه من مواقع الهلكة رواه أبو الشيخ في الثواب وفي رواية له بلفظ ان الله يتعاهد عبده بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالخير وان الله ليحمي عبده من الدنيا كما يحمي المريض أهله الطعام وقد رواه أيضا الروياني والحسن بن سفيان وابن عساكر وابن النجار وروى ابن النجار من حديث أنس أوحى الله الى موسى بن عمران عليه السلام ياموسى ان من عبادي من لو سألني الجنة بحذافيرها لاعطيته ولو سألني علاقة سوط لم أعطه ليس ذلك من هوان له علي ولكن أريد ان أدخر له في الآخرة من كرامتي وأحميه من الدنيا كما يحمي الراعي غنمه من مراعي السوء (وكان أرباب البصائر اذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك أمارة المقت والاهمال واذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين) رواه الديلمي من حديث أبي الدرداء مرفوعا قال أوحى الله الى موسى بن عمران عليه السلام ياموسى ارض بكسرة خبز من شعير تسد بها جوعتك وخرقة تواري بها عورتك واصبر على المصيبات واذا رأيت الدنيا مقبلة فقل انا لله وانا اليه راجعون عقوبة عجلت في الدنيا واذا رأيت الدنيا مدبرة والفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وروى الصابوني في المائتين نحوه عن الفضيل بن عياض وقد تقدم في كتاب ذم الدنيا (والمغرور اذا أقبلت عليه الدنيا ظن انها كرامة من الله) أكرمه بها (واذا صرفت عنه ظن انه هوان) به (كما أخبر الله تعالى عنه) في كتابه العزيز (اذ قال فاما الانسان) وهو متصل بقوله ان

اذاما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما اذاما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن فأجاب الله عن ذلك كلا أي ليس كما قال
انما هو ابتلاء نعوذ بالله من شر البلاء ونسأل الله التثبيت فبين ان ذلك غرور قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بكرامتي
ولا هذا بهواني ولكن الكريم من أكرمته بطاعتي غنيا كان أو فقيرا والمهان من أهنته بمعصيتي غنيا كان أو فقيرا وهذا
الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة أو بالتقليد أما بالبصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله ويدرك ذلك بالالهام في منازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون وفي تفسير قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون انهم كلما أحدثوا ذنبا أحدثنا لهم نعمة لتزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه
الابصار الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور
السالفين
الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات الفاسدة وينظر الى فرعون وهامان وقارون والى ملوك الارض

ربك لبالمرصاد من الآخرة فلا يريد الا السعي لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها (اذاما ابتلاه ربه) اختبره بالغنى واليسر (فأكرمه ونعمه) بالمال والجاه (فيقول ربي اكرمن) أي فضلني بما أعطاني (وأما اذاما ابتلاه فقدر عليه رزقه) أي حبسه (فيقول ربي أهانن) لقصور نظره وصدفكره فان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا فلذلك ذمه على قوله وردعه عنه بقوله (كلا أي ليس كما قال انما هو ابتلاء نعوذ بالله من شر البلاء فبين ان ذلك غرور) ولم يقل فأهانه وقدر عليه كما قال فأكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة (قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (كذبهما جميعا بقوله كلا يقول هذا ليس بكرامتي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من أكرمته بطاعتي غنيا كان أو فقيرا والمهان من أهنته بمعصيتي غنيا كان أو فقيرا) رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن الحسن مختصرا بلفظ كلا كذبتهما جميعا بالغنى أكرمك ولا بالفقر أهانك وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد نحوه قال ظن كرامة الله في المال وهوانه في قلته وكذب انما يكرم بطاعته من أكرم ويهين بمعصيته من أهان (وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة) النافذة (واما بالتقليد) المحض (اما بالبصيرة) النافذة (فبان تعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله) ضرورة من أحب القرب من الله تباعد عن شهوات الدنيا ومن مال اليها بعد عن قرب الله (ويدرك ذلك بالهام) رباني ينفث في روعه (في منازل العارفين والاولياء) ومقاماتهم وأحوالهم (وشرحه) من حيث التفصيل يستدعي بسط مقدمات وهو (من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله) فيما بلغه (وقد قال تعالى) في كتابه العزيز (أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) ما نريد بهم (وقال تعالى سنستدرجهم) أي سنجرهم قليلا قليلا الى العذاب (من حيث لا يعلمون وقال تعالى فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون) أي منقطعون في حجتهم أو محزونون لشدة ما عرض لهم (و) يروى (في تفسير قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون انهم كلما أحدثوا ذنبا أحدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم) وفي رواية كلما جدد واخطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم شكر النعمة واستغفار الذنب ويروى عن سعيد بن جبير الاغترار بالله المقام على الذنب ورجاء المغفرة وروى أحمد والطبراني والبيهقي من حديث عقبة بن عامر اذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه فانما ذلك له منه استدراج وروى ابن المبارك في الزهد من مرسل سعيد بن أبي سعيد اذا رأيت كلما طلبت شيأ من أمر الآخرة وابتغيته يسر لك واذا رأيت شيأ من أمر الدنيا وابتغيته عسر عليك فاعلم انك على حال حسنة واذا رأيت كلما طلبت شيأ من أمر الآخرة وابتغيته عسر عليك واذا طلبت شيأ من أمر الدنيا وابتغيته يسر لك فانت على حال قبيحة ورواه البيهقي مرفوعا من حديث عمر بن الخطاب (وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما) أي نكثر جرائمهم في مدة الامهال (وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الآية) وتمامها انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء (الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله وسنة رسوله) صلى الله عليه وسلم (فمن آمن به) وصدق بما فيه (تخلص من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن من مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات) والاوهام (وينظر الى فرعون وهامان وقارون) وشداد واشباههم (والى ملوك الارض)

وماجرى لهم كيف أحسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا فقال تعالى هل تحس منهم من أحد الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال تعالى انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي ان يحذر أن يكون ذلك مكرا منه وكيدا مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه فبأن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى فاذا من أمن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور انه استدل بنعم الدنيا على انه كريم عند ذلك المنعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور *(المثال الثاني)* غرور العصاة من المؤمنين بقولهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم وأين معاصي العباد في بحار رحمته وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفة سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم اذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى فقياس الشيطان للعلوية ان من أحب انسانا أحب أولاده وان الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور أن نوحا عليه السلام أراد ان يستصحب ولده معه في السفينة فلم يرد فكان من المغرقين

السالفين (وماجرى لهم كيف أحسن الله اليهم ابتداء) واسبغ عليهم نعمه (ثم دمرهم تدميرا) واستأصل شأفتهم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا (فقال تعالى هل تحس منهم من أحد الآية وقد حذر الله تعالى مكره واستدراجه) في مواضع من الكتاب العزيز (فقال فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقال تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) والمكر هو صرف الغير عما يقصده بنوع من الحيلة وهو ضربان محمود وهو ما يتحرى به أمر جميل وعلى ذلك ما تقدم من الآيات ومذموم وهو ما يتحرى به فعل ذميم ومنه قوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله قالوا ومن مكر الله بالعبد امهاله وتمكينه من اعراض الدنيا (وقال تعالى انهم يكيدون كيدا) من ابطال القرآن واطفاء نوره والمراد بهم أهل مكة (وأكيد كيدا) أي أقابلهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون (فمهل الكافرين) أي فلا تشتغل بالانتقام منهم أولا تستعجل باهلاكهم (أمهلهم رويدا) أي امهالا يسيرا (فكما لا يجوز للعبد المهمل) المتروك في ذاته (أن يستدل باهمال السيد اياه) وتركه له (وتمكينه من التنعم) في شهوات الدنيا (على حب السيد) وتقربه منه (بل ينبغي ان يحذر ان يكون ذلك مكرا منه) وحيلة (مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه) ولم يعلمه به (فبأن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه) وتخويفه منه وتنبيهه عليه (أولى فاذا من أمن من مكر الله فهو مغرور) ولذا قال علي رضي الله عنه من وسع عليه في دنياه ولم يعلم انه مكر به فهو مخدوع عن عقله (ومنشأ هذا الغرور انه استدل بنعم الدنيا على انه كريم عند المنعم) محبوب لديه (واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك احتمال لا يوافق الهوى والشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور) (المثال الثاني غرور العصاة من المؤمنين بالله بقولهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال) رأسا (وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجاء وظنهم ان الرجاء مقام محمود في الدين وان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم وأين معاصي العباد) ولئن كثرت (في) جنب (بحار رحمته وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان) فهذا مستند كبير درجت عليه عامة العصاة وخاصتهم (وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء) والجدود (وعلو رتبتهم) عند الناس (كاغترار العلوية) أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهم البيوت الخمسة (بنسبهم ومخالفتهم سيرة آبائهم) الطاهرين (في الخوف والتقوى والورع) كما روي عن علي بن الحسين بن علي وولده محمد وحفيده جعفر وغيرهم وهو ظاهر لمن طالع مناقبهم وسبر سيرهم (وظنهم انهم أكرم على الله من آبائهم اذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين) على أنفسهم (وهم مع غاية الفجور والفسق آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله فقياس الشيطان للعلوية ان من أحب انسانا أحب أولاده وان الله تعالى قد أحب آباءكم فيحبكم) لحبه اياهم (فلا تحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور ان نوحا عليه السلام) كما أذن له ان يعمل للسفينة وذلك قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا ثم أمره ان يحمل فيها وذلك قوله تعالى قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل (أراد ان يستصحب ولده) كنعان (معه في السفينة فلم يرد فكان من المغرقين) وذلك ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فكان من امتناعه من الركوب ما قص

الله فى كتابه بقوله وحال بينهما الموج فكان من المغرقين (فقال) نوح لما رآه كذلك يارب (ان ابنى من أهلى) وان وعدك الحق وقد وعدتنى ان تنجى أهلى فما له أوفما له لم ينج و يجوز ان يكون هذا قبل غرقه فرد الله تعالى عليه (فقال) يانوح (انه ليس من أهلك) لقطع الولاية بين المؤمن والكافر وأشار اليه بقوله (انه عمل غير صالح) أى ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة ثم أبدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما (وان ابراهيم) عليه السلام (استغفر لابيه) آزر (فلم ينفعه) ذلك وقد اعتذر الله سبحانه عنه فى كتابه العزيز فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الى قوله ان ابراهيم لاواه حليم (وان نبينا استأذن ان يزور قبر أمه) آمنة بنت وهب وذلك بالابواء (و يستغفر لها فاذن له فى الزيارة ولم يؤذن له فى الاستغفار فجلس يبكى على قبر أمه لرقته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله) قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى هريرة اه وفى الوسيط للواحدى عند قوله تعالى ولاتسأل عن أصحاب الجحيم قال قرأ نافع بفتح التاء الفوقية و جزم اللام على النهى للنبى صلى الله عليه وسلم وذلك انه سأل جبريل عليه السلام عن قبر أبيه وأمه فدله عليهما فذهب الى القبرين ودعا وتمنى ان يعرف حال أبويه فى الآخرة فنزلت اه قلت و روى عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن محمد بن كعب القرظى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليت شعرى مافعل أبواى فنزلت فما ذكرهما حتى توفاه الله و روى ابن جرير عن داود بن أبى عاصم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم أين أبواى فنزلت وأما حديث احيائهما حتى آمنا به فاورده السهيلى فى الروض من حديث عائشة وكذا الخطيب فى السابق واللاحق وقال السهيلى فى اسناده مجاهيل وقال ابن كثير انه حديث منكر جدا وان كان ممكنا بالنظر الى قدرة الله عزوجل وقد ألف الحافظ السيوطى فى نجاة الابوين سبع رسائل ورد عليه فيها غير واحد من علماء عصره ومن بعدهم ولى فى هذا الشأن جزء لطيف سميته الانتصار لوالدى النبى المختار صلى الله عليه وسلم والذى أراه الكف عن التعرض لهذا نفيا واثباتا والله أعلم (فهذا أيضا اغترار بالله عزوجل وهذا لان الله يحب المطيع و يبغض العاصى فكما انه لا يبغض الاب المطيع) لله تعالى (ببغضه للولد العاصى) لله تعالى (فكذلك لايحب الولد العاصى) لله تعالى (بحبه للولد المطيع) لله تعالى (ولو كان الحب يسرى من الاب الى الولد لاوشك أن يسرى البغض أيضا بل الحق ان لاتزر وازرة وزر أخرى) وكل شاة معلقة برجلها (ومن ظن انه ينجو بتقوى أبيه) وانه ينفعه (كمن ظن انه يشبع باكل أبيه و يروى بشرب أبيه و يصير عالما بتعلم أبيه و يصل الى الكعبة و يراها بمشى أبيه) الیها ورؤيته اياها هذا لايكون (والتقوى فرض عين) فى حق كل أحد (ولا يجزى فيه والد عن ولده شيأ وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى) فى يوم القيامة (يوم يفر المرء من أخيه وأبيه) وصاحبته و بنيه (الا على سبيل الشفاعة ان لم يشتد غضب الله عليه واذن له فى الشفاعة كما سبق فى كتاب الكبر والعجب) غيران صلاح الآباء قد يراعى فى الابناء وله نوع تأثير فيهم بدليل قوله تعالى وكان أبوهما صالحا فانه نبه به على ان سعى الخضر عليه السلام كان لصلاحه قال البيضاوى قيل كان بينهما و بين الاب الذى حفظا به سبعة آباء وأخرج ابن أبى شيبة وأحمد فى الزهد وابن أبى حاتم عن خيثمة قال قال عيسى عليه السلام طوبى لذرية المؤمن ثم طوبى لهم كيف يحفظون من بعده وتلا خيثمة وكان أبوهما صالحا وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن وهب بن منبه قال ان الله يحفظ بالعبد الصالح القبيل من الناس وأخرج ابن أبى حاتم من طريق شيبة عن سليمان بن سليم أبى سلمة قال مكتوب فى التوراة ان الله ليحفظ القرب الى القرب الى سبعة قروب وأخرج أحمد فى الزهد عن وهب قال ان الرب تبارك وتعالى قال فى بعض ما يقول لبنى اسرائيل انى اذا أطعت رضيت واذا رضيت باركت وليس لبركتى نهاية واذا عصيت غضبت واذا غضبت لعنت ولعنتى تبلغ السابع من الولد وأخرج أحمد فى الزهد عن وهب قال يقول الله اتقوا غضبى فان غضبى يدرك الى ثلاثة آباء وأحبوا رضاى فان رضاى يدرك

فقال رب ان ابنى من أهلى فقال تعالى يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح وأن ابراهيم عليه السلام استغفر لابيه فلم ينفعه وأن نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى استأذن ربه فى ان يزور قبر أمه و يستغفر لها فاذن له فى الزيارة ولم يؤذن له فى الاستغفار فجلس يبكى على قبر أمه لرقته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله فهذا أيضا اغترار بالله تعالى وهذا لان الله تعالى يحب المطيع و يبغض العاصى فكما أنه لا يبغض الاب المطيع ببغضه للولد العاصى فكذلك لايحب الولد العاصى بحبه للاب المطيع ولو كان الحب يسرى من الاب الى الولد لاوشك ان يسرى البغض أيضا بل الحق أن لاتزر وازرة وزر أخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه و يروى بشرب أبيه و يصير عالما بتعلم أبيه و يصل الى الكعبة و يراها بمشى أبيه فالتقوى فرض عين فلا يجزى فيه والد عن ولده شيأ وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن فى الشفاعة له كما سبق فى كتاب الكبر والعجب

فان قلت فاين الغلط فى قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو رحمته ومغفرته وقد قال أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيرا فما هذا الا كلام صحيح مقبول الظاهر فى القلوب فاعلم أن الشيطان لا يغوى الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبى صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمنى على الله تعالى غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله يعنى ان الرجاء بهم أليق وهذا لانه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الاعمال قال الله تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى وانما توفون أجوركم يوم القيامة أفترى ان من استؤجر على اصلاح أوان وشرط له أجرة عليها وكان الشارط كريما يفى بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاوانى وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم أن المستأجر كريم أفتراه العقلاء فى انتظاره متمنيا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانيهم يترجحون فيها من رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاى فقال له رجل انا لنرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه

الامة (فان قلت فاين الغلط فى قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو رحمته ومغفرته وقد قال أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيرا فما هذا الا كلام صحيح مقبول فى القلوب فاعلم ان الشيطان لا يغوى الانسان الا بكلام مقبول الظاهر) أى يرى قبوله بحسب ما يرى من ظاهره (مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب) وأخذ فيها مأخذا (ولكن النبى صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله) رواه الترمذى وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وتقدم قريبا (وهذا هو التمنى على الله) وانما (غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال) والتمنى طلب مالا طمع فيه أو ما فيه عسر فالاول نحو قول الهرم * ألا ليت الشباب يعود يوما * والثانى قول المعدم ليت لى مال فلان فان حصول المال ممكن لكن بعسر والحاصل ان التمنى يكون فى الممتنع وفى الممكن (وقد شرح الله الرجاء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله يعنى ان الرجاء بهم أليق) فالرجاء يكون على أصل والتمنى لا يكون على أصل وقد أفاد الخبران التمنى مذموم وأفادت الآية ان الرجاء محمود وذلك لان التمنى يفضى بصاحبه الى الكسل وأما الرجاء فانه تعلق القلب بمحبوب فيحصل حاله (وهذا لانه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الاعمال قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال) تعالى (انما توفون أجوركم يوم القيامة افترى ان من استؤجر على اصلاح أوان) جمع آنية وهو جمع اناء (وشرط له أجرة) اذا أصلحها (وكان الشارط كريما) معروفا بالكرم (يفى بالوعد مهما وعد ولا يخلف) ميعاده (بل يزيد) كما هو من شان الكرم (فجاء الاجير وكسر الاوانى وأفسد جميعها ثم جلس) ناحية (ينتظر الاجر ويزعم ان المستأجر كريم افتراه العقلاء فى انتظاره متمنيا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والغرة) ومن هنا لما (قيل للحسن) البصرى رحمه الله تعالى (هنا قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل) فما تقول فيهم (فقال هيهات هيهات تلك امانيهم يترجحون فيها من رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه) ويروى عنه أيضا انه قال ان أقواما ألهتهم امانى العفو حتى خرجوا من الدنيا ليست لهم حسنة يقول أحدهم انى أحسن الظن بربى وكذب ولو أحسن الظن بربه لاحسن العمل له وروى الترمذى من حديث أبى هريرة من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل (وقال مسلم بن يسار) البصرى نزيل مكة أبو عبد الله الفقيه ويقال له مسلم سكره ومسلم المصبح ثقة عابد مات سنة مائة أو بعدها بقليل روى له أبو داود والنسائى وابن ماجه (لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاى فقال له رجل انا نرجو الله فقال هيهات هيهات من رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه) قلت هما أثران مستقلان بسندين مختلفين فجعلهما المصنف واحدا قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا على بن اسحق حدثنا حسين بن الحسن حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا سفيان عن رجل عن مسلم بن يسار انه سجد سجدة فوقعت ثنيتاه فدخل عليه أبو اياس معاوية بن قرة يعزيه ويهون عليه فذكر مسلم من تعظيم الله عز وجل وحدثنا أحمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن احمد حدثنا هرون بن معروف حدثنا ضمرة عن خالد بن أبى يزيد عن معاوية بن قرة قال دخلت على مسلم بن يسار وقال دخلت على وأنا أدفن بعض جسدى قال معاوية وكان يطيل السجود أراه قال فوقع الدم فى ثنيتيه فسقطتا فدفنهما وحدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا على بن اسحق حدثنا الحسين بن الحسن حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا سفيان عن رجل عن مسلم بن يسار انه قال من رجا شيأ طلبه ومن خاف من شئ هرب منه وما أدرى ما حسب

وكما أن الذى يرجو فى الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجامع أو جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجاء رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن
ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصى فهو مغرور فكما انه اذا نكح ووطئ وأنزل بقى مترددا فى الولد يخاف و يرجو فضل الله فى خلق الولد ودفع
الآفات عن الرحم وعن الام الى أن يتم فهو كيس فكذلك اذا آمن وعمل الصالحات وترك السيآت و بقى مترددا بين الخوف
والرجاء يخاف أن لا يقبل
منه وأن لا يدوم عليه وان
يختم له بالسوء و يرجو من
الله تعالى ان يثبته بالقول
الثابت و يحفظ دينه من
صواعق سكرات الموت حتى
يموت على التوحيد و يحرس
قلبه عن الميل الى الشهوات
بقية عمره حتى لا يميل الى
المعاصى فهو كيس ومن
عدا هؤلاء فهم المغرورون
بالله وسوف يعلمون حين
يرون العذاب من أضل
سبيلا ولتعلمن نبأه بعد حين
وعند ذلك يقولون كما أخبر
الله عنهم ربنا أبصرنا وسمعنا
فارجعنا نعمل صالحا انا
موقنون أى علمنا أنه كما
لا يولد ولد الا بوقاع ونكاح
ولا ينبت زرع الا بحراثة
و بث بذر فكذلك لا يحصل
فى الآخرة ثواب وأجر الا
بعمل صالح فارجعنا نعمل
صالحا فقد علمنا الآن صدقك
فى قولك وأن ليس للانسان
الا ما سعى وأن سعيه سوف
يرى وكلما ألقى فيها فوج
سألهم خزنتها ألم يأتكم
نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير
أى ألم تسمعكم سنة الله فى
عباده وانه توفى كل نفس ما
كسبت وان كل نفس بما
كسبت رهينة فما الذى غركم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير وتمحوها
فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير فان قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم انه محمود فى موضعين أحدهما فى حق العاصى المنهمك
اذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وانى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا أن يقمع القنوط بالرجاء و يتذكر ان الله
يغفر الذنوب جميعا وان الله كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب

رجاء امرئ عرض له بلاء لم يصبر عليه لما يرجو وما أدرى ما حسب خوف الله من عرضت له شهوة لم
يدعها لما يخشى وحدثنا أحمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا هرون بن معروف حدثنا ضمرة عن
خالد بن أبى يزيد عن معاوية بن قرة قال دخلت على مسلم بن يسار فقلت ما عندى كبير عمل الا انى أرجو الله
وأخاف منه فقال ما شاء الله من خاف من شئ حذر منه ومن رجا شيأ طلبه وما أدرى ما حسب خوف عبد
عرضت له شهوة فلم يدعها لما يخاف أو ابتلى ببلاء فلم يصبر عليه لما يرجو قال معاوية فاذا أنا قد زكيت نفسى
وأنا لا أعلم (وكما ان الذى يرجو فى الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح) أى لم يتزوج امرأة (أو نكح ولم يجامع
أو جامع ولم ينزل) بان عزل منيه (فهو معتوه) أى قليل العقل (وكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن) بالله
(أو آمن) به (ولم يعمل صالحا أو عمل) صالحا (ولم يترك المعاصى فهو مغرور وكما انه اذا نكح ووطئ وأنزل
بقى مترددا فى الولد يخاف و يرجو فضل الله فى خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الام الى ان يتم فهو
كيس) أى عاقل فطن (وكذا اذا آمن وعمل صالحا وترك السيآت بقى مترددا بين الخوف والرجاء يخاف ان
لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له) فى آخر نفسه (بالسوء و يرجو من فضل الله تعالى ان يثبته بالقول
الثابت) وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله (و يحفظ دينه من صواعق سكرات الموت) وأهواله (حتى يموت
على التوحيد) الخالص (و يحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصى فهو
كيس) فطن (ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا
ولتعلمن نبأه بعد حين وعند ذلك) أى عند معاينتهم العذاب (يقولون ما أخبر الله عنهم) فى كتابه العزيز
(ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا) الى الدنيا (نعمل صالحا انا موقنون أى علمنا انه لا يولد ولد الا بوقاع
ونكاح ولا ينبت زرع الا بحراثة وبث بذر) أى رميه فى الارض (فكذلك لا يحصل فى الآخرة ثواب وأجر
الا بعمل صالح فارجعنا) ثانيا وردنا الى ما كنا فى الدنيا (نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك فى قولك)
وأيقنا به (وان ليس للانسان الا ما سعى) وحصله فى دنياه (وان سعيه سوف يرى) ثم يجزاه الجزاء
الاوفى (كلما ألقى فيها) أى فى النار (فوج) أى جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها) أى الملائكة
الموكلون بها (ألم يأتكم نذير أى) ألم يخوفكم بهذا العذاب و(لم يسمعكم سنة الله) التى قد خلت (فى
عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت) من خير أو شر (وان كل نفس بما كسبت رهينة) أى محبوسة وهو
توبيخ وتبكيت (فما الذى غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا) حينئذ فى جواب الخزنة (لو كنا نسمع)
كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات (أو نعقل) فنفكر فى
حكمه ومعانيه فكر المستبصرين (ما كنا فى أصحاب السعير) أى فى عدادهم ومن جملتهم (فاعترفوا
بذنبهم) حين لا ينفعهم الاعتراف اقرارا عن معرفة والمراد بالذنب الكفر (فسحقا لاصحاب السعير) أى
أسحقهم الله سحقا أى أبعدهم من رحمة الله والتطلب للايجاز والمبالغة (فان قلت فأين مظنة الرجاء
وموضعه المحمود فاعلم انه محمود فى موضعين أحدهما فى حق العاصى المنهمك) فى المعاصى (اذا خطرت
له التوبة فقال له الشيطان) موسوسا اليه فى قلبه (وانى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب عند ذلك
أن يقمع القنوط بالرجاء و يتذكر ان الله كريم) جواد ومقتضى كرمه وجوده قبول توبته و يتذكر
قوله (تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) و يعفو عن السيآت (فان التوبة طاعة تكفر الذنوب)

قال الله تعالى قـــل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم
أمرهم بالانابة وقال تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمـــل صالحا ثم اهتدى فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار
فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو فى السوق فخطر له أن يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان انك لاتدرك الجمعة فأقم على موضعك
فكذب الشـــيطان ومر يعدو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة وأخـــذ يرجو تأخير الامام للصلاة لاجله الى وسط
الوقت أولاجل غيره أولسبب من الاســـباب التى لايعرفها فهو مغرور والثانى أن تفتر نفسه عن فضائل الاعمـــال ويقتصر على
الفـــرائض فيرجى نفسه نعـــيم الله تعالى وماوعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتـــذكر بقوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هـــم فى صـــلاتهم خاشـــعون الى قوله أولئك هـــم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثانى يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة أوعلى تشمر فى العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب فتورا فى العبادة وركونا الى البطالة فهو غـــرة كما اذا خطر له أن يترك الذنب ويشـــتغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك ولايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفـــتر بذلك عـــن التوبة والعبادة فهو غرة وعنـــد هذا واجب على العبد أن يستعمل الخوف فيخوف نفســـه بغضب الله وعظيم
عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب وقابل التوب شـــديد العـــقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار فى النار أبد الآباد مع انه لم يضره كفرهـــم
بل ســـلط العـــذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جـــلة من عباده فى الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته فى عباده وقد
خوفنى عقابه فكيف لاأخافه وكيف أغـــتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل فما لايبعث على العـــمل فهو تمن
وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهـــم وسبب اقبالهم على الدنيا وسبب اعراضهم عن الله تعالى واهمالهم السعى للآخرة فذلك غرور
فقـــد أخبر صلى الله عليه وسلم وذكر أن الغرور ســـيغلب على قلوب آخر هذه الامة وقد كان ماوعد به صـــلى الله عليه وسلم فقد كان الناس فى
الاعصار الاول يواظبون على العبادات

وتمحوها (قال تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) أى بارتكاب المعاصى (لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) وهى أرجى آية فى كتاب الله (وقال) تعالى (وأنيبوا الى ربكم أمرهم بالانابة) وهو الرجوع الى الله تعالى بالتوبة (وقال) تعالى (وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) وغير ذلك من الآيات الدالة على ان المغفرة منوطة بالتوبة (فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج) وفعله رجاء (وان توقع المغفرة مع الاصرار) على الذنب (فهو مغرور وكما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو فى السوق) مشغول فى تجارته (فخطر له أن يسعى الى الجمعة) رجاء أن يدرك الجمعـــة (فقال له الشـــيطان لاتدرك الجمعة فاقم فى موضعك فكذب الشيطان ومر يعدو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة وأخذ يرجو تأخير الامام للصلاة لاجله الى وسط الوقت أولاجـــل غيره أو لسبب من الاسباب التى لايعرفها فهو مغرور) فى كل ذلك (الثانى ان يفتر نفسه) أى يكسلها (عن فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض فيرجى نفسه نعم الله تعالى وماوعد به الصالحين) من صالح الجزاء (حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هـــم فى صلاتهم خاشعون الى قوله أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثانى يقمع القنوط من النشاط والتشمر) فى الفضائل (وكل توقع حث على توبة أوعلى تشمر فى العبادة فهو رجاء وكل توقع أوجب فتورا فى العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة) بالكسر وبه يظهر الفرق بينهما أيضا كما اذا خطر له ان يترك الذنب ويشـــتغل بالعـــمل فيقول له الشيطان موسوسا فى قلبه (مالك ولايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب غفور رحيم) كريم فيغتر بذلك أى يكسله (عن التوبة والعبادة فهى الغرة وعند هذا يجب على العبد أن يســـتعمل العمل) ويستمر عليه (ويخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول انه) جل وعز (مع انه غافر الذنب وقابل التوب) يغفر ذنوب عباده ويقبل توبتهم (شديد العقاب) على من عصاه وخالفه وقد قرنها فى سياق واحد لاجل التنبيه على ذلك (وانه) جل وعز (مع انه كريم) عفو (خلد الكفار فى النار أبد الآباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع) والعرى (على جـــلة من عباده فى الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته فى عباده وقد خوفنى عقابه فكيف لاأخافه) لئلا يصيبنى ما أصابهـــم (وكيف أغتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل فما لايبعث على العـــمل فهو تمن وغرور) وبهـــذا كذلك يتضح الفرق بين الرجاء والتمنى (ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهـــم) وكسلهم عن الاعمـــال (وسبب اقبالهم على الدنيا وسبب اعراضـــهم عن الله عز وجل واهمالهم السعى للآخرة فذلك غرور وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم وذكر أن الغرور سيغلب على آخر هذه الامة) وهو حديث أبى ثعلبة الخشنى فى اعجاب كل ذى رأى برأيه وقد تقدم فى آخر ذم الكبر والعجب (وقد كان ماوعد به صلى الله عليه وسلم) وتحقق وجدانه (فقد كان الناس فى الاعصار الاول يواظبون على العبادات)

ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار فى طاعة الله يبالغون فى التقوى والحذر
من الشبهات والشهوات ويبكون على أنفسهم فى الخلوات وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على
المعاصى وانهماكهم فى الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين انهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله راجون لعفوه ومغفرته كأنهم يزعمون
انهم عرفوا من فضله وكرمه مالم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينى فعلى ماذا كان
بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم (٤٤٤) وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور فى كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
رواه معقل بن يسار يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن فى قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان أمرهم كله يكون طمعا لاخوف معه ان أحسن أحدهم قال يتقبل منى وان أساء قال يغفر لى فأخبر انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن ومافيه ومثله أخبر عن النصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا معناه انهم ورثوا الكتاب أى هم علماء ويأخذون عرض هذا الادنى أى شهواتهم من الدنيا حراما كان أوحلالا وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد والقرآن من أوله الى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بمافيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون
الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرؤن شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات
الى معانيه والعمل بمافيه وهل فى العالم غرور يزيد على هذا فهذه أمثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور
طوائف لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم ترجح كفة حسناتهم مع أن مافى كفة السيئات
أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون مايتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه
ولعل ماتصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان أكل ألف درهم حرام

مدمنين عليها (ويؤتون ما آتوا) من الاعمال الصالحة (وقلوبهم وجلة) أى خائفة (يخافون على أنفسهم) من عدم القبول (وهم طول الليل والنهار فى طاعة الله يبالغون فى التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على أنفسهم فى الخلوات) كما هو معروف من سيرتهم لمن طالع فى تراجمهم وأخبارهم (وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير عارفين مع اكبابهم على المعاصى وانهماكهم فى الدنيا واعراضهم عن الله) عز وجل (زاعمين انهم واثقون بكرم الله وفضله وراجون لعفوه ومغفرته كأنهم يزعمون انهم عرفوا من كرم الله وفضله مالم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا) أى بالهداوة والسهولة (فعلى ماذا كان بكاء أولئك) القوم (وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور فى كتاب الخوف والرجاء) كما سيأتى ان شاء الله تعالى (وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار) المزنى رضى الله عنه ممن بايع تحت الشجرة وكنيته أبو على مات بعد الستين (يأتى على الناس زمان يخلق) أى يبلى (فيه القرآن فى قلوب الرجال كما تخلق الثياب) أى تبلى (على الابدان يكون أمرهم كله طمعا لاخوف معه ان أحسن أحدهم قال يتقبل منى وان أساء قال يغفر لى) قال العراقى رواه الحارث بن أبى أسامة من طريق أبى نعيم بسند ضعيف ورواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة (فأخبر) صلى الله عليه وسلم (انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن) وانذاراته (ومافيه ومثله أخبر) الله تعالى (عن النصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب) أى تكفلوا دراسته وتلقفوه (يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب أى هم علماء) بمافيه (ويأخذون عرض هذا الادنى أى شهواتهم من الدنيا حلالا كان أو حراما وقد قال تعالى ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد) اسم من الايعاد وهو الوعد من العذاب (والقرآن من أوله الى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بمافيه) مصدقا له (وترى الناس يهذونه هذا) الهذ سرعة القطع وقد هذ قراءته هذا اذا أسرع فيها (يخرجون الحروف من مخارجها يتناظرون على رفعها وخفضها ونصبها فكأنهم يقرؤن شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بمافيه) وقد روى أبو نعيم من حديث ابن عباس يأتى على الناس زمان يتعلمون فيه القرآن فيجمعون حروفه ويضيعون حدوده ويل لهم مما جمعوا وويل لهم مما ضيعوا ان أدنى الناس بهذا القرآن من جمعه ولم ير عليه أثره (وهل فى العالم غرور يزيد على هذا فهذه أمثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص الا أن معاصيهم أكثر وهم متوقعون المغفرة ويظنون انه ترجح كفة حسناتهم مع أن مافى كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال أو الحرام ويكون مايتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه ولعل ماتصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم

حرام فقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال وماهو الا كمن وضع عشرة دراهم فى كفة ميزان وفى الكفة الاخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله نعم ومنهم من يظن ان طاعاته أكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله فى اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهذا أبدا يتأمل فى فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد من عقوبة المغتابين

والكذابين والنمامين والمنافقين يظهرون من الكلام مالا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمرى ولو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبون من هذيانه الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته ومانطق به فى فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فياعجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته فى الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمه ماهذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى أمر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ولا يغتر به اتكالا على أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى والله أعلم *(بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف)* *(الصنف الاول)* أهل العلم والمغترون منهم فرق (ففرقة) أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها اشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصى والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله بمكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل فى الخلق شفاعتهم وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو

حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحلال أو الحرام وماهو الا كمن وضع عشرة دراهم فى كفة ميزان وفى الكفة الاخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله نعم ومنهم من يظن أن طاعته أكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله تعالى فى اليوم) والليلة (مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم) ويأكل لحومهم (ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه) وهو الكلام الذى لا فائدة فيه (طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون) وهم الحفظة من الملائكة (وقد أوعده الله تعالى العقاب على كل كلمة فقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) أى مراقب حاضر (فهو أبدا يتأمل فى فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد فى عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين بذكر مالا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمرى لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه) أى يمسكه (حتى عن جملة من مهماته ومانطق به فى فترته فكان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فياعجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته فى الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمه ماهذا الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها) وتأمل حق التأمل (فقد دفعنا الى أمر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين عياذا بالله من ذلك وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله أن نكون من أهل الكفران) والجحود (فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان) الواضح البرهان (وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقى) مقامه (ولا يغتر به اتكالا على أباطيل المنى) اعتمادا (على تعاليل الشيطان والهوى والله الموفق)

(بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف)

(وهم اربعة أصناف الصنف الاول أهل العلم والمغترون منهم فرق) كثيرة (ففرقة منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها) أى دخلوا فى عمقها (واشتغلوا بها) ونسبوا اليها وقد كملوا فى اتقان فنونها (وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصى والزامها الطاعات) الالهية (واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان) ومنزلة (وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم) ولا يؤاخذهم بما عملوا (بل يقبل فى الخلق شفاعتهم وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله) وشرفهم لديه (وهم) فى الحقيقة (مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو)

العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها الا الحذاق الاطباء فيسعى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجتلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيف خلطه وعجنه فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها فترى أن ذلك يغني عنه من مرضه شيأ هيهات هيهات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيأ الا أن يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه أصلا فهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصي ولم يجتنبها وأحكم علم الاخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها وأحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال تعالى قد أفلح من زكاها ولم يقل أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك الله
وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة في فضل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمأن اليه وأهمل العمل وان كان كيسا فيقول للشيطان أتذكرني فضائل العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب وكقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا فأي خزي أعظم من التمثيل بالكلب والحمار

أي علم المكاشفة كما سبق في كتاب العلم (العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس المذمومة) منها (والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد الا للعمل) لا لذواتها (ولولا الحاجة الى العمل لم تكن لهذه العلوم قيمة) ولا قدر (وكل علم) لا (يراد) الا (للعمل فلا قيمة له دون العمل) وتفهم ذلك بمثال (فمثال ذلك كمريض به علة لا يزيلها الادواء مركب من أخلاط كثيرة) أي أجزاء مطردة (لا يعرفها الا الحذاق الاطباء) ومهرتهم (فسعى في طلب الطبيب بعد ان هاجر وطنه) وفارق مألوفه (حتى عثر على طبيب حاذق) فشكا له حاله وذكر له العلة (فعلمه الدواء) لها (وفصل له الاخلاط) التي يركب منها ذلك الدواء (وأنواعها ومقاديرها) وموازينها (ومعادنها التي منها تجتلب) تلك الاخلاط (وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وعجنه فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن) مقبول (ورجع الى بيته وهو يكررها ويقرؤها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيأ هيهات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيأ الا أن يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه) مع بعضه بعد الدق (كما تعلم) من الطبيب (ويشربه) بالمقدار الذي ذكره له (ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته) المناسب (وبعد تقديم الاحتماء) عن مناولة ما يضاده (و) تقديم (جميع شروطه) المعروفة (واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه) هل يحصل له أم لا (فكيف اذا لم يشربه أصلا فهما ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره) وقد أشار اليه المصنف في رسالته التي أرسلها لبعض معتقديه من تلامذته المسماة برسالة أيها الولد ومثل فيها بمثال آخر فقال أرأيت من كال الخمر بالقناطير أيكون بكيله سكرانا هيهات حتى يذوق منها قطرة (وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصي ولم يجتنبها وأحكم علم الاخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها) أي ما طهرها (وأحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قد قال تعالى قد أفلح من زكاها) أي طهرها من الكفر والمعاصي والرذائل (ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله تعالى وثوابه والعلم يجلب الثواب) كيفما كان ويقرب الى الله (ويتلو عليه الاخبار الواردة في فضائل العلم) مما تقدم ذكرها في أول كتاب العلم (فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه واطمأن اليه وأهمل العمل) رأسا (وان كان كيسا) فطنا حاذقا (فيقول للشيطان أتذكرني فضائل العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله عز وجل فمثله كمثل الكلب) ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث وهو بلعم بن باعوراء كان أوتي بعض علم الآيات فلم يعمل به وركن الى شهوات الدنيا مقته الله تعالى وضرب له المثل المذكور كما تقدم (وكقوله) تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها) أي لم يعملوا بما فيها (كمثل الحمار يحمل أسفارا فأي خزي أعظم من التمثيل بالكلب والحمار) وهما من أخس خلق

وقد قال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال أيضا يلقى العالم فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى وكقوله عليه الصلاة والسلام شر الناس العلماء السوء وقول أبى الدرداء ويل للذى لا يعلم مرة لو شاء الله لعلمه وويل للذى يعلم ولا يعمل سبع مرات أى ان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وأمثاله مما أوردناه فى كتاب العلم فى باب

علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى الا أن هذا فيما لا يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد فى فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذى أخبره بفضيلة العلم هو الذى أخبره بذم العلماء السوء وان حالهم عند الله أشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور وأما الذى يدعى علوم المكاشفة كالعلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع أمر الله وحدوده فغروره أشد ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به أو عرف ذلك الا أنه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زى وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وصورته وشكله وعادته فى سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يكرهه ويحبه لكان ذلك أقرب الى نيله المراد عن قربه والاختصاص به بل تقصيره فى التقوى واتباعه الشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامى دون المعانى اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور أن يعرف الاسد

الله تعالى (وقد قال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا) رواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على بلفظ ولم يزدد فى الدنيا زهدا وقد تقدم فى كتاب العلم (وقال) صلى الله عليه وسلم (يلقى العالم فى النار فتندلق أقتابه) أى مصارينه (فيدور بها فى النار كما يدور الحمار فى الرحا) رواه ابن النجار من حديث أبى أمامة بلفظ يؤتى بعلماء السوء يوم القيامة فيقذفون فى نار جهنم فيدور أحدهم فى جهنم بعقبه كما يدور الحمار بالرحا فيقال له ويلك بك اهتدينا فما بالك قال فانى كنت أخالف ما كنت أنهاكم عنه وعند الشيخين من حديث أسامة بن زيد يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها فى النار كما يدور الحمار برحاه الحديث ورواه أبو نعيم فى الحلية بلفظ يجاء بالامير يوم القيامة فيلقى فى النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار بطاحونته الحديث وكل ذلك قد تقدم مرارا (وكقوله) صلى الله عليه وسلم (شر الناس العلماء السوء) تقدم فى كتاب العلم (وقول أبى الدرداء) رضى الله عنه (ويل للذى لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذى يعلم ولا يعمل سبع مرات) رواه أبو نعيم عن محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا بشر بن موسى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان عن جعفر بن محمد بن برقان عن ميمون بن مهران قال قال أبو الدرداء فذكره وروى مثله من قول ابن مسعود كذلك رواه أبو نعيم من طريق معاوية بن صالح عن عدى بن عدى قال قال ابن مسعود فذكره وقد تقدم فى كتاب العلم (أى ان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه) رواه الطبرانى فى الصغير وابن عدى والبيهقى من حديث أبى هريرة بلفظ لم ينفعه علمه وقد تقدم فى كتاب العلم (فهذا وأمثاله مما أوردناه فى كتاب العلم فى باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى الا أن هذا مما لا يوافق هوى العالم الفاجر) فلا يرفع له رأسا (وما ورد فى فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة) الباطنة (فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذى أخبره بفضيلة العلم هو الذى أخبره بذم العلماء السوء وان حالهم أشد عند الله من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور وأما الذى يدعى علوم المكاشفة) وانه بازائها (كالعلم بالله وصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العلم) ويتركه (ويضيع أمر الله وحدوده فغروره أشد ومثاله من أراد خدمة ملك) من الملوك (فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به أو عرف ذلك الا أنه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زى وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد القرب منه والاختصاص به) حالة كونه (متلطخا بجميع ما يكرهه الملك) ويغضب عليه (عاطلا عن جميع ما يحبه) ويميل اليه (متوسلا اليه بمعرفته له وبنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته فى سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك أقرب لنيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره فى التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامى دون المعانى اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه) وآثر محبته على ما يهواه (فلا يتصور ان يعرف الاسد

عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام خفنى كما تخاف السبع الضارى نعم من يعرف من الاسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الاسد فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته انه يهلك العالمين ولا يبالى و يعلم انه مسخر فى قدرة من لو أهلك

مثله آلافا مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستفتى الحسن عن مسألة فاجاب فقيل له ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت فقيها قط الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد فى الدنيا وقال مرة الفقيه لا يدارى ولا يمارى ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وان ردت عليه حمد الله فاذا الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين واذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين (وفرقة أخرى) أحكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصى الا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وارادة السوء للاقران والنظراء وطلب الشهرة فى البلاد والعباد وربما يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير محترز عنها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم أدنى الرياء شرك

عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله الى داود عليه السلام خفنى كما تخاف السبع الضارى نعم من يعرف من الاسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكانه ما عرف الاسد فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته انه يهلك العالمين) بأسرهم (ولا يبالى و يعلم انه مسخر فى قدرة من لو أهلك مثله آلافا مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليه رأفة ولا اعتراه عليه جزع ولهذا قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب العلم (وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله) هكذا رواه صاحب الحلية عن وهب بن منبه والمراد بالحكمة هنا العلم باحوال الموجودات على ماهى عليه بقدر الطاقة البشرية أى أصلها وأسها الخوف منه لان الحكمة تمنع النفس عن المنهيات والشهوات والشبهات ولا يحمل على العمل بها الا الخوف منه تعالى فيحاسب نفسه على كل خطرة ونظرة ولذة ولان الخشية تدعوه الى الزهد فى الدنيا وهو من آكد أسباب النجاة وأخرج الحكيم فى النوادر وابن لال فى مكارم الاخلاق ومن طريق الديلمى من طريق الحسن بن عمارة عن عبد الرحمن بن عابس بن ربيعة عن أبيه عن ابن مسعود مرفوعا رأس الحكمة مخافة الله والحسن بن عمارة ضعيف ورواه البيهقى من طريق الثورى عن ابن عباس ووقفه ولفظه انه كان يقول فى خطبته خير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل وأعاده مقتصرا على الجملة الاخيرة ثم ساقه من جهة بقية حدثنا عثمان بن زخر عن أبى عمار الهذلى عنه مرفوعا وضعفه ورواه الطبرانى والقضاعى من حديث سعيدة ابنة حكامة عن أمها عن أبيها عن مالك بن دينار عن أنس رفعه خشية الله رأس كل حكمة والورع سيد العمل وروى البيهقى فى الدلائل والعسكرى فى الامثال والديلمى من طريق عبد الله بن مصعب بن منظور بن جميل بن سنان عن أبيه عن عقبة بن عامر قال خرجنا فى غزوة تبوك فذكر حديثا طويلا فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا) وروى البيهقى فى الشعب عن مسروق مرسلا كفى بالمرء علما أن يخشى الله وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بنفسه ورواه أبو نعيم عنه عن عبد الله بن عمرو مرفوعا كفى بالمرء فقها اذا عبد الله وكفى بالمرء جهلا اذا أعجب برأيه (واستفتى الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (عن مسألة فاجاب عنها (فقيل له ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت فقيها قط الفقيه القائم لله ليله الصائم نهاره الزاهد فى الدنيا) نقله صاحب القوت وقد تقدم فى كتاب العلم (وقال مرة الفقيه يدارى ولا يمارى) أى لا يخاصم (ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وان ردت عليه حمد الله فاذا الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه) فائتمر بأوامره وانتهى بنواهيه وأحب ما أحبه وكره ما أبغضه (وهذا العالم الذى ورد (فيه) قول النبى صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين) رواه أحمد والشيخان وابن حبان من حديث معاوية ورواه أحمد والدارمى والترمذى وقال حسن صحيح من حديث ابن عباس وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث عمر ومن حديث أبى هريرة وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب العلم (واذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين وفرقة أخرى) منهم (أحكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصى الا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلا وارادة السوء للاقران والنظراء وطلب الشهرة فى البلاد والعباد وربما يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير محترز عنها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم أدنى الرياء شرك) رواه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية والحاكم من حديث معاذ وابن عمر ومعا بلفظ ان أدنى الرياء شرك وأحب العبيد الى الله الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا شهدوا لم

والى قوله عليه السلام لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله عليه الصلاة والسلام الحسد يأ كل الحسنات كما تأ كل النار الحطب والى قوله عليه الصلاة والسلام حب الشرف والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التى أوردناها فى جميع ربع المهلكات فى الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم وأهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لاينظر الى صوركم ولا الى أموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لاينجو الا من أتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبيترا الحش ظاهرها جص وباطنها نتن أو كقبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها جيفة أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم أو كرجل قصد الملك ضيافته الى داره فجصص باب داره وترك المزابل فى صدر داره ولايخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من أصله فأخذ يجز رؤسه وأطرافه فلا تزال تقوى أصوله فتنبت لان مغارس المعاصى هى الاخلاق الذميمة فى القلب فمن لا يطهر القلب منها لاتتم له الطاعات الظاهرة الامع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقى يتناول ما يزيد فى المادة فلا يزال يطلى الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التى فى الباطن (وفرقة أخرى) علموا أن هذه الاخلاق

يعرفوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح الظلم وقد تقدم فى كتاب ذم الجاه والرياء (والى قوله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر) رواه مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم مرارا (والى قوله صلى الله عليه وسلم الحسد يأ كل الحسنات كما تأ كل النار الحطب) رواه أبوداود من حديث أبى هريرة وقال البخارى لايصح ورواه ابن ماجه من حديث أنس باسناد ضعيف ورواه الخطيب فى التاريخ باسناد حسن وقد تقدم فى كتاب العلم (والى قوله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل) رواه أبونعيم ومن طريق الديلمى من حديث أبى هريرة بلفظ حب الغنى ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب ورواه الديلمى من طريق سلمة بن على عن عمر مولى غفرة عن أنس بلفظ الغنى واللهو ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب الحديث وروى البيهقى من حديث جابر الغنى ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع ورواه هكذا ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى والبيهقى أيضا من حديث ابن مسعود ولكن بلفظ البقل بدل الزرع وكل ذلك قد تقدم فى كتاب الوجد والسماع وفى كتاب ذم الجاه (الى غير ذلك من الاخبار التى أوردناها فى جميع ربع المهلكات فى الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم وأهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لاينظر الى صوركم ولا الى أموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه من حديث أبى هريرة بلفظ ان الله لاينظر الى صوركم وأموالكم ولكن انما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ورواه أيضا أبو بكر الشافعى فى الغيلانيات وابن عساكر من حديث أبى امامة ورواه هناد عن الحسن مرسلا وعند الطبرانى من حديث أبى مالك الاشعرى ان الله لاينظر الى أجسامكم ولا الى احسابكم ولا الى أموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه ورواه الحكيم عن يحيى بن أبى كثير مرسلا نحوه (فتعهدوا الاعمال ولم يتعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لاينجو) غدا يوم القيامة (الا من أتى الله بقلب سليم) أى سالم عن الغش والكدر (ومثال هؤلاء كبيترا الحش) كذا فى النسخ وفى بعضها كبيت الحش وهو الصواب والحش بالضم ويفتح بستان النخل قال أبوحاتم قولهم بيت الحش مجاز لان العرب كانوا يقضون حوائجهم فى البساتين فلما اتخذوا الكنف وجعلوها خلفا عنها أطلقوا عليها ذلك الاسم (ظاهرها جص) أى مبيض به (وباطنها نتن أو كقبور الموتى ظاهرها مزين) بالعمارة (وباطنها جيف أو كبيت مظلم باطنه وضع السراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم) وهذه الامثلة الثلاثة فى العلماء السوء لسيدنا عيسى عليه السلام نقله صاحب القوت وتقدم بعضها فى كتاب العلم وبعضها فى كتاب ذم الدنيا (أو كرجل قصد الملك ضيافته الى داره فجصص باب داره وترك المزابل فى صدر داره ولايخفى ان ذلك غرور بل أقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتنقية الزرع عن الحشيش) المذكور (بقلعه من أصله فأخذ يجز رؤسه) أى يقطعها (وأطرافه) المتشعبة (فلا يزال يقوى أصله وينبت) وانما كان هذا أقرب مثال اليه (لان مغارس المعاصى هى الاخلاق المذمومة فى القلب فمن لا يطهر القلب منها لاتتم له الطاعات الظاهرة الامع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب) والحكة (وقد أمر بالطلاء) عليه من ظاهر البدن (وشرب الدواء) من الباطن (فالطلاء يزيل ما على ظاهره والدواء يقلع مادته من باطنه فيقنع بالطلاء ويترك الدواء وبقى يتناول ما يزيد فى المادة) من داخل (فلا يزال يطلى الظاهر) فلا ينفعه (والجرب به دائم يتفجر عن المادة التى فى الباطن وفرقة أخرى علموا ان هذه الاخلاق

الباطنة مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بأنفسهم يظنون انهم منفكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم فى العلم فأماهم فاعظم عند الله من أن يبتليهم ثم اذا ظهر عليهم مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قالوا ماهذا كبر وانما هو طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام أنف المخالفين من المبتدعين وانى لولبست الدون من الثياب وجلست فى الدون من المجالس لشمت بى أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلى ذلا على الاسلام ونسى المغرور أن عدوه الذى حذره منه مولاه هو الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى أن النبى صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا أرغم الكافرين ونسى ماروى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة

بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر رضى الله عنه فى بذاذة زيه عند قدومه الى الشام فقال انا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز فى غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديبقى والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم انه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما أطلق اللسان بالحسد فى أقرانه أوفيمن رد عليه شيأ من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل فى عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد انه لو طعن فى غيره من أهل العلم أومنع غيره من رياسته وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله أم لا يغضب مهما طعن عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من حيث باطنه وهكذا يرائى باعماله وعلومه واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضى من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بى ليهتدوا الى دين الله تعالى فيتخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتأمل المغرور أنه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أوعلى يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضا ويقول انما ذلك لانه اذا اهتدوا بى كان الاجر لى والثواب لى فانما فرحى بثواب الله لا بقبول الخلق قولى هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على انه لو أخبره نبى بأن ثوابه فى الخمول واخفاء العلم أكثر من ثوابه فى الاظهار وحبس مع ذلك فى سجن وقيد بالسلاسل لاحتال فى هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذى به تظهر رياسته من تدريس أو وعظ أوغيره

الباطنة وعلموا أنها مذمومة من جهة الشرع الا أنهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم فى العلم فاماهو فاعظم عند الله من أن يبتليه) وهذا من ثمرات العجب (ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ماهذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام أنف المخالفين من المبتدعين) والحاسدين (فانى لولبست الدون من الثياب وجلست فى الدون من المجالس شمت بى أعداء الدين وفرحوا بذلك) ولو باطنا (وكان ذلى ذلا على الاسلام ونسى ان عدوه الذى حذره مولاه) وذلك العدو هو (الشيطان وانه) من شأنه انه (يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى ان النبى صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبم أرغم الكافرين وينسى ما روى عن الصحابة) رضوان الله عليهم (من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر رضى الله عنه فى بذاذة زيه) أى رثاثة هيئته (عند قدومه الشام فقال انا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز فى غيره) رواه الاعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب وقد تقدم (ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديبقى والابريسم المحرم والخيول) المسومة (والمراكب) الفاخرة (ويزعم انه يطلب عز العلم وشرف الدين) هيهات لا يكون عز العلم وشرف الدين بهذا (وكذلك مهما أطلق اللسان بالحسد فى اقرانه) ونظرائه (أوفيمن رد عليه شيأ من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل فى عداوته وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد انه لو طعن فى غيره من أهل العلم أومنع غيره من رياسته وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله أم لا يغضب مهما طعن فى عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من حيث باطنه وهكذا يرائى باعماله وعلومه فاذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضى من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بى) فيهما (ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح هو باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان) وهذا (كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أوعلى يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضا ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بى كان الاجر لى والثواب لى فانما فرحى بثواب الله لا بقبول الخلق قولى هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره) أى باطنه (على انه لو أخبره نبى بان ثوابه فى الخمول واخفاء العلم أكثر من ثوابه فى الاظهار وحبس مع ذلك فى سجن وقيد بالسلاسل) والاغلال (لاحتال فى هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذى تظهر به رياسته من تدريس أو وعظ أوغيره

وكذلك

وكذلك يدخل على السلطان و يتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في مالهم فأنت أنت فغرضك أن تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر في جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على أن يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى أن يأخذ من مالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لصالح المسلمين وأنت امام المسلمين وعالمهم و بك قوام الدين أفلا يحل لك أن تأخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة أمور أحدها في انه مال لا مالك له فانه يعرف أنه يأخذ الخراج من المسلمين وأهل السواد

والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وغاية الامر وقوع الخلط في أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخلطها فلا خلاف في انه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب أن يقسم بين العشرة و يرد الى كل واحد عشرة وان كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله انك من مصالح المسلمين و بك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالانبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء انه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع وأصناف غرور أهل العلم في هذه الاعصار المتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير (وفرقة أخرى) أحكموا العلم وطهروا الجوارح و زينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحقد والكبر وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها وأهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل

وكذلك يدخل على السلطان و يتودد اليه و يثني عليه و يتواضع له فاذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام) وان من تواضع لهم صار له كذا وكذا (قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في مالهم فأما أنت فغرضك أن تتشفع للمسلمين فتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه) أي يقبل شفاعته (في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه فلو قدر أن يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى أن يأخذ من ماله واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له معين وهو لصالح المسلمين وأنت امام المسلمين وعالمهم و بك قوام الدين فلا يحل لك أن تترك قدر حاجتك) وفي نسخة أفلا يحل لك أن تأخذ قدر حاجتك (فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة أمور أحدها في أنه مال لا مالك له فانه يعرف انه يأخذ الخراج من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم احياء وأولادهم وورثتهم احياء وغاية الامر وقوع الخلط في أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف في أنه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له و يجب أن يقسم بين العشرة و يرد الى كل واحد عشرة وان كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله انك من مصالح المسلمين و بك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا) أخذ (أموال السلاطين و رغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالانبياء) عليهم السلام (والصحابة) رضي الله عنهم (وعلماء السلف والدجال هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام الدين ومثله كما قال عيسى عليه السلام للعالم السوء انه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع) نقله صاحب القوت وقد تقدم في كتاب العلم (وأصناف غرور أهل العلم في هذه الاعصار المتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير وفرقة) منهم (أحكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا) وفي نسخة تركوا (المعاصي) الظاهرة (وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية) أي الظاهرة (القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق) منها (وغمض مدركه) ولم يتبين سره (فلم يفطنوا لها) لدقتها وغموضها (وأهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل

حشيش رآه فقلعه الا أنه لم يفتش على مالم يخرج رأسه بعد من تحت الارض وظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فأهملها وهو يظن أنه قد قلعها فاذا هو بها فى غفلته وقد نبتت وقويت وأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدرى فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره فى جمع العلوم وترتيبها وتحسين ألفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثها الحرص على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفى هو طلب الذكر وانتشار الصيت فى الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الآفاق وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له فى المهمات وايثاره فى الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤس الى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والاتباع والمستفيدين والسرور بالتخصيص بهذه الخاصية من بين سائر الاقران والاشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق لسان الطعن فى الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتمييز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا المسكين المغرور حياته فى الباطن بما انتظم له من أمر وامارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فعساه يتشوش عليه قلبه وتختلط أوراده ووظائفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج الى ان يكذب فى تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه عمن عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثره لتقدمه فى الفضل والورع وانما ذلك لانه أطوع له وأتبع لمراده وأكثر ثناء عليه وأشد اصغاء اليه وأحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون فى العلم وهو يظن أن قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب فى ايثاره الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده فى العزلة والاختفاء لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقوله الشيطان من زعم من بنى آدم انه بعلمه امتنع منى فبجهله وقع فى حبائلى وعساه يصنف ويجتهد

حشيش رآه) مضر للزرع (فقلعه الا أنه لم يفتش عما لم يخرج رأسه بعد من تحت الارض فظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبتت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فاهملها) ولم يلتفت اليها (وهو يظن انه قد قلعها) واستأصلها (فاذا هو بها فى غفلته وقد نبتت وقويت فافسدت أصول الزرع من حيث لا يدرى) ولا يشعر بها (فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره فى جمع العلوم وترتيبها وتحسين ألفاظها) وتركيب معانيها (وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثها الحرص على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفى هو طلب الذكر) بين الناس (وانتشار الصيت فى الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الآفاق واطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم فى المهمات وايثاره فى الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد) لكلامه (والتمتع بتحريك الرؤس) والتمايل يمينا وشمالا (على كلامه) حين يورده (والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والاتباع والمستفيدين والسرور بالتخصيص بهذه الخاصة من بين سائر الاقران والاشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق لسان الطعن فى كافة المقبلين على الدنيا) المعرضين عن الله تعالى (لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتمييز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا المسكين المغرور حياته فى الباطن بما انتظم له من أمر وامارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء) وطيب ذكر (فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فعساه يتشوش عليه قلبه) ويتكدر بذلك خاطره (وتختلط أوراده ووظائفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه) يبديها (وربما يحتاج الى تكذب) أى تكلف فى الكذب (فى تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد فيه فوق قدره) الذى هو فيه (وينبو قلبه عمن عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله) ومساويا لقدره (وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى انه يؤثر لتقدمه فى الفضل والورع وانما ذلك لانه أطوع واتبع لمراده) أى أكثر طوعا وتبعا لهوى نفسه (وأكثر ثناء عليه) عند الناس (وأشد اصغاء اليه) اذا تكلم (وأحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون فى العلم وهو يظن أن قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه) أى سهله (من منافع خلقه ويرى ان ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب فى ايثار الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده فى العزلة والاختفاء لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بنى آدم انه بعلمه امتنع منى فبجهله وقع فى حبائلى) أى اشراكى (وعساه يصنف ويجتهد

فيه ظانا أنه يجمع علم الله لينتفع به وانما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله يعلم بانه هو المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو من الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن في غيره ليستبين من طعنه في غيره انه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قائله وما يستحسنه فلعله لا يعزيه اليه ليظن أنه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له أو يغيره أدنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف أنه مسروق ولعله يجتهد في تزيين ألفاظه وتسجيعه وتحسين نظامه كيلا ينسب الى الركاكة ويرى أن غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب الى نفع الناس وعساه غافلا عما روى أن بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فأوحى الله الى نبي زمانه قل له قد ملأت الارض نفاقا واني لا أقبل من نفاقك شيأ ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه أكثر تبعا أو غيره فيفرح ان كان أتباعه أكثر وان علم أن غيره أحق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما أثنى مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه الى فئة أخرى كان أنفع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحركت فيه مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل بالطعن فيه وفي دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وان أثنى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكرت عيوبه يظهر أنه كاره لغيبة المسلمين

فيه) أي في تصنيفه (ظانا انه يجمع علم الله لينتفع به وانما مراده استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى أحد تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل ذلك عليه) وقامت قيامته وشكاه بكل لسان كما وقع ذلك لبعض العلماء (مع ان علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف) وأجر الانتفاع به (انما يرجع للمصنف والله يعلم بانه هو المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو من الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن في غيره) من معاصريه أو ممن تقدم عليه (ليستبين من طعنه في غيره انه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علما) واغزر منه فهما (ولقد كان في غنية من الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه) أي توهينه (فيعزيه) أي ينسبه (الى قائله) ليحط بذلك عن مقامه (وما يستحسنه فلعله لا يعزيه اليه ليظن انه من كلامه) فيرتفع قدره (فينقله بعينه كالسارق له أو يغيره أدنى تغيير) اما بقلب الالفاظ أو تقديم أو تأخير أو اختصار (كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين ألفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه) وسبكه في قالب البلاغة (كي لا ينسب الى الركاكة) أي ضعف العقل والفهم (ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب الى نفع الناس وعساه غافلا عما روى ان بعض الحكماء) من بني اسرائيل (وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة) لينتفع بها الناس (فأوحى الله الى نبي زمانه) ان (قل له قد ملأت الارض بقباقا) وفي نسخة بقاقا وهو الكلام الكثير (وأنا لا أقبل من بقباقك شيأ) وفي نسخة بقاقك أورده أبو نعيم في الحلية في ترجمة الشعبي وقد ذكر في كتاب العلم وفي كتاب ذم الكبر (ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة من عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه أكثر تبعا أو غيره فيفرح ان كان اتباعه أكثر وان علم ان غيره أحق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة) تغايروا وتغاير التيوس في الزرب (وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره) فترك الحضور بين يديه (ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه) أي لا ينتشط (ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما اثنى عليه من قبل مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه الى فئة أخرى أنفع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة) وأصل التحيز هو الميل الى حيز جماعة أي ناحيتهم وكذلك الانحياز (ومع ذلك فلا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحركت فيه مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل بالطعن فيه وفي دينه وفي ورعه) بكل ما أمكنه (ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح به) وله (وان اثني عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه) أي عبسه كأنه (يظهر) من نفسه (انه كاره لغيبة المسلمين) وذلهم

وسرقلبه راض به ومريدله والله مطالع عليه في ذلك فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يفطن له الا الاكياس ولا يتنزه عنه الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا أن أقل الدرجات أن يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وأمره أقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله بعمله وعلمه الظان أنه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ولنذكر الآن غرور الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه (فمنهم فرقة) اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات الخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي الى السلاطين وكذا سائر القلوب ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم أما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك لنفسه ويحتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسألني عن ذلك وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج الى شئ من ذلك قط في عمره

(وسرقلبه) أي باطنه (راض به ومريدله والله مطالع عليه في ذلك فهذا وامثاله من خفايا العيوب) ودقائقها (لا يفطن له الا الاكياس) المستبصرون (ولا يتنزه عنه الا الاقوياء) الجلدون (ولا طمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا أن أقل الدرجات أن يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه) روى الدارقطني في الافراد وابن عساكر في التاريخ من حديث أنس اذا أراد الله باهل بيت خيرا فقههم في الدين ووقر صغيرهم كبيرهم ورزقهم الرفق في معيشتهم والقصد في نفقاتهم وبصرهم عيوبهم فيتوبوا منها واذا أراد بهم غير ذلك تركهم هملا قال الدارقطني تفرد به موسى بن محمد بن عطاء عن ابن المنكدر عن أبيه عن أنس وهو متروك (ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال) روى الخطيب من حديث جابر والطبراني من حديث أبي موسى من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن (وأمره أقرب من المغرور المزكي نفسه الممتن على الله بعمله وعمله الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال هذا غرور الذين حصلوا العلم المهم) وفي نسخة العلوم المهمة (واهملوا العمل بالعلم) وفي نسخة ولكن قصروا في العمل بالعلم (ولنذكر غرور الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا المهم) منها (وهم به) أي بما حصلوه (مغترون اما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه فنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعاش وخصصوا اسم الفقه بها وسموه علم الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة) والكذب (ولا البطن عن الحرام) والشبهة (ولا الرجل عن المشي الى السلاطين) وأرباب الاموال (وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم) عن الكبر والرياء (والحسد وسائر المهلكات) التي ذكرت (فهؤلاء مغرورون من وجهين أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم اما) من حيث (العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه) فلا ينفعه ذلك الا اذا عمل بما فيها (بل مثالهم مثال من به علة البواسير) جمع باسور وهو ورم تدفعه الطبيعة الى كل موضع في البدن يقبل الرطوبة من المقعدة والانثيين والاشفار وغير ذلك فان كان في المقعدة لم يكن حدوثه دون انفتاح العروق (والبرسام) وهو ورم حار للحجاب الذي بين الكبد والمعي ثم يتصل بالدماغ قال ابن دريد هو معرب (وهو مشرف على الهلاك ومحتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعليم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسألني عن ذلك) فاجيبها (وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي) أي التدارك (فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان وسائر الجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج الى شئ من ذلك قط في عمره

لنفسه واذا احتاج غيره كان فى المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة والمال وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدرى ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه فى جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل وأما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن أنه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن فى المحدثين وقال انهم نقلة أخبار وحملة أسفار لا يفقهون وترك أيضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذى يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على أنه لابد وأن يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التى هى أهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع فى الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون والذى يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال فى طريق الله آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التى هى الصفات المذمومة فهى الحجاب بين العبد وبين الله تعالى واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فمثاله فى الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك فى أنه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحج فى شئ ولا بسبيله وقد ذكرنا شرح ذلك فى كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار فى التفتيش عن مناقضات أرباب المذاهب

لنفسه واذا احتاج غيره كان فى المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرياسة وقد دعاه الشيطان) وسوّله (وما يشعر) بذلك (اذ يظن المغرور بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس يدرى ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه فى جوارحه وقلبه وهذا غروره من حيث العمل فاما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وربما طعن على المحدثين وقال انهم نقلة اخبار وحملة اسفار لا يفقهون) أى لا يدركون فقه الحديث (وترك أيضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذى يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على انه لابد وأن يرحمه فانه قوام دينه) وحامل شرع نبيه (وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التى هى أهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما يسمع فى الشرع من تعظيم الفقه كالخبر السابق من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) أى فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة (ليتفقهوا فى الدين) أى يتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) أى وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم (والذى يحصل به الانذار) والارشاد (هو غير هذا العلم) الذى يشتغلون به (فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال أو بدفع القتل والجراحات والمال فى طريق الله آلة والبدن مركب) والعبد مسافر (وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التى هى الصفات المذمومة فهى الحجاب بين العبد وبين الله واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله) مبعدا عن حضرته (فمثاله فى الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية) أى خياطتها يقال روى البعير يروى من باب رمى حمله فهو راوية للمبالغة ثم أطلقت الراوية على كل دابة يستقى الماء عليها ثم أطلقت على هذه الآلة من الجلود تحمل الماء فهو من مجاز المجاز (و) علم خرز (الخف) وهو ما يلبس فى الرجل (ولا يشك فى انه لو لم يكن لتعطل الحج) لان كلا منهما من لوازم المسافر فى قطع البادية (ولكن المقتصر عليه ليس من الحج فى شئ وقد ذكرنا شرح ذلك فى كتاب العلم) فلا نعيده هنا (ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات) وهى المسائل المختلفة فى المذاهب (ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام) والتبكيت والتسجيل (وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة) بين الاقران (فهو طول الليل والنهار فى التفتيش) والبحث (عن مناقضات أرباب المذاهب

والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التسبيبات المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا ضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجرى بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضا بل جميع دقائق الجدل الفقه بدعة لم يعرفها السلف وأما أدلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فانما أبدعت لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل بها فغرور هؤلاء أشد كثيرا وأقبح من غرور من قبلهم (وفرقة أخرى) اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة أولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لعبد عمل الا بايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما سموه أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم * أما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وانما أتيت من حيث انها لم تتهم رأيها ولم تحكم أولا شروط الادلة ومنهاجها
دين
فرأى أحدهم الشبهة دليلا والدليل شبهة * وأما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل أنه اهم الامور وأفضل القربات في دين الله وزعمت أنه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ويبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن أو ليس بكامل الايمان ولا مقرب عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم وأهملوا أنفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحدهم يظن ان اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل ولكنه لالتذاذ بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب عن

والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التسبيبات المؤذية فهؤلاء هم سباع الانس) وذئاب الطمع (طبعهم الايذاء وهمهم السفه) وغمص الحق (ولا يقصدون العلم الا ضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران) ومجادلتهم (وكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ) ويسخرون بالذي يشتغل به ويجهلونه (وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجرى بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوى ولكن زادوا) عليهم (اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة) أحدثت (لم يعرفها السلف واما أدلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فانما أبدعت لاظهار الغلبة) مع الخصوم (والافحام واقامة سوق الجدل بها فغرور هؤلاء أشد كثيرا واقبح من غرور من قبلهم وفرقة أخرى) منهم (اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين) من أصحاب المذاهب المخالفة (وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة) على كثرتها (واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة أولئك وافحامهم) والزامهم (وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة) أوردها ابن أبي الدم في كتاب له قد جمعه في ذلك (واعتقدوا انه لا يكون لعبد عمل الا بايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما سموه أدلة عقائدهم وظنوا انه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لا يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم) ولم يسلك على طريقتهم (ودعت كل فرقة منهم الى نفسها) وحسنت طريقتها (ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم أما الضالة فلغفلتها عن ضلالتها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة) أوردها أبو نصر التميمي في كتاب الاسماء (يكفر بعضهم بعضا وانما أتيت من حيث انها لم تتهم رأيها ولم تحكم أولا شروط الادلة ومنهاجها فرأى أحدهم الشبه دليلا والدليل شبهة) فمن ههنا كان سبب ضلالتهم (وأما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه أهم الامور وأفضل القربات في دين الله وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ويبحث وان من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن) هذا قول أكثرهم (أو ليس بكامل الايمان ولا مقرب عند الله تعالى فلهذا الظن الفاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم وأهملوا نفوسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة) وغيب عنهم التفقد لها (وأحدهم يظن ان اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل) لزعمه انه يوصل الى معرفة الله (ولكنه لالتذاذه بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب عن

دين الله تعالى عميت بصيرته فلم يلتفت الى القرن الاول فان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وأنهم قد أدركوا كثيرا من أهل البدع والهوى فما جعلوا أعمارهم ودينهم عرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا

بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتكلموا فيه الامن حيث رأوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا رأوا مصرا على ضلالة هجروه وأعرضوا عنه وأبغضوه فى الله ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدل فى الدعوة الى السنة اذ روى أبو أمامة الباهلى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ماضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقئ فى وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال ألهذا بعثتم أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم انهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث الى كافة أهل الملل فلم يقعد معهم فى مجلس مجادلة لالزام والفام وتحقيق حجة ودفع

سؤال وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد فى المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس وأهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا أهل الارض وهلكنا

دين الله عميت بصيرته) فحجبت عن شهود ماوراء ذلك (فلم يلتفت الى القرون الاول وان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق) وذلك فيما رواه أحمد والطحاوى وابن أبي عاصم والرويانى والضياء من حديث بريدة خير هذه الامة القرن الذى بعثت أنا فيهم ثم الذين يلونهم وروواه ابن أبي شيبة من مرسل عمرو بن شرحبيل خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ورواه كذلك أحمد والشيخان والمزنى وابن ماجه من حديث ابن مسعود وروى مسلم من حديث أبي هريرة خير أمتى القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ورواه الطبرانى من حديث سمرة ومن حديث أبي برزة ورواه الطبرانى من حديث سعد بن تميم السكونى خير أمتى أنا وأقرانى ثم القرن الثانى ثم القرن الثالث (وانهم قد أدركوا كثيرا من أهل البدع والاهواء فما جعلوا أعمالهم ودينهم عرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتكلموا فيه الامن حيث رأوا حاجة) اضطرتهم الى الكلام فيه (وتوسموا مخايل قبول) ومظانه (فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته) وينبهه عليها (واذا رأوا مصرا على ضلالته هجروه وأعرضوا عنه) بالكلية (وأبغضوه فى الله ولم يلزموا الملاحاة) أى المخاصمة بشدة الالحاح (معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدل فى الدعوة الى السنة اذ روى أبو أمامة) صدى بن عجلان (الباهلى) رضى الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ماضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل) رواه الترمذى وابن ماجه قال الترمذى حديث حسن صحيح وتقدم فى كتاب العلم وفى آفات اللسان (وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقئ فى وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال أبهذا بعثتم أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا) رواه نصر المقدسى فى الحجة من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ أبهذا أمرتم أو لهذا خلقتم أن تضربوا كتاب الله بعضا ببعض انظروا ما أمرتم به فاتبعوه وما نهيتم عنه فانتهوا وروى عن أنس انه صلى الله عليه وسلم سمع قوما يتراجعون فى القدر فقال أبهذا أمرتم أو بهذا عنيتم انما هلك الذين من قبلكم باشباه هذا اضربوا كتاب الله بعضه ببعض أمركم الله بأمر فاتبعوه ونهاكم عن شئ فانتهوا هكذا رواه الدارقطنى فى الافراد والشيرازى فى الالقاب وابن عساكر وروى الترمذى من حديث أبي هريرة بلفظ أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت اليكم انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الامر عزمت عليكم ان لا تنازعوا فيه وروى البزار والطبرانى فى الاوسط وابن الغريس من حديث أبي سعيد بلفظ أبهذا بعثتم أم بهذا أمرتم ألا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض (فقد زجرهم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدل ثم انهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث الى كافة أهل الملل) مع تباين أنواعها (فلم يذكر) انه كان (يقعد معهم فى مجلس مجادلة لالزام والفام وتحقيق حجة ودفع سؤال وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد فى المجادلة عليه) بل أمر فيه بان يجادلهم فيه بالتى هى أحسن (لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج منهم الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم) ان رسخت فيها ولهذا السبب كان هجران أحمد بن حنبل رحمه الله للحرث المحاسبى كما تقدم فى كتاب العلم (وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وان يعلم أصحابه كيفية الجدل والالزام) للخصوم (ولكن الاكياس وأهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا أهل الارض وهلكنا

لم تنفعنا نجاتهم ولو نجوا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نأمن على أنفسنا الخطأ في تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة أولى هذا لو كنت لم أنه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت عنه وكيف ادعو الى السنة بترك السنة فالأولى أن أتفقد نفسي وأنظر من صفاتها ما يبغضه الله تعالى وما يحبه لأتنزه عما يبغضه وأتمسك بما يحبه (وفرقة أخرى) اشتغلوا بالوعظ والتذكير وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب

من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بأنفسهم أنهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء أشد الغرور لانهم يعجبون بأنفسهم غاية الاعجاب ويظنون أنهم ما تبحروا في علم المحبة الا وهم محبوبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولولا أنه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى ويرى أنه من الراجين وهو من المغترين المضيعين و يرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره وهو يرائي بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء الى الله وهو منه فار ويخوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقرب الى الله تعالى وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه الى الله لضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم أن غرضه اصلاح الخلق ولو

ظهر

لم تنفعنا نجاتهم ولو نجوا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا من المجادلة أكثر مما كان على الصحابة) رضوان الله عليهم (مع اليهود والنصارى وأهل الملل) المختلفة (وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم) والزاماتهم (فما لنا نضيع العمر) سبهللا (ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا) وهو يوم القيامة (ولم نخوض فيما لا نأمن على أنفسنا الخطأ في تفاصيله ثم نرى أن المبتدع ليس يترك بدعته بجدله) معه (بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجاهدتها ومجادلتها لتترك الدنيا للآخرة أولى هذا لو كنت لم أنه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت عنه فكيف أدعو الى السنة بترك السنة فالاولى أن أتفقد نفسي وأنظر من صفاتها) الباطنة فيها (ما يبغضه الله تعالى وما يحبه لأتنزه عما يبغضه) أي أتباعد عنه (وأتمسك بما يحبه) وأستوثق به (وفرقة أخرى منهم اشتغلوا بالوعظ والتذكير وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بأنفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات) قائمين بازائها (وهم منفكون عنها عند الله) أي عارون (الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء أشد الغرور لانهم يعجبون بأنفسهم غاية الاعجاب) وهو مهلك (ويظنون انهم ما تبحروا في علم المحبة الا وهم محبوبون لله و) انهم (ما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون و) انهم (ما وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولولا انه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخائفين وهو آمن من الله و يرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين) لحقوق الله (و يرى انه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين) على أفعال الله (و يرى انه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين على العز والمال والجاه والاسباب) الدنيوية (و يرى انه من المخلصين وهو من المرائين) في أعماله (بل يصف الاخلاص) للناس (فيترك الاخلاص في الوصف) أي لا يتصف به بنفسه (ويصف الرياء ويذكر) وفي نسخة و يذكر الرياء و يصف (و يرائي بذكره ليعتقدوا فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقائق الرياء و يصف الزهد في الدنيا) والتخلي عنها (لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء الى الله وهو منه فار و يخوف بالله وهو منه آمن و يذكر بالله وهو له ناس و يقرب الى الله وهو منه متباعد و يحث على الاخلاص وهو غير مخلص و يذم الصفات المذمومة وهو بها متصف و يصرف الناس عن الخلق) أي يحذرهم عن الخلطة (وهو على الخلق أشد حرصا) بحيث (لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه الى الله لضاقت عليه الارض بما رحبت) أي ضاقت حضيرته (و يزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو

ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو أثنى أحد من المترددين إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه فهؤلاء أعظم الناس غرة وأبعدهم عن التنبه والرجوع إلى السداد لأن المرغب في الأخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وإنما الخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم إن ظن بنفسه أنه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدعي مثلا حب الله فما الذي تركه من محاب نفسه لأجله ويدعي الخوف

فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي الأنس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلئ بالحلاوة إذا أحدق به المريدون وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه إلى غيره فالأكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بأنفسهم الظنون وإذا كشف الغطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أقتابهم فيدور بها أحدهم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأمرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وإنما وقع الغرور لهؤلاء من حيث إنهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا من أصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا أنهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه ومنافع الناس بكلامهم فيها إلا لاتصافهم بها وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وأن كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارق آحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل ربما زاد أمنه وقل خوفه وظهر إلى الخلق ميله وضعف في قلبه حب الله تعالى وإنما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به وإنما يفارقهم

ظهر من أقرانه) وأشكاله (من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه مات غما وحسدا ولو أثنى أحد من المترددين إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه فهؤلاء أعظم الناس غرة وأبعدهم من التنبه والرجوع إلى السداد) إلى طريق الحق (لأن المرغب في الأخلاق المحمودة والمنفر عن) الأخلاق (المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وإنما الخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم إن ظن بنفسه أنه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدعي مثلا حب الله فما الذي تركه من محاب الدنيا) وملاذها (لأجله ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد) في الدنيا (فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي الأنس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلئ بالحلاوة إذا أحدق به المريدون) وهو يتكلم عليهم وهم له ناظرون (وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا آنسا يستوحش من محبوبه ويستروح منه إلى غيره فالأكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق) الظاهر (بل بموثق من الله غليظ) أي شديد (والمغترون يحسنون بأنفسهم الظنون فإذا كشف الغطاء عنهم في الآخرة يفتضحون) على رؤوس الأشهاد (بل يطرحون في النار فتندلق أقتابهم) أي مصارينهم (فيدور بها أحدهم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأمرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه) وذلك فيما أخرجه أحمد والشيخان من حديث أسامة بن زيد يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون يا فلان ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول بلى قد كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه وقد تقدم قريبا ورواه ابن النجار من حديث أبي أمامة وفيه قال إني كنت أخالف ما كنت أنهاكم وقد تقدم أيضا (وإنما وقع الغرور لهؤلاء من حيث إنهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا من أصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا أنهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه ومنافع الناس بكلامهم فيها إلا لاتصافهم بها) وقيامهم بإزائها (وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للتعلم وأن ذلك كله غير الاتصاف بتلك الصفة فلم يفارق آحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل ربما زاد أمنه وقل خوفه وظهر إلى الخلق ميله وضعف في قلبه حب الله وإنما مثاله مثال مريض يصف المرض) بحقيقته (ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء) وغيره من المرضى لا يقدر به على وصف الصحة والشفاء (وأسبابه ودرجاته وأصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به وإنما يفارقهم

فى الوصف والعلم بالطب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور وفهذه حالة الوعاظ الذين لاعيب فى كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والاخبار ووعظ الحسن البصرى وأمثاله رحمة الله عليهم (وفرقة أخرى) منهم عدلوا عن المنهاج الواجب فى الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة الامن عصمه الله على الندور فى بعض أطراف البلادان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح والتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فأكثر همهم بالاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم أن تكثر فى مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على أغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فان الاولين وان لم يصلحوا أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم وأما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصى ورغبة فى الدنيا لاسيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فانه تشهد هيئته من فرقه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور أكثر مما يصلحه بل لايصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا ولا يخفى وجه كونه مغرورا (وفرقة أخرى) منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم فى ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم فى المحاريب وبعضهم فى الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا تميز بهذا القدر عن السوقة والجندية اذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلح ونال الغرض وصار مغفورا له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام أهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم (وفرقة أخرى) استغرقوا أوقاتهم فى علم الحديث أعنى فى سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الاسانيد الغريبة العالية

فى الوصف والعلم بالطب فظنه بحقيقة الصحة انه صحيح غاية الجهل) كان ظن الصحيح بحقيقة المرض انه مريض ظاهر البطلان (فكذلك العلم بالخوف والتوكل والحب والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لاعيب فى كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن و) وعظ (الاخبار ووعظ الحسن البصرى وأمثاله وفرقة أخرى) منهم (عدلوا عن المنهاج الواجب فى الوعظ وهم وعاظ أهل الزمان كافة) فى بلاد الاسلام (الامن عصمه الله على الندور) والقلة (فى بعض أطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه) أى لم يبلغنا خبره (فاشتغلوا) فى وعظهم (بالطامات) أى الدواهى والمصائب التى تطم على غيرها أى تزيد والمراد بها مايؤدونه من الكلمات العقم (والشطح) وهو كلام يعبر عنه اللسان مقرون بالدعوى ولا يرتضيه أهل الطريق من قائله وان كان محقا (والتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب) على الحاضرين (وطائفة) منهم (شغفوا بطيارات النكت) وهى المسائل الدقيقة التى تتعب الخواطر فى استنباطها من مكانها (وبتسجيع الالفاظ وتلفيقها) بان يوردوها موزونة مقفاة مجموعة من مواضع شتى (فأكثر همهم فى الاسجاع) والاوزان (والاستشهاد باشعار الوصال والفراق) والرقيب والواشى (وغرضهم) من كل ذلك (أن تكثر فى مجالسهم الزعقات) أى الصيحات (والتواجد ولو على أغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس) وهم أشر من شياطين الجن (ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فان الاولين وان لم يصلحوا أنفسهم) بان لم يتصفوا بتلك الصفات التى يذكرونها (فقد أصلحوا غيرهم) بكلامهم (وصححوا كلامهم ووعظهم) اذ جعلوه على منهاج الكتاب والسنة (وأما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على) ارتكاب (المعاصى ورغبة فى الدنيا) وميلا الى أعراضها (لاسيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فانه يشهد فرقه الى قدمه) وفى نسخة تشهد هيئته من فرقه الى قدمه (بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور أكثر مما يصلح بل لايصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا) بتغريره اياهم (ولا يخفى وجه كونه مغرورا وفرقة أخرى) منهم (قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم فى ذم الدنيا) منظوما ومنثورا (فهم يحفظون الكلمات على وجوهها ويوردونها) على الناس (من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم فى المحاريب وبعضهم فى الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا تميز بهذا القدر عن السوقية) والعوام (والجندية اذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلح ونال الغرض وصار مغفورا له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن) ملابسة (الآثام ولكنه يظن أن حفظه لكلام أهل الدين يكفيه) فى نجاته (وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم وفرقة أخرى استغرقوا أوقاتهم فى علم الحديث أعنى فى سماعه) من الشيوخ (وجمع الروايات الكثيرة) للحديث الواحد (وطلب الاسانيد الغريبة العالية) وعلوها باعتبار قلة الوسائط فى

السند

فهمة أحدهم أن يدور فى البلاد و يرى الشيوخ ليقول أناأروى عن فلان ولقدرأيت فلاناومعى من الاسنادماليس مع غيرى وغرورهم من وجوه منها أنهم كحملة الاسفارفانهم لا يصرفون العناية الى فهم معانى السنةفعلمهم قاصروليس معهم الاالنقل و يظنون أن ذلك يكفيهم ومنها أنهم اذالم يفهموا معانيهالا يعملون بهاوقد يفهمون بعضها أيضاولا يعملون به ومنهاانهم يتركون العلم الذى هو فرض عين وهو معرفة علاج القلب و يشتغلون بتكثير الاسانيد وطلب العالى منها ولا حاجة بهم الى شئ من ذلك ومنهاوهوالذى أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضا لا يقومون بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم تكن له فائدة ولكنه مهم فى نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذالتفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجلة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبى يحضر فى مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبى يلعب ثم يكتب اسم الصبى فى السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذى يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغى ولا يضبط وربما اشتغل بحديث أو نسخ والشيخ الذى يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل فى الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه و يرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوى كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تصغى لتسمع فتحفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا وأخطأ علمت خطأه وللحفظ طريقان

السند (فهم أحدهم أن يدور فى البلاد) القريبة والبعيدة (و يرى الشيوخ) و يسمع منهم وعليهم (ليقول أناأروى عن فلان) بن فلان (ولقد لقيت فلانا) فى بلد كذا فى سنة كذا (ومعى من الاسانيد الغريبة العالية ماليس مع غيرى وغرورهم من وجوه منها انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معانى السنة فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل و يظنون أن ذلك يكفيهم) ونقل الكلام من غير فهم معناه غير كاف (ومنها انهم اذالم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها ولا يعملون به ومنها انهم يتركون العلم الذى هو فرض عين وهو معرفة معالجة) أمراض (القلب) الخفية (و يشتغلون بتكثير الاسانيد وطلب العالى منها ولا حاجة بهم الى شئ من ذلك) أى فى معالجة أمراض القلب (ومنها وهو الذى أكب عليه أهل الزمان انهم أيضا لا يقومون بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم تكن له فائدة ولكنه مهم فى نفسه للوصول الى اثبات الحديث أو التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول السماع) وهو وصول لفظ الحديث الى سمعه (ثم التفهم) لمعناه (ثم الحفظ) اما فى قلبه أو فى كتابه أو فيهما جميعا وهو أعلى (ثم العمل) به (ثم النشر) لمن تأهل له وقد نقل نحو من ذلك من قول كل من السفيانيين كما تقدم ذلك فى كتاب العلم (وهؤلاء اقتصروا من الجلة على السماع) وتركوا ما بعده من التفهم والحفظ والعمل (ثم) مع اقتصارهم (تركوا حقيقة السماع فترى الصبى) أى الصغير (يحضر فى مجلس الشيخ) بنفسه أو يحضره والده (والحديث يقرأ) بين يديه (والشيخ) تارة (ينام) أى يغلب عليه النعاس (والصبى يلعب) كما هو من شانه (ثم يكتب) فى الطباق (اسم الصبى فى السماع) أى يكتبه المستملى أو كاتب السماع (فاذا كبر) الصبى بعد البلوغ وقبله أيضا (تصدى ليسمع منه والبالغ الذى يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغى) أى لا يلقى اذنه لما يسمعه (ولا يضبط) فى عقله ما يسمعه (و ربما يشتغل بحديث) مع غيره (أو نسخ) لما يسمعه أو لغيره (والشيخ الذى يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه) اما لثقل فى سمعه أو لكثرة ازدحام أو لامر آخر شغله (وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل فى الحديث أن تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحفظه كما سمعته وترويه كما حفظته) كما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم (فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته) ممن بعده (من الصحابة أو التابعين) أو أتباعهم (وصار سماعك من الراوى كسماع من يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تصغى لتحفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا وأخطأ علمت خطأه) فقد أجمع أئمة الحديث والفقه والاصول على قبول ناقل الخبر المحتج به بانفراده بان يكون ضابطا معدلا يقظا بان لم يكن مغفلا لا يميز الصواب من الخطا كالنائم والساهى اذ المتصف به لا يحصل الركون اليه ولا تميل النفس الى الاعتماد عليه وأن يكون يحفظ أى يثبت ما سمعه فى حفظه بحيث يبعد زواله عن القوة الحافظة و يتمكن من استحضاره متى شاء ان حدث من حفظه أو من كتابه الذى يحتوى عليه بحيث يصونه عن طرق التزوير والتغيير اليه من حين سمع فيه الى أن يؤدى وهذه الشروط موجودة فى كلام الشافعى فى الرسالة صريحا الا الاول فيؤخذ من قوله أن يكون غافلا لما يحدث به لقول ابن حبان هو أن يعقل من صناعة الحديث ما لا يرفع موقوفا ولا يصل مرسلا أو يصحف اسما وهذا كناية عن اليقظة (وللحفظ طريقان

أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستديمه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الاحوال والثاني أن تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره) كما وقع لابن وهب مع جاره (واذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك أو بكتابتك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتأمن فيه من التغيير) والازالة (والتحريف فاذا لم تحفظ بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل) بضم فسكون أي مبهم لا يدرى حقيقته (وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ) الذي وقع السماع عليه للكتاب المذكور من غير تلك النسخة (وجوزت أن يكون ما فيه مغيرا) من الاعن جهة الصواب (أو يفارق حرفا منه للنسخة التي سمعتها) بعينها (لم يجز لك أن تقول سمعت هذا الكتاب) على الشيخ الفلاني (فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة) واحدة (فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها لتقابل بها) وقت الاداء (فمن أين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال الله عز وجل ولا تقف ما ليس لك به علم) وقال ابن الاثير في مقدمة كتابه جامع الاصول الضبط عبارة عن احتياط في باب العلم وله طرفان العلم عند السماع والحفظ بعد العلم عند التكلم حتى اذا سمع ولم يعلم لم يكن معتبرا كما لو سمع صياحا لا معنى له واذا لم يفهم اللفظ بمعناه لم يكن ضبطا واذا شك في حفظه بعد العلم والسماع لم يكن ضبطا قال ثم الضبط نوعان ظاهر وباطن فالظاهر ضبط معناه من حيث اللفظ والباطن ضبط معناه من حيث تعلق الحكم الشرعي به وهو الفقه ومطلق الضبط الذي هو شرط في الراوي هو الضبط ظاهرا عند الاكثر لانه يجوز نقل الخبر بالمعنى فتلحقه تهمة تبديل المعنى بروايته قبل الحفظ أو قبل العلم حين يسمع ولهذا المعنى قلت الرواية عن أكثر الصحابة لتعذر هذا المعنى قال وهذا الشرط وان كان على ما بينا فان أصحاب الحديث قلما يعتبرونه في حق الطفل دون العقل فانه متى صح عندهم سماع الطفل وحضوره أجازوا روايته والاول أحوط للدين وأولى اه قال السخاوي وحاصله اشتراط كون سماعه عند التحمل تاما فيخرج من سمع صوتا غفلا وكونه حين التأدية عارفا بمدلولات الالفاظ ولا انحصار له في الثاني عند الجمهور لا كتفائهم بضبط كتابه ولا في الاول عند المتأخرين خاصة لاعتدادهم من لا يفهم العربي أصلا وقوله لتعذر هذا المعنى عند ذلك الصحابي نفسه لخوفه من عدم حفظه وعدم تمكنه في الاتيان بكل المعنى وهذا منهم رضي الله عنهم تورع واحتياط ولقد كان بعضهم تأخذه الرعدة اذا روى ويقول أو نحو ذلك أو قريب من ذا وما أشبه ذلك (وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان) وقبله وبعده (انا سمعنا ما في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح) الا أن تكون لهم اجازة من المسمع تصحب السماع فحينئذ يجوز لهم أن يقولوا قولهم ذلك وما أحسن قول ابن الصلاح فيما وجد بخطه ان سمع منه صحيح البخاري وأجزت له روايته عني مخصصا بالاجازة نازلا عن السمع لغفلة أو سقط عند السماع بسبب من الاسباب وكذا كان ابن رافع يتلفظ بالاجازة بعد السماع قائلا أجزت لكم روايته عني سماعا واجازة لما خالف أصل السماع ان خالف بل قال مفتي قرطبة أبو عبد الله بن عتاب انه لا غنى عن الاجازة مع السماع لجواز السهو أو الغفلة أو الاشتباه على الطالب والشيخ معا أو على أحدهما وكلامه الى الوجوب أقرب ويتعين على كاتب الطبقة استحبابا التنبيه على ما وقع من اجازة المسمع منها وقال القاضي عياض وقفت على تقييد سماع لبعض نبهاء الخراسانيين من أهل المشرق قال فيه سمع هذا الجزء فلان وفلان على الشيخ أبي الفضل عبد العزيز بن اسمعيل البخاري وأجاز ما أغفل وصحف ولم يصغ اليه أن يروى عنه على الصحة قال القاضي وهذا منزع نبيل في الباب جدا (وأقل شروط السماع أن يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغيير) الا أن المتأخرين صرحوا باغتفار الكلمة والكلمتين سواء خلتا أو احداهما بفهم الباقي أم لا لان فهم المعنى لا يشترط وسواء كان يعرفها أم لا وظاهر هذا انه بالنسبة الى الازمان المتأخرة والا ففي غير موضع من كتاب النسائي يقول وذكر كلمة

أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستديمه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الاحوال والثاني أن تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره فاذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتأمن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ وجوزت أن يكون ما فيه مغيرا أو يفارق حرف منه للنسخة التي سمعتها لم يجز لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيأ يخالف ما فيه ولو في كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها لتقابل بها فمن أين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح وأقل شروط السماع أن يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغيير

معناها كذا وكذا لكونه فيما يظهر لم يسمعها جيدا وعلمها وسأل صالح بن أحمد بن حنبل أباه فقال له ان أدمج الشيخ أو القارئ لفظا يسيرا فلم يسمعه السامع مع معرفته انه كذا وكذا ترى له أن يرويه عنه فاجاب أرجو انه يعفى عنه ذلك ولا يضيق الحال عنه قال صالح فقلت له الكتاب قد طال عهده عن الانسان لا يعرف بعض حروفه فيخبره بعض أصحابه قال ان كان يعلم انه كما في الكتاب فلا بأس به هكذا رواه البيهقي في مناقب أحمد (ولو جاز أن يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع المجنون والصبي في المهد ثم اذا بلغ الصبي وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه) وسيأتي الكلام عليه بعد ذلك (ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم) اللفظ والمعنى معا (ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والغافل المشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم) لان الفهم تابع لسماع اللفظ (فان استجرأ جاهل فقال يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فاذا ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذا صار شيخا أن يقول سمعت بعد بلوغي اني في صباي حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا أدري ماهو ولا خلاف في أن الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز اثبات سماع التركي) ومن في معناه (الذي لا يفهم العربية لانه سمع صوتا غفلا) لا يهتدى لمعناه (لجاز اثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية الجهل ومن أين يؤخذ هذا وهل للسماع مستند الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله) بضاد معجمة مشددة وتخفف قال في البحر وهو أفصح وقال الصدر المناوي أكثر الشيوخ يشددون وأكثر أهل الادب يخففون وهو من النضارة الحسن والرونق (امرأ) أي رجلا والمعنى خصه الله بالبهجة والسرور أو حسن وجهه عند الناس وحاله بينهم وأوصله نضرة النعيم فهو يحتمل الخبر والدعاء وعلى كل فيحتمل كونه في الدنيا وكونه في الآخرة وكونه فيهما (سمع مقالتي فوعاها) أي حفظها وداوم على حفظها ولم ينسها (فأداها) الى غيره (كما سمعها) أي من غير زيادة ولا نقص فمن زاد أو نقص فهو مغير لا مبلغ فيكون الدعاء مصروفا عنه وقوله كما سمعها اما حال من فاعل أداها أو مفعول مطلق وما موصولة أو مصدرية قال العراقي رواه أصحاب السنن وابن حبان من حديث زيد بن ثابت والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود قال الترمذي حديث صحيح وابن ماجه فقط من حديث جبير ابن مطعم وأنس اهـ قلت هذا الحديث روى عن عدة من الصحابة من طرق كثيرة وفي ألفاظ بعضها مغايرة وزيادة ونقص وقد ذكر أبو القاسم بن منده في تذكرته فيما نقله الحافظ في تخريج أحاديث المختصر انه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعة وعشرون صحابيا ثم سرد أسماءهم اهـ والذي عرفت منهم الاربعة المذكورون في سياق العراقي وأبو سعيد الخدري وعائشة وأبو هريرة وعمير بن قتادة الليثي وسعد ابن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وربيعة بن عثمان التيمي وأبو الدرداء وأبو قرصافة وجابر وشيبة بن عثمان ومعاذ بن جبل والنعمان بن بشير وبشير بن سعد الانصاري والد النعمان أما حديث زيد بن ثابت فلفظه نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه قال الحافظ في تخريج المختصر هو صحيح أخرجه أحمد والطيالسي وأبو داود والترمذي وابن حبان وابن أبي حاتم والخطيب وأبو نعيم ويروى بلفظ نضر الله عبدا سمع مقالتي فحملها الى غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه الحديث هكذا رواه أحمد والطبراني والبيهقي والضياء من حديث زيد بن ثابت ورواه ابن النجار بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة وأما حديث ابن مسعود فلفظه نضر الله امرأ سمع منا شيأ فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع رواه أحمد والترمذي وحسنه وابن حبان والبيهقي قال عبد الغني في الادب تذاكرت أنا والدارقطني طرق هذا الحديث فقال هذا أصح شئ روى فيه وقال ابن القطان فيه سماك بن حرب يقبل التلقين ورواه ابن النجار بلفظ نضر الله امرأ سمع

ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع المجنون والصبي في المهد ثم اذا بلغ الصبي وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وان استجرأ جاهل فقال يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فما ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذا صار شيخا على أن يقول سمعت بعد بلوغي اني في صباي حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا أدري ماهو فلا خلاف في أن الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لانه سمع صوتا غفلا لجاز اثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية الجهل ومن أين يؤخذ هذا وهل للسماع مستند الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها

وكيف يؤدى كما سمع من لا يدرى ما سمع فهذا أفحش أنواع الغرور وقد بلى بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوه فى الصبا على هذا الوجه مع الغفلة الآن

مقالتى فوعاها وحفظها وعقلها فرب حامل فقه ليس بفقيه ورواه الشيرازى فى الالقاب من حديث أبى هريرة وأما حديث عائشة فلفظه نضر الله عبدا سمع مقالتى هذه فحفظها ثم وعاها فبلغها رواه الخطيب فى المتفق والمفترق وأما حديث جبير بن مطعم فلفظه نضر الله عبدا سمع مقالتى فوعاها وحفظها ثم أداها الى من لم يسمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه الحديث ورواه أحمد وابن ماجه والدارمى وأبو يعلى والطبرانى والحاكم وابن جرير والضياء عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رفعه وفى رواية للطبرانى ثم وعاها ثم حفظها فرب حامل فقه غير فقيه والباقى سواء ورواه الطيالسى وأبو داود وابن ماجه وابن جرير والطبرانى من حديث زيد بن ثابت ورواه البزار والدارقطنى من حديث أبى سعيد ورواه الترمذى وابن ماجه والبيهقى فى المعرفة من حديث ابن مسعود ورواه ابن منده من حديث ربيعة بن عثمان التيمى ورواه ابن النجار من حديث ابن عمر ورواه الطبرانى من حديث أبى الدرداء ورواه الطبرانى والضياء من حديث أبى قرصافة ورواه الطبرانى فى الاوسط وابن جرير والضياء من حديث جابر ورواه ابن قانع والطبرانى من حديث شيبة بن عثمان وأما حديث أنس فلفظه نضر الله عبدا سمع مقالتى فوعاها ثم بلغها عنى فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه رواه أحمد وابن ماجه والضياء ورواه الخطيب من حديث أبى هريرة وهو عند ابن عساكر من حديث أنس نضر الله من سمع قولى ثم لم يزد فيه الحديث ورواه الطبرانى من حديث عمير بن قتادة الليثى ورواه فى الاوسط من حديث سعد ورواه الرافعى فى التاريخ من حديث ابن عمر وعند الدارقطنى فى الافراد وابن جرير وابن عساكر من حديث أنس نضر الله عبدا سمع مقالتى ثم وعاها ثم حفظها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه الحديث وعند الخطيب من حديث ابن عمر نضر الله من سمع مقالتى فلم يزد فيها ورب حامل علم الى من هو أوعى له منه وعند الطبرانى وأبى نعيم فى الحلية من حديث معاذ بن جبل نضر الله عبدا سمع كلامى فلم يزد فيه فرب حامل كلمة الى من هو أوعى لها منه الحديث وأما حديث النعمان بن بشير فلفظه نضر الله وجه عبد سمع مقالتى فحملها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه الحديث رواه الطبرانى والحاكم وأما حديث والده بشير بن سعد فلفظه رحم الله عبدا سمع مقالتى فحفظها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه الحديث هكذا رواه الطبرانى وابن قانع وأبو نعيم وابن عساكر من رواية النعمان بن بشير عن أبيه

(فصل) وانما خص مبلغ سننه بالدعاء لكونه سعى فى نضارة العلم وتجديد السنة فجوزى بما يليق بحاله وقد رأى بعض العلماء النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال له أنت قلت نضر الله امرأ الخ قال نعم ووجهه يتهلل أنا قلته وكرره ثلاثا قالوا ولذلك لا يزال فى وجوه المحدثين نضارة ببركة دعائه وفيه وجوب تبليغ العلم وهو الميثاق المأخوذ على العلماء وانه يكون فى آخر الزمان من له من الفهم والعلم ما ليس لمن تقدمه لكنه قليل بدلالة رب ذكره بعضهم ومنعه ابن جماعة بمنع دلالته على المدعى وان حامل السنة يجوز أن يؤخذ عنه وان كان جاهلا بمعناها فهو مأجور على نقلها وان لم يفهمها وسياق المصنف ينازعه حيث قال (وكيف يؤدى كما سمع من لا يدرى ما سمع) ثم قال (فهذا أفحش أنواع الغرور) وفى الحديث تنبيه على ان أساس كل خير حسن الاستماع ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم وقد حقق العارفون ان كلام الله رسالة عن الله لعبده ومخاطبته لهم وهو البحر المشتمل على جواهر العلم المتضمن لظاهره وباطنه ولهذا قاموا بادب سماعه ورعوه حق رعايته وقد تجلى لخلقه فى كلامه لو كانوا يعلمون وكذا كلام رسوله صلى الله عليه وسلم مما يتعين حسن الاستماع اليه لانه لا ينطق عن الهوى وقال الخطابى فيه دليل على كراهة اختصار الحديث لمن ليس بمتناه فى الفقه لان فعله يقطع طريق الاستنباط على من بعده ممن هو أفقه منه (وقد بلى بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوه فى الصبا على هذا الوجه مع الغفلة الآن

للمحدثين فى ذلك جاها وقبولا لخفاف المساكين أن يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع فى حلقتهم فينقص جاههم وتقل أيضا أحاديثهم التى سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك وافتضحوا فاصطلحوا على انه ليس يشترط الا أن يقرع سمعه دمدمة وان كان لا يدرى ما يجرى) كلا والله انما توسعوا فى ذلك ابقاء لسلسلة الاسناد التى هى خصيص هذه الامة المحمدية تشرفا لنبيها صلى الله عليه وسلم وقد أعرضوا فى الاعصر المتأخرة فى اجتماع الشروط المتقدمة فى الراوى وضبطه فلم يتقيدوا بها فى عملهم لتعذر الوفاء بها بل استقر الحال عندهم على اعتبار بعضها وانه يكتفى فى الرواية بالعاقل المسلم البالغ المستور الحال وفى الضبط بان يثبت ماروى بخط ثقة مؤتمن من أصل موافق لاصل شيخه واليه ذهب البيهقى فانه لما ذكر توسع من توسع فى السماع من بعض محدثى زمانه الذين لا يحفظون حديثهم ولا يحسنون قراءته من كتبهم ولا يعرفون ما يقرأ عليهم بعد أن تكون القراءة من أصل سماعهم وذلك لتدوين الاحاديث فى الجوامع التى جمعها أئمة الحديث قال فمن جاء اليوم بحديث واحد لا يوجد عند جميعهم لم يقبل منه أى لانه لا يجوز أن يذهب على جميعهم ومن جاء بحديث معروف عندهم فالذى يرويه لا ينفرد بروايته والحجة قائمة برواية غيره اه قال السخاوى والحاصل انه لما كان الغرض أولا معرفة التعديل والتجريح وتفاوت المقامات فى الحفظ والاتقان ليتوصل بذلك الى التصحيح والتحسين والتضعيف حصل التشديد بمجموع تلك الصفات ولما كان الغرض آخرا الاقتصار فى التحصيل على مجرد وجود السلسلة السندية اكتفوا بما ترى ولكن ذلك بالنظر الى الغالب فى الوصفين والا فقد يوجد فى كل منهما من نمط الآخر وان كان التساهل الى هذا الحد فى المتقدمين قليلا وقد حكى نحوه عن الحافظ أبى طاهر السلفى وهو الذى استقر عليه العمل بل حصل فيه التوسع أيضا الى ماوراء هذا كقراءة غير الامى فى غير أصل مقابل بحيث كان ذلك وسيلة لانكار غير واحد من المحدثين فضلا عن غيرهم عليهم ثم ان قول المصنف وافتضحوا فاصطلحوا يعزى لمالك بن دينار بلفظ اصطلحوا فافتضحوا رواه أبو نعيم فى الحلية فى ترجمته من طريق يسار عن جعفر عنه (وصحة السماع لا يعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علم أصول الفقه وما ذكرناه مقطوع به فى قوانين أصول الفقه) الا أن المحدثين شاركوهم فى الكلام على هذه المسألة استطرادا لشدة احتياجهم الى معرفتها (فهذا غرور هؤلاء) ولنورد من كلامهم فى مفردات هذه المسألة وفاقا وخلافا ونجعل ذلك فى فصول

(فصل) اختلف فى سماع الصغير فى حال صغره حضورا ثم روايته بعد البلوغ وكذا قبله على وجه وصفه البلقينى بالشذوذ فمنعه قوم فلم يقبلوا قبل البلوغ وقالوا لان الصبى مظنة عدم الضبط وهو وجه للشافعية وعليه أبو منصور ومحمد بن المنذر بن محمد المراكشى الشافعى فحكى ابن النجار فى ترجمته من تاريخه انه كان يمتنع من الرواية أشد الامتناع و يقول مشايخنا سمعوا وهم صغار لا يفهمون وكذلك مشايخهم وأنا لا أرى الرواية عمن هذه سبيله ولذا كان ابن المبارك يتوقف فى تحديث الصبى فروينا من طريق الحسن ابن عرفة قال قدم ابن المبارك البصرة فدخلت عليه وسألته ان يحدثنى فأبى وقال أنت الصبى فأتيت حماد ابن زيد وقلت يا أبا اسمعيل دخلت على ابن المبارك فابى ان يحدثنى فقال يا جارية هاتى خفى وطيلسانى وخرج معى يتوكأ على يدى حتى دخلنا على ابن المبارك فجلس معه على السرير وتحدثا ساعة ثم قال له حماد لم تحدث هذا فقال يا أبا اسمعيل هو صبى لا يفقه ما يحمله فقال له حماد يا أبا عبد الرحمن حدثه فلعله والله ان يكون آخر من يحدث عنك فى الدنيا فحدثه وكان كذلك أخرجه الخطيب فى التاريخ ونحوه ما رواه البيهقى فى الشعب من طريق أحمد بن عبد الله بن محمد الخوطى قال لما دخل بى أبى الى أبى المغيرة يعنى عبد القدوس ابن الحجاج الخولانى الحمصى وكان قد سمع منه أبى وأخى من قبلى فلما رآنى أبو المغيرة قال لابى من هذا قال ابنى قال وما تريد به قال يسمع منك قال و يفهم فقال لى أبى وكان فى مسجد قم فصل ركعتين وارفع صوتك بالتكبير والاستفتاح والقراءة والتسبيح فى الركوع والسجود والتشهد ففعلت فقال لى أبو المغيرة أحسنت

للمحدثين فى ذلك جاها وقبولا لخفاف المساكين أن يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع اذ ذلك فى حلقهم فينقص جاههم وتقل أيضا أحاديثهم التى قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك وافتضحوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط الا أن يقرع سمعه دمدمة وان كان لا يدرى ما يجرى وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علم علماء الاصول بالفقه وما ذكرناه مقطوع به فى قوانين أصول الفقه فهذا غرور هؤلاء

ثم قال لي أبي حدثنا فقلت حدثني أبي وأخي عن أبي المغيرة عن أم عبد الله ابنة خالد بن معدان عن أبيها
قال من حق الولد على والده ان يحسن أدبه وتعليمه فاذا بلغ اثنتي عشرة سنة فلا حق له وقد وجب حق الوالد
على ولده فاذا هو أرضاه فليتخذه شريكا وان لم يرضه فليتخذه عدوا فقال لي أبو المغيرة اجلس بارك الله عليك
ثم حدثني به وقال قد أغناك الله عن أبيك وأخيك قل حدثني أبو المغيرة وقد رد على القائلين بعدم قبول رواية
الصبي باجماع الائمة على قبول حديث جماعة من صغار الصحابة كالحسن والحسين والعبادلة ابن جعفر
وابن الزبير وابن عباس والنعمان بن بشير والسائب بن يزيد والمسور بن مخرمة وأنس ومسلمة بن مخلد
وعمر بن أبي سلمة ويوسف بن عبد الله بن سلام وأبي الطفيل وعائشة رضي الله عنهم من غير فرق بين ما تحملوه
قبل البلوغ وبعده مع احضار أهل العلم خلفا وسلفا من المحدثين وغيرهم صبيانهم مجالس أهل العلم ثم
قبولهم من الصبيان ما حدثوا به من ذلك بعد البلوغ وقد رأى أبو نعيم الفضل بن دكين أحد شيوخ البخاري
أبا جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي وهو يلعب مع الصبيان وقد طينوه وكان بينه وبين والده مودة
فنظر اليه وقال يا مطين قد آن لك ان تحضر مجلس السماع وكان ذلك سببا لتلقيبه مطينا ومات عبد الرزاق
والو برى ست سنين أو سبع ثم روى عنه عامة كتبه ونقلها الناس عنه وكذا سمع القاضي أبو عمر الهاشمي
السنن لابي داود عن اللؤلؤي وله خمس سنين واعتد الناس بسماعه وحملوه عنه وقال يعقوب الدورقي
حدثنا أبو عاصم قال ذهبت بابني الى ابن جريج وسنه أقل من ثلاث سنين فحدثه وكفى ببعض هذا متمسكا
في الرد فضلا عن مجموعه بل قيل ان مجرد احضار العلماء للصبيان يستلزم اعتدادهم بروايتهم بعد البلوغ لكنه
متعقب بانه يمكن ان يكون الحضور لاجل التمرين والبركة والله أعلم

*(فصل) وأما اشتراط البلوغ في قبول الرواية فهو قول الجمهور وقبل بعضهم رواية الصبي المميز الموثوق به
وفي المسئلة لاصحاب الشافعي وجهان قيده الرافعي وتبعه النووي بالمراهق مع وصف النووي للقول
بالشذوذ وقال الرافعي في موضع آخر وفي الصبي بعد التمييز وجهان كما في رواية اخبار الرسول واختصه
النووي بالصبي المميز ولا تناقض فمن قيد بالمراهق عنى المميز والصحيح عدم قبول غير البالغ وهو الذي حكاه
النووي عن الاكثرين وحكى عن شرح المهذب تبعا للمتولي عن الجمهور قبول اخبار الصبي المميز فيما
طريقه المشاهدة بخلاف ما طريقه النقل كافتاء ورواية ونحوه وأما غير المميز فلا يقبل قطعا

(فصل) في الوقت الذي يسمى فيه الصبي سامعا اعلم انهم اختلفوا في تعيين وقت السماع فقيل اذا
كان ابن خمس سنين وهو قول الجمهور وعزاه عياض في الالماع لاهل الصنعة قال ابن الصلاح وعليه استقر
عمل أهل الحديث المتأخرين فيكتبون لابن خمس فصاعدا السماع ولمن لم يبلغها حضر وأحضر وقد بوب
البخاري في كتابه متى يصح سماع الصغير وأورد فيه قصة محمود بن الربيع وعقله المجة التي مجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان ابن خمس اذ ذاك وهكذا رواه الزبير عن الزهري عن محمود وقيل كان ابن أربعة
كما حكاه ابن عبد البر ومال اليه عياض وغيره وقد حكى السلفي عن الاكثرين صحة سماع من بلغ أربع
سنين لحديث محمود لكن بالنسبة لابن العربي خاصة أما ابن العجمي فاذا بلغ سبعا وقيده الامام أحمد فيما
رواه الحاكم عن القطيعي قال سمعت عبد الله بن أحمد يقول سمعت أبي سئل عن سماع الصبي فقال ان
كان ابن عربي فابن سبع وان كان ابن عجمي فالى ان يفهم وقيده بالسبع مطلقا بعضهم ونحوه ما رواه
السلفي عن الربيع بن سليمان ان الشافعي سئل الاجازة لولده وقيل انه ابن ست سنين فقال لا تجوز الاجازة
لمثله حتى يتم له سبع سنين واذا كان هذا في الاجازة ففي السماع أولى فاجتمع أربعة أقوال في الوقت الذي
يسمى فيه الصغير سامعا والصواب المعتبر في صحة سماعه قول خامس وهو ان يكون ممن يعقل فهم الخطاب
ورد الجواب فمن لم يكن كذلك لم يصح ان يكون سامعا وان كان ابن خمس سنين وقال الاستاذ أبو اسحق
الاسفرايني اذا بلغ الصبي المبلغ الذي يفهم اللفظ بسماعه صح سماعه حتى انه لو سمع كلمة أداها في الحال

ثم

ثم كان مراعيا لما يقوله من تحديث أو لقراءة القارئ صح سماعه وان لم يفهم معناه بل عزا النووى عدم التقيد بالخمس للمحققين حيث قال ان التقييد بالخمس أنكره المحققون وقالوا ان الصواب ان يعتبر كل صبي بنفسه فقد يميز لدون خمس وقد يتجاوز الخمس ولا يميز وقال ابن رشيد والظاهر انهم أرادوا بتحديد الخمس انها مظنة لذلك لا ان بلوغها شرط لا بد من تحققه ومما يدل على ان المعتبر التمييز والفهم خاصة دون التقييد بسن انه قيل للامام أحمد ان رجلا يقول ان سن التحمل خمس عشرة سنة لا فى دونها فقال بئس ما قال بل اذا عقل الحديث وضبطه صح تحمله وسماعه ولو كان صبيا كيف يعمل بوكيع وابن عيينة وغيرهما ممن سمع قبل هذا السن فقد روى عن ابن عيينة انه قال أتيت الزهرى وفى أذنى قرط ولى ذؤابة فلما رآنى جعل يقول واسنينه واسنينه ههنا ههنا ما رأيت طالب علم أصغر من هذا رواه الخطيب فى الكفاية بل روى أيضا من طريق أحمد بن النضر الهلالى قال سمعت أبى يقول كنت فى مجلس ابن عيينة فنظر الى صبى فى المسجد فكان أهل المجلس تهاونوا به لصغر سنه فقال سفيان كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم ثم قال لو رأيتنى ولى عشر سنين طولى خمسة أشبار ووجهى كالدينار وأنا كشعلة نار ثيابى صغار وأكمامى قصار وذيلى بمقدار ونعلى كآذان الفأر اختلف الى علماء الامصار مثل الزهرى وعمرو بن دينار أجلس بينهم كالمسمار محبرتى كالجوزة ومقلمتى كالموزة وقلمى كاللوزة فاذا دخلت المسجد قالوا اوسعوا للشيخ الصغير اوسعوا للشيخ الصغير ثم تبسم ابن عيينة وضحك واتصل تسلسله بالضحك والتبسم الى الخطيب مع مقال فى السند لكن القصد منه صحيح

(فصل) ومما يستدل به لتمييز الصغير ان يعد من واحد الى عشرين ذكره شارح التنبيه وهو من منقول القاضى أبى الطيب الطبرى أو يحسن الوضوء والاستنجاء أو ما أشبههما أو نحو ما اتفق لامامنا الاعظم أبى حنيفة رحمه الله تعالى حين دخل على جعفر بن محمد بن على بن الحسين فانه بينما هو جالس فى دهليزه ينتظر الاذن اذ خرج عليه صبى خماسى من الدار قال أبو حنيفة فأردت ان أسبر عقله فقلت أين يضع الغريب الغائط من بلدكم يا غلام قال فالتفت الى مسرعا وقال توق شطوط الانهار ومساقط الثمار وأفنية المساجد وقوارع الطرق وتوار خلف الجدار واشل ثيابك وسم باسم الله وضعه حيث شئت فقلت له من أنت فقال أنا موسى بن جعفر أوردها ابن النجار فى تاريخه فى ترجمة محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حمدان أو بتبيين الدينار من الدرهم كما روينا فى ترجمة أبى الحسن محمد بن محمد بن عبيد الله بن أبى الرعد من تاريخ ابن النجار أيضا انه قال ولدت سنة اثنين وعشرين وأول ما سمعت من الحسن بن شهاب العكبرى فى سنة سبع وعشرين الى رجب سنة ثمان وعشرين قال وكان أصحاب الحديث لا يثبتون سماعى لصغرى وأبى يحثهم الى ذلك الى ان أجمعوا ان يعطونى دينارا ودرهما فان ميزت بينهما يثبتون سماعى حينئذ قال فاعطونى الدينار والدرهم وقالوا ميز بينهما فنظرت وقلت أما الدينار فغربى فاستحسنوا فهمى وذكائى وقالوا أخبر بالعين والنقد وسئل موسى بن هرون الحمال متى يسمع للصبى فقال اذا فرق بين البقرة والحمار وجمع الى ذلك من المتأخرين الولى العراقى فكان يقول أخبرنى فلان وأنا فى الثالثة سامع فهم ويحتج بتمييزه بين بعيره الذى كان يركبه حين رحل به أبوه أول ما طعن فى السنة المذكورة وبين غيره وهو حجة وكل هذه الادلة قد يشملها فهم الخطاب ورد الجواب فلا تنافى بينها وروى الخطيب فى الكفاية قال سمعت القاضى أبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاصبهانى يقول حفظت القرآن ولى خمس سنين وحملت الى أبى بكر بن المقرى لاسمع منه ولى أربع سنين فقال بعض الحاضرين لا تسمعوا له فيما قرئ فانه صغير فقال لى ابن المقرى اقرأ سورة الكافرون فقرأتها فقال اقرأ سورة الكوثر فقرأتها فقال لى غيره اقرأ والمرسلات فقرأتها ولم أغلط فيها فقال ابن المقرى اسمعوا له والعهدة على ثم قال سمعت أبا صالح صاحب الحافظ أبى مسعود أحمد بن الفرات يقول سمعت أبا مسعود يقول اتعجب من انسان يقرأ والمرسلات عن ظهر قلب ولا يغلط فيها قال الخطيب ومن أظرف شئ سمعناه فى حفظ الصغير ما أخبرنا أبو المعلى محمد بن الحسن الوراق

حدثنا أبو بكر أحمد بن كامل القاضي حدثني علي بن الحسن النجار حدثنا الصاغاني حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري قال رأيت صبيا ابن أربع سنين حمل الى المأمون قد قرأ القرآن ونظر في الرأي غير انه اذا جاع يبكي اه قال العراقي في النكت والذي يغلب على الظن عدم صحتها وأحمد بن كامل القاضي قال فيه الدارقطني كان متساهلا ربما حدث من حفظه ماليس عنده في كتابه وقال صاحب الميزان كان يعتمد على حفظه فيهم

(فصل) وهل المعتبر في التمييز والفهم القوة أو العقل الظاهر الاول و يشهدله ان الحافظ ابن حجر سئل عمن لم يعرف بالعربية كلمة فأمر باثبات سماعه وكذا حكاه ابن الجوزي كل عن كل عن ابن رافع وابن كثير وابن المحب بل حكى ابن كثير ان المزني كان يحضر عنده من يفهم ومن لا يفهم يعني من الرجال و يكتب للكل السماع وكانهم حملوا قول ابن الصلاح ومتى لم يكن يعقل فهم الخطاب ورد الجواب لم يصح وان كان ابن خمس بل ابن خمسين على انتفاء القوة مع العقل أيضا بقي هنا شيء آخر وهو ان الذهبي قال ان الصغير اذا حضر ان أجيز له صح التحمل والا فلا شيء ان كان المسمع حافظا فيكون تقريره لكتابة ابن الصغير بمنزلة الاذن منه في الرواية عنه

(فصل) ولا يضر في كل من التحمل والاداء النعاس الخفيف الذي لا يختل معه فهم الكلام لاسيما مع الفطن فقد كان الحافظ المزني ربما ينعس في حال اسماعه و يغلط القارئ أو يزل فيبادر للرد عليه وكذلك كان يتفق للحافظ ابن حجر في بعض المرات في أثناء درسه كما نقله تلميذه السخاوي عن مشاهدته له وانما ردمن وتساهل في النوم الكثير الواقع مع عدم المبالاة به فلم يقبلوا روايته وأما من كان فطنا متيقظا فلا وما يوجد في الطباق من التنبيه على نعاس السامع أو المستمع فلعله فيمن جهل حاله أو علم بعدم الفهم وأما امتناع ابن دقيق العيد من التحديث عن ابن المغير مع صحة سماعه عنه لكونه شك هل نعس حال السماع أم لا فلورعه فلقد كان من الورع بمكان ونحوه انه قيل لعلي بن الحسين بن شقيق المروزي أسمعته الكتاب الفلاني فقال نعم ولكن نهق حمار يوما فاشتبه على حديث ولم أعرف تعيينه فتركت الكتاب

(فصل) واختلفوا في النسخ حال السماع هل يرد به سماع الناسخ أم لا فمنعه أبو اسحق الاسفرايني وابراهيم الحربي وابن عدي في آخرين لان الاشتغال بالنسخ مخل بالسماع وقد قيل السمع للعين والاصغاء للاذن وقيل انه لا يسمى سامعا انما يقال له جليس العالم وحكي نحو ذلك عن أبي بكر الصبغي أحد أئمة الشافعية فانه قال لا نرد أيها المحدث ماسمعته على شيخك في حال نسخه أو أنت تنسخ بحدثنا ولا أخبرنا واختاره المصنف كما يشير اليه سياقه السابق وأجازه أبو حاتم الرازي وابن المبارك فقد روي عن أولهما انه كان ينسخ حال تحمله عند كل من عارم وعمرو بن مرزوق وأما ثانيهما ففي حال تحديثه وذلك عنهما مقتض للجواز وتوسط بينهما ابن الصلاح فقال ان قارن النسخ فهم وتمييز صح السماع والا فهو صوت غفل وسبقه لذلك سعد الخير الانصاري فقال اذا لم تمنع الكتابة عن فهم ما قرئ فالسماع صحيح اه قال السخاوي والعمل على هذا فقد كان ينسخ في مجلس سماعه ثم اسماعه بل و يكتب على الفتاوي و يصنف و يرد ذلك على القارئ ردا مفيدا وكذا بلغنا عن الحافظ المزني وقبله و بعده وقد جرى للدارقطني ببغداد ان حضر في حداثته املاء أبي علي اسمعيل الصفار فرآه بعض الحاضرين ينسخ فقال لا يصح سماعك وأنت تنسخ فاستظهر عليه الدارقطني بالصحة فقال له المنكر عليه كم أملى حديثا فسرد ما أملى وهو ثمانية عشر حديثا وساقها على الولاء متنا واسنادا ذكر ذلك الخطيب في تاريخه ثم ان هذا كله فيما اذا وقع النسخ حال التحمل أو الاداء فلو وقع ذلك فيهما معا كان أشد ورأى هذا قول بعضهم الخلاف في المسئلة لفظي فان المرء لو بلغ الغاية من الحذق والفهم لابد ان يخفى عليه بعض المسموع وانما العبرة بالاكثر فمن لاحظ الاحتياط قال ليس بسامع ومن لاحظ التسامح والغلبة عده سامعا ورأى ان النسخ ان حجب فهو حجاب رقيق اه وفي تسميته لفظيا مع ذلك توقف وكذا في قول من قال ان السمع للعين نظر و يلتحق بالنسخ الصلاة وقد كان الدارقطني يصلي في حال قراءة

ولو سمعوا على الشرط لكانوا أيضا مغرورين فى اقتصارهم على النقل وفى افناء أعمارهم فى جمع الروايات والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معانى الاخبار بل الذى يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع فكان أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه فقام وقال يكفينى هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور (وفرقة أخرى) اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فأفنى هؤلاء أعمارهم فى دقائق النحو وفى صناعة الشعر وفى غريب اللغة ومثالهم كمن يفنى جميع العمر فى تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم أن العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقى زيادة على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره فى معرفة لغة العرب كالمضيع له فى معرفة لغة الترك والهند وانما فارقتها لغة العرب لاجل ورود الشريعة بها فيكفى من اللغة علم الغريبين فى الاحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فاما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معانى الشريعة والعمل بها فهذا أيضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره فى تصحيح مخارج الحروف فى القرآن واقتصر عليه وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعانى

القرآن وربما يشير بردما يخطئ فيه القارئ كما اتفق له حيث قرأ القارى عليه مرة بسير بن دغلوف بالياء التحتية فقال له نون والقلم ومرة عمرو بن سعيد فقال له ياشعيب أصلواتك وقد قال الرافعى فى أماليه كان شيخنا أبو الحسن الطالقانى ربما قرأ عليه الحديث وهو يصلى و يصغى الى ما يقول القارئ وينبهه اذا زل يعنى بالاشارة وهل يلتحق بذلك قراءة قارئين فاكثر فى آن واحد فيه نظر والله أعلم ولنرجع الى شرح كلام المصنف قال (ولو سمعوا على الشرط) المتقدم (لكانوا مغرورين فى اقتصارهم على الفعل) المجرد (وفى افناء أعمارهم) وتضييع أوقاتهم النفيسة (فى جمع الروايات) المتفرقة (والاسانيد) المختلفة (واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معانى الاخبار بل الذى يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة وربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع) على بعض الشيوخ (فكان أول حديث روى قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه) رواه الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبى هريرة وهو عند مالك من رواية على بن الحسين مرسلا وقد تقدم (فقام) من المجلس (وقال يكفينى هذا) الحديث للعمل (حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس) العقلاء (الذين يحذرون الغرور) والله الموفق (وفرقة اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا وزعموا انهم قد غفر لهم) بسبب اشتغالهم بتلك العلوم (وانهم من علماء الامة) وأحبارها (اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو) فمن لم يعرفهما لم يعرف الكتاب والسنة (فافنى هؤلاء أعمارهم) النفيسة (فى) معرفة (دقائق النحو) وغرائبه (وفى) معرفة (صناعة الشعر وفى) معرفة (غرائب اللغة) وسبب افناء الاعمار فيها ان تلك العلوم لا تستقل بانفسها فى معرفتها بل لابد معها من علوم أخر هى متوقفة عليها فعلم النحو يستدعى علم التصريف وعلم جواهر الحروف وعلم الاشتقاق وعلم الخط وغيرها وكذا علم اللغة يتوقف عليها وعلم صناعة الشعر يزيد عليهما بمعرفة علم العروض وعلم القوافى وعلم العلل والزحاف وفى كل من ذلك تصانيف مستقلة فلا يكاد المشتغل ببعضها ان يفرغ الى غيره فيفنى العمر وهو لم يكمل فى تلك العلوم (ومثالهم كمن يفنى جميع العمر فى تعلم الخط) العربى (وتصحيح الحروف وتحسينها) وتحصيلها باوزانها المذكورة عند أصحاب الفن (ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها) فافنوا أعمارهم على تحصيل ذلك وتركوا الاشتغال بالمهم من الدين وساعدهم مع ذلك رغبة أهل الدنيا اليهم فراجت صنعتهم (ولو عقل) المشتغل بعلم الكتابة (لعلم انه يكفيه ان يتعلم أصل الخط بحيث يمكن ان يقرأ) ويوصل الى المراد (كيفما كان والباقى زيادة على) قدر (الكفاية) ولذلك قالوا خير العلم ما درى وخير الخط ما قرى (وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره فى معرفة لغة العرب كالمضيع عمره فى معرفة لغة الترك والهند) وغيرهما (وانما فارقتها لغة العرب لاجل ورود الشريعة بها فيكفى من اللغة علم الغريبين فى الحديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب) من غير تعمق فى كل منهما (فأما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه) والمضيع عمره فيه مضيع فى فضول (ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معانى الشريعة) وفى نسخة المعانى الشرعية (والعمل بها) أى بمقتضاها (فهو أيضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره فى تصحيح مخارج الحروف فى القرآن واقتصر عليه وهو غرور اذ المقصد من الحروف المعانى) المفهومة

وانما الحروف ظروف وأدوات ومن احتاج الى أن يشرب السكنجبين ليزول مابه من الصفراء وضيع أوقاته فى تحسين القدح الذى يشرب فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والادب والقرا آت والتدقيق فى مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها أكثر مما يحتاج اليه فى تعلم العلوم التى هى فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذى فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى مافوقه ومافوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بطريق الاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى مافوقه ومافوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الاعلى العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون الامن اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوز الى ماوراء ذلك حتى وصل الى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وزجا عمره فى حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان فى المنزل القريب أوفى المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها فاما علم الطب والحساب والصناعات ومايعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد أصحابها أنهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة فى أنها محمودة كما يشارك القشر اللب فى كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى والثانى محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به

(وفرقة أخرى) عظم غرورهم فى فن الفقه فظنوا ان حكم العبد بينه و بين الله يتبع حكمه فى مجلس القضاء فوضعوا الحيل فى دفع الحقوق وأساؤا تأويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر وأخطؤا فيها وهذا من قبيل الخطا فى الفتوى والغرور فيه والخطا فى الفتوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس منهم فنشير الى أمثلة فن ذلك فتواهم ان المرأة متى أبرأت من الصداق برئ الزوج بينه و بين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسىء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه فهو ابراء لاعلى طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا

منها (وانما الحروف ظروف وأدوات ومن احتاج الى أن يشرب السكنجبين) وهو الدواء المركب من الخل والعسل (ليزول مابه من الصفراء) العارضة على الطبيعة (فضيع أوقاته فى تحسين القدح الذى يشرب فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين) فان القدح انما هو ظرف للشرب وليس هو المقصود بالذات (وكذلك غرور أهل النحو واللغة والادب) والشعر (والقراءة والتدقيق فى مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا اليها أكثر مما يحتاج اليه فى تعلم العلوم التى هى فرض عين) فى حقه (فاللب الاقصى هو العمل والذى فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى مافوقه وسماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى فوقه ومافوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الاعلى العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات) ماعدا اللب الاقصى (كلهم مغرورون الامن اتخذ هذه الدرجات منازل) يرحل منها (فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته) الضرورية (فتجاوز الى ماوراء ذلك حتى وصل الى لباب العمل وطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وزجا) أى ساق (عمره فى حمل النفس على تصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات) العارضة لها (فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له) وهو اللب (ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب) فى سعيه (سواء كان فى المنزل القريب أوفى المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع) اذ يكون الوصول اليها بها (اغتر بها أربابها فاما علم الطب والحساب والصناعات ومايعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد أصحابها) المشتغلون بها (انهم ينالون المغفرة) والنجاة (بها من حيث انها علوم فكان الغرور فيها أقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة فى انها محمودة كما يشارك اللب القشر فى كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى والثانى محمود) لا لذاته بل (للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به) والله الموفق (وفرقة أخرى عظم غرورهم فى فن الفقه وظنوا أن حكم العبد بينه و بين الله يتبع حكمه) الذى حكم به (فى مجلس القضاء فوضعوا) أنواع (الحيل فى دفع الحقوق) الواجبة (وأساؤا تأويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر وأخطؤا فيها وهذا من قبيل الخطأ فى الفتوى والغرور فيه والخطأ فى الفتاوى مما يكثر) فى طائفة الفقهاء (ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس منهم فنشير الى أمثلة له فن ذلك فتواهم بان المرأة مهما أبرأت من الصداق) المتأخر على ذمة الزوج (برئ الزوج بينه و بين الله وذلك خطأ بل الزوج قد يسىء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر) حينئذ (الى طلب الخلاص) منه لراحتها (فتبرئ الزوج) عن حقها (لتتخلص منه فهو ابراء) فى ظاهر الشرع لكن (لاعلى طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه) أى من الصداق (فكلوه هنيئا

مريئا

مريئا وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الانسان بقلبه مالا تطيب به نفسه فانه يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وانما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالابراء لا عن ضرورة تقابله حتى اذا رددت بين ضررين اختارت أهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابراء ولذلك لا يحل أن يؤخذ مال انسان الا بطيب نفس منه فلو طلب من الانسان مالا على ملا من الناس فاستحيا من الناس أن لا يعطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف ألم مذمة الناس وخاف ألم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار أهون الالمين وهو ألم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب ببذل المال فيختار أهون الالمين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه أو لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له يارب كيف لي بخصمي فامر بالاستحلال منه وكان ميتا فامر بندائه في صخرة بيت المقدس فنادى يا أوريا فاجابه لبيك يا نبي الله أخرجتني من الجنة فماذا تريد فقال اني أسأت اليك في أمر فهبه لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يا نبي الله فقال اني أذنبت اليك ذنبا قال ألم أهبه لك قال ألا تسألني ما ذلك الذنب قال ما هو يا نبي الله قال كذا وكذا وذكر شأن المرأة فانقطع الجواب فقال يا أوريا ألا تجيبني قال يا نبي الله ما هكذا يفعل الانبياء حتى أقف معك بين يدي الله فاستقبل داود البكاء والصراخ من الرأس حتى وعده الله أن يستوهبه منه في الآخرة

مريئا وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الانسان بقلبه مالا تطيب به نفسه فانه يريد الحجامة بقلبه) لما لها من النفع للبدن (ولكن تكرهها نفسه) لما يحصل لها من ألم التشريط (فانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابراء لا عن ضرورة تقابله) أي الابراء وفي نسخة تقابلها أي المرأة (حتى اذا رددت بين ضررين اختارت أهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي) الاصغر (في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض) الباطنة (فينظر الى الابراء الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر) أي فيما يظهر له (والاكراه الباطن ليس يطلع عليه الخلق ولكن مهما تصدى القاضي الاكبر) يوم عرض الاعمال (في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابراء ولذلك لا يحل أن يؤخذ مال الانسان الا بطيب نفس منه فلو طلب من انسان مالا على ملأ من الناس فاستحيا من الناس ان لا يعطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة) حيث لا يكون الناس (حتى لا يعطيه ولكن خاف ألم مذمة الناس وخاف ألم تسليم المال فردد نفسه فاختار أهون الالمين وهو ألم التسليم فسلمه فلا فرق بينه وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب ببذل المال) وقد صادره مصادرة (فيختار أهون الالمين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط) ومنه قولهم ما أخذ بسيف المحاباة فهو حرام (ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن) انما هو بالاضافة الينا وأما (عند الله تعالى) فهو (ظاهر) لا يخفى عليه شئ في السماء والارض (وانما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت) لك (لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه) وفحشه (أو لشر سعايته) عند الظلمة (فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألا ترى الى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له يارب كيف لي بخصمي فامر بالاستحلال منه وكان ميتا) قد مات شهيدا في غزو (فامر بندائه في صخرة بيت المقدس فنادى يا أوريا فاجابه لبيك يا نبي الله أخرجتني من الجنة فما تريد قال اني أسأت اليك في أمر فهبه لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف وقد ركن الى ذلك) أي مال اليه واعتمده (فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت) من الاساءة (قال لا قال فارجع فبين له) اساءتك (فرجع فناداه يا أوريا (فقال لبيك يا نبي الله فقال اني أذنبت اليك ذنبا قال ألم أهبه لك قال أولا تسألني ما ذلك الذنب قال ما هو يا نبي الله قال كذا وكذا فذكر شأن المرأة) كما تقدمت القصة (وانقطع الجواب فقال) داود (يا أوريا ألا تجيبني قال يا نبي الله ما هكذا تفعل الانبياء حتى أقف معك بين يدي الله فاستقبل داود الصراخ والبكاء من الرأس حتى وعده الله أن يستوهبه منه في القيامة) أخرج الحكيم في النوادر وابن أبي حاتم بسند ضعيف من حديث أنس لما أصاب داود ما أصاب مكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض جبينه فجاءه جبريل بعد ذلك فقال يا داود ان الله قد غفر لك قال داود عرفنا ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال يارب دمي الذي عند داود فقال جبريل ما سألت

ربك عن ذلك فان شئت لافعلن فقال نعم فعرج جبريل وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال يا داود قد سألت الله عن الذى أرسلتنى فيه فقال قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول هب لى دمك الذى عند داود فيقول هو لك يارب فيقول فان لك فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الحسن فى قوله وخر راكعا وأناب قال سجد أربعين ليلة حتى أوحى الله اليه قد غفرت لك قال يارب كيف تغفر لى وأنت حكم عدل لا تظلم أحدا قال انى أقضيك له ثم استوهبه دمك ثم أثيبه الجنة حتى يرضى قال الآن طابت نفسى وعلمت ان قد غفرت لى وأخرج أحمد فى الزهد عن أبى عمران الجونى قال سجد داود أربعين ليلة و يوما لا يرفع رأسه الا الى فريضة حتى يبس وقرحت جبهته وكفاه وركبتاه فأتاه ملك فقال يا داود انى رسول الله اليك وانه يقول لك ارفع رأسك فقد غفرت لك فقال كيف يارب وأنت حكم عدل وأنت ديان يوم الدين لا يجوز منك ظلم كيف تغفر لى ظلامة الرجل فترك ما شاء الله ثم أتاه ملك آخر فقال يا داود انى رسول ربك اليك وانه يقول لك انك تأتينى يوم القيامة أنت وابن صوريا تختصمان الى فاقضى له عليك ثم أسألها اياه فيهبها لى ثم أعطيه من الجنة حتى يرضى وأخرج ابن جرير والحاكم عن السدى قال مكث داود أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة وهو يبكى حتى نبت العشب من دموع عينيه فاوحى الله اليه يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك قال يارب كيف أعلم أنك غفرت لى وأنت حكم عدل لا تحيف فى القضاء اذا جاء أوريا يوم القيامة آخذا رأسه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه دما فى قبل عرشك يقول رب سل هذا فيما قتلنى فأوحى الله اليه اذا كان ذلك دعوت أوريا فاستوهب منه فيهبك لى فاثيبه بذلك الجنة قال يارب الآن علمت أنك غفرت لى وأخرج ابن مردويه من حديث ابن مسعود قال لما سجد داود قيل له ارفع رأسك فقد غفرت لك قال يارب كيف تكون هذه المغفرة وأنت قضاء بالحق ولست ظلاما للعبيد رجل ظلمته عصيته قتلته فاوحى الله اليه بلى يا داود تجتمعان عندى فاقضى له عليك فاذا برز الحق عليك استوهبته منه فوهب لى وأرضيه من قبلى وأدخله الجنة فرفع داود رأسه وطابت نفسه وقال نعم يارب هكذا تكون المغفرة لى (فهذا ينبهك ان الهبة من غير طيب قلب لا تفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون فى الابراء والهبة وغيرهما الا اذا خلى الانسان واختياره حتى تنبعث الدواعى من ذات نفسه لا ان تضطر بواعثه الى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة فى آخر الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكاة) كما أفتى به أبو يوسف (فالفقيه يقول سقطت الزكاة) بهذه الحيلة (فان أراد به ان مطالبة السلطان والساعى قد سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم فى القيامة و يكون كمن لم يملك المال أو كمن باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة) وقد تقدمت الاشارة اليه فى كتاب العلم و زاد المصنف هنا فقال (فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك) كما ورد به الخبر (قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع) وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقد تقدم مرارا (وانما صار شحه مطاعا بما فعله) من الحيلة (وقبله لم يكن مطاعا) فمجرد الشح اذا كان موجودا فى النفس لا يكون مهلكا لانه من لوازم النفس مستمد من أصل جبلتها الترابى وفى التراب قبض وامساك وانما يكون مهلكا اذا كان مطاعا أى ينقاد له (فقد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فان الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال ان استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله مال المصالح) المتقدم ذكره فى كتاب الحلال والحرام (للفقيه وغيره بقدر الحاجة الداعية لهم والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الامانى) النفسية وهى التى تتمناها نفوسهم (والفضول والشهوات وبين الحاجات) الضرورية (بل كل ما لا تتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض

فهذا ينبهك أن الهبة من غير طيبة قلب لا تفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون فى الابراء والهبة وغيرهما الا اذا خلى الانسان واختياره حتى تنبعث الدواعى من ذات نفسه لا ان تضطر بواعثه الى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة فى آخر الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان أراد به ان مطالبة السلطان والساعى سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم فى القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وانما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه فان الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال أنه استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الامانى والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لا تتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض

الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها في العبادة وسلوك طريق الآخرة فكل ما تناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء في أمثال هذا لملأنا فيه مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول *(الصنف الثاني)* أرباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور الا الاكياس وقليل ماهم (فمنهم فرقة) أهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل (٤٧٣) والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة واذا آل الامر الى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة اذ توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج الى الاسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الامر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها أيضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو أعز الاشياء فيما له مندوحة عنه الا أن الشيطان يصد

الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها في العبادة وسلوك طريق الله فكل ما يتناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته) فهم يأخذون من مال المصالح ويصرفونه في شهوات نفوسهم ويحسبون أنهم يحسنون صنعا (ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء في أمثال هذا لملأنا فيه مجلدات والغرض التنبيه على أمثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب والاستقصاء فان ذلك يطول) والبصير الكامل يكفيه ماذكرنا فليقس عليه ماعداه والله الموفق

(الصنف الثاني أرباب العبادة والعمل) والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن نوع غرور الا الاكياس وقليل ماهم (فمنهم فرقة أهملوا الفرائض) أي تركوها (واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا الى) حد (العدوان والسرف كالذي يغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه) ويكرر غسل الاعضاء (و) ربما (لا يرتضي الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة واذا آل الامر الى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة) رضوان الله عليهم (اذ توضأ عمر رضي الله عنه بماء من جرة نصرانية) كما أورده البخاري في أول صحيحه وتقدم في كتاب سر الطهارة (مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال خوفا من الوقوع في الحرام) كما هو معروف من سيرته (ثم في هؤلاء من يخرج الى الاسراف في صب الماء وذلك منهي عنه) في أخبار كثيرة منها ما رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي بن كعب ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان الحديث وقد تقدم في كتاب عجائب القلب (وقد يطول الامر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها عن وقتها أيضا فهو مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت) فانه رضوان الله (وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو أعز الاشياء) وأنفسها (فيما له مندوحة عنه الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله بطرق) شتى (ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك وفرقة أخرى غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت) باشتغاله بالنية (وان تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير) مع رفع الصوت (لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يغفلون في جميع الصلاة ولا يحضرون قلوبهم) بل يسرعون في القراءة ويخففون الركوع والسجود وكل ذلك مشاهد خصوصا في هذه الازمنة المتأخرة (و يغترون بذلك و يظنون انهم اذا تعبوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم) وليس كما ظنوا (وفرقة أخرى تغلب عليها الوسوسة في اخراج

الخلق عن الله بطريق شتى ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك (وفرقة أخرى) غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وان تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يغفلون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم و يغترون بذلك و يظنون انهم اذا أتعبوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم (وفرقة أخرى) تغلب عليهم الوسوسة في اخراج

حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط فى التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف فى جميع صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم الى أسراره وهذا من أقبح أنواع الغرور فانه لم يكلف الخلق فى تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم فى الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان وأمر أن يؤديها على وجهها فأخذ يؤدى الرسالة ويتأنق فى مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد أخرى وهو فى ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما أحراه بأن تقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل (وفرقة أخرى) اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذا وربما يختمونه فى اليوم والليلة مرة ولسان أحدهم يجرى به وقلبه يتردد فى أودية الامانى اذ لا يتفكر فى معانى القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك مما ذكرناه فى كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن المقصود من انزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كتب اليه مولاه ومالكه كتابا وأشار عليه فيه بالاوامر والنواهى فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه الا أنه يكرر الكتاب بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور بل تلاوته انما تراد لكيلا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وانما هى لذته فى صوته ولو ردد الحانه بشعر أو كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرف ان لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته (وفرقة أخرى) اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو صاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة وخواطرهم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الافطار وألسنتهم عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور (وفرقة أخرى) اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم

حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط فى التشديدات) التى فى الفاتحة وهى أربعة عشر تشديدة (والفرق بين) مخرجى (الضاد والظاء) ويتحمل المشقة فى ذلك (وتصحيح مخارج الحروف فى جميع صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن) الذى هو المقصود بالذات (و) عن (الاتعاظ به و) عن (صرف الفهم الى أسراره وهذا من أقبح أنواع الغرور فانه لم يكلف الخلق فى تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم فى الكلام) أى فى محاوراتهم ولذا لم ينقل عن أحد من السلف هذا التشدد (ومثال هؤلاء من حمل رسالة الى مجلس سلطان وأمر أن يؤديها على وجهها فاخذ يؤدى الرسالة ويتأنق فى مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد أخرى وهو فى ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما أحراه بان تقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل) فهكذا من فعل بحضرة ملك الملوك جل جلاله ولم يراع حرمة الحضرة فى أداء رسالته فانه يستحق التأديب (وفرقة أخرى اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذا) أى يسرعون فيه (وربما يختمون فى اليوم والليلة مرة ولسان أحدهم يجرى به وقلبه يتردد فى أودية الامانى) وشهوات النفوس (اذ لا يتفكر فى معانى القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك مما ذكرناه فى كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود من انزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه) أى عن فهم معانيه (ومثاله مثال عبد كتب اليه مالكه كتابا وأشار عليه فيه بالاوامر والنواهى فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه) فقط (فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه الا انه مكرر الكتاب بنغمته وصوته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور بل تلاوته انما تراد لكيلا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه) على قدر فهمه (وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به) فى نفسه (ويغتر باستلذاذه ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله وسماع كلامه وانما هى لذته فى صوته) لا غير (ولو ردد الحانه بشعر أو كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ) بعينه (فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرفه ان لذته بكلام الله من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته وفرقة منهم اغتروا بالصوم) الكثير (وربما صاموا الدهر أو صاموا الايام الشريفة) كالاثنين والجمعة وكعشر ذى الحجة وعشر المحرم ويوم ليلة مولده صلى الله عليه وسلم ويوم ليلة المعراج ويوم ليلة النصف من شعبان (وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة) والكذب (وخواطرهم عن الرياء) وحب المحمدة (وبطونهم عن أكل الحرام) أو الشبهة (عند الافطار) وفى السحور (وألسنتهم من الهذيان) واللغو (بانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور وفرقة أخرى اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم)

وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصى الله تعالى في كسب الحرام أولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الاخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه فهو مغرور (وفرقة أخرى) أخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه واذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة واذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس الى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وانما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن انه يؤذن لله ولو جاء غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم آخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد امامة مسجد ويظن أنه على خير وانما غرضه أن يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره وان كان أورع وأعلم منه ثقل عليه (وفرقة أخرى) جاوروا بمكة أو المدينة واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى قول من يعرفه ان فلانا مجاور بمكة وتراه يتحدى ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة واذا سمع ان ذلك قبيح ترك صريح التحدي وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم انه قد يجاور ويمد عين طمعه الى أوساخ أموال الناس واذا جمع من ذلك شيأ شح به وأمسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وأن يقال انه من المجاورين ألزمه المجاورة مع

التي ترتبت على ذمته ومن غير توبة عن المعاصي (و) من غير (قضاء الديون) التي عليه (و) من غير (استرضاء الوالدين) ان كانا موجودين (و) من غير (طلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام) عن ذمته (ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن) كسلا منهم أو لعذر عدم الماء (ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم) ولا يرجعون عن الطريق والمراد بالظلمة أمراء البلاد الذين يمرون عليهم وفي معناهم الاعراب الصادون عن الطريق الا بدفع شيء من المال على كل انسان فحكمه حكم المكس وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الحج مفصلا (ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام) المنهي عنهما (وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء) بين نظرائه (فيعصي الله في كسب الحرام أولا وفي انفاقه عليهم بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت) المكرم (بقلب ملوث برذائل الاخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره) الظاهر والباطن (على حضوره) البيت (وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه وهو مغرور) قد خدع به (وفرقة أخرى أخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر) فترى واحدا منهم (ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه فاذا أمرهم بالخير عنف) وشدد (وطلب الرياسة والعزة واذا باشر) بنفسه (منكرا فرد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر علي) وهو غرور (وقد يجمع الناس الى مسجده) أو زاويته للصلاة والذكر (ومن تأخر عنه أغلظ عليه القول وانما غرضه) في ذلك (الرياء) والسمعة (والرياسة) على الناس ولو (قام بتعهد المسجد غيره لحرد) أي غضب وحقد (بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن) حسبة (لله) تعالى (ولو جاء غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة) وتبربر (وقال لم آخذ حقي وزوحمت على مرتبتي) وهو غرور (وكذلك قد يتقلد امامة مسجد) حسبة لله تعالى (ويظن انه على خير وانما غرضه) من امامته (أن يقال انه امام المسجد) الفلاني وكذلك قد يتقلد تدريس علم في ذاته ويغتر به وغرضه أن يقال انه مدرس الزاوية الفلانية (ولو تقدم غيره) في تلك الامامة والتدريس (وان كان أورع منه وأعلم منه ثقل عليه) ويا ليته ثقل عليه باطنا ويسكت على هذا القدر بل يشاكيه الى أهل محلته ويقع فيه وهو غرور فاحش (وفرقة أخرى جاوروا بمكة أو المدينة) شرفهما الله تعالى (واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم) تراهم (فقلوبهم معلقة ببلادهم) لا تنفك عن خيالهم مع تمنيهم أن يكونوا بها فيعدون لذلك تلك الايام عدا (ملتفتة الى قول من يعرفه ان فلانا مجاور بمكة) أو بالمدينة (وتراه يتحدث) مع الناس ويقول (قد جاورت بمكة) أو بالمدينة (كذا كذا سنة) وحضرت بها كذا وكذا موسما ولقيت بها فلانا وفلانا (واذا سمع أن ذلك قبيح ترك صريح التحدث وأحب) في باطنه (أن يعرفه الناس بذلك) وهو غرور (ثم انه يجاور) بهما (ويمد عين طمعه الى أوساخ أموال الناس) من الصدقات التي تفرق هنالك (فاذا جمع من ذلك شيأ شح عليه وأمسكه) بخلا (ولم تسمح نفسه) بلقمة واحدة (يتصدق بها على) فقراء أهله (فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان) هو (عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة) والثناء (وأن يقال انه من المجاورين ألزمه المجاورة مع

التضمخ بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور ومامن عمل من الاعمال وعبادة من العبادات الاوفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولايعرف شرح ذلك الامن جملة كتب احياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج من كتاب الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وانما الغرض الآن الاشارة الى مجامع ماسبق في الكتب (وفرقة أخرى) زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه امابالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الامرين وباء بأعظم المهلكين فان الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال كان الى السلامة أقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر أن منتهى لذاتها الرياسة وأن الراغب فيها لابد وأن يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بذلك على الاغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال نفذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من ألذ أبواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو من توقير الاغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل الى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان نعوذ بالله منه وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلي في اليوم والليلة مثلا ألف ركعة ويختم القرآن وهو في جميع ذلك لايخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلايدري أن ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له لعمله الظاهر وانه غير مؤاخذ بأحوال القلب وان توهم فيظن أن العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته وهيهات وذرة من ذي تقوى وخلق واحد من أخلاق الاكياس أفضل من أمثال الجبال عملا بالجوارح

التضمخ بهذه الرذائل) والخبائث (فهو أيضا مغرور ومامن عمل من الاعمال وعبادة من العبادات الا وفيها آفات) ظاهرة وباطنة (فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولايعرف شرح ذلك الامن جملة كتاب احياء علوم الدين) وهو هذا الكتاب (فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة و) مداخله (في الحج) والزكاة والتلاوة في كتاب (الحج و) في كتاب (الزكاة و) في كتاب (التلاوة و) كذا (سائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها) بحسب المناسبات على وجه التصريح (وانما الغرض الآن الاشارة الى مجامع ماسبق في الكتب) على طريق التلويح (وفرقة أخرى زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون) الحقير منهما (ومن المسكن بالمساجد) والزوايا والخانات (وظنت انها) بذلك (أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه امابالعلم أو بالوعظ) أو بحلقة الذكر (أو بمجرد الزهد فقد ترك) هذا (أهون الامرين وباء بأعظم المهلكين فان الجاه أعظم من المال) كما سبقت الاشارة اليه في كتاب الجاه (ولو ترك الجاه وأخذ المال كان الى السلامة أقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر أن منتهى لذاتها الرياسة وان الراغب فيها لابد وأن يكون منافقا) بان يخالف باطنه ظاهره ابقاء للجاه (وحسودا) يتمنى زوال نعمة الغير (ومتكبرا) على اقرانه (ومرائيا) في أحواله (ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة) عن الناس (وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بذلك على الاغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لايدري) وهو غرور (وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده) وأقبل على الدنيا (ولو قيل له انه حلال نفذه في الظاهر ورده في الباطن لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو) اذا (راغب في حمد الناس) وثنائهم عليه (وهو من ألذ أبواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لايخلو) حاله (عن توقير الاغنياء) اذا حضروا (وتقديمهم على الفقراء) في الجلوس والخطاب وغير ذلك (و) عن (الميل الى المريدين له) المعتقدين فيه (والمثنين عليه و) عن (النفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان) يريد اهلاكه بذلك لو شعر (وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلي في اليوم والليلة مثلا ألف ركعة ويختم) مع ذلك (القرآن) امافي صلاته أو خارجها (وهو في جميع ذلك لايخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلايدري ان ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك فربما ظن انه مغفور له لعمله الظاهر) ومايخطر له من فضائله الواردة (وانه غير مؤاخذ بأعمال القلب وان توهم فيظن أن العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته وهيهات فذرة من ذي تقوى وخلق واحد من خلق الاكياس أفضل من أمثال الجبال عملا بالجوارح) واليه الاشارة بما في الخبر

ما

ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فاذا قيل له أنت من أوتاد الارض وأولياء الله وأحبابه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري

أن ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه (وفرقة أخرى) حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه ما تقرب المتقربون الي بمثل أداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان أحدهما يفوت والآخر لا يفوت أو فضلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له من أبر يا رسول الله قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أباك قال ثم من قال أدناك فأدناك

ماسبقكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ولكن بشئ وقر في صدره وقد تقدم (ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته) في محاوراته (وتلوث باطنه) بالقاذورات (عن الرياء وحب الثناء فاذا قيل له أنت من أوتاد الارض وأوليائه وأحبائه) وربما قيل له أنت قطب هذا الزمان ومجدده (فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا) وتماديا على طريقته (وظن ان تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله) تعالى (ولا يدري ان ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه) ولو كشف لهم الحجاب فرأوا ما فيه من ذميم الاوصاف لم يقولوا ما قالوا (وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل) كصلاة الاوابين والصلوات المذكورة في كتاب ترتيب الاوراد (ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل ما تقرب المتقربون الي بمثل أداء ما افترضت عليهم) قال العراقي رواه البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ ما تقرب الي عبدي انتهى قلت ولفظه حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنني بالحرب وما تقرب الي عبدي بشئ أحب مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه الحديث وهذا الحديث من غرائب الصحيح مما تفرد به شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة وتفرد به خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك وليس لمحمد بن عثمان بن كرامة في الصحيح الا هذا الحديث الفرد وقال أبو نعيم في الحلية وهذا أول أحاديث الكتاب حدثناه ابراهيم بن محمد بن حمزة حدثنا أبو عبيدة محمد بن أحمد بن المؤمل ح وحدثنا ابراهيم بن عبد الله بن اسحق حدثنا محمد بن اسحق السراج قالا حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة فساقه بسنده ولفظه من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشئ أفضل من أداء ما افترضته عليه الحديث ورواه أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الطب والبيهقي في الزهد وابن عساكر من حديث عائشة بلفظ قال الله تعالى من آذى لي وليا فقد استحل محاربتي وما تقرب الي عبدي بمثل أداء الفرائض الحديث ورواه ابن السني في الطب من حديث ميمونة بلفظ قال الله تعالى ما تقرب الي العبد بمثل أداء فرائضي الحديث ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الاولياء والحكيم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الاسماء وابن عساكر من حديث أنس بلفظ يقول الله تعالى من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة الحديث وفيه وما تعبد الي عبدي المؤمن بمثل الزهد في الدنيا ولا تقرب عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه الحديث (وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان أحدهما يفوت والآخر لا يفوت أو فضلان) أي نفلان (أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه فهو مغرور ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة) والأمر فيهما ظاهر (وانما الغامض الخفي تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره وتقديم الأهم من فروض الاعيان على ما دونه) مما ليس بأهم (وتقديم ما يفوت) بفوات الوقت (على ما لا يفوت وهذا كما يجب أن يقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له من أبر) أي من أحق بالبر (قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أباك قال ثم من قال أدناك فأدناك) أي الاقرب فالاقرب منك رواه الترمذي والحاكم وصححه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة

ثم ينبغي أن يبدأ في الصلة بالاقرب فان استويا فبالاحوج فان استويا فبالاتقى والاورع وكذلك من لايفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج
وهو مغرور بل ينبغي أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل
وقت الجمعة فالجمعة تفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو طاعة في نفسه وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على أبويه
وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وايذاؤهما محذور والحذر من الايذاء أهم من الحذر من النجاسة وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات
لاتنحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة الا أنه لايفطن
لصيرورة الطاعة معصية
حيث ترك بها طاعة واجبة
هي أهم منها ومن جملته
الاشتغال بالمذهب والخلاف
من الفقه في حق من بقي
عليه شغل من الطاعات
والمعاصي الظاهرة والباطنة
المتعلقة بالجوارح والمتعلقة
بالقلب لان مقصود الفقه
معرفة مايحتاج اليه غيره في
حوائجه فمعرفة مايحتاج هو
اليه في قلبه أولى به الا أن
حب الرياسة والجاه ولذة
المباهاة وقهر الاقران
والتقدم عليهم يعمي عليه
حتى يغتر به مع نفسه
و يظن انه مشغول بمهم دينه

(الصنف الثالث)

المتصوفة وما أغلب الغرور
عليهم والمغترون منهم فرق
كثيرة (ففرقة منهم) وهم
متصوفة أهل الزمان الامن
عصمه الله اغتروا بالزي
والهيئة والمنطق فساعدوا
الصادقين من الصوفية في
زيهم وهيئتهم وفي ألفاظهم
وفي آدابهم ومراسمهم
واصطلاحاتهم وفي أحوالهم
الظاهرة من السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله في الجيب
كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمائل والهيئات فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها
ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل
ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جازلهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم
شيأ منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات

وروى الديلمي من حديث ابن مسعود بر أمك ثم أباك ثم أختك ثم أخاك (فينبغي أن يبتدئ في الصلة بالاقرب) نسبا منه (فان استويا فبالاحوج فان استويا فبالاتقى والاورع) على هذا الترتيب (وكذلك من لايفي ماله بنفقة الوالدين والحج) فان أنفق عليهما لم يف بالحج وبالعكس (فربما يحج) ويترك الانفاق عليهما (وهو مغرور بل ينبغي أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أهم على فرض هو دونه) في الرتبة (وكذلك اذا كان على العبد ميعاد) لرجل (ودخل وقت) صلاة (الجمعة فالجمعة تفوت بالاشتغال بالوفاء بالوعد وهو) أي تفويت الجمعة به (معصية وان كان هو) أي الوفاء بالوعد (طاعة في نفسه وكذلك تصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وايذاؤهما محذور) أيضا (والحذر من الاذى أهم من الحذر من النجاسة) لان زوال الاذى عن قلوبهم عسر بخلاف ازالة النجاسة من الثوب (وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات) كثيرة (لاتنحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض) والدقة (لان المغرور فيه في طاعة الا انه لايفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها) والاكياس يفطنون لذلك (ومن جملته الاشتغال بالمذهب) الذي يتعبد الله به (والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لان مقصود الفقه معرفة مايحتاج اليه غيره في حوائجه) ومهماته (فمعرفة مايحتاج هو اليه في قلبه أولى به) وأليق (الا أن حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة) أي المفاخرة (وقهر الاقران) والنظراء (والتقدم عليهم يعمي عليه) سلوك طريق الاولى (حتى يغتر به مع نفسه و يظن انه مشغول بمهم دينه) والله الموفق

(الصنف الثالث المتصوفة)

(وما أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة ففرقة منهم متصوفة أهل الزمان الامن عصمه الله) وأيده بتوفيقه (اغتروا بالزي والمنظر والهيئة) الظاهرة (فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي ألفاظهم) في محاوراتهم (وفي آدابهم) الظاهرة (ومراسمهم) التي يجرونها بينهم (واصطلاحاتهم) التي توافقوا عليها (وفي أحوالهم الظاهرة في) حال (السماع والرقص) والتواجد (و) في (الطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس) كالمراقب (وادخاله في الجيب) أي جيب الخرقة (كالمتفكر وفي تنفس الصعداء) كالمتأسف لما فاته شئ (وفي خفض الصوت) عند التكلم (في الحديث الى غير ذلك من الشمائل والهيآت فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أيضا انهم صوفية و) على ذلك (لم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب) بالذكر (وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف) عند هذه الطائفة العلية (ولو فرغوا من جميعها) عملا وتحققا (لما جازلهم أن يعدوا أنفسهم من الصوفية) اذ بينه و بين الوصول الى مراتبهم مفاوز تقطع الاعناق (كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا بانفسهم شيأ منها) فهم عنها (معرضون بل يتكالبون على الحرام

والشبهات وأموال السلاطين و يتنافسون فى الرغيف والفلس والحبة و يتحاسدون على النقير والقطمير و يمزق بعضهم اعراض بعض مهما
خالفه فى شئ من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين تثبت أسماؤهم فى الديوان
و يقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة فتاقت نفسها الى أن يقطع لها مملكة فلبست درعا و وضعت على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز
الابطال أبياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم فى الميدان وكيف تحريكهم الايدى وتلقفت
جميع شمائلهم فى الزى والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها فى ديوان الشجعان فلما وصلت الى
المعسكر أنفذت الى
ديوان العرض وأمر بأن
تجرد عن المغفر والدرع
و ينظر ما تحته وتمتحن فى
المبارزة مع بعض الشجعان
ليعرف قدر غنائها فى
الشجاعة فلما جردت عن
المغفر والدرع فاذا هى عجوز
ضعيفة زمنة لا تطيق حمل
الدرع والمغفر فقيل لها
اجئت للاستهزاء بالملك
وللاستخفاف باهل حضرته
والتلبيس عليهم خذوها
فألقوها لقدام الفيل ليسحقها
فالقيت الى الفيل فهكذا
يكون حال المدعين للتصوف
فى القيامة اذا كشف عنهم
الغطاء وعرضوا على القاضى
الاكبر الذى لا ينظر الى
الزى والمرقع بل الى سر
القلب (وفرقة أخرى)
زادت على هؤلاء فى الغرور
اذ شق عليها الاقتداء بهم
فى بذاذة الثياب والرضا
بالدون فأرادت ان تتظاهر
بالتصوف ولم تجد بدا من
التزين بزيهم فتركوا
الحرير والابريسم وطلبوا
المرقعات النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات المصبغة ولبسوا من الثياب ما هو أرفع قيمة من الحرير والابريسم وظن أحدهم مع ذلك انه
متصوف بمجرد الثوب وكونه مرقعا ونسى أنهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقعات اذ كانت
ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع الفوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه
فهؤلاء أظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة و يطلبون رغد العيش و يأكلون أموال السلاطين
ولا يجتنبون المعاصى الظاهرة فضلا عن الباطنة

والشبهات وأموال السلاطين) من المرتبات والادرارات وغيرها (و يتنافسون فى الرغيف) الواحد
(والفلس والحبة و يتحاسدون على النقير) النقطة التى على النواة (والقطمير) القشر الداخل على
النواة (و يمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه فى شئ من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر) لا يحتاج
التنبيه باكثر من ذلك (ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين) فى سبيل
الله (تثبت اسماؤهم فى الديوان) السلطانى (و يقطع كل واحد منهم قطرا من أقطار المملكة) أى يكتب
له اقطاعات فى البلاد تحت شجاعته (فتاقت نفسها الى أن تقطع) أيضا (مملكة فلبست درعا) من حديد
(ووضعت على رأسها مغفرا) وهو طاس من حديد يستر الرأس (وتعلمت من رجز الابطال أبياتا) مما
جرت عادتهم بانشادها ارهابا للعدو (وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت) مع
ذلك (كيف هيئة تبخترهم) فى الميدان عند قيام الصفين (وكيف تحريكهم الايدى) بالسلام (وتلقت
جميع شمائلهم فى الزى والمنطق والحركات والسكون ثم توجهت الى العسكر) أى الموضع الذى
اجتمعت فيه العساكر (ليثبت اسمها فى ديوان الشجعان فلما دخلت الى المعسكر انفذت الى ديوان
العرض وأمر بان تجرد عن المغفر والدرع فينظر ما تحته) من قوة البنية (وتمتحن بالمبارزة مع بعض
الشجعان ليعرف قدر غنائها فى الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هى عجوز ضعيفة زمنة)
أى ملابسة الضعف (لا تطيق حمل الدرع والمغفر) فضلا عن قوة البراز (فقيل لها أجئت للاستهزاء
بالملك وللاستخفاف باهل حضرته والتلبيس عليهم خذوها فالقوها لقدام الفيل ليسحقها) أى يهلكها
وطأ باقدامه (فالقيت الى الفيل) فوطئت (وهكذا يكون حال المدعين للتصوف فى القيامة اذا كشف
عنهم الغطاء وعرضوا على القاضى الاكبر) جل جلاله (الذى لا ينظر الى الزى والمرقع) والهيئة (بل
الى سر القلب) أى باطنه (وفرقة أخرى زادت على هؤلاء فى الغرور اذ شق عليها الاقتداء بهم فى بذاذة
الثياب) أى رثاثتها (والرضا بالدون) فى المعيشة (وارادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزيى
بزيهم فتركوا الخز والابريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة) المثمنة (والسجادات
المصبوغة) بالالوان المختلفة (ولبسوا من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز والابريسم وظن أحدهم مع
ذلك انه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا) أى رقعا خيطت فى بعضها (ونسى انهم انما لونوا
الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ) فيشغلهم عن المراقبة (و) انهم (انما لبسوا
المرقعات اذ كانت ثيابهم مخرقة) قد بليت من طول الاستعمال (فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد)
و يكتفون بالقديم لانه يقضى الحاجة فى ستر العورة (فاما تقطيع الفوط الرفيعة قطعة قطعة وخياطة
المرقعات منها) بالخيوط الملونة مع الهيآت الغريبة (فاين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء أظهر حماقة من كافة
المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة و يطلبون رغد العيش) ولذة النفس
(و يأكلون أموال السلاطين) من ادرار وهدية (ولا يجتنبون المعاصى الظاهرة فضلا عن الباطنة

وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وشرهؤلاء مما يتعدى الى الخلق اذيهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته فى أهل التصوّف كافة ويظن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطوّل اللسان فى الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم (وفرقة أخرى) ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة فى عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامى والالفاظ لانه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها و يظن ان ذلك أعلى من علم الاوّلين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياما معدودة و يتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحى و يخبر عن سر الاسرار و يستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول فى العباد انهم اجراء متعبون و يقول فى العلماء انهم بالحديث من الله محجوبون ويدعى لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمق الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه (وفرقة أخرى) وقعت فى الاباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الاحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملى فلم اتعب نفسى و بعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا وأدركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا اقلاع الشهوة والغضب من أصلهما بل انما كلفوا اقلاع مادتهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع و بعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض فى الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة فى الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر

وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير) والصلاح (وشرهؤلاء مما يتعدى الى الخلق اذيهلك من يقتدى بهم) أى يكون اهلاكه (ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته فى أهل التصوّف كافة اذيظن ان جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان) لامحالة (فى الصادقين منهم) وقد سرى هذا الشر الى جملة من العوام بل و بعض الخواص فلم يميزوا بين المحقق والمتشبه واطلقوا ألسنتهم فى اعراضهم ونسبوهم الى ماهم مبرؤن منه (وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم وفرقة أخرى ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق) من عين القلب (ومجاوزة المقامات والاحوال) ولهم فروق فى المقام والحال وقد سبقت الاشارة الى شئ منه وسيأتى فى الربع الاخير (والملازمة فى عين الشهود) مع عدم الانفكاك (والوصول الى القرب) المعنوى (ولا يعرف) واحد منهم (هذه الامور الا بالاسامى والالفاظ الا انه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها) على لسانه فى محاوراته (و يظن ان ذلك أعلى من) جملة (علم الاوّلين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء) شزرا (بعين الازدراء) والاحتقار (فضلا عن العوام) فانهم عنده كالانعام (حتى ان الفلاح يترك فلاحته) أى حراثة الارض (والحائك يترك حياكته و يلازمهم أياما معدودة و يتلقف منهم الكلمات المزيفة فهو يرددها كأنه يتكلم بها (عن الوحى) السماوى (وعن سر الاسرار) المكتومة (و يستحقر بذلك) مطلقا لسانه فى (جميع العباد والعلماء) الذين هم من خواص عباد الله تعالى (فيقول فى العباد انهم اجراء متعبون وفى العلماء انهم بالحديث) والقال والقيل (عن الله محجوبون ويدعى لنفسه انه الواصل الى الحق وانه) عنده (من المقربين) فى حضرته (وهو) فى الحقيقة (عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمق الجاهلين) المغرورين (لم يحكم قط علما) أى لم يتقنه (ولم يهذب قلبا) بالمجاهدة (ولم يرتب عملا) يكون به واصلا (ولم يراقب قلبا) بالذكر (سوى اتباع الهوى) والشهوات (وتلقف الهذيان وحفظه) فما أشد غروره هذا (وفرقة أخرى منهم وقعت فى) اباحة (الاباحة فطووا بساط الشرع) على غرته (ورفضوا الاحكام) الشرعية (وسوّوا بين الحلال والحرام) وهم طائفة الملاحدة وهم فرق (فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملى) كما تقتضيه حقيقة الغنى المطلق (فلم اتعب نفسى) بالمجاهدة والرياضة وهؤلاء قد شبه عليهم الامر لم يفطنوا ان عائدة الاعمال انما تعود اليهم وهم لكمال فقرهم محتاجون لها وأما الحق تعالى فلا يسئل عما يفعل (و بعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن) تحصيله وما من قلب الا وفيه الشهوة وحب الدنيا (وانما يغتر به من لم يجرب وأما نحن فقد جربنا وأدركنا ان ذلك محال) وهؤلاء أيضا قد اشتبه عليهم الامر (ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا اقلاع الشهوة والغضب من أصلهما بل انما كلفوا اقلاع مادتهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع و بعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا قدر) وفى نسخة لا وزن (لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة) أى هيمة (بحب الله واصلة الى معرفة الله وانما نخوض فى الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة فى الحضرة الربوبية) نتمتع بها (فنحن فى الشهوات بالظواهر

لا بالقلوب و يزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها و يرفعون درجة أنفسهم على درجة الانبياء عليهم السلام اذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها و ينوحون سنين متوالية وأصناف غرور أهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن فى الدين والعلم صالح للاقتداء به واحصاء أصنافهم يطول

(وفرقة أخرى) جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى و يزعم انه واله بالله ولعله قد تخيل فى الله خيالات هى بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن ايثار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدرى ان كل ذلك يناقض الحب و بعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادى من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدرى أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فما فهموا أن التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على

الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات الا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات فى ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن اعادتها (وفرقة أخرى) ضيقت على نفسها فى أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملوا تفقد القلب والجوارح فى غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من أهمل الحلال فى مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق فى غير ذلك وليس يدرى المسكين أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب

لا بالقلوب و يزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام) بهذا (واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية) لعدم الحاجة اليها (و) يزعمون (ان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها و يرفعون درجة أنفسهم عن درجة الانبياء عليهم السلام اذ كان يصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها و ينوحون سنين متوالية) كما حكى ذلك فى قصة آدم وداود عليهما السلام فاخرج أحمد فى الزهد عن علقمة بن مرثد قال لو جمع دموع أهل الارض ودموع داود ماعدل دموع آدم حين أهبط من الجنة وعند ابن أبى شيبة لو عدل بكاء أهل الارض بكاء داود ماعدله ولو عدل بكاء أهل الارض ببكاء آدم حين أهبط الى الارض ماعدله وأخرج أحمد عن ثابت قال اتخذ داود سبع حشايا من الشعر وحشاهن من الرماد ثم بكى حتى انفذها دموعا ولم يشرب داود شرابا الا مزوجا بدموع عينيه ومن طريق الاوزاعى مرفوعا لقد خددت الدموع فى وجه داود خديد الماء فى الارض ومن طريق أبى عبد الله الجدلى قال مارفع داود رأسه الى السماء بعد الخطيئة حتى مات (وأصناف غرور أهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى) وفضائحهم فى سوء ماذهبوا اليه لا تستقصى (وكل ذلك بناء على أغاليط) وقعت لهم فى فهمهم (ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة) والرياضة (قبل احكام العلم) واتقان قواعده (ومن غير اقتداء بشيخ متقن فى الدين والعلم صالح للاقتداء به) نعم شيخهم الذى يقتدون به الشيطان (واحصاء أصنافهم يطول وفرقة أخرى جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم) بعد ذلك (يدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها) وهم فرق (فمنهم من يدعى الوجد) وهو فقدانه بمحو أوصافه البشرية (والحب لله تعالى و يزعم انه واله بالله) مشغوف به (ولعله قد تخيل فى الله خيالات هى بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته) ولا يتم حب شئ الا بعد معرفته بحقيقته (ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله وعن ايثار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا) بنفسه (ما تركه حياء من الله وليس يدرى ان كل ذلك يناقض الحب) و يضاده (و بعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادى) والقفار (من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدرى ان ذلك بدعة لم ينقل عن السلف والصحابة) رضوان الله عليهم كما عرف ذلك من سيرهم (وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فما فهموا ان التوكل) هو (المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به) فكيف يصح توكله (وما من مقام من مقامات المنجيات) على ما سيأتى (الا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات فى ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن اعادتها) هنا (وفرقة أخرى ضيقت على أنفسها فى أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملوا تفقد القلب والجوارح فى غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من أهمل الحلال فى مطعمه وملبسه ومكسبه وأخذ يتعمق فى غير ذلك) من الاعمال (وليس يدرى المسكين ان الله لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا رضى بسائر الاعمال دون طلب

الحلال بل لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصى فمن ظن أن بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور (وفرقة أخرى) ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر أتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق فى طريق الحج على الصوفية ويزعم أن غرضه البر والانفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام فى طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم أن قصده العمارة (وفرقة أخرى) اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم فى جميع أحوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام فى آفاتها فيقولون هذا فى النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات فى تلفيقها ومن جعل طول عمره فى التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه (وفرقة أخرى) جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤا سلوك الطريق وانفتح لهم أبواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادى المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفى كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم الوصول الى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب ميدانه روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها ويتعجب حتى فاته الوقت الذى يمكنه فيه لقاء الملك (وفرقة أخرى) جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار

الحلال بل لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصى فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه) عن البعض (وينجيه) من عقاب الله (فهو مغرور) فى ظنه (وفرقة أخرى منهم ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما) منهم (وتكلفوا لخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة و) وسيلة الى (جمع المال وانما غرضهم) من ذلك (التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع) بالمعيشة (وهم يظهرون ان غرضهم الارفاق) للصوفية (وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعية) فهذه فضائحهم (ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات) من حيث اتفق (وينفقون عليهم لتكثر أتباعهم وينشر) فى الآفاق (بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين وينفق عليهم) منها (وبعضهم يأخذها لينفق فى طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر والانفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآفة ذلك اهمالهم لجميع أوامر الله عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام فى طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله) قصد الثواب (فيطينها بالعذرة) والنجاسة (ويزعم ان قصده) بذلك (العمارة وفرقة أخرى منهم اشتغلوا بالمجاهدة) والرياضة (وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها) ويبالغون (فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم فى جميع أحوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام فى آفاتها فيقولون هذا فى النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشغفون بكلمات مسلسلة) مزخرفة (تضيع الاوقات فى تلفيقها) وتركيبها (ومن جعل طول عمره فى التفتيش عن العيوب) والبحث عن مكانها (وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه) ولا يعد من السالكين (وفرقة أخرى جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤا بسلوك الطريق فانفتح لهم أبواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادى المعرفة رائحة تعجبوا منها) لحسنها (وفرحوا بها) واطمأنوا اليها (وأعجبهم غرائبها) ومحاسنها (فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفى كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور) مع الاعجاب حيث انفتح له وانسد على غيره واما الغرور فمن حيث تقيد القلب والالتفات وهو أعظم حجاب للسالك فى سلوكه (لان عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه) فى سلوكه (وحرم عن الوصول الى المقصد) وحيل بينه وبينه (وكان مثاله مثال من قصد ملكا) من الملوك (فرأى على باب ميدانه روضة فيها أزهار وأنوار) ومتنزهات (لم يكن رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها) متعجبا منها (حتى فاته الوقت الذى يمكن فيه لقاء الملك) فحرم من مقصوده (وفرقة أخرى جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار

في الطريق والى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها) وقطعوا النظر عنها (جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله فظنوا انهم وصلوا الى الله فوقفوا) عن سيرهم اعتمادا على ظنهم (وغلطوا فان لله تعالى سبعين حجابا من نور) وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره كما في الخبر (فلا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب) أي النورانية (الا ويظن انه قد وصل) وتحقيقه ان الله تعالى متجل في ذاته بذاته لذاته و يكون الحجاب في الاضافة الى محجوب لا محالة وان المحجوبين من الخلق منهم من يحجب بمجرد الظلمة ومنهم من يحجب بالنور المحض ومنهم من يحجب بنور مقرون بظلمة وقد أشرنا الى الصنفين الاولين قريبا والمحجوبون ببعض الانوار أصناف كثيرة الواصلون منهم من اعتقدان معبودهم واحد موصوف بصفة لا تنافي الوحدانية المحضة والكمال البالغ وان نسبته الى الموجودات الحسية نسبة الشمس الى الانوار المحسوسة منه فتوجهوا من الذي يحرك السموات ومن الذي أمر بتحريكها الى الذي فطر السموات وفطر الامر بتحريكها فوصلوا الى موجود منزه عن كل ما أدركه بصر الناظرين و بصيرتهم اذ وجده من قبله فاحرقت سبحات وجه الاول الاعلى جميع ما أدركه الناظرون و بصيرتهم اذ وجده مقدسا منزها ثم هؤلاء انقسموا فمنهم من أحرق منه جميع ما أدركه بصره فانمحق وتلاشى ولكن بقي هو ملاحظا للجمال والقدس وملاحظا ذاته في جماله الذي ناله بالوصول الى الحضرة الالهية وانمحقت منه المبصرات دون المبصر وجاوز هؤلاء طائفة منهم خواص الخواص فاحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال وانمحقوا وتلاشوا في ذاته ولم يبق لهم لحاظ الى أنفسهم بفنائهم عن أنفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وصار معنى كل شيء هالك الا وجهه لهم ذوقا وحالا فهذه نهاية الواصلين ومنهم من لم يتدرج في الترقي والعروج عن التفصيل المذكور ولم يطل عليه العروج فسبقوا في أول وهلة الى معرفة القدس وتنزيه الربوبية في كل ما يجب تنزيهه عنه فغلب عليهم أولا ما غلب على الآخرين آخرا وهجم عليهم التجلي دفعة فاحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن أن يدركه بصر حسي أو بصيرة عقلية ويشبه أن يكون الاول طريق الخليل والثاني طريق الحبيب صلوات الله عليهما وسلامه واليه أشار المصنف بقوله (واليه الاشارة بقول الخليل عليه السلام اذ قال تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه الليل) أي أظلم (رأى كوكبا) من الكواكب (قال هذا ربي وليس المعني به) الكوكب المعهود من (هذه الاجسام المضيئة) المركوزة في سطح السماء (فانه) عليه السلام (كان يراها) أي تلك الكواكب (في) حالة (الصغر ويعلم انها ليست آلهة) حاشاه من ذلك (و) مع ذلك (هي كثيرة) لا عد يحويها (وليست واحدة) حتى يظن فيها الربوبية (والجهال) المحجوبون بظلمتهم (يعلمون ان الكوكب ليس بالاله فمثل ابراهيم عليه السلام) في جلالة قدره وعصمته لا يغره الكوكب (الذي لا يغر السوادية) الجهال (ولكن المراد به نور من الانوار التي هي من حجب الله) المشار اليها في الحديث السابق (وهي) اي حجب الانوار (على طريق السالك) في سلوكه الى الله تعالى (ولا يتصور الوصول الى الله الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من النور) كالستائر الرفيعة التي تكون على أبواب حضرة الملوك في الدنيا (وبعضها أعظم من بعض) في الجرم وفي النور (وأصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه) بجامع النور (وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر) فهو أكبر من الكوكب وأضوأ وأصغر من الشمس وأقل نورا منها (فلم يزل ابراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات) بعين بصره و بصيرته (حيث قال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض يصل) في سلوكه (الى نور بعد نور ويتخيل اليه في أول ما يلقاه انه قد وصل) الى الله (ثم كان يكشف له ان وراءه أمرا فيترقى اليه ويقول قد وصلت) الى الله (فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده) أي بعد رفعه وقطعه (فقال هذا أكبر فلما ظهر له انه مع عظمه) الذي

في الطريق ولا الى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله تعالى سبعين حجابا من نور لا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن أنه قد وصل واليه الاشارة بقول ابراهيم عليه السلام اذ قال الله تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي وليس المعني به هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدا والجهال يعلمون ان الكوكب ليس باله فمثل ابراهيم عليه السلام لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد به أنه نور من الانوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول الى الله تعالى الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال الله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض يصل الى نور بعد نور ويتخيل اليه في أول ما كان يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمرا فيترقى اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده فقال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه

غير خال عن الهوى في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا أحب الآفلين اني وجهت وجهي للذي
قطر السموات والارض
وسالك هذه الطريق قد
يغتر في الوقوف على بعض
هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب
الاول وأول الحجب بين الله
و بين العبد هو نفسه فانه
أيضا أمر رباني وهو نور
من أنوار الله تعالى أعني
سر القلب الذي تتجلى فيه
حقيقة الحق كله حتى انه
ليتسع لجملة العالم ويحيط به
وتتجلى فيه صورة الكل
وعند ذلك يشرق نوره اشراقا
عظيما اذ يظهر فيه الوجود
كله على ما هو عليه وهو في
أول الامر محجوب بمشكاة
هي كالساتر له فاذا تجلى نوره
وانكشف جمال القلب
بعد اشراق نور الله عليه ربما
التفت صاحب القلب الى
القلب فيرى من جماله
الفائق ما يدهشه وربما
يسبق لسانه في هذه الدهشة
فيقول أنا الحق فان لم يتضح
له ما وراء ذلك اغتر به
ووقف عليه وهلك وكان قد
اغتر بكوكب صغير من
أنوار الحضرة الالهية ولم
يصل بعد الى القمر فضلا
عن الشمس فهو مغرور
وهذا محل الالتباس اذ
المتجلي يلتبس بالمتجلي فيه
كما يلتبس لون ما يتراءى في
المرآة بالمرآة فيظن أنه لون
المرآة وكما يلتبس ما في
الزجاج بالزجاج كما قيل
رق الزجاج ورقت الخمر * فتشابها فتشاكل الامر

يذكر فيه ان قدر سعة الدنيا كذا وكذا مرة (غير خال عن الهوى) أي السقوط (في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال) البالغ (قال لا أحب الآفلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) حنيفا وما أنا من المشركين والى هذا المعراج الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم وانه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله سبعين مرة قال المصنف في مشكاة الانوار لما كان عالم الشهادة مرقى الى عالم الملكوت وكان سلوك الصراط المستقيم عبارة عن هذا الترقي وقد يعبر عنه بالدين وبمنازل الهدى فلو لم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقي من أحدهما الى الآخر فجعلت الرحمة الالهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شئ من هذا العالم الا وهو مثال شئ من ذلك العالم وربما كان الشئ الواحد مثالا لاشياء من الملكوت وربما كان للشئ الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة وانما يكون مثالا اذا ماثل نوعا من المماثلة وطابقه نوعا من المطابقة مثال ذلك ان كان في عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة تفيض الانوار على الارواح البشرية ولاجلها تسمى أربابا ويكون الله رب الارباب كذلك ويكون لها مراتب في نورانيتها متفاوتة فبالحرى أن يكون مثالها من عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب وسالك الطريق ينتهي الى ما درجته درجة الكوكب فيتضح له اشراق نوره ويتضح له من جماله وعلو درجته ما يبادر فيقول هذا ربي ثم اذا اتضح له ما فوقه مما رتبته رتبة القمر رأى أفول الاول في مغرب الهوى بالاضافة الى ما فوقه فقال لا أحب الآفلين وكذلك يترقى حتى ينتهي الى ما مثاله الشمس فيراه أكبر وأعلى فيراه قابلا للمثال بنوع مناسبة له معه والمناسبة مع ذي النقص نقص وأفول أيضا فمنه يقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض ومعنى الذي اشارة مبهمة لا مناسبة لها اذ لو قال قائل ما مثال مفهوم الذي لم يتصور أن يجاب عنه فالمنزه عن كل مناسبة هو الله الحق (وسالك هذا الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب) فيظن انه قد وصل (وقد يغتر بالحجاب الاول وأول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه أيضا أمر رباني) أي هو من عالم الامر (وهو نور من أنوار الله أعني سر القلب) أي باطنه (الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله) توكيد من الضمير المجرور (حتى انه) أي القلب (ليتسع لجملة العالم ويحيط به) احاطة كلية (وتتجلى فيه صورة الكل) ولذا عبر عنه بالعالم الاكبر (وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الامر محجوب بمشكاة هي كالساتر له) عن مشاهدة ما وراء ذلك (فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه) ويستغرق الهم به وينظر الى كمال ذاته وقد تزين بما تلألأ فيه من حلية الحق (وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة) والاستغراق بالجلال والجمال فيظن انه هو (فيقول أنا الحق) كما وقع لابي منصور الحلاج ويعبر عن هذه الحالة بالاتحاد على سبيل التجوز والتوسع لانه هو تحقيقا وهذه مزلة قدم (فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس) فمن ليس له قدم راسخ في المعقولات لم يتميز له أحدهما عن الآخر (اذ المتجلي يلتبس بالمتجلي فيه كما يلتبس لون ما يتراءى) من صورة متلونة انطبعت (في المرآة بالمرآة فيظن انه لون المرآة) وان تلك الصورة صورة المرآة وهيهات فان المرآة في ذاتها لا لون لها وشأنها قبول صور الالوان على وجه يتخايل الى الناظرين الى ظاهر الامور ان ذلك هو صورة المرآة فكذلك القلب خال عن الصور في نفسه وعن الهيآت وانما هيآته قبول ما في الهيآت والصور والحقائق فما يحله يكون كالمتحد به تجوزا لا أنه كالمتحد به تحقيقا (وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج) فمن لا يعرف الزجاج والخمر اذا رأى زجاجة فيها خمر لم يدرك تباينهما فتارة يقول لا خمر وتارة يقول لا زجاجة (كما قيل)

(رق الزجاج ورقت الخمر * فتشابها فتشاكل الامر)

فكأنما خمر ولاقدح * وكأنما قدح ولاخمر وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح فرأوا اشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن رأى كوكبا فى مرآة أوفى ماء فيظن أن الكوكب فى المرآة أوفى الماء فيمد يده اليه ليأخذه وهو مغرور وأنواع الغرور فى طريق السلوك الى الله تعالى لاتحصى فى مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لارخصة فى ذكره ولعل القدر الذى ذكرناه أيضا كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لايحتاج الى أن يسمعه من غيره والذى لم يسلكه لاينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع مالا يفهم ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذى هو فيه بل ربما يصدق بان الامر أعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق أيضا بما يحكى له من المكاشفات التى أخبر عنها أولياء الله ومن عظم غروره ربما أصر مكذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل * (الصنف الرابع) * أرباب الاموال والمغترون منهم فرق (فرقة منهم) يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون أساميهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين * أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله فى كسبها وتعرضوا لسخطه فى انفاقها وكان الواجب عليها الامتناع من كسبها فاذا قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها الى ملاكها اما باعيانها واما برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى أهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم لايفعلون ذلك خيفة من أن يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسمائهم المكتوبة فيها لالبقاء

(فكأنما خمر ولاقدح * وكأنما قدح ولاخمر)

(وبهذه العين نظرت النصارى الى المسيح عليه السلام فرأوا اشراق نور الله قد تلألأ فيه) فقالوا باتحاد اللاهوت بالناسوت (فغلطوا فيه) غلطا فاحشا وقول من قال أنا الحق اما أن يكون معناه ماذكرنا من التجوز والتوسع واما أن يكون قد غلط كما غلط النصارى وهو (كمن يرى كوكبا فى مرآة أوفى ماء فيظن ان الكوكب فى المرآة أوفى الماء فيمد اليه) اليد (ليأخذه وهو مغرور) واعلم ان العبد فى مجاوزته هذه الحجب سالك لا واصل وانما الوصول أن تنكشف له جلية الحق ويصير مستغرقا به فان نظر الى معرفته فلا يعرف الا الله وان نظر الى همه فلا هم له سواه فيكون كله مشغولا بكله مشاهدة وهما لايلتفت فى كل ذلك الى نفسه (وأنواع الغرور فى طريق السلوك الى الله لاتحصى فى مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لارخصة فى ذكره ولعل القدر الذى ذكرناه) آنفا (كان الاولى تركه) وكتمه (اذ السالك لهذا الطريق لايحتاج الى أن يسمعه من غيره والذى لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك وحشة) وحيرة (من حيث) انه (يسمع مالا يفهم) معناه (ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذى هو فيه اذ ربما يصدق بان الامر أعظم مما يظنه) بعقله الناقص (ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف) بالادلة الوهمية (ويصدق أيضا بما يحكى له من المكاشفات التى اخبر عنها أولياء الله) من صالحى عباده (ومن عظم غروره ربما أصر مكذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل)

(الصنف الرابع أرباب الاموال) وملاكها (والمغترون منهم فرق ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس) والزوايا والتكايا (والرباطات) للصوفية (والقناطر) والجسور فى الطرق العامة المسلوكة (وما يظهر للناس كافة) كالسبل والخانات ومكاتب الاطفال والقبب على قبور الاولياء المشهورين (ويكتبون أساميهم بالآجر عليها) وتارة على الرخام حفرا مع ذكر تاريخ عمارتها وتارة يكتبون ماصرف عليها من الاموال (ليتخلد ذكرهم) ويدوم (ويبقى بعد الموت آثارهم وهم يظنون انهم قد استحقوا) بذلك (المغفرة) والعفو من الله تعالى (بذلك) الصنيع (وقد اغتروا فيه من وجهين أحدهما انهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا) جمع الرشوة (والجهات المحظورة) شرعا (فهم قد تعرضوا لسخط الله فى كسبها) فان الجهات التى اكتسبوها منها قد كرهها الله (وتعرضوا لسخطه فى انفاقها) فى هذه المواضع (فكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذا قد عصوا الله بكسبها كان الواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها الى ملاكها) الاصول (اما باعيانها واما برد بدلها عند العجز) كما هو شرط التوبة (فان عجزوا عن الملاك) بهلاك أوفقد (فكان الواجب ردها على الورثة) لانتقال الحق اليهم (فان لم يبق للمظلوم وارث) بان لم يعرف (فالواجب صرفها الى أهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين من أهل بلده وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالآجر) والحجارة (وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء) من الناس (وحرصهم على بقائها لبقاء اسمهم المكتوب بها لالبقاء

الخير * والوجه الثاني انهم يظنون بأنفسهم الاخلاص وقصد الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الوضع الذي أنفق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أولم يكتب ولولا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك (وفرقة أخرى) ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهي أيضا مغرورة من وجهين * أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره أو بلده فقراء وصرف المال اليهم أهم وأفضل وأولى من الصرف الى بناء المساجد وزينتها وانما يخفف عليهم الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس * والثاني انه يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المسلمين ومختطفة أبصارهم والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى أنه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة الى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى قال مالك بن دينار أتى رجلان مسجدا فوقف أحدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند الله صديقا فهكذا ينبغي أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام أو بزخرف الدنيا منة على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر الى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمتي أمتي بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا أهلكه بذنوب أهله ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيأ وان أحب الاشياء الى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبني مسجد المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه

الخير الوجه الثاني انهم يظنون بأنفسهم الاخلاص وقصد الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي أنفق عليه لشق عليه ذلك) وصعب (ولم تسمح نفسه به والله مطلع عليه كتب اسمه أولم يكتب فلولا انه يريد وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك) فهو قرينة قائمة على أصل نيته (وفرقة أخرى ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد) أي على بنائها (وهي أيضا مغرورة من وجهين أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره أو في بلده فقراء) محتاجون (فصرف المال اليهم أهم وأفضل من الصرف الى المساجد وتزيينها) وتنقيشها (وانما يخف عليه الصرف الى المساجد ليظهر بذلك بين الناس) ويشتهر اسمه (والثاني انه يصرف) تلك الاموال (الى زخرفة) المسجد (وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها) رواه البخاري من قول عمر بن الخطاب أكن الناس ولا تحمر ولا تصفر (وشاغلة قلوب المصلين) عن الحضور (وتختطف أبصارهم) بالنظر اليها (والمقصود من الصلاة) اذا هو (الخشوع وحضور القلب) وجمع الهمة (وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات) ومن القربات (ويعد ذلك وسيلة له الى الله تعالى وهو بذلك قد تعرض لسخط الله وهو يظن انه مطيع لله وممتثل لامره) في عمارة المساجد (وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته اذ المسجد) انما اتخذ (للتواضع) والمسكنة والخشوع (ولحضور القلب مع الله قال) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (أتى رجلان مسجدا فوقف أحدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل) وفي نسخة يدخل (بيت الله) على سبيل الانكار على نفسه (فكتب على المكان عند الله صديقا) أخرجه أبو نعيم في الحلية (فهذا ينبغي أن تعظم المساجد) لا بالزخرفة (وهو أن يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد بالحرام أو بزخرف الدنيا منة على الله وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر الى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمتي أمتي بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا أهلكه بذنوب أهله ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيأ وان أحب الاشياء الى الله القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم) أي بالنقوش (وحليتم مصاحفكم) أي بالذهب والفضة (فالدمار عليكم) أي الهلاك قال العراقي رواه ابن المبارك في الزهد وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف موقوفا على أبي الدرداء اه قلت ورواه الحكيم في النوادر من حديث أبي الدرداء مرفوعا (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبني مسجد المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه) قال العراقي لم أجده هكذا وفي

قصر

فغرورهذا من حيث انه رأى المنكر معروفا واتكل عليه (وفرقة أخرى) ينفقون الاموال فى الصدقات على الفقراء والمساكين و يطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء للمعروف و يكرهون التصدق فى السر و يرون اخفاء الفقير لما يأخذه منهم جناية عليهم وكفرانا ور بما يحرصون على انفاق المال فى الحج فيحجون مرة بعد أخرى ور بما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود فى آخر الزمان يكثر الحاج بلاسبب يهون عليهم السفر و يبسط لهم فى الرزق و يرجعون محرومين مسلوبين يهوى باحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره ماسور الى جنبه لايواسيه وقال أبو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحرث وقال قد عزمت على الحج فامرنى بشئ فقال له كم أعددت للنفقة فقال ألفى درهم قال بشر فاى شئ تبتغى بحجك تزهدا أواشتياقا الى البيت أو ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان أصبت مرضاة الله تعالى وأنت فى منزلك وتنفق ألفى درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة أنفس مديون يقضى دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغنى عياله ومربى يتيم يفرحه وان قوى قلبه تعطيها واحدا فافعل فان ادخالك السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما أمرناك والا فقل لنا ما فى قلبك فقال يا أبا نصر سفرى أقوى فى قلبى فتبسم بشر رحمه الله تعالى وأقبل عليه وقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضى به وطرا فاظهرت الاعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل الاعمل المتقين (وفرقة أخرى) من أرباب الاموال اشتغلوا بها يحفظون الاموال و يمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التى لايحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل فى ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغنى كثير الصوم والصلاة فقال المسكين

قصر الامل لابن أبى الدنيا بنوه كعريش موسى وليس فيه مجئ جبريل اه قلت وروى البيهقى من مرسل سالم بن عطية عرش كعرش موسى ورواه الدارقطنى فى الافراد والديلمى وابن النجار من حديث أبى الدرداء عريشا كعريش موسى ثمام وخشيبات والامر أعجل من ذلك قال الدارقطنى غريب (فغرور هذا من حيث انه رأى المنكر معروفا واتكل عليه) واطمأن به (وفرقة أخرى ينفقون المال فى الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة) للناس لاجل أن يظهر لهم انفاقه (و) يختارون (من الفقراء من عادته الشكر) والثناء (والافشاء للمعروف) بين الناس (و يكرهون التصدق فى السر و يرون اخفاء الفقير لما أخذ منهم جناية عليهم وكفرانا) لنعمتهم (ور بما يحرصون على انفاق المال فى الحج فيحجون مرة بعد أخرى ور بما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود) رضى الله عنه (فى آخر الزمان يكثر الحاج بلاسبب يهون عليهم السفر) أى لما يتعودونه (و يبسط لهم فى الرزق) أى يكثر دخلهم بالتجارات وغيرها (و يرجعون محرومين) أى عن الاجر (مسلوبين) عن الثواب (يهوى باحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره مأسور) أى مربوط (الى جنبه لايواسيه) ولا يسأل عنه (وروى أبو نصر التمار) عبد الملك بن عبد العزيز القشيرى النسائى ثقة عابد مات سنة ثمان وعشرين وهو ابن احدى وتسعين سنة روى له مسلم والنسائى (ان رجلا جاء يودع) أبا نصر (بشر بن الحرث) الحافى رحمه الله تعالى (وقال قد عزمت على الحج فتأمرنى بشئ فقال له) بشر (كم أعددت للنفقة) أى هيأت لها (فقال ألفى درهم فقال بشر فأى شئ تبتغى بحجك تزهدا) فى الدنيا (أواشتياقا الى البيت) المكرم (أوابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله) قال بشر (فان أصبت رضا الله تعالى وأنت فى منزلك وتنفق ألفى درهم وتكون على يقين من مرضاة الله أتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة أنفس مدين يقضى دينه وفقير يرم شعثه) أى يصلح حاله الذى غيره (ومعيل) أى صاحب عيال (يغنى عائلته ومربى يتيم يفرحه وان قوى قلبك تعطيها واحدا) من هؤلاء (فافعل فان ادخال السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر) عن المضرور (واعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما أمرناك والا فقل لنا ما فى قلبك فقال) الرجل (يا أبا نصر) هى كنية بشر (سفرى أقوى فى قلبى فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه فقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضى به وطرا) من أوطارها (فاظهرت الاعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل الاعمل المتقين) نقله صاحب القوت (وفرقة أخرى من أرباب الاموال اشتغلوا بها يحفظون الاموال و يمسكونها بحكم البخل) والشح (ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التى لايحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن) وغير ذلك (وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل بفضائل هو مستغن عنها) فغرور هؤلاء فى ترك الاهم الانفع (ومثاله مثال من دخل فى ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر) الحافى رحمه الله تعالى (ان فلانا الغنى كثير الصوم والصلاة فقال المسكين

ترك حاله ودخل فى حال غيره وانما حال هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا أفضل له من تحويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه الفقراء (وفرقة أخرى) غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكاة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردىء الذى يرغبون عنه و يطلبون من الفقراء من يخدمهم و يتردد فى حاجاتهم أو من يحتاجون اليه فى المستقبل للاستسخار فى خدمة أو من لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون ذلك الى من يعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور و يظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر اذ طلب بعبادة عوضا من غيره فهذا وأمثاله من غرور أصحاب الاموال أيضا لا يحصى

وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور (وفرقة أخرى) من عوام الخلق وأرباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم و يكفيهم واتخذوا ذلك عادة و يظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ أجرا وهم مغرورون لان فضل مجالس الذكر لكونه مرغبا فى الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى الغير فلا قيمة له و ربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجالس وفضل البكاء و ربما تدخله رقة كرقة النساء فيبكى ولا عزم و ربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على أن يصفق بيديه و يقول يا سلام سلم أو نعوذ بالله أو سبحان الله و يظن انه قد أتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض الذى يحضر مجالس الاطباء فيسمع ما يجرى أو الجائع الذى يحضر عنده من يصف الاطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغنى عنه من مرضه وجوعه شيأ فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغنى من الله شيأ فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغير أفعالك حتى تقبل على الله تعالى اقبالا قويا أو ضعيفا وتعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور وأمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس اذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات فأقول الانسان اذا فترت همته فى شئ أظهر اليأس منه واستعظم الامر واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطريق

ترك حاله ودخل فى حال غيره وانما حاله هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا أفضل له من تحويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه الدنيا ومنعه الفقراء) منها نقله صاحب القوت (وفرقة أخرى غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا بأداء الزكاة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردىء الذى يرغبون عنه) وهو القديم أو الممسوح سكته أو المكسور جانبه أو الناقص وزنه أو عياره (ويطلبون من الفقراء من يخدمهم) فى منزلهم (ومن يتردد فى حاجاتهم) لتقضى من بعيد أو قريب (أو من يحتاجون اليه فى المستقبل للاستسخار فى خدمة) معينة (أو من لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون ذلك الى من يعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمته) أى يستقوى بها (لينال بذلك عنده منزلة فيقوم له بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور) هو مع ذلك (يظن انه مطيع لله وهو فاجر اذ طلب لعبادة الله عرضا من غيره فهذا وأمثاله من غرور أرباب الاموال أيضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور) ليقاس عليه ما لم يذكره (وفرقة أخرى من عوام الخلق وأرباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر) والاغتباط بها (واعتقدوا أن ذلك يغنيهم و يكفيهم واتخذوا ذلك عادة) لا يفارقونها (ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ) والذكر (دون العمل ودون الاتعاظ أجرا) من الله تعالى (وهم مغرورون لان فضل مجالس الذكر لكونه مرغبا فى الخير فان لم يهيج الرغبة) فيه (فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له و ربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء و ربما تدخله رقة كرقة النساء فيبكى و ربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على أن يصفق بيديه و يقول يا رب سلم سلم أو) يقول (نعوذ بالله أو سبحان الله) أو نحو ذلك (و يظن انه قد أتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض الذى يحضر مجالس الاطباء فيسمع ما يجرى) فيها من المحاورات (أو الجائع الذى يحضر عنده من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف) ومعلوم ان (ذلك لا يغنى عنه من مرضه وجوعه شيأ فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغنى من الله شيأ وكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغير أفعالك حتى تقبل على الله اقبالا قويا أو ضعيفا وتعرض عن الدنيا) قلبا وقالبا (فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور وأمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس) من ادراكه (اذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات فأقول الانسان اذا فترت همته) أى ضعفت (فى شئ أظهر اليأس منه واستعظم الامر) أى عده عظيما (واستوعر الطريق) أى استصعبه (واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطريق

فى الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا أراد أن يستنزل الطير المحلق فى جوّ السماء مع بعده منه استنزله واذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه واذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الجبال استخرجه واذا أراد أن يقتنص الوحوش المطلقة فى البرارى والصحارى اقتنصها واذا أراد أن يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها واذا أراد أن يأخذ الحيات والافاعى ويعبث بها أخذها وستخرج الدرياق من أجوافها واذا أراد أن يتخذ الديباج الملوّن المنقش من ورق التوت اتخذه واذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الآلات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازى لاقتناص الطيور وهيأ الشبكة لاصطياد السمك الى غير ذلك من دقائق حيل الآدمى كل ذلك لان همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذى يقدر عليه وليس ذلك بمحال ولو أصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال * لو صح منك الهوى أرشدت للحيل * فهذا شئ لم يعجز عنه السلف الصالحين ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه أيضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق فى استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها فان قلت قد قربت الامر فيه مع انك أكثرت فى ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور فاعلم أنه ينجو منه بثلاثة أمور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة أمور لا بد منها * اما العقل فاعنى به الفطرة الغريزية والنور الاصلى الذى به يدرك الانسان حقائق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه فى أصل الفطرة فهذا ان لم يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الله الذى قسم العقل بين عباده أشتاتا ان الرجلين ليستوى عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان فى العقل كالذرة

فى الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا أراد أن يستنزل الطير المحلق) أى المرتفع (فى جوّ السماء مع بعده منه استنزله) بحيلة منه (واذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه) بحيلة منه (واذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الجبال استخرجه) بحيلة منه (واذا أراد أن يقتنص الوحوش المطلقة فى البرارى والصحارى اقتنصها) بحيلة منه (واذا أراد أن يستسخر السباع) الضارية (والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها) بحيلة منه (واذا أراد أن يأخذ الافاعى والحيات ويعبث بها أخذها واستخرج الترياق من أجوافها) كل ذلك بحيلة منه (واذا أراد أن يتخذ الديباج الملوّن المنقش من ورق التوت) والفرصاد (اتخذه) فان دود القز انما يتربى بورق التوت ولهم فى تربيته صناعات دقيقة (واذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها) وكيف سيرها وقطعها الفلك (استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الارض) لم يتحرك (وكل ذلك باستنباط الحيل) اللطيفة (واعداد الآلات) المتنوعة الموصلة الى ذلك (فسخر الفرس للركوب) بالارتياض (والكلب للصيد) وللحراسة (وسخر البازى لاقتناص الطيور وهيأ الشبكة لاصطياد السمك الى غير ذلك من دقائق حيل الآدمى كل ذلك لان همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه) فقط وهو تسويته وتعديله وتنظيفه عن الخواطر الرديئة حتى يكون مهبطا لانوار الله تعالى (فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذى يقدر عليه) جهلا منه وعنادا (وليس ذلك بمحال لو أصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما قال * لو صح منك الهوى أرشدت للحيل *) أى فتى استقام القلب تنبه لمداخل الغرور فلا يبقى منه شئ الا وقد وفق لقمعه (فهذا شئ لم يعجز عنه السلف الصالحون) من الصحابة الكرام (ومن اتبعهم باحسان) وسلك على سوى نهجهم (فلا يعجز عنه أيضا من صدقت ارادته) فى سلوك طريق الحق (وقويت همته) بعد ان أجمعت (بل لا يحتاج الى عشر) معشار (تعب الخلق فى استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها) وتلفيق أجزائها (فان قلت قد قربت الامر فيه بعد ان أكثرت فى ذكر مداخل الغرور) وآفاتها (فبم) وفى نسخة فتى (ينجو العبد من الغرور فاعلم انه ينجو) منه (بثلاثة أمور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة أمور لا بد منها اما العقل فاعنى به الفطرة الغريزية) التى فطر عليها الانسان (والنور الاصلى الذى به يدرك الانسان حقائق الاشياء) على ما هى عليها (فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ من الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه فى أصل الفطرة فهذا ان لم يفطر عليه الانسان) من الاصل (فاكتسابه غير ممكن) امكانا عاديا (نعم اذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة) والمزاولة (فاساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الله الذى قسم العقل بين عباده أشتاتا ان الرجلين ليستوى عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان فى العقل كالذرة)

في جنب أحد وما قسم الله لخلقه حظا هو أفضل من العقل واليقين وعن أبي الدرداء أنه قيل يا رسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ولا يعلم منزلته عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يجزى على قدر عقله وقال أنس أثني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله

نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فإن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم وقال أبو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فإذا قالوا حسن قال أرجوه وإن قالوا غير ذلك قال لن يبلغ وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالذكاء وصحة غريزة العقل نعمة من الله تعالى في أصل الفطرة فإن فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها الثاني المعرفة وأعني بالمعرفة أن يعرف أربعة أمور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم وأجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وإنما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط فلا يتصور أن يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليستعن على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر إذ فيها إشارات الى وصف النفس والى وصف جلال الله تعالى ويحصل به التنبه على الجملة وكمال المعرفة وراءه فإن هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب إلا في علوم المعاملة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليها بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليتبين له أن لا نسبة للدنيا الى الآخرة فإذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصير أهم أموره ما يوصله الى الله

وهي تتراءى في ضوء الشمس من الكوة (في جنب أحد) الجبل المشهور (وما قسم الله لخلقه حظا هو أفضل من العقل واليقين) قال العراقي رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من رواية طاوس مرسلا وفي أوله قصة وإسناده ضعيف ورواه بنحوه من حديث أبي حميد وهو ضعيف أيضا اهـ قلت حديث أبي حميد لفظه إن الرجل لينطلق الى المسجد فيصلي وصلاته لا تعدل جناح بعوضة وإن الرجل ليأتي المسجد فيصلي وصلاته تعدل جبل أحد إذا كان أحسنهما عقلا قيل وكيف يكون أحسنهما عقلا قال أورعهما عن محارم الله وأسرعهما على أسباب الخير وإن كان دونه في العمل والتطوع (وعن أبي الدرداء) رضي الله عنه (أنه قيل يا رسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ما يعلم منزلته عند الله تعالى يوم القيامة فقال صلى الله عليه وسلم إنما يجزى على قدر عقله) قال العراقي رواه الخطيب في التاريخ وفي رواية مالك من حديث ابن عمر وضعفه ولم أره من حديث أبي الدرداء اهـ قلت وهو كذلك لكن لفظه إن الرجل يصوم ويصلي ويحج ويعتمر فإذا كان يوم القيامة أعطي بقدر عقله هكذا رواه الخطيب في كتابيه وأبو الشيخ في كتاب الثواب (وقال أنس) رضي الله عنه (أثني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فإن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم) رواه داود بن المحبر في كتاب العقل وهو ضعيف وقد تقدم في كتاب العلم (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فإذا قالوا حسن قال أرجوه وإن قالوا غير ذلك قال لن يبلغ قال وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون) قال العراقي رواه الحكيم في النوادر وابن عدي ومن طريقهما البيهقي في الشعب وضعفه (فالذكاء وصحة غريزة العقل نعمة من الله تعالى) في أصل الفطرة (فإن فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها الثاني المعرفة وأعني به أن يعرف أربعة أمور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل) والافتقار ويعرف ربه بالسيادة والعظمة والاقتدار (و) يعرف نفسه أيضا (بكونه غريبا في هذا العالم) مسافرا منه الى دار الآخرة (وأجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وإنما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط ولا يتصور أن يعرف هذا ما لم يعرف نفسه و) ما (لم يعرف ربه فليستعن على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر إذ فيها إشارات) ورموز (الى وصف النفس والى وصف جلال الله تعالى) وعظمته (ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة وراءه فإن هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب إلا في علوم المعاملة) وأما علوم المكاشفة فإنما نشير إليها بنتف من العبارات على حسب اقتضاء المقام (وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليهما بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذم الموت ليتبين له أن لا نسبة للدنيا الى الآخرة فإذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الدنيا وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير أهم أموره ما يوصله الى الله

تعالى و ينفعه في الآخرة وإذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان أكل مثلا أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور ومنشؤه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية ومادامت الدنيا أحب اليه من الآخرة وهوى نفسه أحب اليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله و بنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم أعني العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه من الله ومايبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب احياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها ومن ربع العادات أسرار المعايش وماهو مضطر اليه فيأخذه بأدب الشرع وماهو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فان المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم و يعلم طريق علاجه و يعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لابد وأن توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الانواع التي أشرنا اليها من الغرور وأصل ذلك كله أن يغلب حب الله على القلب و يسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه فأقول يخاف عليه أن يخدعه الشيطان و يدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ماعرفه من دين الله فان المريد المخلص اذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع المكدرات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الاهم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين و يدعوه الى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء الى الله فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب وأشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم و يبين لهم ضلالهم و يرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها

تعالى و ينفعه في الآخرة فاذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان أكل مثلا أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منها الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور ومنشؤه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال) والتطلع اليها (فان ذلك هو المفسد للنية ومادامت الدنيا أحب اليه من الآخرة وهوى نفسه أحب اليه من رضا الله فلا يمكنه الخلاص من الغرور) أصلا (فاذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله و بنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم أعني العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق الى الله تعالى والعلم بما يقربه من الله و بما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب احياء علوم الدين فيعلم من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها ومن ربع العادات أسرار المعايش وماهو مضطر اليه فيأخذه بأدب الشرع وماهو مستغن عنه فيعرض عنه) ويتركه (ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله) وهي الصفات التي كالعقبات (فان المانع من الله) هي (الصفات المذمومة في الخلق) وهي التي تصد عن الله (فيعلم المذموم) منها (و يعرف طريق علاجها و يعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لابد وان توضع خلفا عن) الصفات (المذمومة بعد محوها) وازالة أثرها (فاذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الانواع التي أشرنا اليها من الغرور وأصل ذلك كله أن يغلب حب الله على القلب و يسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه فأقول يخاف عليه أن يخدعه الشيطان و يدعوه الى نصح الخلق) بالوعظ والتذكير (ونشر العلم) بالافادة والتدريس (ودعوة الناس الى ماعرفه من دين الله فان المريد المخلص اذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب) بالاذكار السرية (حتى صفاه من جميع المكدرات واستوى على الصراط المستقيم) الذي لاعوج فيه ولا ميل الى حدي الافراط والتفريط (وصغرت الدنيا) مع ضخامتها (في عينيه فتركها) لحقارتها (وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الاهم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه) واضلاله (اذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه) اذ هو قد تركها واستحقرها (و يأتيه من جهة الدين و يدعوه الى الرحمة على خلق الله والشفقة عليهم وعلى دينهم بالنصح لهم والدعاء الى الله فينظر العبد) حينئذ (برحمته) وعاطفته (على العبيد فيراهم حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صما) آذانهم (عميا) عيونهم (قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب وأشرفوا على العطب) أي الهلاك (فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم و يبين لهم ضلالهم و يرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها

من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان به داء عظيم لا يطاق ألمه وكان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة فى تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء أنينهم فتذكر أن دواءهم هو الذى يعرفه ويقدر على شفائهم بأسهل ما يكون وفى أرجى زمان فأخذته

الرحمة والرأفة ولم يجد فسحة من نفسه فى التراخى عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى الى الطريق وشفى من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل داؤهم وقرب هلاكهم واشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم فى الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا أخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب فى قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع فى الزى والهيئة فأقبل الناس اليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ رأوه شافيا لادوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب اليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم فآثروه بابدانهم وأموالهم وصاروا له خولا كالعبيد والخدم يخدمونه ويقدمونه فى المحافل ويحكمونه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها من لذة أصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة فكان وكذلك قد ترك الدنيا فوقع فى أعظم لذاتها فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله فى كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وأمارة انتشار الطبع وركون النفس الى الشيطان انه لو أخطأ فرد عليه بين يدى الخلق غضب فاذا أنكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان تخييل اليه أن ذلك غضب لله لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع فى الغرور فربما أخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع فى الغيبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع ووقع فى الكبر الذى هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد ان كان يحذر من طوارق الخطرات

من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة) وثقل (وكان مثله كرجل كان به داء عظيم لا يطاق ألمه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا) بسهولة (من غير تعب) ولا مشقة (ولا ثمن) يدفع فى عوضه (ولا مرارة فى تناوله فاستعمله فبرئ) فى الحال (وصح) من مرضه (فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ) أى سكن (بالنهار بعد شدة القلق) والانزعاج (وطاب عيشه بعد نهاية الكدر وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال) لذلك (سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء أنينهم فتذكر أن دواءهم هو الذى يعرفه ويقدر على شفائهم بأسهل ما يكون وفى أدنى زمان) أى أسرعه (فاخذته الرحمة والرقة) وفى نسخة الرأفة (ولم يجد فسحة من نفسه فى التراخى عن الاشتغال بعلاجهم) الى معالجتهم (فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق وشفى من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل داؤهم) أى صعب حتى أيس من دوائه (وقرب هلاكهم واشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم فى الاشتغال بنصحهم) ووعظهم (وحرضه الشيطان على ذلك) بتحسينه اياه (رجاء أن يجد مجالا للفتنة) أى سبيلا لايقاعها (فكلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا أخفى من دبيب النمل) على الصخرة الصماء (لا يشعر به المريد) لخفائه (فلم يزل ذلك الدبيب فى قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق) وذلك (بتحسين الالفاظ) فى وعظه (والنغمات) المعجبة (والحركات) الموزونة (والتصنع فى الزى والهيآت فاقبل الناس اليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ رأوه شافيا لادوائهم) أى أمراضهم (بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع) فى عوض (فصار أحب اليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم فآثروه بابدانهم وأموالهم وصاروا له خولا) أى أتباعا (كالخدم والعبيد) والاجراء (يخدمونه وقدموه فى المحافل) أى المجالس الحافلة (وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها من لذة) لا توصف (وأصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة وكان) من قبل (قد ترك الدنيا) ولذاتها (فوقع فى أعظم لذاتها وعند ذلك وجد الشيطان غرضه) ومكنه (وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله فى كل ما يحفظ عليه تلك اللذة) ويصونها (وامارة انتشار الطبع وركون النفس الى الدنيا) وفى نسخة الى الشيطان (انه لو أخطأ) مثلا فى القائه (فرد عليه بين يدى الخلق غضب) على الراد (فاذا أنكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان تخيل اليه ان ذلك غضب لله) تعالى (لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع) بهذا التخييل (فى الغرور) ان اطمأنت نفسه اليه (فربما) اذا تمكن منه (أخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه) فى المجلس (فوقع فى الغيبة المحظورة) شرعا (بعد تركه للحلال المتسع ووقع) أيضا (فى الكبر الذى هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد ان كان يحذر من طوارق الخطرات) ان تطرق قلبه

وكذلك اذا سبقه الضحك أوفتر عن بعض الاوراد جزعت النفس أن يطلع عليه فيسقط قبوله فاتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في الاعمال والاوراد لاجل ذلك والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركهم وانما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لاتجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه بل ربما يحب ذلك و يستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من اخوانه قد وقعوا في بئر وتغطى رأس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقي من البئر بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق عليه فجاءه من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لامحالة اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من أعانه أو كفاه ذلك لم يثقل عليه أرأيت لو اهتدوا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغي أنه يثقل ذلك عليه ان كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان الى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت فتى يصح له أن يشتغل بنصح الناس فأقول اذا لم يكن له قصد الا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه أو لو اهتدوا بأنفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر اليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث انه لا يتكبر عليهم و يرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاتمة وأما الى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية انما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فما لم يرسائر الناس كالماشية التي لا يلتفت الى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج يضيء لغيره و يحترق في نفسه فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا عند نيل هذه الدرجة خلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب

(وكذلك اذا سبقه الضحك) في المجلس (أوفتر عن بعض الاوراد) الذي كان وظفه على نفسه (جزعت النفس ان يطلعوا عليه فيسقط قبوله) عندهم (فاتبع ذلك باستغفار وتنفس الصعداء) كانه يتحسر على مافاته أو صدر منه (وربما زاد في الاعمال والاوراد لاجلهم) ليريهم جده واجتهاده (والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن) سلوك (طريق الله فيتركون الطريق بتركه وانما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوات الرياسة) والحشمة (ولذلك لاتجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه) ونظرائه (بل ربما يحب ذلك و يستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا ان النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم لذلك اذ مثاله ان يرى الرجل جماعة من اخوانه قد وقعوا في بئر وغطى رأس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقي) أي الصعود (من البئر بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق عليه) رفعه (فجاءه من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه) رفعه (أو كفاه ذلك ونحاه بنفسه) من غير مساعدة أحد (فيعظم بذلك فرحه لامحالة اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض الناصح) الذكي (خلاص اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من أعانه أو كفاه ذلك لم يثقل عليه) باطنا وظاهرا (أرأيت لو اهتدوا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغي ان لا يثقل عليه ذلك ان كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان الى) ارتكاب (جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح) وسوّل له وأملى له (وأهلكه) وهو لا يشعر (فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستوا) أي الاستقامة (فان قلت فتى يصح له ان يشتغل بنصح الناس فاقول اذا لم يكن له قصد الا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه عليه أو لو اهتدوا بانفسهم) من غير مرشد (وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يحمده) ويحبه (ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن به حمد الله تعالى و ينظر اليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث انه لا يتكبر عليهم) ولا يرى لنفسه فضلا عليهم بل (يرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاتمة وأما الى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع) في لبسه وهيئته (بل راعي الماشية انما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فما لم يرسائر الناس كالماشية التي لا يلتفت الى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج الذي يضيء لغيره و يحترق في نفسه) وقد روى الطبراني من حديث أبي برزة الاسلمي مثل الذي يعلم الناس الخير و ينسى نفسه مثل الفتيلة تضيء للناس وتحرق نفسها وقد تقدم في كتاب العلم (فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا عند نيل هذه الدرجة خلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب) لان عمارتها بسماع النصح والناصح بالوصف

فاقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ولولم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعاش وهلكت القلوب والابدان جميعا الا انه صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الا كثرين لا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك ثقة بالشهوات المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله تعالى ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب

الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصي بقول الله تعالى ورسوله ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد وأشخاص ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فانما يخشى ان تنسد طريق الاتعاظ فاما ان تخرس ألسنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا فان قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح أو نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الاخطار وحبائل الاغترار فاعلم انه بقي عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أعجزتني وأفلت مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما أصبرك وما أعظم عند الله قدرك ومحلك اذ قواك على قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل غروري فيصغي اليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن ادم اذا ظننت أنك بعلمك تخلصت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي فان قلت فلو لم يعجب بنفسه اذ علم أن ذلك من الله تعالى لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان الا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن أقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الامر العظيم

المذكور نادر الوجود (فاقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة) رواه الديلمي في الفردوس من حديث علي وتبعه ولده ولم يذكره سندا ورواه البيهقي في الحادي والسبعين من الشعب من مرسل الحسن البصري واسناده حسن ويروى من قول عيسى عليه السلام كما في الحلية ومن قول مالك بن دينار كما عند ابن أبي الدنيا ومن قول سعد بن مسعود التجيبي كما عند ابن يونس في تاريخ مصر ومن قول جندب البجلي كما جزم به ابن تيمية وقد تقدم كل ذلك في كتاب ذم الدنيا (ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش) واضمحلت الاسباب (وهلكت القلوب والابدان جميعا الا انه صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الا كثرين لا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم) لها (فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر) العظيم (ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك ثقة بالشهوات المهلكة التي سلطها الله تعالى على عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي ممن ركن الى الشهوات ووثق بها ولم يرفع رأسه الى اتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم (فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة) والجاه (ولا يدعونها) أي لا يتركونها (بقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والربا والظلم وسائر المعاصي بقول الله وقول رسوله) صلى الله عليه وسلم (ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس) غير ملتفت اليهم (فان الله يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص) كما قال الله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض و) كما جاء في الخبر (ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم) وقد تقدم الكلام عليه (فانما يخشى ان يفسد طريق الاتعاظ) أي قبول الوعظ (فاما ان تخرس السنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا فان قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح) والمخالطة (أو نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الاخطار) أي الامور الخطرة (وحبائل الاغترار) وشبكاته (فاعلم انه بقي عليه أعظمه وهو ان الشيطان يقول له قد أعجزتني) وغلبت علي (وأفلت مني بذكائك وكمال عقلك) وقوة يقينك (وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء) فامكنت منهم (وما قدرت عليك فما أصبرك) أي أقواك صبرا (وما أعظم عند الله قدرك ومحلك اذ قواك على قهري ومكنك من التفطن) والتنبه (لجميع مداخل غروري فيصغي اليه) باذن قلبه (ويصدقه) فيما زخرفه (ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب أعظم من كل ذنب) كما تقدم بيانه في شرح كتاب ذم العجب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم اذا ظننت انك بعلمك تخلصت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي أخرجه أبو نعيم في الحلية (فان قلت فلو لم يعجب بنفسه اذ علم ان ذلك من الله تعالى لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان الا بتوفيق الله و) حسن (معونته ومن حيث ضعف نفسه وعجز عن أقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الامر العظيم

عـلم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذى يخاف عليه بعد نفى العجب فاقول يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة فى المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره ومن أمن مكر الله فهو خاسر جـدا بل سبيله أن يكون مشاهدا جلة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسـه أن يكون قد سدت عليه صفة من صـفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات الى عز وهو غافل عنـه و يكون خائفا أن يسلب حاله فى كل طرفـة عين غـير آمن من مكر الله ولا غافـل عن خطر الخاتمة وهـذا خطر لا تحيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشـيطان لبعض الاولياء فى وقت النزع وكان قد بقى له نفس فقال أفلت منى يا فلان فقال لا بعـد ولذلك قيـل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهـم هلكى الا العاملون والعامـلون هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذا المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب أولياء الله أبدا فنسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الخاتمـة فان الامـور بخواتيمها تم كتاب ذم الغرور وبه تم ربع المهلكات ويتلوه فى أول ربع المنجيات كتاب التوبة والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

علم انه لم يقو عليه بنفسـه بل بالله تعالى فما الذى يخاف عليـه بعد نفى العجب) وهو آخر مداخل الغرور (فاقول يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة) أى الطريقة (فى المستقبل) كما هو فى الحـال الراهن (ولا يخاف من الفترة) والوقفة (والانقلاب) من حال الى حال (فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن أمن من مكر الله فهو خاسر جدا) بنص الآية فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون (بل سبيله أن يكون مشاهدا جلة ذلك من فضـل الله) ومنته عليه (ثم) يكون (خائفا على نفسه أن يكون قد سدت عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات الى عز) فى غير ذلك (وهو غافل عنه و يكون) أيضا (خائفا ان يسلب حاله فى كل تطريفة) وفى نسخة فى كل طريقة وفى أخرى فى كل طرفة عين (غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة) وسوء المنقلب (وهذا) أى خطر الخاتمة (خطر لا تحيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط) الذى على متن جهـنم (ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الاولياء فى وقت النزع وكان قد بقى له نفس فقال له) الشيطان (أفلت منى يا فلان) أى خلصت منى (فقال) الولى عنـد ذلك (لا بعد) أى مادام النفس موجودا لا أتخلص من شرك روى ذلك عن الامام أحمد فاحب ما الى الشـيطان أن يسلب المؤمن ايمـانه عنـد النزع (ولذلك قيل الناس كلهم هلـكى) أى هالكون محجوبون بظلمات جهلهم المورث فيه للهلاك (الا العالمون) فهم رفعوا تلك الحجب بنور معرفتهم بالله تعـالى (والعالمون كلهم هلـكى) اذهم محجوبون بحجب النور فيظنون انهم قد كشف عنهم الحجاب فاغتر وا فكان سبب هلاكهم (الا العاملون والعاملون كلهم هلـكى الا المخلصون) الذين أخلصوا لله فى سائر أحوالهـم (والمخلصون على خطر عظيم) وقد روى هذا القول عن أبى محمد سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله تعـالى أخرجه الخطيب فى اقتضاء العلم العمل قال أخبرنا الحسن بن محمد بن محمد الخلال حدثنا محمد بن عبد الله الشيبانى قال سمعت عبد الكريم بن كامل يقول سمعت سهل بن عبد الله التسترى يقول الناس كلهم سكارى الا العلماء والعلماء كلهم حيارى الا من عمل بعلمه وأخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن فضالة الحافظ أخبرنا أبو محمد الغطريفى حدثنا بكر بن أحمد بن سعدويه قال قال سهل بن عبد الله الدنيا جهل وموات الا العلم والعـلم كله حجة الا العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص والاخلاص على خطر عظيم حتى يختم به (فاذا المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب أولياء الله أبدا فنسأل الله العون والتوفيق وحسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها والسلام) والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبه تم شرح كتاب ذم الغرور وبه تم ربع المهلكات يتلوه ربع المنجيات قال المؤلف رحمـه الله تعالى وكان الفراغ من تسويده فى الثالثة من يوم الاثنين ثانى عشر جمادى الاولى سنة ١٢٠٠ وكتب أبو الفيض محمد مرتضى الحسينى غفر الله له بمنه حامدا لله ومصليا ومسلما

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)

الحمد لله الذى قبل توبة عباده وعفا عن السيئات * وأعلى مقام من خوالبه بالانابة فى أعلى الدرجات وأفاض أنواع احسانه على المخلصين ووفقهم للاعمـال الصالحات * أحمده حمدا يشرق اشراق النجوم فى الدجنات * واستغفره مما سلف من الذنوب فى الايام الخاليات * وأتوب اليه من كل معصية ومخالفة وخطرات * وأشهد أن لا اله الا الله وحـده لا شريك له شهادة تدفع محجوب الشكوك والشبهات وتضىء نجوم هدايتها فى أوج العنايات * وتزهر سرج يقينها من مشكاة الاصابات وأشـهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله الذى ابتعثه والناس يضربون فى الغمرات * ويموجون

فى حوة الظلمات * قدقادتهم أزمة الجبن واستغلقت على أفئدتهم أقفال الدين فاراهم بواهر الآيات وقارعهم باوضح النيرات * وقادهم الى أبواب الجنات * صلى الله عليه وعلى آله الائمة الهداة وصحبه الاجلة الاثبات * صلاة تستنزل من سحائبه غيوب الرحمات * وتحل صاحبها من الرضوان أعلى الدرجات * وسلم تسليما كثيرا (أمابعد) فهذا شرح * (كتاب التوبة) * ولواحقها الفرار والانابة والاخبات * وهوأوّل الربع الرابع الموسوم بالمنجيات من كتاب الاحياء للامام الهمام قدوة الانام حجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى * سقى الله عهده صوب الغفران المتوالى قد وفقنى الله جلت نعماؤه وتقدست اسماؤه الى فتح باب الارشاد * للسالكين فى مسارح رياضه ومنح عدة الاسعاد * للواردين بحسن ذوقهم على موارد حياضه * لم آل جهدا فى سلوك شعابه * ورياضة صعابه * وتحرير ألفاظه ومعانيه * وتبيين ماأشكل لمعانيه * متحفالهم بابرازمافيه من جلائل الفوائد ومجريا لهم على ماألفوه من جميل العوائد * موضحا أدلة براهينه * منقحا مقاصده من قضايا قوانينه على وجه يرتضيه أهل الارادة * ويغتبطه من وقف نفسه على الاخلاص فى العبادة * باذلا فى ذلك جهد الاستطاعة * معترفا بقلة البضاعة * مستعينا بالله فى تيسير كل عسير مستوثقا بفيضه انه على كل شئ قدير لااله غيره ولارب سواه ولاخير الاخيره قال رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) المستعان به فى أمر الدنيا والاخرى (الحمد لله الذى بتحميده يستفتح كل كتاب) الكتاب فى الاصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيه والتحميد كثرة الحمد والاستفتاح الابتداء أى كل صحيفة مهيأة للكتابة فيها فالكاتب انما يبتدئ فيها أول كل شئ بحمد الله تعالى وثنائه وتمجيده بما اثنى به على نفسه على لسان أنبيائه ورسله (وبذكره يصدر كل خطاب) الذكر أعم من الحمد والتصدير الابتداء والخطاب القول الذى يفهم المخاطب به شيأ أى مامن كلام يتحاوره المخاطبان الاوذكر الله يكون فى صدره أى أوّله وصدر كل شئ أعلاه وصدر المجلس المرتفع منه وصدره تصديرا رفعه للصدر وتصدر ارتفع (وبحمده يتنعم أهل النعيم) أى النعمة الكثيرة والتنعم تناول مافيه نعمة وطيب عيش (فى دار الثواب) أى الجنة يشير بذلك الى قوله تعالى حكاية عن أهل الجنة وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور (وباسمه يتسلى الاشقياء) وهم المنافقون المحجوبون بنور ممزوج بالظلمة والتسلى تفعل من السلو قال أبو زيد هو طيب نفس الالف على الفه (وان أرخى دونهم الحجاب) وهو كل ماستر المطلوب أومنع من الوصول اليه وقيل للستر حجاب لمنعه المشاهدة (وضرب بينهم وبين السعداء) وهم المؤمنون الموسعة صدورهم لقبول نور الايمان (بسور) أى بحائط (له باب) يدخل فيه المؤمنون (باطنه) أى باطن السور أوالباب (فيه الرحمة) لانه يلى الجنة (وظاهره من قبله العذاب) أى من جهته لانه يلى النار يشير بذلك الى قوله تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم أى انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف أوانظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيؤن بنورهم بين أيديهم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها وهوتهكم بهم وتخييب من المؤمنين أومن الملائكة فضرب بينهم بسور الآية (ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب) أى سيد السادات ومالك الملوك (ومسبب الاسباب) جمع سبب وهو كل مايتوصل به الى غيره وقد سببه اياها وسببه له اذا أمكنه منهما (ونرجوه رجاء من يعلم انه الملك) المستغنى فى ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاج اليه كل موجود (الرحيم) وهو مفيض الخير على المحتاجين تماما وعموما (الغفور) اى تام الغفران وكامله حتى يبلغ اقصى درجات المغفرة (التواب) وهو الذى يرجع الى تيسر اسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرى بما يظهر لهم من اياته ويسوق اليهم من تنبيهاته ويطلعهم عليه من تخويفاته وتحذيراته حتى اذا اطلعوا بتعريفه على غوائل الذنوب

* (كتاب التوبة وهو الاوّل من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى بتحميده يستفتح كل كتاب * وبذكره يصدّر كل خطاب * وبحمده يتنعم أهل النعيم فى دار الثواب * وباسمه يتسلى الاشقياء وان أرخى دونهم الحجاب * وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب ومسبب الاسباب * ونرجوه رجاء من يعلم انه الملك الرحيم الغفور التوّاب

وتمزج الخوف برجائنا مزج من لا يرتاب * انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب * ونصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب * وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب أما بعد فان التوبة عن الذنوب بالرجوع الى ستار العيوب علام الغيوب * مبدأ طريق السالكين * ورأس مال الفائزين وأوّل اقدام المريدين * ومفتاح استقامة المائلين * ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ولابينا آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الانبياء أجمعين * وما أجدر بالاولاد الاقتداء بالآباء والاجداد فلاغرو ان أذنب الآدمى واجترم * فهى شنشنة يعرفها من أخزم * ومن أشبه أباه فما ظلم * ولكن الاب اذا جبر بعدما كسر وعمر بعد ان هدم * فليكن النزع اليه فى كل طرفى النفى والاثبات والوجود والعدم * ولقد قرع آدم سن الندم * وتندم على ماسبق منه وتقدم * فمن اتخذه قدوة فى الذنب دون التوبة قد زلت به القدم بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين * والتجرد للشر دون التلافى سجية الشياطين * والرجوع الى الخير بعد الوقوع فى الشر ضرورة الآدميين فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان * والمتجرد للشر شيطان * والمتلافى للشر بالرجوع الى الخير بالحقيقة انسان

استشعروا الخوف بتخويفه فرجعوا الى التوبة فرجع اليهم فضل الله تعالى بالقبول (وتمزج الخوف برجائنا مزج من لا يرتاب) أى لا يشك (انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب) مصدر كالتوبة وقيل جمعها (شديد العقاب) اى مشدده او الشديد عقابه وتوسط الواو بين الاوّلين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد أو تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لاذنب له (ونصلى) ونسلم (على) سيدنا ومولانا (محمد و) على (آله وصحبه) الاكرمين (الائمة الانجاب) وسقط ذلك من بعض النسخ (صلاة تنقذنا) اى تخلصنا (من هول) اى مخافة (المطلع) هو مفتعل اسم مفعول موضع الاطلاع من المكان المرتفع الى المنخفض وهو المطلع من ذلك شبه مايشرف عليه من امور الآخرة (يوم العرض) على الله (للحساب) بذلك (وتمهد لنا) أى تهيئ وتبسط (عند الله زلفى) وهو اسم المصدر بمعنى القربة والمنزلة (وحسن مآب) اى مرجع (أما بعد فان التوبة من الذنوب بالرجوع الى ساتر العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق السالكين) الى الله (وراس مال الفائزين) بوصال الله (واوّل اقدام المريدين) فى سلوك طريق الله (ومفتاح استقامة المائلين) فى زخارف الاشتباه بل هى اصل كل مقام وقوامه ومفتاح كل حال وهى اوّل المقامات وهى بمثابة الارض للبناء فمن لا أرض له لابناء له ومن لاتوبة له لاحال له ولا مقام (و) هى (مطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين) فى حضرة الربوبية (ولابينا آدم) صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين (أجمعين وما اجدر) أى اليق (بالاولاد الاقتداء بالآباء والاجداد فلاغرو) أى لاعجب (ان أذنب الآدمى واجترم) أى اكتسب الاثم (فهى شنشنة) بكسر الشينين المعجمتين وسكون النون الاولى وفتح الثانية وهى الطبيعة والعادة (يعرفها من أخزم ومن شابه أباه فما ظلم) أى ماتعدى وهذا المثل لابى أخزم رؤبة بن ربيعة بن حرول بن ثقل بن عمرو الطائى الجد السادس لحاتم المشهور مات ابنه أخزم وكان عاقا لابيه وترك بنين منهم مرة وعدى وعبد شمس فوثبوا يوما على جدهم فى مكان واحد فادموه فقال

ان بنى زملونى بالدم * من يلق آساد الرجال يكلم

ومن يكن ذا دأبه يقدم * بشنشنة يعرفها من أخزم

أى أنهم أشبهوا أباهم فى الطبيعة والعادة هكذا ذكره ابن الكلبى وتبعه الجوهرى ونقل أبو عبيدة فيه نشنشة بتقديم النونين على الشينين وهو من الامثال السائرة المشهورة أوسعت الكلام فيه فى شرحى على القاموس فراجعه (ولكن الاب اذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد ان هرم) أى أعطى عمرا ثانيا بعد ان ضعفت قواه (فليكن النزوع اليه) أى اتباعه (فى كلا طرفى النفى والاثبات والوجود والعدم ولقد قرع آدم عليه السلام سن الندم) وهو أيضا من الامثال المشهورة يقال قرع فلان سنه اذا أحرقه ندما وانشد أبو نصر النابغة الذبيانى

ولو انى أطعتك فى أمور * قرعت ندامة من ذاك سنى

وقال تأبط شرا

لتقرعن على السن من ندم * اذا تذكرت يوما بعض أخلاقى

(وتندم على ماسبق منه) من المخالفة (وتقدم فمن اتخذه قدوة فى الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم) أى اضطربت ولم يثبت (بل التجرد لمحض الخير داب الملائكة المقربين والتجرد للشر دون التلافى) أى التدارك (سجية الشياطين) أى طبيعتهم وعادتهم التى جبلوا عليها (والرجوع الى الخير بعد الوقوع فى الشر ضرورة الآدميين فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان والمتجرد للشر شيطان والمتلافى للشر بالرجوع الى الخير بالحقيقة انسان) فالموجودات منقسمة الى حية وميتة ودرجات الاحياء ثلاث درجات درجة الملائكة ودرجة الانس والجن ودرجة البهائم فالملك درجته أعلى الدرجات لانه عبارة عن موجود لا يؤثر القرب والبعد فى ادراكه بل لا يقتصر على ادراكه على مايتصور فيه القرب

فقد ازدوج فى طينة الانسان شائبتان * واصطحب فيه سجيتان * وكل عبد مصحح نسبه اما الى الملك أو الى آدم أو الى الشيطان * فالتائب قد أقام البرهان * على صحة نسبه الى آدم * بملازمة حد الانسان * والمصر على الطغيان * مسجل على نفسه بسبب الشيطان * فاما تصحيح النسب بالتجرد لمحض الخير الى الملائكة فخارج عن حيز الامكان * فان الشر معجون مع الخير فى طينة آدم كالا يخلصه الاحدى النارين نار الندم أو نار جهنم فالاحراق بالنار ضرورى فى تخليص جوهر الانسان من خبائث الشيطان واليك الآن اختيار اهون النارين والمبادرة الى أخف الشرين قبل أن يطوى بساط الاختيار * ويساق الى دار الاضطرار * اما الى الجنة * واما الى النار * واذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها فى صدر ربع المنجيات بشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والادوية الميسرة لها ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان (الركن الاول) فى نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وانها واجبة على الفور وعلى جميع الاشخاص وفى جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت مقبولة (الركن الثانى) فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها الى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الاسباب التى بها تعظم الصغائر (الركن الثالث) فى بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان أقسام التائبين فى دوام التوبة (الركن الرابع) فى السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج فى حل

عقدة

والبعد اذ القرب والبعد يتصور على الاجسام والاجسام أخس أقسام الموجودات ثم هو مقدس عن الشهوة والغضب فليست أفعاله بمقتضى الشهوة والغضب بل داعية الى طلب القرب الى الله وأما الانسان (فقد أدرج فى طينة الانسان شائبتان واصطحب فيه سجيتان) فان درجته متوسطة بين الدرجتين فكأنه مركب من بهيمية وملكية والاغلب عليه فى بداية أمره البهيمية اذ ليس له املاء عن الادراك الا الحواس التى يحتاج فى الادراك بها الى طلب القرب من المحسوس بالسعى والحركة الى أن يشرق عليه بالآخرة نور العقل المتصرف فى ملك السموات والارض من غير حاجة الى حركة بالبدن وطلب قرب مماسته مع المدرك له بل مدركه الامور المقدسة من قبول القرب والبعد بالمكان وكذلك المستولى عليه أولا شهوته وغضبه وبحسب مقتضاهما انبعاثه الى أن تظهر فيه الرغبة فى طلب الكمال والنظر للعاقبة وعصيان مقتضى الشهوة والغضب (وكل عبد مصحح نسبه اما الى الملك أو الى آدم أو الى الشيطان فالتائب قد أقام البرهان على صحة نسبه الى آدم عليه السلام بملازمة حد الانسان) الذى هو الرجوع الى الخير بعد الوقوع فى الشر (والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان) أى قاض به يقال سجل القاضى تسجيلا اذا قضى وحكم وأثبت حكمه فى السجل وهو كتاب القاضى والجمع سجلات (فاما تصحيح النسب بالتجرد لمحض الخير الى الملائكة فخارج عن حيز الامكان فان الشر معجون مع الخير فى طينة آدم عليه السلام عجنا محكما لا تخلصه الا احدى النارين نار الندم) فى الدنيا (أو نار جهنم) فى الآخرة (فالاحراق بالنار ضرورى) أى معلوم بالضرورة (فى تخليص جوهر الانسان من خبائث الشيطان) وهى مقتضى الشهوات النفسية (واليك الآن اختيار أهون النارين والمبادرة الى أخف الشرين قبل أن يطوى بساط الاختيار) وذلك عند حلول الموت (ويساق الى دار الاضطرار اما الى الجنة واما الى النار) فان أذاب تلك الخبائث بنار الندم ومضى مقتضى الشهوة والغضب وأناب الى ربه وملك بنفسه أخذ بذلك شبها من الملائكة وكذلك ان نظم نفسه من الجود والخيالات والمحسوسات وأنس بالادراك أخذ شبها آخر من الملائكة فان خاصية الحياة الادراك والعقل والبهيمة ما يتطرق النقصان والتوسط والكمال ومهما اقتدى بالملائكة فى هاتين الخاصيتين فقد صح نسبه اليهم وصار قريبا بهم والملك قريب من الله والقريب من القريب قريب وعلى هذا التفصيل قالوا ان التوبة مخصوصة بنوع الانسان لتركيبه من طرفى مشابهة الملائكة والبهائم ومن نظر الى هذا قال حقيقة التوبة ترجع الى الرجوع من الشر الشرعى الى الخير الشرعى ومن الطريق المبعدة الى الطريق المقربة كما سيأتى بيانه (واذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها فى صدر ربع المنجيات بشرح حقيقتها) وحدها (وشروطها) الملازمة لها (وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والادوية الميسرة لها ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان الركن الاول فى نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وانها واجبة على الفور وعلى جميع الاشخاص وفى جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت مقبولة * الركن الثانى فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها الى صغائر وكبائر وما يتعلق) منها (بالعباد وما يتعلق) منها (بحق الله تعالى وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الاسباب التى بها تعظم الصغائر * الركن الثالث فى بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان أقسام التائبين فى دوام التوبة * الركن الرابع فى) بيان (السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج فى حل

عقدة الاصرار من المذنبين و يتم المقصود بهذه الاركان الاربعة ان شاء الله تعالى)

(الركن الاول في نفس التوبة) وفيه فصول أربعة أول فصل في بيان حقيقة التوبة وحدها)
ولنقدم قبل الخوض في كلام المصنف بيان ان التوبة من جملة المقامات والفرق بين المقام والحال واختلاف أقوالهم فيه وكيفية ترتيب المقامات قال الشيخ أبو طالب المكي في القوت الفصل الثاني والثلاثون فيه كتاب شرح مقامات اليقين التسعة وأحوال المتقين أصل مقامات اليقين التي ترد اليها فروع أحوال المتقين تسعة أولها التوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والزهد والتوكل والرضا والمحبة وهذه مجملة للمخصوص وهي محبة المحبوب اهـ وقال صاحب العوارف في ذكر المقامات على الترتيب هكذا التوبة الورع الزهد الصبر الفقر الشكر الخوف الرجاء التوكل الرضا فزاد فيها الورع وفي ترتيب الاحوال هكذا المحبة لله تعالى الانس به القرب الحياء الاتصال القبض والبسط الفناء والبقاء فهي تسعة وجعل صاحب القوت المحبة لله من مكملات المقامات وسيأتي الكلام في محله ان شاء الله تعالى وأما الحال والمقام والفرق بينهما فقال صاحب العوارف ما حاصله كثر الاشتباه بينهما واختلفت اشارة الشيوخ في ذلك ووجود الاشتباه لمكان تشابههما في أنفسهما وتداخلهما فتراءى للبعض الشئ حالا وتراءى للبعض مقاما وكلا الروايتين صحيح لوجود تداخلهما ولابد من ذكر ضابط يفرق بينهما على ان اللفظ والعبارة مشعر بالفرق فالحال سمي حالا لتحوله والمقام مقاما لثبوته واستقراره وقد يكون الشئ بعينه حالا ثم يصير مقاما وقد تداولت السنة الشيوخ ان المقامات مكاسب والاحوال مواهب وان شئت قلت كلها مواهب اذ المكاسب محفوفة بالموهبة والمواهب محفوفة بالكسب فالاحوال مواسد والمقامات طرق المواجيد ولكن المقامات ظهر الكسب و بطنه الموهبة وفي الاحوال بطن الكسب وظهره الموهبة فالاحوال مواهب علوية وسماوية والمقامات طرقها وقال بعض مشايخ العراق الحال ما من الله فكل ما كان من طريق الاكتساب والاعمال يقولون هذا ما من العبد فاذا لاح للمريد شئ من المواهب والمواجيد قالوا هذا ما من الله تعالى وسموه حالا اشارة منهم الى أن الحال موهبة وقال بعض مشايخ خراسان الاحوال مواريث الاعمال وقال بعضهم الاحوال كالبرق فان بقي فحديث النفس وهذا لا يكاد يستقيم على الاطلاق وانما يكون ذلك في بعض الاحوال فانها تطرق ثم تسلبها النفس فاما على الاطلاق مثلا والاحوال لا تمتزج بالنفس كالدهن لا يمتزج بالماء وذهب بعضهم الى أن الاحوال لا تكون الا اذا دامت فاذا لم تدم فهي لوائح وطوالع و بوادر وهي مقدمات الاحوال وليست باحوال
(فصل) وهل يجوز له أن ينتقل الى مقام غير مقامه الذي هو فيه دون أن يحكم حكم مقامه اختلفوا فيه فقال بعضهم لا ينبغي أن ينتقل الى غير الذي هو فيه دون أن يحكم حكم مقامه وقال بعضهم لا يكمل له الذي هو فيه الا بعد ترقيه الى مقام فوقه فينظر من مقامه العالي الى ما دونه من المقام فيحكم أمر مقامه والاولى أن نقول والله أعلم ان الشخص يعطى حالا من مقامه الاعلى الذي سوف يرتقي اليه فيوجد أن ذلك الحال يستقيم أمر مقامه الذي هو فيه و يتصرف الحق فيه كذلك ولا يضاف الشئ الى العبد ان يرتقي أولا يرتقي فان العبد بالاحوال يرتقي الى المقامات والاحوال مواهب ترقي الى المقامات التي تمتزج منها الكسب بالموهبة ولا يلوح للعبد حال من مقام أعلى مما هو فيه الا وقد قرب ترقيه اليه فلا يزال العبد يرقى الى المقامات بزائد الاحوال فعلى ما ذكرنا يتضح تداخل المقامات والاحوال حتى التوبة ولا تعرف الا مقاما فيها حال ومقام وفي التوكل حال ومقام وفي الرضا حال ومقام والمحبة حال ومقام
(فصل) وأما كيفية ترتيب المقامات على وجه الاجمال اعلم ان المقامات والاحوال وثمراتها بجميعها ثلاثة أشياء بعد صحة الايمان وعقوده وشروطه فصارت مع الايمان أربعة وهي في افادة الولادة المعنوية الحقيقية بمثابة الطبائع الاربع التي جعلها الله باجراء سنته مفيدة للولادة الطبيعية ومن تحقق

عقدة الاصرار من المذنبين و يتم المقصود بهذه الاركان الاربعة ان شاء الله عز وجل (الركن الاول) في نفس التوبة
(بيان حقيقة التوبة وحدها)

بحقائق هذه الاربع يلج ملكوت السموات ويكاشف بالقدر والآيات ويصير له ذوق وفهم لكلمات الله المنزلات ويحظى بجميع الاحوال والمقامات فكلها من هذه الاربع ظهرت وبها تهيأت وتأكدت احدى الثلاث بعد الايمان التوبة النصوح والثاني الزهد في الدنيا والثالث تحقيق العبودية بدوام العمل له ظاهرا وباطنا من غير فتور ولا قصور ثم يستعان على هذه الاربعة باربعة أخرى بها تمامها وقوامها وهي قلة الكلام وقلة المنام وقلة الطعام والاعتزال عن الناس فالتوبة في مبدأ صحتها تفتقر الى أحوال واذا صحت تشتمل على مقامات وأحوال فالاحوال التي تتقدم التوبة في استقامتها الى المحاسبة في الظاهر والمراقبة في الباطن والرعاية والاخيران حالان شريفان ويصيران مقامين بصحة مقام التوبة على الكمال بهما فصارت المحاسبة والمراقبة والرعاية من ضرورة مقام التوبة واذا صدق العبد في توبته صار منيبا وهو ثاني درجة التوبة ورؤية عيوب الافعال من ضرورة صحة الانابة وهو تحقيق مقام التوبة ولا تستقيم التوبة الا بصدق المجاهدة ولا يصدق العبد في المجاهدة الا بالصبر وحقيقته كائن في التوبة ككينونة المراقبة فيها والصبر على الخمول والتواضع والذل داخل في الزهد وان لم يكن داخلا في التوبة وكل ما في التوبة من المقامات والاحوال يوجد في الزهد وهو ثالث الاربعة ثم ان النفس بالمحاسبة والمراقبة تصفو وتنطفئ نيرانها المتنافخة بمتابعة الهوى وتبلغ بطمأنينتها محل الرضا ومقامه والرضا ثمرة التوبة النصوح وما تخلف عبد عن الرضا الا بتخلفه عن التوبة النصوح حال الصبر ومقام الصبر وحال الرضا ومقام الرضا والخوف والرجاء مقامان كائنان في صلب التوبة النصوح لان خوفه حمله على التوبة ولولا خوفه ما تاب ولولا رجاؤه ماخاف ويعتدلان للتائب المستقيم في التوبة ثم ان التائب حيث قيد الجوارح عن المكاره واستعان بنعم الله على طاعته فقد شكر المنعم فاذا جمعت التوبة هذه المقامات والاحوال انجلت مرآة القلب وبان قبح الدنيا فيها فيحصل الزهد والزاهد يتحقق فيه التوكل لانه لا يزهد في الموجود الا لاعتماده على الموعود والسكون الى وعد الله هو عين التوكل وكل ما بقي على العبد من بقية في تحقق المقامات كلها بعد توبته يستدركه بزهده في الدنيا وهو ثالث الاربعة واذا صح زهد العبد صح توكله أيضا لان صدق توكله مكنه من الزهد في الوجود فمن استقام في التوبة وزهد في الدنيا وحقق هذين المقامين استوفى سائر المقامات وتحقق بها فاذا تاب توبة نصوحا ثم زهد في الدنيا حتى لا يهتم لامر غد ولا يدخر جمع في هذا الزهد والفقر والزهد أفضل من الفقر وهو فقر وزيادة لان الفقير عادم للشئ اضطرارا والزاهد تارك للشئ اختيارا وزهده يحقق توكله وتوكله يحقق رضاه ورضاه يحقق الصبر والصبر يحقق حبس النفس وصدق المجاهدة وحبس النفس لله يحقق خوفه وخوفه يحقق رجاءه ويحظى بالتوبة والزهد بكل المقامات وهما اذا اجتمعا مع صحة الايمان وعقوده وشروطه يعوز هذه الثلاثة رابع به تمامها وهو دوام العمل لان الاحوال السنية ينكشف بعضها بهذه الثلاثة ويصير بعضها متوقفا على وجود الرابع وهو دوام العمل لله لا يشغله عنه الا واجب شرعي أو وهم لابد منه طبعي فاذا كان مع الزهد والتقوى متمسكا بدوام العمل فقد أكمل الفضل وما آلى جهدا في العبودية ومنه يصل الى مقام الفناء والبقاء وهو مقام عزيز ولنعد الى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى (اعلم ان التوبة) مقام من جملة مقامات اليقين التسعة وهي (عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتبة علم وحال وفعل) والمراد بالفعل العمل لكن العمل أخص اذ الفعل ما ظهر عن داعية من الموقع كان عن علم أو غير علم لتدين كان أو غيره والعمل كل فعل من الحيوان بقصد فهو أخص من الفعل لان الفعل قد ينسب الى الحيوان الذي يقع منه فعل بغير قصد وقد ينسب الى الجماد والعمل قد لا ينسب الى ذلك ولذلك قيل لو قال وعمل كان أنسب * ولنقدم قبل الخوض فيه مقدمة تتنزل منزلة التوطئة وتمهيد الكل ماتستقبله من مقام وحال فاعلم ان جملة ما تكلم الناس فيه من المقامات والاحوال كلها هي من الايمان بالله ولله قال الله

اعلم ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتبة علم وحال وفعل

تعالى فليستجيبوا الى وليؤمنوا بى والايمان بالله ولله عقود كثيرة لانهاية لها لان كل ماورد من أسماء الله تعالى سواء دل على عين الذات الاقدس أو على صفة من صفاتها أو على سلب نقص وعيب عنها أو على اثبات جلال وكمال لها فهو من عقود الايمان بالله وكل ماجاءنا عن الله من أمر أو نهى أو خبر ماض أو مستقبل أو حال فهو من الايمان لله تعالى وسيأتى فى كل مقام بيان كل ماهو من الايمان بالله أو لله فى موضعه ان شاء الله تعالى فاذا علمت ان عقود الايمان لاحصر لها كان النفى والايجاب لانهاية لهما والاوامر والنواهى كذلك لان من جملتها النفى والايجاب علمت ان كل عقد من عقود الايمان أصل ولذلك الاصل فرع وللفرع ثمرة ولذلك شبه الله تعالى الايمان بالشجرة قال الله تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها فعرفنا ان لها أصلا ثابتا فى القلوب بما أمد ساقه من النظر والاعتبار وعرفنا ان لها فروعا تنشأ منها هى مواجيد القلوب وأحوال لها بسبب ماجبلها عليه من محبة سعادتها وكمالها وعرفنا بقوله تؤتى أكلها كل حين ان لها ثمارا هى أعمالنا الناشئة عن أحوال قلوبنا وبها نجاتنا وكمالنا وقوله باذن ربها لانه خالقها ومالكها وفيه دليل الرد على من يقول بالتولد وفيه دليل على ان لا يصدر منا فعل من أفعالنا الا وهو موجود بقدرته على ماقدرته مشيئته * ولما علم المصنف رحمه الله تعالى ذلك قال ماقال مشيرا الى ان كل مقام ينتظم من علم وحال وفعل (فالعلم أوّل) لانه هو الاصل الذى هو عقد من عقود الايمان بالله أو لله (والحال ثانى) وهو ما ينشأ عنه من المواجيد (والفعل ثالث) وهو ماتنشئه المواجيد على القلوب والجوارح من الاعمال (فالاول موجب للثانى والثانى موجب للثالث ايجابا اقتضاه اطراد سنة الله تعالى فى) عالمى (الملك والملكوت) ومصداق ذلك فى قوله تعالى وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وقوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون وهذه الآية جامعة لجامع أركان التوبة للمتأمل فاذا فهمت هذه المقدمة لم يعسر عليك استنتاج الاحوال من العلوم واستفتاح الاعمال من الاحوال (أما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة حقيقية) مؤيدة (بيقين غالب على قلبه) فاذا استغرقه (ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب فان القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم) لامحالة (فان كان فواته بفعله) الموجب لذلك (تاسف على الفعل المفوّت) لمحبوبه (فيسمى تألمه بسبب فعله المفوّت لمحبوبه ندما) وقد اختلف فى حده فقال الراغب هو التحسر من تغير رأى فى أمر فائت وقال أبو البقاء هو ان يلوم نفسه على تفريط وقع منه وقال غيره هو غم يصحب الانسان يتمنى ان ماوقع منه لم يقع وكل هذه المعانى متقارب (فاذا غلب هذا الندم على القلب واستولى انبعث من هذا الندم فى القلب حالة أخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له متعلق بالحال والماضى والاستقبال أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذى كان ملابسا له) ومصاحبا به وهو واجب شرعا (وأما) تعلقه (بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوّت للمحبوب الى آخر العمر) فلا يعود فيه ولا فى مثله وهذا أيضا واجب شرعا (وأما) تعلقه (بالماضى فبتلافى) أى تدارك (مافات) وفرط من أمره وهل تتوقف صحة التوبة على هذا أم لا فيه خلاف أما من منع فقال العلم والندم يرادان لهذا وهذا هو الغاية المقصودة وأما من أجاز الصحة فيكتفى بالعلم والندم والعزم والترك فى الحال والصحيح ان فيه تفصيلا قد أشار المصنف له (بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر) أى ان المعاصى المرجوع عنها اما ان تكون قاصرة الضرر على المذنب أو متعدية الى غيره فالقاصرة منها مايقبل القضاء كالصلاة والصيام والزكاة والحج ومنها مالا يقبل القضاء كمس المصحف على غير وضوء واللبث فى المسجد على غير طهارة وشرب الخمر والقاء المال فى البحر وانفاقه فى المعصية وما أشبه ذلك مما لا يقبل القضاء فيكفى فيه الندم والترك والعزم على ان لا يعود والذى يقبل القضاء فتصح أيضا توبته ولكن يجب عليه قضاء مافات لان التوبة عبادة الوقت لوجوبها على

فالعلم الاول والحال الثانى والفعل الثالث والاول موجب للثانى والثانى موجب للثالث ايجابا اقتضاه اطراد سنة الله فى الملك والملكوت *(أما العلم)* فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب فان القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم فان كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوّت فيسمى تألمه بسبب فعله المفوّت لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى انبعث من هذا الالم فى القلب حالة أخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال وبالماضى وبالاستقبال أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذى كان ملابسا واما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوّت للمحبوب الى آخر العمر واما بالماضى فبتلافى مافات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر

الفور وقد قام بها والقضاء لا وقت له معين والذمة مشغولة به وهذا الحكم في المعاصي المتعدي ضررها الى الغير وسيأتي الكلام عليها قريبا وقد علم مما تقدم ان واجبات التوبة وأركانها أربعة علم وندم وترك (فالعلم هو الاول وهو مطالع هذه الخيرات وأعني بهذا العلم) عقد (الايمان) لله (واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب) والمعاصي (سموم مهلكة) في الآخرة (واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق) وترسخه في القلب (وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب) لكن مع هذا التصديق لابد من تصديق ان الله جبل نفوسنا على محبة السعادة فاذا احضرت في قلبك محبتك للسعادة واحضرت في قلبك أيضا معرفتك بضرر الذنوب وانها حائلة بينك وبين مقصودك وادمت الفكر في هاتين المعرفتين من غير مانع من الشكوك ولا شاغل مذهل نتج عنهما حال يسمى الندم كما أشار اليه المصنف بقوله (فيثمر نور هذا الايمان مهما أشرق على القلب) واستولى عليه (نار الندم) فاعجب من نور يثمر نارا وانما قال النار الندم ولم يقل الندم لانه تأسف واحتراق وهذا الندم واجب لانه المقصود من المعرفتين المتقدمتين وهو وسيلة لترك الذنوب وقدر الواجب منه ما يحث على الترك لان الوسيلة اذا لم تؤد الى مقصودها فلا فائدة فيها وهذا الندم يوجب الترك باقسامه الثلاثة المذكورة في سياق المصنف قريبا (فيتألم به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه) محالا بينه وبينه (كمن يشرق عليه نور الشمس) باضاءتها وانبساطها على وجه الارض (وقد كان) قبل (في ظلمة) وحيرة (فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب) أي انكشافها (أوانحسار حجاب) من الحجب الظواهر (فيرى محبوبه) ويجد مطلوبه (وقد أشرق) الرائي (على الهلاك) من فقده محبوبه (فتشتعل نيران الحب في قلبه فتنبعث بتلك النيران ارادته للانتهاض للتدارك) لما فات (فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مرتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها) وهو أركانها وواجباتها (وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك الذي يوجبه الندم كالثمرة والتابع المتأخر وبهذا الاعتبار قال النبي صلى الله عليه وسلم الندم توبة اذلا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه) والمراد أن الندم لما كان معظم أركانها خصه بالذكر تنويها لشأنه لا ان الندم وحده كاف فيها فهو اذا من قبيل الحج عرفة قاله القشيري في الرسالة (فيكون الندم محفوظا بطرفيه أعني ثمرته) وهي العزم (ومثمره) وهو العلم ووجه تخصيصه بالذكر لانه شئ يتعلق بالقلب والجوارح تبع له فاذا تحقق الندم في القلب انقطع عن المعاصي فرجعت برجوعه الجوارح ووجهه المصنف في موضع آخر فقال انما نص على أن الندم توبة ولم يذكر جميع شروطها ومقدماتها لان الندم غير مقدور للعبد فانه قد يندم على أمر وهو يريد أن لا يكون والتوبة مقدورة له مأمور بها فعلم أن في الخبر معنى لا يفهم من ظاهره وهو أن الندم لتعظيم الله وخوف عقابه مما يبعث على التوبة النصوح فاذا ذكر مقدمات التوبة الثلاث يندم ويحمله الندم على ترك اختيار الذنب وتبقى ندامته بقلبه في المستقبل فتحمله على الابتهال والتضرع ويجزم بعدم العود وبذلك تتم شروط التوبة الاربعة فلما كان الندم من أسباب التوبة سماه باسمها والحديث المذكور قال العراقي رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين اهـ قلت رواه ابن ماجه من طريق عبد الكريم الجزري عن زياد بن أبي مريم عن ابن معقل قال دخلت مع أبي على ابن مسعود فسمعته يقول أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الندم توبة قال نعم ومن هذا الوجه أخرجه الطيالسي في مسنده ولكن قال عن زياد وليس بابن أبي مريم وقال عن عبد الله بن مغفل ولفظه دخلت مع أبي وأنا الى جنبه على عبد الله بن مغفل فقال له أبي أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الندم توبة وأخرجه الطبراني في الكبير وآخرون وفي مسنده اختلاف كثير كذا قاله السخاوي وأخرجه أحمد والبخاري في التاريخ والحكيم والبيهقي وأبو نعيم وأما

فالعلم هو الاول وهو مطالع هذه الخيرات واعني بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الايمان مهما أشرق على القلب نار الندم فيتألم بها القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب أوانحسار حجاب فرأى محبوبه وقد أشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبعث تلك النيران بارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مرتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر وبهذا الاعتبار قال عليه السلام الندم توبة اذلا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوظا بطرفيه أعني ثمرته ومثمره

حـديث أنس فقد رواه أيضا الدارقطني في الافراد والبيهقي في السنن والضياء وقال الحافظ في الفتح وهو حديث حسن وقال العامري في شرح الشهاب صحيح ورواه الطبراني في الكبير أيضا وأبو نعيم في الحلية من طريق ابن أبي سعيد الانصاري عن أبيه به مرفوعا بزيادة والتائب من الذنب كمن لاذنب له وسنده ضعيف وفي الباب ابن عباس وابن عمر وجابر وأبو هريرة ووائل بن حجر وغيرهم فحديث ابن عباس أشار اليه السخاوي وحديث ابن عمر رواه تمام والخطيب في رواة مالك وابن عساكر وحديث جابر رواه الشيرازي في الالقاب وحديث أبي هريرة رواه ابن عساكر وحديث وائل بن حجر رواه الطبراني في الكبير (وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ فان هذا تعرض لمجرد الالم) والحشا داخل البطن وذوبانه بتأثير ألم فيه عن الزلات السابقة (ولذلك قيل

هو نار في القلب تلتهب * وصدع في الكبد لا ينشعب)

أي شق لا ينجبر ولا يلتئم (وباعتبار معنى الترك) الذي هو ثمرة التوبة (قيل في حد التوبة انه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء) والمراد بخلع لباس الجفاء أن لا يعود الى ما يبعده عن حضرة الله وبنشر لباس الوفاء بأن يستقيم عليه فلا يخطر بباله الجفاء حتى يذكره قال القشيري في الرسالة أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي قال سمعت أبا عبد الله بن مفلح بالاهواز يقول سمعت ثمر بن زيري يقول سمعت الجنيد يقول دخلت على السري يوما فرأيته متغيرا فقلت له ما بالك فقال دخل علي شاب فسألني عن التوبة فقلت له أن لا تنسى ذنبك فعارضني وقال بل التوبة أن تنسى ذنبك فقلت ان الامر عندي على ما قال الشاب فقال لم قلت لاني اذا كنت في حال الجفاء فنقلني الى حال الوفاء فذكر الجفاء في حال الصفاء وفاء فسكت وسيأتي الكلام على هذا (وقال) أبو محمد (سهل بن عبد الله التستري) رحمه الله تعالى أول ما يؤمر به المبتدئ المريد (التوبة) وهو (تبديل) ولفظ القوت تحويل (الحركات المذمومة بالحركات المحمودة) ولفظ القوت الى الحركات المحمودة (ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت وأكل الحلال) ولفظ القوت ويلزم نفسه الخلوة والصمت ولا تصح له التوبة الا بأكل الحلال ولا يقدر على الحلال حتى يؤدي حق الله تعالى في الخلق وحق الله تعالى في نفسه ولا يصح هذا حتى يتبرأ عن كل حركة وسكون الا بالله وحتى لا يأمن الاستدراج بأعمال الصالحين هذا تمام قول سهل (وكأنه) رحمه الله تعالى (أشار الى المعنى الثالث من التوبة) ومن نظر الى أن الانسان متركب من طرفي مشابهة الملائكة والبهائم فميله الى صفة البهائم يبعد عن ربه وبميله الى صفة الملائكة يقرب من ربه وطباع البهائم شر كله وطباع الملائكة خير كله قال ان حقيقة التوبة ترجع الى الرجوع من الشر الشرعي الى الخير الشرعي ومن الطريق المبعدة الى الطريق المقربة وهذا الحد أعم من قولنا هي الرجوع من المعصية الى الطاعة لان الحد الاول يدخل فيه الوجوب والاستحباب قال الله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وتوبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجوعه من حسن الى أحسن منه ومن قرب الى ما هو أقرب منه وأسنى (والاقاويل في حدود التوبة لا تنحصر) وقد ذكر بعضها في القوت وبعضها وأجمعها وأشدها على ما قال صاحب المفهم انها اختيار ترك ذنب سبق حقيقة أو تقديرا لاجل الله تعالى (واذ) قد (فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت أن جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الامور أهم من طلب الالفاظ المجردة) التي لا تحيط بالمعاني كلها والله الموفق

(فصل في بيان وجوب التوبة وفضلها)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان وجوب التوبة ظاهر بالآيات والاخبار وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الايمان صدره حتى اقتدر على ان يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل) وشبهاته (مستغنيا عن قائد يقوده في كل خطوة فالسالك اما أعمى لا يستغني عن القائد في خطوه) فهو عاجز عن السلوك فلا قائد (واما بصير يهدى) أي يرشد الى أول الطريق (ثم) بعد ذلك (يهتدي

وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ فان هذا يعرض لمجرد الالم ولذلك قيل هو نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة انه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء * وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت وأكل الحلال وكأنه أشار الى المعنى الثالث من التوبة والاقاويل في حدود التوبة لا تنحصر واذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت ان جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الامور أهم من طلب الالفاظ المجردة *(بيان وجوب التوبة وفضلها)* اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالاخبار والآيات وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الايمان صدره حتى اقتدر على أن يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده في كل خطوة فالسالك اما أعمى لا يستغني عن القائد في خطوه واما بصير يهدى الى أول الطريق ثم يهتدي

بنفسه وكذلك الناس فى طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام فن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد فى خطو فيفتقر الى أن يسمع فى كل قدم نصا من كتاب الله أو سنة رسوله وربما يعوزه ذلك فيتحير فسيره هذا وان طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة ومن سعيد شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بادنى اشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة ويشرق فى قلبه نور القرآن ونور الايمان وهو لشدة نور باطنه يجتزئ بادنى بيان فكأنه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء وهذا لا يحتاج الى نص منقول فى كل واقعة فمن هذا حاله اذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولا بنور البصيرة الى التوبة ماهى ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك فى ثبوته لها وذلك بان يعلم بان معنى الواجب ماهو واجب فى الوصول الى سعادة الابد والنجاة من هلاك الابد فانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشئ وتركه لم يكن بوصفه لكونه واجبا معنى وقول القائل صار واجبا بالايجاب حديث محض فان مالا غرض لنا آجلا وعاجلا فى فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به أوجبه علينا غيرنا أو لم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وانه الوسيلة الى سعادة الابد وعلم أن لا سعادة فى دار البقاء الا فى لقاء الله تعالى وان كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهى محترق بنار الفراق ونار الجحيم وعلم انه لا مبعد عن لقاء الله الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفانى والاكباب على حب مالابد من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلبا للانس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التى هى اعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين أعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله تعالى فلا يشك فى أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول الى القرب وانما يتم الانصراف بالعلم

والندم

بنفسه) فى سلوكه ويكفيه أول الهداية (وكذلك الناس فى) سلوك (طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام فن قاصر) فى سلوكه (لا يقدر على مجاوزة التقليد) للغير (فى خطوة فيفتقر الى أن يسمع فى كل قدم) يرفعه أو يضعه (نصا من كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما يعوزه ذلك) ويعسر عليه دركه (فيتحير) فى سيره (فسيره هذا وان طال عمره وعظم جده) أى حظه (مختصر وخطاه قاصرة ومن سعيد) موفق (شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه يتنبه بادنى اشارة لسلوك طريق مغوصة) بالغين المعجمة وفى نسخة باهمالها أى صعبة (وقطع عقبات) أى ثنيات (متعبة) فى طلوعها والنزول عنها (فيشرق فى قلبه نور القرآن ونور الايمان فهو لشدة نور باطنه يجتزى) أى يكتفى (بادنى كمال فكأنه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار واذا مسته نار فهو نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء) فان الروح المفكرة منقسمة الى ما يحتاج الى تعليم وتنبيه ومدد من خارج حتى يستمر فى أنوار المعارف وبعضها يكون فى شدة الصفاء كانه يتنبه عن نفسه بغير مدد من خارج فبالحرى أن يكون نورا على نور (وهذا لا يحتاج الى نص منقول فى كل واقعة فمن كان هذا حاله اذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولا بنور البصيرة الى التوبة ماهى ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك فى ثبوته لها وذلك بان يعلم أن معنى الواجب ماهو واجب فى الوصول الى سعادة الابد) وهى الفوز بلقاء الله (والنجاة من هلاك الابد) وهو البعد عن حضرة الله (وانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشئ وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى) يعقل (وقول القائل صار) الانس (واجبا بالايجاب حديث محض) مجرد عن الفائدة (فان مالا غرض لنا عاجلا ولا آجلا فى فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به أوجبه علينا غيرنا أو لم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وانه الوسيلة الى سعادة الابد علم انه لا سعادة فى دار البقاء الا فى لقاء الله تعالى و) علم (ان كل محجوب عنه) بحجاب ظلمة محض أو ظلمة ممزوجة بنور (يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهى) قيل هو التوبة وقيل الزيادة فى العمل وقيل حسن الخاتمة وبكل فسر قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون (محترق بنور الفراق ونار جهنم) وفى نسخة نار الجحيم (وعلم) أيضا (انه لا مبعد من لقاء الله تعالى الا اتباع الشهوات) والعمل بمقتضاها (والانس بهذا العالم الفانى والاكباب على حب من لابد) وفى نسخة مالابد (من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله تعالى الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم) أى زينته (والاقبال على الله تعالى طلبا للانس به) وذلك يكون (بدوام ذكره) بأى نوع كان فلا يرى الا مشتغلا اما مصليا واما صائما واما تاليا واما طالبا للعلم وغير ذلك وكل ما يعين على الذكر فهو ذكر ودوام العمل من جملة مقامات التوبة كما سبقت الاشارة اليه فى المقدمة (و) يكون الاقبال على الله طلبا (للمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته) وهو أيضا من أحوال التوبة (وعلم) أيضا (ان الذنوب التى هى اعراض عن الله عز وجل واتباع لمحاب الشياطين أعداء الله المبعدين عن حضرته) وفى بعض النسخ لمحاب الشيطان عدو الله المبعد عن حضرته (سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله) تعالى (فلا يشك فى ان الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول الى القرب وانما يتم الانصراف) بثلاثة أمور مرتبة (بالعلم

والندم والعزم فانه مالم يعلم أن الذنوب أسباب البعد من المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه فى طريق البعد ومالم يتوجع بقلبه فلا يرجع) عما هو ملابس له (ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك ان المعانى الثلاثة) بترتيبها (ضرورية فى الوصول الى المحبوب وكذا يكون الايمان الحاصل من نور البصيرة واما من لم يترشح لمثل هذا المقام) المحمود (المرتفع ذروته) أى أعلاه (عن) درك (حدود أكثر الخلق) من المترسمين (ففى التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك) الابدى (فليلاحظ فيه قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى) فى كتابه العزيز فى البيان الاول من خطاب العموم (وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا أمر على العموم) ومعناه ارجعوا اليه من هوى أنفسكم ومن وقوفكم مع شهواتكم عسى أن تظفروا ببغيتكم فى المعاد وكى تبقوا ببقاء الله فى نعيم لا زوال له ولا نفاد ولكى تفوزوا وتسعدوا بدخول الجنة وتنجوا من النار وهذا هو الفلاح ففرض فى هذه الآية التوبة ووعد عليها اعظم المثوبة كذا فى القوت وفى البصائر لصاحب القاموس هذه الآية فى سورة مدنية خاطب الله بها أهل الايمان وخيار خلقه أن يتوبوا اليه بعد ايمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم ثم علق الفلاح بالتوبة تعلق المسبب بسببه وأتى باداة لعل المشعرة بالترجى ايذانا بانكم اذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح فلا يرجو الفلاح الا التائبون (وقال تعالى) فى البيان الثانى من مخاطبة الخصوص (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الآية) وتمامها عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار أى بالغة فى النصح وهى صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازى مبالغة أو من النصاحة بالكسر وهى الخياطة لانها تنصح ماخرق الذنب وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر تقديره ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا نصوحا لانفسكم قال صاحب البصائر يقال ان التوبة من طريق المعنى على ثلاثة أنواع ومن طريق اللفظ وسبيل اللطف على ثلاث وثلاثين درجة ثم قال وأما درجات اللطف فى الاولى ان الله أمر الخلق بالتوبة وأشار بايها التى تليق بحال المؤمن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون الثانية لا تكون التوبة مثمرة حتى يتم أمرها توبوا الى الله توبة نصوحا (ومعنى النصوح الخالص لله خاليا عن الشوائب مأخوذ من النصح) بضم فسكون فعول للمبالغة فى النصح وهو الخلوص ومنه قولهم نصح العسل اذا صفاه كما تقدم وفى القوت وقيل اشتقاقه من النصاح بالكسر وهو الخيط والمعنى حينئذ أى مجردة لا تتعلق بشئ ولا يتعلق بها شئ وهو الاستقامة على الطاعة من غير روغان الى معصية كما تروغ الثعالب وأن لا يحدث نفسه بعود الى ذنب متى قدر عليه وان يترك الدنيا لاجل الله خالصة لوجهه كما ارتكبه لاجل هواه مجمعا عليه بقلبه فتى لقى الله تعالى بقلب سليم من الهوى وعمل مستقيم على السنة فقد ختم الله له بحسن الخاتمة فحينئذ أدركته الحسنى السابقة وهذا هو التوبة النصوح وهذا العبد التواب المتطهر الحبيب وسئل الحسن عن التوبة النصوح فقال هى ندم بالقلب واستغفار باللسان وتزكية الجوارح واضمار أن لا يعود وروى ابن أبى حاتم وابن مردويه من حديث أبى بن كعب التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لا تعود اليه أبدا قال القرطبى فى تفسير التوبة النصوح ثلاثة وعشرون قولا (ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وهو اخبار بمن سبقت له من الله الحسنى ووصف لمن قصده بخطابه العام والخاص وهذه احدى درجات اللطف كأنه يقول اذ تبت بتوبتى عليك وتوفيقى لك جازيتك بالمحبة وفى عطف الجملة الثانية على الاولى اشارة الى أن التوبة مطهرة عن الذنوب ولذا قرنهما فى سياق ولهذا قيل التوبة قصار المذنبين وغسال المجرمين وقائد المحسنين وعطاء المريدين وأنيس المشتاقين وسائق الى رب العالمين (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى ربكم فانى أتوب الى الله فى اليوم مائة مرة) قال العراقى رواه مسلم من حديث الاغر المزنى ولابن ماجه من حديث جابر يا أيها الناس توبوا الى ربكم قبل أن تموتوا الحديث وسنده ضعيف

والندم والعزم فانه مالم يعلم ان الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه فى طريق البعد ومالم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك فى أن المعانى الثلاثة ضرورية فى الوصول الى المحبوب وهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة وأما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود أكثر الخلق ففى التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا أمر على العموم وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الآية ومعنى النصوح الخالص لله تعالى خاليا عن الشوائب مأخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين

اه قلت حديث الاغر لفظه عند مسلم يا أيها الناس توبوا الى ربكم فوالله انى لاتوب الى الله فى اليوم مائة مرة وهكذا رواه الطيالسى وأحمد وعبد بن حميد وأبو عوانة والطحاوى وابن حبان وابن قانع والباوردى والبغوى كلهم عن الاغر وهو ابن يسار المزنى ويقال الجهنى له صحبة ورواه ابن مردويه من حديث أبى هريرة ويروى يا أيها الناس استغفروا الله وتوبوا اليه فانى أستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أو فى كل يوم مائة مرة أو أكثر من مائة مرة هكذا رواه ابن أبى شيبة وأحمد والطبرانى وابن مردويه عن أبى بردة عن رجل من المهاجرين ورواه الحكيم عن أبى بردة عن الاغر وأما حديث جابر فطويل رواه أيضا البيهقى وضعفه وفيه بعد قوله توبوا وبادروا بالاعمال الصالحة قبل أن تشتغلوا الخ بطوله وعند الطبرانى من حديث أبى أمامة يا أيها الناس أنيبوا الى ربكم ان ماقل وكفى خير مما كثر والهى الحديث وفى القوت ولا يكون العبد تائبا حتى يكون مصلحا ولا يكون مصلحا حتى يعمل الصالحات ثم يدخل فى الصالحين وقد قال تعالى وهو يتولى الصالحين وهذا وصف التواب وهو المتحقق بالتوبة الحبيب لله تعالى كما قال سبحانه يحب التوابين أى يتولى قبول الراجعين اليه من هواهم ويحب المتطهرين من المكاره وكما (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله) وسئل سهل التسترى رحمه الله متى يكون التائب حبيب الله فقال اذا كان كما قال سبحانه التائبون العابدون الآية كلها ثم قال الحبيب لا يدخل الا فى شئ يحب الحبيب والحديث قال العراقى لم أجده بهذا اللفظ وروى ابن أبى الدنيا فى التوبة وأبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أنس بسند ضعيف ان الله يحب الشاب التائب ولعبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وأبى يعلى بسند ضعيف من حديث على ان الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب اه قلت وروى القشيرى من طريق ابن عاتكة طريف بن سليمان عن أنس رفعه ما أى شئ أحب الى الله من شاب تائب وعاتكة ضعيف (و) قال صلى الله عليه وسلم (التائب من الذنب) توبة مخلصة صحيحة (كمن لا ذنب له) فان العبد اذا استقام ضعفت نفسه وانكسر هواه وساوى الذى قبله من لا صبوة له قال الطيبى هذا من الحاق الناقص بالكامل مبالغة كما تقول زيد كالاسد ولا يكون المشرك التائب معادلا بالنبى المعصوم والحديث قال العراقى رواه ابن ماجه من حديث ابن مسعود اه قلت وكذا الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب كلهم من طريق أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه مرفوعا به قال المنذرى رواة الطبرانى رواة الصحيح لكن أبو عبيدة لم يسمع عن أبيه وقال السخاوى رجاله ثقات بل حسنه شيخنا يعنى لشواهده والا فأبو عبيدة جزم غير واحد بانه لم يسمع عن أبيه اه ورواه الحكيم فى النوادر والطبرانى وأبو نعيم من حديث ابن أبى سعيد عن أبيه مرفوعا بهذا بزيادة فى أوله الندم والتائب من الذنب الخ وقد تقدم قال فى الميزان قال أبو حاتم حديث ضعيف وابن أبى سعيد مجهول رواه عنه يحيى بن أبى خالد وهو مجهول أيضا ومن شواهد هذا الحديث ما رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى والبيهقى والديلمى من حديث ابن عباس التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه ومن آذى مسلما كان عليه من الذنوب مثل منابت النخل قال الذهبى اسناده مظلم وقال الحافظ فى الفتح الراجح ان قوله والمستغفر الخ موقوف وأخرجه البيهقى كذلك من حديث أبى عنبسة الخولانى والا فسنده أيضا ضعيف ومنها ما قال القشيرى فى الرسالة حدثنا أبو فورك أخبرنا أحمد بن محمود بن خرزاد حدثنا محمد بن الفضل بن جابر حدثنا سعيد بن عبد الله حدثنا أحمد بن زكريا حدثنا أبى قال سمعت ابن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب ثم تلا ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قيل يا رسول الله ما علامات التوبة قال الندامة وقد رواه الديلمى وابن النجار الى قوله لم يضره ذنب ورواه ابن أبى الدنيا من قول الشعبى بجملة الترجمة ثم تلا ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين (وقال صلى الله عليه وسلم لله) اللام لام الابتداء واسم الجلالة مبتدأ وخبره (أشد) أى أكثر (فرحا) تمييز أى رضا ومنه

وقال عليه السلام التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا

قوله تعالى بما لديهم فرحون أي راضون (بتوبة عبده المؤمن) فاطلاق الفرح في حق الله مجاز عن رضاه وبسط رحمته ومزيد اقباله على عبده والكرامة له (من رجل نزل في أرض دوية) أي مفازة (مهلكة) وهو مفعلة من الهلاك (معه راحلته) أي ناقته التي يرتحلها (عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه) على الارض (فنام نومة فاستيقظ) من نومه (وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى) طلع عليه النهار و(اشتد عليه الحر والعطش أو ماشاء الله تعالى قال) في نفسه (ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته) فالمراد ان التوبة تقع من الله في القبول والرضا موقعا يقع في مثله ما يوجب فرط الفرح ممن يتصور في حقه ذلك فعبر بالرضا عن الفرح تأكيدا للمعنى في ذهن السامع ومبالغة في تقريره وحقيقة الفرح لغة انشراح الصدر بلذة عاجلة وهو محال في حقه تعالى والحديث قال العراقي متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس ورواه مسلم من حديث نعمان بن بشير ومن حديث أبي هريرة مختصرا اهـ قلت لفظ حديث ابن مسعود عن الشيخين لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى أموت فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فاذا راحلته عنده عليها زاده وطعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته ورواه أيضا هكذا أحمد والترمذي وأما لفظ حديث أنس عندهما الله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم اذا سقط على بعيره قد أضله بارض فلاة هكذا رواه في التوبة وغيرها مختصرا ورواه مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة هكذا ورواه الترمذي وابن ماجه بلفظ لله أفرح بتوبة أحدكم بضالته اذا وجدها قال الترمذي حسن صحيح غريب ولفظ حديث النعمان بن بشير للرب أفرح بتوبة أحدكم من رجل كان في فلاة من الارض معه راحلته عليها زاده وماؤه فتوسد راحلته فنام فغلبته عيناه ثم قام وقد ذهبت الراحلة فصعد شرفا فنظر فلم ير شيأ ثم هبط فلم ير شيأ فقال لأعودن الى المكان الذي كنت فيه حتى أموت فيه فعاد فنام فغلبته عينه ثم انتبه فاذا الراحلة قائمة على رأسه فالرب بتوبة أحدكم أشد فرحا من صاحب الراحلة بها حين وجدها هكذا رواه ابن زنجويه (وفي بعض الالفاظ) لهذا الحديث (قال من شدة فرحه اذا أراد شكر الله تعالى اللهم أنا ربك وأنت عبدى) قال العراقي رواه مسلم من حديث أنس بلفظ لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك اذا هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح وفي الباب أبو سعيد الخدري ولفظه لله أفرح بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بفلاة من الارض فطلبها فلم يقدر عليها فتسجى للموت فبينما هو كذلك اذ سمع وجبة الراحلة حين بركت فكشف عن وجهه فاذا هو براحلته رواه أحمد وابن ماجه وأبو يعلى ومن شواهده حديث أبي هريرة لله أفرح بتوبة عبده من العقيم الوالد ومن الضال الواجد ومن الظمآن الوارد رواه ابن عساكر في أماليه ورواه ابن تركان الهمداني في كتاب التائبين من طريق بقية بن عبد العزيز الوصابي عن أبي الجون مرسلا بزيادة فمن تاب الى الله توبة نصوحا أنسى الله حافظيه وجوارحه وبقاع الارض كلها خطاياه (وروى عن الحسن) البصري رحمه الله تعالى (انه قال لما تاب الله على آدم عليه السلام هنته الملائكة) بقبول توبته (فهبط جبرائيل وميكائيل) عليهما السلام (فقالا له يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك) أي بقبولها منك (فقال آدم عليه السلام يا جبريل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فاين مقامي فأوحى الله تعالى اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته كما لبيتك) أي أجبته كما أجبتك (ومن سألني المغفرة) من ذنوبه (لم أبخل عليه) بها (لاني

بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ماشاء الله قال أرجع الى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله تعالى أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وفي بعض الالفاظ قال من شدة فرحه اذا أراد شكر الله أنا ربك وأنت عبدى ويروى عن الحسن قال لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامي فأوحى الله اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته كما لبيتك ومن سألني المغفرة لم أبخل عليه لاني

قريب مجيب يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب والاخبار والآثار فى ذلك لاتحصى والاجماع منعقد من الامة على وجوبها اذ معناه العلم بان الذنوب والمعاصى مهلكات ومبعدات من الله تعالى وهذا داخل فى وجوب الايمان ولكن قد تدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف فى وجوبها ومن معانيها ترك المعاصى فى الحال والعزم على تركها فى الاستقبال وتدارك ماسبق من التقصير فى سابق الاحوال وذلك لايشك فى وجوبه وأما التندم على ماسبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافى فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع ألم يحصل لامحالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع فى سخط الله فان قلت تألم القلب أمر ضرورى لايدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب فاعلم أن سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لابمعنى أن العلم يخلقه العبد ويحدثه فى نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر والكل من خلق الله وفعله والله خلقكم وماتعملون هذا هو الحق عند ذوى الابصار وماسوى هذا ضلال فان قلت أفليس للعبد اختيار فى الفعل والترك قلنا نعم وذلك لايناقض قولنا ان الكل من خلق الله تعالى بل الاختيار أيضا من خلق الله والعبد مضطر فى الاختيار الذى له فان الله اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام فى المعدة خلق العلم فى القلب بان هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الخواطر المتعارضة فى ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله أم لا ثم خلق العلم بانه لامانع ثم عند اجتماع هذه الاسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول فانجزام الارادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولابد من حصوله عند تمام أسبابه فاذا حصل انجزام الارادة بخلق الله تعالى اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام لامحالة اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل

قريب) للسائلين (مجيب) للداعين (يا آدم واحشر التائبين من القبور مستبشرين) فرحين (ضاحكين ودعاؤهم مستجاب) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التوبة وأورده القشيرى فى الرسالة مقتصرا على قوله وقيل أوحى الله الى آدم عليه السلام يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة من دعانى منهم بدعوتك لبيته كتلبيتك يا آدم احشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعواهم مستجاب (والاخبار والآثار فى ذلك لاتحصى) لكثرتها (والاجماع منعقد من الائمة على وجوبها اذ معناها العلم بان الذنوب والمعاصى كلها) بسائر (مهلكات) هلاك الابد (ولكن قد تدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف فى وجوبها ومن معانيها ترك المعاصى فى الحال) والتخلى عنها (والعزم على تركها فى الاستقبال) بان لايعود لها ولمثلها أبدا (وتدارك ماسبق من التقصير فى سابق الاحوال وهذا لايشك فى وجوبه وأما التندم على ماسبق) وفرط منه (والتحزن عليه فواجب) أيضا (وهو روح التوبة) ومعظم أركانها (وهو تمام التلافى فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع ألم يحصل لامحالة عقيب حقيقة المعرفة بما فاته من العمر وضاع) سبهللا (فى سخط الله) وأنواع مايكرهه (فان قلت تألم القلب أمر ضرورى لايدخل تحت الاختيار) لانه حال ينتج من المعرفتين كما تقدم (فكيف يوصف بالوجوب فاعلم ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب) وفقده السعادة (وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لابمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه فى نفسه) ولا يعقل منه ان العلم يولد الندم والندم يولد العزم على الترك (بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر الكل من خلق الله وفعله) كما قال تعالى (والله خلقكم وماتعملون) على ان ما مصدرية أى وعملكم (وهذا هو الحق) المقبول الراجح (عند ذوى الابصار) من أهل السنة والجماعة (وماسوى هذا ضلال) نعوذ بالله من ذلك وفى قوله تعالى تؤتى أكلها كل حين باذن ربها رد على من يقول بالتولد كما سبق قريبا وانما اقتضت حكمة رب الارباب خلق المسببات عند خلق الاسباب فيخلق الرى عند شرب الماء ويخلق الشبع عند أكل الخبز وهذا العلم واجب لانه من نفس الايمان بالقدرة ومن اعتقد غير ذلك فقد جعل لله شريكا فى أفعاله وما أنزل بذلك من سلطان هذا على طريق الاجمال وقد أشار المصنف الى هذا بالتفصيل وقال (فان قلت أوليس للعبد اختيار فى الفعل والترك) فقد يريد فعل كل شئ فيختار تركه وبالعكس (قلنا نعم) له ذلك (وذلك لايناقض قولنا ان الكل من خلق الله) وحده (بل الاختيار أيضا من خلق الله والعبد مضطر فى الاختيار الذى له فان الله تعالى اذا خلق اليد الصحيحة) السالمة من العيوب (وخلق الطعام اللذيذ) المشتهى (وخلق الشهوة للطعام فى المعدة وخلق العلم فى القلب بان هذا الطعام مسكن للشهوة) أى شهوة الجوع (وخلق الخواطر المتعارضة مع بعضها فى ان هذا الطعام هل فيه مضرة) بدنية أم لا (مع) علمه (انه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله أم لا ثم خلق الله العلم بانه لامانع) عن تناوله (ثم عند اجتماع هذه الاسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول) منه (فانجزام الارادة بعد تعدد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا) والجزء الاختيارى (ولابد من حصوله عند تمام أسبابه) المذكورة (فاذا حصل انجزام الارادة بخلق الله تعالى اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام) اللذيذ (لامحالة اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل

ضرور يا فتحصل الحركة فتكون الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة وانجزام الارادة وهما أيضا من خلق الله وانجزام الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما أيضا من خلق الله تعالى ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيبا جرت به سنة الله تعالى فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة مالم يخلق فيها صفة تسمى قدرة ومالم يخلق فيها حياة ومالم يخلق ارادة مجزومة ولا يخلق الارادة المجزومة مالم يخلق شهوة وميلا فى النفس ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما مالم يخلق علما بانه موافق للنفس اما فى الحال أو فى المآل ولا يخلق العلم أيضا الا باسباب أخر ترجع الى حركة وارادة وعلم فالعلم والميل الطبعى أبدا يستتبع الارادة الجازمة والقدرة والارادة أبدا تستردف الحركة وهكذا الترتيب فى كل فعل والكل من اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض فلذلك يجب تقدم البعض وتأخر البعض كما لا تخلق الارادة الا بعد العلم ولا يخلق العلم الا بعد الحياة ولا تخلق الحياة الا بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لان الحياة تتولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرطا لخلق العلم لا أن العلم يتولد من الحياة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الارادة لا أن العلم يولد الارادة ولكن لا يقبل الارادة الا جسم حى عالم ولا يدخل فى الوجود الا ممكن وللامكان ترتيب لا يقبل التغيير لان تغييره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الالهى والقدرة الازلية عند حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى ترتيب والعبد مجرى هذه الحوادث المرتبة وهى مرتبة فى قضاء الله تعالى الذى هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنها العبارة بقوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر وعن القضاء الكلى الازلى العبارة بقوله تعالى وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر وأما العباد فانهم مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة فى يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة فى يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوى جازم فى نفسه يسمى القصد وبعد علم بما اليه ميله يسمى الادراك

ضرور يا فتحصل الحركة بخلق الله تعالى بعد حصول القدرة وانجزام الارادة وهما أيضا من خلق الله وانجزام الارادة يحصل بعد الشهوة) وهو ما يختل البدن بدونه (والعلم بعدم الموانع وهما أيضا من خلق الله تعالى ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيبا جرت به سنة الله تعالى فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا) أى تغييرا (فلا يخلق الله تعالى حركة اليد بكتابة منظومة) متناسبة الاطراف (مالم يخلق فيها صفة تسمى قدرة ومالم يخلق فيها حياة ومالم يخلق ارادة مجزومة ولا يخلق الارادة المجزومة مالم يخلق فيها شهوة وميلا فى النفس ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما مالم يخلق علما بانه موافق للنفس اما فى الحال أو فى المآل ولا يخلق العلم أيضا الا باسباب أخر ترجع الى حركة ولذاذة وعلم فالعلم والميل الطبيعى أبدا يستتبع الارادة الجازمة والارادة والقدرة أبدا يستردف الحركة وهذا الترتيب فى كل فعل والكل من اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط للبعض فلذلك يجب تقدم البعض) فى الوجود (وتأخر البعض كما لا تخلق الارادة الا بعد العلم ولا يخلق العلم الا بعد الحياة ولا تخلق الحياة الا بعد الجسم ويكون) حينئذ (خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة) فيه (لا لان الحياة تتولد من الجسم ويكون) كذلك (خلق الحياة شرطا لخلق العلم) فيها (لا لان العلم يتولد من الحياة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم الا اذا كان حيا) أى موصوفا بالحياة (ويكون) كذلك (خلق العلم شرطا لجزم الارادة لا لان العلم يولد الارادة ولكن لا يقبل الارادة الا جسم حى عالم) أى موصوف بالحياة والعلم هذا هو الحق عند أهل الحق (ولا يدخل فى الوجود) سواء كان باحدى الحواس أو بقوة الشهوة أو بواسطة العقل (الا ممكن وللامكان ترتيب لا يقبل التغيير) والتبديل (لان تغييره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل لقبول) ذلك (الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الالهى والقدرة الازلية عند حصول الاستعداد) لقبوله (ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله) تعالى (ترتيب والعبد مجرى هذه الحوادث المرتبة) أى محل لجريانها عليه (وهى مرتبة) اجمالا (فى قضاء الله الذى هو واحد) لا شريك له فى فعله (كلمح البصر) أو هو أقرب (ترتيبا كليا لا يتغير) ولا يتبدل (وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا تتعداه) ولا تتجاوز طوره (وعنه العبارة بقوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر) أى انا خلقنا كل شئ مقدرا ومرتبا على مقتضى الحكمة وكل شئ منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى أن يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهور فى الدلالة على ان كل شئ مخلوق بقدر وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب قواعد العقائد (وعن القضاء الكلى الازلى العبارة بقوله تعالى وما أمرنا الا واحدة) أى فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة (كلمح بالبصر) فى المسير والسرعة وقيل معناه معنى قوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر (والعباد مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة فى يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة فى يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوى جازم فى نفسه يسمى القصد وبعد علمه بما اليه ميله يسمى الادراك

والمعرفة فاذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق أهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت وقالوا يا أيها الرجل قد تحركت ورميت وكتبت ونودي من وراء حجاب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما قتلت اذ قتلت ولكن الله قتل قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وعند هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل انه جبر محض ومن قائل انه اختراع صرف ومن متوسط مائل الى انه كسب ولو فتح لهم أبواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد صادق من وجه وان القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط علمه بجوانبه وتمام علمه ينال باشراق النور من كوة نافذة الى عالم الغيب وانه تعالى عالم الغيب والشهادة لا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الاسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الاسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا أن لا خالق الا الله ولا مبدع سواه فان قلت قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب انه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن ايصال ذلك الى الافهام بمثال فاعلم ان جماعة من العميان قد سمعوا انه حمل الى البلدة حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا اليه لمسوه فوقع يد بعض العميان على رجله ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على اذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت أجوبتهم فقال الذي لمس الرجل ان الفيل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الظاهر الا انه ألين منها وقال الذي لمس الناب ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه وأملس لا خشونة فيه وليس في غلظ الاسطوانة أصلا بل هو مثل عمود

والمعرفة فاذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق أهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن) دقائق (عالم الغيب) المختص (والملكوت وقالوا يا أيها الرجل قد تحركت وكتبت ورميت ونودي من وراء حجاب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) كما هو في الكتاب العزيز خطابا لحبيبه صلى الله عليه وسلم وفي معناه (وما قتلت اذ قتلت ولكن الله قتل) ويؤيده قوله تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وعند هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة) والملك (فمن قائل انه جبر محض) أي خالص وهؤلاء هم الجبرية الخالصة يسندون فعل العبد الى الله تعالى ولا يثبتون للعبد كسبا (ومن قائل انه اختراع صرف) من فعل العبد وهؤلاء هم القدرية (ومن متوسط) بين الجبر المحض والقيد (مائل الى انه كسب) فيسندون الفعل الى الله ويثبتون للعبد كسبا في الفعل وهؤلاء هم الاشاعرة من أهل السنة والجماعة ومن وافقهم في هذه المسئلة من الماتريدية الأنهم سموه جزأ اختياريا وهؤلاء هم المتوسطة (ولو فتحت لهم أبواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد صادق) فيما ذهب اليه (من وجه وان القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الامر) وحقيقته (ولم يحط علمه بجوانبه)

وكل يدعي وصلا بليلى ✽ وليلى لا تقر لهم بذاك

(وتمام علمه) انما (ينال باشراف) النور الاقدس (من كوة نافذة الى عالم الغيب) فترفع الستور عن بصيرته (وانه تعالى عالم الغيب والشهادة لا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) كما أخبر بذلك في كتابه العزيز (وقد يطلع على الشهادة من لا يدخل في حيز الارتضاء) فعدم الاطلاع مخصوص بعالم الغيب (ومن حرك مسلسلة الاسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الاسباب) أي موضع تعليقها من ناطه نوطا اذا علقه (وانكشف له سر القدر) المخفي (علم علما يقينيا ان لا خالق الا الله ولا مبدع سواه) وقد تقدمت الاشارة الى شئ من ذلك في كتاب العقائد (فان قلت فقد قضيت لكل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب بانه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر) عن درجة الكمال (وهذا تناقض) كيف يكون صادقا وقاصرا (فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن ايصال ذلك الى الافهام بمثال فاعلم ان جماعة من العميان قد سمعوا انه قد حمل الى البلدة) التي هم فيها (حيوان عجيب اسمه الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته) من قبل (ولا سمعوا باسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه) لفقد حاسة البصر وتقوم تلك المعرفة مقام المشاهدة (فطلبوه) أي توجهوا اليه (فلما وصلوا اليه لمسوه) بايديهم (فوقعت بعض يد العميان على رجله ووقعت يد بعضهم على نابه ووقعت يد بعضهم على أذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا) الى مواضعهم (سألهم بقية العميان) عن حقيقة الفيل (فاختلفت اجوبتهم فقال الذي) قد (لمس الرجل ان الفيل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الظاهر الا انه ألين منها وقال الذي) كان قد (لمس الناب ليس الفيل كما يقول) هو (بل هو صلب لا لين فيه وأملس لا خشونة فيه وليس في غلظ الاسطوانة) أصلا بل (هو مثل

عمود وقال الذى لمس الاذن لعمرى هو لين وفيه خشونة فصدق أحدهما فيه ولكن قال ماهو مثل عمود ولاهو مثل اسطوانة وانما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه اذ أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة الفيل ولم يخرج واحد فى خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الاحاطة بكنه صورة الفيل فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فانه مثال أكثر مااختلفت الناس فيه وان كان هذا كلاما يناطح علوم المكاشفة ويحرك أمواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو بيان ان التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة العلم والندم والترك وان الندم داخل فى الوجوب لكونه واقعا فى جملة أفعال الله المحصورة بين علم العبد وارادته وقدرته المتخللة بينهما وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله *(بيان أن وجوب التوبة على الفور)* أما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه اذ معرفة كون المعاصى مهلكات من نفس الايمان وهو واجب على الفور والمتفصى عن وجوبه هو الذى عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل فان هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التى لاتتعلق بعمل بل هى من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصى عن عهدته مالم يصر باعثا عليه فالعلم بضرر الذنوب انما أريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله عليه السلام لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن

عمود وقال الذى) كان قد (لمس الاذن لعمرى هو لين وفيه خشونة فصدق أحدهما فيه) وهو الذى قال انه لين (ولكن) كذب الآخر اذ (قال ماهو مثل عمود ولاهو مثل اسطوانة وانما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه اذا أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة الفيل ولم يخرج واحد فى خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الاحاطة بكنه صورة الفيل) ماهى عليها (فاستبصر بهذا المثال واعتبر به) ما يرد عليك (فانه مثال أكثر ما اختلفت الناس فيه) من المذاهب والمشارب (وان كان هذا كلاما يناطح بحار علوم المكاشفة) ويصادمها (ويحرك أمواجها) ويثير عجاجها (وليس ذلك من غرضنا) الآن فى هذا الكتاب (فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو بيان ان التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة العلم والندم والترك وان الندم داخل فى الوجوب لكونه واقعا فى جملة أفعال الله تعالى المحصورة بين علم العبد وارادته وقدرته المتخللة بينها وما هذا وصفها فاسم الوجوب يشمله) لامحالة والله الموفق

(فصل) ولما ثبت وجوب أصل التوبة بالدلائل المتقدمة شرع المصنف فى بيان هل وجوبها على الفور أو على التراخى فقال *(بيان ان وجوب التوبة على الفور)*

لا على التراخى ولنقدم قبل الشروع فى المقصود ان التوبة يتقدمها واجبان أحدهما معرفة الذنب المرجوع عنه انه ذنب اذ كثير من العلماء فضلا عن الجهال يقعون فيما لايحل لهم وهم يحسبون انهم على شئ لانه لم يتبين من العلم معرفة مايحبه مما يكرهه وهذا من قسم الايمان لله الواجب الثانى ان العبد لايستبد بالتوبة بنفسه لان الله هو خالقها فى نفس العبد وميسر أسبابها قال الله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا وهذا من قسم الايمان بالله تعالى لتعلقه بالقدرة فاذا عرفت ذلك فلنعد الى شرح كلام المصنف قال (أما وجوبها على الفور) وحاصل ماسيذكره فى السياق الآتى هو ان المعاصى للايمان كالمأكولات المضرة بالابدان فمن تناول سما بغير علم وأدركه الاسف على بدنه أترى يخرجه من بدنه بالقىء وغيره على الفور تلافيا لبدنه أو يتراخى فى ذلك فاذا كان خوفه على بدنه يوجب اخراج مافيه من المهلك فالرجوع على الفور من سمائم الذنوب المفوتة لسعادة الابد أولى وقد ذكر المصنف ذلك تفصيلا فقال أما وجوبها على الفور (فلا يستراب فيه اذ معرفة كون المعاصى) سمائم (مهلكات من نفس الايمان) لله (وهو واجب على الفور والمقتضى) هكذا بالقاف والضاد فى نسخ الكتاب وفى بعضها بالفاء والصاد المهملة أى المتخلص (عن وجوبه هو الذى عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل المكروه) أى مما يكرهه الله تعالى (فان هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التى لاتتعلق بعمل بل هى من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصى) أى التخلص (عن عهدته مالم يصر باعثا عليه فالعلم بضرر الذنوب انما أريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حتى يزنى وهو مؤمن) قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة انتهى قلت وتمامه عندهما ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس اليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن وهكذا رواه أيضا أحمد والنسائى وابن ماجه ورواه أيضا عبد الرزاق والطيالسى وعبد بن حميد والحكيم والطبرانى والبيهقى من حديث عبد الله بن أبى أوفى ورواه الطبرانى فى الكبير أيضا من حديث عبد الله بن مغفل وفى الاوسط من حديث على وزاد عبد الرزاق وأحمد ومسلم فى رواية ولا يغل أحدكم حين يغل وهو مؤمن فاياكم اياكم ويروى لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن والتوبة معروضة بعد هكذا رواه عبد الرزاق ومسلم وأبو داود والترمذى والحاكم

وما أراد به نفي الايمان الذي يرجع الى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينفيه الزنا والمعاصي وانما أراد به نفي الايمان لكون الزنا مبعدا عن الله تعالى موجبا للمقت كما اذا قال الطبيب هذا سم فلا تتناوله فاذا تناوله يقال تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى انه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد أنه غير مصدق بقوله انه سم مهلك فان العالم بالسم لا يتناوله أصلا فالعاصي بالضرورة ناقص الايمان وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا أعلاها القلب والروح وأدناها اماطة الاذى عن البشرة بأن يكون مقصوص الشارب مقلوم الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بأرواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها وأظلافها وهذا مثال مطابق فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح والذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقوء العينين فاقد لجميع أعضائه الباطنة والظاهرة لا لأصل الروح وكان من هذا حاله قريب من أن يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا أصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من أن تقتلع شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في

من حديث أبي هريرة ورواه عبد بن حميد وسمويه والضياء من حديث أبي سعيد ورواه الحكيم من حديث عائشة وروى لا يزني الرجل وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن ينزع منه الايمان ولا يعود اليه حتى يتوب فاذا تاب عاد اليه هكذا رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة وروى لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن هكذا رواه الطبراني في الاوسط من حديث عائشة والبزار من حديث أبي سعيد وروى لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يقتل وهو مؤمن رواه عبد الرزاق وأحمد والبخاري والنسائي من حديث ابن عباس وروى لا يزني الرجل وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف وهو مؤمن فاذا تاب تاب الله عز وجل عليه رواه البزار والطبراني والخطيب من طريق عكرمة عن ابن عباس وأبي هريرة وابن عمر وروى لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن يخرج منه الايمان فاذا تاب رجع اليه رواه الطبراني في الاوسط من حديث أبي سعيد (وما أراد به نفي الايمان الذي يرجع الى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي) المذكورة في الاخبار السابقة (وانما أراد به نفي الايمان لكون الزنا مبعدا عن الله عز وجل وموجبا للمقت) والغضب (كما اذا قال الطبيب) للعليل (هذا) المأكول (سم) مهلك (فلا تتناوله فاذا تناوله يقال تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى انه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد به انه غير مصدق بقوله انه سم مهلك فان العالم بالسم لا يتناوله أصلا فالعاصي بالضرورة ناقص الايمان وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق) روى الترمذي وقال حسن صحيح من حديث أبي هريرة بلفظ الايمان بضع وسبعون بابا فأدناه اماطة الاذى عن الطريق وأرفعه قول لا اله الا الله وفي لفظ له أربعة وستون بابا وعند ابن حبان بلفظ الايمان سبعون أو اثنان وسبعون بابا أرفعه لا اله الا الله وأدناه اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وفي رواية الايمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان هكذا رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة والطبراني في الاوسط من حديث أبي سعيد (ومثال ذلك قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا أعلاها القلب والروح وأدناها اماطة الاذى) أي ازالة ما يؤذي (عن البشرة) محركة وهو ظاهر الجسد (بأن يكون مقصوص الشارب مقلوم الاظفار نقي البشرة عن الخبث) الظاهر (حتى يتميز) بذلك (عن البهائم المرسلة) في الرعي (المتلوثة بأرواثها المستكرهة الصورة بطول مخالبها وأظلافها) وحوافرها (وهذا مثال مطابق) لما نحن فيه (فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد) منه (يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح) من البدن (والذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقوء العينين) أي مخسوسهما (فاقد لجميع أعضائه الظاهرة والباطنة لا لأصل الروح) فهو ناقص (وكان من هذا حاله قريب من أن يموت فتزايله) أي تفارقه (الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا أصل الايمان وهو مقصر في الاعمال) غير ملتفت اليها (قريب من أن تنقطع شجرة ايمانه اذا صدمتها) أي عارضتها (الرياح العاصفة) القوية الشديدة (المحركة للايمان

فى مقدمة قدوم ملك الموت و وروده فكل ايمان لم يثبت فى اليقين أصله ولم تنتشر فى الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما يبقى بالطاعات على توالى الايام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصى للمطيع انى مؤمن كما انك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر أنا شجرة وأنت شجرة وما أحسن جواب شجرة الصنوبر اذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقطع أصولك وتتناثر أوراقك و ينكشف غرورك بالمشاركة فى اسم الشجر مع الغفلة عن أسباب ثبوت الاشجار وسوف ترى اذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار وهذا (٥١٣) أمر يظهر عند الخاتمة وانما انقطع نياط العارفين خوفا من دواعى الموت ومقدماته الهائلة التى لا يثبت عليها الا الاقلون فالعاصى اذا كان لا يخاف الخلود فى النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك فى الشهوات المضرة اذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته وان الموت غالبا لا يقع فجأة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم اذا مرض خاف الموت وكذلك العاصى يخاف سوء الخاتمة ثم اذا ختم له بالسوء والعياذ بالله وجب الخلود فى النار فالمعاصى للايمان كالمأكولات المضرة للابدان فلا تزال تجتمع فى الباطن مغيرة مزاج الاخلاط وهو لا يشعر بها الى أن يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك المعاصى فاذا كان الخائف من الهلاك فى هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من المأكولات فى كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الابد أولى بان يجب عليه ذلك واذا كان متناول السم اذا ندم يجب عليه ان يتقيأ و يرجع عن تناوله بابطاله واخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه المشرف على هلاك لا يفوت عليه الا هذه الدنيا الفانية فتناول سموم الدين وهى الذنوب أولى بان يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن مادام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر فان المخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التى فيها النعيم المقيم والملك العظيم وفى فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذى تتصرم أضعاف أعمار الدنيا دون عشر عشير مدته اذ ليس

فى مقدمة قدوم ملك الموت و وروده فكل ايمان لم يثبت فى النفس أصله ولم تنتشر فى الاعمال فروعه لم) يكن (يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما) ثبت فى أرض النفس و(سقى بماء الطاعات على توالى الايام والساعات حتى ثبت ورسخ) فهو الذى لا يخشى عليه من عواصف الاهوال (وقول العاصى للطائع انى مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرع) وهى أضعف الاشجار (لشجرة الصنوبر) وهى أقواها ومنابتها الجبال الشاهقة (انى شجرة مثلك وأنت شجرة) أى شملناهذا الاسم جميعا وقد ثبت تسمية القرع شجرة بنص القرآن وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال المفسرون هو القرع (وما أحسن جواب شجرة الصنوبر) لها (اذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف) الزعازع (فعند ذلك تنقطع أصولك وتتناثر أوراقك و ينكشف غرورك بالمشاركة فى اسم الشجرة مع الغفلة عن أسباب ثبات الاشجار) وقد قيل فى المثل

(وسوف ترى اذا انجلى الغبار * أفرس تحتك أم حمار)

(وهذا أمر يظهر عند الخاتمة وانما انقطعت نياط قلوب العارفين) النياط بالكسر العرق الذى معلق به القلب فعلى هذا فالاولى وانما انقطع (خوفا من دواهى الموت ومقدماته الهائلة التى لا يثبت عليها الا الاقلون) فمن ثبته الله على الصراط المستقيم (فالعاصى اذا كان لا يخاف الخلود فى النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك فى الشهوات المضرة) من المأكولات وغيرها (اذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته) وقوة مزاجه (وان الموت غالبا لا يقع فجأة) بل يتقدمه المرض (فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم اذا مرض خاف الموت فكذلك العاصى يخاف سوء الخاتمة ثم اذا ختم له بسوء وجب الخلود فى النار) عياذا بالله منه واذا عرفت ما ذكرنا (فالمعاصى للايمان كالمأكولات المضرة بالابدان فلا تزال تجتمع فى الباطن حتى تغير مزاج الاخلاط) الاربعة عن أصلها (وهو لا يشعر به) وفى نسخة بها (الى أن يفسد المزاج) من أصله (فيمرض دفعة) واحدة (ثم يموت دفعة فكذلك المعاصى) بمنزلة السموم المهلكة (فاذا كان الخائف من الهلاك فى هذه الدنيا المنقضية) الفانية (يجب عليه الترك للسموم وما يضره من المأكولات) المفسدة مزاج البدن (فى كل حال وعلى الفور) بلا تراخ (فالخائف من هلاك الابد أولى بان يجب عليه ذلك) وهذا يظهر وجوب التوبة على الفور (واذا كان متناول السم اذا ندم) من تناوله بان راجعه تصديق قول الطبيب (يجب عليه أن يتقايأ) بنحو سمن أو لبن ليفرغ ما استقر فى جوفه (و يرجع عن تناوله بابعاده واخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه المشرف على هلاك لا يفوت عليه الا هذه الدنيا الفانية فتناول سموم الدين وهى الذنوب أولى بان يجب عليه الرجوع عنها بما أمكن التدارك مادام باقيا للتدارك مهلة وهى العمر) أى مدة بقائه فى هذه الدنيا (فان المخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التى فيها النعيم المقيم) لا يحول (والملك العظيم) لا يزول (وفى فواتها نار الجحيم والعذاب الاليم) أى الموجع (الذى تتصرم) أى تنقطع وتفنى (اضعاف أعمار الدنيا دون عشر عشير مدته اذ ليس

لمدته آخر البتة فالبدار البدار الى التوبة قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح الايمان عملا يجاوز الامر فيه الاطباء واختيارهم ولا ينفع بعده
الاحتماء فلا ينجع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بانه من الهالكين ويدخل تحت عموم قوله

تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ولا يغرنك لفظ الايمان فنقول المراد بالآية الكافر اذ بين لك ان الايمان بضع وسبعون بابا وان الزاني لا يزني حين يزني وهو مؤمن فالمحجوب عن الايمان الذي هو شعب وفروع سيحجب في الخاتمة عن الايمان الذي هو أصل كما أن الشخص الفاقد لجميع الاطراف التي هي حروف وفروع سيساق الى الموت المعدم للروح التي هي أصل فلا بقاء للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الاصل ولا فرق بين الاصل والفرع الا في شئ واحد وهو أن وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعي وجود الاصل وأما وجود الاصل فلا يستدعي وجود الفرع فبقاء الاصل بالفرع ووجود الفرع بالاصل فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الفرع والاصل فلا يستغني أحدهما عن الآخر وان كان أحدهما في رتبة الاصل والآخر في

رتبة التابع وعلوم المعاملة اذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها فان هي لم تعمل عملها الذي تراد له قامت من
مؤيدة للحجة على صاحبها ولذلك يزاد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر كما أوردناه من الاخبار في كتاب العلم

لمدته آخر ألبتة فالبدار البدار) والسرعة السرعة (الى التوبة قبل ان تعمل سموم الذنوب بروح الايمان
عملا يجاوز الامر فيه اختيار الاطباء) وفي نسخة الاطباء واختيارهم (ولا ينفع بعده الاحتماء) وفي نسخة
الحمية (فلا ينجع) أي لا ينفع ولا يؤثر (بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين) وزجر الزاجرين
(وتحق الكلمة) أي تجب كلمة (الله عليه بانه من) الخاسرين (الهالكين) أبد الآبدين وأشار بذلك
الى قوله تعالى لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون يعني قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة
والناس أجمعين (ويدخل تحت عموم قوله تعالى انا جعلنا في أعناقهم) جمع عنق بضمتين وبضم فسكون
في لغة الحجاز أي في رقابهم (أغلالا) جمع غل بالضم وهو طرف من حديد وهو تقرير لتصميمهم على الكفر
والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت أعناقهم (فهي) أي تلك
الاغلال (الى الاذقان) أي واصلة الى أذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤسهم (فهم مقمحون) رافعون
رؤسهم غاضون أبصارهم (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون)
أي أحاط بهم سدان فغطى أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في انهم محبوسون في مطمورة
الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) أي هؤلاء
مستو عليهم انذارك وعدمه لهم أو معناه انذارك وعدمه سيان عليهم والانذار التخويف من الله وانما
اقتصر عليه لانه أوقع في القلب وأشد تأثيرا في النفس من حيث ان رفع الضر أهم من جذب النفع فاذا لم
ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع أولى (لا يؤمنون) جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء
(ولا يغرنك لفظ الايمان) من قوله لا يؤمنون وقد نفى عنهم وصف الايمان (فنقول المراد به) أشخاص
بأعيانهم كأبي جهل حين أراد الفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلزقت يده وقصده آخر فقال لارضخنه
بهذا الحجر فأعماه الله تعالى أو ان المراد به (الكافر) وفي نسخة الكافرون أي على الاطلاق ممن اتصف
بالكفر (اذ بين لك) مما سبق (ان الايمان نيف وسبعون بابا وان الزاني لا يزني حين يزني وهو مؤمن)
والسارق لا يسرق حين يسرق وهو مؤمن (فالمحجوب عن الايمان الذي هو شعب) متنوعة (وفروع)
متشعبة (سيحجب في الخاتمة عن الايمان الذي هو أصل) لتلك الفروع (كما ان الشخص الفاقد لجميع
الاطراف التي هي حروف وفروع سيساق الى الموت المعدم للروح التي هي أصل) لبقاء تلك الاطراف
(فلا بقاء للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الاصل ولا فرق بين الفرع والاصل الا في شئ واحد
وهو أن وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعي وجود الاصل) فلا بد من وجود الاصل حتى يوجد الفرع
ويكون سبب بقائه (وأما وجود الاصل فلا يستدعي وجود الفرع) فقد يكون موجودا بنفسه من غير
فرع (فبقاء الاصل بالفرع) أي قوته به (ووجود الفرع بالاصل) لانه السبب فيه (فعلوم المكاشفة
وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الفرع والاصل فلا يستغني أحدهما عن الآخر وان كان أحدهما في رتبة
الاصل والآخر في رتبة التابع) له (وعلوم المعاملة اذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها
فان هي لم تعمل عملها الذي تراد له) بعد ذلك (قامت) وفي نسخة كانت (مؤيدة للحجة على صاحبها)
فاردته الى أسفل سافلين (ولذلك يزاد في عذاب العالم الفاجر) الذي علم ولم يعمل بعلمه (على عذاب الجاهل
الفاجر) كما قيل

وعالم بعلمه لن يعملن * معذب من قبل عباد الوثن

(كما أوردناه من الاخبار) الواردة من مذاهب العلماء الفجار (في كتاب العلم) وغيره والله أعلم وهذا
الفضل بعينه هو الفرار وهو من لواحق التوبة قال الله تعالى ففروا الى الله لان حقيقة الفرار الهرب

من المعصية الى الطاعة هذا هو الفرار الواجب ومن فر من محسوساته أى معقولاته رأى ربه بعين قلبه يقينا ثم يفر منه اليه ثم يفر من رؤيته لفراره وليس وراء الله مرمى

(فصل) ولما فرغ من بيان وجوب التوبة على الفور شرع فى بيان عمومها فى الوجوب فى الاشخاص والاحوال فقال

(بيان ان وجوب التوبة عام فى الاشخاص والاحوال)

فلا ينفك أحد عنه البتة فى حال من أحواله ولذا كانت من أفضل مقامات السالكين لانها أول المنازل وأوسطها وآخرها فلا يفارقها العبد أبدا ولا يزال فيها الى الممات وان ارتحل السالك منها الى منزل آخر ارتحل به ونزل فهى بداية للعبد ونهايته وحاجته اليها فى النهاية ضرورية كما حاجته اليها فى البداية كذلك ولذلك قال المصنف رحمه الله تعالى (اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على هذا) أى على عموم وجوبها فى الاشخاص والاحوال (اذ قال عز وجل) مخاطبا أهل الايمان وخيار خلقه (وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون) لعلكم تفلحون يعنى أيها المؤمنون الصابرون المجاهدون (فعم الخطاب) وأمرهم أن يتوبوا اليه بعد ايمانهم وصبرهم ومجاهدتهم وقد استدل المصنف رحمه الله تعالى على مقصوده بهذه الآية وتكلم على ذلك بما سنعرضه عليك اجمالا لتدرك منه تفصيله الذى لا يستنبط منه الاصل المقصود الا بعد تأمل شديد وهو أن حقيقة التوبة هى الرجوع من المعصية الى الطاعة وهذا موجب للنجاة وهذا هو الوجوب المبنى على أصل الايمان ورجوع العبد من الشواغل الملهية الى الله ومن الحسن الى الاحسن هو أيضا توبة ورجوع وبه كمال السعادة فى الآخرة وهذا هو الواجب المبنى على كمال الايمان فمن أراد كمال الايمان حتى ينال به السعادة الكبرى فى الدنيا بمعرفته ومشاهدته فى الآخرة بالنظر الى وجهه أوجبنا عليه ذلك لارادته لانه من لازم الكمال كمن أراد النافلة فانا نوجب عليه الطهارة قبل الدخول فيها هذا حاصل ما سيذكره المصنف فلنعد الى شرحه فقال (ونور البصيرة أيضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالى المقرب الى الشيطان) وهذا مبنى على أن التوبة مركبة من علم وحال وعمل وانها مخصوصة بنوع الانسان لتركبه من طرفى مشابهة الملائكة والبهائم فطباع البهائم شركاه وطباع الملائكة خيركاه فميله الى صفة البهائم يبعد عن ربه وميله الى صفة الملائكة مقرب من ربه لان الملائكة قريبون من الله تعالى والقريب الى القريب قريب كما تقدمت الاشارة اليه (ولا يتصور ذلك الا من عاقل) أى من موصوف بصفة العقل (ولا تكمل غريزة العقل الا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التى هى وسائل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال العقل انما يكون عند مقارنة الاربعين) من عمره وهو بلوغ الاشد عند أكثر المفسرين (وأصله انما يتم عند مراهقة البلوغ) باحتلام أو سن على اختلاف فيه تقدم فى كتاب العلم (ومباديه تظهر بعد سبع سنين) فى الغالب وذلك أيضا يختلف باختلاف الاجناس من الاشخاص (والشهوات) بأسرها (جنود الشيطان والعقول) من حيث هى (جنود الملائكة فاذا اجتمعا) أى جند الشهوة وجند العقل (قام القتال بين الجندين بالضرورة اذ لا يثبت أحدهما بالآخر فانهما ضدان) أحدهما يبعث على الخير والثانى يبعث على الشر (فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار و) بين (النور والظلمة ومهما غلب أحدهما) فى محل (أزعج الآخر) منه (بالضرورة واذا كانت الشهوة تكمل فى الصبى) فى صباوته (والشاب) فى شبابه (قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان) وأرخى كلاكله عليه (ووقع للقلب به أنس والف لا محالة مقتضيات الشهوة بالعادة وغلب ذلك عليه ويعسر عليه النزوع عنه) والتخلص منه (ثم يلوح العقل الذى هو حزب الله وجنده ومنقذ أوليائه من أيدى أعدائه شيأ فشيأ على التدريج) والتمهل (فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان) فاستولى عليها بما فيها من العجائب والخزائن وصار ما فى البدن رعاياه (وانجز للعين موعوده) الذى وعد به

(بيان أن وجوب التوبة عام فى الاشخاص والاحوال فلا ينفك عنه أحد ألبتة) اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على هذا اذ قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون فعمم الخطاب ونور البصيرة أيضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التى هى وسائل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال العقل انما يكون عند مقارنة الاربعين وأصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة فاذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت أحدهما للآخر لانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب أحدهما ازعج الآخر بالضرورة واذا كانت الشهوات تكمل فى الصبا والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به أنس وألف لا محالة مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ويعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل الذى هو حزب الله وجنده ومنقذ أوليائه من أيدى أعدائه شيأ فشيأ على التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وأنجز للعين موعوده

حيث قال لاحتنكن ذريته الاقليلاوان كمل العقل وقوى كان أول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات وردالطبع على سبيل القهر الى العبادات ولامعنى للتوبة الاهذاوهوالرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى وليس فى الوجود آدمي الاوشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملائكة فكان الرجوع عماسبق اليه على مساعدة الشهوات ضروريا فى حق كل انسان نبيا كان أوغبيا فلاتظنن أن هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام وقدقيل

فلاتحسبن هندا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند

بل هو حكم أزلى مكتوب على جنس الانس لايمكن فرض خلافه مالم تتبدل السنة الالهية التى لامطمع فى تبديلها فاذا كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من جهله وكفره فاذا بلغ مسلما تبعا لابويه غافلا عن حقيقة اسلامه فعليه التوبة من غفلته بتفهم معنى الاسلام فانه لايغنى عنه اسلام أبويه شيأ مالم يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته والفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع الى قالب حدود الله فى المنع والاطلاق والانفكاك والاسترسال وهو من أشق أبواب التوبة وفيه هلك الاكثرون اذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل أن التوبة فرض عين فى حق كل شخص لايتصور أن يستغنى عنها أحد من البشر كمالم يستغن آدم فخلقة الولد لاتتسع لمالم يتسع له خلقة الوالد أصلا وأما بيان وجوبها على الدوام وفى كل حال فهوان كل بشر فلايخلو عن معصية بجوارحه اذلم يخل عنه الانبياء كماورد فى القرآن والاخبار من خطايا الانبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم فان خلا فى بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلايخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا فى بعض الاحوال عن الهم فلايخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلايخلو عن غفلة وقصور فى العلم بالله وصفاته وأفعاله وكل ذلك نقص وله أسباب وترك أسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولايتصور الخلو فى حق

(حيث قال لاحتنكن ذريته الاقليلا) ممن عصمهم الله من شره (وان كمل العقل وقوى كان أول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات) ومزايلة المألوفات (وردالطبع على سبيل القهر الى العبادات ولامعنى للتوبة الاهذا وهوالرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى) وبه عرف وجه اختصاصها بنوع الانسان (وليس فى الوجود آدمي الاوشهوته سابقة لعقله وغريزته التي هي عدة لاشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة للملائكة فكان الرجوع عماسبق اليه على مساعدة الشهوات ضروريا فى حق كل انسان نبيا كان أوغبيا) من غير خصوصية (فلاتظن ان هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام فقدقيل)

(فلاتحسبن هندا لها الغدر وحدها * سجية نفس كل غانية هند)

(بل هو حكم أزلى مكتوب على جنس الانسان لايمكن فرض خلافه مالم تتبدل السنة الالهية التى لامطمع فى تبديلها) لقوله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا (فاذا كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من كفره وجهله فان بلغ مسلما تبعا لابويه غافلا عن حقيقة اسلامه فعليه التوبة من غفلته بتفهم معنى الاسلام) حتى يكون بذلك مسلما (فانه لايغنى عنه اسلام أبويه شيأ مالم يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته والفه للاسترسال وراء الشهوات) فيستأصلها على قدر الامكان (من غير صارف) عنه (بالرجوع الى قالب حدود الله فى المنع والاطلاق والانكفاف والاسترسال وذلك من أشق أبواب التوبة) وأشدها (وفيه هلك الاكثرون اذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع وقربة فدل أن التوبة فرض عين فى حق كل شخص لايتصور أن يستغنى عنها أحد من البشر كمالم يستغن عنها آدم عليه السلام فخلقة الولد لاتتسع لمالم تتسع له خلقة الوالد أصلا) وهذا حال وجوبها على كل الاشخاص (وأما بيان وجوبها على الدوام وفى كل حال فهوان كل بشر فلايخلو عن معصية بجوارحه اذلم يخل عن ذلك الانبياء عليهم السلام مع جلالة قدرهم كماورد فى القرآن والاخبار من خطايا الانبياء عليهم السلام وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم) وقد تقدم بعض ذلك (فان خلا فى بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلايخلو عن الهم بالذنوب بالقلب) فروى احمد وأبو يعلى وابن عدى والضياء من حديث ابن عباس مامن أحد من ولد آدم الا وقد أخطأ أوهم بخطيئة الايحيى بن زكريا فانه لم يهم بها ولاينبغى لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ورواه الحكيم والحاكم بلفظ مامن آدمي الاوقد أخطأ أوهم بخطيئة غير يحيى بن زكريا لم يهم بخطيئة ولم يعملها (وان خلا من الهم فلايخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله) تعالى (فان خلا عنها) أى عن الخواطر الناشئة عن الوسواس (فلايخلو عن غفلة وقصور فى العلم بالله وصفاته وأفعاله وكل ذلك نقص) عن رتبة الكمال (وله أسباب وترك أسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع من طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع) كما هو حقيقة اللفظ يقال تاب عنه توبة ومتابا اذا رجع (ولايتصور الخلو فى حق

الآدمي

الآدمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه ولهذا قال عليه السلام انه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة الحديث ولذلك أكرمه الله تعالى بان قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر واذا كان هذا حاله فكيف حال غيره فان قلت لايخفى أن ما يطرأ على القلب من الهموم والخواطر نقص وان الكمال في الخلو عنه وان القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص وانه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال وأن الانتقال الى الكمال من أسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضائل لا فرائض وقد أطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الامور ليست بواجبة اذ ادراك الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال فاعلم انه قد سبق أن الانسان لايخلو في مبدأ خلقته من اتباع الشهوات أصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك مامضى وكل شهوة اتبعها الانسان ترتفع منها ظلمة الى قلبه كما يرتفع عن نفس الانسان ظلمة الى وجه المرآة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس في وجه المرآة عند تراكمه خبثا كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وأفسده وصار لا يقبل الصقل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك الارياف التي انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور

الآدمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة فاستغفر الله منه الحديث) هكذا في سائر نسخ الكتاب وفي بعضها انه يغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة قال العراقي رواه مسلم من حديث الاغر المزني الا أنه قال في اليوم مائة مرة وكذا هو عند أبي داود وللبخاري من حديث أبي هريرة اني لاستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين وفي رواية البيهقي في الشعب سبعين ولم يقل أكثر من وتقدم في الاذكار والدعوات قلت حديث الاغر المزني رواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن حبان والبغوي وابن قانع والباوردي والطبراني وتقدم قريبا حديث الاغر عند مسلم يا أيها الناس توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى الله في اليوم مائة مرة وعند الحكيم فاني أستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أو في كل يوم مائة مرة أو أكثر من مائة مرة وقد تقدم الكلام على الاغر في الاذكار والدعوات ثم قول المصنف الحديث يدل على ان للحديث بقية لم يذكرها وهذا الان الموجود في نسخ الكتاب انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة ثم قال الحديث أي الى آخره وآخره فاستغفر الله منه والا فالحديث هو هذا بتمامه (ولذلك أكرمه الله تعالى بان قال) في كتابه العزيز في خطابه اليه (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وقد اختلفوا في معنى ذلك على أقوال أحسنها أن يقال جميع ما فرط منك مما يصح أن يعاتب عليه (واذا كان هذا) مع علو مقامه (حاله فكيف حال غيره فان قلت لايخفى ان ما يطرأ على القلب من الهموم والخواطر نقص) في الجملة (وان الكمال في الخلو عنها) وفي نسخة عنه (وان القصور عن معرفة كنه جلال الله) وعظمته (نقص وان كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال وان الانتقال الى الكمال من أسباب النقص رجوع والرجوع توبة) كما تقرر (ولكن هذه فضائل) زائدة (لا فرائض وقد أطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة من هذه الامور ليست واجبة اذ ادراك الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال فاعلم انه قد سبق أن الانسان لايخلو في مبدأ خلقته من اتباع الشهوات أصلا) لكونها معجونة في طينته ولا يزايلها الا بمدد العقل ومعونته والعقل انما يكمل بعد (وليس معنى التوبة تركها فقط لان تمام التوبة بتدارك ما مضى) في مبدأ عمره (وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفعت منها ظلمة الى قلبه) فتغيره (كما يرتفع من نفس الانسان ظلمة الى وجه المرآة الصقيلة) أى المصقولة (فان تراكمت ظلمة الشهوات) بان كثرت حتى ركب بعضها بعضا (صار رينا) على القلب (كما يصير بخار النفس في وجه المرآة عند تراكمه) وكثرته (خبثا) وصدأ (كما قال الله تعالى) في كتابه العزيز في حق المكذبين بالحق واذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين (كلا) ردع عن هذا القول (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أى غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيها حتى صار ذلك رينا على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات (فاذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه) ومصداقه في حديث أبي هريرة اذا أذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء فان تاب صقل منها فان عاد زادت حتى تعظم في قلبه رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وقد كان الحسن يقول ان بين العبد وبين الله تعالى حدا من المعاصي معلوما اذا بلغه العبد طبع على قلبه فلا يوفقه بعدها لخير وفي حديث ابن عمر الطابع فيطبع على القلب بما فيها (كالخبث على وجه المرآة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد) الهند (وأفسده وصار لا يقبل الصقل بعده وصار كالمطبوع من الخبث) أى كأنه طبع منه (ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل) فقط (بل لا بد من محو تلك الآثار التي انطبعت في القلب) من المعاصي (كما لا يكفي في ظهور

الصور فى المرآة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها فى المستقبل مالم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الاريان وكما يرتفع الى القلب ظلمة
من المعاصى والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتنمحى ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله

عليه السلام أتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا لا يستغنى العبد فى حال من أحواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات هذا فى قلب حصل أوّلا صفاؤه وجلاؤه ثم أظلم باسباب عارضة فاما التصقيل الاول ففيه يطول الصقل اذ ليس شغل الصقل فى ازالة الصدا عن المرآة كشغله فى عمل أصل المرآة فهذه أشغال طويلة لا تنقطع أصلا وكل ذلك يرجع الى التوبة فاما قولك ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال فاعلم ان الواجب له معنيان أحدهما ما يدخل فى فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذى لو اشتغل به كافة الخلق لم يخرب العالم فلو كلف الناس كلهم أن يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يؤدى ذلك الى بطلان التقوى بالكلية فانه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ أحد للتقوى بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج اليه

فجميع هذه الدرجات ليست بواجبة بهذا الاعتبار والواجب الثانى هو الذى لا بد منه للوصول به الى القرب المطلوب
من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة فى الوصول اليه كما يقال الطهارة واجبة فى صلاة التطوع
أى لمن يريدها فانه لا يتوصل اليها الا بها فأما من رضى بالنقصان والحرمان عن فضل

الصور فى المرآة قطع الانفاس) عنها (وقطع البخارات المسوّدة لوجهها فى المستقبل مالم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الاريان) فاذا صقلها ظهرت فيها الصور ولو ظهر تغير القلوب بعد المعصية على وجه العاصى لاسود وجهه ولكن الله سلم بحلمه وستره فغطى ذلك على القلب مع تأثيره فيه وحجابه لصاحبه وقساوته على الذكر وطلب البر والمسارعة الى الخيرات وذلك من أعظم العقوبات ويقال ان العبد اذا عصى اسود قلبه فيثور على القلب دخان يشهده الايمان وهو مكان خزن الكبد الذى يسود ويكون ذلك الدخان حجابا له عن العلم والبيان كما تحجب السحابة الشمس فلا ترى واذا تاب العبد وأصلح انكشف الحجاب فيظهر الايمان ويأنس بالعلم كما تبرز الشمس من تحت السحاب (وكما ترتفع الى القلب ظلمة من المعاصى والشهوات فكذلك يرتفع اليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتنمحى ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها) قال العراقى رواه الترمذى من حديث أبى ذر بزيادة فى أوّله وآخره وقال حسن انتهى قلت الحديث بتمامه اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن هكذا رواه الترمذى وحسنه والدارمى والحاكم والبيهقى والضياء ورواه أحمد والترمذى والبيهقى من حديث معاذ بن جبل والصحيح حديث أبى ذر ورواه ابن عساكر من حديث أنس وقال الدارقطنى فى كتاب العلل رواه ابن حبيب بن أبى ثابت عن ميمون بن أبى شبيب عن معاذ بن جبل قال قلت يارسول الله أوصنى قال اتق الله حيثما كنت قال قلت يارسول الله زدنى قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال قلت يارسول الله زدنى قال خالق الناس بخلق حسن هكذا رواه حماد بن شبيب وليث بن أبى سليم واسمعيل بن مسلم المكى عن حبيب ورواه الثورى عن حبيب واختلف عنه فرواه وكيع عن الثورى هكذا وأرسله جماعة عن وكيع فلم يذكروا فيه معاذا وكذلك رواه أبو سفيان واسمه سعيد بن سنان عن حبيب عن ميمون مرسلا وقيل عن الثورى عن حبيب عن ميمون عن أبى ذر ورواه أبو مريم الغفارى عن الحكم بن عتيبة عن ميمون عن معاذ وغيره يرويه عن الحكم مرسلا عن النبى صلى الله عليه وسلم وكان المرسل أشبه بالصواب انتهى قلت وقد وقع لنا عاليا فى جزء أبى بكر محمد بن العباس الرافعى حدثنا أحمد بن بزيع الخطاف حدثنا سعيد بن مسلم عن الليث بن سليم عن حبيب فذكره (فاذا لا يستغنى العبد فى حال من أحواله من محو آثار السيئات من قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئة الحاصلة فى القلب هذا فى قلب حصل أوّلا صفاؤه وجلاؤه ثم أظلم باسباب عارضة) فاما التصقيل الاوّل ففيه يطول الشغل (اذ ليس شغل الصقل فى ازالة الصدا عن المرآة كشغله فى عمل أصل المرآة فهذه أشغال طويلة لا تنقطع أصلا وكل ذلك يرجع الى التوبة فاما قولك ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال فاعلم أن الواجب له معنيان أحدهما ما يدخل فى فتوى الشرع واشترك فيه طائفة الخلق وهو القدر الذى لو اشتغل كافة الخلق به لم يخرب) نظام (العالم ولو كلف الناس كلهم أن يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعاش) كما ان فى غالب معاملاتها ما يضاد التقوى (ورفضوا الدنيا بالكلية) وهجروها (ثم يؤدى ذلك الى بطلان التقوى بالكلية فانه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ أحد للتقوى) لشدة الاعواز الى اصلاح ما يتعيش به (بل شغل الحياكة والحراثة والخبز) ولو قال الخبازة كان أولى (يستغرق عمر كل واحد فيما يحتاج اليه فجميع هذه الدرجات ليست واجبة بهذا الاعتبار والواجب الثانى هو الذى لا بد منه للوصول به الى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة فى الوصول اليه كما يقال الطهارة واجبة فى صلاة التطوع لمن يريدها فانه لا يتوصل اليها الا بها فاما من رضى بالنقصان والحرمان عن فضل

صلاة

صلاة التطوّع فالطهارة ليست واجبة عليه لاجلها كما يقال العين والاذن واليد والرجل شرط فى وجود الانسان يعنى أنه شرط لمن يريد أن يكون انسانا كاملا ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الى درجات العلا فى الدنيا فأما من قنع بأصل الحياة ورضى أن يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ويد ورجل فأصل الواجبات الداخلة فى فتوى العامة لا يوصل الا الى أصل النجاة وأصل النجاة كأصل الحياة وما وراء أصل النجاة من السعادات التى بها تتهنى الحياة يجرى مجرى الاعضاء والآلات التى بها تتهيأ الحياة وفيه سعى الانبياء والاولياء والعلماء والامثل فالامثل وعليه كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم ولاجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى عليه السلام الى ان توسد حجرا فى منامه فجاء اليه الشيطان وقال اما تركت الدنيا للآخرة فقال نعم وما الذى حدث فقال توسدك لهذا الحجر تنعم فى الدنيا فلم لا تضع رأسك على الارض فرمى عيسى عليه السلام بالحجر ووضع رأسه على الارض وكان رميه للحجر توبة عن ذلك التنعم أفترى أن عيسى عليه السلام لم يعلم أن وضع الرأس على الارض لا يسمى واجبا فى فتاوى العامة أفترى أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب الذى كان عليه علم فى صلاته حتى نزعه وشغله شراك نعله الذى جدده حتى أعاد الشراك الخلق لم يعلم أن ذلك ليس واجبا فى شرعه الذى شرعه لكافة عباده فاذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك الا لانه رآه مؤثرا فى قلبه أثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذى قد وعد به أفترى أن الصديق رضى الله عنه بعد ان شرب اللبن وعلم انه على غير وجهه ادخل اصبعه فى حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر وهو أن ما أكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب فى فتوى الفقه اخراجه فلم تاب عن شربه بالتدارك على حسب امكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك الا لسر وقر فى صدره عرفه ذلك السر أن فتوى العامة حديث آخر وان خطر طريق الآخرة لا يعرفه الا الصديقون فتأمل أحوال هؤلاء الذين هم اعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله واياك مرة واحدة أن تغرك

صلاة التطوّع فالطهارة ليست بواجبة لاجلها وكما يقال العين والاذن واليد والرجل شرط فى وجود الانسان يعنى ان ذلك شرط لمن يريد أن يكون انسانا كاملا ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الى درجات العلى فى الدنيا فاما من قنع باصل الحياة ورضى بان يكون كلحم على وضم) وهو محركة ما وقيت به اللحم من الارض كذا فى المصباح وقال صاحب الاساس هو كل ما وقى به الارض من خشبة أو خصفة أو غيرهما ووضمته وضما اذا وضعته على الوضم وروى على العكس ويقال للذليل هو لحم على وضم (وكخرقة مطروحة) على الارض أى مبتذلة (فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ويد ورجل فأصل الواجبات الداخلة فى فتوى العامة لا توصل الا الى أصل النجاة وأصل النجاة كاصل الحياة وما وراء أصل النجاة من السعادات التى بها أصل الحياة تجرى مجرى الاعضاء والآلات بها تتهيأ الحياة وفى ذلك سعى الانبياء) عليهم السلام (والاولياء والعلماء والامثل فالامثل) من المتبعين على أقدامهم (وعليه كان حرصهم وحواليه) بفتح اللام وسكون التحتية (كان تطوافهم ولاجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى عليه السلام) فى كمال زهده (الى ان توسد يوما حجرا فى منامه) أى وضع رأسه على حجر لينام عليه وجعله بمنزلة الوسادة (فجاءه الشيطان وقال أما كنت تركت الدنيا للآخرة فقال نعم وما الذى حدث قال توسدك لهذا الحجر تنعم فى الدنيا فلم لا تضع رأسك على الارض فرمى عيسى عليه السلام الحجر ووضع رأسه على الارض) أخرجه ابن عساكر عن الحسن البصرى انه مر ابليس يوما بعيسى عليه السلام وهو متوسد حجرا وقد وجد لذة النوم فقال له ابليس ياعيسى انك لا تريد شيأ من عرض الدنيا فهذا الحجر من عرض الدنيا فقام عيسى عليه السلام فأخذ الحجر فرمى به وقال هذا لك مع الدنيا (وكان رميه الحجر توبة عن ذلك التنعم افترى ان عيسى عليه السلام لم يعلم أن وضع الرأس على الارض لا يسمى واجبا فى فتوى العامة افترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب الذى كان عليه علم فى صلاته حتى نزعه) وأرسله الى أبى جهم وطلب منه انبجانيته وقال قد ألهانى وقد تقدم فى كتاب الصلاة (وشغله شراك نعليه الذى جدده حتى أعاد الشراك الخلق) تقدم أيضا فى كتاب الصلاة (لم يعلم ان ذلك ليس واجبا فى شرعه الذى شرعه لكافة العباد واذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك الا أنه رآه مؤثرا فى قلبه أثرا يمنعه من بلوغ المقام المحمود الذى قد وعد به) الذى يحمده فيه الاوّلون والآخرون (افترى ان الصديق رضى الله عنه بعد ان شرب اللبن) من يد غلامه (وعلم انه على غير وجهه) لانه أخبره عن أصله (أدخل أصبعه فى حلقه ليخرجه حتى كاد ان تخرج معه روحه) أخرجه أبو نعيم فى الحلية وقد تقدم فى كتاب الحلال والحرام (فما علم من الفقه هذا القدر وهو ان ما تناوله) وفى نسخة ما أكله (من جهل فهو غير آثم به ولا يجب فى فتوى الفقه اخراجه) بالقىء (فلم تاب من شربه بالتدارك على حسب امكانه بتخلية المعدة منه وهل كان ذلك الا لسر وقر فى صدره) لما ورد ما سبقكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام وانما سبقكم بسر وقر فى صدره وقد تقدم فى كتاب العلم (عرفه ذلك السر ان فتوى العامة حديث آخر وان خطر طريق الآخرة لا يعرفه الا الصديقون فتأمل) أيها المصر (أحوال هؤلاء الذين هم أعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله واياك مرة واحدة ان تغرك

الحياة الدنيا وإياك ثم إياك ألف ألف مرة أن يغرك بالله الغرور فهذه أسرار من استنشق مبادي روائحها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في طريق الله تعالى في كل نفس من أنفاسه ولو عمر عمر نوح وأن ذلك واجب على الفور من غير مهلة ولقد صدق أبو سليمان الداراني حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على تفويت ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقا أن يحزنه ذلك إلى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله (٥٢٠) وإنما قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهرة نفيسة وضاعت منه بغير فائدة فبكى عليها لا محالة وإن ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منها أشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها فإنها صالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد وتنقذك من شقاوة الأبد وأي جوهر أنفس من هذا فإذا ضيعتها في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا وإن صرفتها إلى معصية فقد هلكت هلاكا فاحشا فإن كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهالك ومصيبتك بجهالك أعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها أنه صاحب مصيبة فإن نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد رفع الناس عن التدارك قال بعض العارفين إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد أعلمه أنه قد بقي من عمرك ساعة وإنك لا تستأخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد إليه سبيلا وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون وإليه الإشارة بقوله تعالى من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكون من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها فقيل الأجل القريب الذي يطلبه معناه أنه يقول عند كشف

الغطاء

الحياة الدنيا وإياك ثم إياك ألف ألف مرة أن يغرك بالله الغرور) أي الشيطان (فهذه أسرار من استنشق مبادي روائحها) وكان صحيح الشم للحقائق (وعلم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في طريق الله تعالى في كل نفس من أنفاسه) لا تفارقه في سائر أحواله في بدايته ووسطه ونهايته (ولو عمر عمر نوح) عليه السلام وهو ألف سنة وخمسمائة وقد يضرب به المثل في التعمير (وأن ذلك واجب على الفور من غير مهلة) ولا تراخ (ولقد صدق أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على فوات) وفي نسخة فوت وفي أخرى تفويت (ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقا) أي جديرا (أن يحزنه ذلك إلى الممات فكيف بمن يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله) أورده صاحب القوت (وإنما قال) أبو سليمان (هذا) الذي قال (لأن العاقل إذا ملك جوهرة نفيسة) رفيعة (فضاعت منه بغير فائدة) تؤول منها إليه (بكى عليها لا محالة فإن ضاعت منه وكان ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه من ذلك أشد) من الأول (وكل ساعة من العمر بل كل نفس) من أنفاسه (جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها لأنها صالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد وتنقذك من شقاوة الأبد وأي جوهرة) توجد (في الدنيا أنفس من هذا) وأعلى منه (فإذا ضيعتها في الغفلة) عن الله تعالى (فقد خسرت خسرانا مبينا وإن صرفتها إلى معصية هلكت هلاكا فاحشا فإن كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهالك) عنها (ومصيبتك بجهالك أعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها أنه صاحب مصيبة فإن نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام) في غفلتهم (فإذا ماتوا انتبهوا) كما روي ذلك من قول علي رضي الله عنه وتقدم في كتاب العلم (فعند ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد وقع اليأس عن التدارك) لفوات وقته (قال بعض العارفين إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد أعلمه أنه قد بقي من عمرك ساعة وإنك لا تتأخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت الدنيا بحذافيرها) من أولها إلى آخرها (لخرج منها على أن يضم لتلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها ويتدارك فيها تفريطه فلا يجد إلى ذلك سبيلا) نقله صاحب القوت إلا أنه قال ويقال إن ملك الموت الخ (وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون) قيل التوبة وقيل الزيادة في العمل وقيل حسن الخاتمة فإذا كل ساعة تمضي على العبد تكون بمنزلة هذه الساعة قيمتها الدنيا كلها إذا عرف قيمة ذلك فلذلك قيل ليس لما بقي من عمر العبد قيمة إذا عرف وجه التقدير من الله تعالى بالتصريف والحكمة (وإليه الإشارة بقوله تعالى من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق) أي أزكي (وأكن من الصالحين) وقيل أول من يسأل الرجعة من هذه الأمة من لم يكن أدى زكاة ماله ولم يكن حج بيت ربه فذلك تأويل قوله تعالى فأصدق وأكن من الصالحين وكان ابن عباس يقول هذه الآية من أشد شيء على أهل التوحيد هذا لقوله في أولها يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وقيل لا يسأل عبد الرجعة عند الموت وله عند الله مثقال ذرة من خير وفي معناه الخبر من كان له عند الله في الآخرة مثقال ذرة لو أن له الدنيا وما فيها لم يحب أن يعود فيها (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها) والله خبير بما تعملون وقد اختلف في هذه الآية (فقيل الأجل القريب الذي يطلبه معناه أن يقول عند كشف

الغطاء للعبد يا ملك الموت أخرني يوما اعتذر فيه الى ربي وأتوب وأتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول فأخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتتردد انفاسه في شراسفه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب أصل ايمانه في صدمات تلك الاحوال فاذا زهقت نفسه فان كان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ولمثل هذا يقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن وقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أتبع السيئة الحسنة تمحها ولذلك قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين أحدهما ان تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو الثاني ان يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبران أكثر صياح أهل النار من التسويف فما هلك من هلك الا بالتسويف فيكون تسويده القلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة الى ان يختطفه الموت فيأتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم فالقلب أمانة الله تعالى عند عبده والعمر أمانة الله عنده وكذا سائر الطاعة فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فامره مخطر قال بعض العارفين ان الله تعالى الى عبده سرين

الغطاء يا ملك الموت أخرني يوما اعتذر فيه الى ربي) ولفظ القوت أعتب فيه ربي (فأتوب وأتزود صالحا لنفسي فيقول) ملك الموت (فنيت الايام فلا يوم فيقول) العبد (فأخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة) فتبلغ الروح الحلقوم فيؤخذ بكظمه عند الغرغرة (فيغلق عليه باب التوبة) ويحجب عنه (فيغرغر بروحه وتتردد أنفاسه في شراسفه) وهي عظام الحلق وتنقطع الاعمال وتذهب الاوقات (ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر) النفيس ويشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيمتد بصره (فيضطرب أصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا) كان في آخر نفس (وزهقت نفسه فان كان سبقت له من الله الحسنى) ولفظ القوت فيدركه ما سبق له من السعادة (فتخرج روحه على التوحيد وذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضاء بالشقاوة والعياذ بالله) تعالى (خرجت) ولفظ القوت أو يدركه ما سبق له من الشقاوة فتخرج (روحه على الشك والاضطراب) ولفظ القوت على الشرك بالشك (وذلك سوء الخاتمة ولمثل هذا قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن) وقيل هو المنافق المدمن على المعاصي المصر عليها وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود ان العبد يولد مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت كافرا وان العبد يولد كافرا ويعيش كافرا ويموت مؤمنا وان العبد ليعمل برهة من دهره بالسعادة ثم يدركه ما كتب له فيموت شقيا وان العبد ليعمل برهة من دهره بالشقاء ثم يدركه ما كتب له فيموت سعيدا (وقوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) قيل قبل الموت وقبل ظهور رآيات الآخرة وقيل الغرغرة لانه تعالى حكم ان التوبة بعد ظهور علام الآخرة لا تنفع ومنه قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أي قبل معاينة الآيات أو كسبت في ايمانها خيرا قيل التوبة هي كسب الايمان باصول الخيرات وقيل الاعمال الصالحة وهي الايمان وعلامة الايقان (و) قيل في قوله من قريب (معناه عن قرب عهد بالخطيئة) لا يتمادى فيها ولا يتباعد عن التوبة (بان يتندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها) بان يعقب الذنب عملا صالحا ولا يردفه ذنبا آخر وان يخرج من السيئة الى الحسنة ولا يدخل في سيئة أخرى (قبل ان يتراكم الرين على القلب) فيصير طبعا (فلا يقبل المحو) أصلا (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم) لمعاذ بن جبل حين قال له أوصني فقال خالق الناس بخلق حسن و (اتبع السيئة الحسنة تمحها) وقد تقدم قريبا (ولذلك قال لقمان لابنه لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده والبيهقي عن عثمان بن زائدة (ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف) أي المطل والتأخير وأصله ان يقول لمن وعده بالوفاء سوف افعل مرة بعد أخرى (كان بين خطرين عظيمين أحدهما ان تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى تصير رينا وطبعا فلا تقبل المحو الثاني ان يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبران أكثر صياح أهل النار من التسويف) قال العراقي لم أجد له أصلا (فما هلك من هلك الا بالتسويف) وفي القوت حقيقة التوبة ان لا يسوف أبدا انما يلزم انها في الوقت (فيكون تسويده للقلب) بتلك المعاصي (نقدا) حاضرا (وجلاؤه بالطاعة نسيئة) ومازال كذلك (الى ان يخطفه الاجل) بسرعة (فيأتي الله) يوم العرض (بقلب غير سليم) من الغش (ولا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم والقلب أمانة الله عند عبده والعمر أمانة الله عنده وكذا سائر أسباب الطاعة فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فامره مخطر) جدا (قال بعض العارفين) من الصوفية (ان الله عز وجل أسر الى عبده سرين

يسرهما اليه على سبيل الالهام أحدهما اذا خرج من بطن أمه يقول له عبدى قد أخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليــه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر الى كيف تلقانى والثانى عند خروج روحه يقول عبدى ماذا صنعت فى امانتى عندك هل حفظتها حتى تلقانى على العهد فالقاك على الوفاء (٥٢٢) أو أضعتها فالقاك بالمطالبة والعقاب واليــه الاشارة بقوله تعالى أوفوا بعهدى أوف بعهدكم و بقوله تعالى والذين هــم لاماناتهم وعهدهم راعون

(بيان ان التــوبة اذا استجمعت شرائطها فهــى مقبولة لامحالة) اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك فى ان كل توبة صحيحة فهــى مقبولة فالناظر ون بنور البصائر المستمد ون من أنوار القرآن علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم فى الآخرة فى جوار الله تعالى ومستعد لان ينظر بعينــه الباقية الى وجه الله تعالى وعلموا أن القلب خلق سليما فى الاصل وكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوته الســلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا أن نار الندم تحرق تلك الغــبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئــة وانه لا طاقة لظــلام المعاصى مــع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لــكدورة الوسخ مع بياض الصابون وكما أن الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباســه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لان يكون فى جــواره وكما ان استعمال الثوب فى الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لامحالة فاستعمال القلب فى الشهوات يوسخ القلب وغســله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه و يطهره و يزكيه وكل قلب زكى طاهر فهو مقبول كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما عليك التزكية والتطهير وأما القبول فبذول قد سبق به

يسرهما اليه على سبيل الالهام) ولفظ القوت ان الله تعالى أسر الى عبــده سرين يسرهما اليه يوجــده ذلك بالهام يلهمه (أحــدهما اذا) ولد و (خرج من بطن أمه يقول له عبدى قد أخرجتــك الى الدنيا طاهرا) سويا (نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه) ولفظ القوت لتمسك عليه (فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقانى) به كما أخرجتك (و) السر (الثانى عند خروج روحه يقول له عبدى ماذا صنعت فى أمانتى عنــدك هل حفظتها حتى تلقانى على العهد) والرعاية (فالقاك على الوفاء) ولفظ القوت بالوفاء والجزاء (أو ضيعتها فالقاك بالمطالبــة والعقاب والى ذلك الاشارة بقوله عز وجل وأوفوا بعهــدى أوف بعهدكم) قيل العهد على أمانة عبده ان كان حفظها فقد أدى الامانة وان كان ضــيعها فقد خان الله والله لا يحب الخائنين (و بقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) و يروى عن ابن عباس مرفوعا من ضيع فرائض الله خرج من امانة الله واذ قد فهمت ما ساقه المصنف فى هذا الفصل ظهر لك انه لا نهاية لمراتب التوبة ومراقيها وتسمية هذا الفصل بالانابة أولى لان حقيقة الانابة تكرار الرجوع الى الله تعالى وان لم يتقدمها ذنب والله أعلم

(فصل فى بيان ان التوبة اذا استجمعت شرائطها)

وأركانها وشهدت العلامات بصحتها (فهى مقبولة لامحالة) بفضل الله تعالى لا بطريق الوجوب اذ لا يجب شئ على الخالق لانه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا قال الله تعالى ولا يخاف عقباها هذا حاصل ما ذكره المصنف فى هذا الفصل وقد أخر تلك الشرائط وكان الاولى تقديمها حتى يكون ما فى هــذا الفصل كالمتمم له والايمان بهذا واجب لانه من عقود الايمان بالله تعالى (اعلم) أرشدك الله تعالى (انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك فى ان كل توبة صحيحة) وهى المستجمعة الشروط والاركان (فهى مقبولة فالناظرون بنور البصائر) وهو المفاض على القلوب (المستمدون من أنوار القرآن علموا ان كل قلب سليم) من المعاصى (مقبول عند الله تعالى ومتنعم فى الآخرة فى جوار الله تعالى ومستعد لان ينظر بعينه الباقيــة الى وجه الله تعالى وعلموا) أيضا (ان القلب خلق سليما فى الاصل) أى فى الفطرة الاصليــة (وكل مولود يولد على الفطرة) كما رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وتمامه فابواه يهودانه و ينصرانه و يشركانه الحديث وقال حسن صحيح وقد تقدم (وانما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه) أى تعلوه (من غبرة الذنوب وظلمتها) وروى أحمد من حــديث جابر كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فاذا أعرب عنه لسانه اما شاكرا واما كفورا (وعلموا أن نار الندم) المتولدة من التوجع (تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام المعاصى مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار) بل ينسخه ويمحوه (بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون) المتخذ من القلى والجير والزيت (وكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب) المظلم لا يقبله الله تعالى و (لا) يليق (ان يكون فى جواره) وحظيرته (وكما ان اســتعمال الثوب فى الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب) و يدنسه (وغســله بالصابون والماء الحار ينظفه لامحالة) و يزيل وسخه (فاستعمال القلب فى الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة النــدم ينظفه و يطهره و يزكيه وكل قلب زكى طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما عليك التزكية والتطهير) من الادناس والارجاس (وأما القبول فبذول قد سبق به

القضاء الازلى الذى لامرد له وهوالمسمى فلاحافى قوله قد أفلح من زكاها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة أقوى وأجلى من المشاهدة
بالبصران القلب يتأثر بالمعاصى والطاعات تاثرامتضادا يستعار لاحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للآخر لفظ النور كما يستعار
للعلم وأن بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكأنه لم يبق من الدين الاقشوره ولم يعلق به الا أسماؤه وقلبه
فى غطاء كثيف عن حقيقة
الدين بل عن حقيقة نفسه
وصفات نفسه ومن جهل
نفسه فهو بغيره أجهل
وأعنى به قلبه اذ بقلبه يعرف
غير قلبه فكيف يعرف غيره
وهو لا يعرف قلبه فمن يتوهم
أن التوبة تصح ولا تقبل
كمن يتوهم أن الشمس
تطلع والظلام لا يزول
والثوب يغسل بالصابون
والوسخ لا يزول الا أن
يغوص الوسخ لطول تراكمه
فى تجاويف الثوب وخلاله
فلا يقوى الصابون على
قلعه فمثال ذلك أن تتراكم
الذنوب حتى تصير طبعا
ورينا على القلب فمثل
هذا القلب لا يرجع ولا
يتوب نعم قد يقول باللسان
تبت فيكون ذلك كقول
القصار بلسانه قد غسلت
الثوب وذلك لا ينظف الثوب
أصلا مالم يغير صفة الثوب
باستعمال مايضاد الوصف
المتمكن به فهذا حال امتناع
أصل التوبة وهو غير بعيد
بل هو الغالب على كافة
الخلق المقبلين على الدنيا
المعرضين عن الله بالكلية
فهذا البيان كاف عند ذوى
البصائر فى قبول التوبة
ولكنا نعضد جناحه بنقل
الآيات والاخبار والآثار فكل استبصار لايشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن
السيآت وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك من الآيات وقال صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة أحدكم الحديث والفرح
وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل يبسط يده بالتوبة لمسىء الليل الى النهار ولمسىء النهار الى الليل

القضاء الازلى الذى لامرد له وهو المسمى فلاحا فى قوله تعالى قد أفلح من زكاها) أى طهرها أى نفسه من الشهوات الخفية (ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة) هى (أقوى وأجلى من المشاهدة بالبصران القلب يتأثر بالمعاصى والطاعات تأثرامتضادا يستعار لاحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل) بجامع عدم الاهتداء (ويستعار للآخر لفظ النور كما يستعار للعلم وان بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكأنه لم يعرف من الدين الاقشوره ولم يعلق به الا أسماؤه) يقال علق اذا لصق (وقلبه فى غطاء كثيف) أى غليظ (عن) معرفة (حقيقة الدين بل) هو فى غطاء (عن) معرفة (حقيقة نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل وأعنى به) أى بغيره (قلبه اذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه فمن يتوهم ان التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول) هذا لا يكون (و) كمن يتوهم ان (الثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول) اللهم (الا أن يغوص الوسخ لطول تراكمه فى تجاويف الثوب وخلاله) أى اثنائه (فلا يقوى الصابون على قلعه ومثال ذلك أن تتراكم الذنوب حتى يصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب) ولا ينجع فيه تأثير ولا يوفق بعده لغيره وقال مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذنب ذنبا انقبض أصبع حتى تنقبض الاصابع كلها فتشتبك على القلب فذلك هو القفل وسيأتى هذا للمصنف قريبا ويقال ان لكل ذنب نباتا ينبت فى القلب فاذا كثرت الذنوب تكاثف النبات حول القلب مثل الكم المثمرة فانضم على القلب فذلك الغلاف ويقال الكنان واحد الاكنة التى ذكر الله ان القلب لا يسمع معها ولا يفقه (نعم قد يقول باللسان انى (تبت) الآن (فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك) أى مجرد هذا القول (لا ينظف الثوب أصلا مالم يغير صفة الثوب باستعمال مايضاد الوصف المتمكن به) الراسخ فيه (فهذا حال امتناع أصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين) بهممهم (على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية) وحاصل الكلام ان توبة العبد اذا وقعت على الوجه المعتبر شرعا فهى مقبولة الا انها اذا كانت توبة الكافر من كفره فهى مقطوع بقبولها وان كانت سواها من أنواع التوبة فهل قبولها مقطوع به أو مظنون فيه خلاف لاهل السنة واختار امام الحرمين أنه مظنون قال النووى وهو الاصح قال القشيرى فى الرسالة التائب من الذنب على يقين ومن قبوله التوبة على خطر فينبغى أن يكون دائم الحذر (فهذا البيان كاف عند ذوى البصائر) والعقول (فى قبول التوبة) ولا يفتقر بعده الى تنبيه (ولكن نعضد جناحه بنقل الآيات والاخبار والآثار) ليتأيد بها (فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال تعالى) فى كتابه العزيز (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك من الآيات) كقوله تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده وكقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الآية وكقوله فمن رمى بنفسه فى وهدة الكفر لن تقبل توبتهم وكقوله والله يريد أن يتوب عليكم وكقوله والله يحب التوابين والمحبة وراء القبول (وقال صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة أحدكم الحديث) أى الى آخره وقد تقدم قريبا من رواية مسلم وغيره (والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة) وقد تقدم أن الفرح لغة استرواح الصدر بلذة عاجلة وهى محال فى حقه تعالى وانما أريد بذلك الرضا والقبول تأكيد المعنى فى ذهن السامع ومبالغة فى تقريره (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبسط يده بالتوبة لمسىء الليل الى النهار ولمسىء النهار الى الليل) ولا يزال كذلك

(حتى تطلع الشمس من مغربها) فاذا طلعت أغلق باب التوبة يعني يقبل التوبة من العباد ليلا ونهارا قال العراقى رواه مسلم من حديث أبي موسى بلفظ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار الحديث وفى رواية الطبرانى لمسيء الليل أن يتوب بالنهار الحديث انتهى قلت لفظ مسلم ان الله عز وجل ليبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وهكذا رواه أحمد وابن أبي شيبة والنسائى والدارقطنى والبيهقى فى الصفات وأبو الشيخ فى العظمة وأما لفظ الطبرانى الذى أشار اليه العراقى فرواه فى الاوسط من حديث ابن جريج عن عطاء عن جابر بلفظ ان الله يعرض على عبده فى كل يوم نصيحة فان هو قبلها سعد وان تركها شقى فان الله باسط يده بالليل لمسيء النهار ليتوب فان تاب تاب الله عليه وباسط يده بالنهار لمسيء الليل فان تاب تاب الله عليه الحديث ورواه كذلك ابن عساكر وابن شاهين عن ابن جريج عن الزهرى مرسلا (وبسط اليد كناية عن طلب التوبة) وقبولها وهو فى حقه تعالى عبارة عن التوسع فى الجود والتنزيه عن المنع عند اقتضاء الحكمة (والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب) فقبوله واقباله على قدر حاله (ولا طالب الا وهو قابل) ففى الطلب قبول وزيادة عليه (وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء) أى لكثرتها وتراكم بعضها على بعض (ثم ندمتم لتاب الله عليكم) قال العراقى رواه ابن ماجه من حديث أبى هريرة بلفظ لو أخطأتم وقال ثم تبتم واسناده حسن انتهى قلت لفظ ابن ماجه لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم قال المنذرى اسناده جيد وأخرج ابن زنجويه فى فوائده عن الحسن بلاغا لو أخطأ أحدكم حتى تملأ خطيئته ما بين السماء والارض ثم تاب لتاب الله عليه وروى أحمد وأبو يعلى والضياء من حديث أنس والذى نفسى بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم الله لغفر لكم الحديث ورجاله ثقات ورواه ابن زنجويه من حديث أبى هريرة بلفظ والذى نفسى بيده لو انكم تخطؤن حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تتوبون لتاب الله عليكم وفى أوّله زيادة (وقال) صلى الله عليه وسلم (أيضا ان العبد) أى الانسان (ليذنب) أى ليوقع ويفعل (الذنب فيدخل به) أى بسببه (الجنة) لان الذنب مستجلب للتوبة والاستغفار الذى هو موقع محبة الله تعالى ان الله يحب التوّابين ومن أحبه لم يدخله النار (قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون) ذنبه (نصب عينيه) أى مستحضرا له كأنه يشاهده أبدا (تائبا) الى الله (منه فارا) منه اليه (حتى يدخل) به (الجنة) لانه كلما ذكره طار عقله حياء من ربه حيث فعله وهو يرأى منه ويسمع فيجد فى توبته ويتضرع فى انابته بخاطر منكسر وقلب حزين والله تعالى يحب كل قلب حزين ومن أحبه أدخله جنته ورفع منزلته قال العراقى رواه ابن المبارك فى الزهد عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرسلا ولابى نعيم فى الحلية من حديث أبى هريرة ان العبد ليذنب الذنب فاذا ذكره أحزنه فاذا نظر الله اليه انه أحزنه غفر الله له الحديث وفيه صالح المرى وهو رجل صالح لكنه مضعف فى الحديث ولابن أبى الدنيا فى التوبة من حديث ابن عمر ان الله ينفع العبد بالذنب يذنبه والحديث غير محفوظ قاله العقيلى انتهى قلت لفظ أبى نعيم غفر له ما صنع وتمامه قبل أن تأخذ فى كفارته بلا صلاة ولا صيام وقد رواه أبو نعيم فى تاريخ أصبهان وابن عساكر كلاهما من طريق عيسى بن خالد عن صالح المرى عن هشام عن محمد عن أبى هريرة قال أبو نعيم غريب من حديث هشام وصالح لم يكتبه الا من حديث عيسى (وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة) أى ندامته تغطى ذنبه والكفارة عبارة عن الفعلة والخصلة التى من شأنها أن تكفر الخطيئة وهى فعالة للمبالغة كقرابة ومثالة وهى من الصفات الغالبة فى الاسمية قاله الطيبى وقال رزين وكون الندامة تكفر الذنب خصوصية لهذه الامة وكانت بنو اسرائيل اذا أخطأ أحدهم حرم عليه كل طيب من الطعام وتصبح خطيئته مكتوبة على باب داره والحديث قال العراقى رواه أحمد والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس وفيه يحيى بن عمرو بن مالك البكرى ضعيف انتهى قلت ولكن للحديث

حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال أيضا ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا منه فارا حتى يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة

بقية وهى لولم تذنبوا الاتى الله بقوم يذنبون فيغفر لهم ويحيى بن عمر بن مالك من رجال الترمذى قال الذهبى كان حماد بن زيد يرميه بالكذب وأبوه عمرو بن مالك كان يسرق الحديث وقد رواه القضاعى أيضا فى مسند الشهاب وكلهم من هذا الطريق عن ابن الجوزى عن ابن عباس (وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له) رواه ابن ماجه من حديث ابن مسعود وقد تقدم الكلام عليه قريبا (وروى أن حبشيا قال يارسول الله انى كنت أعمل الفواحش فهل لى من توبة قال نعم فولى) منصرفا (ثم رجع) على يديه (فقال يارسول الله أكان يرانى وأنا أعملها قال نعم فصاح الحبشى صيحة خرجت فيها روحه) حياء من الله تعالى وحشمة منه طار به عقله ثم تبعه روحه قال العراقى لم أجد له أصلا (وروى) فى بعض الاخبار (ان الله لما لعن ابليس سأله النظرة) بكسر الظاء أى الامهال وذلك فى قوله تعالى فانظرنى الى يوم يبعثون (فانظره الى يوم القيامة) وذلك قوله تعالى فانك من المنظرين (فقال) ابليس (وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم مادامت فيه الروح) أى أصحبه الى آخر أنفاسه وأغويه (فقال الله تعالى وعزتى وجلالى لا حجبت عنه التوبة مادامت فيه الروح) قال العراقى رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد ان الشيطان قال وعزتك يارب لا أزال أغوى عبادك مادامت أرواحهم فى أجسادهم فقال وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى أورده المصنف بصيغة وروى كذا ولم يعزه الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكرته احتياطا انتهى قلت ورواه كذلك ابن زنجويه وعبد بن حميد والضياء (وقال صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيآت كما يذهب الماء الوسخ) قال العراقى لم أجده بهذا اللفظ وهو صحيح المعنى وهو بمعنى اتبع السيئة الحسنة تمحها رواه الترمذى وتقدم قريبا قلت بل روى أبو نعيم فى الحلية من حديث شداد بن أوس أن التوبة تغسل الحوبة وان الحسنات يذهبن السيآت الحديث فلعل المصنف أشار الى هذا (والاخبار فى هذا) الباب يعنى قبول التوبة (لا تحصى) لكثرتها ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يغفر لعبده مالم يقع الحجاب قيل وما وقوع الحجاب قال تخرج النفس وهى مشركة رواه أحمد والبخارى فى التاريخ وأبو يعلى وابن حبان والبغوى فى الجعديات والحاكم والضياء من حديث أبى ذر وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يفتح أبواب سماء الدنيا ثم يبسط يده ألا عبد يسألنى فأعطيه فلا يزال كذلك حتى يسطع الفجر رواه ابن عساكر من حديث ابن مسعود وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر رواه ابن زنجويه والحاكم والبيهقى من حديث ابن عمر ورواه ابن جرير من حديث عبادة ومن حديث أبى أيوب بشير بن كعب ورواه ابن زنجويه وابن جرير عن الحسن بلاغا ورواه أحمد عن رجل من الصحابة بلفظ مالم يغرغر بنفسه وفى رواية له قبل أن يموت بضحوة وفى أخرى له قبل أن يموت بنصف يوم وفى أخرى له قبل أن يموت بيوم ورواه من حديث أبى ذر بلفظ ان الله يقول ياعبدى ماعبدتنى ورجوتنى فانى غافر لك على ما كان فيك وياعبدى ان لقيتنى بقراب الارض خطيئة مالم تشرك بى لقيتك بقرابها مغفرة وقوله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده مامن أحد يتوب قبل موته بيوم الاقبل الله توبته رواه البغوى عن رجل من الصحابة وقوله صلى الله عليه وسلم مامن عبد يتوب الى الله عز وجل قبل الموت بشهر الاقبل الله منه وأدنى من ذلك وقبل موته بيوم أو ساعة يعلم الله منه التوبة والاخلاص الا قبل الله منه رواه الطبرانى من حديث ابن عمر وقوله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل موته بعام يتب عليه حتى قال بشهر حتى قال بجمعة حتى قال بيوم حتى قال بساعة حتى قال بفواق رواه الحاكم والبيهقى والخطيب فى المتفق والمفترق من حديث أبى عمرو (وأما الآثار فقد قال سعيد بن المسيب) رحمه الله تعالى (أنزل قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا فى الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب) وقال سعيد بن جبير للاوابين الرجاعين الى الخير أخرجه ابن أبى الدنيا فى التوبة وقال الضحاك نزلت فى الراجعين من الذنب الى التوبة ومن السيآت الى الحسنات أخرجه سعيد بن منصور وابن أبى حاتم والبيهقى فى الشعب (وقال الفضيل)

وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له وروى ان حبشيا قال يارسول الله انى كنت أعمل الفواحش فهل لى من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يارسول الله أكان يرانى وأنا أعملها قال نعم فصاح الحبشى صيحة خرجت فيها روحه وروى ان الله عز وجل لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره الى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتى وجلالى لا حجبت عنه التوبة مادام فيه الروح وقال صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيآت كما يذهب الماء الوسخ والاخبار فى هذا لا تحصى (وأما الآثار) فقد قال سعيد بن المسيب أنزل قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا فى الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل

قال الله تعالى بشر المذنبين بانهم ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين انى ان وضعت عليهم عدلى عذبتهم وقال

طلق بن حبيب ان حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه محيت عنه فى أم الكتاب وروى ان نبيا من أنبياء بنى اسرائيل أذنب فاوحى الله تعالى اليه وعزتى لئن عدت لاعذبنك فقال يارب أنت أنت وأنا أنا وعزتك ان لم تعصمنى لاعودن فعصمه الله تعالى وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتنى لم أوقعه فى الذنب وقال حبيب بن ثابت تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول أما انى قد كنت مشفقا منه قال فيغفر له وروى أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فاعرض عنه ابن مسعود ثم التفت اليه فرأى عينيه تذرفان فقال له ان للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس وقال عبد الرحمن بن أبى القاسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال انى لارجو أن يكون المسلم عند الله أحسن حالا ولقد بلغنى أن توبة المسلم كاسلام بعد اسلام وقال عبد الله بن سلام لا أحدثكم الا عن نبى مرسل أو كتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين وقال عمر رضى الله عنه اجلسوا الى التوابين فانهم أرق أفئدة

ابن عياض رحمه الله تعالى (قال الله تعالى بشر المذنبين بانهم ان تابوا) الى (قبلت منهم) توبتهم (وحذر الصديقين انى ان وضعت عليهم عدلى عذبتهم وقال طلق بن حبيب) العنزى البصرى العابد قال أبو حاتم صدوق فى الحديث وقال طاوس هو ممن يخشى الله وقال مالك بلغنى ان طلقا كان من العباد كان برا بأبيه وكان ممن دخل الكعبة فى نفر كان الحجاج طلبهم فأخذهم وقتلهم وروى له الجماعة الا البخارى (ان حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين) أخرجه المزنى فى التهذيب الا أنه قال ان تقوم بها العباد وزاد بعده وان نعمه أكثر من أن تحصى والباقى سواء (وقال عبد الله بن عمر) ابن الخطاب رضى الله عنهما (من ذكر خطيئة ألم بها) أى فعلها ووقع فيها (فوجل منها قلبه محيت عنه فى أم الكتاب) أى اللوح المحفوظ وذلك لان الوجل انما يحصل من الندم والندم أعظم اركان التوبة فهو أحرى بان تحقق به توبته وتمحى بذلك خطيئته (وروى) فى بعض الاخبار (أن نبيا من أنبياء بنى اسرائيل أذنب) ذنبا (فاوحى الله اليه وعزتى لئن عدت لاعذبنك فقال يارب أنت أنت) فى ربوبيتك (وأنا أنا) فى عبوديتى (وعزتك ان لم تعصمنى لاعودن فعصمه الله تعالى وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب) أى ليفعله (فلا يزال نادما) أى متحسرا على ما صدر منه (حتى يدخل الجنة) بسبب حزنه عليه (فيقول ابليس ليتنى لم أوقعه فى الذنب) وشاهده ما تقدم من حديث أبى هريرة عند أبى نعيم وابن عساكر قريبا (وقال حبيب بن أبى ثابت) الاسدى مولاهم أبو يحيى الكوفى ثقة فقيه جليل مات سنة تسع عشرة ومائة روى له الجماعة وأبو ثابت اسمه قيس بن دينار وقيل هند (تعرض على رجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول اما انى قد كنت مشفقا منه) أى خائفا (قال فيغفر له) أى بسبب اشفاقه منه فى الدنيا وهذا يدل على قبول التوبة (ويروى أن رجلا سأل ابن مسعود) رضى الله عنه (عن ذنب ألم به هل له من توبة فاعرض عنه ابن مسعود ثم التفت اليه فرأى عينيه تذرفان) أى تسيلان بالدموع (فقال له ان للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فانه عليه ملك موكل به لا يغلقه) أبدا (فاعمل ولا تيأس) وروى الطبرانى فى الكبير من حديث صفوان بن عسال ان للتوبة بابا عرض ما بين مصراعيه ما بين المشرق والمغرب لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها ولابن حبان ان من قبل المغرب بابا فتحه الله للتوبة مسيرة أربعين سنة يوم خلق الله السموات والارض فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه ولابن ماجه ان من قبل المغرب بابا مفتوحا عرضه سبعون سنة فلا يزال ذلك الباب مفتوحا حتى تطلع الشمس نحوه فاذا طلعت من نحوه لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا ولابن زنجويه ان الله جعل بالمغرب بابا مسيرة عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله وكذلك قوله يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها وقول ابن مسعود السابق قد روى مرفوعا بلفظ للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة وأبو يعلى والطبرانى والحاكم (وقال عبد الرحمن بن أبى القاسم تذاكرنا مع عبد الرحيم) بن يحيى الدمشقى المعروف بالاسود (توبة الكافر وقول الله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال انى لارجو أن يكون المسلم عند الله أحسن حالا) من الكافر (ولقد بلغنى ان توبة المسلم كاسلام بعد اسلام (وقال عبد الله بن سلام) بالتخفيف الاسرائيلى أبو يوسف رضى الله عنه حليف الانصار قيل كان اسمه الحصين فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله مشهور له أحاديث وفضل مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين (لا أحدثكم الا عن نبى مرسل أو كتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه) ذلك الذنب (أسرع من طرفة عين) وشاهده حديث أبى هريرة السابق ذكره عند أبى نعيم فاذا نظر الله اليه انه أحزنه غفر له ما صنع (وقال عمر رضى الله عنه اجلسوا الى التوابين فانهم أرق أفئدة) ولفظ القوت فى الخبر جالسوا التوابين فانهم أرق أفئدة وسيأتى للمصنف

وقال بعضهم انا أعلم متى يغفر الله لى قيل ومتى قال اذا تاب على وقال آخر أنا من أن أحرم التوبة أخوف من أن أحرم المغفرة اى المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لامحالة و يروى انه كان فى بنى اسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر فى المرآة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك فقال الهى أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك أتقبلنى فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا أحببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك وان رجعت الينا قبلناك وقال ذو النون المصرى رحمه

الله تعالى ان لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتلذذوا من غير عى ولا بكم وانهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم فى الملكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرؤا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم فى العلا حتى أناخوا فى رياض النعيم وخاضوا فى بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا بريح النجاة فى بحر السلامة

حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة فهذا القدر كاف فى بيان أن كل توبة صحيحة فمقبولة لامحالة فان قلت أفتقول بما قالته المعتزلة من أن قبول التوبة واجب على الله فاقول لا أعنى بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله الا ما يريده القائل بقوله ان الثوب اذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب الماء وجب زوال العطش وانه اذا منع الماء مدة وجب العطش وانه اذا دام العطش وجب الموت وليس فى شئ من ذلك ما يريده المعتزلة بالايجاب على الله تعالى بل أقول خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلا للعطش والقدرة متسعة بخلافه لو سبقت به المشيئة فلا واجب على الله تعالى ولكن ما سبقت به ارادته الازلية فواجب كونه لامحالة

قريبا (وقال بعضهم أنا أعلم متى يغفر الله لى قيل ومتى قال اذا تاب على) نقله صاحب القوت بلفظ وكان بعضهم يقول قد علمت والباقى سواء (وقال آخر أنا من ان أحرم التوبة أخوف من أن أحرم المغفرة) نقله صاحب القوت (أى المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لامحالة) فاذا حرم التوبة حرم المغفرة فلذلك من حرمان التوبة كان أخوف (و يروى انه كان فى بنى اسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر) وجهه يوما (فى المرآة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك) أى أحزنه (فقال الهى أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك أتقبلنى فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصه أحببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك وان رجعت الينا قبلناك) وقد قال تعالى وان عدتم عدنا وفى الخبر ما أصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة (وقال) أبو الفيض (ذو النون المصرى) رحمه الله تعالى (ان لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب) أى نصبوها بين أعينهم حيث ترمقها القلوب (وسقوها بماء التوبة) فتفرعت (فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون) وفيهم قيل

مجانين الا ان سر جنونهم * عزيز لدى ابداثه يسجد العقل

(وتبلدوا من غير عى) أى حصر لسان (ولا بكم وانهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله) فجنونهم وتبلدهم انما هو على ظهر ما يرى منهم (ثم شربوا بكأس الصفاء) فتصفت بواطنهم عن الجفاء (فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم فى الملكوت) الاعلى (وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت) وهو عالم الملائكة المقربين (واستظلوا تحت رواق الندم وقرؤا صحيفة الخطايا فاورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو) مقام (الزهد بسلم الورع) والتقوى (فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا) وفطموا نفوسهم عنها (واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم فى العلا) والملأ الاعلى (حتى أناخوا فى رياض النعيم وخاضوا فى بحر الحياة وردموا خنادق الجزع) أى سدوها (وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم) الحقيقى أى بساحته (واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا) أى رفعوا اشراعها (بريح النجاة) من الخوف (فى بحر السلامة) من الكدر (حتى وصلوا الى رياض الراحة) من التعب (ومعدن العز والكرامة) فى حظيرة القدس الاقدس أورده ابن خميس فى مناقب الابرار فى ترجمة ذى النون من طريق يوسف بن الحسين قال سمعت ذا النون المصرى فذكر نحوه بطوله (فهذا القدر كاف فى بيان ان كل توبة صحيحة) بشروطها (فمقبولة لامحالة فان قلت أفتقول ما قالت المعتزلة من ان قبول التوبة واجب على الله) تعالى بناء على قاعدة مذهبهم من رعاية الصالح والاصلح (فاقول لا أعنى بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله) تعالى (الا ما يريده القائل بقوله ان الثوب اذا غسل بالصابون) مثلا (وجب زوال الوسخ) عنه (وان العطشان اذا شرب الماء وجب زوال العطش) عنه (وانه اذا منع الماء مدة وجب العطش وانه اذا دام العطش وجب الموت) بيبس العروق ونفاد الرطوبة الغريزية (وليس فى شئ من ذلك ما يريده المعتزلة بالايجاب على الله تعالى بل أقول خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلا للعطش والقدرة متسعة بخلافه لو سبقت به المشيئة فلا واجب على الله تعالى ولكن ما سبقت به الارادة الازلية فواجب كونه لامحالة) وقد

فان قلت فما من تائب الا وهو شاك فى قبول توبته والشارب للماء لا يشك فى زوال عطشه فلم يشك فيه فاقول شكه فى القبول كشكه فى وجود شرائط الصحة فان للتوبة أركانا وشروطا دقيقة كما سيأتى وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذى يشك فى دواء شربه للاسهال فى أنه هل يسهل وذلك اشكه فى حصول شروط الاسهال فى الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وأدويته فهذا وأمثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك فى قبولها لامحالة على ما سيأتى فى شروطها ان شاء الله تعالى

(الركن الثانى فيما عنه التوبة وهى الذنوب صغائرها وكبائرها)

اعلم أن التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشئ الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان مالا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذا واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله تعالى فى ترك أو فعل وتفصيل ذلك يستدعى شرح التكليفات من أولها الى آخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط أقسامها والله الموفق للصواب برحمته

(بيان أقسام الذنوب بالاضافة الى صفات العبد)

اعلم ان للانسان أوصافا وأخلاقا كثيرة على ما عرف شرحه فى كتاب عجائب القلب وغوائله ولكن تنحصر مثارات الذنوب فى أربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط فى المعجون منه أثرا من الآثار كما يقتضى السكر والخل والزعفران فى السكنجبين آثارا مختلفة * فاما ما يقتضى النزوع الى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كانه يريد أن يقول أنا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهى المهلكات العظيمة التى هى كالامهات لاكثر المعاصى

سبق تقريرذلك مع بيان قاعدة مذهبهم وما فرعوا عليها فى كتاب قواعد العقائد فاغنانا عن الاعادة (فان قلت فما من تائب الا وهو شاك فى قبول توبته) ليس على يقين منه (والشارب للماء لا يشك فى زوال عطشه) بل هو على يقين منه وقد شهدت فى وجوبه بوجوبه (فلم يشك فيه فاقول شكه فى القبول كشكه فى وجود شرائط الصحة فان للتوبة أركانا وشروطا دقيقة) لابد من مراعاتها فى وجودها وصحتها وكمالها (كما سيأتى) ذكر ذلك قريبا (وليس يتحقق وجود جميع شرائطها) بخلاف شرب الماء وهذا (كالذى يشك فى دواء شربه للاسهال فى انه هل يسهل) أم لا (وذلك لشكه فى حصول شروط الاسهال فى الدواء باعتبار الحال) والمزاج (والوقت و) باعتبار (كيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وأدويته فهذا وأمثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك فى قبولها لامحالة على ما سيأتى فى شروطها ان شاء الله تعالى) قريبا والله الموفق وبه تم الركن الاول

(الركن الثانى فيما عنه التوبة وهى الذنوب صغائرها وكبائرها)

ومعرفة حدود كل منها (اعلم) وفقك الله تعالى (ان التوبة) فى الاصل رجوع الى الله تعالى ولا يكون الرجوع الا بترك ما كان ملتبسا به فلذلك قلنا ان التوبة (ترك للذنب) أى لفعله وايقاعه (ولا يمكن ترك الشئ الا بعد معرفته) فما لا يعرف كيف يترك (واذا كانت التوبة واجبة) على ما تقرر (كان مالا يتوصل اليها الا به واجبا) أيضا (فمعرفة الذنوب) باقسامها (اذا واجبة والذنب) أصله الاخذ بذنب الشئ وفى العرف الشرعى (عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله فى ترك أو فعل) مما تستوخم عاقبته ولذلك سمى تبعة اعتبارا بما يحصل من عاقبته وهو عند أهل الله ما يحجب عن الله تعالى (وتفصيل ذلك يستدعى شرح التكليفات) الشرعية (من أولها الى آخرها وليس ذلك من غرضنا) الآن (ولكنا نشير الى مجامعها وروابط أقسامها) التى منها تتفرع أنواعها (والله الموفق للصواب برحمته) وفضله

(بيان أقسام الذنوب بالاضافة الى صفات العبد)

(اعلم) أرشدك الله تعالى ان صاحب القوت قسم الذنوب الى سبعة ضروب بعضها أعظم من ذنب لكل منها مراتب فى كل مرتبة من المذنبين طبقة وقد فصلها المصنف تفصيلا غريبا وحصرها فى ثلاث قسم فقال فى القسمة الاولى (ان للانسان أوصافا وأخلاقا كثيرة على ما عرف شرحه فى كتاب عجائب القلب وغوائله ولكن تنحصر) هنا (مثارات الذنوب فى أربع صفات) هى منابعها (صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من أخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط فى المعجون منه أثرا من الآثار كما يقتضى السكر) أو العسل (والخل) وفى بعض النسخ زيادة والزعفران (فى السكنجبين آثارا مختلفة) ولا أعرف من الاطباء من ذكر الزعفران من جملة أجزاء السكنجبين وانما هو مركب من عسل أو سكر وخل ومنهم من يزيد فيه نعناعا (فأما ما يقتضى النزوع الى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة) فهذه كلها من الصفات المختصة بالرب تعالى (حتى كانه يريد) اذا اجتمعت فيه تلك الصفات (أن يقول) للناس (أنا ربكم الاعلى) كما قاله فرعون (وهذا تتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهى) فى الحقيقة (المهلكات العظيمة التى هى كالامهات لاكثر

المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات * الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمنكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة الى البدع والضلال * الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة وأكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات الرابعة الصفة السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال ويتفرع عنها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب أولا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم اذا (٥٢٩) اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه أمهات الذنوب ومنابعها ثم تتفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى بيان تفصيل ذلك فانه واضح *(قسمة ثانية)* اعلم أن الذنوب تنقسم الى مابين العبد وبين الله تعالى والى ما يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتله النفس وغصبه الاموال وشتمه الاعراض وكل متناول من حق الغير فاما نفس أو طرف أو مال أو عرض أو دين أو جاه وتناول الدين بالاغواء والدعاء الى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج أسباب الجراءة على الله تعالى كما يفعله بعض الوعاظ [بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالامر فيه أغلظ وما بين العبد وبين الله تعالى اذا لم يكن شركا فالعفو فيه أرجى وأقرب وقد جاء في الخبر الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى وأما الديوان الذي لا يغفر فالشرك بالله تعالى وأما الديوان الذي لا يترك

المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات) وفيها من العموم طبقات (الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد و) الافساد (والمنكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة الى البدع) المنكرة (والضلال) وهي كبائر منها ما يذهب الايمان وينبت النفاق وست منها من كبائر البدع وهي تنقل عن المسئلة القدرية والمرجئة والرافضة والاباحية والجهمية والساطعية والمعطلة (الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة وأكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات الرابعة) هي (الصفة السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد) والضغن (والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال) وهذه تتعلق بمظالم العباد في أمر الدنيا (وتتفرع عنها جمل من الذنوب) مستكثرة كالكذب والبهتان وغيرهما وهذه موبقات ولا يدفعها من القصاص بين يدي الله تعالى الا ان يقع الاستحلال ويستوهبها الله من أربابها بكرمه ويعوض المظلومين عليها في جنانه بجوده (وهذه الصفات لها تدريج في) أصل (الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب أولا ثم تتلوها) الصفة (السبعية ثانيا ثم اذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه أمهات الذنوب) وأصولها (ومنابعها ثم تتفجر الذنوب) بانواعها (من هذه المنابع على الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى تفصيل ذلك فانه واضح) فهذه قسمة الذنوب بحسب الصفات *(قسمة ثانية)* للذنوب (اعلم) هداك الله تعالى (ان الذنوب تنقسم) بالنظر الآخر (الى مابين العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم) والواجبات الخاصة به (وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتله النفس وغصبه الاموال وشتمه الاعراض وكل متناول من حقوق الغير فاما نفس أو طرف أو مال أو عرض أو دين أو جاه وتناول الدين بالاغواء والدعاء الى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج أسباب الجراءة على الله تعالى كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالامر فيه أغلظ) وأشد (وما بين العبد وبين الله تعالى اذا لم يكن شركا فالعفو فيه أرجى وأقرب وقد جاء في الخبر الدواوين ثلاثة) جمع ديوان بالكسر وقد تفتح فارسي معرب قال في المغرب هو الجريدة من دون الكتب اذا جمعها لانها قاطعة من دون القراطيس مجموعة قال الطيبي والمراد هنا صحائف الاعمال (ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى) من ترك صلاة وصوم وغيرهما مما أوجب الله عليه فانه تعالى كريم ومن شأن الكريم المسامحة (وأما الديوان الذي لا يغفر فالشرك بالله تعالى) ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة (وأما الديوان الذي لا يترك

فظالم العباد) بعضهم بعضا (أى لابدوأن يطالب بها حتى يعفى عنها) قال العراقى رواه أحمد والحاكم وصححه من حديث عائشة وفيه صدقة بن موسى الدقيقى ضعفه ابن معين وغيره وله شاهد من حديث سلمان رواه الطبرانى وهو منكر قاله الذهبى انتهى قلت ورواه أحمد والحاكم من طريق صدقة بن موسى عن عمران الجونى عن يزيد بن بابنوس عن عائشة وقد رد الذهبى على الحاكم تصحيحه وقال صدقة بن موسى ضعفه الجمهور ويزيد بن بابنوس فيه جهالة ولفظهما جميعا الدواوين يوم القيامة ثلاثة فديوان لا يغفر الله منه شيأ وديوان لا يعبأ الله به شيأ وديوان لا يترك الله منه شيأ فأما الديوان الذى لا يغفر الله منه شيأ فالاشراك بالله قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وأما الديوان الذى لا يعبأ الله به شيأ فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أوصلاة تركها فان الله يغفر ذلك ان شاء أن يتجاوز وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيأ فظالم العباد بينهم القصاص لامحالة (قسمة ثالثة للذنوب اعلم) هداك الله تعالى (ان الذنوب تنقسم الى كبائر وصغائر وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قائلون لاصغيرة ولا كبيرة بل كل مخالفة لله تعالى) مما نهى عنه (فهى كبيرة) وهذا مذهب ابن عباس وتبعه جماعة منهم أبو اسحق الاسفراينى وأبو بكر الباقلانى وامام الحرمين فى الارشاد والقشيرى فى المرشدة بل حكاه ابن فورك عن الاشاعرة واختاره فى تفسيره فقال معاصى الله عندنا كلها كبائر وانما يقال لبعضها صغيرة وكبيرة بالاضافة الى ماهو أكبر منها ثم أول الآية الآتية ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه الآية بما ينبو عنه ظاهرها وقال المعتزلة الذنوب على ضربين صغائر وكبائر وهذا ليس بصحيح انتهى وربما ادعى فى موضع اتفاق الاصحاب على ماذكره واعتمد ذلك التقى السبكى قال القاضى عبد الوهاب لايمكن أن يقال فى معصية انها صغيرة الا على معنى انها تصغر باجتناب الكبائر (وهذا) القول (ضعيف) ويعتذر بانهم انما قالوا ما قالوا نظرا الى عظمة من عصى الرب فكرهوا تسمية معصية الله صغيرة مع اتفاقهم فى الجرح على انه لايكون بمطلق المعصية فالخلف لفظى يرجع لمطلق القسمة ثم بين المصنف وجه ضعف هذا القول فقال (اذقال تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم) قال السدى أى الصغار (وندخلكم مدخلا كريما) قال قتادة أى الجنة (وقال تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم) أى الصغائر ففى الآيتين دليل على تقسيم الذنوب الى صغائر وكبائر وفى الحديث ان تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك ما ألما (وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة) فالمضاف محذوف أى صلاة الجمعة منتهية الى الجمعة (تكفر مابينهن) من الصغائر (ان اجتنبت الكبائر) شرط جزاء دل عليه ماقبله قال النووى معناه ان الذنوب كلها تغفر الا الكبائر فلا تغفر لا أن الذنوب تغفر مالم تكن كبيرة فان كانت لا تغفر صغائره ثم كل من المذكورات صالح للتكفير فان لم تكن له صغائر كتب له حسنات ورفع له درجات والحديث قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى هريرة انتهى قلت هذا لفظ ابن حبان والطبرانى من حديث أبى بكرة الا انهما قالا كفارات لما بينهن ما اجتنبت والباقى سواء ويقرب من ذلك لفظ الترمذى من حديث أبى هريرة الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وأما لفظ مسلم ففيه زيادة ورمضان الى رمضان والباقى كسياق الترمذى وهكذا هو عند أحمد وفى رواية لمسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن مالم تغش وزاد ابن ماجه من حديث أبى أيوب بعد قوله الى الجمعة وأداء الامانات كفارات لما بينهما قيل وما أداء الامانة قال الغسل من الجنابة فان تحت كل شعرة جنابة وهكذا رواه محمد بن نصر والشاشى والطبرانى والسراج فى مسنده والبيهقى وابن عساكر والضياء (وفى لفظ آخر كفارات لما بينهن الا الكبائر) رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس بلفظ الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر والجمعة الى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام وهنا اشكال صعب أورده ابن بزيزة وهو أن الصغائر بنص القرآن مكفرة باجتناب الكبائر فما الذى تكفره الصلوات

فظالم العباد أى لابدوأن يطالب بها حتى يعفى عنها (قسمة ثالثة) اعلم أن الذنوب تنقسم الى صغائر وكبائر وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قائلون لاصغيرة ولا كبيرة بل كل مخالفة لله فهى كبيرة وهذا ضعيف اذقال تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما وقال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة يكفرن مابينهن ان اجتنبت الكبائر وفى لفظ آخر كفارات لما بينهن الا الكبائر

وأجاب عنه البلقيني بان معنى ان تجتنبوا الموافاة على هذه الحال من الايمان أو التكليف الى الموت والذى فى الحديث ان الصلوات الخمس تكفر ما بينها الا فى يومها اذا اجتنبت الكبائر فى ذلك اليوم فالسؤال غير وارد و بفرض و روده فالتخلص منه انه لا يتم اجتناب الكبائر الا بفعل الخمس فمن لم يفعل لم يجتنب لان تركها من الكبائر فيتوقف التكفير على فعلها وأحوال المكلف بالنسبة لما يصدر منه من صغيرة وكبيرة خمسة احداها أن لا يصدر منه شئ فهذا ترفع درجاته الثانية يأتى بصغائر بلا اصرار فهذا يكفر عنه جزما الثالثة مثله لكن مع الاصرار فلا يكفر لان الاصرار كبيرة الرابعة يأتى بكبيرة واحدة وصغائر الخامسة يأتى بكبائر وصغائر وفيه نظر يحتمل اذ لم يجتنب أن تكفر الصغائر فقط والارجح لا تكفر اذ مفهوم المخالفة اذا لم تتعين جهته لا يعمل به والله أعلم (وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو) بن العاص رضى الله عنهما (الكبائر الاشراك بالله) وذلك بان يتخذ مع الله الها غيره (وعقوق الوالدين) الاصليين المسلمين وان عليا (وقتل النفس) التى حرمها الله الا بالحق كالقصاص والقتل بالردة والرجم (واليمين الغموس) والواو فى الثلاثة للعطف على السياق قال العراقى رواه البخارى قلت و رواه كذلك أحمد والترمذى والنسائى وابن جرير وعند بعضهم أو قتل النفس شك شعبة فهذه الآيات والاخبار دالة على انقسام الكبائر فى عظمها الى كبير وأكبر وأخذ منها ثبوت الصغيرة لان الكبائر بالنسبة اليها أكبر منها ولذلك قال المصنف لا يليق انكار الفرق بين الكبائر والصغائر وقد عرف من تدارك الشرع (واختلفت الصحابة) رضوان الله عليهم (والتابعون) لهم (فى عدد الكبائر من أربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك فقال ابن مسعود) رضى الله عنه (هى أربع) الاشراك بالله واليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى التوبة وابن جرير وابن المنذر والطبرانى (وقال) عبد الله (بن عمر) بن الخطاب رضى الله عنهما (هى سبع) الاشراك بالله وقذف المحصنة وقتل النفس المؤمنة والفرار من الزحف والسحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم أخرجه على بن الجعد فى الجعديات والبيهقى عن طيلسة قال سألت ابن عمر عن الكبائر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هى سبع فذكره وقد روى نحو ذلك عن أبى هريرة اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق والسحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات رواه الشيخان وأبو داود والنسائى وابن أبى حاتم و يروى عنه أيضا الكبائر سبع أولها الاشراك بالله ثم قتل النفس بغير حقها وأكل الربا وأكل مال اليتيم الى ان يكبر والفرار من الزحف ورمى المحصنات والانقلاب الى الاعراب بعد الهجرة هكذا رواه البزار وابن المنذر وابن أبى حاتم وأما لفظ حديث أبى سعيد الكبائر سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وقذف المحصنة والفرار من الزحف وأكل الربا وأكل مال اليتيم والرجوع الى الاعرابية بعد الهجرة و رواه الطبرانى فى الاوسط وأما حديث ابن عمر فلفظه هى عقوق الوالدين والاشراك بالله وقتل النفس وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وأكل الربا رواه ابن المنذر والطبرانى وابن مردويه (وقال عبد الله بن عمرو) بن العاص (هى تسع) هكذا فى القوت وهى الاشراك بالله وقتل النسمة يعنى بغير حق وقذف المحصنة والفرار من الزحف وأكل الربا وأكل مال اليتيم والذى يستسحر والحادفى المسجد الحرام وبكاء الوالدين من العقوق رواه البخارى فى الادب المفرد وابن راهويه وعبد بن حميد وابن جرير والقاضى اسمعيل فى أحكام القرآن وابن المنذر بسند حسن كلهم من طريق طيلسة قالوا عن ابن عمر ولم يقولوا عن ابن عمرو وقد روى مثله عن عبيد بن عمير الليثى عن أبيه رفعه الكبائر تسع أعظمهن الاشراك بالله وقتل النفس بغير حق وأكل الربا وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة والفرار من الزحف وعقوق الوالدين واستحلال البيت الحرام قبلتكم احياء وأمواتا رواه أبو داود والنسائى وابن جرير وابن أبى حاتم

وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو ابن العاص الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس واختلف الصحابة والتابعون فى عدد الكبائر من أربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك فقال ابن مسعود هن أربع وقال ابن عمر هن سبع وقال عبد الله بن عمرو هن تسع

والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي (وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر) رضي الله عنه (الكبائر سبع يقول هي الى سبعين أقرب منها الى سبع) رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد و يروى عن سعيد بن جبير ان رجلا سأل ابن عباس كم الكبائر سبع هي قال الى سبعمائة أقرب منها الى سبع غير انه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم (وقال مرة) يعني ابن عباس في حد الكبيرة (كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة) ورواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني والبيهقي في الشعب من طرق عنه وأخرج ابن جرير عن أبي الوليد قال سألت ابن عباس عن الكبائر قال كل شئ عصى الله به فهو كبيرة (وقال غيره) من السلف (كل ما أوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر) وهذا القول أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال كل ذنب نسبه الله الى النار فهو من الكبائر وأخرج عن الضحاك قال الكبائر كل موجبة أوجب الله لاهلها النار وأخرج عن ابن عباس قال كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة وعذاب وفي الروضة وأصلها الكبيرة ما لحق صاحبها بخصوصها وعيد شديد بنص كتاب أو سنة وحذف بعض المتأخرين تقييد الوعيد بكونه شديدا وكأنه نظر الى أن كل وعيد من الله تعالى لا يكون الا شديدا فهو من الوصف اللازم وخرج بالخصوص ما اندرج تحت عموم فلا يكفي ذلك في كونه كبيرة بخصوصه (وقال بعض السلف كل ما أوجب الله عليه الحد في الدنيا) كزنا ولواط وشرب خمر وان قل ولم يسكر ونبيذ ولم يعتقد حله وسرقة وقذف فهذه فيها حدود والصغائر عندهم من اللمم وهو ما لا حد فيه وما لم يتهدد بالنار عليه قال صاحب القوت وقد روى هذا عن أبي هريرة وغيره اه قلت وبه قال البغوي وغيره قال الرافعي وهذان الوجهان في حد الكبيرة أكثر ما يوجد لهم وهم الى ترجيح هذا أميل ولكن غير موافق لما ذكروه في تفصيل الكبائر أي لانهم نصوا على كبائر كثيرة ولا حد فيها كأكل الربا ومال اليتيم والعقوق وقطع الرحم والسحر والنميمة وشهادة الزور والسعاية والقوادة والدياثة وغيرها وبهذا يعلم ان الحد الاول منهما أصح من الثاني وان قال الرافعي انهم الى ترجيحه أميل وأخذ صاحب الحاوي الصغير وغيره انه الراجح فجزم به وقال الاذرعي في القوت عجيب قول الشيخين ان الاصحاب الى الثاني أميل وهو في غاية البعد اه لكن اذا أوّل على ان مراد قائله ما هو المنصوص عليه لكن بعيد على انه يرد على الحد الاول أيضا بعض ما علم انه كبيرة ولم يرد فيه وعيد شديد وقد عد العز بن عبد السلام في قواعده أنواعا من الكبائر اتفاقا مع انه لم يرد فيها نص (وقيل انها مبهمة لا يعرف) حقيقة (عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة) والصلاة الوسطى ليكون الناس على خوف ورجاء فلا يقطعون بشئ ولا يسكنون الى شئ كذا في القوت واعتمده الواحدي في البسيط فقال الصحيح ان الكبيرة ليس لها حد تعرفها العباد به والا اقتحم الناس الصغائر واستباحوها ولكن الله عز وجل أخفى ذلك عن العباد ليجتهدوا في اجتناب المنهي عنه رجاء أن يجتنبوا الكبائر ونظائره اخفاء الصلاة الوسطى وليلة القدر وساعة الاجابة ونحو ذلك اه وليس كما قال بل الصحيح ان لها حدا معلوما ونقل بعضهم عن الواحدي هذه المقالة لكن على وجه يخفى به الاعتراض عليه فقال قال الواحدي المفسر الكبائر كلها لا تعرف أي لا تنحصر قالوا لانه ورد وصف أنواع من المعاصي بانها كبائر وأنواع انها صغائر وأنواع لم توصف بشئ منهما وقال الاكثرون انها معروفة واختلفوا هل تعرف بحد وضابط أو بالعد اه وكل ما سبق من الحدود وما سيأتي منها للمتأخرين انما قصدوا التقريب فقط والا فهي ليست بحدود جامعة وكيف يمكن ضبطها الا مطمع في ضبطه وذهب آخرون الى تعريفها بالعد من غير ضبطها بالحد (د) قد (قال ابن مسعود) رضي الله عنه فيها قولا حسنا من طريق الاستنباط (لما سئل عنها اقرأ من أوّل سورة النساء الى رأس ثلاثين آية منها عند قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) نكفر عنكم سيآتكم (فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة الى هنا فهي كبيرة) فأشبه هذا استدلال قول ابن عباس في استنباط ليلة القدر انها ليلة سبع وعشرين من كون قوله تعالى هي سبعا وعشرين كلمة قال

صاحب

وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هن الى سبعين أقرب منها الى سبع وقال مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما أوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كل ما أوجب عليه الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل انها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة وقال ابن مسعود لما سئل عنها اقرأ من أول سورة النساء الى رأس ثلاثين آية منها عند قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة الى هنا فهو كبيرة

صاحب القوت بعد ان نقل القول الاول وهو الابهام وهذا القول والله أعلم بحقيقة هذين القولين اه قلت وقد استنبط ابن عباس أيضا ليلة القدر انها ليلة سبع وعشرين انه عد حروف ليلة القدر وقد ذكرت ثلاث مرات في السورة كل كلمة منها تسعة أحرف فهي سبع وعشرون حرفا من ضرب ثلاثة في تسعة وأما قول ابن مسعود السابق فاخرجه عبد بن حميد والبزار وابن جرير عنه انه سئل عن الكبائر فقال ما بين أول سورة النساء الى رأس ثلاثين آية منها وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم قال الكبائر من أول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وأخرج عبد بن حميد انه سئل عن الكبائر فقال افتحوا سورة النساء فكل شئ نهى الله عنه حتى تاتوا ثلاثين آية فهو كبيرة ثم قرأ مصداق ذلك ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه من أول السورة الى حيث بلغه وقد روى ذلك أيضا عن ابراهيم النخعي قال كانوا يرون ان الكبائر فيما بين أول هذه السورة سورة النساء الى هذا الموضع ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه أخرجه عبد بن حميد وابن جرير

(فصل) وقد بقي من حدود الكبيرة ما لم يذكرها المصنف هنا فنقول قال امام الحرمين كل جريمة على ما نقله الرافعي وعبارة ارشاده جريرة وهي بمعناها تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة مبطلة للعدالة وكل جريمة أو جريرة لا تؤذن بذلك بل لسبق حسن الظن ظاهرا بصاحبها لا تحبط العدالة قال وهذا أحسن ما يتميز به أحد الضدين عن الآخر اه وقد تابعه القشيري في الرسالة واختاره الامام السبكي وغيره وفي معناه قوله في نهايته الصادر من الشخص ان دل على الاستهانة لا بالدين فهو كبيرة وان صدر عن فلتة خاطر ولقلة ناظر فصغيرة ومعنى قوله لا بالدين أي لا بأصله فان الاستهانة باصله كفر ومن ثم عبر في الاصول بقلة اكتراث ولم يقل بعدم اكتراث والكفر وان كان أكبر الكبائر فالمراد تفسير غيره مما يصدر من المسلم قال البرماوي ورجح المتأخرون مقالة الامام لحسن الضبط بها قياسا اه وكأنه لم ير منازعة الاذرعي فيما قاله الامام فانه قال واذا تأملت بعض ما عد من الصغائر توقفت فيما أطلقه اه وكانه أخذ ذلك من اعتراض ابن أبي الدم ضابط النهاية بانه مدخول على انك اذا تأملت كلام الامام الاول ظهر لك انه لم يجعل ذلك حد الكبيرة خلافا لمن فهم منه ذلك لانه يشمل صغائر الخسة وليست بكبائر وانما ضبط ما يبطل العدالة من المعاصي الشامل لصغائر الخسة نعم هذا الحد اشمل من التعريفين المتقدمين على سائر مفردات الكبائر ولكنه غير مانع لما علمت انه يشمل صغائر الخسة وغيرها وقال في الخادم نقلا عن الرافعي التحقيق ان كل واحد من هذه الاوجه اقتصر على بعض أنواع الكبيرة وان مجموع هذه الاوجه يحصل به ضابط الكبيرة اه ولهذا قال الماوردي في حاويه الكبيرة ما أوجب الحد أو توجه عليه الوعيد وقال ابن عطية كل ما وجب فيه أو ورد فيه توعد بالنار أو جاءت فيه لعنة ونحوه عن ابن الصلاح واعترض قول الامام وكل جريمة لا تؤذن بذلك الخ بان من أقدم على غصب ما دون نصاب السرقة أتى بصغيرة ولا يحسن في نفوس الناس الظن به وكان القياس أن يكون كبيرة وكذلك قبلة الاجنبية صغيرة ولا يحسن في نفوس الناس الظن بفاعلها ويجاب بان كون هذين صغيرتين انما هو على قول جمع وأما على مقابله انهما كبيرتان فلا اعتراض وانما يحسن ان لو اتفقوا على صغيرة وأنهما مما يسوء ظن أكثر الناس بفاعلها

(فصل) ومن حدود الكبيرة انها كل فعل نص الكتاب على تحريمه أو بلفظ التحريم وهو أربعة أشياء أكل لحم الميتة والخنزير ومال اليتيم ونحوه والفرار من الزحف ورد بمنع الحصر في الاربعة

(فصل) ومن حدود الكبيرة ما قاله المصنف في بعض كتبه كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف ووجدان ندم تهاونا واستجراء عليها فهي كبيرة وما يحمل على فلتات النفس ولا ينفك عن ندم يمتزج بها وينقص التلذذ بها فليس بكبيرة واعترضه العلائي بانه بسط لعبارة الامام وهو مشكل جدا ان كان ضابطا للكبيرة من حيث هي اذ يرد عليه من ارتكب نحو الزنا نادما عليه فقضيته انه لا تخرج به

عدالته ولا يسمى كبيرة حينئذ وليس كذلك اتفاقا وان كان ضابطا كما هو المنصوص عليه فهو قريب اه قال الجلال البلقيني كان العلائي فهم ان كل من يذكر حدا يدخل المنصوص وهو ممنوع وضابط الغزالي انما هو لما عدا المنصوص عليه فهو قريب وقد ذكر العلائي نفسه ان الحدود انما هي لما عدا المنصوص عليه

(فصل) ومن حدود الكبيرة قول العز بن عبد السلام الاولى ضبط الكبيرة بما يشعر بتهاون مرتكبها بدينه اشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها قال فاذا أردت الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبيرة المنصوص عليها فان نقصت عن أقل الكبائر فهي صغيرة والا فهي كبيرة اه واعترض الاذرعي فقال وكيف السبيل الى الاحاطة بالكبائر المنصوص عليها حتى ينظر في أقلها مفسدة و يقيس بها مفسدة الذنب الواقع هذا متعذر اه قال الجلال البلقيني ولا تعذر في ذلك اذا جمع ما صح من الاحاديث في ذلك الا أن الاحاطة بمفاسدها حتى يعلم أقلها مفسدة في غاية الندور والاستحالة اذ لا يطلع على ذلك الا الشارع صلى الله عليه وسلم ثم قال ابن عبد السلام بعد ما ذكر وكذلك من أمسك امرأة محصنة لمن يزني بها أو أمسك مسلما لمن يقتله فلا شك ان مفسدته أعظم من مفسدة مال اليتيم وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بانهم يستأصلونهم بدلالته و يسبون حرمهم وأطفالهم و يغنمون أموالهم فان نسبة هذه المفاسد أعظم من التولي يوم الزحف بغير عذر وكذلك لو كذب على انسان وهو يعلم انه يقتل بسبب كذبه وأطال في ذلك الى ان قال وقد ضبط بعض العلماء الكبائر بأن كل ذنب قرن به وعيد أو حد أو لعن فهو من الكبائر فتغيير منار الارض أي طرقها كبيرة لاقتران اللعن به فعلى هذا كل ذنب يعلم ان مفسدته كمفسدة ما قارن به الوعيد أو اللعن أو الحد أو كان أكثر من مفسدته فهو كبيرة اه قال ابن دقيق العيد وعلى هذا فيشترط ان لا توجد المفسدة مجردة عما يقترن بها من أمر آخر فانه قد يقع الغلط في ذلك الا ترى ان السابق الى الذهن في مفسدة الخمر انما هو السكر وتشويش العقل فان أخذنا بمجرده لزم ان لا يكون شرب القطرة الواحدة منه كبيرة لخلوها عن المفسدة المذكورة لكنها كبيرة لمفسدة أخرى وهو التجري عن الشرب الكثير الموقع في المفسدة فبهذا الاقتران يصير كبيرة

(فصل) ومن حدود الكبيرة ما اختاره ابن الصلاح في فتاويه الكبيرة كل ذنب عظم عظما يصح ان يطلق عليه اسم الكبيرة و يوصف بكونه عظيما على الاطلاق وعليها أمارات منها ايجاب الحد ومنها الايعاد عليه بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب أو السنة ومنها وصف فاعلها بالفسق ومنها اللعن اه ولخصه البارزي في تفسير الحاوي فقال والتحقيق ان الكبيرة كل ذنب قرن به وعيد أو لعن بنص كتاب أو سنة أو علم ان مفسدته كمفسدة ما قرن به وعيد أو حد أو أكثر من مفسدته أو أشعر بتهاون مرتكبه في دينه اشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها من ذلك لو قتل من يعتقد براءته فظهر انه مستحق لدمه أو وطئ امرأة ظانا انه زان بها فاذا هي زوجته أو أمته ولنرجع لشرح كلام المصنف وقد تقدم ان ما قالوه في حدودها انما هو على سبيل التقريب فقط وان بعضهم ضبطها بالعد دون الحد (وقال أبو طالب) محمد بن علي بن عطية الحارثي (المكي) رحمه الله تعالى في كتاب قوت القلوب بعد ان نقل أقوال من قال انها خمس أو سبع أو أكثر أو أقل قال وكان عبد الرزاق يقول الكبائر احدى عشرة وهذا أكثر ما قيل في جملة عددها اجمالا ثم قال والذي عندي في جملة ذلك مجتمعا من التفرق (الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الاخبار) الواردة بلفظ الكبائر و بلفظ أكبر الكبائر (وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر) وهم العبادلة الثلاثة (وغيرهم) رضي الله عنهم كما سيأتي بيان ذلك تفصيلها (أربعة في القلب) أي من أعمال القلوب (وهي الشرك بالله) تعالى (والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته والامن من مكره وأربعة في اللسان) أي من اعماله (وهي شهادة الزور وقذف المحصن) وهو الحر البالغ المسلم (واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطل أو يبطل بها حق وقيل هي التي يقتطع بها مال امرئ مسلم باطلا) ولفظ القوت

وقال أبو طالب المكي الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم أربعة في القلب وهي الشرك بالله والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته والامن من مكره * وأربع في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطلا أو يبطل بها حقا وقيل هي التي يقتطع بها مال امرئ مسلم باطلا

ظلما (ولو) كان ذلك المقتطع (سواكا من اراك) اشارة الى حقارته (و) انما (سميت غموسا لانها تغمس صاحبها) فى غضب الله تعالى وقيل (فى النار والسحر) بكسر فسكون (وهو كل) ما كان من (كلام) أو فعل (يغير الانسان وسائر الاجسام) عن أعيانها او ينقل المعانى (عن موضوعات الخلقة) التى خلقت لها والسحرة هى النفاثات فى العقد الذين أمر الله تعالى بالاستعاذة منهم (وثلاثة فى البطن وهى شرب الخمر والمسكر من كل شراب) أسكر ولفظ القوت شرب الخمر والمسكر من الاشربة (وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا وهو يعلم واثنتان فى الفرج وهما الزنا واللواط) فى الادبار (واثنتان فى اليدين وهما القتل والسرقة وواحدة فى الرجلين وهى الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من العشرين) غير متحيزة الى فئة ولا متحرفة لكرة (وواحدة فى جميع الجسد وهى عقوق الوالدين قال وجملة عقوقهما) ولفظ القوت وتفسير العقوق جملة (ان يقسما عليه فى حق فلا يبر قسمهما وان يسألاه) فى (حاجة فلا يعطيهما) وان يؤمناه فيخونهما وان يجوعا فيشبع ولا يطعمهما (وان يسباه فيضربهما) وذكر وهب بن منبه أصل البر بالوالدين فى التوراة ان تقى مالهما بمالك وتوفر مالهما وتطعمهما من مالك وأصل العقوق ان تقى مالك بمالهما وتوفر مالك وتأكل مالهما (هذا ما قاله) أبو طالب المكى رحمه الله تعالى قال ابن حجر فى شرح الشمائل وعقوق الوالدين أو أحدهما وجمعهما لان عقوق أحدهما يستلزم عقوق الآخر أو يجر اليه من العق وهو لغة القطع والمخالفة واما شرعا فقيل ضابطه أن يعصيه فى جائز وليس هذا الاطلاق بمرضى والذى آل اليه أمر أئمتنا بعد طول البحث ان ضابطه أن يفعل معه ما يتأذى به تأذيا ليس بالهين لكن هل المراد بقولهم ليس بالهين بالنسبة للوالد حتى ان من تأذى به كثيرا وهو عرفا بخلاف ذلك كبيرة أو بالنسبة للعرف فما عده أهله مما يتأذى به كثيرا ليس بكبيرة وان تأذى به كثيرا كل محتمل ولم يبينوه والذى يظهران المراد الثانى بدليل انه لو أمر ولده بنحو فراق حليلته لم تلزمه طاعته وان تأذى بذلك كثيرا *(تنبيه)* قد تقدم عن ابن عباس ان الكبائر الى السبعمائة أقرب وفى رواية الى السبعين والقول الاول أكثر ما قيل فيه وصنف الديلمى من الشافعية جزأ ذكر فيه أكثر من أربعين وصنف العلائى جزأ ذكر فيه خمسة وعشرين من مجموع ما جاء فى الاحاديث منصوصا عليه انه كبيرة وزاد عليه الجلال البلقينى أشياء كثيرة وكنت قد أمليت فى زاوية القطب أبى محمود الحنفى قدس سره نيفا وتسعين كبيرة مرتبة على حروف التهجى مع بيان حقائقها وحدودها وذكر ابن حجر منها فى شرح الشمائل جملة سردها اجمالا وفى كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر تفصيلا فاوصلها فى الباب الاول منه الى ستة وستين كبيرة وفى الباب الثانى منه الى أربعمائة وسبع وستين كبيرة ورتبها على ترتيب كتب الفقه وبرهن عليها بالآيات والاخبار فهو أجمع كتاب فى هذا الباب وقد سبقه الى ذلك الحافظ الذهبى فأورد جملة منها فى كتاب ولم يرتب ولا حاجة الى تعدادها أو رده لما فيه من التطويل الممل وانما اذكرهنا بيان ماذكره صاحب القوت واستنبطه من الاخبار مع زيادة عليه فالاربعة منها فى حديث عبد الله بن عمرو وقد تقدم للمصنف وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يارسول الله ماهى قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ولهما من حديث أبى بكرة ألا أنبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور أو قال وقول الزور ولهما من حديث أنس سئل عن الكبائر قال الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقال ألا أنبئكم باكبر الكبائر قال قول الزور أو قال شهادة الزور ولهما من حديث ابن مسعود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال ان تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أى قال أن تزانى حليلة جارك وللطبرانى من حديث سلمة بن قيس انما هى أربع لا تشركوا بالله شيأ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت بايعونى على أن لا تشركوا بالله

ولو سواكا من أراك وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها فى النار والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وسائر الاجسام عن موضوعات الخلقة وثلاث فى البطن وهى شرب الخمر والمسكر من كل شراب وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا وهو يعلم * واثنتان فى الفرج وهما الزنا واللواط * واثنتان فى اليدين وهما القتل والسرقة * وواحدة فى الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من العشرين وواحدة فى جميع الجسد وهو عقوق الوالدين قال وجملة عقوقهما أن يقسما عليه فى حق فلا يبر قسمهما وان سألاه حاجة فلا يعطيهما وان يسباه فيضربهما ويجوعان فلا يطعمهما هذا ما قاله

شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا وفي الاوسط للطبراني من حديث ابن عباس الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر وفيه موقوفا على عبد الله بن عمرو أعظم الكبائر شرب الخمر وكلاهما ضعيف وللبزار من حديث ابن عباس باسناد حسن أن رجلا قال يا رسول الله ما الكبائر قال الشرك بالله واليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله وله من حديث بريدة أكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ومنع فضل الماء ومنع الفحل وفيه صالح ابن حيان ضعفه ابن معين والنسائي وغيرهما وله من حديث أبي هريرة الكبائر أولهن الاشراك بالله وفيه الانتقال الى الاعراب بعد هجرته وفيه خالد بن يوسف السمتي ضعيف وللطبراني في الكبير من حديث سهل ابن أبي حثمة في الكبائر والتعرب بعد الهجرة وفيه ابن لهيعة وله في الاوسط من حديث أبي سعيد الخدري الكبائر تسع وفيه رجوع الى الاعرابية بعد الهجرة وفيه أبو بلال الاشعري ضعفه الدارقطني وللحاكم من حديث عبيد بن عمير عن أبيه الكبائر تسع فذكرها واستحلال البيت الحرام وللطبراني من حديث واثلة من أكبر الكبائر أن يقول الرجل على مالم أقل وله أيضا من حديثه ان من أكبر الكبائر أن ينتفي الرجل من والده ولمسلم من حديث جابر بين الرجل وبين الاشراك والكفر ترك الصلاة ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو ومن الكبائر شتم الرجل والديه ولابي داود من حديث سعيد بن زيد من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق وفي الصحيحين من حديث ابن عباس انه مر صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وانه لكبير اما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله الحديث ولاحمد في هذه القصة من حديث أبي بكرة اما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس الحديث ولابي داود والترمذي من حديث أنس عرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن او آية أوتيها رجل ثم نسيها وقال الترمذي غريب وروى ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة من حديث ابن عباس لا صغيرة مع اصرار وفيه أبو شيبة الخراساني يعرف به والحديث منكر فهذه المرفوعات وأما الموقوفات فروى الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله وروى البيهقي فيه عن ابن عباس قال الكبائر الاشراك بالله واليأس من روح الله والامن من مكر الله وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وأكل الربا والسحر والزنا واليمين الغموس الفاجرة والغلول ومنع الزكاة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وشرب الخمر وترك الصلاة متعمدا وايتاء الزكاة مما فرضها الله ونقض العهد وقطيعة الرحم وروى ابن أبي الدنيا في التوبة عن ابن عباس قال كل ذنب أصر العبد عليه كبير وفيه الربيع بن صبيح مختلف فيه وروى الديلمي عن أنس قوله لا صغيرة مع الاصرار واسناده جيد قال العراقي بعد ان ساق هذه العبارة فقد اجتمع من الموقوفات والمرفوعات ثلاثة وثلاثون أو اثنان وثلاثون الا ان بعضها لا يصح اسناده كما تقدم وانما ذكرت الموقوفات حتى يعلم ما ورد في الموقوفات اهـ قلت وفي الموقوفات عن ابن سيرين قال سألت عبيدة السلماني عن الكبائر فقال الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله بغير حقها وفرار يوم الزحف وأكل مال اليتيم بغير حقه وأكل الربا والبهتان ويقولون اعرابية بعد الهجرة قيل لابن سيرين والسحر قال ان البهتان يجمع شرا كثيرا أخرجه ابن جرير وعن الاوزاعي قال يقال من الكبائر أن يعمل الرجل الذنب فيحتقره أخرجه ابن أبي الدنيا في التوبة والبيهقي في الشعب وعن مغيرة قال كان يقال شتم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الكبائر أخرجه ابن أبي حاتم ويزاد على هذا مما استنبط من الاخبار نكث الصفقة وترك السنة والتسبب الى شتم الوالدين والاضرار في الوصية والالحاد في البيت وهو غير استحلاله كما هو ظاهر لصدقه بفعل معصية فيه ولو صغيرا وسوء الظن بالله والجمع بين الصلاتين لغير عذر وقطيعة الرحم والمن بالعطية واعتياد الحجر وتغيير منار الارض وايواء المحدث والذبح لغير الله والدياثة والقيادة وغير ذلك مما أورده ابن حجر في الزواجر *(تنبيه)* الطرد المطلق هو الكفر فقد

وهو قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل أكل الربا ومال اليتيم من الكبائر وهي جناية على الاموال ولم يذكر في كبائر النفوس الا القتل فاما فقء العين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأنواع العذاب فلم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع أطرافه لاشك في أنه أكبر من أكل ماله كيف وفي الخبر من الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم وهذا زائد على قذف المحصن وقال أبو سعيد الخدري وغيره من الصحابة انكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقالت طائفة كل عمد كبيرة وكل مانهى الله عنه فهو كبيرة وكشف الغطاء عن هذا ان نظر الناظر في السرقة أهي كبيرة أم لا لايصح مالم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها كقول القائل السرقة حرام أم لا لامطمع في تعريفه الا بعد تقرير معنى الحرام أولا ثم البحث عن وجوده في السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك لان الكبير والصغير من المضافات وما من ذنب الا وهو كبيرة بالاضافة الى مادونه وصغير بالاضافة الى مافوقه فالمضاجعة مع الاجنبية كبيرة بالاضافة الى النظرة صغيرة بالاضافة الى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه صغيرة بالاضافة الى قتله

قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ولهذا الايغفر بالاجماع فحينئذ وقوع لفظ الكبيرة جمعا في الآيات والاخبار لتنوعه كعبادة الصنم والشمس والقمر وكفر اليهود والنصارى والمجوس وأمثالهم أولتعدد المخاطب فوقع مقابلة الجمع بالجمع أولان كفر زيد غير كفر عمرو وقال ابن حجر في شرح الشمائل ادعاء أن الاكبر لايكون الا واحدا انما هو ان أريد الحقيقة اما ان أريد الاكبر النسبي فهو يكون متعددا ولاشك أن الاكبر بالنسبة الى بقية الكبائر أمور أشار اليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اتقوا السبع الموبقات الحديث وحينئذ فالاكبر هنا التعدده في الجواب يراد به الامر النسبي والله أعلم ولنعد الى شرح كلام المصنف فانه بعدما أورد سياق كلام أبي طالب المكي من تقسيمه الكبائر على الاعضاء قال (وهو قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل أكل الربا و) أكل (مال اليتيم من الكبائر وهي جناية على الاموال ولم يذكر في كبائر النفوس الا القتل فاما فقء العين) أي تخسها (وقطع اليدين ونحو ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأنواع العذاب فلم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع أطرافه لاشك في أنه أكبر من أكل ماله كيف وفي الخبر من الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم) قال العراقي عزاه الديلمي في مسند الفردوس لاحمد وأبي داود من حديث سعيد بن زيد والذي عندهما من حديثه من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق كما تقدم اه قلت ولفظ القوت وقد روينا عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم بغير حق ومن الكبائر السبتان بالسبة وقد رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وفي ذم الغضب هكذا عن الحسن بن عبد العزيز حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن زهير بن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن ولفظ أبي داود من أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض الرجل المسلم بغير حق ومن الكبائر السبتان بالسبة وهكذا رواه أيضا ابن أبي حاتم وابن مردويه وأما حديث سعيد بن زيد فقد رواه أحمد وسمويه والطبراني وابن قانع والضياء بلفظ ان من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق الحديث (وهذا زائد على قذف المحصن وقال أبو سعيد الخدري وغيره من الصحابة) رضوان الله عليهم (انكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر) لفظ القوت وأما عبادة بن الصامت وأبو سعيد الخدري وغيرهما من الصحابة فكانوا يقولون انكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وهي في بعض الالفاظ من الموبقات اه قال العراقي رواه أحمد والبزار بسند صحيح وقال من الموبقات بدل الكبائر ورواه البخاري من حديث أنس وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن الصامت وقال صحيح الاسناد (وقالت طائفة) من العلماء (كل عمل كبيرة) نقله صاحب القوت (و) قال آخرون (كل مانهى الله عنه فهو كبيرة) كذا في القوت ورواه البيهقي في الشعب عن ابن عباس وقد تقدم (وكشف الغطاء عن هذا ان نظر الناظر في السرقة هل هي كبيرة أم لا لايصح مالم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها) وهذا (كقول القائل السرقة حرام أم لا لامطمع في تعريفه الا بعد تقرير معنى الحرام أولا ثم البحث عن وجوده في السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك لان الكبير والصغير من المضافات) أي من الاسماء المتضايفة ويستعملان في الكمية المتصلة كالاجسام وذلك كالكثير والقليل في الكمية المتصلة كالعدد (وما من ذنب الا وهو كبير بالاضافة الى مادونه وصغير بالاضافة الى مافوقه فالمضاجعة مع الاجنبية كبيرة بالاضافة الى النظرة صغيرة بالاضافة الى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه صغيرة بالاضافة الى قتله) ونقل ابن الرفعة وغيره عن القاضي حسين عن

نعم للانسان أن يطلق على ماتوعـد بالنار على فعله خاصة اسم الـكبيرة ونعنى بوصفه بالـكبيرة ان العقوبة بالنار عظيمة وله أن يطلق على ما
أوجب الحد عليه مصيرا الى أن ماعجل عليه فى الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله أن يطلق عـلى ماورد فى نص الـكتاب النهـى
عنه فيقول تخصيصه بالذكر
فى القرآن يدل على عظمه
ثم يكون عظيما وكبيرة لامحالة
بالاضافـة اذ منصوصات
القـرآن أيضا تتفاوت
درجاتها فهذه الاطلاقات
لاحرج فيهـا ومانقـل من
ألفاظ الصحـابة يتردد بين
هـذه الجهات ولا يبعـد
تنزيلها على شئ من هـذه
الاحتمالات نعم من المهمات
ان تعلم معنى قول الله تعالى
ان تجتنبوا كبائر ماتنهون
عنه نكفر عنكم سيآتكم
وقول رسول الله صـلى الله
عليه وسلم الصلوات كفارات
لمـا بينهن الا الـكبائر فان
هـذا اثبات حكم الـكبائر
والحق فى ذلك ان الذنوب
منقسمة فى نظر الشرع
الى مايعلم استعظامه اياها
والى مايعلم انهـا معدودة فى
الصغائر والى مايشك فيه
فلايدرى حكمه فالطـمع
فى معرفة حد حاصر أو عدد
جامع مانع طلب لمـا لايمكن
فان ذلك لايمكن الا بالسماع
من رسول الله صلى الله عليه
وسلم بان يقول انى أردت
بالـكبائر عشرا أو خمسا
ويفصلها فان لم يرد هـذا
بـل ورد فى بعض الالفاظ
ثـلاث من الـكبائر وفى
بعضها سبع من الـكبائر
ثم ورد أن السبتين بالسبة
الواحدة من الـكبائر وهو خارج عن السبع والثلاث علم انه لم يقصد به العدد بما يحصر فكيف يطمع فى عـدد مالم
يعده الشرع وربمـا قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل كما أبهم ليلة القدر ليعظم جد الناس فى طلبها نعم لنا سبيل كلى يمكننا ان
نعرف به أجناس الـكبائر وأنواعها بالتحقيق وأما أعيانها فنعرفها بالظن والتقريب آنفا

الحليمى ان الـكبيرة كل محرم لعينه منهـى عنه لمعنى فى نفسه فان فعله على وجه يجمع وجهين أو وجوها من التحريم كان فاحشة فالزنا كبيرة وبحليلة الجار فاحشة والصغيرة تعاطى ماينقص عن رتبة المنصوص عليه أو تعاطيه على وجه دون المنصوص عليه فان تعاطاه على وجه يجمع وجهـين أو وجوها من التحريم كان كبيرة فالقبلة واللمس والمفاخـذة صغيرة ومع حليلة الجار كبيرة ومن اختيارات الحليمى انه مامن ذنب الا وفيه صغيرة وكبيرة وقد تنقلب الصغيرة كبيرة بقرينة تضم اليها وتنقلب الـكبيرة فاحشـة بقرينة تضم اليها الا الـكفر بالله فانه أفحش الـكبائر وليس من نوعه صغيرة (نعم للانسان أن يطلق على ماتوعد بالنار) فى الآخرة (على فعله خاصـة اسم الـكبيرة ونعنى بوصفه بالـكبيرة ان العقوبة بالنار عظيمة وله أن يطلق على ما أوجب الحد عليه) فى الدنيا (مصيرا الى ان ماعجل عليه فى الدنيا عقوبة واجبة) من رجم أو قتـل أو ضرب (عظيم وله ان يطلق على ماورد فى نص الـكتاب النهـى عنه فيقول تخصيصه بالذكر فى القرآن يدل على عظمه ثم يكون عظيما وكبيرة لامحالة بالاضافة اذ منصوصات القرآن أيضا تتفاوت درجاتها فهذه الاضافات لاحرج فيها ومانقل من ألفاظ الصحابة) ابن مسعود وأبى سعيد وابن عمر وغيرهم (يتردد بين هذه الجهات ولا يبعد تنزيلها على شئ من هذه الاحتمالات نعم من المهـمات ان تعلم معنى قول الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنـه) أى كبائر الذنوب التى نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس (نكفر عنكم سيآتكم) أى نغفر لـكم صغائركم ونمحها عنـكم (و) معنى (قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات) الخمس (كفارات لمـا بينهن الا الـكبائر) رواه مسلم وقد تقدم الـكلام عليه قريبا (فان هذا اثبات حكم الـكبائر والحق فى ذلك ان الذنوب منقسمة فى نظر الشرع الى مايعـلم استعظامه اياها) بالايعاد عليها أو بايجاب الحد فى الدنيا على مرتـكبها مثلا (والى مايعلم انها معدودة فى الصغائر) وذلك ينقص رتبتها عن رتبة المنصوص عليها (والى مايشك فيـه فلايدرى حكمه) أهو من الـكبائر أم من الصغائر (فالطمع فى معرفة عدد خاص) ينتهـى اليه (أوحد جامع) للافراد (مانع) من دخول ماليس فيـه منه (طلب لمـا لايمكن فان ذلك لايمكن الا بالسمـاع من رسول الله صـلى الله عليه وسـلم بان يقول انى أردت بالـكبائر عشرا أو خمسا) أو سبعا (ويفصلها فان لم يرد هذا بل ورد فى بعض الالفاظ ثلاث من الـكبائر) وهو مارواه أحمد والشيخان والترمذى من حديث عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه ألا أنبئكم باكبر الـكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقول الزور رواه الطبرانى فى الـكبير والخرائطى فى مساوى الاخلاق من حديث أبى الدرداء وأخرجه أحمـد والنسائى وابن جرير وابن المنـذر والحاكم وصححه من حديث أبى أيوب من عبد الله لايشرك به شيأ وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان واجتنب الـكبائر فله الجنـة فسأله رجـل ما الـكبائر قال الشرك بالله وقتل النفس المسلمة والفرار يوم الزحف (وفى بعضها سبـع من الـكبائر) رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث أبى سعيد الـكبائر سبـع وقد تقدم وله فى الـكبير من حديث عبد الله بن عمرو من صـلى الصلوات الخمس واجتنب الـكبائر الحديث ثم عدها سبعا وتقـدم عن الصحيحين من حديث أبى هريرة اجتنبوا السبـع الموبقات (ثم ورد أن السبتين بالسبة الواحدة من الـكبائر) كما رواه أبو داود وابن أبى الدنيا فى ذم الغضب وابن أبى حاتم وابن مردويه من حديث أبى هريرة وتقدم (وهو خارج عن السبـع والثلاث علم انه لم يرد به العدد والحصر) واذا كان الامر كذلك (فكيف يطمع فى عدد مالم يعدده الشرع وربمـا قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل كما أبهم ليلة القدر ليعظم جـد الناس فى طلبها) ولهذا ذهب بعض السلف أن الـكبائر مبهـمة وقطع بذلك كما تقدم (نعم لنا سبيل كلى يمكننا أن نعرف به أجناس الـكبائر وأنواعها بالتحقيق وأما أعيانها فنعرف بالظن والتقريب) وذلك بالحـدود التى ذكرت

ونعرف أيضا أكبر الكبائر فاما أصغر الصغائر فلا سبيل الى معرفته وبيانه انا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعا ان مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق الى جوار الله تعالى وسعادة لقائه وأنه لا وصول لهم الى ذلك الا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسله واليه الاشارة بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أى ليكونوا عبيدا لى ولا يكون العبد عبدا مالم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية ولابد أن يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الاقصى ببعثة الانبياء ولكن لا يتم هذا الا فى الحياة الدنيا وهو المعنى بقوله عليه السلام الدنيا مزرعة الآخرة فصار حفظ الدنيا أيضا مقصودا تابعا للدين لانه وسيلة اليه والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيآن النفوس والاموال فكل ما يسد باب معرفة الله تعالى فهو أكبر الكبائر ويليه ما يسد باب حياة النفوس ويليه ما يسد باب المعايش التى بها حياة النفوس فهذه ثلاث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب والحياة على الابدان والاموال على الاشخاص ضرورى فى مقصود الشرائع كلها وهذه ثلاثة أمور لا يتصور أن يختلف فيها الملل فلا يجوز ان الله تعالى يبعث نبيا يريد ببعثه اصلاح الخلق فى دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله أو يأمرهم باهلاك النفوس واهلاك الاموال فحصل من هذا أن الكبائر على ثلاث مراتب * الاولى ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر اذ الحجاب بين الله و بين العبد هو الجهل والوسيلة المقربة اليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر جهله و يتلوا الجهل الذى يسمى كفرا الامن من مكر الله والقنوط من رحمته فان هذا أيضا عين الجهل فمن عرف الله لم يتصور ان يكون آمنا ولا أن يكون آيسا و يتلو هذه الرتبة البدع كلها

آنفا (ونعرف أيضا أكبر الكبائر فاما أصغر الصغائر فلا سبيل) لنا (الى معرفته وبيانه انا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعا أن مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق الى جوار الله تعالى وسعادة لقائه وانه لا وصول لهم الى ذلك الا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسله واليه الاشارة بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أى) الا ليعرفون أو (ليكونوا عبيدا لى) خاصة (ولا يكون العبد عبدا مالم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية ولابد أن يعرف نفسه وربه) كما يرشد اليه الخبر من عرف نفسه عرف ربه (فهذا هو المقصود الاقصى ببعثة الانبياء) والرسل عليهم السلام الى الخلق ليرشدوهم الى ذلك وكذا بارسال الكتب من السماء (ولكن لا يتم هذا الا فى الحياة الدنيا وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم الدنيا مزرعة الآخرة) قال العراقى لم أجده بهذا اللفظ مرفوعا وروواه العقيلى فى الضعفاء وأبو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق من حديث طارق بن أشيم نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته الحديث واسناده ضعيف اه قلت وتمامه حتى يرضى ربه و بئست الدار الدنيا ان صدته عن آخرته وقصرت به عن رضا ربه واذا قال العبد قبح الله الدنيا قالت الدنيا قبح الله أعصانا لربه وقد رواه كذلك الرامهرمزى فى الامثال وهو عند الحاكم فى مستدركه وصححه لكن تعقبه الذهبى بانه منكر وان عبد الجبار يعنى راويه لا يعرف ويروى من قول سعيد بن عبد العزيز الدنيا غنيمة الآخرة أخرجه أبو نعيم فى الحلية من طريق عقبة بن علقمة عنه (فصار حفظ الدنيا أيضا تابعا مقصودا لحفظ الدين لانه وسيلة اليه والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيآن النفوس والاموال فكل ما يسد باب معرفة الله) وصفاته (فهو أكبر الكبائر و يليه ما يسد باب حياة النفوس و يليه ما يسد باب المعايش التى بها حياة النفوس فهذه ثلاث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب و) حفظ (الحياة على الابدان و) حفظ (الاموال على الاشخاص ضرورى فى مقصود الشرائع كلها وهذه ثلاثة أمور لا يتصور ان تختلف فيها الملل) باسرها (فلا يجوز ان الله تعالى يبعث نبيا يريد ببعثته اصلاح الخلق فى دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله أو يأمرهم باهلاك النفوس واهلاك الاموال فحصل من هذا ان معرفة الكبائر على ثلاث مراتب الاولى ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر اذ الحجاب بين الله و بين العبد هو الجهل والوسيلة المقربة اليه هو العلم والمعرفة وقربه) من ربه (بقدر معرفته) وعلمه (و بعده) منه (بقدر جهله) فمن قوى جهله كان فى المرتبة الاقصى من البعد ومن قوى علمه كان فى المرتبة الاعلى من القرب (ويتلو الجهل الذى يسمى كفرا الامن من مكر الله) بالاسترسال فى المعاصى مع الاتكال على الرحمة (والقنوط من رحمته) وهو بعينه اليأس من رحمته وسوء الظن بالله تعالى لتلازم الثلاثة فى معنى واحد لكن الجلال البلقينى عد كل واحدة كبيرة مستقلة ومن ثم قال أبو زرعة العراقى وفى معنى اليأس القنوط والظاهر انه أبلغ منه للترقى اليه فى قوله تعالى وان مسه الشر فيؤس قنوط اه والظاهر أيضا ان سوء الظن أبلغ منهما لانه يأس وقنوط وزيادة التجوير على الله تعالى بما لا يليق بجوده وكرمه وفى حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر فقال الشرك بالله واليأس من روح الله والامن من مكر الله وخرجه البزار وابن أبى حاتم وأخرج ابن المنذر عن على رضى الله عنه قال أكبر الكبائر الامن من مكر الله والياس من روح الله والقنوط من رحمة الله وأخرج ابن جرير عن أبى سعيد نحوه (فان هذا أيضا عين الجهل فمن عرف الله) بصفاته الحسنى (لم يتصور ان يكون آمنا) من مكره وغضبه (ولا يكون آيسا) من رحمته (و يتلو هذه الرتبة البدع كلها

المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله و بعضها أشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه و بأفعاله وشرائعه و بأوامره ونواهيه ومراتب ذلك لا تنحصر وهى تنقسم الى مايعلم انها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة فى القرآن والى مايعلم انه لايدخل والى مايشك فيه وطلب دفع الشك فى القسم المتوسط طمع فى غير مطمع المرتبة الثانية النفوس اذ ببقائها وحفظها تدوم الحياة وتحصل المعرفة بالله فقتل النفس لامحالة من الكبائر وان كان دون الكفر لان ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود اذ حياة الدنيا لاتراد الا للآخرة والتوصل

اليها بمعرفة الله تعالى و يتلوهذه الكبيرة قطع الاطراف وكل مايفضى الى الهلاك حتى الضرب و بعضها أكبر من بعض و يقع فى هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لانه لواجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور فى قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع الوجود قريب من قطع الوجود وأما الزنا فانه لايفوت أصل الوجود ولكن يشوش الانساب و يبطل التوارث والتناصر وجملة من الامور التى لاينتظم العيش الابها بل كيف يتم النظام مع اباحة الزنا ولا ينتظم أمور البهائم مالم يتميز الفحل منها باناث يختص بها عن سائر الفحول ولذلك لايتصور أن يكون الزنا مباحا فى أصل شرع قصد به الاصلاح و ينبغى أن يكون الزنا فى الرتبة دون القتل لانه ليس يفوّت دوام الوجود ولا يمنع أصله ولكنه يفوت تمييز الانساب و يحرك من الاسباب مايكاد يفضى الى التقاتل و ينبغى أن يكون أشد من اللواط لان الشهوة داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه و يعظم أثر الضرر بكثرته * الرتبة الثانية الاموال فانها معايش الخلق فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاؤا حتى الامر بالاستيلاء والسرقة وغيرهما بل ينبغى ان تحفظ لتبقى ببقائها النفوس الا ان الاموال اذا أخذت أمكن استردادها وان أكلت أمكن تغريمها فليس يعظم الامر فيها نعم اذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك له فينبغى أن يكون ذلك من الكبائر وذلك باربع طرق أحدها الخفية وهى السرقة فانه اذا لم يطلع عليه غالبا كيف يتدارك الثانى أكل مال اليتيم وهذا أيضا من الخفية وأعنى به فى حق الولى والقيم فانه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لايعرفه فتعظيم

المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله و بعضها أشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه و بافعاله وشرائعه و باوامره ونواهيه) ومن ذلك التكذيب بالقدر أى بان الله يقدر على عبده الخير والشر كما زعمه المعتزلة فانهم يقولون ان العبد يخلق أفعال نفسه من دون الله تعالى فهم ينكرون القدر فسموا بذلك قدرية وكذا القول بالارجاء والاباحة ومقالة جهم والتعطيل والشطح والرفض وغير ذلك من البدع مما يذهب الايمان و ينبت النفاق (ومراتب ذلك لاتحصى وهى تنقسم الى مايعلم انها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة فى القرآن والى مايعلم انه لايدخل والى مايشك فيه وطلب رفع الشك فى القسم المتوسط طمع فى غير مطمع المرتبة الثانية النفوس اذ ببقائها وحفظها تدوم الحياة وتحصل المعرفة بالله) تعالى (فقتل النفس لامحالة من الكبائر) كما ورد التصريح بذلك فى الآية والاخبار المتقدمة (وان كان دون الكفر لان ذلك) أى الكفر (يصدم عين المقصود وهذا) أى القتل (يصدم وسيلة المقصود اذ حياة الدنيا لاتراد الا للآخرة والتوصل بها الى معرفة الله تعالى و يتلوهذه الكبيرة قطع الاطراف) كاليدين والرجلين والانف والاذن واللسان (وكل مايفضى الى الهلاك) ولو بعد مدة (حتى الضرب) المثخن (وبعضها أكبر من بعض) فان فى كل ذلك صدما لوسائل المقصود (و يقع فى هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط) فى الادبار (لانه لواجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور فى قضاء الشهوات انقطع النسل) أى الذرية (ورفع الوجود قريب من قطع الوجود) هذا فى اللواط (وأما الزنا فانه لايفوت أصل الوجود ولكن يشوش الانساب) و يخلطها (و يبطل التوارث) المشروع (والتناصر) أى التعاون فى الامور المهمة (و جملة من الامور التى لاينتظم العيش الابها بل كيف يتم النظام مع اباحة الزنا ولا تنتظم أمور البهائم مالم يتميز الفحل منها باناث يختص) هو (بها عن سائر الفحول وكذلك لايتصور أن يكون الزنا مباحا فى شرع قصد به الاصلاح و ينبغى أن يكون الزنا فى الرتبة دون القتل لانه ليس يفوت دوام الوجود ولا يمنع أصله ولكنه يفوت تمييز الانساب و يحرك من الاسباب مايكاد يفضى الى التقاتل) والتهالك (و ينبغى أن يكون أشد من اللواط لان الشهوة داعية اليه من الجانبين) الذكر والانثى بحكم الفطرة (فيكثر وقوعه و يعظم أثر الضرر بكثرته) بخلاف اللواط (المرتبة الثانية الاموال فانها معايش الخلق) يتعاملون بها (فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاؤا بالاستيلاء) والقهر والغلبة (والسرقة وغيرهما بل ينبغى ان تحفظ لتبقى ببقائها النفوس الا ان الاموال اذا أخذت أمكن استردادها) لاربابها (وان أكلت أمكن تغريمها فليس يعظم الامر فيها) لامكان التدارك فى الحالين (نعم اذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك فيه فينبغى أن يكون ذلك من الكبائر وذلك باربع طرق أحدها أخذها خفية وهى السرقة) وهى أخذ ماليس له أخذه فى خفاء (فانه اذا لم يطلع عليه غالبا كيف يتدارك) وفى معناها الاختلاس والاستلال (الثانى أكل مال اليتيم وهذا أيضا من الخفية وأعنى به فى حق الولى) على ماله (والقيم) عليه من جهة الشرع (فانه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لايعرفه فتعظيم

الامر فيه واجب بخلاف الغصب فانه ظاهر يعرف وبخلاف الخيانة فى الوديعة فان المودع خصم فيه ينتصف لنفسه الثالث تفويتها بشهادة الزور والرابع أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فان هذه طريق لا يمكن فيها

التدارك ولا يجوز أن تختلف الشرائع

الامر فيه واجب بخلاف الغصب فانه ظاهر يعرف وبخلاف الخيانة فى الوديعة فان المودع خصم فيه ينتصف لنفسه الثالث تفويتها) أى الاموال (بشهادة الزور) أى الكذب بان يشهد بما لا يتحققه قال العز بن عبد السلام وعدها كبيرة ظاهر ان وقع فى مال خطير فان وقع فى قليل كزبيبة أو تمرة فمشكل كما سيأتى الكلام عليه قريبا (الرابع أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس) وقد تقدم معناها (فان هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز ان تختلف الشرائع فى تحريمها أصلا وبعضها أشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس) قال العز بن عبد السلام فى قواعده وان كان الشاهد بها كاذبا اثم ثلاثة آثام اثم المعصية واثم اعانة الظالم واثم خذلان المظلوم وان كان صادقا أثم اثم المعصية لا غير لتسببه الى براءة ذمة الظالم وايصال المظلوم الى حقه (وهذه الاربعة جديرة لان تكون مرادة بالكبائر وان لم يوجب الشرع الحد فى بعضها ولكن أكثر الوعيد عليها) بالنار وبالويل وبالعذاب الاليم (وعظم فى مصالح الدنيا تأثيرها وأما أكل الربا فليس فيه الا أكل مال الغير بالتراضى) من الجانبين (مع الاخلال بشرط وضعه الشرع) ورتبه (ولا يبعد ان تختلف الشرائع فى مثله واذا لم يجعل الغصب الذى هو أكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر فاكل الربا أولى أن لا يكون من الكبائر فاكل الربا أكل برضا المالك ولكن دون رضا الشرع وان عظم الشرع الربا بالزجر عنه) والوعيد عليه (فقد عظم أيضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة) وهى التفريط فى الامانة (والمصير الى أن أكل دانق بالخيانة أو الغصب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع فى مظنة الشك وأكثر ميل الظن الى انه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغى ان تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرائع فيه ليكون ضروريا فى الدين) اعلم انه ذكر ابن عبد السلام فى القواعد أن أخذ الاموال وتفويتها على أربابها بشهادة الزور كبيرة ان كان فى مال خطير والا فمشكل فيجوز أن يجعل من الكبائر فطاما عن المفاسد كما جعل شرب قطرة من الخمر من الكبائر وان لم تتحقق المفسدة ويجوز أن يضبط ذلك المال بنصاب السرقة قال وكذلك القول فى أكل مال اليتيم قال فى الخادم ويشهد للثانى ما نقل عن أبى سعيد الهروى اشتراطه فى كون الغصب كبيرة أن يكون المغصوب ربع دينار لكن ذكر ابن عبد السلام نفسه انه حكى الاجماع على ان غصب الحبة وسرقتها كبيرة وهذا يؤيد انه لا فرق فى كون شهادة الزور كبيرة بين قليل المال وكثيره فطما عن المفسدة (فيبقى مما ذكره) الامام (أبو طالب المكى) فى القوت (القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين أما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بأن يكون من الكبائر وقد دل عليه تشديدات الشرع) فمن ذلك ما رواه الشيخان والنسائى من حديث أبى هريرة ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن وقد تقدم وروى الترمذى اذا فعلت أمتى ثنتى عشرة خصلة فقد حل بهم البلاء فذكرها وفيه وشربت الخمور وتقدم وروى الحاكم وصححه اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر وفى جامع رزين الخمر جماع الاثم وعند ابن ماجه من حديث أبى الدرداء ولا تشرب الخمر فانها مفتاح كل شر وروى الطبرانى من حديث ابن عباس قال لما حرمت الخمر قالوا حرمت الخمر وجعلت عدلا للشرك وعند أحمد من حديث قيس بن سعد من شرب الخمر خرج نور الايمان من قلبه وعند البزار سقاه الله من حميم جهنم الى غير ذلك من الاخبار الواردة فيه (و) دل عليه (طريق النظر أيضا لان العقل محفوظ كما ان النفس محفوظة) فكما يجب حفظ النفس يجب حفظ العقل (بل لا خير فى النفس دون العقل فازالة العقل) بالمسكرات (من الكبائر ولكن هذا لا يجرى فى قطرة من الخمر فلا شك فى انه لو شرب ماء فيه قطرة من الخرم يكن ذلك كبيرة وانما هو شرب ماء نجس والقطرة

فى تحريمها أصلا وبعضها أشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه الاربعة جديرة أن تكون مرادة بالكبائر وان لم يوجب الشرع الحد فى بعضها ولكن أكثر الوعيد عليها وعظم فى مصالح الدنيا تأثيرها وأما أكل الربا فليس فيه الا أكل مال الغير بالتراضى مع الاخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد أن تختلف الشرائع فى مثله واذا لم يجعل الغصب الذى هو أكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر فاكل الربا أكل برضا المالك ولكن دون رضا الشرع وان عظم الشرع الربا بالزجر عنه فقد عظم أيضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة والمصير الى أن أكل دانق بالخيانة أو الغصب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع فى مظنة الشك وأكثر ميل الظن الى أنه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغى أن تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضروريا فى الدين فيبقى مما ذكره أبو طالب المكى القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين * أما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بان يكون من الكبائر وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر أيضا لان العقل محفوظ كما أن النفس محفوظة بل لا خير فى النفس دون العقل فازالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجرى فى قطرة من الخمر فلا شك فى انه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وانما هو شرب ماء نجس والقطرة

وحدهما في محل الشك وايجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم أمره فبعد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في القوة البشرية الوقوف على جميع أسرار الشرع فان ثبت اجماع في انه كبيرة وجب الاتباع والافالتوقف فيه مجال) قال ابن حجر في الزواجر أما شرب الخمر ولو قطرة منها فكبيرة اجماعا و يلحق بذلك شرب المسكر من غيرها وفي الماء من غير المسكر خلاف والاصح الحاقه ان كان شافعيا واما ما اقتضاه كلام الرو ياني من ان شرب غير الخمر انما يكون كبيرة اذا اسكر منه فمردود بان القدر الذي لا يسكر داخل تحت الخمر على المشهور وعند الشافعية من ثبوت اللغة قياسا وفيه الحد عندهم أيضا أي والحد من العلامات القطعية الدالة على كون الشيء المحدود عليه كبيرة فسكوت الرافعي على كلام الرو ياني ضعيف وكذلك قول الحليمي لو خلط خمرا بمثلها من الماء فذهبت شدتها وشربها فصغيرة اه وقد قال الاذراعي عقبه وفيه نظر ولا يسمح الاصحاب بذلك فيما أراه وقد قالوا ان شرب القطرة منها كبيرة ومعلوم انها لا تؤثر اه وهو ظاهر وهذا في حق من يعتقد التحريم اما من يعتقد الحل فقال الشافعي أحده وأقبل شهادته أي لانه لم يأت كبيرة في عقيدته على ان ما نقله الرافعي عن الروياني ذكر مثله القاضي أبو سعيد الهروي وحكى الخلاف ولم يرجح منه شيأ فقال في تعداد الكبائر وشرب الخمر والمسكر من غيره وفي اليسير منه خلاف اذا كان شافعيا اه والارجح ما ذكر انه كبيرة أيضا وأما قول الحليمي شرب الخمر كبيرة فان استكثر منه حتى سكر أو جاهر به ففاحشة فان مزج خمرا بمثلها من الماء فذهبت شدتها وضررها فذلك من الصغائر فمردود أيضا فان الاصحاب لا يسمحون فيما قاله في مزج الخمر بمثلها بل الصواب كما قاله الجلال البلقيني الجزم بخلاف ما قاله وان ذلك كبيرة لا محالة ومر أن العز بن عبد السلام اختار ضبط الكبيرة بما يشعر بتهاون مرتكبها بدينه اشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها وقرر ذلك الى أن قال فعلى هذا ان كانت مفسدته كمفسدة ما قرن به وعيد أو لعن أو حد أو كان أكثر مفسدة منه فهو كبيرة اه وذيل عليه ابن دقيق العيد انه لا بد ان توجد المفسدة مجردة عما يعتريها من أمر آخر فانه قد يقع الغلط في ذلك قال الا ترى ان السابق الى الذهن في مفسدة الخمر السكر وتشويش العقل فان أخذنا بمجرده لزم أن لا يكون شرب القطرة الواحدة كبيرة لخلوها عن المفسدة المذكورة لكنها كبيرة لمفسدة أخرى وهو التجرؤ على شرب الكثير الموقع في المفسدة فهذا الاقتران يصيره كبيرة والله أعلم (وأما القذف فليس فيه الا تناول الاعراض) بالشتم والغيبة صريحا أو كناية (والاعراض دون الاموال في الرتبة) و يدل لذلك حديث الصحيح فاذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم واعراضهم (ولتناولها مراتب وأعظمها التناول بالقذف بالاضافة) أي النسبة (الى فاحشة الزنا) كأن يقول يا زاني أو يا منكوح أو يا علق ونحو ذلك وللمرأة يا زانية أو بغية أو قحبة أو بنتها يا بنت الزنا أو ولدها يا ولد القحبة (وقد عظم الشرع أمره) ففي الكتاب قوله والذين يرمون المحصنات الى آخر الآيتين صريحا في الاولى للنص فيها على ان ذلك فسق وضمنا في الثانية للنص فيها على ان ذلك يلعن الله فاعله في الدنيا والآخرة وهذا من أقبح الوعيد وأشده (وأظن ظنا غالبا ان الصحابة) رضوان الله عليهم (كانوا يعدون كل ما يجب به الحد كبيرة) كما سبق النقل عن جماعة منهم (فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس) يشير الى حديث أبي هريرة عند مسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وقد تقدم (وهو الذي نريد بالكبيرة الآن ولكن من حيث انه يجوز أن تختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمته بل كان يجوز أن يرد الشرع بان العدل الواحد اذا رأى انسانا يزني) بامرأة أجنبية (فله أن يشهد و يجلد المشهود عليه) وهو الزاني (بمجرد شهادته) ولا يحتاج الى ضم عدل آخر معه (فان لم تقبل شهادته) لكونه وحده (فحده ليس ضروريا في مصالح الدنيا وان كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فاذا هذا أيضا يلحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع فاما من ظن ان له أن يشهد وحده ان ظن انه

وحدهما في محل الشك
وايجاب الشرع الحد به
يدل على تعظيم أمره فبعد
ذلك من الكبائر بالشرع
وليس في قوة البشرية
الوقوف على جميع أسرار
الشرع فان ثبت اجماع في
انه كبيرة وجب الاتباع
والافالتوقف فيه مجال
* وأما القذف فليس فيه الا
تناول الاعراض والاعراض
دون الاموال في الرتبة
ولتناولها مراتب وأعظمها
التناول بالقذف بالاضافة
الى فاحشة الزنا وقد عظم
الشرع أمره وأظن ظنا
غالبا ان الصحابة كانوا
يعدون كل ما يجب به الحد
كبيرة فهو بهذا الاعتبار
لا تكفره الصلوات الخمس
وهو الذي نريد بالكبيرة
الآن ولكن من حيث انه
يجوز أن تختلف فيه الشرائع
فالقياس بمجرده لا يدل على
كبره وعظمته بل كان
يجوز أن يرد الشرع بأن
العدل الواحد اذا رأى
انسانا يزني فله أن يشهد
و يجلد المشهود عليه بمجرد
شهادته فان لم تقبل شهادته
فحده ليس ضروريا في
مصالح الدنيا وان كان على
الجملة من المصالح الظاهرة
الواقعة في رتبة الحاجات
فاذا هذا أيضا يلحق بالكبائر
في حق من عرف حكم
الشرع فاما من ظن أن له
أن يشهد وحده أو ظن انه

بساعده على الشهادة غيره فلا ينبغي أن يجعل في حقه من الكبائر * وأما السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره وأما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضا ينبغي أن يكون من حيث القياس في محل التوقف واذا قطع بان سب الناس بكل شئ سوى الزنا وضربهم والظلم لهم بغصب أموالهم واخراجهم من مساكنهم وبلادهم واجلائهم من أوطانهم ليس من الكبائر اذلم ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو أكبر ما قيل فيه فالتوقف في هذا أيضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسميته كبيرة فليلحق بالكبائر فاذا رجع حاصل الامر الى أنا نعني بالكبيرة مالا تكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم الى ما علم انه لا تكفره قطعا والى ما ينبغي أن تكفره والى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون للنفي والإثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله الا نص كتاب أو سنة واذا لا مطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال فان قلت فهذا اقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده فاعلم ان كل مالا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق اليه الابهام لان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة بل كل موجبات الحدود معلومة باسمائها كالسرقة والزنا وغيرهما وانما حكم الكبيرة ان الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا أمر يتعلق بالآخرة والابهام أليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرؤن

بساعده) على تلك (الشهادة غيره فلا ينبغي أن يجعل في حقه من الكبائر وأما السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمته على حسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره) اعلم ان السحر أقسام أولها سحر الكسدانيين الذين بعث اليهم ابراهيم عليه السلام مبطلا لمقالاتهم وهم فرق ثلاث الثاني سحر أصحاب الاوهام والنفوس القوية الثالث الاستعانة بالارواح الارضية وهذه الانواع الثلاثة انكرها المعتزلة الرابع التخيلات والاخذ بالعيون الخامس الاعمال الغريبة التي تظهر من تركيب الآلات على النسب الهندسية السادس الاستعانة بخواص الادوية المزيلة للعقل ونحوها السابع تعليق القلب بان يدعي انه يعرف الاسم الاعظم وان الجن تطيعه فيعلق به قلب غيره فيتمكن الساحر أن يفعل فيه ما يشاء وحكي عن الشافعي انه قال السحر يخيل ويمرض ويقتل والقصاص واجب على من قتل به وهو من عمل الشيطان وقيل انه يؤثر في قلب الاعيان وقيل الاصح انه كذلك لكنه يؤثر في الابدان بالامراض والموت والجنون واختلف العلماء في الساحر هل يكفر أم لا وليس من محل الخلاف النوعان الاولان وأما النوع الثالث فالمعتزلة وحدهم كفروه وأما بقية أنواعه فقال جماعة انه كفر مطلقا وقال الشافعي وأصحابه بعدم الكفر وهل تقبل توبة الساحر فالنوعان الاولان معتقد أحدهما مرتد فان تاب والا قتل وقال مالك وأبو حنيفة لا تقبل توبتهما وأما النوع الثالث وما بعده فان اعتقد ان فعله مباح قتل لكفره وان اعتقد انه حرام فعند الشافعي انه جناية فاذا فعله بالغير واقرانه يقتل غالبا قتل لانه عمد أو نادرا فهو شبه عمد أو أخطأ من اسم غيره اليه فهو خطأ والدية على العاقلة ان صدقته اذ لا يقبل اقراره اليهم وعن أبي حنيفة ان أقر باني كنت أسحر مدة وقد تركت ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل وقد ظهر بالآيات والاخبارات سائر أنواعه كفر وقال به كثيرون فلا أقل من كونها كبيرة لا سيما مع ما ورد فيه من الوعيد الشديد والزجر البليغ (وأما الفرار من الزحف) غير متحرف لقتال أو متحيز الى فئة (وعقوق الوالدين) أو أحدهما (فهذا أيضا ينبغي أن يكون من حيث القياس في محل التوقف واذا قطع بان السب للناس بكل شئ) من أنواعه (سوى الزنا) بصريح أو كناية (و) سوى (ضربهم) المؤدي الى الهلاك (و) سوى (الظلم لهم بغصب أموالهم) وان كان المغصوب عليه قليلا (و) سوى (اخراجهم من مساكنهم وبلادهم واجلائهم عن أوطانهم ليس من الكبائر اذلم ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو أكثر ما قيل فيه) كما ذكره صاحب القوت (فالتوقف في هذا أيضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسميته كبيرة) وهو حديث ابن عباس الكبائر الاشراك بالله فساقه وفيه وعقوق الوالدين والفرار يوم الزحف وقد تقدم (فليلتحق بالكبائر فاذا رجع حصل الامر الى أنا نعني بالكبيرة مالا يكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم الى ما علم انه لا تكفره قطعا والى ما ينبغي أن تكفره والى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون للنفي والاثبات) برجحان الاعتقاد مع احتمال النقيض (وبعضه مشكوك فيه) بالتردد بين النقيضين بلا ترجيح لاحدهما (وهو شك لا يزيله الا نص كتاب أو سنة واذا لا مطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال) اذ لا نص في ترجيح أحد الاحتمالين على الآخر (فان قلت هذا) الذي ذكرته (اقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده فاعلم ان كل ما يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق اليه الابهام فان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة بل كل موجبات الحدود) الشرعية (معلومة باسمائها كالسرقة والزنا وغيرهما) كاللواط والشرب والقذف (وأما حكم الكبيرة ان الصلوات الخمس لا تكفرها فهذا أمر يتعلق بالآخرة والابهام أليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرؤن

على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع فيقتصر على نظر أو لمس فان مجاهدة نفسه بالكف عن الوقاع أشد تأثيرا في قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره فان كان عنينا أو لم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز أو كان قادرا ولكن امتنع لخوف أمر آخر فهذا لا يصلح للتكفير أصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو أبيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدته النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية السماع فكل هذه أحكام أخروية ويجوز أن يبقى بعضها في محل الشك وتكون من المتشابهات فلا يعرف تفصيلها الا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بألفاظ مختلفات فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث اشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل ما ترك السنة قيل الخروج عن الجماعة ونكث الصفقة أن يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله فهذا وأمثاله من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما فان قلت الشهادة لا تقبل الا من من يجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطا في قبول الشهادة وهذا من أحكام الدنيا فاعلم انا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في أن من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب في أواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب أحد الى أن هذه الامور من الكبائر

على) اقتراف (الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) نكفر عنكم سيآتكم يعني الصغائر (ولكن اجتناب الكبائر انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة) بان اختلى بها (ومن مواقعتها فيكف) أي يمنع (نفسه عن الوقوع) بها (فيقتصر على نظر أو لمس) أو تقبيل (فان مجاهدة نفسه بالكف عن الوقاع أشد تأثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره فان كان عنينا) وهو العاجز عن اتيان النساء (أو لم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز) القائم به (أو كان قادرا) على الوقاع (ولكن امتنع لخوف أمر آخر) من الخارج (فهذا لا يصلح للتكفير أصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار) بانواعها (نعم من يشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة على الخمر ويطلقها في السماع) أي سماع الملاهي والاوتار (فمجاهدة النفس بالكف) عن الخمر (ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية السماع) وقد تقدم أن المعاصي ترتفع منها ظلمة الى القلب فتظلمه كما أن الطاعات يرتفع اليه منها نور فتنوره (فكل هذه أحكام أخروية ويجوز أن تبقى في محل الشك وتكون من المشتبهات فلا يعرف تفصيلها الا بالنص) القاطع (ولم يرد النص بعدد) معلوم (ولا حد جامع) أو مانع (بل ورد بألفاظ مختلفة فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث الشرك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل ما ترك السنة قيل الخروج عن الجماعة ونكث الصفقة أن يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله) قال العراقي رواه الحاكم نحوه وقال صحيح الاسناد انتهى قلت ورواه أيضا أحمد والبيهقي ولفظهم جميعا الصلاة المكتوبة الى الصلاة التي قبلها كفارة لما بينهما والجمعة الى الجمعة التي قبلها كفارة لما بينهما والشهر الى الشهر كفارة لما بينهما الا من ثلاث الاشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل يا رسول الله اما الاشراك بالله فقد عرفناه فما نكث الصفقة وترك السنة قال اما نكث الصفقة فان تبايع رجلا بيمينك ثم تخالف اليه فتقاتله بسيفك وأما ترك السنة فالخروج عن الجماعة (فهذا وأمثاله من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع) للافراد (فيبقى لا محالة مبهما فان قلت الشهادة لا تقبل الا من يجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطا في قبول الشهادة) قال الرافعي قال الاصحاب يعتبر في العدالة اجتناب الكبائر فمن ارتكب كبيرة فسق وردت شهادته واما الصغائر فلا يشترط تجنبها بالكلية لكن بشرط أن لا يصر عليها (وهذا من أحكام الدنيا فاعلم انا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في ان من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب في أواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب أحد الى أن هذه الامور من الكبائر) لكن نقل الامام عن الشيخ أبي محمد أن العراقيين ومعظم الاصحاب قطعوا بان سماع الاوتار والملاهي من الكبائر وتابعه عليه المصنف في كتبه وتوقف ابن أبي الدم فيما نسبه الامام للعراقيين وقال لم أر أحدا صرح به بل جزم الماوردي وهو منهم بنقيض ما حكاه الامام فقال اذا قلنا بتحريم الاغاني والملاهي فهل من الصغائر دون الكبائر يفتقر الى الاستغفار ولا ترد به الشهادة الا بالاصرار ومتى قلنا بكراهة شئ منها فهي

من الخلاعة لا تفتقر الى الاستغفار ولا ترد الشهادة الا مع الاكثار انتهى وتابعه فى المهذب وكذا القاضى
حسين فانه قال فى تعليقه قال بعض أصحابنا لو جلس على الديباج عند عقد النكاح لم ينعقد لان محل الشهادة
فيه كالاداء الذى صار اليه محصله ان هذا من الصغائر وما تعذر منه لا يوجب الفسق وتابعه الفورانى فى
الابانة ورد انكار ابن أبى الدم على الامام بما ذكر بان مجلى صرح فى ذخائره بما وافقه فقال ان كون ذلك
هو ظاهر كلام الشامل حيث قال من استمع الى شئ من هذه المحرمات فسق وردت شهادته ولم يشترط تكرار
السماع انتهى هذا حاصل كلام القائلين بالحرمة ووراء ذلك أقوال فانظره من كلام المصنف (وقال
الشافعى رحمه الله تعالى اذا شرب الحنفى النبيذ حددته) أى أقمت عليه الحد (ولم أرد شهادته) لانه يعتقد
حليته (فقد جعله كبيرة بايجاب الحد ولم يرد به الشهادة) وفى الخادم للزركشى ومن النبيذ المختلف فيه
اذا شرب اليسير منه معتقدا تحريمه ففى كونه كبيرة خلاف من أجل اختلاف العلماء فيه ولهذا صرح
الرافعى بانه على وجهين وان الاكثرين على الرد أى رد الشهادة به لانه فسق ولو استعملت للتداوى على
القول بالتحريم فيحتمل أن يقال ليس بكبيرة اذا قلنا لا يجب فيه الحد كما صححه النووى ويحتمل خلافه
للجرأة انتهى وقال غيره الاوجه الاول (فدل على أن الشهادة نفيا واثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر
بل كل الذنوب تقدح فى العدالة) أى الصغائر والكبائر أما الكبائر فبمجردها يخرج عن العدالة وأما
الصغائر فبوقوعها منه مرة بعد مرة (الا مالا يخلو الانسان عنه غالبا بضرورة مجارى العادات كالغيبة
والتجسس وسوء الظن والكذب) الذى لا حد فيه ولا ضرر (فى بعض الاقوال) ولو تعمدا (وسماع الغيبة
والاصغاء اليها او السكوت عليها او ترك الامر بالمعروف) والنهى عن المنكر مع عدم القدرة عليها (وأكل
الشبهات) وعدم التحرى فيها (وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب) الطبعى (زائدا على حد
المصلحة) الشرعية (واكرام السلاطين الظلمة) وأعوانهم (ومصادقة الفجار) ومجالستهم ايناسا لهم
(والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه فى أمر الدين فهذه ذنوب لا يتصور ان ينفك
الشاهد عن قليلها او كثيرها) لاسيما فى بعض ما ذكر ما قيل انه من الكبائر (الا بان يعتزل الناس) مدة
(ويتجرد لامور الآخرة ويجاهد نفسه مدة) مديدة (بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل
الاقول مثله لعز وجوده) أى قل (وبطلت الاحكام والشهادات وليس لبس الحرير) والديباج (وسماع
الملاهى) والاوتار (واللعب بالنرد) وما فى معناه من المنقلة والكنجفة والاربعة عشر وغيرها (ومجالسة
أهل الشرب) بفتح فسكون جمع شارب كركب وراكب (فى وقت الشرب والخلوة بالاجنبيات) وكذا
مباشرتهن بغير الجماع (وامثال هذه الصغائر) كالنظر الى مالا يجوز وهجر المسلم فوق ثلاث لغير عذر شرعى
وكثرة الخصومات وان كان محقا والتبختر فى المشى والعبث فى الصلاة وكشف العورة فى الحمام وكذا فى الخلوة
لغير حاجة فى الاصح وارسال الريح بحضرة الناس ومد الرجلين فى المجالس والاكثار من الحكايات المضحكة
وغير ذلك (من هذا القبيل) أما مجالسة أهل الشرب فقد نقل الاذرعى عن صاحب العدة انه من الصغائر
وأقره الشيخان الرافعى والنووى وتقييد المصنف بكونه وقت الشرب دال على ان مجالستهم فى غير هذا الوقت
مباحة فان قصد ايناسهم من حيث كونهم فسقة فلا شك فى حرمة ذلك واما لبس الحرير فقيل انه كبيرة
واما سماع الملاهى والاوتار فقد نقل الامام عن الشيخ أبى محمد ان سماع الاوتار مرة واحدة لا يوجب رد
الشهادة وانما ترد بالاصرار وتبعه المصنف فقال وما ذكرناه فى سماع الاوتار مفروض فيما اذا لم يكن
الاقدام عليه مرة يشعر بالانحلال والا فالمرة الواحدة لا ترد بها الشهادة وأما اللعب بالنرد ففيه أربعة أقوال
أحدها انه مكروه كراهة تنزيه وبه قال أبو اسحق المروزى والاسفراينى وحكاه ابن خيران واختاره أبو
الطيب وهو غلط ليس بشئ لمخالفته المنقول والدليل وقول جماعة انه منصوص عليه فى الام وغيره مردود
ولهذا قال صاحب البيان ان المنصوص عليه فى الام التحريم وبه قال أكثر الاصحاب الثانى أنه حرام صغيرة

وقال الشافعى رضى الله عنه اذا شرب الحنفى النبيذ حددته ولم أرد شهادته فقد جعله كبيرة بايجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل على أن الشهادة نفيا واثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب تقدح فى العدالة الا مالا يخلو الانسان عنه غالبا بضرورة مجارى العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب فى بعض الاقوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وأكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على حد المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه من أمر الدين فهذه ذنوب لا يتصور ان ينفك الشاهد عن قليلها أو كثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامور الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل الاقول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات وليس لبس الحرير وسماع الملاهى واللعب بالنرد ومجالسة أهل الشرب فى وقت الشرب والخلوة بالاجنبيات وأمثال هذه الصغائر من هذا القبيل

وعليه مشى المصنف هنا ورجحه الرافعي الثالث انه حرام كبيرة وهو الذى عليه الشافعي وأصحابه أشار اليه الروياني فى الحلية ونقل القرطبي فى شرح مسلم الاجماع عليه وكذا الموفق الحنبلي فى المغنى نقل الاجماع عليه الرابع التفصيل بين بلد يستعظمون اللعب به فترد به الشهادة وبلد ليس كذلك فلا ترد به وهذه التفرقة ضعيفة كما قاله البلقيني وعلى القول بانه صغيرة كما مشى عليه المصنف هنا فمحله حيث خلا عن القمار والا فهو كبيرة بلا نزاع كما أشار اليه الزركشي وهو واضح (فالى مثل هذا المنهاج ينبغي أن ينظر فى قبول الشهادة وردها لا الى الكبيرة والصغيرة ثم آحاد هذه الصغائر التى لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها لاثر فى رد الشهادة) والمراد بالمواظبة هنا المداومة على نوع منها وهذا هو الاصرار السالب للعدالة وبه قال جماعة من الاصحاب (كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس) اعراضهم (عادة) له ومنهم من فسر المواظبة بالاكثار على الصغائر سواء كانت من نوع أو أنواع مختلفة وبه فسروا الاصرار السالب للعدالة ونقل الرافعي القولين قال ويوافق الثانى قول الجمهور أن من تغلب طاعته معاصيه كان عدلا ومن تغلب معاصيه طاعته كان مردود الشهادة واذا قلنا به لم تضر المداومة على نوع واحد من الصغائر اذا غلبت الطاعات وعلى الاحتمال الاول تضر انتهى وتبعه النووى فى الروضة وقضية كلامهما ترجيح الثانى وبه صرح ابن سراقة وغيره (وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم) ولو فى حال فجورهم وكلام بعض الاصحاب صريح فى ان مجرد مصادقتهم حرام وان لم يجالسهم وكلام بعضهم أن مجرد المجالسة من غير مصادقة ولا قصد ايناس لا اثم فيها وكلام المصنف صريح فى ان كلا منهما يأثم به (والصغيرة تكبر) أى تصير كبيرة (بالمواظبة) عليها أى تصير مثلها فى رد الشهادة (كما أن المباح يصير كبيرة بالمواظبة عليه) وهذا بناء على القول الضعيف فان المعتمد انه لا تضر المداومة على نوع من الصغائر أو أنواع سواء كان مقيما على الصغيرة أو الصغائر أو مكثرا مكررا من فعل ذلك حيث غلبت الطاعات المعاصى هكذا نقله الاذرعى والبلقيني والزركشي وابن العماد وغيرهم ويؤيده قول الجمهور ومن غلبت معاصيه طاعاته ردت شهادته سواء كانت المعاصى من نوع أو أنواع ومن ثم قال الاذرعى المذهب وقول الجمهور وما تضمنته النصوص ان من كان الاغلب عليه الطاعة والمروءة قبلت شهادته أو المعصية وخلاف المروءة ردت شهادته وهذا القول الذى اعتمده المصنف مشى عليه الرافعي والنووى حيث قالا المداومة على الصغيرة تصيرها كبيرة لكن ان انضم اليه كون طاعاته لم تغلب معاصيه ثم على هذا القول من ان مطلق الاصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة يحتاج لمعرفة ضبط الاصرار قال ابن الصلاح الاصرار هو التلبس بضد التوبة باستمرار النوع على المعاودة واستدامة الفعل بحيث يدخل به فى حيز ما يطلق عليه الوصف بصيرورته كبيرة وقال العز بن عبد السلام الاصرار ان تتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بدينه اشعار ارتكاب الكبيرة بذلك قال وكذلك اذا اجتمعت صغائر مختلفة الانواع بحيث يشعر مجموعها بما يشعر به أصغر الكبائر انتهى هذا ضبط الاصرار وأما على القول المعتمد السابق فالمدار على غلبة الطاعات والمعاصى وعلى هذا المعتمد كان ينبغي أن يقال شرط العدالة اجتناب الكبائر وعدم غلبة الصغائر على الطاعة وقد أشار الى ذلك البلقيني (كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام وغيرهما) وقوله على الدوام متعلق بالقولين فاللعب بالشطرنج مكروه عند الشافعي حرام عند غيره بشروط قال النووى فى فتاويه الشطرنج حرام عند أكثر العلماء ان فوت به صلاة عن وقتها أو لعب به على عوض فان انتفى ذلك كره عند الشافعي وحرم عند غيره انتهى وفى كلام ابن العماد أن اللعب به من الرذائل المباحة مع الكراهة فالاكباب عليه والملازمة له يصيره صغيرة وكذا الترنم بالغناء مع نفسه اذا كان فى بعض الاوقات لازالة الوحشة عن نفسه لا بأس به فان داوم عليه بحيث اتخذه عادة يصير صغيرة (فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر) ثم اعلم انه قد تقدم ذكر الكبائر وما يتعلق بها واما الصغائر فحصرها متعذر وقد ذكر ابن حجر منها فى شرح الشمائل جملة فقال هى كالغيبة فى غير عالم أو حامل قرآن ٧ مقابل حكى فيه

فالى مثل هذا المنهاج ينبغي أن ينظر فى قبول الشهادة وردها لا الى الكبيرة والصغيرة ثم آحاد هذه الصغائر التى لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها لاثر فى رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما أن المباح يصير صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر

الاجماع

الاجماع قالوا انها كبيرة مطلقا نعم تباح لاسباب ستة مقررة فى محلها وكقبلة أجنبية ولعن ولو بهيمة وكذب لاحد فيه ولا ضرر وهجو مسلم ولو تعريضا وصدقا واشراف على بيت غيره وهجر مسلم فوق ثلاثة عدوانا ونحو تناج وجلوس مع فاسق لا يناسبه وتنجيس بدن أو ثوب أو ثوب عدو أونجش واحتكار وبيع معيب علم عيبه ولم يذكره اهـ فهذه ثلاثة عشر وقال ابن العماد فى كتاب الذريعة فى اعداد الشريعة زاد على ماذكر النظر الى ما لا يجوز وذكر فى التطلع على بيوت الناس بانه لو كان المؤذن ينظر الى بيوت الجيران وجب على الناظر عزله ثم قال وكثرة الخصومات وان كان محقا قال الرافعى وينبغى أن لا يكون معصية اذا راعى حد الشرع قال النووى وهو الصواب والسكوت على الغيبة والصياح وشق الجيب فى المصيبة والتبختر فى المشى واللعب بالقردة وبالصور ونطاح الكباش ومهارشة الديكة والجلوس اليهم واعانتهم بدفع مال اليهم والشغل فى وقت الكراهة والبيع والشراء فى المسجد وادخال الصبيان والمجانين والنجاسات اليه وامامة قوم يكرهونه والعبث فى الصلاة والضحك فيها وتخطى الرقاب يوم الجمعة ونحوه والتغوط مستقبل القبلة أو فى طريق المسلمين والقبلة للصائم التى تحرك شهوته والوصال فى الصوم على الاصح والاستمناء باليد ومباشرة الاجنبية بغير الجماع ووطء الزوجة المظاهر منها قبل التكفير ووطء الرجعية والخلوة بالاجنبية ومسافرة المرأة بغير زوج ولا محرم ولا نسوة ثقات والبيع على بيع أخيه والخطبة والسوم على سومه وتلقى الركبان وبيع الحاضر للبادى وتصرية الحيوان واقتناء الكلب لغير الحراسة والصيد وبيع العبد المسلم للكافر وكذا المصحف وسائر كتب العلم الشرعى وكشف العورة فى الحمام وكذا فى الخلوة على الاصح والسفاهة ولبس الحرير والرقص مع التثنى وسماع أشعار الشربة وضرب الكوبة والصفاقتين والحاقر ان حرمت كرسه كما صححه النووى واللعب بالنرد انتهى فهذه سبعة وأربعون قال الصيدلانى ٧ ومما ترد به الشهادة ارسال الريح بحضرة الناس ثم قال ابن العماد ومن الرذائل المباحة مع الكراهة قبلة الزوجة أو الامة بحضرة الناس وذكر ما جرى بينهما فى الخلوة والمشى مكشوف الرأس ومد الرجلين فى المجالس وكذا نتف اللحية على المرجح فى الكفاية قال الماوردى وكذا خضبها ولبس فقيه قباء وقلنسوة حيث لا يعتاد ولبس تاجر جمال ثياب ولبس جمال عمامة وطيلسانا والاكثار من الحكايات المضحكة ومن اللعب بالحمام وشبهه ومن اللعب بالشطرنج وبالخاتم اذا كان بغير عوض ومن الغناء وسماعه والحرف الدنية مما لا يليق به كالحجامة والكنس والدبغ وقيم الحمام والحارس والنخال والاسكاف والقصاب وكذلك الحائك فى الاشبه لا الصباغ على الاصح وفيما ذكر نظر والله أعلم

(فصل) وقال أصحابنا الصحيح فى حد العدالة المعتبرة فى الشهادات اجتناب الكبائر وعدم الاصرار على الصغائر وغلبة صوابه على خطائه وصدقه على كذبه وان ألم بمعصية لان فى اعتبار اجتنابه الكل سد باب وهو مفتوح احياء للحقوق والكبيرة كل ما يسمى فاحشة كاللواطة ونكاح منكوحة الاب أو ثبت لها بنص قاطع عقوبة فى الدنيا وفى الآخرة وقال الشمس الحلوانى كل ما كان شنيعا بين المسلمين وفيه هتك حرمة الله والدين فهى كبيرة ولا تقبل شهادة مخنث ونائحة ومغنية ومدمن على الشرب ومن يلعب بالطيور والطنبور ومن يفعل كبيرة توجب الحد ومن يأكل الربا أو يقامر بالشطرنج أو تفوته الصلاة بسببه أو يدخل الحمام بغير ازار أو يفعل فعلا مستخفا كالبول والاكل على الطريق ومن يظهر سب السلف والله أعلم

(بيان كيفية توزع الدرجات والدركات فى الآخرة على الحسنات والسيئات فى الدنيا)
اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملكوت وأعنى بالدنيا

*(فصل فى بيان توزع الدرجات والدركات فى الآخرة على الحسنات والسيئات فى الدنيا) فيهما لف ونشر مرتب والدرج والدرك بمعنى واحد لكن باعتبارين مختلفين فالدرج اعتبارا بالصعود والدرك اعتبارا بالهبوط ولذلك قيل درجات الجنة ودركات النار (اعلم) وفقك الله تعالى (ان الدنيا من عالم الملك والشهادة) من المحسوسات الطبيعية (والآخرة من عالم الغيب والملكوت) المختص بارواح النفوس (وأعنى بالدنيا

حالتك قبل الموت و بالآخرة حالتك بعد الموت فدنياك وآخرتك صفاتك وأحوالك يسمى القريب الداني منها دنيا والمتأخر آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن نتكلم في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهذا الان عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يتبين في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير فكذلك ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا في كثرة الامثال وأعني بكثرة الامثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك منه ان كنت فطنا ثلاثة أمثلة فقد جاء رجل الى ابن سيرين فقال رأيت كأن في يدي خاتما أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر قال صدقت وجاء رجل آخر فقال رأيت كأني أصب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فانها أمك سبيت في صغرك لان الزيتون أصل الزيت فهو يرد الى الاصل فنظر فاذا جاريته كانت أمه وقد سبيت في صغره وقال له آخر رأيت كأني أقلد الدر في أعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير أهلها فكان كما قال والتعبير من أوله الى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الامثال وانما نعني بالمثل أداء المعنى في صورة ان نظر الى معناه وجده صادقا وان

حالتك قبل الموت و بالآخرة حالتك بعد الموت فدنياك وآخرتك صفاتك وأحوالك يسمى القريب الداني منها دنيا) فعلى من الدنو (والمتأخر) منها (آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن نتكلم في الدنيا وهي عالم الملك) والشهادة (وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت) والغيب (ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك) ولا يتضح (الا بضرب الامثال) لانه أقرب الى الوصول للافهام (ولذلك قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) أي المتبصرون واستنبط ان من ليس بعالم لا يعقل الاحكام الالهية من ضرب الامثال (وهذا الان عالم الملك نوم) أي بمنزلته (بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا) قال العراقي لم أجده مرفوعا وانما يعزى الى علي بن أبي طالب اهـ قلت وهكذا أورده الشريف الموسوي في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين وذكره أبو نعيم في الحلية في ترجمة سفيان الثوري رواه من طريق المعافى بن عمران عنه (وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير) أي القائه في عبارة (فكذلك ما يكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا بكثرة الامثال) أي صورتها (وأعني بكثرة الامثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك فيه) وفي نسخة منه (ان كنت فطنا) حاذقا (ثلاثة أمثلة فقد جاء رجل الى) أبي بكر محمد (بن سيرين) التابعي البصري الثقة رأس المعبرين رحمه الله تعالى وكان يضاهي الحسن في علمه وورعه وفيه القول المشهور الذي يستدل به على أو للتخيير جالس الحسن او ابن سيرين (فقال رأيت كأني في يدي خاتما أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال له انك مؤذن تؤذن في شهر رمضان قبل طلوع الفجر فقال صدقت وجاءه رجل آخر فقال رأيت كأني أصب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية ففتش عن حالها فانها أمك سبيت في صغرك لان الزيتون أصل الزيت فهو رد الى الاصل فنظر الرجل فاذا جاريته كانت أمه وقد سبيت في صغره وقال له آخر رأيت كأني أقلد الدر في اعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير أهلها فكان كما قال) والاخير أخذه من قول عيسى عليه السلام معلم الحكمة غير أهلها كمقلد الدر في أعناق الخنازير ومن غرائب تعبيرات ابن سيرين ما رواه أبو نعيم في الحلية من طريق خالد بن دينار قال كنت عند ابن سيرين فأتاه رجل فقال يا أبا بكر رأيت في المنام كأني أشرب من بلبلة لها ثقبان فوجدت أحدهما عذبا والآخر ملحا قال اتق الله لك امرأة وأنت تخالف الى أختها ومن طريق أبي قلابة ان رجلا قال لابي بكر رأيت كأني أبول دما قال تأتي امرأتك وهي حائض قال نعم قال اتق الله ولا تعد ومن طريق أبي جعفر ان رجلا رأى في المنام كان في حجره صبيا يصيح فقص رؤياه فقال له اتق الله ولا تضرب بالعود ومن طريق حبيب المعلم ان امرأة رأت في المنام انها تحلب حية فقصت على ابن سيرين فقال اللبن فطرة والحية عدو وليست من الفطرة في شئ هذه امرأة تدخل عليها أهل الاهواء ومن طريق الحرث بن ثقيف قال قال رجل لابن سيرين اني رأيت كأني ألعق عسلا من جام من جوهر فقال اتق الله وعاود القرآن فقد كنت تحفظه ثم نسيته قال وقال رجل لابن سيرين رأيت كأني أحرث أرضا لا تنبت قال أنت رجل تعزل عن امرأتك ومن طريق مبارك بن يزيد البصري قال قلت لابن سيرين رأيت في المنام كأني أغسل ثوبي وهو لا ينقى قال أنت رجل مصارع لاخيك قال وقال رجل لابن سيرين رأيت كأني أطير بين السماء والارض قال أنت رجل تكثر التمني ومن طريق هشام بن حسان قال جاء رجل الى ابن سيرين وأنا عنده فقال اني رأيت كان على رأسي تاجا من ذهب قال فقال له ابن سيرين اتق الله فان أباك في أرض غربة وقد ذهب بصره وهو يريد أن تأتيه قال فما زاده الرجل الكلام حتى أدخل يده في حجزته فأخرج كتابا من أبيه فيه ذهاب بصره وانه في أرض غربة ويأمره بالاتيان اليه (والتعبير من أوله الى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الامثال وانما نعني بالمثال ان اداء المعنى في صورة ان نظر الى معناه وجده صادقا

وان نظر الى صورته وجده كاذبا فالمؤذن ان نظر الى صورة الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذبا فانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا اذ صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذى يراد الختم له وليس للانبياء أن يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم انهم فى النوم والنائم لا يكشف له عن شئ الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وهو من المثال الذى لا يعقله الا العالمون فأما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر المثال لجهله بالتفسير الذى يسمى تأويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الامثلة فى النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا وأصبعا تعالى الله عن قوله علوّا كبيرا وكذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك تعالى الله عن قوله علوّا كبيرا ومن ههنا زل من زل فى صفات الالهية حتى فى الكلام وجعلوه صوتا وحرفا الى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد يرد فى أمر الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها الملحد بجمود نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده كقوله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش أملح فيذبح.

وان نظر الى صورته) الظاهرة (وجده كاذبا فالمؤذن ان نظر الى صورة الخاتم والختم به على) الافواه (والفروج رآه كاذبا فانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا اذ قد صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذى يراد الختم له وليس للانبياء) عليهم السلام (ان يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم) فقد روى الديلمى من طريق ابن عبد الرحمن السلمى حدثنا محمد بن عبد الله بن قريش حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا اسمعيل بن محمد الطلحى حدثنا عبد الله بن أبى بكر عن أبى معشر عن عكرمة عن ابن عباس رفعه أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم وأبو معشر ضعيف وعزاه الحافظ ابن حجر لمسند الحسن بن سفيان من حديث ابن عباس بلفظ أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم قال وسنده ضعيف جدا ورواه أبو الحسن التميمى من الحنابلة فى كتاب العقل له بسنده عن ابن عباس أيضا بلفظ بعثنا معاشر الانبياء نخاطب الناس على قدر عقولهم (وقدر عقولهم انهم فى النوم والنائم لا يكشف له عن شئ الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن) رواه أحمد ومسلم والدارقطنى فى الصفات من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ ان قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب رجل واحد يصرفه كيف يشاء اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا على طاعتك وروى ابن خزيمة من حديث أبى ذر ان قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الله عز وجل فاذا شاء صرفه وان شاء بصره وروى الحاكم من حديث جابر ان قلوب بنى آدم بين أصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها هكذا وقد تقدم ذلك فى كتاب عجائب القلب وفى كتاب قواعد العقائد (وهو من المثال الذى لا يعقله الا العالمون فاما الجاهل) العامى الذى لم تكشف بصيرته بنور الايمان (فلا يجاوز قدره) وفى نسخة عقله (ظاهر المثال لجهله بالتعبير الذى يسمى تأويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الامثلة فى النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا وأصبعا تعالى عن قوله) علوّا كبيرا وقد أمضاه جهله بحقائق الامور حتى أوقعه فى هذا الوهم وكان يكفى فى دفعه أن يعرف ان الله تعالى ليس بجسم وليس من جنس الاجسام (وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته) رواه أحمد والشيخان من حديث أبى هريرة بلفظ خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا الحديث وقد تقدم فى كتاب قواعد العقائد (فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك تعالى عن قوله علوّا كبيرا) مثال ذلك اذا أورد الفقيه فى كلامه لفظ الصورة للمسئلة بين يدى الصبى أو العامى الذى لا يفقه معنى المسئلة ظن الصبى أو العامى ان المسئلة يعنى بها صورة فى تلك الصورة أنف وفم وعين على ما عرفه واستقر عنده من معنى الصورة المعروفة اما من عرف حقيقة المسئلة المعروفة بانها عبارة عن علوم مرتبة ترتيبا مخصوصا فهل يتصوّر ان يتوهم للمسئلة عينا وأنفا وصورة من جنس صور الاجسام أو صورة الانسان بل تكفيه معرفته بان المسئلة منزهة عن الجسمية وعوارضها فكذلك معرفة نفى الجسمية عن حقيقة الالهية وتقديسها عنها يكون قرينة فى كل سمع مفهمة لفهم معنى الصورة فى الحديث المذكور ويتعجب من العارف بتقديسه عن الجسمية من يتوهم لله تعالى الصورة الجسمانية كما يتوهم بالمسئلة الواقعة صورة جسمانية (ومن ههنا زل) قدم (من زل فى صفات الالهية) كالاستواء والفوقية وغيرهما (حتى فى الكلام وجعلوه صوتا وحرفا وغير ذلك من الصفات والقول فيه يطول) وقد استوفيناه بتفصيله فى شرح قواعد العقائد (وكذلك قد ورد فى أمر الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها الملحدون) المارقون من الدين (لجمود نظرهم على ظاهر المثال وتناقضه عندهم كقوله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش أملح) أى أسود يعلو شعره بياض وقيل نقى البياض وقيل ليس بخالص البياض بل فيه عفرة (فيذبح) قال العراقى متفق عليه من حديث أبى سعيد اهـ قلت وروى الترمذى وقال حسن صحيح ولفظه يؤتى بالموت كانه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة فيشرفون

فيثور الملحد الاحمق ويكذب ويستدل به على كذب الانبياء ويقول ياسبحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض
جسما وهل هذا الا محال ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحمقى عن معرفة أسراره فقال وما يعقلها الا العالمون ولا يدرى المسكين

أن من قال رأيت فى منامى أنه جىء بكبش وقيل هذا هو الوباء الذى فى البلد وذبح فقال المعبر صدقت والامر كما رأيت وهذا يدل على ان الوباء ينقطع ولا يعود قط لان المذبوح وقع اليأس منه فاذن المعبر صادق فى تصديقه وهو صادق فى رؤيته وترجع حقيقة ذلك الى أن الملك الموكل بالرؤيا وهو الذى يطلع الارواح عند النوم على مافى اللوح المحفوظ عرفه بما فى اللوح المحفوظ بمثال ضربه له لان النائم انما يحتمل المثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل أيضا انما يكلمون الناس فى الدنيا وهى بالاضافة الى الآخرة نوم فيوصلون المعانى الى أفهامهم بالامثلة حكمة من الله ولطفا بعباده وتيسيرا لادراك مايعجزون عن ادراكه دون ضرب المثل فقوله يؤتى بالموت فى صورة كبش أملح مثال ضربه ليوصل الى الافهام حصول اليأس من الموت وقد جبلت القلوب على التأثر بالامثلة وثبوت المعانى فيها بواسطتها ولذلك عبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلى الله
عليه وسلم بقوله قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن عن سرعة التقليب وقد أشرنا الى حكمة ذلك فى كتاب
قواعد العقائد من ربع العبادات فلنرجع الآن الى الغرض فالمقصود أن تعريف توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيآت
لايمكن الا بضرب المثال فلتفهم من المثل الذى نضربه (معناه)

ويقال يا أهل النار فيشرفون فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيضطجع ويذبح فلولا ان الله تعالى قضى لاهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحا ولولا ان الله قضى لاهل النار الحياة فيها لماتوا حزنا وقد روى من حديث أنس وأبى هريرة وابن عمر اما حديث أنس فرواه أبو يعلى والضياء مختصرا بلفظ يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح وأما حديث أبى هريرة فرواه أحمد وهناد وابن ماجه والحاكم بلفظ يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال يا أهل الجنة فيطلعون خائفين وجلين ان يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ثم يقال يا أهل النار فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح على الصراط ثم يقال للفريقين كلا كما خلود فيما تجدون لا موت فيها أبدا وأما حديث ابن عمر فرواه الطبرانى فى الكبير بلفظ يجاء بالموت يوم القيامة فى صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرفون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت (فيثور الملحد الاحمق ويكذب) هذا القول (ويستدل به على كذب الانبياء) عليهم السلام (ويقول) متعجبا من قولهم (ياسبحان الله الموت عرض) من الاعراض محتاج فى وجوده الى محل يقوم به (والكبش جسم) من الاجسام (فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا) أى انقلاب العرض جسما (الا محال) لا يتصور وجوده فى الخارج أو باطل (ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحمقى عن معرفة أسراره فقال وما يعقلها الا العالمون ولا يدرى المسكين ان من قال رأيت فى منامى انه جىء بكبش وقيل لى (هذا هو الوباء الذى فى البلد) وهو المرض الذى يعقبه الموت سريعا (وذبح) واستعبره عند المعبر (فقال) له (المعبر صدقت والامر كما رأيت وهذا يدل على ان هذا الوباء ينقطع ولا يعود) الى هذا البلد (قط لان المذبوح وقع اليأس منه فاذا المعبر صادق فى تعبيره وهو صادق فى رؤيته وترجع حقيقته الى أن الملك الموكل بالرؤيا وهو الذى يطلع الارواح عند النوم على مافى اللوح المحفوظ) قد (عرفه بما فى اللوح المحفوظ بمثال ضربه له) حتى يدركه بفهمه (لان النائم انما يحتمل المثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل أيضا انما يكلمون الناس فى الدنيا وهى بالاضافة الى الآخرة نوم فيوصلون المعانى الى افهامهم بالامثلة) المضروبة (حكمة من الله تعالى ولطفا بعباده وتيسيرا لادراك مايعجزون عن ادراكه دون ضرب المثل) فقد روى البخارى فى الصحيح عن على موقوفا حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله وروى مسلم فى مقدمة صحيحه عن ابن مسعود ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة وروى الديلمى من حديث ابن عباس لا تحدثوا أمتى من أحاديثى الا ما تحتمله عقولهم فيكون فتنة عليهم فكان ابن عباس يخفى أشياء من حديثه ويفشيها الى أهل العلم وروى البيهقى فى الشعب من حديث المقدام بن معدى كرب اذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يعزب عنهم ويشق عليهم (فقوله) صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق (يؤتى بالموت فى صورة كبش أملح مثال ضربه ليوصل الى الافهام حصول اليأس من الموت) وثبوت الخلود امافى الجنة واما فى النار (وقد جبلت القلوب على التأثر بالامثلة وثبوت المعانى فيها بواسطتها وكذلك عبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه وسلم بقوله قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن عن سرعة التقليب) وعن كمال القدرة والاحاطة به (وقد أشرنا الى حكمة ذلك فى كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات فلنرجع الآن الى الغرض فالمقصود أن تعرف توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيآت ولا يمكن) معرفة ذلك (الا بضرب الامثال فلتفهم من المثل الذى نضرب) لك

معناه لاصورته فنقول الناس فى الآخرة ينقسمون أصنافا وتتفاوت درجاتهم ودركاتهم فى السعادة والشقاوة تفاوتا لايدخل تحت الحصر كما تفاوتوا فى سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الآخرة الدنيا الا فى هذا المعنى أصلا البتة فان مدبر الملك والملكوت واحد لاشريك له وسنته الصادرة عن ارادته الازلية مطردة لاتبديل لها الا أنا ان عجزنا عن احصاء آحاد الدرجات فلا نعجز عن احصاء الاجناس فنقول الناس ينقسمون فى الآخرة بالضرورة الى أربعة أقسام هالكين ومعذبين وناجين وفائزين ومثاله فى الدنيا أن يستولى ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ويخلى بعضهم فهم الناجون ويخلع على بعضهم فهم الفائزون فان كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك الا باستحقاق فلا يقتل الا جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له فى أصل الدولة ولا يعذب الا من قصر فى خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يخلى الا معترفا له برتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع الا على من أبلى عمره فى الخدمة والنصرة ثم ينبغى أن تكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم فى الخدمة واهلاك الهالكين اما تحقيقا بحز الرقبة أو تنكيلا بالمثلة بحسب درجاتهم فى المعاندة وتعذيب المعذبين فى الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد أنواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب الى درجات لاتحصى ولا تنحصر فكذلك فافهم أن الناس فى الآخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن معذب مدة ومن ناج يحل فى دار السلامة ومن فائز والفائزون ينقسمون الى من يحلون فى جنات عدن أو جنات المأوى أو جنات الفردوس والمعذبون ينقسمون الى من يعذب قليلا والى من يعذب ألف سنة الى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد فى الخبر

(معناه) المراد منه (لاصورته فنقول الناس فى الآخرة ينقسمون أصنافا وتتفاوت درجاتهم ودركاتهم فى السعادة والشقاوة تفاوتا لايدخل تحت الحصر كما تفاوتوا فى سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الآخرة الدنيا فى هذا المعنى أصلا البتة فان مدبر) الامور فى (الملك والملكوت واحد لاشريك له وسنته الصادرة عن ارادته الازلية مطردة لاتبديل لها) ولا تحويل عنها (الا أنا ان عجزنا عن احصاء آحاد الدرجات) لعدم حصرها (فلا نعجز عن احصاء الاجناس فنقول الناس ينقسمون فى الآخرة بالضرورة الى أربعة أقسام هالكين ومعذبين وناجين وفائزين) لانهم لايخلون عن سعادة أو شقاوة والشقاوة ان كانت بالشرك والكفر وجحود صفات الربوبية فهم الهالكون فان كان مع وجود الاقرار بالربوبية نوع عصيان ومخالفة فهم المعذبون والسعادة ان كانت بالايمان بالله وبما جاء به الرسل فهم الناجون فان كان مع ذلك نبذ الدنيا واقبال على الله بالكلية فهم الفائزون فهذا وجه الحصر فى الاقسام المذكورة (ومثاله فى الدنيا أن يستولى ملك من الملوك على اقليم) من الاقاليم السبعة (فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ويخلى بعضهم) أى يتركهم (فهم الناجون ويخلع على بعضهم) أى يلبسهم خلعا (فهم الفائزون فان كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك الا بالاستحقاق فلا يقتل الا جاحدا) أى منكرا (لاستحقاقه الملك معاندا له فى أصل الدولة ولا يعذب الا من قصر فى خدمته) والمثول بين يديه (مع الاعتراف بملكه وعلو درجته) واستحقاقه لتلك النعمة (ولا يخلى الا معترفا له برتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب) على تقصيره (ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع) الملك (الا على من أبلى عمره) وفى نسخة قدره (فى الخدمة والنصرة) له (ثم ينبغى أن تكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم فى الخدمة) والنصرة (واهلاك الهالكين اما تحقيقا) فى الحال (بحز الرقبة) أى قطعها (أو تنكيلا بالمثلة) بان تقطع أطرافه عضوا عضوا حتى يهلك وذلك (بحسب درجاتهم) ومراتبهم (فى المعاندة) له (وتعذيب المعذبين فى الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد أنواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم) ومراتبه (فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب الى درجات لاتحصى ولا تنحصر فكذلك فافهم ان الناس فى الآخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك) مرة (ومن معذب) مرة (ومن ناج يحل فى دار السلامة ومن فائز والفائزون ينقسمون الى من يحلون فى جنات عدن أو جنات المأوى أو جنات الفردوس) وهى أعلى الجنان وسيأتى ذكر الجنان فى آخر الكتاب (والمعذبون ينقسمون الى من يعذب قليلا والى من يعذب ألف سنة الى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد فى الخبر) قال العراقى رواه الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول من حديث أبى هريرة بسند ضعيف فى حديث قال فيه وأطولهم مكثا فيها مثل الدنيا من يوم خلقت الى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة اه ولفظ القوت وقد جاء فى الخبران آخر من يبقى فى جهنم من الموحدين سبعة آلاف سنة وروى أبو سعيد وأبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر من يخرج من النار وهو أيضا من يدخل الجنة فلعله والله أعلم بعد سبعة آلاف سنة فيعطى من الجنة مثل الدنيا كلها عشرة آلاف سنة قلت هذا الخبر رواه أحمد وعبد ابن حميد عن أبى سعيد وأبى هريرة بهما ولفظه آخر من يخرج من النار رجلان يقول الله لاحدهما يا ابن آدم الحديث بطوله وفى آخره فيقول أى رب أدخلنى الجنة فيقول الله عز وجل سل وتمن فيسأل ويتمنى مقدار ثلاثة أيام من أيام الدنيا فاذا فرغ قال لك ما سألت ومثله معه وقال أبو هريرة وعشرة أمثاله وروى الطبرانى

وكذلك الهالكون الآيسون من رحمة الله تتفاوت دركاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليها *(الرتبة الاولى)* وهي رتبة الهالكين ونعني بالهالكين الآيسين من رحمة الله تعالى اذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه آيس من رضا الملك واكرامه فلا تغفل عن معاني المثال وهذه الدرجة لا تكون الا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا المكذبين بالله ورسله وكتبه فان السعادة الاخروية في القرب من الله والنظر الى وجهه وذلك لا ينال أصلا الا بالمعرفة التي يعبر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون هم المنكرون والمكذبون هم الآيسون من رحمة الله تعالى أبد الآباد وهم الذين يكذبون برب العالمين وبأنبيائه المرسلين انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محجوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشتهيه لا محالة فهو لا محالة يكون محترقا في نار جهنم بنار الفراق ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا الحور العين وانما مطلبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط وقالوا من يعبد الله بعوض فهو لئيم كأن يعبده لطلب جنته أو لخوف ناره بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب الا ذاته فقط فاما الحور العين والفواكه فقد لا يشتهيها وأما النار فقد لا يتقيها اذ نار الفراق اذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للاجسام فان نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ونار جهنم لا شغل لها الا مع الاجسام وألم الاجسام يستحقر مع ألم الفؤاد ولذلك قيل

وفي فؤاد المحب نار جوى * أحر نار الجحيم أبردها

ولا ينبغي أن تنكر هذا في عالم الآخرة اذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا فقد رؤي من غلب عليه الوجد فعدا على النار وعلى أصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لان الغضب نار في القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغضب قطعة من النار

في الكبير من حديث ابن مسعود ان آخر من يخرج من النار ويدخل الجنة رجل يحبو فيقال ادخل الجنة فيخيل اليه انها ملأى فيقول يا رب انها ملأى فيقال له ادخل ان لك عشرة أمثال الدنيا فيقول أنت الملك أتضحك بي فذلك أنقص أهل الجنة منزلا (وكذلك الهالكون الآيسون من رحمة الله تعالى تتفاوت دركاتهم وهذه الدرجات والدركات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليها) فنقول *(الرتبة الاولى وهي رتبة الهالكين ونعني بالهالكين الآيسين من رحمة الله تعالى اذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه) لك آنفا (آيس من رضا الملك واكرامه فلا تغفل عن معاني المثال) فهذه الرتب قد رتبناها عليه (وهذه الدرجة لا تكون الا للجاحدين) اي المنكرين (والمعرضين) عن الله بالكلية (المتجردين للدنيا المكذبين بالله ورسله وكتبه) فلا يرفعون لهم رأسا (فان السعادة الاخروية) انما هي (في القرب من الله) تعالى (والنظر الى وجهه الكريم) من غير حجاب (وذلك لا ينال أصلا الا بالمعرفة التي يعبر عنها بالايمان) بالله تعالى (والتصديق) لرسله وكتبه (والجاحدون هم المنكرون والمكذبون هم الآيسون من رحمة الله تعالى أبد الآباد وهم الذين يكذبون برب العالمين) جل جلاله (وبأنبيائه المرسلين) وبالكتب المنزلة عليهم (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة) كما قال الله تعالى في كتابه العزيز ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد أثيم اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون (وكل محجوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشتهيه) أشار بذلك الى قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا يكون ذلك الا للمحجوبين (فهو لا محالة يكون محترقا في نار جهنم) أشار اليه بقوله تعالى ثم انهم لصالوا الجحيم (بنار الفراق) الحاصلة من الحجاب (ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا الحور العين) في الجنات (وانما مطلبنا اللقاء) أي مشاهدة الوجه الكريم (ومهربنا من الحجاب فقط وقالوا) أيضا (من يعبد الله بعوض فهو لئيم) وذلك (كأن يعبده لطلب جنته أو لخوف ناره بل العارف) الكامل (يعبده لذاته فلا يطلب الا ذاته) وحده (فقط فاما الحور العين والفواكه فقد لا يشتهيها وأما النار فقد لا يتقيها اذ نار الفراق اذا استولت ربما غلبت على النار المحرقة للاجسام فان نار الفراق) هي (نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة) وهي بواطن القلوب (ونار جهنم لا شغل لها الا مع الاجسام) فتعذبها (وألم الاجسام يستحقر مع ألم الفؤاد ولذلك قيل) قائله المتنبي

* (وفي فؤاد المحب نار جوى) * وفي نسخة هوى * (أحر نار الجحيم أبردها) *

(ولا ينبغي أن ينكر هذا في عالم الآخرة اذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا فقد رؤي من غلب عليه الوجد) في السماع (فعدا على النار وعلى أصول القصب) بعدما قطعت وطارت كالاسنة (الجارحة للقدم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه) وتقدم في كتاب الوجد والسماع (وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال) فيقاتل (فتصيبه جراحات) في بدنه (وهو لا يشعر بها في الحال) ويشعر بها في المستقبل بعد خمود نار الغضب (لان الغضب نار في القلب) اذا تأججت شغلت القلب عن الاحساس بالالم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغضب قطعة من النار) رواه الترمذي من حديث أبي سعيد بلفظ الغضب جمرة

واحتراق الفؤاد أشد من احتراق الاجساد والاشد يبطل الاحساس بالاضعف كما تراه فليس الهلاك من النار والسيف الا من حيث انه يفرق بين جزأين يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن فى الاجسام فالذى يفرق بين القلب وبين محبوبه الذى يرتبط به برابطة تأليف أشد احكاما من تأليف الاجسام فهو أشد ايلاما ان كنت من أرباب البصائر وأرباب القلوب ولا يبعد أن لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الالم ويستحقره بالاضافة الى ألم الجسم فالصبى لو خير بين ألم الحرمان عن الكرة والصولجان وبين ألم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بألم الحرمان عن رتبة السلطان أصلا ولم يعد ذلك ألما وقال العدو فى الميدان (٥٥٣) مع الصولجان أحب الى من ألف سرير السلطان مع الجلوس عليه بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلواء وبين فعل جميل يقهر به الاعداء ويفرح به الاصدقاء لآثر الهريسة والحلواء وهذا كله لفقد المعنى الذى بوجوده يصير الجاه محبوبا ووجود المعنى الذى بوجوده يصير الطعام لذيذا وذلك لمن استرقته صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه صفات الملائكة التى لا يناسبها ولا يلذها الا القرب من رب العالمين ولا يؤلمها الا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق الا فى اللسان والسمع الا فى الآذان فلا تكون هذه الصفة الا فى القلب فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كمن لا سمع له ولا بصر ليس له لذة الالحان وحسن الصور والالوان وليس لكل انسان قلب ولو كان لما صح قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلسا من القلب ولست أعنى بالقلب هذا الذى تكتنفه عظام الصدر بل أعنى به السر الذى هو من عالم الامر وهو اللحم الذى هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه وسائر الاعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق والامر جميعا ولكن ذلك السر الذى قال الله تعالى فيه قل الروح من أمر ربي هو الامير والملك لان بين عالم الامر وعالم الخلق ترتيبا وعالم الامر أمير على عالم الخلق وهو اللطيفة التى اذا صلحت صلح لها سائر الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه وعند ذلك يشم العبد مبادى روائح المعنى المطوى تحت قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته ونظر بعين الرحمة

فى قلب ابن آدم وسنده ضعيف وقد تقدم فى كتاب ذم الغضب (واحتراق الفؤاد أشد من احتراق الاجساد والاشد يبطل الاحساس بالاضعف) أى فلا يحس به (كما تراه فليس التألم من النار والسيف الا من حيث انه) اى كلا من النار والسيف (يفرق بين جزأين يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن فى الاجسام فالذى يفرق بين القلب وبين محبوبه الذى يرتبط به) وفى نسخة المرتبط به (برابطة تأليف) الحب (أشد احكاما من تأليف الاجسام فهو أشد ايلاما ان كنت من أرباب البصائر وأرباب القلوب ولا يبعد أن لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الالم) ولا يحس به (ويستحقره) أى يجده حقيرا (بالاضافة الى ألم الجسم فالصبى لو خير بين الم الحرمان من) لعب (الكرة والصولجان وبين ألم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بالم الحرمان من رتبة السلطان أصلا ولم يعد ذلك ألما وقال العدو) أى الجرى (فى الميدان مع الصولجان) بضرب الكرة فيه (أحب الى من ألف سرير للسلطان مع الجلوس عليه بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلواء وبين فعل جميل يقهر به الاعداء ويفرح به الاصدقاء لآثر) أى اختار (الهريسة والحلواء) ولم يلتفت الى الفعل الجميل (وهذا كله لفقد المعنى الذى بوجوده يصير الجاه محبوبا ووجود المعنى الذى بوجوده يصير الطعام لذيذا وذلك لمن استرقته) أى استعبدته (صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه صفات الملائكة التى لا يناسبها ولا يلذها الا القرب من رب العالمين ولا يؤلمها الا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق الا فى اللسان) وهى قوة منبثة فى العصب المفروش على جوهر اللسان وبها تدرك الطعوم بمخالطة الرطوبة اللعابية (والسمع الا فى الآذان فلا تكون هذه الصفة الا فى القلب فمن لا قلب له ليس له هذا الحس) والادراك (كمن لا سمع له ولا بصر ليس له لذة الالحان المطربة وحسن الصور والالوان) المختلفة (وليس لكل انسان قلب ولو كان لما صح قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم يتذكر بالقرآن) ولم يتعظ به (مفلسا من القلب) أى عاريا منه عادما له عرى المفلس من المال وقد تقدم الكلام عليه فى فصول مقدمة كتاب العلم عند ذكر مختارات أقوال المصنف (ولست أعنى بالقلب هذا اللحم) الصنوبرى (التى تكتنفه عظام الصدر) فى الجهة اليسرى (بل أعنى به السر الذى هو من عالم الامر وهو اللحم الذى هو من عالم الخلق عرشه) المستوى عليه (والصدر كرسيه وسائر الاعضاء عالمه ومملكته) كما تقدم لك من قول سهل التسترى فى كتاب عجائب القلب (ولله الخلق والامر جميعا) قال الله تعالى ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين (ولكن ذلك السر الذى قال الله تعالى فيه قل الروح من أمر ربى هو الامير والملك) فاللطيفة من عالم الامر واللحم الصنوبرى من عالم الخلق (لان بين عالم الامر و) بين (عالم الخلق ترتيبا وعالم الامر أمير على عالم الخلق) وحاكم عليه (وهو اللطيفة التى اذا صلحت صلح بها سائر الجسد) كما ورد ذلك فى الخبر وتقدم (من عرفها) أى تلك اللطيفة (فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه) كما ورد ذلك فى الخبر وتقدم (وعند ذلك يشم العبد) السالك (مبادى روائح المعنى المطوى تحت قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته) تقدم الكلام عليه قريبا (وينظر بعين الرحمة

الى الحاملين له على ظاهر لفظه والى المتعسفين فى طريق تاويله وان كانت رحمته للعاملين على اللفظ أكثر من رحمته للمتعسفين فى التأويل لان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة أولئك أكثر وان اشتركوا فى مصيبة الحرمان من حقيقة الامر فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهى حكمته يختص بها من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ولنعد الى الغرض فقد أرخينا الطول وطوّلنا النفس فى أمر هو أعلى من علوم المعاملات التى نقصدها فى هذا الكتاب فقد ظهر أن رتبة الهلاك ليس الا للجهال المكذبين وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل تحت الحصر فلذلك لم نوردها * (الرتبة الثانية) * رتبة المعذبين وهذه رتبة من تحلى بأصل الايمان ولكن قصر فى الوفاء بمقتضاه فان رأس الايمان هو التوحيد وهو أن لا يعبد الا الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل معنى قولك لا اله الا الله معنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وهو ان تذر بالكلية غير الله ومعنى قوله تعالى الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ولما كان الصراط المستقيم الذى لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة عليه أدق من الشعر وأحد من السيف مثل الصراط الموصوف فى الآخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو فى أمر يسير اذ لا يخلو عن اتباع الهوى ولو فى فعل قليل وذلك قادح فى كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضى لا محالة نقصانا فى درجات القرب ومع كل نقصان ناران نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القرآن فيكون عليها كل مائل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسبب أمرين أحدهما قوة الايمان وضعفه والثانى كثرة اتباع الهوى وقلته واذ لا يخلو بشر فى غالب الامر عن واحد من الامرين قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا

الى الجامدين) الواقفين (على ظاهر لفظه) ولا يؤوّلون (والى المتعسفين فى طريق تأويله) الخارجين عن الحدود (وان كانت رحمته للجامد) الواقف (على) ظاهر (اللفظ أكثر من رحمته للمتعسف فى التأويل لان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة أولئك) الجامدين (أكثر وان اشتركوا فى مصيبة الحرمان من حقيقة الامر) اذ كل منهما لم يحقق الامر تحقيقا شافيا فهما مشتركان فى الحرمان (فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهى حكمة) ربانية (يختص بها من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ولنعد الى الغرض فقد أرخينا الطول) بكسر الطاء المهملة وفتح الواو الحبل ومنه قول الشاعر

* لكالطول المرخى وثنياه باليد * (وطوّلنا النفس) محركة هو فى الاصل اسم للريح الداخل والخارج فى البدن من الفم والمنخر وهو كالغذاء للنفس وبانقطاعه بطلانها (فى أمر هو أعلى من علوم المعاملات التى نقصدها فى هذا الكتاب فقد ظهر ان رتبة الهلاك ليس الا للجهال المكذبين) بالله ورسله (وشهادة ذلك من كتاب الله) تعالى (وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل تحت الحصر فلذلك لم نوردها) والله الموفق (الرتبة الثانية رتبة المعذبين وهذه رتبة من تحلى باصل الايمان) بالله ورسله (ولكن قصر الوفاء بمقتضاه فان رأس الايمان هو التوحيد) أى هو بمنزلة الرأس من الجسد (وهو ان لا يعبد الا الله) وحده (ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه) فمعبوده هواه ولم يكمل توحيده (فهو موحد بلسانه) فقط (لا بالحقيقة) اذ حقيقة التوحيد أن لا يشارك فى توحيده (بل معنى قولك لا اله الا الله) بعينه (معنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) فقد أمر بالتوحيد الخالص وان يتركهم فيما يخوضون (وهو ان تذر بالكلية غير الله) فلا يكون للغير الى قلبه سبيل (و) أيضا (معنى قوله) تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أى على هذا القول (ولما كان الصراط المستقيم) المشار اليه فى قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم (الذى لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة عليه) ومن هنا أشار بعض العارفين ان المراد هنا وحدة الوجود (أدق من الشعر واحد من السيف مثل الصراط الموصوف فى الآخرة) بهذا الوصف (فلا ينفك بشر عن الميل عن الاستقامة ولو فى أمر يسير) أى قليل تافه (اذ لا يخلو عن اتباع الهوى ولو فى فعل قليل وذلك قادح فى كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضى لا محالة نقصانا فى درجات القرب ومع كل نقصان ناران نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القرآن) فى آى متعددة (فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين) مرة فى الدنيا ومرة فى الآخرة (من وجهين) مختلفين (ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسبب أمرين أحدهما قوة الايمان وضعفه والثانى كثرة اتباع الهوى وقلته اذ لا يخلو بشر فى غالب الامر) والاحوال (عن واحد من الامرين قال الله تعالى وان منكم) أى ما منكم من أحد (الا واردها) أى الا واصلها وحاضرها يعنى جهنم (الآيتين) وهما كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فيمر بها المؤمن وهى خامدة وفى الخبر اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة قيل المراد بورودها الجواز على الصراط فانه ممدود

ولذلك قال الخائفون من السلف انما خوفنا لانا تيقنا انا على النار واردون وشككنا في النجاة ولما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادي ياحنان يامنان قال الحسن ياليتني كنت ذلك الرجل واعلم ان في الاخبار مايدل على أن آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة وأن الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة حتى قد يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون له فيها لبث وبين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر وسائر المدد وان الاختلاف بالشدة لانهاية لاعلاه وأدناه التعذيب بالمناقشة في الحساب كما أن الملك قد يعذب بعض المقصرين في الاعمال بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بنوع آخر من العذاب ويتطرق الى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب بأخذ المال وقتل الولد واستباحة الحريم وتعذيب الاقارب والضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن وغيره فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الآخرة دل عليها قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيآت وقلتها اما شدة العذاب فبشدة قبح السيآت وكثرتها وأما كثرته فبكثرتها وأما اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيآت وقد انكشف هذا لارباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الايمان وهو المعنى بقوله تعالى ومار بك بظلام للعبيد

عليها (ولذلك قال الخائفون من السلف انما خوفنا لانا تيقنا انا على النار واردون وشككنا في النجاة) ووجه التيقن قوله تعالى كان على ربك حتما مقضيا أي كان ورودهم واجبا أوجبه الله تعالى على نفسه ومضى بان وعدبه وعد الايمكن تخلفه وأخرج أحمد في الزهد عن بكر بن عبدالله المزني انه لما نزلت هذه الآية وان منكم الا واردها ذهب عبدالله بن رواحة الى بيته فبكى وبكى أهل بيته ببكائه فسئل عن بكائه قال أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية نبأني فيها ربي اني وارد على النار ولم ينبئني اني صادر عنها فذلك الذي أبكاني وفي رواية أخرى عن قيس بن أبي حازم قال بكى عبدالله بن رواحة فقالت له امرأته مايبكيك قال اني أنبئت اني وارد النار ولم أنبأ اني صادر منها وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقوا يقول الرجل لصاحبه هل أتاك انك وارد يقول نعم فيقول هل أتاك انك خارج يقول لا فيقول ففيم الضحك اذا (ولما روى الحسن البصري رحمه الله تعالى الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد ألف عام فانه) وفي نسخة وانه (ينادي ياحنان يامنان قال الحسن ياليتني كنت ذلك الرجل) لشدة خوفه خاف أن يدخلها ثم عظم خوفه فخاف أن لايخرج منها فتمنى أن يخرج منها بعد ألف عام كذا في القوت والحديث قال العراقي رواه أحمد وأبو يعلى من رواية أبي ظلال القسملي عن أنس وأبو ظلال ضعيف واسمه هلال بن ميمون اه قلت ويقال فيه هلال بن سرير معروف بكنيته أخرج له الترمذي قال ابن عدي عامة مايرويه لايتابع عليه وروى الحكيم في النوادر من حديث جابر قال لي جبريل يامحمد ان الله تعالى يخاطبني يوم القيامة فيقول ياجبريل مالي أرى فلانا في صفوف أهل النار فأقول يارب اني لم أجد له حسنة يعود عليه خيرها اليوم فيقول الله تعالى اني أسمعه في دار الدنيا يقول ياحنان يامنان فأته فاسأله فيقول وهل من حنان منان غير الله فآخذ بيده من صفوف أهل النار فادخله في صفوف أهل الجنة (واعلم ان في الاخبار مايدل على ان آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة) رواه الحكيم الترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم قريبا (وان الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة حتى) قد (يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون له فيها لبث) أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال يرد الناس الصراط وورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون عن الصراط باعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم من يمر كاجود الخيل ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى ان آخرهم مرا رجل تذره على موضع ابهام قدميه يمر متكفئا به الصراط (وبين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر وسائر المدد) وفي القوت يخرجون من النار زمرا متفاوتون من اليوم والجمعة والشهر والسنة الى ستة آلاف سنة (وان الاختلاف بالشدة لانهاية لاعلاه وأدناه التعذيب بالمناقشة في الحساب) لما في الخبر من نوقش الحساب عذب (كما ان الملك) من ملوك الدنيا (قد يعذب بعض المقصرين في الاعمال بالمناقشة في الحساب ثم يعفو) فضلا منه (وقد يضرب بالسياط) وشبهها (وقد يعذب بانواع آخر من العذاب ويتطرق الى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال) أي أخذه منه ظلما وتعديا (فقط كمن يعذب بأخذ المال وقتل الولد واستباحة الحريم وتعذيب الاقارب والضرب وقطع) الاطراف مثل (اللسان واليد والانف وغيره فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الآخرة دل عليها قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيآت وقلتها اما شدة العذاب فبشدة قبح السيآت وكثرتها وأما كثرته فبكثرتها) أي السيآت (وأما اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيآت وقد انكشف هذا لارباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الايمان وهو المعنى) أي المقصود (بقوله تعالى ومار بك بظلام للعبيد) وبقوله تعالى وما الله يريد ظلما للعباد

و بقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت و بقوله تعالى وان ليس للانسان الاما سعى و بقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الى غير ذلك مما ورد فى الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الاعمال وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة أرجح اذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم سبقت رحمتى غضبى وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما فاذا هذه الامور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيآت معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فاما التفصيل فلا يعرف الا ظنا ومستنده ظواهر الاخبار ونوع حدس يستمد من أنوار الاستبصار بعين الاعتبار فنقول كل من أحكم أصل الايمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع الفرائض أعنى الاركان الخمسة ولم يكن منه الا صغائر متفرقة لم يصر عليها فيشبه أن يكون عذابه المناقشة فى الحساب فقط فانه اذا حوسب رجحت حسناته على سيآته اذ ورد فى الاخبار أن الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهن وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفر للصغائر وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب ان لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه فينبغى أن يكون بعد ظهور الرجحان فى الميزان وبعد الفراغ من الحساب فى عيشة راضية نعم التحاقه باصحاب اليمين أو بالمقربين ونزوله فى جنات عدن أو فى الفردوس الاعلى فكذلك يتبع أصناف الايمان لان الايمان ايمانان تقليدى كايمان العوام يصدقون بما يسمعون ويستمرون عليه وايمان كشفى يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ماهو عليه فيتضح أن الكل الى الله مرجعه ومصيره اذ ليس فى الوجود الا الله تعالى وصفاته وأفعاله فهذا الصنف هم المقربون النازلون فى الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب من الملأ الاعلى وهم أيضا على أصناف فمنهم السابقون ومنهم من دونهم

(و بقوله) تعالى (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وبقوله) تعالى (وأن ليس للانسان الاما سعى و بقوله) تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الى غير ذلك مما ورد فى الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الاعمال) مترتبا عليها (وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه) ولا يظلم ربك أحدا (وجانب العفو والرحمة أرجح اذ قال تعالى فيما أخبر) وفى نسخة حكى (عنه نبينا صلى الله عليه وسلم سبقت رحمتى غضبى) رواه مسلم من حديث أبى هريرة (وقال) الله (تعالى وان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما فاذا هذه الامور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيآت معلومة بقواطع الشرع) أى بدلائله القطعية (ونور المعرفة) الحاصل من كمال الايمان هذا على سبيل الاجمال (وأما التفصيل فلا يعرف الا ظنا ومستنده ظواهر الاخبار ونوع حدس) أى تخمين (يستمد من أنوار الاستبصار بعين الاعتبار فنقول كل من أحكم أصل الايمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع الفرائض أعنى الاركان الخمسة) من التوحيد والصلاة والزكاة والصوم والحج (ولم تكن منه الا صغائر متفرقة لم يصر عليها فيشبه أن يكون عذابه المناقشة فقط فانه اذا حوسب رجحت حسناته على سيآته اذ ورد فى الاخبار أن الصلوات الخمس والجمعة) الى الجمعة (وصوم رمضان) الى رمضان (كفارة لما بينهن) رواه أحمد والحاكم والبيهقى من حديث أبى هريرة نحوه وقد تقدم قريبا (وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفر للصغائر) وهو قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم (وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب ان لم يرفع الحساب وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه) بالحسنات (فينبغى أن يكون بعد ظهور الرجحان فى الميزان و بعد الفراغ من الحساب فى عيشة راضية) يشير الى قوله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية (نعم التحاقه باصحاب اليمين أو بالمقربين ونزوله فى جنة عدن أو فى الفردوس الاعلى فكذلك يتبع أصناف الايمان لان الايمان ايمانان تقليدى كايمان العوام يصدقون بما يسمعون و يستمرون عليه وايمان كشفى يحصل بانشراح الصدر بنور الله) عز وجل وهو المشار اليه بقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه (حتى ينكشف فيه الوجود كله على ماهو عليه) واجبه وممكنه (فيتضح ان الكل الى الله مرجعه ومصيره اذ ليس فى الوجود الا الله تعالى وصفاته وأفعاله) وان كل شئ هالك الا وجهه لا انه يصير هالكا من الاوقات بل هو هالك أزلا وأبدا لا يتصور الا كذلك فان كل شئ سواه اذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض واذا اعتبر من الوجه الذى يسرى اليه الوجود من الازل فيكون الموجود وجه الله فقط ولكل شئ وجهان وجه الى نفسه ووجه الى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم و باعتبار وجه الله موجود فاذا لا موجود الا الله و وجهه فاذا كل شئ هالك الا وجهه أزلا وأبدا ونزيد ذلك وضوحا ان الوجود ينقسم الى ما الوجود له من ذاته والى ماله الوجود من غيره وماله الوجود من غيره موجود مستعار لا قوام له بنفسه بل اذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وانما هو وجوده من حيث نسبته الى غيره وذلك ليس بوجود حقيقى فاعرفه (فهذا الصنف هم المقربون النازلون فى الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب من الملأ الاعلى) والقريب الى القريب قريب (وهم أيضا على أصناف فمنهم السابقون) بالخيرات (ومنهم من دونهم)

وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات العارفين فى المعرفة بالله تعالى لا تنحصر اذ الاحاطة بكنه جلال الله غير ممكنة وبحر المعرفة
ليس له ساحل وعمق وانما يغوص فيه الغوّاصون بقدر قواهم وبقدر ما سبق لهم من الله تعالى فى الازل فالطريق الى الله تعالى لانهاية
لمنازله فالسالكون سبيل الله لانهاية لدرجاتهم وأما المؤمن ايمانا تقليديا فهو

من أصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين وهم أيضا على درجات فالاعلى من درجات أصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة الادنى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى الفرائض كلها أعنى الاركان الخمسة التى هى النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلاة والزكاة والصوم والحج فامامن ارتكب كبيرة أو كبائر أو أهمل بعض أركان الاسلام فان تاب توبة نصوحا قبل قرب الاجل التحق بمن لم يرتكب لان التائب من الذنب كمن لاذنب له والثوب المغسول كالذى لم يتوسخ أصلا وان مات قبل التوبة فهذا أمر مخطر عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه فيختم له بسوء الخاتمة لاسيما اذا كان ايمانه تقليديا فان التقليد وان كان جزما فهو قابل للانحلال بادنى شك وخيال والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما ان ماتا على الايمان يعذبان الا أن يعفو الله عذابا يزيد على عذاب المناقشة فى الحساب وتكون كثرة العقاب من حيث المدة

بحسب كثرة مدة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف أصناف السيآت وعند
انقضاء مدة العذاب ينزل البله المقلدون فى درجات أصحاب اليمين والعارفون المستبصرون فى أعلى عليين ففى الخبر آخر من يخرج من
النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف

فى الرتبة (وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى) فكل من قويت معرفته تم له السبق وذلك بقدر ما ينكشف لهم من معلومات الله وعجائب مقدوراته وبديع آياته فى الدنيا والآخرة والملك والملكوت (ودرجات العارفين فى المعرفة بالله تعالى لا تنحصر اذ الاحاطة بكنه جلال الله) وعظمته (غير ممكنة) فى قوة البشر والملائكة (وبحر المعرفة ليس له ساحل) ينتهى اليه (و) لا يعرف له (عمق) أى قرار (وانما يغوص فيه الغوّاصون بقدر قواهم) واستعداداتهم (وبقدر ما سبق لهم من الله تعالى فى الازل فالطريق الى الله تعالى لانهاية لمنازله والسالكون لسبيل الله لانهاية لدرجاتهم) ونهاية معرفتهم عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هى انهم لا يعرفونه وانهم لا يمكنهم البتة معرفته وانه يستحيل ان يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية الا الله تعالى فاذا انكشف لهم ذلك انكشافا برهانيا فقد بلغوا المنتهى الذى يمكن فى حق الخلق من معرفته (وأما المؤمن ايمانا تقليديا فهو من أصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين وهم أيضا على درجات فالاعلى من أصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة الادنى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى الفرائض كلها أعنى الاركان الخمسة التى هى النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلاة والزكاة والصوم والحج) وهى أبنية الاسلام اذا تممت كفرت ما بعدها من السيآت وثبتت للعبد نوافله وتبدل بسيآته حسنات (فاما من ارتكب كبيرة أو كبائر أو أهمل بعض أركان الاسلام) المذكورة (فان تاب توبة نصوحا قبل قرب الاجل التحق بمن لم يرتكب ذنبا لان التائب من الذنب كمن لاذنب له) كما فى الخبر وتقدم ذكره (والثوب المغسول كالذى لم يتوسخ أصلا وان مات قبل التوبة فهذا أمر مخطر عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه) واضطرابه (فيختم له بسوء الخاتمة) عياذا بالله منه (لاسيما اذا كان ايمانه تقليديا) لا كشفيا (فان التقليد وان كان جزما فهو قابل للانحلال بادنى شك وخيال والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما ان ماتا على الايمان يعذبان الا أن يعفو الله) تعالى (عذابا يزيد على عذاب المناقشة فى الحساب وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف أصناف السيآت وعند انقضاء مدة العذاب ينزل البله المقلدون فى درجات أصحاب اليمين والعارفون المستبصرون فى أعلى عليين) فهذا تفاوت درجاتهم فى منازلهم (ففى الخبر آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف) قال العراقى متفق عليه من حديث ابن مسعود انتهى قلت الذى فى صحيح مسلم من حديثه آخر من يدخل الجنة رجل يمشى على الصراط فهو يمشى مرة ويكبو مرة تسفعه النار مرة فاذا جاوزها التفت اليها وقال تبارك الذى نجانى منك لقد أعطانى الله شيأ ما أعطاه أحدا من الاولين والآخرين فترفع له شجرة فيقول أى رب ادننى منها فلنستظل بظلها ولنشرب من مائها فيقول الله يا ابن آدم لعلى ان أعطيتكها سألتنى غيرها فيقول لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة أخرى هى أحسن من الاولى فيقول أى رب ادننى من هذه لاشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها فيقول لعلى ان أدنيتك منها تسألنى غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الاولين فيقول أى رب ادننى من هذه الشجرة لاستظل بظلها وأشرب من مائها

فلاتظن أن المراد به تقديره بالمساحة لاطراف الاجسام كأن يقابل فرسخ بفرسخين أوعشرة بعشرين فان هذا جهل بطريق ضرب الامثال بل هذا كقول القائل أخذمنه جملا وأعطاه عشرة أمثاله وكان الجمل يساوى عشرة دنانير فاعطاه مائة دينار فان لم يفهم من المثل الا المثل فى الوزن والثقل فلاتكون مائة دينار لو وضعت فى كفة الميزان والجمل فى الكفة الاخرى عشر عشيره بل هو موازنة معانى الاجسام وأرواحها دون أشخاصها وهياكلها فان الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروحه المالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والفضة بل لو أعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال أعطيته عشرة أمثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهريون فان روح الجوهرية لاتدرك بمجرد البصر بل بفطنة أخرى وراء البصر فلذلك يكذب به الصبى بل القروى والبدوى ويقول ماهذه الجوهرة الاحجر وزنه مثقال ووزن الجمل ألف ألف مثقال فقد كذب فى قوله انى أعطيته عشرة أمثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبى ولكن لا سبيل الى تحقيق ذلك عنده الا بان ينتظر به البلوغ والكمال وان يحصل فى قلبه النور الذى يدرك به أرواح الجواهر وسائر الاموال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الموازنة اذ يقول صلى الله عليه وسلم الجنة فى السموات كما ورد فى الاخبار

ولا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها قال بلى يارب ادننى من هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره لانه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فاذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول أى رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم مايصرينى منك أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها فيقول أى رب أتستهزئ منى وأنت رب العالمين فيقول انى لا أستهزئ منك ولكنى على ما أشاء قدير هكذا رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب وقوله مايصرينى منك هكذا رواه مسلم وقيده النووى بفتح الياء واسكان الصاد المهملة ومعناه يقطع مسألتك عنى وروى فى غير مسلم مايصريك منى وكلاهما صحيح والمعنى أى شئ يرضيك ويقطع السؤال بينى وبينك انتهى وفى رواية للطبرانى ان آخر من يخرج من النار ويدخل الجنة رجل يحبو فيقال له أدخل الجنة فيخيل اليه انها ملأى فيقول يارب انها ملأى فيقال له أدخل ان لك عشرة أمثال الدنيا فيقول أنت الملك أتضحك بى فذلك انقص أهل الجنة حظا وفى حديث أبى هريرة وأبى سعيد معا آخر من يخرج من النار رجلان الحديث بطوله وفيه فيسأل ويتمنى فاذا فرغ قال لك ماسألت ومثله معه وقال أبو هريرة وعشرة أمثاله رواه أحمد وعبد بن حميد وقد تقدم وفى الباب أبو أمامة الباهلى رواه الحكيم والطبرانى ولكن ليس فيه ذكر عشرة أمثال الدنيا (فلا تظن ان المراد به تقديره بالمساحة لاطراف الاجسام كان يقابل فرسخ بفرسخين أوعشرة فراسخ بعشرين) المساحة بالكسر الذرع يقال مسحت الارض مسحا أى ذرعتها والفرسخ ثلاثة أميال بالهاشمى والجمع فراسخ (فان هذا جهل بطريق ضرب الامثال بل هذا كقول القائل أخذ منه جملا وأعطاه عشرة أمثاله وكان الجمل يساوى) فى الثمن (عشرة دنانير فاعطاه مائة دينار) وهو عشرة أمثال (فان لم يفهم من المثل الا المثل فى الوزن والثقل فلا تكون مائة دينار مثلا للجمل لان مائة دينار اذا وضعت فى كفة الميزان و) وضع (الجمل فى الكفة الاخرى لم يكن عشر عشيره بل هو موازنة معانى الاجسام وأرواحها دون أشخاصها وهياكلها) أى صورها الظاهرة (فان الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروحه) الباطنى (المالية وجسمه اللحم والدم) اللذان بهما تركيبه (ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والا بل بل لو أعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال أعطيته عشرة أمثالها كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهرى) الذى يتعاطى بيع الجواهر وشراءها (فان روح الجوهرية لا يدرك بمجرد البصر بل بفطنة أخرى وراء البصر) وهى التى يميز بها بين الجيد منه والمغشوش وكثيرا مايروج على من عدم هذه الفطنة الزجاج المغشوش بالجوهر (ولذلك يكذب به الصبى) الغر بالامور (بل القروى) أى ساكن القرى البعيدة عن المدن (والبدوى) أى ساكن البرارى والقفار (ويقول) لعدم الفطنة (ماهذه الجوهرة الاحجر وزنه مثقال ووزن الجمل ألف ألف مثقال) بل ألف ألف أرطال (فقد كذب فى قوله انى أعطيته عشرة أمثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبى ولكن لا سبيل الى تحقيق ذلك عنده الا بان ينتظر به البلوغ والكمال) بالعقل (وان يحصل فى قلبه النور الذى يدرك به أرواح الجواهر وسائر الاموال فعند ذلك ينكشف له الصدق انكشافا برهانيا (والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر) عقله (صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الموازنة) التى ذكرت فى الاخبار السابقة (اذ يقول الجنة فى السموات كما ورد فى الاخبار) قال العراقى رواه البخارى من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث فيه فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن انتهى قلت بل قد ورد أصرح من ذلك وروى الشيخان من حديث ابى

أبى موسى الجنة درة مجوّفة طولها فى السماء ستون ميلا لكل زاوية منها أهل لا يراهم الآخرون وروى
أبو نعيم ومن طريقه الديلمى من حديث عبد الله بن سلام الجنة فى السماء والنار فى الارض (والسموات
من الدنيا فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا فى الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبى تلك الموازنة
وكذلك تفهيم البدوى) فانهما قاصران عن فهمها (وكما ان الجوهرى مرحوم اذا بلى بالبدوى والقروى
فى تلك الموازنة فالعارف) البصير (مرحوم اذا بلى بالابله البليد) الجامد الذهن (فى تفهيم هذه الموازنة
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلاثة عالما بين الجهال وغنى قوم افتقر وعزيز قوم ذل) قال العراقى
رواه ابن حبان فى الضعفاء من رواية عيسى بن طهمان عن أنس وعيسى ضعيف ورواه فيه من حديث
ابن عباس الا انه قال عالم يتلاعب به الصبيان وفيه أبو البخترى واسمه وهب بن وهب أحد الكذابين
انتهى قلت لفظ ابن حبان فى الضعفاء ارحموا ثلاثة عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما بين جهال هكذا
أورده فى ترجمة عيسى وقال انه يتفرد بالمناكير عن أنس كانه كان يدلس عن أبان بن عياش ويزيد
الرقاشى عنه لا يجوز الاحتجاج بخبره ورواه العسكرى فى الامثال والسليمانى فى الضعفاء من طريق زيد
ابن أبى الزرقاء عن عيسى بن طهمان بلفظ ارحموا ثلاثة من الناس والباقى سواء وقال ثانيهما ان الحمل
فيهما فيه على عيسى لكن وجد بخط الحافظ ابن حجر مانصه عيسى ثقة لم يتكلم فيه غير ابن حبان وقد
احتج به البخارى والنسائى والائمة من دونه انتهى وقال فى التهذيب صدوق أفرط فيه ابن حبان والذنب
فيما استنكره من حديثه لغيره وسبقه المزى فقال فى ترجمته قال أحمد شيخ ثقة وعنه أيضا ليس به بأس
وكذلك قال ابن معين والنسائى وقال أبو حاتم لا بأس به يشبه حديثه حديث أهل الصدق ما بحديثه بأس
وقال أبو داود لا باس به أحاديثه مستقيمة وقال مرة أخرى ثقة ورواه الخطيب من طريق جعفر بن
هرون الواسطى عن سمعان عن أنس رفعه مثله لكن بلفظ فقيها يتلاعب به الصبيان الجهال وسمعان
مجهول لا يكاد يعرف الضعف الا به نسخة مكذوبة ورواه القضاعى من طريق عبد الله بن الوليد العدنى
حدثنا الثورى عن مجاهد عن ابن مسعود به مرفوعا بلفظ يتلعب به الحمقى والجهال ومجاهد قال أبو زرعة
عن ابن مسعود وقد روى عن ابن عباس بلفظ وعالم يتلاعب به الصبيان رواه ابن حبان فى الضعفاء من
طريق نوح بن الهيثم عن أبى البخترى ويروى عن أبى هريرة أيضا وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات
وقال انما يعرف هذا من كلام الفضيل بن عياض وساقه من طريق الحاكم قال سمعت اسمعيل بن محمد
ابن الفضل قال سمعت جدى يقول سمعت سعيد بن منصور يقول قال الفضيل بن عياض ارحموا عزيز
قوم ذل وغنيا افتقر وعالما بين جهال (والانبياء مرحومون بين الامة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور
عقول الامة) عن ادراك ما يقولون لهم (فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله) تعالى (وبلاء موكل بهم
سبق بتوكيله القضاء الازلى وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم البلاء موكل بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل
فالامثل) قال العراقى رواه الترمذى وصححه والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث سعد بن أبى
وقاص قال قلت يارسول الله أى الناس أشد بلاء فذكره دون ذكر الاولياء وللطبرانى من حديث
فاطمة عمة أبى عبيدة بن حذيفة باسناد صحيح فى أثناء حديث أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون انتهى
قلت رواه الترمذى فى الزهد من جامعه من طريق عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت
يارسول الله أى الناس أشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح
البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الارض وما عليه خطيئة وكذا هو عند النسائى وابن ماجه فى الفتن فى
سننه والدارمى فى الرقاق من مسنده وأخرجه الطيالسى وأحمد وعبد بن حميد والبخارى وابن أبى عمر وابن
منيع وأبو يعلى وابن حبان والحاكم كلهم من حديث عاصم وهو عند مالك فى الموطأ وآخرين وقال
الترمذى انه حسن صحيح وصححه ابن حبان والحاكم وأخرجه أيضا من طريق العلاء بن المسيب عن

والسموات من الدنيا فكيف
يكون عشرة أمثال الدنيا
فى الدنيا وهذا كما يعجز
البالغ عن تفهيم الصبى
تلك الموازنة وكذلك تفهيم
البدوى وكما ان الجوهرى
مرحوم اذا بلى بالبدوى
والقروى فى تفهيم تلك
الموازنة فالعارف مرحوم
اذا بلى بالبليد الابله فى تفهيم
هذه الموازنة ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم ارحموا
ثلاثة عالما بين الجهال وغنى
قوم افتقر وعزيز قوم ذل
والانبياء مرحومون بين
الامة بهذا السبب ومقاساتهم
لقصور عقول الامة فتنة
لهم وامتحان وابتلاء من
الله وبلاء موكل بهم سبق
بتوكيله القضاء الازلى
وهو المعنى بقوله عليه
السلام البلاء موكل بالانبياء
ثم الاولياء ثم الامثل
فالامثل

فلا تظنن أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام وهو الذى ينزل بالبدن فان بلاء نوح عليه السلام أيضا من البلاء العظيم اذ بلى بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه الى الله الا فرارا ولذلك لما تاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال رحم الله أخى موسى لقد أوذى باكثر من هذا فصبر فاذا لا تخلو الانبياء عن الابتلاء بالجاحدين ولا تخلو الاولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلما ينفك الاولياء عن ضروب من الايذاء وأنواع البلاء بالاخراج من البلاد والسعاية بهم الى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب أن يكون أهل المعرفة عند أهل الجهل من الكافرين كما يجب أن يكون المعتاض عن الجل الكبير جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين فاذا عرفت هذه الدقائق فآمن بقوله عليه السلام انه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات واياك أن تقتصر بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا برجلين لان الحمار يشاركك فى الحواس الخمس وانما أنت مفارق للحمار بسر الهى عرض على السموات والارض والجبال

مصعب وأما حديث فاطمة بنت اليمان أخت حذيفة فلفظه عند الطبرانى فى الكبير أشد الناس بلاء الانبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وروى البخارى فى التاريخ عن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء فى الدنيا نبى أو صفى وروى ابن النجار من حديث أبى هريرة أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون وروى ابن حبان من حديث أبى سعيد أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الناس على قدر دينهم فمن تحقق دينه اشتد بلاؤه ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه وان الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى فى الناس ما عليه خطيئة ورواه ابن سعد فى الطبقات وابن ماجه وأبو يعلى والحاكم وصاحب الحلية والضياء بلفظ أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون لقد كان أحدهم يبتلى بالفقر حتى ما يجد الا العباءة يحويها فيلبسها ويبتلى بالقمل حتى تقتله ولاحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء (فلا تظنن أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام وهو الذى ينزل بالبدن) وكان عليه السلام قد ابتلى سبع سنين وأشهرا بالضر فى جسده كما رواه ابن جرير عن قتادة (فان بلاء نوح عليه السلام أيضا من البلاء العظيم اذ بلى بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه الى الله الا فرارا) وذلك قوله تعالى قال نوح رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا أى عن الايمان والطاعة وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا (ولذلك لما تاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال رحم الله أخى موسى لقد أوذى باكثر من هذا فصبر) قال العراقى متفق عليه من حديث ابن مسعود انتهى قلت والمراد ببعض الناس رجل من المؤلفة قلوبهم وذلك انه صلى الله عليه وسلم أعطى يوم حنين الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة من الابل وأعطى غيرهم أقل من ذلك فقال رجل ان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فقال صلى الله عليه وسلم ذلك وقد رواه أحمد كذلك وتقدم فى أخلاق النبوة ويحكى من تعنت من آمن بموسى من بنى اسرائيل ان رموه بداء الادرة واتهموه بقتل أخيه هرون لما مات معه فى التيه بعدما رأوا منه المعجزات الظاهرة بما جاء به التنزيل ومن سوء أخلاقهم انه لما سلك بهم طريق البحر قالوا له ان صحبنا لا نراهم فقال سيروا فانهم على طريق كطريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم أعنى على أخلاقهم السيئة ففتحت لهم كوات فى الماء فتراءوا وتسامعوا الى غير ذلك من اذاهم له عليه السلام وهذا القول منه صلى الله عليه وسلم شفقة عليهم ونصحا فى الدين لا تهديدا وتثريبا بايثار الحق الله على نفسه فى ذلك المقام الذى هو غب الفتح وتمكن السلطان الذى يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثاره الماثور (فاذا كما لا يخلو الانبياء) عليهم السلام (عن الابتلاء بالجاحدين) والمعاندين (فلا يخلو الاولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلما ينفك الاولياء) وكذلك العلماء (عن ضروب) أى أنواع (من الايذاء وأنواع البلاء بالاخراج عن البلد) تارة (والسعاية بهم الى السلاطين) تارة (والشهادة عليهم بالكفر) تارة (والخروج عن الدين) تارة أى رميهم بالحلول والزندقة وقد وقع كل ما ذكر لاعيان الاولياء والعلماء كما يعرف ذلك من تراجمهم فى التواريخ وهم مع ذلك يصبرون على اذاهم اذ أخذ الله عليهم ان يعدلوا أو يقوموا بنواميس الشريعة والحقيقة والصدع بالحق والقيام لله فى أمور الدين ومصالح المسلمين وتحمل الاذى المترتب على ذلك اذ هم القدوة والمرجع فى الاحكام وحجة الله على العوام (وواجب أن يكون أهل المعرفة) بالله تعالى (عند أهل الجهل من الكافرين كما يجب أن يكون المعتاض عن الجل الكبير) فى الجسم (جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين) أموالهم فى غير محالها (فاذا عرفت هذه الدقائق فآمن بقوله صلى الله عليه وسلم انه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات) كما تقدم بيان ذلك (واياك ان تقتصر بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا برجلين لان الحمار يشاركك فى الحواس الخمس) الظاهرة (وانما أنت مفارق للحمار بسر الهى عرض على السموات والارض والجبال

فابين أن يحملنه وأشفقن منه فادراك ما يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف الا في عالم ذلك السر الذي فارقت به الحمار وسائر البهائم فمن ذهل عن ذلك وعطله وأهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذي أهلك نفسه بتعطيلها ونسيها بالاعراض عنها فلا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم فكل من لم يعرف الا المدرك بالحواس فقد نسي الله اذ ليس ذات الله مدركا في هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسي الله أنساه الله لا محالة نفسه ونزل الى رتبة البهائم وترك الترقي الى الافق الاعلى (٥٦١) وخان في الامانة التي أودعه الله تعالى

فابين ان يحملنه وأشفقن منه) وجملته أنت (فادراك ما يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف الا في عالم ذلك السر الذي فارقت به الحمار وسائر البهائم) وتميزت به عنهما (فمن ذهل عن ذلك وعطله وأهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات) وهي أخس الرتب (فهو الذي أهلك نفسه بتعطيلها ونسيها بالاعراض عنها) وقد قال تعالى في كتابه العزيز (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم فكل من لم يعرف الا المدرك بالحواس فقد نسي الله) وجهل طريق المعرفة (اذ ليس ذات الله مدركا في هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسي الله أنساه الله لا محالة نفسه ونزل الى رتبة البهائم) وامتنع سلوكه (وترك الترقي الى الافق الاعلى وخان في الامانة التي أودعه الله تعالى) اياه (وأنعم بها عليه فغدا بذلك كافرا بنعمته ومتعرضا لنقمته الا أنه أسوأ حالا من البهيمة فان البهيمة تتخلص بالموت) وتصير هباء فلا تحاسب ولا تعاقب (وأما هذا فعنده أمانة سترجع لا محالة الى مودعها فاليه مرجع الامانة ومصيرها) ألا الى الله تصير الامور (وتلك الامانة المودعة (كالشمس الزاهرة) أي المضيئة المشرقة (وانما هبطت) من الافق الاعلى (الى هذا القالب الجسماني (الفاني وغربت فيه) واليه أشار علي بن سينا في عينيته

هبطت اليك من المحل الارفع * ورقاء ذات تعزز وتمنع

(وستطلع هذه الشمس عند خراب هذا القالب من مغربها وتعود الى بارئها وخالقها اما مظلمة منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن الحضرة الربوبية والظلمة أيضا راجعة الى الحضرة اذ المرجع والمصير للكل اليه الا أنها ناكسة رأسها عن جهة أعلى عليين الى جهة أسفل سافلين ولذلك قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم) أي حياء وخجلا وذلا وحقارة (فبين انهم عند ربهم الا أنهم منكوسون) مخوسون (قد انقلبت وجوههم الى أقفيتهم) أي الى وراء قد وكس بهم (وانتكست رؤسهم عن جهة فوق الى جهة أسفل وذلك حكم الله) عز وجل (فيمن حرمه توفيقه) أي منعه اياه (ولم يهده طريقه) أي لم يره اياها (فنعوذ بالله من الضلال والنزول الى منازل الجهال فهذا حكم انقسام من يخرج من النار) آخرا فيتمنى ويسأل (فيعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر ولا يخرج من النار الا موحد ولست أعني بالتوحيد أن يقول بلسانه لا اله الا الله فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع) هذا التوحيد (الا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته) أي سيف المجاهدين (و) تدفع (أيدي الغانمين عن ماله) وذلك قوله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم وأعراضهم وحسابهم على الله عز وجل (ومدة بقاء الرقبة والمال مدة الحياة) في عالم الملك (فحيث لا تبقى رقبة ولا مال له لا ينفع القول باللسان وانما ينفع الصدق في التوحيد وكمال التوحيد ان لا يرى الامور كلها الا من الله) عز وجل قال أبو عبد الله بن الجلاء من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد ومن حافظ على الفرائض في أول مواقيتها فهو عابد ومن رأى الافعال كلها من الله فهو موحد (وعلامته أن لا يغضب على أحد من خلقه بما يجري عليه) من المقدرات الازلية من خير أو شر (اذ لا يرى الوسائط) لانها تضمحل عن نظره (وانما يرى مسبب الاسباب) وهذا هو مرتبة الفناء في الله (كما سيأتي تحقيقه في) كتاب

وانعم عليه كافرا لانعمه ومتعرضا لنقمته الا أنه أسوأ حالا من البهيمة فان البهيمة تتخلص بالموت وأما هذا فعنده أمانة سترجع لا محالة الى مودعها فاليه مرجع الامانة ومصيرها وتلك الامانة كالشمس الزاهرة وانما هبطت الى هذا القالب الفاني وغربت فيه وستطلع هذه الشمس عند خراب هذا القالب من مغربها وتعود الى بارئها وخالقها اما مظلمة منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة مشرقة والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن حضرة الربوبية والمظلمة أيضا راجعة الى الحضرة اذ المرجع والمصير للكل اليه الا انها ناكسة رأسها عن جهة أعلى عليين الى جهة أسفل سافلين ولذلك قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم فبين انهم عند ربهم الا انهم منكوسون قد انقلبت وجوههم الى أقفيتهم وانتكست رؤسهم عن جهة فوق الى جهة أسفل وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه فنعوذ بالله من الضلال والنزول

الى منازل الجهال فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر ولا يخرج من النار الا موحد ولست أعني بالتوحيد ان يقول بلسانه لا اله الا الله فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع الا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وأيدي الغانمين عن ماله ومدة بقاء الرقبة والمال مدة الحياة فحيث لا تبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان وانما ينفع الصدق في التوحيد وكمال التوحيد ان لا يرى الامور كلها الا من الله وعلامته أن لا يغضب على أحد من الخلق بما يجري عليه اذ لا يرى الوسائط وانما يرى مسبب الاسباب كما سيأتي تحقيقه في

التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال ومنهم من له مثقال ومنهم من له مقدار خردلة وذرة فمن في قلبه مثقال دينار من ايمان فهو أول من يخرج من النار وفي الخبر يقال أخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من ايمان وآخرون يخرج من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وما بين المثقال والذرة على قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال و بين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرنا في الموازنة بين أعيان الاموال و بين النقود وأكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك فأما بقية السيآت فيتسارع العفو والتكفير اليها ففي الاثر ان العبد ليوقف بين يدي الله تعالى وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة فيقوم أصحاب المظالم فيكون قد سب عرض هذا وأخذ مال هذا وضرب هذا فيقضى من حسناته حتى لا تبقى له حسنة فتقول الملائكة يا ربنا هذا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول الله تعالى ألقوا من سيآتهم على سيآته وصكوا له صكا الى النار وكما يهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك يحوز المظلوم بحسنة الظالم اذ ينقل اليه عوضا عما ظلم به وقد حكي عن ابن الجلاء أن بعض اخوانه اغتابه ثم أرسل اليه يستحله فقال لا أفعل ليس في صحيفتي حسنة أفضل منها فكيف أمحوها وقال هو وغيره ذنوب اخواني من حسنات أريد أن أزين بها صحيفتي " فهذا

(التوكل) ان شاء الله تعالى (وهذا التوحيد متفاوت) بتفاوت الموحدين (فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال) وهؤلاء هم الانبياء والمقربون والصديقون (ومنهم من له مثقال) وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم (ومنهم من له مقدار خردلة) والخردلة معروفة (و) منهم من (له مثقال ذرة) وهي الهباء الذي يظهر في ضوء الشمس من كوّة (فمن) كان (في قلبه) منه (مثقال دينار) أي وزنه (من ايمان فهو أول من يخرج من النار وفي الخبر يقال أخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان) روى الطيالسي وأحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث أنس يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من يقول لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة وروى الترمذي وقال حسن صحيح من حديث أبي سعيد يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان (وما بين المثقال والذرة على قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال و بين طبقة الذرة) وهؤلاء آخر الطبقات خروجا الى أن يبدو لبعضهم من الله تعالى ما لا يحتسبه فيعفو عن البعض ولا يجعل لمن حق عليه الوعيد مما سبق له من الكلمة الحسنى ويتجاوز عن سيآتهم في أصحاب الجنة (والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرناه في الموازنة بين أعيان الاموال و بين النقود وأكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد) يتحملونها على رقابهم فتكون سببا لدخولهم في النار (فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك) كما تقدم في ذكر الدواوين الثلاثة في الخبر السابق وذلك لان حقوق العباد مبنية على المشاحة ولفظ القوت وأكثر ما يبقى الناس من الكبائر المظالم وأكثر ما يدخلهم النار ذنوب غيرهم اذا طرحت عليهم وفي الخبر ذنب يغفر وذنب لا يترك فالذي يغفر ذنب نفسك والذي لا يترك مظالم العباد (فاما بقية السيآت فيتسارع العفو والتكفير اليها ففي الاثر) والمراد به هنا الخبر كما هو نص القوت فانه قال وقد جاء في الخبر وليس من عادة المصنف أن يستعمل لفظ الاثر الا في أقوال الصحابة ومن بعدهم ولذلك لم يتعرض له العراقي (ان العبد ليوقف بين يدي الله عز وجل وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة فيقوم أصحاب المظالم فيكون) ولفظ القوت فيوجد (قد سب عرض هذا وأخذ) ولفظ القوت وأكل (مال هذا فتقتص من حسناته حتى لا تبقى له حسنة فتقول الملائكة يا ربنا هذا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول الله تعالى) ولفظ القوت فيقال (ألقوا من سيآتهم على سيآته وصكوا له صكا الى النار) هكذا في القوت وروى الحاكم عن أبي عثمان النهدي عن سلمان وسعد وابن مسعود وغيرهم رفعوه يرفع للرجل الصحيفة يوم القيامة حتى يرى انه ناج فما تزال مظالم بني آدم تتبعه حتى ما يبقى له حسنة و يزاد عليه من سيآتهم (وكما يهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك يحوز المظلوم بحسنة الظالم اذ تنقل اليه عوضا عما ظلم به) فقد روى الخرائطي في مساوي الاخلاق من حديث أبي امامة ان العبد ليعطى كتابه يوم القيامة منشورا فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقول رب لم أعمل هذه الحسنات فيقول انها كتبت باغتياب الناس اياك وان العبد ليعطى كتابه يوم القيامة منشورا فيقول يا رب ألم أعمل حسنة يوم كذا وكذا فيقال له محيت عنك باغتيابك الناس وفي اسناده الحسن بن دينار عن الخطيب بن جحدر ولفظ القوت وكثيرون يدخلون الجنة بحسنات غيرهم اذا طرحت عليهم لانها صحيحة ثابتة وقد تبطل حسناتهم لدخول الآفات عليها (وقد حكي عن) أبي عبد الله محمد بن يحيى (ابن الجلاء) البغدادي أقام بالرملة ودمشق صحب أبا تراب النخشبي وذا النون وأبا عبيد البسري وأباه يحيى الجلاء ترجمه القشيري في الرسالة (ان بعض اخوانه اغتابه) أي ذكره بما يكره (ثم أرسل اليه) رسولا (ليستحله فقال لا أفعل ليس في صحيفتي حسنة أفضل منها فكيف أمحوها) كذا في القوت (وقال هو وغيره ذنوب اخواني من حسناتي أريد أن أزين بها صحيفتي) ذكره صاحب القوت من بقية قول ابن الجلاء السابق

فهــذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف العباد فى المعاد فى درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر أسباب يضاهى حكم الطبيب على مريض بانه يموت لامحالة ولا يقبل العــلاج وعلى مريض آخر بان عارضه خفيف وعلاجه هين فان ذلك ظن يصيب فى أكثر الاحوال ولكن قــد تتوق الى المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق الى ذى العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه وذلك من أسرار الله تعالى الخفية فى أرواح الاحياء وغموض الاسباب التى رتبها مسبب الاسباب (٥٦٣) بقدر معلوم اذ ليس فى قوة البشر الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والفوز فى الآخرة لهما أســباب خفية ليس فى قوة البشر الاطــلاع عليها يعبر عــن ذلك السبب الخــفى المفضى الى النجاة بالعــفو والرضا وعما يفضى الى الهلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر المشيئــة الالهية الازلية التى لا يطلع الخلق عليها فلــذلك يجب علينا أن نجوّز العــفو عن المعاصى وان كثرت سيآته الظاهــرة والغضب عــلى المطيع وان كثرت طاعاته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى فى القلب وهو أغمض من أن يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لارباب القلوب انه لا عفو عن عبد الا بسبب خفى فيه يقتضى العفو ولا غضب الا بسبب باطن يقتضى البعــد عن الله تعالى ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الاعمال والاوصاف ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ولا قوله تعالى ان الله لا يظــلم مثقال ذرة وكل ذلك صحيح فليس للانسان الا ما سعى وســعيه هو الذى يرى وكل نفس بما كسبت رهينة ولما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ولما غيروا ما بانفســهم غير الله ما بهــم تحقيقا لقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وهذا كله قد انكشف لارباب القلوب انكشافا أوضح من المشاهدة بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيه اذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيها وانما الشان فى انفتاح بصيرة القلب والا فما يرى بها بعد الانفتاح فلا يتصوّر فيه الكذب واليه

(فهذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف العباد فى المعاد) أى فى الآخرة (فى درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر أسباب يضاهى حكم الطبيب على مريض بانه يموت لامحالة ولا يقبل العلاج) لشدة ما عرض له من المرض (وعلى مريض آخر بان عارضه خفيف وعلاجه هين) أى سهل (فان ذلك ظن يصيب فى أكثر الاحوال ولكن قد تثوب) أى ترجع (الى المشرف على الهلاك نفسه) أى الى الصحة (من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق الى ذى العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه وذلك لاسرار الله الخفية فى أرواح الاحياء وغموض الاسباب التى رتبها مسبب الاسباب بقدر معلوم) لا يتبدل ولا يتغير (اذ ليس فى قوة البشر الوقوف على كنهها) أى حقيقتها (فكذلك النجاة والفوز فى الآخرة لهما أســباب خفية ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها يعبر عن ذلك السبب الخفى المفضى الى النجاة بالعــفو والرضا وعما يفضى الى الهــلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر المشيئة) الالهية (الازلية التى لا يطلع الخلق عليها) فهم عنه محجوبون وعن ادراكه غافلون (فكذلك يجب علينا أن نجوّز العفو عن العاصى وان كثرت سيآته الظاهرة و) ان نجوّز (الغضب على المطيع وان كثرت طاعته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى فى القلب وهو أغمض من أن يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لارباب القلوب) والبصائر (انه لا عفو عن عبد الا بسبب خفى فيه يقتضى العفو) والمسامحة (ولا غضب الا بسبب باطن يقتضى البعــد عن الله تعالى ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الاعمال والاوصاف) وقد قال الله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون (ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ولا قوله تعالى) ولا يظلم ربك أحدا ولا قوله تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك صحيح) لا خلاف فيه (فانه ليس للانسان الا ما سعى وسعيه هو الذى يرى) كما قال تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى (و) قال تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) أى محبوسة وقال تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) أى أمالها عن وجه الصواب (ولما غيروا ما بانفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وهذا كله قد انكشف لارباب القلوب) والبصائر (انكشافا أوضح من المشاهــدة بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيه اذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا) والساكن متحركا والمتحرك ساكنا ويبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد عنه ولا ما قرب منه ولا يبصر ما وراء حجاب ويبصر من الاشياء ظاهرها الا باطنها ومن الموجودات بعضها الا كلها ولا يبصر ما لا نهاية له فهذه سبع نقائص لا تفارق البصر الظاهر ومعنى كونه يبصر الكبير صغيرا أى لانه يبصر الشمس فى مقدار مجن والكواكب فى صورة دنانير منثورة على بساط أزرق ويرى الكواكب ساكنة بل يرى الظل بين يديه ساكنا ويرى الصبى ساكنا مع انه يتحرك فى الرحم على الدوام وأنواع غلط البصر كثيرة (ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيها) فان قلت نرى جماعة من أرباب العقول يغلطون فى نظرهــم فاعلم ان فيهــم خيالات وأوهاما واعتقادات يظنون ان أحكامها أحكام العقل فالغلط منسوب اليها فاما العقل اذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصوّر ان يغلط بل يرى الاشياء على ما هى عليه وفى تجرده عسر واليه أشار بقوله (وانما الشأن فى انفتاح بصيرة القلب والا فما يرى بها بعد الانفتاح فلا يتصوّر فيه الكذب) والغلط والوهم (واليه

الاشارة بقوله تعالى فى حق نبيه صلى الله عليه وسلم ما كذب الفؤاد مارأى) أى من عجائب الملكوت الاعلى وذلك لان البصر من عالم الشهادة والحس والبصيرة من عالم الملكوت لاترى بالابصار انما تشاهد ببصيرة القلب والله الموفق (الرتبة الثالثة رتبة الناجين وأعنى بالناجين أصحاب السلامة فقط دون) أصحاب (السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم) فى مقابلة خدمتهم (ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه أن يكون هذا حال المجانين) الذين سلبت عقولهم (والصبيان من الكفار) يعنى أولاد المشركين (والمعتوهين) من العته محركة وهو نقص العقل من غير جنون وفى التهذيب المعتوه المدهوش من غير مس أو جن (والذين لم تبلغهم الدعوة) من الانبياء عليهم السلام (فى أطراف البلاد) وأقاصيها كما قيل فى أهل الصين (وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم تكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية ولا وسيلة تقربهم) الى الله تعالى (ولا جناية تبعدهم) عن الله تعالى (فماهم من أهل الجنة ولا من أهل النار بل ينزلون فى منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالاعراف) وأعرف الحجاب أعاليه وهو السور المضروب بين الفريقين أو بين الجنة والنار جمع عرف بالضم من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ وقد اختلف فيه أقوال السلف فقال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وسور له باب أخرجه هناد وعبد بن حميد وقال حذيفة هو سور بين الجنة والنار أخرجه سعيد بن منصور وقال ابن عباس هو الشئ المشرف أخرجه البيهقى فى المبعث وعنه أيضا قال سور له عرف كعرف الديك أخرجه هناد وعبد بن حميد وقال سعيد بن جبير جبال بين الجنة والنار أخرجه أبو الشيخ وقال كعب هو فى كتاب الله عمقا ماسقطا ماقال ابن لهيعة أى واد عميق خلف جبل مرتفع أخرجه ابن أبى حاتم (وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا من الآيات والاخبار من أنواع الاعتبار) فالآيات قوله تعالى فضرب بينهم بسور الآية وقوله تعالى وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم الآية وأما الاخبار فقد قال العراقى روى البزار من حديث أبى سعيد الخدرى سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم رجال قتلوا فى سبيل الله وهم عصاة لآبائهم فنعتهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنعتهم المعصية أن يدخلوا الجنة وهم على سور بين الجنة والنار الحديث وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ورواه الطبرانى من رواية أبى معشر عن يحيى بن شبل عن عمر بن عبد الرحمن المدنى عن أبيه مختصرا وأبو معشر السندى اسمه نجيح ضعيف ويحيى بن شبل لا يعرف وللحاكم من حديث حذيفة قال أصحاب الاعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيآتهم عن الجنة الحديث وقال صحيح على شرط الشيخين وروى الثعلبى عن ابن عباس قال الاعراف موضع عال فى الصراط عليه العباس وحمزة وعلى وجعفر الحديث هذا كذب موضوع فيه جماعة من الكذابين اهـ قلت حديث أبى سعيد هذا قد رواه أيضا ابن مردويه بسند الطبرانى ولفظه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم رجال قتلوا فى سبيل الله فذكره بسياق البزار وفيه بعد قوله وهم على سور بين الجنة والنار حتى تزول لحومهم وشحومهم حتى يفرغ الله من حساب الخلائق فاذا فرغ من حساب خلقه فلم يبق غيرهم ادخلهم الجنة برحمته وفى الباب عبد الرحمن المزنى ورجل من مزينة قيل عبد الرحمن وقيل غيره وأبو هريرة وابن عباس ومالك الهلالى فلفظ عبد الرحمن المزنى سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا فى سبيل الله فى معصية آبائهم فنعهم من النار قتلهم فى سبيل الله ومنعهم من الجنة معصية آبائهم أخرجه سعيد بن منصور وابن منيع وعبد الرحمن بن حميد والحرث بن أبى أسامة فى مسنديهما وابن جرير وابن أبى حاتم وابن الانبارى فى كتاب الاضداد والخرائطى فى مساوى الاخلاق والطبرانى وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى فى البعث ولفظه حدث رجل من مزينة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أصحاب الاعراف فقال انهم قوم خرجوا عصاة بغير اذن آبائهم فقتلوا فى سبيل الله أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه من طريق

الاشارة بقوله تعالى ما كذب الفؤاد مارأى (الرتبة الثالثة) رتبة الناجين وأعنى بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه أن يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة فى أطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية فلا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فماهم من أهل الجنة ولا من أهل النار بل ينزلون فى منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالاعراف وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا من الآيات والاخبار ومن أنوار الاعتبار

محمد بن المنكدر عنه ولفظ حديث أبي هريرة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف قال
هم قوم قتلوا في سبيل الله وهم لآبائهم عاصون فمنعوا الجنة بمعصيتهم آباءهم ومنعوا النار بقتلهم في سبيل
الله أخرجه ابن مردويه والبيهقي في البعث ولفظ حديث ابن عباس ان أصحاب الاعراف قوم خرجوا غزاة
في سبيل الله وآباؤهم وأمهاتهم ساخطون عليهم وخرجوا من عندهم بغير اذنهم فاوقفوا عن النار بشهادتهم
وعن الجنة بمعصية آبائهم أخرجه ابن مردويه ولفظ حديث مالك الهلالي قال قائل يارسول الله ما أصحاب
الاعراف قال قوم خرجوا في سبيل الله بغير اذن آبائهم فاستشهدوا فمنعتهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنعتهم
معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة فهم آخر من يدخل الجنة أخرجه الحرث بن أبي أسامة في مسنده وابن
جرير وابن مردويه من طريق عبد الله بن مالك الهلالي عن أبيه وهنالك أقوال أخر في تعيين أصحاب
الاعراف منها حديث حذيفة الذي أشار اليه العراقي أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وهناد وعبد
ابن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في البعث بلفظ أصحاب الاعراف قوم
استوت حسناتهم وسيآتهم تجاوزت بهم حسناتهم عن النار وقصرت بهم سيآتهم عن الجنة جعلوا على
سور بين الجنة والنار حتى يقضى بين الناس فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم ربهم فقال قوموا فادخلوا
الجنة فاني غفرت لكم وعند ابن جرير عنه قال أصحاب الاعراف قوم كانت لهم أعمال أنجاهم الله بها من
النار وهم آخر من يدخل الجنة فعرفوا أهل الجنة وأهل النار وفي لفظ آخر قال قوم تكافأت أعمالهم
فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيآتهم عن النار فجعلوا على الاعراف يعرفون الناس
بسيماهم وعند البيهقي في الشعب عنه أراه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الناس يوم القيامة
فيؤمر بأهل الجنة الى الجنة ويؤمر بأهل النار الى النار ثم يقال لاصحاب الاعراف ماتنتظرون قالوا ننتظر
أمرك فيقال لهم ان حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم فادخلوا
بمغفرتي ورحمتي وقد روى مثل هذا القول عن جماعة من الصحابة والتابعين فاخرج عبد بن حميد وابن جرير
عن قتادة قال في أصحاب الاعراف ذكر لنا عن ابن عباس كان يقول استوت حسناتهم وسيآتهم فحبسوا
هنالك وأخرج ابن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه قال أصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم
وسيآتهم فوقفوا هنالك على السور الحديث وأخرج ابن أبي حاتم عنه قال من استوت حسناته وسيآته
كان من أصحاب الاعراف وروى مثله عن ابن مسعود أخرجه ابن جرير وأخرج عبد بن حميد وأبو
الشيخ والبيهقي في البعث عن مجاهد في أصحاب الاعراف قال هم قوم استوت حسناتهم وسيآتهم وهم على
سور بين الجنة والنار وهم على طمع من دخول الجنة وهم داخلون وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود
قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيآته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيآته
أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قال ان الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح قال ومن استوت حسناته
وسيآته كان من أصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط الحديث وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه وابن
عساكر عن جابر بن عبد الله رفعه يوضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيآت فمن رجحت حسناته
على سيآته مثقال صؤابة دخل الجنة ومن رجحت سيآته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار قيل
يارسول الله فمن استوت حسناته وسيآته قال أولئك أصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون وأخرج ابن
جرير وابن المنذر عن أبي زرعة عمرو بن جرير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف
قال هم آخر من يفصل بينهم من العباد فاذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال أنتم قوم أخرجتكم
حسناتكم من النار ولم تدخلوا الجنة فانتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم وأخرج الفريابي وابن أبي
شيبة وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال أصحاب
الاعراف أناس استوت حسناتهم وسيآتهم فيذهب بهم الى نهر يقال له الحياة الحديث وقيل أصحاب

الاعراف ناس من أهل الذنوب حبسوا على تل بين الجنة والنار أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وفى لفظ قال الاعراف هو السور الذى بين الجنة والنار وأصحابه رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان أمرهم الله ان يقوموا على الاعراف الحديث وهكذا رواه ابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ والبيهقى فى البعث وقيل هم قوم صالحون فقهاء علماء وهكذا أخرجه ابن أبى شيبة وهناد وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد وقيل هم قوم كان فيهم عجب وهكذا أخرجه ابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة عن الحسن وقيل هم قوم كان عليهم دين وهكذا أخرجه ابن المنذر ومن بعده عن قتادة عن مسلم بن يسار وقيل هم مؤمنو الجن وهكذا أخرجه البيهقى فى البعث من حديث أنس ان مؤمنى الجن لهم ثواب وعليهم عقاب فسألناه عن ثوابهم قال على الاعراف وليسوا فى الجنة مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقلنا وما الاعراف قال حائط فى الجنة تجرى فيه الانهار وتنبت فيه الاشجار والثمار وقيل هم الملائكة أخرج سعيد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن الانبارى فى كتاب الاضداد وأبو الشيخ والبيهقى فى البعث عن أبى مجلز قال الاعراف مكان مرتفع عليه رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة بسيماهم وأهل النار بسيماهم فقيل يا أبا مجلز الله يقول رجال وأنت تقول الملائكة قال انهم ذكور وليسوا باناث وأخرج أحمد فى الزهد عن قتادة قال قال سالم مولى حذيفة وددت انى بمنزلة أصحاب الاعراف (وأما الحكم على العين) من الاعيان بالخصوص (كالحكم مثلا بان الصبيان منهم فهذا مظنون وليس بمستيقن والاطلاع عليه يقينا) وفى نسخة تحقيقا (فى عالم النبوة) فان الانبياء عليهم السلام انما يخبرون بوحى من الله تعالى (و يبعد أن ترتقى اليه رتبة الاولياء والعلماء) لقصور رتبتهم فى الانكشاف (والاخبار) الواردة (فى حق الصبيان أيضا متعارضة) كتعارضها فى حق أصحاب الاعراف (حتى قالت عائشة رضى الله عنها لما مات بعض الصبيان طوبى له (عصفور من عصافير الجنة فأنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما يدريك) انه عصفور من عصافير الجنة قال العراقى رواه مسلم قلت ولفظه توفى صبى من الانصار فقالت طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال النبى صلى الله عليه وسلم أوغير ذلك يا عائشة ان الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم وعند مسلم أيضا ان الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلا ولهذه أهلا وروى الطبرانى فى الاوسط والصغير والخطيب من حديث أبى هريرة ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا بعشائرهم وقبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وخلق النار وخلق لها أهلا بعشائرهم وقبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم اعملوا فكل ميسر لما خلق له وسنده ضعيف ولنذكر الاخبار المتعارضة فى الصبيان قال العراقى روى الشيخان من حديث سمرة بن جندب فى رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم وفيه وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة فابراهيم عليه السلام وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة قيل يا رسول الله أولاد المشركين قال وأولاد المشركين وللطبرانى من حديثه سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين قال هم خدم أهل الجنة وفيه عباد بن منصور الناجى قاضى البصرة وهو ضعيف يرويه عنه عيسى بن شعيب وقد ضعفه ابن حبان وللنسائى من حديث الاسود بن سريع فى غزاة لنا الحديث فى قتل الذرية وفيه الا ان خياركم أبناء المشركين ثم قال لا تقتلوا ذرية وكل نسمة تولد على الفطرة الحديث واسناده صحيح وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة كل مولود يولد على الفطرة الحديث وفى رواية لاحمد ليس مولود الا يولد على هذه الملة ولابى داود فى آخر الحديث فقالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وفى الصحيحين من حديث ابن عباس سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وللطبرانى من حديث الحرث الانصارى كانت يهود اذا هلك لهم صبى صغير قالوا هو صديق فقال النبى صلى الله عليه وسلم كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله تعالى فى بطن أمه الا انه شقى أو سعيد الحديث وفيه عبد

فاما الحكم على العين كالحكم مثلا بان الصبيان منهم فهذا مظنون وليس بمستيقن والاطلاع عليه تحقيقا فى عالم النبوة و يبعد أن ترتقى اليه رتبة الاولياء والعلماء والاخبار فى حق الصبيان أيضا متعارضة حتى قالت عائشة رضى الله عنها لما مات بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فانكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما يدريك

الله بن لهيعة ولابي داود من حديث ابن مسعود الوائدة والموؤدة في النار وله من حديث عائشة قلت يارسول الله ذراري المؤمنين فقال مع آبائهم قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت وذراري المشركين قال مع آبائهم قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين وللطبراني من حديث خديجة قلت يارسول الله أين أطفالي منك قال في الجنة قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت وأين أطفالي قبلك قال في النار قلت بغير عمل قال لقد علم الله ما كانوا عاملين واسناده منقطع بين عبد الله بن الحرث وخديجة وفي الصحيحين من حديث الصعب بن جثامة في أولاد المشركين هم من آبائهم وفي رواية هم منهم اهـ قلت وجد بخط تلميذ الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بازاء هذا السياق مانصه جميع الاحاديث السابقة ناطقة بان أولاد المسلمين في الجنة فقول الغزالي الاخبار في الصبيان متعارضة اطلاق مردود والتعارض انما هو في أطفال المشركين اهـ قلت حديث سمرة عند البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه جبريل عليه السلام وميكائيل أتياه فانطلقا به وذكر حديثا طويلا وفيه وأما الشيخ الخ وفي رواية بعد قوله على الفطرة وكل بهم ابراهيم عليه السلام يربيهم الى يوم القيامة وروى الطبراني في الاوسط من حديث أنس أطفال المشركين خدم أهل الجنة ورواه سعيد بن منصور عن سلمان موقوفا وروى أحمد والحاكم والبيهقي في البعث من طريق مدهل بن اسمعيل حدثنا سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن الاصبهاني عن أبي حازم الاشجعي عن أبي هريرة رفعه أطفال المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم ابراهيم لي آبائهم يوم القيامة وفي لفظ للديلمي أولاد المؤمنين وقال الحاكم صحيح على شرطهما وكذا صححه ابن حبان وقد تابع مدهلا على رفعه وكيع لكن رواه ابن مهدي وأبو نعيم كلاهما عن الثوري فوقفاه وقال الدارقطني انه أشبه وروى الحكيم من حديث أنس كل مولود يولد من والد كافر أو مسلم فانما يولد على الفطرة على الاسلام كلهم ولكن الشياطين أتتهم فاجتالتهم عن دينهم فهودتهم ونصرتهم ومجستهم وأمرتهم أن يشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وروى الترمذي من حديث أبي هريرة كل مولود يولد على الملة فأبواه يهودانه أو ينصرانه ويشركانه قيل يارسول الله فمن هلك قبل ذلك قال الله أعلم بما كانوا عاملين وروى أبو يعلى والبغوي والباوردي والطبراني والبيهقي من حديث الاسود بن سريع كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ورواه ابن عبد البر في التمهيد بلفظ مابال قوم بلغوا في القتل حتى قتلوا الولدان قال رجل أوليس انما هم أولاد المشركين فقال صلى الله عليه وسلم أوليس خياركم أولاد المشركين انه ليس من مولود الا وهو يولد على الفطرة فيعرب عنه لسانه ويهودانه أبواه أو ينصرانه وحديث ثابت بن الحرث الانصاري مامن نسمة يخلقها الله في بطن أمه الا انه شقي أو سعيد أخرجه أيضا أبو نعيم وحديث ابن عباس سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين رواه الطيالسي والبخاري وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة ورواه أبو داود والحكيم من حديث عائشة ورواه عبد بن حميد من حديث أبي سعيد وعند أحمد من حديث ابن عباس الله أعلم بما كانوا عاملين اذ خلقهم وحديث خديجة أخرجه ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف عن عائشة قالت سألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال هم من آبائهم ثم سألته بعد ذلك فقال الله أعلم بما كانوا عاملين ثم سألته بعد ما استحكم الاسلام فنزلت ولا تزر وازرة وزر أخرى فقال هم على الفطرة أو قال في الجنة وحديث الصعب بن جثامة رواه أيضا عبد الرزاق في المصنف وأصحاب السنن عن ابن عباس قال حدثني الصعب بن جثامة وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند من حديث علي ان المؤمنين أولادهم في الجنة وان المشركين أولادهم في النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم وروى أحمد والنسائي والبغوي وابن المنذر وابن مردويه والطبراني من حديث سلمة بن يزيد الجعفي الوائد والموؤدة في النار الا أن يدرك الوائد الاسلام فيسلم وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة قال قال

ابن عباس فى قوله تعالى واذا الموؤدة سئلت هى المدفونة قال فمن قال انهم فى النار فقد كذب بل هم فى الجنة وغير ذلك من الاخبار وهى كما قال المصنف متعارضة (فاذا الاشكال والاشتباه أغلب فى هذا المقام) اعلم انه قد اختلف العلماء فى أولاد المسلمين فالاكثرون على الجزم بانهم فى الجنة وقيل فيهم بالتوقف واحتج قائلهم بحديث عائشة عند مسلم الذى ذكره المصنف من قولها طوبى له عصفور من عصافير الجنة الخ وحكى النووى الاول عن اجماع من يعتد به من علماء المسلمين والتوقف عن بعض ولا يعتد به قال وأجاب العلماء عن حديث عائشة بانه لعله نهاها عن المسارعة الى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع كما أنكر على سعد بن أبى وقاص فى قوله اعطه انى لاراه مؤمنا قال أو مسلما الحديث قال ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل أن يعلم ان أطفال المسلمين فى الجنة وذكر المازرى ان بعضهم ينكر الخلاف فى ذلك لقوله تعالى واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم قال وبعض المتكلمين يقف فيهم ولا يرى نصا قاطعا بكونهم فى الجنة ولم يثبت عنده الاجماع فيقول به واستثنى قبل ذلك من الخلاف أولاد الانبياء عليهم السلام فقد تقرر الاجماع على انهم فى الجنة وحكى ابن عبد البر التوقف فى أولاد المسلمين عن جماعة كثيرة من أهل السنة والحديث منهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك واسحق بن راهويه وغيرهم قال وهو شبه مارسمه مالك فى موطئه فى أبواب القدر وما أورده فى غير ذلك من الاحاديث وعلى ذلك أكثر أصحابه وليس فيه عن مالك شئ منصوص الا ان المتأخرين من أصحابه ذهبوا الى أن أطفال المسلمين فى الجنة اه وأما أطفال المشركين ففيهم مذاهب أحدها انهم فى النار تبعا لآبائهم والثانى انهم فى الجنة والثالث التوقف فيهم والرابع انهم يمتحنون فى الآخرة والخامس انهم فى البرزخ حكاه أبو العباس القرطبى عن قوم قال واحسبهم من غير أهل السنة وحكى النووى القول بانهم فى النار عن الاكثرين والقول الثانى بانهم فى الجنة عن المحققين قال وهو الصحيح ويستدل عليه باشياء منها حديث ابراهيم الخليل عليه السلام حين رآه النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة وقوله أولاد الناس قالوا يارسول الله وأولاد المشركين قال وأولاد المشركين رواه البخارى فى صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قول الرسول حتى يبلغ وهو متفق عليه قال والجواب عن حديث الله أعلم بما كانوا عاملين انه ليس فيه تصريح بانهم فى النار وحقيقة لفظة الله أعلم بما كانوا يعملون لو بلغوا والتكليف لا يكون الا بالبلوغ وروى ابن عبد البر فى التمهيد عن عائشة قالت سألت خديجة النبى صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال هم مع آبائهم ثم سألته بعد ذلك فقال الله أعلم بما كانوا عاملين ثم سألته بعد مااستحكم الاسلام فنزلت ولا تزر وازرة وزر أخرى فقال هم على الفطرة أو قال فى الجنة وروى أيضا عن ابن عباس قال لا يزال أمر هذه الامة مواسيا أو متقاربا أو كلمة شبه ذلك ومايتبين حتى يتكلموا أو ينظروا فى الاطفال والقدر قال يحيى بن آدم فذكرته لابن المبارك قال أفيسكت الانسان على الجهل قلت فتأمرنى بالكلام فسكت والله أعلم *(الرتبة الرابعة رتبة الفائزين وهم العارفون) المخصوصون (دون المقلدين وهم المقربون السابقون فان المقلد وان كان له فوز على الجملة بمقام فى الجنة فهو من أصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون) قال الله تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثم قال فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين (وما يلقى هؤلاء يجاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره مافصله القرآن فليس بعد الله بيان والذى لا يمكن التعبير عنه فى هذا العالم فهو الذى أجمله قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) جزاء بما كانوا يعملون (وقوله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين مالا أذن سمعت ولا عين رأت ولا خطر على قلب بشر) أغفله العراقى وسبب اغفاله انه يوجد فى بعض نسخ الكتاب وقال الله عز وجل بدون وقوله صلى الله عليه وسلم وهو حديث قدسى رواه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه من حديث أبى

فاذا الاشكال و الاشتباه أغلب فى هذا المقام *(الرتبة الرابعة)* رتبة الفائزين وهم العارفون دون المقلدين وهم المقربون السابقون فان المقلد وان كان له فوز على الجملة بمقام فى الجنة فهو من أصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون ومايلقى هؤلاء يجاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره مافصله القرآن فليس بعد بيان الله بيان والذى لا يمكن التعبير عنه فى هذا العالم فهو الذى أجمله قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وقوله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصوّر أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم وأما (٥٦٩) الحور والقصور والفاكهة واللبن والعسل والخمر والحلي والاساور فانهم لا يحرصون عليها ولو أعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله تعالى الكريم فهي غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية رحمة الله عليها كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شئ سواه حتى عن أنفسهم ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همه بالنظر الى وجهه والفكر فيه فانه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه و يعبر عن هذه الحالة بانه فني عن نفسه ومعناه انه صار مستغرقا بغيره وصارت همومه هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت اليه لا نفسه ولا غير نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة الى قرة عين لا يتصور ان تخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصور أن تخطر صورة الالوان والالحان على قلب الاصم والاكمه الا أن يرفع الحجاب عن سمعه و بصره فعند ذلك يدرك حاله و يعلم قطعا انه لم يتصور أن تخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق و برفعه ينكشف الغطاء فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون

هريرة ورواه ابن جرير من حديث أبي سعيد ورواه أيضا عن قتادة مرسلا ورواه أيضا عن الحسن بلاغا بلفظ قال ربكم أعددت لعبادي الذين آمنوا وعملوا الصالحات مالا عين رأت الحديث (والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصوّر ان تخطر على قلب بشر في هذا العالم وأما الحور والقصور والفاكهة واللبن والعسل والخمر والحلي والاساور) والذهب والحرير وغير ذلك مما ذكر في القرآن (فانهم لا يحرصون عليها ولو أعطوها لم يقنعوا بها) وطلبوا ما وراء ذلك (ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله الكريم فهي غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة) بنت اسمعيل (العدوية) البصرية العابدة المشهورة (رحمة الله عليها) وكانت من اقران الحسن البصري (كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار) وقد روي ذلك مرفوعا من حديث علي الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق والزاد قبل الرحيل رواه الخطيب في الجامع ورواه الطبراني من حديث رافع بن خديج بزيادة في آخره (فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شئ سواه حتى عن أنفسهم ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه) أي المولع به المدهوش في حبه (المستوفي همه بالنظر الى وجهه والفكر فيه فانه في حالة الاستغراق غافل عن) كل شئ سواه حتى (عن نفسه) فهو (لا يحس بما يصيبه في بدنه) من الآلام والمصائب (و يعبر عن هذه الحالة بانه فني عن نفسه ومعناه انه صار مستغرقا بغيره وصارت همومه كلها (هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت اليه لا نفسه ولا غير نفسه) اعلم انه من استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الاغيار لا عينا ولا أثرا ولا رسما ولا طللا يقال انه فني عن الخلق وبقي بالحق وفناؤه عن نفسه وعن الخلق بزوال احساسه بنفسه و بهم فاذا فني عن الافعال والاحوال والاخلاق فلا يجوز أن يكون فني عنه وجودا واذا قيل انه فني عن نفسه وعن الخلق فتكون نفسه موجودة والخلق موجودون ولكنه لا علم له بهم ولا بها ولا احساس ولا خبر فتكون نفسه موجودة والخلق موجودين ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق غير محس بنفسه و بالخلق وقد يرى الرجل يدخل على ذي سلطان أو محتشم فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه وربما يذهل عن ذلك المحتشم حتى اذا سئل بعد خروجه من عنده عن أهل مجلسه وهيئة ذلك الصدر وهيئة نفسه لم يمكنه الاخبار عن شئ قال الله تعالى فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن لم يجدن عند لقاء يوسف على الوهلة الم قطع الايدي وهن أضعف الناس وقلن ما هذا بشرا ولقد كان بشرا وقلن ان هذا الا ملك كريم ولم يكن ملكا فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق فما ظنك بمن يكاشف بشهود الحق سبحانه فلو تغافل عن احساسه بنفسه وابناء جنسه فاي أعجوبة فيه فمن فني عن جهله بقي بعلمه ومن فني عن شهوته بقي بانابته ومن فني عن رغبته بقي بزهادته ومن فني عن مشيئته بقي بارادته وكذلك القول في جميع صفاته فاذا فني العبد عن صفة مما جرى ذكره يرتقي عن ذلك بفنائه عن رؤية فنائه وهي مراتب ثلاث فالاولى فناء عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق ثم فناؤه عن صفات الحق بشهود الحق كذا قرره القشيري في الرسالة (وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة الى قرة عين لا يتصور أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم كما لا يتصور أن تخطر صورة الالوان) المتنوعة (والالحان) المختلفة (على قلب الاصم والاكمه) فيه لف ونشر غير مرتب والاكمه من ولد أعمى أو عمي قبل ان عيز و يدرك (الا ان رفع الحجاب عن سمعه و بصره فعند ذلك يدرك حاله و يعلم قطعا أنه لم يتصور أن يخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق و برفعه ينكشف الغطاء) وتتضح الحقائق واليه الاشارة بقول بعض السادة انما الكون خيال وهو حق في الحقيقة كل من يفهم هذا حاز أسرار الطريقة (فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة) المشار اليها بقوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة (و) يدرك أيضا (ان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) وكيف يعلمون والحجاب على قلوبهم وقد تقدم

فهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات على الحسنات والله الموفق بلطفه*(بيان ماتعظم به الصغائر من الذنوب)*اعلم ان

الصغيرة تكبر بأسباب * منها الاصرار والمواظبة ولذلك قيل لاصغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك كان العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاعمال ادومها وان قل والاشياء تستبان باضدادها وان كان النافع من العمل هو الدائم وان قل فالكثير المنصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات اذا دام عظم تأثيره في اظلام القلب الا ان الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة ومقدمات وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة ولاحقة ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق الرجوع اليها عود ربما كان العفو فيها أرجى من صغيرة واظب الانسان عليها عمره * ومنها ان يستصغر الذنب فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله تعالى وكلما استصغره كبر

الكلام على هذه الآية في كتاب العلم (فهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات) والدركات (على الحسنات والسيئات) في الآخرة (والله الموفق بلطفه) وكرمه

(فصل) في *(بيان ماتعظم به الصغائر من الذنوب)*

هذا الفصل مشتمل على سبعة أسباب بها تكبر الصغائر وهي في الحقيقة ثمانية (اعلم) وفقك الله تعالى (ان الصغيرة تكبر بأسباب منها الاصرار) يقال اصر على الذنب اذا تعقد فيه وتشدد وامتنع عن الاقلاع عنه قال المفسرون في قوله تعالى ولم يصروا على مافعلوا أي لم يعزموا على العود اليه وانما كان الاصرار تكبر به الصغيرة لان التوبة واجبة على الفور كما تقدم (و) منها (المواظبة) عليه لانها تورث القساوة وتوجب الران على القلب ولما كانت المواظبة بمعنى الملازمة والمداومة وهو أحد معاني الاصرار جعلهما المصنف سببا واحدا وهما في الحقيقة سببان مختلفان يظهر لك بالتأمل (ولذلك قيل لاصغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار) رواه أبو الشيخ ومن طريقه الديلمي في مسند الفردوس من حديث سعد بن سليمان سعدويه عن أبي شيبة الخراساني عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس به مرفوعا لكن بتقديم الجملة الثانية على الاولى قال ابن طاهر أبو شيبة الخراساني قال البخاري لا يتابع على حديثه ومن هذا الوجه أخرجه العسكري في الامثال والقضاعي في مسند الشهاب وسنده ضعيف لاسيما وهو عند ابن المنذر في تفسيره عن ابن عباس من قوله وكذا رواه البيهقي في الشعب من حديث صدقة عن قيس بن سعد عن ابن عباس مرفوعا وله شاهد عند البغوي ومن طريقه الديلمي عن خلف بن هشام عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس به مرفوعا وينظر سنده ورواه اسحق بن بشير أبو حذيفة في كتاب المبتدأ عن الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وحديثه منكر وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين من رواية مكحول عن أبي سلمة عن أبي هريرة وزاد في آخره فطوبى لمن وجد في كتابه استغفارا كثيرا وفي اسناده بشر ابن عبيد الفارسي وهو متروك ورواه الثعلبي وابن شاهين في الترغيب من رواية بشر بن ابراهيم عن خليفة ابن سليمان عن أبي سلمة عن أبي هريرة به (فكبيرة واحدة تنصرم) أي تنقطع (ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك لكان العفو عنها ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها) ويلازمها (ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال) أي تتابع (فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء) بعينه (لو صب عليه دفعة واحدة لم يؤثر) ومنه قول الشاعر

أماترى الحبل بتكراره * في الصخرة الصماء قد اثرا

(ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاعمال أدومها وان قل) قال العراقي متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحب الاعمال الى الله وقد تقدم قلت ورواه أحمد بلفظ أحب الاعمال الى الله ماداوم عليه صاحبه وان قل (والاشياء تستبان باضدادها فاذا كان النافع من الاعمال هو الدائم) المتتابع (وان قل فالكثير المنصرم الذي ينقطع ويضمحل قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات اذا دام) وتتابع (عظم تأثيره في اظلام القلب) وتسويده (الا ان الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة) من الجانبين (ومقدمات) تسبقه من نظر ولمس وتقبيل ومفاخذة (وقلما يقتل) انسانا (بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة) من الجانبين ومشاتمة في الاعراض (فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة ولاصقة ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق) له (عليها عود) أي رجوع (ربما كان العفو فيها أرجى من صغيرة واظب الانسان عليها عمره) وداوم (ومنها ان يستصغر الذنب) أي يعده صغيرا ويحتقره فيكون أعظم من اجترامه (فان الذنب) كما يقال (كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله تعالى وكلما استصغره كبر

الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله تعالى وكلما استصغره كبر

عند الله تعالى لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر فى القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجرى عليه فى الغفلة فان القلب لا يتأثر بما يجرى فى الغفلة وقد جاء فى الخبر المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فاطاره وقال بعضهم الذنب الذى لا يغفر قول العبد ليت كل ذنب عملته مثل هذا وانما يعظم الذنب فى قلب المؤمن لعلمه بجلال الله فاذا نظر الى عظم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة وقد أوحى الله تعالى الى بعض أنبيائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهى كبيرة وكذلك قال بعض الصحابة رضى الله عنهم للتابعين انكم لتعملون أعمالا هى فى أعينكم أدق من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات اذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله أتم فكانت الصغائر عندهم بالاضافة الى جلال الله تعالى من الكبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامى فى أمور لا يتجاوز فى امثالها عن العارف لان الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف *ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه

عند الله تعالى لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به واستصغاره يصدر عن الالف به) والانس معه (وذلك يوجب شدة الاثر فى القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجرى عليه فى الغفلة فان القلب لا يتأثر بما يجرى فى الغفلة وقد جاء فى الخبر) فى كون استصغار الذنب كبيرة (المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فاطاره) ولفظ القوت فيطيره قال العراقى رواه البخارى من رواية الحارث بن سويد قال حدثنا عبد الله بن مسعود حديثين أحدهما عن النبى صلى الله عليه وسلم والآخر عن نفسه قال ان المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا قال ابن شهاب بيده فوق أنفه ثم قال لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ومعه راحلته الحديث وأما مسلم فقد أخرجه عن الحارث بن سويد قال دخلت على عبد الله أعوده وهو مريض فحدثنا حديثين حديثا عن نفسه وحديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل فى أرض دوية مهلكة فساقه ولم يذكر الحديث الثانى (وقال بعضهم الذنب الذى لا يغفر قول العبد ليت كل ذنب عملته مثل هذا) نقله صاحب القوت قال وهذا كما قال بلال بن سعد لا تنظر الخطيئة ولكن انظر من عصيت (وانما يعظم الذنب فى قلب المؤمن لعلمه بجلال الله تعالى) وعظمته وهيبته فى قلبه (فاذا نظر الى عظم من عصى به رأى الصغير كبيرا وقد أوحى الله الى بعض أنبيائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها) نقله صاحب القوت الا أنه قال وقد حدثنا عن الله تعالى انه أوحى الى بعض أوليائه والباقى سواء ثم قال وانما عظمت الذنوب على تعظيم المواجهة بها وكبرت فى القلوب بمشاهدة ذى الكبرياء ومخالفة أمره الهائل يعظم ذنب عند ذلك (وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهى كبيرة) روى ذلك عن ابن عباس أخرج ابن جرير عن أبى الوليد قال سألت ابن عباس عن الكبائر قال كل شئ عصى الله به فهو كبيرة وقد تقدم واختاره أبو اسحق الاسفراينى وأبو بكر الباقلانى وامام الحرمين فى الارشاد والقشيرى فى المرشدة بل حكاه ابن فورك عن الاشاعرة واختاره فى تفسيره واعتمد عليه التقى السبكى وقد تقدم ان المصنف ضعف هذا القول قال صاحب القوت فكانت الصغائر عند الخائفين كبائر وهذا أحد الوجهين فى قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله وقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب (وكذلك قال بعض الصحابة) أبو سعيد الخدرى كما تقدم التصريح به للمصنف وقيل أنس وقيل عبادة بن الصامت (للتابعين انكم لتعملون أعمالا هى فى أعينكم أدق من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات) وتقدم للمصنف من الكبائر بدل الموبقات فحديث أبى سعيد رواه أحمد والبزار وحديث أنس رواه البخارى وحديث عبادة رواه أحمد والحاكم وقد تقدم قال صاحب القوت ليس يعنون ان الكبائر التى كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صارت بعده صغائر ولكن كانوا يستعظمون الصغائر لعظم الله فى قلوبهم وعظم نور الايمان ولم يكن ذلك فى قلوب من بعدهم واليه أشار المصنف بقوله (اذ كانت معرفة الصحابة أتم بجلال الله فكانت الصغائر عندهم بالاضافة الى جلال الله تعالى من الكبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامى فى أمور لا يتجاوز فى امثالها عن العارف) البصير (لان الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف) فكلما زادت معرفته بالله زادت خشيته له وكان أبعد الناس عن المخالفة له فى أمره (ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها) أى الافتخار (واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه

سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثرها فى تسويد قلبه حتى ان من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمفارقته اياه كما يقول أمارأيتنى كيف مزقت عرضه ويقول المناظر فى مناظرته امارأيتنى كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى خجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول المعامل فى التجارة امارأيت كيف روجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف غبنته فى ماله وكيف استحمقته فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر فان الذنوب مهلكات واذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان به فى الحمل عليها فينبغى أن يكون فى مصيبة وتأسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله تعالى فالمريض الذى يفرح بان ينكسر اناؤه الذى فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شربه لا يرجى شفاؤه * ومنها ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله اياه ولا يدرى انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فيظن أن تمكنه من المعاصى عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله كما قال تعالى ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير * ومنها أن يأتى الذنب ويظهره بان يذكره بعد اتيانه أو يأتيه فى مشهد غيره فان ذلك جناية منه على ستر الله الذى سدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن اسمعه ذنبه أو أشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فغلظت به فان انضاف الى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الامر وفى الخبر كل الناس معافى الا المجاهرين يبيت أحدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه وهذا لان من صفات الله ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين ولذلك قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف (وقال

سبب الشقاوة) لانه يدل على عدم التفكر فى ثواب الله وعقابه (فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثرها فى تسويد قلبه) واظلامه (حتى ان من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمفارقته اياه) وملابسته له (كما يقول امارأيتنى كيف مزقت عرضه) وذلك عند المخاصمة (ويقول المناظر فى مناظرته امارأيتنى كيف فضحته) فى المجلس (وكيف ذكرت مساويه وجهله حتى اخجلته) وسجلت عليه (وكيف استخففت به وكيف لبست عليه) فى الكلام (ويقول المعامل فى تجارته أمارأيتنى كيف روجت عليه الزائف) أى الردىء المبهرج (وكيف خدعته وكيف غبنته فى ماله وكيف استحمقته فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر) وتعظم (فان الذنوب مهلكات) للعبد (واذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان به فى الحمل عليها فينبغى أن يكون فى مصيبة وغم وتأسف بسبب غلبة العدو عليه) فيما وقع فيه (وبسبب بعده عن الله تعالى فالمريض الذى يفرح بان ينكسر اناؤه الذى فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شربه لا يرجى شفاؤه) بل لا يزال مقيما على مرضه (ومنها أن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله اياه ولا يدرى انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فيظن أن تمكنه من المعاصى عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لامنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله) فالاغترار بستر الله والاستخفاف بحلمه وان كان صغيرة لكنه يكبر لانه يتسبب منه الامن من مكر الله وهو كبيرة (كما قال تعالى ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها) أى يدخلونها (فبئس المصير) مصيرهم (ومنها أن يأتى الذنب فيظهره بان) يتحدث به و (يذكره بعد اتيانه أو يأتيه فى مشهد غيره) أى حيث يشهده ويراه (فان ذلك جناية منه على الله الذى أسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه ذنبه) اذ تحدث به (أو أشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فتغلظت به) أى بهذا الانضمام (فان انضاف الى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الامر وفى الخبر كل الناس معافى الا المجاهرين) الذين يجاهرون بالذنب والصول به والتظاهر وهذا من الطغيان (يبيت أحدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه) هكذا هو فى القوت وقال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ كل أمتى وقد تقدم اهـ قلت لفظ المتفق عليه كل أمتى معافى الا المجاهرين وان من الجناية أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عز وجل عنه وفى رواية وان من الجهار وبخط الحافظ الاجهار وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث أبى قتادة كل أمتى معافى الا المجاهرين الذى يعمل العمل بالليل فيستره ربه ثم يصبح فيقول يافلان انى فعلت البارحة كذا وكذا فيكشف ستر الله عز وجل (وهذا لان من صفات الله ونعمه أن يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر) وقد ورد ذلك فى دعاء ما ثور يامن أظهر الجميل وستر القبيح يامن لم يهتك الستر (فالاظهار كفران لهذه النعمة) وجهل بها وايثار لضدها ويقال كل عاص تحت كنف الرحمن فاذا رفع عنه يده انهتك ستره (وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين) ولفظ القوت فلا تحمل غيرك على الذنب فتكسب ذنبين وقد جعل الله ذلك وصفا من أوصاف المنافقين (ولذلك قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف) الآية فمن حمل أخاه على ذنب معه فقد أمر بالمنكر ونهى عن المعروف

وقال بعض السلف ما انتهك المرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية ثم يهونها عليه * ومنها أن يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم وركوبه مراكب الذهب وأخذه مال الشبهة من أموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده عليهم ومساعدته اياهم بترك الانكار عليهم واطلاق اللسان فى الاعراض وتعديه باللسان فى المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه الا الجاه كالعلم بالجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا فى العالم آمادا متطاولة فطوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه وفى الخبر من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيأ قال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم والآثار ما يلحق من الاعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها فى الآفاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق أهلها وفى الاسرائيليات ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم أدركته توبة فعمل فى الاصلاح دهرا فأوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بينى وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادى فادخلتهم النار فبهذا يتضح ان أمر العلماء مخطر فعليهم وظيفتان احداهما ترك الذنب والاخرى اخفاؤه وكما تتضاعف أوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات اذا اتبعوا فاذا ترك التجمل والميل الى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدى به العلماء والعوام فيكون له مثل ثوابهم وان مال الى التجمل مالت طباع من دونه الى التشبه ولا يقدرون على التجمل الا بخدمة السلاطين وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب فى جميع ذلك

(وقال بعض السلف ما انتهك المرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية ثم يهونها عليه) نقله صاحب القوت (ومنها أن يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه) وهذا (كلبس العالم الابريسم) وهو الحرير الخام (وركوبه مراكب الذهب) والفضة (وأخذه مال الشبهة من أموال السلاطين) ومن فى معناهم (ودخوله على السلاطين وتردده عليهم) فى قضاء حوائجه أو حوائج غيره (ومساعدته اياهم بترك الانكار عليهم) فيما يظهر له من المنكرات الشرعية (واطلاق اللسان فى الاعراض وتعديه باللسان فى) اثناء (المناظرة وقصده الاستخفاف) بحقوق أخيه المسلم (واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه الا الجاه كعلم الجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا) شائعا (فى العالم آمادا) أى ازمانا (متطاولة) وتبقى سيآت ذنوبه عليه ما دام يعمل به فيكون وزره عليه حتى ينقرض من عامليه (فطوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه) ولم يؤاخذ بها بعده وطوبى لمن لم يعمل ذنبه غيره وقد يعيش العبد أربعين سنة ثم يموت فتبقى ذنوبه بعده مائة سنة يعاقب عليها فى قبره اذا كان قد اتبع عليها الى أن تندرس أو يموت كل من عمل بها ثم يسقط عنه فيستريح منها ويقال أعظم الذنوب من ظلم من لم يعرفه ولم يره من المتقدمين مثل أن يتكلم فيمن سلف من أهل الدين وأئمة المتقين وهذه المعانى كلها تدخل فى الذنب الواحد وهى أعظم منه (وفى الخبر من سن سنة سيئة) فعمل بها بعده (فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيأ) وهو قطعة من حديث رواه مسلم من حديث جرير ابن عبد الله وقد تقدم فى آداب الكسب والمعاش وفى ذلك (قال) الله (تعالى ونكتب ما قدموا) من الاعمال (وآثارهم) أى سننهم التى عمل بها بعدهم واليه أشار بقوله (والآثار ما يلحق من الاعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس) رضى الله عنه (ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس ويذهبون بها فى الآفاق) نقله صاحب القوت (وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق أهلها) ولفظ القوت ويغرق الخلق معها (وفى الاسرائيليات ان عالما) من علمائهم (كان يضل الناس بالبدعة ثم أدركته توبة) فرجع الى الله تعالى (فعمل فى الاصلاح دهرا) أى اصلاح نفسه (فأوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بينى وبينك لغفرته لك) بالغا ما بلغ (ولكن كيف بمن أضللت من عبادى فادخلتهم النار) نقله صاحب القوت قال فاما استحلال المعصية واحلالها للغير فليس من هذه الابواب فى شئ انما ذلك خروج عن الملة وتبديل الشريعة وهو الكفر بالله عز وجل ففى الخبر ما آمن بالقرآن من استحل محارمه (فبهذا يتضح أن أمر العلماء مخطر) جدا بخلاف غيرهم من العوام (فعليهم وظيفتان احداهما ترك الذنب) مطلقا مهما أمكنهم ذلك (والاخرى اخفاؤه) ان قدر على ذلك (وكما تتضاعف أوزارهم على الذنوب) اذا ارتكبوها (فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات اذا اتبعوا) وعمل بها بعدهم (فاذا ترك) العالم (التجمل والميل الى الدنيا) أى من التوسع فيها (وقنع منها باليسير) والبلغة (و) قنع (من الطعام بالقوت) قدر ما يسد به رمقه (ومن الكسوة بالخلق) ومن المسكن ما يكنه من البرد والحر (فيتبع عليه ويقتدى به العلماء) من أمثاله (والعوام) المشاهدون أحواله (ويكون له مثل ثوابهم) من غير أن ينقص من ثوابهم شئ (وان مال الى التجمل) والتحفل (مالت طباع من دونه) لا محالة (الى التشبه به) فى أحواله (ولا يقدرون على التجمل الا بخدمة السلاطين) ومعاشرة أرباب الاموال (وجمع الحطام من الحرام) من حيث كان (ويكون هو السبب فى جميع ذلك) ويكون عليه وزرهم

فحركات العلماء فى طورى الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها امابالربح واما بالخسران وهذا القدر كاف فى تفاصيل الذنوب التى التوبة توبة عنها * (الركن الثالث فى تمام التوبة وشروطها ودوامها الى آخر العمر) * قدذكرنا ان التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم أورثه العلم بكون المعاصى حائلا بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها علامة ولدوامها شروط فلابد من بيانها * (أما العلم) * فالنظر فيه نظر فى سبب التوبة وسيأتى * (وأما الندم) * فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء والفكر فمن استشعر عقوبة نازلة بولده أو ببعض أعزته طال عليه مصيبته وبكاؤه وأى عزيز أعز عليه من نفسه وأى عقوبة أشد من النار وأى شئ أدل على نزول العقوبة من المعاصى وأى مخبر أصدق من الله ورسوله ولوحدثه انسان واحد يسمى طبيبا ان مرض ولده المريض لايبرأ وانه سيموت منه لطال فى الحال حزنه فليس ولده باعز من نفسه ولا الطبيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ولا الموت باشد من النار ولا المرض بادل على الموت من المعاصى على سخط الله تعالى والتعرض بها للنار فألم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفى الخبر جالسوا التوابين فانهم أرق أفئدة ومن علامته ان تتمكن مرارة تلك الذنوب فى قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة وفى الاسرائيليات ان الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه وقد سأله قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين فى العبادة ولم ير قبول توبته فقال وعزتى وجلالى لوشفع فيه أهل السموات والارض ماقبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذى تاب منه فى قلبه فان قلت فالذنوب هى أعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها فاقول من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وألمه وتناثر شعره وفلجت أعضاؤه فاذا قدم اليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو فى غاية الجوع والشهوة

(فحركات العلماء فى طورى الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها امابالربح واما بالخسران فهذا القدر كاف فى معرفة تفصيل الذنوب التى التوبة توبة منها) والله الموفق بكرمه * (الركن الرابع فى دوام التوبة وشروطها ودوامها الى آخر العمر) يذكر فيه علامات صحة التوبة وطريق تمامها وكمالها اعلم انا (قدذكرنا أن التوبة) لها أركان أربعة وانها (عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم أورثه العلم) فالعلم والندم والعزم والقصد هى أركانها الاربعة التى عليها أساسها (بكون المعاصى حائلة بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها علامة ولداومها شروط فلابد من بيانها) بالتفصيل (اما) الركن الاوّل الذى هو (العلم فالنظر فيه نظر فى سبب التوبة وتقويته وكماله باسباب منها مجالسة الصالحين والذكرين بالله والسؤال عن شؤم المعاصى ومارتب عليها من العقوبات العاجلة وملازمة الشيخ أنفع من هذا كله فانه الدرياق النافع وسيأتى) بيان ذلك (وأما) الركن الثانى الذى هو (الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب) كما تقدم فى أوّل الكتاب (وعلامته) أى علامة صحته وكماله (طول الحسرة والحزن) ورقة القلب (وانسكاب الدمع وطول البكاء) وذبول البدن وسكون القلب وهذا هو الاخبات الآتى ذكره لان حقيقة الاخبات الادمان والانقياد للحق بسهولة (فمن استشعر عقوبة نازلة بولده أو ببعض أعزته) من أقاربه وأخصائه (طال عليه مصيبته وبكاؤه) واشتد عليه حزنه وعناؤه (وأى عزيز أعز عليه من نفسه وأى عقوبة أشد من النار وأى شئ أدل من نزول العقوبة من المعاصى وأى مخبر أصدق من الله ورسوله ولو أخبره انسان واحد يسمى طبيبا ان ولده المريض لايبرأ) من مرضه (وانه سيموت منه لطال فى الحال حزنه) وعظم وجده (فليس ولده بأعز من نفسه ولا الطبيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ولا الموت باشد من النار ولا المرض بادل على الموت من المعاصى على سخط الله تعالى والتعرض بها للنار فالم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى فعلامة صحة الندم رقة القلب) وذبول البدن (وغزارة الدمع وفى الخبر جالسوا التوابين فانهم أرق أفئدة) هكذا فى القوت قال العراقى لم أجده مرفوعا وهو من قول عون بن عبدالله رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التوبة قال جالسوا التوابين فان رحمة الله الى النادم أقرب وقال أيضا والموعظة الى قلوبهم أسرع وهم الى الرقة أقرب وقال أيضا التائب أسرع دمعة وأرق قلبا انتهى قلت سبق للمصنف قريبا أنه من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكن بلفظ اجلسوا الى التوابين (ومن علامته) أى علامة صحته (ان تتمكن مرارة تلك الذنوب فى قلبه بدلا من حلاوتها فيتبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة) مع التلهف والتأسف والاحتراق (وفى الاسرائيليات ان الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه وقد سأله) ذلك النبى (قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين فى العبادة فلم ير قبول توبته فقال وعزتى وجلالى لوشفع فيه أهل السموات والارض ماقبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذى تاب منه فى قلبه) نقله صاحب القوت (فان قلت فالذنوب هى أعمال مشتهاة بالطبع) أى ان الانسان يشتهيها بموجب طبعه الذى جبل عليه (فكيف يجد مرارتها) وكيف يتمكن من قلبه (فاقول من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وألمه وتناثر شعره وفلجت أعضاؤه) كما هى خاصية من يتناول السموم (فاذا قدم اليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو فى غاية الجوع

والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا فان قلت لا فهو جحد للمشاهدة والضرورة بل ربما تنفر عن العسل الذى ليس فيه سم أيضا لشبهه به فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعلمه بان كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق الا بمثل هذا الايمان ولما عز مثل هذا الايمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى الا معرضا عن الله تعالى متهاونا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغى أن يدوم الى الموت وينبغى أن يجد هذه المرارة فى جميع الذنوب وان لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم فى العسل النفرة من الماء البارد مهما علم أن فيه مثل ذلك السم اذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه من حيث انه سرقة وزنا بل من حيث انه مخالفة أمر الله تعالى وذلك جار فى كل ذنب * (وأما القصد الذى ينبعث منه) وهو ارادة التدارك فله تعلق بالحال وهو يوجب ترك كل محظور هو ملابس له وأداء كل فرض هو متوجه عليه فى الحال وله تعلق بالماضى وهو تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت * وشرط صحتها فيما يتعلق بالماضى أن يرد فكره الى أول يوم بلغ فيه بالسن أو الاحتلام ويفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات ما الذى قصر فيه منها والى المعاصى ما الذى قارفه منها فان كان قد ترك صلاة أو صلاها فى ثوب نجس أو صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها عن آخرها فان شك فى عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذى يستيقن أنه أداه ويقضى الباقى وله أن يأخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على سبيل التحرى والاجتهاد وأما الصوم فان كان قد تركه فى سفر ولم يقضه أو أفطر عمدا أو نسى النية بالليل ولم يقض فيتعرف مجموع ذلك بالتحرى والاجتهاد ويشتغل بقضائه وأما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أول ملكه لا من زمان البلوغ فان الزكاة واجبة فى مال الصبى فيؤدى ما علم بغالب الظن أنه فى ذمته فان أداه لا على وجه يوافق مذهبه بان لم يصرف الى الاصناف الثمانية أو أخرج البدل وهو على مذهب الشافعى رحمه الله تعالى فيقضى جميع ذلك فان ذلك لا يجزيه أصلا وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه الى تامل شاف

والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن) تناول (ذلك العسل أم لا فان قلت لا) تنفر (فهو جحد للمشاهدة والضرورة) أى انكار لهما (بل) الحق انه (ربما تنفر عن العسل الذى ليس فيه سم أيضا لشبهه به فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعلمه بان كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق الا بمثل هذا الايمان ولما عز مثل هذا الايمان) أى ندر (عزت التوبة والتائبون) وقل وجودها ووجود من يتصف بها (فلا ترى الا معرضا عن الله تعالى متهاونا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغى أن يدوم) هذا الشرط (الى الموت وينبغى أن يجد هذه المرارة فى جميع الذنوب وان لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم فى العسل النفرة عن) شرب (الماء البارد مهما علم أن فيه مثل ذلك السم اذ لم يكن ضرره من العسل نفسه بل مما فيه) وهو السم (ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه من حيث انه سرقة وزنا بل من حيث انه مخالفة أمر الله تعالى وذلك جار فى كل ذنب) على العموم (وأما) الركن الثانى الذى هو (القصد) أى الترك (الذى ينبعث منه وهو ارادة التدارك فله تعلق) بالحال وبالماضى وبالاستقبال اما تعلقه (بالحال) أى الحالة الراهنة (وهو موجب ترك كل محظور) شرعى (هو ملابس له) والخروج عنه فى الحال (وأداء كل فرض هو متوجه عليه فى الحال وله تعلق بالماضى وهو تدارك ما فرط) منه فيما مضى من الزمان وله تعلق (بالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت وشرط صحتها فيما يتعلق بالماضى أن يرده فكره) من ساعة توبته (الى أول يوم) غفلته منذ (بلغ فيه بالسن أو الاحتلام ويفتش على ما مضى من) أحواله فى (عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات ما الذى قصد فيه منها والى المعاصى ما الذى قارفه منها) فيقابل كل سيئة بحسنة من جنسها (فان كان قد ترك صلاة) من الخمس (أو صلاها فى ثوب نجس) أو بدن نجس أو مكان نجس (أو صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية) على ما ذكر فى كتاب الصلاة (فيقضيها عن آخرها فان شك فى عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذى يستيقن انه أداه ويقضى الباقى وله أن يأخذ فيه بغالب الظن الذى يصل اليه على سبيل التحرى والاجتهاد وأما الصوم فان كان قد تركه فى سفر أو لمرض) عرض له (ولم يقضه أو أفطر عمدا) أى متعمدا (أو نسى النية بالليل ولم يقض) بعد (فيتعرف مجموع ذلك بالتحرى والاجتهاد ويشتغل بقضائه) وفى نسيان النية بالليل خلاف فى مذهب أبى حنيفة ومالك كما تقدم فى كتاب الصوم (وأما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أول ملكه) لذلك المال (لا من زمان البلوغ فان الزكاة واجبة فى مال الصبى) خلافا لابى حنيفة كما تقدم فى كتاب الزكاة (فيؤدى ما علم بغالب الظن انه فى ذمته فان أداه لا على وجه يوافق مذهبه بان لم يصرف الى الاصناف الثمانية) المذكورة فى القرآن بل الى بعضها كما هو مذهب أبى حنيفة (أو أخرج البدل) كما هو مذهب أبى حنيفة (وهو على) مذهب الامام (الشافعى) رحمه الله تعالى (فيقضى جميع ذلك فان ذلك لا يجزيه أصلا) وتقدم التفصيل فى كل من المسئلتين فى كتاب الزكاة (وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه الى تامل شاف)

ويلزمه ان يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء وأما الحج فان كان قد استطاع فى بعض السنين ولم يتفق له الخروج والآن قد أفلس فعليه الخروج فان لم يقدر مع الافلاس فعليه أن يكتسب من الحلال قدر الزاد فان لم يكن له كسب ولا مال فعليه ان يسأل الناس ليصرف اليه من الزكاة أو الصدقات ما يحج به فانه ان مات قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا والعجز الطارئ بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها وأما المعاصى فيجب أن يفتش من أول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر فى جميع أيامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغائره وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد كنظر الى غير محرم وقعود فى مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاه وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها وبأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتى من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها بل من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهى بسماع القرآن وبمجالس الذكر ويكفر القعود فى المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال هو أطيب منه وأحب اليه وعد جميع المعاصى غير ممكن وانما المقصود سلوك الطريق المضادة فان المرض يعالج بضده

واحتياط واف (ويلزمه) مع ذلك (أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من) أفواه السادة (العلماء) ليعمل بموجب ما يرشدونه اليه (وأما الحج فان كان قد استطاع) الزاد والراحلة مع امن الطريق (فى بعض السنين) من عمره (ولم يتفق له الخروج) تهاونا وتكاسلا وتسويفا (والآن قد أفلس) أى صار عديم المال (فعليه الخروج) الى الحج (فان لم يقدر مع الافلاس فعليه أن يكتسب من الحلال قدر الزاد) والراحلة (فان لم يكن له كسب ولا مال فعليه أن يسأل الناس ليصرف اليه من الزكاة أو الصدقات ما يحج به) ولا يسقط عنه الحج (فان مات قبل الحج مات عاصيا قال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا) رواه البيهقى والدارقطنى فى حديث أبى أمامة بلفظ من لم يمنعه من الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر أو مرض حابس فمات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وقد تقدم فى كتاب الحج (والعجز الطارئ) أى العارض (بعد القدرة لا يسقط عنه الحج) وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب الحج (فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها وأما المعاصى فينبغى أن يفتش من أول بلوغه) الى وقت التوبة (عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر فى جميع أيامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد) اعلم ان الترك المتعلق بالماضى الذى هو التدارك لما فرط من أمره هل تتوقف صحة التوبة على هذا وهذا هو الغاية المقصودة وأما من أجاز الصحة فيكتفى بالعلم والندم والعزم والترك فى الحال والصحيح الذى مشى عليه المصنف ان فيه تفصيلا لان المعاصى المرجوع عنها اما أن تكون قاصرة الضرر على المذنب أو متعدية الى غيره فالقاصرة منها ما يقبل القضاء كالصلاة والصيام والزكاة والحج وقد ذكرها المصنف ومنها ما لا يقبل القضاء واليه الاشارة بقوله (كنظر الى غير محرم) أو لمس (وقعود فى مسجد مع الجنابة) أى اللبث فيه على غير طهارة (ومس مصحف بغير وضوء) ولا تيمم (واعتقاد بدعة) غير مخرجة عن الملة (وشرب خمر وسماع ملاه وغير ذلك) كالقاء المال فى البحر وانفاقه فى المعصية وما أشبه ذلك (مما لا يتعلق بمظالم العباد) ولا يقبل القضاء (فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها) والترك والعزم على أن لا يعود (وبان يحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة ويطلب لكل سيئة منها حسنة تناسبها فيأتى من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم) لابى ذر رضى الله عنه (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها) وخالق الناس بخلق حسن رواه الترمذى وصححه وتقدم أوله فى كتاب آداب الكسب وبعضه فى كتاب رياضة النفس وبعضه فى هذا الكتاب قريبا (بل من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهى بسماع القرآن وبمجالس الذكر) والعلم (ويكفر القعود فى المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة) بانواعها (ويكفر مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة القراءة منه وكثرة تقبيله) ووضعه على العينين ورفعه فى أشرف المواضع (وبأن يكتب مصحفا) بخطه (ويجعله وقفا) على المسلمين يقرؤن فيه (ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال هو أطيب منه وأحب اليه) بان يتصدق بشرب السكر مثلا يجعله فى كيزان ويسقى الناس فى الجامع أو يقف به فى ممر الناس فى أوقات شدة الحر والعطش (وعد جميع المعاصى غير ممكن وانما المقصود سلوك طريق المضادة فان المرض انما يعالج بضده) ليقاومه فيعتدل المزاج

(وكل

(وكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور ارتفع اليها بطاعة من جنسها لكن تضادها والمتضادات هى المتناسبات فلذلك ينبغى أن يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها فان البياض يزال بالسواد) فانه ضده (لا بالحرارة والبرودة) والحرارة تزال بالبرودة و بالعكس لا باليبوسة والرطوبة (وهذا التدريج من التلطف فى تحقيق طريق المحو فالرجاء فيه أصدق والثقة به أكثر من أن يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان ذلك أيضا مؤثرا فى المحو) وكذا ان فعل أنواعا من العبادات ولكنها ليست من جنس المعاصى المرجوع عنها فانها مؤثرة فى المحو وكذلك وقد روى الخطيب من حديث أنس اذا كثرت ذنوبك فاسق الماء على الماء تتناثر كما يتناثر الورق من الشجر فى الريح العاصف (فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى ويدل على أن الشئ يكفر بضده ان حب الدنيا رأس كل خطيئة) كما ورد فى الخبر وتقدم الكلام عليه (وأثر اتباع الدنيا فى القلب السرور بها والحنين اليها فلا جرم كان كل أذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له اذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم) أى يتباعد (قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم وفى لفظ آخر الا الهم بطلب المعيشة) ولفظ القوت اعلم أن الغم على ما يفوت من الدنيا والهم والحرص عليها من العقوبات والفرح والسرور بما نال من الدنيا مع ما لا ينال بما فرح من ذنبه من العقوبات وقد كان عقوبة الذنب ذنبا مثله وأعظم منه كما يكون ثواب الطاعة طاعة مثلها أو أفضل منها وقد يكون دوام العوافى واتساع الغنى من عقوبات الذنوب اذا كانا سببين الى المعاصى وفى احدى الوجوه من معنى قوله وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون قال الغنى والعافية فقد صار الفقر والمرض رحمة من الله تعالى اذا كانا سببين للعصمة وفى الخبر من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وفى لفظ آخر الا الهموم فالهموم والاحزان بالمباحات من حاجات الدنيا كفارات وهى على ما تقرر من قربات الآخرة للمؤمنين درجات وهى على حسب الدنيا والجمع منها والحرص عقوبات انتهى والحديث المذكور قال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط وأبو نعيم فى الحلية والخطيب فى تلخيص المتشابه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف وتقدم فى النكاح انتهى قلت لفظ الطبرانى وأبى نعيم ان من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الوضوء ولا الحج ولا العمرة قيل فما يكفرها يا رسول الله قال الهموم بطلب المعيشة وهكذا رواه ابن عساكر أيضا وهو غريب جدا وفيه يحيى بن يوسف بن يعقوب الرقى وهو ضعيف وفى لفظ لا تكفرها الصلاة ولا الصوم ولا الحج ويكفرها الهم فى طلب المعيشة ورواه الخطيب فى تلخيص المتشابه بنحوه من طريق يحيى بن بكير عن مالك عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبى سلمة عن أبى هريرة به وفى لفظ عرق الجبين بدل الهم وللديلمى من حديث أبى هريرة ان فى الجنة درجة لا ينالها الا أصحاب الهموم يعنى فى المعيشة وروى الخطيب فى المتفق والمفترق عن أبى عبيد عن أنس رفعه ان من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج يكفرها الهموم فى طلب المعيشة قال الازدى أبو عبيد عن أنس شبه لا شئ (وفى حديث عائشة رضى الله عنها اذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تكفرها أدخل الله عليه الهموم فتكون كفارة لذنوبه) ولفظ القوت ولم تكن له من الاعمال ما يكفر ادخل اليه الهموم والغموم قال العراقى تقدم أيضا فى النكاح وهو عند أحمد من حديث عائشة ابتلاه الله بالحزن انتهى قلت ذكر هنالك ان فيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه ولفظ أحمد فى المسند اذا كثرت ذنوب العبد فلم يكن له من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها عنه قال المنذرى رواته ثقات الا ليث بن أبى سليم وقال الهيثمى فيه ليث وهو مدلس وبقية رجاله ثقات ولكن حسنها الحافظ السيوطى وكأنه رجح جانب التوثيق فيه والله أعلم (ويقال ان الهم الذى يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها شعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع) ولفظ القوت ويقال ان الهم الذى يعرض للقلب فى الوقت لا يعلم العبد سببه هو كفارة الهم بالخطايا ويقال هو حزن العقل عند تذكرة الوقوف والمحاسبة لاجل جنايات الجسد

فكل ظلمة ارتفعت الى القلوب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها والمتضادات هى المتناسبات فلذلك ينبغى أن تمحى كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف فى طريق المحو فالرجاء فيه أصدق والثقة به أكثر من أن يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان ذلك أيضا مؤثرا فى المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى ويدل على أن الشئ يكفر بضده ان حب الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا فى القلب السرور بها والحنين اليها فلا جرم كان كل أذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له اذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم وفى لفظ آخر الا الهم بطلب المعيشة وفى حديث عائشة رضى الله عنها اذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تكفرها أدخل الله تعالى عليه الهموم فتكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذى يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع

فان قلت هم الانسان غالبا بماله وولده (٥٧٨) وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة فاعلم أن الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة فقد روى أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فماله عند الله قال أجر مائة شهيد فاذن الهموم أيضا مكفرات حقوق الله فهذا حكم ما بينه و بين الله تعالى وأما مظالم العباد ففيها أيضا معصية وجناية على حق الله تعالى فان الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضا فما يتعلق منه بحق الله تعالى تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والاتيان بالحسنات التي هي أضدادها فيقابل ايذاءه الناس بالاحسان اليهم ويكفر غصب أموالهم بالتصدق بملكه الحلال ويكفر تناول أعراضهم بالغيبة والقدح فيهم بالثناء على أهل الدين واظهار ما يعرف من خصال الخير من أقرانه وأمثاله ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لان ذلك احياء اذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده والاعتاق ايجاد لا يقدر الانسان على أكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد وبهذا تعرف أن ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتاق رقبة ثم اذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد اما في النفوس أو الاموال أو الاعراض أو القلوب أعني به الايذاء المحض أما النفوس فان جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية ووصولها الى المستحق

فيلزم العقل ذلك فيظهر على العبد منه كآبة لا يعرف بها سبب غمه (فان قلت هم الانسان غالبا بماله وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة فاعلم ان الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة فقد روى) في أخبار يعقوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه لولا ما سبق لك من علي من عنايتي بك لجعلت نفسي عندك أبخل الباخلين لكثرة ترددك علي وطول سؤالك لي وتأخير اجابتك ولكن من عنايتي بك ان جعلت نفسي في قلبك اني أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وقد سبقت لك عندي منزلة لم تكن تنالها بشيء من عملك الا بحزنك على يوسف فأردت ان أبلغك تلك المنزلة وكذلك روى (ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له) يوسف (يا أخي كيف تركت الشيخ الكبير) وفي نسخة الكئيب (فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال) يوسف (فما) ذا (له عند الله قال أجر مائة شهيد) كذا في القوت قلت أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال أتى جبريل عليه السلام يوسف عليه السلام وهو في السجن فسلم عليه وجاءه في صورة رجل حسن الوجه طيب الريح نقي الثياب فقال له يوسف أيها الملك الحسن وجهه الكريم على ربه الطيب ريحه حدثني كيف يعقوب قال حزن عليك حزنا شديدا قال فما بلغ من حزنه قال حزن سبعين مثكلة قال فما بلغ من أجره قال أجر سبعين شهيدا قال يوسف من آوى بعدي قال الى أخيك بنيامين قال فتراني ألقاه قال نعم فبكى يوسف لما لقي أبوه ثم قال ما أبالي ما لقيت ان الله أرانيه وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ليث بن سليم نحوه وأخرجه من طريق ليث عن ثابت البناني نحوه وعن ليث بن سليم نحوه من طريق ليث عن مجاهد نحوه وعن عبد الله بن أبي جعفر نحوه وأخرجه عبد بن حميد وأبو الشيخ عن وهب بن منبه نحوه وأخرجه ابن جرير عن عكرمة نحوه وفيه أجر سبعين ثكلى وعن الحسن وفيه وجد سبعين ثكلى وأجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة من ليل ولا نهار (فاذا الهموم أيضا مكفرات حقوق الله) عز وجل (فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى) والذي يقبل القضاء فتصح أيضا توبته ولكن يجب عليه قضاء ما فات لان التوبة عبادة الوقت لوجوبها على الفور وقد قام بها ولا وقت لها معين والذمة مشغولة به وهذا الحكم في المعاصي المتعدي ضررها الى الغير وأجناسها ثلاثة في النفس والمال والعرض وفي كل واحد من هؤلاء حق لله وحق للعبد أما حق الله فقد كفرته التوبة وأما حق العبد فلا بد منه والى ذلك أشار المصنف بقوله (وأما مظالم العباد ففيها أيضا معصية وجناية على حق الله فان الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضا) في آي كثيرة وأخبار صحيحة (فما تعلق به حق الله تعالى تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل) وبه تمت أركان التوبة وقد أشار الى كمالها فقال (والاتيان بالحسنات التي هي أضدادها) أي المعاصي (فيقابل ايذاء الناس) أي ان كان آذاهم (بالاحسان اليهم ويكفر غصب أموالهم بالتصدق) على الفقراء (بملكه الحلال ويكفر تناول أعراضهم بالغيبة والقدح فيهم بالثناء على أهل الدين) والصلاح (واظهار ما يعرف من خصال الخير من أقرانه وأمثاله) وبث ذلك بين الناس (ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لان ذلك احياء اذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده فالاعتاق ايجاد) أي بمنزلته (لا يقدر الانسان على أكثر منه) اذ ليس في وسعه الايجاد الحقيقي فجعل الاعتاق قائما مقامه رحمة من الله على عباده ومنة منه عليهم (فيقابل الاعدام) الذي هو قتل النفس (بالايجاد) الذي هو عتق الرقبة (وبهذا تعرف أن ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتاق رقبة) وهذا من الاسرار الالهية التي لا يدركها الا خواص البشر (ثم اذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد اما في النفوس أو الاموال أو الاعراض أو القلوب أعني به الايذاء المحض أما النفوس فان جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية) وهي المال الذي هو بدل النفس (ووصولها الى المستحق

امامه أو من عاقلته وهو فى عهدة ذلك قبل الوصول) والخطأ قتل بمباشرة وهو أن يرمى شخصا يظنه صيدا أو حربيا فاذا هو مسلم فهذا خطأ فى القصد أو يرمى غرضا فيصيب آدميا فهذا خطأ فى الفعل ويلحق به ما يجرى مجراه كأن يكون فى حالة النوم فتغلب على انسان فقتله والدية اثنا عشر ألفا عند مالك والشافعى وقال أبو حنيفة عشرة آلاف وعنده دية المسلم والذمى سواء وقال مالك دية الذمى ستة آلاف درهم وقال الشافعى دية الكتابى أربعة آلاف ودية المجوسى ٧ ثمانية ودية المرأة نصف دية الرجل عند الكل (وان كان عمدا موجبا للقصاص) بأن كان بسلاح ومشابهه فى تفريق الاجزاء والا فهو شبه العمد قال الشافعى هو أن يتعمد للضرب بآلة لا يقتل مثلها غالبا كالعصا والسوط والحجر الصغير ووافقه أبو يوسف ومحمد وقال أبو حنيفة شبه العمد أن يتعمد الضرب بما لا يفرق الاجزاء كالعصا والحجر واليد ولهذا لو ضربه بحجر عظيم أو خشبة فهو عمد عندهم خلافا له ولو ضربه بسوط صغير ووالى فى الضربات حتى مات فهو عمد يقتص به عند الشافعى خلافا لنا (فبالقصاص) فتوبته بأن يقتص منه قال الله تعالى كتب عليكم القصاص فى القتلى الآية وللشافعى فى موجب العمد قولان أحدهما القصاص الا اذا عفا الولى فله أن يختار أخذ الدية بغير رضا القاتل لان أخذ المال تعين سببا لدفع الهلاك فيجوز بدون رضاه كمن أصابته مخمصة فبذل له انسان طعاما بثمن المثل لزمه الشراء لانه ملك ما يحيى به نفسه بعوض يعدله والثانى القصاص أو الدية ويتبين ذلك باختيار الولى وقال أبو حنيفة موجب العمد القود وهو واجب عينا وليس للولى أخذ الدية الا برضا القاتل الا أن يعفو الاولياء اذ وجوب المال عند المصالحة برضا القاتل فى ماله فيجب بدل الصلح قليلا أو كثيرا فى ماله على ما اصطلحوا عليه من تعجيل أو تأجيل أو تنجيم وان لم يذكر شيأ كان المال حالا كسائر المعاوضات عند الاصطلاح أو صلح بعضهم أو عفوه فيجب بقية الدية على العاقلة (فان لم يعرف) بالقتل (فيجب عليه أن يعترف) به (عند ولى الدم ويحكمه فى روحه فان شاء عفا عنه وان شاء قتله ولا تسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاخفاء) ومتى أخفى كان آثما غير اثم القتل (وليس هذا كما لو زنى) بامرأة (أو شرب) خمرا (أو سرق) شيأ ذا قيمة (أو قطع الطريق) على المسلمين (أو باشر ما يجب عليه فيه حد لله تعالى فانه لا يلزمه فى التوبة أن يفضح نفسه) بين الناس (ويهتك ستره ويلتمس من الوالى استيفاء حق الله تعالى) عنه (بل عليه أن يستتر بستر الله تعالى ويقيم حد الله على نفسه بأنواع المجاهدة والتعذيب مع الندم وهو التأسف فعفو الله فى محض حق الله تعالى قريب من التائبين النادمين) فان من تاب الى الله تعالى ونزع عما صدر منه يرجى أن يعفى عنه (فان رفع أمره الى الوالى حتى أقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روى ان ماعز بن مالك) الاسلمى رضى الله عنه قال ابن حبان له صحبة (أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى قد ظلمت نفسى وزنيت وانى أريد أن تطهرنى) أى باقامة الحد (فرده فلما كان من الغد أتاه فقال يا رسول الله انى قد زنيت فرده الثانية فلما كان فى الثالثة أمر به فحفر له حفرة ثم أمر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين فقائل يقول لقد هلك ولقد أحاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة أصدق) وفى نسخة أفضل (من توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين) وفى نسخة على (أمة لوسعتهم) قال العراقى رواه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب انتهى قلت لفظ مسلم من حديث بريدة قال جاء ماعز بن مالك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله طهرنى فقال ويحك ارجع فاستغفر الله وتب اليه فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم مثل ذلك حتى اذا كانت الرابعة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مم أطهرك فقال من الزنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبه جنون فأخبر انه ليس بمجنون فقال أشرب خمرا فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أزنيت فقال نعم فأمر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين قائل يقول لقد أحاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة

امامه أو من عاقلته وهو فى عهدة ذلك قبل الوصول وان كان عمدا موجبا للقصاص فبالقصاص فان لم يعرف فيجب عليه أن يتعرف عند ولى الدم ويحكمه فى روحه فان شاء عفا عنه وان شاء قتله ولا تسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاخفاء وليس هذا كما لو زنى أو شرب أو سرق أو قطع الطريق أو باشر ما يجب عليه فيه حد الله تعالى فانه لا يلزمه فى التوبة ان يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالى استيفاء حق الله تعالى بل عليه أن يتستر بستر الله تعالى ويقيم حد الله على نفسه بأنواع المجاهدة والتعذيب فالعفو فى محض حقوق الله تعالى قريب من التائبين النادمين فان رفع أمر هذه الى الوالى حتى أقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روى ان ماعز بن مالك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى قد ظلمت نفسى وزنيت وانى أريد أن تطهرنى فرده فلما كان من الغد أتاه فقال يا رسول الله انى قد زنيت فرده الثانية فلما كان فى الثالثة أمر به فحفر له حفرة ثم أمر به فرجم فكان الناس فيه فريقين فقائل يقول لقد هلك وأحاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة أصدق من توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم

وجاءت الغامدية فقالت يارسول الله انى قد زنيت فطهرنى فردها فلما كان من الغد قالت يارسول الله لم تردنى لعلك تريدان تردنى كما رددت ماعزا فوالله انى لحبلى فقال صلى الله عليه وسلم أما الآن فاذهبي حتى تضعى فلما ولدت أتت بالصبى فى خرقة فقالت هذا قد ولدته قال اذهبى فارضعيه حتى تفطميه فلما فطمته أتت بالصبى وفى يده كسرة خبز فقالت يانبى الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبى الى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها الى صدرها فامر الناس فرجموها فاقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فانتضح الدم على وجهه فسبها فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه اياها فقال مهلا ياخالد فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم

أفضل من توبة ماعز انه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده فى يده ثم قال اقتلنى بالحجارة قال فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال استغفروا لماعز بن مالك فقالوا غفر الله لماعز بن مالك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم وأخرجه أبو داود مختصرا ولمسلم أيضا من حديث بريدة ان ماعز بن مالك الاسلمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى قد ظلمت نفسى و زنيت وانى أريد أن تطهرنى فرده فلما كان من الغداة أتاه فقال يارسول الله انى قد زنيت فرده الثانية فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومه فقال تعلمون بعقله بأسا تنكرون منه شيأ فقالوا ما نعلمه الاوفى العقل من صالحينا فيما نرى فأتاه الثالثة فارسل اليهم أيضا فسأل عنه فاخبروه انه لا بأس به ولا بعقله فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم أمر به فرجم وهذا السياق متصل بحديث الغامدية الآتى ذكره والمصنف جمع بين البابين لما وجدهما من رواية صحابى واحد وروى أبو داود والنسائى عن عبد الرحمن بن الصامت انه سمع أبا هريرة يقول جاء الاسلمى نبى الله صلى الله عليه وسلم فشهد على نفسه انه أصاب امرأة حراما أربع مرات كل ذلك يعرض عنه فأقبل فى الخامسة فقال أنكتها هذا لفظ أبى داود ولفظ النسائى نكتها ثم اتفقا فقال قال نعم قال كما يغيب المرود فى المكحلة والرشاء فى البئر قال نعم قال فهل تدرى ما الزنا قال نعم أتيت منها حراما ما يأتى الرجل من امرأته حلالا قال فما تريد بهذا القول قال أريد أن تطهرنى فأمر به فرجم فسمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه انظروا الى هذا الذى ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب فسكت عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال أين فلان وفلان فقالا نحن ذان يارسول الله قال انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار فقالا يانبى الله من يأكل من هذا قال فما نلتما من عرض أخيكما آنفا أشد من أكل منه والذى نفسى بيده انه الآن فى أنهار الجنة ينغمس فيها وقد تقدم هذا الحديث فى كتاب ذم الغيبة وروى الترمذى وقال حسن غريب من حديث علقمة بن وائل عن أبيه بلفظ لقد تاب توبة لو تابها أهل المدينة لقبل منهم وروى الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس بلفظ لقد تاب توبة لو تابها صاحب مكس لقبلت منه يعنى ماعزا وقال الحافظ فى الاصابة فى ترجمة ماعز ثبت ذكره فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة وزيد بن خالد وغيرهما وجاء ذكره فى حديث أبى بكر الصديق وأبى ذر وجابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وبريدة بن الحصيب وابن عباس ونعيم بن هزال وأبى سعيد الخدرى ونصر الاسلمى وأبى برزة سماه بعضهم وأبهمه بعضهم وفى بعض طرقه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لقد تاب توبة لو تابها طائفة من أمتى لاجزأت عنهم وفى صحيح ابن عوانة وابن حبان وغيرهما من طريق أبى الزبير عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم لما رجم ماعز بن مالك قال لقد رأيته يتخضخض فى أنهار الجنة ويقال ان اسمه عريب وماعز لقب انتهى ثم قال مسلم عقيب حديث ماعز قال (وجاءت الغامدية فقالت يارسول الله انى قد زنيت فطهرنى فردها فلما كان من الغد قالت يارسول الله لم تردنى لعلك تريد أن تردنى كما رددت ماعزا فوالله انى لحبلى قال أمالا) هكذا فى نسخ مسلم وهو بفتح الهمزة وتشديد الميم بعدها الا نافية وفيه لغات ذكرتها فى آخر شرح القاموس ولغة النبى صلى الله عليه وسلم بالامالة فيه أمالى ويوجد فى سائر نسخ الكتاب الآن وهو غلط (فاذهبى حتى تلدى فلما ولدت أتت بالصبى فى خرقة فقالت هذا قد ولدته قال اذهبى فارضعيه حتى تفطميه فلما فطمته أتت بالصبى وفى يده كسرة خبز فقالت يانبى الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبى الى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها) حفرة (الى صدرها وأمر الناس فرجموها فأقبل) وفى لفظ فيقبل وهكذا هو فى مسلم (خالد بن الوليد) رضى الله عنه (بحجر فرمى رأسها فتنضح) أى ترشش (الدم على وجهه فسبها فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه اياها فقال مهلا ياخالد فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم

أمر بها فصلى عليها ودفنت) قال العراقي رواه مسلم من حديث بريدة وهو بعض الحديث الذي قبله انتهى قلت ولم يخرج البخاري عن بريدة في هذا شيأ ولا ذكر حديث هذه المرأة وانما ذكر حديث المرأة والعسيف ورواه أبو داود والنسائي مختصرا من رواية عبد الله بن بريدة عن أبيه أن امرأة يعني من غامد أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني قد فجرت فقال ارجعي فرجعت فلما كان الغد أتته فقالت لعلك أن تردني كما رددت ماعز بن مالك فوالله اني لحبلى فقال لها ارجعي حتى تلدي فرجعت فلما كان الغد أتته فقال ارجعي حتى تلدي فرجعت فلما ولدت أتته بالصبي فقالت قد ولدت فقال لها ارجعي فارضعيه حتى تفطميه فجاءت به وقد فطمته وفي يده شئ يأكله فأمر بالصبي فدفع الى رجل من المسلمين وأمر بها فحفر لها فرجمت وكان خالد فيمن يرجمها فرجمها بحجر فوقعت قطرة من دمها على وجهه فسبها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له وأمر بها فصلى عليها ودفنت وكذلك رواه أحمد وحديث مسلم أتم من هذا يشتمل على قصة ماعز وقصة الغامدية قال المنذري في مختصر أبي داود في اسناده بشر بن المهاجر الغنوي الكوفي وليس له في صحيح مسلم سوى هذا الحديث وقد وثقه يحيى بن معين وقال أحمد منكر الحديث يجيء بالعجائب مرجئ متهم وقال في أحاديث ماعز كلها ان ترديده انما كان في مجلس واحد الا ذلك الشيخ بشر بن المهاجر وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه غيرها ولا عيب على مسلم في اخراج هذا الحديث فانه أتى به في الطبقة الثانية بعد ما ساق طرق حديث ماعز وأتى به آخرا ليبين اطلاعه على طرق الحديث والله أعلم وروى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث عمران بن حصين أن امرأة من جهينة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت انها زنت وهي حبلى فدعا النبي صلى الله عليه وسلم وليا لها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن اليها فاذا وضعت فجئ بها فلما وضعت جاء بها فامر بها النبي صلى الله عليه وسلم فشكت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم أمرهم فصلوا عليها فقال عمر يا رسول الله تصلي عليها وقد زنت قال والذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت توبة أفضل من أن جاءت بنفسها الله لم يقل أبو داود عن أبان فشكت عليها ثيابها وحكى أبو داود عن الاوزاعي قال فشكت عليها ثيابها يعني بشدة ورواه كذلك أحمد وابن جرير وذكر الحافظ أبو بكر الخطيب في كتاب المبهمات حديث الغامدية وقال رواه عمران بن حصين وقال لامرأة من جهينة واسم هذه المرأة سبيعة وقيل آسية بنت الفرج وساق شاهدها وقد جاء في بعض طرقه بانها القرشية وليس بين هذه النسب اجتماع وظاهر كلام الخطيب انها امرأة واحدة واختلف في نسبها هكذا نقله المنذري عن الخطيب قلت آسية بنت الفرج جرهمية أورد ابن منده قصتها من طريق أيوب بنت الفرج امرأة من جرهم وكان مسكنها الجون بمكة فذكرها بطولها وقيل هي سبيعة بنت الحرث الاسلمية وقيل هي امرأة من قريش وهي غير الاسلمية أوردها هبة الله في الناسخ والمنسوخ وروى ابن منده من رواية عبيد بن عمير عن عائشة قالت سمعت سبيعة القرشية قالت يا رسول الله اني زنيت فاقم على حد الله فقال اذهبي حتى تضعي فذكر الحديث قال الحافظ في الاصابة سنده ضعيف وأخلق بها ان ثبت خبرها أن تكون هي سبيعة الاسلمية انتهى قال المنذري وذكر بعضهم ان حديث عمران بن حصين فيه انه قد أمر برجمها حين وضعت ولم يستأن بها وكذا روي عن علي انه فعل بشراحة رجمها لما وضعت والى هذا ذهب مالك والشافعي وأصحاب الرأي وقال أحمد واسحق تترك حتى تضع ما في بطنها ثم تترك حولين حتى تفطمه ويشبه أن يكونا ذهبا الى حديث بريدة وحديث عمران أجود اسنادا وقال بعضهم يحتمل أن تكونا امرأتين احداهما وجد لولدها كفيل وقبلها والاخرى لم يوجد لولدها كفيل أو لم يقبل فوجب امهالها حتى يستغني عنها لئلا يهلك بهلاكها ويكون الحديث محمولا على حالين ويرتفع الخلاف والله أعلم (وأما القصاص وحد القذف

أمر بها فصلى عليها ودفنت

(وأما القصاص وحد القذف)

فلابد من تحليل صاحبه المستحق فيه وان كان المتناول مالا تناوله بغصب أو خيانة أو غبن فى معاملة بنوع تلبيس كترويج زائف أو ستر عيب من المبيع أو نقص أجرة أجير أو منع أجرته فكل ذلك يجب أن يفتش عنه لا من حد بلوغه بل من أول مدة وجوده فان ما يجب فى مال الصبي يجب على الصبي اخراجه بعد البلوغ ان كان الولى قد قصر فيه فان لم يفعل كان ظالما مطالبا به اذ يستوى فى الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات والدوانق من أول يوم حياته الى يوم توبته قبل أن يحاسب فى القيامة وليناقش قبل أن يناقش فمن لم يحاسب نفسه فى الدنيا طال فى الآخرة حسابه فاذا حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه وليكتب أسامى أصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف فى نواحى العالم وليطلبهم وليستحلهم أو ليؤد حقوقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة على التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم ان يفعل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا أن يكثر من الحسنات حتى تفيض عنه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع فى موازين أرباب المظالم ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تف بها حسناته حمل من سيآت أرباب المظالم فيهلك بسيآت غيره فهذا طريق كل تائب فى رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر فى الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الاجل قريبا فينبغى أن يكون تشميره للحسنات والوقت ضيق أشد من تشميره الذى كان فى المعاصى فى متسع الاوقات هذا حكم المظالم الثابتة فى ذمته أما أمواله الحاضرة فليرد الى المالك ما يعرف له مالكا معينا ~~كفارته~~ وما لا يعرف له مالكا فعليه أن يتصدق به فان اختلط الحلال بالحرام فعليه أن يعرف قدر الحرام بالاجتهاد ويتصدق بذلك المقدار كما سبق تفصيله فى كتاب الحلال والحرام (وأما الجناية) على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم أو بعيبهم فى الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه أو آذى قلبه بفعل من أفعاله وليستحل واحدا واحدا منهم ومن مات أو غاب فقد فات أمره ولا يتدارك الا بتكثير الحسنات لتؤخذ منه عوضا فى القيامة وأما من وجده وأحله بطيب قلب منه فذلك

فلابد من تحليل صاحبه المستحق فيه) فان شاء اقتص وان شاء عفا وكذا فى حد القذف (وان كان المتناول مالا قد تناوله بغصب) بان استولى عليه عدوانا (أو خيانة) بان كان أمانة عنده ففرط فيه (أو غبن فى معاملة بنوع تلبيس) أى تخليط (كترويج زائف) أى البهرج الردىء وترويجه تزيينه وتمشيته (أو ستر عيب من المبيع) سواء كان العيب خفيا أو ظاهرا (أو نقص أجرة أجير) استأجره بأن يعطيه أقل مما يعطى أمثاله (أو منع أجرته) مطلقا (فكل ذلك يجب أن يفتش عنه) ويبحث (لا من حد بلوغه بل من أول مدة وجوده فان ما يجب فى مال الصبي يجب على الصبي اخراجه بعد البلوغ ان كان الولى قد قصر فيه) فان ادعى الولى انه أخرج ما يجب عليه من ماله وظهرت القرائن بصدقه صدق (فان لم يفعل كان ظالما مطالبا به) يوم القيامة (اذ يستوى فى الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبة والدانق) أى القليل منه والاقل (من أول يوم حياته الى يوم توبته قبل أن يحاسب فى القيامة) بين يدى الله تعالى (وليناقش قبل أن يناقش فمن لم يحاسب نفسه فى الدنيا طال فى الآخرة حسابه فاذا حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه) فى جريدة (وليكتب أسامى أصحاب المظالم) فيها (واحدا واحدا وليطف فى نواحى العالم) وأطرافها (وليطلبهم) باعيانهم (وليستحلهم) أى يطلب منهم أن يحللوه (أو ليؤد حقوقهم) المرتبة بذمته فان لم يجدهم بأعيانهم فورثتهم الاقرب فالاقرب (وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم) ولا المظلومين كلهم (ولا على طلب ورثتهم) فى أقطار البلاد (ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يقدر عليه) ويستطيعه (فان عجز) عن ذلك (فلا يبقى له طريق الا أن يكثر من الحسنات) فى صحائف أعماله (حتى تفيض عنه يوم القيامة فتؤخذ حسناته) تلك (وتوضع فى موازين أرباب المظالم) كما ورد فى الخبر وتقدم ذكره (ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تف بها حسناته حمل من سيئة أرباب المظالم فيهلك بسيآت غيره) كما هو فى الخبر السابق ذكره (فهذه طريق كل تائب) عن المظالم (فى رد المظالم) ولا يخفى ان (هذا يوجب استغراق العمر فى الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الاجل قريبا فينبغى ان يكون تشميره للحسنات والوقت ضيق أشد من تشميره الذى كان فى المعاصى فى متسع الاوقات هذا حكم المظالم الثابتة فى ذمته) وفى عهدته (أما أمواله الحاضرة فليرد الى المالك ما يعرف له مالكا معينا وما لا يعرف له مالكا) معينا (فعليه ان يتصدق به) على من يستحق من الفقراء (فان اختلط الحلال بالحرام فعليه أن يعرف قدر الحرام بالاجتهاد ويتصدق بذلك القدر كما سبق تفصيله فى كتاب الحلال والحرام) فلا نعيده ثانيا (وأما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم) أى يحزنهم (أو بعيبهم فى الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه أو آذى قلبه بفعل من أفعاله وليستحل واحدا واحدا منهم ومن مات) منهم (أو غاب) غيبة طويلة (فقد فات أمره ولا يتدارك الا بتكثير الحسنات لتؤخذ منه عوضا فى القيامة) عند المحاسبة (وأما من وجده وأحله بطيب) قلب (منه وانشراح) صدر (فذلك

كفارته وعليه أن يعرفه قدر جنايته وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفي وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاحلال وادخر ذلك
في القيامة ذخيرة يأخذها من حسناته أو يحمله من سيا ٓته فان كان في جملة جنايته على الغير ما لو ذكره وعرفه لتأذى بمعرفته كزناه بجاريته
أو أهله أو نسبته باللسان الى عيب من خفايا عيوبه يعظم أذاه مهما شوفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال فليس له الا أن يستحل منها ثم
تبقى له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغائب وأما الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر
جنايته وعرفه المجني عليه فلم تسمح نفسه بالاستحلال بقيت المظلمة عليه فان هذا حقه فعليه أن يتلطف به ويسعى في مهماته
وأغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه فان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر بسيئة مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فان أبى الا الاصرار فيكون تلطفه به واعتذاره اليه من جملة حسناته التي يمكن أن يجبر بها في القيامة جنايته وليكن قدر سعيه في فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في أذاه حتى اذا قاوم أحدهما الآخر أو زاد عليه أخذ ذلك منه عوضا في القيامة بحكم الله به عليه كمن أتلف في الدنيا مالا فجاء بمثله فامتنع من له المال من القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض منه شاء أم أبى وكذلك يحكم في صعيد القيامة أحكم الحاكمين وأعدل المقسطين وفي المتفق عليه من الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين
نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال له انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق
الى كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق أتاه
الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل
خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه حكما بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان أدنى فهو له

كفارته وعليه ان يعرفه قدر جنايته وتعرضه له والاستحلال المبهم لا يكفي) كما تقدم بيانه في كتاب ذم الغيبة
(وربما لو عرف ذلك وتعديه عليه) وفي نسخة وكثرة تعديه عليه (لم تطب نفسه بالاحلال وادخر ذلك في
القيامة ذخيرة يأخذها من حسناته أو يحمله من سيا ٓته فان كان في جملة جنايته على الغير ما لو ذكره
وعرفه لتأذى بمعرفته كزناه بجاريته أو) جارية (أهله أو نسبته باللسان الى عيب من خفايا عيوبه)
بحيث يعظم أذاه مهما شوفه (به فقد أفسد عليه طريق الاستحلال فليس له الا أن يستحل منهما) بلا
تعيين جناية (ثم تبقى له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغائب فأما الذكر والتعريف
فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته وعرفه المجني عليه فلم تسمح نفسه بالاستحلال
بقيت المظلمة عليه) في ذمته (فان هذا حقه فعليه أن يتلطف به) في القول (ويسعى في) قضاء (مهماته
وأغراضه) الدنيوية (ويظهر من حبه له والشفقة عليه ما يستميل به قلبه فان الانسان عبد الاحسان)
كما هو المشهور على الالسنة وفي معناه قولهم الانسان الاحسان أي يتقيد عند الاحسان فيحب المحسن
اليه بطبعه ويميل اليه بقلبه وفي كلام علي رضي الله عنه أحسن الى من شئت تكن أميره أي يكون
هو بمنزلة الاسير لك وأنت بمنزلة الامير عليه (وكل من نفر) عنك (بسيئة مال) اليك (بحسنة فاذا طاب
قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال) لا محالة (فان أبى الا الاصرار) على عدم السماح
(فيكون تلطفه به واعتذاره اليه من جملة حسناته التي يمكن أن يجبر بها في القيامة جنايته وليكن قدر
فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في أذاه حتى اذا قاوم أحدهما الآخر وزاد عليه أخذ
ذلك منه عوضا في القيامة بحكم الله به عليه) وهذا (كمن أتلف في الدنيا مالا) لآخر (فجاء) المتلف
(بمثله فامتنع من له المال عن القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض منه شاء أم أبى) رضي
أم كره (وكذلك يحكم في صعيد القيامة أحكم الحاكمين وأعدل المقسطين) جل جلاله (وفي المتفق عليه من
الصحيحين) أي فيما اتفق على اخراجه البخاري ومسلم (عن أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه (ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض)
أي أكثرهم علما (فدل على راهب فأتاه فقال انه) يعني نفسه (قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة
قال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض) أي أكثرهم علما ليذهب اليه فيستفتيه عن
حاله (فدل على رجل عالم فقال له انه قتل مائة نفس فهل له من توبة) أي هل تصح توبته أو تقبل توبته
(قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا) وسماها له (فان بها أناسا يعبدون الله
عز وجل فاعبد الله معهم ولا تنطلق الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق أتاه ملك
الموت) ولفظ مسلم أتاه الموت (فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء
تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه حكما
بينهم) ولفظ مسلم فجعلوه بينهم (فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان أدنى) أي أقرب (فهو له

فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة وفى رواية فكان الى القرية الصالحة أقرب منها بشبر فجعل من أهلها وفى رواية فأوحى الله تعالى الى هذه أن تباعدى والى هذه أن تقربى وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفر له فبهذا تعرف انه لاخلاص الا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال ذرة فلابد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضى وأما العزم المرتبط بالاستقبال فهو ان يعقد مع الله عقدا مؤكدا ويعاهده بعهد وثيق أن لا يعود الى تلك الذنوب ولا الى أمثالها كالذى يعلم فى مرضه أن الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزما جزما أنه لا يتناول الفاكهة مالم يزل مرضه فان هذا العزم يتأكد فى الحال وان كان يتصور أن تغلبه الشهوة فى ثانى الحال ولكن لا يكون تائبا مالم يتأكد عزمه فى الحال ولا يتصور أن يتم ذلك للتائب فى أول أمره الا بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال فان كان له مال موروث حلال أو كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فان رأس المعاصى أكل الحرام فكيف يكون تائبا مع الاصرار عليه ولا يكتفى بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات فى المأكولات والملبوسات وقد قال بعضهم من صدق فى ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرار لم يبتل بها وقال آخر من تاب من ذنب واستقام سبع سنين لم يعد اليه أبدا ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما أن يتعلم ما يجب عليه فى المستقبل وما يحرم حتى يمكنه الاستقامة وان لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة الا أن يتوب عن بعض الذنوب كالذى يتوب عن الشرب والزنا والغصب مثلا وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح ولفظ الصحة فى هذا المقام مجمل بل نقول لمن قال لا تصح ان

فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض التى أراد فقبضته) بها (ملائكة الرحمة) هذا لفظ مسلم ورواه كذلك ابن حبان فى صحيحه الا أنه قال ومن يحول بينك وبين التوبة ائت أرض كذا وكذا وفيه ولا ترجع الى أرضك والباقى سواء (وفى رواية) لمسلم أن رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فجعل يسأل هل له من توبة فاتى راهبا فسأله فقال ليس لك توبة فقتل الراهب ثم جعل يسأل ثم خرج من قرية الى قرية فيها قوم صالحون فلما كان فى بعض الطريق أدركه الموت فناء بصدره ثم مات فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب (فكان الى القرية الصالحة أقرب منها بشبر فجعل من أهلها) ورواه البخارى نحوه (وفى رواية) كان فى بنى اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسأل فاتى راهبا فسأله فقال هل من توبة قال لا فقتله فجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فادركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت به ملائكة الرحمة وملائكة العذاب (فاوحى الله الى هذه ان تباعدى والى هذه ان تقربى) هكذا لفظ مسلم ولفظ البخارى فأوحى الله الى هذه أن تقربى والى هذه أن تباعدى (وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه) ولفظ الشيخين فوجداه (الى هذه أقرب بشبر فغفر له فبهذا يعرف انه لاخلاص) هنالك (الا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال ذرة فلابد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضى فاما العزم المرتبط بالاستقبال فهو أن يعقد مع الله عقدا مؤكدا و يعاهده بعهد وثيق أن لا يعود الى تلك الذنوب) بعينها (ولا الى أمثالها) وعلامة صحته أن يحب أن يقذف فى النار ولا يرجع فيما عنه خرج (كالذى يعلم فى مرضه ان الفاكهة) الرطبة (تضره مثلا) اذا تناولها لسرعة استحالتها فى المعدة (فيعزم عزما جزما انه لا يتناول الفاكهة مالم يزل مرضه) المانع من صحة معدته (فان هذا العزم يتأكد فى الحال وان كان يتصور أن تغلبه الشهوة فى ثانى الحال ولكن لا يكون تائبا مالم يتأكد عزمه فى الحال ولا يتصور أن يتم ذلك للتائب فى أول أمره) وفى نسخة أول مرة (الا بالعزلة) عن الناس (والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال فان كان له مال موروث حلال) أى ورثه من أحد مورثيه (أو كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فان رأس المعاصى أكل الحرام فكيف يكون تائبا مع الاصرار عليه) أى على الحرام (ولا يكتفى بالحلال وترك الشبهات مالم يقدر) وفى نسخة من لم يقدر (على ترك الشهوات فى المأكولات والملبوسات) فان التوسع فيها غالبا يستدعى الى تناول مالا يحل له فان الحلال ضيق (قال بعضهم من صدق فى ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها) نقله صاحب القوت (وقال آخر من تاب من ذنب واستقام عليه) وفى نسخة وأقام عليه أى على توبته من ذلك الذنب (سبع سنين لم يعد اليه أبدا) نقله صاحب القوت (ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما أن يتعلم ما يجب عليه فى المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة) على التوبة (وان لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة الا أن يتوب عن بعض الذنوب) فقط (كالذى يتوب عن الشرب) أى شرب المسكر (والزنا واللواط والغصب مثلا) ولا يتوب عن غيرها (وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح) وهو المحكى عن المعتزلة والى هذا يشير قول ابن المبارك ان من شرط التوبة الخروج عن مظالم العباد فان الظاهر انه ان أراد الخروج عن مظالم العباد مطلقا وان كان الصحيح خلافه انه فى ذلك الذنب الذى تاب منه (وقال قائلون) انها (تصح) وهو المحكى عن أهل السنة والجماعة (ولفظ الصحة فى هذا المقام مجمل بل نقول لمن قال لا تصح) عن ذنب دون ذنب (ان

عنيت به ان تركه بعض الذنوب لا يفيد أصلا بل وجوده كعدمه فما أعظم خطأك فانا نعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها سبب لقلته ونقول لمن قال تصح ان أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل الى النجاة أو الفوز فهذا أيضا خطأ بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم فى خفايا أسرار عفو الله فان قال من ذهب الى أنها لا تصح انى أردت به أن التوبة عبارة عن الندم وانما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة و يستحيل أن يندم عليها دون الزنا ان كان توجعه لاجل المعصية فان العلة شاملة لهما اذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين لان توجعه بفوات محبوبه سواء كان بالسيف أو بالسكين فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو الزنا فكيف يتوجع على البعض دون البعض فالندم حالة توجبها العلم بكون المعصية مفوتة للمحبوب من حيث انها معصية فلا يتصور أن يكون على بعض المعاصى دون البعض ولو جاز هذا لجاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدنين دون الآخر فان استحال ذلك من حيث ان المعصية فى الخمرين واحدة وانما الدنان ظروف فكذلك أعيان المعاصى آلات للمعصية والمعصية من حيث مخالفة الامر واحدة فاذا معنى عدم الصحة أن الله تعالى وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لا تنال الا بالندم ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات فهو كالملك المرتب على الايجاب والقبول فانه اذا لم يتم الايجاب والقبول نقول ان العقد لا يصح أى لم تترتب عليه الثمرة وهو الملك وتحقيق هذا أن ثمرة مجرد الترك أن ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ماسبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم الا لكونها معصية وذلك يعم جميع المعاصى وهو كلام مفهوم واقع يستنطق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطاء فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو اما أن تكون عن الكبائر دون الصغائر أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبيرة دون كبيرة أما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فأمر ممكن لانه يعلم أن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسخط الله ومقته والصغائر أقرب الى تطرق العفو اليها فلا يستحيل أن يتوب عن الاعظم و يتندم عليه كالذى يجنى على أهل الملك وحرمه و يجنى على دابته فيكون خائفا من الجناية على الاهل مستحقرا الجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله تعالى وهذا ممكن وجوده فى الشرع فقد كثر

عنيت به ان تركه بعض الذنوب لا يفيد أصلا بل وجوده كعدمه فما أعظم خطأك) فى هذا (فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب) وفى نسخة العذاب (وقلتها سبب لقلته) ولا يتصور القلة والكثرة فيها الا بسبب التوبة (ونقول لمن قال تصح) التوبة من ذنب دون ذنب (ان أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل الى النجاة أو الفوز فهذا أيضا خطأ بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر) المطابق للقواعد (ولسنا نتكلم فى خفايا أسرار عفو) الله تعالى (فان قال من ذهب الى أنه لا تصح انى أردت به أن التوبة عبارة عن الندم) اذ هو معظم أركانها (وانما يندم) العبد (على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة و يستحيل أن يندم عليها دون الزنا ان كان توجعه لاجل المعصية فان العلة شاملة لهما) أى لكل من السرقة والزنا (اذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين) أو غيرها (لان توجعه بفوات محبوبه سواء كان بالسيف أو بالسكين) أو غيرهما (فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو بالزنا فكيف يتوجع على البعض دون البعض فالندم حالة توجبها العلم بكون المعصية مفوتة للمحبوب من حيث انها معصية فلا يتصور أن يكون على بعض المعاصى دون بعض ولو جاز هذا لجاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدنين دون الآخر فان استحال ذلك من حيث ان المعصية فى الخمرين واحدة وانما الدنان ظروف) وآلات (فكذلك أعيان المعاصى) كالقتل والزنا والسرقة (آلات للمعصية) وظروف لها (والمعصية من حيث مخالفة الامر واحدة فاذا معنى الصحة ان الله وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لا تنال الا بالندم ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات دون بعض فهو كالملك المرتب على الايجاب والقبول فانه اذا لم يتم الايجاب والقبول يقال ان العقد لا يصح أى لا تترتب عليه الثمرة وهو الملك و يحقق هذا ان ثمرة مجرد الترك أن ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ماسبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها يكفرها ولا يتصور الندم الا لكونها معصية وذلك يعم جميع المعاصى هذا تقرير كلام المانعين من الصحة و بيان علة المنع وهذا الكلام مفهوم يستنطق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطاء) عن وجه الحق (فنقول ان التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو اما أن تكون عن الكبائر دون الصغائر أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبيرة دون كبيرة اما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فممكن لانه يعلم أن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسخط الله ومقته والصغائر أقرب الى تطرق العفو اليها فلا يستحيل أن يتوب عن الاعظم و يتندم عليه كالذى يجنى على أهل الملك وحرمه و يجنى على دابته فيكون خائفا من الجناية على الاهل مستحقرا الجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله تعالى وهذا ممكن وجوده فى الشرع فقد كثر

التائبون فى الاعصار الخالية ولم يكن أحد منهم معصوما فلا تستدعى التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويحذره السكر تحذيرا أخف منه على وجه يشعر معه انه ربما لا يظهر ضرر السكر أصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده وان أكلهما جميعا بحكم شهوته ندم على أكل العسل دون السكر * الثانى أن يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضا ممكن لاعتقاده أن بعض الكبائر أشد وأغلظ عند الله كالذى يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه أن ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو اليه فهذا (٥٨٦) أيضا ممكن كما فى تفاوت الكبائر والصغائر لان الكبائر أيضا متفاوتة فى أنفسها وفى اعتقاد مرتكبها ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التى لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا اذ يتضح له أن الخمر مفتاح الشرور وانه اذا زال عقله ارتكب جميع المعاصى وهو لا يدرى فبحسب ترجح شرب الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا فى المستقبل وندما على الماضى * الثالث أن يتوب عن صغيرة أو صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة كالذى يتوب عن الغيبة أو عن النظر الى غير المحرم أو ما يجرى مجراه وهو مصر على شرب الخمر فهو أيضا ممكن ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف من معاصيه ونادم على فعله ندما اما ضعيفا واما قويا ولكن تكون لذة نفسه فى تلك المعصية أقوى من ألم قلبه فى الخوف منها لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة وأسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا قويا عليه فان سلم عن شهوة أقوى منه بان لم يعارضه الا ما هو أضعف قهر الخوف الشهوة وغلبها وأوجب ذلك ترك المعصية وقد تشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه وتكون له ضراوة ما بالغيبة وثلب الناس والنظر الى غير المحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول هذا الفاسق فى نفسه ان قهرنى الشيطان بواسطة غلبة الشهوة فى بعض المعاصى فلا ينبغى أن أخلع العذار وأرخى العنان بالكلية بل

التائبون فى الاعصار الخالية) أى الماضية (ولم يكن واحد منهم معصوما فلا تستدعى التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض) بتناول (العسل تحذيرا شديدا ويحذره) تناول (السكر تحذيرا أخف منه على وجه يشعر معه انه ربما لا يظهر ضرر السكر أصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده وان أكلهما جميعا بحكم الشهوة ندم على أكل العسل دون السكر الثانى ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكبائر أشد وأغلظ عند الله) وهذا (كالذى يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه أن ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله) من الذنوب (يتسارع العفو اليه) كما ورد فى الخبر السابق ذكره (فهذا أيضا ممكن كما فى تفاوت الكبائر والصغائر لان الكبائر أيضا متفاوتة فى أنفسها وفى اعتقاد مرتكبها ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التى لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا اذ يتضح له أن الخمر مفتاح الشرور) كلها (وانه اذا) شربها (زال عقله) واذا زال عقله (ارتكب جميع المعاصى) كالزنا والقتل والسلب والنهب والاستطالة فى العرض (وهو لا يدرى) أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عمر انه سئل عن الخمر فقال سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هى أكبر الكبائر وأم الفواحش من شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وخالته وعمته وأخرج عبد بن حميد ورسته فى كتاب الايمان عن شعبة مولى عباس عن ابن عباس رفعه اذا شرب الخمر سكر وزنى وترك الصلاة وأخرج ابن المنذر عن سالم بن عبد الله التمار عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال تحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا من بنى اسرائيل أخذ رجلا فخيره أن يشرب الخمر أو يقتل نفسا أو يزنى أو يأكل لحم خنزير أو يقتله فابى فاختار شرب الخمر فانه لما شربها لم يمتنع عن شئ أراده منه الحديث (فبحسب ترجح شرب الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا فى المستقبل وندما على الماضى الثالث أن يتوب على صغيرة أو صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة كالذى يتوب عن الغيبة أو عن النظر الى غير المحرم أو ما يجرى مجراه) من الصغائر (وهو مصر على شرب الخمر فهو أيضا ممكن ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف على معاصيه ونادم على فعله ندما اما ضعيفا واما قويا ولكن تكون لذة نفسه فى تلك المعصية أقوى من ألم قلبه فى الخوف منها لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة) والغرة بالله تعالى (وأسباب توجب قوة الشهوة) من السعة والفراغ وتمكن القوة (فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا) أى قادرا (بتحريك العزم ولا قويا عليه فان سلم عن شهوة) هى (أقوى منه بان لم يعارضه الا ما هو أضعف قهر الخوف الشهوة وغلبها) وكسر شهوتها (وأوجب ذلك ترك المعصية وقد تشتد ضراوة الفاسق بالخمر) أى لهجه وولعه بها (فلا يقدر أن يصبر عنه) أى عن شربها (وتكون له ضراوة ما بالغيبة وثلب الناس) فى الاعراض (والنظر الى غير المحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول هذا الفاسق فى نفسه ان قهرنى الشيطان بواسطة غلبة الشهوة فى بعض المعاصى فلا ينبغى أن أخلع العذار وأرخى العنان بالكلية بل

أجاهده فى بعض المعاصى فعسانى أغلبه فيكون قهرى له فى البعض كفارة لبعض ذنوبى ولولم يتصور هذا لما تصور من الفاسق أن يصلى ويصوم ولقيل له ان كانت صلاتك لغير الله فلا تصح وان كانت لله فاترك الفسق لله فان أمر الله فيه واحد فلا يتصور أن تقصد بصلاتك التقرب الى الله تعالى مالم تتقرب بترك الفسق وهذا محال بان يقول لله تعالى على أمران ولى على المخالفة فيهما عقوبتان وأنا ملىء فى أحدهما بقهر الشيطان عاجز عنه فى الآخر فأنا أقهره فيما أقدر عليه وأرجو بمجاهدتى فيه أن يكفر عنى بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتى فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم اذ لا مسلم الا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له الا هذا واذا فهم هذا فهم ان غلبة الخوف للشهوة فى بعض الذنوب ممكن وجودها والخوف اذا كان من فعل ماض أورث الندم والندم يورث العزم وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعانى تبين سقوط قول القائل ان التوبة عن بعض الذنوب غير ممكنة لانها متماثلة فى حق الشهوة وفى حق التعرض الى سخط الله تعالى نعم يجوز أن يتوب عن شرب الخمر دون النبيذ لتفاوتهما فى اقتضاء السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة الذنوب تأثيرا فى كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذى يعجز عنه ويترك بعض شهوته لله تعالى كالمريض الذى حذره الطبيب الفاكهة فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا انه لا يمكن أن يتوب عن شئ ولا يتوب عن مثله بل لا بد وأن يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقى عليه اما فى شدة المعصية واما فى غلبة الشهوة واذا حصل هذا التفاوت فى اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله فى الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله فى الترك فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وان لم يكن قد أطاع الله فى جميع الاوامر والنواهى فان قلت هل تصح توبة العنين من الزنا الذى قارفه قبل طريان العنة فاقول لا لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما

أجاهده فى بعض المعاصى فعسانى أغلبه فيكون قهرى له فى البعض كفارة لبعض ذنوبى ولولم يتصور هذا لما تصور من الفاسق أن يصلى ويصوم ولقيل له ان كانت صلاتك لغير الله فلا تصح) أصلا (وان كانت لله فاترك الفسق لله فان الامر لله واحد) وفى نسخة فان أمر الله فيه واحد (فلا يتصور أن تقصد بصلاتك التقرب الى الله تعالى مالم تتقرب اليه بترك الفسق وهذا محال بل يقول) الفاسق (لله تعالى على امران ولى على المخالفة فيهما عقوبتان وأنا ملىء) أى قادر (فى احدهما بقهر الشيطان عاجز عنه فى) الامر (الآخر فأنا أقهره فيما أقدر عليه وأرجو بمجاهدتى فيه أن يكفر عنى بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتى) وغلبتها على (فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم اذ لا مسلم الا وهو جامع بين طاعة الله تعالى ومعصيته ولا سبب له الا هذا واذا فهم هذا فهم ان غلبة الخوف للشهوة فى بعض الذنوب ممكن وجودها والخوف اذا كان من فعل ماض أورث الندم والندم يورث العزم وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم الندم توبة) قد تقدم ذكره قريبا (ولم يشترط الندم على كل ذنب) بل هو مطلق (وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له) تقدم ذكره قريبا (ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعانى يتبين سقوط قول القائل ان التوبة عن بعض الذنوب غير ممكنة لانها متماثلة فى حق الشهوة وفى حق التعرض لسخط الله تعالى نعم يجوز أن يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما فى اقتضاء السخط) وعدم تماثلهما (ويتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة الذنوب تأثيرا فى كثرة العقوبة فيساعد العقوبة بالشهوة) وفى نسخة فيساعد الشهوة (بالقدر الذى يعجز عنه ويترك بعض شهوته لله تعالى كالمريض الذى حذره الطبيب) تناول (الفاكهة فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا انه لا يمكن أن يتوب عن شئ ولا يتوب عن مثله بل لا بد وان يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقى اما فى شدة المعصية واما فى غلبة الشهوة واذا حصل هذا التفاوت فى اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله فى الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله فى الترك فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب) أصلا (وان لم يكن قد أطاع الله فى جميع الاوامر والنواهى فان قلت هل تصح توبة العنين من الزنا الذى قارفه) أى ارتكبه (قبل طريان العنة) قال فى المصباح رجل عنين لا يقدر على اتيان النساء أو لا يشتهى النساء وامرأة عنينة لا تشتهى الرجال والفقهاء يقولون به عنة وفى كلام الجوهرى ما يشبهه ولم أجده لغيره ولفظه عن عن امرأته تعنينا بالبناء للمفعول اذا حكم القاضى عليه بذلك أو منع منها بالسحر والاسم العنة وصرح بعضهم بانه لا يقال به عنة كما تقوله الفقهاء فانه كلام ساقط والمشهور فى هذا المعنى كما قال ثعلب وغيره رجل عنين بين التعنين والعنينة وقال فى البارع بين العنانة بالفتح قال الازهرى سمى عنينا لانه ذكره يعن لقبل المرأة عن يمين وشمال أى يعرض اذا أراد ايلاجه وسمى عنان اللجام من ذلك والعنة بالضم حظيرة من خشب تعمل للابل والخيل هذا ما وجدته فقول الفقهاء لو عن عن امرأة وزنى باخرى مخرج على المعنى الثانى دون الاول أى لو لم يشته امرأة واشتهى غيرها (فاقول لا) تصح توبته لان التوبة كما تقدم (عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك) أى ترك الذنب (فيما

يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه ولكني أقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع به باقية لكانت حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فاني أرجو أن يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته اذ لا خلاف في انه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيب التوبة كان من التائبين وان لم يطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر أسباب قضاء الشهوة

ولكنه تائب باعتبار ان ندمه بلغ مبلغا أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذا لا يستحيل أن تبلغ قوة الندم في حق العنين هذا المبلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهي شيأ يقدر نفسه قادرا على تركه بادنى خوف والله تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر انه يقبله والحقيقة في هذا كله ترجع الى أن ظلمة المعصية تنمحي عن القلب بشيئين أحدهما حرقة الندم والآخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا أن يقوى الندم بحيث يقوى على محوها دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا ان التوبة لا تقبل مالم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلا فان قلت اذا فرضنا تائبين أحدهما سكنت نفسه عن النزوع الى الذنب والآخر بقي في نفسه نزوع اليه وهو يجاهدها ويمنعها فأيهما أفضل فاعلم ان هذا مما اختلف العلماء فيه فقال أحمد بن أبي الحواري وأصحاب أبي سليمان الداراني ان المجاهد أفضل لان له مع التوبة فضل الجهاد وقال علماء البصرة ذلك الآخر أفضل لانه لو فتر في توبته كان أقرب الى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة الفتور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه ان الذي انقطع نزوع نفسه له حالتان * احداهما أن يكون انقطاع نزوعها اليها بفتور في نفس الشهوة فقط فالمجاهد أفضل من هذا اذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة نفسه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين وأعني بقوة الدين قوة الارادة التي تنبعث

باشارة

يقدر على فعله) ان كان مقدرا عليه (وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه ولكن أقول اذا طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو) فرضنا ان (كانت شهوة الوقاع) أي الجماع (به باقية لكانت حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها وتحثه) على تركها (فاني ارجو ان يكون ذلك مكفرا لذنبه) الماضي (وماحيا عنه سيئته) التي سلفت وهذا اختيار المصنف رحمه الله تعالى (اذ لا خلاف في انه لو تاب قبل طريان العنة) عليه (ومات عقيب التوبة كان من التائبين) وهو ظاهر (وان لم تطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر أسباب قضاء الشهوة ولكنه تائب باعتبار ان ندمه بلغ مبلغا أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذا لا يستحيل ان تبلغ قوة الندم في حق العنين هذا المبلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهي شيا يقدر نفسه قادرا على تركه بادنى خوف والله مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر انه يقبله) منه (والحقيقة في هذا كله ترجع الى ان ظلمة المعصية تنمحي عن القلب بشيئين أحدهما حرقة الندم والآخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل) أي فيما سيأتي من الزمان (وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا أن يقوى الندم بحيث يقوى على محوها دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا ان التوبة لا تقبل مالم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلا فان قلت اذا فرضنا تائبين أحدهما سكنت نفسه عن النزوع الى الذنب) أي ترك الذنب وانكمش في الاستبدال فلم تكن نفسه تنازعه ولا تطالبه في الذنب (والآخر بقي في نفسه نزوع اليه) أي ترك ذنبا وعمل في الاستقامة ونفسه تنازعه اليه (وهو ينازعها ويمنعها فأيهما أفضل فاعلم ان هذا مما اختلف العلماء فيه فقال) الشاميون منهم أبو الحسن (أحمد بن أبي الحواري) الدمشقي من كبار المشايخ صحب أبا سليمان الداراني وكان الجنيد يقول هو ريحانة الشام مات سنة ثلاث ومائتين (وأصحاب أبي سليمان الداراني) رحمه الله (ان المجاهد أفضل لان له مع التوبة فضل الجهاد) أي الذي تنازعه نفسه الى الذنب وهو يجاهدها أفضل لانه غلب منازعتها وله فضل مجاهدتها (وقال علماء البصرة ذلك الآخر) أي الذي سكنت نفسه عن المنازعة بشاهد من شواهد اليقين والطمأنينة (أفضل) ومال الى ذلك رباح بن عمرو القيسي وهو من كبار علماء البصريين قال (لانه لو فتر في توبته كان أقرب الى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة الفتور عن المجاهدة) أي فلا يؤمن عليه الرجوع وقد نقل صاحب القوت القولين وكأنه مال الى قول البصريين ولكن المصنف رحمه الله تعالى توسط بين المذهبين وقال (وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه) ما نذكره وهو (ان الذي انقطع نزوع نفسه) وسكنت (له حالتان احداهما ان يكون انقطاع نزوعها اليها) أي الى المعاصي وفي نسخة اليه أي الى الذنب (بفتور في نفس الشهوة فقط فالمجاهد أفضل من هذا اذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة يقينه واستيلاء) أي غلبة (دينه على شهوته فهو دليل) قوي (قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين وأعني بقوة الدين قوة الارادة التي تنبعث

باشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشياطين فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعا وقول القائل ان هذا أسلم اذلو فتر لا يعود الى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الافضل فيه خطأ وهو كقول القائل العنين أفضل من الفحل لانه فى أمن من خطر الشهوة والصبى أفضل من البالغ لانه أسلم والمفلس أفضل من الملك القاهر القامع لاعدائه لان المفلس لاعدوّ له والملك ربما يغلب مرة وان غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بان العز فى الاخطار وأن العلوّ شرطه اقتحام الاغرار بل هو كقول القائل الصياد الذى ليس له فرس ولا كلب أفضل فى صناعة الاصطياد وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لانه آمن من أن يجمح به فرسه فتنكسر أعضاؤه عند السقوط على الارض وآمن من أن يعضه الكلب ويعتدى عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب اذا كان قويا عالما بطريق تأديبهما أعلى رتبة وأحرى بدرك سعادة الصيد * (الحالة الثانية) * أن يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة اذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تأدبت بادب الشرع فلا تهيج الا بالاشارة من الدين وقد سكنت بسببه استيلاء الدين عليها فهذا أعلى رتبة من المجاهد المقاسى لهيجان الشهوة وقمعها وقول القائل ليس لذلك فضل الجهاد قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا لعينه بل المقصود قطع ضراوة العدو حتى لا يستجرك الى شهواته وان عجز عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين فاذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت ومادمت فى المجاهدة فانت بعد فى طلب الظفر ومثاله كمثال من قهر العدو واسترقه بالاضافة الى من هو مشغول بالجهاد فى صف القتال ولا يدرى كيف يسلم ومثاله أيضا مثال من علم كلب الصيد وراض الفرس فهما نائمان عنده بعد ترك الكلب والضراوة والفرس الجماح بالاضافة الى من هو مشغول بمقاساة التأديب بعد ولقد زل فى هذا فريق فظنوا ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا أن ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق وظن آخرون أن قمع الشهوات واماطتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فعجز عنه فقال هذا محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل فى اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررناذلك فى كتاب رياضة النفس

باشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشياطين فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعا) والسلامة مطلوبة من المكلفين بالمجاهدة لا بعدم القوى والغرائز وأما (قول القائل) من البصريين (ان هذا أسلم اذلو فتر لا يعود الى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الافضل فيه خطأ) اذ لا يلزم من صحته أن يكون الافضل (وهو كقول القائل العنين أفضل) من الشهوانى (لانه فى أمن من خطر الشهوة) لا تحرك عليه شهوته فلا تحمله على ارتكاب مخالفة (والصبى أفضل من البالغ لانه أسلم) اذ لم يكتب عليه القلم (والمفلس) أى عادم المال أفضل (من الملك القاهر القامع لاعدائه لان المفلس لاعدوّ له) اذ لا مال له والعداوات انما تنشأ بسبب الاموال غالبا (والملك ربما يغلب عليه مرة وان غلب) على عدوّه (مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بان العز فى ركوب الاخطار وان العلو) فى المرتبة (شرطه اقتحام الاغوار) من البرارى والقفار ومن أمثالهم ما استنار بالعسل من اختار الكسل (بل هو كقول القائل الصياد الذى ليس له فرس ولا كلب أفضل من صناعة الاصطياد وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لانه آمن من أن يجمح به فرسه فتنكسر أعضاؤه عند السقوط على الارض وآمن من أن يعضه الكلب و يعتدى عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب اذا كان قويا عالما بطريق تأديبهما) و رياضتهما على الوجه الذى ينبغى (أعلى رتبة وأحرى بدرك سعادة الصيد) التى هى غاية القصد له (الحالة الثانية أن يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة اذ تبلغ مبلغا) وفى نسخة اذ بلغ مبلغا (قمع هيجان الشهوة حتى تأدبت بآداب الشرع فلا تهيج الا بالاشارة من الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها فهذا أعلى رتبة من المجاهد المقاسى لهيجان الشهوة وقمعها وقول القائل ليس لذلك فضل الجهاد قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا لعينه بل) تهذيب الاخلاق ورياضتها كما أن ليس المقصود من ضرب الدابة ألمها بل المقصود أدبها ولهذا قال المصنف (ان المقصود) من الجهاد (قطع ضرر العدو حتى لا يستجرك الى شهواته وان عجز عن استجرارك) للشهوات (فلا يصدك عن سلوك طريق الدين فاذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت ومادمت فى المجاهدة فانت بعد فى طلب الظفر ومثاله كمثال من قهر العدو واسترقه) أى أسره فجعله رقيقا له (بالاضافة الى من هو مشغول بالجهاد فى صف القتال ولا يدرى كيف يسلم ومثاله أيضا مثال من علم كلب الصيد) ودربه على أخذ الصيد (وراض الفرس) وأدبه (فهما قائمان) وفى نسخة نائمان (عنده بعد ترك الكلب الضراوة) بلحم الصيد (والفرس الجماح) عند الركض (بالاضافة الى من هو مشغول بمقاساة التأديب بعد ولقد زل فى هذا فريق فظنوا ان الجهاد هو المقصود الاقصى) لذاته (ولم يعلموا ان ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق) وموانعها (وظن آخرون ان قمع الشهوات واماطتها بالكلية مقصود) لذاته (حتى جرب بعضهم نفسه فعجز عنه) لصعوبته (فقال هذا محال فكذب بالشرع) ورفض العمل بقواعده (وسلك سبيل الاباحة واسترسل فى اتباع الشهوات) من حيث اتفقت (وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك فى كتاب رياضة النفس)

وتهذيب الاخلاق (من ربع المهلكات) فلا نعيده ثانيا وقد نقل صاحب القوت اختلاف علماء الشام وعلماء البصرة فى التائبين المذكورين ثم قال بعد ذلك مانصه وقد اختلف العلماء أيضا فى عبدين سئل أحدهما بذل شئ من ماله فى سبيل الله فابت نفسه عليه وثقل ذلك عليها فجاهدها وأخرج ماله وسئل آخر فبذل ماله مع السؤال طوعا من غير منازعة نفس ولا ثقل عليها ولا مجاهدة منه لها أيهما أفضل فقال قوم المجاهد لنفسه أفضل لانه اجتمع له الاكراه والمجاهدة فحصل له عملان وذهب الى هذا القول أحمد بن عطاء وأصحابه وقال آخرون الذى سمحت نفسه بالبذل طوعا من غير اعتراض ولا اكراه أفضل لان مقام هذا فى سخوات النفس والتحقق بالزهد أفضل لان جميع أعمال الاول من الاكراه والمجاهدة ومن بذل ماله على تلك الاحوال ولان الاول وان غلب نفسه فى الكرة لا يؤمن غلبتها له فى كرة ثانية وثالثة اذ ليس السخاء من مقامها لانها كانت محمولة عليه واليه ذهب أبو القاسم الجنيد وهو عندى ماقال وسئل أبو محمد سهل عن الرجل يتوب عن الشئ فيراه أو يسمع به فيجد له حلاوة فقال الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع وليس له حيلة الا أن يرفع قلبه الى مولاه بالشكوى أو ينكره بقلبه ويلزم الانكار ولا يفارقه ويدعو الله أن ينسيه ذكر ذلك ويشغله بنفسه بغيره من ذكره وطاعته وقال فان هو غفل عن الانكار طرفة عين أخاف عليه أن لا يسلم وتعمل الحلاوة فى قلبه ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار ويحزن غاية الحزن فانه لا يضره وهذا عندى هكذا لان التوبة لا تصح مع بقاء الشهوة فيكون العبد مرادا بالمجاهدة وهذا حال المريدين ومحو الشهوة عن القلب وصف العارفين بدوام التولى اهـ (فان قلت فما قولك فى تائبين أحدهما نسى الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والآخر جعله نصب عينيه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه فايهما أفضل فاعلم ان هذا أيضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك) أى لا تنساه وهذا قول أبى محمد سهل التسترى قال القشيرى فى الرسالة سمعت أبا حاتم يقول سمعت أبا نصر السراج الصدفى يقول سئل سهل بن عبد الله عن التوبة فقال أن لا تنسى ذنبك اهـ قلت ويؤيده خبر ان العبد يذنب فيدخله ذنبه الجنة قيل كيف يدخله ذنبه الجنة يارسول الله قال لا يزال نصب عينيه تائبا منه هاربا (وقال آخر) وفى نسخة آخرون (حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك) قال القشيرى فى الرسالة وسئل الجنيد عن التوبة فقال أن تنسى ذنبك اهـ واختلف فى معنى نسيانه الذنب فقيل معناه أن يخرج حلاوته من قلبه خروجا لا يبقى له فى سره أثر حتى يكون كمن لم يعرفه قط وقيل المراد به ترك العود اليه وقد مال السرى السقطى شيخ الجنيد الى قول سهل ورد عليه الجنيد ذلك فيما قال القشيرى أخبرنا أبو عبد الله الشيرازى قال سمعت أبا عبد الله بن مفلح بالاهواز يقول سمعت سمر بن رزين يقول سمعت الجنيد يقول دخلت على السرى يوما فرأيته متغيرا فقلت مالك فقال دخل على شاب فسألنى عن التوبة فقلت له أن لا تنسى ذنبك فعارضنى وقال بل التوبة أن تنسى ذنبك فقلت ان الامر عندى ماقاله الشاب فقال لم قلت لانى اذا كنت فى حال الجفاء فنقلنى الى حال الوفاء فذكر الجفاء فى حال الصفاء جفاء فسكت اهـ وأراد بالجفاء الذنب وبحال الصفاء التوبة وقريب من قول الجنيد قول رويم فانه لما سئل عن التوبة قال هى التوبة من التوبة نقله القشيرى عن أبى نصر السراج والمعنى التوبة من رؤية كونه تائبا فانه لا يرى ذلك الا اذا كان مفرق القلب ناظرا لنفسه وتوبته فيحتجب بذلك فكمال توبته دوام شغله بربه حتى ينسى توبته كما قال الجنيد وقد قيل فى تأويل كلام رويم وجوه أخر سيأتى ذكر بعضها فى محالها (وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالاضافة الى حالين) مختلفين (وكلام المتصوفة أبدا يكون قاصرا) فى حد ذاته غير شامل للاحوال كلها (فان عادة كل واحد منهم أن يخبر عن حال نفسه فقط) وذلك (فيما أقامه الله تعالى فيه ولا يهمه حال غيره فتختلف الاجوبة) منهم حين يسئلون (باختلاف الاحوال وهذا نقصان بالاضافة الى درجة العلم فان معرفة الاشياء على ماهى عليه أفضل وأعلى ولكنه كمال بالاضافة الى الهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه الا أمره) وفى

من ربع المهلكات فان قلت فما قولك فى تائبين أحدهما نسى الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والآخر جعله نصب عينيه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه فايهما أفضل فاعلم أن هذا أيضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك وقال آخر حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالاضافة الى حالين وكلام المتصوفة أبدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد منهم أن يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فتختلف الاجوبة لاختلاف الاحوال وهذا نقصان بالاضافة الى الهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه أمر غيره

نسخة لا يهمه أمر غيره (اذ طريقه الى الله نفسه ومنازلة أحواله وقد يكون طريق العبد الى الله العلم فالطرق الى الله كثيرة) كما قيل بعدد أنفاس الخلائق (وان كانت مختلفة فى القرب والبعد والله أعلم بمن هو أهدى سبيلا مع الاشتراك فى أصل الهداية) وبه ظهر ان كلام كل من السرى والجنيد فيما ذهبا اليه صحيح فمن قال التوبة ان لا تنسى ذنبك يقول انما الغرض من ذكر الذنب الحمل على الاعمال الجميلة ولكن اذا حصل للعبد حال شريف واستغرق فيه فاشتغاله بذنبه حينئذ يفسد عليه ماهو فيه فالسرى كلم الشاب بما هو الاولى فى حق التائبين فان ذكر ذنوبهم يهيج خوفهم ويحملهم على اصلاح أحوالهم وكان الشاب ممن ارتفعت درجته فى ذلك فكلم السرى بما يناسب حاله المستلزم باستغراق صاحبه فيه نسيان ذنبه فنبهه بذلك على مقام شريف فى درجات التوبة ولذلك اغتم وتغير لونه لاشكال الامر عليه وهذا شانه تعالى يؤدب الكبار بالصغار ليعترفوا ونقل القشيرى عن أبى نصر السراج قال أشار سهل الى أحوال المريدين والمتعرضين تارة لهم وتارة عليهم وأما الجنيد فانه أشار الى توبة المحققين فانهم لا يذكرون ذنوبهم مما غلب على قلوبهم من عظمة الله ودوام ذكره اه وقال صاحب القوت فاما نسيان الذنوب وذكرها فقد اختلف قول العارفين فى ذلك فقال بعضهم حقيقة التوبة تنصب ذنبك بين عينيك وقال آخر حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وهذان طريقان لطائفتين وحالان لاهل مقامين فاماذكر الذنب فطريق المريدين وحال الخائفين ووجهة هؤلاء شهادة التوحيد ووجهة الاولين شهادة التوقف والتجريد وهى مقام فى التعريف ففى أى المقامين أقيم عبد قام بشهادة وجهته وعمل بحكم حاله ومقام شهادة التوحيد أفضل عند العارفين من مقام شهادة التعريف فكانت هذه أوسع وأكثر الانام فى أصحاب اليمين وفى عموم المقربين وشهادة التوحيد أضيق وأقل وأهلها أعلى وأفضل وهى فى المقربين وخصوص العارفين اه وقد توسط المصنف بين القولين وقرره باحسن الوجهين فقال (فأقول تصوّر الذنب وذكره) فى خياله (والتفجع عليه كمال فى حق المبتدئ المريد) وهو الذى لاحظه السرى السقطى قدس سره قال (لانه اذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا تقوى ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق ولان ذلك) أى تصوّره كذلك (يستخرج عنه الحزن) من مكامنه (والخوف الوازع) أى المانع (عن الرجوع الى مثله) فى الحال والمستقبل (فهو بالاضافة الى الغافل) الذى لم يشم رائحة السلوك (كمال) فى الجملة (ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان) فى المقام (فانه شغل مانع عن سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغى أن لا يعرج على غير السلوك) ولا يلتفت لسواه (فان ظهر له) فى سلوكه (مبادى الوصول) وفتحت له الابواب (وانكشفت له أنوار المعرفة و) بدت له (لوامع الغيب) وأصحاب البدايات فى الترقى بالقلب فى زمان سيرهم يرقبون ذلك فتكون لوائح ثم لوامع ثم طوالع واللوامع أظهر من اللوائح وليس زوالها بتلك السرعة فقد تبقى وقتين وثلاثة واللوائح كالبروق كلما ظهرت استترت فاذا لمع قطعك عنه وجمعك به لكنه لم يسفر نور نهاره حتى كرت عليه عساكر الليل وهذه المعانى اذا ظهرت للسالك فى اثناء سيره (استغرقه) ظهور (ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات الى ما سبق من أحواله) ولكنها تختلف بالقضايا فمنها ما اذا فات لم يبق عنه أثر كالشوارق واذا أفلت ما يبقى أثره فان زال وقته بقى ألمه وان غرب أنواره بقى آثاره فصاحبه بعد سكون غلياته يعيش فى ضياء بركاته (وهو الكمال بل لو عاق) أى حال (المسافر عن) سلوك (الطريق الى بلد من البلاد) فى عالم الملك (نهر حاجز) أى مانع (طال تعب المسافر فى عبوره مدة من حيث انه كان قد خرب جسره من قبل فلو جلس على شاطئ النهر) أى طرفه (بعد عبوره يبكى متأسفا على تخريبه الجسر كان هذا مانعا آخر اشتغل به بعد الفراغ من ذلك المانع نعم ان لم يكن الوقت وقت الرحيل بان كان ليلا فتعذر السلوك أو كان على طريقه انهار) حاجزة (وهو يخاف على نفسه أن يمر بها) أى بجسورها (فليطل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد

فالطرق الى الله تعالى كثيرة وان كانت مختلفة فى القرب والبعد والله أعلم بمن هو أهدى سبيلا مع الاشتراك فى أصل الهداية فأقول تصوّر الذنب وذكره والتفجع عليه كمال فى حق المبتدئ لانه اذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا تقوى ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق ولان ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة الى الغافل كمال ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع عن سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغى ان لا يعرج على غير السلوك فان ظهر له مبادى الوصول وانكشفت له أنوار المعرفة ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات الى ما سبق من أحواله وهو الكمال بل لو عاق المسافر عن الطريق الى بلد من البلاد نهر حاجز طال تعب المسافر فى عبوره مدة من حيث انه كان قد خرب جسره من قبل فلو جلس على شاطئ النهر بعد عبوره يبكى متأسفا على تخريبه الجسر كان هذا مانعا آخر اشتغل به بعد الفراغ من ذلك المانع نعم ان لم يكن الوقت وقت الرحيل بان كان ليلا فتعذر السلوك أو كان على طريقه أنهار وهو يخاف على نفسه أن يمر بها فليطل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد

بطول الحزن عزمه على أن لا يعود الى مثله فان حصل له من التنبيه ما وثق بنفسه انه لا يعود الى مثله فسلوك الطريق أولى به من الاشتغال
بذكر تخريب الجسم والبكاء عليه وهذا لا يعرفه الا من عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك وقد أشرنا
الى تلويحات منه فى كتاب العلم وفى ربع المهلكات بل نقول شرط دوام التوبة أن يكون كثير الفكر فى النعيم فى الآخرة لتزيد رغبته ولكن ان كان شابا فلا ينبغى أن يطيل فكره فى كل ماله نظير فى الدنيا كالحور والقصور فان ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة بل ينبغى أن يتفكر فى لذة النظر الى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له فى الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدى أيضا قد يستضر به فيكون النسيان أفضل له عند ذلك ولا يصدنك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود ونياحته عليه السلام فان قياسك نفسك على الانبياء قياس فى غاية الاعوجاج لانهم قد ينزلون فى أقوالهم وأفعالهم الى الدرجات اللائقة بأممهم فانهم ما بعثوا الا لارشادهم فعليهم التلبس بما تنتفع أممهم بمشاهدته وان كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم فلقد كان فى الشيوخ من لا يشير على
مريده بنوع رياضة الا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتأديب
النفس تسهيلا للامر على المريد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اما انى لا أنسى ولكنى أنسى لاشرع وفى لفظ انما أسهو لاسن ولا تعجب
من هذا فان الامم

قى

بطول الحزن عزمه على أن لا يعود الى مثله فان حصل له من التنبيه ما وثق بنفسه انه لا يعود الى مثله فسلوك الطريق أولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسم والبكاء عليه وهذا لا يعرفه الا من عرف الطريق والمقصد والعائق وسلوك الطريق وقد أشرنا الى تلويحات) أى اشارات (منه فى كتاب العلم وفى ربع المهلكات) فليراجع هنالك فظهر من ذلك أن تصور الذنب انما يصلح للتائب الغافل حتى يتبين من نفسه الاجتهاد والمسارعة الى التكفير وأما السالك فربما يعوقه عن السلوك (بل نقول شرط التوبة) وفى نسخة دوام التوبة (أن يكون كثير الفكر فى النعيم) الذى أعده الله (فى الآخرة لتزيد رغبته) فى سلوكه (ولكن ان كان شابا فينبغى أن لا يطيل فكره فى كل ماله نظير فى الدنيا كالحور والقصور فان ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة فينبغى أن يتفكر فى لذة النظر الى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له فى الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوات فالمبتدئ أيضا قد يستضر به فيكون النسيان أفضل له عند ذلك) وقال صاحب القوت اعلم انه لا يؤمن على ضعيف اليقين تقوى النفس عند تذكرة الذنوب فان نظر القلب اليها بشهوة أو ميل النفس اليها بحلاوة فيكون ذلك سبب فتنته فيفسد من حيث صلح كما لا يؤمن على معتاد خطيئة بالنظر الى سببها حركة النفس اليها وان كان الافضل الاتفاق معها ما لم يكن الاتفاق معصية لاجل مجاهدة النفس بالصبر عنها الا ان ذلك غرور وفيه خطر فترك الاجتماع وترك الاسباب حينئذ أسلم وما كان أسلم للمريد فهو أفضل وفى نسيان الذنوب الذكر لما يستقبل والانكماش مع ما يفوت من الوقت خوف فوت ثان وقد كان بعض العارفين يكره للمريد أن يكون وسواسه الجنة أو تذكر ما فيها من النعيم واللباس والازواج ويستحب للمريد أن يكون وسواسه ذكر الله تعالى وخواطره وهمته متعلقة بالله تعالى لا بسواه قال لان المريد حديث عهد بالتوبة غير معتاد لطول الاستقامة والعصمة فاذا ذكر نعيم الجنة لم آمن عليه لضعف قلبه أن يشتهى مثله مما يشاهد فى الدنيا من اللباس وأطيب الطعام والنساء لان هذا حظ عاجل وذلك آجل فتطلب نفسه مثل ما ذكر من نعيم الآخرة معجلا فى الدنيا قال فاذا كان همه الله تعالى كان أبعد له من زينة الدنيا وشهواتها ولم يجسر العدو بتمثيل ذلك له من العاجل الا أن يقوى يقينه وشغل عادته وقدوم عصمتهم والمعنى لقائله (ولا يصدنك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود) عليه السلام (ونياحته) على ذنبه (فان قياسك نفسك على الانبياء) عليهم السلام (قياس فى غاية الاعوجاج لانهم قد ينزلون فى أقوالهم وأفعالهم الى الدرجات اللائقة بأممهم فانهم ما بعثوا الا لارشادهم) وهدايتهم (فعليهم التلبس بما تنتفع أممهم بمشاهدته وان كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم) ولفظ القوت وقد يعترض المريد بقصة داود عليه السلام من تذكره ونوحه على خطيئته فان الانبياء لا يقاس عليهم لمجاوزتهم حدود من دونهم وقد يقلبون فى أحوال المريدين ويسلكبهم سبل المتعلمين وذلك لاجل الامة ليكون طريقا للائمة اهـ (فلقد كان فى الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة الا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتأديب النفس) ورياضتها (ولكن تسهيلا للامر على المريد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أما انى لا أنسى ولكن أنسى لاشرع) قال العراقى ذكره مالك فى الموطأ بلاغا بغير اسناد وقال ابن عبد البر لا يوجد الا فى الموطأ مرسلا لا اسناد له وكذا قال حمزة الكنانى انه لم يرد من غير طريق مالك وقال أبو الطاهر الانماطى وقد طال بحثى عنه وسؤالى عنه الائمة والحفاظ فلم أظفر به ولا سمعت عن أحد انه ظفر به وادعى بعض طلبة الحديث انه وقع له مسندا (وفى لفظ انما أسهو لاسن ولا تعجب من هذا فان الامم

في كنف شفقة الانبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء وكالمواشي في كنف الرعاة) وقد روى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة انما أنا لكم مثل الوالد لولده أعلمكم الحديث وقد تقدم في كتاب سر الطهارة (أما ترى الاب اذا أراد أن يستنطق ولده الصغير كيف ينزل الى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وسلم للحسن) بن علي رضي الله عنهما (كخ كخ) بفتح الكاف وكسرها وسكون المعجمة مثقلا ومخففا وبكسر منونا وغير منون كلمة ردع الطفل في تناول شئ وهذا قاله (لما أخذ الحسن تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه) فزجره به (وما كانت فصاحته) صلى الله عليه وسلم (تقصر عن أن يقول له ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه لما علم انه لا يفهم منطقه ترك الفصاحة ونزل الى لكنته) وكان المراد بذلك ما كانت فصاحته تقصر عن الاكتفاء بكلامه الفصيح الظاهر وهذا كان تمام الحديث في المتفق عليه عن أبي هريرة ارم بها اما شعرت انا لا نأكل الصدقة وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام فقد جمع صلى الله عليه وسلم بين اللكنة والفصاحة (بل الذي يعلم شاة أو طائرا يصوت به رغاء وصفيرا تشبها بالبهيمة والطائر تلطفا في تعليمه) وروى ابن عساكر من حديث معاوية وقال غريب جدا من كان له صبي فليتصاب له واذا عرفت ذلك فاعلم ان قولهم شيئان عجيبان هما أبرد من يخ شيخ يتصابى وصبي يتشيخ ليس على اطلاقه (فاياك أن تغفل عن أمثال هذه الدقائق فانها مزلة اقدام العارفين فضلا عن الغافلين) وأما كلام رويم لما سئل عن حقيقة التوبة وقد سبق ذكره نقلا عن القشيري وسبق الوعد بانا نتكلم عليه فاعلم ان المقصود من التوبة تقوى الله وهو خوفه وخشيته والقيام بامره واجتناب نهيه فيعمل بطاعته على نور من الله لا يريد بذلك غير الطاعة فان الطاعة والتوبة عز ظاهرا وباطنا فلا يكون مقصوده العزة فمن تاب لاجله فتوبته مدخولة وسائر التوبة ثلاثة أشياء هذا أحدها والثاني نسيان الجناية والثالث التوبة من رؤية اليوم فان رأى منة الايمان والاسلام من نفسه وغفل عن منة الله عليه فليتب من هذه الرؤية ولكن هذه الرؤية ليست التوبة ولا حيزها ولا شرطها بل جناية أخرى حصلت له بعد التوبة فيتوب من هذه الجناية كما تاب من الجناية الاولى فما تاب الا من ذنب أولا وآخرا أو المراد التوبة عن نقصان اليوم وعدم توفية حقه ووجه ذلك لطيف وهو انه من حصل مقام الانس بالله وصفاء وقته مع الله بحيث يكون اقباله على الله واشتغاله بذكر آلائه واسمائه وصفاته أنفع شئ له حتى اذا نزل عن هذه الحال اشتغل بالتوبة من جناية سالفة قد تاب منها وسار مع الجناية واشتغل بها عن الله تعالى فهذا نقص ينبغي أن يتوب الى الله منه وهو توبة من هذه التوبة لانه نزول من الصفاء الى الجفاء وهذا هو الذي لاحظه الجنيد حين خاطب شيخه السري فالتوبة من التوبة انما تعقل عن أحد هذه الوجوه الثلاثة والله أعلم

(فصل) في *(بيان أقسام العباد في دوام التوبة)*

وانقطاعها (اعلم) وفقك الله تعالى (ان طبقات التائبين أربع) أي الناس في التوبة على أربعة أقسام في كل قسم طبقة وكل طبقة مقام (الطبقة الاولى أن يتوب العاصي) من جميع ما ارتكبه من المخالفات (ويستقيم على التوبة) والانابة (الى آخر عمره فيتدارك ما فرط من أمره) فيما مضى (ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه) أيام حياته (الا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات ومما لم يكن في رتبة النبوة) اذ صاحب هذه الرتبة معصوم عنها (فهذا هو الاستقامة على التوبة) وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح التي قال فيها سبحانه يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا (واسم هذه النفس الساكنة المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية مرضية) التي قال الله تعالى فيها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي أي راضية بما أوتيت مرضية عند الله (وهؤلاء هم) المفردون (الذين اليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه

كيف ينزل الى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وسلم للحسن كخ كخ لما أخذ تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن ان يقول ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه لما علم أنه لا يفهم منطقه ترك الفصاحة ونزل الى لكنته بل الذي يعلم شاة أو طائرا يصوت به رغاء أو صفيرا تشبها بالبهيمة والطائر تلطفا في تعليمه فاياك أن تغفل عن امثال هذه الدقائق فانها مزلة أقدام العارفين فضلا عن الغافلين نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه *(بيان أقسام العباد في دوام التوبة)* اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات *الطبقة الاولى ان يتوب العاصي ويستقيم على التوبة الى آخر عمره فيتدارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة على التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين اليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه

وسلم سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا فان فيه اشارة الى انهم كانوا تحت أوزار وضعها الذكر عنهم وأهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع الى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صراعها والى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه ملئ بمجاهدتها وردها ثم تتفاوت درجات النزاع أيضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الانواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف يموت قريبا من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا أعلى وأفضل اذ كل سيئة فانما تمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء انما يكفر الذنب الذى ارتكبه العاصى أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشتراط هذا بعيد وان كان لا ينكر عظم أثره لو فرض ولكن لا ينبغى للمريد الضعيف ان يسلك هذا الطريق فتهيج الشهوة وتحضر الاسباب حتى يتمكن ثم يطمع فى الانكفاف فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على المعصية وينقض توبته بل طريقها الفرار من ابتداء أسبابه الميسرة له حتى يسد طرقها على نفسه ويسعى مع ذلك فى كسر شهوته بما يقدر عليه فبه تسلم توبته فى الابتداء *(الطبقة الثانية)* تائب سلك طريق الاستقامة فى أمهات الطاعات وترك كبار الفواحش كلها الا انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها فى مجارى أحواله من غير ان يقدم عزما على الاقدام عليها ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز من أسبابها التى تعرضه لها وهذه النفس جديرة بأن تكون

وسلم سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أثقالهم فوردوا القيامة خفافا) قال العراقى رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وحسنه وقد تقدم قلت لفظ الترمذى فى ذكر الله يضع الذكر وفيه فيأتون يوم القيامة خفافا وهكذا رواه الحاكم ورواه الطبرانى من حديث أبى الدرداء وروى أحمد ومسلم وابن حبان من حديث أبى هريرة سيروا هذا ميدان سبق اليه المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وقد تقدم ضبط المفردون والمستهترون فى كتاب الاذكار والدعوات (فان فيه اشارة الى أنهم كانوا تحت أوزار وضعها الذكر عنهم) وهى الذنوب التى كانت أثقلتهم (وأهل هذه الطبقة على رتب) وأحوال مختلفة من شفوف بعضهم على بعض (من حيث النزوع الى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة) وقوة اليقين (يفتر نزاعها) أى سكن منازعتها اياه (ولم يشغله عن السلوك صراعها) أى مصارعتها (والى من لا ينفك عن منازعة النفس) ومصارعتها (ولكنه ملئ) أى قادر (بمجاهدتها وردها) والغلبة عليها (ثم تتفاوت درجات النزاع أيضا بالكثرة والقلة) فمنهم من يكثر نزاعها له فيقابلها بالرد والكف ومنهم من يقل (و) يتفاوت أيضا (باختلاف المدة واختلاف الانواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر) وقصره (فمن مختطف) مأخوذ به (يموت قريبا من توبته) لم يطل كثيرا (يغبط على ذلك على لسلامته وموته قبل الفترة) واليه الاشارة بقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه طوبى لمن مات فى بدوات الاسلام (ومن ممهل) أى متروك (طال جهاده) للنفس (وصبره) عليها (وتمادت) أى طالت (استقامته وكثرت حسناته) فعاش فى سعادة (وحال هذا أعلى وأفضل اذ كل سيئة فانما تمحوها حسنة) فافضل السعادات طول العمر فى طاعة الله واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم خير الناس من طال عمره وحسن عمله رواه أحمد وعبد بن حميد والترمذى من حديث عبد الله بن بشير (حتى قال بعض العلماء انما يكفر الذنب الذى ارتكبه العاصى أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى و) لا يخفى أن (اشتراط هذا بعيد وان كان لا ينكر عظم أثره لو فرض) ووقع (ولكن لا ينبغى للمريد الضعيف أن يسلك هذا الطريق فتهيج الشهوة وتحضر الاسباب حتى يتمكن ثم يطمع فى الانكفاف) عنها (فانه لا يأمن خروج عنان الشهوة عن اختياره) فلا يقدر على قمعها وقهرها (فيقدم على المعصية) قهرا عنه (وينقض توبته) ويزل قدمه (بل طريقه الفرار من ابتداء أسبابه الميسرة له حتى يسد طرقها على نفسه) ولا يلتفت اليها (ويسعى مع ذلك فى كسر شهوته بما يقدر عليه فبه تسلم توبته فى الابتداء) وفى بعض النسخ بما يقدر عليه فيه لتسلم توبته فى الابتداء (الطبقة الثانية) وهى تلى الطبقة الاولى فى القرب منها (تائب سلك طريق الاستقامة فى أمهات الطاعات) وأصولها بان دام على العمل فيها من غير مرة (وترك كبائر الفواحش كلها) بان اجتنبها الا يسعى فيها ولا يهم بها (الا أنه لا ينفك) وفى نسخة ليس ينفك (عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجديد قصد) لها (ولكن يبتلى بها) أى بدخولها عليه (فى مجارى أحواله) عليه (من غير) قصد منه اليها ولا (أن يقدم عزما على الاقدام عليها) ويمتحن بالهم واللمم (ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف) وحزن (وجدد عزمه على أن يتشمر للاحتراز عن أسبابها) الباعثة عليها (التى تعرضه لها و) هذا من صفات المؤمنين ترجى له الاستقامة لانه فى طريقها و (هذه النفس جديرة بان

أيضا رتبة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى وهي أغلب أحوال التائبين لان الشر معجون بطينة الآدمي قلما ينفك عنه وانما غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات فاما أن تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فكل المام يقع بصغيرة لاعن توطين نفسه عليه فهو جدير بان يكون من اللمم المعفو عنه قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فاثنى عليه مع ظلمهم لانفسهم لتندمهم ولومهم أنفسهم عليه والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه علي كرم الله وجهه خياركم كل مفتن تواب وفي خبر آخر المؤمن كالسنبلة يفيء أحيانا ويميل أحيانا وفي الخبر لابد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة أي الحين بعد الحين فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين

تكون هي النفس اللوامة) التي أقسم الله بها (اذ تلوم صاحبها على ما يستهدف له من الاحوال الذميمة لاعن تصميم عزم وتخمين رأي وقصد) وصاحبها من المقتصدين (وهذه أيضا رتبة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى) لكنها قريبة منها (وهي أغلب أحوال التائبين) وصاحب هذا الحال داخل في وصف المتقين (لان الشر معجون بطينة الآدمي قلما ينفك عنه) وهذه الذنوب تدخل على النفس من معاني صفاتها وغرائز جبلاتها وأوائل انشائها من نبات الارض وتركيب الاطوار من الارحام خلقا من بعد خلق ومن اختلاط الاشباح بعضها ببعض (وانما غاية سعيه أن يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات فاما أن تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم فكل المام يقع بصغيرة لاعن توطين نفسه عليه فهو جدير بان يكون من اللمم المعفو عنه وقد قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فاثنى عليهم مع ظلمهم لانفسهم لتندمهم ولومهم أنفسهم عليه والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه علي كرم الله وجهه خياركم كل مفتن تواب) أي كل ممتحن يمتحنه الله تعالى بالذنب ثم يتوب ثم يعود ثم يتوب قال العراقي رواه البيهقي في الشعب بسند ضعيف اهـ قلت رواه الديلمي وفي سند البيهقي النعمان بن سعد قال الذهبي كوفي مجهول وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس ان المؤمن خلق مفتنا توابا ناسيا اذا ذكر ذكر وفي رواية له ان المؤمن خلق ناسيا فاذا ذكر ذكر وروى أحمد من حديث علي ان الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب (وفي خبر آخر المؤمن كالسنبلة يفيء أحيانا ويميل أحيانا) قال العراقي رواه أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس والطبراني من حديث عمار بن ياسر والبيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا وكلها ضعيفة وقال يقوم بدل يفيء وفي الامثال للرامهرمزي اسناد جيد لحديث أنس اهـ قلت حديث أنس رواه أيضا البزار والضياء ولفظهم مثل المؤمن مثل السنبلة تميل احيانا وتقوم احيانا وأما حديث عمار عند الطبراني فلفظه مثل لفظ حديث أنس بزيادة ومثل الكافر مثل ارزة لا تشعر وقد روي من حديث جابر بلفظ مثل المؤمن مثل السنبلة تستقيم مرة وتخر مرة ومثل الكافر مثل الارزة لا تزال مستقيمة حتى تخر ولا تشعر رواه أحمد وعبد ابن حميد والنسائي والضياء في المختارة وفي معناه ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة مثل المؤمن كمثل خامة الزرع من حيث أتتها الريح كفتها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفى بالبلاء ومثل الفاجر كالارزة صماء معتدلة حتى يقسمها الله عز وجل اذا شاء ومن حديث كعب بن مالك مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح مرة وتعدلها مرة ومثل المنافق كالارزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة وكذلك رواه أحمد أيضا وفي لفظ لاحمد من حديث أبي هريرة مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تكفئه ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة لا تستهز حتى تستحصد ورواه كذلك الترمذي وقال حسن صحيح وروى أحمد وأبو يعلى من حديث أم ولد أبي بن كعب عن أبي بن كعب مرفوعا مثل المؤمن مثل الخامة تحمر مرة وتصفر أخرى والكافر كالارزة (وفي الخبر لابد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة أي الحين بعد الحين) قال العراقي رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس باسانيد حسنة انتهى قلت ولفظ الطبراني في الكبير ما من عبد مؤمن الا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة أو ذنب هو مقيم عليه لا يفارقه حتى يفارق الدنيا ان المؤمن خلق مفتنا توابا نسيا اذا ذكر ذكر وفي لفظ له ما من مسلم الا وله ذنب يصيبه الفينة بعد الفينة ان المؤمن نساء اذا ذكر ذكر (فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين) ولا يؤيس هذا عن درجة التائبين (ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناول من الفواكه والاطعمة الحارة

ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والاطعمة الحارة

مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار) عليها (و) أيضا (كالفقيه الذى يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق فى أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة) والمراد بالتكرار اعادة مايحصله فى درسه مرة بعد أخرى حتى يرسخ فى الذهن والتعليق أن يعلق مايسمع من فوائد الشيوخ فى أوراق (وذلك يدل على نقصان) مقام (الطبيب والفقيه) جميعا (بل الفقيه فى الدين هو الذى لا يؤيس الخلق من درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيآت المختطفات قال النبى صلى الله عليه وسلم كل بنى آدم خطاء) بتشديد الطاء من أبنية المبالغة يقال رجل خطاء اذا كان ملازما للخطأ قال الطيبى فى شرح المشكاة ان أريد بلفظ كل الكل من حيث هو كل فهو تغليب لان الانبياء ليسوا بمبالغين فى الخطاوات أريد به الاستغراق وان كل واحد واحد خطاء لم يستقم الاعلى التوزيع كما قال هو ظلام للعبيد أى يظلم كل واحد واحد فهو ظالم بالنسبة الى كل أحد ظلام بالنسبة الى المجموع واذا قلت هو ظلام لعبده كان مبالغا فى الظلم (وخير الخطائين المستغفرون) أى الذين يستغفرون عن ذنوبهم و يرجعون الى الله تعالى بالتوبة والاستغفار ولا يؤتى العبد من فعل المعصية وان عظمت وكثرت وانما يؤتى من ترك التوبة والاستغفار قال العراقى رواه الترمذى واستغربه والحاكم وصحح اسناده من حديث أنس وقال التوابون بدل المستغفرون قلت فيه على بن مسعدة ضعفه البخارى انتهى قلت ورواه كذلك أحمد وعبد بن حميد وابن ماجه والدارمى والبيهقى ولفظ الترمذى بعد ان أخرجه غريب لا نعرفه الامن حديث على بن مسعدة انتهى قلت على بن مسعدة الباهلى أبو حبيب البصرى قال ابن حبان لايحتج به كذا قاله الذهبى ورد على الحاكم تصحيحه وقال بل فيه لين وفى أمالى أبى زرعة حديث فيه ضعف فكأنه تبع فيه والده وقال الحافظ فى التهذيب صدوق له أوهام وقد روى له البخارى فى الادب المفرد والترمذى وابن ماجه ومال ابن القطان الى تصحيح الحاكم وقال ابن مسعدة صالح الحديث وغرابته انما هى فيمن انفرد به عن قتادة (وقال) صلى الله عليه وسلم (أيضا المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعه) قال العراقى رواه الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث جابر بسند ضعيف وقالا فسعيد بدل فخيرهم انتهى قلت ورواه كذلك البزار والعسكرى فى الامثال والطبرانى فى الصغير والاوسط كلهم من طريق سعد بن خالد الخزاعى عن محمد بن المنكدر عن جابر به مرفوعا بلفظ وسعيد من هلك على رقعه وفى لفظ فالسعيد قال المنذرى ضعيف وقال الهيثمى سعيد بن خالد ضعيف قلت هو من رجال أبى داود وقال أبو زرعة ضعيف (أى واه) لربه (بالذنوب راقع) له (بالتوبة والندم) فكلما انخرق دينه بالمعصية رقعه بالتقرب قال الزمخشرى شبهه بمن يهى ثوبه فيرقعه وقد وهى الثوب اذا بلى ومعنى من مات على رقعه أى من مات وهو راقع لدينه بالتوبة والندم ونحوه استقيموا ولن تحصوا أى لن تستطيعوا ان تستقيموا فى كل شئ حتى لاتميلوا ومنه أيضا يا حنظلة ساعة وساعة (وقال تعالى) فى وصف المؤمنين بترك متابعة الذنوب وبترديف السيئة الحسنة فى قوله عز وجل و يدرؤن بالحسنة السيئة وجعل هذا من نعوت العاملين الذين صبروا فقال (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا و يدرؤن بالحسنة السيئة) فجعل لهم صبرين على الذنب وعلى التوبة فآتاهم أجرين (فما وصفهم بعدم السيئة أصلا) فازدراء هذا العبد على نفسه ومقته عن معرفته بها وترك نظره اليها وسكونه الى خيران ظهر عليها يكون من كفارات ذنوبه لانه من تدبر الخطاب فى قوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى *(الطبقة الثالثة)* وهى تلى من هذه الثانية فى الحال (أن يتوب) عن الذنوب (ويستمر بالاستقامة) على توبته (مدة ثم تغلبه الشهوة) وفى نسخة شهوته (فى بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق) عزم (وقصد شهوة) فيذنب ثم يحزن عليه بقصده له وسعيه فيه وايثاره اياه (لعجزه عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان وهو يود أن لو أقدره الله تعالى) أى جعله مطيقا قادرا (على قمعها) وكفها (وكفاه شرها هذه أمنيته) وتمام رجائه (فى حال قضاء الشهوة

مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار وكالفقيه الذى يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق فى أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه بل الفقيه فى الدين هو الذى لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيآت المختطفات قال النبى صلى الله عليه وسلم كل بنى آدم خطاؤن وخير الخطائين التوابون المستغفرون وقال أيضا المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعه أى واه بالذنوب راقع بالتوبة والندم وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة فما وصفهم بعدم السيئة أصلا *(الطبقة الثالثة)* أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه الشهوة فى بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان وهو يود لو أقدره الله تعالى على قمعها وكفاه شرها هذا أمنيته فى حال قضاء الشهوة

وعنـد الفراغ يتندم ويقول ليتني لم أفعله وسأتوب عنه وأجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فأمره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما تعاطاه مرجو فعسى الله أن يتوب عليه وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره فربما يختطف قبل التوبة ويقع أمره في المشيئة فان تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى أن يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على أنه سبق له في الازل أن يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه واذا يسرت له أسباب المواظبة على التحصيل دل على انه سبق له في الازل أن يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية وارتباط حصول فقه النفس الذي به تستحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم بالعلم الا نفس صارت فقيهة بطول التفقيه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير هكذا سبق في الازل بتدبير رب الارباب ولذلك قال تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها فهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هـذا من علامات الخذلان قال صـلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من أهلها ولا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها

وعند الفراغ) منه (يتندم) ويتحسر (ويقول ليتني لم أفعله وسأتوب منه وأجاهد نفسي في قهرها لكنه تسوّل نفسه ويسوّف توبته مرة بعد أخرى ويوما بعد يوم) ويحدث نفسه بالاستقامة ويحب منازل التوابين ويرتاح قلبه الى مقامات الصديقين ولم يأت حينه ولا ظهر مقامه لان الهوى يحركه والعادة تجذبه والغفلة تغمره الا أنه يندم خلال الذنوب ويعاوده هذا المتقدم المعتاد (فهذه النفس هي التي تسمى المسوّلة) واليها الاشارة بقوله تعالى بل سوّلت لكم أنفسكم وتوبة هذا فوت من وقت الى وقت (وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم قيل خلطوا عملا صالحا هو الاعتراف بالذنوب والتوبة السابقة وآخر سيئا ما سلف من الغفلة والجهالة (فأمره من حيث مواظبتـه على الطاعات وكراهته لما تعاطاه) من المعاصي والمخالفات (مرجوّ) له الاستقامة لمحاسن عمله وتكفيرها السالف سيآته (فعسى الله أن يتوب عليه) فيستقيم فيلحق بالسابقين (وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره) فيخاف عليه الانقلاب لاجل ذلك ومن حيث مداومة خطاياه (فربما يختطف قبل التوبة ويقع أمره في المشيئة) وانما كان مثل هذا الخطر الان خفايا المكر والالطاف دقيق لا اطلاع لاحد عليه فهذا بين حالين (فان تداركه الله بفضله) بان نظر اليه بعين رحمته (وجبر كسره) وأغنى فقره (وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين) والمقربين لانه قد سلك طريقهم (وان غلبته شهوته وقهرته شهوته) وهي وصف النفس (فيخشى أن يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الازل) بان يكون من أهل النار فلو انه تاب سبعين توبة لم ينقذه من النار (لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على أنه سبق له في الازل أن يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه واذا يسرت له أسباب المواظبة على التحصيل) والتعلم (دل على أنه سبق له في الازل أن يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط درجات الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيآت بحكم تقدير مسبب الاسباب) جل جلاله (كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية وارتباط حصول فقه النفس الذي به تستحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس) ليلا ونهارا (فكما لا يصح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم بالعلم الا نفس صارت فقيهة بطول التفقه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا قلب سليم) من الغش (صار طاهرا بطول التزكية والتطهير) عن الادناس المعنوية (هكذا سبق في الازل تدبير رب الارباب ولذلك قال تعالى ونفس وما سواها) أي ومن سواها وتسويتها ورود الروح الانساني عليها واقتطاعها من جنس أرواح الحيوانات (فألهمها فجورها وتقواها) والمراد بالهامها افهامها وتعريف حالهما والتمكن من الاتيان بهما (قد أفلح من زكاها) أي انماها بالعلم والعمل (وقد خاب من دساها) أي نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق (فهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب نقدا) حاضرا (والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان) والشقاوة (قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من أهلها ولا يبقى بينه وبين الجنـة الا شبر) ثم يدركه الشقاء وفي لفظ آخر (فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) وقد دخلت التعريات في صالح أعماله من الحسنات ثم أحبطها عنه في جملة عمـله بسبق الكتاب بالشقاوة فأما من لم يسبق له سوء الخاتمة ووهبت له التوبة النصوح لم يدركه الشقاء قال العراقي وروى مسلم من حديث أبي هريرة ان الرجل ليعمل الزمن الطويل

فاذا الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس فهو خاتمة ماقبله اذ يمكن أن يكون الموت متصلا به فليراقب الانفاس والاوقع فى

المحذور ودامت الحسرات حين لا ينفع التحسر *(الطبقة الرابعة)* أن يتوب ويجرى مدة على الاستقامة ثم يعود الى مقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل فى اتباع شهواته فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هى النفس الامارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على هذا سوء الخاتمة وأمره فى مشيئة الله فان ختم له بالسوء شقى شقاوة لا آخر لها وان ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل أن يشمله عموم العفو بسبب خفى لا نطلع عليه كما لا يستحيل أن يدخل الانسان خرابا ليجد كنزا فيتفق أن يجده وأن يجلس فى البيت ليجعله الله عالما بالعلوم من غير تعلم كما كان الانبياء صلوات الله عليهم فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال كطلب الكنوز فى المواضع الخربة

وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليت من اجتهد تعلم وليت من اتجر استغنى وليت من صام وصلى غفر له فالناس والعالمون
كلهم محرومون الا العالمون والعالمون كلهم محرومون الا العاملون والعاملون كلهم محرومون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم

بعمل أهل الجنة الحديث ولاحمد من رواية شهر بن حوشب عن أبى هريرة ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة وشهر مختلف فيه انتهى قلت وتمام حديث أبى هريرة عند مسلم ثم يختم له عمله بعمل أهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة وقد رواه أحمد أيضا وروى الشيخان من حديث سهل بن سعد ان الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار الحديث زاد البخارى وانما الاعمال بخواتمها وروى الطبرانى وأبو نعيم من حديث أكثم بن أبى الجون ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وانه لمن أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار وانه من أهل الجنة تدركه الشقاوة أو السعادة عند خروج نفسه فيختم له بها وأما حديث أبى هريرة من رواية شهر ابن حوشب الذى أخرجه أحمد بلفظه ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فاذا أوصى حاف فى وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل فى وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وهكذا رواه أيضا ابن ماجه وروى أحمد أيضا من حديث عائشة ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وانه لمكتوب فى الكتاب من أهل النار فاذا كان قبل موته تحول فيعمل بعمل أهل النار الحديث (فاذا الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس) من الانفاس (فهو خاتمة ماقبله اذ يمكن أن يكون الموت متصلا به فيراقب الانفاس) ويحافظ عليها (والاوقع فى المحذور) أى الامر الذى يحذر منه (ودامت الحسرات حين لا ينفع التحسر * الطبقة الرابعة) (اسوأ العبيد حالا وأعظمهم على نفسه وبالا وأقلهم من الله وصلا هو (أن يتوب) العبد عن المعاصى (ويجرى مدة على الاستقامة ثم يعود الى مقارفة الذنب أو الذنوب) بان يتبع الذنب ذنبا أو أعظم منه (من غير أن يحدث نفسه بالتوبة) ولا ينويها (ومن غير أن يتأسف على فعله) ولا يعتقد استقامة ولا يرجو وعدا لحسن ظنه ولا يرجو وعيدا للتمكن منه (بل ينهمك انهماك الغافل فى اتباع شهواته فهذا) هو حقيقة الاصرار وهو (من جملة المصرين) والعتاة المستكبرين وفى مثل هذا جاء الخبر هلك المصرون قدما الى النار (وهذه النفس هى النفس الامارة بالسوء الفرارة من) الصالحات: (الخير ويخاف على هذا سوء الخاتمة) لانه فى مقدمتها وسالك طريقها ولا يبعد منه سوء القضاء ودرك الشقاء ولان العاصى يريد الكفر كما أن الحى يريد الموت وفى مثل هذا قيل من سوف الله تعالى بالتوبة أكذبه وان اللعنة خروج عن الذنب الى ماهو أعظم منه (و) هو فى عموم المسلمين (أمره فى مشيئة الله) ومن الفاسقين قال الله تعالى وآخرون مرجون لامر الله أى مرجون بحكمه اما يعذبهم بالاصرار واما يتوب عليهم بما سبق من حسن الاختيار (فان ختم له بالسوء شقى شقاوة لا آخر لها وان ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين) على قدر ايمانه (ولا يستحيل أن يشمله عموم العفو بسبب خفى لا نطلع عليه) لان خفايا الالطاف دقيق لا اطلاع لاحد عليه (كما لا يستحيل أن يدخل الانسان) موضعا (خرابا ليجد كنزا فيتفق أن يجده ولا) يستحيل أيضا (ان يجلس فى البيت ليجعله الله عالما بالعلوم) والمعارف (من غير) سبق (تعلم) لها (كما كان الانبياء صلوات الله عليهم) اذ علومهم وهبية افاضية (وطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار و) طلب (المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها) أى المغفرة (بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال) وفسادها (كطلب الكنوز فى المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليت من اجتهد تعلم وليت من اتجر) وركب البحار (استغنى وليت من صام وصلى غفر له فالناس كلهم محرومون) عن نيل السعادة (الا العالمون والعالمون محرومون الا العاملون) لله تعالى (والعاملون محرومون الا المخلصون) فى أعمالهم لله تعالى قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (والمخلصون على خطر عظيم) وهو منتزع من كلام أبى محمد سهل التسترى رحمه الله تعالى الناس كلهم هلكى الا العالمون

وكأن من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعا يزعم أنه ينتظر فضل الله بأن يرزقه كنزا يجده تحت الارض في بيته الخرب يعد
عند ذوى البصائر من الحمق والمغرورين وان كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله تعالى
وهو مقصر عن الطاعة مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة يعد عند أرباب القلوب من المعتوهين والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه
حماقته في صيغة حسنة اذ يقول ان الله كريم وجنته ليست تضيق على مثلى ومعصيتي ليست تضره ثم تراه يركب البحار ويقتحم
الاوعار في طلب الدينار
واذا قيل له ان الله كريم
ودنانير خزائنه ليست تقصر
عن فقرك وكسالك بترك
التجارة ليس يضرك فاجلس
في بيتك فعساه يرزقك من
حيث لا تحتسب فيستحمق
قائل هذا الكلام ويستهزئ
به ويقول ما هذا الهوس
السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة
وانما ينال ذلك بالكسب
هكذا قدره مسبب الاسباب
وأجرى به سنته ولا تبديل
لسنة الله ولا يعلم المغرور
أن رب الآخرة ورب الدنيا
واحد وان سنته لا تبديل
لها فيهما جميعا وانه قد
اخبر اذ قال وأن ليس
للانسان الا ما سعى فكيف
يعتقد أنه كريم في الآخرة
وليس بكريم في الدنيا
وكيف يقول ليس مقتضى
الكرم الفتور عن كسب
المال ومقتضاه الفتور عن
العمل للملك المقيم والنعيم
الدائم وان ذلك بحكم الكرم
يعطيه من غير جهد في
الآخرة وهذا يمنعه مع
شدة الاجتهاد في غالب
الامر في الدنيا وينسى قوله
تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا الا انتكاس على أم الرأس وانغماس في ظلمات الجهل
وصاحب هذا جدير بأن يكون داخلا تحت قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل
صالحا أي أبصرنا انك صدقت اذ قلت وأن ليس للانسان الا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فنعوذ
بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب السائق بالضرورة الى سوء المنقلب والمآب

والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وقد
تقدم ذلك في آخر كتاب الغرور (وكأن من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعا يزعم انه
ينتظر فضل الله) تعالى (بأن يرزقه كنزا يجده تحت الارض في بيته الخرب) كان (يعد عند ذوى البصائر من
الحمق والمغرورين وان كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من
فضل الله تعالى وهو مقصر في الطاعة مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة معدود عند أرباب القلوب
من المعتوهين) أي المدهوقين من غير جنون (والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته في صيغة
حسنة) الصيغة أصلها الواو كالقيمة وصيغة القول كذا أي مثاله وصورته على التشبيه بالعمل والتقدير
(اذ يقول ان الله) تعالى (كريم) أي موصوف بالكرم (وجنته ليست تضيق على مثلى ومعصيتي ليست
تضره) وانما شؤمها على (ثم تراه يركب البحار ويقتحم الاوعار) أي الامور الصعبة (في طلب الدينار واذا
قيل له ان الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن فقرك وكسالك بترك التجارة ليس يضرك فاجلس في
بيتك) واسترح (فعساه) أن (يرزقك من حيث لا تحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام) أي يعده حمقا
(ويستهزئ به ويقول ما هذا الهوس) أي خفة العقل (السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وانما ينال ذلك
بالكسب) والسعي في الاسباب (هكذا قدره رب الارباب) وفي نسخة مسبب الاسباب (وأجرى به) في العالم
(سنته ولا تبديل لسنة الله) بنص القرآن (ولا يعلم المغرور ان رب الآخرة ورب الدنيا واحد وان سنته
لا تبديل لها فيهما جميعا وانه) تعالى (قد أخبر) على لسان رسله (اذ قال وان ليس للانسان الا ما سعى) وأن
سعيه سوف يرى (فكيف يعتقد انه تعالى كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا وكيف يقول ليس
مقتضى الكرم الفتور عن كسب الحلال ومقتضاه الفتور عن العمل للملك المقيم والنعيم الدائم وان ذلك
بحكم الكرم يعطيه من غير جهد) ولا مشقة (في الآخرة وهذا يمنعه مع شدة الاجتهاد في غالب الامر
في الدنيا وينسى قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون فنعوذ بالله من العمى) أي عمى البصيرة
(والضلال فما هذا الا انتكاس على أم الراس وانغماس في ظلمات الجهل وصاحب هذا جدير بأن يكون
داخلا تحت قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم) الى تحت (عند ربهم) أي في حضرة الربوبية
يقولون (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا) الى الدنيا ثانيا (نعمل صالحا) فانا لا نرى النجاة الا ان نعمل صالحا
وقال تعالى حكاية عنهم ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وتقييد العمل الصالح بالوصف
المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بأن رجوعهم واخراجهم لتلافيه وانهم
كانوا يحسبون أنه صالح والآن تحقق لهم خلافه (أي أبصرنا انك صدقت اذ قلت) في كتابك العزيز
(وان ليس للانسان الا ما سعى فارجعنا نسعى) في صالح الاعمال (وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق
عليه العذاب) أي يثبت (فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب السائق بالضرورة الى سوء المنقلب
والمآب) والله الموفق *(تنبيه)* تقدم في تقسيم المصنف طبقات التائبين الى أربعة وأشار فيها ان
الطبقة الاولى أهلها هم السابقون بالخيرات وان الثانية أهلها هم المقتصدون وان الثالثة والرابعة
هم الظالمون أنفسهم وأمرهم في مشيئة الله تعالى وأشار في أثناء ذلك الى النفوس الاربعة المطمئنة

واللوّامة والمسوّلة والامارة وفي سياقه من أوله الى آخره تلميح لطيف الى قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير أما النفوس فقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز ايا ها بثلاثة أوصاف بالطمأنينة قال يا أيتها النفس المطمئنة وسماها لوامة فقال ولا أقسم بالنفس اللوّامة وسماها امارة فقال ان النفس لامارة بالسوء وهي نفس واحدة ولها صفات متغايرة فاذا امتلأ القلب سكينة خلع الطمأنينة لان السكينة مزيد الايمان وفيها ارتقاء القلب الى مقام الروح لما منح من حظ اليقين وعند توجه القلب الى محل الروح وتوجه النفس الى محل القلب وفي ذلك طمأنينتها واذا انزعجت عن مقار جبلاتها ودواعي طبيعتها متطلعة الى مقار الطمأنينة فهي اللوّامة لانها تعود باللائمة على نفسها لنظرها وعلمها بمحل الطمأنينة ثم انجذابها الى محلها الذي كانت فيه أمارة بالسوء واذا قامت في محلها لا يغشاها نور العلم والمعرفة فهي على ظلمتها أمارة بالسوء وقد تقدم شئ من ذلك في كتاب عجائب القلب ولنتكلم على الآية المذكورة قال البيضاوي ظالم لنفسه أي بالتقصير في العمل به وقوله مقتصد أي يعمل به في أغلب الاوقات والسابق هو الذي يضم التعليم والارشاد الى العمل ومثل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيآته مكفرة وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم أما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان انتهى قلت وهذه الاقوال كلها مسندة والحديث المذكور رواه الفريابي وأحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي عن أبي الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فاما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فاولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته فهم الذين يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الى لغوب قال البيهقي اذا كثرت الروايات في حديث ظهران للحديث أصلا وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن عباس في قوله ثم أورثنا الكتاب الآية قال هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورثهم كل كتاب أنزل فظالمهم مغفور له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب وأخرج الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة كلهم في الجنة وأخرج الطيالسي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني في الاوسط والحاكم وابن مردويه عن عقبة بن صهبان قال قلت لعائشة أرأيت قول الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الآية قالت أما السابق فقد مضى في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد له بالجنة وأما المقتصد فمن اتبع أمرهم فعمل بمثل أعمالهم حتى يلحق بهم وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك ومن اتبعنا وكل في الجنة وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود وقال هذه الامة ثلاثة أثلاث ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يحبسون بذنوب عظام الا انهم لم يشركوا بالله فيقول الرب ادخلوا هؤلاء في سعة رحمتي ثم قرأ هذه الآية وأخرج العقيلي وابن لال وابن مردويه والبيهقي من حديث عمر سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ثم قرأ عمر هذه الآية وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة عن عثمان انه نزع بهذه الآية قال ان سابقنا أهل جهادنا الا وان مقتصدنا ناج أهل حضرنا الا وان ظالمنا أهل بدونا وأخرج ابن مردويه

والديلمي من حديث حذيفة يبعث الله الناس على ثلاثة أصناف وذلك في قول الله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فالسابق بالخيرات يدخل الجنة بلا حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا والظالم لنفسه يدخل الجنة برحمته وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن الحنفية قال أعطيت هذه الامة ثلاثا لم تعطها أمة كانت قبلها منهم ظالم لنفسه مغفور له ومنهم مقتصد في الجنان ومنهم بالمكان الاعلى وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد فمنهم ظالم لنفسه قال هم أصحاب المشأمة ومنهم مقتصد هم أصحاب اليمين ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هم السابقون من الناس كلهم وفي تفسير الكواشي وعن علي رضي الله عنه قال الظالم أنا والمقتصد أنا والسابق أنا فقيل له وكيف ذلك قال أنا ظالم بمعصيتي ومقتصد بتوبتي وسابق بمحبتي وفي الآية وجوه من الاشارات قال الجنيد لما ذكر الخيرات دل على ان الخلق فيه عام وخاص وان الميراث لمن هو أصلح قربا وأصلح نسبا فتصحيح النسبة هو الاصل في رتبة القربة فالظالم الذي أحبه لنفسه والمقتصد الذي أحبه له والسابق الذي أسقط مراده لمراد الحق فيه فلا يرى لنفسه طلبا ولا فردا لغلبة سلطان الحق عليه وقال النصراباذي صحح النسب وخذ الميراث ولا يأخذ ميراث الحق الا من نسبه بالحق والى الحق دون الاسباب والوسائط وقال جعفر الصادق بدأ بالظالمين اخبارا بانه لا يتقرب اليه الا بمحض كرمه وأن الظلم يؤثر في الاصطفائية ثم بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لانه لا يأمن أحد مكره ومنهم في الجنة بحرمة كلمة الاخلاص في الشهادة وقال غيره بدأ بالميراث بذوي الفروض ثم ما يبقى فللعصبة وان كان صاحب الفرض أضعف استحقاقا كذلك قال الله تعالى فمنهم ظالم لنفسه فقدمه على المقتصد والسابق وتكلموا في الظالم فمنهم من قال هو الافضل وأراد به من ظلم نفسه بكثرة ما حملها من الطاعة والاكثرون على ان السابق هو الافضل وقالوا التقديم في الذكر لا يقتضي التقديم في الرتبة يعني فهو من باب التدلي لا من طريق الترقي ويقال قرن باسم الظالم قرينة وهو قوله لنفسه وقرن باسم السابق قرينة وهو قوله باذن الله فالظالم كان له زلة والسابق كان له صولة فالظالم رفع زلته بقوله لنفسه والسابق كسر صولته بقوله باذن الله ويقال الظالم من زهد في دنياه والمقتصد من رغب في عقباه والسابق من آثر على الدارين مولاه ويقال الظالم من نجم كوكب عقله والمقتصد من عظم بدر علمه والسابق من أشرقت شمس معرفته ويقال الظالم من ترك الزلة والمقتصد من ترك الغفلة والسابق من ترك العلاقة ويقال الظالم من جاد بنفسه والمقتصد من لم يبخل بقلبه والسابق من جاد بروحه ويقال الظالم من له علم اليقين والمقتصد من له عين اليقين والسابق من له حق اليقين ويقال الظالم بترك المحرمات والمقتصد بترك الشبهات والسابق بترك الزيادات ويقال الظالم طالب النجاة والمقتصد طالب الدرجات والسابق طالب المناجاة وفي الآية وجوه كثيرة غير ماذكرتها

(فصل) في حال من عجز عن التوبة قال

(بيان ما ينبغي أن يبادر اليه التائب ان جرى عليه ذنب اما عن قصد وشهوة غالبة أو عن المام بحكم الاتفاق) (اعلم) وفقك الله تعالى (ان) من وقع منه ذنب أو ذنوب فات (الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده كما ذكرنا طريقه) آنفا (فان) عجز (ولم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة) بل قهرته نفسه وشهوته (فقد عجز عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الواجب الثاني) ولا يعجز عنه (وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة) أي يدفعها بها (لتمحوها) وتزيلها (فيكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيأ) وهو حال المقتصدين (فالحسنات المكفرة) وفي نسخة المكفرات (للسيآت اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق بأسبابها فاما بالقلب فليكفره بالتضرع الى الله تعالى) والابتهال اليه (في سؤال المغفرة والعفو) عن باطن قلبه دون حركة اللسان فقط

(بيان ما ينبغي أن يبادر اليه التائب ان جرى عليه ذنب اما عن قصد وشهوة غالبة أو عن المام بحكم الاتفاق)
اعلم أن الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضادها كما ذكرنا طريقه فان لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الواجب الثاني وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فالحسنات المكفرة للسيئات اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق بأسبابها * فأما بالقلب فليكفره بالتضرع الى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو

ويتذلل) في نفسه (تذلل العبد الآبق) عن مولاه (ويكون ذلك بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم) فيرى الناس كلهم خيرا منه (فالعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على العباد) والكبر والمعصية لا يجتمعان في قلب مؤمن (وكذلك يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين كلهم والعزم على الطاعات) الى آخر العمر (وأما باللسان فبالاعتراف بالظلم) أي يعترف بظلمه (لنفسه فقد جاء في تفسير قوله تعالى خلطوا عملا صالحا قيل الاعتراف بالذنوب والاستغفار) فقد ورد فضله في الكتاب والسنة (فيقول) ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو قوله (رب ظلمت نفسي وعملت سوأ فاغفر لي ذنوبي) روى الديلمي من حديث ابن عباس من قال لا اله الا أنت عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر أو يقول رب اغفر لي وتب على انك أنت التوّاب الرحيم رواه أبوداود والترمذي والنسائي وابن حبان من حديث ابن عمر قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة فذكره وقال الترمذي حسن صحيح غريب وهذا لفظ أبي داود وعند الثلاثة التوّاب الغفور وفي رواية للنسائي اللهم اغفر لي وارحمني وتب على انك أنت التوّاب الغفور (وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار) كسيد الاستغفار المروى عن شداد بن أوس اللهم أنت ربي لا اله الا انت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت رواه البخاري والترمذي والنسائي (كما أوردناه في كتاب الدعوات والاذكار وأما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات) والاستكثار منها فاعله بذلك تزيد حسناته على سيئاته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (وفي الآثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية أعمال كان العفو عنه مرجوّا) ولفظ القوت ومن أحسن ما يتعقب الذنب من الاعمال بعد التوبة وحل الاصرار مما يرجى به كفارة الخطيئة ثمانية أعمال (أربعة من أعمال القلوب وهي) اعتقاد (التوبة) منه (والعزم على التوبة) فان العبد اذا عزم عليها فكأنه اعتقدها ولم يذكر صاحب القوت هذه الزيادة (وحب الاقلاع عن الذنب وتخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له) ثم يحتسب على الله تعالى بحسن ظنه وصدق يقينه كفارة ذنبه فهذه الاربعة من أعمال القلوب (وأربعة من أعمال الجوارح وهي ان يصلي) العبد (عقب الذنب ركعتين) وذلك بعد ان يتوضأ وان اغتسل كان أكمل وان أمكنه ان يغسل الثياب التي عصى الله فيها كان أكمل فان طهارة الظاهر عنوان طهارة الباطن واذا كانت الصلاة في موضع خال عن اشتغال وعن توهم الرياء والسمعة في بال كان أكمل ويشترط ان يضع جبينه على الارض لله والتراب لزيادة الخشوع عند الله وللتذكر الى أصله ومرجعه (ثم يستغفر الله بعدهما) مع البكاء ان أمكن والا فبالتباكي وقلب حزين على ما سبق له من المعصية ويجعلها نصب عينيه (سبعين مرة) روى الديلمي من حديث أبي هريرة من استغفر الله سبعين مرة في دبر كل صلاة غفر له ما كتب من الاثم الحديث وروى الحسن بن سفيان من حديث أنس من استغفر سبعين مرة غفر له سبعمائة ذنب الحديث وروى ابن السني في عمل اليوم والليلة من حديث عائشة من استغفر الله في كل يوم سبعين مرة لم يكتب من الكذابين الحديث (ويقول سبحان الله العظيم وبحمده) ولو (مائة مرة) فان زاد أو نقص فهو بالخيار ان زاد في الاستغفار حتى صار مائة مرة فهو أفضل وأكمل وكذلك ينبغي أن يكون مع التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير مائة لتجتمع الباقيات الصالحات بل ويضم اليها لاحول ولاقوّة الا بالله كذلك ثم يرفع يديه ويحمد الله تعالى ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ويدعو لنفسه ولوالديه ولجميع المسلمين روى ابن أبي شيبة وأحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وروى البيهقي من حديث ابن عمر من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة كتب الله له ألف حسنة ومن زاد زاده الله وروى أحمد ومسلم وأبوداود

ويتذلل تذلل العبد الآبق ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فالعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على سائر العباد وكذلك يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات * وأما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سوأ فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار كما أوردناه في كتاب الدعوات والاذكار * وأما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات وفي الآثار ما يدل على أن الذنب اذا أتبع بثمانية أعمال كان العفو عنه مرجوّا أربعة من أعمال القلوب وهي التوبة أو العزم على التوبة وحب الاقلاع عن الذنب وتخوّف العقاب عليه ورجاء المغفرة له وأربعة من أعمال الجوارح وهو أن تصلي عقيب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله تعالى بعدهما سبعين مرة وتقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة

والترمذي وابن حبان من قال حين يصبح و يمسي سبحان الله العظيم و بحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا أحدا قال مثل ذلك أو زاد عليه (ثم يتصدق بصدقة) سرا أو علانية ليلا أو نهارا ليدخل في قوله تعالى الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم (ثم يصوم يوما) فانه من جملة الحسنات المكفرات للسيآت فهذه الاعمال قد وردت بها الآثار انها مكفرة للزلل والعثار (وفي بعض الآثار) انه يشترط ان يتوضأ و(يسبغ الوضوء) واسباغه با كمال شروطه وأركانه وواجباته (ويدخل المسجد ويصلي ركعتين) فان المسجد أفضل الاماكن وأشرفها و يشهد له بما عمل فيه قال العراقي في هذه الآثار ان من مكفرات الذنب ان يسبغ الوضوء ويدخل المسجد و يصلي ركعتين رواه أصحاب السنن من حديث أبي بكر الصديق ما عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له هذا لفظ أبي داود وهو في الكبرى للنسائي مرفوعا وموقوفا فلعل المصنف عبر بالآثار لارادة الوقف فذكرته احتياطا والا فالآثار ليست من شرط كتابي انتهى قلت وقد روى الطبراني في الاوسط من حديث أبي الدرداء ما من عبد يذنب ذنبا فيتوضأ ثم يصلي ركعتين أو أربعا مفروضة وغير مفروضة ثم يستغفر الله الا غفر الله له وحديث أبي بكر رواه كذلك الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد والحميدي والعدني وعبد بن حميد وابن منيع وابن السني في عمل يوم وليلة وابن حبان والبزار وأبو يعلى والدارقطني في الافراد والبيهقي والضياء كلهم من رواية علي عن أبي بكر ولفظهم جميعا ما من عبد يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب الا غفر الله له (وفي بعض الاخبار يصلي أربع ركعات) قال العراقي رواه ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس قال كان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يهوى امرأة الحديث وفيه فلما رآها جلس منها مجلس الرجل من أهله وحرك ذكره فاذا هو مثل الهدبة فقام نادما فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صل أربع ركعات فانزل الله تعالى أقم الصلاة طرفي النهار الآية واسناده جيد انتهى قلت ورواه كذلك البزار ولفظهم جميعا ان رجلا كان يهوى امرأة فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فاذن له فانطلق في يوم مطير فاذا هو بالمرأة على غدير ماء تغتسل فلما جلس منها مجلس الرجل من المرأة ذهب يحرك ذكره فاذا هو كأنه هدبة فندم فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صل أربع ركعات فانزل الله أقم الصلاة طرفي النهار الآية وروى عبد الرزاق وابن جرير عن يحيى بن جعدة ان رجلا أقبل يريد ان يبشر النبي صلى الله عليه وسلم بالمطر فوجد امرأة جالسة على غدير فدفع في صدرها وجلس بين رجليها فصار ذكره مثل الهدبة فقام نادما حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما صنع فقال له استغفر الله ربك وصل أربع ركعات وتلا عليه أقم الصلاة طرفي النهار الآية (وفي الخبر اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من حديث معاذ فيه رجل لم يسم ورواه الطبراني من رواية عطاء بن يسار عن معاذ بلفظ وما عملت من سوء فاحدث لله فيه توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية الحديث انتهى قلت ورواه ابن النجار من حديثه اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية ورواه أحمد في الزهد عن عطاء بن يسار مرسلا اذا عملت سيئة فاحدث عندها توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى أحمد من حديث أبي ذر اذا عملت سيئة فاتبعها بحسنة تمحها قيل يا رسول الله أمن الحسنات لا اله الا الله قال هي أفضل الحسنات (ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار) ولفظ القوت ويقال صدقة الليل تكفر ذنوب النهار وصدقة السر تكفر ذنوب الليل (وفي الخبر الصحيح ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني عالجت امرأة فاصبت منها كل شيء الا المسيس) يعني الوقاع (فاقض علي بحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أوما صليت معنا صلاة الغداة

ثم تتصدق بصدقة ثم تصوم يوما وفي بعض الآثار تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصلي ركعتين وفي بعض الاخبار تصلي أربع ركعات وفي الخبر اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار وفي الخبر الصحيح ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني عالجت امرأة فأصبت منها كل شيء الا المسيس فاقض علي بحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أوما صليت معنا صلاة الغداة

قال بلى قال فان الحسنات يذهبن السيآت) قال العراقى متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله أو ما صليت معنا صلاة الغداة ورواه من حديث أنس وفيه هل حضرت معنا الصلاة قال نعم ومن حديث أبي امامة وفيه هل شهدت الصلاة معنا قال نعم الحديث اهـ قلت لفظ المتفق عليه من حديث ابن مسعود ان رجلا أصاب من امرأة قبلة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له كأنه يسأل عن كفارتها فانزلت عليه وأقم الصلاة طرفى النهار الآية فقال الرجل يارسول الله ألى هذه قال هى لمن عمل بها من أمتى وقد رواه كذلك أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن حبان وروى ابن حبان وحده بلفظ قال رجل يارسول الله انى رأيت امرأة فى البستان فضممتها الى وقبلتها وباشرتها وفعلت بها كل شئ الا أنى لم أجامعها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله أقم الصلاة الآية فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه فقال عمر يارسول الله أله خاصة فقال للناس كافة ورواه عبد الرزاق وأحمد ومسلم والثلاثة وهناد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبرانى وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى فى الشعب بلفظ جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى وجدت امرأة فى بستان ففعلت بها كل شئ غير أنى لم أجامعها قبلتها ولزقتها ولم أفعل غير ذلك فافعل بى ما شئت فلم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فذهب الرجل فقال عمر لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه فأتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فقال ردوه على فردوه فقرأ وأقم الصلاة الآية فقال معاذ بن جبل يارسول الله أله وحده أم للناس كافة وأما حديث أنس فى المتفق عليه فلفظه كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يارسول الله انى أصبت حدا فأقمه على فلم يسأله عنه وحضرت الصلاة فصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فلما قضى الصلاة قام الرجل فقال يارسول الله انى أصبت حدا فى كتاب الله قال أليس قد صليت معنا قال نعم قال فان الله قد غفر ذنبك ورواه كذلك أحمد وقد روى مثل ذلك من حديث واثلة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول انى أصبت حدا فاقمه على الحديث وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل توضأت حين أقبلت قال نعم قال صليت معنا قال نعم قال فاذهب فان الله قد غفر لك رواه ابن حبان وأما حديث أبي امامة فرواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى وابن خزيمة وابن جرير والطبرانى وابن مردويه ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أقم فى حد الله مرة أو مرتين فاعرض عنه ثم أقيمت الصلاة قال أين الرجل قال أنا ذا قال أتممت الوضوء وصليت معنا آنفا قال نعم قال فانك من خطيئتك كما ولدتك أمك فلا تعد وأنزل الله حينئذ على رسوله أقم الصلاة الآية وقد روى مثل هذه القصة من حديث بريدة ورواية عطاء بن أبي رباح وابراهيم النخعى ويزيد بن رومان وغيرهم (وهذا يدل على ان ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة لذلك بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس كفارات لما بينهن الا الكبائر) تقدم قريبا (فعلى الاحوال كلها ينبغى ان يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيآته) فردا فردا ويلوم النفس ويوبخها (ويجتهد فى دفعها بالحسنات) على الطريق المتقدم ذكره (فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار وفى الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله) قال العراقى رواه ابن أبي الدنيا فى التوبة ومن طريقه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بلفظ كالمستهزئ بربه وسنده ضعيف اهـ قلت لفظ ابن أبي الدنيا التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه ومن آذى مسلما كان عليه من الذنب مثل كذا وكذا وفى سنده من لا يعرف وروى مرفوعا قال المنذرى ولعله أشبه بل هو الراجح وقد رواه البيهقى وابن عساكر من هذا الطريق (وكان بعضهم يقول أستغفر الله من قولى أستغفر الله) أى من غير توبة وندم بالقلب نقله صاحب القوت (وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين) نقله صاحب القوت وفى الرسالة قال ذو النون الاستغفار من غير اقلاع توبة الكذابين قال وقال بعضهم توبة الكذابين على طرف لسانهم

قال بلى فقال صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيآت وهذا يدل على أن ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس كفارات لما بينهن الا الكبائر فعلى الاحوال كلها ينبغى أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيآته ويجتهد فى دفعها بالحسنات فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار وفى الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله وكان بعضهم يقول أستغفر الله من قولى أستغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين

وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فاعلم انه قد ورد فى فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر ذكرناها فى كتاب الاذكار والدعوات حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فكان بعض الصحابة يقول كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقى الاستغفار معنا فان ذهب هلكنا فنقول الاستغفار الذى هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة أستغفر الله وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير أن يتأثر به قلبه وهذا يرجع الى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فأما اذا انضاف اليه تضرع القلب الى الله تعالى وابتهاله فى سؤال المغفرة عن صدق ارادة وخلوص نية ورغبة فهذه حسنة فى نفسها فتصلح لان تدفع بها السيئة وعلى هذا تحمل الاخبار الواردة فى فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وللتوبة والاستغفار درجات وأوائلها لا تخلو عن الفائدة وان لم تنته الى أواخرها ولذلك قال سهل لابد للعبد فى كل حال من مولاه فاحسن أحواله أن يرجع اليه فى كل شئ فان عصى قال يارب استر على فاذا فرغ من المعصية قال يارب تب على فاذا تاب قال يارب ارزقنى العصمة

يعنى قول أستغفر الله (وقالت رابعة) بنت اسمعيل (العدوية) البصرية رحمها الله تعالى (استغفارنا هذا يحتاج الى استغفار) وتوبتنا تحتاج الى توبة أى فى صحتها واخلاصها من النظر اليها والسكون والادلال بها نقله صاحب القوت (فاعلم انه قد ورد فى فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر) والاستقصاء (ذكرناها فى كتاب الاذكار والدعوات حتى) انه قد (قرن الله تعالى الاستغفار) للعباد (ببقاء الرسول) فيهم ودفع العذاب عنهم بوجوده فضلا منه ونعمة (فقال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) نقله صاحب القوت (فكان بعض الصحابة) ولفظ القوت وقد كان بعض السلف (يقول كان لنا أمانان ذهب أحدهما) ولفظ القوت فذهب أحدهما وبقى الآخر (وهو كون الرسول فينا و) الذى (بقى الاستغفار فان ذهب هلكنا) قال العراقى رواه أحمد من قول أبى موسى الاشعرى ورفعه الترمذى من حديثه أنزل الله على أمانين الحديث وضعفه ورواه ابن مردويه فى التفسير من قول ابن عباس اهـ قلت لفظ الترمذى انزل الله تعالى على أمانين لامتى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة وأما الموقوف من قول أبى موسى فقد أخرجه أيضا ابن جرير وأبو الشيخ والطبرانى وابن مردويه والحاكم وابن عساكر عنه قال انه قد مضى لسبيله وأما الاستغفار فهو كائن فيكم الى يوم القيامة وأما قول ابن عباس بلفظ ابن مردويه ان الله جعل فى هذه الامة أمانين لا يزلون معصومين من قوارع العذاب ماداما بين أظهرهم فامان قبضه الله اليه وأمان بقى فيكم وما كان الله ليعذبهم الآية وهكذا رواه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ ورواه البيهقى فى الشعب بلفظ كان فى هذه الامة أمانان يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى أمان يعنى الاستغفار وروى أيضا فى السنن مثله وقد روى نحو ذلك من قول أبى هريرة بلفظ كان فيهم أمانان مضى أحدهما وبقى الآخر قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم الآية وروى الديلمى من حديث عثمان بن أبى العاص رفعه فى الارض أمانان أنا أمان والاستغفار أمان وأنا مذهوب بى وبقى أمان الاستغفار فعليكم بالاستغفار عند كل حدث وذنب وروى صاحب نهج البلاغة من طريق أهل البيت عن على رضى الله عنه أنه قال كان فى الارض أمانان من عذاب الله سبحانه فرفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به أما الامان الذى رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الامان الباقى فالاستغفار قال الله عز وجل وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (فنقول الاستغفار الذى هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة أستغفر الله فيجرى) على لسانه من غير أن يتعقل معناه أو يعمل بموجبه (وكما يقول اذا سمع صفة النار) وأحوال المعذبين فيها (نعوذ بالله منها) أو ما يشبهه (من غير أن يتأثر به قلبه وهذا يرجع الى مجرد حركة اللسان) فى الظاهر (ولا جدوى له فاما اذا انضاف اليه تضرع القلب الى الله تعالى وابتهاله فى سؤاله المغفرة) منه (عن صدق ارادة) وحضور طوية (وخلوص رغبة فهذه حسنة فى نفسها فتصلح لان تدفع بها السيئة) وتمحى بها (وعلى هذا تحمل الاخبار الواردة فى فضل الاستغفار) مما تقدم ذكرها فى كتاب الاذكار والدعوات (حتى قال صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة) رواه أبو داود والترمذى وضعفه وأبو يعلى والبيهقى وابن السنى فى عمل يوم وليلة والدارقطنى فى الافراد من حديث أبى بكر وقد تقدم فى الدعوات (وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب) مع اللسان لا بمجرد حركة اللسان (وللتوبة والاستغفار درجات وأوائلها لا تخلو عن الفائدة وان لم تنته الى أواخرها وكذلك قال) أبو محمد (سهل) بن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى (لابد للعبد فى كل حال من مولاه فاحسن أحواله أن يرجع اليه فى كل شئ فان عصى يقول يارب استر على فاذا فرغ من المعصية قال يارب تب على فاذا تاب قال يارب ارزقنى العصمة

وإذا عمل قال يارب تقبل مني وسئل أيضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة أعمال الجوارح والانابة أعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه بان يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم الفكر ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر (٦٠٦) هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل أيضا عن قوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله فقال انما يكون حبيبا اذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى التائبون العابدون الآية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه والمقصود أن للتوبة ثمرتين احداهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير أيضا درجات فبعضه محو لأصل الذنب بالكلية وبعضه تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وان خلا عن حل عقدة الاصرار من أوائل الدرجات فليس يخلو عن الفائدة أصلا فلا ينبغي أن تظن أن وجودها كعدمها بل عرف أهل المشاهدة وأرباب القلوب معرفة لا ريب فيها ان قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره صدق وانه لا تخلو ذرة من الخير عن أثر كما لا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن أثر ولو خلت الشعيرة الاولى عن أثر لكانت الثانية مثلها ولكان اصلا لا يرجح الميزان بأحمال الذرات وذلك بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يرجح بذرات الخير الى أن يثقل فترفع كفة السيئات فاياك أن تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصي فلا تنفيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد وتقول أي غناء يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب ولا تدري المعتوهة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذا التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله

(وإذا عمل قال يارب تقبل مني) نقله صاحب القوت (وسئل) سهل (أيضا) رحمه الله تعالى (عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة والاستجابة أعمال الجوارح والانابة أعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه بان يترك الخلق) ولفظ القوت وترك الخلق (ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم ينتقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم الفكر ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده) والتفويض مراده (والتوكل صاحبه ثم ينظر الله تعالى اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش) هكذا نقله صاحب القوت وفي الرسالة للقشيري وقال ابن عطاء التوبة توبة الانابة وتوبة الاستجابة فتوبة الانابة أن يتوب اليه خوفا من عقوبته وتوبة الاستجابة أن يتوب حياء من كرمه (وسئل) سهل رحمه الله تعالى (أيضا عن قوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله) كما تقدم في أول هذا الكتاب متى يكون التائب حبيب الله (قال انما يكون حبيبا اذا كان فيه جميع ما ذكره الله في قوله التائبون العابدون الحامدون الآية كلها) تمامها السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين فالعابدون هم المخلصون في عبادة الله والحامدون على نعمة الاسلام والسائحون هم الصائمون والراكعون الساجدون أي المحافظون على الصلوات والحافظون لحدود الله أي أوامره ونواهيه أو معالم الشرع (وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه) ولفظ القوت ثم قال الحبيب لا يدخل الا في شئ يحبه الحبيب (والمقصود ان للتوبة ثمرتين احداهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له) واليه الاشارة في الخبر التائب من الذنب كمن لا ذنب له (والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا) واليه الاشارة في الخبر التائب حبيب الله (وللتكفير أيضا درجات فبعضه محو لأصل الذنب بالكلية وبعضه تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وان خلا عن حل عقدة الاصرار في أوائل الدرجات فليس يخلو عن الفائدة أصلا فلا ينبغي ان تظن ان وجودها كعدمها بل عرف أهل المشاهدة) بجانب عالم الملكوت (وأرباب القلوب) والبصائر (معرفة لا ريب فيها) ولا تردد (ان قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) حق و (صدق وانه لا تخلو ذرات من الخير عن أثر كما لا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن أثر ولو خلت الشعيرة الاولى عن أثر لكانت الثانية مثلها ولكان لا يرجح الميزان باحمال الذرات وذلك بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يرجح بذرات الخيرات) اذا جمعت الى بعضها (الى أن يثقل فتشيل كفة السيئات فاياك أن تستصغر ذرات الطاعات) وتستحقرها (فلا تأتيها) تستصغر ذرات (المعاصي فلا تنفيها فتكون كالمرأة الخرقاء) وهي التي اذا عملت في شئ لم ترفق فيه (تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد وتقول أي غنى يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب) أي ما قدره (ولا تدري المعتوهة ان ثياب الدنيا كلها انما اجتمعت خيطا خيطا وان أجسام العالم مع اتساع أقطاره) انما (اجتمعت ذرة ذرة فاذا التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله

أصــلا بل أقول الاستغفار باللسان أيضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان فى تلك الساعة بغيبة مسلم أو فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه وانما يكون نقصا بالاضافة الى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه أبى عثمان المغربى ان لسانى فى بعض الاحوال يجرى بالذكر والقرآن وقلبى غافل فقال اشكر الله اذ استعمل جارحة من جوارحك فى الخير وعوده الذكر ولم يستعمله فى الشر ولم يعوده الفضول وماذكره حق فان تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصى فمن تعود لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه الى ما تعود فقال أستغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه الى قول ما أحمقك وما أقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة اذا حدث بظهور مبادى الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان نعوذ بالله واذا تعود الفضول قال لعنه الله فيعصى فى احدى الكلمتين ويسلم فى الاخرى وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معانى قوله تعالى ان الله لا يضيع أجر المحسنين ومعانى قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فانظر كيف ضاعفها اذ جعل الاستغفار فى الغفلة عادة اللسان حتى دفع بتلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول هذا تضعيف فى الدنيا الادنى الطاعات وتضعيف الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون فاياك وأن تلمح فى الطاعات مجرد الآفات فتفتر رغبتك عن العبادات فان هذه مكيدة روجها الشيطان بلعنته على المغرورين وخيل اليهم انهم أرباب البصائر وأهل التفطن للخفايا والسرائر فاى خير فى ذكرنا باللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق فى هذه المكيدة الى ثلاثة أقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات * أما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هى كلمة حق أردت بها باطلا فلا جرم أعذبك مرتين وأرغم أنفك من وجهين فاضيف الى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذى داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه * وأما الظالم المغرور فاستشعر فى نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فاسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاركة والموافقة كما قيل

وافق شن طبقه * وافقه فاعتنقه

أصلا) بل هى محسوبة له فى ميزان الحسنات (بل أقول) ان (الاستغفار باللسان أيضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة) من حضور القلب (خير من حركة اللسان فى تلك الساعة بغيبة مسلم أو فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه وانما يكون نقصا بالاضافة الى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه أبى عثمان) سعيد بن سلام (المغربى) قال القشيرى فى الرسالة واحد عصره لم يوصف مثله قبله صحب ابن الكاتب وأبا عمرو والزجاجى ولقى النهرجورى وابن الصائغ وغيرهم مات بنيسابور سنة ٣٧٣ وأوصى أن يصلى عليه الامام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى (ان لسانى فى بعض الاحوال) وفى نسخة الاوقات (يجرى بالذكر والقرآن وقلبى غافل فقال اشكر الله) تعالى (اذ استعمل جارحة من جوارحك فى الخير وعوده الذكر ولم يستعمله فى الشر ولم يعوده الفضول وماذكره حق) لا مرية فيه (فان تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع) اللازم (يدفع جملة من المعاصى فمن تعود لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه الى ما تعوده فقال أستغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه الى أن يقول ما أحمقك وما أقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة اذا حدث) أى أخبر (بظهور مبادى الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان نعوذ بالله) أو عياذا بالله أو العياذ بالله (واذا تعود الفضول قال لعنه الله) أو قبحه الله أو قاتله الله (فيعصى فى احدى الكلمتين ويسلم فى الاخرى وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معانى قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فانظر كيف ضاعفها اذ جعل الاستغفار فى الغفلة عادة اللسان حتى دفع بتلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول هذا تضعيف فى الدنيا الادنى الطاعات وتضعيف الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) قال تعالى وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا (فاياك وان تلمح فى الطاعات مجرد الآفات فتفتر رغبتك) أى تضعف (فى العبادات فان هذه مكيدة روجها) أى زينها الشيطان (بلعنته) أى طرده عن حضرة القرب (على المغرورين) والحمقى (وخيل اليهم) بان ألقى فى أذهانهم (انهم أرباب البصائر وأهل التفطن للخفايا والسرائر فاى خير فى ذكرنا باللسان مع غفلة القلب) وقد تمكن فيهم هذه الوسوسة (فانقسم الخلق فى هذه المكيدة الى ثلاثة أقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات أما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هى كلمة حق أردت بها باطلا) وهو تفويته عن الخير (فلا جرم أعذبك مرتين وارغم أنفك) أى الصقها بالرغام وهو التراب (من وجهين فاضيف الى حركة اللسان حركة القلب) فيتوافقان (فكان كالذى داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه) بل كان كمن أراد أن يصطاد فاصطيد (وأما الظالم المغرور فاستشعر لنفسه خيلاء الفطنة) وعجب الادراك (لهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعديد اللسان بالذكر فاسعف الشيطان) بمراده (وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاركة) وفى نسخة المشاكلة (والموافقة فكان (كما قيل) فى المثل (وافق شن طبقه وافقه فاعتنقه) الشن بالفتح وعاء من ادم يوضع فيه الماء وغيره وطبقه غطاؤه أى وافق الشن غطاؤه هكذا فسره الزمخشرى فى الاساس وقال الكلبى قولهم أوفق من طبق

* وأما المقتصد فلم يقدر على ارغامه باشراك القلب فى العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالاضافة الى القلب ولكن اهتدى الى كماله بالاضافة الى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان فى اعتياد الخير فكان السابق كالحائك الذى ذمت حياكته فتركها وأصبح كاتبا والظالم المتخلف كالذى ترك الحياكة أصلا وأصبح كناسا والمقتصد كالذى عجز عن الكتابة فقال لا أنكر مذمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالاضافة الى الكاتب لا بالاضافة الى الكناس فاذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياكة ولذلك قالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فلا تظن انها تذم حركة اللسان من حيث انه ذكر الله بل تذم غفلة القلب فهو محتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فان سكت عن الاستغفار باللسان أيضا احتاج الى استغفارين لا الى استغفار واحد فهكذا ينبغى أن تفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد والا جهلت معنى ما قال القائل الصادق حسنات الابرار سيآت المقربين فان هذه أمور تثبت بالاضافة فلا ينبغى أن تؤخذ من غير اضافة بل ينبغى أن لا تستحقر ذرات الطاعات والمعاصى ولذلك قال جعفر الصادق ان الله تعالى خبأ ثلاثا فى ثلاث رضاه فى طاعته فلا تحقروا منها شيأ فلعل رضاه فيه وغضبه فى معاصيه فلا تحقروا منها شيأ فلعل غضبه فيه وخبأ ولايته فى عباده فلا تحقروا منهم أحدا فلعله ولى الله تعالى وزاد وخبأ اجابته فى دعائه فلا تتركوا الدعاء فربما كانت الاجابة فيه *(الركن الرابع فى دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الاصرار)* اعلم أن الناس قسمان * شاب لا صبوة له نشأ على الخير واجتناب الشر وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجب ربك من شاب ليست له صبوة عز

لشن طبق قبيلة من اياد وشن من ربيعة فاوقعت طبقة بشن فانتصفت منها فقالوا وافق شن طبقه وأنشد فى ذلك

لقيت شنا أياد بالغنى * ولقد وافق شنا طبقه

(وأما المقتصد فلم يقدر على ارغامه باشراك القلب فى العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالاضافة الى القلب ولكن اهتدى بالاضافة الى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان فى اعتياد الخير فكان السابق كالحائك الذى ذمت حياكته فتركها وأصبح كاتبا والظالم لنفسه المتخلف كالذى ترك الحياكة أصلا وأصبح كناسا) يكنس الزبالات (والمقتصد كالذى عجز عن الكتابة فقال لا أنكر مذمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالاضافة الى الكاتب لا بالاضافة الى الكناس فاذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياكة ولذلك قالت رابعة العدوية) رحمها الله تعالى (استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير) نظرا الى ذلك (فلا تظن انها تذم حركة اللسان من حيث انه ذكر الله) تعالى (بل) هى (تذم غفلة القلب فهو محتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فان سكت عن الاستغفار باللسان أيضا احتاج الى استغفارين لا الى استغفار واحد فهكذا ينبغى أن تفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد والا جهلت معنى ما قال القائل الصادق حسنات الابرار سيآت المقربين) وهو من كلام أبى سعيد الخراز كما قاله ابن عساكر فى ترجمته وقد تقدم (فان هذه أمور تثبت بالاضافة فلا ينبغى أن تؤخذ من غير اضافة بل ينبغى أن لا تستحقر ذرات الطاعات والمعاصى ولذلك قال) أبو عبد الله (جعفر الصادق) رحمه الله تعالى (ان الله خبأ ثلاثا فى ثلاث) خبأ (رضاه فى طاعته فلا تحقروا منها) أى من الطاعات (شيأ فلعل رضاه فيه و) خبأ (غضبه فى معاصيه فلا تحقروا منها شيأ فلعل غضبه فيه و) خبأ (ولايته) وفى نسخة وليه (فى عباده فلا تحقروا منهم أحدا) وفى نسخة فلا تحقروا من عباد الله أحدا (فلعله ولى الله) وزاد رابعا فقال (و) خبأ (اجابته فى دعائه بأسمائه فلا تتركوا شيأ منها) وفى نسخة فلا تتركوا الدعاء (فربما كانت الاجابة فيه) وبه تم الركن الثالث *(الركن الرابع فى)* بيان السبب الباعث على (دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الاصرار اعلم) أرشدك الله (ان الناس قسمان) الاول (شاب لا صبوة له) وهو الميل الى هوى النفس بمقتضى السن (نشأ) من صغره (على الخير واجتناب الشر و) هذا (هو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجب ربك من شاب ليست له صبوة) والعجب كون الشئ خارجا عن نظائره من جنسه حتى يكون نظره فى صفة ويكون استعظام الشئ واستكباره لخروجه عن العادة وبعده وذلك مما ينزه عن مثله البارى تعالى فيؤول بمعنى يعظم قدره عنده فيجيز له أجره وانما عبر بذلك تقريبا للافهام العرب قال العراقى رواه أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة اه قلت وكذلك رواه أبو يعلى وتمام فى فوائده والقضاعى فى مسند الشهاب كلهم من طريق ابن لهيعة حدثنا أبو عشانة عن عقبة بن عامر مرفوعا بلفظ ان الله ليعجب من الشاب ليست له صبوة وسنده حسن وضعفه الحافظ ابن حجر فى فتاويه لاجل ابن لهيعة وأما سياق المصنف فوجدته فى تاريخ مصر لابن الربيع الجيزى قال حدثنى أبى حدثنا أبو الاسود نصر بن عبد الجبار وأسد بن موسى ح وحدثنا عبد الله بن نعمة حدثنى محمد بن قدامة ويحيى بن عبد الله بن بكير وعمر بن خالد قالوا وهم خمسة حدثنا وعند بعضهم أخبرنا عن ابن لهيعة عن أبى عشانة وعند بعضهم حدثنا أبو عشانة قال سمعت عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكره وعند بعضهم يعجب ربك تعالى وعند بعضهم

وهــذاعز يزنادر *والقسم الثانى هوالذى لايخلوعن مقارفة الذنوب ثم هــم ينقسمون الى مصرين والى تائبين وغرضنا أن نبين العلاج فى حل عقــدة الاصرار ونذكر الدواء فيه فاعلم أن شفاء التوبة لايحصل الا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء اذ لا معنى للدواء الا مناقضــة أسـباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وابطاله ولا يبطل الشئ الا بضده ولا سبب للاصرار الا الغفلة والشــهوة ولا يضاد الغفلة الا العلم ولا يضاد الشهوة الا الصبر على قطع الاسباب المحركة للشهوة والغفلة رأس الخطايا قال تعالى وأولئـك هــم الغافلون لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون فـلا دواء اذا للتوبة الا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر وكما يجمع السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل منهما غرض آخر فى العلاج بمجموعهما فيقــمع الاسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغى أن تفهــم علاج القلب ممابه من مرض الاصرار فاذا لهذا الدواء أصــلان أحدهما العلم والآخر الصبر ولا بد من بيانهما فان قلت أينفع كل علم لحل الاصرار أم لا بد من علم مخصوص فاعلم أن العــلوم بجـملتها أدوية لامراض القلب ولكن لكل مرض علم يخصه كما أن عــلم الطب نافع فى علاج الامراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكــذلك دواء الاصرار فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الابدان ليكون أقرب الى الفهــم فنقول يحتاج المريض الى التصديق بأمور *الاول أن يصــدق على الجملة بان للمريض والصحة أسبابا يتوصل اليها بالاختيار على ماترتبه مسبب الاسباب وهذا هو الايمان بأصل الطب فان من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه مما نحن فيه الايمان بأصل الشرع وهو أن للسعادة فى الآخرة سببا هو الطاعة وللشقاوة سببا هو المعصية وهذا هو الايمان بأصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله اما عن تحقيق أو تقليد وكلاهما من جملة الايمان *الثانى انه لا بد أن يعتقد المريض فى طبيب معين انه عالم بالطب

عز وجل وروينا فى خبر أبى حاتم الحضرمى من حديث الاعمش عن ابراهيم النخعى قال كان يعجبهــم أن لا يكون للشاب صبوة *(تنبيه)* هل الافضل شاب لا صبوة له لكونه لم يلابس كبيرة ونجا من ضررها وخطرها والسؤال عنها فى القيامة أو من قارف الذنوب وتاب توبة نصوحا لكونه أقلع عن الشهوات لله بعد الفهالها وتعوّده لذاتها ثم فارق لذته وشهوته لله قولان وكلام المحاسبى يقتضى ترجيح الاول والله أعلم (وهذا عز يزنادر) الوجود لخروجه عن العادة وبعده عن العرف (والقسم الثانى هو الذى لا يخلو عن مقارفة الذنوب) وملابستها (ثم هم ينقسمون الى مصرين) عليها (والى تائبين) عنها (وغرضــنا الآن ان نبين العلاج فى حل عقدة الاصرار ونذكر الدواء فيه فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصــل الا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على أصــل الداء) وحقيقته ومن أين مبدؤه (اذ لا معنى للدواء الا مناقضة أسباب الداء) ومضارتها (فكل داء حصــل من سبب فدواؤه حــل ذلك السبب) وفى نسخة لاجل ذلك السبب (ورفعه) وفى نسخة ودفعه (وابطاله ولا يبطل الشئ الا بضده ومناقضه ولا سبب للاصرار الا الشــهوة والغفلة ولا يضاد الغفلة الا العلم والشهوة الا الصبر على قطع الاسباب المحركة للشهوة) وهى أسـباب كثيرة تقدم ذكرها فى كتاب كسر الشهوتين (والغفلة رأس الخطايا) وأمها فان منها تنشأ قال الله تعالى أولئك هم الغافلون لا جرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون) دل ذلك على ان خسرانهم فى أرباح معاملات الآخرة انما سببها الغفلة فقد جعل الله أهل الغفلة فى الدنيا هم أهل الخسران فى العقبى (فلا دواء للتوبة اذن الا معجون) مركب (يعجن) من جزأى (حلاوة العلم ومرارة الصبر كما يجمع فى السكنجبين بين حلاوة السكر) أو العسل (وحموضة الخل) مع تباين مزاجيهما (ويقصد بكل واحــد منهما) أى من السكر والخــل (غرض آخر فى العلاج بمجموعهما فيقمع الاسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغى أن يفهم علاج القلب مما به من مرض الاصرار فاذا لهذا الدواء أصلان) بهــما يتم تركيبه (أحدهما العلم) وهو الجزء الاكبر (والآخر الصبر ولا بد من بيانهما) ليتضح به المقصود (فان قلت أينفع كل علم) يتعلمه الانسان (لحــل عقدة الاصرار أم لا بد من علم مخصوص) فان العــلوم تتفاوت مراتبها (فاعلم ان العــلوم بجملتها أدوية لامراض القلوب ولكن) ليس كل فرد من أفراد العلوم ينفع لكل مرض من أمراض القلوب فكما أن العلوم كثيرة فكذلك أمراض القلوب كثيرة بل لكل (مرض عــلم يخصــه كما أن علم الطب نافع فى علاج الامراض) البدنية (بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص) به يستعان على ازالة تلك العلة (فكذلك داء الاصرار فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الابدان ليكون ذلك أقرب الى الفهم فنقول يحتاج المريض الى التصديق بأمور) أربعة (الاوّل أن يصدق على الجملة بان للصحة والمرض أسبابا يتوصل اليها بالاختيار على ما رتبه مسبب الاسباب) جل جلاله (وهذا هو الايمان بأصل الطب فان من لا يؤمن به لا يشتغل بأصل العلاج ويحق عليه الهلاك) أى يثبت (وهذا وزانه مما نحن فيه الايمان بأصــل الشرع وهو ان للسعادة فى الآخرة سببا هو الطاعة وللشقاوة سببا هو المعصية وهذا هو الايمان بأصــل الشرائع وهذا لا بد من حصوله اما عن تحقيق) وبرهان (أو) عن (تقليد وكلاهما من جملة الايمان) وهذا على صحة ايمان المقلد كما هو مذهب أهل السنة (الثانى انه لا بد أن يعتقد المريض فى طبيب معين انه عالم بالطب

حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لا يلبس ولا يكذب فان ايمانه باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الايمان ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان بان كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف * الثالث انه لا بد أن يصغي الى الطبيب فيما يحذره عنه من تناول الفواكه والاسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء فتكون شدة الخوف باعثة له على الاحتماء ووزانه من الدين الاصغاء الى الآيات والاخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى الى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوّي على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج * الرابع أن يصغي الى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتماء عنه ليعرفه أوّلا تفصيل ما يضره من أفعاله وأحواله ومأكوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين أن كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة وانما حاجته في الحال مرهقة الى العلم بانها ذنوب ثم الى العلم بآفاتها وقدر ضررها ثم الى العلم بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها أطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء فالعاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان لا يدري أن ما يرتكبه ذنب فعلى العالم أن يعرفه وذلك بان يتكفل كل عالم باقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد فيعلم أهله دينهم ويميز ما يضرهم عما
الا
ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي أن يصبر الى أن يسئل عنه بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثة الانبياء والانبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فان الخلق لا يولدون الا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم في الاصل والفرع والدنيا دار المرضى اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا على ظهرها

حاذق فيه) بصير بمسائله (صادق فيما يعبر عنه) ويرويه (لا يلبس) أي لا يخلط (ولا يكذب) فيما يقول (فان ايمانه باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الايمان ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان بان كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف الثالث انه لا بد وان يصغي الى الطبيب فيما يحذره عنه من تناول الفواكه) الرطبة (والاسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء) عن المحذورات (فيكون شدة الخوف باعثاله على الاحتماء) منها (ووزانه) مما نحن فيه (من الدين الاصغاء الى الآيات والاخبار المشتملة على الترغيب في التقوى) والخشية (والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى الى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة) وتردد (حتى ينبعث به الخوف المقوّي على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج الرابع أن يصغي الى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه بنفسه الاحتماء عنه ليعرفه أوّلا تفصيل ما يضره من أحواله وأفعاله ومأكوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه) مما نحن فيه (من الدين ان كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة وانما حاجته في الحال مرهقة) أوّلا (الى العلم بانها ذنوب ثم الى العلم بآفاتها وقدر ضررها في الدين ثم الى العلم بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها) والضمائر كلها راجعة الى الذنوب (فهذه علوم يختص بها أطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء) عليهم السلام كما هو في حديث أبي الدرداء عند أحمد وأبي داود والترمذي وابن حبان وفي حديث البراء عند أبي نعيم والديلمي وابن النجار (فالعاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان) العبد (لا يدري أن ما يرتكبه ذنب فعلى العالم أن يعرفه) بان الذي ارتكبه محظور وعاقبته مخطرة (وذلك بأن يتكفل كل عالم باقليم) هو فيه (أو بلدة أو محلة أو مسجد فيعلم أهله دينهم) أي أهل اقليمه أو بلدته أو محلته أو مسجده (ويميز) لهم (ما يضرهم) في الدين (عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي) للعالم (أن يصبر) ويسكت (الى أن يسئل عنه بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم) أي العلماء (ورثة الانبياء) والانبياء عليهم السلام (ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم) ونواديهم (ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم) الى طريق التوحيد والهداية (فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم) فيحتاجون الى من يعرفهم (كما ان الذي ظهر على وجهه برص) وهو لمع بيض (ولا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة فقيها متدينا يعلم الناس) أمور (دينهم فان الخلق لا يولدون الا جهالا) وانما العلم بالتعلم (فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم في الاصل والفرع والدنيا دار المرضى اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا على ظهرها

الاسقيم ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان والعلماء اطباء والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم الى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذى لايحتمى أو الذى غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال يكف شره عن نفسه وعن سائر الناس وانما صار مرض القلوب أكثر من مرض الابدان لثلاث علل احداها أن المريض به لايدرى انه مريض * والثانية أن عاقبته غير مشاهدة فى هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه ومابعد الموت غير مشاهد وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد فى هذا العالم فقلت النفرة عن الذنوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله فى مرض القلب ويجتهد فى علاج مرض البدن من غير اتكال * والثالثة وهو الداء العضال فقد الطبيب فان الاطباء هم العلماء وقد مرضوا فى هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة فى عموم المرض حتى لايظهر نقصانهم فاضطروا الى اغواء الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لان الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الاطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منها استنكافا من أن يقال لهم فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون أنفسكم فبهذا السبب عم الخلق الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الاطباء بل اشتغل الاطباء بفنون الاغواء فليتهم ان لم ينصحوا لم يغشوا وان لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم فى مواعظهم الا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون الى ذلك الا بالارجاء وتغليب أسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لان ذلك ألذ فى الاسماع وأخف على الطباع فتنصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصى ومزيد ثقة بفضل الله ومهما كان الطبيب جاهلا أو خائنا أهلك بالدواء حيث يضعه فى غير موضعه فالرجاء والخوف دواآن ولكن لشخصين متضادى العلة أما الذى غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه مالا تطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فتكسر سورة اسرافه فى الخوف بذكر أسباب الرجاء ليعود الى الاعتدال وكذلك المصر على الذنوب المشتهى للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط واليأس استعظاما لذنوبه التى سبقت يعالج أيضا بأسباب الرجاء حتى يطمع فى قبول

الاسقيم ومرضى القلوب أكثر من مرضى الابدان والعلماء أطباء) يداوون أولئك المرضى (والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم الى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذى لايحتمى) عن تناول المضرات (أو الذى غلب عليه الجنون) يسلم (الى القيم) بالمارستان (ليقيده بالسلاسل والاغلال ويكف شره عن نفسه وعن سائر الناس وانما صار مرض القلوب أكثر من مرض الابدان لثلاث علل احداها أن المريض به لايدرى انه مريض) بخلاف مريض البدن فانه يظهر له مرضه (الثانية ان عاقبته غير مشاهدة فى هذا العالم) بل انما يشاهدها فى عالم الآخرة (بخلاف مرض البدن فان عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه ومابعد الموت غير مشاهد وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد فى هذا العالم فقلت النفرة من الذنوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله تعالى فى مرض القلب ويجتهد فى علاج مرض البدن من غير اتكال) ولا ثقة بالله (الثالثة وهى الداء العضال) المعطب (فقد الطبيب فان الاطباء) لهذا الداء (هم العلماء وقد مرضوا فى هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة فى عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا الى اغواء الخلق) واضلالهم (والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لان الداء المهلك هو حب الدنيا) وهو رأس كل خطيئة كما ورد فى الخبر (وقد غلب هذا الداء على الاطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منها استنكافا) واستكبارا (من أن يقال لهم فما بالكم تأمرون بالعلاج) لغيركم (وتنسون أنفسكم) فلا تعالجونها فيكون سببا لفضيحتهم بينهم (فبهذا السبب عم على الخلق الداء وعظم الوباء) وفشا (وانقطع الدواء) وأيس منه (وهلك الخلق بفقد الاطباء بل اشتغل الاطباء بفنون الاغواء) وأنواع الاضلال (فليتهم اذلم ينصحوا لم يغشوا واذلم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم فى مواعظهم الا ما يرغب العوام) من الناس (ويستميل قلوبهم) اليهم (ولا يتوصلون الى ذلك الا بالارجاء وتغليب أسباب الرجاء) على الخوف (وذكر دلائل الرحمة) وأخبارها (لان ذلك ألذ فى الاسماع وأخف على الطباع فتنصرف الخلق عن مجالس الوعظ) والتذكير (وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصى ومزيد ثقة بفضل الله) تعالى وامن من عذابه (ومهما كان الطبيب جاهلا أو خائنا أهلك بالدواء) الذى يعالج خلقا كثيرا (حيث يضعه فى غير موضعه فالرجاء والخوف دواآن ولكن لشخصين متضادى العلة اما الذى غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه مالا تطيق) من الامور الثقال (وضيق العيش على نفسه بالكلية فيكسر سورة اسرافه) وجوران افراطه (فى الخوف بذكر أسباب الرجاء ليعود) بذلك (الى الاعتدال) المحبوب (وكذلك المصر على الذنوب) الملازم عليها (المشتهى للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط) من رحمة الله (واليأس) من روح الله (استعظاما لذنوبه التى سبقت) كالذى قتل تسعة وتسعين نفسا واشتهى أن يتوب (يعالج أيضا بأسباب) موصلة (للرجاء حتى يطمع فى قبول

التوبة فيتوب فاما معالجة المغرور المسترسل فى المعاصى بذكر أسباب الرجاء فيضاهى معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء وذلك من دأب الجهال والاغبياء فاذا فساد الاطباء هى المعضلة الزباء التى لاتقبل الدواء أصلا فان قلت فاذكر الطريق الذى ينبغى أن يسلكه الواعظ فى طريق الوعظ مع الخلق فاعلم ان ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه نعم نشير الى الانواع النافعة فى حل عقدة الاصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهى أربعة أنواع الاول أن يذكر مافى القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك ماورد من الاخبار والآثار مثل قوله صلى الله عليه وسلم مامن يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما ياليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر ياليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر ياليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا وفى بعض الروايات ليتهم تجالسوا فتذاكروا ماعلموا ويقول الآخر ياليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا وقال بعض السلف اذا أذنب العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها وقال بعض السلف مامن عبد يعصى الا استأذن مكانه من الارض ان يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى للارض والسماء كفا عن عبدى وأمهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه ولعله يتوب الى فاغفر له ولعله يستبدل صالحا فابدله له حسنات فذلك معنى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده

التوبة فيتوب فاما معالجة المغرور) فى أحواله (المسترسل فى المعاصى بذكر أسباب الرجاء فيضاهى معالجة المحرور بالعسل) مع حرارة طبعه (طلبا للشفاء) وانى له ذلك (وذلك من دأب الجهال والاغبياء فاذا فساد الاطباء هو الداء المعضل الذى لايقبل الدواء أصلا فان قلت فاذكر الطريق الذى ينبغى أن يسلكه الواعظ فى طريق الوعظ مع الخلق فاعلم ان ذلك يطول) بيانه (ولا يمكن استقصاؤه نعم نشير الى الانواع النافعة فى حل عقدة الاصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهى أربعة أنواع الاول أن يذكر مافى القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين) وهى كثيرة (وكذلك ماورد من الاخبار والآثار) المرفوعة والموقوفة (مثل قوله صلى الله عليه وسلم مامن يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما ياليت هذا الخلق) وفى نسخة الخلائق (لم يخلقوا ويقول الآخر ياليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر ياليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا وفى بعض الروايات ليتهم تجالسوا فتذاكروا ماعملوا ويقول الآخر ياليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا) هكذا نقله صاحب القوت وقال جمعناها من أخبار متفرقة وقال العراقى غريب لم أجده هكذا وروى الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمران ملكا ينادى فى كل يوم وليلة أبناء الاربعين زرع قد دنا حصاده الحديث وفيه ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فتجالسوا بينهم فتذاكروا الحديث اهـ قلت وبيان تلك الاخبار المتفرقة ان تقول أما قوله مامن يوم فهو أول حديث لفظه مامن يوم طلعت شمسه الا يقول الحديث وفيه ومامن يوم الا ينادى مناديان من السماء يقول أحدهما ياطالب الخير أبشر وياطالب الشر أقصر ويقول الآخر اللهم اعط لمنفق خلفا اللهم اعط ممسكا تلفا رواه البيهقى عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن أخنس مرسلا ورواه الديلمى عنه عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس وزاد وكذلك يقول فى الليل وروى الديلمى من حديث أبى هريرة ان لله ملكا بباب من أبواب السماء يقول من يقرض اليوم يجازى غدا وملك بباب آخر ينادى اللهم اعط منفقا خلفا وعجل لممسك تلفا وأما حديث ابن عمر فلفظه بعد قوله قد دنا حصاده أبناء الستين هلموا الى الحساب ماذا قدمتم وماذا عملتم أبناء السبعين هلموا الى الحساب ليت الخلائق لم يخلقوا الحديث وفيه بعد قوله فتذاكروا الا تتكم الساعة فخذوا حذركم وقال صاحب الحلية حدثنا أبى حدثنا أحمد بن محمد بن الحسن البغدادى حدثنا أحمد بن محمد بن الحسن المخزومى حدثنا عبد الرزاق حدثنى بكار بن عبد الله عن وهب قال فرأيت فى بعض الكتب ان مناديا ينادى من السماء الرابعة كل صباح أبناء الاربعين زرع قد دنا حصاده أبناء الخمسين ماذا قدمتم وماذا أخرتم أبناء الستين لاعذر لكم ليت الخلق لم يخلقوا وساقه كسياق الديلمى (وقال بعض السلف اذا أذنب العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب) الى الله تعالى (واستغفر) من ذنبه (لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها) نقله صاحب القوت (وقال بعض السلف مامن عبد يعصى الا استأذن مكانه من الارض أن يخسف به واستأذن سقفه من السماء ان يسقط عليه كسفا) أى قطعا (فيقول الله تعالى للارض والسماء كفا عن عبدى) أى امتنعا منه (وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه ولعله يتوب الى فاغفر له ولعله يستبدل صالحا فابدله له حسنات فذلك معنى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده) انه كان حليما عن معاصيهم غفورا لمساويهم نقله صاحب القوت الا انه قال وفى خبر مامن عبد يعصى فساقه قال وقيل فى تفسير ذلك ان الله تعالى اذا نظر الى معاصى العباد وغضب

فترجف

فترجف الارض وتضارب السماء فتنزل ملائكة السماء فتمسك أطراف الارض وتصعد ملائكة الارض فتمسك أطراف السماء ولا يزالون يقرؤن قل هو الله أحد حتى يسكن غضبه فذلك قوله سبحانه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وقال بعض السلف اذا ضرب الناقوس فى الارض ودعى بدعاء الجاهلية اشتد غضب الرب فاذا انظر الى صبيان المكاتب ورأى عمار المسجد وسمع أصوات المؤذنين وقبل نظر الى المتحابين فى الله والمتزاورين فيه حلم وغفر فذلك قوله انه كان حليما غفورا (وفى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه) كذا فى نسخ الكتاب والصواب وفى حديث ابن عمرو هكذا هو فى القوت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (الطابع) بالكسر ما يطبع به (معلق بقائمة من قوائم العرش) ولفظ القوت بساق العرش (فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم أرسل الله الطابع فيطبع على القلوب بمافيها) قيل هو على سبيل المجاز والاستعارة ذكره الزمخشرى وقال البغوى فى شرح السنة والاقوى اجراؤه على الحقيقة اذ فقد المانع والتأويل لا يصار اليه الالمانع قال العراقى رواه ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عمرو وهو منكر اه قلت ورواه أيضا البزار فى مسنده والبيهقى فى السنن والديلمى ولفظهم جميعا الطابع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت الحرمة وعمل بالمعاصى واجترئ على الله بعث الله الطابع فيطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيأ وقول العراقى هو منكر لان فيه سليمان بن مسلم الخشاب قال الذهبى فى الميزان لا تحل الرواية عنه الا للاعتبار وساق من مناكيره هذا الجزء وأعاده فى محل آخر وقال هو موضوع مفترى ووافقه الحافظ ابن حجر فى اللسان ولكن اقتصر المنذرى على تضعيف هذا الخبر وزاد الهيثمى فقال فيه سليمان الخشاب ضعيف جدا (وفى حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذنب العبد ذنبا انقبضت أصبع حتى تنقبض الاصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو الطبع) هكذا هو فى القوت فتشبك على القلب وفى نسخة منه كما عند المصنف قال العراقى كانه أراد به قول مجاهد وكذا ذكره المفسرون من قوله وليس بمرفوع وقد روينا فى شعب الايمان للبيهقى من حديث حذيفة (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (ان بين العبد وبين الله حدا من المعاصى معلوما اذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه بعدها لخير) نقله صاحب القوت (والاخبار والآثار فى ذم المعاصى ومدح التائبين لا تحصى فينبغى أن يستكثر الواعظ منها) فى سياق وعظه (ان كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه) صلى الله عليه وسلم (ما خلف دينارا ولا درهما) قال العراقى رواه البخارى من حديث عمرو بن الحارث قال ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته دينارا ولا درهما ولا أمة ولمسلم من حديث عائشة ما ترك دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا اه (انما خلف العلم والحكمة) هذا فى حديث أبى الدرداء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم الحديث وقد تقدم فى كتاب العلم (وورثه كل عالم بقدر ما أصابه) وقدر له من الازل (النوع الثانى حكاية الانبياء) عليهم السلام (والسلف الصالحين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع فى القلوب) عامة (الخلق مثل أحوال آدم عليه السلام فى عصيانه) عند مخالفة الامر (وما لقيه من الاخراج من الجنة) والاهباط الى الارض وهل هى جنة الخلد أو جنة كانت فى الدنيا فيه خلاف كثير بين العلماء أورده ابن القيم فى أوائل كتاب مفتاح عنوان دار السعادة (حتى روى انه) فى بعض الاخبار (لما أكل من الشجرة) التى نهى عن أكلها (تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته) وكان قبل ذلك لا يراها رواه ابن جرير عن قتادة (فاستحى التاج والاكليل من وجهه ان يرتفعا عنه فجاءه جبريل عليه السلام فاخذ التاج عن رأسه وحل) ميكائيل (الاكليل عن جبينه ونودى من فوق العرش اهبطا) الضمير له ولحواء عليهما السلام (من جوارى فانه لا يجاورنى من عصانى قال فالتفت آدم الى حواء باكيا وقال هذا أول شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب) نقله صاحب القوت وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن مجاهد قال أوحى الله الى الملكين أخرجا آدم وحواء من جوارى فانهما عصيانى فالتفت آدم الى

وفى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه الطابع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم أرسل الله الطابع فيطبع على القلوب بمافيها وفى حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذنب العبد ذنبا انقبضت أصبع حتى تنقبض الاصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو الطبع وقال الحسن ان بين العبد وبين الله حدا من المعاصى معلوما اذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه بعدها الخير والاخبار والآثار فى ذم المعاصى ومدح التائبين لا تحصى فينبغى أن يستكثر الواعظ منها ان كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ما خلف دينارا ولا درهما انما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما أصابه

(النوع الثانى) حكايات الانبياء والسلف الصالحين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع فى قلوب الخلق مثل أحوال آدم صلى الله عليه وسلم فى عصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة حتى روى انه لما أكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فاستحيا التاج والاكليل من وجهه أن يرتفعا عنه فجاءه جبريل عليه السلام فاخذ التاج عن رأسه وحل الاكليل عن جبينه ونودى من فوق العرش اهبطا من جوارى فانه لا يجاورنى من عصانى قال فالتفت آدم الى حواء باكيا وقال هذا أول شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب

حوّاء باكيا وقال استعدى للخروج من جوار الله هذا أوّل شؤم المعصية فنزع جبريل التاج وحل ميكائيل الاكليل عن جبينه وتعلق به غصن فظن آدم انه قد عوجل بالعقوبة فنكس رأسه يقول العفو العفو فقال الله تعالى فرارا منى فقال بل حياء منك ياسيدى وقد اختلف فى الحلل التى كانت على آدم وحوّاء عليهما السلام فقيل هى من حلل الجنة وقيل من الظفر فلما أصاب الخطيئة ساب السربال فبقى فى أطراف أصابعه ويروى عنه كان لباس آدم الظفر بمنزلة الريش على الطير فلما عصى سقط عنه لباسه وبقيت الاظفار زينة ومنافع رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن أنس بن مالك قال كان لباس آدم فى الجنة الياقوت فلما عصى قلص فصار الظفر (وروى ان سليمان بن داود عليهما السلام لما عوقب على خطيئته لاجل التمثال الذى عبد فى داره أربعين يوما) قيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب ابنته فاحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على أبيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها فيسجدون لها كعادتهن فى ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج باكيا الى الفلاة متضرعا فالخطيئة تغافله عن حال أهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ والسجود للصورة بغير علمه لا يضره كذا ذكره البيضاوى (وقيل لان المرأة سألته ان يحكم لابيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لابيها على خصمه لمكانها منه) هكذا ذكره فى القوت وروى الفريابى والحكيم والحاكم وصححه عن ابن عباس عند قوله ولقد فتنا سليمان الآية قال ان امرأة يقال لها جرادة وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة فقضى بينهم بالحق الا انه ود أن الحق كان لاهلها فاوحى الله اليه ان سيصيبك بلاء فكان لا يدرى يأتيه من السماء أم من الارض وروى ابن جرير عن السدى قال كان لسليمان مائتا امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهى احظى نسائه عنده وأحبهن فجاءته يوما من الايام وقالت ان أخى بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب ان تقضى له اذا جاءك فقال نعم ولم يفعل (فسلب ملكه أربعين يوما فهرب تائها على وجهه) روى النسائى وابن جرير وابن أبى حاتم بسند قوى عن ابن عباس قال أراد سليمان عليه السلام ان يدخل الخلاء فاعطى جرادة خاتمه وكانت جرادة امرأته ومن أحب نسائه اليه فجاء الشيطان فى صورة سليمان فقال لها هاتى خاتمى فاعطته فلما لبسه أتت له الانس والجن والشياطين فلما خرج سليمان من الخلاء قال لها هاتى خاتمى قالت قد أعطيته سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت لست سليمان فجعل لا يأتى أحدا يقول أنا سليمان الا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما رأى ذلك عرف انه من الله تعالى وروى عبد بن حميد عن سعيد بن جبير قال دخل سليمان الحمام فوضع خاتمه عند امرأة من أوثق نسائه فى نفسه فأتاها الشيطان فتمثل لها على صورة سليمان فاخذ الخاتم منها فلما خرج سليمان أتاها فقال لها هاتى الخاتم فقالت قد دفعته لك فقال مافعلت فانطلق سليمان هاربا فى الارض يتتبع ورق الشجر خمسين ليلة وروى عبد بن حميد عن ابن عباس قال كان سليمان عليه السلام اذا دخل الخلاء اعطى خاتمه أحب نسائه اليه فاذا هو قد خرج وقد وضع له وضوءه فاذا توضأ خرج اليه فاخذه فلبسه فدخل يوما الخلاء فدفع خاتمه الى امرأته فلبث ماشاء الله وخرج عليها شيطان فى صورة سليمان فدفعت اليه الخاتم فنهض به والقاه فى البحر فالتقمته سمكة فخرج سليمان على امرأته فسالها الخاتم فقالت قد دفعته اليك فعلم سليمان انه قد ابتلى فخرج وترك ملكه ولزم البحر فجعل يجوع وروى ابن جرير عن السدى قال ولما خرج سليمان من المخرج سألها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تاخذه قال لا وخرج مكانه هاربا (فكان يسال بكفه فلا يطعم فاذا قال أطعمونى فانى سليمان بن داود شج وضرب وطرد) كذا فى القوت وروى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد قال سليمان عليه السلام يستطعم فيقول أتعرفونى أنا سليمان فيكذبونه وروى الحكيم من طريق على بن زيد وسعيد بن المسيب ان سليمان عليه السلام احتجب عن الناس ثلاثة أيام فلم ينظر فى أمورهم ولم ينصف مظلوما من ظالم وكان ملكه فى خاتمه وكان اذا

وروى ان سليمان بن داود عليهما السلام لما عوقب على خطيئته لاجل التمثال الذى عبد فى داره أربعين يوما وقيل لان المرأة سألته أن يحكم لابيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لابيها على خصمه لمكانها منه فسلب ملكه أربعين يوما فهرب تائها على وجهه فكان يسأل الله بكفه فلا يطعم فاذا قال أطعمونى فانى سليمان بن داود شج وطرد وضرب

يدخل الحمام وضع خاتمه تحت فراشه فجاءه الشيطان فاخذه فاقبل الناس على الشيطان فقال سليمان يا أيها الناس انا سليمان انا نبي الله فدفعوه فسال بكفه أربعين يوما (وحكى انه استطعم من بيت لامرأته) في نسخة لامرأة (فطردته وبصقت في وجهه) ولفظ القوت ولقد بلغني انه استطعم من بيت فطرد وبزقت امرأة في وجهه (وفي رواية) قال (أخرجت) ولفظ القوت فاخرجت (عجوز جرة فيها بول فصبته على رأسه الى أن أخرج الله له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين يوما أيام العقوبة قال فجاءت الطيور فعكفت على رأسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فاعتذر اليه بعض من كان جنى عليه فقال لا ألومكم فيما فعلتم من قبل ولا أحمدكم في عذركم الآن ان هذا أمر كان من السماء ولا بد منه) ولفظ القوت فلما عرفه الصيادون عفروا بين يديه واعتذروا اليه مما كانوا طردوه وشجوه فقال لا ألومكم قبل فيما صنعتم ولا أحمدكم الآن فيما تصنعون هذا أمر من السماء ولا بد منه اه وروى النسائي وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالأجر فجاء رجل فاشترى سمكا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فدعا سليمان فقال تحمل لي هذا السمك قال نعم قال بكم قال بسمكة من هذا السمك فحمل سليمان السمك ثم انطلق به الى منزله فلما انتهى الرجل الى بابه أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فاخذها سليمان فشق بطنها فاذا الخاتم في جوفها فاخذه فلبسه فلما لبس دان له الجن والانس والشياطين وعاد الى حاله وروى عبد الرزاق وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال أربع آيات في كتاب الله لم أدر ماهي حتى سألت كعب الاحبار فذكرها وفيه قال ابن عباس وسألته عن قوله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال شيطان أخذ خاتم سليمان الذي فيه ملكه فقذف به في البحر فوقع في بطن سمكة فانطلق سليمان يطوف اذ تصدق عليه بتلك السمكة فاشتواها فاكلها فاذا هي فيها خاتمه فرجع اليه ملكه وقال مجاهد وكان سليمان عليه السلام يستطعم فيقول أتعرفوني أنا سليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا فشق بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع الى ملكه أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير وقال قتادة ولما لبس سليمان خاتمه اقبل فجعل لا يستقبله جن ولا طير الا سجد له حتى انتهى اليهم أخرجه عبد الرزاق والمذكورون قبل وروى عبد بن حميد وابن المنذر عن علي رضي الله عنه قال بينما سليمان بن داود عليهما السلام جالس على شاطئ البحر وهو يعبث بخاتمه اذ سقط منه في البحر وكان ملكه في خاتمه فانطلق وخلف شيطانا في أهله فاتى عجوزا فاوى اليها فقالت له العجوز ان شئت ان تنطلق فتطلب وأنا أكفي عمل البيت وان شئت ان تكفيني عمل البيت وانطلق فالتمس قال فانطلق سليمان فاتى قوما يصيدون السمك فجلس اليهم فنبذوا اليه سمكتين فانطلق حتى أتى العجوز فاخذت تصلحه فسقطت بطن سمكة فاذا فيها الخاتم فاخذته وقالت لسليمان ماهذا فاخذه سليمان فلبسه فاقبلت اليه الشياطين والجن والانس والطير والوحوش وهرب الشيطان الذي خلف في أهله الحديث وقال سعيد بن جبير لما انقضت أتى سليمان ساحل البحر فوجد صيادين يصيدون السمك فصادوا سمكا كثيرا فانتن عليهم بعضه فالقوه فاتاهم سليمان يستطعمهم فالقوا اليه انتن تلك الحيتان قال لا بل اطعموني من هذا قالوا لا فقال اطعموني فانا سليمان فوثب اليه بعضهم بالعصا فضربه فاتى الى تلك الحيتان التي القوا فاخذ منها حوتين فانطلق بهما الى الارض يغسلهما فشق بطن احداهما فاذا فيه الخاتم فاخذه فجعله في يده فعاد الى ملكه فجاءه الصيادون يسعون اليه فقال لهم لكني قبل استطعمتكم فلم تطعموني وضربتموني فلم ألمكم اذ عاقبتموني ولم أحمدكم اذ أكرمتموني أخرجه عبد بن حميد وروى عن ابن عباس قال لما ترك سليمان ملكه ولزم البحر فجعل يجوع فاتى يوما على صيادين قد صادوا سمكا بالامس فنبذوه وصادوا يومهم سمكا فهو بين أيديهم فقام عليهم سليمان فقال اطعموني بارك الله فيكم فاني ابن سبيل غرثان فلم يلتفتوا اليه ثم عاد فقال لهم مثله فرفع رجل منهم رأسه فقال ائت ذلك السمك فخذ منه سمكة فاتاه سليمان فاخذ منه ادنى سمكة

وحكى انه استطعم من بيت لامرأته فطردته وبصقت في وجهه وفي رواية أخرجت عجوزجرة فيها بول فصبته على رأسه الى أن أخرج الله له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين أيام العقوبة قال فجاءت الطيور فعكفت على رأسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فاعتذر اليه بعض من كان جنى عليه فقال لا ألومكم فيما فعلتم من قبل ولا أحمدكم في عذركم الآن ان هذا أمر كان من السماء ولا بد منه

فلما أخذها اذا فيها ريح فأتى البحر فغسلها وشق بطنها فاذا بخاتمه فحمد الله وأخذه وتختم به ونعق كل شئ حوله من جنوده وفزع الصيادون لذلك فقاموا اليه وجعل بينهم وبينه ٧ ولم يصلوا اليه ورد الله اليه ملكه أخرجه عبد بن حميد وقال الضحاك دخل سليمان عليه السلام على امرأة تبيع السمك فاشترى منها سمكة فشق بطنها فوجد خاتمه فجعل لا يمر على شجر ولا على حجر ولا على شئ الا سجد له حتى أتى ملكه أخرجه ابن جرير وذكر ابن كثير في تفسيره بعد أن ورد حديث ابن عباس الذي رواه ابن أبي حاتم وقال اسناده قوي وكأنه تلقاه ابن عباس عن أهل الكتاب ان صح عنه وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه السلام فالظاهر انهم يكذبون عليه وفيه منكرات من أشدها ذكر النساء والمشهور عن مجاهد وغيره من أئمة السلف ان ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله تشريفا للنبي عليه السلام وقد رويت هذه القصة عن سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة من السلف وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب والله أعلم (وروى في الاسرائيليات ان رجلا تزوج امرأة من بلدة أخرى فارسل عبده يحملها اليه فراودته عن نفسه وطلبته بها فجاهدها واستعصم قال فنبأه الله ببركة تقواه فكان نبيا في بني اسرائيل) ولفظ القوت وروينا في الاسرائيليات ان رجلا تزوج امرأة من بلد ولم تنل يده حملها اليه فأمر عبده فحملها اليه فراودته نفسه وطلبته بها فجاهدها واستعصم قال فنبأه الله فكان نبيا من بني اسرائيل وفي نسخة فكان نبيا في بني اسرائيل (وفي قصص موسى عليه السلام انه قال للخضر عليه السلام بم اطلعك الله على علم الغيب قال بترك المعاصي لاجل الله تعالى) نقله صاحب القوت وزاد فالجزاء اليه سبحانه أيضا يجعله غاية العطاء لا على قدر العمل لكن اذا عمل له عبده شيأ لاجله أعطاه أجره بغير حساب (وروى ان الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام فنظر الى قميصه نظرة وكان جديدا فكأنه أعجبه قال فوضعته الريح فقال لم فعلت هذا ولم آمرك قالت انما نطيعك اذا أطعت الله) ولفظ القوت ولقد بلغني انه كان في مسيره والريح تحمله في جنوده اذ نظر الى قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد فكأنه أعجبه فوضعته الريح في الارض فقال لها لم فعلت ولم آمرك فقالت انما أطيعك اذا أطعت الله (وروى ان الله تعالى أوحى الى يعقوب عليه السلام) ولفظ القوت ولقد روينا في خبر غريب ان الله تعالى أوحى الى يعقوب عليه السلام (أتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف قال لا قال لقولك لاخوته اني أخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت عليه الذئب ولم ترجني) له (ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له) كذا في القوت زاد عليه المصنف فقال (وتدري لم رددته عليك قال لا قال لانك رجوتني وقلت عسى الله أن يأتيني بهم جميعا وعاقلت) يابني (اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله) قال السدي لما ذكر يعقوب بين يدي يوسف عليهما السلام قال ومن يعقوب غضب روبيل وقال أيها الملك لا تذكرن يعقوب فانه سري الله ابن ذبيح الله ابن خليل الله فقال يوسف انك اذن ان كنت صادقا فاذا أتيتم أباكم فاقرؤا عليه مني السلام وقولوا له ان ملك مصر يدعو لك أن لا تموت حتى ترى ولدك يوسف حتى يعلم أبوك أن في الارض صديقين مثله ثم انه أقام روبيل بمصر وأقبل التسعة الى يعقوب فأخبروه الخبر فبكى وقال يابني ما تذهبون من مرة الا تنقصتم واحدا ذهبتم فنقصتم يوسف ثم ذهبتم الثانية فنقصتم شمعون ثم ذهبتم الثالثة فنقصتم بنيامين وروبيل فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وقال ما يكون في الارض صديق الا ابني فطمع وقال لعله يوسف ثم قال يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه بمصر ولا تيأسوا من روح الله فان من روح الله ان يرد يوسف وروى اسحق بن راهويه في تفسيره وابن أبي الدنيا في كتاب الفرج بعد الشدة وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني في الاوسط وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الشعب من حديث أنس أتى جبريل الى يعقوب عليه السلام وقال ان الله يقرئك السلام ويقول لك أتدري لم أذهبت بصرك وقوست ظهرك وصنع اخوة يوسف به ما صنعوا انكم ذبحتم شاة فأتاكم مسكين وهو صائم فلم تعطوه منها شيأ فكان يعقوب اذا أراد الغذاء أمر مناديا ينادي ألا من أراد الغذاء من

وروى في الاسرائيليات ان رجلا تزوج امرأة من بلدة أخرى فارسل عبده يحملها اليه فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم قال فنبأه الله ببركة تقواه فكان نبيا في بني اسرائيل وفي قصص موسى عليه السلام انه قال للخضر عليه السلام بم أطلعك الله على علم الغيب قال بترك المعاصي لاجل الله تعالى وروى ان الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام فنظر الى قميصه نظرة وكان جديدا فكأنه أعجبه قال فوضعته الريح فقال لم فعلت هذا ولم آمرك قالت انما نطيعك اذا أطعت الله وروى ان الله تعالى أوحى الى يعقوب عليه السلام أتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف قال لا قال لقولك لاخوته أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت عليه الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وتدري لم رددته عليك قال لا قال لانك رجوتني وقلت عسى الله أن يأتيني بهم جميعا وعاقلت اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله

وكذلك لما قال يوسف لصاحب الملك اذكرنى عند ربك قال الله تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين وأمثال هذه
الحكايات لاتنحصر ولم يردبها القرآن والاخبار ورود الاسمار بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أن الانبياء عليهم السلام لم يتجاوز
عنهم فى الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم فى الذنوب الكبار نعم كانت سعادتهم فى أن عوجلوا بالعقوبة
ولم يؤخروا الى الآخرة
والاشقياء يمهلون ليزدادوا
اثما ولان عذاب الآخرة
أشد وأكبر فهذا أيضا مما
ينبغى أن يكثر جنسه على
أسماع المصرين فانه نافع
فى تحريك دواعى التوبة
(النوع الثالث) أن
يقرر عندهم ان تعجيل
العقوبة فى الدنيا متوقع
على الذنوب وأن كل ما
يصيب العبد من المصائب
فهو بسبب جناياته فرب
عبد يتساهل فى أمر
الآخرة ويخاف من عقوبة
الله فى الدنيا أكثر لفرط
جهله فينبغى أن يخوف به
فان الذنوب كلها يتعجل فى
الدنيا شؤمها فى غالب
الامر كما حكى فى قصة داود
وسليمان عليهما السلام
حتى انه قد يضيق على العبد
رزقه بسبب ذنوبه وقد
تسقط منزلته من القلوب
ويستولى عليه أعداؤه قال
صلى الله عليه وسلم ان العبد
ليحرم الرزق بالذنب يصيبه
وقال ابن مسعود انى
لاحسب أن العبد ينسى
العلم بالذنب يصيبه وهو
معنى قوله عليه السلام من
قارف ذنبا فارقه عقل لا
يعود اليه أبدا وقال بعض
السلف ليست اللعنة سوادا فى الوجه
ونقصانا فى المال انما اللعنة أن لاتخرج من ذنب الا وقعت فى مثله أو شر منه وهو كما قال لان اللعنة هى الطرد والابعاد فاذا لم يوفق للخير ويسرله
الشر فقد أبعد والحرمان عن رزق التوفيق أعظم حرمان

المساكين فليتغد مع يعقوب واذا كان صائما أمر مناديا فنادى ألا من كان صائما من المساكين فليفطر مع يعقوب (وكذلك لما قال يوسف لصاحب الملك اذكرنى عند ربك قال الله تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين) ولفظ القوت بعد قوله ولم تنظر الى حفظى له فهذا على معنى قول يوسف اذكرنى عند ربك قال الله تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه الآية فهذا مما يغيب على الخصوص من خفى سكونهم وابع نظارهم الى ما سوى الله تعالى (وأمثال هذه الحكايات لاتنحصر) لكثرتها (ولم يردبها القرآن والاخبار ورود الاسمار) أى الحكايات التى يسمر بها فى المجالس (بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أن الانبياء عليهم السلام) مع جلالة قدرهم عند الله تعالى (لم يتجاوز عنهم فى الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم فى الذنوب الكبار) فليعتبر بذلك العبد ويكون على غاية الوجل (نعم كانت سعادتهم فى أن عوجلوا بالعقوبة) بما ابتلوا فيه فى الدنيا (ولم يؤخروا الى الآخرة) فهؤلاء هم السعداء (وأما الاشقياء) المحرومون (فانهم يمهلون) الى الآخرة (ليزدادوا اثما) على اثم (ولان عذاب الآخرة أشد وأكبر) من عذاب الدنيا (فهذا أيضا مما ينبغى أن يكثر جنسه على اسماع المصرين) على ذنوبهم (فانه نافع فى تحريك دواعى التوبة ان شاء الله تعالى * النوع الثالث أن يقرر عندهم) ويودع فى اذهانهم (ان تعجيل العقوبة فى الدنيا متوقع على الذنوب فى الدنيا وان كل ما يصيب العبد من المصائب) والبلايا (فهو بسبب جنايته) التى صدرت منه (فرب عبد يتساهل فى أمر الآخرة) ويستخفه (ويخاف من عقوبة الله فى الدنيا أكثر لفرط جهله فينبغى أن يخوف به فان الذنوب كلها يتعجل فى الدنيا شؤمها فى غالب الامر كما حكى فى قصة داود وسليمان عليهما السلام) مما تقدم ذكر بعضها (حتى انه قد يضيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد تسقط منزلته من القلوب ويستولى عليه أعداؤه قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه) كذا فى القوت رواه ابن ماجه والحاكم واللفظ له وصحح اسناده الا انه قال الرجل بدل العبد من حديث ثوبان انتهى قلت وفيه زيادة ولا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر وقد رواه بهذه الزيادة أيضا أحمد والنسائى وأبو يعلى وابن معين والرويانى وابن حبان والطبرانى والضياء وأقر الذهبى تصحيح الحاكم وقال المنذرى رجال النسائى رجال الصحيح قال المظهر اللام فى الرجل للعهد والمعهود بعض الجنس من المسلمين فلا يقدح فيه ما يرى من أن الكفرة والفسقة أعظم مالا وصحة من العلماء لان الكلام فى مسلم يريد الله رفع درجته فى الآخرة فيصيبه من ذنوبه فى الدنيا وبه عرف انه لا تناقض بينه وبين خبر ان الرزق لاتنقصه المعصية ولهذا وجه بعضهم الخبر بان لله لطائف يحدثها المؤمن ليصرف وجهه اليه عن اتباع شهوته والانهماك فى نهمته فاذا اشتغل بذلك عن ربه حرم رزقه فيكون زجراله اليه عما أقبل عليه وتأديباله لان لايعود لمثله (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (انى لاحسب أن العبد ينسى العلم بذنب يصيبه) ولفظ القوت وكان ابن مسعود يقول فساقه الا انه قال بالذنب يصيبه (وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لايعود اليه أبدا) تقدم الكلام عليه (وقال بعض السلف ليست اللعنة سوادا فى الوجه ونقصا فى المال انما اللعنة أن لاتخرج من ذنب الا وقعت فى مثله أو شر منه وهو كما قال لان اللعنة هى الطرد والابعاد فاذا لم يوفق للخير ويسرله الشر فقد أبعد) نقله صاحب القوت الا انه قال وذلك لان اللعنة هى الطرد والبعد فاذا طرد من الطاعات فلم يتيسرله وبعد عن القربات فلم يوفق لها فقد لعن (والحرمان عن رزق التوفيق أعظم حرمان) ولفظ القوت وقيل حرمان الرزق من الآخرة من قلة التوفيق

للاعمال الصالحات (وكل ذنب فانه يدعو الى ذنب آخر) ويجره اليه (و يتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع من مجالسة العلماء المنكرين للذنوب ومن مجالسة الصالحين بل يمقته الله فيمقته الصالحون) وقال صاحب القوت وفى الخبر الذى رويناه ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه قيل يحرم الحلال ولا يوفق له بوقوعه فى المعصية وقيل يحرم مجالسة العلماء ولا ينشرح قلبه لمحبة الخير وأهله وقيل يمقته الصالحون وأهل العلم بالله تعالى فيعرضوا عنه وقيل يحرم العلم الذى لاصلاح للعمل الا به لاجل اقامته على الجهل ولا تكشف له الشبهات باقامته على الشبهات بل تتلبس عليه فيحار فيها بغير عصمة من الله عز وجل ولا يوفق للاصوب والافضل (وحكى عن بعض العارفين انه كان يمشى فى الوحل جامعا ثيابه محترزا عن زلقة رجله حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو يمشى فى وسط الوحل و يبكى ويقول) ولفظ القوت وحدثت عن بعض أهل الاعتبار انه كان يمشى فى الوحل وكان يتقى وشمر ثيابه عن ساقيه و يمشى فى جوانب الطريق الى ان زلقت رجله فى الوحل فادخل رجله فى وسط الوحل وجعل يمشى فى المحجة قال فبكى قيل له ما يبكيك فقال (هذا مثل العبد لا يزال يتقى الذنوب و يجانبها حتى يقع فى ذنب) منها (وذنبين فعندها يخوض فى الذنوب خوضا) الى هنا لفظ القوت (وهو اشارة الى أن الذنب تتعجل عقوبته بالانجرار الى ذنب آخر ولذلك قال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (ما أنكرت من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك أورثتك ذلك) نقله صاحب القوت وهو فى الحلية لابى نعيم (وقال بعضهم انى لاعرف عقوبة ذنبى فى سوء خلق حمارى) نقله صاحب القوت وفى معنى الحمار الفرس والبغلة (وقال آخر أعرف العقوبة حتى فى فار بيتى) نقله صاحب القوت قال و يقال نسيان القرآن بعد حفظه من أشد العقوبات والمنع من تلاوته وضيق الصدر بقراءته والاشتغال عنه بضده عقوبة الاصرار (وقال بعض الصوفية بالشام نظرت) ذات يوم (الى غلام نصرانى حسن الوجه فوقفت أنظر اليه فمر بى ابن الجلاء الدمشقى) هو عبدالله بن أحمد بن يحيى الجلاء بغدادى الاصل أقام بالشام صحب أبا تراب النخشبى وذا النون المصرى وأبا عبيد البسرى وأبا يحيى الجلاء ترجم له القشيرى فى الرسالة (فأخذ بيدى فاستحييت منه فقلت يا أبا عبدالله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدى وقال لتجدن عقوبتها) أى النظرة (بعد حين) أى بعد مدة من الزمان (قال فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة) هكذا هو فى القوت قيل هذه العقوبة انه نسى القرآن بعد حفظه وأورد القشيرى فى الرسالة هذه القصة لابن الجلاء فى ترجمته من الرسالة مالفظه وقال ابن الجلاء كنت أمشى مع استاذى فرأيت حدثا جميلا فقلت يا استاذى ترى يعذب الله هذه الصورة فقال سترى غبه فنسيت القرآن بعده لعشرين سنة انتهى و يحتمل تعدد الواقعة (وقال أبو سليمان الدارانى) رحمه الله تعالى (الاحتلام عقوبة) نقله صاحب القوت وقد تقدم للمصنف فى كتاب النكاح (وقال) أبو سليمان أيضا (لا يفوت أحدا صلاة جماعة الا بذنب يذنبه) نقله صاحب القوت ولفظه لا يفوت أحدا صلاة فى جماعة الا بذنب فدقائق العقوبات على قدر جلائل الدرجات قال وحدثنى بعض الاشياخ عن منصور الفقيه قال رأيت أبا عبدالله السكرى فى النوم فقلت ما فعل الله بك قال أوقفنى فى العرق حتى سقط لحم خدى قلت ولم ذلك قال نظرت الى غلام مقبلا ومدبرا والعقوبة موضوعها الشدة والمشقة فعقوبة كل أحد من حيث تشتد عليه فاهل الدنيا يعاقبون بحرمان رزق الدنيا من تعذر الاكتساب واتلاف الاموال وأهل الآخرة يعاقبون بحرمان رزق الآخرة من قلة التوفيق للاعمال الصالحة وتعذر فتوح العلوم الصادقة ذلك تقدير العزيز العليم (وفى الخبر ما أنكرتم من زمانكم فبما غيرتم من أعمالكم) قال العراقى رواه البيهقى فى الرقاق من حديث أبى الدرداء وقال غريب تفرد به هكذا العقيلى وهو عبدالله ابن هانئ قلت هو متهم بالكذب قال ابن أبى حاتم روى عن أبيه أحاديث بواطيل انتهى قلت وكذلك رواه الطبرانى فى الكبير وابن عساكر وتمامه فان يك خيرا فواها واها وان يك شرا فواها واها وقال ابن

ومن مجالسة الصالحين بل يمقته الله تعالى ليمقته الصالحون وحكى عن بعض العارفين انه كان يمشى فى وسط الوحل جامعا ثيابه محترزا عن زلقة رجله حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو يمشى فى وسط الوحل و يبكى و يقول هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب و يجانبها حتى يقع فى ذنب وذنبين فعندها يخوض فى الذنوب خوضا وهو اشارة الى أن الذنب تتعجل عقوبته بالانجرار الى ذنب آخر ولذلك قال الفضيل ما أنكرت من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك أورثتك ذلك وقال بعضهم انى لاعرف عقوبة ذنبى فى سوء خلق حمارى وقال آخر أعرف العقوبة حتى فى فار بيتى وقال بعض الصوفية بالشام نظرت الى غلام نصرانى حسن الوجه فوقفت أنظر اليه فمر بى ابن الجلاء الدمشقى فأخذ بيدى فاستحييت منه فقلت يا أبا عبدالله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدى وقال لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة وقال أبو سليمان الدارانى الاحتلام عقوبة وقال لا يفوت أحدا صلاة جماعة الا بذنب يذنبه وفى الخبر ما أنكرتم من زمانكم فبما غيرتم من أعمالكم

بوفى الخبر يقول الله تعالى ان أدنى ما أصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتى أن احرمه لذيذ مناجاتى وحكى عن أبي عمرو بن علوان فى قصة يطول ذكرها قال فيها كنت قائما ذات يوم أصلى فخامر قلبي هوى طاولته بفكرتى حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت الى الارض واسود جسدى كله فاستترت فى البيت فلم أخرج ثلاثة أيام وكنت أعالج غسله فى الحمام بالصابون فلا يزداد الاسوادا حتى انكشف بعد ثلاث فلقيت الجنيد وكان قد وجه الى فأشخصنى من الرقة فلما أتيته قال لى أما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه فساررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك برقة وأخرجتك من بين يدى الله تعالى فلولا انى دعوت الله لك وتبت اليه عنك لقيت الله بذلك اللون قال فعجبت كيف علم بذلك وهو ببغداد وأنا بالرقة واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا أظهر السواد على ظاهره لينزجر وان كان شقيا أخفى عنه حتى ينهمك ويستوجب النار والاخبار كثيرة فى آفات الذنوب فى الدنيا من الفقر والمرض وغيره بل من شؤم الذنب فى الدنيا على الجملة أن يكسب ما بعده صفته فان ابتلى بشئ كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف شقاوه وان أصابته نعمة كانت استدراجا له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه وأما المطيع فمن بركة طاعته أن تكون كل نعمة فى حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة فى درجاته * (النوع الرابع) * ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وكل ذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير أهله وضع الدواء فى غير موضعه بل ينبغى أن يكون العالم كالطبيب الحاذق فيستدل أولا بالنبض والسحنة ووجود الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها فليستدل بقرائن الاحوال على خفايا

عما ذكر حديث غريب قال الذهبي فى الديوان عبد الله بن هانئ بن أبي عبلة عن أبيه اتهم بالكذب وتركه أبو حاتم ولم يسمع منه وأما أبو الزعراء عبد الله بن هانئ الراوى عن أبي مسعود فهو من رجال الترمذى والنسائى قال البخارى لا يتابع عليه ووثقه العجلى (و) قال جاء (فى الخبر يقول الله تعالى انّ أدنى ما أصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى) وفى نسخة لذة مناجاتى ولفظ القوت حلاوة مناجاتى وقال العراقى غريب لم أجده (وحكى عن ابي عمرو بن علوان فى قصة يطول ذكرها قال فيها كنت) لفظ القوت وقد حدثنى بعض هذه الطائفة عن أبي عمرو بن علوان فى قصة تطول قال فيها وكنت (قائما ذات يوم أصلى فخامر قلبي) أى خالطه (هوى) أى ميل نفسانى (طاولته بفكرتى حتى تولد منه شهوة الرجل) وفى نسخة الرجال قال (فوقعت الى الارض واسود جسدى كله فاستترت فى البيت فلم أخرج ثلاثة أيام وكنت) فى أثناء هذه الايام (أعالج غسله فى الحمام بالصابون) والالوان الغاسلة (فلا يزداد الاسوادا حتى انكشف بعد ثلاث) لفظ القوت ثم انكشف عنى بعد ثلاث فرجعت الى لون البياض قال (فلقيت) أبا القاسم (الجنيد) رضى الله عنه (وكان قد وجه الىّ فأشخصنى من الرقة) أى طلب شخوصى منها والرقة بلد بالعراق (فلما أتيته قال) فى أول مواجهتى له (أما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه فساررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك برقة وأخرجتك من بين يدى الله تعالى فلولا انى دعوت الله لك وتبت اليه عنك لقيت الله بذلك اللون قال فعجبت كيف علم بذلك وهو ببغداد وأنا بالرقة) وبينهما مسافة ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى (واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا ظهر السواد على ظاهره لينزجر وان كان شقيا أخفى عنه حتى ينهمك ويستوجب النار) ولفظ القوت بعد سياق قصة ابن علوان فذكرت ذلك لبعض الاولياء فقال هذا رفق من الله به وخيرة له اذلم يسود قلبه وظهر السواد على جسده ولو بطن فى قلبه لاهلكه ثم قال ما من ذنب يرتكبه يصر عليه الا سود القلب منه مثل سواد الجسم الذى ذكر ولا يجلوه الا التوبة ولكن ليس كل عبد يصنع به صنع ابن علوان ولا يجد من يتيقظ له مثل أبي القاسم الجنيد رحمه الله تعالى (والاخبار كثيرة فى آفات الذنوب فى الدنيا من الفقر والمرض وغيرهما) كسقوط الجاه والمنزلة من عيون المسلمين (بل من شؤم الذنب فى الدنيا على الجملة أن يكسب ما بعده صفته فان ابتلى بشئ كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف شقاوه وان أصابته نعمة كانت استدراجا له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه) هذا حال العاصى (وأما المطيع فمن بركة طاعته أن تكون كل نعمة فى حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها و) تكون (كل بلية كفارة لذنوبه وزيادة فى درجاته * النوع الرابع ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وكل ذلك مما لا يمكن حصره) لكثرته (وذكره مع غير أهله مثل وضع الدواء فى غير موضعه بل ينبغى أن يكون العالم كالطبيب الحاذق) أى العارف البصير بفن الطب (فيستدل أولا بالنبض والسحنة) أى ظاهر اللون والنبض جس الطبيب عروق يده من الاوردة والشرايين (ووجوه الحركات على العلل الباطنة) وهى التى فى باطن البدن ولكل منها أحكام وقواعد معروفة فى كتب الفن (ويشتغل بعلاجها) بعد الاستدلال عليها بما ذكر (فليستدل) العالم (بقرائن الاحوال على خفايا

الصفات ولىتعرض لماوقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له واحد يارسول الله أوصني ولا تكثر علي قال لا تغضب) رواه أحمد والبخاري والترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم الكلام عليه في كتاب ذم الغضب (وقال له آخر أوصني يارسول الله فقال عليك باليأس مما في أيدي الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع واياك وما يعتذر منه) رواه العسكري في الامثال من طريق القعنبي حدثنا محمد بن أبي حميد حدثني اسمعيل الانصاري هو ابن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده أن رجلا قال يارسول الله أوصني وأوجز فقال عليك باليأس فساقه وفيه وصل صلاتك وأنت مودع ورواه الحاكم من طريق أبي عامر العقدي حدثنا محمد بن أبي حميد به مثله وصححه ورواه ابن ماجه من طريق عثمان بن جبير عن أبي أيوب الانصاري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله علمني وأوجز قال اذا قمت الى صلاتك فصل صلاة مودع ولا تكلم بكلام يعتذر منه واجمع اليأس عما في أيدي الناس ورواه ابن منيع والقضاعي من حديث ابن عمر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله حدثني حديثا واجعله موجزا لعلي أعيه فقال صلى الله عليه وسلم صل صلاة مودع كأنك لا تصلي بعدها وأيس عما في أيدي الناس تعش غنيا واياك وما يعتذر منه وقد تقدم هذا الحديث في كتاب الصلاة ومن هذا الباب ما أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند من طريق محمد بن عبد الله الطفاوي سمعت العاصي بن عمرو قال خرج أبو الغادية حبيب بن الحرث وأم الغادية مهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما فقالت المرأة أوصني يارسول الله قال اياك وما يسوء الاذن وكذا أخرجه أبو نعيم وابن منده كلاهما في المعرفة وهو مرسل فالعاصي لا صحبة له بل قال الحافظ ابن حجر في بعض تصانيفه انه مجهول لكن ذكره ابن حبان ولم يذكر فيه جرحا وقال سمع من عمته أم الغادية رواه عنه تمام ورواية تمام عنه في هذا الحديث عند ابن منده في المعرفة والخطيب في جامعه من طريقه عن العاصي عن عمته أم الغادية قالت خرجت مع رهط من قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أردت الانصراف قلت يارسول الله أوصني قال اياك وما يسوء الاذن وكذا أخرجه ابن سعد في الطبقات بزيادة ثلاث وكذا رواه العسكري في الامثال (وقال رجل لمحمد بن واسع) البصري رحمه الله تعالى (أوصني فقال أوصيك أن تكون ملكا في الدنيا والآخرة قال وكيف لي بذلك قال الزم الزهد في الدنيا) أخرجه أبو نعيم في الحلية قال حدثني أبي حدثنا أبو الحسن بن أبان حدثنا أبو بكر بن عبيد حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري حدثنا خزيمة أبو محمد قال قال رجل لمحمد بن واسع أوصني فساقه (فكأنه صلى الله عليه وسلم توسم في السائل الاول مخايل الغضب) أي مشابهه (فنهاه عنه وفي السائل الآخر مخايل الطمع في الناس وطول الامل) وعدم حضور القلب في الصلاة وكثرة الاعتذار لاخوانه فنهاه عنها (وتخيل محمد بن واسع في السائل مخايل الحرص على الدنيا) فأمره بالزهد عنها (وقال رجل لمعاذ بن جبل) رضي الله عنه (أوصني فقال كن رحيما) أي رقيق القلب (أكن لك بالجنة زعيما) أي ضامنا وكفيلا نقله صاحب القوت وروى أبو نعيم في الحلية من طريق الاعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال قال رجل لمعاذ علمني قال وهل أنت مطيعي قال اني على طاعتك لحريص قال صم وافطر ونم واكتسب ولا تأثم ولا تموتن الا وأنت مسلم واياك ودعوة المظلوم (فانه تفرس فيه آثار الفظاظة والغلظة) فقال له ما قال (وقال رجل لابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (أوصني قال اياك والناس وعليك بالناس ولابد) لك (من الناس) أي من مخالطتهم (فان الناس هم الناس) أي الكمل منهم هم الذين يخالطون (وليس كل الناس بالناس) أي ليس كلهم يوصفون بكمال الانسانية (ذهب الناس وبقي النسناس) بفتح أوله قيل نوع من حيوانات البحر وقيل نوع من جنس الخلق يثب على رجل واحدة وقيل يأجوج ومأجوج كذا في المصباح وكأنه أراد ذهب الكرام وبقي الارذال (وما أراهم بالناس بل غمسوا في ماء اليأس) أي أويس من خيرهم فلا فائدة في مخالطتهم

واخرجه

الصفات وليتعرض لما وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له واحد أوصني يارسول الله ولا تكثر علي قال لا تغضب وقال له آخر أوصني يارسول الله فقال عليه السلام عليك باليأس مما في أيدي الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع واياك وما يعتذر منه وقال رجل لمحمد ابن واسع أوصني فقال أوصيك أن تكون ملكا في الدنيا والآخرة قال وكيف لي بذلك قال الزم الزهد في الدنيا فكأنه صلى الله عليه وسلم توسم في السائل الاول مخايل الغضب فنهاه عنه وفي السائل الآخر مخايل الطمع في الناس وطول الامل وتخيل محمد بن واسع في السائل مخايل الحرص على الدنيا وقال رجل لمعاذ أوصني فقال كن رحيما أكن لك بالجنة زعيما فكأنه تفرس فيه آثار الفظاظة والغلظة وقال رجل لابراهيم بن أدهم أوصني فقال اياك والناس وعليك بالناس ولابد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس ذهب الناس وبقي النسناس وما أراهم بالناس بل غمسوا في ماء اليأس

فكأنه تفرس فيه آفة المخالطة وأخبر عما كان هو الغالب على حاله فى وقته وكان الغالب أذاه بالناس والكلام على قدر حال السائل أولى من ان يكون بحسب حال القائل وكتب معاوية رحمه الله الى عائشة رضى الله عنها أن اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى فكتبت اليه من عائشة الى معاوية سلام عليك أما بعد فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس سخط الله برضا الناس وكله الله الى الناس والسلام عليك فانظر الى فقهها كيف تعرضت للآفة التى تكون الولاة بصددها وهى مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتبت اليه مرة أخرى أما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيأ والسلام فاذا على كل ناصح أن تكون عنايته مصروفة الى تفرس الصفات الخفية وتوسم الاحوال اللائقة ليكون اشتغاله بالاهم فان حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن التوعظ فيه تضييع زمان فان قلت فان كان الواعظ يتكلم فى جمع أو سأله من لا يدرى باطن حاله أن يعظه فكيف يفعل فاعلم أن طريقه فى ذلك أن يعظه بما يشترك كافة الخلق فى الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان فى علوم الشرع أغذية وأدوية فالاغذية للكافة والادوية لارباب العلل ومثاله ماروى ان رجلا قال لابى سعيد الخدرى أوصنى قال عليك بتقوى الله عز وجل فانها رأس كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك فى أهل الارض وذكر لك فى أهل السماء وعليك بالصمت الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان

وأخرجه أبونعيم فى الحلية فى ترجمة مطرف بن عبدالله بن الشخير من طريق مهدى بن ميمون عن غيلان ابن جرير ان مطرفا كان يقول هم الناس وهم النسناس وأرى ناسا غمسوا فى ماء الناس (فكأنه رحمه الله تفرس فيه) أى فى السائل (آفة المخالطة) بهم (وأخبر عما كان هو الغالب على حاله فى وقته وكان الغالب) عليه (أذاه بالناس) فنهاه عن خلطتهم ليسلم من شرهم أو يسلموا منه (والكلام على قدر حال السائل أولى من أن يكون بحسب حال القائل و) من ذلك (كتب معاوية رحمه الله تعالى الى) أم المؤمنين (عائشة رضى الله عنها أن اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى) وذلك حين تولى الامارة (فكتبت اليه) أى أمرت بكتابته (من عائشة الى معاوية سلام عليك أما بعد فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس سخط الله برضا الناس وكله الله الى الناس والسلام عليك) وقد اقتصرت على هذا الحديث الجامع المانع (فانظر الى فقهها كيف تعرضت للآفة التى يكون الولاة) للامور (بصددها وهى مراعاة الناس وطلب مرضاتهم) والحديث قال العراقى رواه الترمذى والحاكم وفى سند الترمذى من لم يسم اهـ قلت وكذلك رواه ابن المبارك فى الزهد وفى بعض نسخ الكتاب بتقديم الجملة الثانية ومثله عند الترمذى وابن المبارك ورواه ابن حبان وابن عساكر بلفظ من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ورواه أبو بكر بن لال والخرائطى فى مساوى الاخلاق بلفظ من التمس محامد الناس بمعاصى الله عاد حامده من الناس ذاما (وكتبت) رضى الله عنها (اليه مرة أخرى أما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الله الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيأ والسلام) وقد روى معناه من حديث واثلة وابن عباس وعلى فحديث واثلة من اتقى الله أهاب الله منه كل شئ ومن لم يتق الله أهابه الله من كل شئ رواه الحكيم فى النوادر وحديث ابن عباس من اتقى الله وقاه كل شئ رواه ابن النجار وحديث على من اتقى الله عاش قويا وسار فى بلاده آمنا وعند أبى الشيخ من حديث واثلة من خاف الله أخاف منه كل شئ ومن لم يخف الله أخافه من كل شئ وقد رواه كذلك الرافعى فى تاريخه وعبد الرحمن بن محمد الكرخى فى أماليه من حديث ابن عمر (فاذا على كل ناصح أن تكون عنايته مصروفة الى تفرس الصفات) الباطنة (الخفية وتوسم الاحوال اللائقة) بالمقام والاشخاص (ليكون اشتغاله بالاهم) المقصود (فان حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد) من الحاضرين (غير ممكنة والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن الوعظ فيه تضييع زمان) ووضع الشئ فى غير موضعه (فان قلت فان كان الواعظ يتكلم فى جمع) من الناس (أو سأله من لا يدرى باطن حاله أن يعظه فكيف يفعل فاعلم ان طريقه فى ذلك ان يعظه بما يشترك كافة) وفى نسخة عامة (الخلق فى الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان فى علوم الشرع أغذية وأدوية فالاغذية للكافة) أى العامة منهم (والادوية لارباب العلل) الباطنة (ومثاله ماروى ان رجلا قال لابى سعيد الخدرى) رضى الله عنه (أوصنى قال عليك بتقوى الله عز وجل فانها رأس كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك فى أهل الارض وذكر لك فى أهل السماء وعليك بالصمت الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان) وقد روى ذلك مرفوعا من حديث ابى سعيد بلفظ عليك بتقوى الله فانها جماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله وتلاوة كتاب الله فانه نور لك فى الارض وذكر لك فى السماء واخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان هكذا رواه ابن الضريس وأبو يعلى والخطيب وعند أبى الشيخ من

حديثه بلفظ عليك بتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل فانه ذكر لك فى السماء ونور لك فى الارض وعليك بطول الصمت فانه مطردة للشياطين وعون لك على أمر دينك وقل الحق وان كان مرّا ورواه كذلك أبو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق من حديث أبى ذر (وقال رجل للحسن) البصرى رحمه الله (أوصنى فقال أعز أمر الله يعزك الله) وهذا قد روى مرفوعا من حديث أبى امامة ورواه الديلمى فى مسند الفردوس (وقال لقمان لابنه يا بنى زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك) أى يبغضوك فتسقط من أعينهم (وخذ من الدنيا بلاغك) أى قدر ما يبلغك للآخرة (وانفق فضول كسبك) أى ما فضل من مالك الذى اكتسبته (لآخرتك) أى فى سبيل الخيرات (ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا) أى عولة على الناس محتاجا اليهم (وعلى أعناق الرجال كلا) أى ثقيلا (وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة أفضل من الصوم ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين) أى الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقد روى هذا الكلام عنه مفرقا فاخرج عبد الله بن أحمد فى الزوائد عن عبد الله بن عبد الوهاب المكى قال لقمان لابنه يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فان الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الارض بوابل السماء وقد تقدم فى كتاب العلم وروى الطبرانى والرامهرمزى فى الامثال بسند ضعيف عن أبى امامة قال قال لقمان لابنه عليك بمجالسة العلماء واستمع للحكماء فان الله يحيى القلب الميت بنور الحكمة كما يحيى الارض الميتة بوابل المطر وروى أيضا مرفوعا من حديث أبى امامة بلفظ جالسوا العلماء وزاحموهم بركبكم فان الله يحيى القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيى الارض بوابل السماء وروى ابن أبى شيبة وأحمد فى الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم والخطيب فى تالى التلخيص عن أبى جعفر الخطمى ان جده عمرو بن حبيب وكانت له صحبة أوصى بنيه فقال يا بنى اياكم ومجالسة السفهاء فان مجالستهم داء انه من يحلم على السفيه يسر بحلمه الحديث (وقال) لقمان (أيضا لابنه يا بنى لا تضحك من غير عجب ولا تمش فى غير ارب ولا تسأل عما لا يعنيك) أى لا يهمك (ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت) روى أحمد فى الزهد عن شرحبيل بن مسلم ان لقمان قال اقصر عن اللجاجة ولا أنطق فيما لا يعنينى ولا أكون ضحاكا من غير عجب ولا مشاء الى غير ارب (يا بنى ان من يرحم يرحم) أى من يرحم الناس يرحمه الله وروى الشيخان من حديث جرير من لا يرحم لا يرحم وفى رواية من لا يرحم الناس لا يرحمه الله (ومن يصمت يسلم) أى من الشر رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو من صمت نجا (ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم) وقد تقدم هذا فى كتاب الصمت (وقال رجل لابى حازم) سلمة بن دينار المدنى التابعى الشهير بالاعرج (أوصنى فقال كل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته غنيمة فالزمه وكل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته مصيبة فاجتنبه) وروى أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة عمر بن عبد العزيز من طريق عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه قال قال عمر بن عبد العزيز عظنى يا أبا حازم قال قلت اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ فيه الآن وما تكره أن تكون فيه تلك الساعة فدعه الآن وروى فى ترجمة أبى حازم من طريق يعقوب بن عبد الرحمن عن أبى حازم قال انظر الذى تحب أن يكون معك فى الآخرة فقدمه اليوم وانظر الذى تكره أن يكون معك ثم فاتركه اليوم وقال أيضا كل عمل تكره الموت لاجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت (وقال موسى للخضر عليهما السلام أوصنى فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة ولا تمش فى غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران) رواه أحمد فى الزهد عن وهب بن منبه قال قال الخضر لموسى حين لقيه انزع عن اللجاجة ولا تمش من غير حاجة ولا تضحك من غير عجب والزم بيتك وابك على خطيئتك ورواه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب وابن عساكر عن أبى عبد الله أظنه الملطى قال أراد موسى أن

* وقال رجل للحسن أوصنى فقال أعز أمر الله يعزك الله وقال لقمان لابنه يا بنى زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وأنفق فضول كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى أعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة أفضل من الصوم ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين * وقال أيضا لابنه يا بنى لا تضحك من غير عجب ولا تمش فى غير أرب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بنى ان من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لابى حازم أوصنى فقال كل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته غنيمة فالزمه وكل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته مصيبة فاجتنبه وقال موسى للخضر عليهما السلام أوصنى فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة ولا تمش فى غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران

وقال رجل لمحمد بن كرام أوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك وقال رجل لحامد اللفاف أوصني فقال اجعل لدينك

غلافا كغلاف المصحف أن تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا الا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام الا فيما

لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز رحمهم الله تعالى أما بعد فخف مما خوفك الله واحذر مما حذرك الله وخذ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن يسأله أن يعظه فكتب اليه أما بعد فان الهول الاعظم والامور المفظعات امامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك اما بالنجاة واما بالعطب واعلم انه من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف أمن ومن أمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع واذا ندمت فأقلع واذا جهلت فاسأل واذا غضبت فامسك *وكتب مطرف بن عبدالله الى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله أما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء وكتب

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عدي بن ارطاة أما بعد فان الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعداء الله فأما أولياؤه فغمتهم وأما أعداؤه

فغرتهم وكتب أيضا الى بعض عماله أما بعد فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد

يفارق الخضر فقال له موسى أوصني قال كن نفاعا ولا تكن ضرارا وكن بشاشا ولا تكن غضابا وارجع عن اللجاجة ولا تمش من غير حاجة ولا تعير امرأ بخطيئة وابك على خطيئتك يا ابن عمران وروى ابن أبي حاتم وابن عساكر عن يوسف بن اسباط قال بلغني ان موسى لما أراد أن يفارق الخضر قال له ادع لي فقال له يسر الله عليك طاعته (وقال رجل لمحمد بن كرام) بن عبد الله السجستاني الزاهد جاور بمكة خمس سنين ورد نيسابور وأحدث مذهبا منه ان الله جسم في مكان مماس لعرشه فوقه وتبعه على ذلك خلق كثير بنيسابور وهراة فحبسه طاهر بن عبد الله أمير خراسان ثم انصرف الى الشام ثم عاد الى نيسابور فحبس ثانيا ثم خرج منها الى القدس فمات بها سنة ٣٥٥ وكان يظهر التقشف والزهد وسمع الحديث من علي بن حجر والطبقة وصحب أحمد بن حرب الزاهد وأكثر عن أحمد بن عبد الله الجويباري أحد الوضاعين وممن روى عنه محمد بن اسمعيل بن اسحق ومن مشهور أصحابه أبو يعقوب اسحق بن محمشاه الزاهد الواعظ امامهم في عصره أسلم على يده من أهل الكتابين والمجوس نحو خمسة آلاف رجل وامرأة ومات سنة ٣٨٣ واختلف في ضبط والده فالمشهور بالفتح والتشديد وهو لقب له كان يحفظ الكرم بسجستان وقيل بالتخفيف وهو الذي كان يذهب اليه الحافظ ابن حجر ويدل له قول الشاعر * والدين دين محمد بن كرام * وفيه تحقيق أودعناه في شرح القاموس (أوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك وقال رجل لحامد اللفاف) له ذكر في الحلية لابي نعيم (أوصني فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف كيلا تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا الا ما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه وكتب الحسن) البصري رحمه الله تعالى (الى عمر بن عبد العزيز) الاموي (رحمه الله تعالى أما بعد فخف ما خوفك الله واحذر مما حذرك الله وخذ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن) البصري رحمه الله تعالى (يسأله أن يعظه فكتب اليه أما بعد فان الهول الاعظم والامور المفظعات) أي الشديدات (أمامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك اما بالنجاة واما بالعطب) أي الهلاك (واعلم ان من حاسب نفسه) في الدنيا (ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف أمن ومن أمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع) عن الزلة (واذا ندمت فاقلع) عن المعصية (واذا جهلت) في أمر (فسل) العلماء (واذا غضبت فامسك) والسلام وروى صاحب نهج البلاغة عن علي رضي الله عنه أنه قال من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن خاف أمن ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم (وكتب مطرف بن عبد الله) بن الشخير من أقران الحسن البصري (الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله أما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء) روى أحمد والبيهقي من طريق زويد عن أبي اسحق عن عروة عن عائشة مرفوعا الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ورجال أحمد رجال الصحيح غير زويد وهو ثقة ورواه أحمد أيضا والشيرازي في الالقاب والبيهقي عن ابن منصور موقوفا (وكتب عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (الى عدي بن ارطاة) الفزاري كان عاملا لعمر بن عبد العزيز على البصرة ونقل سنة اثنين ومائة روى له البخاري في كتاب الادب المفرد (أما بعد فان الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعداء الله أما أولياؤه فغمتهم وأما أعداء الله فغرتهم) أخرجه أبو نعيم في الحلية وفيه فان الدنيا عدوة الله وعدوة أولياء الله الخ وقد تقدمت الاشارة اليه في شرح خطبة كتاب ذم الدنيا (وكتب) عمر بن عبد العزيز (أيضا الى بعض عماله أما بعد فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد

فاذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك واعلم انك لاتأتي الى الناس شيأ الا كان زائلا عنهم باقيا عليك واعلم ان الله عزوجل آخذ للمظلومين من الظالمين والسلام فهكذا ينبغي أن يكون وعظ العامة ووعظ من لايدرى خصوص واقعته فهذه المواعظ مثل الاغذية التي يشترك الكافة في الانتفاع بها ولاجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصي واستسرى الفساد وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون اسجاعا وينشدون أبياتا ويتكلفون ذكر ماليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل الى القلب بل القائل متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف فاذن كان طلب الطبيب أول علاج المرضى وطلب العلماء أول علاج العاصين فهذا أحد أركان العلاج وأصوله

(الاصل الثاني الصبر)

ووجه الحاجة اليه ان المريض انما يطول مرضه لتناوله مايضره وانما يتناول ذلك اما لغفلته عن مضرته واما لشدة غلبة شهوته فله سببان فما ذكرناه هو علاج الغفلة فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجها قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاصله ان المريض اذا اشتد ضراوته لمأكول مضر فطريقه أن يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه

فاذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك واعلم انك لاتاتي الى الناس شيأ الا كان زائلا عنهم باقيا عليك واعلم ان الله عزوجل آخذ للمظلومين من الظالمين والسلام) أخرجه أبو نعيم في الحلية ومن كتابه الى بعض عماله أما بعد فاتق الله فيمن وليت أمره ولا تأمن مكره في تأخير عقوبته فانه انما يعجل بالعقوبة من يخاف الفوت والسلام ومن كتابه الى رجل أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله والانتشار لما استطعت من مالك وما رزقك الله الى دار قرارك فانك والله لكأنك ذقت الموت وعاينت مابعده بتصرف الليل والنهار فانهما سريعان في طي الاجل ونقص العمر مستعدان بمن بقي بمثل الذي أصابه من قد مضى فنستغفر الله لسيئ أعمالنا ونعوذ به من مقته ايانا على مانلفظ به مما يقصر عنه قوانا وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أوصني قال أوصيك بتقوى الله وايثاره تخف عليك المؤنة فيحسن لك من الله المعونة وكتب أيضا الى رجل أوصيك بتقوى الله الذي لايقبل غيرها ولا يرحم الا أهلها ولا يثيب الا عليها فان الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل وكتب الى بعض عماله أما بعد فكان العباد قد عادوا الى الله ثم ينبئهم بما عملوا ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى فانه لامعقب لحكمه ولا منازع في أمره ولا تقاطع في حقه الذي استحفظ عباده وأوصاهم به واني أوصيك بتقوى الله وأحثك على الشكر فيما اصطنع عندك من نعمه وآتاك من كرامته فان نعمه يمدها شكره ويقطعها كفره واكثر ذكر الموت الذي لاتدري متى يغشاك فلا مناص ولا فوت وأكثر ذكر يوم القيامة وشدته فان ذلك يدعوك الى الزيادة فيما زهدت فيه والرغبة فيما رغبت فيه وكن مما أوتيت من الدنيا على وجل فان من لايحذر ذلك ولا يخوفه يوشك الصرعة أن تدركه في الغفلة وأكثر النظر في عملك في دنياك بالذي أمرت به ثم اقتصر عليه فان فيه لعمري شغلا عن دنياك ولا تدرك العمل حتى تؤثره على الجهل ولا الحق حتى تذر الباطل فنسأل الله لنا ولك حسن معونته وكتب الى بعض عماله أما بعد فالزم الحق ينزلك الحق منازل أهل الحق يوم لايقضى بين الناس الا بالحق وهم لايظلمون وقال لرجل أوصيك بتقوى الله فانها ذخيرة الفائزين وحرز المؤمنين واياك والدنيا أن تفتنك فانها قد فعلت ذلك بمن كان قبلك فانها تغر المطمئنين اليها وتفجع الواثق بها وتثلم الحريص عليها ولا تبقى لمن استبقاها ولا يدفع المتلف عنها من حواها لمناها مناظر بهجة ماقدمت منها امامك لم يسبقك وما أخرت منها خلفك لم يلحقك (فهكذا ينبغي أن يكون وعظ العامة ووعظ من لايدرى خصوص واقعته فهذه المواعظ مثل الاغذية التي تشترك الكافة في الانتفاع بها ولاجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ انحسم باب الاتعاظ) أي انسد (وغلبت المعاصي واستسرى الفساد وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون اسجاعا) أي يزينون كلمات موزونة يتكلفون فيها وينشدون أبياتا بمناسبة مايوردونه ويتكلفون ذكر ماليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم) وهيبتهم (ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل الى القلب) فقد روي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى انه قال الكلام الذي يصدر عن القلب يقع على القلب (بل القائل متصلف) أي متكبر (والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف) عن حلبة السباق (فاذا كان طلب الطبيب أول علاج المرضى وطلب العلماء أول علاج العاصين فهذا أحد أركان العلاج وأصوله الاصل الثاني الصبر ووجه الحاجة اليه ان المريض انما يطول مرضه لتناوله مايضره) من الاطعمة (وانما يتناول ذلك اما لغفلته عن مضرته واما لشدة غلبة شهوته فله سببان) أي للمانع من التوبة سببان أحدهما الجهل بآفات الذنوب وماترتب عليها من العقوبات العاجلة والآجلة (فما ذكرناه هو علاج الغفلة) وهو العلم لان العلة تعالج بضدها (فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجها) بالصبر لان الصبر حبس النفس من المشتهى وهذا يأتي في الكتاب الذي بعده (قد ذكرناه أيضا في كتاب رياضة النفس) وتهذيب الاخلاق (وحاصله ان المريض اذا اشتدت ضراوته بمأكول مضر فطريقه أن يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره) لئلا يتعلق القلب به (ثم يتسلى عنه بما يقرب منه

في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الالم الذي يناله في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة في المعاصي
كالشاب مثلا اذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه ولا حفظ قلبه أو حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي أن يستشعر ضرر
ذنبه بان يستقري المخوفات التي جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا اشتد خوفه تباعد من الاسباب المهيجة لشهوته
ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهى والنظر اليه وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل (٦٢٥) تناول لذائذ الاطعمة وعلاجه الجوع
والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم الا بصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم الا عن بصيرة وافتكار أو عن سماع وتقليد فاول الامر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف الى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث من تمامه لا محالة خوفه واذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعي لطلب العلاج وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك فمن أعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف فاتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسييسره الله تعالى لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى فلا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما على الانبياء الا شرح طرق الهدى وانما لله الآخرة والاولى فان قلت فقد رجع الامر كله الى الايمان

في صورته) أو خاصيته (ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الالم الذي يناله في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا اذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه ولا حفظ قلبه ولا حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي أن يستشعر ضرر ذنبه بان يستقري المخوفات التي جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا اشتد خوفه تباعد من الاسباب المهيجة) أي الباعثة (لشهوته ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهى) بين يديه (والنظر اليه وعلاجه الهرب والعزلة) عن الخلق (و) مهيجها (من داخل لذائذ الاطعمة وعلاجه الجوع) في أكثر الاوقات (والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم الا بصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم الا عن بصيرة وافتكار أو عن سماع) من أفواه الشيوخ (وتقليد) لهم (فأول الامر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف الى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث من تمامه لا محالة خوفه واذا قوي الخوف) وتمكن منه (تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعي لطلب العلاج) للداخل والخارج (وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك) فلا يقدر له قدر فالمساعي أشتات مختلفة (فمن أعطى من قلبه حسن الاصغاء) لامور الطاعات (واستشعر الخوف فاتقى) المعاصي (وانتظر الثواب وصدق بالحسنى) أي بالكلمات الحسنى (وهي ما دل على حق) ككلمة التوحيد (فسييسره الله تعالى) أي سنهيئه (لليسرى) أي للخلة المؤدية الى اليسر والزلف كدخول الجنة (وأما من بخل) بما أمر به (واستغنى) بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بانكار مدلولها (فسييسره الله للعسرى) أي للخلة المؤدية الى العسر والشدة بدخول النار (فلا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك) أي مات (وتردى) حفرة القبر أو قعر جهنم (وما على الانبياء الا شرح طرق الهدى) أي الارشاد الى الحق بشرح صفاته أو بمقتضى حكمته (وانما لله الآخرة والاولى) فيعطي في الدارين الذي يشاء أو ثواب الهداية للمهتدين وفي السياق تلميح لقوله تعالى ان سعيكم لشتى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله اذا تردى ان علينا للهدى وان لنا للآخرة والاولى (فان قلت فقد رجع الامر كله الى الايمان لان ترك الذنب لا يمكن الا بالصبر عنه) على مرارته (والصبر لا يمكن الا بمعرفة الخوف والخوف لا يحصل الا بالعلم والعلم لا يحصل الا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الايمان فكأن من أصر على الذنب لم يصر عليه الا لانه غير مؤمن فاعلم ان هذا لا يكون لفقد الايمان) من أصله (بل يكون لضعف الايمان اذ كل مؤمن مصدق بان المعصية سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب أمور أحدها أن العقاب الموعود) على الذنب (غيب ليس بحاضر) في الحال (والنفس جبلت متأثرة بالحاضر) في الحال وفي نسخة تحب الحاضر (فتأثرها بالموعود) الغائب (ضعيف بالاضافة الى تأثرها بالحاضر) وهذا ظاهر (الثاني ان الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة) أي مقتضية (وهي في الحال) أي الحاضر (آخذة بالمخنق)

لان ترك الذنب لا يمكن الا بالصبر عنه والصبر لا يمكن الا بمعرفة الخوف والخوف لا يكون
الا بالعلم والعلم لا يحصل الا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الايمان فكأن من أصر على
الذنب لم يصر الا لانه غير مؤمن * فاعلم ان هذا لا يكون لفقد الايمان بل يكون لضعف الايمان اذ كل مؤمن مصدق بان المعصية سبب البعد من الله
تعالى وسبب العقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب أمور * أحدها ان العقاب الموعود غيب ليس بحاضر والنفس جبلت متأثرة
بالحاضر فتأثرها بالموعود ضعيف بالاضافة الى تأثرها بالحاضر * الثاني أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة بالمخنق

وقد قوي ذلك واستولى عليها بسبب الاعتياد والالف والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف الآجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال عز وجل بل تؤثرون الحياة الدنيا وقد عبر عن شدة الامر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق النار فقال لجبريل

عليه السلام اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد الا دخلها وخلق الجنة فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر اليها فنظر فقال وعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها فحفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد فاذا كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخرا الى المآل سببان ظاهران في الاسترسال مع حصول أصل الايمان فليس كل من يشرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذبا بأصل الطب ولا مكذبا بأن ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه ناجز فيهون عليه الالم المنتظر * الثالث انه ما من مذنب مؤمن الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيآت بالحسنات وقد وعد بأن ذلك يجبره الا أن طول

كقعقد العنق لانه موضع الخنق (وقد قوي ذلك واستولى) أي غلب (عليها بسبب الاعتياد والالف و) قد قالوا (العادة طبيعة خامسة) زيادة على الطبائع الاربع (والنزوع عن العاجل) في الحال (لخوف الآجل) في المآل (شديد على النفس) ثقيل عليها (ولذلك قال) الله تعالى (كلا بل تحبون العاجلة) أي الدنيا الحاضرة (وتذرون الآخرة) وهي الآجلة أي بتركونها بمقتضى الفهم للعاجلة (وقال عز من قائل تؤثرون الحياة الدنيا) والآخرة خير وأبقى (وقد عبر عن شدة الامر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره) جمع مكرهة وهي ما يكرهه الانسان ويشق عليه من القيام بحقوق العبادة على وجهها وأصل الحف الدائر بالشئ المحيط والمعنى أحاطت المكاره بنواحي الجنة فهي لا تنال الا بقطع مفاوز المكاره والصبر عليها (وحفت النار بالشهوات) أي أحاطت والشهوات كل ما يلائم النفس وتدعو اليه وهو تمثيل حسن معناه يوصل الى الجنة بارتكاب المكاره من الجهد في الطاعة والصبر على الشهوة كما يوصل المحجوب من الشئ اليه بتك حجابه ويوصل الى النار بارتكاب الشهوات ومن المكاره الصبر على المصائب بأنواعها فكلما صبر على واحدة قطع حجابا من حجب الجنة ولا يزال يقطع حجبها حتى لا يبقى بينه وبينها الا مفارقة روحه بدنه وهذا من جوامع الكلم في ذم الشهوات أخرجه أحمد ومسلم وعبد بن حميد والدارمي والترمذي وأبو يعلى وابن حبان من طريق ورقاء عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة مرفوعا ورواه احمد ومسلم والترمذي أيضا من طريق ابن سلمة عن ثابت وحميد كلاهما عن أنس مرفوعا ورواه القضاعي من طريق اسحق بن محمد الفروي عن مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة كذلك ورواه البخاري من طريق مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة لكن بلفظ حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره ورواه أحمد في الزهد عن ابن مسعود موقوفا (وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله) عز وجل (خلق النار فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر اليها) فذهب (فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات) أي جعلها كالسور المحيط بها (ثم قال) له (اذهب فانظر اليها) فذهب فنظر اليها (فقال لقد خشيت أن لا يبقى أحد الا دخلها وخلق الجنة فقال لجبريل) عليه السلام (اذهب فانظر اليها) فذهب (فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها فحفها بالمكاره) أي بالشدائد والمكروهات (ثم قال اذهب فانظر اليها) فذهب (فنظر اليها) (فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد) قال العراقي رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححاه من حديث أبي هريرة وقدم فيه ذكر الجنة اهـ (فاذا كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخرا الى المآل سببان ظاهران في الاسترسال) في المعاصي (مع حصول أصل الايمان) وبقائه (فليس كل من يشرب في مرضه ماء الثلج) أي المبرد به (لشدة عطشه) وكثرة لهبه (مكذبا بأصل الطب ولا مكذبا بأن ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه ناجز) في الحال (فيهون عليه الالم المنتظر) في الحال (الثالث انه ما من) عبد (مذنب مؤمن الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد بان ذلك يجبره الا أن طول الامل غالب على الطباع) مستول عليه (فلا يزال يسوف بالتوبة والتكفير) مرة بعد أخرى (فمن حيث رجاؤه توفيقه للتوبة) وفي نسخة التوفيق للتوبة (ربما يقدم عليه مع) بقاء أصل (الايمان الرابع انه ما من مؤمن موقن الا وهو معتقد أن الذنوب لا توجب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر العفو عنها اتكالا على فضل الله

الامل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير فمن حيث رجاؤه التوفيق للتوبة ربما يقدم عليه مع الايمان * الرابع انه ما من مؤمن موقن الا وهو معتقد أن الذنوب لا توجب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر العفو عنها اتكالا على فضل الله تعالى

تعالى فهذه أسباب أربعة موجبة للاصرار على الذنب مع بقاء أصل الايمان نعم وقد يقدم المذنب بسبب خامس يقدح في أصل ايمانه وهو
كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يحذره الطبيب عن تناول ما يضره في المرض فان كان المحذر ممن لا يعتقد فيه انه عالم بالطب
فيكذبه أو يشك فيه فلا يبالي به فهذا هو الكفر فان قلت فما علاج الاسباب الخمسة فاقول هو الفكر وذلك بان يقرر على نفسه في السبب الاول
وهو تأخر العقاب أن كل ما هو آت آت وان غدا للناظر قريب وان الموت أقرب الى كل أحد من شراك نعله فما يدريه لعل الساعة قريب
والمتأخر اذا وقع صار ناجزا ويذكر نفسه انه أبدا في دنياه يتعب

في الحال لخوف أمر في الاستقبال
اذ ركب البحار ويقاسي الاسفار لاجل الربح الذي يظن انه قد يحتاج اليه في ثاني الحال بل لو مرض فأخبره طبيب نصراني بان شرب الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت وكان الماء البارد ألذ الاشياء عنده تركه مع ان الموت ألمه لحظة اذا لم يخف ما بعده ومفارقته الدنيا لا بد منها فكم نسبة وجوده في الدنيا الى عدمه أزلا وأبدا فلينظر كيف يبادر الى ترك ملاذه بقول ذمي لم تقم معجزة على طبه فيقول كيف يليق بعقلي أن يكون قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات عندي دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة على طبه ولا يشهد له الاعوام الخلق وكيف يكون عذاب النار عندي أخف من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه
ويكلف نفسه تركها ويقول اذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام العمر وهي أيام قلائل فكيف أقدر على ذلك أبد الآباد واذا كنت
لا أطيق ألم الصبر فكيف أطيق ألم النار واذا كنت لا أصبر على زخارف الدنيا مع كدورتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف أصبر
عن نعيم الآخرة وأما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في أن أكثر صياح أهل النار من التسويف لان المسوف يبني الامر على ما ليس اليه وهو
البقاء فلعله لا يبقى وان بقي فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل عجز في الحال الا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه
غدا بل تتضاعف اذ تتأكد بالاعتياد فليست الشهوة التي أكدها الانسان بالعادة كالتي لم يؤكدها ومن هذا

تعالى فهذه أسباب أربعة موجبة للاصرار على الذنب مع بقاء أصل الايمان) في كل منها (نعم قد يقدم
المذنب بسبب خامس يقدح في أصل الايمان) ويخالفه (وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر)
وهو (كالذي يحذره الطبيب عن تناول ما يضره في المرض فان كان المحذر ممن لا يعتقد فيه انه عالم بالطب
أو حاذق فيه فيكذبه أو يشك فيه فلا يبالي به وهذا هو الكفر فان قلت فما علاج الاسباب الخمسة)
المذكورة (فاقول) علاجها الكلي (هو الفكر) أي استعماله (وذلك بان يقرر على نفسه في السبب
الاول وهو تأخر العقاب ان كل ما هو آت آت وان غدا للناظرين) وفي نسخة للناظره (قريب وان الموت
أقرب الى كل أحد من شراك نعله) كما في الصحيح من حديث عائشة ان بلالا لما وعك بالمدينة كان يرفع
عقيرته ويقول كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله
وهو تحقيق لكمال تقريبه (فما يدريه لعل الساعة قريب والمتأخر اذا وقع صار ناجزا ويذكر نفسه انه
أبدا في دنياه يتعب نفسه في الحال لخوف أمر في الاستقبال اذ ركب البحار) والاوعار (ويقاسي الاسفار
لاجل) تحصيل (الربح الذي يظن انه قد يحتاج اليه في ثاني الحال بل لو مرض وأخبره طبيب نصراني بان
شرب الماء البارد) مثلا (يضره) في مرضه (ويسوقه الى الموت وكان الماء البارد ألذ الاشياء عنده تركه)
ولم يشرب به (مع ان الموت ألمه لحظة) واحدة (اذا لم يخف ما بعده ومفارقته للدنيا لا بد منها فكم نسبة
مدة وجوده في الدنيا) وبقائه فيها (الى عدمه أزلا وأبدا فلينظر كيف يبادر الى ترك ملاذه بقول ذمي لم تقم
معجزته على طبه فيقول كيف يليق بعقلي أن يكون قول الانبياء) عليهم السلام (والمؤيدون
بالمعجزات) الباهرة (عندي دون قول نصراني) طبيب يدعي الطب لنفسه بلا معجزة على طبه ولا يشهد له
الاعوام الخلق) الذين لا عبرة بهم (وكيف يكون عذاب النار عندي أخف من عذاب المرض وكل يوم في
الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا) كما أخبر به الله تعالى في كتابه العزيز وان يوما عند ربك
كألف سنة (وهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول اذا كنت لا أقدر
على ترك لذاتي أيام العمر وهي أيام قلائل) بالنسبة الى العدم (فكيف أقدر على ذلك أبد الابد واذا كنت
لا أطيق ألم الصبر فكيف أطيق ألم النار واذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كثرة همومها وكدوراتها
وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف أصبر عن نعيم الآخرة) مع سلامته من المنغصات (و) أما
(تسويف التوبة) أي تأخيرها من وقت الى وقت (فيعالجه بالفكر في أن أكثر صياح أهل النار من
التسويف) كما ورد ذلك في بعض الاخبار وتقدم ذكره (لان المسوف يبني الامر على ما ليس اليه وهو
البقاء) بلا فناء (فلعله لا يبقى وان بقي فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل
عجز في الحال الا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف) وتزداد (اذ تتأكد بالاعتياد
فليس الشهوة التي أكدها الانسان بالاعتياد) عليها وفي نسخة بالعادة (كالتي لم يؤكدها ومن هذا

هالك المسوّفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون أن الايام متشابهة فى أن ترك الشهوات فيها أبدا شاق ومامثال المسوّف الامثال من احتاج الى قلع شجرة فرآها قوية لاتنقلع الابمشقة شديدة فقال أؤخرها سنة ثم أعود اليها وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة فى الدنيا أعظم من حماقته اذعجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فأخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو فى نفسه وقوى الضعيف وأما المعنى الرابع وهو انتظار عفو الله تعالى فعلاجه ماسبق وهو كمن ينفق جميع أمواله و يترك نفسه وعياله فقراء منتظرا من فضل الله تعالى ان يرزقه العثور على كنز فى أرض خربة فان امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من يتوقع النهب من الظلمة فى بلده (٦٣٨) وترك ذخائر أمواله فى صحن داره وقدر على دفنها واخفائها فلم يفعل وقال انتظر من فضل الله تعالى ان يسلط غفلة أوعقوبة على الظالم الناهب حتى لايتفرغ الى دارى أواذا انتهى الى دارى مات على باب الدار فان الموت ممكن والغفلة ممكنة وقد حكى فى الاسمار ان مثل ذلك وقع فانا أنتظر من فضل الله مثله فمنتظر هذا منتظر أمر ممكن ولكنه فى غاية الحماقة والجهل اذقد لايمكن ولا يكون وأما الخامس وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الاسباب التى تعرفه صدق الرسل وذلك يطول ولكن يمكن ان يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله فيقال له ماقاله الانبياء المؤيدون بالمجزات هل صدقه ممكن أوتقول أعلم انه محال كما أعلم استحالة كون شخص واحد فى مكانين فى حالة واحدة فان قال أعلم استحالته كذلك فهو أخرق معتوه وكأنه لاوجود لمثل هذا فى العقلاء وان قال أنا شاك فيه فيقال لو أخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك فى البيت لحظة انه ولغت فيه حية وألقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تأكله أو تتركه وان كان ألذ الاطعمة فيقول أتركه لامحالة لانى أقول ان كذب فلا يفوتنى الا هذا الطعام والصبر عنه وان كان شديدا فهو قريب وان صدق فتفوتنى الحياة والموت بالاضافة الى ألم الصبر عن الطعام واضاعته شديد فيقال له ياسبحان الله كيف تؤخر صدق الانبياء كلهم مع ماظهر لهم من المعجزات وصدق كافة الاولياء والعلماء والحكماء بل جميع أصناف العقلاء ولست أعنى بهم جهال العوام بل ذوى الالباب عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس فى العقلاء الا من صدق باليوم الآخر وأثبت ثوابا وعقابا وان اختلفوا فى كيفيته فان صدقوا فقد أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد وان كذبوا فلا يفوتك الا بعض

شهوات

هالك المسوّفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون أن الايام متشابهة فى ان ترك الشهوات فيها أبدا شاق) أى شديد (ومامثال المسوّف الامثال من احتاج الى قلع شجرة) من أصلها (فرآها قوية) راسخة فى الارض (لاتنقلع الابمشقة شديدة فقال أؤخرها سنة ثم أعود اليها وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها) فى الارض (وهو كلما طال عمره) بعد الاربعين (ازداد ضعفه فلا حماقة فى الدنيا أعظم من حماقته اذعجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فأخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو فى نفسه وقوى الضعيف وأما المعنى الرابع وهو انتظار عفو الله تعالى فعلاجه ماسبق) قريبا (وهو كمن ينفق جميع أمواله) على الفقراء والمساكين (و يترك نفسه وعياله فقراء) عالة (منتظرا من فضل الله تعالى ان يرزقه العثور) أى الاطلاع على كنز فى أرض قرية فان امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان (وهو مثل من يتوقع النهب من الظلمة فى بلده وترك ذخائر أمواله فى صحن داره وقدر على دفنها واخفائها فلم يفعل وقال انتظر من فضل الله تعالى أن يسلط غفلة على الظالم الناهب حتى لايتفرغ الى دارى) بل يشتغل عنها (أواذا انتهى الى دارى مات على باب الدار) ولم يمكن من أخذ الاموال (فان الموت ممكن والغفلة ممكنة وقد حكى فى الاسمار) أى الحكايات عن الماضين ممن سمر بها (ان مثل ذلك) قد (وقع فانا أنتظر من فضل الله تعالى مثله فمنتظر هذا منتظر أمر ممكن ولكنه فى غاية الحماقة) وقلة العقل (والجهل اذقد لايمكن ولا يكون وأما الخامس وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الاسباب التى تعرفه صدق الرسل وذلك يطول) بيانه (ولكن يمكن أن يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله فيقال له) وفى نسخة فيقول (ماقاله الانبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقه ممكن أوتقول اعلم انه محال كما اعلم استحالة كون شخص واحد فى مكانين) مختلفين (فى حالة واحدة فان قال اعلم استحالته) كذلك (فهو أخرق معتوه) ذاهب العقل (وكأنه لاوجود لمثل هذا فى العقلاء وان قال أنا شاك فيه فيقال لو أخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك فى البيت لحظة انه ولغت فيه حية وألقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تأكله أم تتركه وان كان ألذ الاطعمة فيقول أتركه لامحالة لانى أقول ان كذب فلا يفوتنى الا هذا الطعام) اللذيذ (والصبر عنه وان كان شديدا فهو قريب وان صدق فتفوتنى الحياة) فى الدنيا (والموت بالاضافة الى ألم الصبر عن الطعام واضاعته شديد) هول (فيقال له ياسبحان الله كيف تؤخر صدق الانبياء) عليهم السلام (كلهم مع ماظهر لهم من المعجزات) والآيات الدالة على ماقالوا (وصدق كافة الاولياء والعلماء والحكماء بل جميع أصناف العقلاء) من الانس (ولست أعنى بهم جهال العوام بل ذوى الالباب عن صدق رجل واحد مجهول) لايعلم كيفا (لعل له غرضا فيما يقول فليس فى العقلاء الا من صدق باليوم الآخر وأثبت ثوابا وعقابا) على الطاعة والعصيان (وان اختلفوا فى كيفيته فان صدقوا فقد أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد وان كذبوا فلا يفوتك الا بعض

شهوات هذه الدنيا الفانية المكدرة فلا يبقى له توقف ان كان عاقلا مع هذا الفكر اذ لا نسبة لمدة العمر الى أبد الآباد بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالذرة وقدرنا طائرا يلتقط فى كل ألف ألف سنة حبة واحدة منها الفنيت الذرة ولم ينقص أبد الآباد شيأ فكيف يفتر رأى العاقل فى الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لاجل سعادة تبقى أبد الآباد ولذلك قال أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخى المعرى قال المنجم والطبيب كلاهما * لا تبعث الاموات قلت اليكما ان صح قولكما فلست بخاسر * أو صح قولى فالخسار عليكما ولذلك قال على رضى الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الامور وكان شاكا ان صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا والا فقد تخلصت (٦٢٩) وهلكت أى العاقل يسلك طريق الامن فى جميع الاحوال فان قلت هذه الامور جلية ولكنها ليست تنال الا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستثقلته وما علاج القلوب لردها الى الفكر لا سيما من آمن بأصل الشرع وتفصيله فاعلم أن المانع من الفكر أمران أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر فى عقاب الآخرة وأهوالها وشدائدها وحسرات العاصين فى الحرمان عن النعيم المقيم وهذا فكر لداغ مؤلم للقلب فينفر القلب عنه و يتلذذ بالفكر فى أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة والثانى أن الفكر شغل فى الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من انسان الا وله فى كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخرا لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته فى طلب الحيلة فيه أو فى مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك وأما علاج هذين المانعين فهو أن يقول لقلبه ما أشد غباوتك فى الاحتراز من الفكر فى الموت وما بعده تألما بذكره مع استحقار ألم مواقعته فكيف تصبر على مقاساته اذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتألم به وأما الثانى وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا فهو أن يتحقق فوات لذات الآخرة أشد وأعظم فانها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور وهى مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن كدر وكيف وفى التوبة عن المعاصى والاقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته وطول الانس به ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف اليه من نعيم الآخرة نعم هذه اللذة لا تكون فى ابتداء التوبة ولكنها بعد ما يصبر عليها مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا كما كان

شهوات الدنيا الفانية المكدرة فلا يبقى له توقف ان كان عاقلا مع هذا الفكر اذ لا نسبة لمدة العمر الى أبد الآباد بل لو قدرنا الدنيا مملوأة ذرة) وفى نسخة بالذرة (وقدرنا طائرا يلتقط فى كل ألف ألف سنة حبة واحدة منها الفنيت الذرة ولم ينقص من أبد الآباد شئ فكيف يفتر رأى العاقل فى الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لاجل سعادة تبقى أبد الآباد) وذلك لا منتهى له (ولذلك قال) أديب معرة النعمان (أبو العلاء) أحمد بن سليمان التنوخى (المعرى) تقدمت ترجمته

(قال المنجم والطبيب كلاهما * لا تبعث الاموات قلت اليكما

ان صح قولكما فلست بخاسر * أو صح قولى فالخسار عليكما)

فهذا كلامه مع منكر الحشر (وكذلك قال على رضى الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الامور وكان شاكا) فى أمر الآخرة (ان صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا والا فقد تخلصت) أنا (وهلكت) أنت وقد تقدم ذلك فى كتاب ذم الغرور (أى العاقل يسلك طريق الامن فى جميع الاحوال فان قلت هذه أمور جلية ولكنها ليست تنال الا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستثقلتها وما علاج القلوب لردها الى الفكر لا سيما من آمن بأصل الشرع وتفصيله فاعلم أن المانع من الفكر) فى هذه الامور (أمران أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر فى عقاب الآخرة وأهوالها وشدائدها وحسرات العاصين فى الحرمان عن النعيم المقيم وهذا فكر لداغ مؤلم للقلب) كأنه يلدغه (فينفر القلب عنه و يتلذذ بالفكر فى أمور الدنيا على سبيل التفرج) والانبساط (والاستراحة والثانى أن الفكر شغل فى الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من انسان الا وله فى كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته) أى أسرته (فصار عقله مسخرا لشهوته) أى منقادا لها (فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته فى طلب الحيلة فيه أو فى مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك) فهذا سبب استثقال القلوب الفكر (وأما علاج هذين المانعين فهو أن يقول لقلبه ما أشد غباوتك فى الاحتراز من الفكر فى الموت وما بعده تألما بذكره مع استحقار ألم مواقعته فكيف تصبر على مقاساته اذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتألم به وأما الثانى وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا فهو أن يتحقق أن لذة الآخرة أشد وأعظم فانها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور) أى الذهاب والانطماس (وهى) مع ذلك (مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن كدر وكيف وفى التوبة عن المعاصى والاقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته وطول الانس به ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافيا) ولم يحتج فيه الى ضميمة (فكيف بما ينضاف اليه من نعيم الآخرة نعم هذه اللذة لا تكون فى ابتداء التوبة ولكنها بعد ما يصبر عليها مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا) أى عادة وطبعا (كما كان

الشر) قبل ذلك (ديدنا) وطبعا (فالنفس قابلة لما عودتها) راغبة ما رغبتها (فتعود الخير عادة والشر
لجاجة) والعادة من العود الى الشئ مرة بعد أخرى وأكثر ما تستعمل في المراجعة في الشئ المضر بشؤم
الطبع من غير تدبر عاقبته و يسمى فاعله لجوجا وروى الطبراني في الكبير عن ابن مسعود موقوفا الخير
عادة وروى ابن ماجه والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية والبيهقي والقضاعي وابن عساكر من طريق
يونس بن ميسرة بن حلبس عن معاوية بن أبي سفيان رفعه الخير عادة والشر لجاجة زاد بعضهم فيه ومن
يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (فاذا هذه الافكار هي المهيجة) أي الباعثة (للخوف المهيج لقوة الصبر
عن اللذات) والشهوات (و يهيج هذه الافكار وعظ الواعظ وتنبيهات تقع للقلب) على سبيل ورود
الواردات (باسباب تتفق) في بعض الاحوال والاحيان (لاتدخل في الحصر) ولا في الضبط (فيصير الفكر
موافقا للطبع فيميل القلب اليه) ومعنى موافقته للطبع الرجوع الى الخير والامتناع عن الشر فيكون
الفكر بمنزلة الحاكم والطبع محكوما عليه (و يعبر عن السبب الذي أوقع الموافقة بين الطبع والفكر
الذي هو سبب الخير بالتوفيق اذ التوفيق هو التأليف بين الارادة و بين المعنى الذي هو طاعة نافعة في
الآخرة) و يقرب منه قول بعضهم هو جعل الله فعل عبده موافقا لما يحبه و يرضاه وقول بعضهم هو
الهداية الى وفق الشئ وقدره وما يوافقه و يعبر عنه أيضا بالتسديد (وقد روى في حديث طويل) يروى
من طريق أهل البيت (انه قام عمار بن ياسر) رضي الله عنه (فقال لعلي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين
أخبرنا عن الكفر على ماذا بنى فقال علي رضي الله عنه بنى على أربع دعائم على الجفاء والعمى والغفلة
والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء) أي أبغضهم (ومن عمى نسي الذكر ومن
غفل حاد عن الرشد ومن شك غرته الاماني فأخذته الحسرة والندامة و بدا له من الله مالم يكن يحتسب)
ولفظ القوت بعد قوله عن الرشد وغرته الاماني فأخذته الساعة والندامة و بدا لهم من الله مالم يكونوا
يحتسبون ومن شك تاه في الضلالة اهـ و رواه صاحب نهج البلاغة في حديث طويل عن علي رضي الله
عنه قال فيه والكفر على أربع دعائم على التعمق والتنازع والزيغ والشقاق فمن تعمق لم ينب الى الحق
ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر
الضلالة ومن شاق وعرت عليه طرقه وأعضل عليه أمره وضاق مخرجه والشك على أربع شعب على
التمارى والهول والتردد والاستسلام فمن جعل المراء ديدنا لم يصبح ليله ومن هاله ما بين يديه نكص على
عقبيه ومن تردد في الريب وطئته سنابك الشياطين ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما اهـ
قلت هكذا رواه قبيصة بن جابر والعلاء بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا كنا جلوسا عند علي بن أبي طالب اذ
أتاه رجل من خزاعة فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الاسلام والكفر على ماذا بنيا فساقوه بطوله ورواه
الحرث عن علي مختصرا (فما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكر) اذ جعل الغفلة أحد مقامات
الكفر وقرنها بالعمى والشك وأحال صاحبها عن الرشد و وصفه بالحيرة (وهذا القدر في التوبة كاف)
لذوي البصائر (واذا كان الصبر ركنا من أركان دوام التوبة فلابد من بيان الصبر فنذكره في كتاب مفرد
ان شاء الله تعالى) وبهذا ينكشف لك سر الترتيب الذي رتبه المصنف رحمه الله تعالى في هذا الكتاب فما
أغزر علمه وأدق نظره فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علما و يرحمنا فيما نعلم بمنه وسعة جوده و به تم شرح كتاب
التوبة *(خاتمة)* في ذكر ما يتعلق من التنبيهات والاشارات في التوبة قال أبو القاسم القشيري في
الرسالة ان للتوبة أسبابا وترتيبا وأقساما فأول ذلك انتباه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية العبد ما هو عليه
من سوء الحالة و يصل الى هذه الجملة بالتوفيق للاصغاء الى ما يخطر بباله من زواجر الحق سبحانه بسمع قلبه
فاذا تمكن بقلبه سوء ما يصنعه وأبصر ما هو عليه من قبيح الافعال رسخ في قلبه ارادة التوبة والاقلاع عن
قبيح المعاملة فيمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمة والاخذ في جميع الرجوع والتأهب لاسباب التوبة فأول

الشر ديدنا فالنفس قابلة
ما عودتها تتعود والخير عادة
والشر لجاجة فاذا هذه
الافكار هي المهيجة للخوف
المهيج لقوة الصبر عن اللذات
ومهيج هذه الافكار وعظ
الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب
بأسباب تتفق لاتدخل
في الحصر فيصير الفكر
موافقا للطبع فيميل القلب
اليه و يعبر عن السبب
الذي أوقع الموافقة بين
الطبع والفكر الذي هو
سبب الخير بالتوفيق اذ
التوفيق هو التأليف بين
الارادة و بين المعنى الذي
هو طاعة نافعة في الآخرة
وقد روى في حديث طويل
انه قام عمار بن ياسر فقال
لعلي بن أبي طالب كرم الله
وجهه يا أمير المؤمنين أخبرنا
عن الكفر على ماذا بني
فقال علي رضي الله عنه بني
على أربع دعائم على الجفاء
والعمى والغفلة والشك
فمن جفا احتقر الحق وجهر
بالباطل ومقت العلماء ومن
عمى نسي الذكر ومن غفل
حاد عن الرشد ومن شك
غرته الاماني فأخذته الحسرة
والندامة و بدا له من الله مالم
يكن يحتسب فما ذكرناه
بيان لبعض آفات الغفلة
عن التفكر وهذا القدر
في التوبة كاف واذا كان
الصبر ركنا من أركان دوام
التوبة فلابد من بيان الصبر
فنذكره في كتاب مفرد ان
شاء الله تعالى

ذلك هجران اخوان السوء فانهم هم الذين يحملون على رد هذا القصد و يشوشون عليه صحة هذا العزم
ولا يتم ذلك الا بالمواظبة على المشاهدة التي تزيد رغبته في التوبة وتوفر دواعيه على اتمام ما عزم عليه مما
يقوي خوفه ورجاءه فعند ذلك تنحل من قلبه عقدة الاصرار على ما هو عليه من قبيح الفعال فيقف عن
تعاطي المحظورات ويكبح لجام نفسه عن متابعة الشهوات فيفارق الزلة في الحال ويبرم العزيمة على أن لا يعود
الى مثلها في الاستقبال فان مضى على موجب قصده ونفذ بمقتضى عزمه فهذا الموفق صدقا وان نقض التوبة
مرة أو مرات وتحمله ارادته على تجديدها وقد يكون مثل هذا كثيرا فلا ينبغي قطع الرجاء عن توبة أمثال
هؤلاء فان لكل أجل كتابا حكي عن أبي سليمان الداراني انه قال اختلفت الى مجلس قاص فأثر كلامه في قلبي
فلما قمت لم يبق في قلبي شئ فعدت ثانيا فسمعت كلامه فبقي في قلبي كلامه في الطريق ثم زال عن قلبي فعدت
ثالثا فبقي أثر كلامه في قلبي حتى رجعت الى منزلي فكسرت آلات المخالفات ولازمت الطريق فحكي هذه
الحكاية ليحيى بن معاذ فقال عصفور اصطاد كركيا أراد بالعصفور ذلك القاص و بالكركي أبا سليمان
الداراني ويحكى عن أبي حفص الحداد انه قال تركت العمل كذا وكذا مرة فعدت اليه ثم تركني العمل فلم
أعد بعد اليه وقيل ان أبا عمرو بن نجيد في ابتداء أمره اختلف الى مجلس أبي عثمان فأثر في قلبه كلامه فتاب
ثم انه وقعت له فترة فكان يهرب من أبي عثمان اذا رآه و يتأخر عن مجلسه فاستقبله أبو عثمان يوما فحاد أبو
عمرو عن طريقه وسلك طريقا آخر فتبعه أبو عثمان فما زال به يقفو أثره حتى لحقه ثم قال له يا بني
لا تصحب من لا يحبك الا معصوما انما ينفعك أبو عثمان في مثل هذه الحالة قال فتاب أبو عمرو وعاد الى الارادة
وتعبد سمعت الشيخ أبا علي الدقاق يقول تاب بعض المريدين ثم وقعت له فترة فكان يفكر وقتا لو عاد الى
التوبة كيف كان حكمه فهتف به هاتف يا فلان أطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فأمهلناك فان عدت الينا
قبلناك فعاد الفتى الى الارادة وتعبد فاذا ترك المعاصي وحل عن قلبه عقدة الاصرار وعزم على أن لا يعود
الى مثله فعند ذلك يخلص الى قلبه صادق الندم فيتأسف على ما عمله و يأخذ في التحسر على ما صنعه من
أحواله وارتكبه من قبيح أعماله فتتم توبته وتصدق مجاهدته واستبدل بمخالطة العزلة و بصحبته مع اخوان
السوء التوحش عنهم والخلوة ويصل ليله بنهاره في التلهف و يعتنق في عموم أحواله صدق التأسف
و يمحو بصبوب عبرته آثار عثرته و يأسو لخباس توبته كلوم حوبته يعرف من بين أمثاله بذبوله و يستدل
على صحة حاله بنحوله ولم يتم له شئ من هذا الا بأربعة فراغه من ارضاء خصومه والخروج عما لزمه من مظالمه
فان أقل منزلة في التوبة ارضاء الخصوم بما أمكنه فان اتسع ذات يده لايصال حقوقهم اليهم أو سمحت
نفوسهم باحلاله والبراءة عنه والا فالعزم بقلبه الى أن يخرج عن حقوقهم عند الامكان والرجوع الى الله
بصدق الابتهال والدعاء لهم وللتائبين صفات وأحوال هي من خصالهم يعد ذلك من جملة التوبة لكونها
من صفاتهم لا لانها من شروط صحتها والى ذلك تشير أقاويل الشيوخ في معنى التوبة ثم ساقها فمن ذلك قول
أبي علي الدقاق التوبة بداية والاوبة نهاية والانابة واسطتهما فكل من تاب لخوف العقوبة فهو صاحب
توبة ومن تاب طمعا في الثواب فهو صاحب انابة ومن تاب مراعاة للامر لا لرغبة في الثواب ولا لرهبة من
العقاب فهو صاحب أوبة و يقال أيضا التوبة صفة المؤمنين والانابة صفة المقربين والاوبة صفة الانبياء
والمرسلين وقال الجنيد سمعت الحرث يقول ما قلت قط اللهم اني أسألك التوبة ولكن أقول أسألك شهوة
التوبة وسئل ذو النون المصري عن التوبة فقال توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وقال
أبو الحسن النوري التوبة أن تتوب من كل شئ سوى الله عز وجل وقال عبد الله بن علي التميمي شتان
ما بين تائب يتوب من الزلات وتائب يتوب من الغفلات وتائب يتوب من رؤية الحسنات وكان يحيى بن
معاذ يقول الهي لا أقول تبت ولا أعود لما أعرف من خلقي ولا أضمن ترك الذنوب لما أعرف من ضعفي ثم
اني أقول لا أعود لعلي أموت قبل أن أعود وسئل ابن يزدانيار عن العبد اذا خرج الى الله عز وجل على أي

أصل يخرج فقال على أن لا يعود الى ما منه خرج ولا يراعى غير من اليه خرج و يحفظ سره عن ملاحظة ما تبرأ منه فقيل له هذا حكم من خرج عن وجود فكيف حكم من خرج عن عدم فقال وجود الحلاوة فى المستأنف عوضا عن المرارة فى السالف وقال ذو النون حقيقة التوبة ان تضيق عليك الارض بما رحبت ثم لا يكون لك قرار ثم تضيق عليك نفسك وقيل لابى حفص لم يبغض التائب الدنيا فقال لانها دار باشر فيها الذنوب فقيل له فهى دار أيضا قد أكرمه الله فيها بالتوبة فقال انه من الذنب على يقين ومن قبول التوبة على خطر وقال رجل لرابعة انى قد أكثرت من الذنوب والمعاصى فلو تبت هل يتوب على فقالت لا لو تاب عليك لتبت وقال يحيى بن معاذ زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها وقال أبو عمر الانماطى ركب على بن عيسى الوزير فى مركب عظيم فجعل الغرباء يقولون من هذا من هذا فقالت امرأة قائمة على الطريق الى متى تقولون من هذا من هذا هو عبد سقط من عين الله تعالى فابتلاه بما ترون فسمع على بن عيسى ذلك فرجع الى منزله واستعفى من الوزارة وذهب الى مكة وجاور بها الى هنا كلام القشيرى وقد اختصرت فى سياقه وقال صاحب العوارف توبة الاستجابة لمثلى هى ان تستحي من الله لقربه منك اذا تحقق بها ربما تاب فى صلاته من كل خاطر يلم به سوى الله و يستغفر الله منه وهى لازمة لبواطن أهل القرب كما قيل

* وجودك ذنب لا يقاس به ذنب * وقال وسئل أبو يعقوب السوسى عن التوبة فقال التوبة من كل شئ ذمه العلم الى ما مدحه العلم قال وهذا وصف يعم الظاهر والباطن ان كوشف بصريح العلم لانه لا بقاء للجهل مع العلم كما لا بقاء لليل مع طلوع الشمس وهذا يستوعب جميع أقسام التوبة بالوصف الخاص والعام وهذا العلم يكون علم الظاهر والباطن لتطهر الظاهر والباطن بأخص أوصاف التوبة وأعم أوصافها اهـ وقال صاحب القوت قال أبو محمد سهل ليس من الاشياء أوجب على الخلق من التوبة ولا عقوبة أشد عليهم من فقد علم التوبة وقد جهل الناس علم التوبة وقال من يقول ان التوبة ليس بفرض فهو كافر ومن رضى بقوله فهو كافر وقال بعض علماء الشام لا يكون المريد تائبا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال معصية عشرين سنة وكان ابراهيم بن أدهم يقول منذ أربعين سنة أشتهى أن أشتهى لاترك ما أشتهى فلا اجد ما أشتهى واذا اتبع العبد الذنب بالذنب ولم يجعل بين الذنبين توبة خيف عليه الهلكة لان هذا حال المصر ولانه قد شرد عن مولاه بترك رجوعه اليه ودوام مقامه مع النفس على هواه وهذا مقام المقت والبعد فأفضل ما يعمله العبد قطع شهوات النفس أحلى ما يكون عنده الهوى اذ ليس لشهواتها آخر ينتظر كما ليس لبدايتها أول يرتسم فان لم يقطع ذلك لم تكن له نهاية فان شغل بما يستأنف من مزيد الطاعة ووجد حلاوة العبادة والا آخذ نفسه بالتصبر والمجاهدة وهذه طريق الصادقين من المريدين ثم لا يتخذ التائب عادة من ذنب تتعذر عليه توبته فان العادة جند من جنود الله تعالى لولاها لكان الناس كلهم تائبين ولولا الابتلاء لكان الناس كلهم مستقيمين وآخوف شئ على التائب تمكينه خاطر السوء من قلبه بالاصغاء اليه فانه سبب هلكته وكل سبب يدعو الى معصية أو يذكر معصية فهو معصية وكل سبب يؤل الى ذنب او يؤدى اليه فهو ذنب وان كان مباحا فقطعه طاعة وهذا من دقائق الاعمال وقد كان يقال من أتى عليه أربعون وهو العمر وكان مقيما على ذنب لم يكد يتوب منه الا القليل من المتداركين وقد اشترط تعالى على التائبين من المؤمنين شرطين وشرط على التائبين من المنافقين أربعة شروط لانهم اعتلوا بالخلق فى الاعمال فاشركوهم بالخالق فى الاخلاص وضعف عليهم الشرط تشديدا الشدة دخولهم فى المقت واعتل غيرهم بوصفه فخفف عنهم شرطين فقال تعالى الا الذين تابوا وأصلحوا و بينوا فقوله تابوا أى رجعوا الى الحق من أهوائهم وأصلحوا يعنى ما أفسدوا بنفوسهم وبينوا فيه وجهان أحدهما بينوا ما كانوا يكتمون من الحق و يخفون من حقيقة العلم وهذا لمن عصى بكتم العلم وستر الحق بالباطل وقيل بينوا توبتهم حتى تبين ذلك فيهم وظهرت أحكام التوبة فيهم وقال تعالى فى الشرطين الآخرين ان المنافقين فى الدرك

الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله لانهم كانوا يعتصمون بالناس و بالاموال وكانوا يراؤن بالاعمال فلذلك اشترط عليهم الاعتصام بالله والاخلاص لله وقال بعض العارفين العامة يتوبون من سيا ٓتهم والصوفية يتوبون من حسناتهم يعنى من تقصيرهم فى ادائها لعظم مايشهدون من حق الملك العزيز المقابل بها ومن نظرهم اليها والى نفوسهم بها وهى منة اليهم واصلة قال وانما حرم بعض التائبين المزيد ولم يجدوا حلاوة التوبة لتهاونهم بحال الرعاية وتسامحهم بترك حسن القيام بشاهد المراقبة وذلك من قلة احكام أمر التوبة ولعدم القيام بحكم التوبة من الذنب الواحد وأحكموا حال ثواب الصادقين فى التوبة لم يعدموا من الله المزيد لانهم محسنون فهى فى تجديد قال الله تعالى وسنزيد المحسنين فاذا رأيتك مستقيما على التوبة عاملا بالصالحات ولم تجدك على مزيد من ميراث توجد حلاوة أوحسن خليقة أوعزوف زهد أوخاصية معرفة فارجع الى باب المراقبة أوموقف الرعاية فتفقدهما وأحكم حالهما فن قبلهما أتيت وقال بعض العلماء من تاب من تسعة وتسعين ذنبا ولم يتب من ذنب واحد لم يكن عندنا من التائبين واعلم أن حقيقة التوبة من كل ذنب عشرة أعمال الا ان يكون العبد توابا يحبه الله ولا تكون توبته نصوحا التى شرطها الله تعالى وفسرتها النبوّة الا أن يحكم العبد عشر توبات من كل ذنب أولها ترك العود الى فعل الذنب ثم يتوب من القول به ثم يتوب من الاجتماع مع سبب الذنب ثم التوبة من السعى فى مثله ثم التوبة من النظر اليه ثم التوبة من الاستماع الى القائلين به ثم التوبة من الهمة به ثم التوبة من التقصير فى حق التوبة ثم التوبة من أن لا يكون أراد الاوجه الله خالصا بجميع ماتركه لوجهه ثم التوبة فى النظر الى التوبة والسكون اليها والادلال بها وهذا مطالعة التوحيد وعلو الاشراق بالمزيد ثم يشهد بعد ذلك تقصيره كله عن القيام بحق الربوبية لعظم مايشهد من جلاله فتكون توبته بعد ذلك من تقصيره عن القيام بحقيقة مشاهدته ويكون استغفاره من توبته لما ضعف قلبه ونقص همه عن معاينة مشاهده لعلو مقامه ودوام مزيده واعلائه ولكل مقام توبة ولكل حال من مقامات التوبة توبة ولكل مشاهدة ومكاشفة توبة فهذا حال التائب المنيب الذى هو من الله مقرب وعنده حبيب وهذا مقام مفتن تواب أى مختبر بالاشياء مبتلى بها تواب الى الله تعالى منها راجع اليه عنها ناظر اليه بها لينظر مولاه أو ينظر بقلبه اليه أو اليها أو يعتكف عليه أو عليها أو يطمئن بوجودها اليها أو اليه أو يطالب اياه هربا منها أو اياها فعليه من كل مشاهدة لسواه ذنب وعليه من كل سكون الى سواه عتب كماله من كل شهادة علو ومن كل اظهار فى الكون حكم فذنوبه وتوباته الى الله تعالى لاتحصى انتهى وروى صاحب نهج البلاغة أن عليا رضى الله عنه قال لرجل قال بحضرته أستغفر الله ثكلتك أمك أتدرى ما الاستغفار الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان أولها الندم على مامضى والثانى العزم على ترك العود اليه أبدا والثالث أن تؤدى الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عز وجل ليس عليك تبعة والرابع أن تعمد الى كل فريضة ضيعتها فتؤدى حقها والخامس أن تعمد الى اللحم الذى نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد بالعظم و ينشأ بينهما لحم جديد والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول أستغفر الله اه وقال صاحب القاموس فى كتاب البصائر قال الله تعالى ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون قسم العباد الى تائب وظالم وماثم قسم ثالث البتة وأوقع الظلم على من لم يتب ولا أظلم منه لجهله بربه و بحقه و بعيب نفسه و بآفات أعماله واعلم أن صاحب النظر الى الوعد والوعيد يحدث له ذلك خوفا وخشية يحمله على التوبة الثانى أن ينظر الى أمره ونهيه فيحدث له ذلك الاعتراف بكونها خطيئة والاقرار على نفسه بالذنب الثالث أن ينظر الى تمكين الله تعالى اياه منها بتخليه بينه و بينها وتقديرها عليه وانه لوشاء لعصمه منها فيحدث له ذلك أنواعا من المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وحكمته ورحمته ومغفرته وحلمه وكرمه وتوجب له هذه المعرفة عبودية

فهذه الاسماء لا تحصل بدون لوازمها ويعلم ارتباط الخلق والامر والجزاء بالوعد والوعيد بأسمائه وصفاته وان ذلك موجب الاسماء والصفات وآثرها فى الوجود وان كل اسم مفيض أثره وهذا المشهد يطلعه على رياض مونقة المعارف والايمان وأسرار القدر والحكمة ما يضيق عن التعبير نطاق الكلام والنظر الرابع نظره الى الآمر له بالمعصية وهو شيطانه الموكل به فيفيد النظر اليه اتخاذه عدوا وكمال الاحتراز منه والتحفظ والتيقظ لما يريده منه عدوّه وهو لا يشعر به فانه يريد أن يظفر به فى عقبة من سبع عقبات بعضها أصعب من بعض عقبة الكفر بالله ودينه ولقائه ثم عقبة البدعة اما باعتقاد خلاف الحق واما بالتعبد بما لم يأذن به الله من الرسوم المحدثة قال بعض مشايخنا تزوجت الحقيقة الكافرة بالبدعة الفاجرة فولدت بينهما خسران الدنيا والآخرة ثم عقبة الكبائر وتزيينها له وان كان الايمان فيه الكفاية ثم عقبة الصغائر بانها مغفورة ما اجتنبت الكبائر فلا زال يحببها اليه حتى يصر عليها ثم عقبة المباحات فيشغله بها عن الاستكثار من الطاعات وأقل ما يناله منه تفويت الارباح العظيمة ثم عقبة الاعمال المرجوحة المفضولة يزينها له ويشغله بها عما هو أفضل وأعظم ربحا ولكن أين أصحاب هذه العقبة فهم الافراد فى العالم والاكثرون قد ظفر بهم فى العقبة الاولى فان عجز عنه فى هذه العقبات جاءه فى عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الاذى على حسب مرتبته فى الخير قال وورود التوبة فى القرآن على ثلاثة أوجه الاول بمعنى التجاوز والعفو وهذا مقيد بعلى فتاب عليكم أو يتوب عليهم ويتوب الله على من يشاء الثانى بمعنى الرجوع والانابة وهذا مقيد بالى تبت اليك فتوبوا الى بارئكم وتوبوا الى الله الثالث بمعنى الندم على الزلة وهذا غير مقيد لا بالى ولا بعلى الا الذين تابوا وأصلحوا فان تبتم فهو خير لكم ويقال ان التوبة من طريق المعنى على ثلاثة أنواع فالاول التوبة من ذنب يكون بين العبد وبين ربه وهذه تكون بندامة الجنان واستغفار اللسان والثانى التوبة من ذنب يكون بين العبد وبين طاعة الرب وهذه تكون بجبر النقصان الواقع فيها والثالث من ذنب يكون بين العبد وبين الخلق وهذه تكون بارضاء الخصوم بأى وجه من الامكان ومن طريق اللفظ وسبيل اللطف على ثلاثة وثلاثين درجة منها لا تكون مثمرة حتى يتم أمرها ولا تظن انك مزيد فيها فان أباك آدم كان مقدم التائبين واذا أردت التوبة فهو المريد لتوبتك فاذا تاب فتوبته عليك جزاؤه بمحبته ولا تقبل توبة من يدخرها من الوقت ومن توقف عن سلوك طريق الناس وسم جبين حاله بميسم الخائبين من الرجال لا يقعدهم على سرر السرور الا التوبة ولا ينال مقام التوبة الا بتوفيق الله واذا تاب المؤمن أقبل الله عليه بالقبول وكفل له نيل المأمول ومن تاب كان فى أمان الايمان مصاحبا السلاح الصلاح ومن تاب وقصد الباب حصل له الفرج أفضل الاسباب اذا أقبل العبد على باب التوبة استحكم عقد اخوته مع أهل الايمان من أثار غبار المعاصى واتبعه برشاش الندم غلبت الحكمة الالهية طاعته على معصيته من لاذ بحرم التوبة قبل القدرة عليه فلا سبيل للايذاء عليه وعلى هذا القدر وقع الاقتصار فى ذكر ما يليق بالتوبة من الاشارات والتنبيهات والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وهو يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد المخلوقات الشافع المشفع للمذنبين فى العرصات وعلى آله وصحبه الثقات الانجم الهداة كان الفراغ منه فى الثانى عشر من رجب الفرد الحرام سنة ١٢٠٢ والحمد لله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع أوّله كتاب الصبر والشكر)

(فهرست الجزء الثامن من اتحاف السادة المتقين شرح أسرار احياء علوم الدين)

(تمت الفهرست)




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



